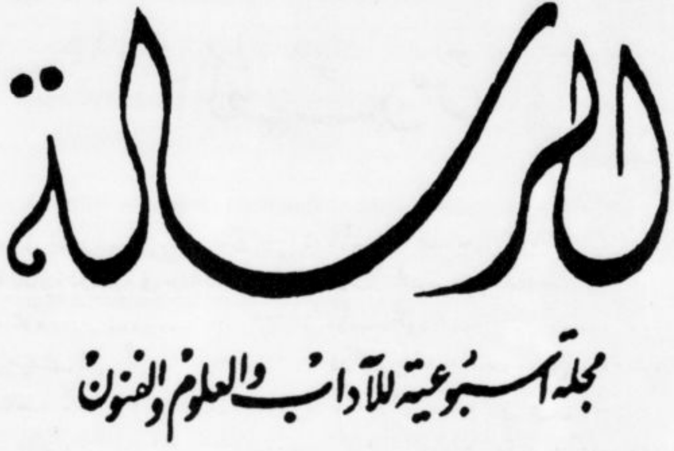


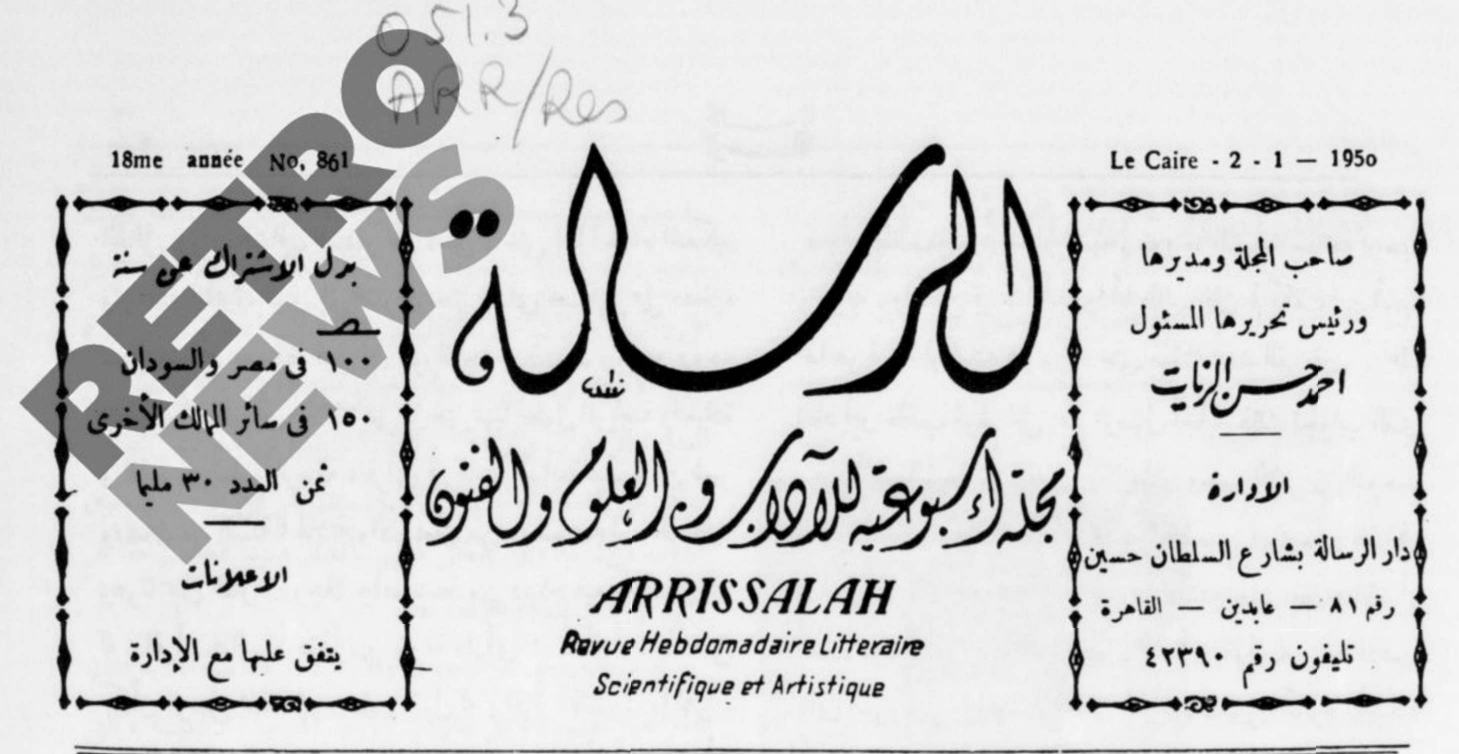


عدد ممتاز

العـــدد ٨٦١ — ٢ يناير ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



الفهرس



العدد ٨٦١ «القاهرة في يوم الاثنين ١٣ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٩ — ٢ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة»

في ذكرى مولد الرسول

على جبل النور

قضى الصادق الأمين محمد بن عبد الله خمسا وعشرين سنة في شعاب مكة وبطاحها يتيما فقيرا، ثم راعيا صغيراً، ثم تاجراً أجيرا، فلم ينعم بدفء الفراش كمن له أم، ولم يجلس أمام المعلم كمن له مال؛ وإنما تولى الله تأديبه وتهذيبه، لأنه أراد لنوره وبرهانه أن يشرقا في هذا المنزل المتواضع، ولمجده وسلطانه أن يظهرا في هذا اليتيم الوادع، ولعلمه وقرآنه أن ينزلا على هذا الأمي الحيي، لتكون آيته أبهر للعيون، ودعوته أبرع للعقول، وكلمته أعلق بالأفئدة، فكمله بالخلق العظيم والحياء الوقور والصبر المطمئن واللسان الصادق والذمة الوثيقة والقلب الشجاع، ثم طهره من أرجاس الوثنية وأوزار الجاهلية، فلم يشرب الخمر، ولم يأكل الربا، ولم يلعب الميسر، ولم يشهد اللهو، ولم يعن وجهه لصنم.

ثم شاء الله لمصطفاه أن ينعم بسكينة القلب ورفاهة العيش خمس عشرة سنة أخرى بعد ذلك في ظلال زوجه الغنية الوفية خديجة بنت خويلد استعداداً لأعباء الرسالة ومكاره الدعوة ومجاهدة الشرك. وكان النبي الكريم في هذه الفترة الهادئة السعيدة يؤثر الوحدة ويطيل السكوت ويديم التفكير: يفكر في خلق السموات والأرض، وينظر في أمر قريش والعرب، ويسأل نفسه: من الذي خلق الموت والحياة، وجعل الظلام والنور، ودبر أمر هذه العوالم، ونظم سير هذه الكواكب؟ فتجيبه: إله آخر غير اللات والعزّى ومناة، لا يحل في بشر، ولا يتمثل في حجر، ولا يتحيز في مكان. فيفكر محمد ويطيل التفكير، ويبحث النبي ويعمق البحث، ويتعبد المتحنث ويكثر التعبد. فاذا جاء شهر رمضان من كل سنة، هجر المهاد اللين، وفارق الزوجة الحنون، وتزود الزاد اليسير، ثم صعد إلى جبل حراء على ١٥٠٠ متر من شمال مكة، ليستعين بالصوم والاعتكاف على استجلاء الحقيقة. وهنالك على قمة الجبل المخروطي الشاهق، وفي صمته الملهم الرائع، وفي غيابة الفضاء الرهيب، يفكر في الملكوت الدائم، ويسبح للجلال القائم، ويفنى في الوجود المطلق. فإذا جنه الليل أرسل نظره وفكره في أشعة القمر أو في أضواء النجوم، يستطلع المجهول، ويستجلي الغامض، ويرقب انبثاق النور عن

الخالق ، وانكشاف الستور عن الحق . حتى إذا أجهده التفكير وأرهقته الحيرة، أوى إلى الغار الموحش النابى فيستلقى على صخره سويعات ثم يستيقظ قبل أن تغور النجوم، فيتعبد ويتجه بروحه اللطيف الصافى إلى الملأ الأعلى ، حتى تهيأ بطول الرياضة والعبادة والخلوة إلى تبليغ الرسالة ، فرأى في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان من السنة الحادية والأربعين من مولده صلوات الله عليه وهونائم فى الغار أن رجلا جاءه بنمط من ديباج فيه كتاب وقال له : اقرأ . فقال مأخوذاً من روعة مارأى : ما أقرأ . فأحس كأن الرجل يخنقه ثم يرسله ويقول له : اقرأ . فقال : ما أقرأ . فعاد اليه بمثل ماصنع وقال له اقرأ . فقال له : ماذا أقرأ؟ خشية أن يعود إليه بمثل مافعل . فقال له : « اقرأ باسم ربك الذى خلق؛ خلق الإنسان من علق ، أقرأ وربك الأكرم ؛ الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم » فقرأها وانصرف الرجل عنه وقد نقشت فى لوح قلبه .

ومالبث أن هب من نومه فزعا مذعوراً يدير بصره فى الأرض ، ويجيل طرفه في السماء . ثم تمثل له فى اليقظة ما رآه فى المنام فأدركه الخوف على نفسه فانطلق مسرعا إلى السكن الذى يسكن إليه، وإلى الصدر الذى يحنو عليه ،فتلقته خديجة بالنظر المشفق والقلب المعطوف ، فقال لها وهو ينتفض كأن به مساً من الحمى . زملونى فزملته ، حتى إذا ذهب عنه الروع وعاودته السكينة ، نظر إلى زوجه نظر اللائذ العائذ وقال لها . ياخديجة ، مالى ؟ وحدثها بالذى رأى ، فطمأنته وقالت له : « أبشر ياابن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة . والله لايخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكلّ وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق »

وفتر الوحى مدة جزع لها محمد وقلقت خديجة ، ثم نزل على قلبه الروح الأمين بقول الله تعالى : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر » فقام بأعباء الرسالة والتبليغ ثلاث سنين في طى الخفاء ، حتى أوحى الله إليه : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، وأنذر عشيرتك الأقربين » فمالن بالدعوة قريشاً وسفه أحلامها وعاب أصنامها ، فكاشفوه بالعداء ، وقصدوه بالإيذاء ، وهو يتقى كيدهم بجنة صبره وعدة إيمانه ، ومن ورائه عمه أبو طالب يذود عنه ويحميه ، وزوجه السيدة خديجة تواسيه وتقويه . ولكن قريشاً أنذروا أبا طالب لئن لم يكف ابن أخيه عما هو فيه ليقاتلنه هو وإياه حتى يهلك أحد الفريقين . فلما أعاد أبو طالب قولهم على سمع الرسول أجابه ذلك الجواب الذى خيّس أنف الشيطان، وغير وجه الزمان، وحسم الأمر بين التوحيد والشرك ، قال : والله باعم ، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » فلم يسع العم النبيل إلا أن يقول له : « اذهب ياابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشىء تكرهه أبداً »

عند ذلك تألبت على الرسول عناصر الشرك جمعاء ، فأصيب فى بدنه ،واتهم فى عقله ، وأوذى فى أهله ، وعذب في صحبه . ثم فجعه الموت فى عمه الشهم وزوجه المخلصة فى يومين متقاربين من السنة العاشرة للرسالة ، فاشتد عليهما حزنه ، وحرج بعدهما فى مكة مقامه ، فخرج منها إلى الطائف يدعو ثقيفا إلى الله فأغروا به صبيانهم وسفهاءهم فقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه ، فلجأ إلى بستان يعصمه منهم ، وتفيأ شجرة من شجر الكرم وهو يدعو الله ويقول : «اللهم اليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى،وهوانى على الناس . أنت رب المستضعفين وأنت ربى . إلى من تكلنى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى »

ولما نبت قفار مكة على الغراس الإلهى انتوى الرسول الهجرة بالمسلمين إلى المدينة ، وقد أسلم فيها جماعة من الأوس والخزرج ، فأحس المشركون منه هذا العزم فائتمروا به ليقتلوه . ولكنه خرج ليلة اجتماعهم على قتله هو وصديقه أبو بكر إلى طيبة ، تكلؤهما عين لا تغفو وقوة لا يقام لها بسبيل . وهنالك تجلت فى الرسول مواهب الكمال الانسانى فحشد للخصومة قوى النفس وقوى الحس، فجاهد بالصدق، وجالد بالصبر، وجادل بالمنطق وصاول بالرأى ، وأثّر باللسان ، وقهر باليد . وتلك مزيته الظاهرة على النبيين والرسل . فكل نبى وكل رسول إنما بان شأوه على قومه فى بعض المزايا ، إلا الرسول العربى فقدتم فيه ما نقص فى غيره من معجزات الرجولة ؛ كان رسولا فى الدين ، وعلما في البلاغة ، ودستوراً فى السياسة ، وإماما في التشريع ، وقائدا فى الحرب . وبهذه المواهب التي نشأت في محمد بالفطرة ، وانتقلت

إلى أصحابه بالقدوة ، أصبح الإسلام الذي بدأ بخديجة وعلي وأبي بكر وزيد ، دين الناس ودنيا العالم ؛ يقف به في آخر الغرب عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الأطلسي ويقول وقد خوض جواده في الماء : « اللهم رب محمد ! لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك . اللهم اشهد » ويتجه به إلى آخر الشرق قتيبة الباهلي ، ويأبى إلا أن يوغل في بلاد الصين، فيقول له أحد أصحابه محذراً : « لقد أوغلت في بلاد الترك ياقتيبة والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر » فيجيبه قتيبة : « بثقتي بنصر الله توغلت . وإذا انقضت المدة ، لم تنفع العدة » فيرد عليه المشفق المحذر : « أسلك سبيلك حيث شئت ، فهذا عزم لا يفله إلا الله » .

فليت شعري ياعلماء الإسلام وبازعماء العرب، ماذا في نفوسنا وأيدينا من دين محمد وأخلاق محمد وتراث محمد؟ ألسنا نعيش اليوم مسلمين من غير إيمان ، ومستقلين من غير سلطان ، ومتحالفين من غير ألفة ؟ وهل كان ذلك يكون لو اتخذنا من أحكام الله منهاجا ومن وصايا رسوله علاجا ومن حياة السابقين الأولين قدوة ؟

إن ذكرى مولد الرسول ذكرى انطلاق الانسانية من أسر الأوهام وطغيان الحكام وسلطان الجهالة . فما أجدر القلوب الواعية الحرة على اختلاف منازعها ومشارعها أن تخشع إجلالا لذكرى رسول التوحيد والوحدة ، ونبي الحرية والديمقراطية ، وداعية السلام والوئام والمحبة !

أحمد حسن الزيات

المكانة العالمية للإسلام في هذا العصر

للأستاذ محمد فريد وجدي بك



بعد أن مرت على النوع الإنساني عشرات من القرون في حالة تنازع للبقاء، ثم لطلب السيادة وبسطة السلطان جريا على عادات جاهلية فرضتها الحاجات الجسدية تارة والميول الهوائية تارة ، أخرى . وتبعت هـذه التعديات تصرفات وماجريات تعسفية، أملتها على المتغلبين الغرائز الحيوانية، والطبائع الوحشية ، فأصبحت رسوما تقليدية ، لا تثير عاطفة ، ولا تجرح إحساسا ؛ بعد أن مر هذا كله على النوع الإنساني أخذ يبدو في حيز التفكير البشري رد فعل لهـذا العدوان المتأصل في النفوس ، ترجمت عنه بحوث خلقية ، ودراسات فلسفية ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، تدل على وشك حدوث دور انتقال من هذه الحال الحيوانية التي درج عليها الأقوياء في جميع الأجيال حيال الضعفاء إلى حالة وسطى من العدل والإنصاف والرحمة ؛ وكان ذلك سببا في حدوث كتابات تدافع عن الضعفـاء المقهورين ، وتستدر لهم من الأقوياء المتغلبين العطف والشفقة ، ولم تبخل عليهم باعتبار هـذا العطف حقا لهم يجب على سادتهم الاعتراف به .

لم تكتف هـذه البحوث والدراسات بالناحية المادية لتلك الطوائف المقهورة ، بل تناولت ناحيتهم الدينية والأدبيـة ، التي يحتقرها الأقوياء ويأنفون البحث فيها ، ويعتبرونها من الأضاليل الوحشية ، فوجدتها لا تقل عن سـواها دعوة إلى الخير ، وردعا عن الشر ، ومطالبة بالإحسان والبر ؛ وهي وإن كان قد أصابها التحريف فليست بأكثر من سواها التياثا بالخرافات ، ولا بأعصى منها قبولا للاصلاح ، فنشأ من كل هـذه الكتابات والبحوث تلطيف لخشونة الاستعمار، فرضخ القاهرون للمقهورين بقسط من التسامح مكنهم من فتح المدارس لأبنائهم ، ونشر الصحف المطالبة بحقوقهم . واضطرت الأمم المتغلبة إلى زيادة قسطهم من الحرية ، فلم يلبثوا أن تطورت مطالبتهم بحقوقهم إلى ثورات مسلحة ، وقلاقل متوالية ، اضطرت معها أكبر الدول الاستعمارية إلى التخلي عن أكبر مستعمراتها ، وتخفيف الوطأة عن سواها،

مراعاة لهـذا التيار الجارف من الشعور بالحقوق الطبيعية . وأصبحت الأمم القـوية المحافظة على الشكائم الحديدية فى جهاد جهيد مع مستعمراتها ، وهى تعلم أنها تحاول المحال فى الإبقاء على التقاليد القديمة ، وإنه سيأتى يوم وهو ليس ببعيد ، ينتقل فيه سلطانها المغتصب إلى أهل البلاد يحكمون بلادهم بأنفسهم تسليما بالحق الطبيعى للأمم .

وقد اشتغل من ناحية أخرى رجال من المنقبين عن المدنيات القديمة ، فوجد وأن للأديان كلها أصلا واحداً وغرضنا واحداً ؛ فأما أصلها فهو التسليم بوجود خالق للوجود ؛ وأما غرضهـا فهو العمل بمـا شرعه سبحانه للناس من السيرة الصالحة والأخلاق الجيدة . وأما ما وقعت فيه الأديان من تعديد الآلهة ، ومن الشطط فى ضروب العبادات ، وصنوف الخرافات ، فكلها ليست من الدين فى شىء ؛ ولكنها من وضع رجال الأديان حرصاً على المحافظة على سلطانهم وتسخيراً للشعوب لإرادتهم .

تحت تأثير هذين العاملين ، وهما ثبوت وحدة الأديان ، وتعذر الاستيلاء على الأمم الضعيفة وتسخيرها بالقوة ، ارتسم فى الجو العالمى حقيقتان كبريان : أولاهما وجوب إيجاد تعارف سلمى بين الشعوب المختلفة ، يرمى إلى تعاون بين أجناس النـوع البشرى ، تبطل فى ظله الظليل المنافسـات الاستعمارية ، والمنازعات بين الشعوب القوية . أخذهما التنويه بوحدة الأديان ووجوب تطهيرها مما التصق بها من الآراء ، البشرية ، والخباليات الشعرية لتؤدى مهمتها فى رفع النفوس إلى المستوى الرفيع الذى يليق بكرامتها الفطرية .

هذان الأصلان هما أخص ما دعا إليه الإسلام منذ نحو أربعة عشر قرنا . فأما عن الزمالة الإنسانية العامة ، ووجوب وجود المساواة بين الناس والتعارف بين الشعوب ، فقد جاء عنه فى الكتاب الكريم قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » . وقد عمل المسلمون بهذه القاعدة فلم ينساحوا فى الأقطار طلباً لاستغلال الأمم ، ولا رغبة فى تسخيرها ، ولكن لمعاونتها على النهوض ، وإحكام أواصر التحاب معها . وقد برت بما وعدت ورفعتها من حالتها التعسة إلى مستوى رفيع من الثقافة والمدنية ، حتى أن شعوبا كانت تستدعيها لتحل بين ظهرانينا تخلصاً من نير حكوماتها الوطنية .

وأما من الناحية الدينية فإن الكتاب الكريم قد صرح بما اكتشفه العلم فى القرن التاسع عشر من أن أصل الأديان واحد وأنها ما تخالفت إلا بسبب ما أدخله إليها المتسلطون عليها ، إشباعاً لشهواتهم من الحكم والسيطرة . فقال تعالى عن الإسلام :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب فلذلك فادع (أى فلوحدة الدين فادع) ، واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم (أى لا محاجة ولا خصومة) . الله يجمع بيننا وإليه المصير » أى أنه شرع لكم من الدين ، ما نزل على أبيكم آدم ، فإن دين الله لا يتغير ، ولكن الأمم هى التى تولته فخرقته وصرفته عن أصله . فإياك أن تعدل عن هذا إلى سواه « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء » .

وأبلغ مما مر فى وجوب رد الأديان إلى وحدتها الأولى قوله تعالى « إن الذين يكفرون بالله ورسـله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ؛ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهيناً » . فقد أمر المسلم أن يؤمن بجميع الأنبياء والرسل ، وأن لا يتخير بعضهم فيؤمن بهم ويكفر البعض الآخر ، فلا تتم الوحدة البشرية التى يريدها الخالق لعباده ، وهذا أقوى فى الدلالة على هذا المبدأ فى الإسلام ، وهو عينه مرمى الإنسانية ؛ ومردها الذى لا مصير لهـا غيره كما يتبينه الذين يتتبعون تطور المدركات البشرية .

وعلى هذا يكون الإسلام قد قصد بما شرعه للناس من دين عام توحيد البشرية . ووافق الطبيعة الإنسانية فيما ستؤول إليه تحت توجيه النواميس الاجتماعية ؛ ويكون قد ترجم عمـا سيقع فى مستقبل بعيد بقوله تعـالى : « سنريهم آياتنـا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

محمد فريد وجدى

أعداء ثلاثة

للأستاذ محمود تيمور بك

أعداء الإنسانية كثير، وصولتها في مملكة الشر قائمة على قدم وساق، وإنها لتعيث في الأرض فساداً ما وسعها أن تعيث.

ومنذ نجمت هذه الأعداء قام في وجهها دعاة الخير، وأحلاف الفضيلة، يحدون من عدوانها على وجه الأرض، ويكفون أذاها عن الناس.

وما برحت أسماعنا تهزها أصداء الحملة على ثلاثة من هذه الأعداء، أوغلت في البغي، وأمعنت في الشر، فنهض لها قادة الأمة يشنون عليها غارة شعواء ... تلك هي: ثالوث الفقر والجهل والمرض.

وليس ينكر أحد ما لهذا الثالوث الكريه من جسيم الخطر، فإليه مردّ ما تعانيه الأمة من آلام شداد، وما يعتاق خطاها إلى الأمام من عقبات صعاب.

بيد أن هذه الأعداء الثلاثة على جسامة خطرها تبرز في المعسكر المادي للعيان، وتغني في محاربتها عدّة حازمة حاسمة من وسائل الاقتصاد. فما أشبهها بالقروح الظاهرة، داؤها مكشوف، ودواؤها معروف، إذا أنت أخذت فيها بأسباب العلاج، خبيراً به، محكماً له، كان لك أن تستقبل طلائع الشفاء.

وثمة في حياتنا العامة أعداء باطنة تكمن في دخيلة النفوس، ويسري أذاها في المجتمع مسرى الدم في العروق. وهذه الأعداء المعنوية هي التي يتعذر التخلص منها إلا بجهد ورياضة ومعاناة.

ومما لا ريب فيه أن المعنويات هي الأساس في سعادة الإنسان. فكلما صلحت المعنويات أفاضت من صلاحها على الماديات.

ليست تلك المعنويات إلا الروح، وإذا قويت طاقات الروح لم تقو عقبة على أن يبقى لها سلطان.

متى توافرت للنفس عقيدة وإيمان، مضت في طريقها تشقه، حتى تروعك من أعمالها بالمعجزات.

أني مستطاع امرئ أن يسعى إلى مصاولة أعداء الإنسانية في المعسكر المادي، دون أن يكون مدفوعاً إلى ذلك بعامل نفسي قويّ موصول بحب الخير؟

إن العالم يدين برفاهيته، وبشمول الخيرات فيه، لقوى نفسية اتخذت من المثل العليا رائدها في الطريق، فأحبت الخير، وعملت عليه، وبذلت جهدها له، حتى بلغت ما تريد.

المعنويات إذن هي نواة الرقي المادي. فإذا شئنا أن نعلي من شأن الماديات في حياتنا العامة، فعلينا أولا أن نجند قوى النفوس للتخلص من أمراض النفوس.

ويلوح لي أن أعداء الإنسانية في المعسكر النفسي ثلاثة: الحسد، والبغض، والحقد.

وإن شئت قلت: إنه عدو واحد، يتشكل في ثلاثة أطوار من حياته، يبدأ في طور الطفولة حسداً، ثم يجتاز طور الشباب بغضاً، ثم يكون في كهولته حقداً.

يمد المرء عينه إلى ما حوله فإذا هو حاسد، ولا يلبث أن يسلمه الحسد إلى إبغاض لمن يحسده، وما هي إلا أن يحقد عليه، فيطوي النفس على إيذاء له، وإيقاع به.

ذلك العدو المثلث هو حجر الزاوية في مأساة البشرية، وليس ميدانه مقصوراً على الفرد وحده، ولكنه يتعداه إلى الجماعات على اختلافها، بل إنه يتخطاها إلى الدول على تفاوتها، وإلى الأجناس على ما بينها من تباين.

ولكي يناهض الإنسان هذا العدو الصميم، عليه أن يواجهه في معسكره الأول، أعني نفس الفرد. فإذا انكشفت عن الفرد عداوته، لم ينبسط لها ظل في الجماعات والدول والأجناس.

ولا تحسبن النفس الواحدة من الضآلة بحيث يتيسر علاجها على كل طالب ، فإن هذه النفس عالم زاخر يحتاج إلى تنظيم وتدبير وسياسة لا تقل عن تنظيم الممالك وتدبير الأمم وسياسة الدول .

متى اشتملت نفس بهذه المداوة الثلاثة عانت حالة من الضعف والمرض ، وهذه الحالة لا تصيب النفس بدافع الحرمان وحده ، فكم من نفوس حسدت فأبغضت لحقدت ، لغير مسوّغ من حاجة ملجئة ، أو ضرورة داعية .

مرجع هذه العلة النفسية إلى بذرة الأنانية ، تلك التي تجعل النفس في بوتقة من القلق والاضطراب ، يهيجها ما تراه حولها من خير ينصرف دونها إلى سائر الناس . فهذه النفس لا تسكن ولا تقر إلا إن وقفت بمرصد ، لترد عن السبيل خطوات الساعين إلى الغايات .

كيف نكافح هذا العدو المثلث ؟

كيف نهوّن من بطشه إن عزّ علينا أن نستأصل شأفته ؟

كيف السبيل إلى أن نوفر للنفس حظها من الصحة والعافية ، فيجتمع لها من القوة والثقة ما تعتصم به من شر ذلك المرض الوبيل ؟

لاجدوى لمختلف العقاقير والأدواء في علاج أمراض النفوس ، فالسبيل إلى شفائها مرهون بترويضها على إيثار الخير ، وحب الغير . . .

ليس في مقدورنا أن نروض أنفسنا على الخير الشامل دفعة واحدة ، فالنفس حرون ، وإن النفس لأمارة بالسوء ، ولا بد لها من مدارجة وملاينة ، حتى تأبى الجماح ، وتخفض الجناح .

ليأخذ المرء نفسه بادىء بدء بحبّ أقرب الناس إليه ، وفي ذلك الميدان يتسنى له أن يقنع النفس بالحدّ من الأنانية ، فيهب من يشاركهم في العيش فضل سعيه ، وموفور إخلاصه . ثم يخطو بخيره درجة أخرى ، فيضم إلى أهله من يجدهم من حوله أعواناً وإخواناً . ولن يستعصى عليه بعد ذلك أن ينزل عن أنانيته طوعاً لمن لا صلة بينه وبينهم إلا صلة الإنسان للانسان .

وبذلك التدرج في ترويض النفس على التخلص من الأثرة والأنانية ، تتأصل تلك النزعة والإنسانية من الحب والخير . وفي هذا كسب للبشرية عظيم !

أذكر — فيما أذكر — قصة فتى فتنان الروح ، كان بالريحان ولوعا ، فأراد أن يستنبت وردة مثالية لا عهد بها لأحد ، فقضى أعواما يزاول تجاربه لجمع خصائص الورود الزكية في وردته المنشودة . وكانت تصاحبه فتاة رعناء ، يطوى لها قلبه على حب فوّار ، فأغدق عليها عطفه ، واحتمل رعونتها في مصابرة ومطاولة ، وأعانه حبه لصاحبته على أن يظل ساعياً لخيرها ، لا يبالى أنانية نفسه وحقها عليه . وبينما كان الفتى مسترسلا في تجارب الورود ، كانت الفتاة تفكر في حسن معاملته لها ، وصبره على أذاها . فأخذت تحاسب نفسها على ما كان منها ، ورجعت تتودّد إلى فتاها في دماثة خلق ؛ ولين جانب .

ويوما جاس الفتى مغتما ، يتحسر لإخفاقه في استنبات الوردة المثالية ؛ فجاءته الفتاة مترفقة به ، تسأله : فيم تفكر ؟

فابتسم لها ابتسامة يأس . فقالت له ، وهي تلاطفه :

الا يكفيك أن أكون وردتك المثالية التي نجحت في خلقها خلقاً جديداً ؟

فإذا أردنا أن تكون الحياة روحاً وريحاناً ، فلنحرص على أن نستنبت في نفوسنا تلك الورود المثالية التي يضوع منها عطر المحبة والإخاء !

محمود تيمور

كلمات مرسلة

للدكتور محمد يوسف موسى

نحن — العرب أو المسلمين عامة — نعيش على هامش الحياة ننفعل بما يكون من أحداثها، دون أن نكون قوة فى إيجاد هذه الأحداث. وبعبارة أخرى، نحن مادة قابلة لما يريد الغير من صور لا قوة تفعل وتفرض على الغير ما تريد صور فى هذه الحياة من كل أو بعض نواحيها.

ونجد مصداق هذا الذى نقوله فيما نحن عليه من نظم : فى التعليم، والبرلمان، والقانون، والسياسة وفى سيرة ممثلينا فى البلاد العربية .

ونظن الأمر تكفى فيه الإشارة والتلميح، ولا يحتاج لشىء من الإيضاح . فتلك حقيقة لا ريب فيها وهى نكبة على الأمة . إذ ليس معنى هذا إلا فقداننا الثقة بنا كأمة أو جنس، وفقداننا الشعور بأن لنا شخصية مستقلة، بها نتميز عن غيرنا ونستمدها من ديننا والخير من تقاليدنا وحضارتنا، وبها يجب أن نعتز فى غير كبرياء فارغ .

ليس من ضير على أية أمة أن تأخذ عن غيرها بعض ما تراه خيراً من نظمها وتقاليدها، وتضمه إلى ما تحرص عليه من التقاليد الخاصة بها . ولكن من الشر، كل الشر، أن تذهب الأمة تلتمس لها نظاما فى التعليم أو القانون أو الحكم من أمم مختلفة، فيجىء هذا النظام مزقاً متهافتة ليس له وحدة حقيقية تضم أطرافه، وليس له هدف مُوحد يسير إليه، وليس له من فضل إلا أنه مأخوذ عن أمم ترى أنها تقدمتنا فى الحضارة ؛ وهو —مع هذا كله — لا يتفق وديننا، ولا يتفق مع ما هو خير من عاداتنا وتقاليدنا .

لقد آن الوقت الذى يجب أن نضع من جديد فى الميزان تقاليدنا وحضارتنا كى نرى منها ما به نصلح فى هذا العصر، فنبقى عليه ونعتصم به ونعتز ؛ وما كان منها خيراً لزمن غير زماننا، فلا نأسى على أطراحه واتخاذ بديل منه من هنا أو هناك .

وآن الوقت الذى يجب فيه أن نتساءل فى جد : هل الإسلام هو الدين الحق الذى رضيه الله لنا كما يقول القرآن؟ وهل نحن كما يذكر القرآن حقاً خير أمة أخرجت للناس؟ فإذا وصلنا إلى اليقين بأن هذا وذاك حق، وذلك مالا ريب فيه، يجب أخيراً أن نتساءل عن السبب الذى من أجله لا يستخلفنا الله فى الأرض كما استخلف الذين من قبلنا ولا يمكن لنا ديننا الذى ارتضاه لنا ؛ ولا يبدل لنا من بعد خوفنا أمنا كما جاء فى سورة النور من القرآن .

هذه آية كريمة تتضمن وعداً كريماً صادقاً من الله، ومن أوفى بعهده من الله ؟ وقد صدق الله وعده فى فجر الإسلام وبعده فى أزمان مختلفة، لأجدادنا الذين آمنوا به حقا بقلوبهم لا بألسنتهم وحدها، إيماناً واجهوا من أجله الموت راضين سعداء، فلماذا لا يتحقق لنا كل هذا الذى وعد الله به مرة أخرى فى هذا العصر إن حصلنا ما يجب أن يكون منا من أسباب ؟

إن ارتباط المسبب بالسبب أمر ضرورى لا شك فيه . وقد أخطأ الغزالى خطأ بليغا، لا زلنا نعانى حتى اليوم من أثره السيىء، على العقل والفلسفة والصالح العام للمسلمين، وذلك حين حاول باسم الدين هدم القول بارتباط المسببات بأسبابها ارتباطاً ضرورياً لا عادياً .

نقول أخطأ الغزالى خطأ بليغاً، إذ كان من صنيعه أن وقر فى نفوس عامة المسلمين — بعد أن قرر ماقرر وهو حجة الإسلام — أن المرء قد ينجح فى حياته وهو لم يتخذ للنجاح أسبابه الضرورية؛ سواء أكان زارعاً أو صانعاً او تاجراً أو رجل سياسة ودولة !

وكان من هذا أيضاً أن أخذ كثير، حتى من المثقفين، يتساءلون عن العلة التى من أجلها لم يحقق الله للمسلمين هذه الأيام مظاهر القوة والسيادة، ما به يؤكد أننا حقاً خير أمة أخرجت للناس وأن الإسلام خير الأديان . عن هذا يتساءلون، وينسون أن أى مسبب لا بد أن يكون له سبب، وأن خرق ذلك لن يكون إلا

معجزة وقد مضى زمن المعجزات ، يتساءلون عن هذا ، وينسون أننا لسنا مؤمنين ولا مسلمين حقاً .

نعم ! لنقل هذا صراحة ، فلسنا من الإيمان بالقدر الذى به يحقق الله ما وعد لعباده المؤمنين . وأدنى هـذا القدر أن نؤمن بالله وحده ، وألا نرجوا أو نخاف غيره ، وأن نتذكر أينما كنا من العالم أننا مسلمون ، وأن نعمل دائما عمل المؤمنين المسلمين .

هذا هو جماع السبب الذى به نكون أهلا لنصرة الله لنـا ، وذلك ما ليس متحققا فينا بكل أسف . ولنكشف فى هذا المقام بالقليل من الأمثلة ، أو الواقعات التى شهدتها بنفسى وشهدها معى كثير من الإخوان المصريين المسلمين .

١ — دعيت أكثر من مرة لحفلات استقبال أقامتها هـذه أو تلك من الدور الرسمية التى تمثل البلاد الإسلامية فى باريس ؛ فكان يجرى فى هـــذه الحفلات مالا يذكرنا قط أننا فى دار تمثل دولة من دول الإسلام . وحسبى أن أذكر أن من ضروريات هذه الحفلات أن تسيل الخمر كأنها الماء ، والا يتعفف عن شربها إلا القليل جداً ممن عصم الله ، وأن يكون ذلك كله على مشهد من الأجانب الذين يعجبون أن يحدث هـذا من ممثلى الأمة الإسلامية .

ثم ذلك لا يحدث فى الأيام العادية فقط ، بل حدث أحياناً فى رمضان ، شهر الصوم ، وأثناء النهار ! بينما دعيت مرة فى رمضان أيضاً لحفلة استقبال أقامتها وزارة التربية الوطنية بباريس ، فكان مما عنى به القوم أن بدء الحفلة كان بعد غروب الشمس بقليل ! تلك مفارقة ، وأى مفارقة !

٢ — حاولت إدارة رسمية تشرف هناك على طلاب البعثات عقد صلات بين الطلاب وأساتذتهم الأجانب ، فلم تر إلا أن تقيم حفلة راقصة فيها كانت الخمر أصنافاً وألواناً ، وذلك فى وسط من الفوضى عجيب ، حتى اضطر بعض هؤلاء الأساتذة إلى الانصراف فى عجب بالغ وألم شديد .

وهذان مثالان ، ولو شئنا لأتينا بأخرى ، ولكن المقام لايسمح وحيز الكتابة محدود . على أنى ، مع هذا ، أضيف أيضا هذه الكلمة التى نرى منها أننا نبتعد كل يوم عن الاسلام .

يكون من بعض من جعل الله إليهم الأمر فى الأمة الإسلامية فى مصر أو غيرها من بلاد الشرق الإسلامى ، الحدث الجلل من الأحداث ، الحدث الذى هو ظلم سافر ، ظلم يتناقض صراحة وأمر الله ورسوله ، ومع هذا لانجد كلمة اعتراض من واحد من الأمة . أى والله ، لانجد أحدا يعترض ، حتى ممن يجب عليهم — بحكم مناصبهم الرسمية ومكانهم من الأمة — الذود عن الدين والشريعة وحمايتها من العدوان .

ثم ، مع هذا كله ، نعجب من أننا فى ذلة وهوان ، بينما الغربى فى عزة واستعلاء ! ونتناسين قوله تعالى : « إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ! ونتناسين أيضا قوله فى موضع آخر من القرآن : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا » . ففى هاتين الآيتين الكريمتين بين الله الأسباب التى يكون عنها النصر والعزة ، وبين أن بين هذه الأسباب ومسبباتها رابطة لاانفصام لها ، تلك سنة الله فى خلقه .

هذا ، وهناك ناحية أخرى أحب أن أتناولها فى هذه الكلمات . لقد لمست طوال الأعوام التى قضيتها فى فرنسا ، وفى الفترات التى القصيرة التى عشتها فى ألمانيا وانجلترا وأسبانيا ، أن القوم هناك بعد الحرب يجتازون دورا خطيراً من ناحية العقيدة والدين .

إن كثيرا من الشبان فى أوروبا ، وبخاصة شباب الجامعة ، صاروا يعترفون بعجزهم عن فهم الديانة المسيحية ومافيها من أسرار تعجز العقل . وأن كثيرا من هؤلاء ، بلغ بهم التفكير الجاد فى هذه المشكلة ؛ أن صاروا يتلمسون لأنفسهم عقيدة أخرى يفهمها العقل ويطمئن لهـا القلب ؛ عقيدة تتفق وهذا العصر الذى نعيش فيه ، العصر الذى لاسبيل فيه للايمان بما يعجز العقل عن إدراكه .

رأيتهم يطلبون دنيا فيه للقلب هوى ، وللعقل رضى ، وفيه من الروحية ومن المادية ؛ دين لايرفض الدنيا ، بل يأخذ منهـا ويعمل فى الوقت نفسه للآخرة . وإن منهم من فكر حقا فى الإسلام

ومن أطلعنى على الأزمة متى يحسها ويجد لها قلبه وعقله مساً أليما. ولكن هؤلاء وأولئك لا يجرؤون ، مع هـذا ، على السير بعيدا فيما يفكرون فيه ، إذ لايجدون الوسيلة الصحيحة لمعرفة الإسلام ولا يطمئنون مع ذلك إلى هذا الدين مع ما يرون من سوء حالة المسلمين

علينا إذاً ، أن نقرب هذا الدين ،وأن نجلوه للطالبين : عقيدة وأخلاقا ونظاما اجتماعيا ، فى كتاب قريب التناول نترجمه للغات جميعا فى الغرب والشرق ، ثم نوزعه فى أقطار الأرض كلها . بهذا وحده يستطيع أن يعرف الإسلام من يريد، وبهذا نكون أدينا واجبا لهؤلاء الحائرين وما أكثرهم، وللانسانية كلها، لأن أكثر ما كتبه غير المسلمين عن الإسلام تعوزه الدقة أو الإنصاف .

إنى لأعرف ما يتطلب هذا العمل الضخم من جهود ومال، ولكنى اعتقد أنه مع الإرادة الطيبة تستطيع أن تصل منه إلى ما تريد إن شاء الله الذى يوفق للخير ويعين عليه . وعندنا من رجال الأزهر والجامعة من يحتاج اليهم هذا العمل تأليفا وترجمة ولنا من ذوى النعمة الطويلة واليسار العريض من لا تؤودهم التكاليف الماليـــة .

ولعل فضيلة أستاذنا الأكبر شيخ الجامع الأزهر ينشرح صدره لهذا العمل فيتقدم الجميع فى الدعوة له وإعداد العدة لتنفيذه ؛ والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

محمد يوسف موسى

إلى الطائف...

مرحية شعرية

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن



النبى العربى فى طريقه إلى «الطائف» ، وفى صحبته مولاه زيد ابن حارثة — كما يروى المقريزى وابن الأثير المؤرخ وكان الشهر يناير من سنة ٦٢٠ ميلادية ، والثلج الأبيض الناصع يجلل ذرا جبل غزوان ، وهو أبرد مكان فى الحجاز . وقد شهد هذا العام وفاة اثنين من أعز أنصار النبى : عمه أبى طالب الذى كان يدفع عنه أذى المشركين ، وزوجه خديجة أم المؤمنين التى وقفت بجانبه أربعة وعشرين عاما وستة أشهر . ولم يبق له من أوفى الأوفياء إلا مولاه وربيبه زيد بن حارثة .

زيد :

يا نبى الهـدى تلوح لعينى ... قمة كللت ببيض الثلوج
هى فى الطائف الذى يتحلى ... بالروابى ، ويزدهى بالمروج
قمة أشرفت على السهل والحز ... ن كإشراف شاهقات البروج
قد خرجنا بها إلى الله نبغى ... نصرة فى سبيل هذا الخروج
إن فى الواحة الخصيبة مأوى ... المطايا ، وراحة للحدوج ،

محمد :

هيا بنا الى أشراف ثقيف في «الطائف» ندعوهم إلى الله !

زيد :

الله جارك حين تنتقل ... والله جارك حين ترتحل
يا ضاربا فى الصبر أمثلة ... بك فى الشدائد يضرب المثل
هان الطريق فسر عليه كما ... سارت على أشواكه الرسل !
هذا سبيلك غير ذى عوج ... حاشاك ما ضلت بك السبل
المشركون عليـه ترصدنا ... منهم لحاظ الكيد والمقل
الله جارك لا تخف أحدا ... والله حسبك أيها البطل
هذى «ثقيف» وتلك أربعها ... فلعلها بهداك تمتثل . .
طال الطريق على غوايتها ... ومضت بها آباؤها الأول
فلعلها تهفو إليك كما ... تهفو إلى أعطانها الإبل !

وهنا يعرج النبى على جماعة من أشراف ثقيف ويدعوهم إلى الإسلام فيجيبه واحد منهم :

رجل من ثقيف : —

يا راحلا من بطن مكة يبتغى ... فى ذلك الوادى الخصيب فكاكا
هل جئت تنشر فى ثقيف دعوة ... أم جئت ترصد بينها الأملاكا؟!
دعها وما ألِفتهُ من آبائها ... واترك لها الأزهار والاشواكا !
هى رحلة لا ترج منها نصرة ... أجهدت فى وعث الطريق خطاكا
لو كان ربك مرسلا أحداً لنا ... أفما رأى من مرسليه سواكا؟؟

وهنا تذهب الجماعة فى قهقهة مدوية وترسل ضحكاتها عالية ، فيقوم آخر منهم ويقول :

رجل آخر من ثقيف : —

إن كنت تحمل حقا رسالة قدسية
فأنت أعظم قدرا من أن ترد التحية
وإن تخرصت كذباً على إلاه البرية
فأنت أهون شأنا من خوضنا فى القضية

وتستمر الجماعة الضالة الهازئة فى ضحكاتها ، وهم يسبون النبي ويرمونه بالحجارة ويصيحون به . فيقوم واحد منهم ، ويتجه إلى جماعة من العبيد والسفهاء يغريهم به قائلا .

ثقفى ثالث . —

ما بثقيف حاجة إلى الدعاوى والكذب
أيقصد المغلوب فى مكة بيننا الغلب ؟
عجيبة منه تثير فى نفوسنا العجب !
ما للفتى وللرسا لات لدينا والكتب
سيفسد الأمر عليكم بالحديث والخطب
فما لنا فى دينه شأن ولا لنا أرب
الخير كل الخير فى رمان (وج) والعنب
نمتصر الخمرة منه فى أباريق الذهب

وهنا يكرر الفتيان والسفهاء هذا البيت الأخير ، ثم يستمرون فى عربدتهم وسخفهم ، حتى يلجئوا النبي إلى حائط ، وقد أدموا رجليه ... فحين يرجع عنه السفهاء ويصيبه بعض الاطمئنان يتجه إلى ربه قائلا .

محمد :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، اللهم يا أرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين وأنت ربى . إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ، أو إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى . ولكن عافيتك هى أوسع . إنى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل بى سخطك ! لك العتبى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك »

وهنا يرى عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة ما حل بالرسول فتتحرك الشفقة عليه فى قلبيهما ، ويدعوان غلامهما النصرانى واسمه « عداس » ، قائلين له :

عتبة وشيبة :

عداس خذ عنبا من بعض كرمتنا
وأعطه — فى حنان — ذلك الرجلا !
إنا نرى الجوع يبدو من نواجذه !
فما تبلغ من زاد ولا أكلا
إن المروءة تأبى أن نجوعه
وأن يقال : غريب بيننا هزلا ... !

ثم يذهب « عداس » إلى النبي ويضع طبق العنب بين يديه فيبدأ النبي يلتقط حبة منه قائلا . باسم الله . فينظر « عداس » إلى وجهه ثم يقول

عداس . —

هذ كلام لم يقلـ ـه الناس فى هذا البلد
ولم أكن أسمعه ولم يدر لى فى خلد ... !
هذا كلام واحد يسبح الله الأحد !

فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم

محمد : —

ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟

عداس : —

أنا من « نينوى » ودينى دين ينتمى للمسيح عيسى بن مريم

محمد : —

أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟

عداس : —

يونس الصالح بن متى ؟ أجبنى كيف تدرى بأمره كيف تعلم؟

محمد : —

ذلك أخى كان نبياً ، وأنا نبى !

وهنا يكب « عداس » على رأس الرسول يقبلها ويقبل يديه ورجليه ، فيراه سيداه عتبة وشيبة . فيقولان له حين يرجع إليهما .

عتبة وشيبة : —

ويلك يا عداس ما هذا بفعل طيب
ماذا الذى صنعته مع الغريب الأجنبى
قبلت منه رأسه وزدت تحت الركب
فما الذى أبقيته لجدنا من أدب ؟
وما الذى عادلنا فى قومنا من أرب

إيمانٌ عظيم

للأستاذ أنور المعداوى



امرأة أحبت كل الحب، وآمنت كل الإيمان بمن تحب ... وكانت عاشقة برح بها العشق فأذبل منها العيون وقرح الجفون وأحال ليلها سهداً متصلا يرفده الشوق؛ وحنينا مضطرما يلهبه الوجد؛ وهياما تكفر فيه الجنوب بالمضاجع وتسبح الدموع!

كان حبا عظيما لأنه وليد إيمان عظيم ... وهكذا تجسد الحب الصادق فى أرفع منازله وأعمق منابعه وأنبل معانيه؛ لم تشوه من جلاله غاية، ولم تعبث بطهره غواية، ولم يرق إلى سمائه جناح فى دنيا المحبين!

وما كان أعجبها قصة حب ... بل وما كان أعجبها قصة حياة! حب لم يكن الباعث عليه شيئا من الترهيب أو شيئا من الترغيب؛ وحياة ما أبعد الشقة فيها بين طرفين؛ وما أكثر التنافر بين بداية ونهاية. وحين يكون الحب خالصاً لوجه الحبيب فقد بلغ الذروة وأشرف على الأوج؛ وحين تكون الحياة تطرفا فى شوطها الأول فهى تطرف فى شوطها الأخير، سواء أكان التطرف مصدره الاعتدال هنا أم كان مصدره الإنحراف هناك!

وهكذا كانت رابعة العدوية ... وهكذا كانت عاشقة السماء.

عاشت فى عصر يحفل بالشذوذ ويمج بالمتناقضات، عصر أقبل فيه أناس على الرذيلة حتى ما يردعهم رادع من دين وحتى ما يزجرهم زاجر من خلق؛ فليلهم إغراق فى الإثم ونهارهم إمعان فى المعصية وأقبل غيرهم على الفضيلة متى ما تهدأ قلوبهم من خوف وما تسكن نفوسهم من قلق، فليلهم إيغال فى التهجد ونهارهم إسراف فى البكاء. وكانت البصرة فى القرن الثانى للهجرة موطنا لأولئك كما كانت موطناً لهؤلاء ... وإلى المتطرفين فى الضلال والوزر سلكت رابعة أول الطريق، وإلى المتطرفين فى الإيمان والزهد بلغت من هذا الطريق منتهاه.

انحدرت من صلب أبوين فقيرين؛ لم يجدا ليلة مولدها شيئا مما يلف به كل وليد ... وكانت مولاة لآل عتيك، وإلى بطن من بطون قيس تنتسب هذه القبيلة كما تنتسب إليها قبيلة أخرى هى بنو عدوة، ومن هنا سميت عند بعض المؤرخين برابعة القيسية وسميت عند البعض الآخر برابعة العدوية. وحين اكتملت لها الأنوثة ونضجت فيها الفتاة. فقدت المائل فى شخص الأب حين مات وحرمت أسباب البقاء فى البصرة حين أصابها القحط .. فهامت على وجهها تلتمس المأوى الذى يرد عنها غائلة الجوع ويدفع مرارة الحرمان. ولكن الأمر ينتهى بها إلى أن تقع فى يد من يذيقها ذل الأسر ووطأة الرق وحرقة الهوان!

وهناك، فى ذلك السجن الذى لقيت بين جدرانه ألوانا من الظلم وفنونا من الظلام، رفت روحها فى سماء الحبيب أول رفة، وهمس صوتها أول همسة، وانطلقت من بين الجوانح أول مناجاة «إلهى! أنا غريبة يتيمة، أرسف فى قيود الرق، ولكن غمى الكبير هو أن أعرف: أراض أنت عنى أم غير راض»؟!..

ويجيبها صوت لا تعرف مصدره، ولكن فيه الأمن للخائف والأمل لليائس والعدل للمظلوم: «لا تحزنى! ففى يوم الحساب يتطلع المقربون فى السماء إليك ويحسدونك على ما ستكونين فيه»!

عداس: —

الحمد لله القوى	والعزيز الأغلب
آمنت أن الضيف هـ	ـذا هو فخر العرب
وأن فيه آية	تدل أنه النبى ...

عتبة وشيبة فى ذهول:

تدل أنه النبى ؟؟	تدل أنه النبى ؟؟

محمد عبد الغنى حسن

وامتد أول خيط تعلقت به رابعة لتصعد إلى السماء متكئة على يد الله ! !

وكانت لحظة من لحظات الانقلاب في حياة تلك الصوفية المؤمنة ، ابتدأت بالصوم والتهجد وقيام الليل ، وانتهت بالتحرر من هذا الرق الذى عصف بكل بقية من أمل لولا رعاية السماء . . لقد رآها سيدها ذات ليلة ساجدة تصلى واستمع إليها مبتهلة تقول: « إلهى ! أنت تعلم أن قلبى يتمنى طاعتك ، ونور عينى فى خدمة عتبتك ، ولو كان الأمر بيدى لما انقطعت لحظة عن خدمتك ، ولكنك تركتنى تحت رحمة هذا المخلوق القاسى من عبدتك » ! وانبثق فى هذه المرة ضوء كما انطلق فى المرة السابقة صوت ، وكلاهما لا تعرف مصدره ولكن فيه الأمن للخائف والأمل لليائس والعدل للمظلوم . . . وإذا بسيدها مرتاع النفس ملتاع الضمير ، يقضي الليل كله مؤرق الجفن مضطرب المضجع يريد أن ينتهى فى أمرها إلى قرار. فإذا كان النهار مضى إليها ليقول: «أى رابعة! لقد وهبتك الحرية . فإن شئت بقيت هنا ونحن جميعا فى خدمتك، وإن شئت رحلت أنى رغبت » ! . . . وانطلقت رابعة إلى هناك، إلى حيث تقطف من رياض الحرية كل زهرة ، وتعب من ينابيعها كل قطرة ، وتستروح من أنسامها كل رخى طيب.

ولا ندرى لم تخلت عنها يد الله فنسيت رسالة الايمان لتتبع خطوات الشيطان ؟ ولكنها لم تتخل عنها إلا إلى حين ، لتعود بعد ذلك أكثر ما تكون تعلقا به وحنينا إليه وتهالكا عليه . . لقد اتخذت رابعة من مهنة العزف والغناء وسيلة لكسب العيش والسعى وراء الرزق ، وهى وسيلة لم تكن مأمونة العواقب على كل حال ، لأنها دفعت بصاحبتها إلى أن تغشى مجالس فيها اللهو والعبث والمجون ، وفيها المشاركة فى اللذات والانغماس فى الشهوات ولا مناص عندئذ من الاستجابة لفنون الاغراء شأن كل جميلة من بنات حواء ، وبخاصة إذا ما كانت صاحبة مزاج شاعرى كمزاج رابعة ، تقوده رهافة الحس وصفاء الطبع وجموح الخيال !

كانت فنانة ، وكانت إنسانة . . . وفى الفن تسطع ومضات الرؤى ويتوهج الأحلام ، وفى الانسانية تشف نبضات الهوى وتفيض منابع الالهام ؛ وبهذين السلاحين راحت رابعة تشق صفوف البشر باحثة عن حبيب ! ولكن الأرض ليست موطنا لهذا الحب المثالى الذى ينشده الفن خالصا من الشوائب وتبتغيه الانسانية مبرأ من الأهواء . . . وإذن فلا مناص من أن تولى الفنانة الانسانة وجهها شطر السماء !

وبدأت نقطة التحول فى حياة رابعة . . . إن الماضى الجميل فى كنف الحبيب الأعظم لا يزال يطل بذكرياته من خلف ستائر الضباب ، وإن القلب المنى لا يزال يبحث عن قطرة ماء يمكن أن تطفىء ظمأ هواه ، وإن الخيال الحائر لا يزال يرقب الأفق البعيد فى لهفة التطلع إلى ما وراء الغمام . ومرة أخرى يمتد ذلك الخيط الالهى غير المنظور ، وتتعلق به رابعة لتصعد إلى السماء متكئة على يد الله !

وكان حبا عظيما لأنه وليد إيمان عظيم . . . وإذا ما أحبت المرأة من أعماق قلبها فلا شىء فى الدنيا يصرفها عن هذا الحب ، مهما اعترضت طريقها المحن وامتحنت روحها المغريات! إنها تؤمن بحبها هذا الايمان الخالص تبذله من ذات نفسها دون أن تنتظر عليه شيئا من الأجر أو أشياء من العوض . حسبها أن تهب قلبها لمن تحب ، وحسبها أن تفنى فيه وتنذر له الحياة ، وحسبها أن تخرج من هذا الفناء بكثير من العزاء !

وانها لتقدم الدليل من نثرها حيث تناجيه فى هدأة الليل والناس نيام : « إلهى ! أنارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامى بين يديك » ! . . . فإذا أسفر الصبح هتفت فى موكب الشجن وقدة الهيام : « إلهى ! هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعرى : أقبلت منى ليلتى فأهنأ ، أم رددتها على فأشقى ؟ ! فوعزتك هذا دأبى ما أحييتنى وأعنتنى ، ولو طردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك » ! . . وإنها لتقدم الدليل من شعرها مرة أخرى حيث تقول :

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى فذكر شغلت به عن سواكا
وأما الذى أنت أهـــل له فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فما الحمد فى ذا ؛ ولا ذاك لى ولكن الحمد فى ذا وذاكا

وتسوق بعض المصادر هذه الأبيات فى موقف اللقاء بينهما

وبين « ذى النون المصرى » حيث تطالعنا هـذه القصة : « قال سعد بن عثمان : كنت مع ذى النون المصرى رحمه الله فى تيه بنى اسرائيل، وإذا بشخص قد أقبل، فقلت : يا أستاذ ! شخص قد أتى . فقال لى : أنظر من هو ، فانه لا يضع أحد قدمه فى هذا المكان إلا صديق . فنظرت فاذا هى امرأة ، فقلت : إنها امرأة . صديقة ورب الكعبة . فابتدر اليها وسلم عليها فقالت : ما للرجال ومخاطبة النساء ! فقال : أنا أخوك ذو النون ولست من أهل التهم . فقالت : مرحباً ! حياك الله بالسلام ! فقال لها : ما حملك على الدخول فى هذا الموضع ؟ فقالت : آية من كتاب الله عز وجل — قوله تعالى : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ — فقال لها : صفى لى المحبة ! فقالت : سبحان الله ! أنت عارف بها وتتكلم بلسان المعرفة وتسألنى عنها ؟ ! فقال لها : للسائل حق الجواب . فأنشدت تقول :

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا

هذه نماذج من النثر والشعر تصور هذا الحب الالهى فى إطاره الخالد ، وانها لقليل من كثير ... وأى اطار هو ؟ إنه إطار اللهفة الضارعة التى تنشد الرضا عن هذا الحب ولا تنشد سواه ، وتلجأ إلى كل وسيلة من الوسائل بغية الكشف عن أثر البذل والتضحية فى حساب الخالق المظيم ... وإنه لحساب لا يخطىء التقدير حين يزن بذل الباذلين وتضحية الصابرين ! وأى بذل وتضحية فى حياة رابعة أبلغ من أن تقص خادمتها « عبدة » من أنبائها فتقول : « كانت رابعة تصلى الليل كله ، فاذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة ، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها وهى فزعة : يا نفس ! كم تنامين ، والى كم تقومين ؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور » ! أو أن تحدث هى عن نفسها فتقول : « إنى لأضن باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسى ، وإنى لأرى ذراعى قد سمن لأحزن » ! ... أو أن يقول عنها ابن منظور : « دخلت على رابعة وهى ساجدة ، فلما أحست بمكانى رفعت رأسها فاذا موضع سجودها كهيئة المستنقع من كثرة البكاء » !

ولم تكن تعبده رغبة فى جنته ولا رهبة من ناره، وإنما كانت تعبده عبادة الذين يرون وجهه : « يا إلهى ! إذا كنت أعبدك خوف النار فأحرقنى بنارك ، أو طمعاً فى الجنة فحرم على جنتك ، وإذا كنت لا أعبدك إلا من أجلك فلا تحرمنى جمال وجهك » .. ويا له من حب ذلك الذى أذبل منها العيون وقرح الجفون ، وأحال ليلها سهداً متصلا يرفده الشوق ، وحنيناً مضطرماً يلهب الوجد ، وهياماً تكفر فيه الجنوب بالمضاجع ، وتسبح الدموع !

وما أروع العقاب حين يصل المحب من نفس حبيبه إلى المكان الذى يؤثره ويرضاه ، هنالك ترفع الكلفة ويفسح الطريق وية مع العفو الالهى لكل مقال يقتضيه مقام ، ولو كان اعتراضاً مهذباً أو غير مهذب فى رأى الذين لا يشعرون . . . وإذا ما اعترضت رابعة على حكم القدر فلا تثريب عليها ولا جناح ، لأنها فى موقف النجوى التى يطلقها القلب المفعم بصدق الحب وحرارة الولاء ، أو فى لحظة الهوى العارم التى يخفت فيها صوت الشعور والوجدان؛ ولن يضيق حلم الخالق العظيم بصيحة تنبعث من لجاج روح كم قدمت إلى ربها صوراً فاتنة من أدب الخطاب ، روح تلك الصوفية المؤمنة التى قال عنها مالك بن دينار : « أتيتها فاذا هى تقول : كم من شهوة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها ... يا رب ! أما كان لك عقوبة ولا أدب غير النار » ؟ !

لا يضيرنى فى رأيى من هذا العقاب الذى خطر لها يوما أن تتوجه به إلى رحاب الخالق العظيم ، لأن العقوبة الكبرى فى منطق رابعة العدوية ليست النار التى تحرق الأجساد حين يحال بينها وبين جنته ، ولكنها النار التى تحرق القلوب حين يحال بينها وبين وصاله ... وهذا هو الجحيم الذى كانت تتصوره فى عالمها الفكرى الذى طبع حبها بذلك الطابع الذى لا شبيه له ولا نظير !

ومع ذلك فقد ذهب بعض الغلاة إلى أن رابعة بهذا القول قد اجترأت على مقام الخالق العظيم ... ولكنهم فى غمرة هذا الغلو الجائر قد نسوا إن يذكروا هذه الحقيقة : وهى أن رابعة قد مكثت أربعين سنة لا ترفع رأسها حياء من الله ! !

أنور المعداوى

الطريق

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

(وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)
صدق الله العظيم



لكن المسلمين وا أسفاه قد ضلوا السبيل واتبعوا السبل — وما أكثرها — فتفرقت بهم عن سبيل الله . فخفت عليهم كلمة الله فى كل ماخالفوا الله فيه . وتاريخهم الحديث فيما يقرب من قرن كله أمثلة توضيحية لهذا :

أهملوا أمره تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فماشت دولة خلافتهم — التى كانت — لا تجدد جيشا ولا تصنع سلاحا حتى ثار عليها عقبان البلقان فألجأوها إلى شطالجة . ولولا أن دبت الفرقة بين أعدائها ما استردت منهم أدرنة وجاءت الحرب الكبرى الأولى وما بيدها من أوروبا شىء . ولم ينتفع المسلمون بتلك العبرة فظلوا كما كانوا لا يهتمون بالجيش ولا يصنعون السلاح وإنما يعتمدون فى تسليح جيوشهم على الأجنبى ، إن شاء أعطى وإن شاء منع . وهو لا يعطى إلا بثمن ، والثمن هو ما نعلم من احتلال الديار والتقييد بتلك المعاهدات المخزية التى لا يزالون يحاولون التحرر منها فلا يستطيعون .

والاتحاد قوة ، يعلم ذلك كل أحد . وأحق الخلق بالاتحاد الضعفاء ، يعلم ذلك حتى ضعاف الحيوان فى الغاب . وقد جعل الله الاتحاد على المسلمين فرضا ودينا حين أمرهم به فى قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعـــا ولا تفرقوا) لكن المسلمون لم يعتصموا بحبل الله فى الماضى وما هم بمعتصمين به فى الحاضر ثم هم ليسوا بجميع . حتى فى أحرج الأوقات وأحوجها إلى اجتماع القلوب وتساند القوى . كانوا ولا يزالون متفرقين . ففى الحرب الكبرى الأولى بلغ بهم التفرق أن حارب بعضهم بعضا طمعا فى استقلال بعضهم عن بعض وفى تأسيس دولة عربية تضم شتات العرب . فكان أن انهزمت دولة الخلافة إذ ذاك فى الشرق ، فى ديارها ، على أيدى أبنائها من العرب . وكان أن دخل العدو بيت المقدس بما مد له عمال المسلمين ومهد له جنودهم ، فإذا به يظهر ما كان يبطن إذ أعلن ان فتح بيت المقدس خاتمة لآخر الحروب الصليبية ! فيالها من خدعة خدعها الناس لا تزال ممتدة إلى اليوم فإن من العرب من لا يزال يثق فيه كأنه وفى لهم بعهوده التى استذلهم بها وعاونوه من أجلها وما وفاؤه الذى كان إلا أن أنزل اليهود فلسطين ، ونزل هو بجنوده فى العراق ، وأنزل إخوانه وأعوانه فى لبنان والشام . أما مصر فظل محتلا لها ولا يزال

وليت المسلمين حين جاءت الحرب الثانية الكبرى اعتبروا بالحرب الكبرى الأولى وبما كان فيها وفى أعقابها من أحداث عملا بقوله تعالى (فاعتبروا يا أولى الأبصار) وبقول رسوله صلى الله وسلم عليه (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) . ولكنهم لم يعتبروا وسار العدو معهم وساروا معه سيرته وسيرتهم الأولى : يقول فيصدقون ، ويعد فيثقون ، ويخدع فينخدعون . وها هو قد مكن لليهود فى فلسطين بأكثر مما مكن لهم فى أعقاب الحرب الأولى ، فصارت لهم صولة وصارت لهم دولة والمسلمون من حولهم كثير ، ولكنهم فى تفرقهم قليل .

حتى فى حرب فلسطين لم يعتصم المسلمون بحبل الله بل تفرقوا . دخلوها جميعا وقلوبهم شتى . ومع ذلك فقد وفى الله لهم بوعده وأتاهم نصره ما كانوا جميعا ، فلما دحروا اليهود وجحروهم فى تل أبيب ولم يبق إلا احتلالها واستئصالها استغاث اليهود فلباهم الغرب و الغرب كله فى محاربة الشرق أمة واحدة . أرعد الغرب فى هيئة أممه وأبرق ، وأوعد وأنذر ، وأمر أن تقف الجيوش العربية فى زحفها فوقفت ، وأن تدخل الدول العربية فى هدنة مع العدو المنحجر فدخلت ، كأن قادة العرب إذ ذاك لم يكونوا قرأوا قط آيات القتال فى القرآن ، ولا طالعوا قط غزوات الرسول فى السيرة الكريمة : كأنهم لم يقرأوا قط سورة القتال ، ولا سورة براءة ، ولا سورة الأنفال ، ولا درسوا غزوة بدر ، ولا آيات آخر سورة الأنفال التى نزلت فى أسرى بدرى ، والتى كادت تنزل بالعذاب

على المسلمين حين آثروا أخذ الفدية على الإثخان في الأرض بعد وقعة مكن الله للمسلمين فيها من المشركين بعد الهجرة كما مكن للعرب من اليهود بعد دخولهم فلسطين. لقد وقى الله المسلمين العذاب بعد بدر بكتاب سبق منه سبحانه: (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم). وكان هذا إنذارا عظيما منه سبحانه أهمله المسلمون في فلسطين فكان من نزول العذاب باخوانهم فيها ما كان، ومع ذلك فقد أتاح الله للمسلمين الفرصة مرة أخرى حين تحركت طبيعة الغدر في اليهود لما استقووا بالسلاح المختلس في غفلة هيئة الأمم أو بأعين منها، فخرقوا الهدنة، وشردوا عرب فلسطين، وغدروا بالجيش المصري في العيد الأكبر غدرة هي شر من غدرة اليابان بأمريكا في بيرل أربر. فلو أن قادة المسلمين في شمال فلسطين وفوا بعهد الجامعة العربية، أو فعلوا ما يفعله أولو النجدة والحمية، أو ما تقتضيه أبسط قواعد الكيد والحرب، فهاجموا اليهود من ورائهم حين أوغلوا في الجنوب وانشغلوا بالجيش المصري من أمامهم، إذن لحصر وهم حصر الحب بين شقى الرحا، ولانتصف الله بهم للمستضعفين من رجال القرى العربية ونسائها وولدانها الذين فعل اليهود بهم الأفاعيل، ولم يرعوا فيهم عهدا ولا عقدا، ولا إلا ولا ذمة. لكن ثالثة الأثافي وعجيبة العجائب وغلطة الدهر ومعرة العمر أن قعدت جيوش المسلمين في الشمال، وتركت اليهود ينفردون بجيش المسلمين في الجنوب، تقاعسا من الحكام وتفرقا، وتنازعا وتحاسداً، فعصوا بذلك ربهم مرة أخرى في قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون. وأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا، إن الله مع الصابرين). وقد حقت كلمة الله على المتنازعين ففشلوا في فلسطين. ووفى الله بوعده للجيش الذي قاتل وثبت وحده فكانت آية الفالوجة، وكان من الممكن في سياستهم الخارجية قد ضلوا السبيل سبيل الله الذي أنزل الكتاب والذي يتولى الصالحين وهم في أمورهم الداخلية أيضاً قد ضلوا الطريق لأن الذي حملهم على غير سبيل الله في الخارج لا يزال بهم يحملهم على غير سبيل الله في الداخل: هوان في النفس وقلة ثقة بها يحمل على إكبار العدو وتقليده، وضعف في الايمان وقلة طاعة لله يعرض لغضب الله ونقمته وزوال نعمته.

لقد وقى الله العالم الاسلامي ما نزل بالعالم الغربي في حربين كبيرتين أكلتا الأخضر واليابس، وخربتا العامر والغامر، ولم يرعو الغرب ولم يعتبر فهو لايزال يظلم، ولا يزال يحكم طبق الهوى والنفعة لا طبق العدل والانصاف، ولا يزال العيش فيه عيش شهوة واستمتاع، لا عيش فضيلة ودين. والشرق هو أيضا لايزال في اغتراره بالغرب يظنه المثل الأعلى ولا يعتبر بما جرته عليه مدنيته المادية من وبال، ولا بما يهدده به علمه المادى من دمار، إذا وقع فلن يدع منه أو يذر. والعلة التي جرت على العالم الغربي حربيه الماضيتين هي هي التي توشك أن تجر عليه الثالثة ساحقة ماحقة: نسيانه الفضيلة وضلاله عن الله. وقد عرف الغرب ذلك حين كان مأزوما مهزوما في الحرب. لكنه بعد النصر نسي ما كان يدعو من قبل وظن أنه إذا أغدق المال على صنائعه وأشبع البطون من الامم التي أفقرها بطمعه وجشعه عمرت الدنيا واستقام الحال وعم السلام، ولكن هيهات! فلن يكون سلام إلا إذا رجع الغرب والشرق كلاهما إلى الله الحق السلام. ومهما يكن ما بين الغرب فالمسلمون بيدهم من الله كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فليرجعوا اليه ويعملوا به ويستمسكوا به استمساك الغريق بحبل النجاة عسى الله أن ينجيهم مما يظل العالم اليوم من كارثة لاتبقى ولا تذر. فإن لم يفعلوا وركنوا الى الغرب ومدنيته وماديته فلا يلومن إلا أنفسهم، فان الله سبحانه وتعالى يقول (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) ويقول في مثل أهل الغرب اليوم (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم؟ قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا، كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) وقد أعذر من أنذر. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

محمد أحمد الغمراوى

٣٤٠٢

الخدمة الاجتماعية في الإسلام

للأستاذ لبيب السعيد



ألقت مصر بالها أخيرا إلى الخدمة الاجتماعية، وشرعت تستعينها في الطب لأدواء الأفراد والجماعات، وقد استجدت لهذا الفن في مصر معاهد ودراسات يلاحظ من يراقبها أنها مكبة على إنتاج الغرب في هذه الناحية تنقل منه وتترجم عنه. ولا حرج في هذا لو أنه كان مصحوبا بلفتات جادة غير بعيدة إلى أصول تلك الخدمة في ديننا وفي تاريخنا، حتى تكسب الخدمة الاجتماعية نفسها حياة قوية عدها بها المبادىء الإسلامية الصريحة، وحتى لا يستقر في ضمير الشباب خطأ أن هذا الفن مستورد أيضا من الخارج، وحتى نتفادى نتيجة مرجحة هي أن يتنكر لتاريخنا الاجتماعي أو لا يثق به من وقفوا على تفوق الخدمة الاجتماعية الحديثة في الغرب، وجهلوا في الوقت نفسه أو لم يفهموا ما في الإسلام من المبادىء الاجتماعية السامية.

لم يقف الاسلام عند تقرير التوحيد وبث الإيمان وتنقية العقائد وفرض العبادات وسن الأحكام، ولكنه عالج النظم الاجتماعية كلها، فأعلى شأن الكرامة الإنسانية، وأرسى القواعد للحياة البيتية الصالحة، ووصل الأرحام، وبسط يد الحنان للصغير وغمر اليتامى والضعفاء والمرضى بزاخر من الرحمة والرعاية، وسن التأسية والتسلية، وكان بتعاليمه وسير رجاله دعوة دائبة إلى تلمس القوة والجمال للنفس والعقل والبدن على السواء، وأولى الشؤون الاقتصادية عنايته المسددة وتنظيمه الراشد، ودعا إلى كل فضيلة وعادى كل رذيلة.

فعل الإسلام كل هذا بنصوص صريحة يظاهر بعضها بعضا وتصدقها أفعال الرسول وصحبه، فاستطاع المسلمون الأولون في نور هذه النصوص والأعمال وفي كريم نهجها أن يوفوا على الغاية من النجاح الاجتماعي بقدر ما سمح لهم زمانهم.

لم يتناول التنزيل كل مبادىء الخدمة الاجتماعية بالبيان المفصل ولكن المبادىء التي وردت فيه مجملة لم تقصر عن مدى التفصيل وقد تناولت السنة بأنواعها القولية والفعلية والتقريرية بالشرح والإتمام هذه المبادىء، كما هو الشأن في كثير من أمور الدين ثم كان التطبيق الرائع لتلك المبادىء على أيدي المسلمين في عصور مختلفة، فأصبحت بعض أخلاقهم بل بعض حياتهم، وبدت في تاريخهم وضاءة، لها نورها اللامع ولونها المتميز.

ولقد نجد أسماء خدمات اجتماعية تؤدى في زماننا ولا يعرف بعضنا لها نظيرا في النظم الاسلامية، ومثل هذه الخدمات في الأغلب موجودة في هذه النظم بالروح والجوهر وإن لم توجد بالإسم والسمات العصرية. وفي الوسع إذا درسنا الأصول والنظم التي وضع الإسلام أساسها، وإذا عرفنا الاشباه، وقسنا الأمور بنظائرها وانتفعنا بما لفقهاء المسلمين من تفصيلات مبينة واستدلالات صائبة وتفريعات منطقية، في الوسع عندئذ أن نقرر أن أنفع وأحدث ما استجد من فنون الخدمة الاجتماعية هو أصيل في الاسلام كل الأصالة.

يقول القرآن في اختصار: « إنما المؤمنون إخوة » «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» فتجمل كلتا الآيتين الوجيزتين أمهات مبادىء الخدمة الاجتماعية من تكافل ووفاء ورحمة ومعاونة شاملة.

ويؤكد الرسول هذا المعنى في لفظ قليل. « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » فلا يبقى في معرض الخدمات التي يبذلها المؤمن للمؤمن معنى من معاني الخدمة إلا تزاحم على عقل المتفكر ومن كلام النبوة: « ابغوني الضعفاء فإنما ترزقون بضعفائكم » فلا يبقى ضعيف سواء في حاله أو في بدنه أو في نفسه إلا ويتجه اليه كل مقتف أثر النبوة بالخدمة الاجتماعية بمعناها الرحيب: يتفقد حاله ويحفظ حقوقه ويحسن اليه ما وسعه الإحسان.

والمسلمون حين يتفهمون أصول الدين تتفطن طبائعهم لهذه الخدمة ومن الأمثلة أن النبي يقول: « الدين النصيحة » فيقول

بعض أصحابه : لمن ؟ فيقول : « لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »
فيرى أحد الشراح أن نصيحة عامة المسلمين تنتظم « تعليمهم
ما يجهلون من دينهم وعونهم عليه بالقول وبالفعل وستر عوراتهم
وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع اليهم ، وأمرهم
بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، برفق وإخلاص والشفقة عليهم ،
وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم
وحسدهم وأن يحب المرء لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم
ما يكره لنفسه من المكروه ، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير
ذلك من أحوالهم بالقول والفعل ، وحثهم على التخلق بجميع
ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيط هممهم إلى الطاعات ... الخ »

وسير كثير من الشخصيات الإسلامية علا من الناحية الاجتماعية
صحائف تنطق بأنهم كانوا خداما اجتماعيين من الطراز الأمثل .

فعمر بن الخطاب مثلا إذ يعلم الناس فى أماكنهم ويخلف
الغزاة فى أهلهم ، وإذ يتعاهد العجوز العمياء المقعدة فيأتيها فى
بيتها بما يصلحها ويخرج عنها الأذى ، وإذ يسمع بكاء طفل فى الليل
فيتوجه نحوه غير مرة ، ويسأل أمه أن تتقى الله وتحسن اليه وإذ
يكتشف الارملة وأبناءها الجياع ، فيحمل اليهم الدقيق والشحم
ويطبخ لهم ويطعمهم ، عمر إذ يفعل هذا خادم اجتماعى يفهم واجباته
ويؤديها فى غير سطحية ولا قصور .

وإذا لم تكن قامت فى الإسلام بصفة مطردة ودائمة هيئات
اجتماعية تقصر رسالتها على الخدمة الاجتماعية على النحو المتبع الآن
فان الإسلام جعل هذه الخدمة ضمن الواجبات الدينية العامة التى
تضيق عنها الجمعيات المحدودة وإنما تقوم بها الأمة كلها متكافلة
متضامنة . ولهذا ليس من حق أحد أن يقول إذا سيقت له شواهد
فى الخدمة الاجتماعية الإسلامية مصدرها فرد أو أفراد إن الأمر
مخصوص بهم

ولو قد درست وثائق الأوقاف الإسلامية لوجدنا أفانين متى
الخدمة الاجتماعية تجل عن الإحصاء وكلها تستهدف الإحسان إلى
الفقراء والضعفاء ، لأنها بمقتضى الفقه لا تجوز إن كانت على الأغنياء
وحدهم . والكثير من اتجاهات الواقفين المسلمين هو آية إدراك
اجتماعى عال . وما أجدر تلك الوثائق بدراستها على نحو عميق لنستوعب
كل غاياتها وندرك كل دلالاتها الاجتماعية .

والحق أن على المختصين أن يجلوا ما انبهم من تاريخ الخدمة
الاجتماعية فى الإسلام ، فيبسطوا القول فى كيف كافح هذا الدين
الفقر ودرأ أسبابه ومسبباته ، وكيف سبق إلى جعل الزكاة من
قواعده قبل عشرة قرون ونصف قرن من قانون الفقر فى
انجلترا الذى جعل البر واجبا ينظمه التشريع . وكيف سبق
المسلمون إلى تعيين الموظفين وإنشاء « ديوان البر والصدقات »
وهو بمثابة وزارة الشؤون الاجتماعية الآن ؛ و« ديوان الحبوس »
الذى كان ينهض بأعمال وزارة الأوقاف ، فنظم الاحسان على نحو
لم تصل اليه النظم الحديثة إلا متأخرا ، وكيف أن نبى الإسلام
سبق إلى نظام بحث حالة السائل الذى هو أنفع ما تقرره الخدمة
الاجتماعية الحديثة . وكيف يدق الإسلام ويعلو فى تعريف المسكين
وكيف يحفظ الوجوه عن المسألة ؛ وكذلك كيف يكافح التسول أشد
كفاح ، ويحبب فى العمل ، ويعمل على اتاحته للمتعطلين ، ويرى
تنشيطاً للحياة الاقتصادية عدم حبس المال عن الاستغلال ، فيسوغ
إقراض مال الوقف والغائب واللقطة بل مال اليتيم ومال المسجد ،
وكيف كان تخديم المتعطلين الغرباء من التقاليد الاسلامية الراسخة
وكيف استولى المسلمون على الأمد من فضيلة اكرام الغرباء ،
وكيف عنوا باقامة السبل والأحواض لسقاية العطشان ، وسبقوا
الى اقامة المطاعم للفقراء ، فمن كان من هؤلاء يمنعه الحياء من
الجلوس الى الموائد العامة أرسل الطعام اليه فى داره .

ومن حق الدراسات الاجتماعية الحديثة أن تعى أن الاسلام
فى عطفه على الضعفاء يلتفت إلى الصانع لفتة بر ورحمة ، فيوصى
بمعاونته . وكذلك يفعل مع الأخرق فيثبت عطفا مبصرا .

أما اليتامى فبره بهم يجول فى أسمى الآفاق إذ يمنحهم عناية
بالغة الرقة والحرارة . ثم هو بعد ذلك يرى أن يزول اسم اليتيم
عمن بلغ الحلم . ولعل من مقاصد هذا حكمة تربوية هى ألا يظل
اليتيم يتلقى عطف الناس فيعجزه فى مستقبل أيامه أن يواجه الحياة
من غير سناد .

والخدمة الاجتماعية التى تهدف الى خدمة الزواج تبذل فى النظم

---

(١) النووى : شرحه على صحيح مسلم ح ٢ ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩

الإسـلامية الى أبعد مدى . والمسلمون يمدون يد العون لراغبي الزواج بعامة والعوانس بخاصة . وقد كان عمر بن عبدالعزيز يعدل الحاجة الى الزواج بحاجة المدين إلى سداد دينه وحاجـة المسكين وحاجة اليتيم . ومن الأوقاف الاسـلامية أوقاف تعنى بتجهيز العرائس الفقيرات إلى أزواجهن .

وعنى الإسلام بالأيم ، فدعا إلى الزواج منها ، وحبب فى السعى على الأرملة صيانة لها فى حياتها وشرفها .

وكفل الإسـلام اللقطاء ، وصان لهم كل حقوقهم ، وسهر على إنباتهم نباتا حسنا .

والإسلام يمنح المدين رحمته ، بانظاره ان كان معسرا ، ويحبب فى التصدق عليه ويجعله من المصارف المحددة للزكاة .

وتهب النظم الإسـلامية التفاتها وعطفها للذين لا أهل لهم ولا عائل ، ولا طاقة لهم بعمل ، فالزوايا والرباطات والخانقاهات كان يقيمها أغنياء المسلمين مثابة لهؤلاء ، وقد كان بعض الرباطات « للنساء المنقطعات أو المطلقات أو العجائز الأرامل والعابدات »[١]

وتجهيز الموتى ودفنهم من أعمال البر المقدمة عند المسلمين .

وفى ميدان الخدمة الاجتماعية الطبية ، سبق الإسلام المدنية الحديثة إلى الحمل على أساليب العلاج التى لا سند لها من المعرفة ، وقرر مسؤلية الطبيب الجاهل .

والنظافة عند المسلمين عبادة ، بل هى فاتحة عدة عبادات لهم وهى بالضرورة من قوانين حياتهم اليوميـة . وقد دعت السنة إلى نظافة طرق الناس وكل مكان يردونه أو يأوون اليه ، وحفلت البلاد الاسلامية بالحمامات على نحو لافت ، فمصر الفسطاط مثلا كان بها الف ومائة وسبعون حماما[٢] ، وبغداد كانت عدة الحمامات بها فى وقت ما نحو ألفى حمام[٣] ، وقرطبة كان فيها تسعمائة حمام[٤] .

ومما يصح أن يهدى إلى دراساتنا الاجتماعية أن النظم الإسلامية توقى الناس الأمراض المعدية ، وأنها تولى ذوى العاهات التفاتا خاصا ، فالعميان أجرت عليهم الأرزاق وعينت لهم من يقودهم والمقعدون خصصت لكل منهم خادما .

ومن دلائل النضج الاجتماعى أن تظفر السجون فى البلاد الإسلامية فى زمان مبكر بعناية طبية فيخصص لها الأطباء .

والعناية الطبية فى المحيط الاسلامى لا تقف عند الأجساد ، بل تقدر الأثر البيئى وتقدر حالات النفس ، قالوا فى التطبيب : « وإن الأجساد الحيوانية تتغير بالأهوية المحيطة بهـا وبالحركة والسكون والأغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه من الأعراض النفسانية من الغم والحزن والغضب والهم .. إلخ »[٥]

ولقد سبقت المستشفيات الاسلامية إلى العناية بالمريض نفسانيا وهى الغاية التى تحفل بها الخدمة الاجتماعية الحديثة ، سبقت تلك المستشفيات إلى ذلك على نحو متفوق ، فمثلا كان المؤرقون من المرضى بمارستان قلاوون بالقاهرة يتسلون بسماع الموسيقى والغناء والقصص ليطرحوا الهموم والأوصاب ، وكان الرقص والروايات المضحكة تعرض على بعض المرضى لعلها تفىء عليهم فى محنتهم المتعة والإيناس .

وتغذية المرضى وكسوتهم فى المستشفيات الاسلامية كانتا تظفران بأوفى عناية .

والفقه الاسلامى لا يغفل عن أثر الاستجمام والراحة فى تحقيق الصحة . فهو يتيحهما لكل عامل بل يجعلهما حقاً لا ينبغى أن يتره صاحب العمل ولو كان أجيره من دين آخر .

وقد سبق المسلمون إلى العناية بالناقه ، فكان يعطى مالا ينفق منه ريثما يقوى على العمل ، فضلا عن كسوته . وقد عرف المسلمون الاسعاف الطبى الاحتياطى .

وخدمة الفرد عن طريق الجماعة كانت مما عرف المسلمون . والطرق الصوفية فى بعض مناهجها تستهدف تلك الخدمة .

وقد مارس المسلمون الرياضة البدنية وأعظموها . يقول ابن طباطبا مثلا عن فوائد الصيد : « ... ومنها أن حركة الصيد حركة رياضية تعين على الهضم وتحفظ صحة المزاج »[٦]

وقد عرفت للمسلمين ألعاب جمعية خاصة ، ونبيهم صلوات الله وسلامه عليه — كما يبدو من استقراء أخباره — كان رياضى السيرة .

والإسلام يتيح لأهله التسلية البريئة ، ويروى عن النبى أنه قال . « الهوا والعبوا فانى أكره أن يرى فى دينكم غلظة »[٧] ،

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ١ ص ٨٩
(٢) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار حـ ٤ ص ٤٢
(٣) المقريزى : خططه حـ ١ ٨٠
(٤) المقرى : نفح الطيب حـ ٤ ص ٣١٥

(٥) المسعودى : مروج الذهب حـ ٤ ص ٣٢
(٦) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٥٥
(٧) المناوى : فيض القدير حـ ٢ ص ١٦١

ولذلك عرف المسلمون ألعاباً متعددة للتسلية . على أن الإسلام فى حرصه على أهله ومروءتهم ووقتهم يكره لهم بعض الألعاب كالقمار مثلا .

وعبء الخدمة الاجتماعية الجليل الذى تتصدى اليوم بعض السيدات لحمله حملته المرأة المسلمة منذ قديم ، فقد كانت تتعهد المريض والجريح بالمداواة والعناية والعون . وفى الحرب كانت تصنع للمحاربين طعامهم وتحرس رحالهم .

هذه إشارة عابرة لا يتحمل المقام تعزيزها بالنصوص والأسانيد ، ولكنها حرية أن تنبه إلى ذلك التراث الفخم الذى يعيينا ألا نوليه دراسة باحثة صابرة وأن ندعه صامتاً لا ينطق به لسان ولا قلم ، والذى لا تعدو الاتجاهات الغربية الحديثة أن تكون ضرباً على بعض قوالبه .

ليت حماستنا لديننا وتاريخنا تتوقد ... وليت إمامتنا للعالم تتجدد .

لبيب السعيد

ايمان قلب

للأستاذ كامل محمود حبيب

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا أن الله هو التواب الرحيم » (قرآن كريم)



اندفع الجيش اللجب يوفض إلى غايته — إلى بلاد الروم — يطوى فجاج البيداء فى صبر ، ويقتحم فيافى الصحراء فى جلد ؛ يغذ السير لا يهاب الموت ولا يخشى الردى . ومن أمامه : الشقة بعيدة ، والمسلك وعر ، والعدو ذو قوة وذو عدد . ومن بين يديه : القيظ تتوقد سمائمه فتدمغ الجلد ، والسوافى تهب عاصفة فتسفع الوجه وتقذى العين ، والضيق يطحن الصبر ويعبث بالقوة. ومن خلفه ، فى المدينة ظلال وارفة يهفو إليها القلب وتصبو إليها النفس . ثم طال بالناس السفر وامتد الطريق ، فاجتمعت عليهم فنون ثلاثة من العسرة : عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء ، فاشتدت بالمسلمين الحال وغشيتهم المحنة : فكان النفر يأخذون التمرة الواحدة يلوكها الواحد منهم حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه ليشرب عليها جرعة من ماء حتى تأتى على آخرهم فلا يبقى على التمرة إلا النواة ، وكان القيظ اللافح يصيبهم فيحسون لذع الحرة فى حلوقهم فيخيل إليهم أن الرقاب توشك أن تنقطع من شدة العطش ، فلا يجد الواحد منهم مفزعاً إلا أن ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده .

ولكن الإيمان كان يفعم القلوب فيدفعها إلى ميدان الجهاد فى حماسة لا تعرف الخور ، وفى جرأة لا يتسرب إليها الضعف ، وفى بسالة لا تؤمن بالتردد . واندفع الجيش يوفض إلى غايته

وانطوت الأيام والجيش فى سبيله ، يجالد الشدة بالإيمان ، ويصارع الغير بالعقيدة ، ويكافح الخطب بالصبر ؛ وهو لا يحس أن أناساً بهم صعر إلى الثمار والظلال قد أبطأت بهم النية عن الجيش فتخلفوا عن الجهاد فى غير شك ولا ارتياب ، وهم نفر صدق لا يتهمون فى إسلامهم ولا يغمزون فى إيمانهم ... نفر صدق من بينهم كعب بن مالك بن أبى كعب أخو بنى سلمة ، وهو فتى أيد جلد ، فارع القوام وثيق الأركان ، تتألق على جبينه سمات القوة والفتوة ، ويتوثب من إهابه النشاط والشباب ، لم يقعد به عن الجهاد نفاق ولا صرفته شهوة الدعة ، ولكنه رأى أصحاب النبى (ص) يتهيأون للغزو فطفق يغدو لكى يتجهز معهم فيرجع — آخر النهار — ولم يقض شيئاً ، وإنه على ذلك لقادر . ولم يزل يتمادى به الأمل حتى شمر الناس بالجد ...

وأفاق كعب من غفوة الأمل فإذا الناس قد أسرعوا وتفرط الغزو ، وهو فى مكانه لم يقدر له أن يهم فيرتحل فيدرك الركب . لشد ما أحزنه أن يضرب فى أرجاء المدينة فلا يرى له أسوة إلا رجلا مغموصاً عليه فى النفاق ، مطعوناً عليه فى الدين؛ أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء !

وعاش الرجل زماناً غريباً فى داره، يضل فى غاشية من خواطره

السود ، ويضطرب فى لجة من الندم ، لا يجد الراحة ولا الأمان ولا يلمس الهدوء ولا الاستقرار . وهو يعجب – أشد العجب – كيف وسوس له الشيطان فتردى فى هاوية مالها من قرار ، وإنه لذو قوة وإيمان لا تعوزه الراحلة ولا يفتقر إلى الزاد ، وإنه لمن أصحاب بيعة العقبة الكبرى ، سبق إلى الإسلام عن عقيدة ثابتة وجاهد الكفار عن إيمان عميق .

وتناهى إلى الرجل خبر عودة النبى (ص) قافلا من غزوة تبوك فتعاورته الأوهام وساورته الهموم واغتمر فى لجة من الحيرة والارتباك . وخشى الرجل أن يلقى النبى (ص) وقد جللته الزلة ودنسته الخطيئة وأشفق على نفسه أن يبدو أمام المسلمين وهو يتعثر فى ذنبه فيعجزه أن يتلمس العذر أو أن يجيد الدفاع ، فحضره بثه وطفق يقلب الرأى يريد أن يزوّر كلاماً يجد فيه الخلاص أو ينمق حديثاً يدرأ به غضب الرسول (ص) . غير أنه أيقن – بعد لأى – إنه لن ينجو إلا بحديث فيه الصدق والإخلاص والصراحة جميعاً .

وصبح رسول الله (ص) قادماً فأسرع إليه المتخلفون يعتذرون بالكذب ويحلفون بالباطل ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم النبى (ص) علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله .

وأقبل كعب بن مالك فسلم فتبسم النبى (ص) تبسم المغضب ثم قال « تعال » فجاء الرجل يمشى على مهل والحياء يوشك أن يبعثر نفسه والخجل يكاد يبدد فؤاده ... جاء يمشى حتى جلس بين يديه فقال له « ماخلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ » فقال كعب « يارسول الله ، إنى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ولكنى ، والله ، لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه إنى لأرجو فيه عقبى الله والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك » قال رسول الله (ص) « أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك » .

ورأى رجال من بنى سلمة ما كان فثاروا واتبعوا الرجل يؤنبونه على ما كان منه ، وحاولوا أن يغروه على أن يرجع إلى النبى (ص) فيعتذر إليه بما اعتذر به إليه المتخلفون غير أن إيمان الرجل دفعه عن أن يتردى فى الهاوية مرة أخرى ، فمضى ...

ونهى النبى (ص) عن كلام كعب بن مالك – وعن كلام رجلين آخرين لقيا مثل مالقى كعب ، هما : مرارة بن ربيعة وهلال ابن أمية – فخاصم الناس الرجل وتغيروا له ، فأحس كأن فى نظراتهم سهاماً من المقت والكراهية تتناوشه كلما مر بهم وكأن الأرض وقد تنكرت له حين عافه الأهل واجتنبه الرفيق فما هى بالأرض التى عرف . وكان كعب شاباً فتياً فما قعد ولا استكان ، فراح يشهد الصلاة فى مكابرة ويطوف بالأسواق فى إصرار ، ولكن واحداً من المسلمين لم يكلمه ؛ ثم يأتى مجلس رسول الله (ص) فيسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فما يظفر منه برد السلام .

وطالت عليه جفوة المسلمين فأحس مس الضيق فى قلبه ، فانطلق إلى دار أبى قتادة ، وهو ابن عمه وأحب الناس إليه ، فتسور عليه جداره وسلم عليه فما رد السلام ، فقال له يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟» فسكت . فعاد فناشده ، فسكت . فعاد فناشده ، فقال له « الله ورسوله أعلم ! » ففاضت عينا الرجل وتولى يضرب فى الأرض وقد أمضه الحزن وأرهقه الأسى ، يتخبط فى ظلمات من الضيق والألم ، فما راعه إلا نبطى من الشام يدفع إليه كتاباً فى سرقة من حرير من ملك غسان يقول فيه « أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك »

لقد قرأ كعب كتاب الملك فما وسوست له نفسه بريبة ، ولا اختلج قلبه بشك ، ولا خطفه بريق الأمل ولا سيطرت عليه روعة السلطان . هذا القلب أفعمه الإيمان الحق فسما بالرجل على النوازع الأرضية ، وغمرته العقيدة الصادقة فسخر من بهرج الحياة وزيف الدنيا ، وأشرق فيه نور السماء فترفع على رب التاج والصولجان . لقد كان الرجل سماوياً يعيش بين دقات النور الإلهى ينعم بأفراح الجنة وهى تتألق فى قلبه ويسعد باللذة الروحانية وهى تتدفق بين جوانحه ؛ فأعرض عن حديث الملك الغسانى لأنه حديث أرضى فيه التراب والطين معاً .

يالقلب الكبير ! لقد تساقطت كلمات الكتاب على قلب الرجل

تهويمة صوفية

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

الى الصوت الحنون المتواجد الذى ينبعث مع كل فجر هاتفاً : (سبحان فالق الأصباح !) فيهز أعماقى ويغرق روحى فى نشوة سماوية »



أى لحن مسلسل رقراق راح ينساب فى مدى الآفاق

أيقظ السكون حين منبثق الفجر على غمرة من الأشواق

وإذا الحب ملء هذا الوجود الرحب يسرى فى روعة وانطلاق

وإذا الكائنات يغرقها الوجد الإلهى فى سنى الإشراق !.

السموات من حنين ووجد مخبتات خلف الغيوم الرقاق

والجبال الشماء تشخص نحو الله سكرى ، فى لهفة المشتاق

وندى الفجر فى الرياض الحوالى أدمع الشوق رقرقت فى المآقى

كل ما فى الوجود من روعة اسم الله فى نشوة وفى استغراق !

* * *

أى لحن مخلد سرمدى من لحون الآزال والآباد !.

أى لحن قد صير السكون أغرودة حب رخيمة الإنشاد

يا لهذا النشيد تنطلق الأرواح فيه من ربقة الأجساد

يا لهذا النشيد أوغل فى أعماق ذاتى محطما أصفادى

يا لقيدى الأرضى يسحقه اللحن ويذروه حفنة من رماد

وإذا الروح فى تجرده يسمو مشمأ كالكوكب الوقاد

عانق اللحن مصعداً وتوارى يتخطى شواسع الأبعاد

غارقاً فى صفائه ، قد تغشته غواشى غيبوبة وامتداد !

* * *

كلما رن فى السكون صدى تسبيحة الله رائع الترديد

وسرت فى الأثير أنغامها الطهر وأوغلن فى الفضاء البعيد

شواظاً من نار فيه المهانة والاحتقار وفيه الرزء والبلاء ، لأن رجلا طوعت له نفسه أن يغمز إيمان كعب بن مالك وأن يعبث بعقيدته. وأحس كعب فى كلمات الملك الغسانى معانى السخرية الجامحة والامتهان المرير فنشر الكتاب أمامه - مرة أخرى - فبدت له كلماته تتلوى كأنها حيات توشك أن تنفث فيه سمومها فتعصف به فأصابه الذعر والفزع، فانطلق إلى التنور يسجره بالصحيفة خشية أن يصيبه الأذى، ثم هام على وجهه أياماً يرسل الدمع فى حسرة ولوعة لا ترقأ عبرته ولا تجف

ومضى أربعون يوماً منذ أن جلس كعب أمام النبى (ص) يحدثه حديث الصدق والإخلاص والصراحة ، ثم أرسل النبى (ص) رسوله خزيمة ابن ثابت إلى الرجل يأمره بأن يعتزل امرأته فما تلبث ولا تعوق ولا جادل. ولكنه أحس العنت والبلاء ، هذه - ولا ريب - قاصمة الظهر ، إن الرسول (ص) لا يأمر الرجل بأن يعتزل زوجته إلا أن يكون كافراً وهى مسلمة ، وشمل الرجل حزن عميق حين رأى النبى (ص) يوشك أن ينزع عنه حلة الإيمان ليجلله العار والضعة ، فاستسلم إلى البكاء عسى أن يكفر عن ذنبه أو ينفس عن أشجانه

وقسا الرجل على نفسه - مرة أخرى - فابتنى خيمة على ظهر جبل سلع يخلو فيها إلى نفسه وإلى همومه ، ويقضى هناك عمره يبتغى التوبة مما فرط منه، وقد ضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه

وصلى كعب صلاة الفجر صباح خمسين ليلة فى خيمته التى ابتنى فما فرغ من الصلاة حتى سمع صوت صارخ أوفى على سلع ينادى بأعلى صوته يا كعب بن مالك : بشر » فخر الرجل ساجداً حين تبين له أن قد جاء فرج من الله ... خر ساجداً والعبرات تتزاحم فى محجريه فرحاً وسروراً

وجاء البشير فكساه كعب ثوبيه ببشارته، وهو - إذ ذاك - لا يملك غيرهما، ثم استعار ثوبين فلبسهما ، وانطلق يتأم رسول الله (ص) ، فتلقاه الناس فوجاً بعد فوج يهنئونه بالتوبة حتى دخل المسجد فسلم على رسول الله (ص) فرد عليه السلام وهو يبرق وجهه من السرور ويقول « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » فخر الرجل ساجداً شكراً لله ، والعبرات تتزاحم فى محجريه فرحاً وسروراً

كامل محمود حبيب

عمر بن شبة

للدكتور جواد علي

هذا مؤرخ ، من مدينة البصرة ، صاحب مؤلفات عديدة ، كانت مورداً لعدد غير قليل من مشاهير المؤرخين . رضى عنــه أكثر رجال الحديث ، فقالوا عنه أنه كان صـدوقاً صـادق اللهجة غـير مدخول الرواية . ساهم في علم الحديث كما ساهم في علم الفقه . وأضاف إلى ذلك نظم الشعر ، وهو أمر صعب اجتماعه مع العلم بالحديث والفقه . ولكنه لم يستعمل شعره في الأغراض التي كانت تحط من قدر العالم ، كالابتذال ، والمجون . فعد في طبقات الشعراء . ولم يثر شعره عليه الشكوك . ولم يخفض من منزلته ومكانته بين أصحاب الصرامة والجد من العلماء .

والصفة الغالبة على صاحبنا رواية الأخبار ، لذلك نجد اسمه في أكثر كتب الأخبار القديمة والتاريخ . له فيها مقام وحظوة هذا البلاذري يأخذ منه ويدون أقواله في مواضع متعددة من كتابه « أنساب الأشراف » ويقول « حدثني عمر بن شبة »[٢]

(١) الفهرست لابن النديم ١٦٣ (الطبعة المصرية)
(٢) أنساب الأشراف حـ ٤ ص ٨٢ ، ١٥٠ حـ ٥ ص ١٧٦ و ٢٦٥ و٢٦٩ ، ٢٧٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ .

وقد كان معاصراً له وزميلا . وهـذا الطبري يأخذ منه وينقل من كتبه وقد كان في جملة الذين أخذوا إجازتهم منه . وقد ذكر اسمه في نحو من « ٢٠٠ » موضع من كتابه تاريخ الرسل والملوك[٣] وأشار إلى اسم كتاب من كتب « عمر » التي نقل منها وهو « كتاب البصرة » [٤] فقال « وحدثني عمر مرة أخرى في كتابه الذي سماه كتاب أهل البصرة فقال ... »[١] وقد نقل من كتبه الأخرى غير أنه لم يشر كعادته إليها ، حيث يهمل أسماء الكتب مكتفياً بالسند .

كان « عمر بن شبة » مولى لبني نمير ، ولد سنة ١٧٣ للهجرة . ونشأ في البصرة ، وله في القبيلة التي انتمي إليها مؤلف قيل له « كتاب أخبار بني نمير » وله مؤلفات أخرى في الأخبار والتاريخ والأدب بلغت « ٢٢ » مؤلفاً[٢]. في وصف بعض المدن الإسلامية الكبيرة وفي مقدمتها البصرة ؛ والكوفة ، والمدينة ، ومكة ، ألف في كل واحدة من هذه المدن كتاباً وفي امراءها كتاباً آخر [٣] ولم يسجل له ابن النديم كتاباً في تاريخ بغداد ، عاصمة الخلافة ومقر الملك ، والمشائخ والعلم ، ولعله كان قد ألف فيها كتاباً لم تمه ذاكرة ابن النديم لأننا نجد له في الطبري أخباراً في تأسيس مدينة بغداد تدل على أنه كان قد خصص لها كتاباً [٤] ولم يسجل له ابن النديم اسم كتاب في تاريخ مدينة « سامراء » عاصمة الخلافة العباسية الأخرى ، وقد عاش فيها ، ونال جوائزها ، والظاهر أنها كانت غاضبة عليه فلم تستطع ضبط نفسها ، أو أنها أشفقت عليه ، فقبضت على روحه ، وهو فيها ، وأدخلت جسمه في جوفها ، سنة اثنتين وستين ومائتين ، ولكن بعد عمر طويل مديد ، بعد تسعين سنة من حياة شاقة متعبة . فأراحته من الحياة ، ومن حر البصرة الذي يشوى ذلك الجسم الذابل ، فيجعله يرقص رقصة « الرومبا » . وأنعمت عليه بتربة جافة لطيفة يستقى فيها إلى يوم يبعثون .

(٣) فهرست الطبري (ترتيب دى غويه) ص ٤٠٨
(٤) الفهرست ص ١٦٣
(١) الطبري حـ ٦ ص ٦٦
(٢) جرجي زيدان : تاريخ اداب اللغه العربيه حـ ٢ ص ١٤٩
(٣) الفهرست ص ١٦٣
(٤) الطبري تأسيس مدينة بغداد .

أهطمت أنفس وذابت قلوب   يزدهيها الفناء في المعبود !
وتسامى الشعور يلهب فيها   خلجات الإيمان والتمجيد
يا لهذا الصفاء ، يا لتجلي الله ، يا روعة الجلال الفريد !
لكأني بالكون يهتف : يارب !. ويمضي مستغرقاً في الشرود
لكأني أحس وشك اتصالي   لكأني أشم عطر الخلود !

* * *

أنا يارب قطرة منك تاهت   فوق أرض الشقاء والتنكيد
فتى أهتدى إلى منبعي الأسمى   وأفنى في فيضه المنشود
ضاق روحي بالأرض ، بالأسر ، بالقيد ، فحرر روحي وفك قيودي
ضمني ، ضمني إليك ، فقد طال انفصالي وطال بي تشريدي

فدوى عبد الفتاح طوقان

ولعمر كتب فى الشعر والشعراء ، وفى الأغانى ، وله كتاب فى أخبار الخليفة المنصور وفى أخبار محمد وابراهيم بن عبد الله بن حسن [١]. وقد نقل منه الطبرى فى أخباره عن خلافة أبى جعفر [٢] واعتمد عليه فى أخبار خروج محمد بن عبدالله ومقتله ، ومعاملة المنصور للطالبيين . وقد دون عمر صور بعض الوثائق وذكر بعض أساليب الخليفة فى استدراج خصومه ، فقال « كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن ألسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه ، فكان محمد يقول لو التقينا مال إلى القواد كلهم . » [٣].

وقد سجل عدداً من هذه الرسائل والكتب التى بعث بها المنصور . أخذها من مظانها ، ومن الأشخاص الذين كانوا أصحاب علم بها . ومن السجلات الرسمية التى كانت فى قصور الخلفاء ، وعند أمناء القصور ، ولذلك كان عمل عمر بن شبة من هذه الجهة عملا رائعاً بالنسبة إلى طريقة الاستعانة بالنصوص والوثائق لتدوين التاريخ .

وفى جملة كتب عمر بن شبة التى ذكرها ابن النديم « كتاب أشعار الشراة » . و « كتاب النسب » و « كتاب التأريخ » و « كتاب السلطان » و « كتاب مقتل عثمان » ونجد نتفا من هذا الكتاب الأخير فى ثنايا تأريخ الطبرى ، فى حوادث مقتل الخليفة عثمان بن عفان [٤] . يظهر منها أن ابن شبة كان قد أخذ كتابه من كتاب آخر لمؤلف أقدم منه هو على بن محمد المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥ للهجرة [٥] . وهو من مشاهير المؤرخين وقد ألف كتباً كثيرة ذكر أكثرها ابن النديم [١] . وذكر قسماً منها مؤرخون آخرون [٢] . استعان بها جماعة من علماء الأخبار والتاريخ . وقد كان للمدائنى مؤلف فى مقتل الخليفة عثمان ابن عفان قال له ابن النديم « كتاب مقتل عثمان بن عفان » [٣] .

يظهر من تأريخ الطبرى أن ابن شبة رواه عنه وعن طريق ابن شبة نقل الطبرى منه [٤] . وأن كتاب عمر إنما بنى عليه .

ونجد فى الصفحات التى دونها الطبرى عن خروج على بن أبى طالب إلى البصرة ومعركة الجمل أخباراً مصدرها عمر بن شبة ، يظهر منها أن هذا المؤرخ كان قد ألف كتاباً فى معركة الجمل ، أو أنه روى للطبرى كتاب شيخه المدائنى وهو كتابه الذى قيل له « كتاب الجمل » [٥] . ويظهر أيضاً أن عمر بن شبة قد استفاد من كتب المدائنى فى تأليف كتبه . وأنه كان لتوجيهه أثر كبير فى طريقة عمر فى التاريخ .

وكان فى جملة مشايخ عمر جماعة من جهابذة الأدباء ، مثل عبد الملك بن قريب الأصمعى المتوفى بين سنتى ٢١٥ و٢١٧ للهجرة [٦] . من كبار علماء البصرة ومن المقربين للخلفاء ، وصاحب علم غزير فى اللغة والأدب والنحو والأخبار . ومثل محمد بن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٣١ أو ٢٣٢ للهجرة [١] . كما أخذ من جماعة من كبار رجال الحديث . وقد روى عنه عدد من مشاهير رجال الأدب والأخبار مثل أحمد بن يحيى ثعلب العالم النحوى الشهير [٢] . وأحمد بن يحيى البلاذرى ، والطبرى . وغيرهم فضلا عن عدد آخر نقل من كتب هذا المؤرخ الذى يمثل طريقة أهل البصرة فى رواية الأخبار . أما أحمد بن عمر بن شبة أبو طاهر فقد كان شاعراً ظريفاً مجيداً راوية ولكنه لم يكن مؤلفاً ومؤرخاً على شاكلة أبيه. لقد ورث كتب أبيه ، ولكنه باعها إلى على بن يحيى أبى الحسن ، وقد ضاعت أكثرها مع الأسف ولم يبق منها غير القليل [٣] .

الدكتور جواد على

---

(١) « كتاب أخبار المنصور » « كتاب محمد وابراهيم ابن عبد الله بن حسن » . الفهرست ص ١٦٣

(٢) طبرى ج ٩ ص ١٨٣ حوادث سنة ١٤٤ فما بعد

(٣) طبرى ٩ – ٢٠٥

(٤) – ١٣٨

(٥) المدائنى : الفهرست ص ٢٤٧ ، وتوفى على رواية أخرى سنه ٢١٥ وفى سنه ٢٣٤ على روايه . إرشاد ج ٥ ص ٣٠٩ .

(١) الفهرست ١٤٧ وما بعدها

(٣) الفهرست ١٤٩

(٤) الطبرى ٥٠ – ١٥٣ ومواضع أخرى

(٥) الفهرست ١٤٩

(٦) تاريخ بغداد للخطيب ١٠ – ٤١٠ . تهذيب التهذيب ٧ – ٤٦٠ اليافعى مرآة الجنان ٢ – ٦٤ ، البغيه للسيوطى ص ٣١٣ .

(١) تأريخ بغداد ٢ ص ٢٧٧ وارشاد الادب ٦ ص ٤٧٣ والبغيه للسيوطى ص ٢٩ .

(٢) الفهرست ص ١١٠

(٣) الفهرست ص ١٦٣

أبو بكر الرازي

للأستاذ قدري حافظ طوقان

« لقد خصصت جامعة برنسيون في أمريكا أفخم ناحية في أجمل ابنيتها لمآثر علم من أعلام الحضارة الخالدين — الرازي — »



الرازي حجة الطب في أوربا حتى القرن السابع عشر للميلاد . ويعده معاصروه طبيب المسلمين غير مدافع ظهر في منتصف القرن التاسع للميلاد واشتهر في الطب والكيمياء والجمع بينهما. وهو في نظر المورخين من أعظم أطباء القرون الوسطى كما يعتبره غير واحد أنه أبو الطب العربي . قال عنه صاحب الفهرست . « ... كان الرازي أوحد دهره وفريد عصره ، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء ، سيما الطب ... » وسماه ابن أبي أصيبعة بجالينوس العرب .

ولقد عرف الخليفة العباسي عضد الدولة مقامه ، ورأى أن يستغل مواهبه ونبوغه ، فاستشاره عند بناء البيمارستان العضدي في بغداد في الموضع الذي يجب أن يبنى فيه ، وقد سار الرازي في تعيين المكان على طريقة مبتكرة يتحدث بها الأطباء هي محل اعجابهم وتقديرهم . وضع الرازي قطعاً من اللحم في انحاء مختلفة من بغداد ولاحظ سرعة سير التعفن .وبذلك تحقق من المكان الصحي المناسب لبناء المستشفى . وأراد عضد الدولة أن يكون في هذا المستشفى جماعة من أفاضل الأطباء وأعيانهم فأمر أن يحضروا قائمة بأسماء الأطباء المشهورين فكانوا يزيدون على المئة فاختار منهم خمسين بحسب ما وصل إلى علمه من مهارتهم وبراعتهم في صناعة الطب ،فكان الرازي منهم ؛ ثم اقتصر من هؤلاء على عشرة فكان الرازي منهم ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان أحدهم ، ثم إنه ميز فيما بينهم فبان له أن الرازي أفضلهم فجعله مديراً للبيمارستان العضدي .

وكذلك اعترف بفضله الغربيون وعلماء أميركا وجامعاتها . ومما يدل على تقديرهم للطب العربي ورجاله اهتمام جامعة برنستون بالحضارة الاسلامية ؛ فقد خصصت أفخم ناحية في أبنيتها لمآثر علم من أعلام الحضارة الخالدين — الرازي — كما انشأت داراً لتدريس العلوم العربية والبحث عن المخطوطات وإخراجها ونقلها إلى الإنكليزية ليتمكن العالم من الوقوف على آثار التراث الإسلامي في تقدم الطب وازدهار العمران .

كان الرازي منتجاً إلى أبعد حدود الانتاج ، فقد وضع من المؤلفات مايزيد على المائتين والعشرين ضاع معظمها أثناء الانقلابات السياسية في الدول العربية ولم يبق منها إلا القليل في بعض مكتبات أوربا .

ألف الرازي كتباً قيمة جداً في الطب ، وقد أحدث بعضها أثراً كبيراً في تقدمه وفي طرق المداواة . وقد امتازت بما تجمعه من علوم اليونان والهنود إلى آرائه وبحوثه المبتكرة وملاحظات تدل على النضج والنبوغ كما تمتاز بالأمانة العلمية ، إذ نسب كل شيء نقله إلى قائله وأرجعه إلى مصدره . لقد سلك الرازي (كما يتجلى من كتبه) في تجاربه مسلكا علمياً خالصاً ، وهذا ماجعل لبحوثه في الكيمياء قيمة دفعت بعض الباحثين إلى القول : «أن الرازي مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب معاً »

وضع الرازي كتاباً نفيساً هو كتاب (سر الأسرار) ضمنه المنهاج الذي يسير عليه في اجراء تجاربه ، فكان يبدأ بوصف المواد التي يشتغل بها ثم يصف الأدوات والآلات التي يستعملها. وبعد ذلك يصف الطريقة التي يتبعها في تحضير المركبات .وصف الرازي في كتابه هذا وغيره مايزيد على عشرين جهازاً — منها المعدني — وصفاً حالفه فيه التوفيق على غرار مانراه الآن في الكتب الحديثة التي تتعلق بالمختبرات والتجارب . وفوق ذلك كان يشرح كيفية تركيب الأجهزة المعقدة ويدعم شروحه بالتعليمات التفصيلية الواضحة . ولسنا بحاجة إلى القول أن هذا التنظيم الذي يتبعه الرازي هو تنظيم يقوم على أساس علمي يقرب من التنظيم الذي يسير عليه علماء هذا العصر في المختبرات . والرازي من أوائل

الذين طبقوا معلوماتهم فى الكيمياء على الطب ، ومن الذين ينسبون الشفاء إلى إثارة تفاعل كيمياوى فى جسم المريض .

ويتجلى فضل الرازى على الكيمياء بصورة واضحة فى تقسيمه المواد الكيميائية المعروفة فى زمنه إلى أربعة أقسام أساسية وهى : المواد المعدنية ، والمواد النباتية ، والمواد الحيوانية ، والمواد المشتقة . ثم قسم المعدنيات لكثرتها واختلاف خواصها إلى ست طوائف . ولا يخفى ما فى هذا التقسيم من بحث وتجربة وهو يدل على « المام تام بخواص هذه المواد وتفاعلاتها بعضها مع بعض ... » واستحضر الرازى بعض الحوامض ولا تزال الطرق التى اتبعها فى ذلك متبعة إلى الآن . واستخرج الكحول باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة . واشتغل الرازى فى حساب الكثافات النوعية للسوائل « واستعمل كذلك ميزاناً خاصاً سماه الميزان الطبيعى » .

وجاء الرازى بفكرة جديدة تعارض الفلسفة القديمة الموروثة وهى (أن الجسم يحوى فى ذاته مبدأ الحركة) وهى تشبه ما ذهب إليه (ليبنتز) فى القرن السابع عشر . ويعلق (دى بور) على هذا فيقول : « .. ولو أن رأى الرازى هذا وجد من يؤمن به ويتم بناءه لكان نظرية مثمرة فى العلم الطبيعى ... »

والرازى يعظم صناعة الطب وما يتصل بها من دراسات . ولعل هذا من عوامل اهتمامه بالكيمياء . وهو يمتاز على الأطباء الذين عاصروه والذين أتوا بعده فى كونه لمس أثر النواحى النفسية فى العلاج والتطبيب . فهو يرى « .. أن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس » ذلك لأن للنفس الشأن الأول فيما بينها وبين البدن من صلة ، فنجد أنه أوجب على طبيب الجسم أن يكون طبيباً للروح . فمن أقواله التى وردت فى كتبه : « .. على الطبيب أن يوهم مريضه الصحة ويرجيه بها وإن لم يثق بذلك ، فزاج الجسم تابع لأخلاق النفس .. »

وللرازى مؤلفات قيمة فى الطب ، ولعل كتاب الحاوى من أعظمها وأجلها . وهو يتكون من قسمين : يبحث الأول فى الأقرباذين ، والثانى فى ملاحظات سريرية تتعلق بدراسة سير المرض مع العلاج المستعمل وتطور حالة المريض ونتيجة العلاج وقد عدد (ماكس مايرهوف) للرازى ٣٣ ملاحظة سريرية فى أكثرها متاع وطرافة . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية واعتمد عليه كبار علماء أوربا وأخذوا عنه الشىء الكثير وبقى مرجعهم فى مدارسهم وجامعاتهم إلى منتصف القرن الرابع عشر للميلاد . وله كتب أخرى جليلة دفعت بالطب خطوات إلى الأمام ، منها كتاب المنصورى الذى يحتوى على وصف دقيق لتشريح أعضاء الجسم كلها . وهو أول كتاب عربى وصل إلينا فى هذا البحث . ترجم إلى اللاتينية وكانت له أهمية كبرى فى أوربا وبقى معمولا به عند الأطباء وفى الجامعات حتى القرن السابع عشر للميلاد . وله أيضاً كتاب فى الأمراض التى تعترى جسم الانسان وكيفية معالجتها بالأدوية المختلفة والأغذية المتنوعة وقد أجاد فيه إجادة أثارت دهشة أطباء الغرب . وبقى هذا الكتاب عدة قرون دستوراً يرجع إليه علماء أوربا فى الموضوعات والبحوث الطبية . وله كتاب الأسرار فى الكيمياء ترجمه (كريمونا) فى أواخر القرن الثانى عشر للميلاد ، وكان الكتاب المعول عليه والمدرس فى أوربا مدة طويلة . وقد رجع إليه (باكون) واستشهد بمحتوياته

وكذلك للرازى كتاب نفيس فى الحصبة والجدرى هو من روائع الطب الاسلامى عرض فيه للمرة الأولى تفاصيل هذه الأمراض وأعراضها والتفرقة بينها . وقد أدخل فيه ملاحظات وآراء لم يسبق إليها ، ترجمه الأوربيون إلى اللاتينية وغيرها من اللغات . وله كتب عديدة وردت فى كتاب طبقات الأطباء لايتسع المجال لذكرها . ولكن من الطريف أن نذكر أن أحدها كتاب موضوعه (كتاب من لا يحضره الطبيب) ويعرف بطب الفقراء وقد شرح فيه كيفية معالجة المرض فى غياب الطبيب والأدوية الموجودة فى كل مكان .

واعترف الغربيون بمآثره وابتكاراته فى أمراض النساء والولادة والمسائل الرمدية . وكذلك له جهود فى الأمراض التناسلية وجراحة العيون . وفوق ذلك قال بالعدوى الوراثية .

وأختم الكلام عن الرازى بالقول الشائع المعروف :

« كان الطب معدوماً فأحياه جالينوس ، وكان الطب متفرقاً فجمعه الرازى » والرازى فى الواقع لم يقف عند الجمع بل أضاف إضافات مهمة دفعت بالبحوث الطبية والكيمياوية خطوات إلى الأمام .

قدرى حافظ طوقان

نور وصحراء

للأستاذ محمود حسن إسماعيل



سار على البيد، هزّ الكون مسراه
صلّى عليه، وحيّا نوره الله

الله أكبر! لا خطو ولا قدم
لكنْ شعاع بقدس الوحي تيّاه

شقّ الصحارى فحيّته سباسبها
وأوشكت برياض الخلد تلقاه

ترعرعت قفرة، واخضوضرت جبلاً
وبثّ فيها ضحى الدنيا محيّاه

وزمزمت .. فهي ترتيل، ومسبحة
ودعوة بأمان الله ترعاه

لم يبق في صدرها حادٍ ولا نغم
إلا بما يسحر الأيام غنّاه

ما للخيام استطارت في مرابعها
محرورة من عذاب الشوق تهواه

ومالها رفرفت والريح تجذبها
طيراً إلى الفجر يهديه جناحاه؟

وما لكل ثرى نسّته عزلته
ملاعب الجن، لم تهدأ ثناياه؟

همس على الذرة الصغرى، وهينمة
على سفوح الذرى، والكل أشباه

تنبّهت غفلة، واستيقظت سِنة
وهبّ نعسان ليل الدهر غشّاه

وفي ضمير الفلا ما شئت من لهف
تكاد تمتد للأنوار كفّاه

تبارك الله! كل الأرض ناظرة
وكلها مهج تهفو لمرآه

تلفّت الغيب، والتفتت عنايته
بمن تحمّل سر الغيب جنباه

محمد، وصلاة الله يا لفم
صلّى! وقلب على التوحيد ناجاه!

حقيقتان هما حق ولو قدرت
نفسي لما شربت في الحب إلاه

هاجت على وحيه العلوي شرذمة
محيّرون على أصنامهم تاهوا

من كل عاتٍ من الأعراب، صولته
يذري تعفّرها بالترب «عزّاه»

راموا خطاه... فكان الغار، وارتجزت
حمامتاه، وراغ البيد مأواه

وشدّ أنواله شيخ له نسب
بالوهم .. آخر ما يبنيه ينساه

بَنَى مِن الضعفِ حِصناً لو تساقُ له
شُمُّ المقاديرِ ، لاندكَّتْ لِرُؤْياهُ

العنكبوتُ ! وما أدراكَ ما صَنعتْ
يداهُ .. بأساً شعوبُ الأرض تَخْشاهُ

ألقى بفارسِهِمْ والخيلُ تَمشُقُهُ
في موكبٍ صهواتُ الخيلِ تأباهُ

غاصتْ قوائمها في الرمل من خَجلٍ
ولعنةٍ أوشكتْ للرمل تَنعاهُ

يا فارسَ الشركِ ! لا فاتتكَ خيبتَهُ
بَشِّرْ سِلاحَكَ أنَّ اللهَ أزدراهُ

وقُلْ لِقومِكَ ، لا سرًّا ولا علناً
تألَّقَ النورُ ، حتى عزَّ مَرْقاهُ !

سَرى « مُحَمَّدُ » تطوي الشمسَ رايتَهُ
في عَسكرٍ قبلَ هذا ما سَمِعناهُ ..

يمشي وصاحِبُهُ « الصِّدِّيقُ » ونِدُّهُما
في مَهْمَهٍ يقرعُ الأيامَ لُقياهُ

عقيدةٌ جَنْبَها الإيمانُ ، يملؤها
صَفْواً ، وتملأ بالبُشرى حناياهُ

ويَخْطِفانِ الثرى نصراً إلى بلدٍ
لا خيَّبَ اللهُ مَنْ يَسعى لمَغناهُ !

يمشي ، فتحسبُهُ الأقدارَ جاريةً
لها من الغيبِ ما للغيبِ تَرضاهُ

مُبشِّرٌ بضُحًى للكونِ ، يُنقِذُهُ
من ظلمةٍ ليلُها لَجَّتْ خطاياهُ

ظُلْمٌ ، وشِركٌ ، وقومٌ عاكفون على
ربٍّ ، من الصخرِ مسكينٍ عَرَفْناهُ

.. صخرٌ ذليلٌ يعافُ الوحشُ رِجيرتَهُ
ودودةُ الأرضِ لا ترضى بمثواهُ !

أنى إليهم بِبَحْرٍ لا ضفافَ له
مِن الضياءِ ، يَروعُ الشمسَ ضَحْواهُ

سِرٌّ من اللهِ ذابَ العقلُ ، وانكفأتْ
أطوارُهُ الشُّمُّ في أغوار معناهُ

وحيٌ من الله ، فرقانٌ ، هُدى زَمَنٍ
سيفٌ يَفُلُّ حديدَ الدهرِ حدّاهُ

رباهُ مهما رجتْ أيامُنا فلها
في كلِّ حرفٍ به نورٌ نُلَقّاهُ

بحقِّ من سار بالإعجاز يُبلِغُهُ
للخافقَين ، ومنْ للحقِّ أنشاهُ

بحقِّ هذا الذي غنَّتْ بهجرتِهِ
كلُّ العوالمِ أرواحٌ وأفواهُ ،

تُعطي سرائرنا لحناً نتمُّ به
إنَّ الطريقَ زحامُ الشرِّ لواهُ !

وتنفخُ النيلَ هدياً في مسالكِهِ
فإنما في مدار الشمسِ نجواهُ

وتُهلكُ الحفنةُ الفوضى مطامعها
فإنهم كخشاشِ الأرض تأباهُ

ليس الوجود لهم مأوًى ولا سكنٌ
ولن يكونَ لهم فوق الثرى جاهُ

عاثوا فعذَّبهم جيشٌ لمصرَ مَضَى
يَسقِيهِمُ الموتَ لا يُبقي أشدّاهُ

ما زالَ في البيدِ مِنْ آثامِهِمْ صَخَبٌ
واللاجئونَ هُمُ في التيهِ شكواهُ

رباهُ فاجعلْ ترابَ الشرقِ مهلكةً
لِكلِّ باغٍ عوتْ بالقيدِ كفّاهُ

رباهُ واسكبْ غنائي في جوانحِهِ
ناراً ونوراً أذانُ البعثِ ناداهُ

ملَّتْ ربابايَ التغريدَ في زمنٍ
تمشي على خطفة الإلهامِ عيناهُ

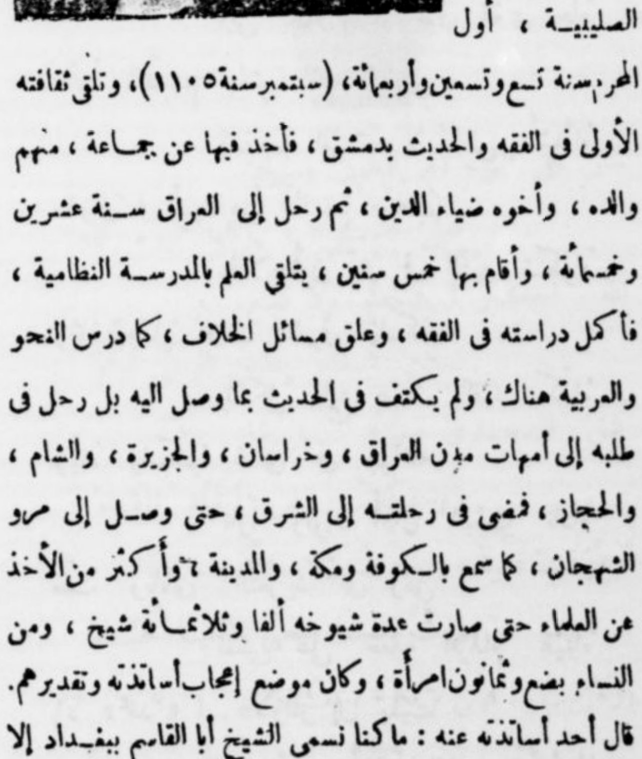
إلا « محمدُ » !.. فالأوتارُ إن بَلِيَتْ
عادتْ به أرغُناً بالسحرِ غنّاهُ !!

محمود حسن إسماعيل

من رجال الحديث فى عصر الحروب الصليبية

ابن عساكر

للأستاذ أحمد أحمد بدوى



أبو القاسم على ابن الحسن بن هبة الله ، ولا أعلم كيف جاءته هذه الكنية ، فإن مؤرخيه لا يعرفون أحدا من أجداده يسمى عساكر ، ولكنه اشتهر بذلك فى التاريخ .

ولد بدمشق فى أوائل عصر الحروب الصليبية ، أول المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، (سبتمبر سنة ١١٠٥) ، وتلقى ثقافته الأولى فى الفقه والحديث بدمشق ، فأخذ فيها عن جماعة ، منهم والده ، وأخوه ضياء الدين ، ثم رحل إلى العراق سنة عشرين وخمسمائة ، وأقام بها خمس سنين ، يتلقى العلم بالمدرسة النظامية ، فأكمل دراسته فى الفقه ، وعلق مسائل الخلاف ، كما درس النحو والعربية هناك ، ولم يكتف فى الحديث بما وصل اليه بل رحل فى طلبه إلى أمهات مدن العراق ، وخراسان ، والجزيرة ، والشام ، والحجاز ، فمضى فى رحلته إلى الشرق ، حتى وصل إلى مرو الشهجان ، كما سمع بالكوفة ومكة ، والمدينة ، وأكثر من الأخذ عن العلماء حتى صارت عدة شيوخه ألفا وثلاثمائة شيخ ، ومن النساء بضع وثمانون امرأة ، وكان موضع إعجاب أساتذته وتقديرهم . قال أحد أساتذته عنه : ما كنا نسمى الشيخ أبا القاسم ببغداد إلا شعلة من نار من توقده ، وذكائه ، وحسن إدراكه ، وقال عنه البغداديون : قدم علينا من دمشق ثلاثة ما رأينا مثلهم : الشيخ يوسف الدمشقى ، والصائن أبو الحسن هبة الله بن الحسن ، وأخوه أبو القاسم ، وكذلك قدره الخراسانيون .

وعاد ابن عساكر إلى الشام ، وقد أصبح من كبار فقهاء الشافعية متفردا فى الحديث وعلومه ، متقنا لما حفظه من الأحاديث متنا وسنداً ، متثبتا فيما يحفظ ، ومحتاطا فيما يأخذ ، وكان هو وابن الوزير قد سمعا كتبا كثيرة فى الحديث . حكى ولده الحافظ أبو محمد القاسم ، قال : كان أبى قد سمع كتبا كثيرة ، لم يحصل منها نسخا اعتمادا منه على نسخ رفيقه الحافظ أبى على بن الوزير ، فسمعه ليلة من الليالى ، وهو يتحدث مع صاحب له فى ضوء القمر فى الجامع ، فقال : رحلت ، وما كأنى رحلت ، وحصلت وما كأنى حصلت ، كنت أحسب أن رفيقى ابن الوزير يقدم بالكتب التى سمعناها ، مثل صحيح البخارى ومسلم ، وكتب البيهقى وعوالى الأجزاء فاتفقت سكناه بمرو ، وإقامته بها ، وكنت أؤمل وصول رفيق آخر يقال له يوسف الجبائى ، ووصوله رفيقنا أبى الحسن المراوى ، فانه كان يقول لى : ربما رحلت إلى دمشق ، وتوجهت منها إلى بلدى بالأندلس ، وما أرى أحدا منهم جاء دمشق ، فلا بد من الرحلة ثانيا وتحصيل الكتب الكبار ، والمهات من الأجزاء العوالى » فلم يمض إلا أيام يسيرة ، حتى جاء إنسان من أصحابه اليه ودق عليه الباب وقال هذا أبو الحسن المراوى قد جاء فنزل أبى اليه وتلقاه ، وأنزله فى منزله ، وقدم علينا بأربعة أسفاط مملوءة من الكتب المسموعات ففرح أبى بذلك فرحا شديدا وشكر الله سبحانه على مايسره له من وصول مسموعاته اليه من غير تعب وكفاه مئونة السفر . وأقبل على تلك الكتب فنسخ واستنسخ حتى أتى على مقصوده منها . وكان كلما حصل على جزء منها ، كأنه حصل على ملك الدنيا .

وقضى أبو القاسم بعد عودته إلى دمشق ، زهاء أربعين عاما فى الجمع والتصنيف والمطالعة ، والتسميع حتى فى نزهه وخلواته ، ويحاسب نفسه على كل ساعة تمضى ، يدون عمل حتى جمع فى الحديث مالم يجمعه غيره قال شيخه الخطيب أبو الفضل الطوسى : « ما نعرف من يستحق لقب الحافظ اليوم سواه » فانتهت اليه الرياسة فى الحفظ والإتقان والمعرفة التامة بعلوم الحديث والتفقه فيه ، وحسن التصنيف والتجويد ، قال الحافظ عبد القادر الرهاوى « مارأيت أحفظ من ابن عساكر ، رأيت السلفى ، وأبا العلاء

الهمدانى وأبا موسى المدينى : ما رأيت فيهم مثل ابن عساكر » ، وقال الحافظ أبو العلاء الهمدانى : « أنا أعلم أنه لا يساجل الحافظ أبا القاسم فى شأنه أحد » ؛ وقال المنذرى : « سألت شيخنا الحافظ أبا الحسن بن المفضل ، عن أربعة تعاصروا ، أيهم أحفظ ؟ قال من ؟ قلت : الحافظ ابن ناصر ، وابن عساكر ؟ فقال ابن عساكر قلت الحافظ أبو موسى المدينى وابن عساكر ؟ فقال : ابن عساكر فقلت : الحافظ أبو طاهر السلفى ، وابن عساكر ؟ فقال السلفى شيخنا » ، قال الذهبى : يعنى أنه ما أحب أن يصرح بتفضيل ابن عساكر ، تأدبا مع شيخه ، ثم أبو موسى أحفظ من السلفى ، مع أن السلفى من نجوم الحديث وعلمائه ؛ وانتهى الأمر بأن قال بعض الحفاظ الأثبات : « ما أرى ابن عساكر رأى مثل نفسه » .

وقد عرف له سلطانا عصره مكانته ؛ أما نور الدين فقد بنى له دار الحديث بدمشق ، ووكل إليه أمرها ، وكان ابن عساكر يسمع نور الدين فى مجالسه حديث رسول الله ، ويضمر له فى قلبه الحب والإعجاب ، قال عنه فى مقدمة كتاب « تاريخ دمشق » « ورقى خبر جمعى له إلى حضرة الملك القمقام ، الكامل العادل ، الزاهد المجاهد ، المرابط الهمام أبى القاسم محمود بن زنكى بن آق سنقر ، ناصر الإمام ، أدام الله ظل دولته على كافة الأنام ، وأبقاه مسلما من الأسواء ، منصور الأعلام ، منتقما من عداة المسلمين الكفرة الطغام ، معظما لحلة الدين بإظهار الإكرام لهم والاحترام ، منعما عليهم بادرار الاحسان إليهم والإنعام ، عافيا عن ذنوب ذوى الإساءات والاجرام بانيا للمساجد والمدارس والأسوار ومكاتب الأيتام ، راضيا بأخذ الحلال ورافضا لاكتساب الحطام ، آمرا بالمعروف زاجرا عن ارتكاب الحرام ، ناصرا للملهوف وقاهرا للظالم المسوف الانتقام ، قامعا لأرباب البدع بالإبعاد لهم والارغام ، خالعا لقلوب الكفرة بالجرأة عليهم والاقدام »

وأما صلاح الدين فكان يقدر ابن عساكر عظيم التقدير ، وكان الحافظ يحضر مجالس السلطان ، ، ثم انصرف عنها حينا ، لما كان يمتاز به صلاح الدين من ديمقراطية سوغت وجود اللغط فى مجالسه. فلما تكرر من صلاح الدين الطلب له حضر ، وعاتبه صلاح الدين فقال له الحافظ : « نزهت نفسى عن مجالسك فاننى رأيته كبعض مجالس السوقة ، لايستمع فيه إلى قائل ، ولا يرد جواب متكلم ، وقد كنا بالأمس نحضر مجالس نور الدين ، فكنا كما قيل : كأنما على رؤوسنا الطير ، تعلونا الهيبة والوقار ، فاذا تكلم أنصتنا ، وإذا تكلمنا استمع لنا . فتقدم صلاح الدين إلى أصحابه أنه لايكون منهم ماجرت به عادتهم إذا حضر الحافظ ، فلما مات حضر السلطان صلاح الدين الصلاة عليه ومشى فى جنازته .

وعاش ابن عساكر منصرفا إلى فنه ، لايتطلع إلى أسباب الدنيا ، معرضا عن المناصب ، بعد عرضها عليه ليس له منها سوى أستاذيته لدار الحديث، كثير الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، موجها همه إلى إذاعة حديث رسول الله .

وكان يدين بمذهب الأشعرى ، وينافح عنه ؛ وألف فى ذلك كتابا سماه : تبيين كذب المفترى ، فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى ، رد به على الحسن بن على الأهوازى الدمشقى ، المتوفى سنة ٤٤٦ ، وكان يكره مذهب الأشعرى ويضعفه .

ولم يزل ابن عساكر خادما للسنة ، قائما بأنواع العبادة : من صلاة وصيام واعتكاف ، وصدقة ونشر علم ، وتشييع جنازة وصلة رحم ، إلى أن مات ليلة الاثنين الحادى والعشرين من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . وقد رثاه المعجبون به بقصائد عدة ، وترك أبنا هو القاسم بهاء الدين من رجال الحديث وحفظته .

أما آثاره العلمية فمدد ضخم ؛ يدلنا على ما امتاز به وقت هذا الرجل ، من امتلاء بالتأليف والتصنيف ؛ ورويت عنه مصنفاته وهو حى ؛ وذاع بها اسمه وانتشر فى أرجاء العالم الإسلامى ويمكن تقسيمها ثلاثة أقسام بحسب ، موضوعها فأغلبها مجموعات حديث ثم كتب فى التاريخ . فكتاب فى علم الكلام . وآخر فى الأدب .

وتتألف كتبه فى الحديث من مجموعات اختارها أو رواها : فله أحاديث رواها مثلا عن جماعة من كفر سوسية . وأخرى عن جماعة من أهل حرستا . كما أنه وضع كتابا جمع فيه بين سنن أبى داوود ، وجامع الترمذى والنسائى . ودعاه الإشراف على معرفة الأطراف . وكتابا جمع فيه ما اتفق عليه شيوخ الأئمة الثقات .

وله كتب تتناول أحاديث ذات غرض واحد. مثل كتابه المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى . الذى اشتمل على ما جاء من الحديث فى بيت المقدس . وكتابه فضل عاشوراء . وفضائل مقام ابراهيم، وتبيين

الامتنان بالأمر بالاختتان .

أوذات صفة خاصة كالأحاديث الخماسية الاسناد ،أوالسداسية أو السباعية . أو المسلسلات وقد جمعها فى عشرة أجزاء .

وله أمال فى الحديث ضخمة .

كما جمع عدة أنواع من الأربعينات ، فاقتدى بالسلف فيما جمعه من أربعين حديثا سمعها فى أربعين بلدا ، نقلها عن أربعين شيخا وزاد على ما أتى به من الغرابة بأن جعلها عن أربعين من الصحابة كما جمع أربعين حديثا فى الجهاد ، دفعه إلى جمعها بلا ريب هـذا الصراع المنيف بين المسلمين والصليبيين فى عهده ، وجمـع أربعين حديثا من الطوال ، وأربعين فى المساواة، وروى فى أجزاء معينة الأحاديث التى رواها صحابى بعينه .

وله كتاب كشف المغطى فى فضل الموطا .

أما كتبه التاريخية فأشهرها تاريخ مدينة دمشق ، فى ثمانين مجلدا ، وهو من أعظم المفاخر فى التاريخ ، وضعه على نسق تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب ، وأورد فيه تراجم الأعيان ، والرواة ، والمحدثين والحفاظ ، وسائر أهل السياسة والعلم من صدر الإسلام إلى أيامه ممن سكن دمشق ، أو نزلها ، قال ابن عساكر فى مقدمة كتابه : وهو كتاب يشتمل على ذكر من حلها من أماثل البرية ، أو اجتاز بها أو بأعمالها من ذوى الفضل والمزية ، من أمرائهـا وهداتها ، وخلفائها وولاتها ، وفقهائهـا وقضاتها ، وعلمائهـا ورواتها ، وقرائها ونحاتها ، وشعرائها ورواتها ، من أمنائها وأبنائها ، وضعفائها وثقاتها ، وذكر مالهم من ثناء ومدح ، وإثبات ما فيهم من هجاء وقدح ، وإيراد ما ذكروه من تعديل وجرح ، وحكاية ما نقل عنهم من جد ومزح ، وبعض ما وقع إلى من رواياتهم ، وتعريف ما عرفت من مواليدهم ووفاتهم ، وبدأت بذكر من اسمه منهم أحمد ، لأن الابتداء بمن وافق اسمه إسم المصطفى . ثم ذكرتهم بعد ذلك على ترتيب الحروف ، مع اعتبار الحرف الثانى والثالث تسهيلا للوقوف ، وكذلك أيضا اعتبرت الحروف فى أسماء آبائهم وأجدادهم ، ولم أرتبهم على طبقات أزمانهم ، أو كثرة أعدادهم ، وعلى قدر علومهم فى الدرجات والرتب ، ولا لشرفهم فى الأفعال والنسب ، وزدت فيه من عرف بكنيته ، ولم أقف على حقيقة تسميته ... وأتبعتهم بذكر النسوة والإماء الشواعر ، المشهورات ، وقدمت قبل جميع ذلك جملة من الأخبار فى شرف الشام وفضله ...

وقد أدهش العلماء به لكبره واتساعه ، وقال ابن خلكان قال لى شيخنا الحافظ العلامة زكى الدين أبو محمد عبد العظيم المنذرى ، حافظ مصر ، أدام الله به النفع ، وقد جرى ذكر هذا التاريخ ، وأخرج له منه مجلداً ، وطال الحديث فى أمره واستعظامه : « ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل ، وشرع فى الجمع من ذلك الوقت ، وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال » . ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ، ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله ، وهذا الذى ظهر هو الذى اختاره ، وما صح له هذا إلا بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها .

وعنى العلماء بهذا الكتاب ، فمنهم من جعل له ذيولا ، أهمها ذيل القاسم ولد المصنف ، وذيل عمر بن الحاجب ، ومنهم من اختصره : كابن شامة ، وابن منظور صاحب لسان العرب ، وارجع إذا شئت ، إلى كتاب كشف الظنون (ج ١ نهر ٢٩٤) لترى ما لهذا الكتاب من ذيول ومختصرات .

ولابن عساكر غيره ، كتاب المعجم ، وهو خلاصـة لمشهورى الرجال ، وبخاصة الشافعية ، ولهذا الكتاب ذيل لمحمد ابن عبدالواحد المقدسى المتوفى سنة ٦٤٣ ، كما وضع معجما فى اثنى عشر جزءا ترجم فيه لأساتذته الذين سمع منهم أو أجازوا له ، ومعجما خاصا لمن سمع منه من النساء ، وألف معجما للصحابة ، وكتابا لمن نزل المزة وحدث بها ، وآخر فيمن وافقت كنيته كنية زوجته ، وتحدث فى معجم عن مناقب الشبان ، وفى آخر عن أسماء القرى والأمصار التى سمع بها .

وأملى سبعة مجالس فى فضائل الصديق رضى الله عنه ، ثم أكملها بأربعة أخرى ، ثم أملى فى كل واحـد من الخلفاء أحد عشر مجلسا .

ووضع ابن عساكر فى علم الكلام كتابا سمـاه : كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى ، وهو من الكتب المهمة فى موضوعه ، حتى قالوا : إن كل سنى لا يكون عنده ذلك الكتاب ، فليس من نفسه على بصيرة ، وقد بينا سبب تأليفه .

أما كتابه فى الأدب فيسمى بالأطراف الأدبية ، وهو فى أربعة مجلدات ، ولعله ، كما يدل عليه اسمه ، مختارات جمعها ، كما كان يصنع فى كتب الحديث .

وكان ابن عساكر يقول من الشعر ما لا يبلغ درجة الجودة، فما نسب إليه قوله:

أيانفس ؛ ويحك جاء المشيب   فماذا التصابى ، وماذا الغزل
تولى شبابى كأن لم يكن   وجاء مشيبى كأن لم يزل
كأنى بنفسى على غرة   وخطب المنون بها قد نزل
فياليت شعرى ممن أكون   وماقدر الله لى فى الأزل ؟

ومن قوله يمجد الحديث ، ويحث على أخذه شفاها لا نقلا عن الكتب .

ألا إن الحديث أجل علم   وأشرفه الأحاديث العوالى
وأنفع كل نوع منه عندى   وأحسنه الفوائد والأمالى
وإنك لن ترى للعلم شيئاً   يحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه   وخذه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترى   من التصحيف بالداء العضال

وتجد نماذج كثيرة من شعره فى كتاب خريدة القصر ؛ وكتاب معجم الأدباء لياقوت .

وكان بينه وبين الحافظ أبى سعد عبد الكريم بن السمعانى رفيقه فى الرحلة مودة ؛ وقد روى عنه السمعانى كثيرا ؛ كما روى ابن عساكر عن رفيقه ؛ وكتب إليه أبو سعد كتابا ضخما سماه (فرط الغرام إلى ساكنى الشام) ؛ كما كتب هو إلى ابن السمعانى رسالة يعاتبه فيها على تباطئه فى إنفاذ حاجة له :

ما كنت أحسب حاجتى   مهما نأت دارى مضاعه
أنسيت ندى مودتى   بينى وبينك وارتضاعه
ولقد عهدتك فى الوفا   ء أخاتهم لا قضاعه

وتتلمذ لابن عساكر جماعة كبيرة من الحفاظ كان بعضهم أسن منه . ومن أشهر تلاميذه أبو شامة المقدسى .

وقد تناول مؤرخو ابن عساكر سيرته مقرونة بأسمى آيات الإجلال والإكبار . فهذا السبكى يقول عنه فى طبقاته : هو الشيخ الإمام ناصر السنة وخادمها ، وقامع جند الشيطان بعساكر اجتهاده وهازمها . إمام أهل الحديث فى زمانه . وختام الجهابذة الحفاظ ولا ينكر أحد منه مكين مكانه . محط رحال الطالبين ، ومؤمل ذوى الهمم من الراغبين . الواحد الذى أجمت الأمة عليه، والواصل إلى مالا تطمح الآمال إليه . والبحر الذى لا ساحل له ، والحبر الذى حمل أعباء السنة كاهله . قطع الليل والنهار دائبين فى دأبه . وجمع نفسه على أشتات العلوم ، لا يتخذ غير العلم والعمل صاحبين وهما منتهى أربه . لا تغيب عنه شاردة ، وضبطه استوت لديه الطريفة والتالدة ، وإتقان ساوى به من سبقه إن لم يكن فاقه، وسعة علم أزرى بها وترك الناس كلهم بين يديه ذوى فاقه »

وقال فيه النووى : « هو حافظ الشام بل حافظ الدنيا . الإمام الثقة الثبت »

وقال ابن النجار : « هو إمام المحدثين فى وقته ، ومن انتهت اليه الرياسة وبه ختم هذا الشأن » :

كان ابن عساكر هذا أنبه أبناء أسرته الذين عرف التاريخ منهم أخاه الفقيه المحدث هبة الله وولده القاسم وولد أخيه محمد وهما الحسن وكان محدثا وعبد الرحمن وكان مدرسا فقيها محدثا

أحمد أحمد بدوى

في رمال التيه

للأستاذ ابراهيم الوائلي



أيّ حلم طاف بالأمس على جفن الزمان
ورحيق عاطر النفحة من كرْم الجنان
خضِلَ الانسامَ واشتفّ نداه المشرقان
غير أنّ الحُلمَ الرفاف ولّى غير وان
والرحيق العذب قد جف على ثغر الأماني
أترى يرجع بعد اليوم طيف قد توارى؟

* . *

وملاك من بني الإنسان ما أعظم قَدْرَهْ
مسح الأرض جناحاه وأصفاها بنَظْرَهْ
وسقاها من معين الكوثر السلسل خمره
فاذا الصخرةُ ماء وإذا الشوكة زهرهْ
وإذا الصحراء ظلٌّ وينابيعُ وخضرَهْ
غير أنّ الزهر قد ألوى وماء النبع غارا

* . *

جاء والأمةُ في ليل من التيه معمّى
لا ترى نوراً ولا تبصر في الظلماء نجما
تجبلُ الطين وتبني منه معبوداً أصما
وتخال الرمل دراً وترى العوسج كرْما
فأشاع النور فيها وأحال الجهل علما
ثم أغفى بعد ما أيقظ شعباً وأنارا

... ...

مشت النسمةُ بالأمس على الآفاق تمرحْ
ومسرى النور كطيف ناعم المسرى مُجنَّحْ
فانتشى الأيك على الواحة والظلُّ ترنّحْ
وأفاق الحجر الغافي ورملُ البيد سبّحْ
ثم عادت فاذا الصحراء للذؤبان مسرح
وإذا الواحة لا تندى ظلالاً وثمارا

... ...

مشرق التاريخ بوركت نبياً وإماما
وتقدّست كتابا وجهادا وسلاما
من تُرى صيّر دنياك ضباباً وقتاما؟
والينابيع سراباً والندى العذب جهاما
فاذا بالركب يطوي منك قفراً وظلاما
لا يرى في السفح ومضاً أو على القمة نارا

... ...

حُلُمٌ مرّ وعادت خطرات الحُلْم ذكرى
نتملاّها خيالا شاحب اللون وفكرا
هوّم الشرق فكانت فترة التهويم شرّا
وأفاق الجيل حيث الوحش قد بيّت غدرا
فمضى يخبط في التيه ولا يبصر فجرا
ووحوشُ الغاب تستشري لُهاثاً وسُعارا

. . .

رب رحماك فإن الجيل لا يدرك غايه
تائه ضل ولم تبد من الليل نهايه
يعبد الأوثان لكن في محاريب العمايه
ونعوتاً حاكها الزيف على غير هدايه
وكساها كل نفاج من الناس نفايه
ثم حلاّه كما شاء رياحين وغارا!

... ...

الملحمة الخالدة

للأستاذ صبحي الصالح

هجرتك —
يا رسول الله —
ملحمة قدسية نفخ
الله فيها من روحه
وصورفيها بطولتك
ورضيها المؤمنين
لحناً على قيثارة
الذكرى ...

هجرتك —
يانبي الله — ملحمة
واقعية لم ينسجها
الخيال، بل سجدت
لحوادثها القرون والآجيال ...

هجرتك ـ يا خاتم الأنبياء ـ ملحمة خالدة في أعماق القلوب

رب رحماك لجيل في مطاوى البيد حائر
وملايين من الناس تردت في المخاطر
من سجون . وحديد ، وسياط ومجازر
وعهود مظلمات عميت فيها البصائر
وجمود قد ألفناه كسكان المقابر
وأفانين من الذل تخذناها شعارا

... ...

محنة الشرق وما أفظع ما يشكو ويلقى
من خطوب كالحات لم تذر عدلا ورفقاً
يرقص الغرب على الأشلاء مزهواً ونشقى
مثلما يندفع الوج على أجساد غرقى
قد مللنا العيش ذلاً يتغشانا ورقا
رب رحماك فإن الركب قد ضل وحارا
أترى يشرق بعد اليوم فجر قد توارى ؟

القاهرة إبراهيم الوائلي

راها بصيرة المؤمن كما استشفت حجاب التاريخ أبرز حادثة من حوادث الدهر !

ولقدافتتح الله ملحمة هجرتك بالاضطهادوالعذاب ، واختتمها بالفتح والنصر : وبين الفاتحة والخاتمة سلسلة من صور بطولتك ومواطن شجاعتك ، ومشاهد نضالك وجهادك ، ومثل صبرك وأناتك .

...

ولا غرو ... فانك ـ يا سيد الخلق ـ المثل الأعلى للشدة فى الحق ، صدعت به لا تخاف لومة لائم ، ولا تضيق بتهكم ساخر ، ولا تتألم من عدوان سفيه ، بل كنت تجد فيما يحسبه الناس ألماً متعة سامية ... وما أندر النفوس التي تستشعر مثلك لذة الآلام !

حتى في ذلك اليوم الذي لذت فيه بحائط من حوائط ثقيف وأويت إلى الظل تشكو إلى ربك ضعف قوتك ، وقلة حيلتك ، وهوانك على الناس ، لم تنس أن تناجي مولاك الرحيم بتلك الكلمات التي أترعت قلبك بحلاوة الايمان حين قلت في ختام ندائك الخفى : « إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى » .

بلى يا رسول الله كنت سعيداً بآلامك الفوادح ، لا تبالى ما دام الله معك يهديك ، ويسمع سرك ونجواك ، ويكلأك في متقلبك ومثواك .

من أجل ذلك مكر الله بالقوم الذين مكروا بك ، فأرسل إليك جبريل الأمين يحذرك من الكيد ، ويرسم لك الخطة ، ويبين لك المتجه : أن هاجر إلى طيبة ولا تبت على فراشك ، فان القوم يأتمرون بك ليقتلوك . فخرجت من بين المؤتمر تحرسك عين الله بينا رقد على فراشك ابن عمك الشجاع الذي نشيء في حجرك ، وأشرب في قلبه حبك ، وود لو يموت فداك .

...

وهاجرت وصاحبك الصديق الذي حمل إليك جميع ماله ، فأدركتك الشفقة على أبيه الضرير وعلى ذويه ، فسألته : ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ فأجابك باطمئنان : أبقيت الله ورسوله وأويتما إلى (غار ثور) في ضمير الليل . وقفا القوم آثار كما عند مبرق النهار . وكادوا يصلون اليكما ، ويقتحمون الغار عليكما ، حتى

خاف عليك صاحبك الوفى فقال : لو قتلت فانما أنا فرد من الأمة وإن قتلت أنت هلكت الأمة كلها يارسول الله . ثم قال فى جزع شديد : لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا ... فهمست فى أذنه همستك الخالدة التى فيها رمز الشجاعة الحق : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا . فأنزل الله سكينته عليك ، وأيدك بجنود لا تراها أعين الناس ، وصرف القوم عن الغار ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ؛ فارتدوا خائبين .

أما أنت يا رسول الله فوصلت إلى المدينة وصول الفاتحين ، وجعلت فيها المهاجرين والأنصار إخوانا ، والأوس والخزرج أعوانا ، وجعلت تشريع السماء حكما بين الناس ، وجعلت هؤلاء الناس الذين آمنوا بك كالملائكة الأبرار ، بل أصبحوا بهديك رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار !

* * *

يومئذ جعلت القرآن فى يمناك تهدى به المتقين ، والحسام فى يسراك تدفع به كيد البغاة وعدوان الظالمين ، فقضيت على الفتن الحمر ، وهدأت العواصف الهوج ، وجعلت الدين لله ، والعبادة للرازق ذى القوة المتين .

وبدلت العرب من بعد خوفهم أمنا ، ومن بعد خصامهم حبا ، ومن بعد يأسهم أملا ، ومن بعد قسوتهم حنانا ، ومن بعد فوضاهم نظاما ، ومن بعد جهلهم علما ...

* * *

ولقد كان ربك — يا إمام الأنبياء — قديراً على نصرتك وعصمتك من أذى الناس ؛ لكنه أراد أن يذيقك حلاوة النصر بعد مرارة الصبر والمصابرة والكفاح والنضال ، حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سننه فى خلقه ، فلا يغتروا بانتسابهم إلى الاسلام من غير جهاد ، أو يستسلموا إلى الوهن وهم يحسبون أنهم على ربهم يتوكلون .

وهذه السنن الاجتماعية التى تعلمها المسلمون الأولون من ملحمة هجرتك جعلت منهم أبطالا يرون الموت فى سبيل الله هو الحياة الخالدة ، ويرون الحياة إذا غشيها الذل موتا أبديا ، فحملوا أرواحهم على أكفهم ، واشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

ثم داول الله الأيام بين الناس ، فأصبح المسلمون يترنمون بملحمتك من غير أن يفقهوا أسرارها ، ويرددون ذكراها من غير أن تترك فيهم آثارها ، فلقد نسوا سنن الله فى خلقه أو تناسوها ، ولقد جهلوا شريعتهم أو تجاهلوها ، فأصبحوا — على كثرتهم — غثاء كغثاء السيل ، وأصبحوا يارسول الله ينتسبون اليك انتسابا ، ويحملون من دينك أسماء وألقابا ، ويعيشون على هامش الحياة أذنابا وأعقابا .

أجل يا سيد المرسلين . . . لقد أذن ربك المنتقم الجبار للزمن العاتى أن يعبث بهم ، فنزع من صدور عدوهم المهابة منهم ، وقذف فى قلوبهم الوهن ، فعادوا بعدك كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض ، وأمسوا أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين ، يؤثرون حياة الهوان والعبودية على الموت فى سبيل الكرامة والحرية حتى تداعت الأمم اليهم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، ففرقتهم شر ممزق ، وأذاقتهم عذاب الهون .

* * *

على أن ملحمة هجرتك — يابطل الأنبياء — ما برح لها فى بعض النفوس أثر ، فلقد كتب الله لذكراها الخلود حتى تنفع المؤمنين بالموعظة ، وتدعو بالحكمة ، وتحيى ميت القلوب ، وتعيد مجد الدين .

ولقد افتتح الله ملحمتك بالاضطهاد والعذاب ، واختتمها بالفتح والنصر ، فهل يريد التاريخ أن يعيد نفسه ، وهل تبهرنا اليوم الشدائد والأهوال ، لتخلق منا جيلا جديداً ، يستحق نصراً من الله وفتحاً قريباً ؟

صبحى الصالح

من وحي الأسميات

موكب...

للأستاذ ابراهيم محمد نجا



موكب هز خاطري وجناني وأثار الحنين في وجداني
ودعاني إلى البيان ، فـهذا ذوب قلبي سكبته في بياني
موكب الحب للذي خلق الحـ ـب ، وحلى به بني الإنسان
موكب الحب للرسول الذي جا ء لنا بالهدى وبالفرقان
صاغه الله من سناه شعاعا باهر النور ، ساحر الألوان
لم تجد مثله القلوب ، ولم تنـ ـظر إلى مثله العيون الرواني
وبراه من رقة وصفاء وسلام ورحمـة وحنان
فهفت نحوه القلوب سراعا كطيور تجد في الطيران
ثم حامت عليه ، وهي ظماء فسقاها من نبعه الريان
ومضت نحوه الجموع تمانى من هواها وشوقها ما تعانى
موكب حاشد الوفود رحيب هو رمز لعزة الإيمان
وقلوب مرنحات من الشو ق ، سكارى بغير بنت الدنان
شربت خمرة «الحقيقة» واهتز ت على «ذكر» مبدع الأكوان
كل من ذاقها فقدعاش ماعاش بعيداً عن حرقة الظمآن
ووجوه تكاد تنطق بشراً حين نالت ما تشتهيه الأماني
والدفوف التي ترن رنينا هو أشجى من رنة العيدان
هادىء الوقع في القلوب، مثير حين نصغى إليه بالآذان
يملأ النفس بالخشوع فتبكي بدموع لم تبدها العينان
والزغاريد وهي تأسر قلبي والأغاني ، وما أرق الأغاني !
موكب هزني ، فغنى فؤادي وشعوري بأعذب الألحان
كل لحن فيه ضراعات مشتا ق ، وأشواق ضارع ولهان
موكب فجر الحنين بقلبي ومضى في رعاية الرحمن
ليت من جمع المواكب ليلا ودعاها إليه كان دعاني

***

يا ديار الحبيب قلبي يناجيـ ـك وروحي ومهجتي وكياني
يا ديار الحبيب قد شفني النأ ى ، فقولي متى يكون التداني ؟
يا ديار الحبيب هل يأذن اللـ ـه فألقاك مرة في زماني ؟
حيث أقضي شعائر الله مسرو راً بما نلته من الرضوان
وأرود الصحراء وهي لروحي موطن الشعر والهدى والأمان
صاعداً في الجبال، حيناً وحينا هابطا في السهول والوديان
ذاك حلم لو نلته في حياتي قلت حسبي ما نلته وكفاني
يا ديار الحبيب زرتك بالرو ح، وإن كنت ثاوياً في مكاني

ابراهيم محمد نجا

الشيوعية والدين

للأستاذ ابراهيم البطراوى



يميل كثير من كتاب العالم هذه الأيام في الدول غير الشيوعية إلى المبدأ القائل « بأن الشيوعية والدين نقيضان لا يجتمعان في دولة واحدة » ويركزون معظم نقدهم وهجومهم على الماركسية في هذه النقطة بالذات لأنها كما يقول بعض مفكرى الإسبان « ملتقى الحواس في أعصاب الأمم جميعاً » .

ولكن الدارسين للظواهر الاجتماعية يقررون أن جميع الجهود والأموال التي أنفقت في هذه الحرب الفكرية حتى الآن قد ضاع أكثرها سدى فلم ينتفع بها الانتفاع الذي كان مقدراً . وليس هذا فقط ، بل إن الفائدة لم تصل إلى حد المثل بعد . ولقد كان لهذه النتيجة وقع أليم في نفوس الكثيرين ولا سيما في هذا الوقت الذي يعاني فيه كثير من الشعوب أزمات اقتصادية متعددة ، فبدأوا يعاودون النظر ويرسمون الخطط ويوحدون الجهود ليتداركوا ما فات .

والحق أن هذا المبدأ وحده غني بمواد كان يكفي أقلها عدداً وأبسطها أثراً للقضاء على فكرة الشيوعية ومحوها نهائياً من صفحة الوجود لو أنه أحسن استغلاله والانتفاع به . أما مجرد القول بمبدأ دون الأخذ به فضرب من المحال ومخادعة للنفس وتضييع للوقت لا أكثر ، ولن يفهم الناس من تكرار ذلك إلا أنه اقحام للشيء في غير موضعه واستغلال للعاطفة الدينية في الخلافات السياسية ؛ أما الأهداف النبيلة والغايات الشريفة والمنافع المنتظرة والأمن من شر محقق تتهددنا به الدول الشيوعية إن لم نحم أدياننا وتقاليدنا من أضدادها ومن سموم دعايتهم الخبيثة — فهذه وغيرها أشياء بعيدة كل البعد عن تفكير الرجل العادي بل وكثير من الذين يوصفون بأنهم مثقفون .

وللناس عذر في ذلك لأن نظرة جدية إلى تاريخ الأمم التي تنادي اليوم بهذا المبدأ تدفعنا إلى شيء من الشك كبير في إخلاص القائمين بهذه الدعوة وفي صدق نواياهم وخلوهم من كذب ونفاق ؛ وإلا فأي معنى لبقاء جنود أجنبية في أرض دولة ذات مجد وذات سيادة كمصر ؟

وأول ما يستثمره الباحث الذي لا يقف عند حد النظرة السطحية للأشياء — هو حاجة الدول الفتية إلى التمسك بهذا المبدأ والاستفادة من هذا الدرس بعد تعمق وفلسفة واستقصاء مراميه فما ألقاه الشيوخ المحنكون — والبركان في أوج ميدانه واضطرابه — إلا بعد تجارب عدة حالفهم فيها التوفيق بالنسبة للأمم التي غلبوها على أمرها وكانت مستعصية عليهم ، فلم يجدوا سلاحاً أفتك بالقوى وأقصم للظهور ولا أرق للأحرار من سلاح الدين والتقاليد يزلزلونها بحوريتين فتانتين اسمهما فلسفة العصر والمدنية وما هما — لو كنا نعقل — إلا الالحاد والإباحية .

وقانون الاستعمار دائماً — على اختلاف الأزمنة والأمكنة — كما استنتجناه وشرحناه في غير هذا المكان « هو أن الثورات وليدة الفجور والإباحية التي هي معول الأديان والعقائد » وإن أصحاب المبادىء السياسية والاقتصادية لا يمكن أن تتسنم مبادئهم الحياة إلا عن طريق هذا الذي استنتجنا الآن وسميناه (قانون الهدم الاجتماعي)

ولقد فطنت الوحوش المستعمرة لهذا بدهائها وتجاربها وأفادت منه في اقتناص فرائسها واشباع شهواتها الجامحة أيما استفادة على نحو ما قدمنا .

وأبسط تحليل لخفايا الأغراض المقنعة في فلسفتهم تلك التي تبدأ بنشر الفجور والاباحية وهدم حواجز الدين والتقاليد والعرف وخلال الحياء والشرف مجتمعة ، وهذا بدوره يؤدي إلى التفكك والاضطراب والفوضى والثورات والانحلال ، ثم ينتهي بالاستعمار — هو أن الفجور يفرق هلماً من مجرد ذكر الحساب وتصور آلامه وأهواله على نحو ما وصفت الأديان؛ فبنشر مبادىء الإلحاد وبتسفيه القيم وبث المثيرات والمغريات وبتهيئة الأسباب وإزالة

الحجب التي تحول بين الغرائز وبين الاشباع نجد قيامه — أي الفجور — وتحققه وانتشاره نتيجة طبيعية حتمية . ولا بد أن يمر بالأطوار الآتية على أي حال : وهي أنه — وفكرة الثواب والعقاب ما هي — لا يقدم حتى يشك ، ولا يشك حتى يكفر ، وتتكرر الدورة فيشك ويكفر مرة ثانية وثالثة ولا يزال كذلك حتى يصير الـكفر عادة ممتزجة بدمه ولحمه فيشك في كل شيء ويكفر بكل شيء فينقم على كل شيء ويثور عليه ، وفي الثورة يتم كل شيء وفق الخطة المرسومة بكل سهولة .

أجل ! إن موات الأمم لا يحيـا إلا بروح الدين والعقيدة ، وإن ضعفها لا يقوم إلا بالاعتصام بروح الخلق والفضيلة ، وتاريخ الأحياء — منذ كان لحياة الأمم تاريخ — لم يتحول عن هذا المبدأ شعرة ، وتاريخ الأموات — منذ كان لموت الأمم تاريخ — لا يخلو من شك وكفر وفجور واستباحة وفوضى . ولهذا رأينا شعبا صغيرا كالشعب البريطاني لا يتميز عن أقرانه في العدد ولا في القوة ولا في الثروة ، ولـكنه استطـاع — بعد دراسته لنفسية الشعوب واستفادته من تجارب الآخرين في جميع العصور — أن ينتفع بهذا المبدأ في حالتي الإيجاب والسلب إلى أقصى ما يمكن أن يرقى إليه خيال : يحتل قارات بأسرها وشعوبا تكاد ترجح نصف المعمورة عددا بحيث لو ملأ كل رجل فيها كفه من تراب إنجلترا لـما وجدت مؤخرتهم أمامها غير مياه المانش وقد اتصلت بجليد القطب تملأ منها أكفها إن أرادت ألا تعود فارغة !

وأظننا — وقد بلغت هذه الإمبراطورية في الاتساع ما لم تبلغه أمة قبلها ولا بعدها حتى إنك لو سألت أحد أبنائها إلى أي الشعوب ينتسب لـما أجابك إلا مزهوا وقد رفع رأسه عاليا « أنا ابن الأمة التي لا تغرب الشمس عن أملاكها » وعاشت برغم هذا أطول عمر عاشته أمة في التاريخ بلغ مئين السنين — أظننا وتلك أمة هذه عظمتها وهذا شأنها لا نعجب إن رأينا برلمانها — وهو ما هو — يجتمع مرات مستدعيا رجال الدين والرأي من أطراف البلاد وأقاصيها مع الساسة لأن رواية خليعة تمثل على المسرح أو الشاشة وللبلد دين وتقاليد !

وعلى هدى إنجلترا تحاول الدول التي منها امتدت جرثومة الفساد إلى سائر البقاع والتي جاوزت جميع المقاييس في التهتك والفجور والإباحية والتفنن في ذلك إلى حد جعل بعض العقلاء يلقبها بمومس العالم أو مزبلة الرذيلة ، وفي اللحظة الأخيرة وجدنا هذه الدول تثوب إلى رشدها وترجع إلى الدين المرة الأولى منذ العصور الوسطى التي يقولون، لأنه المنقذ الوحيد من الشر الذي ثار غباره في الأفق . وليس ببعيد ذلك الذي صرح به الوزير الفرنسي الجديد يوم أن أشار إلى أن معظم الأزمات الاقتصادية والسياسية التي تعانيها فرنسا الآن إنما ترجع إلى الانهيار الخلقي واستشراء وباء الفسوق في تلك البلاد .

ولقد تجاوب صدى هذه الدعوة في دول أخرى مماثلة، ورأينا — ونحن نـكتب هذه السطور — إيطاليا نعم إيطاليا ، يقرر مجلس (شيوخها) إلغاء البغاء في جميع البلاد والإيطاليه بأغلبية مشرفة !

أجل ! تعود الأمم الأبية التي تريد الحياة الحرة إلى الدين منقذ الإنسانية الأمين لأنها أشرفت على الفناء ولا بد لها من ذلك طائعة أو مكرهة لأن الحياة أهم من كل اعتبار آخر .

وإن في هذه العودة وفي مناداة الشيوخ الإنجليز وأتباع الانجليز في أحرج أوقاتهم هذه إلى التمسك بذلك المبدأ لدرسا جليلا يلقيه أولئك الشيوخ الـكبار وهم أعرف الناس بسره . فهل تنتفع به الأمم الصغيرة وتستغله — لا في الحيز الضيق الذي يريد الشيوخ القضاء عليه وهو الشيوعية وحدها — ولـكن في الحيز العام الذي يشمل الشيوعية وغير الشيوعية من صور العدوان والاستعمار جميعا

نرجو ذلك كما نرجو أن تطفى نخوة السيادة ونزعة البقـــاء فينا على كل طمع أو تـكاسل أو نسيان !!!

ابراهيم البطراوي

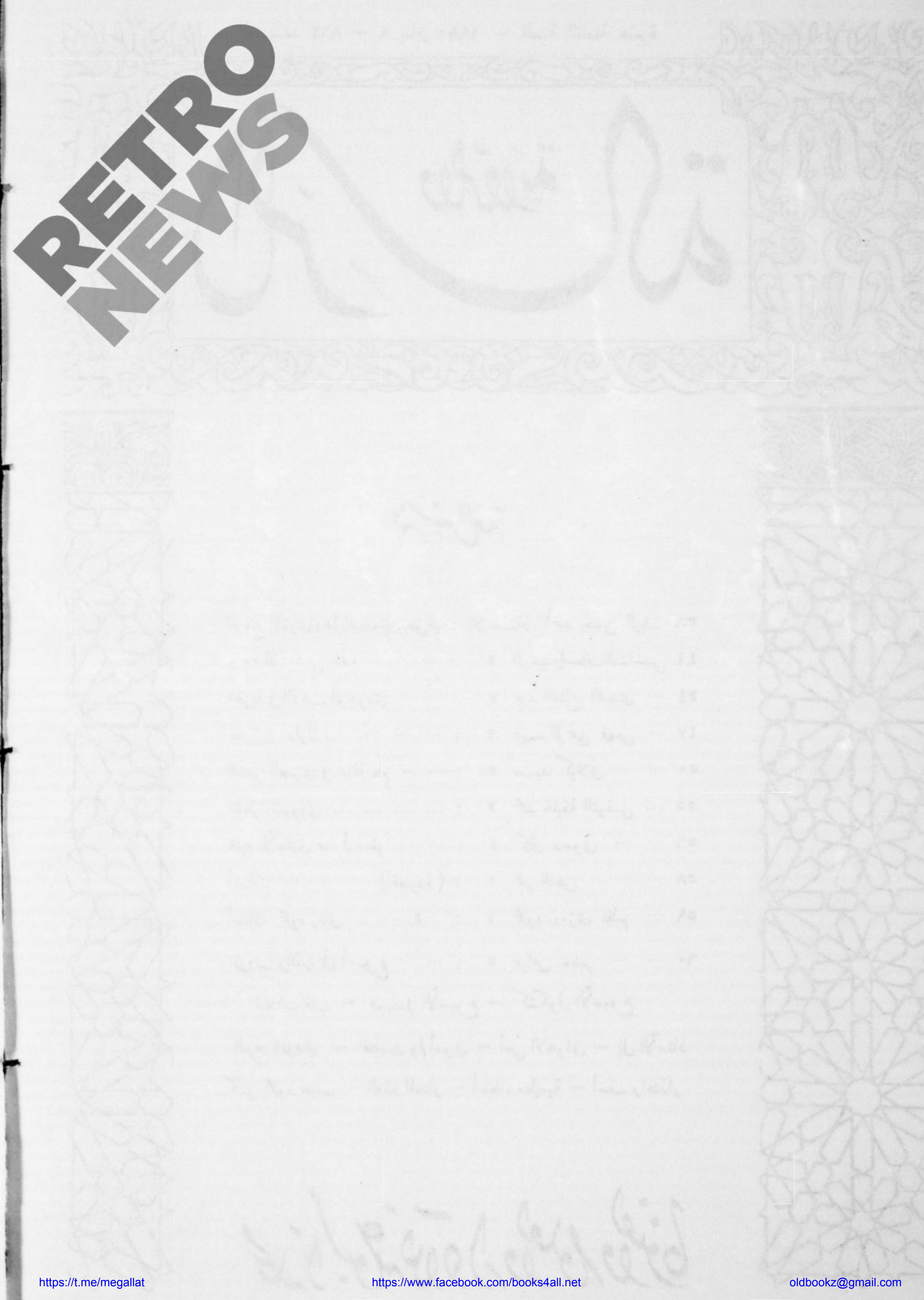


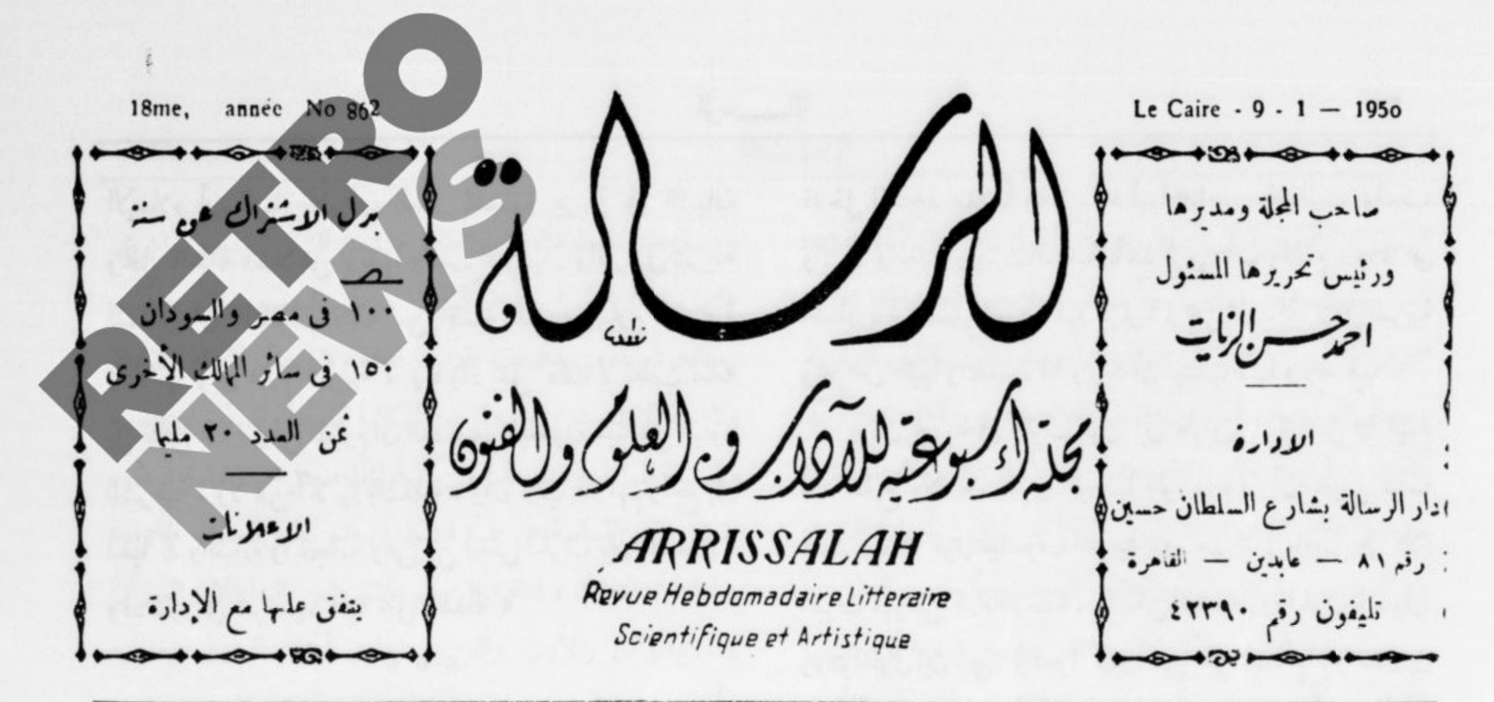
العـــدد ٨٦٢ — ٩ يناير ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٨٦٢ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٩ — ٩ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة»

الوضع اللغوي*

وهل للمحدثين حق فيه؟

يذكرني موضوع الوضع وهل للمحدثين حق فيه بطائفة من البديهيات كان المعلمون الطيبون يكلفون بها تلاميذهم، كفضائل العلم، ومحاسن الأدب، وفوائد الثياب، فيكتبها التلاميذ على أنها واجب يؤدى، ويقرأها المعلمون على أنها جمل تصحح. والواقع أني سألت نفسي حين اقترح علي هذا الموضوع: ما الفرق بين سؤالنا هل للمحدثين حق في الوضع وسؤالنا: من الذي يملك على التراث حق الانتفاع به وحق التصرف فيه؟ آلميت الذي ورَّث ثم غاص في أعماق العدم، أم الحي الذي ورث ولا يزال يضطرب في آفاق الوجود؟ أو سؤالنا: من الذي يملك أن يزيد في اللغة أو يهذب منها وهي وسيلة الفهم والإفهام؟ آللسان الذي سكت وبلى وانقطعت أسبابه بالحياة، أم اللسان الذي لا يزال يتحرك ويلغو ليسمى كل وليد تضعه القريحة، ويعبر عن كل جديد تخلقه الحضارة؟

أليست الأجوبة عن هذه الأسئلة هي من نوع ذلك الكلام الذي كان يمتحن به عبقريات الأطفال في سنيهم الأولى؟

إذن ما الذي سوغ أن يكون مثل هذا الموضوع من الموضوعات التي أقرها المجمع لتلقى في المؤتمر؟ سوغه أن الحق في الوضع اللغوي على وضوح الرأي فيه، كان عقبة من العقبات التي أقامها المجمع لنفسه بنفسه. وذلك أن المجمع وهو وحده السلطة التشريعية العليا للغة العربية يستطيع في حدود قواعدها الموضوعة وقوالبها الموروثة أن يزيد عليها وينقص منها ويغير فيها، ولكنه يعطل مختاراً هذه القدرة التي لم يؤتها غيره باستشارته القدماء في كل إصلاح لغوي يقترحه، وفي كل قرار نحوي يقره. واستشارة الماضين في شؤون الباقين مع تبدل الأحوال وتغير الأوضاع وتقدم العلوم وتفاوت العقول واختلاف المقاييس، تكون في أكثر الأحيان معطلة أو مضللة. فلو أن معالي رئيس المجمع استشارهم مثلا فيما ينقل من كتب أرسطو لقال له ابن فارس وهو من رجال القرن الرابع: «زعم ناس أن علوما كانت في القرون الأوائل والزمن المتقادم، وأنها درست وجددت منذ زمان قريب، وترجمت وأصلحت منقولة من لغة إلى لغة؛ وليس ما قالوا ببعيد، وإن كانت تلك العلوم بحمد الله وحسن توفيقه مرفوضة عندنا»

ولو أن معالي وزير المعارف استشارهم مثلا في البعثات التي يبعث بها في طلب العلم إلى أوربا وأمريكا لقال له الشيخ محمد عليش مفتي المالكية في أواخر القرن الثالث عشر في رسالته التي رد بها على عالم من علماء الجزائر أفتى بجواز لبس القبعة للطلاب المسلمين الذين يطلبون العلم في فرنسا ما نصه: «تقرر في شريعة

* نص المحاضرة التي القيت في مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية في جلسة ٢٦ ديسمبر الماضي

الإسلام أن السفر لأرض العدو للتجارة جرحة فى الشهادة ومخل بالعدالة فضلا عن توطنها وطلب العلم بها . والمقرر فى شريعة المسلمين أن المطلوب تعلمه من أقسام العلم ، العلوم الشرعية وآلاتها وهى علوم العربية ، وما زاد على ذلك لا يطلب تعلمه بل ينهى عنه . ومن المعلوم أن النصارى لا يعلمون شيئاً من العلوم الشرعية ، ولا من آلاتها بالكلية ، وأن غالب علومهم راجع إلى الحياكة والقبانة والحجامة وهى من أخس الحرف بين المسلمين ، وقد تقرر فى شريعتهم أنها تخل بالعدالة »

* * *

عرض المجمع الموقر لمسألة التعريب وهى مسألة حلها الشعر القديم والقرآن الكريم والسنة الصحيحة والدول المتعاقبة والطبيعة التى تنشىء الأمم بالتوالد والتجنس ، والحضارة التى تسد عوزها بالأخذ والاقتباس ؛ ولكن المجمع رأى مع كل أولئك أن يستفتى فيه المتقدمين ، فقالوا :

— لا يملك التعريب إلا من يملك الوضع

— ومن الذى يملك الوضع ؟

— يملكه العرب الذين يعتد بعربيتهم

— ومن هم العرب الذين يعتد بعربيتهم ؟

— هم قوم محصورون فى حدود معينة من المكان والزمان لا يتعدونها : حدودهم المكانية شبه جزيرة العرب على تفاوت بينهم فى درجات الفصاحة . وحدودهم الزمانية آخر المائة الثانية لعرب الأمصار ، وآخر المائة الرابعة لأعراب البوادى . هؤلاء هم الذين تنزل عليهم وحى اللغة ، وألهموا سر الوضع ، فكلامهم حجة ، وأقوالهم حكمة ، وصوابهم قاعدة ، وخطأهم شذوذ ، وضرورتهم مقبولة . .

— إذنْ من نكون نحن ؟

— طبقة مولدة فقدت أهلية الأصل فلا ترتجل ، وأضاعت مزية الفرع فلا تشتق . انما تتكلمون ما تحفظون . فإذا وقع لكم مالم يقع للعرب الخلص من الأعيان والمعانى فعبروا عنه بأى لسان تشاءون ولا شأن لنا به .

ولقد كان لنا أيها السادة غُنية عن هذه الفتوى بحكم الرسول صلوات الله عليه حين سمع أن منافقا نال من عروبة سلمان الفارسى فدخل المسجد مغضباً وقال : « أيها الناس ، إن الرب واحد ، والأب واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » ونحن بحمد الله نتكلم العربية ونحرص عليها ونتعصب لها ونريد أن نهذب منها ونزيد فيها .

وكان بحسبنا فى تزييف قول ابن فارس : « ليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه » قول فيلسوف العربية ابن جنى : (ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » ، ولكن القدماء رووا قول الرسول ؛ ووعوا قول ابن جنى ، وسمعوا كثيراً من نحو ذلك ، ثم ظلوا متبلدين يهابون الوضع ولا يقطعون فيه برأى . وإذا حاولنا أن نعلل هذا التبلد وتلك الهيبة كان أول ما يخطر فى الذهن تلك القداسة التى أسبغوها على اللغة العربية لصلتها الوثيقة بالدين ، فهى لغة القرآن والحديث ، وأداة التحدى والإعجاز ، ولسان الدعوة والخلافة ، فالعناية بها عناية بكلام الله ، والتعصب لها تعصب للغة الرسول ، ولذلك وضعوا النحو والصرف ، ورسموا النقط والشكل ، واستنبطوا المعانى والبيان ، وقطعوا بوادى الحجاز ونجد وتهامة ليسمعوا المناطق المختلفة ، ويجمعوا الألفاظ الغريبة ، فأخذوا أكثر ما أخذوا عن قبائل قيس وتميم وأسد ، وتحاموا الأخذ عن الأعراب الضاربين على التخوم الموبوءة بالعجمة ، وعن العرب المتصلين بالأجانب فى التجارة .

فعلوا ذلك ليدرأوا عن العربية شبهة العجمة ، ويبرئوها من تهمة الدخيل ، وظنوا أنهم استطاعوا ذلك فقالوا : ليس فى كتاب الله شىء من لغة العجم ، يتأولون بذلك قول الله تعالى « إنا جعلناه قرآناً عربياً » وقد جهدوا جهدهم فى التماس الأصول العربية لجميع الكلمات الأعجمية ، فجاءوا من ذلك بما لا يتفق مع فضلهم ، كقولهم فى الخندريس مثلا ، وهى تعريب خندروس باليونانية : « الخندريس : الخمر القديمة ، واشتقاقه من الخدرسة ولم تفسر ، أو من الخدر لأن شارب الخمر ربما أصيب به ، أو من الخرس لأنه فى حال السكر يصير كالأخرس !

وقد حاول مثل هـــذه المحاولة فقيد المجمع المرحوم الأب انستاس مارى الكرملى فكتب طائفة من الفصول فى مجلته (لغة العرب) بعنوان (العربية مفتاح اللغات) رد فيها كثيراً من

الـكلمات الأفرنجية إلى أصول عربية كقوله مثلا: إن كلة imbecile الفرنسية ومعناها الأحمق ، مأخوذة من الـكلمة العربية باقل العيى العربى المشهور، ويقول إن القاف فى العربية تكون كافا فى اللاتينية وسيناً فى الفرنسية ؛ فاذا رددناها إلى اللاتينية وجردناها من الزوائد كانت باكول أو باقل . وقد افتمل عليه أدباء الشام والعراق طرفا من مثل ذلك فزعموا أنه يقول إن (جرسون) أصلها العربى جار الصحون ؛ خففت الراء والصاد ثم حذفت الحاء لعسر النطق بها

ولقد غلا الأقدمون فى تقديس العربية حتى ادعوا أن واضعها الأول هو الله سبحانه ، محتجين بقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » وهى حجة لاتنهض بدعواهم إلا إذا ثبت أن الأسماء التى علمها الله آدم كانت عربية . والذين فندوا هذا الرأى وقالوا إن اللغة اصطلاح لاتوقيف ، أكبروا هذه اللغة عن أن يضعها الأعراب والأوشاب والعامة ، فتوهموا لها واضعاً لم يسموه ولم يعرّفوه ، وإنما تخيلوه منقطعاً فى خيمته للوضع ، كما ينقطع الناسك فى صومعته للعبادة ، فيذهب إليه الناس كما يذهبون اليوم إلى القصاب والبدال، يسألونه ما اسم هذا الشىء ، وما لفظ هـــذا المعنى ، فيجيبهم عما سألوا فيحفظونه وينشرونه . قال صاحب الخصائص : « إن واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها هجم بفكره على جميعها، ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفصيلها ؛ وعلم أنه لابد من رفض ما شنع تأليفه نحو هع وقج فنفاه عن نفسه » .

وقال صاحب المثل السائر : « حضر عندى رجل من علماء اليهود بالديار المصرية ، فجرى ذكر اللغات وأن اللغة العربية هى سيدة اللغات ، فقال اليهودى : وكيف لا تكون كذلك وإن واضعها تصرف فى جميع اللغات السالفة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف؛ فمن ذلك اسم الجمل ، فإنه عندنا فى اللسان العبرانى (كوميل) فجاء واضع اللغة العربية وحذف من الكلمة الثقل المستبشع وقال (جمل) ولقد صدق فى الذى ذكره » .

هذه القداسة أيهـا السادة التى كسبتها العربية من القرآن والحديث، أكسبتها هى أيضاً العرب وجزيرة العرب فى تلك الحقبة المحدودة . مصداق ذلك أن علماء المصرين البصرة والكوفة لم يدعوا فى البوادى العربية بقعة ولا صخرة ولا نبتة ولا حشرة ولا وجهاً من وجوه الأرض، ولا ظاهرة من ظواهر السماء ، إلا عرّفوها ووصفوها وسجلوها، ورووا ماقيل فيها من الشعر ، وقصوا ماجرى عليها من الوقائع ؛ ولم يتركوا من مناطق البدو ووسائل حياتهم ومظاهر اجتماعهم ومختلف عاداتهم لفظة ولا لهجة ولا حالة ولا أداة ولا لعبة إلا جمعوها ودونوها، حتى الكلمة الغريبة والعبارة المهجورة والصيغة المماتة، فاجتمع لهم من كل أولئك سجل محيط شامل فرضوه بفضل هذه القداسة على جميع المتكلمين بالعربية فى العصور الأربعة والقارات الثلاث ، فظلوا على رغم مابلغوه من السلطان والعمران والمدنية والعلم والأدب والفن يستعملون أمثال البدوى وصوره وأخيلته ومجازاته وتشبيهاته وكناياته، فيقولون مثلا : جاءوا على بكرة أبيهم، وألقى دلوك فى الدلاء ، وقلب له ظهر المجن، وضرب اليه أكباد الأبل، وركب إليه أكتاف الشدائد، واقتعد ظهور المكاره ، وانبت حبل الرجاء ، وضل رائد الأمل ، وهو شـديد الشكيمة ، وله غرر المكارم وحجولها، وإن حلمه أثبت من ثبير، وأوقر من رضوى، وأوسع من الدهناء . ولو ذهبت أستقصى هـذه الأوضاع وتلك التراكيب لما أبقيت فى المعجم إلا المصطلحات التى فرضها الدين ، والمعربات التى أقحمتها الحضارة .

ثم اعتقدوا أن اللغة قد كملت فى عهد الرواية كما كمل الدين فى عهد الرسالة، فختم الرواة السجل، وأغلق علماء اللغة باب الوضع، كما أغلق فقهاء السنة باب الاجتهاد ، وتركوا الأمة العربية التى امتد ملكها من الهند والصين شرقا إلى جبال بيرانس غربا ، تتعامل خارج البرصة ، وتتجاوز حدود المعجم ، كأنهم نسوا أن اللغة لايمكن أن تثبت ثبوت الدين، ولا أن تستقل استقلال الحى ، لأنها ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم؛ والأغراض لاتنتهى ، والمعانى لاتنفد ، والناس لايستطيعون أن يعيشوا خرساً وهم يرون الأغراض تتجـدد ، والمعانى تتولد ، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع ، والعلوم تطالبهم كل حين بمصطلح ، ولا علة لهذا الخرس إلا أن البدو المحصورين فى حدود الزمان والمكان لم يتنبأوا بحدوث هذه الأشياء ؛ ولم يضعوا لها مايناسبها من الأسماء :

ترتب أيها السادة على إغـلاق باب الوضع ، وتخصيص حكم القياس ، وتقييد حق التعريب ، وإنكار وجود المولد، وطرد الأمة العربية بأمرها خارج الحدود ، أن حدث أمران خطيران كان لهما أقبح الأثر وأبلغ الضرر فى كيان اللغة وحياة الأدب .

الأمر الأول طغيان اللغة العامية طغيانا جارفا حصر اللغة الفصحى في طبقات العلماء والأدباء والكتاب والشعراء، يكتبون بها للملوك، ويؤلفون فيها للخاصة؛ وسيطر على حياة الأمة في شؤونها العامة وأغراضها المختلفة؛ لأن العامية حرة تنبو على القيد، وطبيعية تنفر من الصنعة؛ فهي تقبل من كل إنسان، وتستمد من كل لغة، وتصوغ على كل قياس. وبذلك اتسعت دائرتها لكل ما استحدثته الحضارة من المفردات المولدة والمقتبسة في البيت والحديقة والسوق والمصنع والحقل. والناس في سبيل التفاهم يؤثرون السهل، ويستعملون الشائع، ويتناولون القريب. وتخلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجمود. والنهاية المحتومة لجمود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية عليها وحلولها محلها، إذ تكون بسبب مرونتها وتجددها، أدق تصويراً لأحوال المجتمع، وأوفى أداء لأغراض الناس. وهذا ما حدث للغة اليونانية القديمة حين خلفتها اليونانية الحديثة، وللاتينية حين ورثتها الفرنسية والإيطالية والأسبانية. وهذا ما كان يحدث حتما للعربية الفصحى لولا أنها لغة القرآن. واللغات السامية كما يقول (رينان) مدينة ببقائها للدين، فلولا اليهودية مابقيت العبرية، ولولا المسيحية ما عاشت السريانية، ولولا الإسلام ما حفظت العربية.

والأمر الآخر حرمان الفصحى كل ما وضعه المولدون من الألفاظ، وما اقتبسوه من الكلمات؛ لأن اللغويين الذين أقاموا أنفسهم على أسرار اللغة مقام الكهنة على أسرار الدين، أبوا أن يعترفوا بهذه الثروة اللفظية الضخمة لصدورها عمن لا يملك الوضع والتعريب بزعمهم، فحرموا اللغة موردا ثرا كان يقيها الجفاف والذبول، ويؤتيها النماء والخصب. ولولا أن العلماء والمترجمين — وجلهم من غير العرب — تجاهلوا أوامر اللغويين في الوضع والتعريب لما استطاعوا أن ينقلوا إلى العربية علوم الأولين من فرس ويونان وهنود ويهود، ولما قال أبو الريحان البيروني في العربية: «وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة. والهجو بالعربية أحب إلى من المدح بالفارسية».

وقد أدى احتقار اللغويين للغة المولدين إلى احتقار الأدباء لأدب العامة. فكما أن أولئك لم يدونوا في معجماتهم الكلام المولد، لم يدون هؤلاء في مؤلفاتهم الأدب الشعبي. ولو أنهم دونوا أحسن ما دار على الألسنة في جميع الطبقات والبيئات من الأمثال والحكم والمجازات والكنايات والطرف لوفروا للغة الفصحى وللأدب العالي مورداً لاينضب ومادة لاتنفد. فان العامة كانوا تسعة أعشار الأمة العربية وهي في أوج سلطانها، وأكثرهم أعقاب أمم مختلفة الجنسية والعقلية والعقيدة، دخلوا في دين الله أو عاشوا في كنفه، واتخذوا العربية العامية لغة لهم أودعوها معانيهم وتصوراتهم، وأفضوا إليها بأسرار لغاتهم؛ فكانت أمثالهم تسير، وأقاصيصهم تحكى، ومصطلحاتهم تنقل، ومواضعاتهم تذيع. فإذا كانت الفصحى نهراً تجمع من أمطار، فإن العامية بحر تجمع من أنهار. والنهر إذا أخلفه الغيث غاضت منابعه وجفت مجاريه، ولكن البحر إذا أخلفه رافد هنا أمدته روافد هناك.

ولست أذكر مزايا العامية لأهتف بها وأدعو إليها، وإنما ذكرتها لأقول إن سادتنا اللغويين وأدباءنا الأولين لو أنهم أزالوا هذا السد الذي جعلوه بين اللغتين لاكتسبت الفصحى من العامية السعة والمرونة والجدة، واكتسبت العامية من الفصحى السلامة والصيانة والسمو، ولكان لنا من تداخل اللغتين وتفاعلهما لغة واحدة تجمع بين محاسن هذه ومحاسن تلك. فأما مساوىء الفصحى أو عنجهيتها فتموت كما يموت الحوشي المهجور من كل لغة. وأما مساوىء العامية أو حثالتها فتبقى على الألسنة التي تستذيقها من الطبقات الدنيا وتكون هي اللغة العامية التي لابد منها في كل لغة من لغات العالم؛ ولكن بالنسبة القليلة التي لاتطغيها على الفصحى ولا تفرضها على الناس.

* * *

سادتي: إن حق المحدثين في الوضع مقرر بالطبيعة فلا مساغ للنزاع فيه. وإن الذين أنكروه لم ينكروه بقول يناقش ولاحجة تسمع. إنما قولهم فيه أشبه بقولهم في كتابة المصحف. فقد قالوا لابد أن نكتب القرآن بالرسم الذي كتب به في زمن عثمان، فنكتب الصلاة بالواو ونلفظها بالألف، ونكتب والسماء بنيناها بأيد بياءين ونلفظهما ياء واحدة، ونكتب لشيء بألف زائدة بين الشين والياء، وننطقها بدونها. ولو كان هذا الرسم موحى من الله على رسوله لآمنا به وحرصنا عليه، ولكنه من عمل

ترجمة النشاشيبي بقلمه

لما أصدر صديقنا الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي جريدته (البرهان) في طرابلس الشام سنة ١٩١١ واطلع عليها المرحوم إسعاف النشاشيبي، وكان يومئذ في طور اليفاعة، راسلها بالأخبار وواصلها بالمقالات، ولم يكن الاستاذ صاحب البرهان يعرف من أمره شيئا ، فكتب إليه يشكره ويسأله التعريف بأمره، فأجابه عن سؤاله بكتاب مسهب مؤرخ في جمادى الأولى سنة ١٣٣٠ وصف فيه من أمره ما كان يحسن طي ذكره في ذلك الحين ؛ أما اليوم وقد أصبحوا جميعاً في ذمة التاريخ فلا ضير إذا نشرناه تفصيلا لما أجملنا من أمره رحمه الله

سيدي وأستاذي

أقبل يدك الطاهرة . وأتضرع إلى الله أن يشدأزرك ، ويكون ردءك ، ويبلغك ما تسمو اليه نفسك ويطيل بقاءك ، فان ببقائك بقاء الفضل والعلم والآداب . وبعد فقد جاءني كتاب الأستاذ أعزه الله وقرأته فأنست من كرم أخلاق صاحبه ، وحدبه علي ، وشغل باله من أجلي ، ما شدهني وحيرني ، وما استعبدني للاستاذ واسترقني . فلله أنت يامولاي ، ولله أدبك ؛ يأمرني الأستاذ أن أفرش له دخيلتي ، وأوضح له أسباب شقاوتي . فانه رآني بكتبي اليه وبمقالاتي جميعها شقيا بائسا ، حرج الصدر ، ضيق النفس ، مضطربا . وها أنا أسرد على سيدي قصتي . وعلة غصتي ، مجملا ذلك إجمالا ، إذ أمر التفصيل يطول .

فاسمع حديثي فانه عجب   يضحك من شرحه وينتحب

إن سبب شقائي أدبي وأبي وأمي والمال . ذهبت منذ ١١ سنة إلى بيروت ، ودخلت مدرسة فيها ، وأقمت أربعة أعوام . ثم جئت والدي وقلت له إني لم أظفر في هذه المدرسة بما عنيته . فابعث بي إلى فرنسا أو سويسرا كي أتم ما ابتدأت به ، وكي أتحلى بالعلم والفضل . فأكون فخراً لك . فاستحقر هذا الوالد مطلوبي وأنكره . وأبى أن يوصلني إلى أمنيتي، وأراد أن أرى الدنيا بعينه وأنا لا أريد أن أراها إلا بعيني . وبغى أن أذر العلم وأدير أعماله وقراه . وبغيت أن أكمل تحصيلي، حتى إذا كمل اهتممت باشغاله . وقد قلت له أن غلاما صغيراً عمره (١٧) سنة ليس من العدل ولا العقل أن تميله عن الدرس وتقسره على العمل . فلم

قوم كانوا قريب عهد بالخط فوقع فيه الخطأ والنقص والإشكال . والغرض من كتابة القرآن أن نقرأه صحيحاً لنحفظه صحيحا ، فكيف نكتبه بالخطأ لنقرأه بالصواب ، وما الحكمة في أن نقيد كتاب الله بخط لا يكتب به اليوم أي كتاب ؟ وإذا احتجنا في دفع هذه الأقوال إلى غير الوجدان فلن يصح في الأذهان شيء كما يقول أبو الطيب .

بقي أن نعرف من هو المحدث الذي يملك حق الوضع . أهو فرد معين أو جماعة معينة كما كان يظن الأوائل، أم هو كل فرد وكل جماعة يتكلمون العربية وتدعوهم الحاجة إلى وضع اللفظ للمعنى الذي ولدوه ، وللشيء الذي أوجدوه؟ إن حق الوضع حق مطلق لا يتخصص بأحد ولا يتعلق بظرف، يملكه الفرد والجماعة، وتملكه الخاصة والعامة؛ فالعلماء يضعون مصطلحات العلوم، والرياضيون يضعون مصطلحات الرياضة ، والأطباء يضعون مصطلحات الطب ، والفقهاء يضعون مصطلحات الفقه ، كما أن الصناع يضعون لغة المصنع والورشة ، والزراع يضعون لغة الحقل والحظيرة ، والتجار يضعون لغة الدكان والسوق، ومجمعكم الموقر يشارك هؤلاء وأولئك في الوضع والتعريب، ويختص دونهم جميعا بالتسجيل والتصديق . فأيما كلمة توضع لا تدخل في اللغة قبل أن يسمها بميسمه ويدخلها في معجمه ؛ وبدون ذلك نقع فيما وقع الأولون فيه من تعدد الوضع في المرتجل واختلاف الصيغ في المشتق .

وإذا سمحتم أيها السادة أن أجمل لهذه الكلمة نتيجة إيجابية فإني أتقدم إلى معالي رئيس المجمع باقتراح يشمل أربعة أمور أرجو أن يأذن في عرضها عليكم لتمحصوها وتصدروا قراركم فيها :

١ — فتح باب الوضع على مصراعيه بوسائله المعروفة وهي الارتجال والاشتقاق والتجوز .

٢ — رد الاعتبار إلى المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة

٣ — إطلاق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه ، فان توقف القياس على السماع يبطل معناه .

٤ — إطلاق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة .

فإذا أقررتم هذا الاقتراح أيها السادة دفعتم معرة العدم والعقم عن هذه اللغة الكريمة التي سمعناها في القرن الخامس تصف ناقة طرفة فتسمي أعضاءها عضواً عضوا ، وتنعت أوضاعها وضعاً وضعا، في ٣٤ بيتاً من معلقته؛ ثم نراها في القرن العشرين تقف أمام سيارة فورد بكماء بلهاء، تشير ولا تسمي ، وتجمجم ولا تبين . وإني أشكر لكم يا سادتي حسن التفاتكم وكرم إصغائكم؛ والله يهدينا الطريق ويلهمنا التوفيق .

احمد حسن الزيات

يحفل بقولى ولا بمطلوبى . وأخذ يضغط على ويشد . ويريد أن يخلقنى بأخلاقه . وأنا كلما ازداد ضغطه ازداد عنادى . وإصرارى على رأيى . فأنا ووالدى منذ سبع سنين فى نضال وجدال ، وشغب وصخب ، بسبب هذا المشكل الذى لم يحل حتى يومنا هذا . ولوالدى بمقاومتى فى أمر العلم والأدب غير ذلك الضغط فصول مضحكة جدا منها أنه يذهب إلى الجرائد التى تنشر فى القدس ويافا فيتضرع إلى أصحابها ألا تنشر لى شيئاً . ومنها أن وكيل (الأهرام) جاءه سنة يطلب منه قيمة اشتراكه، فدفعها وقال له اقطعوا الجريدة. فسأله الوكيل لماذا ؟ قال لأنكم تنشرون لولدى كل ما يبعث به اليكم . ومنها أن فريقا ممن ظلم اليراع فى سوريا وفلسطين يجد خير طريق لنيل الشهرة أن يطعن فى ويسبنى . فإذا قرأ والدى ذلك يركض إلى ويقول : أنظر إلى نتيجة العلم والأدب ! ما نالنا منه إلا السب والشتم . ومن العجب أن الرجل متعلم متنور مطلع ، وهو من الأفذاذ فى هذا اللواء ، وممن يسعون فى نشر العلم . ويحضون الناس عليه ، وينفقون فى خدمته ما ينفقون . يريد أن ترتقى أولاد سواه ولا يريد أن يرتقى ولده الوحيد ، وجناه فى هذا العالم ! وإذا لامه بسبب ذلك أحد يقول له إن العلم طريق للمال . فإذا نال المرء المال وجب أن يلهو به عن سواه . وإنى كتبت لولدى من القرى والأملاك ما كتبت فيجب أن ينبذ ما هو فيه ويعكف على الشىء المفيد . وقد بينت لوالدى وللناس أن طلب العلم لا يعيقنى عن إدارة اشغالى . وإن من يضيف إلى المجد المالى والمجد النسبى المجد العلمى والأدبى لن يكون مجنوناً . وإن والدى يجب أن يحمد الله الذى شغلنى بهذا ولم يشغلنى بعشق الفتاة الفلانية الاسرائيلية أو المسيحية ، والانغماس فى الشهوات كما شغل سواى من أبناء السراة الأغنياء من عائلتى وغيرها الذين يعرفهم هو واحداً واحدا . كنت مع هذا الرجل فى مشكلة واحدة فأبى الشقاء إلا أن يعقبها بأختها . فأراد والدى منذ ثلاث سنين أن يتزوج امرأة أخرى (وهو فوق الستين)، فجاءنى وقال لى: ليس لى من ولد سواك . وإنى أخاف الحوادث (يعنى يخاف أن أفطس) فأريد أن أتزوج . فقلت له : تزوج أربعين امرأة . فهذا مما يسرنى . لكن ارفع ضغطك وشدتك عنى . فقد كدت تقتلنى . فلما تزوج أكبرت أمى عمله ، وأبت أن تسكن معه . فغادرت إكراما لها دار أبى واستأجرت بيتا حقيراً أو كوخاً . وسكنا معا . فأسخط هذا العمل أبى ، وأجبرنى على أن أعود وإياها فأبت وأبيت حذرا من الشقاق والصياح الذى يقع بين الضرائر (وسيدى سيد العارفين بأحوال المرأة والعائلة الاسلامية واضطرابها) . فازدادت حينئذ الشدة والمحنة حتى آثرت الانتحار (كنا فى مشكلة واحدة فصرنا فى اثنتين ؛ والآن يأتى ذكر الثالثة) . ولم يمض على ذلك سنة أو أقل حتى بدا لوالدى أن يطلب منى (وكالة عامة مطلقة) فى المحكمة الشرعية بأملاكى جميعها (وأملاكى هو الذى كتبها لى ، وأصل المال من الوالدة) فقلت : هذه هى الطامة الكبرى، ورفضت طلبه . عندئذ ازداد الضغط وازداد طغيان الوالد ؛ فتذبذبت بين أمرين إما الانتحار ، وإما السفر إلى أوروبا ومغادرة هذه البلاد . فبعت قطعة أرض لى بثمن قليل ليوصلنى إلى جنيف . ويكفينى سنة واحدة ثم قلت : يخلق الله مالا تعلمون . فلما علم بما أتيت عمل ما عمل

وكان ما كان مما لست أذكره فظن شراً ولا تسأل عن الخبر

فتركته حينئذ وقطعت كل علاقة به واجتزأت بعشر ليرات أنفقها على وعلى أمى . وقلت لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . وقد أحدث الله نصف أمر : فانتخب والدى مبعوثا . استفادت القدس بانتخاب والدى لأنها لن تجد خيراً منه على ما أظن، واستفدت أنا لأنه تركنى فاسترحت قليلا وتنفست . والحمد لله على كل حال . وهنا نكتة جميلة أذكرها لسيدى : لما فض مجلس المبعوثان اجتمع روحى بك الخالدى فى ناد فى الأستانة . فقال له أحد أصحابه : إنا نجد فى الجرائد ذكر اسعاف النشاشيبى من القدس كثيراً ونطالع له ما نطالع ، وأظنه يصلح للنيابة . فتبسم روحى من قوله . وقال إن اسعافا لم يجز له حتى الآن أن ينتخب المنتخب الثانوى فضلا عن أن ينتخب مبعوثا . هذا صحيح لكن إكراما لذلك الرجل فقد أرسلت والدى للمبعوثان بالنيابة عنى ... ...

هذه قصتى مع والدى أورسيل والد (ابن الزيات) الأديب الوزير . وهى مجملة كثيراً . ولو أردت التفصيل لطال الأمر جدا . ولا يظن سيدى أن والدى استأثر بهذه الخلائق الغريبة (وان كان قد سبق فيها غيره) فآباء الأسر (الشريفة) المساجدة فى هذه الطبائع سواء . و (كل تراه من أبيه شاكيا) غير أن ألم كل

واحد من الأنبياء بمقدار شعوره واحساسه وعقله .

يقول سيدى : الآن فهمنا قصتك فاسبب هذا الميل إلى (البرهان)(١) إذ لكل شيء في الكون سبب. فأجيب إن للاستاذ المغربي استيلاء على نفس (إسعاف) غريب لم يستوله أحد سواه والله . وقد كنت أطالع أقواله كلها على كرهي لقراءة أقوال المعاصرين . وأذكر أني اطلعت له في جريدة طرابلسية على فصل من كتابه (أحسن القصص) منذ تسعة أشهر أو أكثر أو أقل . وقد كنت قرأت التاريخ النبوى فى كتب جمة ، فلم أملك نفسى عن قراءة ذلك الفصل من أوله إلى آخره . ولقد وطنت النفس يوم سافرت إلى سوريا منذ سنتين على أن أحج إلى طرابلس لأرى فخرها . فحال دون ذلك مرض عراني وأنا في دمشق . وقد احتفى بي علماء دمشق وعلماء بيروت حين زيارتها احتفاء عظيما انساني أني أنا اسعاف : ذلك الغلام الصغير الحقير . ومن الذين غمروني باحسانهم وأكرموا مثواى الأستاذ البيطار والقاسمى وكرد على والشرتونى والبستاني وغيرهم؛ أكرموني وهم ، يعلمون كما علم الأستاذ أني أمى جاهل . لكن اتبعوا قول أديب خراسان في ذلك الزمان .

لا تعجبن من عراق رأيت له
بحراً من العلم أو كنزاً من الأدب
واعجب لمن ببلاد الجهل منشأه
إن كان يفرق بين الرأس والذنب

علم سيدى ميلى اليه قبل انشاء جريدته ؛ فلما صدر (البرهان) وجاءنى دون طلب منى ، ورأيته ينظر إلى الحالة السياسية كما أنظرها أنا — ارتحت اليه أى الارتياح ، وأنشأت تلك الكلمة ثم أردت أن أخدم (البرهان) بما يجب على فماق الذى عاق .

(أهم بأمر الحزم لو أستطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان

وكيف لا أجنح إلى خدمة أفضل جريدة فى سوريا لأكبر كاتب سورى ، وأنا أرى مثل جريدة المفيد (وهى كما يعلم سيدى ويعلم أصحابها) سخيفة لخفاء ، عامية لعوام ، يقدم لها المنتدى الأدبي فى الاستانة (٥٠٠) ليرا عثمانية . كما أخبرنى رئيس المنتدى نفسه يوم جاء القدس . وقد بينت له قدر الجريدة وقدر أصحابها فحوقل واسترجع . أنا يا سيدى لم أعتد مساعدة الجرائد ولا خدمتها . ولست مشتركا إلا بالبرهان وفى جريدة أخرى بيروتية كان صاحبها وكيلي أيام كنت فى بيروت . وأما باقى الجرائد التى تأتينى وهى قليلة فهى تقدمة من أصحابها . بيد أنى أود مساعدة (البرهان) وخدمته لأنى أهوى صاحبه . وأكبر دليل على أنى أهواه أن أطلعته على ما لم أطلع عليه أحدا ، وخاطبته فى رسائلى بحرية عظيمة بما لم أخاطب به أصحاب (الجريدة) و (الأهرام) وغيرهم ؛ بل لم يكن لى معهم علاقة ، ولم أكن مشتركا فى جرائدهم ولم تكن تأتينى .

الآن مل الأستاذ وضجر من حوادث اسعاف وحوادث تلماك وصاح : من أين جاءنا هذا القرد يسرد علينا مالا يهمنا وما لا يعنينا . حسبنا الله ونعم الوكيل على إسعاف وعلى فلسطين التى أخرجت هذا الولد . ولكن إذا علم أبي ولد (والولد لا يعاتب) خف سخطه على وربما خطر فى باله بعد قراءة ما قرأ أن ينشىء مقالتين : (المقالة الأولى) الآباء والأبناء وعدم اتباع الآباء هذه القاعدة (لا تقسروا أولادكم الخ) و (الثانية) فى أولاد السراة الأغنياء الذين أنعم الله عليهم فانغمسوا فى الشهوات ، وأعرضوا عن العلم والأدب مع أنهم أقدر الناس على تحصيلهما بما توفرت لهم الأسباب . فاذا عزم سيدى على كتابة ذلك فأتضرع اليه ألا يشير إلى وألا يجرى لى ذكراً ، فإن ذلك يضرنى ، كما أرجو ألا يطلع على هذا الكتاب سوى الأستاذ فإن فيه أسراراً عائلية كتمها واجب .

ولدكم

اسعاف النشاشيبى

(١) البرهان جريدة للاستاذ المغربى كان يصدرها فى طرابلس الشام قبيل الحرب الكبرى الأولى

٣٤٠٤

الحريه فى المذهب الوجودى

للاستاذ عبدالفتاح الديدي

الحرية فى المذهب الوجودى من أهم وأخطر نظرياته . ولعلنا نستطيع أن نصفها بأنها العمود الفقرى الذى تدور حوله كل فلسفات الوجوديين مهما اختلفوا بصدد المشكلات الأخرى . والفلسفة الوجودية إذ تنادى بهذه الفكرة إنما تريد أن تدع للانسان فرصة التفكير فى نفسه والرجوع إلى ذاته والاحتكام إلى رأيه الخاص فى كل مشكلة تعرض له وفى كل موقف يتخذه بمناسبة من المناسبات. فرد الإنسان إلى ذاته دائما عند إتيان الأفعال وإبراز الحركات فى الفلسفة الوجودية . ومن هنا تمحى كل آلية ويبقى الانسان محافظا على جدته وبكارته الأولى .

فالحرية بهذا المعنى تؤكد البدء دائماً ، وبالتالى هى الجسر الدائم من اللاوجود إلى الوجود ، من الإمكان الى الواقع الحى . وننبه هنا بهذه المناسبة إلى شىء فى غاية الأهميـة ، وهو أن الوجود الإنسانى فى حد ذاته لا يعد وجوداً ولا ينظر إليه بوصفه واقعاً ، وإنما هو إمكان مطلق. فمجرد وجودى أنا إمكانية فحسب لا تتحول ولا تصير وجوداً ولا تتجسم فى هيئة واقع إلا بعد أن أتحرك وبعد أن آتى جملة من الأفعـال . فهذه الحركات وتلك الأفعال هى التى يتوقف عليها الوجود الإنسانى الذى يكون حاصلا بالفعل . وما دام من المستحيل على كل إنسان أن يأتى أفعاله من غير ارتكان إلى نوع الاختيار أو قل ما دام كل عمل يصدر عن الإنسان هو تصرف مبنى على فكرة خاصة ، كان للحرية أكبر مقام فى نفس الإنسان وأخطر أثر فى حياته . وواضح أن قيمتها لا ترجع إلى أنها طريقة فى العمل ووسيلة إلى التأدية فقط ، وإنما ترجع إلى ضرورتها بالنسبة إلى الحياة بأكلها . فالحياة لا يمكن إلا أن تكون فعلا ، والوجود هو وجود العمل والحركة . اذ ماقيمة إنسان حى مغطى بالتراب فى باطن الأرض ما دام لا يقوى على العمل وإصدار الحركات وإتيان الأفعال ؟ أو قل إذا افترضنا وجود إنسان مغمض العينين ، ساكن الجسم ، لا يصحو ولا يتحرك ، ولا يؤذى ولا يطمع ، ولا يمرض ولا يموت ، ولا يتمنى ولا يطالب ... إلى آخر هذه الصفات الإنسانية ؛ فهل يمكن أن نطلق كلمة الإنسان على هذا المخلوق ؟ لا بطبيعة الحال ؛ لأن الوجود وجود خصائص معينة وارتباطات قائمة وأفعال ظاهرة وحوادث فى الخارج وليس مجرد وجود لأشياء وحاجات. فالوجود وجود أفعال، والأفعال لا تحدث بغير اختبار ، والاختيار قائم على إرادة حرة أو غير حرة ... وبذلك ندرك خطورة الحرية فى حياة الإنسان .

فالحرية على هذا النحو هى الفيصل بين وجود الإنسان وغير الإنسان ؛ بل إن الحرية هى الإنسان فى رأى سارتر . وإذا شئنا أن نبدأ بتحليل أولى لهذه الفكرة عنده فلا بد من الرجوع إليها فى تفرقة وضعها (هيدجر) أولا ثم توسع فيها جان بول سارتر بعد ذلك فى كتابه المسمى بالوجود والعدم. ففى هذا الكتاب ـ وهو بمثابة الانجيل فى الوجودية المعاصرة ـ يذهب سارتر إلى أن هناك نوعين من الوجود : وجود الإنسان وهو الوجود لذاته ، ووجود الأشياء وهو الوجود فى ذاته [1] .

والوجود لذاته ـ أى وجود الانسان ـ هو الوحيد الذى يمتاز بين قسمى الوجود حسب تفرقة سارتر فى خاصية التفريغ والإنقسام على نفسه بحيث يصير بعضه مقدما أو معطى أو حاضراً بالنسبة إلى بعضه الآخر . فوجود الإنسان يتكون عادة من فرعين ويحدث بين هذين الفرعين نوع من الإحالة المتبادلة وشىء من التكيف الظاهر . أما الوجود فى ذاته فلا يعرف الانقسام ولا يحدث فيه تجويف ولا يصيبه الفراغ . ولذلك نلاحظ أنه على الرغم من أنه كان يكون طبيعيا جـداً ظهور العدم فى طيات الوجود فى ذاته ، لا نـكاد نجد له أثرا هناك ولا نـكاد نعثر على شىء منه لديه ، وتفسير ذلك تبعاً لنظرة سارتر خاصة أن وجود الأشياء لا يعرف الزمن أولا ولا يدرك معنى الحرية ثانياً ، أما الإنسان فهو وحده الذى يستطيع أن يحس بالحرية وأن يشعر بمدلولها ويفهم المراد منها

وإذا تساءلنا عن السر الذى يجعل الإنسان من بين نوعى

---

(١) راجع عناصر هذه التفرقة وصفات كل من الطرفين فى مقالنا عن القصة فى المذهب الوجودى بمجلة الثقافة ، العدد (٥٤٣) بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٤٩ .

الوجود قادراً على استيعاب فكرة الحرية والتأثر بها فاننا نجده فى هذه الظاهرة البسيطة والغريبة فى آن معا وهى أن الإنسان وحده من بين نوعى الوجود يحتوى على ما نسميه فى الفلسفة بالعدم ؛ بل إن العدم يضرب فى بطن الوجود الإنسانى بحيث يستغرق كيانه بأجمه ، ويختلط بحياته على نحو يشعرنا بالرابطة الأصلية بين كل منهما . فالوجود بالنسبة إلى الإنسان خاصة عبارة عن إعدام كل ملامح (الوجود فى ذاته) فيه ، والتخلص من آثار الشيئية التى تداخل تركيبه(١) . وعملية الإعدام هذه إنما تأتى من جانبين أو تحصل من جهتين : أولهما أن الإنسان يحاول دائماً ألا يجعل المكان الأسمى فى نفسه للأشياء الجامدة التى يتركب منها ويسعى جهده من أجل السيطرة عليها وتسييرها حسب إرادته ومشيئته ، ولا يكون عبدا لها ، خاضعاً لما تقتضيه ظواهرها ، أعنى بذلك أن الإنسان مكون من مادة ؛ ولولا أن هذه المادة قد داخلت تركيب الإنسان لصارت فى نطاق القسم الثانى ، قسم الأشياء فى ذواتها ، ولذلك يحاول الإنسان ألا يجعل لها الأولوية فى تكوينه وأن يعدمها إعداما ليخرج فى النهاية بوجوده المعروف لدى البشر . وثانيهما أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يحس بالوجود ؛ وبالتالى هو الكائن الوحيد الذى يدرك معنى العدم ، لأن العدم على خلاف ما نظن أو يبدو لنا من أول وهلة لا يعرفه إلا الموجود الذى يشعر بأنه موجود ، لم يكن هناك عدم قبل الوجود ، بل الوجود هو الذى كان ، فكان العدم ، فنحن نعرف العدم لأننا وجدنا ولو لم نوجد لما عرفنا دلالته ولا أحسسنا بماهيته ، إذا فالوجود هو الأصل فى الاحساس بالعدم والاهتمام بأمره ، ولا عدم إلا بالوجود ، ومادام المعدوم معدوما فلا وجود هنالك ، ولا عدم أيضاً بناء على ذلك ، فالمعدوم لا يلم باسم العدم ولا يدل العدم عنده على شىء ، فالإنسان يوجد ، وساعة يوجد ينفذ إليه العدم ويخترق الصفوف نحوه ويبزغ أمامه فى عقله وفى شعوره ، ومن هنا نستطيع أن نقول عن العدم إنه وليد الوجود وإنه ناشىء عن حدوث ظاهرة الحياة .

والعدم النفسى هو الذى يهمنا إذا تكلمنا عن الوجود الإنسانى لأننا لا نستطيع أن نتكلم عن العدم الحقيقى ما دام لم يدخل حتى الآن فى تجربة واحد من البشر . وإذا شئنا تحديد مظاهره فاننا نستطيع أن نلمسها من ثلاث نواح :

أولا : من ناحية إعدام الماضى

ثانياً : من ناحية إعدام الممكنات

ثالثاً : من ناحية العدم الذى يفصل بين الوجود وما هو عليه وبين الوجود وما يصير اليه ، ومن هذه الأعدام الثلاثة سننتهى إلى الحرية وسنجد ثغرة ندخل منها إلى مفهوم الحرية كما ترد على لسان الوجوديين الملحدين خصوصاً

فمن الناحية الأولى نلاحظ أن وجودنا فى الحاضر لا معنى له إلا من حيث ارتباطه بسلسلة من الأفعال والحركات التى سبق أتيانها فى حياتنا والتى سبق إلحاقها بتاريخنا الخاص ، والعمل فى الحاضر إنما هو عمل من أجل إبعاد الحاضر وزحزحته عن مكانه وإسقاطه من دائرة الوجود . ولذلك نستطيع أن نحكم على كل فعل من الأفعال بأنه متوقف على انعدام ماسبق فعله وانهاء مرحلة من مراحل الحياة انهاء كلياً . فالحاضر متوقف على انقضاء الماضى . ويعتمد على الفراغ الذى يحدثه استبعاد جانب من الجوانب . ولكنك مع ذلك تحكم حريتك فى كل لحظة زمنية تمر بك وفى كل فترة تنقضى عليك ، ولا مناص من استخدام الحرية فى كل فعل من الأفعال التى تملن انقفال الماضى وتشييع أحداثه وحاجته ، فأنت فى كل لحظة تريد أن ترفع الماضى من طريقك لتضع جديداً وكلما أتيت على محاولة من هذا القبيل ، لإحلال الجديد محل القديم ، أضطررت اضطراراً إلى استعمال الحرية . وإلا فكيف يمكنك أن تأتى فعلا من الأفعال ؟ إن الإنسان بطبيعة تكوينه مضطر أن يكون حراً كما يقول سارتر ، بل إنه لا يملك الحرية فى ألا يكون حراً . وإذا تمثلت الحرية المقضى على الإنسان بها أو التى حملها الإنسان فى شىء من الأشياء فانما تتمثل فى الأفعال التى يأتيها والأعمال التى يندفع نحوها من أجل تحقيقها .

وترجع أهمية الماضى بالذات فى تقرير فكرة الحرية هاهنا إلى أنه الأصل فى التاريخ الذى يؤدى بدوره إلى نوع من الالتزام . فكما أن اعدام الماضى يتمثل فى قضاء فترة ، يتمثل كذلك فى تحطيم اللوازم ورفع الضوابط وإزالة القيود . فالماضى ضرورى من أجل سير الحاضر ومن أجل تهيئة الحرية بإيجاد نوع من الالتزام الذى لا توجد حرية بغيره ولا تتوفر إرادة بدونه . فالقيد أو

(١) سارتر : الوجود والعدم (ص ٥١٥ س ٨) طبعة جاليمار .

الالتزام ضرووى لايجاد الحرية لأن الحرية ستتضح من الوقوف وجها لوجه بإزاء هذا القيد وذاك الالتزام والعمل على رفعه ومحوه وإزالته بالثورة عليه . يقول سيمون فى تمليقه على هذه النقطة من فلسفة سارتر : ينبغى أن تنبعث الحرية الصحيحة فى الفعـل وفى التاريخ وهى لا توجد كذلك مادامت محتواة فى المشروع الذاتى للحكم والتأمل أيضاً ، أنها تفترض التزاما إذا . ولـكن الفسل ليس حرا تماما إلا إذا كان ثورة على قوى العالم . . . فالالتزام شرط ضرورى للتصرف الإنسانى الحر ، بيد أنه ليس شرطاً كافيا إن الشرط الـكافى هو الثورة التى هى روح للحرية . (١)

والإنسان بإزاء فعل من الأفعال (وهذا يتبع النقطة الثانية) يتخذ أسلوبا خاصا به وينتحى منحى لا يشاركه فيه سواه . قـد يكون هذا متمشيا مع ظروفه وتابعا لما تقتضيه مناسباته ولـكنه مع ذلك يقحم حريته إقحاما ويدخل إرادته إدخالا يتمثل فى عمليـة الاختيار : ويتخلل عملية الاختيار صعوبات كثيرة تشكك فى أمره وتشعرنا بضعف مركز الحرية إذا قيس إليهـا . ولـكن شيئا ما لا يجعلنا نؤمن بالحرية الإنسانية فى عملية الاختيار قدر ما تجعلنا هـذه الصعوبات نفسها نؤمن بها . لأن الحرية إنما تعرف بالحيلولة بينها وبين الوجود وبالعقبات التى تصادفها وبالموانع التى تبطـل عملها أكثر مما تعرف بالانسياب المطلق والارادة البريئة والاستقلال التام . إن الشعب المستعبد هو الذى يتحدث عن الحرية ، والعبيـد وحـده ، من بين خلق الله ، تجول بذهنـه فـكرة العمل الفردى والانتقاء البعيـد عن المؤثرات والرغبات الأخرى . ويقول سارتر نفسه فى مقال له بعنوان جمهورية الصمت فى الجزء الثالث من كتابه (المناسبات) الذى ظهر أخيرا : لم نـكن قط أكثر حرية مما كنا تحت ظل الاحتلال الألمانى حيث فقدنا كل حقوقنا وبالتالى فقدنا حق الـكلام، فقد كانوا يشتموننا فى وجوهنـا كل يوم ، وكان ينبغى علينـا أن نسكت . وكانوا ينفوننا جماعات جماعات كالعمال والمعتقلين السياسيين . وكنا نجد فى كل مكان ، على الحوائط وفى الصحف وفوق شاشة السينما ، تلك الوجوه القذرة الباهتة التى حاول مستعمرونا أن يعطوها لنا عن أنفسنا . وبسبب هذا كله كنا أحراراً .

أرأيت إذاً إلى هذه الحرية الغريبة عند سارتر . إنها تتوقف كما ترى على الحوائـل والموانع أكثر مما تتوقف على الانفـكاك والطلاقة . إنها حرية تنبنى على الوضـم القائم ولا تجنح إلى الخيـال. وتنبـع من صميم الوجود الحاضر المتمثـل فى الظواهر المحيطة والأشياء المجتمعة . لقـد سبق أن قلنا عن المعـدوم إنه لايعرف العدم وأن الميت لا يدرى قط معنى الموت ؛ أما الحى فهو عالم تماما بالموت ومدرك تماما لمدلوله ، وكذلك هنا نستطيع أن نقول عن الحرية إنها لا يعرفها إلا العبيد والمأسورون والمحاطون بالقيود والحواجز .

وهذه الحرية ، بالاضافة إلى ذلك، قائمة على أساس اختيار غاية من الغايات وانتقاء هدف من الاهداف . وبكلامنا فى هذا المنصر وتوضيحنا لهذا المعنى سنقرر أولا كيفية استـكمال ماقصـدناه فى النقطة الثانية ، وسنبدأ ثانيا بالحقـائق والشروح التى تتضمنهـا النقطة الثالثة . فأنا حين أختار غاية دون غيرها من الغايات آتى على فعل واضح كل الوضوح بالنسبة إلى وهو أننى قد آثرت شيئا على سواه . وينبغى أن نلاحـظ هنا ذلك الفارق الـكبير الموجود بين عملية الاختيار وبين عملية الانتقاء . فهذا الأخير عبارة عن تفضيل شىء بحكم فائدته المرجوة ونفعه المنتظر، وبحكم امتيازه من ناحية القيمة الـكامنة فيه واللذة التى تعود من ورائه على صاحب الشأن. أما الاختيار فلا ينصب على الافضل وإنما ينصب على الأوفق مهما كانت درجة انحطاطه وسخافته ومهما بلغ من التفـاهة فى أنظار الناس الاختيار برىء من الفرض وخال من المنفعة وقد يكون من ورائه ضرر أى ضرر . ولذلك نباعد بينه وبين التفضيل والانتقاء؛ ونذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إن الاختيار أكثر التصاقا بالحرية مادام ينبنى على أخطار أكثر وعلى مآزق أشد وعلى مجال أضيق. ثم إننى فى الاختيار بغير انتظار لمنفعة وبدون أمل فى كسب أنشد غاية من الغايات وألغى ماعداها . فأحس بأننى حددت من وجودى مرة واحدة بلا مقابل وانصرفت إلى جانب واحد أعيشه وأجلب ممكناته. وفى الوقت نفسه أعدمت بيدى سـواها من الغايات حيث لاضمين لى على حسن الاختيار ولا شفيع لي عندما تؤدى إلى أدنى وضع وأخس درجة .

---

(١) بيير ــ هنرى سيمون : الانسان فى التكوين ... طبعة سويسرا (ص ٦٨ س ١٨)

حسب النقطة الثانية نواجه الغايات فنعدمها إلا واحدة وفى هذه الفعلة نحن نحصر أنفسنا فى نطاق واحد ونعدم ماعداه. فتكون الحرية عند الاختيار متوقفة على العدم المتمثل فى عملية الاعدام هذه أى ذلك العدم الذى ينزل بساحة الغايات الأخرى التى لم يقع عليها الخيار . أما حسب النقطة الثالثة فنذهب بعيداً لننظر فى العدم الذى يحول بينى وبين تحقيق الغاية التى اخترتها . إن الدافع والفعل والغاية تكون لدى سارتر شيئا واحدا متصلا وتمد فى نظره كلا ملتحما . وهذا عادى جدا فى نظر الفيلسوف الذى لا يعترف بالتجزئة فى الشىء مادام من الممكن استكماله فى الزمن . إن الزمن حقيقة. يعمل الفيلسوف حسابها ولا يخشى من الحكم عليه بأنه ينظر فى أمور لا وجود لها . لقد كان أرسطو مهتما خصوصاً بالبحث فى العلة الغائية ولم يخش تقول القائلين ومزاعم الناقدين الوضعيين من أبناء العصر الحاضر . وكان يريد ألا ينظر إلى الوسائل إلا من خلال الغاية ولا يتطلع إلى الاجزاء إلا من نوافذ الكل المكتمل وإذا كان هذا دأبه فلا بد من الشعور بأن المستقبل على الرغم من أنه فى جوف العدم ، يحتوى على حقيقة وجودية هامة هى حقيقة الغاية التى نعمل على تحقيقها بالوسائل المختلفة والأدوات المتباينة . فالغاية ليست بمفردها ولا تقوم بمعزل عن الفعل والحافز فى فكرة الحرية تبعاً للنظرة الوجودية الفلسفية . ولكن لا يعنى ذلك أن الغاية موجودة وجوداً واقعياً ؛ إذ أن العدم يفصل بينها وبين الوجود الوقتى فى اللحظة الحاضرة . فالحرية عند سارتر تتعلق بالغاية ، والغاية بعيدة عن الواقع بقدر ما يبطلها العدم أو بقدر ما يرفضها الوجود ؛ وإذا تحققت صارت واقعاً وتمت الحرية . ولهذا تتصف الحرية بالخلق وتتصف باللامعقولية فى آن مما لاستحالة الوقوف على المستقبل بصورة أكيدة ولصعوبة التعرف الموثوق به على منبع الإمكانيات المتدفقة فى الوجود الثر .

وهكذا ننتهى من التخطيط التافيزيقى لفكرة الحرية حسبما تمثلت فى فلسفة سارتر خاصة وعند أضرابه من الوجوديين المحدثين. ولكن لهذه الفكرة فى المذهب الوجودى تخطيط آخر من الجانب الأخلاقى البحت سنحاول أن نبحثه فى مناسبة قادمة . وكل ما نتمناه هو أن نعطى صورة واضحة عن هذه الأصول الفلسفية لدى الغربيين حتى نستكمل مقوماتنا الروحية وحتى نضع الدليل الدامغ على أننا نستطيع أن نناقش ونستطيع أن نؤمن مهما كانت درجة الخطورة فى الأفكار المنقولة من شمس الأصيل فى فى حضارة الغرب .

عبد الفتاح الديدى

جــــان دارك

(١٤١٢ – ١٤٣١)

سيظل اسم جان دارك مقروناً بالإعجاب والدهشة إلى الأبد، لأن هذه الفتاة البسيطة أنفذت فى حياتها القصيرة عملا جليلا . يعد من معجزات الدهر . وهى بذاتها وحدة من عناصر العظامة، وقائدة حيث نسى معنى القيادة، وإلهام فى جيل انعدم فيه الإيمان ، ومنقذة لبلادها من وهدة الضياع .

وجان دارك رمز خالد للمحاربين الفرنسيين الذين عملوا همها على خلاص بلادهم من يد الإنجليز ، وهى للفرنسيين الوطن الذى له يحيون ومن أجله يموتون ، وهى فى نظر الإنجليز ليست أقل من ذلك . ويقترن الاحترام المطبوع فى نفس كل إنسان لجان دارك بالعار الذى لطخ الإنجليز به التاريخ بإحراق هذه الشهيدة القديسة ولا سيما إذا علمنا أن سبب إعدامها هو تخليص وطنها . ولتعجب عندما تعلم أن تسليمها إلى يد معذبيها كان بواسطة مواطنيها من أجل ثلاثين قطعة فضية بيعت بها .

وتتلخص قصة هذه البطلة فى أن فرنسا كانت تحت حكم الإنجليز ، وكان الملك فى عهدها معتوها يطلق عليه الفرنسيون (ملك البورج) تهكما وسخرية ؛ لأن منطقة البورج هى كل ما بقيت له مما ورثه عن آبائه العظام . وكان حال الأمن فى فرنسا على أسوأ ما يكون . فإلى جانب اعتداء جيش الاحتلال كان نهب قطاع الطرق وسلب اللصوص . وتعطلت الأعمال فى نصف الأراضى الفرنسية بما عليها من كنائس جميلة البناء وقرى مستقرة بزرعها وصناعاتها بينما كان ولى العهد محاطا ببطانته السيئة يحيا حياة فراغ وكسل وإهمال .

ومن هذه الصورة التى رسمتها لك قامت لنجدة فرنسا فتاة قروية لا شأن لها إلا رعاية أغنام أبيها وقطعانه ، أو تطريز أقمشة للكنيسة بمساعدة أمها . وكان قلبها ملآن بالورع والتقوى تتخيل وهى أمام القداس أنهارى الضوء المعكوس على زجاج نوافذ كنيسة دومرى الصغيرة كأنه نصر مزدهر للإيمان والوحى اللذين لم

تستطع أن تفهم كنههما بأ كثر من أنهما هبة من الله القدير .

وكانت عذراء دومرمى تستمع إلى قصص الحرب وأهوالها في أبنــاء وطنها وسلب أراضى بلادها ، وقوى أثر هـذه القصص فى نفسها فملأها قوة وحماسة . وتحول إيمانها الذى أكسبتها الكنيسة إياه إلى ما يشبه الوحى المنزل عليها من السماء . وتخيلت أنها ترى قديسين يزهون فى لباسهم الأبيض الناصع يغادونها أن خلصى فرنسا ، بل لقد أفزعتها يوماً أصوات تحدثها وهى منفردة فى حديقة دارها (يا ابنة الله ، إلى الأمام وأنا معك) . أنصتت لهذه الأصوات وهى مأخوذة خائفة ، وأصبحت تحيافى عالمين أحدهما بيتها والثانى السماء والقديسون والملائكة . واعتقدت أن الله يوحى إليها . وهكذا رسخت هذه العقيدة فى نفسها إلى آخر يوم فى حياتها .

ومن هذا الإيمان الغامض الذى لا يمكن تفسيره بانت معجزتها . ولسنا إزاء الحقائق التى حصلت على يدها بقادرين على انكارها ، فانهــا قلبت التاريخ رأسا على عقب . ولم تبلغ هذه العذراء سوى ست عشرة سنة عندما نهضت لخلاص فرنسا وتثبيت عرش ملك مزعزع وطرد الانجليز ومنح بلادها روحا جديدة جعلتها بين مصاف الدول الكبرى . وبدأت مخاطراتها العظيمة مسلحة بالإيمان بالله ، ولم يستطع أحد ارجاعها عن عزمها بل لم يجد غضب أبيها ولا اغراؤها ولا السخرية منها بل ولا حرمان الكنيسة شيئاً لردعها عن تصميمها ، وصرح لها أبوها بانه يفضل إغراقها فى نهر الميز على أن يراها تمتطى صهوة جواد بجانب الجند . وعند ما قابلت حاكم المدينة وطلبت اليه تقديمها إلى ولى العهد لتبليغه رسالتها طردها مشيعا إياها بالسخرية ، وعندما اجتمع الحاكم بعمها وقسيس الكنيسة تداولوا فى شأنها فلم يسع القديس إلا أن يطلب إلى الله أن يبعد عنها الأرواح الشريرة .

ولكن لله حكمه : يختار أبسط الأشياء ليحير به الألباب . وفى النهاية تم النصر لجان إزاء أصرارها ، فان حاكم فاكولير أرسلها مع جنديين إلى البلاط فى شبنوص مرتدية ملابس الفتيان ، وسافرت مع رفيقيها أحد عشر يوما فى طريق غير مأمونة ، فكانوا ينامون النهار ويسيرون الليل اجتنابا لمصادمة الفرق الانجليزية الجوالة ، ويخوضون الأنهار حتى لا يدخلوا المدن . وكانت تتمتم وهى سائرة (مهد الله السبيل إلى فاننى خلقت لهذا) حتى بلغوا البلاط حيث كان يقضى الملك شارل السابع أيامه وسط المهرجين والمنافقين .

وكانت جان ترى ان الملك الطيب هو الذى يكرس حياته لأسعاد بلاده ومع ذلك أرادت أن تثبت عرش شارل السابع وهو مجرد من كل فضيلة لأن تثبيته تثبيت للملكية وهى أساس نظام الحكم فى فرنسا

أرادت أن يخلص أمر فرنسا ليد ولى العهد ليسير بها إلى المجد عن طريق جديدة غير التى سلكها أبوه ، وأن يبدأ هـذه الطريق بتتويجه ملكا أمام جميع الفرنسيين ــ وبعد انتظار يومين مثلت بين يديه . ومما لاشك فيه ان هذه المقابلة كانت مثارا للغرابة والتسلية . وسارت العذراء القروية التى كانت تجهل كل من قابلتهم فى البلاط إلى حيث الملك وركعت أمامه وقالت مشيرة الى ولى العهد بارك الله فى حياتك • فابتسم ولى العهد وقال لها : لست أنا الملك ها هو جلالته • فاجابته • أيها الأمير الرقيق ، انك هو وليس غيرك ، أرسلنى اليك ملك السموات لأبشرك أنك ستتوج ملكا فى ريمس • ثم همست فى أذن الملك شارل بكلمات عدها فيما بعد برهانا ساطعا على ولائها وصدق الهامها :

كان الملك فى أول الأمر تحت تأثير عاملين : أحدهما نوع من الهيبة من هــذه الفتاة الغريبة التي جاءته وفيها قوة مقدسة ؛ والعامل الآخر هو السخرية والتهكم اللذان قابل بهما كل فرد مطالبها الغريبة . ولكن الأمر انتهى بانحياز الملك إليها وأعلن أن جلالته اقتنع بقداسة الفتاة وأنه قرر الانتفاع بها .

وكان الجيش الانجليزى محاصراً لأورليان وسادا الطريق إلى ريمس ؛ فكان أول أوامر الفتاة طرد الفصائل الإنجليزية من خطوطها ورفع الحصار . وأعطيت علماً أبيض ذهبياً مرسوماً عليه صورة المسيح فكانت طوال أوقات انتصاراتها تحمل هـذا العلم ، وأبى إليهـا بسيف لم تستخدمه مطلقاً من[وراء محراب تصورت أنه أوحى إليها به ؛ فكنت تراها صورة مقدسة فى لباسها الأبيض تجتاز على جوادها الطرق منتصرة كأنها رسالة الله إلى وطنها .

وتقرر تنصيبها قائدة على رأس الجيوش الملكية . وفى أبريل من

سنة ١٤٢٩؛ سارت بجيشها إلى أورليان حيث طلبت من الإنجليز — بأمر الله القاهر — مفاتيح المدن التى استولوا عليها عنوة واقتداراً ورجت منهم الخروج من البلاد ، وأعلنت فى حالة عدم تصديقها (أنها ستقيم ثورة فى البلاد لم تعرفها فرنسا منذ آلاف السنين) .

وسخر منها المتعصبون وأجابوا على طلبها بأن الأجدر بها الرجوع إلى مهنتها : حلب الأبقار ورعاية الأغنام . ولكن كان فى هذه الراعية إلى جانب إيمانها الثابت برسالتها صفة القيادة ، وكانت أكثر من مساعديها من القواد عرفاناً بالواجب الملقى على الجيش ، فاندفع الجنود والمتطوعون متأثرين بروحها فيهم إلى الحصون الإنجليزية واستولوا عليها وارتد الأعداء هاربين وقد انكسرت قوتهم ، وأزيل الحصار الذى لزم لإقامته سبعة أشهر فى ثمانية أيام؛ وأصبحت جان دوصرى بطلة أورليان .

أذيعت أخبار هذا النصر فى كافة أرجاء فرنسا ، وكانت لغرابتها غير مصدقة بل قوبلت فى البلاط بنوع من الخوف والريبة . ولما طلبت جان إلى ولى العهد أن يتبع الانتصار بالسير إلى ريمس أجاب بأن فى الوقت متسعا لهذا فردت عليه قائلة : تنبأت أنى (سوف لا أعيش غير سنة واحدة فاستغل وجودى) ولقد صدقت النبوءة فإنها لم تمش غير عام واحد وأى عام !! ففى طريقها إلى ريمس سلمت مدينة تروس بمجرد ظهورها أمام أبوابها ثم سقطت شالون. ولما كانت هذه المدينة لا تبعد إلا قليلا عن دومرى سار إليها جيرانها ليتأكدوا من صحة كل ما سمعوه عن عذرائهم .

ولم تستمر الغزوة أكثر من ستة أسابيع امتاز كل يوم فيها بالنصر المبين ، وركب شارل إلى ريمس حيث توج ملكا فى كنيستها ، رمز فرنسا الروحى — وركعت جان المنصورة أمامه صائحة وعيناها مغرورقتان بالدموع : (لقد تم ما أراده الله) .

ولو قدر لقصتها أن تنتهى إلى هذا الحد ؟ ولكن القدر فرض عليها أن لا تكون خاتمة بطولتها فى كنيسة ريمس بل فى كنيسة روان بعد سلسلة أثيمة من الغدر والهزيمة والفزع إذ حكم عليها بالموت الشنيع . وتفصيل الخبر أن جان قررت العودة إلى قريتها وفى يدها المكافأة الوحيدة التى طلبتها وهى إعفاء قريتها من الضرائب ولا تجد فى سجلات ضرائب مدن وقرى فرنسا أمام قرية دومرى إثباتا لدفع الضرائب مدة ثلثمائة وستين سنة .

إذن نجحت جان فى عملها . وحركت نشوة النصر فى نفوس قواد الجيش رغبة فى التوغل . وترددت جان لأول مرة منذ خروجها من قريتها فى قبول هذه الرغبة وتهيبت التوغل المطلوب فلقد أتمت ما أملاه عليها وجبها وهو لا يطرق صوته أذنها الآن ، إلا أنها واصلت الغزوات منهزمة تخليص باريس . وسلمت لها سواسون وكذلك شاتوفيرى . ومن الغريب المدهش أن الملك شارل الخبيث الذى قامت جان بهذه الأعمال من أجله عقد اتفاقاً سرياً مع أعدائه خان فيه جيشه ؛ ففى الوقت الذى كاد يتم فيه تخليص باريس استدعى قواده وترك جان وحيدة من غير معين .

حتى هذه اللحظة لم يستطع أعداء فرنسا هزيمة جان إلا أن إهمال الملك أياها غير من حظها فقد هبط ميزان الإخلاص لها ولكنها ظلت برغم هذا الغدر موالية للبلاط . ذهبت إلى كنيسة سانت دنيز وألقت عن نفسها لباسها الحربى وتركته على هيكل الكنيسة واندمجت فى البلاط مدة قصيرة مخلصة له فلما رأت أن لا محل لها به هجرته .

لا بل إنها مدت يد المساعدة مرة أخرى إلى هذا المخلوق المسكين الذى أهملها وهى التى توجته وذلك فى كامبين حيث حلت به ورطة كادت تفقده حياته فأسرعت إليه وألفت فصيلة للسعى إلى تخليصه . وفى أثناء هجوم غير منظم أحاط الأعداء بها فسقطت عن جوادها وقبض عليها ثم بيعت إلى الانجليز مقابل دراهم معدودة .

لم يمد أحد يده لنجدتها. نعم إن سكان المدن الذين خلصتهم بكوا من أجلها ولكن فرنسا الرسمية لم تحرك ساكنا بينما أشعلت باريس المشاعل وأخذ أهلها يغنون فرحين لأن جان قيدت بالسلاسل وأودعت قفصاً من حديد، وفى روان أخرجوها من قفصها وشدوها إلى عمود يحرسها الجند ليلا ونهاراً يتجسسون عليها ، ثم واجهوها فى كنيسة صغيرة فى معقل روان بقضاة عينوا لمحاكمتها.

وليس هناك انجليزى واحد لا تخجله هذه الصفحة من تاريخ انجلترا . ولو عذرنا الإنجليز فيما فعلوه بجان لأنها عدوة لهم يرون فيها ساحرة ذات دهاء وخبث وقوة وإصرار

فما الذى نقوله عن مواطنيها أنفسهم الذين تخلوا عنها وباعوها ثم قعدوا ساكنين لا يتحركون يشاهدون أدق فصل من فصول مآسى التاريخ كما يشاهد المتفرج قصة بسيطة على مسرح التمثيل ؟

وكان لا بد من محاكمة جان دارك بتهم وضعوها لها وأحاط بها القضاة كما تحيط الذئاب الكاسرة بالحمل الوديع مصممة على الفتك به. هددوها بالتعذيب وأمطروها وابلا من الأسئلة ولكنها رغم كل ذلك بقيت على انكارها للتهم التى كيلت لها .

وفى النهاية أخبروها انها لو وقعت على ورقة تقر فيها انها مذنبة قاتلة فانهم لا يحكمون عليها بالقتل، فأجابتهم متحدية انها لا تخضع لأمرهم ولو رأت النيران مهيأة لها – وأخيراً بعد ان ذاقت جان من العذاب أخذت المسكينة تستعطف قضاتها معلنة اليهم انها امرأة ضعيفة كسر قلبها طول العذاب والتهديد بالنيران . ولم يجد استعطافها شيئــاً أكثر من زيادة التعذيب فخضعت لهم بدافع حب الحياه وتأثرت بصياح الشعب فيها (هل تودين الموت ياجان ؟ ألا تنجين نفسك ؟) .

ووقف كوشون وفى يده ورقتان مخطوط عليهما جملتان أحداهما السجن المؤبد إذا خضعت لما طلب اليها؛ والثانية احراقها لو ظلت على انكارها. فلما قدمها اليها للتوقيع على إحداهما وقعت على الأولى وخط كاتب الجلسة وهو جيلبرت مانشون على هامش الورقة هذه الكلمات (وفى آخر الحكم قالت جان تحت تأثير الخوف من الاحراق بأن عليها اطاعة أوامر الكنيسة) .

حصلوا على مبتغاهم فأرسلوها موثقة إلى سجنها . فلما رأت نفسها وحيدة عاودتها شجاعتها فأعلنت أنها لم ترتكب أى جرم وإن كل ما قالته كان خوفا من النيران؛ إلا أن صراخها ذهب هباء وتقرر احراق العذراء البريئة التى كانوا يخشونها فى قلوبهم .

وتبع الجنود الانجليز العربة التى حملتها إلى السوق القديمة فى روان حيث أعدت لها النيران ، وصفت الكراسى على الأفريز جلس عليها الأساقفة لمشاهدة حفلة أحراقها وخطت هى اليهم طالبة صليبا إلا أن أحداً منهم لم يجرؤ على إعطائها إياه .

وأوقدت النار ، وتطلعت جان لآخر مرة إلى العالم الذى ملأته نصراً وإعجابا فظهرت وعليها مسحة نبيلة هى قوة مقدسة من وراء العالم وتخيلت انها تسمع الأصوات التى اعتادت سمــاعها تكلمها من قلب النيران وصاحت (قد كنت أظننى مخدوعة)

وهذه هى آخر جملة فاهت بهــا – وجمع أسقف وينشستر رفات جسدها المحروق ونثره فى نهر السين وحلقت روحهــا العظيمة فطمست عار الذين حولها وقسوتهم . وترى اليوم تمثال جان دارك الذهبى مواجها لأسقفية وينشستر فى كتدرائيتها وستظل إلى الأبد رمز المثابرة والوفاء والشجاعة النادرة وطهارة القلب – وإذا كانت قلوبنا تتفطر حسرة على نهاية هذه البطلة المحزنة إلا أن هذه النهاية تتوج من غير شك قصتها العجيبة .

عبد الرحمن فهمى

الشعر المصرى فى مائة عام

للأستاذ سيد كيلانى

الدور الأول

١٨٥٠ – ١٨٨٢

٣ – أساليبه والفاظه

كانت أساليب الشعر فى هذا الدور ضعيفة ركيكة مبتذلة ، وتراكيبه سقيمة تكاد تكون عامية . وذلك نتيجة لانحطاط الشعر فى الأجيال السابقة ، وبعد الشعراء عن دراسة آثار الفحول الذين ظهروا فى عصور الرقى وعهود الازدهار . ومن أمثلة هذا الضعف قول صالح مجدى :

واختص كلا بقانون فترجمه بسرعة وبيان واضح الكلم

فقوله « بسرعة » مما يجرى على ألسنة العامة .

وقول عبد الله فكرى :

وفى علم مولاى الكريم خلائقى قديما وحسبى شاهدا مخلصا برا

فعبارة « وفى علم » سوقية محضة .

وقال الليثى :

فإن مصابا حل قد حل وانقضى ونحن بما يأتى نسام ونشغل

فصدر هذا البيت مما تنطق به الدهماء .

وقول أبى النصر :

ومنى عليكم كل يوم تحية وسائرأحبابى الكرام ذوى المجد

كذا جلة الاخوان شرقا ومغربا متى سألوا عنى ولو أخلفوا وعدى

وهذا من كلام الأميين . والأمثلة على ذلك كثيرة يتبينها كل من رجع إلى دواوين هؤلاء الشعراء .

* * *

وترى كثيراً من تراكيب شعراء ذلك الدور مضطربة ، حتى أنك تجد مشقة فى قراءتها . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى :

كتابى توجه وجهة الساحة الكبرى . وكبر إذا وافيت واجتنب الكبرا

فالاضطراب ظاهر فى قوله « توجه وجهة » وفى قوله « الكبرى . وكبر . والكبرا » ولا شك فى أن الإنسان يتعثر فى تلاوة هذا البيت ويمل من ترديد الكلمات المتشابهة فى اللفظ .

وقول صالح مجدى :

سمت روضة الأنس الجمالية التى بها الصدر اسماعيل ذو الدولة اعتنى

والاضطراب فى البيت كله ظاهر لايحتاج إلى بيان .

وقول أبو النصر :

هو الشهم اسماعيل إن رمت وصفه تجده بجيد المجد واسطة العقد

فعبارة « تجده بجيد المجد » ينفر منها الذوق وهى من أثقل التراكيب على اللسان .

وقوله :

نرجوه إنجاز اصلاح الشؤون عسى يصفو به الملك دانيه وشاسعه

والضعف فى صدر البيت أظهر من أن يدل عليه .

وقول محمد سعيد :

وأقبل عيد العود بعد انتظاره يمن له العلياء بالأنس تفتر

* * *

وقد اشترك شعراء هذا الدور فى استخدام كلمات معينة . ومثال ذلك كلمة « شهم » التى وردت فى معظم قصائد المدح . قال رفاعة :

فى كفه سيفان سيف عناية والشهم ابراهيم سيف ثانى

وقال ابراهيم مرزوق :

ويبيد المدى بسطوة شهم لايباريه هاصر فى جلاد

وقال أبو النصر :

هو الشهم اسماعيل إن رمت وصفه تجده بجيد المجد واسطة العقد

وقال على فهمى :

والخديو المليك أول شهم بخطا حاضر المخاطر أنذر

وهكذا لم يجد الشعراء أمامهم غير هذه الكلمة مع أن اللغة العربية غنية بالمترادفات .

واشترك معظمهم فى استخدام تعابير خاصة ، مثل « وكيف لا » قال الليثى :

وكيف لا وخديو مصر ألبسها ثوبا من الطول مأمونا من القصر

وقال :

وكيف لا والخديو فيك قد سطعت أنوار آلائه الغــر الجسيمات

وقال على فهمى :

وكيف لا تتحلى بالمدامع أف واه روت عنه أيام الحياة حلى

وقال محمد سعيد :

وكيف لا وهو لما أن تداركها بالعدل لاشك صار الآن محييها

وقال صالح مجدى :

وكيف لا ومقالاتى أدلتها غنية فيك عن نص بتصديق

وعبارة « وكيف لا » كانت تستخدم بكثرة فى النثر فى ذلك الدور فانتقلت منه إلى الشعر وجرت على ألسنة الشعراء على نحو مابينا . وغنى عن البيان أن نقول إنها ليست من التعابير الشعرية .

* * *

وكانوا يكررون عبارة معينة فى جملة أبيات . ومثال ذلك قول محمد النجار :

واليوم ترفل فى ملابسها التى حسنت ويبسم ثغرها المتضوع

ثم كرر قوله « واليوم » فى سبعة أبيات :

وقال أحمد عبد الغنى :

ولا وقت الجلوس على القهاوى ولا وقت التغافل والتغابى

ثم ردد عبارة « ولا وقت » فى سبعة أبيات

وقال سليم رحمى :

حيث البرنسات والنظار قد شرفت
أقدارها بمقام منه محمــود
ثم أتى بكلمة « حيث » في خمسة أبيات

وقال ابراهيم مرزوق :

أبني أما الصبر عنك فما أمر لكن رضيت بما به المولى أمر

ثم ذكر عبارة « أبني » في خمسة أبيات

وهذا النوع من التكرار مقصود . وقد أتى الشاعر به طوعا واختياراً لأمر في نفسه . ولكن هناك نوع آخر من التكرار قد اضطر إليه شعراء هذا الدور اضطراراً ، وأرغموا على الوقوع فيه ، وذلك لإفلاسهم وخلو جعبتهم من المادة اللغوية . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى :

مشير صدق بحزم الرأى قد عرفت
أفكاره بين باديها وخافيها
لاتنثني عن صواب الرأى رغبته لرهبة كائناً ما كان داعيها

فذكر في البيت الأول « حزم الرأى » وفي البيت الثاني « صواب الرأى » فالظاهر أن الرجل لم يجد أمامه في هذا المقام غير كلمة «رأى» . وقد جاء بهذه الكلمة في مطلع القصيدة فقال :

رأى الخليفة فيه رأى حكمته وللملوك صواب في مرائيها
رآه أجدر أن يرعى رعيته وأن يقوم بما يرجوه راجيها

فهو بهذا قد استخدم كلمة واحدة في ثلاثة أبيات . وفضلا عن ذلك فإنه أتى بالفعل « رأى » وهو مشتق من الرأى وذكر كلمة «مرائى» وهي من نفس المادة . وكل هذا في قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتاً .

وقال أبو النصر :

فهو المليك الذى عمت مآثره وفائض الجود من جدواه إمداد
المفرد العلم الأسمى علا شرفاً وفاض بحر افكم ترجوه وراد
كالغيث جاد بما يغنى الأنام بلا من ، لجدواه انجاز وإيجاد

فاستخدم كلمتى «فائض» و «فاض» وهما من مادة واحدة . وكرر كلمة « جدوى » وأتى بالفعل « جاد » وهو من كلمة « الجود » المذكورة في البيت الأول وهذا ضعف لغوى لايحتاج إلى بيان .

واستخدم بعضهم كثيراً من الكلمات الفرنسية والتركية . ومثال ذلك قول صالح مجدى :

وعند صياح الديك قام مودعاً فقمنا وودعنا وقلنا له «مربى»

وقوله في وصف إحدى القلاع :

فكم بسنيون[1] ثابت الأصل محكم
يلوح بهاتيك الحصون المهمة

وقوله :

منه طوبجية[2] تبيت الأعادى من تعدى نيرانها في عديد
وكبورجية[3] لها كل فخر في جميع البقاع بين الجنود

وقوله :

والدودكجى[4] مع الترنبيت ناغا
ه البروجى وزال عنا صدود
وبعذب الألحان غنى الموسيـ ـقى فتاقت إلى غناه الكبود
وبذكر السعيد دندن فاشتا ق إلى مدحه البليغ المجيد
وأجابت « بجوق[5] يشا » في دعاها :
للخديو رعـــية وجـنود

وقوله :

وإذا الأوجبان[6] حلوا بأرض
لعدو ضاقت عليه الحـدود

وقوله :

والدراغون[7] في الميادين تزهو كزهور الرياض وهي أسود

واستخدموا كلمة « تياتر » الفرنسية فقال سلامة النجارى :

« تياترها » يبدى تواريخ من مضى
بحسن بيان لا يرام مناله

وأوردوا في شعرهم كلمة « بال » ومعناها الرقص . وبدلا من أن يقولوا « مرقص » قالوا « ملعب بال » .

قال رفاعة الطهطاوى :

---

(١) كلمة فرنسية معناها : مدفع
(٢) كلمة تركية معناها : المدفعية
(٣) « « « : مهندسو الكبارى
(٤) الدودكى ، والبروجى اسمان تركيان لرجال الموسيقى . والترنبيت اسم فرنسى لبعض آلات الموسيقى .
(٥) عبارة تركية بمعنى يعيش كثيراً
(٦) كلمة تركية بمعنى : الفرسان
(٧) كلمة فرنسية بمعنى : الفرسان

وملعب « بال » بالحسان منعم　　عيون غوانيه تغازل بالفتك

واستخدم رفاعة كلمة « سنيور » بدلا من السيد وذلك في قوله :

وكم من فتاة فيه سكرى بلا طلا
يراقصها « السنيور » لطفامع السبك

واستخدموا كلمة « فاربقة » وفوريقة . وأطلقوا على السفن البخارية اسم « وابور البحر » وعلى القطار اسم « وابور البر » واستعملوا « بريد كهربائي » للتلغراف . قال رفاعة .

وبريد　　كهربائي　　وحيه لمحة أعين

وأطلقوا على آلة تنقية المياه ورفعها إلى المنازل اسم « وابور المياه » قال رفاعة :

ووابورات ميـــــاه　　كجبال النار تدخن

وأرادوا أن يضعوا إسما يدل على توصيل المياه إلى المنازل . فاهتدى صالح مجدى إلى كلمة « تقاسيم » قال :

وأما تقاسيم المياه فنفعها　　عميم ومنها للعباد مراحم

وقد تخلص الليثى من هذا المأزق بقوله بعد أن ذكر بعض مظاهر الحضارة :

وسائل النيل يجرى فى شوارعها
له على كل باب أم تذليل

فاستخدم عبارة « سائل النيل » وبهذا حل الإشكال .
وأطلقوا على القضبان التي يسير عليها القطار اسم « أخاديد الحديد » و « طرق الحديد » قال صالح مجدى :
وقال :

أما أخاديد الحديد فإنها　　قد انتشرت للقطر فيها مغانم
وبصنعهاسكك الحديدمديدها　　أضحى لوافر نفعها ما أقصره

وقال على فهمى رفاعة :

علت بذا طرق الحديد فأطرق ال
ـوابور رأساً جد فى ارعاده

وقال أبو النصر :

وأمد بالطرق الحديد صعيده　　والسلك فى أخباره كل المنى

وأراد بالسلك « التلغراف » .
ويلاحظ أن كثيراً من هذه الكلمات كان يستخدم فى النثر ولم يجد الشعراء بداً من استخدامها فى الشعر بيد أن بعضهم رأى أنها تفسد النظم فتعصب ضدها ولم يذكرمنها شيئاً فى قصائده . ومن هؤلاء الساعاتى . وكان صالح مجدى وسلامة النجارى أكثر الشعراء إيرادا لمثل هذه الكلمات .

* * *

وكان من شعراء هذا الدور من يستخدم بعض الكلمات العامية . ومثال ذلك قول أحمد عبد الغنى :

ولاوقت الجلوس على القهاوى　　ولا وقت التغافل والتغابى

والصواب أن يقول « المقاهى » .

* * *

وقد حافظوا على ما ورثوه من الأجيال المتقدمة من الحرص على الصناعة اللفظية واستخدام البديع بأنواعه المختلفة ولا سيما الجناس والطباق ، وقد شاعت فى هـذا الدور التورية باسم الخديو « توفيق » ومثال ذلك قول الساعاتى :

بلغت « بتوفيق » العزيز مآربى　　فبالغت فى حسن الثناء تشكرا

وقول عبد الله فكرى يمدح اسماعيل ويشير إلى قانون الوراثة :

نهضت « بتوفيق » العلى ولم يزل　　بعينك عون الله فى حيثما تسرى

وقوله :

أمر أمير المؤمنين أعاره　　نظراً وأنظار الكبار كبار
فسرى به فى مصر من « توفيقه »
نور ومن بركاته أسرار

هذا ما يمكن أن يقال عن أساليب الشعر وألفاظه فى ذلك الدور .

(يتبع)　　**محمد سيد كيلانى**

الخطـــر اليهودي

بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء

للاستاذ محمد خليفة التونسى

البروتوكول الثالث :

أستطيع اليوم أن أوكد لكم أننا على قيد خطوات من هدفنا ، فلم تبق إلا مسافة قصيرة حتى تتم الأفعى الرمزية — شعار شعبنا — دورتها . وحينما تنغلق هذه الدائرة ستكون كل دول أوربا محصورة داخلها بأغلال لا تنكسر .

إن كل الموازين البنائية القائمة ستنهار سريعاً ؛ لأننا على الدوام نفقدها توازنها لكى نبليها بسرعة أكثر ، ونفسد تأثيرها .

لقد حسب الأمميون (غير اليهود) أن هذه الموازين قد صنعت ولها من القوة ما يكفى ، وتوقعوا منها أن تزن بدقة ، ولكن القوامين على الموازين — أى رؤساء الدول كما يقال — مكبوحون بأذنابهم، الذين لا فائدة لهم منهم ، مغمورون بعيداً — كما هو شأنهم — بقوة أذنابهم المطلقة على تدبير المكايد (والدسائس) بفضل المخاوف السائدة فى القصور .

وإذ أن الحاكم لم تكن له منافذ إلى قلوب رعيته — لم يستطع أن يحصن نفسه ضد مدبرى المكايد المتطلعين إلى السلطة ولقد فصلنا القوة المراقبة عن قوة الجمهور العمياء ، ففقدت القوتان معاً أهميتهما ، لأنهما حينما انفصلتا صارتا كأعمى فقد عصاه . ولكى نغرى المتطلعين إلى القوة بأن يسيئوا استعمال حقوقهم ألقينا العداوة بين القوى فأوقفنا كل قوة ضد غيرها ، بأن شجعنا ميولها التحررية نحو الاستقلال . وقد شجعنا كل مشروع فى هذا الاتجاه ، ووضعنا أسلحة مرعبة فى أيدى كل الأحزاب ، وجعلنا القوة هدف كل طموح إلى الرفعة . وأقمنا ميادين تشتجر فوقها الحروب الحزبية بلا ضوابط (ولا التزامات) ، وسرعان ما ستنطلق الفوضى ، وسيظهر الإفلاس فى كل مكان .

لقد مسخ الثرثارون الفلاتون المجالس البرلمانية والادارية مجالس للجدل . والصحفيون الجسورون وكتاب الرسائل الجريئون يهجمون هجوماً متوالياً على القوى الادارية ، وسوف يهيئ سوء استعمال القوة دون شك تفتت كل الأحزاب ، وسيخر كل شيء صريعاً تحت ضربات الشعب الهائج .

إن الناس مستعبدون ، فى عرق جباههم ، للفقر بأسلوب أفظع من قوانين رق الأرض ، فمن هذا الرق يستطيعون أن يحرروا أنفسهم بوسيلة أو بأخرى ، على حين أنه لا شيء يحررهم من طغيان الفقر المطبق . لقد حرصنا أن نقحم حقوقاً للهيئات خيالية محضة ، فان كل ما يسمى (حقوق البشر) لا وجود له إلا فى المثل التى لا يمكن تطبيقها عمليا . ماذا يفيد عاملا أجيراً قد حنى العمل الشاق ظهره ، وضاق بقضائه — أن يظفر ثرثارة بحق نشر أى نوع من التفاهات ؟ ماذا ينفع الدستور العمال الاجراء إذا هم لم يظفروا منه بفائدة غير الفضلات التى نطرحها عليهم من موائدنا جزاء أصواتهم لانتخاب وكلائنا ؟

إن الحقوق الشعبية سخرية من الفقير ، فان ضرورات العمل اليومى تمنعه أن يظفر بأى فائدة على شاكلة هذه الحقوق ، وكل عملها أن تنأى به عن الأجور المحددة المستمرة ، وتجعله يعتمد على الاضرابات والمخدومين والزملاء . وتحت حمايتنا أباد الشعب الارستقراطية التى عضدت الناس وحمتهم من أجل منفعتهم الخاصة ، وهذه المنفعة لن تنفصل عن سعادة الشعب . والآن بعد أن حطم الناس امتيازات الارستقراطية — يقعون تحت نير الماكرين من المستغلين والأغنياء المحدثين .

إننا نقصد أن نتظاهر كما لو كنا محررى العامل ، جئنا لنحرره من هذا الظلم ، حينما ننصحه أن يلتحق بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين ، ونحن ، على الدوام نحتضن الشيوعية ونعززها متظاهرين بأننا نساعد العامل طوعاً لمبدأ الاخاء والمصلحة العامة للانسانية ، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية (غير اليهودية) . وإن الارستقراطية الذين من حقهم مقاسمة الطبقات العاملة عملها قد أفادهم فى هذه الحال نفسها أن هذه الطبقات طيبة الغذاء ، جيدة الصحة ، قوية الأجسام . وفائدتنا نحن فى عكس ذلك ، أى فى ذبول الأمميين (غير اليهود) ، فان قوتنا تكمن فى أن يبقى العامل فى فقر ومرض دائمين ، لأننا

بذلك نبقيه عبداً لارادتنا ، ولن يجد فيمن يحيطون به قوة ولا عزما للوقوف ضدنا . إن الجوع سيخول رأس المال حقوقاً على العامل أكثر مما تستطيع سلطة الحاكم الشرعية أن تخول الأرستقراطية من الحقوق

اننا نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر ، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نجتاح بها جانباً أولئك الذين يصدوننا عن سبيلنا

وحين يأتي تتويج حاكمنا العالمي سنعتصم بهـذه الوسائـل كيما نحطم كل شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا .

لم يعد الأمميون (غير اليهود) قادرين بعد على التفكير دون مساعدتنا في مسائل العلم . وهذا هو السبب في أنهم لا يدركون الضرورة الحيوية لأشياء خاصة سنمسك عن الإشارة إليها حتى تأتي ساعتنا ، تلك أن الحق الوحيد بين كل العلوم وأعظمها قدرا هو ما يجب أن يعلم في المدارس ، وذلك هو علم حياة الإنسان وعلم الأحوال الاجتماعيـة ، وكلاهما يلتزمان تقسيم العمـل ، ومن ثم تصنيف الناس فئات وطبقات . وإنه لحتم أن كل إنسان سيعرف أن المساواة الحقة لا يمكن أن تـكون ؛ ومنشأ ذلك اختلاف الطبائع لأنواع العمل المتباينة ؛ وأولئك الذين يعملون بأسلوب يضر فئة كاملة تقع عليهم مسؤوليـــة أمام القانون تختلف عن مسؤولية من يقترفون جريمة تؤثر في شرفهم الشخصي فحسب . إن علم الأحوال الاجتماعيـة الصحيح الذي لا نفشي إلى الأمميين (غير اليهود) أسراره ـ سيقنع العـالم أن الحرف والأشغال يجب أن تحصر في فئات خاصة كي لا تسبب متاعب إنسانية تنجم عن تعليم لا يجاري العمل الذي يدعى الأفراد إلى القيام به . وإذا ما درس الناس هـذا العـــلم فسوف يخضعون بمحض إرادتهم للقوى الحاكمة وهيئات الحكومة التي نظمتها . والجمهور في ظل الأحوال الحاضرة للعـلم ، والنهج الذي سمحنا لهم بانتهاجـه ـ يؤمنون عن عمى بالكلمات المطبوعة ، والأوهام الخاطئة التي أوصينا إليهم بها كما يجب ، وهي تنقل البغضاء إلى كل الطبقات التي تظن أنها أعلى مما تكون لأنها لا تفهم كفاية كل طائفة . وهذه البغضاء ستصير أشد مضاء حيث تـكون الأزمات الاقتصادية مستحكمة ، لأنها حينئذ ستعطل الأسواق والإنتاج . وسنخلق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التي في متناولنا ، وبمساعدة الذهب الذي هو كله في أيدينا . وسنقذف إلى الشوارع بجموع جرارة من العمال في أوربا دفعة واحدة ، وستقذف هـذه الـكتل بأنفسها إلينا في ابتهاج ، وتسفك دماء أولئك الذين من أجل غفلتها ، تحمل لهم البغضاء منذ الطفولة ، وستكون قادرة على نهب مالهم من ممتلـكات .

ولن تستطيع أن تضرنا ، لأن لحظة الهجوم ستكون معروفة لدينا ، وسنتخذ كل الاحتياطات لحماية مصالحنا .

لقد أقنعنا الأميين أن مذهب التحررية liberalism سيؤدي بهم إلى مملـكة العقل . وسيكون استبدادنا من هـذه الطبيعة ، لأنه سيكون في موضع يمكنه من أن يقمع كل الثورات ؛ وأن يستأصل بالعنف اللازم كل فـكرة تحررية من كل الهيئات .

حينما لاحظ الجمهور أنه قد أعطى كل أنواع الحقوق باسم الحرية تصور نفســـه أنه السيد ، وحاول أن يفرض القوة . والجمهور كـكل أعمى سواء ـ قد صادف بالضرورة عقبات لا تحصى ، وإذا لم يرغب في الرجوع إلى المنهج régime السابق ـ وضع قوته تحت أقدامنا . أذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (العظمى) ؛ إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا معرفة جيدة ، لأنها من عمل أيدينا . ومنذ ذلك الحين ونحن نقود الأمم قدما من خيبة إلى خيبة ، فـكان من ذلك أن نبذونا ، من أجل الملك الطاغية من دم صهيون ، وهو الذي نعده لحـكم العالم

إننا اليوم كقوة دولية ـ فوق التناول ، فلو أن حكومة أممية « غير يهودية » هاجمتنا لقامت بنصرنا أخريات .

إن المسيحيين من الناس ، في خستهم الفاحشة ، ليساعدوننا على استقلالنا وحريتنا حين يخرون أمام القوة ساجدين ، وحين لا يرثون للضعف ، ولا يرحمون في معالجة الأخطاء ، ويتساهلون في الجرائم ، وحين يرفضون أن يتبينوا متناقضات الحرية ، وحين يكونون صابرين إلى درجة الاستشهاد في تحمل قسوة الاستبداد الفاجر .

إنهم ليتحملون على أيدي دكتاتوريهم الحاليين من رؤساء الوزراء والوزراء إساءات كانوا يقتلون من أجل أصغرها عشرين ملكا .

فكيف بيان حال هـذه المسائل ؟ ولمـاذا تـكون الجماعات غير منطقية هكذا في نظرها إلى الحوادث ؟

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية :

غاية الأخلاق عند أرسطو

للاستاذ كمال دسوقي

ما أسعد طلاب المسابقة بمقرراتهم هذا العام ! فكلها — أو معظمها — من الكتب العامة ، الهامة في الوقت نفسه ، في عداد المراجع الفلسفية : الدراسات حولها كثيرة ، والشروح والكتابات وافية غزيرة ، وما على الطالب إلا أن يلقى بنفسه في لجتها ليستوعبها .

والكتب التحريرية — التي هي مجالنا في هذه المقالات حتى يوم الامتحان — من عيون الكتب الفلسفية كل في ناحيته، الأخلاق والعقائد ، فضلا عن أن كليهما لأحد مشاهير الفلاسفة عند اليونان وعند العرب ، إن لم نقل إنه لأشهر فيلسوف يوناني وعربي على الإطلاق .

ولنبدأ أولا بأرسطو في « أخلاقه » النيقوماخية .

نتناول الفيلسوف أولا ، ثم نعمد إلى تحليل الكتاب ، خصوصاً الجزء المقرر منه .

والمراجع العربية التي يمكن أن تفيد في الأحاطة بحياة الفيلسوف اليوناني ومذهبه — إذ يجب ألا نقتطع نظرية الخير من الأخلاق الأرسطية ، ولا الأخلاق ذاتها من جملة المذهب الأرسططالي — أقول هذه المراجع العربية كثيرة ، وإن كان يجب قراءتها بحذر وحيطة ، والبدء باستيعاب النص المطلوب دراسته ، ثم التنقيب بالشروح والتواليف الواردة حوله ، وأخيراً وضعه في مكانه من الهيكل العام لفلسفة أرسطو ؛ حتى لا يكون لهذه الكتب التفسيرية خطرها ومصادرتها على فكر الدارس ألا يكون له رأيه ووجهة نظره الخاصة . وهو أهم ما يجب أن أن يحرص عليه طالب المسابقة .

ذلك — أيها الطالب النجيب — أن المسابقة سبق ، ولا يحوز قصب السبق إلا الباسل المغوار الذي يجول بين الآراء ويصول ، ثم لا يعدم — حين لا يكون له رأي خاص مستقل — ألا يفرق بين مختلف الآراء ، فهد نفسك لهذه الغاية النبيلة وهذا الفوز الكريم ، ففي السباق يقاس بالأنف ، وليس أجل في الحياة من لذة النصر ...

أبدأ بقراءة النص المطلوب إليك دراسته ، ثم أعد قراءته مرة ومرات ، فسترى أنك في كل مرة تعيد القراءة تكشف من أمره جديداً ، وتفهم أكثر من ذي قبل ، (واستعن) واستعن على فهم أرسطو بالتعليقات التي ذيل بها المترجم الفرنسي صفحات ترجمته ، وهي المنقولة بين يديك إلى العربية ، وأحمد معي — في هذا المقام — هذا الجهد الرائع المخلص الذي بذله — وما يزال يبذله — إمام الجيل وأبو الفلسفة أستاذنا لطفي السيد باشا في إخراج تراث أرسطو الفلسفي إلى العربية هذا الاخراج الجبار ، الذي تعرضه دار الكتب المصرية في أجمل ثوب وأكمل صورة ، فتجتمع له عظمة المادة والصورة ، كما ترى في الكتاب الذي تقلب صفحاته ، وهو واحد من جملة أسفار بعضها في ضعف حجمه ، هي أهم ما لأرسطو من كتب : فالى جانب الكتاب

السبب أن المستبدين يقنعون الناس على أيدي وكلائهم بأنهم إن أساءوا استعمال قوتهم ونكبوا الدولة فما أجريت هذه الملكية إلا لعلة سامية ، أي لبلوغ النجاح من أجل الشعب ، ومن أجل الأخاء والوحدة والمساواة الدولية .

ومن المؤكد أنهم يقولون إن هذا الاتحاد لا يمكن بلوغه إلا تحت حكمنا فحسب ، ولهذا نرى الشعب يتهم البريء والمجرم ، مقتنعا بأنه يستطيع دائما أن يفعل مايشاء ، ومن أجل هذه الحالة العقلية يحطم الرعاع كل تماسك ، ويخلقون الفوضى في كل شعبة وكل ركن . إن كلمة الحرية تزج بالمجتمع في عراك مع كل القوى حتى قوة الطبيعة وقوة الله . ولذلك كان السبب في أنه ـ حين نستحوذ على القوة ـ يجب علينا أن نمحق كلمة « الحرية » من قاموس الإنسانية كأنها رمز القوة الوحشية التي تمسخ الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء . ولكن يجب أن نركز في عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق في النوم حينما تشبع من الدم ، وحينئذ يكون من اليسير أن نسحرها ونستعبدها . إنها إن لم تعط الدم فلن تنام ، بل سيقاتل بعضها بعضا .

محمد خليفة التونسي

الثانى فى الأخلاق المتمم لهذا ، ثمة كتاب الطبيعة ، وكتاب الكون والفساد ، وتحت الطبع الآن كتاب السياسة الكبير ، كان الرجل — أطال الله بقاءه — يعمل فيه وهو وزير للخارجية يضطلع بمذكرات المفاوضات ونيابة رياسة مجلس الوزراء فى عهد وزارة صدقى باشا ولورد استانسجيت ، أفترون إخلاصاً للعلم واستغراقاً فيه أروع وأبلغ من هذا ؟ أليس لكم فى ذلك أسوة حسنة ؟

ربما يؤخذ على هذا العمل العلمى الجبار مأخذ واحد ، وهو أنه — على إخلاصه وأمانة النقل وحسن الأداء فيه — قد ظهرت ترجمتان فرنسيتان أدق من تلك التى نقل هو عنها . وما ذنب الكاتب الذى كان يترجم منذ ١٩٢٠ ألا يتنبأ بما سيظهر بعدئذ من الترجمات لبعض كتب متفرقة ؟ وهل ينبغى — انتظاراً للأحسن والأكمل — أن نقف عاجزين لا ننقل إلى لغتنا تراث الفكر الغربى وأرسطو خصوصاً ؟ إن ترجمة كتب أرسطو التى قام بها معالى لطفى باشا عمل جليل لا يحدث مرة فى كل قرن ، فلا ضير عليه أن يقال فيه ما يقال — فللعامل أن يعمل وينتج ، وللعاجز أن يقف جامداً ، ثم لا يملك إلا أن ينقد فالهدم أيسر من التأسيس والبناء .

ويشاء الله إنصافاً لصاحب هذه المهمة الجليلة أن يقفى على آثار المترجم الفرنسى بصاحبه المصرى فيما ولى كلاهما من أمور الأستاذية وشئون الحياة ، ليتشابها فى معرض المقارنة فى كل شىء كلاهما أستاذ لكرسى الفلسفة الإغريقية فى جامعته هذا فى الكوليج دى فرانس وذاك فى الجامعة المصرية : وكلاهما ناقل أرسطو ومترجمه إلى لغته ؛ هذا فى الفرنسية وذاك فى العربية ، وكلاهما آخر الأمر وزير لخارجية بلاده : هذا فى فرنسا وذاك فى مصر ؛ كما قلت فى تقديم محاضرة كان ألقاها بكلية الآداب وهو وزير للخارجية .

فلتطمئنوا إذن إلى أن الترجمة العربية التى بين يديكم ترجمة معتمدة ، وتعريب ثقة ، وإن كان على الطالب المجتهد والباحث المخلص ؛ أن يكمل موقفه دائماً بالرجوع إلى الأصل فى اللغة الأوربية التى يجيدها — ولديكم فى الانجليزية والفرنسية ترجمات كثيرة متداولة ، فارجعوا إليها ؛ فإذا كان لابد لقارىء أرسطو أن يرجع إلى لغة ثانوية حين لا يجيد اليونانية — وقلَّ من يجيدها حتى من كبار المؤلفين فى أرسطو أنفسهم — فلتكن أقرب درجةً أو درجتين من الأصل ، ففى كل تقريب أو تقرُّب من الأصل حسن « للفهم واختصار » لعقم الترجمة — أعنى أنَّ من يقرأ أخلاق أرسطو — مثلا ، فهى موضوعنا هنا — فى ترجمة سانتهيلير الفرنسية يكون فى الدرجة الثانية ، والذى يقرأها فى العربية أقل درجة ، أما قارئها فى اليونانية ففى الدرجة الأولى — وأين هو إلا أن يمتّ إلى اليونانية بسبب أقوى من مجرد الدراســـة ؟

ونعود إلى ما كنا بصدده قبل أن نستطرد هـذا الاستطراد الضرورى .

فإذ قد فرغت من قراءة النص وهضمه واستيعابه فى الكتاب المقرر ، والصفحات المعينة ؛ فاعمد إلى ترك الكتاب جانباً ، وتناول بعضاً من الكتب التفسيرية فى المذاهب الأخلاقيـة عامة ، وفى مذهب أرسطو — وخصوصاً الأخلاق الأرسططالية — خاصة .

وأهم ما أشير به عليك فى المكتبة العربية ـ ويؤسفنى ألا يسمح وقتك وسلامة لغتك أن تقرأ عن أرسطو فى الانجليزية أو الفرنسية — هذه الكتب هى فى درجة من الجودة لا بأس بهـا ؛ بل إن بعضها ممتاز حقاً ؛ فاستعرضها فى يقظة وحذر .

إبدأ أولا بما جاء فى كتابك المدرسى المقرر عن أرسطو — فاقرأه واستظهره ؛ وفى ذلك فائدة مزدوجة ، وأساس عام قوى متين ؛ وإطارٌ سوف تفرغ فيه معلوماتك وتحصيلك .

اقرأ بعد هذا عن أرسطو فى كتاب كقصة الفلسفة اليونانية للاستاذين أحمد أمين بك وزكى نجيب محمود — ففيه عرض مختلف بعض الشىء لنفس المعلومات تقريباً — ولكن فى أسلوب هو إلى الأدب أميل — والفلسفة تتطلب الدقة وإحكام التعبير ، وإنما أشير بهذا الكتاب لأنه يهيىء لك انسياق الفكر ، وانطلاق اللفظ ، ليتصرف قلمك فيما حصلت بحرية وجرأة وشخصية — ومثل هذا الكتاب يحقق لك هذه الفائدة (ص ٢١٢ — ٢٧٧) .

وثمة كتاب فى العربية قائم برأسه ، موضوعه أرسطو ، للدكتور عبد الرحمن بدوى ، وهو منهج لدراسة أرسطو أولى منه دراسةً كاملة أو مادة وافية ، وتطبيق لهذا المنهج على بعض أجزاء الكتب

الأرسطية يتكون من مذهب متكامل تقريباً ، والجزء القليل الذى أورده عن «الأخلاق» (ص ٢٥٥ – ٢٦٤ من الطبعة الثانية) كفيل بأن يثير بعض المشاكل فى نظرية الأخلاق ، وأن يوجهك إلى كثير من الاعتراضات .

إلا أن مرجعك الأهم الذى يجب أن تتلمذ له وتعول عليه هو كتاب : تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم – فهو كتاب قيم حقاً ، تعتز به المكتبة العربية فى الفلسفة ، لما يتميز به من الإخلاص والوضوح والدقة والأسلوب العلمى – وأرسطو فيه على درجة من الوفاء وحسن العرض قلَّ أن يظفر بهما فى مرجع عربى آخر .

وفى ربط نظرية الأخلاق الأرسطية بالنظريات الحديثة الأخرى ؛ ارجع إلى كتاب المدخل إلى الفلسفة للعلامة أوزفلد كيلبه الذى ترجمه الأستاذ أبو العلا عفيفى إلى العربية – فنى فصول من هذا الكتاب تجد عرضاً واضحاً ومناقشات لكثير من وجهات النظر الحديثة فى هذا الباب ، وفيه ذكر أسماء بعض الفلاسفة الاخلاقيين من الإنجليز والألمان والهولانديين ومذاهبهم ، يجب أن تلمَّ به وتقارنه بمذهب أرسطو لتربط مذهبه بما قبله وما بعده .

ولستُ فى حاجة إلى أن أوجهك لما فى مقدمتى المترجمين المصرى والفرنسى لكتاب أرسطو – الذى بين يديك – من فائدة ، الأولى فى التعريف بأرسطو وكتبه ، والثانية فى عرض المذاهب الأخلاقية وتاريخها وفلاسفتها – على عادة سانتهيلير فى كل ما ترجم لأرسطو ، فما أحسب إلا أنك قد أقبلت على قراءة التصدير والمقدمة فأتيتَ عليهما قبل أن تشرع فى دراسة الجزء المقرر من الكتاب .

فاذا قد وقفت على ما أشرتُ به عليك من هذه القراءات ، فوعدى معك فى الحديث عن أرسطو ونظريته فى الخير والسعادة المقالُ التالى .

كمال دسوقى

أنــــات

الاستاذ عمر النص

لا تراعى ... تلك دنياى التى مات سناها
وامحت ألوانها الغر ورثت صفحتاها
تلك دنياى التى أبدعت بالأمس رؤاها
وسألت النور لا يبرح ما عاش فضاها

تلك دنياى التى عشت على وهم رقاها
خنقتها يقظة الجرح وسالت فى دماها
فإذ بالحُلم المبدع قد جف وشاها ..
وإذا اليأس الذى حاذرت قد كان طواها !
عبثاً أسأل أن تحيا .. فقد حمَّ رداها ..
لطمتها قبضة الدهر وقالت : لن تراها !

... ...

تعبت روحى . . فمن يملأ بالرفعة حسى ؟
من ترى يصغى إذا رتلت أناتى وهمسى
حين تغذى العين بالدمع ... فاتكم يأسى
حين يأوى الطير للوكر ويطوى كل نبس
أرمق الأفق ... وفى عينىَّ أسترجعُ أمسى
وتضل العين فى الأفق وينأى بى هجسى !
عجباً ... تنكرنى الأرض ... فمن يألف نفسى
أنا ظمآن فهل فى الناس من يملأ كأسى
ليتنى أسطيع أن أمحو بالأدمع بؤسى
إن أك الفجر الذى مر ... فلم تشرق شمسى ؟!

... ...

تعبت روحي ... فما أبصر فى الأرض طريقاً
سرب الوهم على الأفق ... فلم ألف صديقاً
الصبا ضاع مع القلب وقد كان رفيقاً
والرؤى جفت فما ألمح فيهن بريقاً .. !
أيها الآل على الرمل ... لقد زدت خفوقاً
أنت أغريت بى الشوق وجرت العروقا
كلما خلتك ماء .. ردنى الرمل مشوقا
عجباً أيتها الأرض لقد زدت عقوقاً ...
كلما قلت طفا اليأس جرى اليأس عميقاً
قذر أركن إن نام ... وأخشى أن يفيقا !

... ...

تعبت روحى ... فمن يحمل للروح عزائى ؟
أنا ناى فى فم الأيام قد جف غنائى
أنا شيخ لم يدع منه القضا غير ذماء

أستاذنا محمود زناتي

للاستاذ محمود رمزى نظيم

قضيت وما فى القضـــاء عجب
وللموت فى كل نفس سـبب
أرى الروح خـــير هبات الآلـ
ـه ومنهـــا الحياة التى تستحب
وحسبك أن فنـــاء الجسو
م خـــلود لأرواحنـا يرتقب
وقفت أناجيك فى الذاهبـ
ـين وفى القلب قد شب وقد اللهب

يقولون محمود مات وما
أقام له صحبه ما وجب
إذا ما رثاه « إمام البيان »
وأثنى عليه « عميد الأدب »(١)
وهذا يشار له بالبنان
وذلك فى الكون فخر العرب
فـكل فتى شاعر قد رثاه
وكل فتى ناثر قـد كتب
وكان « الزناتى » عطر الندى
وكان مثار الحديث المحب
رزين وقور حمـته الكرا
مة فى ثوبها ونماه الحسب
تجلى بحـــلم يزين الرجا
ل ويصدف عن نزوات الغضب
أديب تخصص فى الاطلا
ع وحصل بالفضل من قد ذهب
وأصبح مرجـع أم اللغـــا
ت وقد صيرته « لسان العرب »
أمـين على العلم يلقى الحديـ
ـث كأن الحديث « شذور الذهب »
وقد كان يطـرب للمنشد
ين وفيا يقول جماع الطرب
فيا مسمعى هل نسيت وهل
أعدت الى فضله ما وهب
هو الآن تحت ظلال النعـ
ـيم وقد ضمه الخلد بعد النصب
فيـارب هـذا حبيب النبى
وكل محب مع من أحب

أبو الوفاء محمود رمزى نظيم

أثقلته وطأة الداء وبرحاء العيـــاء
يقحم الدهر ... فيلقيه مدى الـكبرياء !
عجباً ... واليأس لا يرحم دائى ... ما بقائى ... ؟
أنا لولا بارق الأمس تناسيت رجائى
وخنقت الشكو فى فىَّ وأهرقت إنائى !
ويك يا نفس ... أما طال على الأرض ثوائى ؟
لم أحيا ... والعذاب المرُّ ما زال غذائى ؟ !

... ...

لا تراعى ... فزمان الأنس قد مرَّ وحيا ...
وانطوى أمس ... فلم يترك سوى الذكرة ريّاً .
عبثاً يسألنى الدهر ... فما كنت نسيّاً ...
أنا أهواك وإن عشت مع اليأس مليا
أنا أهواك وإن لم يبق شىء فى يديا
لا تراعى ... أنا ما زلت كما كنت وفيا !
فاذا ما أقبل الموت ... فلن أوقر عيا ...
سوف أسترجع فى البال هوانا القدسيا
وأرى الجفن وقد أقبل أسوان شجيا ...
يطبق الهدب عليه ... ثم ... لا أبصر شيأ ... !

٣٤٠٥ عمر النص

---

(١) إشارة إلى رثاء الأستاذين طه والزيات فى الأهرام والرسالة

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

نبضات قلب

هو قاب صديق الشاب الأديب الطالب باحدى كليات الجامعة وهو من البراعم الأدبية التي يرجى من نضجها ثمرات ، كما ترى من رسالته هذه التي كتبها إلى ، قال :

أكتب إليك وأطيل ، لأن على شفتى بسمات تريد أن تنطلق بين يديك ، ولأن بين جفنى عبرات تريد أن تنسكب على راحتيك ولأن بين ضلوعى تختنق كلمات ، وتحتبس أنات ...

وأسألك أن تقرأ كتابي على مهل . . على فراغ بال وهدوء حال . وقد يبدو الأمر في أوله تافها ، وقد يبدو مسليا ، وقد لا يبدو تافها ولامسليا .. تعروه مسحة الجد وتخضبه آية الصرامة وإن الموجة لتملأ عرض البحر إذا وقع فيه حجر ، ومعظم النار من مستصغر الشرر . وهأنذا أنثر مكنونى قبل أن يستشرى فيستعصى ، عساك تطب له بمبضعك . وأظن أنه لا يخفى عليك الآن أنها أعراض حب — ياطبيب النفوس — ولكنها أعراض اختلطت على حتى حسبتنى منها معافى .. فسرت فى طريقى لا أحنف عن الجادة ، حتى ارتطمت بصخرة الحق الصليبية ، فرجعت أدراجى ، تولول فى جانبى الحيرة ، وتقهق فى حشاى الظنون . وليس الحب على بغريب . . بل إن عهدى به لقريب ، وأوشك أن أقول ماقال أبو الطيب :

أبنت الدهر عندى كل بنت
فكيف وصلت أنت من الزحام

الا ترى معى أن الحب حمى ! وأنه من بنات الدهر ! ويالهن من بنات !!

هذه هى البسمات التى تريد أن تنطلق بين يديك . ودونك العبرات .

ويبسط لى الصديق قصته مع فتاة تزامله فى الكلية وتصادفه فى بعض الأوقات بقطار الضاحية التى يسكنها ، ويقول إنه جلس مرة فى القطار متعبا لا يكاد يتبين من بجانبه ، ولما وصل البيت وخلع ثيابه وقعت منها على الأرض ورقة التقطها فوجد فيها : (أحبك . أحبك . أحبك ـ أنا) ثم يقول : « ابتسمت وأيم الحق ، وعاثت أناملى بالورقة الدقيقة الرقيقة ، فصارت لقى على صفحة الإهمال .. ولم أكن أدرى أن هذه الورقة الصغيرة ستثأر لعرضها الممزق وشرفها المهان . . فقد انسربت مادتها إلى واعيتى الباطنة ، وأخذت تفرخ وتتكاثر حتى أصبحت عالما من الحب له أربعة جدران أحدها (أحبك) والثانى (أحبك) والرابع (أنا).

أى طيف هذا ؟ ومن التى تحبنى ؟ حقاً إنها قاسية ...

وفى الكلية وجدت طيفا كأنه بحوم ليقع ، على عينيه نظرات تتكسر ، وفى جوهره فتنة تستيقظ ، كأننى كنت معه على ميعاد وكفكف قلبى من كبريائه ، واندلعت فى جوانحى الحيرة . أهى « أنا » ؟ ! آه ياقلبى أتريد أن تعرف السر ؟ إنك إن سألت الزميلة فمن يدرى ، املها تصدمك متذرعة بالعفة والاستقامة » إلى أن قال « وأنا فى غمرة هذا اللج المختلط أسألك أن تشخص الداء أو تنير الطريق ، أترى الورقة الدقيقة الرقيقة قد انتقمت لكبريائها حين فركتها بأناملى ؟ ولى رجاء ياصديقى ، إن عرضت لهذا القلب فى أدبك وفنك ، ألا تذكر اسم صاحبه ، فان له أسرة تحب التقاليد وإن هذا الأمر لم يعرفه — غير الله — سواى وسواك » .

وأنا لن أطب لهذا الصديق الملتاع ، وما أنا طبيب نفوس كما قال ولا شىء من هذا ، ولعلى ألقاه قريبا فأتندر عليه . . على أنى الاحظ أن قصته تبدأ ، ولا بد أن تنكشف له الأمور فيما بعد . وعلى أى حال فانى أدعه الآن فى هذا اللج المزيج من القلق والحيرة والألم الذى يستعذب فى الهوى .. لأخلص إلى موضوع عام .

هؤلاء الطالبات فى الجامعة ، أمرهن محير ، فلاهن سافرات ولاهن محجبات . تراهن فى الصف الأول من قاعة المحاضرات وتراهن فى غير أوقات الدرس منزويات ينطوى بعضهن على بعض يسئن الظن بالطلاب ويؤولن كل حركة وكل كلمة بما يتفق وسوء الظن وقد يكن على حق فى بعض ذلك فان كثيراً من الطلاب تمد حالة الاختلاط جديـــدة عليهم . والطالب

يرى من بعيدو يخال.. وتنشأ هنا وهناك أحلام ووساوس. وفى مثل هذه الظروف يتوهم الحب أو ينشأ ولكنه لا يكون دائما ثابت الأساس لأنه لا يدوم مع التجربة والتعرف. ومازلت أنا أذكر الفتاة التى كنت أسمع عنها ولا أراها فكونت لها صورة فى نفسى وأحببتها فلما رأيت الفتاة لم أجد فيها شيئاً من ملامح الصورة، فأعرضت عنها وعكفت على صورتى! ولعل أكثر حوادث الحب مايقع على بعد، فلو انتفى البعد فى مائة من الحالات فقد يثبت واحد من المائة فقط. ولو تم ذلك لفقد الأدب ثلاثة أرباع أشعار الغزل.

فلم الاسبوع

هو فلم «ليلة العيد» وقد عرض أخيراً بسينما الكورسال. وضع قصته أنور وجدى، وأخرجه حلمى رفلة. ومثل أهم الأدوار اسماعيل يس وشكوكو وشادية وحسن فايق ولولا صدق واشترك معهم آخرون.

وليس فى الفلم من اسمه «ليلة العيد» غير أن أول منظر فيه أراجيح وصبيان يتواثبون ويرفعون أصواتهم بكلام فيه لفظ العيد ويعقب ذلك منظر مسرح كأنما ذهب الناس إليه ليلة العيد.. ويلعب على خشبة المسرح ياسمينة (شادية) وشوشو (شكوكو) وسوسو (اسماعيل يس) ويتزل الستار فيهرع صاحب المسرح إلى ياسمينة ويبدى لها إعجابه ثم يغازلها، فتشعر بجرأته فى المغازلة فتصده فى عنف ويقبل أخواها سوسو وشوشو، فيعتديان عليه بالضرب ثم يفصل صاحب المسرح الاخوة الثلاثة من العمل بمسرحه. ثم يرون إعلانا عن حاجة أحد المسارح إلى مغنية صغيرة جميلة، فتذهب ياسمينة إلى مقابلة مدير هذا المسرح فتخطىء شقته وتدخل شقة أخرى بجوارها فلا تجد فيها أحدا، ثم تدخل الشقة فتاة (لولا صدق) ومعهما ثلاثة رجال هم إخوتها، ويدور بينها وبينهم حدث يفهم منه أنها اصطادت شاباً غنياً (ابن باشا) وأنه يوشك أن يحضر، ثم يقبل الشاب ويهمك مع الفتاة فى مبادلة الغرام، ويفاجئه الإخوة الثلاثة، ويضطرونه إلى دفع ألف جنيه وإلى التوقيع على تعهد بزواج الفتاة. ويجلس الجميع للعب الورق، وتسمع ياسمينة كل ذلك وتراه وهى بحيث لا يرونها، وتتسلل تحت منضدة اللعب، وتتمكن من أخذ ألف جنيه سرقها أحد الإخوة من الشاب ودسها من تحت المنضدة قاصداً دفعها إلى أخته

كشكول الأسبوع

◻ صدر مرسوم ملكي بتعيين الأستاذ محمود تيمور بك عضوا عاملا بمجمع فؤاد الأول للغة العربية؟ وسيتخذ المجمع الإجراءات المتبعة لاستقباله فى جلسة علنية يحدد موعدها قريبا.

◻ صدر فى العراق ديوان الشاعر الكبير محمد مهدى الجواهرى، واستقبلته الصحافة العراقية بما يليق بمكانة صاحبه من الحفاوة والتقدير!

◻ أذاعت وكالة الأنباء العربية من بغداد أنه ينتظر أن تشترى الحكومة العراقية حقوق نشر كتاب «العراق الحديث» الذى وضعه المغفور له الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى عقب رحلته إلى العراق سنة ١٩٤٥.

◻ دعت وزارة الخارجية المصرية إلى حفل أقيم فى الأسبوع الماضي بالأوبرا للاحتفال بذكرى الموسيقى البولونى شوبان. وكم أود أن تدعو وزارة المعارف أو وزارة الشؤون الاجتماعية إلى الاحتفال بأية ذكرى من ذكريات فنانينا وأدبائنا وشعرائنا الراحلين ورحم الله شاعرنا القائل:

أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس

◻ أشار الدكتور طه حسين بك فى مقال بالأهرام، إلى أن كتاباً له منع طبعه فى مصر فطبع فى لبنان. ونذكر أنه كتاب «المعذبون فى الأرض» ومن الغريب أنه نشر فصولا فى مجلة الكاتب المصرى ومنع نشره كتاباً!

◻ دعا الدكتور طه فى كلمته فى احتفال المعلمين بتكريمه، إلى أن يمتنع المعلمون عن تأدية المصروفات المدرسية المطلوبة لأبنائهم وقال إن الدولة ينبغى «أن تستحى من هذا الرجل الذى يسهر سواد ليله على الكراسات وبياض يومه فى التعليم ولا يجد ما يقيم الأود».

◻ أذاعت إحدى شركات الأنباء أن شركة فكس الأمريكية أنتجت فلما اسمه «كل إنسان يفعل ذلك» يعرض لحياة فاطمة الزهراء، فاحتج شيخ الأزهر وغيره من الأفراد والهيئات. ثم تبين أن الفلم ليس فيه شىء من ذلك ولا علاقة له بالحياة الإسلامية، وأصدرت وزارة الداخلية بيانا رسميا بذلك. ويظهر أن المسألة ماهى إلا دعاية للفيلم على الطريقة الأمريكية!

◻ جاء فى كلمة لسليمان نجيب بك فى مجلة «الإستديو» يصف اقتباسه للمسرحيات: «وهذا مايقول عنه علماء النحو ـ السهل الممتنع» وما كنت لأهتم بأن أقول له: إن هذا من كلام الأدباء لا علماء النحو، ولولا أنه مدير دار الأوبرا الملكية، وأنه فى معرض الفخار الأدبى!

◻ صدر كتاب «مع أبطال الإسلام» للاستاذ عزت حماد منصور، وهو يتناول بالدراسة النافعة طائفة من أعلام الصدر الأول.

◻ ألفت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية لجنة من المختصين، لتقوم بتأليف كتاب جامع عن «جغرافية العالم العربى» ووضع المصورات اللازمة له. وتوالى هذه اللجنة اجتماعاتها تمهيدا للبدء فى إخراج هذا الكتاب.

فتلقفتها يد ياسمينة . ويشعرون بها فتجرى منهم وتنطر من النافذة ، ثم تقفز إلى نافذة أخرى فإذا هى فى شقة مدير المسرح الأستاذ حمودة الذى يراها ويدهش منها ، ثم يعلم أنها مغنية أتت للعمل بالمسرح فيرحب بها ويتفقان على أن تحضر إلى المسرح ومعها أخواها ، ثم تقبل زوجتهفتفر ياسمينة من النافذة ..وتذهب إلى أخويها ، ويتفقون على الاحتفاظ بالألفى الجنيه فى ثنية اللحاف ، ثم يذهبون إلى الأستاذ حمودة بالمسرح ، ويعملون بهذا المسرح الجديد ، ونرى الشاب ابن الباشا يتردد على ياسمينة ، وقد دب عليها مرة فى منزلها . وهو يقول لها إنه يريد أن يتزوجها ولكن والده الباشا يريد أن يزوجه تلك الفتاة التى تمهد بزواجها .

ثم يحتفل الباشا بزواج ابنه ويحضر فرقة ياسمينة لتحيى الليلة ، وهناك يحدث هرج ومرج ، وتختلى ياسمينة بابن الباشا فتفضى إليه بحقيقة الفتاة العروس وتنقده الألفى الجنيه التى كانت سرقت منه . ثم يعلن ابن الباشا أنه لن يتزوج إلا ياسمينة ، فيبرز الاخوة التعهدالذى وقعه ويدفعونه إلى الباشا . ولما تتجسم العقدة فى هذا التعهد يحلها إسماعيل بس بفمه ... إذ يخطف الورقة ويبتلعها ! وتكون النهاية السعيدة التى يرقص فيها الجميع ويغنون حتى يشبعوا رقصا وغناء .

والواقع أن المقصود بحوادث القصة أن تكون خيطا للاستعراض ... فالغناء والرقص والتهريج على المسرح الأول والثانى وفى منزل الباشا وفى الطريق وفى كل مكان... هو المقصود وليت الخيط مع ذلك سليم أو متصل ، فهو ليس واهيا فقط وإنما هو متقطع يبدو فيه مؤلف القصة مبهور الأنفاس وقد نفر منه الخيال وخاصمه السبك ، فيوصل الناظر والحوادث بالقوة والعافية .. فهو يجيل الفتاة تخطىء الشقة المقصودة لتدخل شقة أخرى ، والأمر إلى هنا طبيعى ، ولكنه يلقى فى روع أصحاب هذه الشقة أن يتركوها مفتوحة وهم غائبون .. لماذا ؟ لتدخل شادية فتغنى متنقلة من غرفة إلى أخرى حتى يظهر صاحب البيت ويبين .. وما دام الأمر لا يسير وفق المعقول فلا مانع أن تنقلب الفتاة إلى قطة تتسلل تحت المنضدة وتتمسح بالأرجل وتأخذ النقود وهى ثابتة الجنان لأنها واثقة من أن المؤلف والمخرج يضمنان لها الأمان ويمهدان لها سبيل القفز من النافذة ! وليس بعسير بعد ذلك أن تكمل دور القطة فى الشقة الأخرى ..

وليس لك أن تسأل : كيف عرف ابن الباشا منزل ياسمينة فأتى إليها به ليلا ؟ وكيف نهضت إليه دون أن يبدو عليها أى ذعر ؟ ولماذا لم تفض ياسمينة إلى ابن الباشا بحقيقة من احتالوا عليه وتعطيه النقود إلا ليلة العرس وقد التقيا مرارا قبل ذلك ؟ ليس لك تسأل عن ذلك أو غيره من كثير ، لأن المؤلف يريد ذلك أو هو لا يجد غير ذلك . أما إن سألت عن الحكمة فى وضع النقود فى ثنية اللحاف فأنا أجيبك بأن المقصود أن يحمل شكوكو هذا اللحاف فى كل منظر بعد ذلك ليبدو مضحكا . . ولا يفوتنى أن أعبر عن إعجابى بالحل الموفق الرائع الذى قام به « فم » اسماعيل يس الواسع .. فقد عرف المؤلف أو المخرج أو كلاهما كيف يستغل هذا الاتساع العظيم فى حل المعضلة !!

والحقيقة أن الأبطال الثلاثة ، اسماعيل وشكوكو وشادية ، كانوا ظرفاء فى مواقف الفلم ، وإن كانت شادية ينقصها التمرين على إجادة التمثيل ، وقد استخدم غناؤها مع الموسيقى استخداما حسنا . وفى الفلم مواقع تستثير عواصف الضحك . ونتيجة ذلك أن « الاستعراض » يؤدى غرضه فى هذا الفلم . وهنا الخطر ! فإن عرض هذه الألوان فارغة من أى هدف فنى صحيح وفى قالب مهلهل من القصص البعيد عن معترك الحياة ، وضمان النجاح المادى مع ذلك — مما يهدد فن القصة السليم فى السينما .

ولست أدرى أى فرق بين الشركة التى تنتج هذا النوع من الأفلام وبين « متعهدى الحفلات » الذين يقيمون الحفلات الاستعراضية ، سوى أن الأولى تطبع صورا يتكرر عرضها ، وحفلات الآخرين تنتهى بانتهاء عرضها .

عباس خضر



اقتبست ولم أسرق :

قرأت فى العدد ٨٥٧ من مجلة الرسالة الزاهرة كلمة للأستاذ أنور المداوى بعنوان (يسطون على أدب الزيات ثم لا يخجلون) قرأت المقال وقد اعترانى ذهول شديد إذ لم يسبق لى أن طالعت العدد المشار إليه من جريدة النهضة العراقية وذلك لوجودى خارج العراق ، وقد أخذ العجب منى كل مأخذ ، ونال الذهول منى كل منال ، حين اتهمت بالسطو على أستاذى الكبير أحمد حسن الزيات. والحقيقة إنى أحترم الأستاذ الزيات وأجل أدبه واحفظ من نثره ما لا أحفظ لغيره من كتاب عصره . ولفرط إعجابى بأسلوبه البليغ ومقالاته الرصينة حفزنى ذلك إلى أن أنقل بعض فقرات من مقاله المنشور فى صحيفة ٢٦٢ من كتاب (وحى الرسالة) وقد حصرت هذه الفقرات بين أقواس كما يتضح لكل من اطلع على صورة مقالى المنشور فى جريدة النهضة العراقية فى السنة الماضية . ولعل الأديب السيد خالد ياسين الهاشمى يريد الدس لخرر هذه المقالة فى جريدة النهضة بدافع غير شريف. وأخيراً أقدم كلمة عتاب متواضعة للأستاذ أنور المداوى الذى تعجل فى هجومه علىّ من دون ذنب جنيته . وفى الختام أقدم لأستاذى الكبير الزيات إعجابى ، ولمجلته الزاهرة خالص التجلة ، وللأستاذ المداوى بالغ الاحترام .

بغداد عبد الخالق عبد الرحمن

أمن الإهوانى

لن أتـنى مثـنياً ، ومابى ونى عن وفاء ، أوفترة فى إيفاء ، أو مهود على جزاء . لكنا أخشى الرائبة تريب أصرينا وتعدو طورها فتهرف بأناعقدناه حوارا نستنظف به المديح .

وعذيرى أنت إن أخضتك غير مخاضنا ، فنفثت إليك شكاتى من أصاحيب رغبوا عن كثر اللغة إلى قلها ، ورضوا بنزرها دون وفرها . فما فى غير المعروف المعدود مقنعهم ، ولا دون ما انضمت عليه الجعبة منشودهم . ولو فى حبلهم حطبنا ، وعن قوسهم نزعنا لركنا إلى الموات مواتا ، ونفضنا اليدين من ألفاظ ما ولدت إلا لتعيش ، وما هى بالمتنافرة فتنبذ ، ولا بالخشوشنة فتلافظ

وما أحشد العامة لما أحشدله الخاصة ، ولكل مقام مقال.

وبعد ، فالشوط بطين ، وأحسبنا عند المدى أو دونه بقليل فلنحتم الحديث هنا ، لنبدأه بعد فى غير حلبة النفس .

وأراك تذكر الحكيم الترمذى ولا تنظر إلى قول ابن العربى « اختلفوا فى النفس والروح . فقيل هما شىء واحد وقيل هما متقاربان . وقد يعبر عن النفس بالروح وبالعكس ، وهو الحق » .

ونسيبه قول من عزب عن بالى ربه « النفس جوهر بخارى لطيف يحمل قوة الحياة والحس والحركة الإرادية ، وتسمى بالروح الحيوانية » .

وغير هذين فقولى فى « التنفيس » رد للفرع إلى أصله المشتق منه ، ويبهوك مسوق ابن فارس « شىء نفيس ، أراد أنه ذو نفس بالتحريك » . وتظنك مفسداً عليه مقيسه بخشاش الأرض وأصلالها.

وفاتك أن الحى ذا النفس نفيس ، إن قيس بفاقده . ذاك أصله . واذكر علته « أراد أنه ذو نفس »

ويحضرنى هنا لابن جنى فى الاشتقاق الأكبر قوله « هو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة ، أى الثلاثى والرباعى والخماسى ، فتعقد عليه . وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شىء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل إليه »

وإن شئت على ذلك مثلا أو مثلين فخذ « ك ل م » و « ق و ل » فى تقاليبهما الستة . فتجد تقاليب أولاهما على القوة والشدة ، وتقاليب ثانيتهما على الاسراع والخفة

« والنفث » ياسائلى أصل صحيح يدل على خروج شىء من فم أو غيره. فبينه وبين « النفس » جامعة الخروج . وأحدهما أعم والآخر أخص .

« والنفش » مرده كما قلت إلى التفرق والانتشار . أوليس انفصال شىء عن شىء وخروجه عنه انتشاراً وتفرقاً ؟

وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى غور من العربية لا ينتصف منه . من ذلك « ج ب ل » و « ج ب ن » و « ج ب ر » . فجميعها من الالتئام والتماسك . فالجبل لشدته وقوته ، والجبان لأنه يستمسك ويتوقف ويتجمع ، والجبر فى العظم وغيره لتقويته

وأصول الثلاثى : حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به وحرف

يوقف عليه . ومعنانا الذى يدوو حوله هنا كما تقول محاكاة صوت وحرفه السين أو ما تنقلب إليه والفاء حشو ، والنون ابتداء .

وبعد ألم أحدثك حديثى عن طول نفس الأديب ، ألم أسق إليك ماوصى به أيوسفيان ابنه شاهدا .

وطيبه ، ألم أسق إليك فيه علته ، وأن النفس مشموم بما يصدر عنه . وهو من الأديب نتاجه ، وأنت حين تشم أنفاس العطور فتراح لأشد نشوة حين تسمع إلى قول الشاعر :

العـــذل والتفنيد غير صواب مع أربع أصبحن من أصحابى
نفس الربيع وصبوة عــذرية ومدامة تجلى وشرخ شباب

ابراهيم الابيارى

الى الاستاذ كامل محمود حبيب

قد اطلعت على مقالك المعنون بمحاقة أب فى العدد ٨٥٨ من الرسالة فخلبتنى موسيقيــة ألفاظه وطلاوة عبارته وبراعة أسلوبه ورصانته ، وسحرنى ما خلعت عليه من عرائس البيان. التى ترنمت فأطربتنى لـكن بغير لسان ، وتركت فى الفؤاد أثراً دونه وقع رنات الثان !

ولما انتهيت إلى قولك : « والآن ماذا يختلج فى فؤادك الخ »لم ترقنى خاتمته على هــذا النحو ؛ لأن القارىء يميل إلى أن يعرف نهاية القصة بأسلوب ترتاح إليه نفسه ، ويطمئن له قلبه، وتسكن عنده خلجاته . وأنت قد أبهمت مصــير حياة الرجل فلم نعرف : أتخاذل أمام الحزن فهلك تحت كلـكله ؟ ـ أم صارع أمواجه ولم يستسلم له ؟ وهل رضيت زوجته بمرارة الفقر الفاجىء ، وسفعات البؤس المباغت ؟أم فرت إلى بلهنية العيش.ورغد الحياة فى كنف أسرتها ؟

وتعبيرك فى آخر القصة « وتنوء تحت أثقال ثلاثة من الفاقة والشيخوخة والوحدة » يفيد أن الرجل فقد كل شىء حتى زوجته وأنت لم تنوه بها فى حوادث القصة كما نوهت بفرار الابن. وكيف كان إخوته إزاء حالته ؟ أشمتوا به جزاء مافعل معهم فكانوا عليه ضغثاً على إبالة ؟ أم دفعوا إساءته إليهم ومقاطعته إياهم باحسانهم اليه ومواساته؟

وهل الحامل للابن على الفرار هو خشية أن يصمه عار الفقر وذل السؤال كما قلت ؟ أم خشية أن يتساقط لحم وجهه خجلا حينما ترنو اليه عين أبيه بعد ما أفرخ الدهر بيضته وكشف سره ؟ أظن أن الثانى أقوى تدعيما لفكرة الفرار. كل ذلك مما يلفت الأنظار. ويثير الارتياب عند قراءة المقال !

أما اختتامه بما يدور فى خلده ويختلج فى فؤاده دون أن تبين على أى حال استقرت سفينة حياته لا ينقع للنفس غلة ولا يشفى منها علة ... ! !

أسيوط حمدى محمد فرغلى عثمان

العدد الممتاز

صدر العدد الهجرى الممتاز حافلا كشأنه بالموضوعات الحيوية الممتازة مملوءاً بالمقالات القيمة التى تكشف عن سر عظمة التشريع الإسلامى وسر عظمة صاحب ذلك التشريع، وتبين ماتحويه الهجرة من معان سامية وآيات عالية هى قيام ذلك الدين وارتفاع بنيانه وإعزاز أهله وانتشار روح الحب والأخاء والايثار بين أتباعه ، وترفع الستار عن مواقع الزلل وبؤر الفتنة والغواية التى ترديننا فيها وارتدغنا فى حمأتها فتنكبنا الطريق وضللنا السبيل وعمينا عن الحق والواجب وأصبحنا فى هذه الحياة نحيا حياة السوائم فى مرعى اللئام. الاثام الذين أسكناهم فطردونا، وأشبعناهم فأكلونا، وكسوناهم فعرونا، وأعززناهم فأذلونا ... وإنى لأتساءل فى لهفة وحرقة هل يقرأ عظاؤنا ومن بيدهم مقاليد الأمور « فى ذلك البلد المسكين » هذا الكلام وهل يعيرونه انتباهاً ويلقون إليه بالا؟ وهل يدور بخاطرهم ويمر بخيالهم أننا كنا فى يوم من الأيام نسيطر على هذا العالم وندير دفته ونملأه بالعدل والفضيلة ونحوطه بالعناية والرعاية ؟ وهل يذكرون أن الرشيد مرت فوق رأسه سحابة فقال لها « أيتها السحابة امطرى حيــا شئت فان خراجك لى »

هل يذكرون هذا أم هم فى غمرة ساهون ؟

أرجو أن يذكروا هذا فتتيقظ قلوبهم وتتنبه نفوسهم وتفىء بين جوانحهم تلك الومضات التى أطفأها الزمن وذهب بنورها تقلب الليل والنهار « إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » عندئذ نستطيع أن نهتف فى سمع الزمن قائلين « هــذه بضاعتنا ردت إلينا »

سليمان محمود عطا
معهد قنا الدينى

أخطاء مطبعية :

لم يخل مقالى « إيمان عظيم » المنشور بالعدد الهجرى من الرسالة من بعض أخطاء مطبعية تركت أثرها فى السياق ، أما هذه الأخطاء فقد رأيت أن أثبتها هنا مع التصحيح حتى لا أظلم فطنة القراء .

وردت فى المقال هذه العبارة : « وفى الفن تسطع ومضات الرؤى ويتوهج الأحلام ، وفى الإنسانية تشف بيضات الهوى وتفيض منابع الأحلام » وصحتها ، وفى الفن يسطع ومضات الرؤى ويتوهج للاوهام ، وفى الانسانية تشف نبضات الهوى تفيض منابع الاحلام ... ثم : « وحسبها أن تهب قلبها لمن تحب ،وحسبها أن تفنى فيه وتنذر له الحياة»صحتها : « وحسبها أن تفنى فيه وتنذر له الحياة » ... كما ورد هذا البيت :

فما الحمد فى ذا ، ولا ذاك لى   ولـكن الحمد فى ذا وذاكا

وصحته :

فما الحمد فى ذا ، ولا ذاك لى   ولـكن لك الحمد فى ذا وذاكا

بعد هـذا وردت هذه العبارة ، وإنى لأرى ذراعى قد سمن لأحزن » وصحتها : إنى لأرى ذراعى قد سمن فأحزن » ... ثم : « وما أروع العقاب حين يصل الجد وصحتها : وما أروع العقاب المحب ثم أو فى لحظة الهوى التى يخفت فيها صوت الشعور والوجدان » وصحتها : « لأنها فى لحظة الهوى الصارم التى يخفت فيها صوت العقل ليرتفع صوت الشعور والوجدان » ... ثم : يضير لى رأى من هذا العقاب الذى خطر لها يوما أن تتوجه به إلى رحاب الخلق العظيم » وصحتها : لاضير فى رأيى

أسف واعتذار :

بين يدى عدد كبير من رسائل القراء فى مصر والبلاد العربية بعضها يحمل إلى أسئلة فى محيط الأدب والفن تنتظر الجواب ، وبعضها ينقل إلى عواطف نبيلة وتقديرا كريما ، وبعضها يطلب إلى أن أكتب « قصة الدموع التى شابت » ... أما أصحاب القسم الأول من هـذه الرسائل فيؤسفنى جد الأسف ألا أستطيع الرد على أسئلتهم فى الوقت الحاضر ، حيث يشغلنى عن ذلك ما أقوم به الآن من دراسة مطولة لشعر المغفور له الأستاذ على محمود طه . ومما يؤسف له مرة أخرى أن تحول بعض الظروف بينى وبين كتابة المقال الخامس من هذه الدراسة فى هذا العدد ، وإلى العدد المقبل إن شاء الله .. وأما أصحاب القسم الثانى من هذه الرسائل فلهم شكرى خالصا على هذه النفحات الروحية السامية التى يوجهونها إلى من حين إلى حين ... ويبقى بعـد ذلك : أصحاب القسم الثالث من هـذه الرسائل واليهم أقدم أسفى المرة الثالثة واعتذارى ، إن أبطال القصة التى يطلبون إلى عرضها على صفحات «الرسالة» سيفجر مداد القلم - كما سبق أن قلت - دماء جراحهم إذا ما كتبت ولـكننى أعدهم بكتابتها - كما سبق أن قلت أيضا - يوم أن تهدأ الرياح وتلتئم الجراح ، وتتكسر أمواج المحنة على شواطئ النسيان

أنور المعداوى

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور مرة أخرى أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلي والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة فى الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى الفنادق المبينة بعد :

إسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة — مليم	جنيه
فندق ونتر بالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	٩٣٠	١٦
فندق كاتاركت بأسوان	« « «	١٢٠	١٩
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٠٨٠	١٥
	« « « « الثانية	٣٢٥	٩
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠	١٧
	« « « « الثانية	٠٩٠	١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٢٠٠	١٤
	« « « « « الثانية	٤٤٥	٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥	٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥	٦

مطبعة الرسالة



فهرس العدد

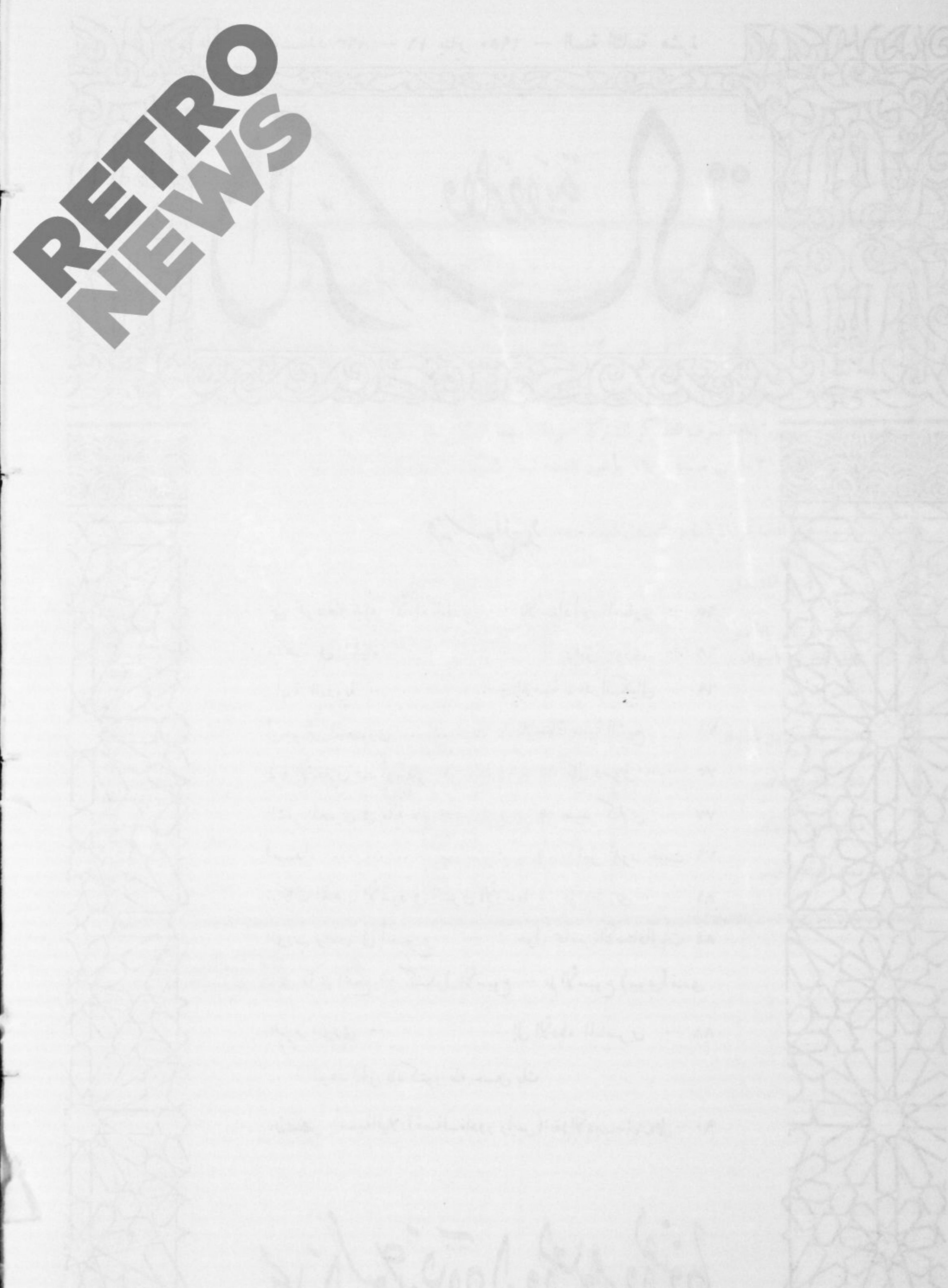
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

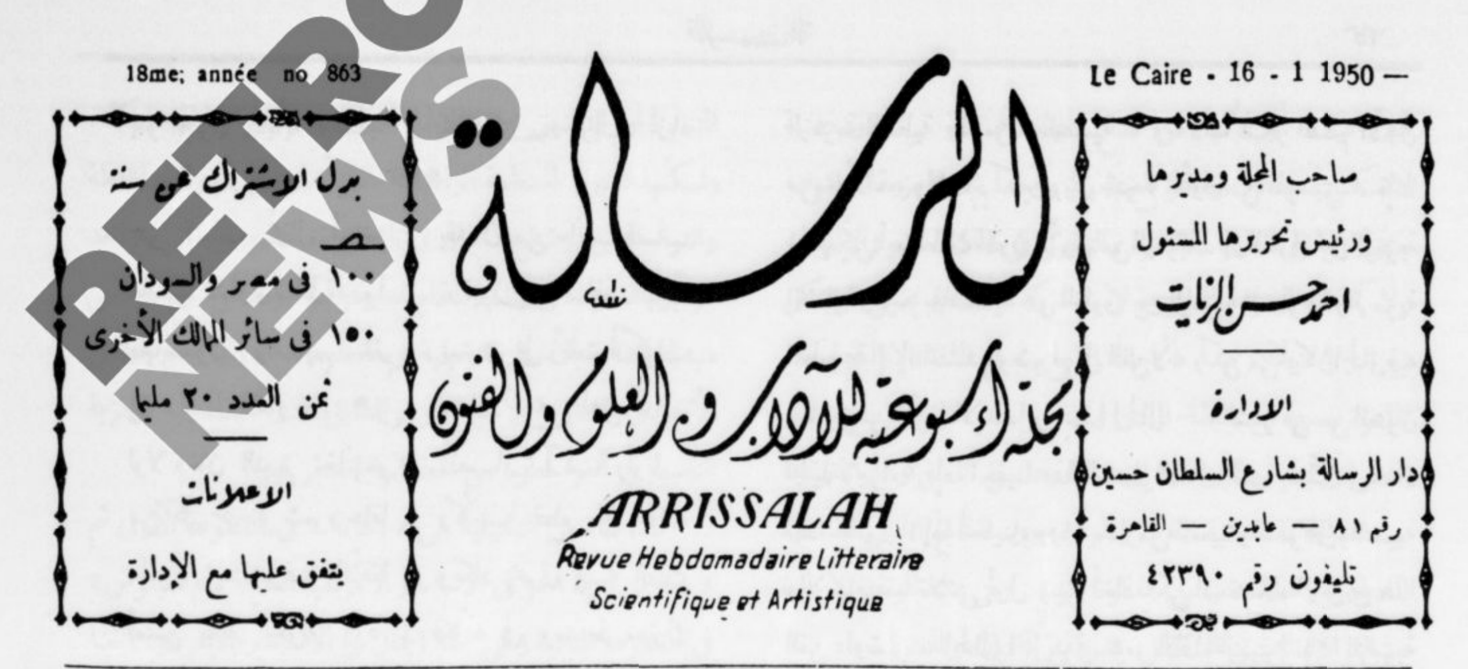
العــدد ٨٦٣ -- ١٦ يناير ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٨٦٣ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٩ — ١٦ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة»

على محمود طه

شاعر الأداء النفسي

للأستاذ أنور المعداوي

— ٥ —

تحدثت إليك في الصورة النفسية الأولى وأعني بها «الموسيقية العمياء» عن خط الاتجاه النفسي ومكانه من الوحدة الفنية، وعن أدوات الربط بين الوجود الداخلي والوجود الخارجي أو بين عالمي المشاهد الخفية والمشاهد المرئية؛ وعن أصول الرؤية الشعرية ومصادرها في شعر الأداء النفسي، وتحدثت إليك في الصورة الثانية وأعني بها «القمر العاشق» عن الموسيقى الداخلية وقيمها في شعر هذا الأداء، وعن الحركة النفسية والحركة المادية. وعن التجسيم الشعري كأثر من آثار الملكة التخيلية. وتحدثت إليك في الصورة الثالثة وأعني بها «التمثال» عن العلاقة النفسية بين الألفاظ، وعن التصميم الداخلي كدعامة من دعائم الملكة التنظيمية.

وعند ما عرضت للملكة الأولى — أقصد التخيلية — قلت إن أول مزية من مزايا هذه الملكة هي التجسيم، التجسيم الذي يجعل من الحركة الجامدة حركة حية، ومن السكون المادي الصامت كونا يموج بالمشاعر والأحاسيس، ومن الصورة التي تعز على اللمس صورة تدركها الحواس، حتى لتوشك أن تنالها الأيدي وأن تراها العيون. وكانت هذه هي المزية الأولى مطبقة على قصيدة «القمر العاشق» ... أما المزية الثانية فنطبقها على هذه القصيدة الجديدة «حانة الشعراء»، وقبل هذا التطبيق نقدم الصورة النفسية الرابعة، هناك في الصفحة السادسة عشرة من «زهر وخمر»:

هي حانة شتى عجائبها ... معروشة بالزهر والقصب
في ظلة باتت تداعبها ... أنفاس ليل مقمر السحب
وزهت بمصباح جوانبها ... صافي الزجاجة راقص اللهب
(باخوس) فيها وهو صاحبها ... لم يخل حين أفاق من عجب
قد ظنها، والسحر قالبها ... شيدت من الياقوت والذهب

***

إبريقه حلي من الدرر ... يزهى به قدح من الماس
وكأن ما حوليه من صور ... متحركات ذات أنفاس
زكت مواضعها من الأطر ... ومشت له في شبه أعراس
منهن عازفة على وتر ... متفجر بأرق إحساس
وغريرة حوراء كالقمر ... تحنو على شفتيه بالكاس
أو تلك حانته؟ فواعجبا! ... أم صنع أحلام وأهواء؟
ومن الخيال أهل واقتربا ... «فينوس» خارجة من الماء!
في موكب يتمثل الطربا ... ويميل من سحر وإغراء
وبكل ناحية فتى وثبا ... متعلقاً بذراع حسناء

يتوهجون صبابة وصبا يتمثلون غريب أزياء

***

حمر الثياب تخال أنهمو يفدون من حانوت قصاب
جلسوا نشاوى مثلما قدموا يترقبون منافذ الباب
يتهامسون وهمسهم نغم يسرى على رنات أكواب
إن تسأل الخمار قال همو عشاق فن أهل آداب
لولا دخان التبغ خلتهمو أنصاف آلهة وأرباب
من كل مرسل شعره حلقا وكأنها قطع من الحلك
غليونه يستشرف الأفقا ويكاد يحرق قبة الفلك
أمسى يبعثر حوله ورقا فكأنه فى وسط معترك
فاذا أتاه وحيه انطلقا يجرى اليراع بكف مرتبك
ويقول شعراً كيفما اتفقا يغرى ذوات الشكل بالضحك

***

باخوس يروى عن غرائبهم شتى أحاديث وأنباء
قصص تداول عن صواحبهم وعن الصبايا فتنة الرائى
وعن الخطيئة فى مذاهبهم بدأت بآدم أم بحواء
واللهات إلى جوانبهم يكثرن من غمز وإيماء
يعجبن من فعل الشراب بهم ويلذن من سأم باغفاء
وتلفتوا لما بدا شبح ! فتانة دلفت من الباب
سمراء بالأزهار تتشح ألقت غلائلها بإعجاب
ومشت تراقصهم فما لحوا إلا خطى روح وأعصاب
وسرى بسر رحيقه القدح فى صوت شاجى اللحن مطراب
وشدا بجو الحانة الفرح لإلهة فرت من الغاب

***

هى رقصة وكأنها حلم وإذا « بفينوس » تمد يداً
الكأس فيها وهى تضطرم قلب يهز نداؤه الأبدا :
زنجية فى الفن تحتكم ؟ قد ضاع فن الخالدين سدى !
فأجابت السمراء تبتسم : الفن روحاً كان ؟ أم جسداً ؟
يأيها الشعراء ويحكم الليل ولى والنهار بدا !

هذه الميزة الثانية من مزايا الملكة التخيلية هى الرمزية … وما دمنا نقسم الأداء فى الشعر إلى قسمين : أداء لفظى وأداء نفسى ، وننسب الموسيقى فى الشعر إلى نوعين : موسيقى اللفظ وموسيقى النفس ، فإننا نفرق أيضاً بين لونين من الرمزية : هما الرمزية اللفظية والرمزية النفسية . وما دمنا ننكر القسم الأول من الأداء ، ولا نقيم كبير وزن للنوع الأول من الموسيقى ، فإننا نستهجن أيضاً ذلك اللون الأول من الرمزية . إن الفارق بين الرمزية اللفظية والرمزية النفسية هو الفارق بين الرمزية المصنوعة والرمزية المطبوعة ! إننا ننشد الوضوح فى الفن لأنه ركن من أركان الجمال فيه وطريق من طرق الإحساس بهذا الجمال … والشعر فن من الفنون الجميلة لا مراء ، فإذا أخفينا هذا العنصر الفعال الذى يسلكه فى عداد تلك الفنون ؛ إذا أخفيناه وراء ستار من التعقيد والغموض والتعمية والإبهام فقد تلاشى أول بريق أخاذ يمكن أن تتملاه العين فى هذا الفن ، وتمنى به الجمال ! نريد فى شعر الأداء النفسى تلك الرمزية النفسية المطبوعة ؛ الرمزية التى تلف الفكرة العامة أو الموضوع العام بوشاحها الرقيق الذى لا يحجب الضوء ولا تضيع من ورائه المعالم … وكل رمزية فى واقع الأمر نقاب يلقى على الوجه الجميل ، ولكن هناك وجهاً يحول النقاب الكثيف بين جماله وبين العيون ، ووجهاً آخر يكسبه النقاب الشفيف فوق جماله ألواناً وبين الفتون . وهكذا تجد الفارق الدقيق بين الرمزية اللفظية والرمزية النفسية !

إن الرمزية فى جوهرها ما هى إلا وسيلة من وسائل التعبير تستحيل معها المدركات الحسية إلى مدركات نفسية … إنها الجسر الذى تعبره الألفاظ والأخيلة والمعانى لتلتقى فى بقعة فكرية بعينها تنطمس فيها الماديات لتحل محلها المعنويات . وهى فى الشعر بعد ذلك ألوان : رمزية جزئية تصب فى قالب اللفظ وحده ولا تتعداه ورمزية مماثلة تقع من الصورة الوصفية المحدودة موقع الإطار ، ورمزية كلية تشمل الهيكل العام أو الموضوع العام للقصيدة . أما رمزية اللفظ فهى رمزية الشطحات التعبيرية ، أما رمزية الصورة فهى رمزية الشطحات التخيلية ، وكلتاهما تمثلان ذلك النقاب الكثيف الذى يلقى ظلاله المبهمة الداكنة على وجه الفن ويحيل الومضة الفكرية ظلاما تتخبط فيه الأذواق وتضطرب المقاييس فى تحديد مداه . هناك لفظ يدفعك إلى أن تبذل فى استجلاء مراميه كثيراً من العناء ، لأنه يمتح من نبع شعورى معقد يتدفق من وجود داخلى معقد ، وهناك صورة تجهد فكرك إذا حاولت أن توفق بين خطوطها المتنافرة ، لأنها مرسومة بريشة الحركة

اللاواعية ، أو لأنها من صنع المخيلة المحلقة فى آفاق ذهنية لاتعكس منها غير مظاهر الضباب! وهكذا نجد الرمزية المصنوعة حين تردها إلى شطحات التعبير والتخيل فى نطاق الصور والألفاظ، ولا كذلك الرمزية المطبوعة لأنها حركة استبطان نفسى قبل كل شىء ، استبطان تبدأ مرحلته الاولى بجمع المادة الاولية لكل ظاهرة حسية فى مجالها المادى وتبدأ مرحلته الثانية بفحص هذه المادة الأولية فحصا يرجعها إلى مصادرها من النفس والحياة، وتبدأ مرحلته الثالثة بعملية المقابلة والموازنة بين الطابع الحسى للظاهرة المادية وبين الطابع النفسى للفكرة الفنية . وفى هذه المرحلة الأخيرة يتم التوافق الدقيق الكامل بين عالمى الماديات والمعنويات !

هذه الرمزية المطبوعة التى نعنيها بهذه الكلمات ، هى الرمزية التى يرفل فيها اللفظ فى أثوابه النفسية البسيطة التى لا تختلف وكل ما يماثلها فى الشعر من أثواب ؛ والتى تخطر فيها الصورة الوصفية فى مواكبها البيانية مغمورة بأضواء الحركة الواعية التى تعمل فى وضح النهار ، هذه هى الرمزية التى يبقى فيها الرمز بعد ذلك مقصورا على الفكرة العامة للقصيدة أو مقصورا على الموضوع العام ؛ عندئذ تكون الرمزية فى الشعر عملا فنياً جديرا بالمنظر فيه والاطمئنان إليه ،وكذلك كل عمل فنى يخلو من الشعوذة اللفظية والشعوذة الفكرية ! بل إننا نخطو إلى أبعد من ذلك خطوة أخرى حين نطالب بأن تكون تلك الرمزية الموضوعية أشبه بالخريطة الجغرافية التى تتضح فيها مواقع المرتفعات والمنخفضات، عن طريق « الإيحاء » إلى هذه وتلك بما يتعارف عليه من ألوان ... هنا فى مثل هذه الخريطة « ألوان مادية » تومىء أو ترمز للجبال والوديان والأنهار ؛ وهناك فى مثل تلك الرمزية « ألوان نفسية » تومىء هى الأخرى أو ترمز للظواهر والخواطر والمدركات .

بعد هذا نستطيع أن نطبق هذه المقدمة التحليلية تطبيقا نقديا على « حانة الشعراء » فى غير جهد ولا عناء . إنك لن تصادف لفظا واحدا يرهقك بطول الجرى وراء معناه ، ولكنها الألفاظ المادية تسير فى مجراها الطبيعى وتمضى فى طريقها المرسوم ، دون أن تحوجك إلى السؤال تلو السؤال : ماذا يقصد الشاعر ، وإلى أى معنى يهدف ،وإلى أى وجهة نفسية يطلق لفكره العنان ! ولن تصادف صورة واحدة تكدح ذهنك فى سبيل الربط بين أجزائها المتناثرة أو التنسيق بين ظلالها المتداخلة وأضوائها المتشابكة ، ولكنها الصور المنتظمة الواضحة التى تخلو من انحراف اللقطة والتواء التعبير وشطح الخيال ، إنك لن تصادف غير شىء واحد هو أن القصيدة فى بنائها العام قد رمز بها إلى معنى عام ، معنى مهد له الشاعر بالأسس التخيلية فى المقطوعات الأولى ليقيم الطابق الأخير فى المقطوعة الأخيرة، وهو الطابق الذى تصمد إليه الرمزية النفسية فى آخر خطوة من خطواتها لتستقر فيه !

هذه الأسس التخيلية هى « الحانة » فى المقطوعة الأولى ثم « باخوس » إله الخمر فى الاساطير الاغريقية القديمة ،ثم «فينوس» فى المقطوعة الثانية وهى إلهة الجمال فى الأساطير الإغريقية أيضا ثم جماعة « الشعراء » فى المقطوعة الثالثة ، ثم تلك « الراقصة السمراء» فى المقطوعة الرابعة . وسترى أن الشاعر قد أخضع الملكة التخيلية لجو الاسطورة الإغريقية بالذات ليصل من وراء ذلك إلى تحقيق غرضين رئيسيين هما على التحقيق دعامتا الرمزية الموضوعية . أولهما هو أن يجمع بين هذه الأسس التخيلية الاربعة فى مجال واحد ، وثانيهما هو أن يتخذ من هذه الأسس معابر إلى الهدف الاخير ، ونعنى به المعنى الذى رمز إليه بموضوع القصيدة . لقد تمثل على طه أول ماتمثل مشهد الحانة ،ثم تخيل أن يكون صاحبها هو « باخوس » ليخلق نوعا من الصلة الإيجابية بين مكان الخمر وإله الخمر ، ثم تخير أن يأتى بجماعة الشعراء ليوجد نوعا آخر من الصلة الايجابية بين الفن وأصحاب الفن ، ثم تعمد أن يجمع بين «فينوس» ربة الجمال وبين الزنجية الراقصة لينشىء نوعا ثالثا من الصلة العكسية أو السلبية بين مقام الآلهة ومقام البشر !

نعم لقد تعمد أن يجمع بين السمراء والبيضاء أو بين ساكنة الأرض وساكنة السماء وتدخل الزنجية الراقصة إلى الحانة ثم تلق بغلائلها لترقص أمام أهل الفن ويقبلون عليها فى حركة تنم على العجب والإعجاب وتضج الحانة برنين الكؤوس وترتفع الأصوات بالغناء وتحتج « فينوس » وهى تمد يدها بكأس يضطرم فيها الحبب اضطرام قلبها الثائر وشعورها الهتاج . أهل الفن يشغلون عن ربة الجمال والدلال والسحر، بهذه الزنجية ذات القوام الداكن والبشرة الفاتمة ؟ ! ياضيعة الفن عند قوم من السكارى لايميزون وهذه هى اللفتة الأولى مصورة فى هذه الأبيات .

هى رقصة وكأنها حلم   وإذا بفينوس تمد يدا
الكأس فيهاوهى تضطرم   قلب يهز نداؤه الأبدا.
زنجية فى الفن تحتكم   قدضاع فن الخالدين سدى!

وتبتسم السمراء ابتسامة تحمـل ألف معنى إلى « فينوس » ثم تهتف فى ثقة واعتداد :

فأجابت السمراء تبتسم   الفن روحا كان أم جسدا ؟
يأيها الشعراء ويحكم   الليل ولى والنهار بدا !

وهذه هى اللفتة الثانية ... وبهاتين اللفتتين الرائعتين يقيم على طه المعبرين الكبيرين للرمزية النفسية أو الرمزية الموضوعية ! ترى هل أدركت المعنى العام الذى يرمز إليه الشاعر فى هذه الـكلمات؟ لقد أراد هنا أن يعرض لك عن طريق الرمز قصة النزاع الخالد أو قصة الخصومة الخالدة بين أرستقراطية الفن وديمقراطية الفن فأتى « بفينوس» لتمثل النزعة الأولى وأتى بالزنجية الراقصة لتمثل النزعة الثانية، ثم أنطق هذه برأى فى حقيقـة الفن وأنطق تلك برأى آخر ، ليطلعك على مـدى التفاوت بين نظرتين . نظرة الأرستقراطيين إلى الفن ونظرة الديمقراطيين إليه ! أونظرة تلك الفئـة المترفعة التى تريد للفن أن يعتصم بالأبراج العاجية ونظرة هذه الفئة المتواضعة التى تريد له أن يأوى إلى الأبراج الخشبية ليكون قريبا من الناس ... وهى طريقة يبلغ فيها التوفيق مداه حين يصرخ الشاعر على لسان الزنجية الراقصة: ليس الفن جسدا يلتصق بالأرض ولـكنه روح تتصل بالسماء ، وليس الفن جسدا يوزن بمـا فيه من سواد ولـكنه روح توزن بما فيها من صفاء ! !

بعد هذا ننتقل إلى ظلال الأداء النفسى منعكسة على الألفاظ ولا أريد أن أقف بك طويلا عند الصـور الوصفية المتناثرة هنـا وهناك ، حسبى أن أشير اليها اشارات عابرة ،وحسبك أن ترجع الى الفصول النقدية السابقة لتقوم بعملية التطبيق ... أمامك هذه « الظلة التى تداعبها أنفاس الليل » ، ثم هذه «الصور المتحركات التى تركت مكانها من الأطر » ثم هذه « الغريرة الحـوراء التى تحنو على شفتى باخوس بالـكاس » ، ثم هـؤلاء الفتيان « الذين يتوهجون صبابة وصبا » فى موكب فينوس . وعندما تبلغ أول بيت من المقطوعة الثالثة ستصدمك هذه الصورة :

حمر الثياب يخال أنهمو   يفدون من حانوت قصاب

إنها الصدمة الوحيدة فى القصيدة ، ومعذرة إذا قلت لك إن الشاعر هنا قد خانه التوفيق ، وليس هناك ما يصدم ناقد الشعر مثل ضعف الرؤية الشعرية وبخاصة إذا جاء هذا الضعف من شاعر يبلغ الأوج فى قوة هذه الرؤية فى كثير من شعره وهو على طه ... ترى هل أمكنك أن تنفذ إلى موقع الضعف فى هذه الرؤية الشـعرية ؟ إنه فى تلك الصلة الواهية بين حمرة الثياب وبين حانوت القصـاب ، لأن واقع الحياة يؤكد لك أن حوانيت القصابين لاتلطخ ثياب الوافدين منها بقطرات من الدم ينتقل فيها اللون من حال الى حال !

ونمضى فى عرض صور الاداء النفسى الممتاز فتقدم اليك «هذا الهمس المنغم الذى يسرى على رنات الأكواب»، ثم هؤلاء الشعراء الذين كأنهم « أنصاف آلهة لولا دخان التبغ » ، ثم هذه « الحلق المرسلة من شعرهم وكأنها قطع من الحلك » ... هنا تنبع الرؤية الشعرية من أعماق الحركة الواعية ،لأن الشاعر لم يغفل عن السمات المعروفة لطريقة إرسال الشعر على هيئة حلقات عند شعراء الأغريق مادام قد دفع بالمـلكة التخيلية إلى جو الأسطورة الاغريقية . ثم هذه الاشارة الطريفة فى هذا « الغليون الذى يستشرف الأفق ويكاد يحرق قبة الفلك » ؛ إنها إشارة إلى خيلاء الشاعر ممثلة فى تصوير الحركة المادية التى تنم عن الشموخ والاستعلاء ! ثم هذه الصور الوصفية الثلاث فى الأبيات الثلاثة التالية ، إنها لمسات موفقة تبرز لك أحوال الشعراء عنـــدما يهبط عليهم الوحى ، فى رأى خمار مخمور !

وفى المقطوعة الرابعة تروعك هاتان التحليقتان من تحليقات الخيال:

قصص نداولعن صواحبهم   وعن الصبايا فتنة الرائى
وعن الخطيئة فى مذاهبهم   بدأت بآدم أم بحواء !

ثم هاتان الصورتان من صور الوصف :

ومشت تراقصهم فما لمحوا   الاخطى روح وأعصاب
ومرى يسر رحيقه القـــدح
فى صوت شاجى اللحن مطراب

ثم هاتان الوثبتان من وثبات الأداء :

هى رقصة وكأنهـا حلم   وإذا بفينوس تمد يداً
الـكأس فيهاوهى تضطرم   قلب يهز نداؤه الأبدا !

ولا تنس هذا التوزيع الايقاعى فى هذه الموسيقى الراقصة التى تتلاءم كل الملاءمة مع الجو الشعرى للقصيدة ... إننا مرة أخرى فى آفاق الذاتية الفنائية   (يتبع)   أنور المعداوى

مذهب فى الحياة

للاستاذ رفيق فاخورى

لا أحسدُ الناس على ماجمعوا وثمروا
أكثرُ ما فى حوزة الخزّان عارٌ أكبر
ولستُ بالراغب فى جاهٍ وصيتٍ ينشر
قد رخص المجد فقل لأهله : لاتبطروا
حتى المروءاتُ وشا راتُ المعالى متجرا
نُعطى بلا منٍ لمن ضيع مالا أذكر!
يا شرف الأنفس صر ت عرضاً يُزور
يامعدن الفخـار أنت خزفٌ لا جوهر
قد أعوزَ القومَ سرا جٌ والنهار مُبصر!
فمد عن دار أخو الحظوة فيها الأحقر
وقل : على الربع سلا مٌ ، فالمقام منكر
سواى فى جاهٍ عريض أو غنى يفكر
ثروة نفسى ياقصير العـقل أشيا أخر
كتيبٌ تنتظم فيه دُررٌ أو تنثر
فيه جمالُ الكون مطويا وفيه عبرُ

***

وقطعةٌ من الجنا ن قد وشاها عبقرُ
ظلالها مقيـلُ رُو حى إن عناها البشر
أحنى على مهم طـائرها المثرثر
وجدولٌ فى عين كل ظامىء مصور

***

وذاتُ دل وجهها فيه بيان يؤثر
حسبك منها — وأمانى النفس شتى! — منظر
خُط على مبسمها : بعض الحلال مسكر

***

ونغمةٌ تطلقهـا حنجرةٌ أو وتر
سامعها يطولُ فى ثيـابه ويقصر
أىّ فؤاد أيقظت جراحهُ لايطفر؟!
وأى صب سربت فى أذنه لايثمر؟!

إذا الزمانُ مال بالحر ومال البقرُ
وعز فى بنيه من قد طاب فيه عنصر
وعمت الأدناس حتى يئس المطهر
فليس يغنى عنـك إعراضٌ ولا تذمر
الداءُ فى صدرك قتالٌ فكيف تصبر؟!
زم المطـايا لفلا ةٍ ليس فيها بشر

وله أيضا :

لم أبك إلا على عهد شقيت به
فى البحث عن صاحب يدنى مسراتى
لو كنتُ أنفقتُ عمرى فى معاشرة الا
أفعى لأتقنت أبواب المداراة
لكن من أشتكى أخفى حقيقتهم
عنى وجللهم ثوبُ المـراءاة
ممثلون شهدنا فى ملاعبهم
مصارع الصدق شتىً والصداقات
هذى البراقع لو شفت لأضحكنا
ماتحتها من صغار النفس مرات
ولو تحدّث عنها ناطقٌ مرضت
آذاننا من غثاثات الجهالات
لا أصلح الله بعد اليوم تجربتى
ولا أقال على مسعـاى زلاتى
فقد ذوى الأخضر الأملودُ من عُمرى
وطاح عهد التصافى والمودات

حمص رفيق فاخورى

رابعة العدوية

للآنسة دعد الكيالي

زهرة بيضاء منداة بقطرات المناجاة والصلاة والخشوع ، نبعة فياضة من نبعات الحب الإلهى الخالد الأكيد ، شمعة قدسية احترقت بدموع العشق الروحانى النقى الطاهر ، قديسة عابدة متهجدة فى هياكل الليالى مسبحة فى ظلال الأنهار ، عذراء بتول انتصرت على الآلام المادية ومسخت عملاق الشهوات الجبار فإذا به قزم لا حول له ولا طول ، نغمة صوفية غريبة ذات طابع جليل رائع ، شخصية حلوة جذابة أقل ما يقال فيها أنها نسيج وحدها بين الشخصيات النسوية .

تلكم هى شاعرتنا المتصوفة الكبيرة «رابعة العدوية» وإليكم ترجمة حياتها:

هناك فى مدينة البصرة العراقية حيث يلتقى الأخوان دجلة والفرات ، أجل فى تلكم المدينة المتضوعة بخمائل النخيل رمز الصحراء المتصوفة وتمثالها ولدت سيدتنا العظيمة «رابعة» وكان هذا فى أواخر الربع الثانى من القرن الأول الهجرى ، ذلك العصر الذهبى الذى كان للمرأة العربية فيه شأن قبيل أن ينال الوهن الفارسى والترف الرومانى من حرية ابنة الصحراء الحرة الساذجة التى كانت تختلط بالرجل ذلك الاختلاط النبيل المحصن بالعزة والكرامة .

كانت شاعرتنا المتصوفة مولاة لآل عتيك ، توفى عنها أبواها وهى لما تزل رطبة العود ، غضة السن تخلفهما على رعايتها رجل فظ غليظ كان يرهقها بالأعمال الكثيرة ، ويعاملها بمنتهى الظلم والقسوة . فكانت المسكينة تحتمل كل هذا بصدر رحب وتحتسب عند الله ما تلاقيه من العذاب والآلام . ثم ماذا ؟ ثم يبيعها سيدها من رجل آخر لا يقل عنه جوراً واستبداداً فتتقبل المسكينة قضاء الله المحتوم بسكينة ووقار، وتنطوى على نفسها وتتلقى التعب والنصب بالبسمة الراضية وتقوم بما وكل إليها سيدها من الأعمال خير قيام .

وذات يوم بينما كانت تسعى لشأن من شئونها فى أحد شوارع البصرة رماها بعضهم بنظرة سوء فأشاحت بوجهها عنه فزلت قدماها وكسرت ذراعها فأغمى عليها. وأخيراً نهضت وقد انطوت نفسها على الحسرة والألم ؛ وبصوت متهدج من الخشوع أخذت تقول : «رباه قد انكسرت ذراعى وأنا أعانى الألم واليتم، وسوف أتحمل كل ذلك وأصبر عليه. ولكن عذاباً أشد من هذا العذاب يؤلم روحى ويفكك أوصال الصبر فى نفسى منشؤه ريب يدور بخلدى. وهل أنت راض عنى يا إلهى ؟ هذا ما أتوق إلى معرفته» .

وما كادت تتم نجواها هذه حتى سمعت هاتفاً من وراء الغيب يساقط فى أذنيها هذه العبارة : «لك يا رابعة عند الله مرتبة تغبطك الملائكة من أجلها» فشاع فى نفسها السرور ، وانتشت من فرط الطرب فقفلت راجعة إلى بيت سيدها والأحلام السماوية تداعب أوتار قلبها بأناملها السحرية .

وفى ذات مرة أرق سيدها فسمع فى جوف الليل صوتاً راعشاً أكسب الدار جواً مهيباً رائعاً فاهتزله قلبه. وطفق يبحث عن مصدره، وكم كان عجبه شديداً عندما أطل من ثقب الباب فرأى رابعة تصلى بحرارة وإخلاص بالغين؛ وبصوت عميق معبر سمعها تقول: «ربى إنك تعلم أن أشد ما أتوق إليه هو عبادتك وتأدية مالك من حقوق ؛ ولكننى أسيرة لا أملك حريتى الشخصية ، فلا سبيل إلى تحقيق هذه الغاية فلتعذرنى يا إلهى ؛ وعلى أثر ذلك دبت الحمية فى صدر الرجل . وفى اليوم التالى أعتقها فكادت ترقص من عظم السرور.

وأقامت وحدها فى منزل متواضع وقامت بأود نفسها من كسب يدها فعملت بالحديث النبوى الشريف : «لا تكونوا كلا على الناس» .

ومما لا شك فيه أن شاعرتنا كانت ملمة بمبادىء القراءة والكتابة وهى بعد عند مولاها فلما أن حصلت على حريتها نمت هذه المبادىء ورعرعتها .

وكأننا بها وهى متنقلة بين مساجد البصرة العلمية الزاهرة تنهل من موردها العذب وتعل من نميرها السلسال فلا تمضى مدة طويلة حتى تغدو عالمة العصر وأديبة الجيل .

وقد كانت على فقرها محببة إلى القلوب يجلها حتى أكابر العلماء ويستفتونها فى دقائق التصوف والفقه ويتناقشون معها ويناظرونها فيصبح بيتها على حقارته محجة المتصوفين وقبلة العلماء والفضلاء فيدعونها عن جدارة واستحقاق بتاج الرجال . ولقد كان بينها

وبين بعضهم صداقة متينة حتى إن أحدهم كان لا يستطيع الصبر عن لقائها فيقول : «مروا بنا إلى المؤدبة فإننى لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتها » .

وسئلت يوماً : «أتحبين الله كثيراً ؟» فقالت : «بلا ريب» فقيل لها : ألا تعدين الشيطان عدواً لك ؟ فقالت : « ان محبة الله قد ملأت أرجاء قلبي فليس فيه متسع الى القلق والاضطراب من عداوة الشيطان » .

ومن وصاياها : « أكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم » وكانت تقول : « محب الله لا يسكن حنينه وأنينه حتى يسكن مع محبوبه » . وحقاً لقد كانت رابعة هكذا بكاءة لا تنقطع لها عبرة حتى أن موضع سجودها كان كهيئة المستنقع من دموعها . وتحدثنا الرواية أن كان يغشى عليها لمجرد ذكر النار .

كانت ذات إرادة حديدية، أهانت الدنيا واحتقرتها، وأرادت الحرمان وفضلته، وأحبت الوحده وتعشقتها .

كانت تنام على حصيرة بالية ؛ وكان موضع الوسادة قطعة من الآجر، وكانت تشرب من إناء مكسور وتطوى ليلها مسهدة تصلى لله وتناجيه حتى إذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة ولكنها ما كانت تلبث غير قليل حتى تهب من مرقدها فزعة تغالب النعاس وتتحدى النوم قائلة : « يا نفس كم ذا تنامين وإلى كم تنامين ؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور » . كان من عادتها أن تصوم سبعة أيام وتنقطع إلى العبادة والزهد ليالى لا تفتر أثناءها عن مناجاة النفس بهذا الخطاب « إلى متى تعذبين نفسك يارابعة وتحملينها مشقة وهى مشقة ليس بعدها مشقة! » وهى فى ذلك ذات مرة إذا برجل يدق عليها الباب وفى يده صحن من الطعام يتركه لديها ثم ينصرف . أما هى فتأخذ الصحن وتضعه فى زاوية من الغرفه وتتشاغل بإصلاح القنديل . وإنها لكذلك إذا بهرة تدخل فتأكل الطعام الذى فى الصحن . وطالما تعود رابعة فترى الصحن خاوياً فتقول فى نفسها : « لا بأس . أفطر على الماء » ولكنها عندما تذهب لتعود بالماء ينطفىء القنديل فلا تطيق احتمالا وتقول : « اللهم لم هذا العذاب »؟ فتسمع هاتفاً يقول : « لو شئت يارابعة وهبنا لك جميع . ما فى الدنيا ومحونا ما فى قلبك من نار العشق لأن قلبا مشغولا بحب الله لا يشغل بحب الدنيا » فتذرف رابعة دموع الندم وتعزم على ألا تعود للتذمر مما هى فيه .

والجميل الطريف فى رابعة أن زهدها ما كان عجزاً منها عن اللذات وقصر باع فى نيل الغنى فقد خطبها كثير من الأغنياء والفضلاء منهم الحسن البصرى المشهور أمره فردته كما ردت غيره وبعثت اليه بهذه الأبيات :

راحتى يا اخوتى فى خلوتى ... وحبيبى دائماً فى حضرتى
لم أجد لى عن هواه عوضاً ... وهواه فى البرايا محنتى
حيثما كنت أشاهد حسنه ... فهو محرابى اليه قبلتى
إن أمت وجداً ومانم رضاً ... واعنائى فى الورى واشقوتى
ياطبيب القلب يا كل المنى ... جد بوصل منك يشفى مهجتى
ياسرورى ياحياتى دائماً ... نشأتى منك وأيضاً نشوتى
قد هجرت الخلق جمعا أرتجى ... منك وصلا فهو أقصى مُنيتى

وكثيرون هم الأغنياء الذين كانوا يعرضون عليها الدور الفاخرة المترفة الغارقة بالحرير . وكثر منهم أولئك الذين كانوا يلحون عليها بقبول الدنانير الكثيرة فكانت ترفض هذا كله وتفر منه فرار السليم من الأجرب . فمن ذلك أن رجلا أتاها يوماً بأربعين دينارا ورجاها أن تتقبلها قائلا : « تستعينين بها على بعض حوائجك » . فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت : « هو يعلم أنى أستحى أن أسأله الدنيا وهو يملكها ، فكيف أريد أن أحدها ممن لا يملكها ؟ » .

وأجل من هذا وأروع أنها كانت تعبد الله بعاطفة حب تنزهت عن الغرض المادى وسمت فوق مخاوف الجنس البشرى ومطامعه وفى ذلك تقول : « إلهى إذا كنت أعبدك رهبة من النار فاحرقنى بنار جهنم .وإن كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنيها. وأما إذا كنت أعبدك يا إلهى من أجل محبتك فلا تحرمنى من جمالك الأزلى » .

أما شعرها فهو فى الذروة من شعر التصوف . وحسبها فخراً أن أحدهم قال : « كانت رابعة السابقة إلى قواعد الحب والحرمان فى هيكل التصوف الإسلامى وان الذى فاض به بعد ذلك الأدب الصوفى من شعر ونثر فى باب الحب والحزن فهو نفحة من نفحات السيدة رابعة العدوية امام العاشقين والمحزونين فى الاسلام » .

أرجواش المنصورى

للاستاذ عطية الشيخ

مهداة إلى أبطال الفلوجة

خاتمة قرن :

نحن الآن فى السنة الأخيرة من القرن السابع الهجرى،قرن المصائب والآلام على العالم الإسلامى ، فقد اجتاح فيه التتار ممالك آسيا الإسلامية ، وقوضوا بغداد ، وختموا الخلافة الإسلامية أفجع خاتمة . ولولا أن الله قيض لهم من جيش مصر الباسل حاجزاً دفعهم عن بلاد الشام ، لما أوقفهم عن تخريب إفريقية الإسلامية إلا ساحل بحر الظلمات،وقدجعلوا(تبريز) المدينة الإسلامية الفاضلة عاصمة لهم ، استعداداً للقصاص من المصريين، إذا لاحت الفرصة ، وواتت الأحوال .

الخونة الثلاثة :

وقد لاحت الفرصة للتتار ، عندما فر ثلاثة من كبار أمراء مصر ، وقواد جيشها ، من القاهرة إلى تبريز ، واحتموا بقازان ، ملك التتار وحفيد هولا كوخان ، فأكرم وفادتهم وأحسن لقياهم ، وأخذ يفتلهم فى الذروة والغارب ، حتى أطلعوه على العورات ، وهوّنوا عليه أمر المصريين ، وذكروه بدماء آبائه وأجداده ، التى سفكها المصريون فى عين جالوت ، وبينوا له مابين سلطان مصر وشعبه من جفاء ، بسبب وزيره المستبد بالرعية،المحتجن للارزاق ، المضطهد للنابهين والأمراء والعظماء،وقد لحق بهؤلاء الخونة الثلاثة أشياعهم وأذنابهم ، والناقون على السلطان « المنصور لاجين » نقمتهم ، وزينوا لملك التتار ما زينوا ، وحسنوا ما حسنوا ، حتى صح عزم قازان على مهاجمة مصروالشام، وما بقى من بلادالإسلام وهكذا باع الخونة الثلاثة : « قبجق وبكتمر والألبكى » بلادهم ،

هذا والمعترفون للسيدة بالفضل فى ميدان الأدب الصوفى كثيرون . والآن يحسن بنا أن نورد نخبة من شعرها الوجدانى المعبر :

لقد أعرضت شاعرتنا عن كل شىء لتقبل على الله وحده. وزهدت فى كل أمر لتأنس بقربه ورضاه . لم يكن فى قلبها متسع لأى شأن من الشئون، ذلك لأنها أحبت الله بكل مافى قلب المرأة من العاطفة المتأججة العميقة، وبكل مافى روحها من الأشواق اللاهبة البعيدة. فجاء شعرها عاطفياً مؤثراً فياضاً بالشجن. ومن ذلك قولها .

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وتقول أيضاً :

حبيب ليس يعدله حبيب وما لسواه فى قلبى نصيب
حبيب غاب عن بصرى وشخصى ولكن عن فؤادى لا يغيب

وتطالع رابعة سفر أيامها وتتلفت معددة ما أتته من الأعمال فترى فى نفسها التقصير ، وترى أن زادها من الأعمال الفاضلة أقل من القليل ؛ ثم تذكر الله ولذة رضاه وسبيل لقائه الطويل المحفوف بالدموع والآلام والمشاق فتخطر لها فكرة العذاب فتهتف بلوعة وحسرة : « إلهى أتحرق بالنار قلباً يحبك ؟ ! » ويضنيها التفكير فتتناول القلم وبيد مرتجفة من الانفعال تسكب على القرطاس مايعتلج فى قلبها الذاكى من المواجد والآلام فتستوى لديها هذه النفثة الرائعة :

وزادى قليل ماأراه مبلغى ألزاد أبكى أم لطول مسافتى ؟
أتحرقنى بالنار ياغاية المنى ؟ فأين رجائى فيك أين مخافتى ؟

وتحدثنا الرواية أن رابعة بعد أن بلغت الثمانين من العمر أصبحت وكأنها الخلال البالى، تتحامل على نفسها من شدة الإعياء. واذا مشت تكاد تسقط من فرط الكلال وعندما اقتربت منيتها أوصت صديقتها المخلصة عبدة بنت أبى شوال بأن تكفنها بعباءة صوفية صحبتها شطراً من حياتها وشهدت قيامها فى الأسحار وتهجدها فى الليالى وتبللت بدموع الخشوع .

فلما جاءها القدر المحتوم سنة خمس وثلاثين ومائة هجرية كفنت بعباءتها الحبيبة وخمار صوف كانت تلبسه ثم دفنت فى جبل الطور شرق القدس .

وهكذا كف قلب رابعة العامر بالحب الإلهى الخالد عن الخفقان ولكن بعد أن وقع أجمل الألحان وأسمى الأنغام .

وعد الكيالى

وظاهروا على قومهم وأهليهم وحاربوا سلطانهم .

في قصر قازان :

قازان على عرشه ضاحك السن مستبشر ، ومن حوله الخونة الثلاثة ، وقد دخل قائده بولاي مع الرسول ، راجياً أن يكون استدعاؤه لحرب جديدة تروى نفسه المتعطشة للدماء ، وتقر عينيه المغوليتين بمصارع الهيجاء ، وتشنف أذنيه الوحشيتين بصليل السيوف وصهيل الخيول وأنين المكلومين ، وتملأ جيوبه من سلب المهزومين ، وأموال المغلوبين؛ وقد شاع الفرح في وجهه عند ماسمع مقالة الملك له : « يا بولاي ، أنت قائدى المغوار ، وداهية التتار ، وتعلم مالى ولك قبل المصريين من ذحول وثارات ، تنادى بها دماء آبائي وآبائك المسفوكة بسيوفهم ، المطلولة برماحهم ، فقد دسنا الدنيا وداسونا ، وأذللنا الشعوب وأذلونا ، ولم يكفهم رد غاراتنا ، حتى هاجونا في عقر دارنا ، وغزونا في بلادنا ، وما تزال سيوفهم تقطر بدمائنا ، وقد آن الأوان لنأخذ بالثأر ، ونكيل بالصاع صاعين ، ونرد لهم الدين » ثم اشتد غضب قازان وتطاير الشرر من عينيه ، وصاح صيحة منكرة ، كاد من هولها يغشى على كل من في المنزل : « يا بولاي ، إجمع فرسان التتار ، وأبطال التركمان ، ورماة المغول ، ولا تدع ضارباً بسيف ، ولا طاعناً برمح ولا رامياً بسهم إلا جيشته » ثم سكت قليلا وقال :

« يا بولاي الحرب خدعة ، والموقعة يجب أن تكون فاصلة ، والعدو صعب المراس ، تعود أكل لحومنا ، واستمرأ شرب دمائنا ، فاستعن في هذه الواقعة بجميع أعداء المصريين ، من صليبيين وروم وأرمن ، واضرب المصريين ضربة تنسى العالم هزائمنا المتوالية أمامهم ، وتحسم الأمر بيننا وبينهم . »

أجاب بولاي بالسمع والطاعة ، وسجد للملك وقبل الأرض بين يديه ، ثم قام وهم بالانصراف ، فاستدعاه الملك ثانياً وقال له : يا بولاي ، لا تعبأ بالوقت ، فأنا لا أطلب المعجل ، وإنما أطلب النصر ، فلا تتحرك بالجيش إلا إذا تم استعدادك ، وصار النصر منك على طرف الثمام ، واقطع على المصريين الأخبار حتى تفجأهم غير مستعدين » .

الشام في فزع :

تم استعداد بولاي وتحرك جيشه نحو الشرق ، ووصلت الأنباء بذلك بلاد الشام ، بعد أن كشف السر ، وعرف عزم التتار ، فجفل أهل الشام ، وتفرقوا في السواحل ، وتشتتوا من الفرات إلى غزة .. وعظم خوف الناس وصياحهم على الإسلام وأهله » ولولا أن سلطان مصر بعد أن بلغه الخبر أخذ يبعث البعوث لطمأنة خواطرهم ، ما بقى منهم في الشام أحد ؛ لأن أهوال التتار في البلاد المغلوبة معروفة للخاص والعام ، وهم وشيكو عهد بمذابح بغداد وفظائع هولا كوخان في العراقين ، لم يرحم شيخاً ولا طفلا ولا امرأة ، ولا عف عن منكر ، ولم يبق من البلاد التي اجتاحها إلا ما تبق النيران من الهشيم ، والسيول الجائحة من الجحيم .

في أرباض حمص :

وتحرك المصريون إلى بلاد الشام ليحموها من الطغاة الطارئين ، ومرت الجيوش المصرية على دمشق ، متجهة صوب الشمال ، وابتهل الناس لها بالدعاء ، والتقى الجمعان بقرب حمص ، وحمل المصريون على التتار حملة صادقة ، فقتلوا منهم نحو خمسة آلاف دون أن يقتل منهم إلا قليل . وفكر التتار في الفرار ، وزلزلوا زلزالا شديداً .

بعد أن لاح النصر :

ما أعجب شأن الحروب ، وما أكثر التشابه بين حوادث التاريخ ، وما أشبه واقعة حمص بغزوة أحد ، فإن المصريين بعد أن لاح لهم النصر ، ابتلوا بتخاذل مفاجئ ، « وانكل بعضهم على بعض . فانهزمت الميمنة أولا ثم تبعها جميع العساكر ، وأمعنوا في الهزيمة ، حتى رمى الجند خوذهم وسلاحهم .. وأخذوا يغيرون أزياءهم ، ويحلقون شعورهم تنكراً من العامة الذين كانوا يوبخونهم ويشتمونهم كلما مروا عليهم منهزمين أمام التتار »

أحزان دمشق :

بلغت كسرة المصريين دمشق « فخرجت المخدرات حاسرات لا يعرفن أين يذهبن ، وأطفالهن بأيديهن ، ومن استطاع النجاء بنفسه ، فر تاركا أهله وولده . وتشاور جماعة من عظمائها في الخروج إلى التتار طلباً للصلح قبل أن يدخلوا دمشق عنوة ، وكان ممن يرى هذا الرأى ، قاضى القضاة ابن جماعة ، وشيخ الإسلام ابن تيمية . ثم وصل خمسة من كبار التتار إلى دمشق ومعهم فرمان بالأمان ، قرئ على باب الجامع الأموى ، فاطمأن الناس ، وسكت

عنهم الفزع ، وزاح الهلع ، وانتظروا الغيث من هذا البرق الخلب .

إذا دخلوا قرية:

تدفقت جموع التتار على دمشق يتقدمها الخونة الثلاثة واستسلم لهم بلد عز عليهم أيام الظاهر بيبرس مناطه ، فهل وفى الملوك بعهدهم ؟ وهل أغنى الفرمان عن الدمشقيين شيئاً ؟ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة. وكذلك فعل التتار، وهم أولى من غيرهم بقبيح الفعال،عند من لم يكن بينهم وبينه ثأر ، فما بالك وقد تمكنوا من بلد تقطعت على أبوابه فى الماضى القريب أوصالهم ، وأريقت دماؤهم ، وزينت أسواره بالرماح المشرعة عليها رءوس قتلاهم ؟ لقد عاثوا فى دمشق وما حولها من القرى ، «المساجد تشرب فيها الخمور ، وتهتك الستور ، وتفتض البكور ، ويقتل المجاورون ، ويؤسر الخطباء والمؤذنون ، بل على قبر خليل الرحمن ، وفى حرم البيت المقدس ، هتكت النسوان ، وعلقت الصلبان »

هاتان الطائفتان:

والطائفتان هم أهل الدنيا من علماء الدين والمتصوفة، ماخطبهم ؟! مردوا على النفاق ، فواتهم بلاغته ، وعنت لهم فصاحته،لايجاوز العلم حناجرهم ، ولا التصوف ألسنتهم ، طرفت الدنيا أعينهم،وبدا الترف فى ملبسهم ومسكنهم ومآكلهم،واستعبدتهم الشهوات ، فكانوا أنكى على الإسلام فى كل عصوره من الأعداء المغيرين . ومن العجب العاجب أن الحجج والبراهين والأدلة تتدفق على أقلامهم وألسنتهم ، فمنذ عهد قريب أفتوا المسلمين بأن هولاكو أولى بالملك من الخلفاء العباسيين ، « لأن الملك يدوم على الكفر ، ولا يدوم على الظلم » وهم الآن ما كاد المقام يستقر بالتتار فى دمشق حتى أذاعوا على جميع المساجد أن يدعى لقازان الكافر التترى فى الجمع والأعياد بالدعاء الآتى : « مولانا السلطان الأعظم ، سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود قازان » فهل تعجب بعد ذلك إذا سمعت ممن خلفهم فى العصر الحديث،عبدالله نابليون ، ومحمد هتلر ، وسيف الإسلام موسوليني ! أما إمام المتصوفة الشيخ الحريرى ، فقد سار ابناه « الجن والبن » فى ركاب التتار،يأكلون من فضلاتهم ويوطدون لهم المقام فى بلادهم ، ويمكنونهم من رقاب ذويهم ، وما أحسن قول الجوزى أحد شعراء ذلك العصر :

بُلينا بقوم كالكلاب أخسة ... علينا بغارات المخاوف قد شنوا
هم الجن حقاً ليس فى ذاك ريبة ... ومع ذا فقد والاهمُ الجن والبنُّ

وقول الوداعى:

أتى الشام مع قازان شيخ مسلك ... على يده تاب الورى وتزهدوا
تخلوا عن الأموال والأهل جملةً ... فما منهمُ إلا فقـير مجردُ

ولا يفوتنك جمال التورية فى البيتين الأخيرين .

حاج الحرمين:

ما أكثر ما خدع المسلمون بالألقاب ؛ فاستغلها للتمكن منهم أعداؤهم ، وهاهم أولاء التتار يكافئون قبجق أحد الخونة الثلاثة بأن يولوه من قبلهم على الشام ، ويتركوا معه جيوشهم بقيادة بولاى ، ليفتح ما بقى بالخديعة كلما أغنت عن الحرب ، استبقاء للجيوش ، حتى تدخل مصر قبل الكلال ، وضياع الوقت فى الحصار والنضال ، وأخذ قبجق الخائن ، يرسل إلى البلاد المنيعة طالباً التسليم ، ويوقع على كتبه : «سلطان الشام ، حاج الحرمين، سيف الدين ، قبجق » فيالمهازل الحجاج وسيوف الدين !

بطل مصرى:

علمت جميع مدن الشام الحصينة أن لا طاقة لها بالصمود أمام التتار ، بعد أن سلمت دمشق ، وثبتت بها قدم التتار ، ودُعى لسلطانهم فى المساجد ، وسار فى ركابه الجن والبن ، وارتد الجيش المصرى إلى ما وراء غزة . لهذا أذعن بلد إثر بلد ، واستسلم حصن بعد حصن ، وظن التتار أنه قضى الأمر ، ولم يبق عليهم إلا التوجه إلى مصر ، ليـدخلوها آمنين ، ولكن أيصح ذلك وما زال «أرجواش المنصورى المصرى » فى أقرب المواطن إليهم ، معتصما بقلعة دمشق ، ويأبى مع البقية الباقية من المصريين التسليم ؟ لقد استهانوا به فى أول الأمر لأن دمشق نفسها فى أيديهم ، ويكفى أن يقطعوا عنه الميرة والذخيرة ، ليتقدم بنفسه طالباً التسليم ، ولكن خاب ظنهم ، ورأوه ينقض عليهم من القلعة ، الفينة بعد الفينة ، ليستخلص من أيديهم ، ما يقيم أوده ، ويعينه على قتالهم . آنئذ لجأ العدو إلى الخديعة والليان،فتوجه الثلاثة الخونة يزعمون

قبجق إلى القلعة ، وهم زملاء سابقون فى السلاح لأرجواش ، فنادوه ونصحوه بالتسليم . ولما رفض فى إباء وشمم وبخوه ما شاء لهم البذاء ، واتهموه بخيانة المسلمين وإهدار دمائهم ! وقالوا له : « دم المسلمين فى عنقك إن لم تسلمها »

لا تعجب أيها القارىء الكريم ، فما زال الباطل يتطاول على الحق ، وتقلب السياسة الأمور ، حتى يأذن الله وينكشف للناس ما كانوا عنه غافلين ، ويندمون على جهلهم حين لا ينفع الندم . أتدرى بماذا أجاب أرجواش الخونة الثلاثة !

لقد قال لهم : « دم المسلمين فى أعناقكم أنتم الذين خرجتم على بلادكم ، وتوجهتم إلى قازان ، وحسنتم له المجيء إلى دمشق وغيرها من بلاد الإسلام » وسكت عند ذلك ، وكان يستطيع أن يوسعهم سباً ، ولكن من يحسن العمل دائماً لا يُحسن القول ، وأبطال النضال يغنيهم الحسام عن الكلام ، وقديماً قال قائد عربى لم يُفتح عليه بكلام حين وقف للخطبة :

إذا لم أكن فيكم خطيباً فإننى بسيفى إذا جد الوغى لخطيب

وقال الرشيد ملك العرب لنقفور ملك الروم رداً على تهديده :

« الجواب ما ترى لا ما تسمع »

فى قلعة دمشق :

تهيأ أرجواش للحصار والقتال وأجمع أمره على الموت دون التسليم ، وشد أزره من معه من أبناء مصر وأبطال النيل ، وصح عزم الجميع على ألا يدخل القلعة تترى وفيهم عرق ينبض ، وتوالت وثباتهم من القلعة على دمشق لأخذ ما يحتاجون . .

ومن تكن الأســـد الضوارى جدوده يكن ليـــله صبحا ومطعمه غصبا

وترادفت رسل غازان إلى أرجواش بالوعد مرة وبالوعيد والتهديد مرة أخرى ، وطال الأخذ والرد ، وخطباء المساجد يدعون على المنابر لسلطان الإسلام والمسلمين غازان ، وكل شيء حول أرجواش يدعو إلى التسليم ، ولكنه هو ومن معه لا يزدادون إلا عزما وتصميما وثباتاً ويقيناً .

أغنى عن أمرٍ :

نسى التتار أمر الهجوم على مصر ، واستحوذ الخوف عليهم من قلعة دمشق . إنها شوكة فى جنبهم وهلاك مشرف عليهم ، ولا مقام لهم فى دمشق نفسها ما لم يقتحموها على من فيها ، وقد يئسوا من جدوى السياسة والخداع ، وبات لا يطرف عينهم نعاس ، ولا يغشى جفونهم الكرى ، ولا يذوقون النوم إلا غراراً ، خوفاً من هجمات من بالقلعة ، وكانت تزداد وتشتد ، كلما أمل التتار الإذعان والتسليم ، فجاءوا جميعاً وأطبقوا على القلعة من جهاتها الأربع ، وهجموا عليها هجمة رجل واحد بخيلهم ورجلهم . ولا يحسن أحد كالتتار مثل هذا الهجوم الخاطف . رمت المجانيق بأحجارها ، وهجمت الخيول بفرسانها ، وأسرعت المشاة بمجلاتها ودباباتها ، كأنما ثار بركان ، أو اشتعلت نيران ، أو طغى طوفان ، وأظلم الجو من الغبار المتطاير ، والمثير الثائر ، وما هى إلا ساعات حتى انجلت الموقعة ، عن القلعة الرهيبة سليمة حصينة كعملاق جبار يعبث بشسع نعله أطفال ، أو كالهرم الخالد تتهدى عليه حبات الرمال ، بل كثهلان تغدو وتروح عليه النمال . ثم انجلت الموقعة عن بحار من دم التتار ، وأكوام من أشلائهم وتلال من رءوسهم ، أما أرجواش وصحبه فهم فى قلعتهم سالمون ، وبالنصر فرحون مستبشرون « فلله درهم ما كان أثبت جأشهم وأقوى جنانهم . »

احكمى يا مصر :

لقد كانت الموقعة هائلة ، وكان وقعها فى نفوس التتار أهول ، فلم يطيقوا فى الشام كلها بعد ذلك بقاء ، وولوا الأدبار بمن بقى معهم إلى بلادهم هاربين ، وفى إثرهم قبجق الخائن وصحبه ، ونزل أرجواش من القلعة واستولى على دمشق ، وأعاد الخطبة لسلطان مصر وزينت البلاد ابتهاجا بهذا النصر ، وطار الحمام الزاجل بالنبأ إلى قلعة صلاح الدين بالقاهرة ، فعاد جيش مصر إلى الشام ، وهناك أمام قلعة دمشق انحنى قائد الجيش المصرى العائد « سلار » لحماة مصر والشام ، وأبطال قلعة دمشق ؛ تمجيداً وتعظيما « وفرح أهل الشام قاطبة ، وعلموا أن فى عسكر الإسلام القوة والمنة ، ولله الحمد »

بأيكم المفتون :

أتدرى بماذا يتمت العلماء والمتصوفة أرجواش ؟ إنهم يصفونه بالغفلة والجنون ، ويكثرون التندر عليه والتهكم منه ويسوقون فى ذلك حكايات كثيرة برهانا على صدقهم ، وهاك حكاية واحدة لا شك

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٢) :

غاية الأخلاق عند أرسطو

للأستاذ كمال دسوقى

قلت لك فى حديثى الأول إنه بتعمل وتكلف كبيرين تستطيع أن تقتطع نظرية الخير والسعادة لأرسطو لدراستها وتعمقها : فإن هـذه النظرية جزء من أخلاقه ، والأخلاق جزء من مذهبـه ، والمذهب فى جملته صورة للفيلسوف وعصره وبيئته .

ومن ثم ، فانه لكى تفهم الجزء المطلوب إليك دراسته حق الفهم ، يجب أن تضعه فى مكانه من الهيكل العام للفلسفة الأرسطية يجب أن تلم بحياة الفيلسوف ، وتصنيف كتبه وترتيبها ، ثم بمذهبه فى المنطق والطبيعـة وما وراء الطبيعة ثم الأخلاق والسياسة ، إلماماً تستطيع معه أن تتبين مبلغ الانسجام فى عناصر المذهب الأرسطى كله فى صلته بالبيئة اليونانية .

ليس تاريخ حياة الفيلسوف ذا أهمية إلا بمقدار ما يلقى من ضوء على جوانب فلسفته وما يكشف عن بواعث آرائه وفكره . وسترى أرسطوا فى أخلاقه - كما هو فى كل نواحى فلسفته ، رجلا واقعياً تجريبياً تقوم آراؤه على منطق المشاهدة . ونتائج الملاحظة ، فى عصر مشبع بالخيال الأفلاطونى ، والمثالية المتطرفة والأدب والفن ... وذلك لما تيسر له من التربية الصحيحة فى البلاط المقدونى حيث الترف والتفرغ للعلم وجمع النماذج والإحصاءات ... هـذه التربيـة التى لم تستطع العشرون سنة التى قضاها فى أكاديميـة أفلاطون أن تغير من أثرها القوى ، فما يزال يختلف مع أستاذه حتى يتخرج عليه - أو يتوفى هذا عنه - أبعد ما يكونان فى منهج كل منهما وفلسفته :

يختلف المنهج عند أرسطو عنه عند أفلاطون. فان هذا الأخير يسير على طريقة أستاذه سقراط فى الحوار والجدل (الديالكتيك) الذى أدخله لأول مرة فى اليونان زينون الإيلى فى دفاعه عن وحدة أستاذه برميندس وسكونه بحججه المشهورة ، والذى عد أفلاطون إمامه وعمدته حتى أثر به فى الأدب اليونانى خمسين سنة كما يقول المؤرخون .

أما أسلوب أرسطو فاسلوب علمى رصين ، تذهب به الدقة والتحديد فى الألفاظ والمصطلحات إلى حد الغموض أحياناً ، ولكنها لا تؤدى به إلى استطراد أو إيجاز يخل أحدهما بمدلول القول . قد يكون هذا التقسيم لكتبه إلى أبوابها وفصولها وفقراتها بهذه البراعة والأحكام من عمـل الشراح الكثيرين الذين تتلمذوا على أرسطو تسعة عشر قرنا أو تزيد (حتى بعد عصر النهضة الأوربية بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر) ، ولكن مما لا شك فيه

أنها من وضعهم ، وما أقدرهم على الكذب ، وإنما اخترت هذه الحكاية دون غيرها لأنها من رواية عالم هو الصفدى عن متصوف هو عبد الغنى الفقير ، قال سامحه الله :

« لما مات الملك المنصور قلاوون — أستاذ أرجواش — قال لى :

أحضر لى مقرئين ، يقرءون ختمة للسلطان ، فأحضرت إليه جماعة جعلوا يقرءون القراءة العادية ، فأحضر أرجواش سيفاً وقال:

كيف تقرءون للسلطان هذه القراءة ! إقرءوا عالياً ، فضجوا بالقراءة جهدهم ، فلما فرغوا منها قلت : « يا خوند » أى يا سيد فرغت الختمة ، فقال : يقرءون أخرى ، فقرءوها وقفزوا كثيراً ليفرغوا ، فلما انتهوا أعلمته وطلبت لهم أجرهم ، فقال : ويلك ! السماء ثلاثة والأرض ثلاثة ، والأيام ثلاثة ، والمعادن ثلاثة ، وكل ما فى الدنيا ثلاثة ! يقرءون . فذهبت إليهم وأخبرتهم بالخبر ، وقلت : احمدوا الله تعالى على أنه ما علم أن هذه الأشياء سبعة سبعة. فلما فرغوا من الثلاثة ، وقد هلكوا من صراخهم طلبت أجرهم ، فقال : اكتب عليهم حجة أن ثواب هذه الختمات لمولانا السلطان دون غيره ، ففعلت ذلك وجئت إليه بالحجة ، فقال : هذا جيد وصرف لهم أجرتهم . » ويعقب المؤرخون على ذلك بقولهم :

حكى عن أرجواش حكايات كثيرة ، تدل على تغفل كبير ، وتلحقه بعقلاء المجانين ، وإن مصر لتصيح وقد مر على أرجواش نحو سبعة قرون : ألا ليتكم أيها المؤرخون والعلماء والمتصوفون فى مثل غفلة أرجواش وشجاعته وأياديه على بلاده .

عطية الشيخ
مفتش المعارف بالمنيا

أن هؤلاء الأتباع والمفسرين ما كانوا ليصلوا إلى تصنيفها بهذه الدقة والسهولة والنظام ، لو لم تكن هي مرتبة في فكر صاحبها وفي كتاباته بهذه الصورة .

وإنك لتلمس لأرسطو منهجا خاصا في دراسة موضوعات كتبه مما تقرأ في موضوع الأخلاق الذي أنت بسبيله : فانه إذ يحدد لك منذ البدء غاية دراسته التي يهدف إليها تحديداً واضحاً بالأمثلة يسرد لك كل ماقيل حول هذه الدراسة من آراء . وهنا يقال إن أرسطو كانت معلوماته أوسع مافي زمانه ، وأنه في مرحلة دراسته الطويلة التي قاربت الاربعين سنة قد استوعب كافة النظريات في العلم والفلسفة التي ظهرت ، فهو يورد لك طرفاً منها فيستبعد الخاطيء بعد نقده ، ويستبقي الصواب بعد إنصافه وحده ، فيتقصى مشاكله ويزيد عليه بما يتأدى إلى النتيجة السليمة والحل الواقعي الصحيح.. والأخلاق لها عند أرسطو منهج يستقيه من مشاهدة واقع الحياة وملاحظة أمور الناس؛ وهو المنهج العلمي الصحيح لهذا العلم في عصرنا الحديث كما يقول به فلاسفة الإنجليز من الاخلاقيين . فعلى الأخلاق في نظرهم أن تعرض لدراسة ما هو كائن فعلا لا كما يجب أن يكون

وللاخلاق مكانها من فلسفة أرسطو ،فإن لأرسطو في هذا الفن كتابين آخرين غير الاخلاق النيقوماخية المنسوب إلى نيقوماخوس nichemaque ابن أرسطو من زوجته الثـــانية أربليس ، الذي خلد في شخصه إسم أبيه هو ، وخلد هـذا في كتاب الاخلاق الذي أهداه إليه . أما الـكتابان الآخران في الاخلاق ، فأحدهما يسمى الاخلاق إلى أوديموس، وهو أسبق من أخلاق نيقوماخوس وأقل دقة وأحكاماً . والثـــاني يسمى الاخلاق الكبرى . وفيه يلخص أرسطو في مقالتين اثنتين ماسبق أن أورده في الـكتابين آنفي الذكر .

والمكان الذي أريدك أن تضع فيه الأخلاق الأرسطية بهذا المعنى وفي مصادرها هذه أحب أن تنظر إليه من ثلاثة وجوه : مكان دراسة الأخلاق من مراحل حياة أرسطو ذاتها ، في أي مرحلة هي ؛ وهـذه المصادر ذاتها أين يأتي ترتيبها في جملة مؤلفات أرسطو حسب تصنيف المؤرخين لها ؛ ثم أخيرا الأخلاق كعلم وفن أين موقعها من العلوم الأخرى .

أما من حيث مكان الدراسـة الأخلاقية من حيـاة أرسطو فتستطيع أن تقول إنها تأتي في دور الاستاذية من هذه الحياة ـ خصوصاً الـكتاب الذي بين أيدينا . وذلك لما تحمل هذه الـكتب من أسماء تظن بها أن تجمل أرسطو من أصحابها في موقف الأب أو الأستاذ ـ من ناحية ، ومن ناحية أخرى لرسوخ قلمه وثبات فكره فيما يتعلق بدراساتها ، فإن حياة أرسطو يمتدُّ الطلب فيها (طلب العـلم) حتى الثامنة والثلاثين ، والرحلة والسفر وتثقيف الاسكندر حتى الخمسين ، ثم يأتي دور اللوقيون والأستاذية والتأليف حتى الثالثة والستين ، كما تجدون من تصفح تاريخ حياته .

أما موضع مصادر الأخلاق الارسطية من بقية كتبه ولوحة مؤلفاته ، فيأتي ـ حسب تصنيف أندرونيقوس الرودسي لجلة كتابات أرسطو ـ في المجموعة الرابعة ، إذ تشمل المجموعة الأولى الـكتب المنطقية بوصف المنطق مدخل العلوم ومقدمتها ، أو الإيساغوجي كما يسميه مناطقة العرب؛ وبوصفه علم العقل أو الآلة أو الأورغانون organum كما يقول أرسطو نفسه . ولابد من تقديم العلم الذي يفحص الاداة الفكرية قبل فحص الأفكار التي تمخضت عنها هذه الأداة ذاتها ؛ ثم تأتي في المقام الثاني كتب الطبيعة ، ومنها طبيعيات كبرى تبحث في المبادىء العامة المشتركة في جميع الأشياء والطبائع؛ وطبيعيات صغرى تعرض لدراسة أمور جزئية بعينها والمجموعة الثالثـة يسميها الشارح مابعد الطبيعـة : أي التي تأتي في الدور والترتيب بعد كتب الطبيعة وسماها البعض ما وراء الطبيعة،باعتبار ما تعرض له من أمور لا تمت إلى الطبيعة ولا إلى الحس بسبب ، بل هي إلى الأمور الـكلية المجردة والمبدأ الأول وعلة العلل أقرب والحرف méta في إسم هذا العلم métaphysique يحتمل التأويلين . وعلى كل حال فان فلاسفة العرب يسمون هذا العلم الفلسفة الأولى أو العلم الإلهي .

وبعد هذه العلوم النظرية بأقسامها الثلاثة تأتي العلوم العملية والفنية؛ فالمجموعة الرابعة مختصة بكتب الأخلاق وكتب السياسة والخامسة خاصة بكتب الأدب والشعر والفن . فإن أرسطو قد كتب حتى في هذه الشئون ، وما تدرس في تاريخ آداب اللغات من أقسام القصة وأنواع الشعر والخطابة وغيرها أنت مدين به لأرسطو ـ هذا المارد الجبار الذي لم يدع علماً ولا فناً إلا سبق في

الـكتابة فيه ؛ والذى يعيش الفكر الإنسانى عالة عليه مهما جدد أو تقدم .

ولن يعسر عليك ـ بعد إذ وقفت على تصنيف كتب أرسطو أن تبين موضع الأخلاق فى لوحة العلوم وقائمة المعارف عنده ، لما هنالك من تقارب كبير بين تقسيم العلوم عنده وتصنيف الشراح لـكتبه . فان العلم ينقسم عند أرسطو ـ باعتبار الغاية التى يؤدى اليها ـ إلى نظرى وعملى ،

فالنظرى غايته العلم والمعرفة لذاتها أبتغاء الوصول إلى الحقيقة. فإن تعلق العلم والمعرفة بموجود هو مادة وحس وحركة فهو العلم الطبيعى ، وإن تعلق بموجودات مجردة عن هذه ولـكنها كم ومقدار فهو العلم الرياضى . وإن كانت مطلقة التجريد عن ذلك كله فالعلم الإلهى أو الميتا فيزيقا .

أما العلم العملى فليس الغرض منه مجرد الوقوف على الحقيقة أو الحق le vrai وبالانجليزية truth أعنى العلم للعلم والمعرفة لذاتها كالعلم النظرى ، بل يتجاوز ذلك إلى العمل والتدبير . فموضوعة الخير le bon وبالانجليزية goodness فان كان الخير الذى تنشده يتعلق بالانسان وحده وفى ذاته فذلك علم الأخلاق . وإن تعلق بأسرته ومن يعاملهم من أهله فذلك تدبير المنزل ؛ وإن أمتد ليتناول تدبير أمور المملكة أو الدولة جميعها من حيث هى مجموعة فذلك علم السياسة .

أرأيت إذن أين يضع أرسطو علم الأخلاق من لوحة علومه ؟ هو أول العلوم العملية التى تدبر أمر الإنسان بما هو إنسان .فان شئت بعد هذا أن ترجع معى إلى هذا التصنيف الذى توسع به فلاسفة العرب ونقله منهم الفارابى وابن سينا وغيرهم ، فلاحظ ما يأتى :

(١) لم يدخل أرسطو فى هذا التصنيف علم المنطق لأنه اعتبره مدخلا ومقدمة كما قلنا . وإنما أحل محله العلم الرياضى بعد أن قدم عليه الطبيعى ، وأن لم يؤلف هو فى الرياضة كتباً مستقلة .

(٢) أن العلوم النظرية تتدرج حسب نزوعها إلى التجريد ـ فالميتا فيزيقا أرقاها ، ولهذا يسميها العرب العلم الأول (الطبيعيات) والأوسط (الرياضيات) والأعلى (الإلهيات) .

(٣) والعلوم العملية تتدرج من الوحدة إلى الـكثرة ومن تدبير شئون الفرد إلى تدبير شئون الدولة .

(٤) والعلم النظرى أشرف من العملى لأنه يراد به كمال العقل الانسانى . كما أن العلم العملى أشرف من الفنى لأنه يدبر أمر الإنسان ويتعلق به بينما يهمل الفن فى الأشياء والمحسوسات .

وذلك بعض ما تجد فى فلسفـة أرسطو فى ترتيب وأنتظام ومذهبية .

وإنك بعد هذا لجدير بأن تقدم على قراءة أرسطو وتحليله معى بأفق أوسع وفهم جديد ، حين نلتقى مرة ثالثة فى الحديث المقبل إن شاء الله.

كمال دسوقى

الشعر المصرى فى مائة عام

للأستاذ سيد كيلانى

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

من ١٨٨٢ — ١٩١٩

— ٦ —

احتل الإنجليز البلاد المصرية فى عام ١٨٨٢ م فبدأ بذلك عهد جديد أخلد المصريون فيه إلى الهدوء والسكينة ، وأخذت الحالة المالية تتحسن يوما بعد يوم،فعم الرخاء واستتب الأمن وانتشرت الطمأنينة وساد العدل وسارت البلاد فى طريق التحضر بخطى واسعة . وأقبل المصريون على التعلم فكثرت المدارس والمطـابع والصحف والمجلات . وراجت سوق الـكتب ، وجد الناس فى طبع الـكتب القديمة وترجمة روائع الأدب الغربى ، وشعر الجميع بعجز اللغة العربية وقصورها عن مسايرة النهضة العلمية الحديثة .ففكروا فى إصلاحها واختلفوا فى طريقة الإصلاح . وقد ظهر أثر تلك الحركة عند الشعراء ، فنظم حافظ ابراهيم قصيدة على لسان اللغة العربية قال فيها .

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

ثم أخذ الروح الوطنى فى الظهور والنمو حتى جاء مصطفى كامل فالتف حوله الشبان والشيوخ ،وازدهرت الصحف الوطنية وجدت

فى مهاجمة المحتلين . وساهم الشعراء فى تلك الحركة فنظموا القصائد الحماسية فى تحريض الوطنيين على الجهاد والكفاح ، وفى هجاء الإنجليز وكل من يتعاون معهم من المصريين ، وكان لورد كرومر — وهو أول معتمد بريطانى فى مصر — قد وضع فى يديه مقاليد الحكم يصرف الأمور كيف يشاء وفقا لمصلحة المستعمر التى لم تكن متفقة مع مايصبو إليه المصريون من الرغبة فى الاستقلال والتمتع بالحكم النيابى ،ونشر التعليم بجميع أنواعه بين أبناء البلاد والظفر بحرية الصحافة والخطابة وغيرها من أنواع الحريات .لذلك أضحت سياسة لورد كرومر التى لم تتمش مع هذه الرغبات الوطنية ـ موضعا لهجوم شديد ، ونقد عنيف من الكتاب والشعراء . ونظمت فى عصر ذلك الرجل كثير من القصائد الفياضة بالعواطف الوطنية الصادقة .

وفى عام ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواى المشهورة فهاجت الخواطر واشتد الحنق على المحتلين . وأخذ الشعراء ينظمون القصائد فى البكاء على ما أصاب تلك القرية والتشهير بالانجليز . فلشوقى قصيدة مطلعها :

يادنشواى على رباك سلام   ذهبت بأنس ربوعك الأيام

ولحافظ ابراهيم قصيدة جاء فيها .

ليت شعرى أتلك محكمة التفتيش عادت أم عهد نيرون عادا

كيف يحلو من القوى التشفى   بضعيف ألقى إليه القيادا

إنها مثلة تشف عن الغيـ   ـظ ولسنا لغيظكم أندادا

وقال اسماعيل صبرى من قصيدة ينوه فيها بعفو الخديو عباس عن المسجونين من أهل دنشواى

وأقلت عثرة قرية حكم الهوى   فى أهلها وقضى القضاء الأخرق

إن أن فيها بائس مما به   وأرن جاوبه هناك مطوق

وارحمتى لجناتهم ماذا جنوا ؟   وقضاتهم ماعاقهم أن يتقوا

وفى عام ١٩٠٧ عزل لورد كرومر من منصبه ففرح بذلك الوطنيون فرحا عظيما ، وقد عبر الشعراء عن ذلك الفرح .

قال شوقى من قصيدة طويلة

لما رحلت عن البلاد تشهدت   فكأنك الداء العياء رحيلا

وقال الكاشف

وتنفس الصعداء شعب حامل   هما يضيق به الفضاء الأرحب

والذى لاشك فيه أن الأحوال المالية قد تحسنت كثيرا فى عهد كرومر ، واستتب الأمن ، وساد العدل وانتشرت الطمأنينة وعم الرخاء . وفى ذلك يقول حافظ

سنطرى أياديك التى قد أفضتها   علينا فلسنا أمة تجحد اليدا

أمنا ،فلم يسلك بنا الخوف مسلكا   ونمنا، فلم يطرق لنا الذعر مرقدا

وكنت رحيم القلب تحمى ضعيفنا   وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا

على أن المصريين قد اختلفوا فى الحكم على كرومر . فمن نظر إلى نمو الموارد المالية على يديه وتقدم حركة العمران مدحه وأثنى عليه . ومن نظر إلى الأحوال السياسية وتخلف الشعب المصرى عن غيره من الشعوب الناهضة فى ميدان السياسة والعلم ، وتمتع الأجانب بجل خيرات مصر ، وانتشار الشركات الأوربية فى طول البلاد وعرضها ، وإمعانها فى النهب والسلب — من نظر إلى هذه الأحوال قدحه ونعى عليه . وفى ذلك يقول حافظ

تشعبت الآراء فيك فقائل   أفاد الغنى أهل البلاد وأسعدا

وكانت له فى المصلحين سياسة   ترخص فيها تارة وتشددا

رأى العز كل العز فى بسطة الغنى   فحارب جيش الفقر حتى تبددا

إلى أن قال :

وآخر لم يقصر على المال همه   يرى أن ذاك المال لايكفل الهدى

فلا يحمد الإثراء حتى يزينه   بعلم وخير العلم ما كان مرشدا

يناديك قد أزريت بالعلم والحجا   ولم تبق للتعليم يالورد معهدا

وأنك أخصبت البلاد تعمدا   وأجدبت فى مصر العقول تعمدا

قضيت على أم اللغات وإنه   قضاء علينا أو سبيل إلى الردى

ووافيت والقطران فى ظل راية   فما زلت بالسودان حتى تمردا

فطاح كما طاحت (مصوع) بمده   وضاعت مساعينا بأطماعكم سدى

ففى هذه القصيدة نتبين رأى حافظ فى كرومر، ثم رأى الناصرين لسياسة هذا العميد ، ثم رأى الناقين على هذه السياسة وهم من الحزب الوطنى . والملاحظ هنا أن قصيدة حافظ فى وداع كرومر كانت هادئة . والسر فى ذلك أن حافظا كان تلميذا لمحمد عبده الذى كان صديقا حميما لكرومر يستنجد به ضد الخديو عباس . أما قصيدة شوقى فقد بلغت الغاية فى العنف . ذلك لأن شوقى كان شاعر الخديو الذى كانت بينه وبين كرومر عداوة شديدة .وللكاشف قصيدة لاتقل روعة وعنفا عن قصيدة شوقى ومطلعها :

أمي عزائمك القضاء الأغلب وطوى صحيفتك الزمان القلب

ومنها :

أنسيت محنة مصر فى سودانها أيام هام الجيش فيه يعذب

أهملته حتى إذا فتكوا به أمسى فؤادك جمرة تتلهب

ومنها . وفيه إشارة إلى إتفاقية الحكم الثنائي فى السودان بين مصر وبريطانيا :

غافلتهم حينا فلم يتلفتوا إلا ونابك فيهم والمخلب

لولا خضوع وزارة هيابة لم يستقم لك فى السياسة مضرب

***

أما رأى الناصرين لسياسة كرومر والحبذين لها ، فقد حمل لواءه الشاعر أحمد نسيم الذى استؤجر للتغنى بمناقب الإنجليز وفضائلهم وله قصيدة مدح بها لورد كرومر وودعه حينما رحل عن البلاد ، ومطلعها :

يامنقذ النيل لاينسي لك النيل يداً لها من فم الإصلاح تقبيل

إنا نودع فيك العرف أجمعه وما لنا غير حسن الصبر تعليل

ومنها :

جملت مصر بلاد أمطرت ذهبا فتربها بعذاب التبر مبلول

خلفتها ويد الإسعاد تكنفها داراً عليها من النعمى سرابيل

حللت فيها وغل الجور مقعدها ذلا وفارقتها والجور مغلول

وكنت ملجأها أيام نكبتها وللحوادث بابن النيل تنكيل

سست العباد بأمر ليس ينقصه ناه تحقق أن الأمر مفعول

وقد رفعت من الإصلاح ألوية لها رواق على الأصقاع مسدول

وقت بالأمر حتى مالنا طلب يرجى وأنت أمام الله مسؤول

وكان مصطفى فهمي رئيس النظار وقتئذ قد أقام حفلة تكريم للورد كرومر بمناسبة سفره إلى بلاده . وفى هذه الحفلة خطب رئيس النظار فأطرى كرومر وأثنى عليه . فهب الشعراء ينمون على مصطفى فهمي مافعل ، ويتناولونه بالنقد والتجريح . ثم خطب لورد كرومر فى هذه الحفلة فأهان المصريين ورماهم بالتعصب ونكران الجميل ، وعرض بالخديو اسماعيل تعريضاً شديداً . وكان الأمير حسين كامل (السلطان حسين) حاضراً فسمع ماقيل فى أبيه من الشتائم والسباب وقد ظهر أثر ماحدث فى هذه الحفلة عند شوقى حيث يقول .

أوسعتنا يوم الوداع إهانة أدب لعمرك لايصيب مثيلا

هلا بدا لك أن تجامل بعد ما صاغ الرئيس لك الثنا إكليلا

انظر إلى أدب الرئيس ولطفه تجد الرئيس مهذبا ونبيلا

فى ملعب للمضحكات مشيد مثلت فيه المبكيات فصولا

شهد (الحسين) عليه لعن أصوله وتصدر (الأعمى) به تطفيلا

والحسين هو حسين كامل . والأعمى هو الشيخ عبد الكريم سليمان أحد علماء الأزهر . وقد كان علماء الأزهر يميلون إلى كرومر لما عرف عنه من صداقته لاستاذهم الشيخ محمد عبده . وقد اهتم شوقى فى هذه القصيدة بالدفاع عن جد الخديو عباس إرضاء للخديو من ناحية ، ومن ناحية أخرى وفاء للخديو اسماعيل الذى ولد ببابه كما قال

أأخون اسماعيل فى أبنائه ولقد ولدت بباب اسماعيلا

سيد كيلاني

أصـــداء

للاستاذ كامل محمود حبيب

إلى اخوانى الذين حبونى بالمحبة والثقة على حين قد شطت الدار وبعد المزار (كامل)

قرأت فى العدد ٨٦٠ من الرسالة الغراء رسالة من الأستاذ محمود الطاهر الصافى برمل الأسكندرية إلى يقول فيها « .. وبعد فإنى أعلم أنك كنت صديقاً لإمام الأدب وحجة اللغة ، عبقرينا الرافعى – لهذا أرى أن للعربية حقاً عليك تؤديه بعمل تنشر به للرافعى ذكراً جديداً ، تلفت إلى أدبه (الباعث لأمة) . وأقترح أن يكون هذا العمل كما يأتى . –

أولا . – جمع ما أثنى به الكتاب والعلماء على الرافعى ، وهو شيء كثير يؤلف مجلداً ضخماً أو أكثر ، وما رأيت أحداً أثنى عليه بمثله وفيه أبلغ القول وأجله

« ثانياً ، – جمع كل ما عرف له من شعر ونثر ، والمبالغة فى هذا الجمع حتى لا يفلت مما أثر عنه شيء .

« ثالثاً . – السعى لإنشاء كرسى لأدبه فى الجامعة ، فما هو بأقل من شوقى ، ولا منزلته بأقل من منزلته ؛ بل له ميزة لم يشاركه فيها أحد ، وهى إلزامه نفسه بألا يكتب – وما أدراك ما كتابته

الا فى مثل الشرق والإنسانية العليا »

هذا كلام قرأت فيه الروح الوثابة الطاهرة والغيرة الجياشة النقية ، والعقل الحصيف والقلم الرصين . وقرأت فيه نداء حاراً قويا يدفع إلى غاية سامية رفيعة . فشكرت لصاحبه غيرته على الأدب الرفيع أن تنطمس معالمه فى ثنايا الزمن ، وأثنيت على إشفاقه على حقبة من تاريخ العقل المبدع أن تلتف فى مطاوى النسيان ، وحمدت له الثقة الغالية التى حبانى بها حين اختارنى - من بين صحاب الرافعى - لأضطلع بهذا العمل الجليل ، وهو عمل ينشط له القلب وتهفو اليه الروح

هذا ، وإن ما قيل فى الرافعى - بعد وفاته - ينشطر إلى قسمين: ماقيل فى الربوع المصرية ، وأ كثره بين أيدينا لا ينقصه إلا أشياء ضئيلة : لا يحتاج جمعها إلى عناء ولا يتطلب العثور عليها كبير جهد أما ماقيل عنه فى الأقطار العربية ، فهو كثير متناثر لم أجمع منه إلا شذرات يسيرة وقعت لى عن غير قصد ولا تعمد ، لهذا فأنا أتقدم إلى إخوانى الأدباء .. فى مصر والاقطار العربية - ممن كانوا يمنون بأدب الرافعى ويحتفظون بآثاره ، أن يتفضلوا فيرسلوا إلى كل ما وقع تحت أيديهم من كلمات قيلت فى الرافعى بعد وفاته ، سواء أكانت شعراً أو نثراً .

أما الاقتراح الثانى ، فهذا عمل اضطلع به كبير من أدباء الشباب هو الاستاذ محمد سعيد العريان ، وهو قد عاشر الرافعى زماناً طويلا ، وتغلغل إلى حياته الخاصة ، ولصق به سنوات وسنوات يأخذ منه ويعطى ، ويجلس اليه فى خلوته ، ويراه فى مجلس قراءته وفى محراب كتابته . واستطاع بعد ذلك ،أن يكتب بقلم الخبير المطلع - كتاب (حياة الرافعى) وهو سفر جليل فذ يتحدث عن حياة الأديب الكبير فى صراحة وحق . ولقد قطع الاستاذ سعيد فى هذا العمل شوطاً بعيداً . وأظنه نشر كل مؤلفات الرافعى سوى « حديث القمر » و « تحت راية القرآن » و « على السفود » و « ديوان الرافعى » وما كان لى أن أفتات على حق صديق عزيز على نفسى هو الأستاذ سعيد العريان

اما الاقتراح الثالث ، فأنا ارفع الكاتب الاديب عن أن يجحد التيارات الادبية والسياسية التى لا تتورع عن ان تجرف مثل هذا المشروع بين امواجها المتضاربة . ولا ريب فى أن الكاتب الذكى يعلم أن معارك الرافعى العنيفة ما زال يرن صداها فى آذان جماعة من ذوى السلطان والجاه والكلمة فى السياسة والأدب . ورغم ذلك فأنا لن أقعد عن أن أبذل جهد الطاقة على صفحات الرسالة إن شاء الله - ، فى سبيل تحقيق الغاية التى ننشدها جميعا مخلصين لوجه الوطن والأدب.

وبعد ، فانى أطمع أن يرن صدى صوتى فى أرجاء الارض فيستجيب له إخوانى فى مصر والأقطار العربية ، وأطمع أن يكون الزمن قد مسح بيده الرفيقة على قلوب ذوى السلطان والجاه والكلمة فى السياسة والادب فنسوا معارك وقتية نشبت بينهم وبين الرافعى ،فلا يجدون -الآن - غضاضة فى أن يعترفوا بمكانته السامية فى الأدب والعلم

(٣)

وقرأت فى العدد ٨٦٢ من الرسالة خطاباً إلى من الأديب احمد محمد فرغلى عثمان بأسيوط قال فيه « قد أطلعت على مقالك المعنون بحماقة أب فى العدد ٨٥٨ من الرسالة ... ولما انتهيت الى قولك : (والآن ماذا يختلج فى فؤادك الخ) لم ترقنى خاتمته على هذا النحو ؛لأن القارىء يميل إلى أن يعرف نهاية القصة بأسلوب يرتاح اليه نفسه ويطمئن قلبه وتسكن عنده خلجاته ، وأنت قد أبهمت مصير حياة الرجل فلم نعرف . أتخاذل امام الحزن نهلك .» إلى آخر ماجاء فى عبارته

لا عجب - ياسيدى الأديب إن انا ختمت قصة من الحياة بأسلوب لم يطمئن له قلبك ولم تسكن عنده خلجات نفسك ، فما أنا سوى مصور يصور لوحة من الطبيعة جذبت قلبه بروعتها ، وسيطرت على لبه برونقها ؛ فرسمها بريشته ؛ ونثر الألوان على نسق ارتضاه فنه ،ووزع الظلال على طريقة اطمأن لها خياله ولكنه رسم لوحه من الطبيعة . أو أنا قاص ينشر حادثة من الحياة انفعلت لها نفسه وتأججت لها عاطفته واضطربت مشاعره ، فسكبها على القرطاس فى أسلوب رضى عن قوة سبكه فيه الحياة والحركة ؛ ولكنه قص حادثة من الحياة . والقصة فى الحياة حلقة من سلسلة الحوادث لها ما قبلها ولها ما بعدها . فما كان لى أن أرسم حدوداً ضيقة للصورة التى أ كتب فتبدو فى رأى العين محدودة مبتورة ، وتبدو فى رأى العقل فى منأى عن الحياة والحركة

وإن أنا نزلت عند رأى القارىء العزيز ، اضطر قلمى أن يخلق نهاية القصة بخيال يصبغها بصبغة شوهاء مصنوعة لا يستسيغها عقل ولا يقبلها رأى ، وأرغمت نفسى على حوادث ملفقة لا تنبض بالحياة ولا تخفق بالحركة ؛ على حين أننى أصور أناساً يعيشون بيننا وما تزال أشباحهم تتدافع على مسرح الحياة لم . يبلغوا النهاية بعد وهكذا يريد القارىء أن يدفعنى إلى أن أفكر بعقل رجل كيوسف وهبى يوم أن كان هو الممثل الأول فى مصر يوم أن كان يريح النظارة من عناء التفكير فى نهاية القصة فيقذف بأبطاله جميعاً إلى النهاية المحتومة ، فيقتل البعض ، ويلقى بالبعض فى اليم ، ويقذف بالبعض فى نار يضطرم أوارها . هذا خطر من القصة عفت على آثاره معالم القصة الحديثة التى تتطلب من الكاتب أن يشرك القارىء فى حوادث القصة ليشعر بأنه يؤلف بعض فصول الرواية .

لقد سأل الكاتب الأديب - فى كلمته القصيرة - تسعة أسئلة أثلجت جميعاً صدرى ، لأننى أيقنت بأن القارىء يشار كنى فى الخاطرة ويحاورنى الرأى ، وهذا هو مايهمنى . أما أن حادثة من الحياة تروق القارىء أولا تروقه فهذا مرجعه إلى ذوقه ورأيه وثقافته فحسب

(٣)

يدفعنى الحديث فى هذا الموضوع إلى الوراء قليلا ... الى العدد ٨٥٤ من الرسالة ، يوم أن كتب إلى الأخ عطية فنون بدمياط يقول : « قرأت ما كتبته بعنوان (زوجة نهار) فأكبرت بلاغة أسلوبك .. حتى انتهيت من القراءة إلى كلمة : (يا للقصاص) . فلم تعجبنى خاتمة كلمتك لأن القارىء يود أن تكون نهاية الخائنة أشد وأنكى من أن تطرد إلى الشارع . كيف واجهت الشارع ؟ أجرى الذئاب وراءها ؟ أم مازالت حية تتمرغ فى الأوحال ؟ .. أم ماذا صنعت وصنع ؟ إن لم يكن حقيقة فخيالاً ، لتكون عبرة وعظة »

واعجب ما فى هــذه الكلمة قول الأديب « لأن القارىء يود ... » والأديب عطية نفسه يعلم تماماً أنه لا يعنينى ما يود القارىء بقدر ما يعنينى أن أعرض صورة فنية صادقة من الحياة لا أتشبث فيها بخيال ولا أزور حادثة . ونسى الكاتب الأديب أننى أستوحى الحياة فحسب فقال « إن لم يكن حقيقة فخيالا ، لتكون

شركات الذهب الأسود فى الشرق الأوسط

للاستاذ فؤاد طرزى

عندما أعلن فى شهر ديسمبر من عام ٦ ١٩ أن شركتى نفط (ستاندرد) (وسكونى فاكوم) وهما من الشركات المساهمة فى شركة النفط العراقية تنويان المساهمة فى شركة النفط العربية فى المملكة العربية السعودية بعد أن عقدتا صفقة شرائية مع شركة النفط البريطانية الاردنية ، استرعت مسألة اسلوب الاشراف والسيطرة على جميع نفط الشرق الأوسط انتباه الجمهور ، اذ أن هذا الاسلوب الذى كان ينظر إليه غالبا على ضوء قوة سياسات النفط صار يقوم بصورة مباشرة على ضوء اعتبارات اقتصادية تتصل بالانتاج والتوزيع .

ولذلك يبدو لنا انه من الضرورى لتقدير مجرى التطورات المستقبلة كتلك التى سبق الاعلان عنها أن نفهم أولا كيف تمت السيطرة على نفط الشرق الأوسط ومن هى تلك الدول المشتركة فى السيطرة ؟ ثم نعرف ثانيا نوعية الضغط الاقتصادى الذى يدفع إلى إجراء تحول أساسى فى طريقة السيطرة على انتاج النفط وتوزيعه .

كان انتاج الشرق الأوسط جميعه من النفط حتى تاريخ منح المملكة العربية السعودية امتياز استخراج النفط فى أراضيها الى شركة النفط الاميركية العربية (ارامكو) عام ١٩٣٣ خاضعا لاشراف الجماعة المعروفة بشركة النفط العراقية ، ولا تزال هــذه الجماعة تقوم بهذا الاشراف سواء أكان ذلك مباشرة ام عن طريق الفروع ، أو بمقاولات امتياز متنوعة ، ويشمل الاشراف هــذا

عبرة وعظة » فهو أنكر أن فى الحياة النابضة عبرة وعظة ، وانكر أيضاً - أن فى الشارع عقابا صارماً قاسياً هو أشد وأنكى ما تمنى به فتاة كانت تعيش - يوماً ما - فى كنف الزوج آمنة مطمئنة . لا يا سيدى الكاتب ، أنا لا أوافقك فى الرأى ، وستجدنى - إن شاء الله - على حق

كامل محمود حبيب

العراق وسورية وفلسطين وشرق الأردن وسواحل الامارات العربية ابتداء من الخليج الفارسي، ثم حول راس شبه الجزيرة الجنوبي التي تدخل عدن ضمنها . وهي مقسمة إلى أربعة أقسام متساويه تتقاسمها شركة النفط البريطانية الايرانية المحدودة وشركة «شل» الهولندية الملكية ، وشركة النفط الفرنسية وشركة نفط الشرق الأردني وهي فرع علكه بالتساوي شركة ستاندردفي نيوجرسي ، وشركة سكوني فا كوم . ولكل منهما حصة تعادل ٧٥و٢٣ بالمئة ، وعلك الخمسة في المئة الباقية المستر سي . اس . كالبنكيان عن طريق شركة خاصة تدعى شركة المساهمة والاستثمار المحدودة . وقد منحت حصة المستر كالبنكيان تقديراً لخدماته في مفاوضات الحصول على امتياز شركة النفط التركية الأصلية التي كانت تدير الامتياز سابقا قبل أن تحصل عليه شركة النفط العراقية . وشركة النفط ـ البريطانية — الايرانية منظمة مشتركة تشرف على الاملاك والمالح التي كانت علكها شركات « دراسي » قبل الحرب العالمية الأولى . وتمتلك الحكومة البريطانية ٥و٥٢ بالمئة من جميع ممتلكات الشركة ، ولها حق تعيين مديرين عامين اثنين للشركة يتمتعان بسلطة اعتراض مطلقة على قرارات الأربعة عشر مديرا المنتخبين من قبل اصحاب الاسهم الباقين . ولا يتم اللجوء الى هذه السلطة في الأعمال المتعلقة باشغال الشركة التجارية ، ولكنها تستخدم فقط في المسائل المتعلقة بالسياسة العليا وبالعلاقات السياسية . وعلى كل فمن الفروض عمليا أن شركة النفط البريطانية الإيرانية تعمل وفق رغبات الحكومة البريطانية بشكل لا يتعارض والعلاقات القائمة بين شركات النفط الاميركية وحكومة الولايات المتحدة الاميركية .

وتجري معظم عمليات انتاج شركة النفط البريطانية — الايرانيه ، ماعدا بعض النشاط الوطني الأولي في المملكة المتحدة نفسها . وتمتد هذه العمليات امتدادا محدودا في الشرق الأوسط أي في إيران والكويت ومناطق شركة النفط العراقية . وإن أسواقها تغطي نصف الكرة الشرقي ، ولذلك فانها ممدودة في مصاف شركة ستاندرد في نيوجرسي وشركة سكوني فا كوم ، وتعتبر من بين الشركات الكبرى التي تبيع النفط في أسواق العالم .

وشركة « شل » الهولندية الملكية هي نوع من أنواع الاندماج بين المصالح البريطانية والهولنديه من الوجهة المالية ، إلا أنها تعتبر نفسها شركة بريطانية تخدم الاغراض الدبلوماسية والاتجاهات السياسية . وهي كشركة ستاندرد في نيوجرسي تدير صناعة النفط في قسم واسع من العالم وتسيطر بالإضافة إلى مصالحها في شركة النفط العراقية على مجموع الانتاج في الهند الشرقية الهولندية وتأتي في المرتبة الثانية بين منتجي النفط في فنزويلا بامريكا الجنوبية كما أن لها فرعا يتمثل في شركة اميركية تعد من أعظم شركات النفط في الولايات المتحدة . وشركة « شل » تفوق ، من حيث الأهمية ، وكلاء النفط في رومانيا ، وهي تملك أيضا مراكز إنتاج لها أهميتها في أماكن أخرى في أوربة وامريكة الجنوبية ؛ وإن مدى نشاطها في أسواق العالم واسع جداً ، فهي كشركة ستاندرد في نيوجرسي تسيطر على معظم صناعة النفط الفنية الحديثة .

أما شركة النفط الفرنسية فانها تستخدم كأداة للسياسة الوطنية الفرنسية ، مع أن الحكومة الفرنسيه لا تملك سوى ٣٥ ٪ فقط من أسهمها ، أما الأسهم الباقية فيمتلكها المستثمرون الفرنسيون وموزعوا النفط الفرنسي ، كما أن بعض شركات النفط الأجنبية التي تعمل في الاراضي الفرنسية تملك جزءاً من الاسهم ، وتشبه علاقة هذه الشركة بالحكومة الفرنسية إلى درجة ما علاقة شركة النفط البريطانية — الإيرانية بالحكومة البريطانية إلا أن عملياتها أقل إتساعا لأنه لم يكن لها إنتاج حتى إلى وقت قريب ماخلا حصتها في شركة النفط العراقية وبعض إنتاج لا يؤبه به في فرنسة . وقد حصلت مؤخرا على بعض الحصص في فنزويلا الشرقية ، وهي حصص يؤمل أن تصبح فيما بعد موارد فينا من موارد الإنتاج يضاهي ماتأخذه من شركة النفط العراقية .

وفيما يتعلق بشركتي ستاندرد في نيوجرسي وسكوني فا كوم فهما شركتان متنافستان داخل حدود الأراضي الاميركية، ولكنهما شركتان متعاونتان في المناطق البعيدة . وهاتان الشركتان من أوسع المؤسسات النفطية المعروفة ، فلهما علاوة على مصالحهما المشتركة في شركة النفط العراقية ، ومساهمتهما المشتركة في شركة النفط العربية الاميركية ، وملكيتهما لاتفاقية شراء النفط الخام من الشركة الإيرانية، منظمة تدعى بسكوني فا كوم ، تدير جميع عملياتها في شرق السويس إدارة مشتركة . وتقوم الشركتان باعمال الانتاج والتصفية والبيع أما جهودها في نصف الكرة الغربي فغير متحدة

بل هى على الأغلب جهود متنافسة. وتنشط المنافسة بينها فى أوروبا وافريقيا الغربية والشمالية وقد تنعدم فى أحايين أخرى.

وإن شركة ستاندرد دائماً هى الشريك الغالب، اذ أن عظمة عملياتها تتجاوز الخيال. فنى فنزويلا وجدها تنتج من النفط ما لا يقل عن ثمانية أضعاف ما ينتجه اليوم جميع المنتجين فى رومانية ومع ذلك فمنتجة النفط العالمية الجبارة هذه لا تزال طفلة تحبو فى الشرق الأوسط، لأن كل نشاطها محصور فى حصة أقل من الثمن متمثلة فى مساهمتها فى شركة النفط العراقيـة ومحدودة بعشرة آلاف برميل يوميا من الانتاج. وهذه الحصة تـكون أقل من ٥ و١ المئة من مجموع الانتاج فى الشرق الأوسط ومن مجموع انتاج شركة نيوجرسى فى العالم.

والشركات المذكورة داخلة فى شركة النفط العراقية وذلك بموجب اتفاقية داخلية عقدت فى ٣١ يولية سنة ١٩٢٨ وهى الاتفاقية المعروفة باتفاقية الخط الأحمر. وهذه الوثيقة تعد بمثابة تعهد يوضح حقوق ومسؤوليات الشركاء الموقعين عليها من الناحية القانونية سواء بين بعضهم البعض أو بينهم وبين الشركة التى تضمهم. وإن نصوص هذه الاتفاقية التى لا يعرف عنها إلا القليل، تنص على مساهمة فى النفط تبلغ ضعف المساهمة فى الربح، وتضع قاعدة مؤداها أن الشريك غير القادر على إستخراج حصته من النفط يخسرها دون عوض مقابل استخدام رأس المال خلال المدة التى لا يدر فيها ربحا. وتنص النصوص الصريحة التى تدعى — (الفقرات التقييدية) أو (انكار السلطة الذاتية) والتى سحبت بموجبها الاتفاقية المعروفة — (اتفاقية الخط الأحمر) على أن شركة النفط العراقية هى الوكيل الوحيد للشركات المؤسسة على أن لا تعمل بموجب ذلك على انفراد، بل أنها تنوب عن الجماعة فى المسائل المتعلقة بالحصول على الامتيازات واجراء عمليات الشراء وبيع النفط والتصفية المحلية. وقد وضعت هذه النصوص الشاملة لمنطقة جرى تحديدها بخط أحمر لتطبق بعد الحرب العالمية الأولى أثر سحق الامبراطورية العثمانية.

ويتضح من فحص الفقرات التقييدية لاتفاقية الجماعة المتعلقة بمنطقة الخط الأحمر أنها تقع ضمن التقييدات الاستثنائيـة التى تجاوزتها المحاكم البريطانية، والتى تخلصت أحيانا من رقابة المبدأ القانونى الأميركى. وعلى كل فيما يلاحظ أن الأطراف الموقعين على الاتفاقية يؤلفون شركات النفط الأربع الكبرى بين الشركات المالية التى تسيطر على أسواق نصف القارة الشرق وعلى الأسواق الفرنسية العامـة، يتضح أن النصوص موضوعـة لاجتناب المنافسات

ويطالب من الموقعين على الاتفاقية الحصول على تجهيزاتهم من المنطقة المحدودة بأسعار التكاليف الحقيقية تاركة فقط ميدانا ضيقا يتحرك فى التوزيع النسبى كمنطقة تصلح المنافسة فى الأسواق.

ويبدو أثر هذا النوع من اتقاء المنافسة فى اتفاقية شركة النفط العراقية حين تصبح المنطقة المحدودة موردا دائما لتجهيز مناطق الاستهلاك العامة.

وقد أبلغ الشركاء الأميركيون فى شركة النفط العراقيـة شركاءهم فى أواخر سنة ١٩٤٦ أن من رأى مجلس الادارة اعتبار اتفاقية الجماعة بأكملها ملغاة، وباطلة وذلك عملا بنصوص القانون البريطانى، وأنهم وفق القانون الأميركى وحسب السياسة المتبعة ليسوا مستعدين لاعادة تصديق الاتفاقية دون حذف النصوص التقييدية. ومن المعلوم أن الشركاء ماعـدا كالبنكيان قد اتفقوا على صيغة جديدة تحدد حقوقهم ومسؤولياتهم المقابلة بغير ادراج الفقرات التقييدية: وتنظر هذه القضية الآن فى المحاكم البريطانية وينتظر الاعتراف بملكية المصالح فى شركة النفط الأميركية — العربية بنتيجة الفصل فى هذه القضية، لأن شركة ستاندرد وسكونى فاكوم لا تملكان حرية الحصول على حصـة فى شركة النفط الأميركية — العربية إن كانت الفقرات التقييدية لا تزال نافذة المفعول.

وقد دخلت ثلاث شركات أميركية فردية أخرى — وهى ستاندرد فى كاليفورنيا وتكساس وشركة نفط الخليج — فى أعمال استثمار نفط الشرق الأوسط عن طريق شركة النفط العراقية، والشركتان الأولى والثانية ممثلتان فى شركة النفط الأمريكية، وتملكان بالاشتراك امتياز استثمار النفط فى جميع البلاد العربية السعودية باستثناء الأماكن المقدسة والمنطقة الجيولوجية الجدباء فى الغرب. وهاتان الشركتان تملكان أيضا، كشركة البحرين،

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

حول محاضرة الأستاذ الزيات في مؤتمر المجمع

أطلع قراء «الرسالة» في الأسبوع الماضي المحاضرة النفيسة المتمعة التي ألقاها الأستاذ أحمد حسن الزيات في مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ أسبوعين ، وأجمل نتيجتها في اقتراح يشمل أربعة أمور :

١ — فتح باب الوضع على مصراعيه بوسائله المعروفة وهي الارتجال والاشتقاق والتجوز .

٢ — رد الاعتبار إلى المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة

٣ — إطلاق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه ، فإن توقف القياس على السماع بطل معناه .

٤ — إطلاق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة .

وقد فتح باب المناقشة في موضوع المحاضرة عقب إلقائها ، فأثنى عليها معالي الأستاذ لطفي السيد باشا رئيس المجمع ، وكذلك أبدى بعض الأعضاء كالدكتور طه حسين بك والدكتور أحمد أمين بك إعجابهم بها . واقترح معالي السيد محمد رضا الشبيبي أن تطبع المحاضرة وتوزع على الأعضاء قبل المناقشة حتى يمكن لكل عضو أن يبدي رأيه في ضوء ما قرأ ، لأن طريقة الارتجال لا تؤتي الفائدة المرجوة من البحث والدراسة . وناقش بعض الأعضاء موضوع الاقتراح في المحاضرة مناقشة طالت بعض الوقت ولكنها لم تنته ، فقرر المؤتمر أن توزع المحاضرة على الأعضاء وتحدد جلسة لمناقشتها في نهاية الفترة المخصصة لانعقاد المؤتمر .

ومما جاء في المناقشة ملاحظات أبداها الدكتور أحمد أمين بك أجملها في ثلاث نقط : قال في الأولى ، إن الأستاذ رأى أن يفتح الباب على مصراعيه ، وأنا أرى أن يفتح جزء من مصراع واحد ففتح الباب على مصراعيه معناه الفوضى ، ، وأنا أجيز الحرية ولا أجيز الفوضى . وأنني أرى ألا يطلق الخلق إطلاقا ، بل يقصر على من يكون مستوفياً لشروطه . وقال في الثانية إني أحب أن أضيف إلى مقترح الاستاذ في الخلق مقترحا آخر في الاعدام ، فكما نبيح للأمة العربية أن تخلق ما تحتاج إليه من الألفاظ ينبغي أن نكمل الشطر الثاني من الاقتراح بأن نبيح لها أن تعدم ما لا حاجة بهـا إليه . النقطة الثالثة أن الأستاذ عرض في أثناء بحثه لمسألة هامة لم يدرجها في مقترحاته الأربعة ، وهي مسألة كتابة القرآن ، والحق أننا مجرمون أشد الإجرام في المحافظة على رسم القرآن لأننا نفترض أن من يقرأ القرآن يجب أن يكون قد حفظه أولا .

وقد رد الدكتور طه حسين بك على هذه النقط ، بأنه يخالف الدكتور أحمد أمين في الحديين الحرية والفوضى ، فقد تحسن الفوضى في أمور منها اللغة ، فالعرب الأول لم يسيروا على نهج في لغتهم كما ساروا على هذا النهج الذي يسميه الدكتور أحمد أمين بك فوضى ولم يعرفوا مجمعا لغويا يحدد حرية الناس في وضع اللغة ، وليس عمل المجامع إلا المحافظة على سلامة اللغة بتسجيل ما تراه يصلح اللغـة ولا يفسدها ثم ندخل هذه الألفاظ في المعجم .

امتياز استثمار النفط في جميع جزر أرخبيل البحرين في الخليج الفارسي ، وأن شركتي «ستاندرد» في «كاليفورنيا» و «تكساس» تعتبران من بين أعظم شركات النفط الخمس في الولايات المتحدة ، إذ تمتد عملياتهما في الخارج إلى الهند الشرقية الهولنديه وإلى «غينيا الجديدة» التي لها فيها مصالح مركزة مشتركة في إنتاج لا تزال في طريق النمو ، كما أنهما تقومان بأعمال البيع والشراء في شرق السويس ، وتشاركان في السيطرة على سوق ذات أهمية في أعمال شركة تكساس في أوربة وإفريقية رغم عدم أهميتها بذاتها ، وتتعهدان كذلك أعمال الإنتاج والبيع والشراء في أميركا اللاتينية .

وشركة نفط الخليج ، وهي الشركة الأميركية الثالثة العاملة في الشرق الأوسط مستقلة عن شركة النفط العراقية ، وهي تملك نصف امتياز شركة نفط الكويت . وأما النصف الآخر فتملكه شركة النفط البريطانية — الأردنية التي منحت امتياز استثمار جميع — نفط الكويت . وتمتبر شركة استثمار الخليج ، بالإضافة إلى أعمالها في الشرق الأوسط ، منتج مهم في فنزويلا ، كما أن لها أسواقاً للبيع والشراء في أقسام أوربة المختلفة .

فؤاد طرزي المحامي

ورد على النقطة الثانية بقوله: لست أعرف فردا ولا جماعة تملك سلطة الإعـدام فى اللغات ، وإنما أعرف شيئا واحدا يملك هذه السلطة وهو الاستعمال ، ولست أدرى بأى حق يباح لنا أن نلغى من المعاجم العربية كلمات بحجة أنها لا توافقنا ولا تجرى بها ألسنتنا فى الوقت الذى نضع فيه معجما تاريخيا نسجل فيه جميع الكلمات التى استعملت فى عصور العربية المختلفة ؟ ومن يدرى فقد تحتاج الأجيال التى تأتى بعدنا لبعض هذه الكلمات .

أما مسألة كتابة القرآن فقد قال الدكتور طه إنه يوافق فيها الأستاذين الزيات وأحمد أمين ، واقترح أن يعهد إلى فضيلة الشيخ محروش بدراسـة هذه المسألة .

وقد أثار الأستاذ العقاد نقطة أخرى ، إذ قال تعقيبا على طلب السنهورى باشا تخصيص جلسة لمناقشة المقترحات الأربعة: كل هذه المقترحات عرضت على المؤتمر فى دورات سابقة واتخذت فيها قرارات . فقال السنهورى باشا : يحسن أن تـكتب السكرتارية هـذه المقترحات وتبحث عما عسى أن يكون قد قرر فى شأن كل مقترح منها وتعد فى ذلك مذكرة مختصرة تعرض على المؤتمر لبحثها وقد قرر المؤتمر ذلك وشرعت إدارة المجمع فى إعداد قرارات المؤتمر

كشكول الأسبوع

◻ قرر مجلس الوزراء فى جلسته الأخيرة إنشاء معهد فاروق للدراسات الإسلامية فى إسبانيا . وقد جاء فى المـذكرة الإيضاحية التى أعدتها وزارة المعارف ، أن الغايات المنشودة من إنشاء هـذا المعهد هى إذاعة الثقافة العربية بوجه عام والمصرية على الخصوص بين الإسبانيين ، وتعريف المصريين بإسبانيا والكشف عما بها من كنوز عربية لا تزال بعيدة عن أذهان العالم العربى وعقوله .

◻ قررت وزارة المعارف العـدول عن النظام المعمول به للحصول على كتب المطالعة الإضافية التى تختار من المؤلفات الأدبية غير المدرسية ، بحيث يكون تقرير الكتاب منها لعام واحد مع الاكتفاء بشراء نسخ منه بقدر عدد أكبر فصل فى الفرقة التى يقرر لها من كل مدرسة ، ويكون استعمال التلاميذ له على طريقة التبادل، ويؤول فى آخر السنة الدراسية إلى مكتبة المدرسة .

◻ اقترحت لجنة ترجمة أمهات الكتب العالمية فى اليونسكو ، تكوين لجنة فى بيروت تمثل فيها البلاد العربية والجامعة العـربية واليونسكو ، لتقوم بترجمة عدد من أمهات الـكتب الأجنبية إلى اللغة العربية ، كما تقوم بترجمة عدد من الـكتب العربية القيمة إلى اللغات العالمية . وسيعرض هذا الاقتراح على الدول العربية وجامعتها لإبداء الرأى فيه .

◻ تقرر أن تشترى وزارة المعارف من دور النشر الأهلية الـكميات اللازمة من الـكتب المقررة للمدارس الإبتدائية ، لتوزعها على تلاميذ المدارس الحرة .

◻ أعلنت وزارة الشؤون الاجتماعية نتيجة مباراة التأليف المسرحى التى نظمتها فى العام الماضى ، ففاز بالجائزة الأولى ــ وهى مائة وخمسون جنيها ــ الأستاذ محمود غنيم عن رواية « غرام يزيد »

◻ نشرت مجلة الإذاعة المصرية أن محررها تحدث إلى المشرف على قسم المحاضرات بالاذاعة ، فقال الثانى : إن الأحاديث التى تذاع تهدف إلى الغايات الكبرى التى تهدف إليها نهضتنا الاجتماعية والفكرية الحاضرة . ولـما سأله المحرر عن أهم أحاديث الأسبوع أجاب بأنه حديث عن نشاط هيئة الأمم . . رحم الله هيئة الأمم وهدى إذاعتنا إلى الغايات الـكبرى التى تهدف إليها ...

◻ سافرت الفرقة المصرية فى هذا الأسبوع إلى تونس لإحياء موسم تمثيل لمدة شهر ونصف شهر فى شمال أفريقية . وقد تلقت الفرقة قبل سفرها من حكومة تونس رغبتهـا فى أن تقدم مسرحية « الناصر » لعزيز أباظه باشا ، فوافقت الفرقة ، وسيقوم بدور الناصر الأستاذ حسين رياض الذى تخلف عن السفر .

◻ وافق وزير المعارف على إعتماد عشرة آلاف جنيه لمشروع إنشاء الفرقة النموذجية لخريجى معهد التمثيل .

◻ وافقت الحـكومة الأمريكية على تخصيص ١٥ ألف دولار لمصر ، تشترى بها ما تريد من الـكتب ، وذلك وفقا لتوجيه هيئة اليونسكو . وسيكون توزيع الـكتب المشتراة عن طريق الادارة العامة للثقافة بوزارة المعارف ، والأولوية فيه للجامعات والمعاهد العالية ثم الهيئات العلمية .

السابقة فى موضوع المحاضرة . والواقع أن المقترحات الأربعة لم يتخذ المجمع فيها قرارات على النحو الذى بسطه الأستاذ الزيات وكل ما هنالك أن المؤتمر فى العام الماضى استمع إلى محـاضرة للدكتور أحمد أمين بك موضوعها « مدرسة القيـاس فى اللغة » قرر بعد مناقشتها الأخذ بمبدأ القياس فى اللغة على أن يكون الحق فى ذلك لمن توافرت فيه شروط ذكرها المحـاضر .

والأستاذ الزيات يرى أن الطوائف المجتمع الحق فى أن أن يسمع مايضعونه من ألفاظ يشعرون بحاجتهم إليها فى شئون الحيـاة التى يمارسونها ، على خلاف الدكتور أحمد أمين الذى لا يجيز الوضع إلا لعلماء اللغة . وأذكر أن المؤتمر توقف فى جلسة العام الماضى التى قرر فيها الأخذ بالقيـاس ــ توقف فى مسألة الارتجال ــ وهى التى يتضمنها اقتراح الأستاذ الزيات الأول ـ وخرج منها بإقرار القياس على وجه عام . وفى الملاحظة الأولى التى أبداها الدكتور أحمد أمين على مقترحات الاستاذ الزيات مايدل على أن هذه المقترحات جديدة فى مجموعها بالنسبة لما أقره المجمع من قبل ، إذ قال إنها تفتح الباب على مصراعيه وأنا أرى أن يفتح جزء

من مصراع واحد .

وأريد أن أقول كلمة أخيرة فى موضوع هذه المحاضرة : إنها صرخة الحياة فى وجه الجمود اللغوى ، فحياتنا المصرية تمج بالأشياء التى لم تعترف العربية بأسمائها ، وقدسمينا (الأتومبيل) سيارة ولكن بالسيارة عشرات الأجزاء لم تقر أسماءها اللغة بعد فإلى متى نستمر على حبس هذه الكلمات وأمثالها داخل الأقواس؟ وإلى متى يظل الناس يستعملون الكلام خارج الحدود المعترف بها؟

وإذا كان بين قدماء اللغويين - كما أشار إلى ذلك الأستاذ الشيبى فى تلك المناقشة — من يرى أن جوهر اللغة ليس فى مفرداتها بل فى أساليبها وتراكيبها ، أفلا يجدر بنا فى هذه الحياة المصرية التى امتلأت بالمستحدثات أن نتقبل ماينطق به الناس من المفردات مع صقله وتهذيبه ، وحسبنا المحافظة على سلامة الجمل والتراكيب التى هى جوهر اللغة كما قالوا ؟

فلم الاسبوع

هو فلم « بيومى أفندى » الذى يعرض بسينما استوديو مصر تمثيل يوسف وهبى وأمينة شكيب وفاتن حمامة وسراج منير وإيفون ماضى وفاخر فاخر وغيرهم ، وإخراج يوسف وهبى ، والقصة والحوار له أيضا ، وهى مقتبسة وممصرة وأصلها رواية « الأب ليبونار » لجان إيكار .

بيومى أفندى مصطفى (يوسف وهبى) ساعاتى يعمل فى شبه دكان على أحد المنعطفات بالحزاوى ، وهو رجل طيب مستقيم وماهر فى صناعته أمين ، يعرفه أحد أصحاب مصانع الساعات بسويسرا وهو يزور مصر - عن طريق صديق مصرى . فا يرى براعة الرجل فى إصلاح الساعات وحسن ذمته حتى يعينه وكيلا له فى مصر . وبذلك ينتقل بيومى أفندى من حال إلى حال ويصبح من تجار الساعات والجواهر الأغنياء ، ولكنه لم ينس زبيدة (أمينة شكيب) الخادمة التى كانت تتردد عليه فى دكانه القديم ، وكان يغازلها ويطلب منها أن تتزوجه ، فلم تبطره النعمة ولم يغير الغنى نفسيته ، فيتزوج من زبيدة دون أن يعلم أنها كانت على صلة بسيدها شوكت بك وأنها حامل فى الشهر الثانى . تضع زبيدة مولوداً ذكراً ، فيفرح به بيومى أفندى على أنه ولده الذى حملته أمه سبعة أشهر ، ويسمى المولود « نبيل » ثم يرزق الزوجان بعد ذلك بنتا « زينات » ثم يستدعى شوكت بك بيومى أفندى ويفضى إليه بالحقيقة الماثلة وهو مشف على الموت ويتبرع لابنه نبيل بمائة فدان . يجزع بيومى أفندى لهذا النبأ ويهم بقتل الطفل ، ولكن ضميره يقنعه بأنه مخلوق برىء لاذنب له . فيحتضن الوليد ويبوطن نفسه على الكتمان .

يكبر الولدان ، أما نبيل (فاخر فاخر) فشاب ماجن عاق وهو يحب ألفت (إيفون ماضى) بنت شكرى باشا (سراج منير) صديق والده عن طريق شركة الساعات . أما زينات (فاتن حمامة) فهى بنت وديعة تتعلق بأبيها ، وتحب الدكتور كمال الذى عالجها من مرضها وهو يحبها ويريد أن يتزوجها ، تعارض الأم فى هذا الزواج لأن الدكتور كمال يطعن إخوته فى نسبه لأبيهم ، وترى أن مصاهرته لاتتفق وما أصبح للأسرة من مكانة بين الطبقة الراقية ويؤيدها فى ذلك ابنها نبيل وشكرى باشا وابنته ألفت التى تعلن أنها لايمكن أن تتزوج من نبيل إذا تزوجت أخته من الشاب المطعون فى نسبه . ولكن بيومى أفندى ينظر إلى الموضوع من زاوية أخرى تتفق وما يصطنعه مع نبيل ، فكل منهما ضحية خطيئة لايد له فيها . فيصر على تزويج ابنته له . وتتمادى الزوجة وابنها فى معارضتهما وعنادهما وتطاولهما على الرجل الطيب الذى يثور عليهما أخيراً ويجابههما بما يكتمه عنهما ، ثم تنقاد الزوجة وابنها لبيومى أفندى ويعرفان فضله ومعروفه ، وتتزوج زينات من الدكتور كمال .

القصة ذات موضوع إنسانى ، إذ تهدف إلى الدفاع عن ابن الخطيئة الذى جرى العرف الظالم على الاستخفاف به لأمر بعيد عن إرادته . وفى الفلم عرض وتحليل لشخصية بيومى أفندى الرجل الخير ، والصانع المصرى الأمين القانع بالحلال ، وهنا تبرز ناحية قومية فى الفلم إذ يقارن بين بيومى أفندى الساعاتى البارع صاحب الذمة النقية وبين محل (الخواجات) الذى يبيع الساعات ويصلحها بأثمان فادحة ثم لاتلبث أن تتعطل . ويعجبنى فى يوسف وهبى اعتزازه بمصريته وإيمانه بالشعب المصرى ، وقد كان قويا فى التمثيل بهذا الفلم ، إذ أدى شخصية بيومى أفندى أداءاً باهراً بغض النظر عن الملاحظات التى سيأتى ذكرها . والعيب الأكبر فى هذا الرجل أنه يأبى إلا أن يكون مؤلفا وأنه يعتمد فى هذه

الأيام على مجهوده فى المسرحيات التى أخرجها قديما ، سواء فى المسرح أو السينما ، وهذا الفلم نفسه أصله مسرحية طالما قدمها على المسرح حتى كادت منها خشبته . وهو يعلن باعتباره مديراً للفرقة المصرية — أنه يمد يده إلى الكتاب ويرحب بما يؤلفونه من المسرحيات ، ثم يتخيل نفسه هؤلاء الكتاب ويمد يده إلى يده ، ويرحب بنفسه !

وأعود بعد هذا الاستطراد إلى فلم «بيومى أفندى» فأقول إنه فلم قيم على رغم ما فيه من فجوات ومآخذ ، ولعل قيمته راجعة إلى ظهوره فى هذا الموسم الذى تتابعت فيه الافلام الاستعراضية التهريجية ، فهو بالنسبة إليها عمل ينتسب إلى الفن ...

أول فجوة فى الفيلم ناشئة من أن حادثته تستعصى على التمصير فليس من الواقع الكثير فى بيئتنا أن يصارح رجل زوجا بسابق علاقته بزوجته وأنه أبو الولد الذى يظنه ابنه ، ثم يظل الزوج على حسن علاقته بزوجته واحتضانه للولد وإعزازه رغم استبداد الزوجة به وتطاول الولد عليه . وليس اعتراف الوالد الحقيقى الطريق الوحيد لمحاولة التكفير عن ذنبه ، فإنه يمكن أن لا يهب بنه المائة الفدان على على أنها مكافأة لأمه على خدمتها السابقة ، أما الاعتراف والهبه على الطريقة التى فى الفلم فهما صورة تحمل قيمة عالية ..

وقد رأيت عجباً فى المحكمة الشرعية التى نظرت قضية الطعن فى نسب الدكتور كمال فالمفهوم مما يتبع فى مثل هذا الموقف من الإجراءات الشرعية والقانونية أنه يطلب الحكم بعدم ثبوت النسب ويدافع المطعون فى نسبه مدللا على نسبته ، ولكنا رأينا الدكتور كمال يدافع عن نفسه بأنه ضحية بريئة ولا ذنب له فى وجوده ! والمحكمة .. أخذت بوجه نظره فحكمت بالبراءة ! ولست أدرى من أى شىء هذه البراءة ...

ومما يؤخذ على تصوير شخصية بيومى افندى أنه ظل عشرين عاما كالحمل الوديع ، تأمره زوجته فيطيع ، وينهره الولد الذى يتبناه فيغضى ، ويرى مع هذا وذاك من النبل وكرم الخلق ألا يصارحها بالحقيقة ، ثم إذا هو ينتفض فجأة فيستحيل إلى إنسان آخر قوى يفرض إرادته .. فكيف يظل أكثر حياته — على طولها — هادىء الطبع ضعيف الشخصية ، ثم ينقلب فى آخرها أسداً يزمجر ويبطش؟! يخيل لى أن يوسف وهبى أجرى الأمر على هذا النحو كى يهيىء لنفسه مواقف يشبع فيها خطابة وصياحا . وقد ظللت أشاهده فى دوره مندمجا معه بشعورى حتى جاءت مواقف الصياح فأفقت وشعرت بأننى أشاهد يوسف وهبى لا بيومى أفندى .. فأسفت لضياع التأثير الذى كان يمكن أن يستمر دون حاجة إلى هذه اللازمة التى هى عيب آخر فى ممثلنا الكبير . وقد أجاد فى الفكاهة والدعابة ، فكان ممثلا (كوميديا) ظريفاً ، ومن وسائله فى ذلك ترديده بعض الأغانى القديمة ، ولم يكن فى هذا بأس لولا أنه أسرف فيه وأكثر منه إلى حد التكلف ، وحتى ترنم ببعضها فى موقف حزين مؤثر . وقد بدا فى أول الفلم وآخره على ما يتطلبه الزمن من ملاءمة شخصيته للعمر فكان (الماكياج) متقنا ، ولكن أمينة شكيب ظلت كما هى لم تغيرها عشرون عاماً ! وقد أجادت دور المرأة الشرسة المتسلطة . وكذلك أجادت فاتن حمامة فى دورها . أما إيفون ماضى فهى ذات وجه معبر على رغم أنها ظهرت على الشاشة لأول مرة فى هذا الفلم . وأما فاخر فلم يكن فى دوره على مستواه المعروف فى الإجادة ، ولعل هذا راجع إلى عدم ملاءمته لدور الفتى الماجن .

عباس خضر



الى الادباء المعاصرين

توفى أخيراً الشاعر على محمود طه ، وسكتت قيثارته الى الأبد، وراح الأدباء يتسابقون إلى تحبير المقالات ونظم القصائد فى تمجيد ذكراه ، واطراء شعره ، فهو فى كل مايكتبون شاعر عبقرى ، فقده الأدب العربى ، ومؤلفاته تستحق العناية والدراسة ، وفى أكثر من مكان تمد دراسات مفصلة لشعره أينوى نشرها خدمة للادب و « قياماً » بالواجب تجاه الفقيد

ولن يمضى عام حتى تموت الذكرى ويخمد الصوت ؛ وتلتصق كلة « كان » بالشاعر الفذ ، ثم تمضى الأيام ، وتكر السنوات ، وينطوى هذا الجيل كما انطوى على محمود طه ، ويأتي أسلافنا فلا يجدون عنه سوى آثاره الشعرية ، وتاريخ مولده ووفاته ، وربما لم يعرفوا عنه أكثر مما نعرف عن المتنبي وهو شاعرنا العملاق الذى القى ظله الضخم على عصور أدبنا كلها ، وإن كنا نجهل سيرته جهلا شبه تام .

ولـكن أخلافنا لن يعذرونا كما عذرنا قوم المتنبى ، فالفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين القنبلة الذرية والسيف ... الفرق بين مقاعد الطيارات الوثيرة وظهور الخيـــل ، .. الفرق بين القرن العشرين والقرن العاشر .. فما عذرنا ؟

لا ! لن نـكون خدمنا شاعرية على محمود طه ، بهذه القصائد الحارة التى نحييه بها ؛ فهى كلها ليست إلا تعبيراً منغماً عن عواطفنا تجاهه ، ولن نخدمه بدراساتنا المفصلة لشعره ، فالزمن طويل مديد! ؛ وسيأتى بعدنا آلاف يدرسون شعره الدراسة التى يستحقها . وإنما واجبنا الأكبر أن نتقصى سيرة حياته تقصياً دقيقاً نشترك فيه جميعاً ـ أبناء هذا العصر كله ـ فيحشد كل قواه كلها من أجل الأدب الذى نعزه ، ونؤمن بقوة أثره فى أنهاض الأمم والسمو بمداركها وأحاسيسها ، وهو عمل لا يستطيع القيام به سوانا ولو جمت العصور القادمة ذكاءها كله لما استطاعت النهوض به ، فى أيدينا نحن وحدنا المفتاح . نحن الذين عشنا مع على محمود طه ومنا من كان من أصدقائه القربين ، وأقاربه ، ومعارفه ، ومنا من قابله وحادثه، ومنا من تلقى منه رسائل طويلة أحياناً قصيرة أحياناً أخر، شخصية حيناً ، رسمية حيناً آخر ، ... ومنا من سمع عنه حكاية ، ومنا من قرأ عنه فى الصحف وحفظ شعره ، ومنـا من يروى حوادث من نبطة بشعره. كلنا يعرف شيئا من تلك الحياة ، والواجب الأدبى أن نجمع معلوماتنا فى كتاب أو كتب ، فهل فينا من تهيأ للقيام بهذا الواجب النبيل ؟

الجواب الحتمى المؤكد أننا جميعاً ذاهلون ... وأقول جميعاً وأنا أعلم أنه ليس من المستبعد أن يـكون بعض الأدباء يفكر فى تأليف كتاب قيم عن الشاعر ، يمس حياته من بعيد ويلخصها فى ثلاثين صفحة أبرز ما فيها تواريخ وسنوات وحوادث كالتخرج والسفر إلى أوربا ، وطبع الـكتاب الفلانى ، ومرض الفالج ... أما سائر الـكتاب فعرض شعر الشاعر أغلبه إعجاب ، وهو أمر يستحقه الشاعر إلا أن المؤلم أنه لا يغنى عن دراسة عميقة مفصلة لحياته العملية التى لولاها لما كتب وما تغنى .

إننى أقترح ، وأود لو كان لاقتراحى صدى ، أن تنشط لجنة من المتحمسين لشعر على محمود طه إلى تقصى سيرة حياته بدقة وتفصيل معتمدة فى ذلك على ما يلى :

١ — الرسائل التى كتبها الشاعر طيلة حياته .

٢ — يومياته الخاصة « إن كان قد احتفظ بسجل يوميات يمكن نشر جانب منه » .

٣ — أوراقه الخاصة وقصائده التى لم تنشر .

٤ — ذكريات أهله وأصدقائه القربين ، عنه .

٥ — السجلات الحكومية الرسمية وكل ما يتعلق به فيها .

وقد يلوح لأول وهلة أن هذه مهمة شاقة ، إلا أننا لو راجعنا سير حياة أدباء أوربا لرأينا أصغر أدبائهم قد نالها ، فكيف نترك نحن كبار أدبائنا ينطوون تحت غبار الزمن القاسى ، ولا يترکون إلا كتبهم وحدها ؟ وكيف يتيسر لنا أن نفهم آثارهم إن كنا نجهل سيرهم هذا الجهل المخجل ؟

لقد آن لنا أن نؤدى ما علينا من دين تجاه عبقرياتنا المطموسة. ألا يكفى أننا تركنا « أبا القاسم الشابى » يضيع ويترك خلفه سيرة مجهولة يخجلنا أننا لا نعرف عنها إلا تاريخ بدايتها وانطفائها ؟ !

ألم يحن لنا أن نعرف عن كل شاعر تفاصيل سيرته ، والظروف التى أحاطت بكل قصيدة تركها ، وعلاقاته بأسرته وأصدقائه وقرائه ، والحب الذى ملك عليه أحاسيسه

ألم يحن لنا أن نقرأ الرسائل الخاصة التى يكتبها كبار أدبائنا ، كما يقرأ الأوربيون رسائل شعرائهم ؟

ولم يفت الأوان بعد ، حتى بالنسبة لأبى القاسم الشابى الذى مات منذ ثمانى عشرة سنة بعد شباب قصير متمثر بالآلام العقلية والجسدية . فلو نشط متحمس واحد لشعره ، واتصل بمن كان يعرفه لأنقذ ما تبقى من ذكريات عنه وربما فاز ببضع عشرة رسالة من رسائله يتحف بها القراء المتعطشين ، ويرفع تهمة الكسل عن هذا العصر ... فمن المخجل أن يكون كل ما نسلمه إلى الأجيال القادمة عن أبى القاسم الشابى حفنة من القصائد البديعة !

أيها المعاصرون ! لقد آن لنا أن نفيق من نومنا الطويل ، وندرك ما علينا من المسئوليات . بغداد «السامر»

الوعد الحق للدكتور طه حسين بك

لقد تفرد الدكتور طه حسين بك بهذا الأسلوب القصصى فى عرض حياة هؤلاء الأرقاء . وأعطانا صورة رائعة عن الجو النفسى والاجتماعى فى مكة فى فجر الإسلام . وما تعرضوا له من ألوان البلاء . وضروب الإيذاء فى صبر ، وجلد ، وشجاعة ، ماتركهم نماذج فريدة فى سجل التضحية والفداء . ولقد عرض الدكتور هذه الصور قوية . حية . مؤثرة . مثيرة ... ولكن لا حاجة إلى إطراء فن الدكتور فى هذا العرض وبقدار ما يبلغه من إشاعة الحياة فى صوره . وتأثيرها . ولا الى القول بأنها لون جديد فى أدبنا الحديث نعتز به . بل خير للناقد من هذا أن يأخذ بيد القارىء حتى يبلغ به أعتاب هذا العرض ويخلى بينه وبين طرائفه وبدائعه حتى يتهيأ له أن يأخذ لروحه وعقله ما فيه الغناء . أنظر كيف يصور الدكتور ما قاسته أسرة ياسر ، من شدائد وأهوال ، وكيف صبت عليها المحن صبا فلم يتزعزع إيمانها . ولا خانها صبرها . ولا تخلى عنها جلدها . ولا فقدت أملها فى الله : (... أقبل أبو جهل ومعه أصحابه . فرأى فرأى الناس أنطاعاً من أدم يسع كل نطع منها رجلا وقد ملئت ماء . ورأوا ناراً مؤججة . ومكاوى قد أحمى عليها . ورأت تلك الأسرة قد شد وثاق كل منها . وألقى ثلاثتهم فى جانب من الطريق كما يلقى المتاع غير ذى الخطر . فلما بلغ أبو جهل وأصحابه مكان العذاب أمر غلمانه فوضعوا بين يديه ياسرا . وزوجته . سمية وابنه عمارا ... وألسنتهم لا تفتر عن ذكر الله . فألهب أجسامهم بالسياط ثم أذاقها مس النار ثم صب عليها قرب الماء ثم عاد فيهم سيرته مرة ومرة ثم أمر بهم فغطوا فى الأنطاع التى ملئت ماء حتى انقطعت أنفاسهم أو كادت ثم ردهم إلى الهواء . وانتظر بهم فغطوا فى الأنطاع التى ملئت ماء حتى انقطعت أنفاسهم أو كادت ثم ردهم إلى الهواء وانتظر بهم حتى أفاقوا وتسمع لما ينطقون به بعد أن ثاب إليهم شىء من قوة فإذا هم يذكرون الله ويثنون على محمد قال أبو جهل لسمية وقد بلغ منه الغيظ أقصاه : لتذكرن آلهتنا بخير ولتذكرن محمداً بسوء أو لتموتن . تعلمى أنك لن ترى مساء هذا اليوم إلا أن تكفرى بمحمد وربه . قالت سمية بصوت هادىء متقطع قليلا : بؤسالك ولآلهتك ! وهل شىء أحب إلى من الموت الذى يريحنى من النظر إلى وجهك هذا القبيح ! هنالك تضاحك عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأخرج الحنق أبا جهل عن طوره فجعل يضرب بطن سمية برجله وهى تقول فى صوتها الهادىء المنقطع : بؤسا لك ولآلهتك ، ويجن جنون أبى جهل فيطعن سمية بحربة كانت فى يده فتشهق شهقة خفيفة . ثم تكون أول شهيد فى الإسلام : يقول ياسر قتلتها ياعدو الله ! بؤسا لك ولآلهتك . ويقول عمار : قتلتها ياعدو الله بؤسا لك ولآلهتك ! لتمتلىء قلبك غيظا وحنقا فإن رسول الله قد ضرب لها موعداً فى الجنة . قال ياسر : أشهد أن وعد الله حق . ولكن أبا جهل لم يمهله وإنمـــا يضربه فى بطنه برجله فيشهق ياسر شهقة خفيفة ثم يصبح ثانى شهيد فى الاسلام . قال عتبة بن ربيعة : فينبغى أن تطلق هذا الرجل وأن تخلى بينه وبين الحرية ليوارى أبويه)

هذا لون من الألوان الدامية المريعة التى كانت مكة تذيقها أسرة ياسر وبلال وصهيب وخباب ولم تستطع برغم هذا أن تبلغ منهم ما أرادت وباءت بالهزيمة وفازوا هم بالنصر والخلود

لقد استطاع الدكتور أن يخرج لنا من هذه الأطراف المبعثرة المشققة من الأحاديث عن هذه الشخصيات وهذا العهد كائنا حيا بكل خصائصه وسماته . فيا حبذا لو اتخذ أدباؤنا صنع الدكتور قدوة فتظافر بهذا التاريخ يجلوا ناصعا حيا .

محمد عبد الحميد ابو زيد



أمسية الميلاد لدي الصعلوك

للكاتب الشيلي سلفادور رايس

بقلم الأديب سليمان على

كان يلبس بدلة مهرة أحمر اللون طويل الذيل ، وعلى أذنيه الشعروان تقوم فى اتزان دقيق قبعة نخمة مريشة، وفى هذا اللباس الرسمى التاريخى كان يرقص فوق صندوق الموسيقى. وكان أمامه على الدوام حشد من النظارة ، من الصغار والكبار ، مجتمعين حول المعزف للتفرج عليه ، معجبين بالمهارة التى يتتبع بها أنغام الموسيقى المتغيرة ، فى نشوة من الضحك من حركاته المثيرة .

وكان لوجهــه قدرة عجيبة على الحركة ، ولم تنجب الطبيعة مخلوقاً أشد دهاء فى تعبيراته الناطقة ، وله هذه الثروة من الحركات المضحكة ، وهـذا الجسم الصغير العجيب المرن الذى تسكنه روح ذات حظ مماثل من المهارة والرغبة فى بعث السرور والبهجة . وكانت الموسيقى ، وهى حياته الهائمة ، والحشد من النظارة ، كلها تجلب له المتعة. فاذا جذبه طفل من ذيلة مرة ، لم يغضبه ذلك أكثر مما يغضب من الشمس المتوهجة على حفافى الطريق ، أو من البقع التى يشحب لونها رويداً على ثوبه الأحمر الجميل. وكان سعيداً، وكان اسمه بيبى ، وكان بالطبع قرداً .

وفى بعض الأحايين تتحرك خلطه السوداوى من فرط الحنين لوطنه ، كما لو كانت بفعل الريح . فيسمع مرة أخرى أغنية وطنه الغاب، الصداح بالأطيار، ويرى الفهد ينساب بين الأجم، والتماسيح تزحف من الطين ، ويتنسم عبير الأزاهر الهائلة الدائبة التفتح فى الحرارة الدائمة. وحينئذ يحرك ذراعيه الطويلتين ، ويتذكر كيف كان يتسابق فوق أعالى الأشجار ، أو ينزلق برشاقة على جذوعها المعمرة ألف عام ، ويذكر وفى قلبه وخزة تلك الكروم التى تنتظم كالدانتلا بين أصابع الغاب الهائلة .

بيد أن هذه الأشياء ما كانت تقلقه إلا فيما ندر؛ فلقد كانت الحياة جميلة ولم يكن مستعبداً كغيره من القردة. كان يسافر فى الطريق حراً مع سيده الذى كان صديقه كذلك . وإذا ما شعر بحاجة إلى الرياضة ، كان فى وسعه دائماً أن يرقص على المعزف . وكان رقصه حقاً نوعا من العبادة ، وكان القربان الذى يقدمه إلى ذكرياته عن الغابات الهائلة. ولم تكن لديه رغبة للعودة إليها إذ كان ذلك معناه فراق سيده، بيترسون الذى ، كان يعبده عبادة . ولم يكن بيترسون يمتاز بشيء ولكنه كان فى نظر بيبى يحتل مقام الإله . وكان مايزال شابا ، شديد النحول ، عيناه متعبتان زرقاوان ، وشعره طويل جميل يميل للصفرة ، ولحيته مهملة . وكان رث الملابس ، يمشى مشية بطيئة منتظمة ، تلك المشية المملولة التى يمشيها من يدرك أن رحلته لن تكون لها غاية .

وكانت كل الطرق تعرف هذين الصعلوكين : الرجل الذى يحمل الصندوق ، وبيبى الذى إما أن يكون قابعاً على كتفه أو دائم القفز فى محاذاته، وما كانا يمكثان طويلا فى مكان واحد، فكل مكان يبلغانه كان نقطة وصول ورحيل معاً . وفى الليل ينامان فى جنبات الطرق تحت الأشجار ، ويفضلان دائماً جوار المياه ، عند نهر أو على الأقل عند غدير صغير .

وأحياناً يكون الجو قائظا، وأخرى يكون قاراً . وكان بيترسون لا يأبه لتقلبات الطقس ، أما بيبى فكان يكره البرد ، وفى الليالى العاصفة ، الداوية بالرياح ، كان يزحف تحت غطاء سيده الصوفى السميك الذى كان يأتى به ويرمقه من تحته بعينين قلقتين لامعتين.

وكان الرجل والقرد يفهمان بعضهما حق الفهم وكانا يتخاطبان بالإشارات البسيطة ، والكلمات ، والأصوات ، وكانا يشعران بصلة غريبة وهما محوطان بوحدة الحقول الهائلة ، ووحدة الأرض نفسها التى تفوقها كثيراً ، كما يشعر الأخوان بأن كلا منهما ينتمى للآخر . وفى الظلام كان بيبى يمد يده الصغيرة السمراء ، يلتمس الثقة وهو يدرك أنه واجد فى ملمس هذا الرجل النحيف الأبيض الأمان والحب .

كان بيترسون الإله ، وبقية العالم من رجال وحيوان، وشجر وحقول وسماء ، أشياء أبدعها من موسيقى معزفه . فاذا ما بدأت كان بيبى يرقص ، جاعلا رجليه تتبعان النغم فى دقة ، يلقى بكليته

إلى الحركات المعقدة التى تثيرها، ولم يكن ذلك بدافع العمل فحسب، بل بدافع من غريزته الحيوانية ، بشعور مبهم لـكنه عميق ، نحو الإخلاص لسيده ونحو جمال العالم . وكان يرقص أحسن الرقص عند ما يكون أسعد حالا وأطيب نفساً ، فيعبر بهذه الطريقـة عن شكره وعن فرحه لكونه حياً يرزق .

وفى غسق يوم ذهبى ، بلغا إحدى القرى. وكانت قرية صغيرة ذات شارع واحد يمتد على منحدر التل، وينتثر بين الأشجار بضعة منازل فحسب . بيد أنه قبل أن يضع بيترسون معزفه احتشد جمع من الأطفال حوله . وكانوا يهتفون بحبور لدى رؤيتهم بيبى، الذى كان يمابثهم بحركات وجهه ، ويأتى بحركات مضحكة ، وكلما ازدادوا ضحكا ازداد سروراً. فلما صدحت الموسيقى ، فخمة، مكهربة ، كان فى نشوة من الحبور ، ومالت قبعته المريشة وهو يرقص ، وأخذت ساقاه النحيفتان تتحركان بسرعة تزداد شيئاً فشيئاً .

وأخذ الحشد يزداد ، وانضم إليه الآن بعض الـكبار أيضاً ، وكان بينهم شيخ حسن البزة يدخن غليوناً كبيراً ، ويطرق برأسه مع الايقاع الموسيقى ، وكان يرمق بيبى بعطف وهو يرقص ، وبيترسون وهو يدير يد المعزف كأنه رجل يبعث أمس قديما ، ولما انتهى الدور الثانى ، ألقيت بضع نقود فى قبعة بيترسون ، ولكنها كانت قليـلة ، فأهل الريف فى كرمهم محتاطون . وبينا هو يتأهب للذهاب أقبل الشيخ ذو الغليون وحدثه قائلا « لى حفيـد صغير مريض ، ولأن الليلة عيد الميلاد ، فإننى أرغب أن أقدم إليه متعة فريدة ، فهلا قبلت أن تأتى وتلعب له؟ أقصد بجوار فراشه لـكى يستطيع ان يرى القرد وهو يرقص ؟ »

فأطرق بيترسون موافقاً ، فلم يكن يحب استعمال الكلمات إذا استطاع إلى ذلك سبيلا . وانطلقا فى الطريق معاً — حتى بلغا (فيلا) ذات سقف أحمر ، تقوم بين دغل من الأشجار السامقة . ودفع الرجل باب السور ، وتبعاه فى الممشى المبلط الملتف حول أحواض الزهر المتلألئـة حتى بلغا المنزل . ولما وصلا إلى السلم كان بيبى يهمهم بأصوات التطلع والتحمس ؛ بيد أن بيترسون كان يمشى بعزم . ولـكنهما ما كادا يجتازان عتبة البيت حتى وقف كالمأخوذ . فقد كان فى منتصف البهو الواسع الجنبات شجرة من أشجار عيد الميلاد مشرقة بالأنوار .

ووقف بترسون ساكنا لا يريم ، وطرفه معلق بالشجرة . لم تكن شجرة حقيقية ، ولـكنها صنعت بمهارة من الورق المقوى والقماش ، غير أنها كانت فى نفس بيترسون محملة بالذكريات كأنما ينبعث من أبرها صمغ الصنوبر من مسقط رأسه، وكأنها تميل أمام الرياح العاتية فى تلك الخلجان البعيدة ، حيث الوجوه القديمة المحبوبة ، وقد حدثته الشجرة بلغتهم ، وهى تهمس فى رفق عبر السنين التى تفصل بينهم .

وكان بيبى يرتعش على كتفه فى تعاطف . ومع أن الشجرة المقلدة لم تكن تهمه فى شىء إلا أن طول الصحبة هيأ له سبيل النفاذ إلى قلب سيده، فأحس الآن بشىء غريب وحزين فى أعماقه؛ لذلك تعلق بالـكتف العريض وأخذ يرتعش ، وأحس بحنين إلى مسقط رأسه دون أن يدرك السبب .

« هلا تفضلت وأتيت من هنا ؟» كان الصوت المتكلم متقدماً فى السن حاراً ، وكانت صاحبته متقدمة فى السن ذات حرارة أيضاً . ورمقتهما بعطف وقالت ثانية « من هنا ... هنا تماماً ... »

وهز بيترسون نفسه وتبعها مجتازاً البهو ودخل من باب مفتوح . وكان فى الغرفة التى دخلاها صبى أبيض الوجه مستلق على سريره فى فتور . وأنزل بيترسون المعزف عن ظهره ، وبدأ يدير الذراع . وتدفق النغم منه فى قوة غير منتظرة بينما ترددت على حوائط المنزل أصداء وأصداء .

كانت نفس الموسيقى ، الفالس القديم الذى تردد مراراً وتكرارا . بيد أنه كان هناك اختلاف . وكان يبدو للصعلوك أن المعزف فقد إيقاعه الميكانيكى المألوف وأنه لبى نداء عاطفته ، كأنه آلة صنعت ليده بجرأة ... فشجرة عيد الميلاد تلك بثلجها الصناعى المقلد ، وهذا المنزل الفسيح المضىء ، والقوم المسنون الطيبون ، والغلام الصغير ، جميعهم ، أدركتهم الموسيقى ، وكانت هنالك أيضاً ، الصور التى فى قلبه: الغابات الشمالية والوجوه واللغة التى كاد ينسى كيف يتكلمها .

وبينما كان يلعب كان بيبى يقفز فى سعادة ، وجلس الغلام المريض فى سريره يصفق بيديه الضعيفتين ، وأخيراً انتهى الدور، وسكت المعزف .

وكان بيترسون يهم برفعه إلى كتفه عند ما وجد نفسه للمرة

الثانية ذلك المساء فى غيبوبة من العاطفة ، قد هاجته وأمسكت به ، وقد توقف ذراعه فى حركة صعوده ، وعيناه محملقتان ، فمن فوق رأس الشيخ كانت عينان فى زرقه البحيرات الشمالية ترنوان إليه ، عينان ساكنتان هادئتان ، مليئتان بحنان لا يحتمل . وتقدمت امرأة طوال ذات حسن وجمال وهى تبتسم ، وربتت على رأس بيبى . وقالت إن الموسيقى كانت لطيفة جداً ، أفلا يمكنهم البقاء واللعب أمام ضيوفها قبيل منتصف الليل ؟ ويمكنهم فى نفس الوقت أن يستريحوا ويأكلوا فى المطبخ . وأطرق بيترسون إطراقة خرساء . وخرج دون أن يجرؤ على النظر مرة أخرى .

***

وبعد بضع ساعات ، حينما عادوا إلى البهو كانت الشجرة متلألئة كسماء صائفة بالليل . كانت مئات الشمعات تبرق على أغصانها ، وحولها لفيف من الناس يتكلمون ويضحكون كانوا يتنادون بالأسماء فى ثقة كأنهم بذلك ينطقون بكلمة السر التى تسمح لهم بالدخول إلى وليمة الحياة . وكان الجو المرح ، مرح القلوب المؤتلفة ، يندفع كالغيم المتألق فوق رؤوسهم ، ولم تلمس بيترسون الومضة المتألقة ، وأحس أنه مطرود كليل . وظن لحظة أنه رأى العينين الزرقاوين اللتين أثرتا فيه كل هذا التأثير ، ولكنهما غابا ثانية . وأنزل المعزف باحتراس فى أحد الأركان وانتظر الإذن بالعزف .

وسرعان ما أعطاه الشيخ ذو الفليون الأشارة . وصحا بيبى الذى كان ممسكا بلحيته وهو نعسان بدافع الخوف من صوت الموسيقى وقفز على سطح المعزف ولكن لم يلق إليه أحد بالا . فقد بدأ الناس يرقصون ، رقصة الفالس على إيقاع الموسيقى ، التى كانت تنبعث فى اضطراب من المعزف القديم ، وهم يغنون بصوت أعلى من صوته المنكمر ، فى حبور وانشغال حتى أن أحدا منهم لم يدرك متى انقطع عن العزف . وراجع بيترسون الى ركنه ، وهو من ارتباكه لا يستطيع معرفة السبيل الى الخروج .

ودوت فى الغرفة أصوات أجراس كنسية آتية من بعيد ولكنها واضحة . وسكن القوم فجأة ، وأقبل الشيخ نحو بيترسون ووضع فى يده حفنة من النقود ، وهو يشكره بأدب . ففمغم بيترسون يرد عليه ثم رفع معزفه إلى كتفه ، وأخذ بيبى النعسان فى ذراعيه وكان على مقربة من الباب عند ما أبصر العينين الزرقاوين مرة أخرى وابتسمتا له من بعيد ، وابتسم الوجه جميعه فى ثنيات تصاعديه ساحرة . وشدت يد بيترسون على مقبض الباب ، وشدت عظامها حتى أصبحت بيضاء اللون . وجمدت ملامحه وهى تعبر عن اسى بالغ ، وكان وراءها دموع لم تذرف . فهو الذى مضت عليه سنوات لا يعرف له سكنا يأويه ، ولا طريقا يفضله عن طريق . هو الذى الذى لم يكن له من رفيق سوى قرده الراقص ، أدرك فجأة أنه سوف يعرف الآن الوحـــدة الحقة . شجرة صنوبر شمالية معلق بها أنوار ، عينان جميلتان ، والمرة الأولى اللوعة الكاملة للفراق ... وأحنى رأسه ، بشكل مضحك . لقـــد كان يقول كلمة الوداع .

وفى الخارج ، كانت ظلال مكدسة وسكون وسماء معلق بها أنجم هائلة منداة . وأغلق الباب خلفه ووقف على رأس السلم وهو يرسل الطرف فى قلب الليل . كان وحيداً ، وسيكون وحيداً ابدا . دان تنتظره أنوار فى نهاية الطريق ، والطريق نفسه لا نهاية له .

ونزل أول سلمه ، ثم وقف فجأة . لقد فتح الباب مرة أخرى ، والتفت فـــرأى ، العينين الزرقاوين ، والقامة الطويلة الرقيقه ، وقد تحدد قوامها وهو يومض بين إطار الليل المظلم .

وتقدمت فى تردد ومدت يدها . وقالت « سامحنى . لقـد رأيت ... هنالك ... هل فى الأمكان أن أمد لك يد المعونة بأى سبيل ؟ » وجمد بيترسون فى مكانه برهة ، ثم أخذ اليد الممدودة اليه فى بطء ؛ ولمسها بشفتيه ثم تركها تسقط ، ووقف الجسم اللامع ساكنا فى فتحة الباب ، والضوء يكلل شعره كأنه ألسنة اللهب الصغيرة ، وانتزع نظرته بعيداً واسرع فى النزول من السلم وأغلق الباب أخيراً ولكنه لم يبطىء من خطواته ، وكان يكاد يجرى حين بلغ قارعة الطريق . والتفت ذراعا بيبى حول رقبته وقرعت اجراس الكنائس إيذانا بصلاة منتصف الليل

محمد سليمان على

المهندس

إعلان بيع

إنه فى يوم الثلاثاء ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٠ من الساعة ٨ صباحا بسراى محكمة مغاغة الحسبية .

سيباع بطريق المزاد العلنى منزل مساحته ١٥٠ متر كائن بندر مغاغة يفتح على الترعة من الجهة البحرية مبنى دور واحد بالطوب الأخضر بعضه مسقوف بالبوص والخشب والبعض غير مسقوف البحرى ترعة والشرق روحية عبد الحميد عثمان والغربى جبالى منشاوى والشرق جبالى منشاوى وذلك البيع بثمن قدره ٤٠٠ جنيه بناء على حكم محكمة مغاغة الحسبية الصادر فى القضية رقم ٢٥ سنة ١٩٤٨ .

مجلس مديرية المنوفية

يقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم الثلاثاء ٣١ يناير سنة ١٩٥٠ عن توريد كتب وأدوات مدرسية . وتطلب القوائم على عرضحال دمغة مقابل مائة مليم بخلاف ثلاثين مليما للبريد .

٣٨٧٩

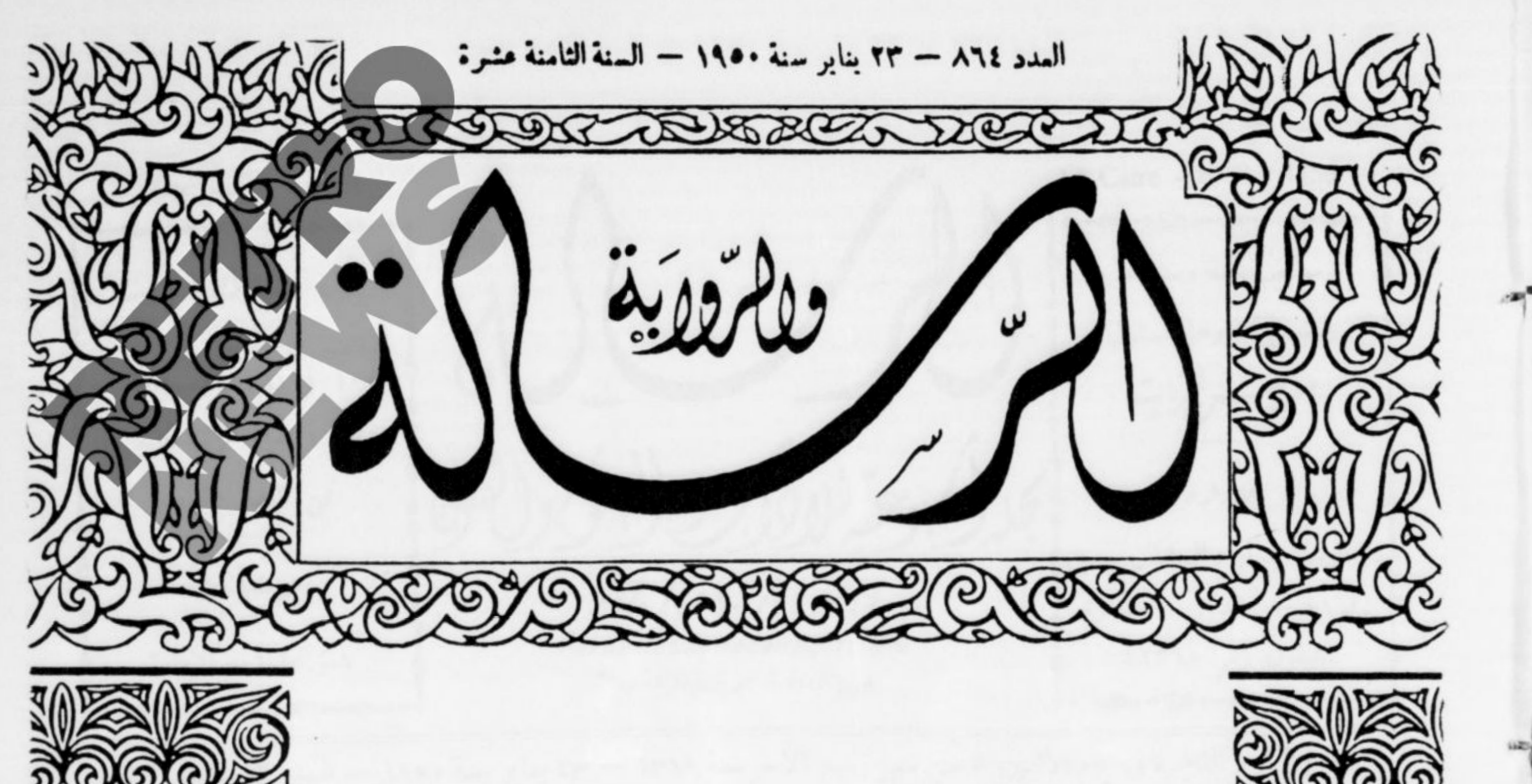
العدد [illegible] — [illegible] يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

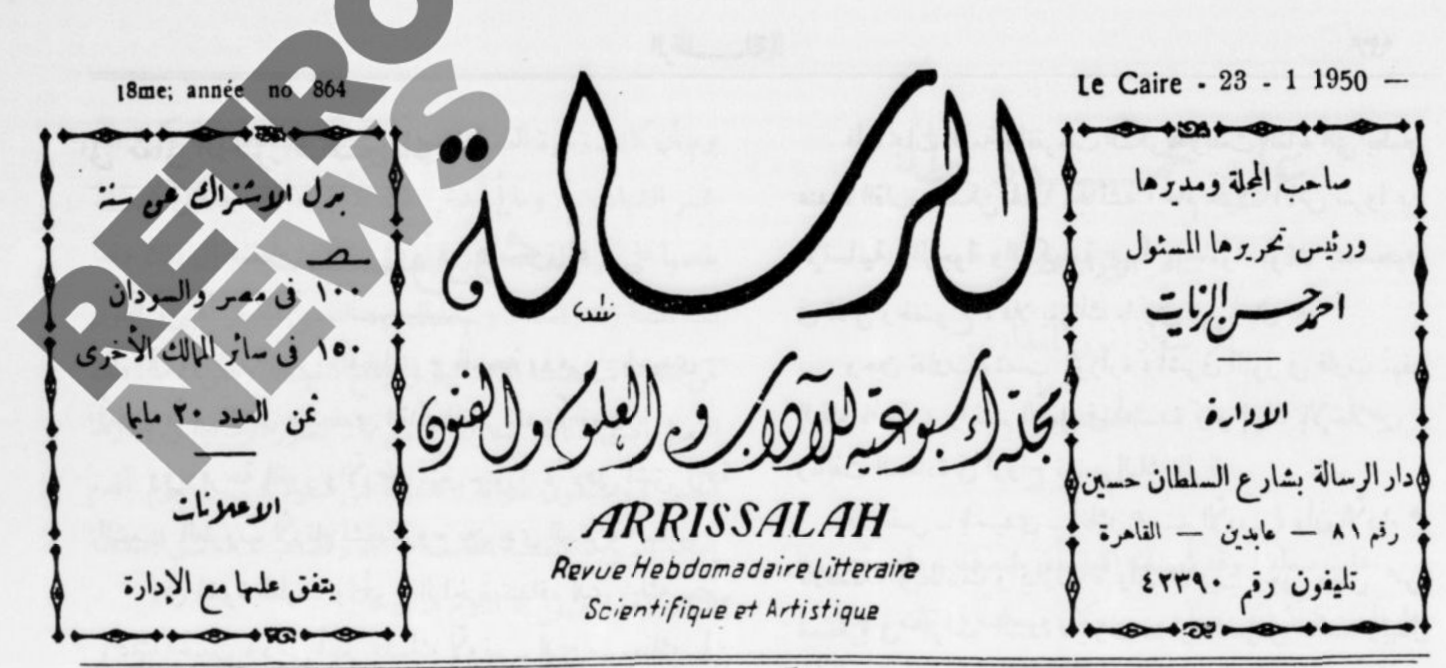
العدد ٨٦٤ — ٢٣ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٨٦٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٥ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٦٩ — ٢٣ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

صاحب المعالى الدكتور طه حسين

من الطبيعي وقد تولى أخي طه الوزارة لصاحب الجلالة الفاروق ان تعروني هذه النشوة التي أنعم بها منذ أيام ولا أستطيع أن أعزوها إلى مصدر واحد معين .

قد يكون مصدرها ذلك الزهو الذي يدرك الأخ حين يرى أخاه قد بلغ من مناصب الدولة مالا غاية بعده . وقد يكون مصدرها تلك الغبطة التي تعترى الأديب حين يرى أديبا نال بقلمه من السلطان والجاه مالا مطمح وراءه . وقد يكون مصدرها ذلك الرضا الذي يغمر المواطن حين يرى رجلا من رجال الرأى والعزم يتقلد وزارة من أضخم الوزارات أثرها في المجتمع كأثر الأم في الأسرة : تهيء الطفل بالتربية للعلم ، وتجهز الشاب بالعلم للعمل ، وتوجه الرجل بالعمل إلى الحياة ، ولكنها على الرغم من خطرها العظيم وتبعاتها الجسام لا تزال معوقة عن الغاية بثقل الروتين وتشتت الهوى وانقسام الرأى؛ فلابد لها من رجل يدفعها دفعا إلى الامام ببتر الذيول ونبذ الفضول وتقصير المطول وتبسيط المركب . وقد يكون مصدر هذه النشوة أولئك جميعا ، ولذلك صعب تحديده وأعضل وصفه .

ليس بدعا أن يتقلد الوزارة كاتب لكتابته أو شاعر لشعره ، فقديما تقلدها أمثال ابن الزيات وابن العميد في الشرق ، وأمثال ابن زيدون وابن الخطيب في الغرب . ولكن أولئك تقلدوها والشأن شأن البلاغة والأمر أمر القلم ، أما معالى الدكتور طه فقد تولاها والشأن شأن العصب ، والأمر أمر الذهب .

فاختياره للوزارة إنما يرجع إلى مزايا فيه فرضته فرضا على الحكم . وانا أعلم الناس بهذه المزايا ؛ رصدتها وهي تبزغ في صدر الأفق ومازلت أرقبها وهي تسطع في كبد السماء . هي مجموعة من المواهب والملكات أبرزها براعة الذهن ولطافة الحس وسرعة الخاطر وقوة الذاكرة وخصوبة القريحة ونصاعة الأسلوب وذلاقة اللسان وطواعية اللغة واتساع المعرفة . ولكن هذه الصفات على قوتها وندرتها ما كانت لتغني هذا الغناء لولا سحر شخصيته وهي سر عظمته . وهذه الشخصية تستمد قوتها من عذوبة روحه ، وعظمتها من سمو نفسه ، وجاذبيتها من سهولة طبعه ، فهي قهارة من غير قهر ، وجبارة من غير جبروت !

والشخصية توهب ولا تكسب . والرجل من غيرها كتاب من غير عنوان، ووجه من غير ملامح . وطه منذ يفع كان بارز الوجود ظاهر الطابع مستقل الرأى في درسه وفي مجلسه وفي عمله . يقول ومن طبيعته أن يفعل ، ويقضي ويرى من كرامته أن ينفذ فاذا عوقه عن فعل ماقال أو تنفيذ ما قضى معوق من طبائع الأشياء أو من خلائق الناس ، تجمعت قواه كلها على هذا المعوق لتزيله ، كما تتجمع كرات الدم المدافعة على المكروب الواغل لتبيده. ومثل هذا الخلق لازم للحكم في هذا العهد الذى شغل فيه الحاكمون بالشكل عن الموضوع وبالوسيلة عن الغاية ؛ وهو لوزارة المعارف ألزم ؛ لأن الجهل هو مشكلة المشكلات اليوم في مصر . فاذا لم يقيض الله لحلها رجلا كمعالى الدكتور طه عاش بالعلم وللعلم ، ظل بناؤنا على غير أساس . وسعينا على غير بصيرة

احمد حسن الزيات

الى معالى الدكتور طه حسين بك :

حبـــور وتحية

فى موكب النصر والدنيا تموج بالبهجة ، دعنى – ياسيدى – أتقدم فأنثر الزهر عند قدمى القائد المظفر تقديراً لفضله .

وفى فرحة الفوز والأرض تهتز حبوراً ، دعنى أشق زحمة الشعب الطروب لأرتل نشيد الروح بين يدى العبقرية السامية .

وفى نشوة الطرب والجموع الزاخرة تتدافع لدى بابك تهتف باسمك الحبيب ، دعنى أبلغ مجلسك لأوقع – لدى مسمعيك – لحن الخلود على قيثار قلبى ، تحية للسمو والنبوغ .

فاذا بلغت مجلسك وحاولت أن أهنئك ، فاضطرب لسانى أو تعثر بيانى ، فلا تلمنى – ياسيدى – لأن قلبى ينبض بالبهجة ويخفق بالسرور ويتألق بالاخلاص .

* * *

أتذكر – ياسيدى – يوم أن سكبت عبرات قلبى ولوعة فؤادى على قرطاس أبثك فيه همى حين رزئت بفقد المرحوم أمين عثمان . ثم هفت نفسى إليك فلقيتنى بقولك «مرحباً ، بالرجل المخلص ! »

فان قصر القلم فى التحية من رهبة الموقف ، أو أرتج علىّ فى التهنئة من روعة المجلس ، فقل لى فى هدوء الأب وعطفه « لا بأس عليك ، فأنا أسمع نبضات قلبك وأشعر بخفقات فؤادك والمس هزات روحك ... أنت أيها الرجل المخلص ! »

لا عجب ، فأنت وحدك قد سموت إلى أكبر منصب فى الدولة ... سموت على جناحين من شبا اليراع وسنان القلم ، على جناحين من نبوغ الأديب وعبقرية الفذ ، على جناحين من إباء الشرف ونبل الكرامة .

وأنت وحدك قد ترفعت عن ترابية العقول الوضيعة وشمخت عن أرضية الأفكار السقيمة ، التى سفلت فما استطاعت أن تبلغ شأوك وهو وعر ، ولا أن ترقى إلى مكانك وهو سامق ، فانحطت عنك فانفضت من حولك لتكون أنت وحدك العلم .

وأنت وحدك استعذبت الشدة تصرعها بقوة الايمان ، واستمرأت الملمة تدهمها بسيف العقيدة ، لا يقعدك تقلب الدهر ولا تصرفك غير الزمن ولا يفزعك تفرق الإخوان ، فكنت شديداً فى الحق لا تلين ، عنيفاً على الباطل لا تتسهل ، صادقاً فى الجهاد لا تستقر .

فلما انجابت الغمة وانفرجت الكربة وبلغت الغاية التى يطمئن عندها القلب وتسكن لها الجائشة ، حام حولك أناس تعروا عن الإنسانية والرجولة والكرامة جميعاً ، حاموا حولك يتمسحون فى تذلل وخضوع ، فلا يغرنك ما ترى من رجال ...

وحين تقلدت منصب الوزارة ، أشرق النور فى قلوب تهفو إليك بالمحبة ، وابتسم الأمل فى أفئدة ترنو إليك بالإخلاص ، وتألقت السعادة فى أرواح تصبو إليك بالوفاء .

فلا تنس – ياسيدى – أنك عميد الأدب ، وأن الأدباء هم تلامذتك وبطانتك وأبناؤك ، وأن الأديب رجل يعيش عمره مضطربا فى غمرات الشدة ، ينزف نضارة العمر فى الكد ، ويبذل غضارة الشباب فى الجهد ، يعزف عن لذة الحياة ومتعة العيش إلى ضنى النفس وعناء العقل ، فلا يجد العون ولا الساعد . فكن أنت موئله وعونه .

ولا تنس أن فى وزارة المعارف أدباء يصيبهم الإرهاق من أثر النظام الحكومى ، وتتقدمهم الأقدمية الفجة الخاوية ، ويسبقهم أصحاب الملق والخضوع من ذوى النفوس الوضيعة . هؤلاء الأدباء بهم إباء يدفعهم عن الرجاء ، وفيهم كرامة ترفعهم عن التذلل وبهم شهامة تفزعهم عن التعبد ، فضاع حقهم فى صخب المحسوبية وانطوى أملهم فى ثنايا الأغراض :

ولا تنس أن بين يديك خفافيش يقتلها النور ويحييها الظلام ، وأن من خلفك ثعالب لا تفتأ تمكر وتمكر ، يلذ لهم الخداع ويطيب لهم التلون . خفافيش وثعالب فيهم الخسة والضعة أذلهم الكلب المادة واسترقهم الشره إلى المال ، فعبثوا بالحق سنوات وسنوات ، واستمتعوا برضاب الوزارة حيناً من الزمان ، وخصوا أنفسهم بالغنيمة الباردة من أموال الدولة ، لم يرعوا المصلحة العامة إلاً ولا ذمة . هؤلاء هم أعداء الوطن والأمة ، فارفع السوط ... ارفع السوط ، ياسيدى .

ولا تنس المعلم ، وهو يعيش – أبداً – تطحنه شدة الإملاق ، وتعصره شدة الإرهاق .

ولا تنس – ياسيدى – آمال قوم أشرق النور فى قلوبهم وهى تهفو إليك بالمحبة ، وابتسم الأمل فى أفئدتهم وهى ترنو إليك بالإخلاص ، وتألقت السعادة فى أرواحهم وهى تصبو إليك بالوفاء .

كامل محمود حبيب

على محمـــود طه

شاعر الأداء النفسى

للأستاذ أنور المعداوى

— ٦ —

ذات مساء ، وقد أوشك الليل أن ينتصف ، راح يقص على طرفاً من ذكرياته وحياته . . . وكان مسكنه فى تلك اللحظة قد خلا إلا من صديقين : هو وأنا . وكان يطيب له فى أوقات الصفاء أن يحملنى على جناح الزمن إلى ماضيه ،وأن يفتح لى فى قلبه كوى أطل منهـا على عالمه . . . ترى أكان يحس فى أعماقه أن غوائل الردى ستطوى حياته يريد أن يتركها بين يدى وديعة ؟ لست أدرى ! كل ماأدريه أننا فى تلك الليلة قد انتهينا إلى التحليق فى سماء الشعر بعد أن أرهقنا الطواف حول أرض البشر . . وهناك ونحن فى السماء ، توقف عن الحديث ليسألنى : ترى أى قصائدى النفسية أحب اليك ؟ وأجبته فى صدق يخلو من المجاملة : « الله والشاعر » . وسكت قليلاليحملنى من جديد على جناح الزمن إلى ماضيه ، إلى ذلك الجو النفسى الذى أملى عليه تلك القصيدة يوم أن كانت زهرة العمر تترنح تحت قطرات الندى المسكرة عند فجر الشباب . . وما أكثر تلك الأجواء النفسية التى كان يقصها على مرتبطة بفنه ، وما أكثر ما كنت أدفعه إلى ذلك دفعاً بغية المتعة والدراسة ! وبهذا الرصيد النفسى المدخر أمهد القول عن مفتاح شخصيته الانسانية فى واقع الحيـاة والفن ، فى ذلك الفصل الذى تطالعه بعد الفراغ من نقد الصور الوصفية فى إطارها الحسى ، وسيكون عنوانه : « حياته من شعره » . . واليوم أقدم إليك الصورة النفسية الخامسة « الله والشاعر » هناك فى الصفحة الثالثة والسبعين من « الملاح التائه » :

لاتفرق ياأرض لاتفرقى	من شبح تحت الدجى عابر
ماهو إلا آدمى شـــقى	سموه بين الناس بالشاعر
طغى الأسى الداوى على صوته	بالاصدى من قلبه الناطق
مضى يبث الدهر فى خفية	شـكاية الخلق إلى الخالق
لاتمدنى يارب فى محنتى	ماأنا إلا آدمى شقى
طردتنى بالأمس من جنتى	فاغفر لهذا الغاضب المحنق !
حنـانك اللهم لاتغضب	أنت الجليل الصفح جم الحنان
ما كنت فى شكواى بالمذنب	ومنك يارب أخذت الأمان
ماأنا بالزارى ولا الحاقد	لكننى الشاكى شقاء البشر
أفنيت عمرى فى الأسى الخالد	لجئت أستوحيك لطف القدر

تجردت روحى على هيكلى   وهيكل الجسم كما تعلم
ذاك الضعيف الرأى لم يفعل   إلا بما يوحى إليه الدم !
يعرق حد السيف من لحمه   ويحطم الصفوان بنيانه
وينخر الجرثوم فى عظامه   ومنه ينمى القبر ديدانه !
ماهو إلا كومة من هباء   تمحقه اللمسة من غضبتك
فكيف يشقى الروح عما تشاء   وكيف يقوى ؟ وهى من قدرتك
روحك فى روحى تبث الحياه   نزلت دنياى على فجرها
فإن جفاها ذات يوم سناه   لاذت بليل الموت فى قبرها
ومثلما قدرت صورتها   فروحك الصوت وروحى الصدى
طبيعة فى الخلق ركبتها   وما أرى لى فى بناها يدا !
لكنما روحك من جوهر   صاف وروحى ماصفت جوهرا
أولا ، فما للخير لم يثمر   فيها ؟ وما للشر قد أثمرا !!
تقول روحى إنها ملهمه   فهى لما قدرته متبعه
مقودة فى سيرها مرغمه   وإن تراءت حرة طيعه
قيدتها بالجسم فى عالم   تضج بالشهوة فيه الجسوم
كلاهما فى حبه الآثم   لم يصح من سكراه وهو الملوم
تبدى به الأجسام سحر الحياه   فى معرض يجلو غريب الفنون
نواعس الأجفان حلو الشفاه   شديدة الإغراء شتى الفتون
ولم أكن أول مغرى بما   أغرت به حواء أو آدما
إرث تمشى فى دمى منهما   ميراثه ينتظم العالما !!
فأنت قدرت على الشقاء   من حيث قدرت على النعيم
وما أرى ! هل فى غدلى ثواء   بالخلد أم مثواى نار الجحيم؟
ما أثمت روحى ولا أجرمت   ولا طغى جسمى ولا استهترا
عناصر الروح بما ألهمت   أوحت إلى الجسم فما قصرا !
كلاهما لم يعد تصويره   ما كان إلا مثلما كونا
كم حاولا بالأمس تغييره   فاستكبر الطبع وما أذعنا
أمنذرى أنت بيوم الحساب   ولا تمى أنت على ماجرى ؟
حاشاك : ما يرضيك هذا العذاب   لطبع لم يعص ماقدرا !!
ما كنت إلا مثلما ركبت   غرائزى ، ماشئت لا ما أشاء
فلتجزها اليوم بما قدمت   وإن تكن مما جنته براء !
وفيم تجزى ، وهى لم تأثم   ألست أنت الصانع الطابعا ؟
ألم تسمها قبل بالميسم   ألم تصغ قالبها الرائعا ؟

ألم تصغها عنصراً عنصراً   من أين ؟ ما علمى ؟ وأنت العليم !
جبلتها يوم جبلت الثرى   من عالم الذر ودنيا السديم
الخير والشر بها توأمان   والحب والشهوة فى طبعها
حواء والشيطان لا يبرحان   يساقطان السحر فى سمعها !
تشككت نفسى بما تنتهى   إليه دنياها وماذا يكون !
مضت فما آبت بما تشتهى   من حيرة الفكر وهجس الظنون !
أيصبح الانسان هذا الرميم   والجيفة اللقاة نهب التراب ؟
أيستحيل الكون هذا المشيم   والظلمة الجاثم فيها الخراب
لمن إذن تبدع تلك العقول   أفى الردى تدرك مافاتها ؟؟
أم فى غد تثوى بتلك الطلول   ويسحق الدهر يواقيتها ؟؟
وا أسفاً للعالم البائد   ليس له مما يرى مهرب
على رنين المنجل الحاصد   مضى يغنى وهو لا يطرب !
وروع الشاعر مما رآه   وهام فى الأرض على وجهه
أين ترى يا أرض يلقى عصاه   وأى واد ضل فى تيهه ؟
حتى إذا شارف ظل الشجر   فى روضة غناء ريا الأديم
قد ضحكت للنور فيها الزهر   وصفقت أوراقها للنسيم
إختار فى الظل له مقعداً   فى ربوة فاتنة ساحره
أذاب فيها الشفق العسجدا   وناسمتها النفحة العاطره
بينا يملى العين من سحرها   إذ أبصر الصل بها مطرقا
قد انتحى الأطيار فى وكرها   فسامها من نابه موبقا
هل سمعت أذناك قصف الرعود   فى صخب البحر وعصف الرياح
هل أبصرت عيناك ركض الجنود   فى فزع للموت وهول الكفاح
إن كنت لم تبصر ولم تسمع   فقف إلى ميدانها الأعظم
ما بين ميلادك والمصرع   ما بين نابى ذلك الأرقم !!
جريمة الغدر وسفك الدم   جريمة لم يخل منها مكان
يا لجة كل إليها ظمى   قد جاز طوفانك شم القنان !
من علم الوحش الأذى والقتال   من بث فيه الشر أو ألهمه ؟
من علم الثعبان هذا الختال   والحيوان الغدر من علمه ؟
أيستحق الناس هذا العقاب   أم حانت الساعة من نقمتك ؟
ما احتملوا يا رب هذا العذاب   إلا رجاء الغوث من رحمتك !
أما ترى منفرجات الشفاه   عن آخر الصيحات من رعبها ؟
ما زال فيها من معانى الحياة   إيماءة الشكوى إلى ربها !

وهذه الأعين نهب العفاء في رقدة الموت كأن لم تنم
محدقات في نواحي السماء تشهدها هذا الأسى والألم!
وهذه الأيدي تحوط الصدور كأنها في موقف للصلاة
لم تنس في نزع الحياة الغرور ضراعة ترسمهـا للإله!
ما عرفوا في صعقات الردى إلاك من غوث ومن منجد
ولا سرى في الأرض منهم صدى إلا ودوى باسمك الأمجد!

ليست هذه الأبيات الثمانون هي مجموع القصيدة لأنها تربى على المائتين ، ولكنها قطوف متفرقة تؤلف بينها وحدة الجو النفسي بعد وحدة العمل الفني ، والتقاء الوحدتين في مستودع الفكر أو في ساحة الشعور .

وكما تناولنا في الصور النفسية الماضية عناصر الأداء النفسي في الشعر ، مطبقين هذه العناصر تطبيقاً فنياً وتوزيعيا على تلك الصور ، تبعا لوضوح الصلة النفسية بين كل عنصر وكل صورة، فاننا نسلك نفس الطريق ونتبع نفس المنهج في تناولنا لهـذه القصيدة الجديدة «الله والشاعر» ... وسنتحدث فيها عن هذا العنصر الفني الجديد من عناصر الأداء الذي ندعو اليه ، ونعني به عنصر « الواقعية النفسية » !

ومرة أخرى سنعرض لمظهرين من مظاهر الواقعية في الشعر همـــا واقعية الأداء اللفظي وواقعية الأداء النفسي ... وسواء أكانت الواقعية في منطق الدراسة المذهبية خروجا من دائرة الرومانسية وهي دائرة الخيال والأحلام والانطواء على النفس والتهجد في محراب الطبيعة إلى دائرة الوقائع الحية والأحاسيس المجردة والأفكار الخالدة والحقائق الباقية ؛ أم كانت في منطق الدراسة الفنية ألوانا مختلفة تتوزعها بضع خانات تشير إحداها إلى واقعية في حدود مجتمع إنساني خاص ، وتشير الاخرى إلى واقعية في حدود مجتمع إنساني عام وتشير الثالثة إلى واقعية في حدود الوجود الأزلي الكبير ؛ سواء أكانت هذه أم تلك فان مرجعها آخر الأمر إلى هذين المظهرين الرئيسيين ، ونعني بهما الواقعية اللفظية الواقعية النفسية !

ومرة أخرى نرفض هذه الواقعية اللفظية كما نرفض كل سمة من سمات الأداء اللفظي في الشعر ؛ نرفضها لأننا إذا سلمنا بصب التجربة الفكرية في قوالب نثرية في كل فن من فنون القول ، فاننا لا نسلم أبدا بصب تلك التجربة في مثل هذه القوالب في فن الشعر ... وإذا كانت التجربة الفكرية هي عماد الواقعية الاجتماعية أو عماد الواقعية الوجودية ، فانها في كل ميدان من ميادين القول المرسل تستطيع أن تنبع من أغوار الذهن وحده ، حيث تبدو الفكرة عارية من كل غلالة من الغلائل تنسج خيوطها من أعماق الهزة الوجدانية ، ولكنها في الشعر لا تستطيع أن تقف وحـدها غير مدثرة بتلك الغلائل التي تـكشف عن تفاعل الأصداء الكونية داخل منطقة الشعور ؛ وإذن فلا مناص في شعر الأداء النفسي من أن تبدو الفكر ملفعة بسبحات الروح أو موشحة بنفحات العاطفة ، أعني لابد من أن تمتزج التجربة الفكرية بالتجربة الشعورية ذلك الامتزاج الذي تتعادل فيه النسب الفنية هنا وهناك ... عندئذ لا يجوز منطق الذهن في تعبيره النثري على منطق النفس في تعبيرها الشعري ، ولا تطغى الطاقة الفكرية ذات التجريد المادي الخالص على الطاقة الشعورية ذات التصوير المعنوي الخالص ؛ وهذا هو مفرق الطريق بين أداء يدور حول محور الواقعية بسلسلة من الخواطر الذهنية وبين أداء يدور حول المحور نفسه بسلسلة من المشاعر النفسية !

نريد في شعر الأداء النفسي هذه الواقعية النفسية ؛ الواقعية التي تفتش عن الحقائق الوجودية الكبرى في مجاهل الكون ومتاهات العقل ، حتى إذا التقطت تلك الحقائق قذفت بها إلى ذلك المصهر الكبير مصهر النفس الإنسانية ، ليخرجها لنا بعد ذلك مصبوبة في قالبها الملائم الذي تقوم بصنعه ملكة « الوعي الشعري » ... ولا بد من وجود هذه الملكة وراء كل واقعية نفسية ، لأنها هي وحدها العنصر المسئول عن تنظيم كل حقيقة كونية يعرضها الفكر في ساحة الوجود الداخلي . فاذا أغفلت هذه الملكة عن عملية الإشراف الفني العام فقد تعرضت الواقعية النفسية للذبذبة في قضايا الفكر وللمغالطة في منطق العاطفة ، وهما الجانبان اللذان يعبر عنهما في موازين النقد الحديثة «بالذبذبة الفكرية » و « المغالطة العاطفية » ! هذه المغالطة وتلك الذبذبة مرجعهما إلى غفلة الوعي الشعري على التحقيق ، وهي شيء يختلف كل الاختـلاف عن ضعف الرؤية الشعرية ... إن ضعف الرؤية الشعرية يعرض الصورة الوصفية للاهتزاز الذي ينتج عنه تعذر المطابقة بين حقيقة الصورة في إطار الفن وحقيقتها في إطار الحياة، ولـكن ضعف الوعي الشعري يعرض القضية الفكرية لاهتزاز

من نوع آخر ، تنتج عنه المغالطة المقصودة أو غير المقصودة في مجال الموامة بين الحقائق في دائرة الواقع النفسي أو دائرة الواقع الوجودي ! أما المثال على ضعف الرؤية الشعرية فقد قدمناه إليك في ذلك البيت من القصيدة السابقة ونعني بها «حانة الشعراء» ؛ وهو البيت الذي ينقل إليك هذه الصورة :

حمر الثياب تخال أنهمو يفدون من حانوت قصاب !

وأما ضعف الوعي الشعري فنقدم عليه مثالا آخر من شعر ابن الرومي عندما يقول :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد !

ولعلك تدرك أن هذا التفسير العجيب قد حفل بالمغالطة العاطفية من جهة وبالذبذبة الفكرية من جهة أخرى ، وأنه بهذين المظهرين من مظاهر ضعف الوعي الشعري قد قضى على الواقعية النفسية بصورة واضحة ، لأن القضية الفكرية معتمدة على الصلة الواهية بين صروف الدهر وبكاء الطفل ، قضية تخلو من منطق الواقع سواء أكان هذا المنطق في معرض الحقيقة النفسية أم كان في معرض الحقيقة الوجودية

ولا تظن بعد هذا أننا نضيق بالواقعية الاجتماعية في الشعر سواء أكانت في حدود مجتمع إنساني خاص أم في حدود مجتمع إنساني عام ، وأننا لانقبل غير هذه الواقعية التي تستمد مقومات بقائها من حقائق الوجود الأزلي الكبير ؛ كلا ، فكل واقعية تحمل في أحشائها توأمي التجربة الفكرية والشعورية مكتملي أسباب الحياة بنسب متقاربة أو متشابهة فهي واقعية نفسية تقبل في الشعر وتستساغ ، وإن كنا نفضل بعد ذلك هذا اللون الأخير لأنه المرآة التي تنعكس على صفحتها كل نزعة إنسانية خالدة ، أو لأنها الصفحة الأخيرة التي تلخص في سفر الحقائق الكونية كل ماسبقها من صفحات

هذه الواقعية النفسية الوجودية التي تسير فيها لفتة الفكر جنباً إلى جنب مع خفقة القلب ، هي التي تطالعنا من قصيدة «الله والشاعر» في أزهي حلة من حلل التصوير الفني في الشعر العربي الحديث ... وهي واقعية تمثل القسط المشترك من الحقائق الكبرى المتبادلة تبادلاً كونياً بين الله والإنسان ، وهي حقائق أشبه بالرواسب الفكرية والنفسية المتخلفة في قرار الذهن البشري منذ أقدم العصور ؛ منذ أن بدأ الركب الإنساني يفكر في واقع هذا السير الطويل في طريق الحياة، ويناقش علة وجوده وغاية بقائه وما بعد فنائه ، حيث ينتظره الجزاء الحق أو غير الحق ممثلا في عالمي الثواب والعقاب ... ونقول الجزاء الحق أو غير الحق ، ما دامت هناك صيحتان تؤمن إحداهما بأن الإنسان لا يملك أمام القوة العليا شيئاً من أمر نفسه ولا من أمر دنياه ؛ وإنما هو يُدفع فيندفع ويوجه فيتجه ويسير فيسير ، وأنه تبعاً لهذه القدرة المسلوبة والحرية المفقودة لا يجزى على سيئاته إذا أساء ، فإن جزى عليها فهو جزاء غير عادل ! إيمان بهذا كله تفصح عنه هذه الصيحة التي تقابلها صيحة أخرى عمادها إيمان آخر، هو أن الإنسان يملك أمام القوة العليا كثيراً من أمر نفسه ومن أمر دنياه ؛ فهو قابض على الزمام لايفلته إلا برغبته ، مبصر للطريق لا ينحرف عنه إلا بإرادته ، عليم بالحقائق لا يحيد عنها إلا بمحض هواه، فهو مخير تركت له الحرية فاذا أساء فهمها فعليه أن يتقبل ما أعد له من جزاء ، وإنه لجزاء يتسم بالحق ويتصف بالعدل ويقترن بالإنصاف !

وإذا أنت بحثت عن مكان على طه بين أصحاب الصيحتين الخالدتين فان مكانه هناك مع الفريق الأول ... هو معهم في اتفاق النظرة واتجاه الفكرة ولكنه يفترق عنهم في احتفاظه بإيمانه الذي لا تزعزعه كل هذه العواصف والأعاصير . إنه يتناول هذه القضية الوجودية الكبرى من زاويتين : الأولى ليدافع عن الكيان الإنساني أمام سطوة القدر وحكمة القضاء ، مستخدماً في دفاعه منطق الشاعر الفيلسوف الذي يعرض المقدمات عرضاً شعريا ترتضيه النفس ليخرج منها بنتائج فلسفية يرتضيها الفكر . والثانية ليعبر عن حيرته البالغة وحيرة القافلة الإنسانية حين تتخبط في في صحراء الوجود تلتمس الظل الظليل في رحاب الواحة الإلهية ، فراراً من وطأة القيظ ولفح الهجير ! وهو بعد ذلك متأرجح بين البث والشكاة، وبين الأنين والحنين، وبين الثورة المهذبة والخضوع العميق ... وهو آخر الأمر معذب لا يدرى أين يستقر ولا إلى أي وجهة تمضي به قدماه: خطوة يأس تقذف به إلى الخلف وخطوة أمل تدفع به إلى الأمام ، ولكنه في غمرة هذه التيارات النفسية المتباينة ضارع مبتهل لايشك أبداً في رحمة الله !

وفي كل هذه الأجواء التي صعد إليها بجناح الشعر تمتزج

التجربة الفكرية كما قلت لك بالتجربة الشعورية ذلك الامتزاج الذى تتعادل فيه النسب الفنية هنا وهناك ؛ وإذا أنت فى قصيدة « الله والشاعر » تلتقى بالحركة العقلية أولا تتبعها الحركة الوجدانية ، كما التقيت من قبل بالحركة المادية أولا تعقبها الحركة النفسية فى قصيدة « القمر العاشق » وهذا هو جوهر التفرقة بين عنصرى الحركة الأولين فى مرحلة التجسيم الشعرى ومرحلة الواقعية الوجودية !

ولا بد فى الواقعية النفسية بعد هذا كله من تلك « اللافتات » الفكرية الضخمة التى تعترض طريق السائر فى دروب هذا اللون من الشعر ، وهى اللافتات التى تشير إلى « مراكز التجمع » الشعورية بعد كل نقلة من نقلات العمل الفنى ... ونرى لزاماً علينا أن نعرض بعض النماذج من هـذه اللافتات الفكرية التى تنظم أوضاعها ملكة الوعى الشعرى فى كثير من الدقة والإتقان. وإليك النموذج الأول الذى يمهد به الشاعر لدفاعه الثائر عن موقف الإنسانية المخذولة فى ساحة الخالق العظيم :

لا تمدنى يارب فى محنتى ما أنا إلا آدمى شقى
طردتنى بالأمس من جنتى فاغفر لهذا الغاضب المحنق !

ويمضى الشاعر بعد ذلك فى دفاعه بعد أن طلب المغفرة، مقدماً دليله الأول على أن هذا التمرد الروحى لا دخل للطبيعة الإنسانية فى إثارته ، ولكنه من وحى الدم الفائر فى مرجل النفس منذ الأزل حيث قدر لها أن تكون :

تمردت روحى على هيكلى وهيكل الجسم كما تعلم
ذاك الضعيف الرأى لم يفعل إلا بما يوحى إليه الدم !

ثم ينتقل من مرحلة الدفاع المهذب إلى مرحلة الاتهام المحجب الذى يتوارى خلف ركام الضعف أو خلف مظاهر الخضوع :

ما هو إلا كومة من هباء تمحقه اللمسة من غضبتك
فكيف يثنى الروح عما تشاء وكيف يقوى ؟ وهى من قدرتك !

وعند ما يفرغ من هـذا الاتهام المحجب يعمد إلى الاتهام السافر الذى يخفف من حدته وضع الاعتراض موضع السؤال ، وكأنه لا ينشد العتاب وإنما ينشد الجواب .

لكنما روحك من جوهر صاف وروحى ما صفت جوهراً
أولا ؟ فما للخير لم يثمر فيها ؟ وما للشر قد أثمرا ! !

وصيحة أخرى يود أن يبرىء نفسه من كل ذنب ، وأن يدرأ عنها كل خطيئة ، ولا ضير من هـذا المنطق الذى يرد ظواهر الإغراء إلى مصادرها من نفس الإنسان الأول الذى خلف لأبنائه هذا الميراث الخالد على مدار القرون :

ولم أكن أول مغرى بما أغرت به حواء أو آدما
إرث تمشى فى دمى منهما ميراثه ينتظم العالما ! !

وحين يقص عليك قصة الثعبان الذى يكمن للطير بين أكداس الزهر ليطمس معالم الحياة بألوان من السم الزعاف، فلكى يطرق أبواب المعنى الكبير لمشكلة الوجود والعدم أو مشكلة البقاء والفناء :

إن كنت لم تبصر ولم تسمع فقف إلى ميدانها الأعظم
ما بين ميلادك والمصرع ما بين نابى ذلك الأرقم ! !

هذه اللافتات الفكرية ونظائرها مما تحفل به قصيدة (الله والشاعر) يعرض لها الدكتور طه حسين بك فى الجزء الثالث من « حديث الأربعاء » حيث «يقول : فأما معرفتى لشاعرنا المهندس قد أرضتنى فلأن شخصيته الفنية محببة إلى حقاً ، فيها عناصر تعجبنى كل الإعجاب وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة، الطويلة العريضة التى لا حد لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض ... ولقد صحبت الملاح التائه فى قصيدة « الله والشاعر » فأحسست كل هذا الذى صورته لك آنفاً ، ورأيت رجلا لا هو بالشاك المطمئن إلى الشك ، ولا هو بالمستيقن المطمئن إلى اليقين ، ولا هو بالمنكر المستريح إلى الإنكار ، وإنما هو رجل مضطرب حقاً، مضطرب أشد الاضطراب يؤمن بالقضاء والقدر ، ثم يثور بالقضاء والقدر ، يرضى أحكام الله ثم يجادل فيها ، يشكو ثم يستسلم ، ويستسلم ثم يشكو ، رجل حائر دائر هائم لا يستطيع أن يستقر . وأكبر الظن أنه لو استقر لكان أشقى الناس ؛ فهو سعيد بحيرته ، مغتبط بهيامه ؛ مبتهج بهذا التيه الذى دفعته إليه نفس طموح جداً لأنها نفس شاعر، عاجزة جداً لأنها نفس إنسان » !

فقرات من نقد طويل كتبه الدكتور عن الشاعر ، أما بقية هذا النقد فسنضمه تحت المجهر فى فصل مقبل من فصول هذه الدراسة وسيكون عنوانه : « على طه فى ميزان النقاد المعاصرين »

(يتبع) أنور المعداوى

الحب دوحة الأدب

للأستاذ عبد الفتاح الديدي

لا يستهوى الشعراء فى الحياة شىء قدرما يستهويهم الجمال ولا تجذبهم إلا مظاهر السحر فى الكون، ولا تلفت أنظارهم سوى ملامح الغموض بين مجالى الطبيعة. هكذا هم دائماً، وهكذا كانوا فى كل العصور الماضية على نحو ما ترينا النصوص والآثار التى تركوها لنا. وأعجب من هذا أنهم يمتازون بحب الجانب الذى أغفله الناس جميعاً ويهتمون بالنواحى التى لا تشغل الكثيرين ولا تهم الغالبية العظمى من الأحياء. فتجدهم مثلا يلتذون من الصمت المطبق حيث تنفرد النفس بذاتها وتأخذ فى اجترار أفكارها وتحرص على الانسجام الداخلى الخالص. أو ترى بعضهم يتغذى بمشاهد الغرابة والظلمة كما تتغذى الديدان، فى باطن الأرض، بالطين والجذور. وعلى هذا النحو نستطيع أن نؤكد اتجاها لم يكن بالعادى فى حياة الشعراء والأدباء من بين مخلوقات الله، وأن نسجل عليهم ضربا من الهواية الشاذة التى لا يحياها ولا يقبل عليها سوى من ألفت روحه الانزواء والعزلة واعتادت نفسه الغربة والوحشة وعانى قلبه خفقات اليأس والحرمان

والحب من الظاهرات العادية التى تحصل فى حياة كل إنسان؛ ولكنها عند الشاعر تأخذ رسالة أخرى وتتسم بطابع معين وتتشرب بمشرب خاص. وأستطيع أن أكشف لك عن الفارق الذى يميز حب الشاعر من حب الآخرين عن طريق حقيقة نعرفها عن الأديب، وهى أنه إنسان فردى أو إنسان لا يشترك فى الحياة العامة إلا بقدر حتى يملك الوقت الكافى لتسطير مشاعره وتحبير آرائه. فالأديب — وهذا هو ما ينبغى له — لا يعمل إلا حيث يصير الزمن فى خدمته ولا يقبل على الكتابة والتأليف إلا عندما يفارق الناس. ومهمة الأديب بطبيعتها تلزمه نوعا من الحياة لا يشاركه فيها غيره ممن تقتضى أعمالهم مخالطة الناس والانصراف إلى قضاء الأمور تحت أنظار العامة. وبعبارة موجزة نقول عن الأديب إنه بحكم عمله يأخذ برأى نيتشه فى ضرورة المحافظة على ما بينه وبين الناس من أبعاد. فهو انعزالى بالضرورة ويستحيل أن يحيا كما يحيا سواه بين مظاهر المجتمع البغيضة وتحت رحمة الأوضاع القاسية. ومن هنا يحاول الشاعر أن يوجد لنفسه عالما خاصا وأن يخلق لذاته دنياً من الأوهام التى يسلط عليها ذكاءه وقدرته على الكذب والتخيل حتى تتحول بمضى الأيام إلى واقع ملموس. وتصطبغ كل خطوة فى هذا العالم أو كل حركة تصدر عنه بشىء من الرهبة والقداسة وتأخذ ألواناً قوية فى عقله بحيث تصير موضع احترامه ومهابته

وهنا أهمس فى أذن القارئ سراً لعله لا يعرفه حتى الآن. فأنا أرجو منه أن يشك كثيراً فى حوادث الغرام التى اعتاد الشعراء أن يقصوها على ألسنتهم بمناسبة وبغير مناسبة. إن حياة الشاعر أو الأديب عموما تتكون من الفراغ والتفاهة من ناحية الوقائع الجارية بحيث تخلو من أية صفات الجرأة التى تصورها القصائد. وإذا حصل شىء من الأشياء العادية فى حياته فانه — مهما بلغت بساطته — يصير ذا أهمية لديه ويحسبه النعيم المقيم والفردوس الخالد تبعاً لما يعانيه من النقص فى التجارب ومن الفقر فى العلاقات. مثله فى ذلك كمثل الطفل حين تهدى إليه لعبة فاخرة عند حلول المواسم والأعياد أو كمثل الجائع الذى تطعمه طعاما لذيذا بعد أن ظل أياما طوالا غير قادر على امتلاك ما يسد رمقه أو يشفى نهمه. فالشاعر عندما يسبغ على الحادثة الطفيفة فى حياته معانى القداسة وعندما يلقى على الأفعال العادية لديه ظلا من الروعة والبهاء؛ أو قل عندما يحاول أن يضفى على الذكرى البسيطة ضربا من الانكشاف والبروز فهو يأتى ذلك بسبب ما نرى الآن فيه — كما قلنا — من التجربة القليلة والاختبار الشخصى الضئيل. ويجىء علماء النفس بعد ذلك ليقولوا عن الشعراء أو العباقرة إن من خصائصهم الكذب ومن طبيعتهم المبالغة فى التصوير والتهويل عند سرد الوقائع. ولا يأتى هذا من المرض النفسى فى الحقيقة — كما نرى نحن فى تفسيرنا لهذه الظاهرة — وإنما يأتى من تلك الظاهرة التى أتينا عليها، وهى أن الأديب بحكم وجوده الخالى من الأحداث الجسام والأفعال العظام قد عوض نفسه بما يحكيه من صنوف الحكايات التى ترضى كبرياءه وتريح غروره.

فالأديب إذا — أو الشاعر — بحكم ما يعانيه فى الحياة من

انزواء وبطبيعة ما تلزمه به أصول معيشته من الفردية والبقاء المستور قد امتلأت نفسه بحب الذكريات التى مرت به على الرغم مما فيها من هزال وما تتصف به من قلة الشأن . بينما قد لايذكر سواه ، من الناس الذين خاضوا فى تجاربه هذه مئات المرات ، شيئاً مر بهم لأنهم اعتادوا فى كل الأحوال وفرة وكثرة وسمنة فى كل الجوانب، ولو أنه صادف كل ما يصادفه الماجن العابث فى أيامه الخوالى من متعة وانبساط فى ملاقاة الغيد الأماليد وعشرة الغوانى الملاح لما أحس فى هذه الحركات بروزاً ولا وجد فيها غرابة ولا شعر بأنها موضوع للكلام والحديث

ولكن من الضرورى فى هذا المقام أن ننبه إلى شىء قد يفوت القارىء، وهو أن هذه الرغبة فى الكذب وذلك الجنوح إلى التهويل والمبالغة لا يكونان عندالناقد الواعى محل شك وسوء ظن ، لأن التجربة التى مر بها الشاعر كما وقعت فى نفسه ومثلما ألقيت فى روعه لا تختلف كثيراً عما يصوره لنا فى وثائقه الأدبية. والصدق كل الصدق فى الاتجاه الأدبى إنما يأتى من الوفاء عند تصوير الاحساس وعند محاولة الكشف عن سذاجته الأصلية بإزاء أحداث الوجود ، فالشاعر لا يكذب عندما يغالى فى سرد القصص ورواية التاريخ مهما خرج عن الحدود الحرفية لما جريات الأمور بمجرد العود إلى تذكرها من جديد ، بل يصف وصفاً ممتازاً لطبيعته النفسية عند إسقاطه لمشاعره الخاصة على الواقع الخارجى الكالح . ونحن — من وجهة النظر النقدية الخالصة — لا نطالب الشاعر بأن يكون راوية أو مؤرخاً بقدر ما نطالبه بأن يكون مصوراً يأخذ بقواعد الفن حسبما تنزل الأشياء من نفسه وعلى نحو ما تصادف المظاهر من هواه

وننتهى من هذا كله إلى أن الفنان حينما يكذب يكون مضطراً تحت تأثير الفراغ الذى يجده فى معاشه والتفاهة التى يلقاها طيلة أيامه والشذوذ الذى يتسم به مزاجه . وإذا شئنا أن نتحرى الدقة فى هذا الوصف فعلينا بأن نلاحظ مثلا كيف يفعل الشاعر؛ إذ يضطر بدافع من رغبة الناس فى تصيد الملامح الخاصة بالعبقرية بين الأفراد ، إلى أن يبدو فى ملامح شاذة وإلى أن يظهر فى الخارج ببعض الحركات والشيات التى تعبر عن جوه الداخلى ومما لا شك فيه أن دماغ الشاعر أو الأديب محتوية

على كثير مما يثبت نبوغه وجدرانه ، ولكن هذا النبوغ وهذه الجدارة لا يظهران الملأ على لافتة من اللافتات التى تعلن عما يكمن فى ذاته وعما يختفى بين جوانحه، فيتجه بعضهم إلى التدخين مثلا وقت الكتابة والتأليف حتى يشعر بالتكبير على هيئة الغيوم التى تتلبد فى الهواء من حوله وحتى يشعر فى عملية أخذ النفس ورد السيجارة — من حين إلى حين — بحركة تجسم عمله الذهنى ومجهوده العقلى وتمثل اجتهاده فى تصيد الأفكار ونظم الكلام.

فالعمل الفكرى هو أبعد شىء عن الظهور وأغرب شىء عن روح الادعاء والرغبة فى الإعلان . وهذا هو ما يبعث الغيظ فى نفس الاديب ، خصوصاً وأنه ، من بين الناس جميعاً ، يمتاز ببعض الهوس فى طلب الشهرة وغير قليل من الغرور والتعالى بالنسبة إلى الآخرين . ولذلك يضطر إلى شىء من الذهاب بالنفس فى الخيلاء إلى حد قد يبدو غريباً أمام الذين لا يعلمون شيئاً عن الأوار الذى يلهب صدره ويشمل كيانه من الداخل .

ومن هنا نريد أن نكون حريصين عند ما نأخذ فى دراسة الآثار التى تركها الأدباء والشعراء بخصوص المسائل القلبية والمشاعر المتصلة بالوجدان والعواطف التى تفرزها خيالاتهم وأوهامهم وإذا كانت من طبيعة الشاعر أن يجعل موضوع الحب محلا لعنايته واهتمامه ، أو إذا كان يتجه هذا الاتجاه بالفطرة فلسبب بسيط وهو أنه يعلم تمام العلم بنوع من البديهية أن الحب، من بين المظاهر الإنسانية جميعها ، لا يكون موضع اشتراك ولا يحصل بطبيعته أمام أنظار الناس . ولذلك يسهل عليه تزوير قصصه والعبث بحكاياته والمداراة على عيوبه فيه . فالحب تجربة فردية إلى أقصى درجة ولا يتم جوه إلا إذا خلصت الحياة لاثنين بالذات من بين الآدميين . ولذلك كان يستهوى الشعراء دائماً من هذه الناحية أيضاً ، ويصير موضوعاً ممتازاً من موضوعات الاستغلال المعنوى والتعبير الذاتى .

فالحب يستهوى الشعراء ويكاد يكون موضوعاً لديهم جميعاً باستثناء القليلين لسببين تكلمنا عنهما حتى الآن وأعنى بهما ما فى الحب من طبيعة السحر والغموض والامتلاء بالأسرار ثم ما فى الحب من مجال فسيح الإشباع رغبة الفنان عندما يحاول إعطاء

حياته نوعا من الأهمية وعندما يطمع فى تغطية بعض الفراغ الذى يحيط به من كل جانب .

ثم هنالك سبب ثالث وهو أن الحب مملوء بروح المأساة . وهذا فى اعتقادى هو أهم الأسباب التى تدفع الشعراء نحو تصوير عواطفهم بإزاء من يحبون ومن يصطفون بين مخلوقات الله . قد يظن البعض أن المآسى القلبية تأتى بعد انتهاء مدة الحب وفترة التواصل ووقوع الفرقة . ولكن الشيء الصحيح فى هذه الظاهرة هو أن المأساة التى هى من لوازم الحب الأصلية تملأ الشاعر بنوع من الميل وتجذبه جذبا بروائها وسحرها كما يجذب النور الأبيض فراش الليل الهائم بين أودية الظلام . فالشاعر ليس بالعالم الذى يطلب إليه ذكر الوقائع والتقيد بالأحداث ، ولا يستطيع هو نفسه أن يستكفى بالحقائق يذكرها فى غضون كلامه . ولذلك نراه مشوقا إلى الكتابة التى لاتتقيد بالأشياء المضغوطة ولايلتفت إلى المظاهر العامة وإنما ينتهز الفرصة كيما يستبيح لنفسه أن يقول ما يشاء وأن يأتى بالمعنى الذى يحشو به الألفاظ حسب هواه . وبناء على ما تقدم نراه ساعيا فى الطريق إلى استقصاء التجربة القلبية حيث يمضى ولا قيد ، ويسعى ولا رقيب ، ثم يحكى ولا ضابط .

ومن ناحية أخرى يريد الشاعر — تبعا لما لاحظناه عليه من طبيعة المغالاة — أن يسكب على وجوده معنى الألم وأن يكتشف فى حياته طابع الاستشهاد وأن يقحم على كيانه بعض ما يشعره بالهم والمأناة التى هى أصل فى كل خلق فنى والتى يصعب على الإنسان أن يحقق فكرة الرور بالتجربة من غيرها . فالدوحة عند الفنان نوع من الحث على العمل ، وباعث إلى النشاط كما يبعث الجوع واحدا من الفقراء على القيام بالأشغال فى مقابل الرزق الحلال . وإذا خلت حياة الفنان من الأحداث المروعة فهو ملزم بأن يفتش بنفسه عن الارتياع حتى يجد مجالا لإبراز مواهبه . وهذا يشبه تماما سعى الأجير من أجل الحصول على العمل الذى يفتح أمام قواه سبيلا للأداء وطريقا للنفاذ . فالشاعر بطبيعة موقفه مضطر إلى أن يتطفل على حياة الآخرين حتى يجد وقودا لفنه وحتى يجد مادة لشعره . وإذا صادف من يهيىء له أن يكون هو نفسه طرفا فى القضية وأن يشترك فى التجربة مشاركة ذاتية أصيلة فأغلب الظن أنه لايتردد ، إن لم يندفع اندفاع الأهوج الطائش ، فى أداء دوره اللازم .

ولعلنا نذكر بهذه المناسبة ماجاء فى قصيدة بودلير التى يسميها (ضميمة) من أبيات تصور هذه الحقيقة وترينا خطورة الصلة بين الألم والشاعر . فهو يقول :

كن عاقلا يا ألمى وعش بالهدوء أكثر من ذلك ،
فها هو ذا الليل الذى تطلبه قد هبط .
على هيئة جو دامس يكسو المدينة ،
فيحمل إلى البعض سلاما وإلى الآخرين هماً .
وحينما تذهب الكثرة الخسيسة من أبناء الفناء ،
تحت سوط اللذة ...
ذلك الجلاد الذى لايرحم ...
لتجمع مباكت الضمير فى الحفل المدنس ،
اعطنى يدك يا ألمى ، وابق إلى جانبى .

فالشاعر إذ يتجه إلى الحب فإنما يفعل ذلك تحت تأثير رغبته الجامحة فى الحصول على الوقود الذى يشعل به نار فنه ، ولكى يرضى فى نفسه نزعة حامية من أجل التطلع إلى موضوع من موضوعات العمل الأدبى ، وحتى يعثر فى ذلك كله على الزيت الذى تستضىء به ذبالة روحه وتتفتح به جنبات قلبه وإذا شئنا أن ندرك عمله هنالك ففى مقدرتنا أن نمثله أو نشبهه بالعصفور الذى يبحث عن الأغصان فى الغابة الفسيحة كيما يغنى من فوقها أغنية القلب المحمل بالهموم والشعور المثقل بالمتاعب والفم الذى تخرج الأنات من شفتيه خرساء .

عبد الفتاح الديدى

من رجال الفكر في تركيا :

ضياء كوك آلب

ونظرته في القومية

بقلم عطا الله ترزي باشي :

هو ذلك المعروف بآرائه الاجتماعية الدقيقة واطلاعه الواسع في الفلسفة العالية — العالم التركي العبقري والمفكر الإسلامي القدير محمد ضياء الملقب بـ (كوك آلب)

وهو شاعر قوي الخيال عميق التصور رقيق الشعور ، وكاتب اجتماعي فياض العاطفة ، يسحر الإنسان برصانة أسلوبه وحصافة تفكيره وقوة تعبيره . له أبحاث قيمة في جل نواحي النشاط العلمية والفكرية ، وأفكاره تنم عن فلسفة إسلامية راقية .

ولد بمدينة (دياربكر) سنة ١٨٧٥ م ونشأ في بيت جل أهله علماء ، فكان والده السيد محمد توفيق — مدير التحريرات — عالماً جليلاً بث في نفس ولده روح الأمل في الحياة وثبت عزائمه للصعود في مدارج العلم والأدب ، كما بذر فيه بذوراً صالحة من الفضائل حتى نبت الكثير منها فكان كوك آلب في عنفوان شبابه ومرآة صادقة تنعكس عليها المثل العليا التي اقتبس نورها من أبيـــه .

دخل كوك آلب المدرسة الرشدية العسكرية وبدأ يتعلم اللغة العربية واللغة الفارسية على عمه الذي كان حجة في اللغات الشرقية . وأحب الفرنسية في صغره فاكتسب مبادئها حينذاك ، كما اتصل ببعض من يعرفون اللغة الكردية حتى أتقنها ، وسعى في إجادة هذه اللغة ودراستها من شتى نواحيها دراسة عميقة وقيل أنه أراد أن يضع كتاباً في قواعد هذه اللغة (نهاد سامي : تاريخ الأدب التركي المصور ، ص ٣٥٧ ، سنة ١٩٢٨) مما حدا ببعض الكتاب إلى الاعتقاد الخاطىء في عنصرية هذا المصلح التركي . ومن بين هؤلاء الأستاذ محمد لطفي جمعة إذ يقول : وقد روى لي أحد الثقات . . أن كوك آلب كان كردياً . . ألف كتباً في النحو والصرف الكرديين ... » (حياة الشرق ، ص ٢٢٥) .

ودخل كوك آلب بعد ذلك المدرسة الإعدادية وتمكن في أثناء دراسته هناك أن يتعمق في الفلسفة الإسلامية ، وبالأخص في علوم التصوف ...

وحدث أن مات والده وهو لم يكمل دراسته بعد ، فطلب من عمه أن يساعده في الذهاب إلى الأستانة لإتمام دراسته هناك ؛ بيد أن عمه لم يرض عن سفره ورغب في بقائه معه فيزوجه ابنته . فأثرت هذه الواقعة — ووقائع أخرى جد مؤلمة — في حياة كوك آلب حتى خطر على باله أن ينتحر . وفي ذات يوم أطلق على نفسه عياراً ناريا من مسدس أصاب رأسه دون أن يقضي على حياته . ويقول الأستاذ (نهاد سامي) في كتابه السالف الذكر أن تلك الرصاصة أثرت في حياة هذا المفكر تأثيراً عكسيا لتشاؤمه الشديد بوخامة مستقبله واشمئزازه القديم من الظروف المصيبة والأحوال السيئة المحيطة به ، فأزالت جميع اضطراباته الروحية التي كان يشكو منها وخلقت له جواً مفعماً بروح التفاؤل بحيث ينبغي أن نقول إن لحظة تلك الإصابة تعد بداية تحول في حياته ، فبدأت له حياة جديدة يسمو فيها كوك آلب إلى العلياء في سلم التقدم الفكري يوماً بعد يوم .

وسافر بعد ذلك إلى الأستانة والتحق بمدرسة البيطرة (الداخلية — حيث تدفع الحكومة فيها مصاريف الطلاب) . وشاءت الأقدار أن ينتسب — وهو في الصف الرابع من هذه المدرسة — إلى الجمعيات السياسية ، فانضم إلى الجمعية السرية التي أسسها طلاب الكلية الطبية آنذاك . ولما علم أمره ألقي في السجن تسمة أشهر نفي بعدها إلى بلدته الأصلية .

وظل هناك يدرس القرآن دراسة وافية ، ويوسع من أفق معلوماته في العلوم الدينية ، وذلك بعد أن أحاط باللغة العربية علماً وألم بها من جميع أطرافها إلماماً كافياً حتى عد علما من أعلامها .

وعلى أثر الانقـــلاب العثماني سنة ١٩٠٨ بدأ كوك الب ينشر المقالات الفلسفية والاجتماعية الهامة في مجلة « كنج قلملر » مما لفت أنظار المفكرين في عصره فنال استحسانهم .

وسافر بمناسبة الحروب البلقانية إلى استانبول مع هيئة الأعضاء المنتمين إلى الحزب الذى كان قد تأسس فى ذلك الوقت. وبدأ هناك ينشر المقالات العلمية والاجتماعية فى أمهات الصحف الاستانبولية حتى عين مدرساً للفلسفة فى مدرسة دار الفنون (أنظر ابراهيم علاء الدين فى مشاهير الترك، مادة كوك الب، طبعة سنة ١٩٤٧)،

وبعد الحرب العالمية الأولى نفاه الانكليز إلى جزيرة (مالطه). وبقى فيها أسيراً ثلاث سنين غادرها بعد ذلك إلى (دياربكر) فأسس هناك مجلة (كوجوك مجموعة).

وأخيراً دعى إلى أنقرة وعين رئيساً للجنة الترجمة والنشر فى وزارة المعارف. وقد شغل هذه الوظيفة إلى أن وافته المنية سنة ١٩٢٤ م.

لقد جمع هذا المفكر العظيم بين الأدب والفلسفة فصدرت عنه أفكار أظهر فيها تمسكه الشديد بمبادىء الدين الاسلامى الحنيف إلى جانب اعتزازه القوى بأسس القومية التى هذبها وأحسن وضعها. فإنه كان قومياً غير متعصب، يدعو إلى القومية الإنسانية بكل معنى الكلمة. فلم يكن لينظر إلى غير قومه نظرة استخفاف أو استحقار، ولا ليمس كرامة قوم من الأقوام. ولم يكن كذلك يفاخر بأمجاد قومه مفاخرة الجاهلين المتعصبين، وإنما أراد أن يعظم محاسن قومه ويهذب عقول القوميين المتحمسين لما لا ينفع، ويصقل أذهانهم وينور أفكارهم؛ فبذل جهوداً جبارة فى تخطى العقبات التى تقف أمام المجتمع فى تفهم معنى القومية، وسعى كثيراً إلى إبعاد المساوىء المحيطة بعقلية القوى والمضعفة للناحية الخلقية له.

فتراه يلبس القومية ثوباً آخر غير الذى ألفنا حتى اليوم فيتخذ من القومية وسيلة يتذرع بها الانسان للوصول الى أرقى درجات الحياة الاجتماعية وترقب كل أمة أن تبلغ مثلها العليا التى رسمها لها أفرادها فى ظل القومية وتحت راية الدين.

وقد نظم هذا الاديب قصائد رنانة، وعقد فصولا طويلة وبحوثاً كثيرة سلك فيها مسلك المسلم فى دينه والتركى فى لغته وأدبه. ومن تلك المنظومات «توحيد»، «الهى»، «اذان الترك» و «دعاء الجند وعقائده» ... الخ وهى تنم على مبادىء اسلامية وتركية مشتركة.

ويحدثنا الاستاذ نهاد سامى (فى كتابه تاريخ الادب التركى السالف الذكر) أن كوك آلب نظم قصة تسمى «پهلوان ولى» قصد بها الى أن الشخص المتمسك بمبادىء دينه والتشبع بفكرة حب القوم يكون قادراً على مسايرة أموره وتمشية أعماله ومصالحه الاجتماعية على خير مايرام، اذ يكون ذا قوة كبيرة وصاحب قدرة خارقة يبدو فيها الاعجاز فى كل لحظة بأبهى مظاهره، ويتجلى فيها السحر والبيان بأبدع صورته

ولم يكن كوك آلب يوماً ليوقن بالقومية مالم تكن قائمة على أساس دينى قويم اذ أنه لايمكن فى الواقع تجريد القومية عن مبادىء الدين مطلقاً. فالقومى فى نظره هو من كان فى دينه مؤمناً واتخذ من لغة قومه وسيلة للتفاهم. فاليهود عنده مثلا، وان سكنوا فى تركيا سنين كثيرة، وتجنسوا بالجنسية التركية، لايجوز بوجه من الوجوه أن يعدوا أتراكا أو يعتبروا منتسبين الى القومية التركية ماداموا غير مؤمنين بما آمن به الأتراك (ويعنى به المبادىء الدينية) وانما هؤلاء وأمثالهم من غير المسلمين يطلق عليهم لفظة (وطنداش) بمعنى بنى الوطن.

ويبين لنا هذا المفكر الكبير فى كتابه (أسس القومية التركية) النظريات المختلفة لعلماء الاجتماع فى تحديد معنى القومية، فيناقشهم فيها ويعارضهم جميعاً؛ ومن ثم يوضح لنا وجهة نظره الخاصة فى ذلك. وتلكم خلاصة النظريات التى يقر بها العلماء ويدحضها الاستاذ ضياء كوك آلب:

(١) الجنس: ادعى بعض العلماء أن الشعب مجموعة يتكون من أفراد ينتسبون الى جنس واحد تجمع بينهم روابط فسيولوجية لها علاقة بالصفات الاجتماعية.

غير أن كثيراً من علماء الفلسفة أثبتوا بالأدلة القاطعة عدم وجود أى تأثير للأوصاف الفسيولوجية على الفوارق البشرية مطلقاً. هذا وان لفظة (الجنس) اصطلاح فى الواقع يطلق على الحيوانات فيقال هذا حصان من الجنس الفلانى.

وقد أخطأ البعض بتصنيف الجنس البشرى وفقا لبعض المظاهر

الخارجية كشكل عظام الجمجمة ولون الشعر والبشرة ، وذلك لأنه لايوجد فى الوقت الحاضر شعب متصف بتلك الصفات جميعاً . فأننا اليوم نشاهد اختلافاً بيناً حتى فى صفـات الأفراد المنتمين الى عائلة واحدة .

(٢) رابطة الدم : وهذه النظرية تقول ان القومية عبارة عن علاقة بين أفراد تجمعهم رابطة الدم . . . فيدعى أصحـابها أن القوم (أو الشعب) بمعنـاه الصحيح هـــو الذى حاز أفراده صفات خاصة موجودة فى دمهم بحيث جملتهم يمتازون عن سائر الأقوام بنقاء الدم وصفائه

ولـكن هذا القول مردود من أساسه ، فالشعوب والأقوام حتى فى الأزمنة الغابرة لم تكن كما يزعمه أصحاب هـذه النظرية وذلك بسبب وقوع كثير من الحوادث التى كانت تسبب اختلاط الدماء كحالات الأسر وهروب المجرمين الى بلاد أجنبية والهجرة والازدواج الواقع بين أفراد الأمم المختلفة . . إلى غير ذلك من الوقائع التى تثبت بطلان هذه النظرية .

(٣) الوطن : فيزعم البعض أن القومية تتميز بوجود أرض مشتركة يعيش عليها أفراد يسمون بالشعب كالشعب السويسرى والشعب الايرانى .

بيد أن هذا الزعم فاسد أيضاً فان فى سويسره مثلا تسكن شعوب ثلاثة وهى الشعب الألمانى والفرنسى والايطالى ، وفى ايران يسكن الفرس والترك والكرد ؛ وليس من المعقول أن نعتبر هذه العناصر المختلفة قوماً واحداً ونطلق عليهم لفظة (الشعب) وذلك لاختلاف ألسنتهم . هذا ومن الصعوبة بمكان أن نعتبر أفراد الشعب الواحد — فيما لو كانوا يعيشون فى مواطن متعددة منتمين الى شعوب مختلفة . وبتعبير أدق لو جاز لنا أن نجزىء أسرة واحدة إلى جماعات (بسبب كون أفرادها يعيشون فى بلاد معينة فانه لا يصح أن نعتبر كل جماعة من هذه الجماعات شعباً يحمل اسم القطر الذى يعيش فيه .

(٤) النظرية الاسلامية : وهى تقول ان الشعب عبارة عن جماعة من الأفراد تجمعهم كلمة (الاسلام) . والواقع أن هذه اللفظة تطلق على (الأمة) لا على الشعب ، ذلك ان المسلمين فى أرجاء العالم باعتبارهم وحدة قائمة يشكلون الأمة الاسلامية .

والجماعة التى تتميز بلغتها الواحدة وحضارتها المشتركة لا يمكن أن تعد أمة وانما تعتبر شعباً يتجلى فيه معنى القومية . فيقول التركى مثلا انى من الأمة الاسلامية وانتمى الى الشعب التركى .

(٥) ويذهب البعض الآخر فى تفسير القومية مذهباً فردياً فيقرون لكل فرد حق الانتساب إلى أى شعب من الشعوب حسب مشيئته . فله حق اختيار الشعب الذى يرى من الأوفق أن يحيا فى ظله دون أن يمنعه من ذلك أحد .

غير أن مثل هـــذه الحرية المطلقة من الصعوبة أن نتلمسه عند فرد من الأفراد لأن النفس البشرية لا تأتلف الا اذا اتحدت فيما تشعر وتحس بحب واحد ورغبة مشتركة . ويعتقد علماء النفس فى الوقت الحاضر أن حياتنا الحسية هى الأصل وأن حياتنا الفكرية مرتبطة بها فهى اذاً حياة تبعية . وبناء على ذلك يجب أن تكون الأفكار مع الشعور على خير وفاق .

فاذا لم ترتبط أفكار الانسان بحواسه فان مثل هذا الشخص يصاب غالباً بمرض نفسانى يجعله شقياً فى الحيـاة مادام يعيش بعيداً عن بنى قومه . ومثل ذلك الشخص كمثل شاب يقوم بالعبادات البدنية بصورة حسية دون أن تكون أفكاره متصلة بالمبادىء الدينية فهو لذلك لا يكون قادراً على موازنة نفسه

وخلافاً لذلك فان شقاء الأنسان ينقلب الى هناء ورفاء فيسعد ذلك الشقى فيما لو عاش فى أحضان قومه ، لأنه تربى وترعرع بين أناس يعطفون عليه فيميل اليهم أكثر من غيرهم . وعليه فان من العسير جداً أن يغير الانسان قوميته ويبدل أسلوب حياته لأنه ، كما قلنا ، يعيش متحسراً على حياته الماضية التى قضاها سعيداً بين أفراده ، فيبتلى بما يسمى بداء الصلة ! . (ضياء كوك آلب : أسس القومية التركية ص ١٥ — ١٩) .

وبعد أن يناقش هذه النظريات نقاشاً دقيقاً ويرد عليها نراه يوضح لنا وجهة نظره الخاصة فى تحديد معنى القومية فيستخلص المراد منها بأنها عبارة عن سمو الشعب ورقيه . والشعب فى نظره ليس بمجموعة تربط أفرادها أواصر الجنسية ، ولا هيئة سياسية أو جغرافية أو إدارية ، وإنما هى مجموعة من الأفراد تجمع بينهم روابط الدين واللغة والأدب والأخلاق المشتركة ، وبتعبير آخر اتحاد أفراد تلك الهيئة فى الحضارة الواحدة — فالقوى كما يقول القروى —

الشعر المصرى فى مائة عام

للاستاذ سيد كيلانى

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

من ٨٨٢ — ١٩١٩

— ٧ —

وكان شوقى الشاعر الوحيد الذى اهتم بالدفاع عن اسماعيل . أما بقية الشعراء فقد أهملوا ذلك إهمالا تاماً . بل إن منهم من شاطر كروم رأيه فى ذلك الخديو . ومن هؤلاء حافظ ابراهيم.

وكان لورد كروم قد كتب تقريراً ضمنه بعض المطاعن فى الدين الإسلامى . فأغضب بجهله وقصر نظره المصريين أجمعين . وقد هب الشعراء على اختلاف نزعاتهم وتباين ميولهم للنيل من كروم . فقال شوقى:

من سب دين محمد فمحمد ... متمكن عند الإله رسولا

وقال الكاشف :

وختمت عهدك بالذى اهتزت له ... أركان مكة واستعاذت يثرب

وقال :

وتهين دينهم وتنكر عرشهم ... ولواءهم وتريد ألا يغضبوا

وقال أحمد نسيم — وهذا من المضحك بعد ما تقدم له من مدح فى كروم :

يا لورد هل لك فى الإسلام من غرض ... ترمى إليه بسهم منك مسنون

أنذرت مدحك لو لم ترتكب شططا ... فى أخرياتك من حين إلى حين

هجوت قومى وما فارقت أرضهم ... حتى تجرأت أن تنحى على الدين

ألم يكن دين طه خير ما نهضت ... به البـــلاد إلى علم وتمدين

فـكل معتنق للدين معتقد ... هاجت ثوائره من بعد تسكين

أنا الثال قضيت العمر مبتهجاً ... بما أتيت بقلب فيك مفتون

رأيت أنك لست المرء تصلحنا ... ولست فينا على مصر بمأمون

غادرتها وهى للتقرير صارخة ... إلى الإله بقلب منك محزون

فلا رماك الحيـا إلا بداجنة ... تهمى عليك بزقوم وغسلين

ومن قرأ البيت الأخير من القصيدة ، وقوله قبل ذلك فى لورد كروم :

هو من ينطق بلسانى ويدين بدينى ويعنى به اتحاد القوميين فى اللغة والدين .

وقد وضع هذا المفـكر الـكبير مبادىء القومية الصحيحة فى كتابه السالف الذكر مقسما إياها إلى روابط اللغة والدين والأدب والأخلاق والحقوق والاقتصاد والسياسة والفلسفة ، ومن ثم شرح هذه الفروع الأساسية شرحاً وافياً وقال فى مبحث (الرابطة الدينية) إن الترك ورث عن ماضيه خزائن جد ثمينة من مواريث الدين والأخلاق ينبغى علينا — نحن الترك — أن نأخذها بنظر الاعتبار فى سلوكنا فى سبل الرقى والحضارة . فيكفينا اليوم الرجوع إلى ماضينا لنتخذ من تراث أسلافنا مدنية عالية عظيمة نبنى عليها كيان قومنا ، كما يجب ألا ننسى نصيبنا من النهضة الاوربية الحديثة بخلاف الأمم غير الاسلامية ، فإنها عند اتباعها المدنية فى الوقت الحاضر عليهـا أن تبتعد عن ماضيها ... (وللايضاح راجع كتابه السابق الذكر) .

وخلاصة الفلسفة التى يرمى إليها كوك آلب يرتـكز على جعل تركيا مكونة من شعب تركى ينهض بآدابه وأخلاقه وتراث أجداده ويتمسك بالعقائد الإسلامية الصحيحة والمبادىء الدينية السليمة ، كما يأخـذ قسطاً وافراً من المدنية الاوربية الحاضرة .

عطا الله ترزي باشى

بغداد

فسر مع اليمن مصحوباً بأدعية يحف ركبك تعظيم وتبجيل

لم يملك بفسه من الضحك. ولاشك فى أن أحمد نسيم عبر فى هذه الأبيات عن شعور كامن فى نفسه وعاطفة دينية قوية أنسته مادبجه قبل ذلك من إطراء وثناء فى كروم .

وقال حافظ ابراهيم :

وأودعت تقرير الوداع مغامزا رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا

غمزت بها دين النبي ، وإننا لنغضب إن أغضبت فى القبر أحمدا

وقال من قصيدة يرثى فيها مصطفى كامل :

قم وامح ماخطت يمين كروم جهلا بدين الواحد القهار

وفى عام ١٩٠٨ مات مصطفى كامل فحزنت لموته الأمة بأجمعها . وبكى الشعراء لهذا المصاب الفادح .

« » »

وقد أخذ المصريون فى هـذا الطور (١٨٨٢ — ١٩١٩) يهتمون بأنباء العالم الخارجى وازداد الاتصال بين أوربا ومصر . فلمـا قامت الحرب بين روسيا واليابان وانتصرت اليابان فى عام ١٩٠٤ ابتهج المصريون ونظم الشعراء فى ذاك القصائد الطوال .

ولمـا انتصر الأحرار فى تركيا وظفروا بالدستور اهتزت الشاعر فى مصر طرباً وابتهج المصريون أجمعون ، وتمنوا أن تتحقق آمالهم فى الحياة النيابية كما تحققت آمال الترك . وتاقت نفوسهم إلى الظفر بالحـكم الشورى الذى تمتع به الناس فى تركيا . ونظمت فى ذلك قصائد كثيرة رائعة تفيض بالحماس وتزخر بالعواطف الوطنية الصادقة . فقال حافظ من قصيدة :

وياطالبي الدستور لاتسكنوا ولا تبيتوا على يأس ، ولا تتضجروا

أعدوا له صدر المـكان ، فإننى أراه على أبوابكم يتخطر

ومنها :

لقد ظفر الأتراك عدلا بسؤلهم ونحن على الآثار لا شك نظفر

هم لهم العام القديم مقدر ونحن لنا العام الجديد مقدر

وقال شوقى :

ما بين آمالك اللائى ظفرت بها وبين (مصر) معان أنت تدريها

وقال اسماعيل صبرى :

يا مصر سيرى على آثارهم وقفى تلك المواقف فى أسنى مجاليها

لا يؤيسنك ما قالوا وما كتبوا بين البرية تضليلا وتمويها

ومنها :

يا آية الفخر هلا تنزلين كما نزلت ثم على مصر وأهليها

كيما نجر ذيولا منك جررها من قبلنا الترك فى أوطانهم تيها

* * *

ولما وقعت الحرب الطرابلسية الإيطالية اتجهت عواطف المصريين نحو الطرابلسيين . وللشعراء قصائد كثيرة فى استهجان عمل إيطاليا وفى حض المسلمين على مؤازرة أهل طرابلس .

ولما نشبت الحرب بين الدولة العلية والدول البلقانية تغنى الشعراء فى مصر بما أحرزه الترك من انتصارات .

وفى عام ١٩١٤ م اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى فى أوربا وامتد شررها فى جميع جهات العالم . وأعلنت الأحكام العرفية فى مصر ونفى شوقى إلى الأندلس . وخرس الشعراء وانقطعوا عن الخوض فى السياسة انقطاعاً تاماً .

وامتاز هـذا الطور بظهور بعض المصلحين الاجتماعيين كقاسم أمين ومحمد عبده . وقد ساهم الشعراء بشعرهم فى الدعوة إلى الإصلاح . أما فيما يتعلق بالمرأة فقد انقسم الشعراء إلى شيع وأحزاب . فنهم من ناصر هـذه الدعوة وعضدها . ومنهم من حاربها وشدد النكير على أصحابها . ومنهم من توسط بين الحرية والتقييد .

ننتقل بعد ذلك إلى الدور الثالث الذى يبدأ من عام ١٩١٩ وينتهى بعام ١٩٥٠ م .

الدور الثالث

١٩١٩ — ١٩٥٠

كانت ثورة ١٩١٩ حداً فاصلا بين عصرين . عصر الاحتلال ثم الحماية . وفى هذا العصر كانت للانجليز الـكلمة العليا فى كل صغيرة وكبيرة . وكان الموظفون البريطانيون متمتعين بسلطان مطلق فى كل مرافق البلاد ومصالحها . وقد عانى المصريون من ذلك ألماً عظيما . وظهر أثر هـذا فى الشعر على نحو ما بينا . وكان اليأس مخيما على الرءوس ، والأمل فى الخلاص من نير الاحتلال يكاد يكون مفقوداً ، وقد عبر الشعراء عن هذا اليأس والقنوط فى شعر كثير .

فلما قامت الثورة قويت الآمال فى التخلص من نير المستعمر وأخذ الشعراء يغذون الثورة بشعر حماسي رائع .

وقد ترتب على هذه الثورة أن ظفرت البلاد بقسط وافر من الحرية وتخلصت من نفوذ الموظفين البريطانيين . ثم تمتعت بعد ذلك بدستور ومجلس نيابى . فتغنى الشعراء بهذا النصر العظيم .

وبينما كان المصريون يجاهدون فى سبيل الحرية كانت الشعوب الشرقية تجاهد كذلك . وكان جهاد الترك أروع جهاد . وقد أحدث انتصارهم بقيادة مصطفى كمال رنة فرح وسرور فى مصر . ونهض الشعراء ونظموا القصائد الكثيرة فى مدح أبطال تركيا وإطرائهم والتنويه بانتصاراتهم .

ثم حدث أن ألغيت الخلافة العثمانية وحلت محلها حكومة جمهورية . ومع أن الخلافة العثمانية أضحت عديمة الجدوى للشعوب الإسلامية منذ زمن بعيد ، رأينا فى مصر شعراء كثيرين يبكون بكاء مراً لزوال هذه الخلافة ، ويندوون بمصطفى كمال وأعوانه ويرمونهم بالكفر والإلحاد .

وبإلغاء الخلافة انقطعت كل رابطة بين مصر وتركيا وانقضى العهد الذى كان فيه الشعراء ينظمون القصائد الطوال فى مدح سلاطين آل عثمان أو فى تحية الأسطول العثمانى أو الجيش التركى ، أو غير ذلك مما رأيناه عند الشعراء إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى . وأصبح الشاعر المصرى يعيش لمصر وحدها بعد أن كان مقسم العواطف بين مصر وتركيا . وبانسلاخ تركيا عن الشرق اختفى ذكرها من الشعر العربى اختفاء تاماً .

على أن هنالك روابط جديدة نشأت بين مصر والدول العربية التى قامت على أنقاض الإمبراطورية العثمانية . وكانت هذه الروابط فى أول الأمر ضعيفة . ثم أخذت الشعوب العربية تتطلع إلى مصر ، وأخذ المصريون يمدون أيديهم إلى هذه الشعوب . وكان لتقدم المواصلات أثر بين فى تقريب الشقة بين المصريين والعرب . وقد انتهى الأمر بقيام جامعة الدول العربية فأصبح الشاعر المصرى لا يعيش لمصر وحدها بل يعيش للعالم العربى . ذلك لأن الشر الذى يقع على دول من هذه الدولة قد لا يقف عند حدودها بل ربما امتد أثره إلى مصر . ولهذا السبب دخلت مصر الحروب ضد اليهود وذلك لشعورها بالخطر العظيم الذى يمكن أن يهددها بقيام دولة يهودية فى فلسطين . وقد تغنى الشعراء المصريون بالنصر الذى أحرزه الجيش المصرى ضد اليهود ، كما نوهوا بجهاد أبطال الفالوجة

ولا شك فى أن قيام دولة يهودية فى فلسطين سيدفع مصر إلى العناية بجيشها عناية لا مثيل لها من قبل فى تاريخ البلاد . وسيظهر أثر ذلك فى الشعر فنرى الشعراء يكثرون من التنويه بالجيش المصرى ومعداته وأسلحته وذخائره وبسالته وإقدامه

ووقعت فى مصر بين (١٩١٩ ، ١٩٢٧م) وهو العام الذى توفى فيه سعد زغلول أحداث سياسية لا نظير لها . وكان الشعراء يسجلون فى شعرهم ما يصيب البلاد من خير أو شر ، وما يلحقها من فرح أو حزن

ولما مات سعد زغلول بكته مصر قاصيها ودانيها وبكاه الشرق العربى بأجمعه ، ورثاه الشعراء فى قصائد طويلة . ولم يسبق أن رثى شخص فى العصر الحديث بمثل ما رثى به سعد زغلول . فالقصائد التى قيلت فيه عند وفاته لا يدركها الحصر . ومالبث الشعراء ينظمون القصائد الطوال احتفالا بأحياء ذكراه

إلى هنا ننتهى من الكلام عن الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية فى مصر من عام ١٨٥٠ — ١٩٥٠م

سيد كيلانى

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٣) :

(١) غاية الأخلاق عند أرسطو

للأستاذ كمال دسوقى

لنشرع الآن ... على ضوء ماقدمنا – فى تحليل الكتاب الأول من الأخلاق النيقوماخية المطلوب اليكم دراسته تحليلا مفصلا . وفيه يتناول أرسطو بالحديث غاية الحياة على النحو الذى قلت فى المقال السابق إنه يبدأ به بحثه فى كل علم وفن أعنى غرض مختلف الآراء والنظريات ومناقشتها ونقدها قبل الشروع فى الادلاء بنظريته هو التى تجدونها – ويجب أن تطلعوا عليها ... فى الكتاب العاشر (الأخير) من الأخلاق النيقوماخية فى المجلد الثانى .

وإنما بدأ بدراسة الغاية but أو end لأن كل شىء فى الحياة من علم أو عمل فانما له غاية يرمى اليها ، وبتحديد هذه الغاية تحديداً واضحاً منذ البدء يتضح السبيل أو الوسيلة moyen means إليها . بل إن الغاية نفسها هى التى كثيراً ماتعين الوسيلة المؤدية إليها ، كالصحة فى الطب ، والانتصار فى الحرب ، والثروة فى الاقتصاد . وقد تبرر الغاية الوسيلة كما فى بعض المذاهب الأخلاقية المتطرفة مما يعبر عنه مبدأ مكيافيلى المعروف : الغاية تبرر الوسيلة أى تشفع لها وتستبيح فى سبيل تحقيقها أية وسيلة مشروعة كانت أو غير مشروعة . فالغاية وإن كنا تصل إليها آخر الأمر – وقد لانستطيع الوصول إليها لعدم توفر أسبابها ووسائلها ... إنما تحدد بادىء الأمر ومن هنا لزم وجود علم (أو علوم) وفن (أو فنون) تختص بدراسة كل غاية من هذه الغايات ، وتنتهى من تعرف طبيعتها إلى وصف الطريق المؤدية إليها .

وما أكثر ماتتعدد الغايات وتتعقد – على خلاف بينها فى درجة التعقيد . فمن الوسائل ماتحمل فى طيها قيمتها بحيث تصبح هى الغاية . بمعنى أن تكون مقصودة لذاتها (فقرة ٢ سطر ٢) كمن يتلق العلم لذات العلم ، أو يزاول نوعاً من الفنون كالرسم أو التصوير أو الشعر حباً فى الفن ، من غير أن تكون له غاية أخرى من حب فى الشهرة أو الثروة أو نحوهما . وأحياناً مايكون العمل وسيلة لغاية مرسومة ، كما فى أغلب أعمالنا الانسانية التى هى فى معظمها وصولية نفعية utilitaristes حتى لينكر المعاصرون وجود العلم للعلم ، وحب الفن للفن ، إيماناً منهم بأن كل شىء لابد له من غاية تستتر وراءه وتكمن فيه . والأمر أشد عسراً حين ندرك أن من هذه الغايات ذاتها مايكون وسيلة لغاية أسمى ، فلا يقصد لذاته ، وقد يكون لهذه الغاية الثانية غاية أبعد وهكذا. ويردد أرسطو هنا ماسبق أن قال به فى برهان وجود الله (العلة الأولى) من أن هذا التسلسل فى الغائية ... كما كان فى العلية ... لايمكن أن يكون إلى غير نهاية بل لابد أن يقف عند حد يكون هو العلة الأولى la cause finale أو علة العلل التى ليس وراءها علة ، والخير الأسمى l e bon suprême الذى ليس بعده خير ، والذى هو موضوع جميع الآمال على اختلاف مذاهبها إليه .

فمن الغايات إذن ماهو جزئى وما هو كلى ، كما أن من العلوم التى تدرس هذه الغايات ماهو جزئى وما هو كلى . وإذا كان الخير غاية العلوم العملية على النحو الذى بينت فى تقسيم العلوم عند أرسطو فى المقال السابق ، فيكون من الخير إذن ماهو جزئى وما هو كلى . الجزئى هو الأخص الذى يتعلق بالفروع – والكلى هو الأسمى الذى يتعلق بالاصل . وهو عند أرسطو علم السياسة Politica الذى يتعلق بتدبير أمر الدولة أو المدينة (واسمها فى اليونانية Polis وإذا تذكرتم الملحوظة الثالثة التى ذكرت لكم فى التعليق على لوحة العلوم الارسطية فى المقال السابق الخاصة بتدرج العلوم العملية فى أهميتها نحو الكثرة ، سهل عليكم أن تدفعوا ببطلان اعتراض المترجم الفرنسى (الفقرة التاسعة ص ١٧١ هامش) على أرسطو فى جعل علم السياسة قمة العلوم العملية . فلما كان الفرد وحدة المجتمع ، والخلية الأولى فى تكوينه ، وكان البحث فى خيره وسعادته يجب ألا يتعارض مع بحث خير الدولة وسعادتها ، فقد رأى أرسطو بحق أن يخضع الأخلاق (علم تدبير الفرد) والتدبير المنزلى (تدبير الأسرة) لعلم السياسة (تدبير الدولة) حتى يكون للمجموع الهيمنة على الفرد فلا يدعه ينشد سعادته ولذته أينما شاء ومهما تعارض مع سعادة الآخرين، وفى ذلك الفوضى والاضطراب خصوصاً ولئن مايراه هذا العلم خيراً على الجماعة فانه يفرضه على كل

أفراد هذه الجماعة باسم القانون أو العرف أو التقاليد التى يستحق من يحيد عنها جزاء من جنس عمله . ومتى كان القانون الخلقى يكفى وحده لضبط سلوك الأفراد ... وليس للضمير سلطان على الكثير منهم — إلا أن يظاهره القانون الوضعى (أو المدنى) ، والقانون السماوى (أو الدين) ؟ إن الفرد فى نظر أرسطو حيوان اجتماعى لاوجود له منعزلا . وهى وجهة نظر الاجتماعيين وبعض علماء النفس المحدثين .

وإذ وضح أن الخير الحقيق الأسمى للانسان هو موضوع الأخلاق التى هى فرع من علم سياسة الدولة ، فان أرسطو يريد أن ندرس هذا الخير من وجهة نظر عامة لا فى أمثلة فردية ربما كانت نتائجها شاذة — والشاذ لا حكم له ولا يقاس عليه (فقرات ١٤ إلى ١٦) خصوصاً وأن الحكم على الأشياء الجزئية يتطلب معرفة خاصة بها كما أن الحكم بطريقة عامة كلية يتطلب خبرة أوسع وتجربة أشمل ، ومن هنا جاءت عدم صلاحية الشباب — شباب السن الأحداث وشباب العقل الذين باتباعهم الهوى يعطلون ملكة العقل فتصداً وتطيش ولا تصلح للتفكير السليم — نقول عدم صلاحيتهم لتعاطى هذا العلم والبحث فيه . فليست غاية الأخلاق مجرد العلم بالخير ، بل رياضته ومزاولته عملياً وقبل كل شىء (ف ١٨ — ٢٠)

وفى الفصل الثانى يناقش أرسطو فكرة الخير من حيث ماينظر الناس إليها . هم مجمعون على أن الخير الأسمى هو السعادة ، والسعادة يريدون بها رغد العيش وحسن الفعل . ولما كان هذا التعريف عاماً وغير محدد ، فانه يتسع لكثير من التفسيرات التى تتفرع على طبيعة السعادة ذاتها ، وفى هذه التفريعات تختلف وجهات النظر ويتباعد الناس . ولما كانت الآراء هنا من الكثرة والنسبية (الغنى بالنسبة للفقير ، والصحة للمريض .) بحيث لا تحصر فان أرسطو يقتصر على ذكر أكثرها شيوعاً وأدناها إلى الصحة .

وهنا يثير أرسطو مسألة المنهج الذى سيسير عليه فى استقراء أنواع السعادة هذه . فيحمد لأفلاطون تفكيره فى البدء من الاشياء الجزئية الى المثل الكلية أو العكس مرجحا هو طريقة الانتقال من الحالات الجزئية إلى قانونها العام ، ومن الاشياء الشائعة الموجودة فى الواقع بوضوح الى ماعسى أن يكون لها من علة . وبمعنى آخر من المعلومات إلى العلة ، والمسببات إلى السبب . وهذا هو منهج الاستقراء Induction الذى لانزال نأخذ به حتى اليوم بوصفه أصح منهج لدراسة الاخلاق

وعلى أساس هذا المنهج القويم يصنف أرسطو السعادة عند الناس من حيث هى الحياة الهنيئة إلى حياة اللذة، فالمجد والشهرة، وأخيراً حياة الحكمة والتأمل : الاولى هى حظ الدهماء والعامة وإن شاركهم فيها بعض ذوى السلطان المترفين الناعمين — وهى على أى أحوالها تجعل من أصحابها بهائم أولى منهم أناسى . والثانية (حياة المجد والشرف) أرفع شيئاً ، ولكنها توهب ولا تؤخذ ، يعنى أنها ملك لواهبها لا لطالبها — إن شاء أعطى وإن شاء سلب — هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينبغى ألا نطلبها لما يدل عليه السعى إليها من تهافت وضعة ورغبة فى التكمل بما ليس فينا ؛ أو على الأقل التثبت والاستيقان من وجوده فينا — وكلاهما شر أقل ما يدل عليه أن ما نريد أن ننسبه لأنفسنا — أو ينسبه لنا الناس — (وهو الفضيلة) هو أولى بالسعى والاكتساب . والفضيلة ذاتها لا تصلح وحدها غرضاً للحياة وإلا كانت مملة — بل شراً أحياناً (ويتناولها أرسطو فى الكتاب الثانى) . أما الحياة الثالثة فحياة الفكر والتأمل (وهى موضوع الكتاب الأخير من الأخلاق الأرسطية) ويعالجها أرسطو بعد أن يكون قد فرغ من تحديد الفضائل والإرادة الخلقية — لأنها أساسها .

هذا عدا حياة الثروة ، والثراء لا يمكن أن يكون غاية ؛ بل هو وسيلة تقصد لغيرها لا لذاتها — كما سيتضح أن اللذة هى عمل الحواس والأعضاء ؛ ولا تُراد لذاتها .

ويعود أرسطو إلى تناول الخير بمعناه العام الدقيق فى الفصل الثالث ، فلا يجد حرجا فى أن يتعارض مع أستاذه أفلاطون فى هذا الصدد ما دام يسعى للوصول إلى الحقيقة . بل هو يأخذ على نظرية المثل الأفلاطونية هنا مآخذ كثيرة ترمى فى جملتها إلى إبطال نظرية الخير الكلى أو مثال الخير الأفلاطونى يمكن تلخيصها فيما يلى :

(١) من الأمور التى تتميز فيها سلسلة من سابق ولاحق — كالأعداد — لم يستطع أصحاب المثل أنفسهم أن يقولوا بمثل لها ، لأنها تستمر إلى ما لا نهاية — وأرسطو هنا يشيد بالفيثاغوريين .

(٢) ومثل هذا يقال فى ما يسميه أرسطو المقولات Catégories

وهي عشرة : جوهر وتسعة أعراض ؛ الجوهر Substance سابق على الأعراض لأنه الموضوع ، وهي محمولة عليه كما يقال في المنطق وما دام الجوهر سابقاً على أعراضه التسعة (الكم والكيف . والزمان والمكان ، والإضافة والملك والوضع ، والفعل والانفعال) فنحن بإزاء خيرات كثيرة بمقدار ما يكون للجوهر الواحد من صور وأعراض ، وهذه الخيرات منها ما هو سابق وما هو لاحق ولا يمكن أن يوجد بينها خير مشترك .

(٣) ولو كانت نظرية المثل الكلية صحيحة فيما يتعلق بالخير ، لوجب أن يوجد علم واحد يختص بدراسة الخيرات كلها من حيث هي تندرج تحت خير كلي ، والواقع لا يؤيد ذلك ، بل يقوم لكل خير جزئي علم خاص به (ف٤) .

(٤) وقول أفلاطون بالمثل يجعلنا بإزاء ثلاثة أشياء بدلا من اثنين — كما في الإنسان ، فهناك الإنسان الجزئي المسمى زيد أو عمرو — يليه الصفات المشتركة بين عامة الناس — أي الحد الكلي والماهية في الذهن — فمثال الإنسان الكامل أو الصورة المثالية المفارقة التي تنزع إلى محاكاتها ولا تبلغ إليها الكائناتُ الإنسانية الموجودة في عالم المثل .

(٥) وفي هذه الحالة لن يكون الخير الكلي — أي الخير في ذاته أو مثال الخير — أكثر خيراً من الجزئي — إذ الفرق بين المثال الكلي والشيء الجزئي المشارك فيه هو أبدية المثال وأزليته . — أي أنه لا أول له ولا آخر زمانياً — وليس من شأن التقدم في الزمان أو الخلود فيه أن يجعل للشيء زيادة في كمّ الصفة أو كيفها (ف٦)

(٦) وحتى لو قيل إننا لا نقصد أن يكون لكل نوع من الخيرات مثاله ؛ بل إن نوعاً معيناً منها هو المثالي أو الحقيقي الذي تشارك فيه بقية مُثل الخيرات ، وبمشاركة الأشياء فيه نكتسب صفة الخير ، فيكون لدينا حينئذ على الأقل نوعان من الخيرات : خيرات بذاتها وأخرى بغيرها ، ويتعذر علينا بالتالي أن نميز أيها الخير الحقيقي : الخير المثالي المجرد في عالم المثل أم الخير الواقعي في الأشياء والأفعال . فاذا أثبتنا الخير للمثال وحده دون الأشياء المشاركة فيه فما فائدته إذن ؟ (ف ١٠) وإذا أثبتناه للأشياء المتعددة لزم أن تكون مشتركة في حد واحد هو الخير . ولكنا نرى تعدد الخيرات بحيث لا يجمعها مثال واحد ، فمن أين إذن اتفق لها الاسم على اختلافها ؟ أبا الشبه ؟ أم المصادفة ؟ أم وحدة المصدر ؟ أم الغاية ؟ هنا يتهرب أرسطو ويقتطع الجدل دون أن يتم (ف١٣) بل يعود إلى صدد المثال الواحد المجرد للخير فيقول إنه لو صح وجوده قائماً بذاته لما أمكن إحرازه أو تعاطيه ويمتنع بذلك السعي أو البحث عنه .

وأرسطو حتى نهاية هذا الفصل يؤكد وجوب البحث عن الخير الجزئي لا الكلي ؛ النسبي الذي له علاقة بغيره لا المطلق القائم برأسه في علياء المثل ؛ الخير المحسوس في الأشياء والأفعال والعلوم الواقعية لا المجرد المعقول الذي لا سبيل إلى إدراكه أو تحصيله .

وهذه جملة اعتراضنا على نظرية الخير الكلي كما تريد المثل الافلاطونية أن تكون — أوردناها لك بتفصيل وتوسع — ولك أن تقبل منها ما تؤيده الحجة الناصعة والدليل القاطع — فليست كلها من الوجاهة والإنصاف بحيث تؤخذ مسلماً بها — ولكنها على أي حال جزء من النقد العام لأرسطو على نظرية المثل الأفلاطونية ، وعليك أن تكمل هذا النقد في ميدان المثل الأخلاقية بنقد المثل الطبيعية في مطلع كتابي الطبيعة وما وراء الطبيعة لأرسطو — مما تجد شرحاً وافياً له في المراجع العربية التي زودتك بها في المقال الأول — فارجع إليها وادرسها — فان نقد المثل الأفلاطونية يعدُّ حجر الأساس في كل علم من العلوم الفلسفية التي تناولها أرسطو

كمال دسوقي

علامة العراق

الاستاذ محمد رضا الشبيبي [1]

كنت — ولا أنفك — أنتاب مجمعه، واختلف إلى مجلسه وأتردد إلى داره. وبيته ببغداد، مجمع الفضلاء من أحلاف العلم، وأنصار الأدب، وعشاق الفضل، وأكابر البلد، وأشراف الأمة.

كان أبوه (الجواد) — رحمة الله عليه — من أشياخ الكتاب وفحول الشعراء، تعبر عن مقامه المحمود فى صناعة الكتابة مقاماته التى يعنو لها البديع، ولا يطاولها الحريرى، وتدل على مرتبته العالية فى القريض أشعاره التى لا يقاويها القدامى حر لفظ، ولا يضارعها المحدثون دقيق معنى. وكان أجداده من كبراء العلماء، وأئمة المحدثين. ولا تزال آثارهم تنم على علو محلهم، وتدل على جلال شأنهم. يذكر اسم الله — تعالى — فى مساجدهم ويسبح بحمده فى الغدو والآصال. وكانت مدارسهم تغص بالمتفقهين ينفرون من كل جانب، ويفدون من كل فج.

وقد شابه (الرضا) أباه، وورث أجداده، إلا أنه أحاط بأقطار الفضل، وطوف فى مناكب العلم، وجمع الكمال فأوعى. تفقه بالنجف عند طائفة من العلماء، وأدبه فريق من شيوخ الأدباء. وقد درس المنطق فعد من أفراده، وأخذ الحكمة فصار من أشياخها، وتخرج فى الفلسفة فكان من أربابها، وسمع اللغة فقيد أوابدها، وعقل شواردها، وهذب ألفاظها. وكتابه (المأنوس) من لغة القاموس أمارة كماله فى هذا السبيل.

رأيته حافلا بعلم جم، وفضل غزير، وأدب طرىء ومحاسن كثيرة، وفضائل دثرة [2] ومناقب عديدة يزينها اثنان: تواضع العلماء، وأناة الوزراء. وهو شاعر مجيد، وديوانه المطبوع نبذ مختارة من مجموع كبير ضخم يحتوى على بدائع بدائهه وعيون غرره.

وهو — عند أهل الفضل — مؤرخ العراق — غير منازع — حاول أن يطلع على أخباره، فوقف على السهم الأوفى، وأراد أن يصيب آثاره، فوقع إليه النصيب الأكبر. اطلعت على جزء من مجموعاته الكثيرة القيمة، وطالعت جملة مما جمع ووضع، وقرأت طائفة مما ألف وصنف من الكتب التى لو من على التاريخ بنشر شىء منها لكشف الأستاذ عن وجه كثير من أصول التاريخ والأدب.

ومن العجائب أنه عنى بما لا يقع فى خلد أحد من الباحثين فى زمنه، المعاصرين له؛ فلقد أفرد (البيزرة) برسالة مبسوطة، وعنى باخراج مخطوط قديم قيم فيها. وخص (تاريخ الفلاسفة) وأكابر الفلاسفة بكتاب ضخم نفيس، وعنى (بفلاسفة اليهود فى الإسلام) كابن كمونة وابن ملكان. وعالج (أدب البحث والمناظرة) وأثبت فى مجموعاته تاريخ البلدان التى هبت ريحها فى العلم أو كانت برزة فى الأدب، وأثبت سير رجالها المتبحرين، وأعيانها الكملة، وبيوتاتها الجليلة. وعنى بمؤرخ العراق (ابن الفوطى) — المتوفى سنة ٧٢٣ هـ — فأفرد سفراً مبسوطاً مطولا أثبت فيه تاريخ العراق — حينئذ — وضمنه سيرة ابن الفوطى، وإنى لأظن الأمر الذى حمل الشبيبى على إخلاد ابن الفوطى، وإخال السبب الذى جعله معنياً به، وأحسب أن رأس ما عظمه فى عينه، هو تشابه الرجلين، فهما اللذان أرخا العراق ودونا أخباره، وتصيدا أنباءه. وقد بر الشبيبى بابن الفوطى فأنقذ الجزء الرابع من كتابه الجليل (مجمع الآداب فى معجم الأسماء والألقاب) الذى كان نسياً منسياً فى (دار الكتب الظاهرية) بالشام، وحرره وعلق عليه وهذبه، وأثبت سيرته فى رسالة مطولة [1]

ولقد اطلع على كثير من خزائن الكتب العتيقة بالعراق والشام ومصر وأفاد من مخطوطاتها مالا يقوى على تحصيله — اليوم — من وقف نفسه على البحث ونذر للتأليف فرصته. واعتكف فى دور العلم وبيوت الأدب، فأخذ نصيبه منها، واقتنى كتباً نفيسة، وجمع أسفاراً مختارة. وعنده خزانة جامعة رائعة تزينها آثاره التى

---

(١) نقلا من كتابى المخطوط المسمى (رجال أعرفهم ويعرفوننى) وهو أحد تآليفى التى قوامها نحو من خمسين كتاباً فى اللغة والادب والتاريخ والتراجم والنسب. أودعته التعريف بطائفة من أشياخى وثلة من أصدقائى من أكابر العلماء والأدباء فى العراق ومصر والشام وغيرها. وضمنته طرفا من محاسن مجالسهم ومستطرف آثارهم.

(٢) دثرة: كثيرة

(١) قرأ على الناس شيئا منها فى قاعة (كلية الحقوق) ببغداد ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٠ وطبعت هذه — المحاضرة — ببغداد فى ١٦ صفحة

تم على مقدار فضله ، وهى أمارة كماله . وهو جيد الخط مليح الكتابة ، له مشاركة فى جميع العلوم والآداب .

لا أزال أزوره وأتردد إلى حضرته وأجتمع معه ، فاذا أبطأت عليه عاتبنى. ولقد منعنى أن أقصد حضرته داء ألم بى ، غادرنى رهين الفراش ، وتركنى إلف الداء فهاجنى شوق إلى مجلسه ، وثورنى نزوعى نحو مجممه ، فارتجلت هذه الأبيات وأنا نهب السقام ، وأوفدتها عليه ضحا ١٤ تشرين الأول من سنة ١٩٤٩ :

مولاى ما اخترت القطيـ ... ـعة والرضا أقصى رجائى
لـكن أمنت السخط والا ... أيام تبخـــل باللقاء
وبقيت نضو السقم ره ... ن جوى أطارحه عنـائى
أتذكر الجمع الحبيـ ... ـب فأنتشى ويزول دائى
ويلم بى طيف الخيـــا ... ل وإنه خـــير الدواء
يا عهد جمـــع يارعـا ... ك الله مزدهر الفنـاء
عذبت روحى باليمـــا ... دورعت قلبى بالتنائى
فأذيلُ دمـــع صبابة ... وهوى يجمجمه [1] حيائى
من لى بأيام الوصـــا ... ل كأنها كرهت لقائى
خلفتها وتركت فى ... أعطانهـا قلبى ورائى
ردوا إلى زمان وصـ ... ـل كنت أمحضه إخائى
وأعـــد على حديثه ... حتى يعاودنى شفائى
أفديك يا عهد الأحبـ ... ـة هل لعودك من رجاء
إن أنس لا أنس الربو ... ع يزينها ثوب البهاء
تتنفس الآداب طيـ ... ـباً فى مغانيها الوضاء
وتضوع أنفاس الشما ... ئل وهى تزرى بالكباء [2]
وتدار راح الفضـل فى ... جنباتها الغر الرواء [3]
يا داره روى ثـــرا ... ك على المدى طول البقاء
وسقتك يا ربع الكما ... ل من الحيادىم الصفاء
تعروسواك النائبـــا ... ت وأنت مرتفع البناء

فأعجب بها وطرب إليها ، غير أنى قصدته قبل أن ترد على إجابته ، وأقبلت عليه قبل أن يأتينى رده . وما أنس من الأشياء لا أنس قوله يشيد بعلمى وهو قل ويحمد ، أدبى وهو نزر ويطرى بضاعتى وهى مزجاة ، ويثنى على زادى وهو قليل : « أعنى أن توفق البلاد لمكافأتك ، وهل يتاح لها أن تـكافىء الأدباء العاملين ؟! »

شارك — حفظه الله — فى الجهاد [4] ولا ينفك لسانه العضب يقوم الأود ، ولا تزال كلماته تعدل الزيغ ولا يبرح سناه يهدى درب المجد الأبيض . لم تلهه سياسات البلد عن الاشتغال بالعلم ، ولم يتطربه [5] تدبير الدولة ، لـكنه التفت عن الدنيا وبهجتها ، وهو معروف بالإباء ، شهير بالعفة . وإنه وإن كان ذرف على الستين يمانى ما لا يصبر على الاستقلال به [6] الشباب ولا يستطيع القيام به من يمتع بمنفوان السن .

بغداد حسين على محفوظ

الأدب والفن فى أسبوع

عميد الأدباء يتولى وزارة المعارف :

كان لتولية الدكتور طه حسين بك وزارة المعارف موقع خاص فى النفوس ، هو موقع الارتياح والغبطة ، ويرجع ذلك إلى منزلته الممتازة لدى الخاصة والعامة ، لأنه كاتب إنسانى ذو رسالة إصلاحية محددة ، فهو فنان ومصلح ، وكلا الصفتين محبوب ، وقد اجتمعتا فيه ، وتفاعل مزجهما فى نفسه ، فصار رجلا أريحيا خيرا ، قويا بالأريحية والخير ، يحس بقوته فيندفع إلى الجرأة والحرية فى كتاباته وتصرفاته .

فلم يكن غريبا أن تعم الفرحة به إذ يتولى الوزارة ، وقد إنهالت عليه بطبيعة الحال — سيـــول التهانى من الجماعات والأفراد ، ولست أرى بدا من ترديد المعنى القديم المكرر ، وهو أن مثل الدكتور طه حسين أو هو بالذات لا يهنأ بمنصب ما وإنما يهنأ المنصب به ، وما أبالى إن أديت ما أريد ، أن يكون المعنى معادا أو طريفا ، فقد تعلمنا من العميد الكبير أن نركب التعبير إلى ما نقصد . [لم يكسب الدكتور طه حسين جديدا بتولية

(١) يجمجمه: يخفيه (٢) الكباء : عود البخور
(٣) الرواء : جمع ريا (٤) سنة ١٣٣٣هـ — ١٩١٥م
(٥) تطربه : أطربه (٦) أستقل به : أطاقه

الوزارة ، وكل ما هنالك أنه جمع المنصب إلى مجده الأدبي الخالد، وليس المنصب الزائل بشيء إلى جانب المجد الباقي على الزمن .

وهنا أتبين في نفسي السر الذي حداني منذ أول هذه الكلمة حتى الآن إلى تجنب الديباجة الرسمية التي تنسب فيها (المعالي) إلى الوزراء ، في الحديث عن طه حسين .

إذن لا أهنىء الدكتور طه حسين بولايته وزارة المعارف، وإنما نهنىء أنفسنا . . نعم نهنىء أنفسنا بما ننتظره من خير على يده ، ولا يفوتنا أن نتصور ما يلقاه هو من عناء لا تذهب به مظاهر الوزارة وجاهها من نفس كبيرة كنفس طه حسين . والخير الذي ننتظره أن يتحقق على يده خير عام يكاد الناس يرونه محققا من الآن . . .

طه حسين الكاتب الذي يغلف مراميه لخير هذا الشعب بغلاف من الفن الممتع الجذاب، يتولى وزارة المعارف ، فلهذا يفرح الناس به ويرجون أن يحقق ما يدعو إليه داعيا وما كان يتحدث به فيرجو أن يسمعه ولاة الأمر ، وها قد أصبح هو ممن بيدهم الأمر ، وقد عهده الناس في عهده السابق بوزارة المعارف بادئا بما يبتغي من الخير مصمما فيه ثم حالت الظروف دون السير في الطريق إلى نهايته .

طه حسين الذي يقول بأن التعليم حق طبيعي لكل فرد من أفراد الأمة كالماء والهواء لا ينبغي أن يرد عنه أو يحمل على شرائه بالمال كما يشترى البصل والكراث ، طه حسين الذي يصور حال المعلمين وما يلقونه من شقاء في العمل ومواجهة أعباء العيش ويطالب لهم ما هم أهله من الحياة الكريمة ، طه حسين الذي هاله أن تلقى أسرة المازني حرجا في معيشتها بعده فطالب بأن ترعاها الدولة ، وأن تمتد هذه الرعاية إلى سائر الأدباء وأبنائهم وأسراتهم من بعدهم ، طه حسين الكاتب الذي ينبض قلبه بالإنسانية الرفيعة فيبسط شعوره الإنساني في كل ما يكتب ، يغضب لصالح المواطنين فيهجم ، أو ينهنه من غضبه فيسخر ، أو يرى القيود فيتحايل ؛ يكتب في شؤون الناس مباشرة ، وأحيانا يعود إلى تاريخ الأسلاف فيتخذ منه أغلفة يلفف بها أفكاره ومشاعره ، طه حسين الأستاذ الكبير الذي علم الجيل والتف حوله أدباء الشباب يتلقون عنه الفن ويهرعون إليه كلما حزبهم أمر أو مسهم ضر من ذوي القلوب الغلاظ

كشكول الأسبوع

□ جرت مناظرة يوم السبت الماضي في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية موضوعها « تقدم الأدب تقدما مرضيا في ربع القرن الأخير » أيد الرأي الدكتور أحمد أمين بك ومعالي الدكتور طه حسين بك الذي حرص على الحضور رغم مشاغل الوزارة في اليوم الثاني من تأليفها . وفاء بعهده من قبل ، وعارض الرأي الدكتور محمد عوض محمد بك. وفي العدد القادم أهم ما دار في هذه المناظرة .

□ يرشح الأستاذ أمين الخولي عميداً لكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول خلفاً لعميدها الحالي الذي تنتهي مدته قريباً وقد نشر أنه استقال من منصبه .

والأستاذ الخولي هو رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وهو أقدم أستاذ في الكلية ويشغل كرسي الأدب المصري ، وهو إلى ذلك من أساتذة الجيل ويختص بالعناية والتوجيه مدرسة أدبية من الشباب الجامعيين .

□ سأل مندوب « المصري » الدكتور طه حسين بك عن أسوأ المشكلات الاجتماعية في مصر ، فقال : لا تسأل عن أسوأ مشكلات مصر فحياة مصر كلها مشكلة ، وقد قال المتنبي بيتين لم يقصد بهما مصر ولكنهما يصوران شقاءها بآفاتها المختلفة أصدق تصوير ، وهما :

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

□ يعنى الأستاذ شفيق غربال بك في الوقت الحاضر بنشر كتاب « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » لمؤلفه السيد محمد عمر التونسي ، والكتاب مطبوع على الحجر في باريس ، وهو يعطي فكرة عن حالة دارفور والسودان الغربي قبيل عهد الوحدة .

□ بين أعضاء مجلس النواب الجديد اثنان من الأدباء المعروفين ، هما الشاعر عزيز أباظة باشا والكاتب الدكتور محمد مندور .

□ سافر في هذا الأسبوع إلى أمريكا الطالب والطالبة اللذان اختيرا لتمثيل الطلبة المصريين في مؤتمر « العالم الذي نريده » الذي دعت إليه جريدة « هيرالد تريبون » بنيويورك . وكان قد أعد لهذين الطالبين قبل سفرهما برنامج زودا فيه بمعلومات عن الآثار المصرية والدين الإسلامي وآداب المائدة وما إلى ذلك... وهذا حسن ولكنه يدل على نواحي نقص في تثقيف الطلبة عندنا ينبغي العمل على استكمالها لذات التثقيف بصرف النظر عن التمثيل في الخارج .

□ تم إنشاء المؤسسة الثقافية المصرية الأمريكية التي يقضي بإنشائها الاتفاق الثقافي الذي عقد أخيراً بين مصر والولايات المتحدة ويتكون مكتب هذه المؤسسة من ثمانية أعضاء أمريكيين وأربعة مصريين على رأسهم الأستاذ شفيق غربال بك .

□ هاجم النقاد الأمريكيون فلم « جان دارك » وعجب بعض الناس من إطراء الانجليز له . وقد شاهدته في هذا الأسبوع فأبعث بتحيتي إلى أولئك النقاد .. ولا أعجب لإطراء الانجليز وإنما عجبي لسرور الفرنسيين به ، فهو لا يمس أولئك قدر ما يمس هؤلاء الذين أحرقوا منقذتهم .

طه حسين ذلك قد تولى وزارة المعارف ، فهاهو وزير محدد البرنامج واضح المنهج ؛ ونحن لن نتوانى عن مطالبته بالعمل لتنفيذ برنامجه ما استطاع اليه سبيلا ، وأنا لا أقول بأن كل مايكتبه الكاتب يستطيعه إذا وكل إليه الأمر ، فالكاتب يرسم المثل وقد يقصر من يتصدى للعمل على تطبيقها عن غايتها ، ولكن بحسبنا أن نراه جادا في السبيل ماضياً إلى الهدف .

وقد بقى شيء أريد أن أهمس به فى أذن معالى الوزير – ولا بأس هنا بقليل من الرسميات – أريد أن أقول له : لا يغرنك ما ترى من أناس أنت تعرفهم لأنك تراهم الآن حولك يمحون « الردنجوت » كما كانوا يصنعون فى عهدك الأول بوزارة المعارف ولم نرهم منذ ذلك الحين

مناقشة في أزمة الزواج :

جرت هذه المناقشة فى « رابطة مصر أوربا » يوم الثلاثاء الماضى ، بين الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف بك والأستاذ مظهر سعيد والسيدة مفيدة عبد الرحمن والسيدة أمينة السعيد .

كان الاستاذ خلاف هو مدير الندوة ومنظم الحديث والنقاش فيها بدأ بتمهيد فى بيان أهمية الزواج وقال إنه لا يعرف بالضبط هل هناك أزمة زواج بمعنى الإضراب عنه أولا ، ولكن الأزمة توجد على الأقل فى الحياة الزوجية نفسها . ثم تلته السيدة أمينة ، فقالت إنه ليس فى مصر أزمة زواج على وجه عام واستدلت بإحصائية صدرت سنة ١٩٣٧ ، يتبين منها أن نسبة الرجال المتزوجين فى مصر نحو ٦٨ ./. ، وقالت إن أكثر غير المتزوجين هم من شبان الطبقة المتوسطة المتعلمين ، أما غيرهم من الفقراء والأغنياء فإقبالهم على الزواج ظاهر ملموس .

وتكلم بعد ذلك الاستاذ مظهر سعيد ، فقال إن أزمة الزواج المحصورة فى المتعلمين من الطبقة المتوسطة هى فى الحقيقة أزمة الزواج فى السن المتأخرة لأن الشاب يبدأ حياته فى الوظيفة بمرتب ضئيل ويتهيب الزواج منتظراً حتى تتحسن حالته المالية . ومن ناحية أخرى ينظر الشاب إلى مستقبله فيراه رهنا بالصلات والوساطات وليس للكفاية والعمل أى اعتبار ، فهو يلبث حتى يحصل على الدرجة الخامسة مثلا ليستطيع أن يتقدم إلى أحد الكبار من ذوى النفوذ ليصاهره فيستعين بجاهه

أما السيدة مفيدة فقد أرجعت الأزمة لا إلى الأسباب الاقتصادية فحسب ، بل اعتبرت الناحية الاجتماعية أهم من العوامل الاقتصادية ؛ فأفاضت فى الكلام عن عدم إعداد الفتاة للحياة البيتية إعداداً صحيحا وتقصير الدولة فى رعاية الأسرة والأطفال ، وتحدثت كذلك عن الحالة الخلقية السيئة التى انغمست فيها الفتاة بانعدام الرقابة عليها .

ولخص خلاف بك الموقف بعد ذلك ، وأضاف إلى ما ذكر من أسباب الأزمة ميل الشاب إلى التخفف من التبعات وإيثاره المتعة المنوعة الرخيصة ، والاستنارة العامة التى تدفع إلى طلب المستوى العالى فى جمال الفتاة وثقافتها .

وعادت السيدة أمينة إلى الحديث فحبذت الزواج المتأخر ذاهبة إلى أن الرجل فى مقتبل شبابه يعجبه فى المرأة مالا يعجبه إذا تقدم فى السن إذ يرتفع مستوى ما يطلبه من جمال أكثر من قبل ، فإذا تزوج مبكرا أدى ذلك إلى عدم الاتفاق فيما بعد . ومما قالته أن حالة الزواج فى مصر أسعد منها فى البلاد الأجنبية الغربية سواء من حيث نسبة الزواج أو من حيث السعادة الزوجية ، لأن الزوجين العاملين هناك لا يلتقيان إلا متعبين مكدودين .

ولما عاد الأستاذ مظهر إلى الكلام قال انه يرجع الأزمة إلى عامل نفسى أهم من الاقتصاديات والاجتماعيات ، ذلك أن الشاب لا يشعر بالاستقرار فى هذه الحياة المضطربة ، والنفسية غير المستقرة تهيب الإقدام على الأمور . وهون الأستاذ من شأن الناحية الاقتصادية بأن الشاب العزب ينفق وحده ما يكفى زوجين ، وذهب إلى أن أسباب المتعة المحرمة غير ميسورة كما يقال . وركز الموضوع فى الناحية النفسية وقال إن حل المشاكل إنما هو فى القضاء على أسباب الحيرة والاضطراب ليصل الشاب إلى الطمأنينة النفسية التى تدفعه إلى الإيمان بالله وأن لكل مخلوق رزقه أو إلى الثقة بنفسه وهمته .

وقد جرت المناقشة هادئة يكاد يتفق المتناقشون فى الرأى . وكان المتخيل من تأليف المتناقشين أنهم جبهتان جبهة الرجل وجبهة المرأة ؛ ولكن الذى وقع هو الخلاف فى بعض النقط بين السيدتين ... فكادت المعركة الكلامية تنشب بينهما لولا جنوحهما آخر الأمر إلى الملاينة وإيثارها المحاسنة ، فكانت كل



السراب

للأستاذ ثروت أباظه

هى القصة الرائمة التى أتمها الفنان العبقرى نجيب محفوظ ، وقد أدار حوادثها فى بيئة متوسطة ليست بالوفيرة الغنى ولا هى بالمدقعة الفقر .

أطلق الأستاذ نجيب قصته على لسان شاب فى طريقه إلى إغلاق الحلقة الثالثة من عمره . . فهو يقص علينا حياته بادئا بالفطام منتهيا بما يرفع عنه القلم ... وقد عاش حوله أشخاص كثيرون كان شأن نجيب معهم شأنه دائما مع شخصياته جميعا ، يمسك بزمامهم فى قوة المتمكن العتيد ويحركهم فى دوائرهم المرسومة راسما فى كل حركة من حركاتهم خطا بصور ماتنضم عليه نفوسهم من خير أو شر فتعرفهم وتعيش معهم فكأنهم أصدقاء الممردون أن يقدمهم لك القاص ودون أن يقدموا هم أنفسهم ... بحسبهم وبحسبك أن يسيرهم نجيب وأن تتابع أنت سيرهم فإذا هم الأصدقاء القدماء أو هم — على التقدير المتواضع — أناس عرفتهم فأحسنت المعرفة .

بطل القصة (كامل رؤبه) يتابعه نجيب أو هو يتركه يتابع نفسه ويروى لنا أنه نشأ كمود وحيد فى حقل كبير لا يعتنى به إلا الأرض وصاحب الحقل ، وقد كانت أرض (رؤبه) أمه وكان صاحب الحقل جده . وهكذا كان الولد مشدودا فى طفولته إلى فستان أمه أيا كان نوع هذا الفستان فهو معها فى كل مكان وهى تأبى عليه ألا أن يكون كذلك . حرمت عليه لعب الأطفال وحرمت عليه الخروج حتى إذا ماذهب إلى المدرسة عجز عن رد السخرية بل عجز عن الكلام حتى لنسمعه حين يسرح يقول للأستاذ (يانينه) فتبقى الكلمة علما عليه طول أيامه فى هذه المدرسة . . ولم تكن الأم بالمثقفة حتى تفتح ذهنه إلى شىء . كل ماعلمه عن الحياة ان له أماً وله جداً وله أبا سكيراً لم يقم مع أمه

منهما مثالا للسيدة المثقفة ، وقد اختلفتا فى ثلاث نقط الأولى أن السيدة مفيدة اعترضت على إحصائية سنة ١٩٣٧ إذ تغيرت الأحوال بعدها ، فاحتدت السيدة أمينة فى الرد قائلة إن زميلتها سألتها فيما بينهما لماذا أنت بالإحصائية القديمة فأجابتها بأنها آخر إحصائية ، ثم استغلت ذلك فى المناقشة العلنية . وأبانت السيدة أمينة أن الأقبال على الزواج زاد فى خلال الحرب ثم رجعت الحال إلى ما كانت عليه ، ولكن من أين عرفت ذلك وهى نفسها تقول إن إحصائية سنة ١٩٣٧ هى آخر إحصائية ؟ والنقطة الثانية هى أن السيدة مفيدة عارضت تحبيذ الزواج المتأخر ، وألقت التبعة فى تغير الرجل وانعدام حبه لزوجته الى الزوجة ، لأنها لا تظل على العناية بنظافتها ومظهرها التى تكون فى أول عهد الزواج ، بل تهمل نفسها بحيث لا يراها الزوج على ما يحب .

أما النقطة الثالثة فهى مسألة الزوجين العاملين فقد دافعت السيدة مفيدة عن هذه الزوجية وقالت ان الواقع ينطق بما فيها من السعادة والوفاق .

وقد لاحظت أن الجميع انفقوا على التهوين من شأن أزمة الزواج حتى كادوا يقولون بأنها غير موجودة . ثم استرسلوا بعد ذلك فى بسط الأسباب الداعية حتما إلى أزمة لاشك فيها ... والواقع أن الحال أشد مما صوروها ، فالأزمة وان كان محصورة حقا فى شباب الطبقة المتوسطة إلا أنها قائمة بينهم بدرجة خطيرة ، وهم خلاصة أبناء الأمة الذين يعول عليهم فى شئونها ومستقبلها .

ولم تخل الندوة من بعض الدعابات والفكاهات ، فقد لاحظ الحاضرون أن السيدة أمينة تكثر من كلمة « مظهر » حتى قالت عن شىء إنه مظهر سىء ، فقال خلاف بك : لا إنه « مظهر سعيد » وقدم السيدة مفيدة أخيرا بقوله : والخلاصة المفيدة تسمعونها من السيدة مفيدة ...

ومما حكاه الأستاذ مظهر سعيد من التندر على الزواج أن أحد المدرسين كان مرافقا لتلاميذه فى رحلة بحديقة الحيوان ؛ فرأى تلميذ حمارا وحشيا يجرى وراء أتان ، فسأل المدرس عن سبب ذلك ، قال المدرس : إنه يريد أن يتزوجها : قال التلميذ : وهل يتزوج الحمير ؟ فقال المدرس : وهل يتزوج إلا الحمير ... ؟

عباس خضر

أكثر من شهور متفرقة . . أنجبت أو هي في الحقيقة جلبت فيها إلى الحياة ثلاثة أفراد : . بنتا وولدين كان بطلنا صغيرهم — عاش مع أمه التي تعيش مع أبيها الضابط المتقاعد . . هذا هو كل ما عرفه كامل ، وهذا هو ما ظل يعرفه من أمور الدنيا حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، فهو شخص خامل جبان ، يخاف الحياة ويخاف الموت ، ويخاف النـاس ويخاف نفسه ، غبي ، ضعيف الارادة . . يجسم التافه من الأمور ، يتعثر في خطاه كلما مشى ... ولكنه هو الذي يضع العراقيل التي يتعثر بها . لم يكن من بد أن يتعثر في الدراسة أيضا فنال شهادة البكالوريا لا هنا وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، ومنعته سنه الكبيرة أن يحقق أمنية جده بدخوله الكلية الحربية فينحرف عنها مضطراً إلى كلية الحقوق ، وكل ما يسره فيها أنه لن يضرب ... وقد حدث ما سره فملا فلم يضربه أستاذ بعصا ، ولكن أستاذ الخطابةعمل به ما هو أنكى ، فطلب إليه أن يخطب إخوانه فوقف على المنصة ليصمت وليستدعى هزء إخوانه ثم ليولى وجهه شطر الباب ويخرج . . ويخرج إلى غير رجعه ، فقد صمم على أن يكتفي من التعليم — أو الشهادات فهو لم يتعلم — بما نال ، يسعى بها لدى الحكومة فتعينه ويصير موظفا بوزارة الحربية . يموت جده وقد كان يحمل عنه عبء البيت بما يقبضه من معاش حتى إذا قبضه الله إليه حار (كامل) فيما يفعل ، ولكن الأم تهون عليه وتترك بيتهم الكبير إلى شقة صغيرة وتستقيم الحياة في ظاهرها ولكن كاملا الملتوى لابد أن يلوى الحياة معه ... فهو في حياة جده كان قد أغرته كثرة المال كما اغراه خوفه وضعفه بشرب الخمر التي نكبت أسرته جميعا وصدعت شملهم ولكنه يجد حين يحسوها جرأة لا يجدها في نفسه اطلاقا . جبان هكذا هو دائما ، رعديد يخشى الحياة بنفسه وبعقله فهو يذيب عقله الخائف ويغمر نفسه الهالعة في كأس الخمر ، ولكنه حين مات جده لم يجد ما يكفيه لشربها أو هو على الأقل لم يجد ما يداوم به على شربها .

أم جهول وإبن غبي ! ماذا نرجو ؟ نعم . . لقد شب الطفل خسيس النفس يستعين بجسمه على إخماد غريزته ، فلم يجد من يبصره بالعاقبة أو من يعالجه بما يعالج به المراهق — فأفرط حتى تمكنت منه العادة ... وقد أثارتها في نفسه خادمة قبيحة عندهم وجدتها أمه معه فطردتها وأخبرته انه أتى إثما كبيرا ؛ فلم يفهم غير هـذا حتى إذا تقدم خاطب لأمه قفز الاثم الكبير إلى ذهنه وسأل أمه فأخبرته أن الزواج علاقة يباركها الرحمن ولم ترد ، ورفضت الخطبة ، فاختلفت الأمور بذهنه فأكب يجلد نفسه بنفسه حتى أصبح لا يطيق إلا هذا . ولما كانت الخادمة قبيحة فانه شب لا يثير حيوانيته إلا المرأة القبيحة ، أما الجميلة فانه يشرئب إليها بروحه ناسيا أنه رجل .

ظل كذلك حتى أحب ابنة الجار لهم وأراد الزواج منها فوقف في سبيله فقره الذي صار إليه وحياؤه الذي نشأ معه ، واستطاع مرتين تحت وطأة الحب الجارف أن يذهب إلى أبيه يطلب منه العون على الزواج ؛ ولكن الأب يفهمه في المرة الأولى ان لا مال لديه وفي المرة الثانية يتحسس الأب في كلام أبنه معنى التهديد ، ولما كان هو قد حاول قتل أبيه فأخفق ، الأمر الذي جعل أباه يحرمه ميراثه لما كان كذلك ، فانه يغضب ، ويتجسم كلام أبنه في ذهنه تهديدا صريحا فيطرده ، ويخرج الابن يائساً ولكن لا يطول به اليأس بل يموت أبوه ويرث عنه ما يكفيه للزواج فيقبل لا يشجعه عليه إلا حبه متعاميا عن تثبيط أمه ، ويتزوج وينتقل هو وزوجته وأمه إلى بيت جديد ... ان زوجته جميلة ... لا زوجية إذن ... عجز عنها ولكن الزوجة راضية . . لم يطق الحال فذهب إلى طبيب يتضح فيما بعد انه قريب أصهاره فيعرف الطبيب عادته التي ظل عليها حتى بعد الزواج فيحاول علاجه . . ولكنه لا يفلح فينصرف عنه كامل ليستعين بالخمر فينجح نجاحاً واهيا ويقنع نفسه انه نجح ؛ ولكن الزوجة ترجوه أن يرجع إلى ما كان عليه من روحانية فيرجع راضيا في نفسه وعن نفسه محاولا أن يقنعها انه إنما تقاعس عن رجولته إرضاء لزوجته . وتمشى الحياة به راضية ولكنه رأى في يد زوجته خطابا مزقته حين رآه فثارت في نفسه شكوك ، وذهب يراقب زوجته فيرى فتاة دميمة تغازله فهو جميل ، ويغازلها فهو قذر ، ويخون زوجته التي اتضح من مراقبته لها انها بريئة . . وظل هكذا ، دميمته لجسده وزوجته لروحه ، حتى كانت ليلة شعرت فيها الزوجة بوعكة فيطلب اليها أن تبقى بالمنزل فتوهمه أن لا سبب للخوف وتقصد إلى بيت أمها فيشتد بها المرض فتقيم هناك ليلتها ويعود هو من عند

جسده ليجد روحه عند أمها فيذهب إليها ويقيم معها حتى يعدو الليل إلى النهار، فيذهب ثم يعود اليها قبل ذهابه إلى ديوانه ثم لا يطيق أن يبقى بالديوان أكثر من ساعتين فيعود اليها . ولكن لا . لم يعد اليها بل عاد إلى جسدها . لقد ماتت كيف ؟ أنها عملية قام بها الطبيب الذى عرض عليه نفسه . ولكنه يرى أن الطبيب قام بعملية ليست من اختصاصه فتثب اليه الشجاعة ويبلغ النيابة فيكشف التحقيق عن زوجة خائنة خانته مع هذا الطبيب بالذات فكان ثمرة الخيانة جنينا حاولا التخلص منه ، ولكنها ماتت.

يذهب إلى أمه يكاد يجن فيفرغ فيها غضبا جامحا ويتركها ليلقى بنفسه فى غرفة غير تلك التى عشق فيها الروح الخائنة حتى إذا كان الصباح نزل إلى القاهرة لايدرى من أمر نفسه شيئا ويقابله صديق يعزيه . لم يكن يعزيه فى زوجه ولكن فى أمه . لقد ماتت لقد أخرج غضبه فى غير موضعه . لقد كانت الأم طريحة الفراش يهددها القلب بالتوقف حتى إذا طالعها من ابنها هذا المتود . ماتت

وهكذ تتوالى عليه المصائب فى غير توقف . وهوهو الرعديد الجبان الضعيف يخر لهافى غيبوبة ثلاثة أيام يرعاه أخوه وأخته حتى إذا أفاق وتذكر خيل اليه أنه وصل إلى حقيقة نفسه . وهو أنه خلق للتصوف؛ ولكن لم يكد يستقر به التفكير على هذا حتى تدخل اليه دميمته . إنها تسأل عن صحته وتسدل الستار .

إن فى الرواية بعد ذلك لفتات عبقرية إلى دقائق الحياة ليست غريبة على نجيب ولا هى بغريبة علينا منه . فى الكلام الذى يقوله الأب لابنه فى الزيارة الأولى وفى التحليل العجيب لنفسية المخطىء السكير وفى تبريره الشر واقتناعه به بعقله إلى جانب عاطفته وفى دفاعه المنسجم مع منطقه . فى كل هذا ا كتمال ، بل قمة فنية نجيب خير من يرقاها .

وفى النقاش الدائر بين كامل السكران وبين الحوذى الذى يطلب اليه (كامل) أن يذهب به إلى بؤرة فساد ؛ فى هذا الحوار لفتات بارعة فترى الحوذى يقول حين يصل (هنا الفساد الأصلى) فى هذه السهولة وهذه الوقاحه وترى (كاملا) يألم على رغم سكره حين يوغل الحوذى فى الحديث . لفتة بارعة أيضا .

بقى أمر لابد أن أعرض له على من تلقى عبء النكبات المتحدرة على (كامل) . نظرة سطحية للامور نجيب : على القدر . ليس القدر كلها أخطاء بشر . أم مدللة ، وجسد يدلل الأم . لابد أن ينتج ابن هش . ضعيف النفس يتملق بالقبح ، وما هذا إلا شذوذا فى الخلق وعقدة فى النفس أودت بحرمة بيته ، وهو غبى ولم يكن الغباء موهبة عنده ، ولكن أمه لم تمط الفرصة لعقله أن يعمل فخمل ، وعرف فى نفسه الغباء وعرف فيها الجبن ، فاحتقر نفسه ، فسقط لو هيأت له تربية صالحة لما سار إلى هوته . أن ذا النظرة السطحية يقول لم لم يهيء له القدر تربية صالحة . ليس القدر . أنه أبوه أوجده لا بيه لم يحسن التربية ، ولم يثقف ولده فأدمن الخمر وتزوج ولم يصبر على الرجولة الحقة ، وفضل الدعة إلى جانب كأسه على أن يحمل نفسه مشقة الالتفات إلى أولاده .

والزوجة الخائنة لم يحسن أهلها تربيتها فسقطت وكان الاحرى بها أن تطالب الطلاق ولا تتردى فيما فعلت ، تطالب الطلاق .

ولتستتر بما شاءت ولكن تطلبه .

نجيب إنه لملك تريد أن تقول لنا ما من شر يصيبنا الا من أنفسنا وما من خير نلقاه الا من الله . ان كنت فقد أحسنت وإن لم تكن فقد قدمت إلى مكتبة القصة قمة جديدة ننتظرها منك وننتظر غيرها وغيرها . صورا عن مصر بشرها وخيرها وعن الناس خيارهم وشرارهم ـ فالفن الصادق هو مايلهمه وطنك تلك النبعة الخالدة . مصر .

ثروت أباظة



المترونوم (١)

للكاتب الأمريكي اوغست دراث

بقلم الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

عندما استلقت على الفراش ، ولفها الظلام الخفي اللطيف برداته ، نضت شفتاها عن ابتسامة جمعت فيها كل ما تشعر به من الراحة بانتهاء الجنازة أخيرا دون أن يشك أحد في أنها والصبي لم يسقطا عرضا في النهر ، أو يخطر على بال أحد أنها كانت تستطيع أن تنقذ ابن زوجها لو أرادت . وها هي ذي لا تزال تسمع كلماتهم « أوه ، مسكينة السيدة فارل ، ما أفظع ما تشربه » تسمعها ترن خافتة وعلى بعد سحيق ، في ظلام الليل المدلهم .

ان ما شعرت به من تقريع الضمير عندما غاص الطفل في أليم واختنق تحت سطح الماء للمرة الأخيرة ، وعندما رقدت على الشاطىء منهوكة القوى ، قد تلاشى منذ زمن طويل . ولم تعد تفكر كيف ارتكبت ما ارتكبته — بل لقد أقنعت نفسها بأن ضفة النهر قد انهارت قضاء وقدرا ، وتناست التربة المتداعية ، والماء العميق ، والتيار الجارف .

وتحرك زوجها في الحجرة المجاورة . انه لم يشتبه في شيء . لقد قال لها وقد لاحت على وجهه سمات الحزن « لم يبق لي الآن سواك » وما أصعب تلك الأيام القلائل الأولى التي مرت عليها . بيد أن اختفاء جيم نهائيا في غياهب القبر قد قلل الشكوك الطفيفة التي انتابتها .

ومع ذلك ، كان من الصعب عليها تصور ما اقترفته . لابد أن منشأه نزوة طارئة . بيد أن نفورها من الصبي وحقدها عليه بسبب الشبه الذي بينه وبين والدته هو الذي دفعها إلى ذلك دفعا ، وذلك المترونوم ! لطفل له من العمر ثماني سنوات أن ينسى مثل هذه الأشياء الصبيانية . لو كان يعزف على البيانو لاختلف الأمر . ولكنه وهو على هذه الحال ، كلا ، كلا — كان ذلك كثيرا عليها . ان أعصابها لم تعد تحتمله يوما آخر . ثم عند ما أخفت المترونوم . أثار غضبها بانشاده تلك الأغنية الصغيرة السخيفة التي سمع والتردامروش يغنيها عند شرحه سيمفونية المترونوم لبتهوفن ، في صباح أحد أيام الجمع ببرنامج الأطفال بالأذاعة . ان كلماتها ، تلك الكلمات الصبيانية التي بعث بها بتهوفن إلى مخترع المترونوم ، كانت تتردد في خاطرها ، وترن في شكل مثير في أركان ذاكرتها :

كيف حالك كيف حالك كيف حالك

ياعزيزي ياعزيزي السيد ملزو

أو ما أشبه ذلك ، فانها لم تكن واثقة من الكلمات ، تلك التي تثابر على التردد في ذاكرتها منذ بدء عزف الجزء الثاني من السيمفونية ، وتقرع كالمترونوم تك ، تك ، تك ، بلا نهاية . ومهما يكن من شيء ، فان المترونوم والأغنية قد ركزا فيها شعور البغضاء نحو ابن زوجة فارل الأولى .

وحاولت أن تنبذ الأغنية من ذاكرتها . وفجأة ، أخذت تتساءل : ترى أين أخفت المترونوم ؟ كان في الواقع لطيف الشكل حديث الطراز ، ذا قاعدة فضية ثقيلة ، وثقل صغير فوق بندول من الصلب ممتد إلى أعلى أمام اللوحة الفضية المنحنية . انها لم تستسلم لأولى نزواتها فتحطمه ، فقد كانت تظن أنها ستصنع منه حلية جميلة بعد ما يرحل جيمي ، ولو أنه كان يخص والدته . ثم فكرت في مارجوت ، لابد وأن تكون مسرورة لأنها بعثت بجيمي إليها .

الا يجوز أنها وضعت المترونوم في أحد أرفف خزانة ملابسها ؟ ربما . . كان من الغريب عليها الا تذكر شيئا . ورقدت تفكر فيه . كم يكون منظره جذابا عندما تضعه على البيانو الكبير ، حلية فريدة قائمة عليه ، فضة تضارب سواد البيانو . وعلى حين غرة ، اقتحم صوت المترونوم تفكيرها . ما أغرب ذلك ! انها تسمع دقاته الآن في الوقت الذي تتمثله في خاطرها ! وبدا الصوت في غاية الوضوح . تك — تك ، تك — تك — تك — تك . وحاولت دون جدوى التأكد من مصدرها . كان يبدو أنه يزداد دويا وضجيجا ثم يتلاشى . وكان ذلك غريبا عليها . وفكرت ، انه لم يسبق لها أن سمعته

(١) المترونوم آلة تستعمل لضبط الايقاع الموسيقي ، اخترعها ميلزول عام ١٨١٤ . وهو صغير الحجم يتركب من بندول يحركه زنبرك ، بعلاه الساعة ، له ثقل فوقه مقياس . وحركة البندول هي التي تقوم بخبط الإيقاع

كما تسمعه الآن ، حتى فى الوقت الذى كان جيمى يعزج معهما فيسمعها دقاته . وجعلت تصغى فى انتباه .

وفجأة ، خطر لها مابعث القشعريرة فى جسدها ، وكتم أنفاسها لحظة . ألم تخبىء المترونوم بعد أن أعطاه لها جيمى لتملأه أجل انها فعلت ذلك . مالم تكن قد خانتها ذاكرتها إذاً ، انه لا يستطيع أن يدق الآن ، لانه فارغ ، لم يملأ بعد . وسرعان ما تساءلت : ألا يكون ارنولد قد وجده وملأه على سبيل المزاح ، ثم جعله يتحرك فى هذا الوقت ؟ وألقت بنظرة على ساعة معصمها . كان الوقت قد قارب الوحدة . انها لاتعتقد أن ارنولد قادر على مثل هذا المزاح ، فهو لابد مخبرها عن وجوده فيقول لها « أنظرى . لقد ظننت أنك أخبرتنى بأن جيمى قد فقده . وها أنذا قد عثرت عليه فوق أحد أرففك . ومن غير المحتمل أن يكون قد وضع هناك من تلقاء نفسه » وعاد إليها تفكيرها فى أنها قد خبأته فى مكان ما بعيدا عن متناول يد جيمى . ثم أصغت : تك — تك — تك — تك — تك — تك .

وحدثت نفسها قائلة :

أسمعه ارنولد ؟ ان ذلك بعيد الاحتمال ، فهو دائما ثقيل النوم

وترددت هنيهة قبل أن تقوم وتبحث عن مصباحها الكهربائى فى الظلام . ثم توجهت إلى خزانة ملابسها وفتحت الباب ، ومدت يدها الممسكة بالمصباح تخترق الظلام الدامس ، ثم أصغت. كلا ، لم يكن المترونوم هناك . ومع ذلك ، لم تتمالك من جذب صندوق القبعات جانبا حتى تتأكد . فطالما أخفت بعض الأشياء هناك . وأخيرا انسحبت من الخزانة ووقفت مستندة على بابها المغلق ، وقطبت بين حاجبيها فى غضب : يا إلهى ! أكتب عليها أن تسمع هذه الدقات الجهنمية حتى بعد موت جيمى ؟ وتحركت فى عزم صوب باب حجرتها . وفجأة صدم عقلها صوت جديد . هناك شخص يسير على بعد من الباب فى ناحية ما ، يمشى فى خطى خفيفة خافتة .

بطبيعة الحال ، كان تفكيرها منصبا بادىء ذى بدء على أرنولد ، وفى الوقت الذى انبعث فيه تفكيرها سمعت صرير فراش زوجها . وودت لو اعتقدت أن الخادم أو الطاهية قد عادت إلى الدار لسبب ما . ولكنها لم تهضم هذه الفكرة السخيفة فى عودة احداهما إلى الدار فى ذلك الوقت المتأخر من الليل ولو لأى سبب . وليس من المعقول أن يكون قد اقتحم الدار لصوص .

وترددت فى وضع يدها على مقبض الباب . وأخيرا فتحته شبه غاضبة وتطلعت إلى البهو ، وقد أمسكت بمصباحها وصوبته . لم يكن هناك أحد . ومع ذلك ؛ ودت لو رأت أحدا هناك . ما أسخف تفكيرها ! وعلكتها ثورة جامحة . وفى نفس اللحظة سمعت وقع الأقدام مرة أخرى ، خفيفة بعيدة ، تبدو خافتة الصوت من أسـفل الدرج . وكانت دقات المترونوم قد أصبحت أكثر ترددا ودويا حتى أنها خشيت أن يستيقظ ارنولد بسببها . ثم أقبل صوت غمر كيانها برعب بارد ، صوت صبى ينشد من مكان ناء :

كيف حالك كيف حالك كيف حالك

ياعزيزى ياعزيزى السيد ملزو

وتهالكت متكئة على مصراعى الباب ثم تشبثت به بذراعها الخالية ، وكاد عقلها أن يعصف بها ولكن سرعان ماخفت الصوت وتلاشى ، وظلت دقات المترونوم تتعالى . ومع ذلك شعرت ببعض الراحة عندما استمعت إلى صوته يطغى على أى صوت آخر ووقفت بعض لحظات تشد أزر نفسها . ثم شددت قبضتها على المصباح ، وسارت فى بطء على طول الرواق . وعندما اقتربت من قمة الدرج أحاطت أنبوبة الضوء الصغيرة للمصباح بيدها الأخرى حتى لا يراها من يكون هناك تحت . ونزلت الدرج فى حذر خشية أن يصر فيكشف وجودها .

لم يكن هناك أحد بالبهو . بيد أنها سمعت صوتا مقبلا من المكتبة . ودفعت الباب فى هدوء فانفتح ، وإذا بدقات المترونوم تبعث وتكتنفها وتغمرها . ولم تستطع أن تميز ما فى الحجرة إلا بعد أن تقدمت بضع خطوات . وإذا بعينيها تلتقيان بشبح صغير مبهم جاثم بجوار الحائط أمامها . ثم أخذ ذلك الشىء يحوم ويحدق فى الرياش ويتطلع إلى أرفف الكتب . واستمعت إلى حركة يدين خفيتين تعبثان فى الأركان ـ أنه جيمى يبحث عن مترونومه .

وظلت دون حراك وقد تهدجت أنفاسها رعبا من رؤية جيمى

الميت ، جيمى الذى شهادته يدفن فى ذلك الصباح . ولم ينحها عن السقوط فى حالة من الاغماء سوى قوة ارادتها .

وأقبل طيف الطفل . أقبل صوبها ؛ ثم مر خلالها ؛ يبحث ، وينقب ، فى كل ركن يحتمل أن يكون المترونوم مختبئا فيه وظل يدور حولها . وفى مجهود فائق وجدت صوتها ، فهمست فى صوت أجش : اذهب ، أواه ، اذهب بيد أن الطفل لم يبد أن سمع كلماتها ، فقد ظل يوالى بحثه ويطوف فى نفس الأنحاء التى كان قد طرقها من قبل عدة مرات . كانت الدقات الملحوحة للمترونوم لا تزال ترتفع وكأنها طرقات المطرقة تتجاوب فى أرجاء الحجرة وانزلقت يدها فى عصبية مبتعدة عن أنبوبة للضوء عندما مر الطفل بجوارها فشاهدت وجهه ، وعينيه تفيضان شرا ، وقد فارقتهما وداعتهما السابقة ، وفمه الغاضب ويديه المنقبضتين .

وفى رعب جارف ، استدارت لتفر منه ، بيد أن الباب استعصى عليها فتحه ، وبعد ثلاث محاولات فاشلة ، جعلت تبحث عن شىء يساعدها على فتحه · كان الطفل بجوارها وقد ارتكن بيده فى خفة على الباب . وكانت لمسته كافية لجعله لا ينفتح ، ثم حاولت مرة أخرى ، وتحرك القبض فى يدها كما تحرك من قبل دون أن ينفتح الباب . وكان الطفل لا يزال واقفا هناك أمامها ، ثم حاولت فتح النافذة ، فدفعت قفلها بيدها الخالية فلم يتحرك ، وشعرت ، حتى قبل أن تنظر ، أن يد الطفل مستقرة على النافذة بدا شفافة ذات بياض شاحب وقد انحنت قليلا على زجاج النافذة .

ووجدت نفس النتيجة فى نافذة الحجرة الأخرى . وعندما حاولت أن ترفع يدها لتكسر الزجاج لا حظت أن الطفل قد وقف أمامها ، فلم تستطع يدها اختراق الهواء إلى الزجاج وأخيرا استدارت وانسحبت إلى الركن المظلم الواقع خلف البيانو وهى تعول فى رعب وفى لحظة كان الطفل بجوارها . وشعرت به يشيع بردا قارسا مخيفا اخترق رداءها الليل الرفيع .

وأجهشت بالبكاء وهى تقول اذهب ، اذهب ، ثم شعرت بوجه الطفل يقترب من وجهها ، وبعينيه تبحثان عن عينيها ، وتهمانها وبأصابعه الخفية تمتد لتلمسها . وفى صرخة متوحشة من الرعب انفلتت منه هاربة ، وحاولت مرة أخرى فتح الباب الا أن الطفل كان هناك قبل أن تضع يدها على القبض . وعرفت دون أن تحركه أن محاولاتها ذاهبة أدراج الرياح . ثم حاولت أن تشعل النور ، بيد أنها شعرت بنفس المؤثر الذى منعها من اغتصاب النافذة . ومرة أخرى أخذت تبحث عن ركن مظلم أمين . ولكن الطفل عثر عليها واقترب منها كحيوان يبحث عن الدفء .

وفجأة ، انهارت قواها العقلية وتهاوت ؛ وشعرت بخوف جارف يغزو عقلها . وأخذت تضرب على الجدران المحيطية بها بقبضتى يديها . ثم وجدت صوتها ؛ فصرخت لتتحرر من الرعب الشرير الذى سيطر عليها .

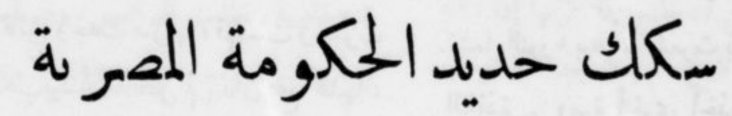
وكان آخر ما شعرت به أن الطفل يجذبها من وسطها بيديه الخفيتين ، ثم سقطت متهالكة بجوار الحائط . وصدمها شىء صدمة قوية فى جبهتها . وفى نفس اللحظة كان جسم الطفل اللين ينضغط على وجهها . ثم شملها الظلام .

وفى صباح اليوم التالى وجد أرنولد فارل زوجته راقدة بجوار الحائط على مقربة من البيانو الكبير . فركع بجوارها . ودلته خبرته الكافية فى الطب أن زوجه قد اختنقت من شىء رطب ، فقد كانت الرطوبة تشمل ملامحها . ولم يفهم سر لرائحة النهر القوية التى كانت تفوح فى الحجرة ، ثم تطلع إلى فوق فشاهد صورة زيتية كبيرة معلقة فوق الجثة ، ولم تكن بالطبع هى التى أحدثت ذلك الجرح فى جبهتها

وعلى حين غرة ، شاهد ماجرح زوجه عند سقوطه من خلف الصورة حيث كان مختبئا ، كان المترونوم .

محمد فتحى عبد الوهاب

(من كتاب « الهورلا وقصص من وراء الطبيعة » للمترجم تحت الطبع)



سكك حديد الحكومة المصرية

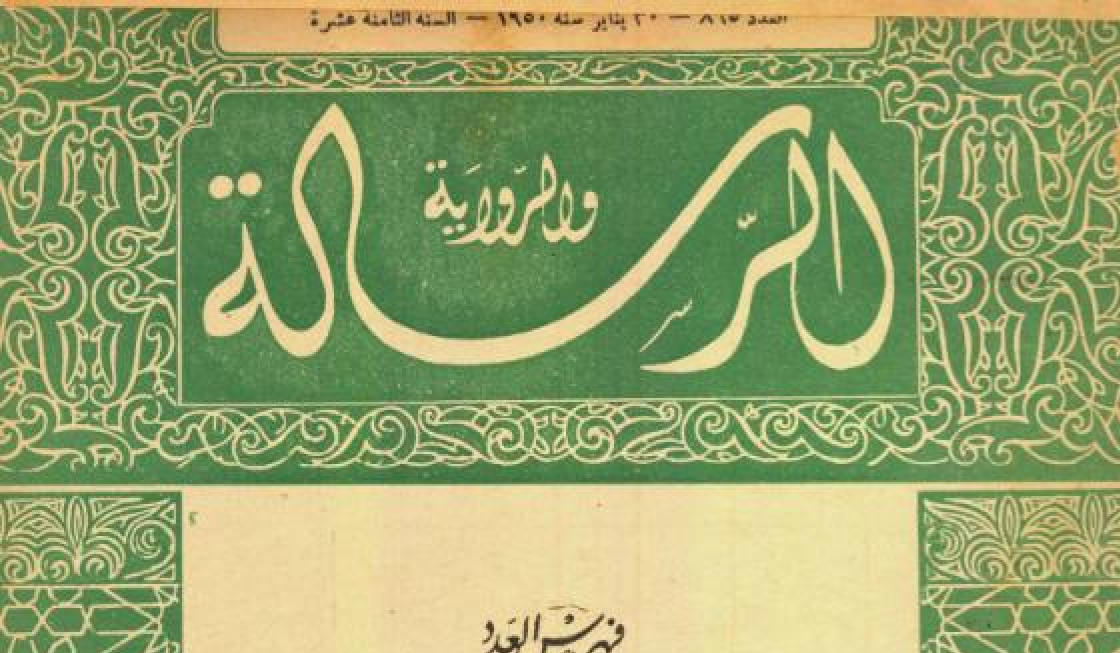
صرف تذاكر مشتركة الى الوجه القبلى بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلى والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر اعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم للدرجة الأولى فقط والاقامة فى الفنادق .

تشمل هذه التذاكر الاقامة فى الفنادق المبينة بعد :

اسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و٤ ليال من القاهرة — مليم	جنيه
فندق ونتربالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	٩٣٠	١٦
فندق كاتاركت باسوان	« « «	١٢٠	١٩
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٠٨٠	١٥
	« « « « الثانية	٣٠٥	٩
فندق جراند أوتيل باسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠	١٧
	« « « « الثانية	٠٩٠	١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٣٠٠	١٤
	« « « « « الثانية	٤٤٥	٨
فندق الماثلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥	٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥	٦

العدد ٨٦٣ — ٣٠ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

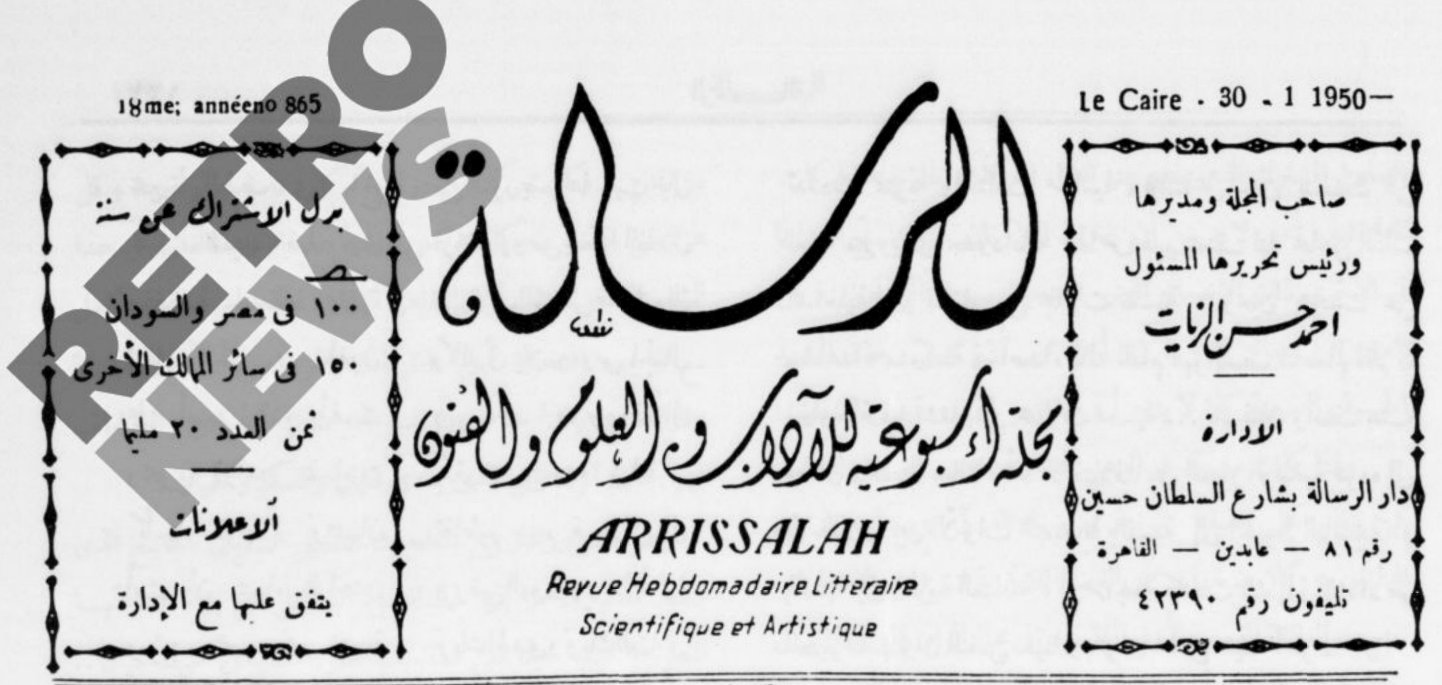
العدد ٨٦٥ — ٣٠ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٨٦٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٦٩ — ٣٠ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

علي محمود طه

شاعر الأداء النفسي

للأستاذ أنور المعداوي

— ٧ —

وذات مساء آخر، وكان معنا صديق ثالث هو الأستاذ الجليل « صاحب الرسالة » ، دار الحديث حول فنون شتى كان أولها فن الشعر . وابتدأ الحديث تعقيباً من الزيات ومني على اسطوانات ثلاث نقلت إلى أسماعنا ثلاث قصائد سجلها عليها الشاعر بمصاحبة الموسيقى ، سجلها بصوته بعد أن قامت بهذا التسجيل محطة لندن للاذاعة العربية وقلت له فيما قلت : إن تسجيل الشعر على اسطوانات شيء جميل ، وأجمل منه توفيقك في اختيار هذه القصائد الثلاث ، ولعلك قد سجلت أحب شعرك إليك ونسيت أن تسجل أحب شعرك إلى النقاد ... إن ميزان الشاعر غير ميزان الناقد ، ولهذا فكم أود أن أستمع إلى اسطوانة جديدة تسجل عليها قصيدة هزتني ومازالت تهزني في ديوانك « زهر وخمر » ، أتدري ماهي ؟ وأجاب في إطراقة حالمة حاول فيها أن يتذكر : أتقصد « سارية الفجر » ؟ فقلت في لهجة العاتب على غواص نسي درته اليتيمة : كلا ، بل أقصد « راقصة الحانة » ! ومرت بعد ذلك أيام ... وجاء يوم جمعتنا فيه عربة الأستاذ صاحب « الرسالة » وكنا في طريقنا إلى أحد الأماكن في شارع الهرم وحين اقتربت السيارة من ملهى « الأرزونا » أحسست يدا تقبض على ذراعي ورأيت إصبعاً يشير إلى هناك ، وأعقب ذلك صوت الشاعر موجهاً إلى الحديث : هنا يا صديق شهدت مولد الرقصة التي فتنتني ، وهنا سجلت مولد القصيدة التي فتنتك : « راقصة الحانة » ! . ونبدأ اليوم بتقديم سلسلة الصور الحسية، وإليك هذه الصورة الأولى من الصفحة الخامسة والأربعين من « زهر وخمر » :

سرت بين أعينهم كالخيال ... تعانق آلهة في الخيال
مجردة حسبت أنها ... من الفن في حرم لا ينال
فليست تحس اشتهاء النفوس ... وليست تحس عيون الرجال
وليست ترى غير معبودها ... على عرشه العبقري الجلال
دعاها الهوى عنده للمثول ... وما الفن إلا هوى وامتثال
تخفت له شبه مسحورة ... علت وجهها مسحة من خبال
وفي روحها نشوة حلوة ... كمهجورة منيت بالوصال
تراها وقد طوفت حوله ... جلاها الصبا وزهاها الدلال
تضم الوشاح وتلقى به ... وفي خطوها عزة واختيال
كفارسة حضنت سيفها ... وألقت به بعد طول النضال
عد يديها وتثنيهما ... وترتد في عوج واعتدال
كحورية النبع تطوى الرشاء ... وتجذب ممتلئات السجال

بحيرة الطيف فى مائج   من النور يغمرها حيث جال
تخيل للعين فيما ترى   فراشة روض جفتها الظلال
وزنبقـة وسـط بلورة   على رفرف الشمس عند الزوال
تنقل كالحلم بين الجفون   وكالبرق بين رءوس الجبال
على أصبعى قدم ألهمت   هبوب الصبا ووثوب الغزال
وتجرى ذراعين منسابتين   كفرعين من جدول فى انثيال
كأنهما حولهـا ترسمـان   تقاطيع جسم فريد المثـال
أبت أن تمساه بالراحتين   وترضى الهوى وتريد الجمال!
ومن عجب وهى مفتونة   تريك الهدى وتريك الضلال
تلوى وتسهو كلهابة   تراقص قبل فناء الذبال
وتعلو وتهبط مثل الشراع   ترامى الجنوب به والشمال
وتعدو كأن يدا خلفها   تعذبها بسـياط طوال
وتزحف رافعة وجهها   ضراعة مستغفر فى ابتهال
وتسقط عانيـة للجبين   كقمرية وقعت فى الحبال
تبض ترائبهـا لوعة   وتخفق لا عن ضنى أو كلال
ولـكنه بعض أشواقها   وبعض الذى استودعتها الليال

هذه الصورة الحسية وما يتلوها من صور فى الفصول المقبلة، تنتسب فى جوهر التسمية إلى الإطار الخارجى أكثر مما تنتسب إلى الاصطلاح الفنى المتعارف عليه عند أكثر النقاد، فنحن نرد كلمة « الحسية » المقترنة بكلمة « الصورة » إلى كل مشهد فى الخارج يقع عليه الحس ثم تختزنه بعد ذلك النفس، أى أننا نردها إلى كل ميدان تعمل فيه المدركات الحسية سواء أكانت هذه المدركات محصورة فى مجالى الطبيعة فى الكون، أم مقصورة على مفاتن الجسد عند المرأة، أم منسوبة إلى العوالم المرئية التى تحيط بها وتسيطر عليها قدرة الحواس ... وإذن فليس من الحتم أن نشير بهذه الكلمة إلى تلك الخانة المعهودة فى عرف النقاد، حين يرمزون بها إلى الألوان الجسدية فى فن الشعر غافلين عما تحمله الكلمة بين طياتها من دلالة لفظية ومعنوية!

والتزاما لهذه الدقة فى التعبير فقد نعتنا النماذج الشعرية السابقة بالصور الوصفية فى إطارها النفسى، والتزاما للدقة نفسها ننعت هذه النماذج الجديدة بالصور الوصفية فى إطارها الحسى، ذلك لأن الشعر فى حقيقته ما هو إلا مظهر من مظاهر الوصف مهما تعددت فنونه واختلفت مراميه، فالشاعر حين يتحدث عن نفسه منزويا فى حدود عالمه الخاص فهو يصف لنا مجاهل الذات الداخلية فيما تشغله من مجالات نفسية، وحين يتحدث عن مشاهداته منعكسة فى أصداء عالمه العام فهو يصف لنا معالم الحركة الخارجية فيما تشغله من مجالات حسية ... هو فنان واصف هنا وفنان واصف هناك، أما الاختلاف بين الصور الوصفية فرده إلى الاختلاف بين الأثواب التعبيرية بالنسبة إلى الخيوط الناسجة أو بالنسبة إلى الخامة الصانعة، أو مرجعه كما قلت لك إلى تلك الأطر المصبوغة بألوان النفس حينا وبألوان الحس حينا آخر!

بعد هذا نتحدث عن عنصرين جديدين من عناصر الأداء النفسى فى الشعر، على ضوء هذه الصورة الوصفية الأولى فى إطارها الحسى الأول، ونعنى بها « راقصة الحانة » . هذان العنصران هما عنصر « المراقبة الحسية » أولا يعقبه عنصر « المراقبة النفسية » ولابد من توفر هذين العنصرين على مدار التتابع الزمنى عند رصد الحركة الدائرة فى منطقة اللقطة البصرية، ثم على مدار التتابع الفنى عند تسجيل هذه الحركة الفارقة فى ضوء الومضة الشعورية: وهى لقطة نرجعها إلى البصر تصحبها ومضة نردها إلى الشعور، أشبه بلقطة « الكاميرا » المصورة حين تتهيأ لنقل مشهد كامل من مشاهد الحياة، تصحبها ومضة « المغنسيوم » التى تهتك حجب الظلام فى كل زاوية من زواياه ... وهما عنصران أو قل إنهما ملـكتان من ألزم الملكات فى مثل هذا اللون من الشعر، تقوم إحداهما مقام آلة التصوير وهى ملـكة المراقبة الحسية، وتقوم الأخرى مقام آلة الاضاءة وهى ملكة المراقبة النفسية، إذ لابد فى هذا اللون من الشعر من تلك المرحلة التى تمثل عملية التصوير الحسى البحت، ومن تلك المرحلة الأخرى التى تمثل عملية « الرتوش النفسية » الخاصة، وكلتا المرحلتين تهيء للمشهد المنقول تلك القوة الآلية المستمدة من سطوح الحياة الجامدة، وتلك القوة الاشعاعية المستوحاة من أعماق الذات الشاعرة!

وكما تشرف الملـكة الأولى على المجالات الحسية المنبثة فى زوايا الطاقة البصرية، تشرف الملكة الثانية على المجالات النفسية الكامنة فى ثنايا الطاقة الشعورية، وهاتان هما دائرتا الاختصاص الفنى لكلتا الملـكتين ... ولـكن لابد من التداخل والتشابك فى مرحلة

التعاون المشترك الذى ينتج عنه التقاء الحركات الخارجية بالحركات الداخلية ، أعنى لابد من أن تقترب الدائرتان حتى تندمج احداهما فى الأخرى ذلك الاندماج الذى تستحيل معه المعالم الجزئيـة فى الصورة إلى معالم كلية ، أى أننا يجب أن نحس وحدة المشهد الحسية والنفسية كلا لا يتجزأ فى مقياس الفن ومقياس الشعور !

وإذا كانت ملـكة « الوعى الشعرى » هى العنصر المسئول عن تنظيم كل حقيقة كونية يعرضها الفـكر فى ساحة الوجود الداخلى ، وكان ضعفها يعرض القضية الفكرية لنوع من الاضطراب تنتج عنه المغالطة المقصودة أو غير المقصودة فى مجال المواءمة بين الحقائق فى دائرة الواقع النفسى أو دائرة الواقع الوجودى ، وإذا كانت ملكة « الرؤية الشعرية » هى العنصر المسئول عن استشفاف كل حقيقة عامة فى حدود المنظور أو خلف حدود المنظور ، فى محيط الوعى أو فيما وراء الوعى ، فى نطاق الاسـتبطان النفسى أو فى نطاق التناول الحسى ، وكان ضعفها يعرض الصورة للاهتزاز الذى ينتج عنه تعذر المطابقة بين حقيقتها فى إطار الفن وحقيقتهـا فى إطار الحياة ، فإن ملـكة « المراقبة الحسية » مندمجة فى ملكة « المراقبة النفسية » هى العنصر المسئول عن تنظيم الحركة المادية حين تتلوها الحركة الوجدانية فى سبيل خلق تلك الوحدة التى لا تتجزأ من كلتا الحركتين . . . أما ضعفها فلا تنتج عنه الصورة الوصفية « المهزوزة » كما هو الحال فى ضعف الرؤية الشعرية ، وإنما تنتج عنه الصورة الوصفية « الباهتة » ، وفرق بين ضعف ملـكة تهتز بسببه خطوط الصورة فتلتوى هناك وتتعقد ، وبين ضعف ملكة لا يشمل الخطوط هنا وإنما يشمل « الرتوش الخارجية » فتبدو وهى باهتة الظلال حائلة الألوان !

وإذا أنت عدت إلى هذه القصيدة راعتك هاتان الملـكتان تلك الروعة التى ترتفع بالتصوير الحسى إلى أفق باهر السناء ، وهو أفق من الآفاق القليلة النادرة فى الشعر العربى الحديث . وقيمة مثل هـــذا اللون من التصوير تتركز فى أنه ينقل إليك المشهد المصور نقلا أمينا ينفذ إلى حسك ونفسك ، حتى ليخيل إليك أنك قد تخطيت مرحلة القراءة الذهنية الصامتة إلى مرحلة الرؤية البصرية الماثلة . . . بل إنك لو أنشدت هذه القصيدة أمام أحد مكفوفى البصر من متذوقى الشعر لتمثل « بعين الخيال » كل خطوة من قدم ، وكل حركة من ذراع ، وكل إيماءة من رأس ، وكل هزة من خصر ، وكل سمة من سمات هذه الرقصة الفاتنة فى هذا الشعر الفاتن ! ذلك لأن الشاعر كان فى حالة فناء شعورى كامل مع الوجود المتحرك أمام ناظريه ، وهو وجود يشمل الرقصة والراقصة فى وقت معا ، وهو فناء غمر منطقة الحواس والعواطف فهيأ لها الوقود الفنى الذى يغذى العين والفكر والخيال !

وهو تصوير يخلو من شطحات التخيل الشعرى الجامح الذى ينقلب آخر الأمر إلى سلسلة من التهاويل التى إن استساغتهـا الصور النفسية حينا فلن تستسيغها الصور الحسية فى كل الأحيان . . وليس من التهويل فى شىء أن يصف الشاعر تلك الرقصة الفنية هذا الوصف ، وهو أن الراقصة كانت تسرى بين أعين الحاضرين وكأنها الطيف ، أو كأنها فى لحظة عناق مع الآلهة فى سماء الخيال . إن التخيل النفسى هنا يستعير ألوانه من ملـكة المراقبة الحسية التى شهدت عن كثب حركة الذراعين الممدودتين فى الهواء ، وحركة العنق المشرئب نحو أفق مجهول ، وحركة الجسم المندفع إلى الأمام ؛ وكل هـذه الحركات قد استحالت فى بوتقة اللقطة البصرية إلى حركة واحدة : هى العناق . . . وما دامت هـذه الحركة الجامعة لم تلتق على مسرح الحيـاة بما يماثلها من واقع مادى ، فلا مناص من أن تتدخل ملكة المراقبة النفسية لتصور لك حركة العناق بأنها كانت مع آلهة فى الخيال ! وتمضى كل ملـكة بعد ذلك ترقب وتسجل ، وكأننا بملـكة المراقبة الحسية تنظر ثم تهتف :

فليست تحس اشتهاء النفوس وليست تحس عيون الرجال

فتجيبها ملكة المراقبة النفسية معقبة :

وليست ترى غير معبودها على عرشه العبقرى الجلال

ولعل هـذا التعقيب منها أشبه بتوكيد الصورة الأولى التى رسمتها فى البيت الأول ، حين شبهت الحركات الراقصة بعناق الآلهة ! وإذا رحت تحصى النقلات الحسية والنفسية موزعة على عمل الملـكتين — على هذا النحو الذى قدمناه إليك — فستجد عنصرى التتابع الزمنى والفنى — كما سبق أن قلنا — هما العاملان الرئيسيان فى توجيه الحركات المادية والوجدانية ، وفى مزجها ذلك

المزج الذى تحس معه وحدة المشهد الحسية والنفسية ، كلا لا يتجزأ فى مقياس الفن ومقياس الشعور ... ومن مظاهر هذا المزج أن تدور الصور مسرعة متلاحقة حول محور تلك الحركات ، وإذا أنت أمام هذه الوحدة متجممة فى هذه الأبيات :

دعاها الهوى عنده للمثول وما الفن إلا هوى وامتثال !

تخفت له شبه مسحورة علت وجهها مسحة من خيال

وفى روحها نشوة حلوة كمهجورة منيت بالوصال

أرأيت إلى هذه القوة الإشعاعية المستوحاة من أعماق الذات الشاعرة فى البيت الأول ، عندما يبلغ العناق حد الهوى الداعى إلى المثول ؟ ... وما أروعها من طرقة نفسية تلك التى تجمع الخطوط المتناثرة فى لوحة واحدة تحمل هذا المعنى الكبير : « وما الفن إلا هوى وإمتثال » ! ! ومرة أخرى تمضى الملكتان فى المراقبة والتسجيل ، وكأنهما فى حوار تتبادلان فيه الصور والـكلمات . !

تقول الأولى :

تضم الوشاح وتلقى به وفى خطوها عزة واختيال

وتقول الثانية فى معرض المقابلة النفسية والتمثيلية :

كفارسة حضنت سيفها وألقت به بعد طول النضال

وتجيبها الأولى من جديد مشيرة إلى حركة اليدين :

تمد يديها وتثنيهما وترتد فى عوج واعتدال

وتعقب الثانية مرة أخرى على طريقتها التشبيهية :

كحورية النبع تطوى الرشاء وتجذب ممتلئات السجال

وهكذا تحملك لغة الحوار بين ملكتى المراقبة الحسية والنفسية من جو إلى جو ، ومن أفق إلى أفق ، ومن ميدان إلى ميدان ...

ولـكنك على اختلاف هذه الميادين والآفاق والأجواء ، ان تصادف صورة واحدة تنقصها دقة المطابقة بين ما هو ماثل أمام العين وما هو كامن داخل النفس ، أو بين ما هو معروض على الحواس وما هو مختزن فى الشعور . فالراقصة التى تضم الوشاح ، ثم تلقى به ، ثم تخطو تلك الخطوات المتزنة المختالة ، تقابلها نسخة أخرى مستخرجة من أعماق الذاكرة المختزنة لـكثير من صور الحياة ، وهى تلك الفارسة التى تحتضن السيف ، ثم تلقى به بعد الإياب من جولة الجد فى حومة النضال . وهـذه الراقصة نفسها حين تمد يديها إلى الأمام ، ثم تثنيهما إلى الخلف ، ثم ترتد بجسمها فى عوج واعتدال ؛ تبدو فى مرآة الشعر التى تنعكس على صفحتها الرؤى المماثلة والأطياف المشابهة ، كما تبدو تلك الحورية الواقفة أمام نبع تلقى فيه بالدلاء — وهذه هى حركة اليدين الممدودتين — حتى إذا امتلأت تلك الدلاء راحت تجذب الحبـل المدلى لترفعها إلى الخارج — وهذه هى حركة اليدين الجاذبتين — ينثنى جسمها ويعتدل تبعا لحركة الأنحناء وحركة الاستواء ! ... وطبق أنت بقية الصور المرئية على بقية الصور المتخيلة فى الأبيات التالية ؛ هناك حيث « تلفاها محيرة الطيف فى مائج من النور أشبه بفراشة روض جفنها الظلال » أو أشبه بتلك « الزنبقة التى تتوسط قطعة من البلور تعـكس أضواء الشفق الأرجوانى عند مغيب الشمس » ولا تنس تلك « المتنقلة كالحلم بين الجفون أو كالبرق بين رؤوس الجبال » ، ولا تسرع عند طوافك بمعرض هذه الصور الأربع ، لأنه معرض منقطع النظير :

على اصبعى قـــدم ألهمت هبوب الصبا ووثوب الغزال

وتجرى ذراعين منسابتين كفرعين من جدول فى انثيال

كأنهما حولها ترسمان تقاطيع جسم فريد المثال

أبت أن تمساه بالراحتين ويرضى الهوى ويريد الجمال !

أرأيت إلى هذه القدم التى « ألهمت » هبوب الصبا فى الحركة البطيئة الناعمة ، ووثوب الغزال فى الحركة السريعة النافرة ؟ ! وتتلوى الراقصة وتسهو ، وتعلو وتهبط ، وتعدو وتزحف ، وتسقط وتنهض ، ومن وراء هذا كله تقف العدسة النادرة لتلتقط ، وتقف الذات الشاعرة لتمثل : وإذا الصورة الأولى تقابلها « اللهابة المترافصة قبل فناء الذبال » ، وإذا الصورة الثانية يقابلها « الشراع المتأرجح بين الجنوب والشمال » ، وإذا الصورة الثالثة تقابلها « اليد اللهبة بالسياط والضراعة المستغفرة فى ابتهال » ، وإذا الصورة الرابعة تقابلها « القمرية المتخبطة بين الحبال » ... وإذا أنت تخرج من هذا المعرض الحافل رن فى مسمعيك هذه الأصداء :

تبض ترائبهـا لوعة وتخفق لا عن ضنى أو كلال

ولـكنه بعض أشواقها وبعض الذى استودعتها الليال

(يتبع)

أنور المعداوى

صور من الحياة :

خيـــانة امرأة

– ١ –

للاستاذ كامل محمود حبيب

ياقارئى :

هذا صاحبي انضم على أشجانه حيناً من الزمان ، يكتم الأسى بين جوانحه ويدفن الضنى بين ضلوعه حتى أثقله الهم وأرهقه الوجد ، فجاء ينثر عبرات قلبه بين يديك علك تسمع إفيها أنات روحه الحزينة أو تحس وجيب فؤاده الكسير ، فتلفحك حرقة اللوعة أو تهزك سفعات الضيق ، فتهديه الى الرأى الذى عذب عن فكره وتبصره بالصواب الذى ند عن عقله . فهل تعينه برأى منك فيه العقل والصواب ؟

كامل

ياعجباً ! ماللطبيعة الوادعة تثور على حين فجأة فيضطرم لظى الغيظ فى جوانبها ويحتدم أوار الغضب فى نواحيها ، فلا تسكن غائلتها إلا أن تنثر معانى الموت والدمار فى ثنايا الحياة الوثابة، وإلا أن تنفث آثار الخيبة والضياع فى زوايا الأمل الباسم ، وإلا أن تبذر غراس الأسى والكمد فى أضعاف القلوب الهادئة المطمئنة ؟

يالقلب الانسان حين تتناوحه ثورات الطبيعة الجارفة فلا يجد مفزعاً من الرياح الهوج وهى تعصف حواليه زفرافة تريد أن تلفه فى إعصار من الهم ، ولا من الموج العاتى وهو يهــدر مهتاجاً يحاول أن يبتلعه فى يم من الوجد ، ولا من الصواعق القاسية وهى تنحط عليه لتنفضه بين شحنتين من الضيق والملل ، ولا من البركان الثائر وهو يقذفه بالحمم لظى يتوقد وهيجه يبتغى أن يحرقه بنار الشجن !

يالقلب الانسان حين تتعاوره ثورات الطبيعة الجارفة فلا يجد مفزعاً إلا أن يسمو عن النزعات الترابية ، وإلا أن تعلو روحه عن المعانى الأرضية ، فيقبس من نور السماء الهدى والراحـــة والسكينة حين يطمئن قلبه بالايمان وتهـدأ خواطره بالعقيدة

جلس إلى صاحبي بعد أن حجبته نوازع العيش عنى سنوات، فعز على أن أراه خاشع الطـــرف كاسف البال مطأطىء الرأس مضطرب الخاطرة ، وهو كان فتى طروباً يهتزى مرحاً وبهجـة ، ويتوثب سروراً وفرحاً . وعز على أن ألمس سمات الأسى تضطرم فى أغوار قلبه فتعبث بشبـابه وتنفض من نضارته ؛ وأن أحس لفحات الحزن تتأجج بين طيات ضلوعه فتذره ضعيفاً واهياً يتميد للجزع فتنحط قوته ويستذل للهم فيضوى عوده ، وهو رجل فيه القوة والفتوة لا يعجزه أن يجد أسباب المتعة ، وفيـه المقـل والثراء لايؤوده أن يسرى عن نفسه بعض أشجانها ، وفيه الرأى والنشاط لايهن عن أن يتلمس مسالك المرح

وجلست أنا إليه أنفضه بنظراتى وقد انعقد لسانى عن الكلام لأننى شعرت بأن روحه غريبة عن روحى ، وأن نوازعه لاتوائم طبعى ، وانطوت ساعة من زمان

وتكلم صاحبي بعـد صمت ، فبدا لى كأن كلماته تصاعد من أعماق نفسه ، أنات ينتفض بها قلبه الواهى ، وهو يئن تحت وقر من الأسى يطحنه فى غير شفقة ولا رحمة ، فقال : أماقصتى فهى :

لقــــد كانت هى فتاة قاهرية تتأنق فى ريق الشباب وتتألق فى بهجة العمر ، لم تسم إلى أوج الجمال ولا انحطت إلى قرار الدمامة شذبتها المدنية فنزعت عنها حماقات الجهل والغلظة ، وصاغتهــــا الحضارة على نسق من الرقة واللين ؛ ووسمتها المدرسة بطابع من الدهاء والمكر ، وصبغتهـا السيما بفنون من الأنوثة والدلال ، فبدت كالزهرة الفواحة لايحجبها الورق ولا يمنعها الشوك . أما أنا فكنت فتى بدوى الطبع ريفى الشمائل مدنى العقل ، أترفع عن خداع المدنية وأتنزه عن لؤم الحضارة وأسمو على دنس الحيوانية

وتلاقينا على ميعــاد ، فراقنى منها ... أول ماراقنى ... أن أراها تشاركنى الرأى فى غير خضوع وتجاذبنى الحديث فى غير جهل . وعهدى بالمرأة فى الريف تمعن فى الحجاب فلا تجلس إلا إلى محرم ولا تتزين إلا لزوج ، تعيش فى زاوية من الدار همـلا كأنها بعض المتاع ، لارأى لها ولا عقل . وأعجبنى أن أحس فى فتاتى الأنس والسكينة فعقدت العزم على أمر

وانطلقت إلى أبى فى القرية أنشر أمامه طوايا نفسى المشرقة وأحدثه بأمل قلبى النضر ، فرمقنى بنظرات فيها الشفقة والحنان غير أنها كانت تنطوى على معانى جياشة من الازدراء والمقت ، ثم قال فى استسلام « أنت وما تريد ، يابنى ! » فأحسست فى صوته

نبرات الـكراهية والبغض واستشعرت فى كلمات رنات الرفض والاباء . وحز فى نفسى أن أرى أبى يــــكتم عنى الرأى ويضن بالنصيحة ؛ فقلت له. ياأبى ، إننى ألمس من وراء كلامك دوافع نفسك وخلجات فؤادك ،فلماذا تمسك عنى الرأى وتبخل بالمشورة؟» قال « يابنى ؛ إن فى الشباب جماحاً يدفعه عن أن يستسيغ الرأى، وإن به شماساً ينزعه عن أن يسمع حديث العقل . فهو عبد الرأى الفطير والفكرة الفجة » قلت « ولـكننى أوقن بأن فى الشباب زلات لاتقيمها إلا تجارب الشيوخ ، وأن فيـه عجزاً لايكمله إلا عقل الشيوخ ، وأن فيه نزوات لايقيدها إلا رأى الشيوخ » قال « وفى الشباب بريق يخطف البصر ، بريق يتألق فى حديثهم وهو يتسم — دائماً — بسمات المنطق المصنوع والفلسفة الخـاوية ، بريق يتألق فى الحديث ويخبو فى العمل » قلت « وماذا يضيرك إن أنت أسديت النصح لأبنك ؟ لعلك تخشى أن لاتجد أذناً تسمع ولا قلباً يعى ؛ أو لعلك تضن بتجاربك على بعد أن بلغت مبلغ الرجال وأصبحت موظفاً فى الحـكومة ، خيفة أن أسخر من رأى أو أن أهزأ بفكرة » قال « يابنى ، لست أخشى رأى الشباب فى عقل الشيوخ » ثم أخذ أبى يناقشنى فى عنف ويجادلنى فى شدة لابنى عن أن يصرفنى عن نوازع نفسى ويدفعنى عن رغبات قلبى فقال « إن القروى ، يابنى ؛ لايحس فى الزوجة إلا المتعة والمتاع ولا يطلب إليها إلا الطاعة والاستسلام ،أما أنتم فتلمسون فيهـا الرفيقـة والصاحبة . والرفيق ... فى رأيى — هو عون رفيقه وساعده ، وهو هدى صاحبه إن ضل ونبراسه إن تاه وموئله إن سدت فى وجهه السبل ، فهل تستشعر فى فتاتك معانى الرفيقة ؟» قلت « نعم ، فأنا أرى فيها العقل والرأى معاً » قال وهو يبسم فى سخرية « إن المرأة لاتجد العقل إلافى الشارع» قلت « وهى تجده فى العلم وفى المدرسة وفى الجامعـة » قال فى جد « وبين البيت والمدرسـة أفانين من الحياة وصنوفاً من العقل تتلقفها الفتاة فى غدوها ورواحها فتتقنها قبل أن تتقن الدرس ، وتجيدها قبل أن تجيد العلم ، وتعيها قبل أن تعى المطالعة » قلت « ولـكن الفتاة العاقلة المهذبة تثور معانى الشرف والكرامة فى دمها فتسمو بهـا عن الزلل وترفعها عن السقوط» قال« وهل تستطيع المرأة البرزة أن تحبس دم الشباب الفوار عن أن يصرخ فى عروقها صرخات شيطانية وضيعة حين تجلس إلى الرجل فى غير رقبة ولا حذر ؟ » قلت « ياأبى ! إنك تتجنى على المرأة المتعلمة » قال « وفى رأيى ، إن المرأة المتعلمة لاتتورع عن أن تسلك إلى قلب ،زوجها مسالك فيها الخديعة والمكر ، ولا تترفع عن أن تنفذ إلى مال زوجها فى مسارب فيها الاغراق فى التبديد والافراط فى البذل ؛ فلا تبقى على عهد ولا تبقى على مال » قلت « هذا غلو ، ياأبى » قال « واذا تفلسفت الفتاة فى الدار جمحت بها نزوات الطيش فأنكرت وظيفتها وجحدت مكانها فتستحيل طمأنينة الزوج الى فزع ما ينتهى ويحور هدوء الدار الى ثورة ماتنقضى . ان المرأة التى تلد الفلسفة تلد الهم والأسى والضيق فى نفس الرجل . . » قلت « ياأبى . . » فقال هو مقاطعاً « فإذا لم تصلك بزوجك صلات من القربى ووشائج من الدم عبثت بشرفك وفرطت فى كرامتك وبددت ثمار كدك » قلت فى لهفة « ولـكنى . . . » قال « ولكنك تحب فتاتك . لاعجب ، فهى قد افترتك عن نفسك وخدعتك عن عقلك وسحرتك عن صوابك ، لأن المرأة المتعلمة كالثعلب تمكر بصاحبها حتى يقع فى شباكها ثم لاتلبث أن تذيقه وبال غفلته وحمقه » قلت « ياأبى ، لاريب فنزوات الشباب تطم — دائماً — على العقل وتعصف بالرأى ، وسأفكر فيما قلت »

***

وخرجت من لدن أبى بعد أن عزنى فى الخطاب ، وان كلماته ترن فى أذنى وان حديثه يدوى فى عقلى فعزمت على أن أنبذ فتاتى الى فتاة من ذوى قرابتى

وانطوت الأيام فاذا أنا الى جانب فتاتى القاهرية أبثها لواعج الهوى وأشكو اليها حرقة الغرام، ثم مالبثت أن سميت على فخطبتها فتزوجها .ووقف أبى الى جوارى ليلة الزفاف وقف كارهاً وهو ينفضنى بنظرات فيها الألم والحسرة ، فاضطرب قلبى وتزعزعت سكينتى وتزوجتها فماذا كان منها وماذا كان . . ياقلبى ؟

(يتبع)

كامل محمود حبيب

الفـــونس دوديه
الاديب الضاحك
للاستاذ أنور لوقا

منذ قرون ثلاثة ، تساءل « لابروبير » وساءل قراءه لماذا نخجل من البكاء فى المسرح إذا شهدنا قصة محزنة ، على حين أننا ننفجر بالضحك إذا شهدنا قصة هازلة ؟ لماذا لا نرسل الدمع كما نطلق الضحك ؟ أو لماذا لا نكتم الضحك كما نحبس الدمع ؟ أهى طبيعتنا أميل بنا إلى الضجيج بالفكاهة منها إلى التفجع للحزن ؟ أم أننا نخشى أن تختلط قسمات وجوهنا وتشوه صورتنا أمام الناس إذا بكينا ؟ فإن منظر الواجم المنتحب أروع وأجلّ من منظر الماجن القهقه ! لعله تحرج إذن من الظهور بمظهر التأثر والحنان والضعف ، لا سيما إزاء موضوع خيالى غير واقعى يسوؤنا أن نعترف لسوانا بأنه يخلبنا ويخدعنا . ولكن المرء لا يتأثر على أى حال إلا لأن الحقيقة قد مست قلبه ، أو تمثيل الحقيقة ، وما يقاوم البكاء والضحك جميعاً ، ولا يسفه « المخدوعين » بالقصة إلا شرذمة من المتحذلقين . لقد كان علينا إذن أن نذرف الدمع فى الملعب على مرأى من الناس ، وأن نسمع جمهور المسارح يموج أحياناً بالنواح كما يجلجل أحياناً بالضحك ! ...

وأكبر الظن فى تعليل هذه الملاحظة الطريفة أن الضحك — كما يقول برجسون — ظاهرة اجتماعية ، تنشأ بين عدد من الناس ، أما البكاء — ولا ندرى ما رأى برجسون فى البكاء — فظاهرة فردية تنبع من صميم قلب المرء ، أى أن الفكاهة « اتجاه إلى الخارج » والحزن « اتجاه إلى الداخل » إذا صح فهم هذا التعبير :

من أين يأتيك الضحك ومن أين يأتيك البكاء ؟ ... أنت لا تضحك من تلقاء نفسك ، هيهات ، ولكنك قد تحزن وقد تبكى إذا خلوت إلى نفسك . وأنت لا تكاد تمسك عن الضحك والتندر والمزاح كلما ضمك مجلس أو لقيك صديق ، ولكنك لا تجرؤ على أن تبسط أشجانك أمام جماعة من الناس ، لا سيما إذا نحكت الألفة بينك وبينهم . فأنت تريد بالتضاحك أن تشرك الآخرين فى ملاحظة ساخرة لاحظتها ، ولاستهزائك برذيلة أو عيب وظيفة اجتماعية هى عقاب تلك الرذيلة أو تقويم هذا العيب . أما الحزن الذى يستولى عليك حين ترى مشهداً فاجعاً ، فما هو إلا تأثرك بالمأساة ، واستقبالك لها ، واستئثارك بشطر منها لنفسك . الحزن إذن شىء تأخذه لنفسك لا لغيرك ، وتحتفظ به لك وحدك ولا تعرضه على سواك . وكثيراً ما يبيت سراً من أسرارك تجتره فى ضميرك وتدفعه فى وجدانك ويمنعك الحياء من أن تبوح به للآخرين ، فإذا ناجيت به خلاً حميماً فلأنك تجد فى هذا الخل مرآتك أو بقيتك ، أى أن حزنك لا يخرج عن نطاقك الخاص على كل حال . ومن هنا قلنا إن الحزن اتجاه إلى الداخل بمعنى أنه شعور داخلى ، باطنى ، خاص لا تكلف فيه ولا عناية ، ويكون فى أنقى حالاته عند المنطوى على نفسه ، والضحك واتجاه إلى الخارج بمعنى أنه تهريج مع الناس ، وانبساط هو ضد الانطواء لفظاً ومعنى ، وسخرية ترمى أهدافاً قريبة أو بعيدة ، وتكلف اجتماعى ميدانه العالم الخارجى قبل كل شىء .

وقد كان ألفونس دوديه رجلا رقيق الشعور عميق التأثر ، لا يفصل الأدب لحظة عن الحياة (راجع العدد ٨٤٦ من الرسالة : الشاعر فى الشارع) .

كان فى أدبه كما كان فى حياته ، قيثارة مرهفة الأوتار . ها هو ذا ، تهز نفسه مأساة صغيرة أو كبيرة ، فيأتى إلينا والدمع يجول فى أجفانه ، ويفتح لنا قلبه يناجينا بها مناجاة إلف صادق ، ثم يحس عبراته تنسجم كلما أفاض فى قصته ، فينظر حوله بمقلتيه البليلتين ، ويرانا متأثرين ، فيفيق ، ويغمره لون من الحياء ، ويكاد يخجل ويندم ، ولكى يستر ضعفه يبادر إلى إلقاء نكتة سريعة والابتسام لها ... على أن هذا كله يتم فى لحظة قصيرة ، فيلتقى الحزن والمرح فى عبارة واحدة ، وتمتزج الدمعة والابتسامة فى حديثه دائماً .

هذه الفكاهة الخفيفة اللاذعة فى أدب دوديه هى قناع الحنان وستار الإحسان ، لأن كاتبنا الساحر حيى ، يتجنب أن يستمطر مآقى جلسائه أنهار الدمع إعلاناً عن رحمته بالأشقياء وبره بالبائسين . إنه يكره التكلف والإسراف . وقد أغرق أتباع روسو فجر القرن التاسع عشر فى سيل من الدموع ، وأصبح الكاتب لا يبكى إلا ضماناً لرواج كتابه ، والممثل لا ينتحب إلا استغلالاً لمشاعر النظارة ،

حتى لقد نفر الفرنسيون منذ ضحى القرن التاسع عشر من إظهار العاطفة وأمسوا يعتبرون البكاء نفاقا والعويل أضحوكة واستدرار الدمع فناً بالياً مبتذلاً . لهذا كانت لابتسامة دوديه قيمة الوقاية من وباء . وهي وقاية طبيعية تشهرها السجية الخالصة ويشهرها الحياء الجم في وجه التكلف البغيض . بل إن شمشمة الحزن بشيء من المرح فن عميق ، بعيد المرمى ، خليق بأن يعد من تردد الحزن في نفس القارىء ، إذ يتركه مختلجاً بالتأثر بدلا من أن يذيبه حسرات ويسحقه بالكمد .

وهذا هو الفرق بين حزن دوديه وحزن معاصريه من أدباء المدرسة الطبيعية المادية(Maturalistes) — أمثال إميل زولا . فهؤلاء يستنبطون مشاهد عنيفة، ويصفون آلاما قاسية، ويغمروننا ما استطاعوا بشعور بارد كثيف من التشاؤم الأسود الحالك. نقرأ قصصهم فتؤزنا وتثيرنا ، وتظل تقيمنا وتقعدنا، حتى ترهقنا بالألم والثورة ، وتسكن أنفاسنا في آخر الأمر تحت كلكل القدر الغشوم الذي يذهب البطل ضحيته . على أننا لا نكاد نرثى للبطل ولا نكاد نشفق على أصحابه، فهم قوم جبابرة ملاعين ، كأنهم قُدوا من صخر، وكأنهم خلقوا للعذاب، وإنما تروعنا بشاعة البؤس ، وتفزعنا رهبة المصير . فننسى الأشخاص جميعاً ، ونفكر فيما وراءهم ، وتنتهى أفكارنا إلى سخط على الحياة وحقد على القدر ويأس وقنوط . ولا كذلك عاطفة دوديه ؛ فإنها نقيض هـذا الشعور الجائع الناقم الممض . إنها نزعة مستبشرة إلى الخير ، إنهـا نظرة عين وامقة تفتقد الصغار وترفق بهم ، إنها إخاء وحنان ، إنها أحضان رحيبة مفتوحة ، عزاء للبائسين والمساكين ، بكاء معهم وابتسام لهم . فليس . يحرك عطفنا إلا شقاء يحيق برجل شبيه بنا، نستطيع أن نتعرف فيه أنفسنا دون أن ننفر من موقفنا ولو كنا إذا قمنا مقامه ، ويشتد عطفنا وتزداد شفقتنا حين يعبر عن هـذا الشقاء رجل شبيه بنا يحس الإحساس ويحسن التعبير عما يحس، باللفظ أو الإيماء أو الصمت . ويالمناهل الشعور الإنساني الكريم التي تتدفق في أقاصيص دوديه ! بيد أن دوديه يعرف كيف يشجينا دون أن يجلل الحياة أمامنا بالسواد والشؤم واللعنة . إنه غنى عن المشاهد المنيفة والمواقف المثيرة . وأين حياتنا التي نحياها من تلك النوازل الهائلة التي لا تبقى ولا تذر ؟ وأما هذه التوافه التي يهملها الكبار والمتكبرون ، والتي تعج بها أيامنا ولياليها ، فهي بعينها ما يلتمسه دوديه وما يعنى بتقديمه لنا (راجع العدد ٨٠٩ من الرساله : الشيء الصغير) .

أمن دمع هذا الكاتب تنبع ابتسامته؟ فإن ابتسامته بدورها لا تفيض! ليست سخرية دوديه بالشائكة ولا الحادة ولا الخبيثة ولا المريرة. ليست كسخرية لابروبير أو ڤولتير أو أناتول فرانس . ولا هي هزل أجوف عماده بديع اللفـظ والتلاعب بالألفـاظ ، وإنما هي تهكم حي ، عذب ، خصب ، ينالي المعاني والمواقف والأشخاص . بل إننا نبالغ في إطلاق كلمة السخرية على فكاهة دوديه، إنها مزاح برىء ، ميل إلى العبث من طفل كبير يلمح عيباً في بعض الناس أو ضعفاً في بعض النفوس فيضحك فه ملء فيه ويضحكنا معه ، ولكن هذا الطفل الكبير يرى في نفس الوقت وراء الكلمة أو الحركة التي كشفت له ذلك العيب المضحك أو ذلك الضعف المضحك وجه إنسان دائما ، وجه أخ مسكين أله من آلامنا وبؤسه من بؤسنا ومصيره كمصيرنا ، ومن هنا تجتمع الدمعة والابتسامة في وجه الفونس دوديه ، وتأتلقان ، ولا تفترقان قط ، وهل حياتنا إلا مزاج متصل من هذه وتلك ؟

ولقد سأل ليون دوديه أباه ذات يوم عن سر قدرته وبراعته في ولوج قلوب الآخرين والتعبير عنها، فأجابه إجابة ضافية ، قال :

« لست يا ولدى ميتاً فيزيقيا كما تعلم ، ولكن يبدو لى ، من خلال جميع المذاهب، أن الفلسفة وإن كانت نافذة النظر في مشاكل العقل والفكر والذكاء ، إلا أنها أوليـــة بدائية قاصرة في كل ما يتصل بالشعور .

مازال الشعور يا بنىّ عالماً غامضاً مجهولاً مليئاً بالهوّات السحيقة . ألم يكن كل مجهود ديكارت وسبينوزا مجرد محاولة لإرجاع الشعور إلى العقل ، والتماس حلول منطقية جافة للمسائل العاطفية .

أما أنا فليس لى إلا خبرتى ، تدعمها بعض الأحلام . بيد أن خبرة شخص واحد هى خبرة الناس جميعاً ، ما دمنا أفرادا يمتاز كل منا عن صاحبه بنظم دقيق خاص من ملكات عامة .

والشعور الإنساني يبدو لى ضربا من محيط دائرة، كل عنصر فيه إنما هو صورة مختصرة للمجموع ، وما الرحمة الفردية والألم

الحرية في المذهب الوجودي

للأستاذ عبد الفتاح الديدى

— ٢ —

تكلمنا قبل هذا عن الحرية فى الوجودية من وجهة النظر الميتافيزيقية . ونحاول الآن أن نحدد خصائصها على نحو واقعى فى المذهب الأخلاقى الوجودى إن صح أن للوجودية أخلاقا بمعنى الكلمة . والذى يتبين لنا من أول الأمر أن المذاهب جميعها فى فرنسا — وليست الوجودية فحسب — تحاول أن تقدم للناس فى هذه الفترة الحديثة نظريات أخلاقية مختلفة بالإضافة إلى ما تقدمه من التفسيرات الفلسفية والفكرية وما يحلو لها أن تذيعه من الأصول والآراء . بل إن الجانب الأخلاقى يطغى على كل ما عداه من الجوانب الأخرى فى فلسفات الفرنسيين المحدثين ، ويظهر بشكل واضح بين الأنظار الكثيرة حتى لتحسبه الأوحد من بينها فى الأهمية والخطورة . ولعل الحياة الفرنسية اليوم هى التى تتطلب هذا كله وتقتضى من كل مذهب فكرى أن ينحرف فى هذا الاتجاه تبعاً للحاجة الأصلية فى نفسية الأمة والعوز الروحى فى تكوينها الحضارى . أو لعل الصلة القوية التى يحس بها الفرنسيون بين حياتهم المادية وأنظارهم العقلية ، أو بين وجودهم ومعرفتهم ، على حد تعبير الفلاسفة ، هى التى تلح عليهم وتدفعهم دفعا إلى انكار مجموعة من القواعد الوضعية التى تلائم ما فى نفوسهم من ثورة وما فى قلوبهم من ارتياع .

وتأتى الحاجة إلى مثل هذا الاتجاه فى نفسية الأمة الفرنسية من أنها ظلت أمداً طويلا تمثل الأمة المفكرة وتقوم بدور الشعب الفيلسوف وتخسر فى سبيل ذلك كله غير قليل من الجاه والسطوة العمليين فى الحياة : فكما أن الأديب الذى يشغل نفسه بمسائل الفن ويملأ عقله بالتأملات الروحية بعيد كل البعد عن نطاق الواقع المحدود وآفاق العمل اليومى ، بقيت فرنسا – وهى دولة الفكر الأولى – غارقة فى التخيل والنظر العقلى ، زاهدة فى الأفعال الواقعية المنتجة ، مدفونة بين صحائف الشعر وسكرات الليل وظلمات القبور . وجاءت الهزائم متتالية فى الميدان السياسى ، وتدخلت الظروف على أسوء نحو فى المعيشة الفرنسية فجعلتها ضربا من المأساة التى يعانى صاحبها أكثر مما يعانى النائم بين أشواك الورد . وتطلع الناس من جراء هذه الخيبة المتكررة فى حياتهم إلى نوع من الخلاص كما يقول المسيحيون أو نوع من النجاة كما يقول المسلمون . وتبين هذا العوز فى محاولاتهم المتكررة لإيجاد ناموس أخلاق يعين على رفع الظلمة ويساعد فى كشف الغمة ، وظهر عملهم واضحا فى جملة التآليف الفكرية التى اتخذت موقفاً وضعياً قبل كل شىء .

ونحن المصريين محتاجون إلى غير قليل من هذا الاتجاه . فأخلاقنا تنبنى فى أصلها النظرى على الأديان السماوية حتى اليوم ، وانشغل الكثيرون عن الدين إلى أشياء أخرى وتطورت الحياة تطورا ملموساً فضاعت الأخلاق النظرية والعملية معا إذ أن الرجل المتدين يأتى كثيراً من السخافات اعتماداً على رضى الله وتوفيقه على تأييده له على طول الخط . وأستطيع أن أقول على شكل ملاحظة بسيطة أن معظم الأفعال البعيدة عن الجد والوقار والخارجة عن نطاق الفضيلة الصحيحة إنما يأتيها قوم متدينون

الفردى والإحساس الفردى إلا انعكاس للرحمة الجامعة والألم الجامع والإحساس الجامع ...

إن علينا نحن القصاصين واجبات وأوزاراً : علينا أن نشرك الناس دائماً فى شعور واحد ، وأن نرمى بكل ما نملك من جهد إلى غاية مثالية هى حفز دوافع الخير والكرم فى النفوس ، وعطف هذه النفوس بعضها على بعض ، وتوجيهها وجهة سامية تكون قبلة الجميع وملتقى إرادتهم . وعلينا نحن القصاصين يقع وزر ما ننشر من شر ومن قبيح سواء صدرنا فى ذلك عن إهمال أو قضينا به حاجة وأصبنا رزقا . وعلينا يقع أيضاً وزر القعود عن إسداء العون ، وترك الضعاف للفشل واليأس ، وازدياد آلام الإنسانية وخبثها ... »

وتلك لعمرى فلسفة الشعور التى تزرى بالفلسفة . فلسفة صادقة ساذجة نزيهة ، فلسفة الإنسانية الصريحة التى تأبى أن يخنقها المنطق والتحذلق ، وتحيا قريرة فى النفوس المؤمنة بالخير ، والقلوب الخافقة بالحب ، والأيدى الممتدة بالإحسان ، والعيون الدامعة والشفاه الباسمة .

أنور لوقا

غاية التدين ومؤمنون غاية الإيمان ، أما غير المتدين فقد أهمل القواعد الروحية ولم يستطع أن يجد سندا فى حياته العملية فصار على نحو من الضيعة والاختلال لا تؤهلانه لميشة طبيعية كريمة. فلابد لنا من محاولة تماشى ظروف المجتمع ومن أخلاق جديدة تساير ركب الزمن وتجعلنا نواجه المناسبات المختلفة فى غير خوف ولا تردد ولا جبن بإزاء الأحداث

وقد يخطر على بالنا أن نسأل الآن عن هذه الرابطة التى تجعلنا نفكر فى الحرية وفى الأخلاق معا ، فلا يكاد واحد من الباحثين يتعرض لموضوع من موضوعات الأخلاق بغير أن يتعرض لفكرة الحرية بالدراسات والتحليل ، وهذا الاقتران فى أذهان العلماء والفلاسفة غريب إذا نظرنا إلى الأخلاق نظرة اجتماعية خالصة أو إذا جعلنا رضوان الناس وآراء الجماعات مقياسا للأفعال المادية، أو إذا اعتبرنا الأخلاق حسب مقدرة الافراد على الانسجام والتأدب والرضوخ ؛ ولكنه معقول غاية المعقولية إذا بحثنا فى الأخلاق من زاوية خاصة هى التى تحاول أن تحتفظ للفردية بقوتها عند معارضتها للحياة اليومية وعند تنافرها مع الآخرين ، فالحرية تدخل ضمن أبحاث الفلاسفة الأخلاقيين عندما تراعى أن الأخلاق لا تكون فى إخماد الروح الفردية بقدر ما تكون فى عهدها ورعايتها وتهيئتها كما يلزم بالنسبة إلى الظروف المتباينة

فالأخلاق على هذا النحو إنكار للأخلاق ؛ بمعنى أنها تعمل على هدم القانون ورفع الضرورة التى تأتى بها نظريات الباحثين . الاخلاق التى تأخذ بالحرية على الطريقة التى تريدها الوجودية ليست أخلاقا وإنما هى معارضة للأخلاق . والحق أن الاخلاق نفسها لا تصير أخلاقا إلا إذا أكدت الحرية ، إذ أن الاخلاق شىء آخر غير إطاعة الأوامر وتحقيق الفروض، ولعلها تتوفر فى الثورة والرفض أكثر مما تتمثل فى مظاهر الطاعة والرضوخ ، وهذا كله لسبب بسيط وهو أنه لا توجد هناك أوامر ولا تتوفر لدينا أصول ولا يمكن أن يصح ما نشعر به ، عند مواجهة قاعدة ما ، من القداسة والضرورة ، فعالمنا الأرضى خال تماما من اللوازم ، وإذا تكشفت بمضى الأيام صفة اللزوم فى شىء ما فاعلم أنها من ابتكارنا وخلقنا . إن الإنسان هو الذى يضع الأخلاق وأحكامها بما يأتيه من الأفعال كلما تقدم به الزمن، والفعل الاخلاق - كما ينبغى لنا أن نفهمه - فعل إبداعى لا يراعى القيم ، ولا يماشى أصولا، بل يخلق - هو نفسه - الاصول

وبذلك يخلو الفعل الاخلاقى من التقليد والاحتذاء ولا يقتصر على كونه عملية من عمليات المراجعة ولا تظهر عليه أعراض الرتابة ، فالوجوب صفة غريبة كل الغرابة عن المعنى الاخلاقى للأحكام العامة. فنحن — أى الناس — متروكون فى الارض بغير علامات تكشف لنا الطريق أو قواعد تنظم بيننا المعاملات أو إله يبذل لنا من لدنه الهداية والرشد . هذا هو الاصل الذى تحاول الوجودية أن تقيم عليه بنيانا مذهبياً فى الاخلاق . وقد يكون هذا الاصل داعياً إلى الفوضى أكثر مما هو داع إلى النظام على نحو ما جاء على لسان دستويفسكى حينما قال : « إنه إذا لم يكن الله موجوداً فسيكون كل شىء مباحا » ولكن الوجودية تنظر إلى هذه النقطة بالذات على أنها موضع الانفصال أو محل الاختلاف بين فلسفتهم وفلسفة الآخرين من الفوضويين أو الأبيقوريين ، فعلى الرغم من أن الوجودية تبدأ بدءاً يصعب على الكثيرين أن يطرقوه أو أن يحلوا أية مشكلة على أساسه ،فهى تجرؤ على القول بأنها قد أتت بشىء . إنها قد اعترفت بالوضع الحقيقى أولا ثم حاولت بعد ذلك أن تنظر فى الأمر .

فاذا فعلت ؟ إنها وقد أنكرت من أول الأمر كل معنى فى الحياة واعترضت على كل دلالة فى الوجود وآمنت بالتفاهة والعبث من وراء الكون الظاهر ومن خلفه ، أرادت أن تضع الثقة فى النفوس وأن توجد الدوافع لدى الأفراد[1] . إن الحياة عبث فلنجعل لها معنى ، والأيام ضائعة فلنحقق لها الغاية . ولا تكون الغايات والمعانى مستمدة — كما هو حاصل حتى الآن — من عالم غير هذا العالم ، ومن كائنات وهمية ، وإنما

---

(١) نلاحظ هنا شيئاً هاماً وهو أن الحرية من الناحية الوضعية العملية مثلها من الناحية الفلسفية الخالصة قد نبعت من القيد وتولدت عن النقيد . فكما أن الحرية هنالك كما وضحناها فى المقال السابق قد برزت لأول مرة نتيجة للعبودية فهى ها هنا تخرج من العكس المباشر وأعنى به الضيعة والفقدان الذاتى وسط مظاهر الوجود . إن اليأس الذى يتمثل فى العبث والتفاهة هو الأصل فى الأمل الذى يتجلى فى صورة المعنى أو فى صورة الغاية التى تنقدها الأفعال الحرة .

مبعثها فعل الانسان بريئا من التقليد خالياً من الأسانيد. فالإنسان وهو يفعل ، يستوحى الحرية ويضع القيمة ويحدد المشروع من غير المشروع ويمين اللائق من غير اللائق. أو قل إن الإنسان يضع نفسه عن طريق الفعل

ولا يأتى التنكر البادى فى أعمالهم لفكرة الوجوب أو الضرورة التى تتصف بها القواعد والاحكام الاخلاقية من محاولتهم إبراز فلسفة لا تستند إلى فكرة الله (المزعوم فى رأيهم) وإنما يصدرون فى اتجاههم هذا عن أصل مذهبي كامل فى لفظتين معروفتين عند الباحثين وهما : الوجود والماهية (١) فالوجود بالنسبة إلى الإنسان — كما نعلم — عبارة عن سلسلة الاحداث التى تطرأ عليه وتشكل تاريخه . والماهية هى جملة الخصائص المميزة له من سواه والطبائع التى تجعله هو هو . ومن الأسس النظرية الاولى فى الفلسفة الوجودية أن الوجود سابق على الماهية ، بمعنى أن وجود الاشياء ووجود الإنسان ذاته يسبق ظهور الخصائص والصفات التى نستخلصها بشأن هذا الوجود ، فليس هناك فكرة أزلية ترسم الأشياء بإرادتها وتمتثل الموجودات لمشيئتها ، وليس هناك تقدير سابق لما يصير واقعاً ، بل كل ما هنالك أن الاشياء تتمثل وأن الحقائق تقع ثم تأخذ صفات معينة وتنطبع بطابع خاصة

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الانسان . فهو يوجد أولا ثم يتحدد بعد ذلك. وعلى هذا فليس هناك طبيعة إنسانية كما يقول سارتر تبعاً لعدم وجود إله يرعى الانسان. « فالانسان ليس شيئاً آخر — وبالتالى — غير مايفعله » والخصائص أو الصفات التى تتحدد بها ماهية الانسان فى وجوده هى نتيجة لجملة الأفعال التى يأتيها . أو بعبارة أخرى الانسان هو صاحب الأمر فى تشكيل ماهيته الخاصة . إذن فرجع الانسان دائماً إلى نفسه فى تكوينه وعند إيجاد مايهمه وخلق الصفات التى تلحقه . ومن هنا بنى سارتر حكمه على الماهية الانسانية بأنها متعلقة بحريته ومتوقفة على إرادته ، وهذا صحيح بالنسبة إلى منطق التفكير الوجودى .

فالوجودية فلسفة تنبع من صميم الذات الانسانية وتصدر عن نزعة فردية واضحة . وتؤمن بالوجودية فضلا عن ذلك بأن التاريخ لايحصل من جراء إرادة اجتماعية أو لأن التاريخ يتساق إلى شىء معين وإنما بسبب رغبة الأفراد فى كذا و كذا . إن التاريخ حسب الفهم الوجودى ليس شيئاً موجوداً نمر به ، وليس شريطاً قائماً نخطو عليه ، وإنما هو شىء يوجد فى كل لحظة زمنية بإرادة الناس ويتشكل حسب هوى الأفراد بل ويدخل فى دائرة الحياة بناء على الأفعال التى يصدرها البشر فى اللحظة الآنية لايوجد شىء وإنما يوجد شىء فى تلك اللحظة بعد أن تصير حاضراً ثم ينعدم فى التو على صورة ماض . إن الانسان العادى ينظر فى الحياة وكأنها تمضى بغير ماتقطع ولا توقف ، أمام الفيلسوف — الوجودى خصوصاً — فيشعر بمشكلة الصيرورة على أوضح نحو فى العدم الذى يتمثله وفى الحاضر الذى يخلقه وفى الوجود الذى يتسلسل به من غير ضرورة تحتم عليه الكينونة أو عدم الكينونة . حقاً هناك إمكانيات فى الحياة تصير على هيئة معينة إذا جاء المستقبل بحكم النمو الحاصل فى الظاهر الأرضية ، ولكن هذا لايعنى أنها موجودة وجوداً كلياً عاماً فى الماضى والحاضر والمستقبل وإنما يعنى أنها تخلق أيضاً بالتوالى الزمنى وبالتقدم الوجودى واحدة واحدة إن الوجود يتقدم بنا فى الماء الذى لاترتيب فيه ولا تصميم له بغير خطة ثابتة وبغير علامات أكيدة .

وعلى ذلك فإن الانسان إذا فعل شيئاً فانما يفعله وهو يقوم بدور الخالق، فالحرية التى فى يده بالضرورة لاتكون مجرد حقيقة للأفعال بل تمد ، على هذا النحو ، منبعاً تنبثق عنه كل الدلالات وكل القيم ، وشرطاً أصيلا لكل تحقق فى الوجود كما تقول سيمون دى بوفوار فى كتابها عن أخلاق التناقض . ولذلك لاحظنا دائماً إحساس الانسان بالقلق عند مواجهة المستقبل مادام لايجد تحت يديه ركناً يستند إليه ولا خطة يهتدى بها ولا مثلا يحتذيه. إن القلق ظاهرة لازمة الحدوث فى حياة الانسان بسبب المتاهة المفزعة التى يمضى فيها والمفازة المخيفة التى يخترقها بغير ما تجربة سابقة ولا عماد ثابت . حتى القلق نفسه وجملة الاحساسات الأخرى

(١) كما قلنا عن الحرية الفلسفية إنها تبدأ من التفرقة بين الوجود لذاته والوجود فى ذاته ، نقول هنا إن الحرية الاخلاقية أو الحرية العملية تبدأ من عنصرى الوجود والماهية . فهذان العنصران هما بمثابة البذرة التى نبدأ من عندها تتبعنا للافكار على نحو ما تفرعت منها .

والمظاهر النفسية التى يبدو فيها الانسان ليست عبارة عن صفات معدة إعداداً سابقاً بالنسبة إلينا وإنما هى طريقة من طرائقنا فى العمل والحركة داخـــل نطاق الوجود . فليس هناك ألصق بماشئنا ولا أكثر ظهوراً فى حيـــاتنا من صفات الحس والذكاء والغضب والحيـوية ، ومع ذلك فهذه كلها ليست ضرورة من ضرورات وجودنا بقدر ماهي وسيلة من وسائل اكتشافنا للوجود ونحو من أنحاء انتقالنا من الحاضر إلى الماضى .

فوجودنا إذن يحصل ثم نجعل نحن من هذا الوجود موضوعاً للكلام فنستخلص منه صفات معينة ونلاحظ عليه ملامح بالذات. هذه الصفات وتلك الملامح هى ماتسميه بالماهية . ولـكننا مع كثرة التكرار والترديد للمظاهر المتشابهة فى حياتنا حسبنا هذه الماهية أزلية تنتقض على طول الزمن فى صورة أشكال من هذا الطراز أو ذاك . ولـكن الواقع أن هذه الأشياء إنما تحدث فى كل مرة لأول مرة وتأتى مع اطراد الأحداث بغير تقـدير ممهد ولا خطة قبلية . وبذلك ينمحى طابع الجمود والترديد فى الحيــــاة ويتدخل عنصر الفن بشياته المتباينة . ولا شك أن الفنان وحده هو الذى يستطيع أن يدرك مدى الرهبة التى تصيب الانسان فى تقدمه خلال السحب القائمة من فوقه وهى لاتفتأ تنذره من حين إلى حين بالمطر الغزير . فالانسان وسط الحياة ليس غريباً عن مثل هذا الموقف عندما يحس فى قرارة نفسه بأنه متروك فى الوحـدة المفزعة بغير سند إلا من اختياره ورأيه وهواه .

ومن هنا تتدخل المسئولية فى اعتبار الوجودية .وذلك طبيعى جداً مادام مرجع الانسان فى معاشه إلى ذاته وما دام هو نفسه ابن نفسه ووليد أفعاله . ويقول سارتر « عندما نقول عن الانسان إنه مسئول عن نفسه ، لسنا نعنى أن الانسان مسئول عن شخصيته المحددة ولـكننا نعنى أنه مسئول عن كل الناس . » وهـذه هى النتيجة الطبيعية لما سبق أن قلناه . فالانسان تبعاً لما يأتيه فى وجوده من الأفعال الحرة مسئول عن العالم وعن نفسه طالما كان طريقة من طرق الوجود ،وأنموذجاً من نماذج الـكينونة والمسئولية هنا مأخوذة بمعناها العادى فى الشعور بأنه الفرد يؤلف لحادثة أو لموضوع من غير اعتراض عليـه ومن غير تعد على حريته . فما يحدث لى — كما يقول سارتر ... يحدث لى عن نفسى ويستحيل أن يجرى فى الارض فعل غير انسانى مهما كان الأمر .والمسئولية تأتى من هذه الناحية ، ناحية الانسانية التى تتصف بها الأفعال والوقائع وماجريات الأمور ، ومن هنا لم يكن هناك محل للاعتذار أو الأسف أو الشكوى بعد إتيان أمر من الأمور

إن فلسفة فى الأخـلاق على هذا النحو لاتنلق الباب أمام الرجاء ولا تصدر عن اليأس كما قال الكثيرون منها ، وانما على العكس من هذا توجد فسحة للآمل وتضع غير قليل من الايمان والقوة فى نفس الانسان كيما يعمل وكيما يأتى فعله عن عقيدة وحساب ويكفى أن يعلم الانسانُ عن نفسه بأنه حر وأنه بهذه الحرية يقرر وجوده الخاص كما يحقق وجود الانسانية جمعاء ، وأنه يبدأ من لاشىء ليصير شيئاً فى النهاية ؛ حتى يدرك خطورة موقفه وحتى يعمل بكل قواه فى العالم المضطرب الغامض من أجل الوقوف على بر السلام والوصول الى أرض البراءة والخلاص

عبد الفتاح الديدي

موازنة أدبيـــة

بين قصيدتين من عيون الشعر الجاهلى

الاستاذ عبد المنعم خفاجي

١ — أما الأولى فهى معلقة : عمرو بن كلثوم التغلبى الشاعر الجاهلى المشهور (٥٠٠ ـ ٦٠٠ م) . ومطلعها .

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

وأما الثانية فهى مجمهرة أمية بن أبى الصلت :

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزينب إذ تحل بها قطينا

٢ — والقصيدة الأولى ملحمة تاريخية تصور المجد القديم لتغلب قبيلة الشاعر ، وملاحمها الحربيـة التى انتصرت فيها على أعدائها ، وهى فريدة فى نوعها فهى جديرة حقا أن تسمى ملحمة فهى تاريخ مفصل لقبيلة عمرو ومفاخرها وأيامها ومنها يوم خزاز

الذى انتصر فيه كليب قائد النزاريين على اليمنيين ، وفيها تهديد لأعداء تغلب وتنبيه للملك عمرو بن هند ملك الحيرة (٥٦٢ — ٥٧٩ م) حتى لا يطيع بهم الوشاة أو يتحيز لبكر شقيقة تغلب ومزاحمتها فى المجد والنفوذ والسلطان ، وقد بدأها الشاعر بوصف الخمر مما يعد ميزة فريدة لها ، ثم انتقل إلى موضوع القصيدة وهو الفخر ، وختمها بقوله :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبابر ساجدينا

وأنت تعلم أن عمرو بن كلثوم ارتجل بعض معلقته أمام الملك عمرو بن هند وهو الجزء الذى هدد فيه أعداء تغلب وحذر الملك من الاسماع للوشاة والميل معهم على قومه ، ومنه :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا
بأننا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا

ثم أكمل القصيدة كلها ، وأنشدها فى سوق عكاظ ، وقد عدتها تغلب سجل مجدها وفخارها فاعتزت بها اعتزازا كثيرا ويقال إنها أضافت اليها الكثير حتى بلغت أبياتها نحو ألف بيت وقال بعض شعراء بكر فيها :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مسؤوم

وأما مجهرة أمية فقد تحدث فيها الشاعر عن مجد قبيلته « ثقيف » وهى من أمهات القبائل العربية وصاحبة النفوذ والسلطان فى الطائف بين قبائلها ،ولم يبدأها بوصف الخمر كما فعل عمرو بن كلثوم بل بدأها كما يبدأ الشعراء قصائدهم فذكر أطلال محبوبته « زينب » وعفاءها ولعب الرياح المعصرات بها ، ثم انتقل إلى موضوع القصيدة نفسها وهو الفخر بمجد القبيلة وشرف الآباء فقال فيما قال :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا مآثرنا البنينا
وكنا حيثما علمت معد أقمنا حيث ساروا هاربينا
وتخبرك القبائل من معد إذا عدوا سعاية أولينا
بأنا النازلون بكل ثغر وأنا الضاربون إذا لقينا

إلى آخر ما ذكره من الفخر بأسرته وقومه ومجدهم ومناقبهم وما أرصدوه لريب الدهر من الخيل والرماح والسيوف والشيب المجربين والشبان والأقوياء ، ووراثتهم للمجد عن كبرى نزار الى غير ذلك من مظاهر الكبرياء والعزة والسيادة التى أضافها أمية الى قومه ، ولا ندرى شيئا عن التاريخ الأدبى للقصيدة وان كنا نرجح أن الشاعر نظمها فى مفاخرة من هذه المفاخرات التى تحدث كثيرا بين القبائل العربية وخاصة فى العصر الجاهلى :

٣ — تتفق القصيدتان فى الموضوع والوزن والقافية ، وفى خيالهما الفنى الغالب على القصيدتين وتتفقان كذلك فى هذه المبالغة الواضحة فى الفخر ، مما لا يؤثر نظيرها من المبالغات فى معانى الشعر الجاهلى الا قليلا.

كما تتشابهان فى هذه السهولة الفنية الغالبة على القصيدتين وخاصة عند ما ينتقل الشاعران الى الغرض الأصلى من قصيدتيهما وهو الفخر. وليست هذه السهولة الفنية بغريبة على الشاعرين ، فارتجال عمرو لقصيدته ومواقف الفخر فيها مما يقتضى السهولة ، ونشأة أمية فى الطائف ذات الخصب والزروع والثمار والهواء المعتدل والجو الجميل وتنقله فى رحلاته التجارية بين الشام واليمن وثقافته العامة وقراءته فى الكتب السماوية، كل ذلك رقق من طبعه وهذب من أسلوبه وأكسبه مواهب فنية ممتازة وصقل من ملكاته الأدبية فظهر أثر ذلك فى شعره وضوحا وسهولة واسجاحا.

وتتفق القصيدتان فوق ذلك فى كثير من معانى الشعر وأساليب الفخر؛ ومن مظاهر ذلك الاتفاق هذه المعانى والأساليب والأبيات :

١ — قال عمرو :

ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يبينا

أى حتى يظهر الشرف لنا . وقال :

ورثنا مجد علقمة بن سيف .

وقال وهو يتحدث عن الخيول الكريمة التى يخوض قومه عليها المعارك :

ورثناهن عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بنينا

فقال أمية :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا مآثرنا البنينا

ونستطيع أن نوازن بين البيتين الأخيرين إذا علمنا أن وراثة المجد فى بيت أمية أبلغ فى الفخر من وراثة الخيل فى بيت عمرو، وإن كانت وراثة الخيول من أسباب المجد لأن الخيل وركوبها واتخاذها عتاداً دليل الشجاعة والبطولة وحب النضال، وقول أمية « فأورثنا مآثرنا البنينا » أبلغ من قول عمرو : « ونورثها إذامتنا بنينا » لأن أمية ذكر أن أبناءهم ورثوا مجد الآباء فى حياتهم ، أما عمرو فذكر أن الأبناء سيرثون هذه الخيول بعد وفاة آبائهم ، فلم يسند إليهم الشجاعة والبطولة وحماية الذمار فى حياة الآباء ، وهذا قصور فى الفخر . وقال أمية « البنينا » وقال عمرو : « بنينا » فنكرهم أمية وأبان عن وضوحهم ، وقال عمرو : « آباء صدق » فدل على شجاعتهم أو وضوح نسبهم وطهارة أعراقهم ، وهى زيادة لا نظير لها فى قول أمية .

وقد أخذ أمية لفظ « قد علمت معد » من قول عمرو فقال:

وكنا حيثما علمت معد أقمنا حيث ساروا هاربينا

ب — ويقول عمرو : « وأنا المهلكون إذا ابتلينا » أى نهلك أعداءنا ونبيدهم إذا اختبرنا بقتال الأعداء ، فيقول أمية : «وأنا الضاربون إذا لقينا» فتجد قول عمرو أبلغ حيث نصّ على إهلاك الأعداء ولم يذكر أمية إلا الضرب ، وإن كان يكنى به عن الشجاعة والإقدام والعزيمة والجد فى طلب الأعداء ، ولكنه على أى حال لم يصور نتيجة الحرب كما صورها عمرو بن كلثوم بقوله « المهلكون » .

ج — ويقول عمرو : « وأنا النائمون لما أردنا » ، ويروى « الحاكمون بما أردنا » ، فيقول أمية: « وأنا النائمون إذا أردنا »

د — ويقول عمرو :

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا

ويروى من مجمهرة أمية :

وأنا الشاربون الماء صفوا « « « «

هـ — ويقول عمرو :

بفتيان يرون القتل مجداً وشيب فى الحروب مجربينا

وقد روى من المجمهرة :

وفتياناً يرون القتل مجداً وشيباً فى الحروب مجربينا

٤ — ومعلقة عمرو تمتاز بأنها الأصل الذى نسج على منواله أمية ؛ كما تمتاز : بتنوع أغراضها ، وبطولها، وأنها ملحمة تاريخية نادرة ، وهى إحدى المعلقات السبع وهى قصائد تحتل الذروة فى الشعر الجاهلى. وقد انتخبت من بين القصائد الجاهلية لشهرتها وخصائصها الفنية والأدبية الممتازة. وقال بن قتيبة فى قصيدة عمرو: وهى من جيد شعر العرب :

أما قصيدة أمية فلا تبلغ إلا نحو الثلاثين بيتاً أو تزيد قليلا فهى نحو ثلث قصيدة عمرو ، وقد وضعها النقاد مع المجمهرات والمجمهرات سبع قصائد من الشعر الجاهلى رواها أبو زيد الأنصارى فى « الجمهرة » ، وأصحابها هم :

ا — عبيد بن الأبرص ، ومجمهرته مشهورة وهى فى الحكمة ومطلعها .

عيناك دمعهما سروبُ كأن شأنيهما شعوب

والسروب : الكثيرة الجريان . والشعيب : المزادة ، وتشتهر باضطراب وزنها ؛ ومنها :

والمرء ما عاش فى تكذيب طول الحياة له تعذيب

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

ب — عدى بن زيد ، ومجمهرته فى الحكمة ومطلعها :

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد

وهى شبيهة بمعلقة طرفة فى وزنها وقافيتها وحكمتها ، وتتفق معها فى بعض الأبيات مثل :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

ج — النمر بن تولب ، ومجمهرته فى الحكمة أيضاً ومطلعها :

« تأبد من أطلال عمرة مأسل »

د — أمية بن أبى الصلت ، وجمهرته موضع الحديث ، وهى فى الفخر .

هـ — بشر بن أبى خازم، ومجمهرته فى الفخر بقومه وبطولتهم وعزهم ومطلعها :

لمن الديار غشيتها بالأنعم ؟ تبدو معالمها كلون الأرقم

و — خداش بن زهير ، ومجمهرته فى الفخر بقومه أيضاً ، ومطلعها :

« أمن رسم أطلال بتوضح كالسطر »

ز — عنترة، وقصيدته :

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

يعدها بعض النقاد من المعلقات والآخرون من المجمهرات .

وهـــذه القصائد السبع لم توضع في مرتبة واحدة لاتفاق موضوعاتها ؛ إذ ان موضوعاتها مختلفة : فثلاث منها في الحكمة وأربع في الفخر ، كما أنها لم ترتب بالنظر إلى الناحية التاريخية ، إذ أن أصحابها لم يعيشوا في عصر واحد :

فعدي توفي نحو عام ٥٨٠ م ، وعبيد عام ٥٥٥ ، وأمية عام ٦٢٤ م ، وعنترة عام ٦١٥ م الخ ؛ فهي إذاً إنما وضعت في منزلة أدبية واحدة تلي منزلة المعلقات الأدبية بالنظر إلى خصائصها الفنية الأدبية وحدها ، ويكاد الناقد الأدبي يقف أمام تشابه شاعرية هـؤلاء الشعراء وخصائص الشاعرية في هذه القصائد ؛ فهـذه القصائد السبع إذاً يشبه بعضها بعضاً في النواحي الفنية والفطرة الأدبية وفي خصائص الشعر والشاعرية وتـكاد تـكون متساوية في حكم النقد الأدبي ، وهي على أي حال تلي المعلقات في الجودة والمكانة الأدبية .

ونستخلص من ذلك كله أن النقاد لاحظوا الفروق الفنية الكبيرة بين القصيدتين فوضعوا الأولى في صف المعلقات والثانية مع المجمهرات، وفي الحق أن شاعرية عمرو في معلقته أقوى وأبين من شاعرية أمية في مجمهرته : سواء في الأسلوب أو المعاني أو الأغراض أو مدى الجودة الفنية ومواهب الشعر .

٥ — ويرى الدكتور طه حسين في كتابه « الأدب الجاهلي » أنه لا يمكن أن تـكون معلقة عمرو أو أكثرها جاهلية . وقد شك الرواة في بعضها ويرجح أن تـكون المعلقة منتحلة، ونحن لا نذهب هذا المذهب ، فالمعلقة تمثل حياة جاهلية لقبيلة تغلب وتمثل شاعراً جاهلياً وتصور حياة عمرو الفنية والاجتماعية نفسها وهي شبيهة بالآثار الباقية من شعر عمرو ، وإن كان هذا لا ينفي أن تـكون قد زيدت عليها بعض الأبيات ؛ وقصيدة أمية نفسها تؤيد أن قصيدة عمرو جاهلية وأنها لم تنتحل بعد الإسلام على أيدي الرواة .

ونلاحظ على مجمهرة أميـة خلوها من الصبغة الدينية التي اشتهر بها أمية ، ويبدو أنه نظمها في شبابه قبل أن يقف نفسه وحياته وشعره على الجانب الديني وحده . وتقليده فيها لعمرو بن كلثوم يؤكد ذلك وأنها نظمت قبل أن تكتمل شخصية أمية الفنية . وقد يكون السبب الذي جعل أمية ينظم مجمهرته محتذياً فيها عمراً هو إعجابه بمعلقته أو روايته لشعره أو تشابه موقف الفخر الذي وقفه الشاعران ، ونحن لا نستطيع أن نقول إن الرواة أدخلوا على مجمهرة أمية بعض الأبيات من معلقة عمرو لتشابه الوزن والقافية والخيال والموضوع في القصيدتين ؛ ذلك لأن مجمهرة أمية ليست طويلة ولأنه إذا حذف منهـا الأبيـات المتشابهة لا يبقى منها في مقام الفخر إلا القليل من أبياتها ، ولا يعقل أن ينظم الشاعر قصيدة في الفخر معانيها فيه محدودة أو شبه محدودة .

ورواية أبي زيد للقصيدتين في كتابه دليل على إيمانه بصحة القصيدتين أولا ، وبأن المعاني المتشابهة فيهما نتيجة لاتفاق الشاعرية أو للتقليد الأدبي ثانياً ؛ وأبو زيد م ٢١٥ هـ راوية ثقة

٦ — وبعد فنستطيع أن نقول إن أمية قلد في مجمهرته عمرو ابن كلثوم في معلقته تقليداً فنياً واضحاً ، فأخذ من المعلقة كثيراً من معاني الفخر وأساليبه ، وصاغ قصيدته على موسيقى وقافية معلقة عمرو .

وهذا التقليد الفني ليس بعجيب بين الشعراء في شتى العصور وليس بغريب في الشعر الجاهلي نفسه ، فأنت ترى أن الشاعر الجاهلي كثيراً ما يتفق مع شاعر قبله أو معاصر له في أسلوب أو معنى أو بيت وأنت تعرف قول امرىء القيس .

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وقول طرفة

وقوفاً بها صحبي على مطيهم ... يقولون « » وتجلد

وتعرف غير ذلك من مظاهر التشابه الفني أو التقليد الأدبي بين الشعراء الجاهليين ، مما نستطيع أن نوافيك ببحث أدبي عنه في الغد القريب إن شاء الله

محمد عبد المنعم خفاجي
الاستاذ بكلية اللغة العربية

النبي وأهل القليب

للأستاذ محمود أبو ريه

لما انتصر المسلمون فى وقعة بدر ونزلت الآية: « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » أمر النبي صلوات الله عليه بأن تلقى من صناديد قريش أن يقذفوا فى القليب (البئر) ثم وقف عليهم وقال — على ما جاءت به إحدى الروايات . « يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » فقيل له : تدعو أمواتاً ؟ ، قال : ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يجيبون ! »

وأخذ بهذه الرواية طائفة من المؤرخين ، ولكن عائشة رضى الله عنها صححت هذه الرواية ، واستدركت على من رواها وقالت : إنما قال النبي : إنهم ليعلمون الآن ان ما كنت أقول لهم حق — وقد قال تعالى — « إنك لا تسمع الموتى — وما أنت بمسمع من فى القبور »

وعلى أن رواية عائشة هى الصحيحة التى توافق العقل والمنطق وتتفق وسمو خلقه العظيم[1] صلوات الله عليه ، فان بعض الذين يتحدثون عما قاله النبي لأهل القليب من مؤرخى عصرنا لا يزالون يدعون رواية عائشة. وآخر من قرأنا لهم ذلك معالى الدكتور طه حسين بك فى كتابه (الوعد الحق) [2]

هذا وأن لعائشة لاستدركات كثيرة على طائفة من الصحابة كبيرة .

فقد ذكر عندها أن ابن عمر رفع إلى النبي : أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه . فقالت : ، إنما قال رسول الله « إنه ليعذب بذنبه وأن أهله ليبكون عليه حسبكم القرآن « ولا تزر وازرة وزر أخرى »

وعن مسروق قال : قلت لعائشة يا أمتاه ، هل رأى محمد ربه ؟ فقالت لقد قف شعرى مما قلت ! أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير — وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب — ومن حدثك أنه يعلم ما فى غدٍ فقد كذب — ثم قرأت : وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً . ومن حدثك أنه كتم فقد كذب — ثم قرأت : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك .

ومما ردته عائشة خبر ابن عمر وأبى هريرة (إنما الشؤم فى ثلاث فقالت ، إنما كان رسول الله يحدث عن أحوال الجاهلية وأنهم كانوا يتشاءمون من ثلاثة — وفى رواية لها أن أبا هريرة لم يحفظ والأخذ بهذا الحديث يعارض الأصل القطعى (أن الأمر كله لله)

ولما روى أبو هريرة : أن رسول الله قال « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلىء شعراً » قالت عائشة : أنه لم يحفظ ، إنما قال « .. من أن يمتلىء شعراً هجيت به »

ومما استنكرته على أبى هريرة أنه لما روى حديث (من أصبح جنباً فلا صوم عليه » قالت : إن رسول الله كان يدركه الفجر وهو جنب من غير احتلام فيغتسل ويصوم . وبعثت إلى أبى هريرة أن لا يحدث بهذا الحديث فأذعن وقال : إنها أعلم منى

ولهذا الحديث قصة لا بأس من ايرادها لأنها طريفة (فى كتاب اختلاف الحديث للشافعى أن أبا بكر بن عبد الرحمن قال .

كنت أنا وأبى عند مروان بن الحكم — وهو أمير على المدينة من قبل معاوية — فذكر له ، أن أبا هريرة يقول (من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم) فقال مروان : أقسمت عليك يا أبا عبد الرحمن لتذهبن إلى أمى المؤمنين عائشة وأم سلمة فتسألهما عن ذلك، أما عائشة فقد قالت : ليس كما قال أبو هريرة يا أبا عبد الرحمن : أترغب عما كان رسول الله يفعله ؟ فقال عبد الرحمن لا والله. قالت عائشة : فأشهد على رسول الله أنه كان ليصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يصوم ذلك اليوم . ثم دخلا على أم سلمة فقالت مثل ما قالت عائشة ثم جينا مروان فقال له عبد الرحمن ما قالتا . فقال

---

(١) سئلت عائشة عن خلق النبي فقالت : أن النبي كان خلقه القرآن رواه أحمد ومسلم وغيرهما

(٢) ص ١٣٩

مروان أقسمت عليك يا أبا محمد لتركبن دابتي فلتأتين أبا هريرة وتخبره بذلك ، ولما أتى أبا هريرة وذكر له ما سمع ، قال أبو هريرة (لا علم لي بذلك إنما أخبرني مخبر . .)

وفي رواية للحافظ ابن حجر في فتح الباري في (باب الصائم يصبح جنباً) أن مروان قال لعبد الرحمن لتفزعن بها أبا هريرة فذكره ذلك عبد الرحمن . ولما اجتمع به بذي الحليفة — وكانت لأبي هريرة أرض هناك قال له إني ذاكر لك أمراً ولولا مروان أقسم علي فيه لم أذكره لك ! فذكر قول عائشة وأم سلمة فقال كذلك حدثني الفضل بن العباس (١)

وبعد أن ذكر ابن حجر أن هذا الحديث قد رواه مسلم قال : وكان هذا بعد أن سمع مروان أن أبا هريرة كان يفتي الناس أنه « متى أصبح جنباً فلا يصوم ذلك اليوم » وأنه كان يرفع ذلك إلى النبي .

وفي رواية للنسائي أن مروان قال لعبد الرحمن : إلق أبا هريرة فحدثه بهذا ! فقال إنه لجاري ، وإني لأكره أن أستقبله بما يكره ! فقال اعزم عليك لتلقينه .

وفي رواية معمر عن ابن شهاب : أن أبا هريرة ، لما ذكر له عبد الرحمن قول عائشة وأم سلمة (تلون وجهه)

ولأحمد أن أبا هريرة قال : ورب هذا البيت ما أنا قلت : من أدرك الصبح وهو جنب فلا يصم : محمد ورب الكعبة قاله ! !

ولا نتوسع بإيراد أمثلة أخرى مما استدركته عائشة على الصحابة (٢) عامة — وعلى أبي هريرة خاصة الذي كان أول راوية اتهم في الإسلام ! كذبه عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، قال ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) بعد أن ذكر أسماء الذين كانوا ينكرون عليه من كبار الصحابة ما يلي : (٣)

« وكانت عائشة رضي الله عنها أشدهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه » (٤)

وكانت عائشة تَرُدُّ كل ما يروى من الأخبار مخالفاً للقرآن وتحمل رواية الصادق من الصحابة على خطأ السمع وسوء الفهم ولم تكن تفعل ذلك إلا لأنها بلغت من الحفظ والفهم منزلة لا تنال .

قال عطاء بن أبي رباح ، كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس ، وقال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بشعر من عائشة . وقال أبو موسى الأشعري « ما أشكل علينا ، أصحاب محمد من حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً . وقال الإسماعيلي : كانت عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه .

ولا نستوفي كل ما قيل في فضلها رضي الله عنها

محمود أبو ريه

المنصورة

---

(١) لعله أحال الرواية على الفضل بن العباس لأنه كان قد مات في هذا الزمن إذ أنه رحمه الله استشهد بطاعون عمواس سنة ١٨ هـ في عهد عمر

(٢) جمع الإمام الزركشي كتاباً برأسه فيما استدركته السيدة عائشة رضي عنها على الصحابة .

(٣) ص ٤٨

(٤) توفيت عائشة سنة ٥٨ هـ وتوفي أبو هريرة سنة ٥٩ هـ

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٤):

(١) غاية الأخلاق عند أرسطو

للأستاذ كمال دسوقي

ويعود أرسطو منذ مطلع الباب الرابع إلى ما كان بسبيله قبل نقد المثل الأفلاطونية، فبعد الهدم البناء، وبعد التجريح التصحيح، وهنا يعود أرسطو إيجابياً كما كان، فيقرر ما سبق أن انتهى إليه في الفصلين الأولين من أن لكل فن خيره الخاص وفقاً لغايته التي يرمي إليها بكل وسائله، وأن الخير الأعلى هو ما كان أكثرها كالاونهائية ... أي الذي يبحث عنه لذاته لا لأجل خير آخر، وهو ... في كلمة واحدة — السعادة ... فإن كافة الخيرات الجزئية كالعلم والفضيلة واللذة والشرف لا نبغي إلا من أجلها، كما أن السعادة لا تكون إلا بواحدة أو أكثر من هذه خصوصاً وقد بينا أن الانسان حيوان اجتماعي لا يعيش منعزلا، ولا يحيا لنفسه بقدر ما يحيا لأسرته وأصدقائه ومواطنيه؛ فسعادته لا تنفك عن الارتباط بسعادة هؤلاء جميعاً. والسعادة إلى جانب كونها غاية قصوى تطلب لذاتها، وتطلب الخيرات الأخرى لأجلها، هي كافية بذاتها Self sufficient بمعنى أنها تقوم بذاتها كفاية لا تحتاج إلى ما يحببنا فيها، بل لأجلها بالأحرى تحب الخيرات الأخرى. وهذا ما يعنيه بالاستقلال (ف ٧، ٨).

وها قد أدى بنا أرسطو إلى تحديد ماهية السعادة بالمعنى الفلسفي، إنها تحقيق العمل الخاص بالانسان، لا بما هو ذو وظيفة اجتماعية يكسب منها، فإن إمكان تغييرها ومزاولة غيرها تجعل الوظيفة غير ذاتية ومشخصة له، ولا بما هو كائن حي تام أو غاد، فتلك خصائص النبات أيضاً، أو حساس ومتحرك بالارادة ما دام أن هذه الصفات يشترك معه فيها الحيوان. بقي أن تكون خاصة الانسان المميزة هي حياة العقل وفاعلية الفكر، وأن تكون وظيفته الخاصة به ... بما هو إنسان ent;antvuhomme هي فعل النفس المطابق للعقل؛ العقل الصادر عن طبيعة وملكة وسجية لا عن محض صدفة؛ والذي هو نتيجة مران واستمرار للمزاولة المنتظمة للفعل بما يؤدي إلى حسن الأداء؛ فإن الخير أو الفضيلة عند أرسطو يريدها أن تكون ثابتة راسخة وصادرة عن ذات الكائن بسهولة ويسر لا تكلف فيه ولا تمحل ... حتى تكون فضيلة حقاً لا مجرد عمل فاضل أوحد.

ويفيدكم هنا كثيراً الرجوع إلى تقسيم أرسطو للنفس إلى نباتية وحيوانية ثم عاقلة ووظائف كل منها (في المراجع العربية التي سبق أن أشرت إليها). كما يفيدكم جداً بل من الضروري جداً — مقارنة نظرية السعادة عند أرسطو بالنظريات الأخلاقية الأخرى خصوصاً نظرية الواجب لكانت الفيلسوف الألماني (وقد أتى المترجم الفرنسي لأخلاق أرسطو على طرف منهما)، وكذلك نظريات فلاسفة الانجليز المحدثين في كتاب المدخل إلى الفلسفة المترجم إلى العربية والمقرر في الامتحان الشفوي (في باب النظريات الأخلاقية)

وكأن أرسطو لا يقنع بهذا التخطيط الذي وضعه للسعادة؛ فهو يصفه بالنقص، ويعتذر عن نقصه بأن الكمال لا سبيل إليه؛ وأن الزمان كفيل بالعمل على إكمال وجوه النقص التي تعتري الشيء بعد اكتشافه. وهنا إيمان قوي من جانب الفيلسوف بعنصر الزمان كعامل على التطور والتقدم. وأساس الروح العلمي أن نعتقد أن ما انتهيت إليه إن هو إلا مشاركة في موكب العلم وركب الحضارة، وأن الزمان لا بد أن يغير منه بإكمال نقصه أو ربما بإظهار خطئه وإدحاضه، وأنه ليس بعد فصل الخطاب أو نهاية المطاف.

ويعود أرسطو مرة أخرى فيحشد للتدليل على صحة نظريته في الخير والسعادة أدلة مستقاة من الواقع الحي، لأن الحقائق الواقعية عنده هي في اتفاق مع التعريف الصحيح (ب ٦ ف ١) فيكرر القسمة الثلاثية للخير التي سبق أن قال بها (ب ٢ ف ١٠) بجعل خير النفس من هذه الخيرات كلها في القمة، ما دام أنه مطابق للرأي الذي أجمع عليه الفلاسفة السابقون عليه ومنهم أفلاطون (ف ٢) ومطابق كذلك للمبدأ المعروف لدى اليونان من أن فضيلة الشيء إنما تكون في تحقيق وظيفته التي من أجلها وجد كالابصار للعين، والبتر للسيف.. الخ (ف ٣) ومطابق في المقام الثالث لما يرى الناس من أن السعادة الحقة هي في حسن

السيرة وفلاح المرء (ف ٤) والنتيجة إذن أن ماقال به أرسطو كحد للسعادة يشمل كل وجهات النظر فيها سواء اقترنت بشيء من اللذة والخيرات الأخرى الضرورية كما يرى البعض أو خلت منها (ف ٥) وسيأخذ بها حتما أولئك الذين يرون أن السعادة هي الفضيلة ، أو فاعلية النفس بما يطابق الفضيلة (ف ٧) كما سبق أن قرر (ب ٤ ف ١٤)

ثم إن أرسطو يردد رغبته الملحة فى ألا يكون الخير الأعلى محدوداً أو مشروطاً بظروف خاصة أو يكون ملكة سلبية معطلة قابلة passive غير فاعلة Active بل يريد ، أن يكون فعلا، وفعلا حسناً صادراً عن روح طيب وطبيعة خيرة وسجية فاضلة (ف ٨) وعنده أن مقياس الحسن فى الأشياء والأفعال أن تكون محبوبة خصوصاً لدى الذين يألفونها ويحسنون تقديرها (ف ٩) ، فإذا لم يجمع هؤلاء على الاعجاب بها ومحبتها أو اختلفوا حولها لم تكن خيرات حقة ، بل كانت أشبه بخيرات العامة من الناس الجزئية المتباينة التى ترضى هوى كل على حدة ، أما الخيرات الكلية العامة فهى إلى جانب كونها مطلقة من كل هوى ومشتركة بين الأخيار جميعاً تحمل فى طيها لذتها وقيمتها ، واللذات الأخرى ملحقة بها وثانوية بالنسبة إليها . فليس أجمل ولا ألذ ولا أكمل فى نظر الرجل الفاضل من أن يأتى الأعمال الفاضلة ويرى الآخرين يفعلونها أيضاً . وهذا سر إصرار أرسطو على جعل الفضيلة ملكة راسخة ثابتة فى نفس أصحابها يصدرون عنها فى كل مايفعلون أو يتذوقون من أفعال غيرهم ، وإن كان لايعدم فى نهاية الأمر (ف ١٤ ... ١٦) أن يقيم وزناً ثانوياً للخيرات الخارجية كجمال الخلقة وشرف الأسرة والثراء والأصدقاء ، بحسبانها للسعادة يؤدى الحرمان منها كلها أو بعضها لافساد الحياة السعيدة وتعكير صفوها

وقد بحث أفلاطون ومن قبله سقراط فيما إذا كانت سعادة الانسان وفضيلته يمكن أن تكتسب بالتعلم والمران أو أنها فطرية موروثة يهبها الآلهة ، ويرقب أرسطو بأن يكون مرجع السعادة إلى النوع الثانى لتصبح أقدس مايكون فى حياتنا ، وان كانت لتبدو نتيجة تحصيل وجهاد للنفس طويلين ، على أن أرسطو يفضل ألا نتمادى فى تقديس السعادة الى الحد الذى ننسى معه أنها ممكنة المنال لكل منا بقليل من العناية والدربة ... حتى لاتسلم بأنها من عمل الصدفة والاتفاق by chance أو Par hasard خصوصاً وقد عرف السعادة من قبل بأنها فاعلية النفس بما يطابق الفضيلة ، وهل الغرض من السياسة أن تقوم على تكوين نفوس المواطنين تكويناً يؤدى بهم الى السعادة — وان الفاعلية عنده لتقترن بالسعادة اقتراناً لانستطيع معه ان نقول عن الحيوان أو الطفل أنه سعيد لخلوهما بعد من هذه الفاعلية ، وشرطها السعادة اذن هما تمام الفضيلة وكمال الحياة ، ولا يعنى أرسطو بكمال الحياة انتظار الموت للحكم بالسعادة كما يقول الشعراء ، أو الخوف والاشفاق من تقلبات الدهر وآلام الشيخوخة وحظوظ الأبناء والاحفاد — فان من هذه مايدوم حتى بعد الموت ، ولو أقمنا لها وزناً فى الحياة لوجب أن تكون كذلك بعد الممات (ب ٧ ف ١٤) كما أنه من الحق عنده أن تقول عن الشخص بعد موته ، لقد كان فلان سعيداً ، ولا نملك أن تقول عنه أثناء حياته : انه سعيد ، مخافة أن تتبدل به الحال بعد ، وخشية أن يظن بالسعادة أنها شيء ثابت لايتغير ، وأن حظوظ الناس من السعادة قلب لاتستقر (ب ٨ ف ٢) وأصحابها مهددون بزوالها بما لايستطيعون دفعه أو رده من القضاء (ف ٣) — انما يريد أرسطو أن يكون للافعال الفاضلة وحدها الحكم بالسعادة (ف ٤) مادامت هى أكثر الاشياء الانسانية ثباتاً وبقاء ، وانها بالتالى أشمرها اعلاء لقدر أصحابها وهم المحظوظون الحقيقيون — الذين يتحملون بعد اذ تحلوا بها صروف العصر وأحداث الزمان بما يليق بهم من التسليم والرضا مع الكرامة والاباء ، بل ان هذه الاحداث مهما حلت ؛ أو المصائب مهما عظمت ، لن تزيد الفضيلة الا بهاء وجلاء ... اذهى محك النفس العالية الكبيرة (ف ٧) والرجل الحكيم هو الذى يواجه تقلبات الدهر دون أن يفقد شيئاً من كرامته ، بل يستفيد بها فى اسعاد نفسه رغم مافيها من شقاء (٨ ، ٩) بمعنى أن يسير على مقتضى الفضيلة الكاملة فى حدود الخيرات الخارجية اللازمة (١٠ — ١١)

ولا يستطيع أرسطو أن يدع مسألة منغصات الحياة المتعلقة بالخلف دون أن يعود إلى توكيد أهميتها فى فصل خاص بها فيقرر

أنه إذا كان ما يحدث بنا يمسنا مساً خفيفاً أو عنيفاً ؛ فطبيعي أن يكون ذلك صحيحاً بالنسبة لمن نحب — إلا أنه كما يوجد فرق بين المآسي الواقعية والقصص الدرامية الخيالية؛ كذلك يكون إحساسنا بالمصائب أقوى في الحياة منه بعد الموت . وإذا صح أن يكون للموتى إحساس بما يجد أبناؤهم من سعادة أو شقاء فلا بد أن يكون الإحساس ضعيفاً في ذاته أو بالنسبة لهم — وعلى أى حاليه لا يستطيع أن يغير من سعادة الموتى أنفسهم أو شقائهم . فذلك ما يجب أن يكون لهذه المصائب من أثر علينا في حياتنا .

بعد هذا يبحث أرسطو فيما إذا كانت السعادة جديرة بالمدح والثناء أو الإعجاب والاحترام ، فيرى أن الممدوح لا يُمدح لذاته بل لشيء آخر يتصف به أولى بالتقدير والحمد ؛ حتى لو كان هذا الحمد موجهاً للآلهة لما يقوم حينئذ من العلاقة بينهم وبين الذى يمدحونهم أو الأشياء التى يُمدحون من أجلها، فما هو كامل بذاته ولا علاقة له بغيره لا يمدح بل يكون موضع إعجاب وتقديس . وعلى هذا فمن الممكن أن نمدح الفضيلة لأنها تعلم فعل الخير، أما السعادة فنحترمها ونقدرها في ذاتها لأنها مبدأ كامل وغرض أسمى لكل ما نعمل ؛ وما كان كذلك وجب احترامه وتقديسه .

وفى الفصل الختامى من الكتاب الأول يمهد أرسطو لدراسة الفضيلة التى هى موضوع الكتاب الثانى كله . فمقتضى تعريفه للسعادة بوصفها فاعلية النفس بما يطابق الفضيلة يحتم عليه دراسة هذه الفضيلة. والفضيلة هى ما يجب أن يشتغل به رجل الدولة (السياسى) الحقيق بجعل الناس فضلاء . تذكرون هنا ما سبق لأرسطو منذ الفصل الأول من ربط بين الأخلاق والسياسة، ولكم ألا تُقروه هنا على جعل مهمة السياسيين تعليم الناس الفضيلة بما لهم من سلطة القانون . على أن أرسطو حين يدرس الفضيلة الإنسانية (١١ ف ٥) وفضيلة النفس بالذات التى يجب على السياسى فى نظره أن يُلِمّ بمعرفتها كما يتخصص كل امرىء فى ميدان عمله (ف ٧) .

وفى بقية هذا الفصل يعرض أرسطو إلى تقسيمه الثلاثى للنفس الإنسانية إلى نباتية وحيوانية وعاقلة كما وردت فى كتابه « فى النفس » (l'ame) ولما كان التقسيم الأفلاطونى للمكات النفس إلى شهوية وغضبية وعاقلة . وتشبيهه لها بالعربة ذات الجوادين (الشهوة والإرادة) يقودها (العقل) لا ينحرف بها أحد الخيل إلى يمين أو شمال (فى محاورة فيدروس الجمهورية وغيرها) ... لما كان هذا التقسيم الأفلاطونى أدنى إلى بيان مهمة الأخلاق وضرورة تغليب العقل على الإرادة والشهوة — فإن أرسطو — يخلطه بتقسيمه خلطاً بيناً . ولن يعسر عليك أن تدرس النظريتين فى مصادرهما وفى بعض الكتب التى عرضت لهما ، ثم أن نجمع بينهما لكى نقف على فكرة أرسطو .

ولا غنى لك — وقد فرغت من الكتاب الأول — أن تكمل معرفتك بنظرية الخير والسعادة الأرسطية بتصفح الكتاب الثانى فى الفضيلة كما يراها أرسطو ، وبقراءة الكتاب العاشر والأخير من المجلد الثانى للوقوف على فكرة السعادة كما يجب أن يفهمها الفيلسوف .

كمال دسوقي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

هل تقدم الأدب في ربع القرن الأخير :

أشرت في الأسبوع الماضي إلى المناظرة التي جرت في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية ، وكان موضوعها « تقدم الأدب تقدما مرضيا في ربع القرن الأخير » أيد الرأي الدكتور أحمد أمين بك ومعالي الدكتور طه حسين بك ، وعارضه الدكتور محمد عوض محمد بك ، وكان يدير المناظرة ويقدم المتحدثين الدكتور محمد صلاح بك وزير الخارجية . ولا شك أن حرص الوزيرين على حضور المناظرة — وكان ذلك في اليوم الثاني لتأليف الوزارة — كان مثلا رائعا للشعور بالتبعة الأدبية . ولك أن تعتبر اشتراك وزيرين في مناظرة أدبية عامة دليلا مؤيدا للرأي وهو تقدم الأدب في هذه الفترة .

بدأ الدكتور احمد أمين بك فعرض الموضوع عرضا حسنا وفصله تفصيلا شافيا ، استعرض أنواع الإنتاج الأدبي وقارن كلا منها بما كان عليه قبل هذه الفترة وما صار إليه ، فالمقالة كانت إما مترجمة بتصرف أو بغير تصرف ، أو مقالة إنشائية يغلب عليها البديع اللفظي ، وبعض المقالات كانت على حالة شبه بدائية ، وحتى الكتاب المعاصرون كانوا لم ينضجوا بعد ولو قارنا بين ما كانوا يكتبونه وبين كتابتهم الحالية وجدناهم خطوا خطوات واسعة نحو التقدم ؛ والآن قد أصبحت المقالة ناضجة ، غزرت معانيها وتدفق أسلوبها

والقصة : لم تكن موجودة ، شاهدنا تمثيليات شوقي وقصص تيمور والحكيم وناشئة الأدب . وقد كانت القصص كلها مترجمة فصار لنا قصة مصرية تتعرض لمشاكلنا وتتحدث عما يجرى في حياتنا .

وأما الشعر فإنه يقال إنه انحط ولم نعد نرى مثل شوقي وحافظ ومطران ، ولكن الحق أن شعر أولئك الشعراء الراحلين على جودته ووفائه بأغراضه في عصره أصبح غير ملائم لهذا الزمن . وقد جد بعدهم شعراء لم يبلغوا بالشعر ما يرجى ولكنه ساروا على نهج آخر ، فلا مديح ولا هجاء ، يتغنون للمواطف لا للمعدة ، وقد التزموا وحدة القصيدة ، وتحرر بعضهم من التزام القافية ؛ فإذا لم يكن من الوليد ما يرضى فحسبنا أن نودع شيخا ونستقبل وليدا .

وأما الدراسة الأدبية فهي وليدة الجامعة المصرية ، كانوا يترجمون للشعراء والأدباء كما يترجم «الأغاني» وغيره ، ثم صارت الدراسة تحليلية نقدية فيها جانب من العلم وجانب من الأدب .

وأما الأغاني ، وهي نوع من الأدب ، فأذكر أني كنت أذهب إلى تياترو ألف ليلة لسماع توحيدة ، وكنت أتخفى إذ كنت طالبا معمما من طلبة القضاء الشرعي ، فكنت أسمع منها كما كنا نسمع من غيرها أصواتا جميلة ولكن لا معنى للأغنيات نفسها ، لم يكن فيها شيء كالذي نسمعه الآن من أم كلثوم وعبدالوهاب ولا أبالغ إذا قلت إن الأغاني كانت كالموسيقى الصامتة .

هذه هي مظاهر التقدم في الأدب ، أما أسباب هذا التقدم فكثيرة، أهمها أن الأدب ظل للحياة الاجتماعية ، كما يقول تين ، وقد تقدمت الحياة الاجتماعية في الفترة الأخيرة تقدما ظاهرا فمن الطبيعي أن يتقدم ظلها وهو الأدب ، ومن هذه الأسباب أن أدبنا يعتمد على الأدب العربي والأدب الغربي ، وقد أكثرنا من نشر كتب الأول وزاد الاطلاع عليها ، كما ازداد الاتصال بالآداب الغربية ، ولذلك زادت ثقافة الأديب ، ومما زاد هذه الثقافة وعاها علم النفس وعلم الاجتماع .

وبعد ذلك وقف الدكتور صلاح الدين يقدم الدكتورعوض فعبر عن إشفاقه عليه لوقوعه بين الأديبين الكبيرين المؤيدين ، وقال إنه يذكر العبارة المأثورة عن المجمع اللغوي « شاطرومشطور وبينهما طازج » وكان جديرا بصلاح الدين بك أن يذكر أن هذه العبارة مما تندرت به بعض المجلات الهزلية على المجمع وليست مأثورة عنه .

وقف الدكتور عوض فقال : يظهر أن منظمي المناظرة

بحثوا عمن يستطيع أن يقف معارضا أمام هذين الفطحلين فلم يجدوا كبشا فيرى فقدمونى فداء ... وإذا كان (السندوتش) شاطرا ومشطورا بينهما طازج فإن بينهما الآن قطعة من الجبن

ثم دخل فى موضوع المناظرة فرد على بعض النقط ، قال : إن المتحدث الأول أتى بالشعر فى الآخر مع أن الشعر له المكان الأول فى الأدب العربى ، وأشاد بشعر شوقى وأشار إلى بعض قصائده مما لم يقل أحد مثله من بعده ، وحبذ التزام الوزن والقافية ، ومما قاله أن أدبنا الحديث أخذ ينمو منذ عصر اسماعيل ثم وقف فى العصر الحاضر . وأخيرا قال : إن المقال شىء قصير ليس فيه مجال للطاقة الأدبية ، وهو مع ذلك لم يتقدم ، اذكروا كاتبا ممن تقرؤون لهم الآن وتعجبون بهم : هل هذا الكاتب من إنتاج الزمن الماضى أو الحاضر ، فالعبرة بالمنتجين لا بالإنتاج .

وهذه ثانى مناظرة فى هذا الموسم أرى فيها الدكتور عوض بك فى الجانب الضعيف مضحيا بنفسه ... وقد يستحق الثناء على هذه « التضحية » ولكنى ألاحظ أنه لا يبذل مجهودا يذكر فى تقوية هذا الجانب ، بل هو يزيده ضعفا بالتفكه والدعابة فى غير صالح جانبه ، فيبدو ظريفا كما يبدو موضوعه ضعيفا . وأظن أن مما يحفظ التوازن فى المناظرات أن يتوخى فى اختيار المعارض أن يكون لديه باعث المحامى الذى يحرص على أن يظهر كفايته فى القضية التى يتصدى للدفاع فيها عن جانب يحتاج إلى مجهود .

ثم نهض الدكتور طه حسين بك ، وكان يبدو متعبا ، وكان هذا طبيعيا لعنائه فيما لابس ابتداء عهد الوزارة فى ذلك اليوم ، ولكنه مع ذلك تحدث حديثا طيبا ممتعا كعادته ، قال إن وجود عوض نفسه ينقض ما قاله ، لأنه حديث وليس ممن أنضجهم العصر الأول ، فهل هو ينكر نفسه ؟ إذا كان يفعل فنحن لا نوافق لأننا نقرأ له ما يعجبنا ؛ وقد مضى الوقت الذى كان يؤرخ الأدب فيه بالزمن ، وإنما يؤرخ بالحوادث والمهمات وإن شوقى بمدعودته من اسبانيا واستلهامه صورا جديدة جمل الشعر العربى لغة للتمثيل ، وهذا من ثمرات ربع القرن الأخير . إننا نجد فى هذه الفترة جديدا لم يكن ، نجد تيمور وتوفيق الحكيم ، ونجد كثيرا من الأدباء المعاصرين

كشكول الأسبوع

□ صدر أخيرا ديوان « أنفاس محترقة » للاستاذ محمود أبو الوفا ، وقد تصفحته مغتبطا به وهو يحمل إلى عبق هذه الشاعرية التى صهرت الحياة معدنها النفيس وأشعل الألم عودها الطيب ، فأطربنى وأمتعنى ما فيه من شعر حى نابض جيل . وقد حرصت على وضع هذا الديوان قريبا من يدى لأعاود المتعة بقراءة شعره فيما أرجو من أطيب الأوقات .

□ كان معالى الدكتور طه حسين بك يستقبل المهنئين فى الوزارة ، وفجأة أمسك بيد أحدهم قائلا له : لقد سلمت منذ قليل ! وتوجه إلى دار معاليه جماعة من هيئة التدريس فى كلية الآداب كانوا يعارضون فى ندبه لإلقاء محاضرات بالكلية ، وهم من صنائعه . . ولما رآهم قادرهم بقوله : أقبلتم حين أقبلت !

والمؤسف أن تكون هذه أخلاق بعض من يقال إنهم من أهل العلم .

□ قرر معالى وزير المعارف نقل الدكتور زكى مبارك من دار الكتب إلى تفتيش اللغة الفرنسية بوزارة المعارف مع ترقيته إلى الدرجة الثالثة . وليست هذه الترقية إلا حقا للدكتور زكى حرم إياه من قبل .

□ ويهتم الآن معالى الوزير باستئناف النشاط الثقافى فى السودان ونشر معاهد التعليم المصرية هناك ، ويعمل على تذليل ما كان قد أثارته الحكومة السودانية من العقبات فى هذا السبيل .

□ نشرت مجلة « رسالة الباكستان » التى تصدر فى القاهرة ، أن الباكستان احتفلت بالذكرى الألفية لابن سينا يوم ٢٢ ديسمبر الماضى .

□ تحضر إلى مصر فرقة موسيقية نمسوية تتألف من نحو مائة موسيقى ، وستحيي حفلاتها فى سينما ريفولى . وقد تفضل جلالة الملك فشمل حفلات هذه الفرقة برعايته الملكية السامية .

□ ثار موظفو محطة الإذاعة وقدموا استقالاتهم لأسباب تتعلق بوظائفهم وترقياتهم ، فأرضاهم المسؤولون فى المحطة بالعمل على تلافى هذه الأسباب . ولكن بقى الجمهور ... وهل يضرب عن سماع برامج الإذاعة حتى يهتم المسؤولون بتحسينها ؟

□ ولعل مما يبعث الأمل أن نرى اهتمام معالى الدكتور حامد زكى وزير الدولة بشئون الإذاعة المصرية وقد طلب أن يزود بجميع البيانات والحقائق الخاصة بالإذاعة ، تمهيدا لوضع أساس جديد وإصلاح شامل فيها .

□ يقترح بعض اللغويين أن يطلق على الإذاعة المصرية « أذاع » بضم الهمزة على وزن فعال ، وهى صيغة الأدواء والأمراض كصداع وزكام ، فيقال مثلا : أصبت بأذاع ، أى سمعت الإذاعة المصرية .

الذين يشغلون حياتنا الأدبية وهم من إنتاج الفترة الأخيرة . وقد نضجنا حقا كما قال الدكتور أحمد أمين وتطورت أنواع إنتاجنا. كانت حياتنا محدودة الآفاق مفقودة الحرية ، ولا أقصد الحرية الخارجة عن الإرادة من ضغط ورقابة وتقييد ، بل أقصد حرية العقل حين تتسع آفاقه فلا يخشى من نفسه حين يفكر فيما يريد وقد شذ عن مقتضيات البيئة أمثال البارودى وشوقى وحافظ ثم قال الدكتور طه : هذا كله شىء والرضا عن الأدب الحالى شىء آخر ، فالحياة الأدبية أخص ما يميزها أنها لا ترضى عن نفسها وليس أخطر على الأدب والفن من الرضا ، فإذا نظرنا إلى الآماد التى أمامنا لا نرضى عن أدبنا ، ولكنى أرضى لأننا فى الطريق وإن كنت لا أقنع بالأدب الحاضر .

التقدم فى الفنون الجميلة :

وكانت مناظرة هذا الأسبوع بالقاعة الشرقية أيضا موضوعها « ما حققته مصر من التقدم فى الفنون الجميلة » واشترك فيها محمد حسن بك وسليمان نجيب بك والدكتور محمود الحفنى والأستاذ عبد الرحمن صدقى . ولم تكن مناظرة بالمعنى المعروف بل كانت حديثا موزعا ، إذ اختص كل منهم بالكلام على التقدم فى ناحية من نواحى الفنون الجميلة . فتكلم محمد حسن بك عن التصوير والنحت ، قال إن مصر أحرزت تقدما محسوسا فى ربع القرن الماضى فى هذه الناحية ، فلم يكن يهتم بها إلا القليل ، وكانت مادة الرسم ثانوية فى برامج التعليم فأصبحت أساسية ، وصار للفنون الجميلة معاهدها العالية ، وصار لمصر فنانون يعرضون أعمالهم فى المعارض داخل البلاد وخارجها ، ونما الإحساس الفنى لدى الجمهور فأقبل على ارتياد المعارض الفنية ، وأشار إلى المناصب الفنية ، التى كان يشغلها الأجانب كالعمداء والأساتذة فأصبح هؤلاء مصريين .

وتحدث سليمان نجيب بك عن التمثيل والسينما أو كان المفروض أن يتحدث عنهما ، ولكنه شغل الوقت بالحديث عن التمثيل فى عهده الأول أيام الشيخ سلامه حجازى وجورج أبيض حتى وصل إلى مسرح رمسيس ونجيب الريحانى ، وكل ما قاله عن التمثيل فى ربع القرن الأخير أنه تقدم فى فن الإخراج .

وتناول الدكتور الحفنى الموسيقى فقارن بين حاليها فى ربع القرن الأخير وما قبله ، فقال إنه لم يكن هناك فن موسيقى مختص به موسيقيون محترمون ، فكنت تقرأ على دكان فى شارع محمد على «دخاخنى وموسيقى » وعلى دكان آخر ببولاق « فطاطرى وعواد » وكان أكثر الموسيقيين متسكعين ، ولم يشذ إلا بعض الأفذاذ . وكانت الموسيقى تذكر مقرونة باللهو والفساد فأين أمس من اليوم ؟ لقد صار بالبلاد معاهد ومدارس خصصت للموسيقى ودراسة علومها وفنونها وآلات عزفها ، واعترفت الدولة بمكانة الموسيقى ، وأصبحت من مواد الدراسة فى مختلف المدارس ، وصار لها مراقبة عامة فى وزارة المعارف ، وتعددت المصنفات والمجلات الموسيقية ، وبين الدكتور الحفنى آثار الأفلام والتسجيل الصوتى والاذاعة فى نشر الموسيقى وتيسيرها لكافة الناس .

ثم جاء دور الأستاذ عبد الرحمن صدقى فقال إنه يتكلم على الفنون باعتباره فرداً من الجمهور يقول كلمته فى مواجهة أصحاب الفنون . وانصبت فكرته على أن تقدم الفنون فى الكم أكثر من الكيف ، وذلك أنه لا يوجد فى هذه الفترة أساتذة فى الفنون لهم خصائص بارزة كما كان فى العهد الماضى ، وأن ذلك يرجع إلى أن الفنانين يتجهون إلى الجمهور بحكم انتشار الروح الديمقراطى ، فلا تراهم يحرصون على الإتقان الفنى المثالى بمقدار ما يحرصون على إرضاء أذواق الجماهير . ولا علاج لهذه الحال إلا بما يرجى من تقدم التعليم وانتشار الثقافة حتى يرتفع المستوى الذوقي لدى الجمهور .

وفيما عدا كلمة الأستاذ عبد الرحمن صدقى نجد أن حضرات المتحدثين وجهوا كل همهم إلى الشكليات ولم يبينوا جوهر التقدم فى الفنون ، وإن كان الدكتور الحفنى ألم إلى شىء من ذلك فى الموسيقى .

جمعية مصر — الباكستان :

يفكر بعض الشخصيات المصرية والباكستانية بالقاهرة فى إنشاء جمعية « مصر — الباكستان » تعزيزاً وتوطيداً لروابط الأخوة بين البلدين ، وتكون مركزاً لا لتقاء ألوان الثقافة والتعاون العلمى بينهما ، ومن الشخصيات المصرية البارزة التى رحبت بالفكرة محمد حسن العشماوى باشا وصالح حرب باشا ومحمد على علوبة باشا والأستاذ جلال حسين . والفكرة جديرة بالترحيب فى مصر جمعيات مماثلة شكلا كرابطة « مصر — أوربا » وكان بها فى أيام الحرب الاتحاد المصرى الانجليزى . ولا شك أن أغراض هذه الجمعيات حقيقية بالاهتمام بها والاتجاه إليها ، بصرف النظر عما لابس الاتحاد المصرى الانجليزى من اعتبارات لم تكن فى صالح الجانب المصرى .

ومهما يكن من شىء فإن الروابط بين مصر والباكستان

باعتبارها أمتين إسلاميتين كبيرتين أتوى من صلات مصر بأمم الغرب ، وهذه حقيقة ثابتة فى النفوس ولكنها تحتاج إلى تمهيد وتنظيم ، ويرجى من الجمعية المنشودة أن تكون أداة لذلك وأن تتخذ من النشاط الثقافى دعامة التوطيد والتدعيم .

ويرى أصحاب الفكرة — وهم على حق فيما يرون — أن الهيئات الرسمية مصرية وباكستانية ينبغى لها أن ترعى هذه الجمعية وتعينها على أهدافها ومن الإنصاف أن نذكر فى هذا الصدد الجهود الموفقة التى تبذلها السفارة الباكستانية ومكتب صحافة الباكستان بالقاهرة فى النواحى الاجتماعية والثقافية ، وأقصد بذلك الاجتماعات والاحتفالات التى تقيمها فى المناسبات الاسلامية والتى يتجلى فيها شعور المودة ويشاد فيها بالمثل الاسلامية التى تجمع الشمل وتوحى بالتعاون لتحقيق الغايات . ويؤسفنى أن أذكر توانى وزارة المعارف والازهر فى الاستجابة للرغبات الباكستانية التى تقدم بها سعادة على بة باشا سفير مصر فى الباكستان إلى الحكومة المصرية ، إذ كتب منذ عام تقريرا ذكر فيه إقبال الباكستانيين على تعلم اللغة العربية والثقافة الاسلامية وأنهم يعدون العربية لغة ضرورية لفهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية وللتخاطب مع الأمم الإسلامية والعربية . واقترح فى تقريره وسائل تحقيق ذلك وهى تنحصر فى العون العلمى من وزارة المعارف والازهر . وقد قضت هذه المقترحات عاما من عمرها فى الكهف ... وأرجو ألا يطول بها السبات .

عباس خضر

ديوان الأمير تميم الفاطمى

للاستاذ محمد حسن الأعظمى

تقوم دار الكتب المصرية الملكية الآن بطبع ديوان الأمير تميم ابن المعز لدين الله الفاطمى بأنى القاهرة ومشيد الأزهر . وهذا الديوان كنز من كنوز الأدب الغالية استطعت أن أستخرجه أولا من مكتبة الفاطميين المحفوظة فى الهند لدى خلفائهم وورثتهم وهم أحفاد أولئك الذين حملوا تراثا وفيرا من العلم والأدب إلى هذه الأقطار بعد انهيار الدولة الفاطمية فى مصر وتغلب الدولة الأيوبية على البقية الباقية منها . وقد عاش هذا التراث بين جبال اليمن عدة قرون ، ثم رأى هؤلاء الحافظون لتركة الفاطميين أن يغتربوا بها فى أرض لا يعرف أهلها العربية . وذلك لكى يبقى هذا الكنز بعيداً عن متناول الأيدى ، مجهول القيمة والقدر حتى لايفطن إليه أحد فيصيبه ما أصاب غيره من الكنوز التى تبددت بين تلاعب الأيدى وعبث الرواة وتحريف الناقلين . وقد دفعنى شغفى بالبحث وحبى للاطلاع إلى أن أجوب معاهد الهند ومكاتبها الموزعة بين طوائفها المختلفة . ولم يكن يعنينى من ذلك كله سوى محاولة العثور على وثائق تاريخية أو أدبية يفيد منها المعنيون بالدراسات الاسلامية . وكانت مملكة الفاطميين الصغيرة فى الهند إحدى المناطق التى زرتها واختلفت إليها وأمكننى أن أستنسخ منها عددا من المخطوطات الهامة والكتب العلمية الأثرية مما صنفه ملوك الفاطميين ووزراء الدعاية فى دولتهم ؛ فمن منثورها محاضرات المؤيد الشيرازى الثمانمائة التى ألقاها بالأزهر منذ ألف عام وهى نماذج رائعة فى الأدب الكلامى وبلاغة النثر العربى والحوار المنطقى والفلسفى ومن منظومها ديوان هذا الأمير الذى يتكنى باسمه المعز لدين الله إذ يقال له ابو تميم وكان لهذا العاهل الفاطمى الأول فى مصر ابنان أكبرهما تسنم دولة الشعر ، وكان أصغرهما ولى عهد أبيه وهو العزيز بالله .

وقد أتيح لى أن أراجع ديوان تميم هذا على سبع نسخ مخطوطة أخرى . ثم كان لزاما على أن أقوم بشرح وتعليق لبعض المصطلحات والألفاظ الغريبة وأن أضع للكتاب مقدمة مسهبة تكشف النقاب عن تسلسل هذه الدولة الفاطمية إلى أن شكلت حكومتها فى القاهرة .

أما الديوان نفسه فهو قبل كل شىء صورة من الأدب المصرى . فيه الخصائص المصرية بقدر ما فيه من الخصائص العربية فهو شاعر مصرى صميم ، وإن لم يكن مصرى المولد والنشأة والتربية يرى المتتبع هذا الديوان أسماء لمواطن وأوصافا لجهات معروفة بالقاهرة وضواحيها حتى اليوم ، كما يكشف هذا الكتاب عن الحالة الأدبية فى العصر الفاطمى وكذلك المذاهب الاسلامية والحوار المذهبى فى ذلك العهد . والاحتفاظ بهذا الديوان ضرورى للتاريخ والأدب المصريين ولاسيما إذا عرفنا أن العصر الفاطمى قد ذهبت آثاره وانطوى سجل التاريخ على مخلفاته . فلم يفتح الا على القليل منها . فقد تقرأ فى المصادر التاريخية أن مائة من الشعراء هنأوا أو رثوا أو مدحوا أحد الخلفاء الفاطميين . ثم لا تجد هؤلاء الشعراء ولا أشعارهم فقد أحرقت مكتبات وضاع بعضها بين عوج الحوادث وأعاصير الانقلاب السياسى . فكل ورقة نعثر عليها الآن تعد ذات قيمة غالية بالنسبة لموضوع الأدب المصرى بالذات . وهذا

هو الذى دفعنى لتقديم الكتاب إلى الحكومة المصرية بمناسبة العيد الألفى للقاهرة والأزهر .

وقد عينت الحكومة منذ اثنى عشر عاما لجنة من أعلام الأدب فى مصر لمراجعة هذا الديوان . ثم انتهى الأمر باقرار طبعه ونشره وتولت دار الكتب القيام بذلك . ولم يحل دون إتمام الطبع وانجازه سوى أزمة الورق أثناء الحرب الأخيرة . وكانت تلك اللجنة الموقرة مشكلة من الدكتور عبد الوهاب عزام بك والدكتور طه حسين بك والأستاذ احمد أمين بك .

ولما عدت إلى القاهرة لتشكيل فرع المؤتمر العالم الاسلامى الدائم رأيت أن أضيف إلى عملى لخدمة الاسلام جهداً أدبياً آخر وهو أن أذكر إدارة دار الكتب بمعاودة العمل على نشر ديوان تميم . وقد أبدت دار الكتب نشاطا ملحوظا فى استئناف طبع الديوان وقطعت فى ذلك شوطا كبيراً. ولعل فى هذا ما يبعث الطمأنينة إلى من ينتظرون صدور هذا الكتاب . سواء أ كانوا من الحريصين على ترقب كل جديد من الأدب المصرى . أم كانوا من طلبة كلية الآداب باعتباره مادة من موضوع الأدب المصرى ومثالا من أنتاج القومية المصرية . فأنى أول من يرى فى هذا الديوان ظاهرة جديرة بالنظر وهى أن تميم مع كونه نشأ فى بلاد المغرب وتلقى ثقافته الأولى فى مهد آبائه وأجداده نراه ما يكاد يحل بمصر حتى تصبح وطنه وأنشودة آماله وأغنية أحلامه وقبلة تفكيره . فكأنه قد نسى كل شىء فى وجوده ليذكر شيئاً واحداً هو أنه فى مصر التى يعيش بها ويترجم عن حبه لها وشعوره بجمال الحياة فيها .

وإلى أن يجد القارىء هذا الديوان منشوراً ، فأنى أضع بين يديه هذه النماذج دون تعليق أو شرح استكمالا لهذه العجالة القصيرة التى قدمتها للتعريف بتميم .

قال يرثى والده الخليفة المعز لدين الله الفاطمى :

كيف لا تعدم الجسوم القلوبا
وترى نضرة الوجوه شحوبا

فقدوا بعدك القلوب اللواتى ... شقها واجب فشقوا الجيوبا
وامعزاه وامعزاه حتى ... يغتدى الدمع بالدماء خضيبا
فليذق غيرى الحياة فانى ... لا أرى للحياة بعدك طيبا

وقال يذم الدهر :

أفنيت دهرك تتقى فيه الحوادث والمصائب
ولو اتقيت معاصى الرحمن فيما أنت راكب
لأمنت من نار الجحيم وفى الحياة من النوائب
إن لم تراقب من له ... حكم عليك فمن تراقب

وقال يفتخر على ابنى العباس :

أقروا لنا يا آل عباس بالملا ... فلستم لحايا آل عباس أكسبا
سبقنا كم للدين والهجرة التى ... تأخر عنها جدكم وتحجبا
وكنتم بنى عم النبى محمد ... وكنا بنيه وهو كان لنا أبا
وليس بنو أعمامه فى دنوهم ... كمثل بنيه خلطة وتنسبا
نباجدكم عن نصره يوم بعثه ... وجد على جدنا عنه مانبا

وقال فى الزهد :

يا عجبا للناس كيف اغتدوا ... فى غفلة عما وراء الممات
لو حاسبوا أنفسهم لم يكن ... لهم على احدى المعاصى ثبات
من شك فى الله فذاك الذى ... أصيب فى تمييزه بالشتات
يحييهم بعد البلى مثل ما ... أخرجهم من عدم للحياة

وقال يمدح الخليفة المعز لدين الله ويهنئه فى يوم عيد :

ألا كل يوم من زمانك عيد
وهل فوق اشراق الضحاء مزيد

ليهنك أن الله فوقك مالك ... ودونك كل المالكين عبيد
وقد شرد الله الاعادى بالضنى ... وأعقب نار الحادثات خمود
وللناس آمال ضروب وأنفس ... تسوق إلى أوطارهم وتقود
وليس لنا إلا عليك معول ... وليس لنا إلا اليك محيد

وقال يمدح الامام العزيز بالله وهى أول قصيدة قالها فيه عام ٣٦٥ ﻫ .

ما السيف أمضى منه فى عزمه ... فى غمده اذ سل من غمد
يا أيها البدر الذى جده ... محمد أكرم من جد
ويا عزيزا هو عز الهدى ... والدين والدنيا بلا جحد
يا ليت خدى لك أرض فما ... آنف أن تمشى على خدى

وقال أيضاً :

دعا دمعهن فراق فجادا ... وأعجلهن التنائى فزادا
فلم أر دمعاً كأدمعهن ... يهيض الحشى ويذيب الفؤادا
ولما تيقن أن الفراق ... يزود عشاقهن البعادا
تأولن أن لباس الحداد ... أحق بمن صير الحزن زادا
فنشرن ماقد طوت خمرهن ... ليلبسن شعر النواصى حدادا
ولولا مراعاة عين الرقيب ... لبسن الثياب جهارا سوادا

محمد حسنه الاعظمى
عميد كلية اللغة العربية بالباكستان



القبلة

بقلم الأديب أحمد بدران

«قصة ملخصة عن أنطون تشيكوف»

في الساعة الثانية من مساء العشرين من مايو ، كانت ست فرق من المدفعية في طريقها إلى معسكراتها ، فتوقفت لقضاء الليل في قرية « مستشكو » وبينما كان بعض الضباط منشغلين بنادقهم وآخرون قد تفرقوا في الميدان يستمعون لأوامر القيادة العليا . أقبل فارس بملابس مدنية من وراء الكنيسة واقترب من بعض الضباط وقال وهو يرفع قبعته « إن صاحب السعادة الجنرال فون رابك المقيم هنا يسره أن يدعوكم لتناول الشاي » ثم رفع قبعته مرة ثانية ومضى وراء الكنيسة .

وزمجر بعض الضباط « عندما يرغب المرء أن يأوي إلى فراشه يأتي هذا الفون رابك ودعوته . إننا نعرف معنى ذلك » وتذكر كل ضابط من الفرق الست حادثة وقعت لهم في العام الماضي أثناء المناورات عندما دعاهم وضباط إحدى فرق القوساق لتناول الشاي وكيف قابلهم الكونت بحفاوة فائقة وأصر على أن يقضوا الليل في منزله . وكان هـذا منه جميلا . ولم يكونوا يرغبون في أكثر من ذلك . لولا أن الكونت كان شديد الاغتباط بصحبة هؤلاء الشبان فظل حتى مطلع الصبح وهو يثقل عليهم بحوادث ماضيه السعيد ويقودهم من حجرة لأخرى ليريهم صوره الثمينة ولوحاته النادرة ، ويقرأ عليهم خطابات تلقاها من مشاهير الرجال . وكان الضباط المنهكين يشاهدون ويستمعون وهم في شوق إلى مضاجعهم . وظلوا يخفون تثاؤبهم وراء أكفهم وعند ما تركهم مضيفهم في النهاية كان الوقت متأخراً جداً للنوم .

هل يختلف فون رابك عن ذلك ؟ على أي حال لم يكن بد أن يغتسل الضباط ويرتدوا ملابسهم ويذهبوا إلى منزل الجنرال وكان في المقدمة لوبتكو الملازم وهو طويل القامة عريض المنكبين حليق الشارب في الخامسة والعشرين رغم أنه يبدو أصغر من ذلك . له شهرة في كل السلاح أنه يحس وجود المرأة في أي مكان عن بعد ، وتلفت حوله ثم قال « نعم إني واثق أن هناك بعض النساء ، إنني أحس ذلك بالسليقة »

وعلى باب المنزل قابل فون رابك الضباط بنفسه وكان رجلا وجيهاً في الستين يرتدي ملابس مدنية ، وقال وهو يصافح ضيوفه أنه يسره ويسعده أن يلقاهم وسألهم المعذرة إذ لم يدعهم لقضاء الليل إذ حضرت أختاه وأولادهما وأخواه وبعض الجيران ولذا فليس هناك حجرة واحدة خالية ، وقد لاحظ الضباط أن الرجل ليس شديد الاغتباط بوجودهم ويبدو أنه ما دعاهم إلا مراعاة لآداب اللياقة . وفي حجرة الاستقبال قابلتهم سيدة طويلة بوجه بيضاوي وحواجب كثيفة تشبه « الامبراطورة أوجيني ! » ورحبت بهم بابتسامة أنيقة . ولما دخل الضباط حجرة المائدة وجدوا مجموعة من الرجال والسيدات مختلفي الأعمار جالسين في ناحية من المائدة يتناولون الشاي . ومن خلف مقاعدهم كانت مجموعة من الرجال يحيطهم هالة من دخان السجاير ومن وراء هـذه المجموعة كانت تبدو خلال الباب غرفة أخرى ناعمة الإضاءة مؤثثة بأثاث أزرق قاتم ، وقال الجنرال بصوت مرتفع متكلفاً المرح « أيها السادة إنكم من الكثرة بحيث يستحيل أن أتولى تقديمكم فلتقدموا أنفسكم بطريقة عائلية » . وانحنى الضباط وبعضهم يتكلف الرزانة والبعض يغتصب ابتسامته وكلهم يشعر بعدم الراحة ، وجلسوا إلى المائدة ، وكان أشدهم قلقاً الضابط ريابوفتش وهو رجل قصير بوجه يشبه وجه القط وشواربه مهدّلة ويضع على عينيه نظارات ، وكان لا يستطيع أن يركز اهتمامه في شيء معين . فقد كانت الوجوه والملابس وزجاجات الخمر كلها تختلط في إحساس واحد مضطرب كأنه محاضر يواجه المستمعين لأول مرة ، وكان يرى الأشياء أمام عينيه لكن لا يدرك منها شيئاً (تلك حالة تعرف في الفسيولوجيا باسم العمى النفساني !) . ثم عاد إلى نفسه وأخذ ينظر فيما حوله . ولما كان خجولا ولم يعتد ارتياد المجتمعات فقد أدهشته جرأة معارفه الجدد ، فون رابك وزوجه وسيدتين كبيرتين وفتاة في ثوب بنفسجي وشاب في بذلة حمراء تبين أنه ابن رابك الأكبر ، هؤلاء وزعوا أنفسهم بمهارة بين المدعوين وبدءوا نقاشاً لا يستطيع الضيوف إلا أن يشتركوا فيه ، بينما تراقب عيونهم الأطباق والأكواب ليروا أن الضيوف يأكلون ويشربون ، وازداد ريابوفتش تقديراً لهذه الأسرة .

وبعد تناول الشاي انتقل الضباط إلى حجرة الجلوس ، ولم تخب فراسة الملازم لوبنكو فقد كان هناك الكثير من الفتيات والسيدات والشابات في الحجرة ، وكان الملازم الجسور يقف بجانب فتاة في رداء أسود منحنياً نحوها وهو يبتسم ويحرك كتفيه في رشاقة، ولا بد أنه كان يتحدث اليها في تفاهة مسلية لا شك فان الفتاة الجميلة كانت تنظر إلى وجهه المستدير وتجيب دائماً «حقيقة!؟» وبدأ بعضهم يدق على البيانو وكانوا في مايو والجو جميل ومنظر أشجار الحور والورد وأزهار البنفسج يبدو رائعاً .

ودعا فون رابك فتاة طويلة نحيلة إلى الرقص ودار دورتين أو ثلاثا في الحجرة فبدأ الرقص وتقدم لوبنكو إلى الفتاة ذات الثوب البنفسجي وقادها خلال الغرفة . ووقف ريابوفتش بجانب الباب مع الرجال الذين لا يرقصون ، يراقب ، فجاء فون رابك الابن ودعا اثنين من الواقفين إلى لعب البلياردو ، ويتبعه بعض الضباط ولما كان ريابوفتش بحاجة إلى شيء يعمله وكان يرغب أن يشترك بأي طريقة في المهرج العام فقد ذهب وراءهم . ومروا من حجرة إلى أخرى إلى أن دخلوا في النهاية قاعة البلياردو وبدأ اللعب ووقف ريابوفتش يراقب اللعب وأنه لم يلعب في حياته كما لم يرقص ، ولم يعره اللاعبون اهتماما ، فقط عند مايصطدم به أحدهم يقول له بأدب « معذرة » ولما انتهت الجولة الأولى بدا له بقاؤه غير مرغوب فيه فغادر القاعة .

وفي منتصف الطريق في عودته لاحظ أنه ضل السبيل فقد وجد نفسه في غرفه معتمة لا يذكر أنه مر بها في قدومه فمضى عائداً ثم انحرف إلى اليمين وفتح أول باب صادفه فوجد نفسه في غرفة مظلمة وإن كان يبدو من خلال بابها حجرة أخرى وضيئة وكانت النافذة مفتوحة تطل منها أفرع أشجار الحور ويفوح فيها عبق الورد والبنفسج ، ووقف ريابوفتش مرتبكا وفي هذه اللحظة سمع وقع أقدام تقترب بسرعة ثم حفيف ثوب وصوت امرأة ينبض بالعاطفة فهمس «أخيراً !» ثم أحس بذراعين بيضتين جميلتين تحيطان عنقه ، ووجنة دافئة على خده ثم صوت قبلة ، لكن في الحال صرخت المرأة صرخة مكتومة وبدا لريابوفتش أنها فزعت ولقد أوشك هو أن يصيح لكنه مضى مسرعاً ولما عاد إلى قاعة الجلوس كان قلبه يدق بسرعة ويداه ترتجفان حتى أنه أخفاهما وراء ظهره وتملكه أول الأمر شعور بالخجل والعار وبدا له أن كل واحد في الحجرة لابد يعلم أن امرأة قبلته وعانقته منذ لحظة ونظر حوله لكن لم يجد أحداً يلتفت إليه وكان كل من حوله يرقص ويغني ؛ لذا لذ له أن يستعرض مامر به ، كان عنقه الذي أحاطت به الذراعين الناعمتين يبدو كأنه بل بزيت وعلى خده بجانب أذنه اليسرى حيث قبلته الفاتنة المجهولة شعور جميل بالبرودة كتبخر النعناع ؛ وقد ملىء من قمة رأسه الى أخمص قدمه بشور غريب أخذ ينمو ويزداد كان يريد أن يرقص ويتكلم ويجرى في الحديقة ويضحك بصوت عال ، ونسى شعوره بالنقص ولما مرت به زوجة فون رابك تلمحها ابتسامة عريضة جعلتها تقف وتنظر اليه في دهشة فقال لها وهو يثبت نظارته ، إني أحب منزلكم حقيقة!» فابتسمت السيدة وقالت ان المنزل كان لوالدها ثم مضت تسأله إن كان والداه على قيد الحياة ، وكم مضى عليه في الخدمة وما إلى ذلك ؛ ولما مضت شعر ريابوفتش بالسرور وبأنه محـــاط بقوم كرام وابتسم، وفي العشاء أكل وشرب كل ماوضع أمامه، ولم يسمع شيئاً مما كان يقال بل كان يفكر دائماً في مغادرته المدينة ، لاريب أن فتاة أو سيدة قد واعدت شخصاً في الحجرة المظلمة ، ولما كانت مضطربة لأنها أطالت الانتظار فانها أخطأت وحسبته فارسها خاصة وإنه وقف مرتبكا لدى دخوله كأنما ينتظر شخصاً . على هذا الأساس فسر ريابوفتش القبلة التي نالها ، لكن من تكون هي ! وأخذ يدقق في ملامح الموجودات لابد أنها شابة فالعجائز لا يواعدن الرجال في الظلام !) ووقع نظره على الفتاة ذات الثوب البنفسجي بدت له جد جذابة لها كتفان وذراعان جميلان ووجه زكي وصوت جميل وقرر ريابوفتش أنها هي ولا يمكن أن تكون سواها ، لكنه لكنه وجد ابتسامتها متكلفة وكانت تحك أنفها الطويل الذي يجعلها تبدو كبيرة السن ، فنقل بصره إلى الفتاة ذات الثوب الأسود وكانت أصغر سناً وألذ بساطة ولها خدود جميلة وأراد أن تكون هي لكنه وجد ملامحها مستوية ، ونقل اهتمامه إلى جارتها ثم قال . لا يستطيع المرء أن يعرف ! فلو أخذنا الذراعين والكتفين من فتاة الثوب البنفسجي والوجنات من هذه الفتاة والعينين من تلك التي تجلس إلى شمال لوبنكو ... وفي خياله وضع نموذجا للفتاة التي قبلته

ويعد العشاء ، وقد امتلأ البيوت بالطعام والشراب. شكروا مضيفهم واستأذنوا فى العودة وقال الجنرال بحرارة هذه المرة «لقد سعدت بلقيا كم ياسادة (الضيوف الراحلين يعاملون بكرم أكثر من العاديين !) وأرجو أن تعيدوا الزيارة فى رجوعكم وخرج الضباط وكل منهم يفكر هل يملك يوما مثل هذا البيت وتكون له عائلة وحديقة ويباح له أن يدعو ضيوفا ولو من قبيل المجاملة وتجاملهم يخرجون راضين مغتبطين ، ولما وصلوا الى خيامهم خلع ريابوفتش ملابسه بسرعة وذهب إلى سريره وأخذ يفكر وهو ينظر إلى السقف إنى لأعجب من تكون ! — كان شعور الزيت مازال على عنقه والاحساس بالرطوبة حول فمه وخيال فتاة، لها كتفا ذات الرداء البنفسجى ووجنات ذات الثوب الأسود وخدها وملابس تلك وجوهراتها تلوح أبداً فى مخيلته وحين يغمض عينيه يسمع الخطوات المسرعة وحفيف الثوب وصوت القبلة وشعور عميق بالسرور يتملكه لم يفارقه حتى وهو نائم .

وفى الصباح غادرت الفرق القرية ، ولما مروا بمنزل فون رابك نظر ريابوفتش إلى المنزل وكانت الستائر مسدلة فلاريب أنهم مازالوا نائمين . وهى أيضاً نائمة . . . وتخيلها على فراشها وغرفة نومها ذات النافذة المفتوحة تطل منها غصون الحور وهواء الصبح المنعش ومنظر الورود والبنفسج ، والسرير ، وكرسى إلى جانبه عليه ثوبها الذى كانت ترتديه بالأمس وخفيها إلى جانبه . وساعتها على منضدة كل هذه الأشياء رآها بوضوح لكن الوجه ! كانت صورته تنزلق من خياله كالزئبق من بين الأصابع . ولما أوشكت القرية أن تختفى عن ناظريه شعر ريابوفتش بالأسى كأنه خلف فيها شخصاً قريباً اليه عزيزاً لديه ولما وصلت الفرق إلى مقصدها واستقر الضباط فى خيامهم جلس ريابوفتش مع لوبتكو ومرسليكوف يتناولون العشاء وكان مرسليكوف يأكل ببطء وهو يطالع جريدة على ركبتيه ولوبتكو يتكلم دون انقطاع ويعضى فى ملء كأسه بالخمر أما ريابوفتش فكان مازال غارقا فى أحلامه يأكل فى سكون لكن بعد أن شرب ثلاثة كؤوس أمضه الصمت وشعر برغبة ملحة فى أن يفضى إلى زميليه بعواطفه الجديدة فقال وهو يحاول أن يخفى تأثره ويجعل الصوت عادياً . . . حدثت لى حادثة مضحكة عند آل رابك ذهبت إلى غرفة البليارد كما تعلمون . . .

وابتدأ يقص الحادثة بتفاصيلها ودهش إذ لم يستغرق سردها إلا وقتاً قصيراً — أقل من دقيقة — وكان يظنها تستغرق الليل بأكمله . ولما كان لوبتكو كذابا جريئا فلم يكن يصدق أحداً لذلك ابتسم ابتسامة الشك . أما مرسليا كوف فقد رفع حاجبين دون أن يرفع نظره من الجريدة وقال .. حادثة غريبة ولا ريب . أن ترمى بنفسها فى أحضان رجل دون كلمة . لابد أن الفتاة عصبية على ما أعتقد ! . فوافق ريابوفتش قائلا . لاريب فى ذلك.. عندئذ بدأ ريابوفتش يقول .حدثت لى ذات مرة حادثة مماثلة كنت مسافراً إلى كوفنا فى العام الماضى وكنت فى الدرجة الثانية والعربة مزدحمة فاستحال على النوم . وناديت فراش القطار وأعطيته نصف روبل لحمل متاعى وأخذنى إلى عربة النوم.واستلقيت وتغطيت بملاءة ، وكان الظلام كثيفاً ، وفجأة شعرت بشخص يمس كتفى ويتنفس فى وجهى وأخرجت ذراعى وتحسست ذراعا ، وفتحت عينى فلم أكد أصدق فقد كانت سيدة بعينين سوداوين وشفتين قرمزيتين وأنف يتنفس بالحنان وصدر ناهد . . وهنا قاطعه مرسليا كوف بهدوء . . أستطيع أن أفهم أن الصدر كان ناهدا ، لكن كيف رأيت لون شفتيها وعينيها فى الظلام ؟! فأخذ لوبتكو يسخر من افتقار مرسليا كوف إلى الخيال ، وتضايق ريابوفتش وتركهما واستلقى على فراشه وعاهد نفسه ألا يكون فضفاضاً بعد الآن .

وابتدأت حياة المعسكر،وتتابعت الأيام متماثلة وكان ريابوفتش يفكر ويشعر ويتصرف كرجل يحب ، وحين يتحدث زملاؤه عن الحب والنساء كان يقترب ويستمع ويأخذ وجهه هيئة الجندى الذى يسمع قصة معركة خاض غمارها . وفى المساء إذا ما انتابه الأرق ، وفى ساعات الفراغ كان يستعيد منظر قرية مستشكو والمنزل العجيب درابك وزوجته التى تشبه الامبراطورة أوجينى والحجرة المطلة وماجرى فيها .

وفى الواحد والثلاثين من أغسطس صدرت الأوامر لفرقتين فقط بالعودة ، وكان من العائدين وفى الطريق كان مهتاجا كأنه عائد إلى مسقط رأسه ، ومرة أخرى اشتاق إلى منزل رابك ، وكان صوت داخلى (كثيراً مايخدع المحبين) يؤكد له أنه سيلقاها وبدأ يعجب كيف يحييها وماذا يقول لها ، هل نسيت كل شيء عن القبلة ، ولو حدث أسوأ ما يتوقع ولم يرها فإنه على الأقل سيمر بالغرفة المظلمة ويتذكر .

وعند الغروب بدت الكنيسة المعهودة فى الأفق ، ودق قلب ريابوفتش بسرعة ، ولم يعد يسمع حديث الضابط الراكب بجانبه ، وبشوق عظيم نظر إلى النهر يتدفق ، وإلى سطح المنزل ثم وصلوا إلى الكنيسة ، ونزلوا بالساحة وسمع أوامر القيادة وهو يتوقع من لحظة لأخرى أن يرى الفارس قادما ليدعوهم إلى بيت الجنرال ، ولكن مضى الوقت ولم يأت الفارس ... سيعلم رابك بعد قليل من الفلاحين بوصولنا وحينئذ يرسل الينا . هكذا قال لنفسه ، وشعر بالأسى واستلقى على سريره ثم قام ونظر من النافذة ليرى الفارس فى طريقه ولكنه لم ير شيئاً ثم لم يستطع كبح جماح قلقه فمضى فى الطريق متجها نحو الكنيسة ثم إلى منزل الجنرال واقترب من الحديقة وكان الظلام يلف المنزل والسكون مخيما ، وبعد انتظار نصف ساعة دون أن يسمع صوتا أو يرى شيئاً استدار عائداً ، وتوقف عند النهر ، وحدق فيه ، وكان القمر يرسل أشعة على صفحة الماء والأمواج تداعب صورة القمر كأنما تريد لتحملها إلى بعيد ، وفكر ريابوفتش « ما أحمقنى ! » ولم يعد الآن ينتظر شيئاً ، وبدت له حكاية القبلة ، وقلة صبره ، وآماله الغامضة وخداعه لنفسه ، بدا له كل هذا على حقيقته ؛ ولم يبد له غريبا أن الفارس لم يأت لدعوتهم ، وأنه لن يقابل الفتاة التى قبلته خطأ بدل شخص آخر ، بل على العكس يكون من الغريب أن يلقاها مرة أخرى !

وبدت له الحياة كلها مزحة كبيرة طائشة ، ورفع عينه عن الماء ونظر إلى السماء وتذكر مرة أخرى كيف أن القدر صورة امرأة مجهولة قد داعبه على غير انتظار ؛ واستعاد أحلام الصيف وبدت له حياته تافهة تعسة لا طعم لها .

ولما عاد إلى حيث وضعوا خيامهم لم يجد أحدا من الضباط هناك وأخبره جندى أنهم ذهبوا إلى منزل الجنرال فون رابك الذى أرسل لهم فارسا يدعوهم ، وأحس بالفرح لحظة لكنه خنق هذا الإحساس فى الحال ، وكأنما ليعاند القدر لذى أساء معاملته هكذا لم يذهب إلى منزل الجنرال بل مضى لينام .

احمد بدران

محكمة ملوى الجزئية الوطنية

اعلان بيع نشره ثانية فى القضية المدنية ٢٣٠٣ سنة ٩٣٦

انه فى يوم الأحد ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٠ من الساعة ٨ افرنكى صباحا بأودة المزايدات بسراى المحكمة

سيباع بطريق المزاد الجبرى العقارات الآتية بعد الكائنة بزمام البركة مركز ملوى ملك عرهان بنت على حسن شاهين المتوفاة وحل محلها على افندى مصطفى حمزاوى من المنشاه مركز ملوى وبيان العقار

١٥ ط بحوض البراموفيه ١ ضمن القطعة ١ بزمام البركة مركز ملوى مديرية أسيوط الحد البحرى حسين على ضمن القطعة بطول ١٢٤½ قصبه بعد استبعاد ٨ قصبه من الجهة الغربية البحرية والشرق عبر ترعة البدرمان ١ عمومى بطول ١١٧,٢٤ قصبه بعد ترك ٨ قصبه من الجهة الشرقية البحرية والقبلى عرهان بنت على حسن ضمن القطعة بطول ١٢٤½ والغربى فاصل زمام السواهمية بطول ١١٧,٢٤

١٥ ط فقط خمسة عشر قيراط

وهذا البيع بناء على طلب وصيفه بنت محمد منصور عن نفسها ووصية على ابنها القاصر كامل مهنى محمد جابر من السواهمية مركز ملوى المتخذة لها محلا مختارا مكتب حضرة الأستاذ عبد القادر افندى احمد ادريس المحامى بملوى

وبناء على حكم نزع الملكية والترخيص بالبيع الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٠ نوفبر سنة ٩٤ : وسجل بقلم كتاب محكمة المنيا الابتدائية الوطنية فى ١٢ - ١١ سنة ١٩٤٠ ، ١٦ - ٩٤١ موفاة لمبلغ ٤٣١٩,٢٠ والمصاريف

وهذا البيع قسما واحدا ويفتح مزاده على مبلغ ٨٠ج ثمانون جنيها مصريا

وكان محددا للبيع يوم ١٢ - ١ سنة ١٩٤١ وبها أوقفت الدعوى حتى الفصل فى دعوى الاستحقاق المرفوعة من مجلى مينا وقد فصل فيها بالرفض فى القضية ٢٠١٩ سنة ١٩٤١ وتأييد استئنافيا فى القضيه ٢٠٤ سنة ١٩٤٢ من المنيا وتحدد أخيراً للبيع يوم ١١ - ١ - ١٩٤٨ للنشر وبها تأجلت لجلسة ٢١ مارس سنة ١٩٤٨ لإجراء النشر قانونا وبها أستعيدت من الرول للنشر وتحدد للبيع أخيراً يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٠

جميع الأوراق وشروط البيع مودعه بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها فمن يرغب الشراء عليه الحضور فى الزمان والمكان المحدودين أعلاه ومن يرسى عليه الشراء يدفع الثمن فورا وإن تأخر ميعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق إن حصل .

سكك حديد الحــــكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتهـا إلى المحطات فأقامت بهـا لوحات خشبية خصصتها لعرض الاعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر فى تجميل المحطات حتى أصبح الاعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تـكاد لاتذكر بجانب أهمية الاعلان الذى يتصفحه آلاف المسافرين فى اليوم الواحد

ولزيادة الاستعلام اتصلوا :—

بقسم النشر والاعلانات

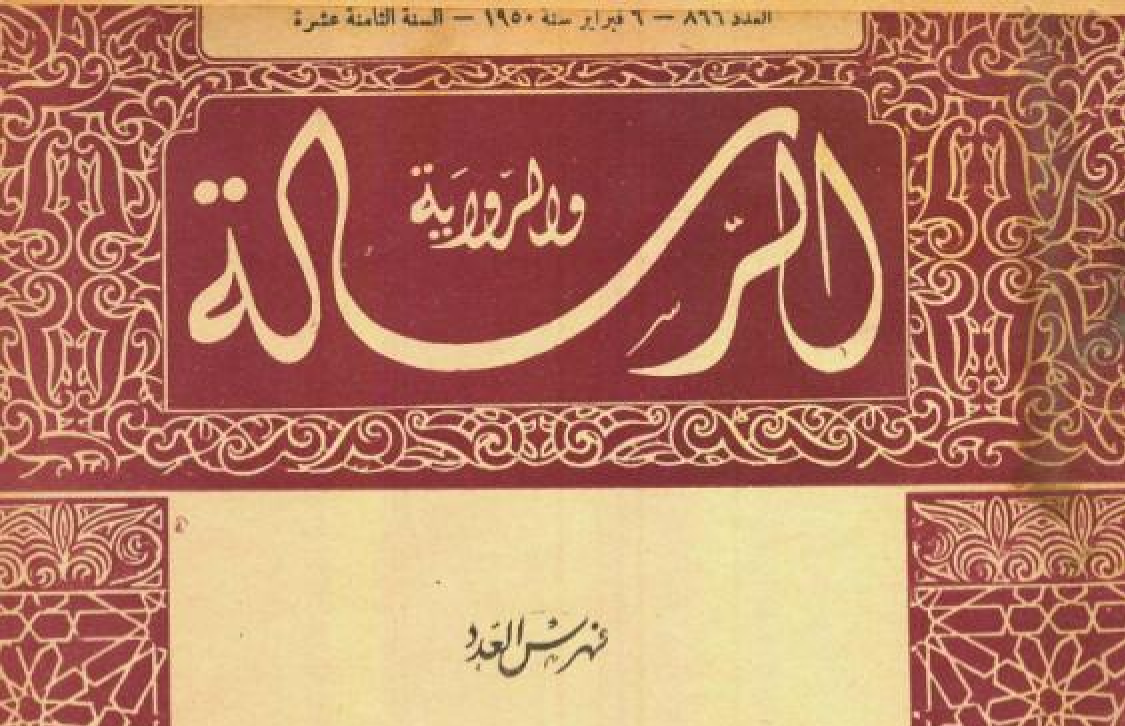
بالادارة العامة بمحطة مصر

اعلان بيع

انه فى يوم الاثنين ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٠ الساعة ٨ افرنكى صباحا ببندر قوص

سيباع بطريق المزاد العلنى سريرين حديد و ٣ مخدات قطن وزن ٥ أرطال وبرده صوف رجالى مستعمله وزن ١٠ ط وتـكاية خشب مستديرة ارتفاع ٢٥ سم وسحاره خشب طول ٧٥ سم عمق ٥ سم وارتفاع ٤٠ سم وحله نحاس بدون غطا وزن ١٠ ط المملوكة إلى عبد الحق على عبد الحق من قوص وذلك نفاذاً لقائمة الرسوم فى الدعوى ن ١٢٣ سنة ٩٤٧ جنح مستأنفة وفاء لمبلغ ٩١ ج و ١٣٠ م بخلاف رسم اعادة التنفيذ السابق

وهذا البيع بناء على طلب قلم كتاب محكمة قوص الوطنية فعلى راغب الشراء الحضور



فهرس العدد

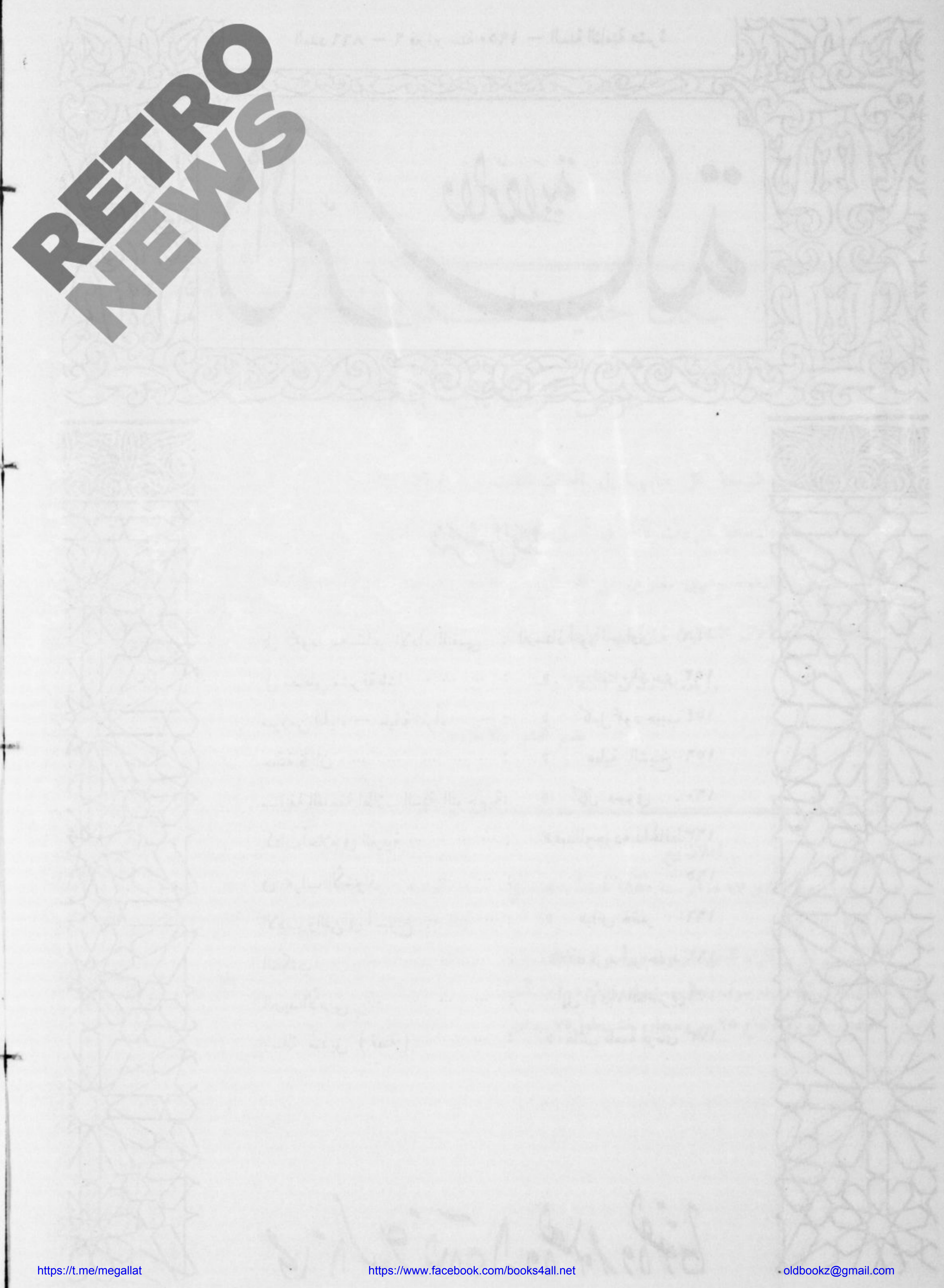
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

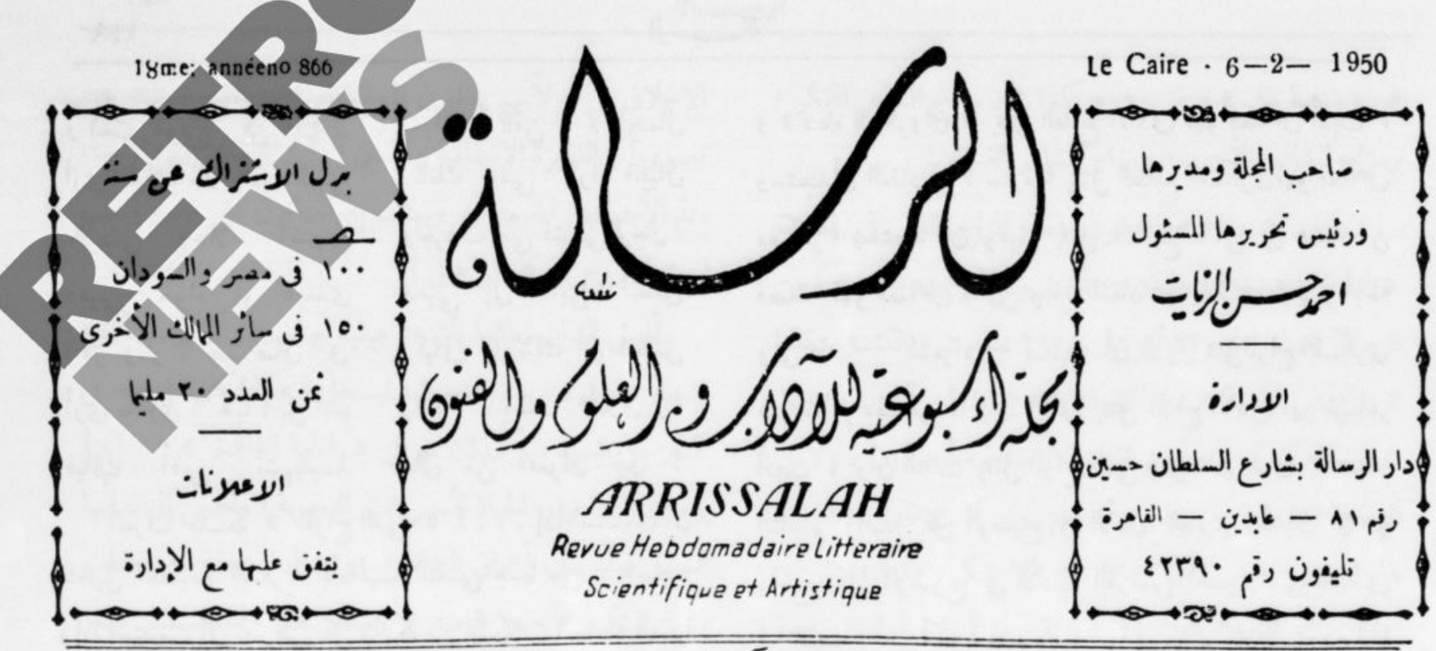

المدد ٨٦٦ — ٦ فبراير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




18me année no 866

Le Caire · 6—2— 1950

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٦٩ — ٦ فبراير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

على محمـــود طه

شاعر الأداء النفسى

للأستاذ أنور المعداوى

— ٨ —

« وفى قصيدة تدور حوادثها حول الفن بين الرجل والمرأة وأثر الغريزة فيه ، يتكلم شاعر فنان اتخذ فتاة حسناء نموذجا حيا لفنه ، فأغوته بمفاتن جسدها ، ودفعته بحماسة فى غمار ملذات لا يلبث أن يفيق منها ، وقد رأى مدى انهيار روحـــه وفنه ، والموقف كله شذوذ واضطراب ، وكله عنف وضعف ، وهو تصوير لهذه الحية الخالدة التى يشتهيها الفنانون والشعراء رغم لدغاتها ... »

بهذه الكلمة التحليلية الموجزة يمهد الشاعر لهذه القصيدة الجديدة ، وهى إحدى القصـائد الرائعة فى ملحمة « الأرواح والأشباح » ... ومن الصفحة الثامنة والأربعين من هذه الملحمة التى تنيف على أربعمائة بيت من الشعر ، نقدم الصورة الحسية الثانية ، هناك حيث تفتح « تاييس » كتابا وتقرأ من قصيدة « الحية الخالدة » :

وافت ذراعين كالحيتين ... على ، وبى نشوة لم تطر
وقد قربت فمهـا من فمى ... كشفتين من قبس مستعر
أنم بأنفاسـها رغبـة ... ويهتف بى جفنهـا المنكسر
تبينت فى صـدرها مصرعى ... وآخرة العاشـق المنتحر !!
أفى حلم أنا ؟ أم يقظة ؟ ... ومن أنت أيتها الخاطئة ؟
هوالحب ؟ لا . بل نداء الحياة ... تلبيه أجســادنا الظامئة
يخف دمى لصداه الحبيب ... وتدفعنى القـدرة الهازئة
كأنى ببحر بعيد القرار ... طوى أفقه وزوى شاطئه
أرى ، ما أرى ؟ جسدا عاريا ... تضج به الشهوة الجائمـة
أرى ، ما أرى ؟ حدقى ساحر ... تؤججان بالنظرة الرائمة
أرى ، ما أرى ؟ شفتى غادة ... ترفان بالقبلة الخادعة
تساقطنى ثمرا ! ما أرى ! ... أرى حية الجنة الضائعة !
بعينك أنت ، فلا تنكرى ... صفات أنوثتك الشاهدة
تمثلت شتى جسوم ، وكم ... تجددت فى صور بائدة
نعم أنت هن ... نعم ما أرى ؟ ... أرى الكل فى امرأة واحده
لقد فنيت فيك أرواحهن ... وها أنت أيتها الخالدة !
لقد كنت وحى رخام يصاغ ... فأصبحت لحما يثير الدماء
وكنت فتى ساذجا لا أرى ... سوى دمية صورت من نقاء
أنيل الثرى قدمى عابر ... يعيش بأحلامه فى السماء
فأصبحت شيئا ككل الرجال ... وأصبحت شيئا ككل النساء !
وكنت أميرة هذى الدمى ... وصورة حسن عزيز المنال

وكنت نموذج فن الجمال أحبك للفن لا للجمال
أرى فيك مالا تحد النهى كأنك معنى وراء الخيال
فجردتنى رجلا أشتهى وجردت أنثى تشتهى الرجل !
دعينى حواء أو فابعدى دعينى إلى غايتى أنطلق
أخمر ونار ؟ لقد ضاق بى كيانى وأوشك أن أختنق
أرى ما أرى ؟ لهبا ؟ بل أشم رائحة الجسد المحترق !
فيالك أفعى تشهيتها ويالى من أفعوان نزق !

أتعرف ملكة « المزاج الفنى » ؟ . . . إذا استطعت أن تتخيل القصيدة الشعرية بأدائها النفسى جسما من الأجسام ، وإذا استطعت أن تفترض كل ملكة من الملكات السابقة عضوا عاملا فى حركة هذا الجسم ، وإذا استطعت أن تتمثل الحيز الذى يشغله هـذا الجسم من الوجدان المتذوق مكونا من تلك المجموعة من الأعضاء ؛ إذا استطعت أن تتخيل وأن تفترض وأن تتمثل هذا كله ، فإن ملكة المزاج الفنى هى الثوب الذى يلتف حول هـذا الجسم بمجموعة أعضائه ليبرز تقاطيعه للعيون ويكشف عن مفاتنه ! إنه أشبه بالثوب الذى ترتديه أى حسناء . . . قد يكون جسمها نموذجا خاصا لجمال كل عضو من أعضائه على حدة ، وقد يكون جسمها نموذجا عاما لتناسق تلك الأعضاء مجتمعة ، ولكن الثوب هو الحكم الأخير الفاصل بين أجساد الحسان ، لأنه هو وحده الذى يطلعنا على مدى التفاوت الجمالى بين جسد وجسد ! هناك ثوب يوحى إليك أن صانعه غير « فنان » ، لأنه لم يراع النسب الفنية بينه وبين جسم صاحبته : من ناحية الطول والقصر ، ومن ناحية الضيق والسعة ، ومن ناحية الكماليات التى تلتمس مظاهر الزينة وتوائم بين لون الثوب ولون البشرة . . مثل هذا الثوب لاشك أنه يظلم الجسد الجميل لأنه يقدمه للعيون على غير حقيقته ، على تلك الحقيقة الأخرى التى اقتضاها ذوق صانع غير فنان . ماذا ينقص هذا الصانع من « ملكات الفن » ليصنع « ملكات الجمال » ؟ تنقصه ملكة المزاج الفنى ، ملكة تفصيل « الأثواب الكاشفة » عن مفاتن الأجساد ! .

المزاج الفنى إذن هو المسئول ، بل هو واضع الحدود والفروق بين طابع كاتب وكاتب وبين طابع شاعر وشاعر . . . خذ مثلا طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم — ككتاب فى مجال القصة وحدها لا فى مجال آخر — فستجد أن طه فى « شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » يمثل الطابع الأدبى فهو قصاص أديب ، وستجد أن العقاد فى « سارة » يمثل الطابع الفكرى فهو قصاص مفكر ، وستجد أن توفيق يمثل الطابع الفنى فى عدد من قصصه فهو قصاص فنان . وخذ العقاد مرة أخرى وعزيز أباظه وعلى طه — كشعراء — فستجد أن الأول يمثل المزاج الفكرى فهو شاعر مفكر ، وأن الثانى يمثل المزاج الأدبى فهو شاعر أديب ، وأن الثالث يمثل المزاج الفنى فهو شاعر فنان . هـذا التقسيم واضح كل الوضوح فى الأدب المصرى الحديث كما هو واضح كل الوضوح فى الأدب الفرنسى الحديث ، وبخاصة فى فن القصة ... أندريه جيد وفرانسوا مورياك كلاهما نموذج لهذا القصاص الأديب ، وجان بول سارتر وبول كاودل كلاهما نموذج لهذا القصاص المفكر ، وجان كوكتو وجان إنوى كلاهما نموذج لهذا القصاص الفنان !

ولا داعى بعد ذلك لأن نخوض فى التفسير والتحليل ، وفى التمثيل والتطبيق ، خشية أن نخرج عن موضوعنا الرئيسى وهو دراسة هذا الشاعر المصرى ذى المزاج الفنى النادر . . . حسبنا أن نقول لك إن على طه ليس شاعرا من أولئك الذين يصوغون الحياة أفكارا « منظومة » عارية من وشائج اللحم والدم ، وليس شاعرا من أولئك الذين ينقلون الحياة نقلا « فوتوغرافيا » خاليا من عناصر الإبداع والفن ، ولكنه من أولئك الذين يتفردون بالذاتية والأصالة عند تصوير الحياة فى لحظات التوهج والتوثب والانطلاق !

إن الشعر دفقة وانتفاضة . . . دفقة يتلقاها الشعراء جميعا ، ولكن فيهم من يتلقاها بانتفاضة الذهن وحده ، وفيهم من يتلقاها بانتفاضة الحس وحده وفيهم من يتلقاها بانتفاضة الذهن والحس والشعور فى وقت واحد . ونفرق نحن بين هذه الألوان من الانتفاضات فى محاولة فنية نهدف من ورائها إلى استشفاف « الحقيقة الشعرية » من خلال « أثوابها الكاشفة » وننتهى إلى أن حقيقة الشاعر الأول صاحب الانتفاضة الأولى هى « وجهة نظر » فكرية ، وإلى أن حقيقة الشاعر الثانى صاحب الانتفاضة الثانية هى « وجهة نظر » أدبية ، وإلى أن حقيقة الشاعر الثالث صاحب الانتفاضات الثالثة

هى « وجهة نظر » فنية . . وهكذا نجد مزاج الشاعر المفكر، ومزاج الشاعر الأديب، ومزاج الشاعر الفنان !

وقبل أن نستعرض فنون هذا المزاج الفنى فى قصيدة « الحية الخالدة » قبل هذا أن نود أن ترجع إلى العدد (٨٠٣) من الرسالة الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٤٨، حيث وردت فى مقالنا « دفاع عن الأدب » هذه الفقرات : « يقول كرونشه : إن الفنان لا يمكن أن يوصم من الناحية الأخلاقية بأنه مذنب، ولا من الناحية الفلسفية بأنه مخطىء، حتى ولو كانت مادة فنه أخلاقا هابطة، فهو — كفنان — لا يعمل ولا يفكر، ولكنه يعبر ... إن فنا يتعلق بالأخلاق أو اللذة أو المنفعة، هو أخلاق أو لذة أو منفعة ولن يكون فنا أبدا !! ... ولئن كانت الإرادة قوام الإنسان الخير فهى ليست قوام الإنسان الفنان؛ ومتى كان الفن غير ناشىء عن الإرادة فهو فى حل كذلك من كل تمييز أخلاقى . إنك لا تستطيع أن تحكم بأن فرانسسكا دوانتى منافية للأخلاق، ولا أن جوردايا شكسبير أخلاقية، وماهما إلا لحنان من روحى دوانتى وشكسبير ليس لهما إلا وظيفة فنية، إلا إذا استطعت أن تحكم على المربع بأنه أخلاق وعلى المثلث بأنه لا أخلاقى ! ... إن من تفرعات المذهب الأخلاقى قولهم إن غاية الفن أن يوجه الناس نحو الخير؛ ويبث فيهم كره الشر، ويصلح من عاداتهم، ويقوم من أخلاقهم، وإن على الفنانين أن يساهموا فى تربية الجماهير وتقوية الروح القومى أو الحزبى فى الشعب، أو إذاعة المثل الأعلى الذى يفرض على المرء أن يحيا حياة بسيطة جاهدة وما إلى ذلك، والحق أن هذه أمور لا يستطيع الفن أن يقوم بها أكثر مما تستطيع الهندسة أن تفعل، فهل عجز الهندسة هذا يجردها من حقها فى الاحترام؟ فليت شعرى لم يريدون إذن أن يجردوا الفن من مثل هذا الحق فى مثل هذه الحال » ؟ !

هذا الرأى للفيلسوف الإيطالى المعاصر بندتو كروتشه فى نقد المذهب الأخلاقى فى الفن، وهو رأى نؤمن به كل الإيمان ويؤمن به كل محيط بقيم الشعر كما يفهمها الشاعر الفنان. ولقد رأينا أن ننقل هذا الرأى لأننا نعلم أن أناسا سيعترضون على هذا اللون من الشعر، لأنهم يخلطون بين رسالة الفن ورسالة علم الأخلاق . أو لأنهم يطلبون إلى الشاعر أن يكف ريشته عن تصوير أثر الغريزة الإنسانية، ناسين أنها نداء خالد يلبيه الأحياء منذ الأبد لتبقى الحياة، ويهتف به الفنانون على مدار الحقب ليبعثوا الروح فى كل فن جميل !

أليس الفنان مطالبا بأن يمد عينيه ليرقب، وأن يرهف أذنيه ليسمع، وأن يهيىء نفسه وحسه ليسجل ؟ هكذا كان على طه فى كثير من شعره، وكذلك هو فى « الحية الخالدة » ... إنه لم يزد على أن جرب الحياة فأحس عمق التجربة، وأصغى إلى ندائها العميق فماش فى أعماق النداء، ورصد أدق خفقة من خفقات قلبها الكبير فأحسن الرصد، وسجل هذا كله تسجيلا يتميز بالصدق والحرارة فى مثل هذا الأداء :

ولفت ذراعين كالحيتين على وبى نشوة لم تطر
وقد قربت فمها من فمى كشقين من قبس مستعر
أشم بأنفاسها رغبة ويهتف بى جفنها المنكسر
تبينت فى صدرها مصرعى وآخرة العاشق المنتحر !!

هنا مزاج فنى يشرف على انتفاضة الذهن والحس والشعور، ويخلع أثوابه الدقيقة على هياكل الكلمات، ويسلط أضواءه الكاشفة على مسارب الغريزة ومشاهد التجربة، وهى لحظة تمر بكل إنسان فهم المرأة حق الفهم، وعشق الفن كل العشق، واتخذ من الجسد سلما إلى استكناه الطبيعة الأنثوية . وعلى درجات هذا السلم تنتقل ملكة المزاج الفنى مخلفة آثار أقدامها على كل درجة، تاركة معالم الخطى فى كل دورة من دورات الصعود ونحصى تلك الدرجات التمهيدية فإذا هى أربع تتفق معها فى العدد تلك الخطى الفنية: الدرجة الأولى « ولفت ذراعين كالحيتين » والدرجة الثانية « وقربت فمها من فمى »، والدرجة الثالثة « أشم بأنفاسها رغبة » والدرجة الرابعة « تبينت فى صدرها مصرعى » . أما تلك الخطى الفنية التى تقودها ملكة المزاج الفنى فهى تلك المقابلة الحسية بين حركتى الالتفاف فى البيت الأول : التفاف الذراعين الأنثويتين حول الرجل فى لحظة من لحظات الغريزة الإنسانية الخالدة، والتفاف الحيتين الرقطاوين حول الفريسة فى لحظة من لحظات الغريزة الوحشية الفاتكة . ثم تلك المقابلة النفسية بين حركتى التقبيل فى البيت الذى يليه، حين يبلغ تصوير اللفظى التوهج

على أطراف الشفاه مبلغ القبس المتأجج فى النار المشتهاة . ثم تلك الانطباعة التجسيدية فى البيت الثالث ، حين يستحيل الدعاء المتوثب بين الجوانح إلى رغبة تشم فى الأنفاس، وحين ينقلب النداء المتوقد بين الحنايا إلى هتاف يصرخ تحت انكسار الجفون . ثم تلك اللمحة التخيلية فى البيت الرابع ، حين يصبح الصدر الفاتن فراشا مهيأ لاحتضار الأشواق ، أو طريقا ممهدا لانتحار المشاق ! ترى هل هى فورة من فورات الحب ؟ كلا ! بل هى صرخة من صرخات الجسد ... وإذا بنا نعود مرة أخرى إلى جو تلك الواقعية التى حدثناك عنها فى أحد الفصول الماضية ؛ هى هناك فى « أثوابها النفسية » التى تنظمها ملكة الوعى الشعرى ، وهى هنا فى « أثوابها الحسية » التى تصنعها ملكة المزاج الفنى ، ونرجو أن تلاحظ هذه التفرقة الدقيقة بين عمل الملكات الشعرية فى كل مرحلة من مراحل هذه الدراسة :

هو الحب ؟ لا ، بل نداء الحياة   تلبيه أجسادنا الظامئة
يجف دمي لصداه الحبيب   وتدفعنى القدرة الهازئة

وتطالعك بعد ذلك « عملية إحصاء » حسية ماتزال تعمل فى حدود الدورة الأولى من دورات الصعود ، على نفس السلم الجسدى الأول الذى ترتقى درجاته ملكة المزاج الفنى لتشرف فى النهاية على هدفها الأصيل ... ومن هذا الأحصاء ذلك « الجسد العارى الذى تضج به الشهوة الجائعة » ، ثم هاتان « الحدقتان اللتان تؤججان بالنظرة الرائعة » ، ثم هاتان « الشفتان اللتان ترفان بالقبلة الخادعة » . وننتهى إلى ذلك الهدف الأصيل الذى تلتمسه ملكة المزاج الفنى ، فإذا هو تلك النتيجة الأخيرة لعملية الإحصاء الحسية مسجلة فى هذه اللمحة الجامعة :

تساقطنى ثمرا ! ماأرى ؟   أرى حية الجنة الضائعة !

وينقلنا الشاعر إلى الدورة الثانية من دورات الصعود ، حين يخاطب المرأة ذلك الخطاب المتغلغل فى فجاج الواقع الملموس ودروب الحقيقة الخالدة ... ولقد كنا فى الدورة الأولى أمام متحف يعج « بالمعروضات الجسدية » فإذا نحن فى الدورة الثانية أمام متحف آخر يموج « بالحقائق النفسية » وهى معروضات وحقائق أشبه « بعجاليل » تجمعت وتفاعلت داخل تجربة كبرى فى « معمل الحياة » ، ثم انتهت إلى هذا المزيج الأخير الذى يقدمه لنا « معمل الفن » فى هذه الأبيات :

تمثلت شتى جسوم وكم   تجددت فى صور بائدة
نعم أنت هن ... نعم ما أرى   أرى الكل فى امرأة واحدة
لقد فنيت فيك أرواحهن   وها أنت أيتها الخالدة !

ومرة ثالثة يدفع بنا الشاعر إلى دورة جديدة من دورات الصعود ، وهى الدورة الرئيسية التى تتوسط السلم بين الدرجات التمهيدية والدرجات النهائية . . . ويأبى المزاج الفنى إلا أن يرج بك على عقدة « الأنسياب القصصى » فى فن الشعر ، حين يقف بك وقفة قصيرة بين المقدمات الحسية والنتائج النفسية ، بغية توكيد الصلة الرابطة بين هذه وتلك ! أما عقدة الانسياب القصصى فتبدأ بهذا البيت الذى يمثل فورة الصراع :

لقد كنت وهى رخام يصاغ   فأصبحت لحما يثير الدماء !

وتنتهى بهذا البيت الذى يصور حسرة الضياع:

فأصبحت شيئا ككل الرجال   وأصبحت شيئا ككل النساء !

ويستمر هذا الانسياب فيما يلى ذلك من أبيات ، حيث يتردد صداه فى تلك الكلمة الموجزة التى قدم بها الشاعر للقصيدة ، والتى أشار فيها إلى انهيار « روحية » الفن أمام « مادية الجسد » أو أمام هذه الحية الخالدة التى يشتهيها الفنانون رغم لدغاتها القاتلة ! . . . ويسلمنا الشاعر بعد هذا الانسياب القصصى إلى الخاتمة ، خاتمة القصة التى تشرح لك نفسية فنان تردت مثله العليا فى مهاوى النزوة العارمة ، حتى إذا أفاق على وخزات الأسى العاصف بكل خلجة من خلجات الضمير ، راح يطلب إلى الأفعى الخالدة أن تخلى بينه وبين الطريق ؛ طريقه الجديد الذى كمنت فيه ألف أفعى من أفاعى الندم ! لقد تأثم فنه حين عب من الخمر وتعذب شعوره حين اقترب من النار . . لقد ثمل فى حانة الشفاه واحترق فى أتون الجسد :

أخمر ونار ؟ لقد ضاق بى   كيانى وأوشك أن أختنق
أرى ما أرى ؟ لهبا ؟ بل أشم   رائحة الجسد المحترق ! !

(يتبع)

أنور المعداوى

علي مصطفى مشرفة باشا

للأستاذ عبد الفتاح الديدي

وسط هذه الخسائر المتلاحقة تفقد مصر عالمها العظيم.

والحق أن اللغة العربية هي صاحبة المصاب الأول في هذا الرجل، لسبب بسيط وهو أن اللغة العربية لم تمهد مؤلفاً بهذه القوة، وكاتبا بهذه الأصالة في ميدان العلم الخالص. وهذا الجانب النظري في العرض العلمي، ناقص عندنا إلى حد يعيب المكتبة العربية، وتبدو حاجتنا واضحة في هذه الأيام إلى الكتابة التفصيلية عن العلوم من أجل سد الفراغ الهائل الذي نراه في المؤلفات والعقليات على السواء. وإذا كانت مصر قد أحبت هذا الرجل، وإذا كانت قد بكت البكاء المر حينما انتقل إلى جوار ربه، فلأنه كان يملأ ركناً يعز على الجميع أن يروه شاغراً، ويشتغل بمهمة لا يقوى على القيام بها سوى أفراد قليلين

مات مصطفى مشرفة بعد أن ترك لمصر مجداً أي مجد، وبعد أن شرفها باسمه وعمله وبحوثه جميعاً، وإذا عرفت قيمة العلم والعلماء في مصر ومدى ما نحن فيه من نقص وقصور وذكرت حالتنا العقلية بوجه عام فستعلم آنئذ من هو مصطفى مشرفة، وستدرك مدى الخسارة في هذا الرجل، إذ على الرغم مما نحن فيه من تأخر وجمود علمي في كلا الجانبين، النظري والعملي، بزغت هذه العبقرية النافذة وأطلت على العالم بصورة فذة حقا وخرجت إلى الناس على نحو غريب.

وهو أول من أحس بهذا الضعف الشامل في نواحينا العلمية أول من أخذ يستصرخ الحكومة والأهالي من أجل العناية بهذا الجانب الذي يمكن أن يأتي لنا منه الخير الكثير أو الذي لا يمكن أن يأتي لنا خير من سواه. أنظر إليه مثلا حينما يقول بصدد العلم والصناعة « فالصناعة بأوسع معانيها تشمل موارد لثروة الأهلية من معدنية ونباتية وحيوانية بل وانسانية أيضاً كما تشمل استخدام القوى الطبيعية وتسخيرها لخدمة الأمة وراحتها ورفاهيتها ولم يعد من الممكن في العالم الحديث أن يترك هذه الأمور للصدف أو للجهود الفردية، بل يجب على الدولة أن ترسم سياسة إنشائية في تنمية الثروة الأهلية، وهذه السياسة لا يمكن أن تبنى على الحدس والتخمين أو على الجدل والخطب السياسية، بل إن قوامها دراسة الحقائق وإجراء التجارب والبحوث العلمية. ولو أننا استطعنا عن طريق البحث العلمي أن نستنبط طرقا جديدة لصناعة هذه المواد في مصر لربحنا ثروة طائلة. »

مات وقد ترك للمشتغلين بالعلم والثقافة مجموعة من الكتب الجليلة الممتعة على الرغم من أنها في موضوع خاص، وسيقول البعض إن هذه الكتب قليلة وصغيرة، بيد أن العلم لا يقاس بالحجم ولا يطالب العالم بالشرح والتطويل ولا يسأل عن التفصيل والتفسير، فذلك من عمل التلاميذ والمريدين، وأينشتين نفسه لم يكتب سوى مذكرات بسيطة على صورة مقالات وكانت بحوثه دائما على شكل لمحات خاطفة. وتلك طبيعة العلماء، ولكن مع هذا فستجد نوعا من الجمال والتفصيل في كتب مشرفة التي قصد بها إلى الناس كيما تؤثر في عقولهم وكيما تفتح قلوبهم وكيما تعمق من إحساساتهم بالحياة، أنظر مثلا في كتابه (العلم والحياة) الذي صدر ضمن مجموعة (إقرأ) بتاريخ أول يناير ١٩٤٦، فستلمس فيه، إلى جانب الروح العلمية والفلسفية والبحث الواقعي الدقيق تفصيلا واضحاً يلائم الدراسة التي تعمل في اتجاه معين؛ وتسيطر عليه فكرة خاصة، ويخدم نوعاً بالذات من أنواع المعرفة .

أما كتابه عن الذرة والقنابل الذرية فقد جاء صدى لما في عقله من معلومات ثمينة خاصة بهذا الموضوع، وكانت هذه المسألة دائماً محل عنايته فجاء كتابه من بين أوفى الكتب في هذا الموضوع وأصبح يعد من مصاف الكتب التي ألفها علماء الغرب في هذه الناحية. وأهم ما يميز الرجل في هذا الكتاب أنه كان واقعياً إلى أقصى درجة، فلم يحاول أن يكون حالما أو أن يتأثر بنزعة انسانية في الوقت الذي تتصارع فيه الدول عن طريق العلم وتستخدم الطاقة الذرية من أجل ترقية شئونها وحماية ممتلكاتها، أو في الوقت الذي تنشىء فيه كل دولة من الدول لجنة خاصة مزودة بما يلزمها من العامل والعدد والأموال والرجال حتى تشترك اشتراكاً فعلياً في نتائج هذه البحوث. إنه يؤمن بأن العلم في خدمة الانسان دائماً، وما دام الأمر كذلك فيستحيل أن نقف مكتوفي الأيدي

بازاء هذه المظاهر الحضارية الممتازة فى العلم الحديث وفى الصناعة الحديثة. استمع إليه إذ يقول : إن خير وسيلة لاتقاء العدوان أن تكون قادراً على رده بمثله ، وينطبق ذلك على الأسلحة العلمية أكثر من انطباقه على أى شىء آخر . فالمقدرة العلمية والفنية قد صارتا كل شىء ، ولو أن الألمان توصلوا إلى صنع القنبلة الذرية قبل الحلفاء لتغيرت نتيجة الحرب . »

وخلاصة مايقال عن اتجاه مشرفة من الناحية العلمية الخالصة هو أنه قد تأثر بالحركة العلمية فى مستهل هذا القرن ، وهذا من شأنه أن يفسر لنا سيطرة الروح الرياضية على أعماله ويبين لنا تأثير دراساته الفلسفية التى جاز فيها درجة الدكتوراه . ألا ليت العلماء عندنا يفطنون إلى قيمة الفلسفة فى دراسات العلم .

ومنذ حوالى الثلاثين عاما لم يعد هناك من يشك فى الطبيعة الموجية الخالصة للضوء وللاشعاعات الأخرى ؛ بيد أن العلماء — منذ ذلك الوقت أيضاً — قد اكتشفوا بعض الظاهرات التى تنشأ عادة من المواد الاشعاعيـة ، ولم يمكن تفسيرها حتى ذلك الوقت إلا على وجه واحد وهو ذلك الذى يعمل بوحى من الفهم الجسيمى للمادة وكان أهم هذه الظاهرات هو الأثر الذى ينشأ عن كل من الضوء والكهرباء . وهو عبارة عما نراه فى المادة عندما تضيئها ، إذ بمجرد أن نضىء قطعة من المادة ـ ولتكن معدناً ـ ينبعث منها فى حركة سريعة كثير من الكهيربات. وأدت دراسة العلماء لهذه الظاهرة إلى نتيجة هامة ، وهى أن سرعة الكهيربات (الكترونات) المنبعثة لاتعتمد إلا على طول الموجة فى الاشعاع الحاصل وعلى طبيعة الجسم المشع ، وفى الوقت نفسه تبين لهم أنها لاتعتمد إطلاقا على حدة أو شدة الاشعاع الحاصل وأن عدد للكهيربات (الالكترونات) المنبعثة هو وحده الذى يعتمد على حدة أو شدة الاشعاع . بل أكثر من ذلك ، ظهر أن طاقة الكهيربات المنبعثة تختلف اختلافا عكسياً مع الطول التموجى للموجة الحاصلة . وعندما تأمل أينشتين فى هذه الحقيقة ، تبدى له أن لامندوحة عن العودة إلى القول ببناء جسيمى للاشعاع فى حدود معينة إذا شئنا تفسيرها . وصرح بأن الاشعاعات إنما تتكون من الجسيمات التى تصدر كية من الطاقة ذات النسبة العكسية مع طول الموجة ، واستطاع عقب ذلك أن يبين لنا فى وضوح وجلاء أن قوانين الأثر الناتج عن الضوء والكهرباء إنما يمكن استخلاصها واستقراؤها من ذلك الافتراض.

وعلى ذلك فلم يكن أمام علماء الطبيعة إلا يحسوا بصعوبة الأمر وأن يشعروا بالربكة والحيرة بين هذه المظاهر المختلفة فهناك من جهة ، مجموعة الظاهرات التى تنم عن تشابك الحركات الناجمة عن الذبذبة وعن تكسر الأشعة الموزعة ، وهذا من شأنه أن يثبت أن الضوء مكون من موجات أو يدل على أن الضوء لاينبعث من الجسم المسير على صورة أشعة مستقيمة بل على هيئة تموجية بحتة ؛ ومن ناحية أخرى ، هناك ظاهرة الأثر الحاصل من الكهارب الضوئية وبعض الظاهرات الأخرى التى اكتشفها العلماء حديثا والتى تدل على أن الضوء مكون من جسيمات ومن فوتونات أو ضوئيات كما نقول فى العصر الحديث

والحل الوحيد الذى يمكن أن ينقذ العلماء من هذه الورطة هو القول بأن المظهر التموجى للضوء والمظهر الجسيمى للضوء عبارة عن مظهرين متكاملين أو وجهين إضافيين لحقيقة واحدة ، وأهم فائدة يمكن أن يجنيها العلم من هذا الزعم الجديد أو من هــذه التركيبة الجديدة هو الوصول إلى فهم الموجات والجسيمات بوصفهما مترابطين ترابطاً كلياً فى الطبيعة أو على الأقل فى حالة الضوء، ومن ثم استطعنا فى العصر الحاضر أن نقيم علماً كاملا بناء على هــذه النظرية وهو الميكانيكا التموجية .

وكان مشرفة واحداً من أخطر العلماء الذين اتجهوا فى هـذا الاتجاه وأبدعوا هذه النظـرية ، ولم يتوان عن تأييد هذا المنحى الجديد بكل ماأوتى من جسارة وقدرة على التدليل وفهم لحقيقة الأمور ونشر أبحاثه هذه فى نشرات الجمعية البريطانية للعلوم فى عام ١٩٢٩ حيث استطاع أن يثبت أن المادة إشعاع فى أصلها وأنه من الممكن أن ننتهى بالتحليل إلى باطن المـادة أو إلى صفاتها الحقيقية فيظهر لنا مافيها من طبيعة الاشعاع ويتكشف لنا من خصائصها شىء آخر غير مانراه بالعيون ونلمسه على هيئة جامدة فى حياتنا العامة .

وفى النهاية نقول إن مشرفة هو مثال الجنـدى الباسل الذى سقط فى ميدان قلما يثابر على المضى فيه سوى الشجعان من أرباب الذكاء النادر والمقدرة الفائقة ، لقد كان يعمـل بوحى من هؤلاء

صور من الحياة :

خيـــانة امرأة

٢

للاستاذ كامل محمود حبيب

يا قارئى :

هذا صاحبي انضم على أشجانه حيناً من الزمان ، يكتم الأسى بين جوانحه ويدفن الضني بين ضلوعه حتى أثقله الهم وأرهقه الوجد ، فجاء ينثر عبرات قلبه بين يديك علك تسمع إليها أنات روحه الحزينة أو تحس وجيب فؤاده الكسير ، فتلفحك حرقة اللوعة أو تهزك سفعات الضيق ، فتهديه الى الرأى الذى عزب عن فكره وتبصره بالصواب الذى ند عن عقله . فهل تعينه برأى منك فيه العقل والصواب ؟

كامل

قال لى صاحبي « ... وانطوت الأيام فاذا أنا إلى جانب فتاتى القاهرية — مرة أخرى — أبثها لواعج الهوى ، وأشكو إليها حرق الغرام : ثم مالبثت أن سميت على لخطبتها فتزوجتها . ووقف أبى إلى جوارى ليلة الزفاف — وقف كارهاً، وهو ينفضني بنظرات فيها الألم والحسرة ، فاضطراب قلبي وتزعزعت سكينتي . ورحت أنظر إلى وجه أبى في خلسة وقد كسته غلالة من الهم والضيق ، فما راعنى ، إلا عبرات حائرة فى عينيه ما استطاع أن يكفكفهما ، فانفلتت من بين محجريه ... انفلتت لتهوى على كبدى كأنها جمرات متقدة يتلظى وهجها فتنفث فى الحيرة والقلق ، وتستل البشر من قلبى وتستلب الفرح من فؤادى . واستحالت حالى – فى لمحة واحدة — فبدا لى هذا المهرجان كأنه ينضم على جماعة من السخفاء يسخرون من غفلتى وحماقتى ، وتراءت لى تلك الأنوار كأنها تسطع حوالى لتكشف للناس عن غباوتى وجهلى .وخيل إلى أننى صنعت هذه البهجة الفوارة لينعم بها أخلاط من الناس، ولأظل أنا وأبى فى منأى عنها ، يعانى هو سفعات أفكاره المضطربة وأقاسى أنا عنت الخاطرة السوداء التى أرثتها فى نفسى عبرات انفلتت غصباً من بين محجرى أبى الشيخ .

انطوى الليل إلا أقله وأنا فى شرفة الدار يضطرب خيالى بصورة أبى الباكى الحزين ، وإلى جانبى زوجتى الحبيبة أبسم لها فى ذهول وأعانقها فى فتور ؛ لا أكاد أسمع صدحات الوسيقى وهى ترن فى أرجاء المكان فتمسه بالنشوة والمرح ، ولا أطرب للصوت الملائكى الرقيق وهو يشدو بأغنية سماوية تهتز لها القلوب وتضطرب الأفئدة ، ولا أشعر بالهوى العليل وهو يرف حوالينا نديا يبعث فى الناس النشاط والقوة ، ولا أكاد أحس بالسعادة التى كان يصبو إليها قلبي منذ زمان بعيد وهى الآن بين يدى لاتدفعنى إليها نزعات الهوى ولا تجذبنى إليها نزوات الشباب .

وأحر كبدى إن صورة أبى ماتبرح تتشبث بخيالى ... صورة أبى وهو يتوارى فى ناحية من المكان وعلى وجهه غلالة من الهم والضيق وفى محجريه عبرات حائرة لايستطيع أن يكفكفها فتنفلت من بينهما غصباً .

ورأيت أبى لأول مرة فى حياتى — حزيناً يطحنه الأسى ويضنيه الكمد ، ولأول مرة فى حياتى أحسست بالهم العارم يتدفق فى قلبى ليعصف بمرحى ... مرح الشباب العابث الطروب .

واعجبا ! أفكان أبى الشيخ يرى بعينى تجاربه أن من تحت قدمى هاوية سحيقة أوشك أن أزلق فأتردى فيها فلا يمسكنى إلا القرار .

وفى بكرة النهار أسرعت إلى أبى عمى أن استجلى بعض

العلماء الذين تتلمذ عليهم والذين قاموا بتسخير الطاقة الذرية ... كما يقول هو نفسه فى نهاية كتابه عن الذرة ... لخدمة بلادهم ولا دافع لهم غير باعث الايمان . . الايمان بحق وطنهم عليهم وحق هذا الوطن فى أن يحيا وأن يحتفظ بمثله الاجتماعية والروحية .

كان الرجل عالماً فى غير ادعاء ، وإن بلغت نفسه أحياناً إلى حب الثورة والسخط فلأننا لم نحاول أن نعطيه من المكانة ما يليق بالانسان العادى فضلا عن الانسان الممتاز ، وإذا كانت حياته قد اتصفت ببعض الاضطرابات والقلقلة فانما جاء هذا كله من التغاضى عما له من حق فى أن يعيش الحياة الملائمة فى الجو العلمى الذى يطلبه وعن حقه فى الوصول الى أسمى المراتب وأعلى الدرجات .

لنا الله فى هذا الرجل العظيم .

عبد الفتاح الديدى

خلجات ضميره ، غير أنى علمت أنه برح الدار عند صلاة الفجر إلى ... إلى القرية ، فانكفأت إلى حجرتى ..

***

وتعاقبت الأيام تطوى وساوس نفسى وتمحو ظنون روحى وإلى جانبى زوجتى تنفذ إلى طوايا قلبى فى رفق ، وتمهد لى أسباب السكينة بعقل سليم وترعى حاجات دارى بيد صناع . واطمأنت خواطرى إليها أجد فيها مثابه وأمناً واستشعر فى كنفها الراحة والهدوء ، غير أنها لم تستطع - يوماً - أن تكشف عن الصورة التى تشبثت بخيالى حيناً من الدهر ... صورة أبى الباكى الحزين

وصرت سنتان ثم أشرقت البهجة فى دارى وفى قلبى حين اجتليت النور من جبين ابنى الأول ، وسطعت الفرحة فى روحى وفى روح زوجتى حين رفت علينا أول نسمات الطفل تملأ الحياة أملا وسعادة ودفعتنى فرحتى ، فكتبت إلى أبى « ... بالأمس أشرقت فى دارى طلعة جديدة فامتلأ قلبى بالراحة ،وأفعم فؤادى بالسعادة ، وتألقت روحى بالفرح ؛ وإنى لأرنو إليه فأرى فيه سمات من سماتك ولمحات من صورتك . ولقد عقدت العزم أن أسميه باسمك عله يكون طالع سعد لنا . ليته يظفر بلمسات من بنانك الرفيق أو بدعوات من قلبك الطاهر فتشمله البركة ويكتنفه اليمن .. ! »

وقرأ أبى كلامى فشمر يهيىء نفسه للسفر وقد نسى أننى عردت - يوماً - على نصيحته وامتهنت رأيه وعققت أبوته ، فجاء هو وأخوتى ومن بين أيديهم البهجة والاستبشار ومن خلفهم الهدايا .

بالقلب الأب ! إن فيك الرقة التى لا تحمل الحفيظة ، وفيك الحنان الذى لا ينطوى على الضغينة؛ وفيك الرحمة التى لا يشوبها الغل

أما أنت يابنى ، فقد كنت لأبيك بشير يمن وسعادة ، فأنت قد محوت - بابتسامة واحدة منك - كل ما كان بين أبى وبينى ، وخلقت منا - بنظرة واحدة - أباً وابناً جديدين: أبا فيه العطف والحنان ! وابنا فيه الطاعة والاخلاص . فما أسعدنى بك ؛يابنى!

. . .

وانطوت سبع سنوات ، ثم استحالت حال الزوجة الحبيبة على حين فجأة ، فهى تنطوى عنى فى غير سبب ، وتهمل شأنى فى غير نزاع ، وتنشغل عنى فى غير خصام . وتدفق الشك فى قلبى هيناً مرة وعنيفاً مرة ، فما كان للمرأة أن تغير خصالها إلا أن تسيطر على عقلها فكرة أو تشغل بالها حادثة ! ورحت أدفع الشك عنى حين خيل إلى أن أولادنا الأربعة يملأون فراغ قلبها وفراغ يومها

وغبرت أياماً أدفع ظن السوء عن نفسى ، غير أنى رأيتها تسرف فى الزينة وتفرط فى الانفاق . أفكانت تسرف فى الزينة خشية أن تصفعها الشيخوخة الباكرة فتعصف بنضارتها وتعبث بروائها وهى ما تنفك تنغمر فى شواغل الدار والولد والزوج؟ أفكانت تفرط فى الانفاق لتسد حاجات الدار وإن الغلاء ليصفع الموظف صفعات عنيفة قاسية توشك أن تلصق يده بالتراب ؟

ورجعت إلى الدار - ذات مرة - قبل ميعادى فلم أجدها لقد خرجت المرأة وحدها .. خرجت إلى الشارع ، إلى الذئب. ووقفت أرقب الطريق فرأيتها مقبلة تستحث الخطى . ورحت أناقشها فى رفق وأجادلها فى عنف فتفلت الفتاة .. فقلت فى نفسى « .. إن الفتاة إذا تفلسفت فى الدار جمحت بها نزوات الطيش فأنكرت وظيفتها وجحدت مكانها فتستحيل طمأنينة الزوج إلى فزع ماينتهى ، ويحور هدوء الدار إلى ثورة ماتنقضى . إن المرأة التى تلد الفلسفة تلد الهم والأسى والضيق فى نفس الرجل .. »

وارتابت نفسى فى كل حركات الزوجة ، وبدا لى تاريخها القديم ، يوم أن كانت فتاة فى دار أبيها تنعم بالحرية التى يزينها الشيطان وتطمئن إلى النزعات التى تزوقها الحضارة ، لاتخش الرقيب ولا تخاف السيد ، تنفلت من الدار وحدها لتلقى فتاها أنا لدى الأصيل أو بعد مغرب الشمس، نستمتع معاً بالخلوة ونسعد بالنزهة . أفكنت حقاً فتاها الأوحد أم كنت رفيقاً بين رفاق وصاحباً بين صحاب ، تتفنله فتوحى إليه بأشياء وأشياء وهو فى عمى عن خداعها ومكرها ؟ لعلها اليوم حنت إلى صاحب قديم !

ووسوس لى الشيطان أن أرقبها من بعد ، غير أنى لم أستطع فما كان لى أن أفعل وأنا موظف حكومى أبكر إلى الديوان فلا أستطيع أن أبرحه إلا أن يأذن لى الرئيس ، ورئيسى رجل غليظ الكبد جافى الطبع فيه الصلف والكبر .

ومرض رئيسى - يوماً - فتنفلت رفاقى فى المكتب وتسللت من الديوان .. تسللت لأجد زوجتى فى دارى تجلس إلى رجل غريب على سريرى فى حجرة نومى ..

خاتمة قازان [1]

للاستاذ عطية الشيخ

بالثارات التتار :

انتهت غزوة حمص التي شنها قازان ملك التتار على ملك مصر الناصر بن قلاوون بالفشل في ختام القرن السابع الهجري ، ولم يشف صدره من المصريين ويثأر لدماء آبائه وأجداده ، فاشتمل قلبه حقداً ، وبات يقلب الرأي ، ويستشير أمراء دولته ، عله يجد منفذاً إلى بغيته ، وينال مأرباً عز نيله على سالفيه ، ويفتح مصر ويكفي التتار شرها ، ويبيت آمناً في تبريز ، حالماً باقتحام شمال إفريقية ، فيرث دولة الإسلام بتمامها ، ويختم الرواية التي بدأها جده جانكيز خان .

(١) مهداة إلى أعداء الإسلام .

الرأي قبل الشجاعة :

كان قطلوشاه نائب قازان في مملكة التتار ، وأمير أمراء الجيوش ، يقف قازان عند رأيه ولا يريم عن مشورته ، وقد استشاره الملك فيمن استشار فأفتى بأن يتظاهر الملك بالإسلام ، ويطلب الصلح من المصريين والحلف معهم، حتى إذا أمنوا جانبه ، واستناموا إلى الخديعة ، واطمأنوا إلى عدوهم ، وأهملوا استعدادهم أخذهم على غرة ، دون أن تثور الحمية الدينية في نفوس أمتهم، متى علموا أن التتار مسلمون ، ومتى تم النصر وتمكن التتار من الرقاب ، فلن يهمهم أن تعلم مصر حقيقة إسلامهم ، فقديماً دخل التتار بغداد بالخديعة واستدرجوا الخليفة والأعيان إلى معسكرهم ، ومثلوا بهم شر تمثيل ، بعد أن حسبوا أنهم ذاهبون للصلح وحفلة عرس .

الرسل الثلاثة :

في ليلة الاثنين ٥ من ذي الحجة سنة ٧٠٠ وصل رسل قازان الثلاثة إلى القاهرة وهم قاضي الموصل كمال الدين الشافعي ومعه رجلان أحدهما فارسي والثاني تركي ، وزينت القلعة لاستقبالهم

وأفزعني المنظر فصرخت من أعماق قلبي « آه! إن المرأة المتعلمة كالثعلب تمكر بصاحبها حتى يقع في شباكها ثم لا تلبث أن تذيقه وبال غفلته وحمقه » .

وخرجت من الدار وقد ضاقت الأرض علي بما رحبت وضاقت على نفسي ؛ لا أجد متنفساً إلا أن أحمل همي بين جوانحي لا أتحدث به إلى أحد ، ومن أمامي أولادي أخاف أن أذيقهم مرارة اليتم ولذع الضياع .

والآن – ياصاحبي – ها أنا أعيش في صراع دائم لا يهدأ ولا يستقر ، أعيش بين عدوتي الخائنة ، زوجتي . وبين أحبائي الأعزاء ، أولادي . لا أستطيع أن أقذف بعدوتي إلى عرض الشارع فأقتل السعادة والأمان في قلوب أحبائي ، ولا أستطيع أن أصبر فأراها إلى جانبي أبداً تذكرني بغباوتي وحمقي . فماذا ترى ، ياصاحبي !

وسكت الرجل وإن سمات الأسى لتضطرم في أغوار قلبه فتعبث بشبابه وتنفض من نضارته فماذا ترى ، ياقارئي ، ماذا ترى؟

كامل محمود حبيب

زينة تأخذ بالألباب ، وأوقد فيها ألف شمعة أحالت ليلها نهاراً ، وجلس الملك الناصر ومن حوله أمراؤه فى أبهى حلة ، وأفخر لباس ، ثم قام القاضى وخطب خطبة بليغة وجيزة وذكر آيات كثيرة فى معنى الصلح ، واتفاق كلمة المسلمين ، ثم دعا للملك الناصر ابن قلاوون ، ومن بعده للسلطان محمود قازان ، ودعا للمسلمين والأمراء ، ورفع كتاب قازان إلى ملك مصر .

كتاب غازاده :

فض الملك كتاب غازان وقرأه ليلاً ولم يطلع عليه الأمراء صباحاً ، إذ جمعهم مع أكثر العسكر وقرىء الكتاب عليهم ، ونقتبس من مضمونه .

« بسم الله الرحمن الرحيم » ، وننهى بعد إهداء السلام إليكم أن الله عز وجل جعلنا وإياكم أهل ملة واحدة ، وشرفنا بدين الإسلام وأيدنا ، وندبنا لإقامة مناره وسددنا،وكان بيننا وبينكم ما كان بقضاء الله وقدره . . والآن فإنا وإياكم لم نزل على كلمة الإسلام مجتمعين ، فنرجع الآن فى إصلاح الرعايا،ونجتهد وإياكم على العدل فى سائر القضايا ، فقد أنضرت بيننا وبينكم حال البلاد وسكانها ، ومنعها الخوف من القرار فى أوطانها … ونحن نعلم أننا نُسأل عن ذلك ونحاسب عليه ، وأن الله عز وجل لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وأن جميع ما كان وما يكون فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وأنت تعلم أيها الملك الجليل ، أننى وأنت مطالبون بالحقير والجليل،وإننامسئولون عما جناه أقل من وليناه ، وأن مصيرنا إلى الله ، وإنا معتقدون الإسلام قولاً وعملا ونية ، عاملون بفروضه فى كل وصية ، وقد حملنا قاضى القضاة ، علامة الوقت وحجة الإسلام وبقية السلف كمال الدين أعزه الله تعالى مشافهة يعيدها على سمع الملك والعمدة عليها ، فإذا عاد من الملك جواب فليسير لنا هدية الديار المصرية ، لنعلم بإرسالها أن قد حصل منكم فى إجابتنا للصلح صدق النية، ونهدى إليكم من بلادنا ما يليق أن نهديه إليكم ، والسلام الطيب منا عليكم »

مشورة :

تشاور الملك والأمراء فيما يردون به على قازان ، ثم بدا لهم قبل أن يقطعوا برأى الاستئناس برأى القاضى الفاضل رئيس وفد قازان ، فقد كان رفيع المنزلة ، مأمون المشورة لعلمه وفضله وزهده وورعه فقالوا له : « أنت من أكابر العلماء وخيار المسلمين وتعلم ما يجب عليك من حقوق الإسلام والنصيحة للدين ونحن مانقاتل إلا فى سبيل الله ، فإن كان هذا الأمر قد فعله قازان حيلة ودهاء فنحلف لك أننا لا نطلع على هذا القول أحداً من خلق الله تعالى ، ورغبوه غاية الرغبة ، فحلف لهم أنه لا يعلم من قازان إلا صدق النية فى الصلح ، وحقن الدماء ، ورواج التجارة ، وإصلاح الرعية ثم قال لهم (لله دره) : ما كان نصحه للاسلام والمسلمين : — « والمصلحة أنكم تبقون على ما أنتم عليه من الاهتمام بعدوكم ، وأن تخرجوا كعادتكم إلى أطراف بلادكم مما يلى مملكة التتار ، فان كان هذا الأمر خديعة كنتم مستيقظين،وإن كان الأمر صحيحاً أتممتم الصلح ، وتحقن الدماء فيما بينكم » .

مؤتمر فى صحراء الشرقية :

أمر السلطان جميع الأمراء أن يخرجوا فى صحبته للصيد فى برية الشرقية ، ثم استدعى وهو فى البرية قضاة المذاهب الأربعة ، وتم الاتفاق على ما يجيبون به قازان ، وجهز رسل التتار إلى الصالحية ، وانتظروا السلطان بها « فلما حضر وأمامه الأمراء ، ذهلت عقول الرسل مما رأوا من حسن زى عسكر الديار المصرية بخلاف زى التتار » ولما سجى الليل أوقد السلطان شموعا كثيرة ، ومشاعل عديدة وفوانيس وأشياء كثيرة تتجاوز عن الحد جعلت البرية حمراء تتلهب نوراً وناراً . . وبعد حديث ساعة أعطوا جواب الكتاب إلى الرسل ، وخلع عليهم السلطان ، وأعطى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، وسمح لهم بالسفر .

جواب حمىّ ألمعىّ :

هذا بعض ما جاء فى جواب سلطان مصر على كتاب قازان : « بسم الله الرحمن الرحيم » علمنا ما أشار الملك إليه ، وعول فى قوله وفعله عليه ، فأما قول الملك قد جمعتنا وإياكم كلمة الإسلام … فقد تحققنا أن الملك بقى عامين يجمع الجموع ، وينتصر بالتابع والمتبوع ، وحشد وجمع من كل بلد ، واعتضد بالنصارى والكرج والأرمن ، واستنجد بكل من ركب فرساً من فصيح وألكن ، ثم إنه لما رأى أنه ليس له بجيشنا قبل فى الجدال ، عاد إلى قول الزور

والمحال والخديعة والاحتيال ، وتظاهر بدين الإسلام واشتهر به فى الخاص والعام ؛ والباطن بخلاف ذلك ، . فان الذى جرى الظاهر [1] دمشق ، ليس فعل المسلمين ولا من هو متمسك بهذا الدين ، وإن كان ما حصل عن علمك ورضاك،فواخيبتك فى دنياك وأخزاك ،وإن كنت كما زعمت على دين الإسلام فاقتل الطوامين [2] الذين فعلوا هذه الفعال ، لنعلم أنك على بيضاء الحجة ... ولما علمت جيوشنا أنكم استعنتم على قتلهم بعبدة الصلبان اجتمعوا وتأهبوا وخرجوا بعزمات محمدية ، وقلوب بدرية ، وجدوا السير فى البلاد ، ليشفوا منكم غليل الصدور ، فما وسع جيشكم إلا الفرار ، وما كان لهم على اللقاء صبر ولا قرار ... وأما ما تحمله قاضى القضاة من الشافهة فانا سمعناه ووعيناه ، ونحن نعلم علمه ونسكه ودينه وفضله المشهور ، وزهده فى دار الغرور ؛ ولكن قاضى القضاة غريب عنكم ، بعيد منكم ، لم يطلع على بواطن قضايا كم وأمور كم ولا يظهر له خفى مستور كم .

وأما ما طلبه الملك من الهدية فلسنا نبخل عليه ، وإنما الواجب أن يُهدى أول من استهدى ، لتقابل هديته بأضعافها ونتحقق صدق نيته ، وإخلاص سريرته ، ونفعل ما يكون فيه رضا الله عز وجل ، ورضا رسوله فى الدنيا والآخرة ... والله تعالى الموفق للصواب »

كشف عن الصريح :

بعد نحو شهر من وصول الرسل إلى قازان،علم سلطان مصر بأن التتار بدءوا يتحركون إلى الشام ، وأن بولاى قائدهم قارب الفرات ، وبعد قليل بلغهم أن التتار حركوا نصارى آسيا الصغرى للهجوم معهم ، وكذلك استنجدوا بالفرنج فنزلوا بجزيرة أرواد تجاه طرابلس الشام ، وأخذوا يستولون على المراكب الإسلامية ، فأرسل سلطان مصر أسطولا بقيادة الأمير سيف الدين المنصورى إلى جزيرة أرواد ، وجيشاً برياً إلى بلاد آسيا الصغرى بقيادة الأمير بكتاش ، فانتصر القائدان على الفرنج والأرمن . وعلم السلطان فسر سروراً عظيما ، ثم بعد ذلك بأيام ، علموا أن قازان نفسه وصل إلى الفرات وبعث المقدمة إلى بلاد الشام بقيادة قطلوشاه وعدتها ثمانون ألفاً ، وكاتب أمراء الشام للدخول فى طاعته ، فأسرعت قوة خفيفة من مصر إلى دمشق بقيادة بيبرس الجاشنكير ولم تكد تصلها حتى رأوا الناس يفرون أمام التتار من حلب وحماة وغيرها،فخفت سرية إلى حماة عدتها ألف وخمسمائة فتقابلوا مع جيش تترى قرب حلب عدته أربعة آلاف « فافترق المصريون أربع فرق ، وحاصروهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى أفنوهم »

إلى دمشق :

ثارت ثائرة قطلوشاه لفناء أربعة الآلاف من جيشه فهجم على حماه ، واندفعت حاميتها المصرية أمامه لا تلوى على شىء حتى بلغت دمشق ، والتتار فى إثرها « فاضطربت دمشق بأهلها ، وأخذوا فى الرحيل منها على وجوههم ،واشتروا الحمار بستمائة درهم والجمل بألف ، ولم يأت الليل إلا وبوادر التتار فى سائر النواحى بالمدينة ، وبات الناس فى الجامع الأموى يضجون بالدعاء »

الصبح والسلطان :

طلع صباح اليوم التالى وقد وصل الجيش المصرى بقيادة السلطان إلى مرج راهط من ضواحى دمشق وكذلك وصل الجيش الأصلى للتتار ، والتقى الجمعان فى مكان يقال له شَقْحب فى سفح جبل غُباغب من ضواحى دمشق فوقف السلطان فى القلب ومعه الخليفة والأمير سلاّر قائد قواد مصر ، والأمير بيبرس الجاشنكير الذى سبق السلطان بالمقدمة ، وقاد الميمنة الأمير قبجق وانضم إليها العربان ، وقاد الميسرة الأمير بكتاش الذى هُزم الأرمن .

يا مجاهدون :

تقدم السلطان بنفسه والخليفة بجانبه ومعها القراء يتلون القرآن الكريم ويحثون على الجهاد ويشوقون إلى الجنة وصاح الخليفة : « يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم ، قاتلوا عن دين نبيكم صلى الله عليه وسلم وعن حريمكم » فبكى الناس بكاء شديداً جزعاً على الإسلام ، ولم يكد يتم الخليفة كلامه حتى زحفت كراديس التتار فى هجومها الخاطف كقطع الليل، وحملوا على الميمنة المصرية حملة شعواء فقتل أعيانها وولى باقيها الأدبار وفى أثرهم بولاى التترى يقتل ويأسر الفارين .

---

(١) عند ما دخلها التتار بعد واقعة حمص

(٢) القواد

وا إسلاماه :

فلما رأى ذلك سلار قائد المسلمين وهو مع السلطان فى القلب صاح قائلاً : « هلك والله أهل الإسلام » ثم اندفع بمفرده كالبرق الخاطف نحو التتار فتبعه الأمراء والفرسان من القلب والميسرة وسلم الجميع نفوسهم للموت ، واقتحموا التتار إلى قائدهم الأعلى قطلوشاه تاركين بولاى خلفهم يطارد الميمنة المنهزمة ، واستمروا فى القتال بحمية فائقة حتى لجأ قطلوشاه بمن معه من التتار إلى الجبل وهو يؤمل أن بولاى عند عودته من مطاردة الميمنة المنهزمة سيوقع فى المصريين ، ولكن راعه أن رأى السهل والوعر يغطيهما العساكر الإسلامية « فبهت وتحير واستمر بموضعه حتى أتاه بولاى وفرقته التى كانت تطارد الميمنة المصرية » وبينا بولاى وقطلوشاه يتشاوران فيما يفعلان إذا بكوسات السلطان والبوقات المصرية قد زحفت وأزعجت الأرض وأرجفت القلوب بحسها فلم يثبت بولاى وترك قطلوشاه وفر فى نحو عشرين ألفاً من التتار متسربلا بظلام الليل ، متلفعاً بسواده .

يا خيل الله :

وبات السلطان وعساكره على ظهور الخيل ، والطبول تدق ، وكذلك الكوسات ، حتى آب إلى الجيش على صوت الطبول من كان منهزماً من الميمنة ، وأحاط العسكر المصرى بالجبل الذى حوصر فيه التتار إحاطة السوار بالمعصم والخليفة والأمراء والسلطان والأعيان يمرون بالصفوف ويتوصوان بالشهادة فى سبيل الله ، ويتحققون بأنفسهم من يقظة العسكر ، وأبعدوا أثقالهم وأوزارهم عن ميدان المعركة . وعند ما أسفر الصباح وأشرقت الأرض ، انقض التتار على المسلمين يبغون لأنفسهم منفرجا ومهربا، ويقاتلون مستيئسين، فضيق المصريون عليهم الخناق « وصاروا تارة يرمونهم بالسهام وتارة يواجهونهم بالرماح ، وتناوب الأمراء القيادة أميراً بعد أمير ، وأظهروا فى ذلك اليوم من الشجاعة والفروسية ما لا يوصف ، حتى قتل تحت بعضهم الثلاثة الخيول ، وما زالوا كذلك حتى انتصف النهار ، فارتد التتار إلى الجبل بعد أن قتل وجرح منهم كثير ، وهم يكادون يهلكون عطشاً » ، ثم علم السلطان أن التتار قد أجمعوا أمرهم على مهاجمة المصريين فى السحر ، ليفتحوا لأنفسهم طريقاً إلى النهر ، فأوصى بأن يفرج لهم عند النزول ثم يركب الجيش أقفيتهم ويهاجمونهم من الخلف ، ونزل التتار من الجبل فى عماية الصباح ، فلم يتعرض لهم أحد ، ولما صار النهر أمامهم والمصريون خلفهم ركبهم بلاء الله من المصريين فحصدوا رءوس التتار عن أبدانهم ، وطاردوهم ولم يضعوا عنهم السيف حتى أذن العصر « حتى كلت خيول التتار وضعفت نفوسهم ، وألقوا أسلحتهم ، واستسلموا للقتل بغير مدافعة ، حتى إن أراذل العامة والغلمان قتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وغنموا عدة غنائم، وبلغ ما قتله الواحد من المصريين العشرين من التتار فما فوقها » وارتد قطلوشاه فى قليل من جنوده إلى الفرات ، ثم عاد إلى بلاده فى شر حال .

أفراح وأتراح :

أما سلطان مصر فقد كتب البشائر فى البطائق وسرح بها الحمام إلى جميع بلاد الإسلام وأرسل الأمير بكتوت ليبشر المصريين نائباً عنه ، وأقبل أهل الشام عليه مهنئين ، فقصد إلى دمشق فى عالم عظيم من الفرسان والأعيان والعامة والنساء والصبيان ، وهم يضجون بالدعاء والهناء والشكر لله سبحانه على هذه المنة ، « وتساقطت عبرات الناس فرحاً » ثم حضر أمير الميمنة المنهزم فقال له السلطان « بأى وجه تدخل علىّ وتنظر فى وجهى ! فما زال به الأمراء حتى رضى عنه »

وأما التتار فإنه لما دخل قطلوشاه إلى همذان وعلم التتار نبأ الهزيمة « وقعت الصرخات فى بلادهم وقامت النياحة فى تبريز عاصمتهم شهرين على القتلى ، واغتم قازان غماً عظيما ، وخرج الدم من منخريه حتى أشفى على الموت ، واحتجب عن الحاشية ، فإنه لم يصل إليه من جيشه إلا أقل من العشر ، مع أنه كان منتخباً من خيار العساكر ، ثم أمر بقتل قطلوشاه . ولما شفع فيه أمراء التتار ، أوقفه أمامه ، واستدعى الأعيان وأمرهم أن يبصقوا فى وجهه واحداً بعد واحد حتى بصقوا جميعاً على مشهد من قازان ، ثم نفاه إلى كيلان ، ثم أحضر بولاى وضربه بالعصا وأهانه أشد إهانة ، وفى الجملة حصل لقازان بهذه الكسرة من القهر والغم ما لا مزيد عليه ، ولله الحمد »

أقواس النصر :

زينت القاهرة لاستقبال الناصر وعساكره وحشد بها جميع

المغنيين بالديار المصرية وتسابق الناس فى الزينة ونصبوا القلاع فى شوارع القاهرة « وتحسن سعر الخشب والقصب وآلات النجارة وتنادى الناس أن من استعمل صانعاً فى غير الزينة فهو عدو السلطان . وأقبل أهل الريف إلى القاهرة للفرجة ، وملئت الأحواض فى الشوارع بالسكر والليمون وبلغ كراء البيت الذى يمر عليه السلطان من خمسين درهماً إلى مائة ، وفرشت أرض الشوارع التى سيمر فيها السلطان بالأبسطة ، وكان السلطان كلما مر بزينة وقف بمابها ليجبر خاطر فاعلها » وسار أسرى أمراء التتار بين يديه مقيدين ، وقد علق فى عنق كل واحد منهم رأس أمير من القتلى وأمامهم ألف فارس مصرى مشرعين رماحهم فى كل رمح منها رأس تترى ، وخلفهم ١٦٠٠ أسير من جنود التتار ، فى عنق كل واحدمنهم رأس ، وطبولهم ممزقة،وأعلامهم منكسة ، وكثرت التهانى فى البيوت والشوارع وزاد الهرج والمرج وأهازيج الفرح والسرور « حتى كان الواحد لايسمع كلام من هو بجانبه إلا بعد جهد » .

النصر للاسلام :

ذوى عود قازان ، وتصوحت زهرته ، وتنكرت بشاشته ، وغاضت نضارته ، واستولى عليه الهم والغم ، وألح عليه المرض بسبب الهزيمة ، فلم يلبث إلا أياما حتى مات مهموما ، وجلس بعده على عرش التتار أخوه « خر بندا » بن أرغون بن أيغابن هولا كو خان واجتمع به أعيان ملكه ، وتشاوروا فيما يؤمنهم على ملكهم ويهدىء مخاوفهم ، ويحقن عليهم دماءهم ؛ فلم يجدوا أحسن من الدخول فى الإسلام أفواجاً ، وأن يعلنوا المصريين بذلك ، إذ لم يبق حامياً لذمار الإسلام سواهم ، فتم لهم ما أرادوا وتلقب ملكهم « غياث الدين محمدا » وكتب إلى سلطان مصر بذلك ، وطلب الصلح وإخماد الفتنة ، وانحسرت موجة التتار عن مصر والشام،وانكسر عودهم على عزة الإسلام ، وامتصتهم الديانة المحمدية دون أن ينالوا منها ، وتطعمت دوحة الاسلام بشعب جديد فتى قوى كان له بعد ذلك اليد الطولى فى نصرة الدين .

« وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً » .

عطيه الشيخ
مفتش المعارف بالمنيا

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٥) :

مناهج الأدلة لابن رشد (٢)

للأستاذ كمال دسوقى

مازلنا هنا فى ابن رشد لم نفارق أرسطو ، فابن رشد صورة من أرسطو ، أو قل : هو الصورة الاسلامية لأرسطو . وكم ذا لأرسطا ليس فى فلسفات العصر الوسيط من صور! فان الفيلسوف الذى أتينا على دراسة فصل من علم واحد من مذهبه فى مقالاتنا السابقة قد كان مارداً جباراً جثم بسطوته وسلطانه على الفكر الانسانى حتى مطلع عصر النهضة الأوربية الحديثة : عكف الشراح على مذهبه يدرسونه ويفسرونه ويصنفون كتبه ، وأقبل عليه رجال الدين والمفكرون من مسيحيين ومسلمين ويهود يؤيدون به عقائدهم ، فنشأت الفلسفات المسيحية الاسلامية واليهودية على الترتيب . وبقدر ما كان أرسطو يبدو لرجال هذه الأديان لأول وهلة ماديا وملحداً تحرم دراسة فلسفته ، لايلبث هؤلاء الجامدون المتزمتون أن ينبذوا الخبال الأفلاطونى إلى مافى مذهب أرسطو من منطق وانسجام وتوافق ، فيحل أرسطو من التفكير إذن أرفع محل .

وهكذا ترى أن أفلاطون وأرسطو كانا قطبى التفكير فى كل فلسفة دينية ؛ وأن مثالية هذا وروحيته ، ثم واقعية ذاك وماديته ، كانت بمثابة قرنى الإحراج لايذهب المفكرون إلى أحدهما إلا ليرتدوا إلى الآخر . ولن تجد بين مفكرى العصور الوسطى وفلاسفة الأديان إلا من هو أفلاطونى أو أرسطى أو موفق بين الاثنين ويتفاوت فهم رجال العصور الوسطى لفلسفة كلا الرجلين ومدى نفوذهم الى حقيقتها . وكثيراً ماأدخل الاسلاميون عناصر غريبة على فلسفة أحدهما أو الآخر، أو أساءوا له ونسبوا إليه مالم يقل به ولكن ابن رشد يمتاز من بين الاسلاميين جميعاً بأنه خير من فهم أرسطو وشرحه ونقله إلى الغرب حتى ليسمونه الشارح الأعظم magnus commetator لأنه هو الذى لعب أخطر دور فى ربط الثقافة الانسانية وإكمال دائرة الفكر البشرى برد التراث اليونانى إلى أوربا الوسطى

قبيل نهضتها ؛ فان شروحه لكتب أرسطو قد نقلت إلى اللاتينية وهى حينئذ لغة العلم والجامعات . وتولى نشرها ودراستها وإذاعتها خصوصاً فلاسفة اليهود .

وتعلمون أن الفلسفة إذ نشأت فى بلاد اليونان بمعناها الحقيق ، وما كانت تشتمل عليه بلاد اليونان إذ ذاك من أوضاع جغرافية واسعة تشمل هذا الجانب من البحر المتوسط كله تقريباً قد ورثها الشرق المسيحى بعد إذ استقرت الديانة المسيحية، فالشرق الاسلامى بعد إذ اتسعت رقعة الحضارة الاسلامية . وتعلمون كذلك أن رقى الفلسفة فى كل من الشرقين إنما كان صدى للتوسع الجغرافى والرقى الحضارى ، وما يتبع ذلك من تشجيع للعلم والثقافة وحث على ترجمة التراث اليونانى بما اشتمل عليه من حكمة وطب وفن وفلسفة ، فكانت الفلسفة تخصب وتزهر حيث توجد البيئة الصالحة للنمو والازدهار ، وحيث يكون التشجيع والمثوبة من جانب ذوى السلطان ، فاذا أصاب هؤلاء عقم التفكير وضيق الأفق وحل سخطهم على الفلسفة وإيذاؤهم للفلاسفة ، كان على الفلسفة إذن أن تهاجر وتنزح . وكما أن الدولة الأموية العربية حين غلبها العباسيون وشتتوا أصحابها قد هاجرت إلى الأندلس ، كذلك كانت هجرة روحية أخرى للفلسفة الاسلامية أثر اضطهادها وتكفير أصحابها فى الشرق العربى، وعلى أنقاض حضارة المشرق الثقافية إذن قامت حضارة أدبية وسياسية وفلسفية فى المغرب ، وبمعنى أدق فى الأندلس ، هى ، مهما يكن من أمرها صورة مصغرة من حضارة الشرق ، ولكنها متشابهة من ناحية وبسمات وخصائص مميزة من ناحية أخرى

كانت متشابهة من حيث أنها قد اعتمدت فى أساسها على ما كان ينقل أهل تلك البلاد من علوم الشرق سواء بالرحلة إليه والتعلم على أشهر علمائه وبجمع تراثه ونقله ونسخه ثم الشروع فى التفلسف بعد مرحلة التمهيد والدرس هذه . وآية ذلك تدرج فلاسفة الغرب فى تقديرهم لأرسطو متأخرين كما يمثلهم ابن باجة فابن طفيل فابن رشد ، كتدرج فلاسفة الشرق الكندى والفارابى وابن سينا ، إلا أنه يجب أن نقول إن ابن رشد كان أكثر فلاسفة المشرق والمغرب معرفة بأرسطو وفهماً وتقديراً له ، وذلك لأن البيئة الأندلسية قد خلت من خلافات الشرق وجدله وعقمه كما يظهر فى أشعاره وموشحاته ذاتها فى ميزان الأدب ، فجاءت فلسفة ابن رشد أرسططالية خالصة من ناحية ، ودينية عقلية من ناحية أخرى ، وذلك هو الجانب المزدوج الذى يجب أن تنظروا لابن رشد من خلاله ، فهو من ناحية ينشر ويلخص ويشرح الكثير من كتب أرسطو والفلاسفة المشائين من أتباعه وغيرهم من الاطباء والمتكلمين . . . الخ كما تجـدون فى ثبت كتبه التى ورد ذكرها بمقدمة كتابه الذى تدرسونه ، ومن ناحيـة أخرى يكتب فى علم التوحيد والعقائد ؛ أو ما يسميه فلاسفة المسلمين علم الكلام ، رسائل وكتباً كهذا الكـتاب الذى تدرسونه .

على أن التقدير الذى يحظى به ابن رشد لدى مؤرخى الفلسفة الغربيين ربما كان أكثر منه عند مؤرخينا . فهم ينظرون إليه كما قلت بوصفـه همزة الوصل ونقطة التحول التى عن طريقها تم انتقال الفلسفة إلى أوربا ثانية على يد فلاسفة المسلمين . واليهـود ولعله بهذا وحده يمكن أن يكون للفلسفة الاسلامية مكانها بوصفها حلقة ضرورية فى تاريخ الفلسفة المتصل ، وللعرب شأنهم بوصفهم حملة هذه المشاعل ونقله هذا التراث ، والأمناء على نتاج هذا الفكر الانسانى أخذوه من مصادره الأولى وتمهدوه بالتخير والانتـاج حتى أوصلوه إلى أهله كاملا غير منقوص ، وحسب الفلسفة من فلسفات العصر الوسيط أن تقوم بهـذا الدور ، فان بعضهـا لم يبلغه ـ لـكى تمد ذات رسالة ، والفضل هنا إذن لابن رشد .

لقد كتب اثنان من كبار الفلاسفة الفرنسيين المستشرقين كتابين هامـين كبيرين فى ابن رشد (وهم يسمونه averroms ويجعلون له مذهباً يسمونه averroms أحدهما ليون. جوتليه والآخر إرنست رينـــان تناوله موتك فى كتابه عن افلاسفة اليهود والعرب ، والبارون كارادى فو فى كتابه مفكرو الاسلام وإن لم يفرد له كتابا خاصاً فيما بعد كما فعل بالغزالى وابن سينا ، وكذلك الفيلسوف الهولنـدى دى بورق تاريخـــه لفلسفة الاسلام . وفى هذه المراجع وكتابات كثيرين من المستشرقين الالمان خصوصاً ودوائر المعارف الاسلامية وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان وغيرها نلمس التقدير الكبير الذى يتمتع به ابن رشد عند هؤلاء المؤرخين والمصنفين مبلغهم من العلم به وبفلسفته ضئيل

ومن هذه المؤلفات ماهو مترجم إلى العربية تستطيع أن ترجع إليه كـكتاب العلامة دى بور المشار اليه ، ترجمة الاستاذ الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة مدرس الفلسفة الاسلامية فى كلية الآداب ترجمة علمية دقيقة مزودة بالتعليقات والمراجع كذلك تجـدون مادة ابن رشد فى إحدى مجـلدات دائرة المعارف الاسلامية التى ظهرت ترجمتها العربية فعلا للاستاذ عبد الحميد يونس وزملائه الثلاثة .

أما المؤلفات العربية فى ابن رشد فأهمها : كتاب فى مجموعة أعلام الإسلام (العدد ١١ فبراير ١٩٤٥) التى تنشرها لجنة ترجمة دائرة المارف الاسلامية السابقة الذكر عند عيسى الحلبي — هذا الـكتاب هو : ابن رشد الفيلسوف للاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية أصول الدين بالأزهر ،وهو على سهولته وتبسيطه كتـاب واف بحياة الفيلسوف وعصره ومذهبه ، ولا بد أن ترجعوا إليه وتعولوا على ماجاء فيه من دراسة هى مزيج مهضوم فى عقل صاحبه من مختلف الآراء العربية والغربية لابن رشد ومذهبه • ففيه مادة صالحة طيبة •ارجعوا كذلك إلى كتاب قديم للاستاذ فرح أنطون عن ، ابن رشد ومذهبه • ففيه مادة صالحة طيبة وافية بالغرض،وكذلك باب ابن رشد من كتاب فلاسفة الاسلام للاستاذ محمد لطفى جمعه المحامى •

سوف يعفيكم الـكتاب المطلوب إليـكم دراسته من تعرف ابن رشد فى دوره الأهم الذى أتحدث عنه حتى الآن ؛ وكما يفهمه المؤرخون الأوربيون ، لأنه يعالج فلسفة إسلامية خالصة موضوعها التوحيد أو علم الـكلام ، وهو ما كان ابن رشد يصطنعه للرد على الغزالى وأضرابه ممن كفروا فلاسفة الشرق كابن سينا فى قولهم بأن الله يعلم الـكليـات دون الجزئيات وغير ذلك من المسائل الدينية التى كانت محل خلاف •ومن هذه الردود ماجعله ابن رشد مباشرا يتناول فيه قول الخصم ثم يتولى إدحاضه ككتاب تهافت التهافت الذى رد فيه على « تهافت الفلاسفة » للغزالى ، ومنهـا ماهو غير مباشر تظهر فيه براعة ابن رشد فى عرض عقائد الملة وأمور الدين عرضاً لاتتنافى فيه الفلسفة والدين كهذا الـكتاب •

وفى عنوانات هذه الـكتب ذاتها دليل على ماتريد أن نبين من طبيعتها • ففى المجموعة التى بين أيديكم كتابان : فصل المقال فيما بين الحـكمة والشريعة من الاتصال — وهو كتاب قيم له أهميته ودلالته من حيث مايعرض له — وهو كفيل بأن يرد إلى الصواب أولئك الذين يخشون تعارض الفلسفة والدين . إذ هو يقنعهم أن لاتعارض، بل محبة وتقارب • ولا يخرج القارىء منه إلا وقد آمن أن الفلسفة فرض واجب كبقية الفروض • فرض عين لافرض كفاية • والـكتاب الثانى فى « الـكشف عن مناهج الأدلة فى فى عقائد الملة » • وفيه يعرض الفيلسوف وقد بين من أمر توافق الفلسفة والدين فى الـكتاب السابق مابين — يعرض لمناقشة مختلف المنـاهج التى بها تقوم الأدلة méthodes الصحيحة على كثير من عقـائدنا الدينيـة الإسلامية كوجود الله وتوحيده وبقية صفاته الثبوتية والسلبية : تلك التى تنسب له صفات إيجابية كالعلم والقدرة والسمع والبصر والـكلام ، والتى تنفى عنه صفات سلبية كالجهل والعجز والصمم والعمى والبكم ... ثم مشكلة ارسال الرسل أو النبوة والتدليل على معقوليتها ؛ وأخيراً مشكلة العالم الآخر التى تقول بها الأديان.

وقبل أن نشرع منذ المقال التالى فى تحليل هذا الـكتاب لابن رشد ، أرى بدك أن تلم بتاريخ حياته إلماماً كافيا ، تعرف منه تاريخ مولده ووفاته والقرن الذى عاش فيه من التاريخين الهجرى والميلادى، ثم مكانة قرطبة التى ولد فيها وتفلسف وما تقلبت فيه من عزوذل والتاريخ العام لدولة الأندلس وما تعاقب عليها من الحـكام — منذ فتحها عبد الرحمن الداخل الأموى (١٣٨ هـ) — من أمـويين فرابطين فموحدين — وخصائص كل عصر من حيث الاهتمام بالعلم وتشجيع الأدب والفلسفة — وأخيرا حيـاة الفيلسوف ونشأته ودراسته ومصنفاته والجانب المزدوج فى مهمته الفلسفية الذى عرض فيه للحكمة الأرسطية والشريعة الاسلامية فأحسن التوفيق بينهما ،

وإلى الملتقى فى حديثنا التالى .

كمال دسوقى

كتاب أحلام في التربية

للاستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

قرأت هذا الكتاب منذ أسبوعين ، وقد وضعه مؤلفه مستر بورنز منذ حوالى عشرين سنة، وقدمه الدوز هكسلى حفيد هكسلى العظيم ، فرأيت أن ألخصه لقراء الرسالة الغراء .

الكتاب طريف الموضوع ، شائق ، سهل الأسلوب إلى حد بعيد ، يجعل القارىء المتوسط الذى لم ينل حظاً كبيراً من علوم الفلسفة والتربية ، يقبل على قراءته بشغف ولذة ، وذلك لأنه أقرب إلى القصص والأساطير منه إلى كتب التربية والتعليم . ومما يساعد على فهمه ويغرى بقراءته سهولة تعبيره واتساع أفق الخيال فيه وما فيه من طرائف جديدة ، وقد ألبس المؤلف الجد ثوب الهزل فجعله قريباً إلى الأذهان سهل المطالعة للكثيرين .

إن الكاتب يحس كما يحس الكثيرون منا ، أننا ندور فى حلقة مفرغة إذ لا ندرى لماذا نبعث بأبنائنا إلى المدارس وإن كنا نبعث بهم على أى حال ، وذلك لأن المدارس التى جعلت لإعدادهم للحياة السعيدة ، هى فى الواقع كثيراً ما تجنى عليهم بفساد أنظمتها التى تذهب بكثير من استعداداتهم وقبر ملكاتهم وضياع مواهبهم ، لأن الحياة فيها جحيم وقوده أطفالنا الأبرياء .

إن المؤلف يرى أن النظام المدرسى وجد على أنه أداة لحياة صالحة سعيدة ، ولكن الآية انعكست وصارت مفسدة لكثير من الأطفال . والعجيب أننا لا ندرى ماذا نفعل لننقذ أطفالنا من هذه المأساة التى تمثل أمام أعيننا ونشاهد فصولها تعرض علينا ونحن مكتوفو الأيدى . هذا ما يدركه من يقرأ الكتاب قراءة بحث ودرس .

أما موضوع الكتاب فقد تخيل الكاتب ، أن مؤتمراً للتربية والتعليم عقد فى بقعة من الأرض ، ودعى إليه كثير من سكان الكواكب السيارة المختلفة وقد أرسل كل كوكب مندوبيه إلى هذا المؤتمر من أساتذة وشيوخ وسيدات ومن مخلوقات أخرى لا شبيه لها ولم ترها أعيننا، منها الذكر والأنثى، ومنها ما هو خليط بين الاثنين ، وقد انتظم هؤلاء جيعاً غرض واحد هو بحث مناهج التعليم والمقارنة بينها فى مختلف الأنحاء ، وتعديل ما يحتاج إلى تعديل لتأتى بالغرض المنشود الذى يسمى إليه العالم أجمع .

ولما افتتح المؤتمر أسندت رئاسته إلى مخلوق أرضى ، فرحب بالأعضاء ، ثم أتى بموجز لتاريخ التعليم فقال :

إنه عرف فى أول أمره على أنه أداة لتعليم مواد ثلاث : هى القراءة والكتابة والحساب ، وهذا غرض متواضع لا يتفق مع جلال التربية والتعليم ، إذ الأحرى بمثل هذا الغرض أن تكون أداته أقل قيمة من التربية والتعليم . فاذا كانت التربية والتعليم لا غرض لهما سوى أن يكونا أداة لتعليم هذه المواد الثلاث فما أقل شأنهما وأسوأ حظهما ، ثم قال :

إن الغرض من التعليم أجل وأشرف من هذا بكثير ، والذى يجب أن يهدف إليه التعليم هو : الفلسفة وعلم النفس والسياسة وعلم وظائف الأعضاء ، لأن هذه الأشياء هى أساس حياة الإنسان وسعادته ، فعلى مقدار فهمه لها ومعرفة دقائقها تتوقف سعادته فى حياته ويكون نفعه للانسانية ، فيجب ألا تكون حياة الإنسان هباء فى هباء ، لأنه لا يستطيع أن يتصل بالآخرين اتصالاً وثيقاً وأن يحيا حياة فياضة بالمعانى السامية والغايات النبيلة إلا إذا فهم الجماعة الإنسانية ، والأحوال الاجتماعية فهما صحيحاً ، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا كان له قسط وافر من هذه العلوم التى يجب أن تكون الغرض من التعليم .

ولكن هذا لم يرق مندوب (المريخ) فاعترض قائلا : ما هى الفلسفة وما هو علم النفس وما هى الفائدة المرجوة منهما حتى يكونا الغرض من التعليم ؟

ولكنى أرى أن التعليم والتربية، أسمى من أن يكونا أداة لمثل هذه المواد ، بل يجب أن يوضع التعليم للوطنية والأخلاق ، إذ أنهما أساس الحياة . ويصر مندوب المريخ على أن يكون عملياً فى كل شىء يقرره ، فتراه يرفض تدريس الجغرافية مثلا ، لأن المدارس تدرس الجغرافية من أول نشأتها ولم تمد على العالم بشىء إنه يريد أن يستقصى الأمر بطريقة علمية أكثر من ذلك فائدة وأدوم ثباتاً ، حتى أنه قال . لماذا ندرس الجغرافية ! وماذا يضيرنا لو لم ندرسها ؟ وغير ذلك من مثل هذا التساؤل عن كثير من المواد الدراسية .

أما مندوب (المشترى) فانه يعقد مقارنة بين تربية الأطفال وبين الصناعات الأخرى من حيث قدرة الأطفال والنوع الذى يناسبهم من التعليم ، فقال . لقد أصبح العلم متدخلا فى جميع مشروعاتنا وأعمالنا ، بمعنى أننا لا نقدم على عمل ولا نخطو خطوة فى حياتنا ما لم يكن العلم رائدنا ومرشدنا ، ففى مصنع الأحذية مثلا، نختبر الجلود ونبحثها بالطرق العلمية لنعرف مصادرها ولنرى من أى نوع هى ، وهل هى من النوع الخشن أو الجيد ؟ وهل كانت الحيوانات التى أخذت منها هزيلة أم سمينة ؟ وغير ذلك .

فلماذا لا نتبع هذه الطريقة مع أطفالنا فنبحث بيئاتهم وعائلاتهم ونستقصى تاريخهم ونتتبع منشأهم لنرى هل من المتيسر لهم أن ينموا نموا طبيعيا أم هم معرضون للامراض المختلفة من جسميه واجتماعية وخلقية . إن المدرسة صنو المصنع سواء بسواء ، فمصنع الأحذية مثلا يبدأ بالجلود وينتهى به المطاف إلى الاحذية الكاملة المتقنة ، وكذلك المدرسة فانها تبدأ بالطفل الصغير وتنتهى بالرجل الناضج الكامل العقل والتفكير . فالواجب علينا أننا ما دمنا نستخدم مختلف العلوم فى الصناعات ، أن نفعل مع الاطفال مثل هذا حتى نأتى بالثمرة المرجوة ... ثم قال :

مما جعلنى استلقى على قفاى من الضحك ، أنه فى أثناء عبورى من المشترى إلى هنا ، كنت أتسلى بقراءة شىء عن نظم التعليم سابقا ، فاستوقف نظرى مايسمونه نظام البكالوريا ، وأن هذه الشهادة تعتبر جواز المرور لحاملها . يا للسخافة ! أيجعلون الشهادات مقياسا لكفاءات المتعلمين والرجال المفكرين ، إن وباء الحمى القرمزية لم يكن أكثر شرا من ذلك النظام الفاسد فى تلك العصور المظلمة والعوالم المتأخرة .

إنه لا بد لكل طالب فى عالمنا (المشترى) من فرصة يسيح فيها عاما كاملا ليرى الشعوب الأخرى ويشاهد أخلاقها ويطلع على أنظمتها ويختبر طرق حياتها ، وثقافة الانسان عندنا لا تتم إلا إذا أتم بهذه السياحة واستفاد منها وعمل بما رأى فيها من خير وتجنب فيها من شر .

ثم تكلم مندوب الزهرة وأبدى عجبه من اهتمامنا باعداد المواد واهمالنا الطفل الذى يجب أن يكون الاهتمام به هو قبل كل شىء فقال .

إن محور التعليم عندنا ليس المواد المختلفة كالجبر والهندسه واللغات وغيرها ، ولكن المحور الحقيقى الذى نوليه كل عنايتنا هو الطفل نفسه ، فلا يهمنا أن تذهب هذه العلوم إلى حيث شاءت ولكن ليبقى لنا الطفل . إن هذه المواد جميعا قد وجدت من أجل الطفل ، ولم يوجد الطفل لها ... ثم قال

لقد كان الباحثون فى التربية قديما ، يجعلون الطفل فى المنزلة الثانية بعد المواد ، وما ذلك إلا لضيق تفكيرهم ، حتى أن المعلم الذى كان يبدى اهتماما ظاهرا بالاطفال لا يساوى فى نظرهم شيئا . أما اليوم فاننا يجب أن نجعل الطفل فى المرتبة الأولى وأن نوليه كل عنايتنا .

ثم ذكر حقيقة قد أغفلناها نحن وطال إغفالنا لها حتى كدنا ننساها كل النسيان ، وذلك أننا نحمل الطفل من الدروس أكثر مما يطيق ، ونعطيه من المواد فوق ما يحتمل ، فاذا عجز عن تحملها أضفنا إليه أهمالا أخرى فنأتى له بالمدرسين الخصوصيين ونحبسه مع كتبه فى حجرة بعيدة عن الآخرين ، ونضطره إلى البقاء حبيسا حتى تعتل صحته البدنية وتختل قواه العقلية وتفسد اخلاقه ، وربما أدى به الحال إلى السير فى طريق الفساد والاجرام دون أن يبلغ ما حبس من أجله وهو الشهادة المرجوة والنجاح المأمول .

إن الشهادة ليست بذات قيمة كبيرة ولا تستحق منا هذا الاهتمام الذى يجعلنا نسلب أولادنا صحة أبدانهم ونفقدهم عقولهم ولو كان هذا من أجل علوم الدنيا مجتمعة .

وقد قال المندوب ! إننا لم نترك حجرا على حجر فى هذه الناحية الا قلبناه ونقبنا حوله ، حتى أصبحنا نؤمن إيمانا كاملا بأن نما النفس والروح لا يتم إلا على نمـا الجسم — والمثل يقول العقل السليم فى الجسم السليم — ويقول : أطعم الجسم العارى هواء نقيا وشمسا مشرقة ، تكن بذلك قد غذيت الروح وطهرتها من الشوائب ، أما لو أهملت الجسم فانك تقتل الروح وتفسدها .

ثم عرض المؤلف لكثير من أراء مندوبى كثير من الكواكب التى تخيلها قد حضرت المؤتمر لهذا الغرض النبيل ، لا داعى لذكرها هنا حيث أن كل المناقشات كانت تنصب على هذه الأغراض المهمة .

في محراب الأشواق!

هذا مكانك ؛ ههنا محراب اشواق وحبى
كم جئته والدمع ، دمع الشوق ، يختلج بهدبى
كم جئته والذكريات تفيض من روحى وقلبى
يعددن حولى ظلهن وينتفضن بكل درب

. . .

هذا مكانك ، كم أتيت إلى مكانك موهنا
تمضى بى الساعات ، لاأدرى بها ... وأنا هنا
روح اصاخ لهتفة الذكرى ، وللماضى رنا
يتنسم الجو الحبيب ، ويستعيد رؤى المنى !

. . .

هذا مكانك ، مثل روحى ، فيه احساس كئيب
متحسر ... يصبو إلى الماضى ، إلى الأمس الحبيب

والحق إن واضع الكتاب استطاع أن يصوغ آراءه الجديدة فى صور هزلية واستطاع أن يضحك من نظم التعليم الفاسدة فى غير تعرض لأحد أو مساس بأى دولة .

. . .

هذا كلام قبل عشرين سنة وقد ظهر فساده ولكننا نحن فى مصر لازلنا متمسكين به رغم أعترافنا بفساده وعدم ملاءمته للطرق التربوية الحديثة : فمتى ياترى نقلع عن هذه الأخطاء ونصلح هذه المفاسد التى تضيع كثيرا من المواهب وتقبر كثيرا من العبقريات إننا نتوجه إلى القائمين بأعمال التربية والتعليم وعلى رأسهم عميد الأدب العربى الكبير معالى الدكتور طه حسين بك وزير المعارف أن يعيدوا النظر فى برامج التعليم على ضوء النظريات الحديثة ، والله ولى التوفيق .

عبد الموجود عبد الحافظ

أسيوط

متسائل عن شاعرين ، هواهما حلم غريب !
كم رنحا بالشعر جوهما ، ففاض جوى مذيب

. . .

هذا مكانك ، اين انت ؟ وأين أطياف الفتون ؟
المقعد الخالى يحن اليك مرفقه الحنون ...
أسوان ، يرمقنى ، وقد أهويت أنشج فى سكون
ومواجدى ملهوفة النيران ، تهدر فى جنون

. . .

ذنبى الذى قد هاج ثورة قلبك المترفع
كفرت عنه بأدمعى ، بتهدى ، بتوجعى
كفرت عنه بما ترى من ذلتى وتخشعى
ويخفض قمة كبريائى الشامخ المتمنع !

. . .

ذنبى ؟ وما ذنبى ؟ألا ويلاه من ظلم القيود !
ماحيلتى والغل فى عنقى على حبل الوريد !
اواه ! حتى انت لم تنصف هوى قلبى الشهيد ؟!
أواه ؟ حتى أنت تظلمنى مع القدر العنيد ! ؟

. . .

قلبى يئن ، يلوب فى ألم ؛ يسائل فى شرود :
لم لايعود ، فلا يجيب سوى صدى (لم لايعود)
وأروح ، فى شفتى أشعار ، وفى كفى عود
وأعاتب الأيام ، والزمن المفرق ، والوجود ! ...

. . .

لم لاتعود ؟ أنا هنا وحدى بهيكل ذكرياتى
وحدى ، ولكنى أحسك فى دمى ، فى عاطفاتى
اصغى لصوتك ، للصدى المفنوم فى أغوار ذاتى
وأراك من حولى ، وفى ، وملء آفاق الحياة !

فدوى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

استقبال تيمور بالمجمع اللغوى

كان يوم الخميس الماضى موعد الجلسة العلنية التى عقدها مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية لاستقبال الأستاذ محمود تيمور بك بعد انتخابه وصدور المرسوم الملكى بتعيينه عضواً عاملا بالمجمع خلفاً للمستشرق الألمانى المرحوم الدكتور أوجست فيشر، وكانت كلمة الاستقبال لمعالى الدكتور طه حسين بك، وقد تحدث فيها عن تاريخ الأسرة التيمورية ومكانة أفرادها وآثارهم فى العلم والأدب والفن، ولما خلص إلى الحديث عن الاستاذ محمود بك قال يخاطبه: ولعلك تذكر وإنى أذكرك إن كنت نسيت حديثاً ألقيته فى بعض مؤتمرات المستشرقين وكنت تخلص فيه للدفاع عن العامية ولم تكن تقدر أنك ستكون مجمعياً يوما ولم تقدر أن العربية أقوى منك كما كانت أقوى من كثيرين، لا من الأفراد بل من الشعوب، ولم تكن تقدر أنك ستضطر يوماً أن تكون من حماة العربية الفصحى التى كنت تؤثر عليها العامية فى بعض أوقاتك ثم نرى تغلب هذه العربية عليك يزداد شيئاً فشيئاً، وإذا هى تلتهمك التهاماً، وإذا هى تقهرك على ما تريد هى لا ما كنت تريد أنت، وإذا أنت لا تستطيع إلا أن تكرهها فى شىء واحد هو خير ما تحب لها وهو خير ما تحب لنفسها تكرهها على أن تتلقى من المعانى والخواطر الرائعة مالم تألفه من قبل، وإذا أنت من المرنين لها أحسن تمرين

وقال: وأنت كاتب حلو النفس عذب الروح خفيف الظل لا تثقل على قارئك مهما تطل عشرته، وأذكر أنى تلقيت بباريس كتابك «سلوى فى مهب الريح» فترددت فى قراءته وآثرت أن أقرأ ما أقرأ من الأدب الفرنسى ولا سيما حينما أكون فى فرنسا ولكنى لا أستطيع أن أرد نفسى عن قراءة آثارك؛ فأخذت نفسى بقراءة صحف منه بين حين وحين على ألا ينصرف عما أنا فيه من قراءة، وأقسم أنى ما بدأتها حتى أعرضت عن كل ما سواه ومضيت فى القراءة حتى إنى لم أقطعها القراءة إلا حين لم يكن من قطعها بد.

وأفاض الدكتور طه حسين بك فى تحليل أدب تيمور، ووصفه بأنه أديب عالمى ليس أدبه مقصوراً على مصر وحدها ولا على الشرق العربى وحده وإنما هو أدب امتد إلى الغرب إذ ترجم كثير منه إلى اللغات الأجنبية الحية. ثم قال: أتفهم الآن لماذا سعى إليك المجمع سعياً رفيقاً كما يسعى إلى شىء، ذى خطر لا يسهل الوصول إليه، بدأ فقدر آثارك الأدبية وأجازها ونوه بها، ثم استأنى بك لأنه يعرف من تواضعك وهدوئك وإيثارك لما ورثت عن أسرتك من حب العزلة والانزواء، استأنى حتى تسيغ هذا التقدير وتطمئن إليه، استأنى بك سنة أو سنتين، فلما عرف أنك تلقيت هذه الصدمة وصبرت لها واحتملتها ثم تعزيت عن تقديره إياك فسافرت وكتبت وأنتجت، هجم هجمة وأخذك على غرة، وأشهد ما عرفت ولا حسبت قط بأن المجمع يريد ضمك إليه، وإنما أخذك فجأة فى يوم ائتمر بك صديقان هما احمد امين بك وطه حسين فرشحاك، ولم يكادا يعرضان الأمر على المجمع حتى أجمع على اختيارك، وإذا أنت قد التهمك المجمع بعد أن التهمتك العربية التهاما من قبل.

وبعد ذلك وقف الأستاذ محمود تيمور بك فألقى كلمته. وقد بدأها بالتعبير عن تهيبه عضوية المجمع أو فى الحقيقة عن تواضعه ثم تحدث عن الدكتور فيشر، جريا على السنة المتبعة فى أن يتحدث الخالف عن السالف، فقال انه كان أحد أولئك الأفذاذ الذين تتراءى لهم فى مؤتنف حياتهم أحلام عزيزة وكان الحلم الذى صبغ حياة الدكتور فيشر بصبغته أنه أراد أن يكون للغة العربية معجم يؤرخ ألفاظها ويتناول ما تعاقب على هذه الألفاظ من أطوار، راجعاً بكل لفظ الى منزعه أو إلى ما يقابله فى شقائق العربية من اللغات السامية، وهو مشروع جديد ليس له سوالف تيسر عليه مهمته وكأنما الأقدار قد هيأته لذلك العمل الضخم وأعانته بأدواته، فهو المتفقة فى شق اللغات السامية، وهو العليم بموازين الدراسات فى اللغات على اختلافها، وهو البصير بقواعد البحث العلمى على أدق مناهجه، وهو الصابر المثابر، وهو صاحب الهوى العذري

للغة العربية على وجه خاص. صرف نفسه إلى منابع اللغة نفسها من منظوم ومنثور فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام وأكب عليها يستقرى ألفاظها ويتبين معانيها فى سياق الكلام ويستجلى تطور هذه المعانى وتنقلها بين الحقائق والمجازات، لبث الدكتور فيشر أطيب عمره فى هذا العمل، ثم دعى إلى المجمع عضواً عاملا فيه، ثم طلب إليه أن ينجز معجمه فى دار المجمع على أن تهيأ له وسائل الاقامة والعمل، فخف له واستمر فيه حتى كانت الحرب المشؤمة فحالت بينه وبين العودة المنوبة لاستئناف عمله فى وطن حلمه العزيز، وبينما كانت العقبات تذلل فى سبيل أن يعود عجلت به المنون الى عالم الغيب والشهادة، تاركا فى هذه الدار صناديق معجمه تخفق فيها روحه، كأنها تنكر على الناعى أنه قضى.

ثم تحدث الأستاذ تيمور عن مهمة المجمع فى المحافظة على سلامة اللغة العربية التى أصبحنا مؤمنين بأنها لغتنا التى يجب أن ننهض بتنميتها، ولذلك يعد المجمع من المؤسسات التى تقتضيها حياتنا الإجتماعية. ومما قاله فى هذا البحث القيم: لاتثريب علينا فى المفاخرة بأن لغتنا العربية غنية بألفاظها وتراكيبها، ولكن الغنى اللغوى لايقوم باختزان الكنوز، ولكنه يقوم بمقدار التعامل، ونحن نملك من ودائع الألفاظ والتراكيب ماتضيق به خزائن المعجمات، فمثلنا فى ذلك مثل امرىء يحتاز القناطير المقنطرة من صكوك لايجرى بها تعامل، على حين أن السوق مغمورة بصكوك أخرى يتعامل بها الناس، فالسوق فى غنى عن صاحب تلك القناطير، وهو لما تحمل السوق من سلع فقير. ومنه قوله: وفى غير مستطاع المجمع اللغوى أن يصنع الألفاظ صنعا أو أن يفرضها على المدلولات فرضا، وإنما الذى يستطيع أن يفرض هو البيئة المثقفة وحدها، فالكتاب والعلماء والباحثون والدارسون فى كل فن ومنحى هم الذين يستوحون ضرورة الاستعمال ويستلهمون ذوق التعبير، وعلى المجمع بعد ذلك أن يستصفى مايتلقاه من لغة المجتمع بالتأييد والإقرار، حتى يكون مثله فى ذلك كمثل الطعام، لا يطمئن الناس إلى صلاحيته إلا أن ختمه معمل التحليل بخاتم الأمان.

كشكول الأسبوع

□ عقد مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية الجلسة الختامية لهذه الدورة يوم الأحد الماضى، وقد ناقش فيها المقترحات التى انتهى إليها الأستاذ الزيات فى محاضرته «حق المحدثين فى الوضع اللغوى» وفى العدد القادم أهم ما دار فيها.

□ فى حفلة تكريم الأستاذ سعيد العريان قدم الأستاذ يوسف كامل عميد معهد الفنون الجميلة العليا تمثال توت عنخ أمون هدية للأستاذ سعيد، وكان يود أن يهدى إليه تمثال الكاتب المصرى ولكن الوقت ضاق دون إعداده. وهكذا اشترك فن النحت فى تكريم الأديب الكبير.

□ الآن أصبح التعليم فى جميع مدارس وزارة المعارف والمدارس الحرة التابعة لها بالمجان فى جميع أنواعه ومراحله، ولم يبق بمصروفات إلا التعليم الجامعي والعالى، وينتظر أن تعلن مجانيته فى عيد الميلاد الملكى يوم ١١ فبراير الحالى. وذلك كله عمل عظيم لم يقدر عليه غير طه حسين العظيم.

□ يوجه معالى وزير المعارف اهتمامه نحو توثيق الصلات الثقافية بين مصر وسائر البلاد العربية، ومن مشروعاته فى ذلك إنشاء مراكز ثقافية مصرية فى الحواضر العربية، وتتجه عنايته بخاصة إلى تونس والجزائر ومراكش لإنشاء مدارس مصرية فيها. وقد صرح معاليه بأنه لا يعتقد أن مصر ستصادف عقبات فى هذا السبيل، لأن لكل من فرنسا وإسبانيا بمصر منشآت ثقافية، ومصر ستطلب من هذه الدول أن تعاملها بالمثل، فتصر على إنشاء ما تريد لنشر الثقافة فى البلاد العربية بشمال إفريقية، ولن تتوانى عن إغلاق الموجود فى مصر من مدارس الدول التى تعترض على ذلك.

□ كانت العلاقات الثقافية الرسمية بين مصر والعراق، قد شابها شىء من غبار السياسة، ولكن الجو قد صفا فى الأسابيع الأخيرة بفضل الاتصالات التى جرت بين رجال العراق الذين زاروا القاهرة أخيرا وبين الجهات المصرية.

□ صدر أخيرا كتاب «الأدب فى ظل بنى بويه» للأديب العراقى الأستاذ محمود غناوى الزهيرى. والكتاب رسالة نال بها المؤلف درجة الماجستير فى الآداب من جامعة فؤاد الأول. وقد خص بالبحث فيه موضوعا يتصل بوطنه الخاص: العراق فقدم به عملا أدبيا ممتازا للوطن العربى العام.

□ وافق معالى وزير المعارف على تعيين الأستاذ ابراهيم الإبيارى مديراً لإدارة التراث القديم بالوزارة والأستاذ حامد عبد المجيد وكيلا لها، والأستاذان من أنشط المشتغلين بإحياء الآثار الأدبية، وأقدرهم على التحقيق. والإدارة تعمل الآن فى إخراج كتاب «رفع الإصر عن قضاة مصر» لابن حجر العسقلانى.

تكريم العريان

فى يوم الخميس الماضى احتفل جمع من الأدباء ورجال التعليم بتكريم الأستاذ محمد سعيد العريان فى نادى الصحفيين . وكان من خطباء الحفل الأساتذة عطيـة الأبراشى وعبد الله حبيب ومحمود العزب موسى وطه عبد الباقى سرور . ومن الشعراء الأساتذة محمود غنيم وعلى الجبلاطى ومحمد مصطفى حمام وعزت حماد . وقد أناب عميد الأدباء معالى الدكتور طه حسين بك عنـه الأستاذ حسين عزت مدير مكتبه فألقى كلمة بالنيابة عن معاليه عبر فيها عن مشاركته فى تكريم المحتفل به وتقدير أدبه الممتاز وإنتاجه القيم

كانت كلمة الأستاذ الأبرشى جامعة شاملة ، إذ كان موضوعها « أثر الأستاذ العريان فى الأدب والتعليم » وهو موضوع مترامى الأطراف اضطر فيه أن يمر بنواحيه مرورا عابرا أشبه بخاء بتقارير المفتشين منه بالدراسة الكاشفة ، ويظهر أن الوقت كان ضيقا فلم يكف لأن يتصفح الأستاذ كل مؤلفات العريان ، ولـكن كان ينبغى أن يتجنب الحديث عما لم يتمكن من الاطلاع عليه وهو كتاب « حياة الرافعى » إذ قال عنه إنه دراسة تحليلية لأدب الرافعى ، وهو ليس كذلك ، إنما هو دراسة لحياة الرافعى لا لأدبه

وكان موضوع الأستاذ عبد الله حبيب « حياة الأستاذ العريان من مؤلفاته » وقد استطاع أن يصور ملامح شخصيته ونوازع نفسه بعرض أهم الأحداث فى حياته وصداها فى كتبه . وقد عرض لصلة العريان بالرافعى فذكر أن بعض الناس قالوا : لقـد أصبح العريان رافعيا ، وأن الدكتور طه حسين قال . لم يصبح العريان رافعيا ولـكنه أصبح مدره الرافعى . ثم ذهب الأستاذ عبد الله إلى أن الرافعى هو الذى أصبح عريانيا ، وفسر ذلك بأن كتابات الرافعى فى عهده الأول كانت غامضة مستغلقة ، ثم كان فى العهد الثانى يملى على العريان فـكان هذا يتوقف عن الـكتابة إذا أغلق بيان الرافعى ، فيقول له . حتى أنت ياعريان قد أصبحت عاميا . فيجيبه . إذا كنت حيال هذا الغموض قد أصبحت عاميا فكيف يصبح حال الآخرين ؟ ثم تهـدأ ثورة الرافعى فيعود إلى عبارته بالتوضيح والتقويم . وقد عقب الأستاذ العريان على هذا فى كلمته الشاكرة — بأنه غير صحيح . عقب بهذه العبارة الإجمالية التى تشبه البلاغات الرسمية ، وكنا نود أن يبسط القول فى هذه النقطة ولـكن يظهر أن ملابساته الرسمية الأخيرة غلبت عليه ..

وتناول الأستاذ عبد الله حبيب فى حديثه أيضا مسألة إقصاء الأستاذ العريان عن وزارة المعارف ، فأشاد بفضل هذا الإقصاء على الأدب إذ تفرغ للدراسة والانتاج ، فأصدر مؤلفات قيمة وكان بصدد مؤلفات أخرى لولا « جناية » وزارة المعارف أخيراً برضائها عنه .. إلى أن قال . هل لنا أن نلتمس من صاحب المعالى وزيرنا الجليل أن يتفضل باقصائه عن الوزارة فترة قصيرة يفرغ فيها لاخراج هذه الكتب التى تعطلت بسبب رضائه عنـه وإعجابه بكفايته ...

وكانت قصيدة الأستاذ غنيم رائعة خفيفة الظل ، قال فى أولها .

كرموه تـكرموا عريانا لبس الفضل وحده طيلسانا
قد كسته الطروس ثوب فخار وكساها من فنـه ألوانا

وكان اسم « العريان » موضع الدعابة اللفظية والتفنن فى المعانى للخطباء والشعراء ، ومن ذلك قول حمام .

متواضعاً ثوب الفضيلة فوقه كاس ويزعم نفسـه عريانا

بل جر هذا الاسم إلى القافية فى قصيدتى غنيم وحمام .

والملاحظ — على وجه العموم — أن الكلمات التى ألقيت — عدا كلمة الأستاذ عبد الله حبيب — كانت عائمة ، فلم يركز أحد منهم اهتمامه بناحية من النواحى الأدبية للمحتفل بتكريمه تركيزاً يكشف عنها ويبرزها ، فتلا لم أسمع من أحد منهم صدى واضحاً لقراءته كتاباً من كتب العريان . ولم يحددوا بالضبط مكانة أديبنا من أدباء العصر وخصائص أدبه الأصيلة .

ومما أستطيع أن أجمله فى هذه المناسبة ، أن الأستاذ العريان يجمع فى أسلوبه بين البيان العربى الحر والرشاقة المصرية كما يجمع فى موضوعه بين الإمتاع الفنى والبحث الدقيق والمنطق السليم ، وإنى لأراه يزحف إلى الصف الأول على رأس نفر قليل من أدباء الصف الثانى . ولا أخشى عليه من وزارة المعارف كما خشى الأستاذ الأستاذ عبد الله حبيب ، فان طبعه المكافح وروحه القلق لن يهدآ ولن يستطيع شىء أن يظفر به دون الأدب .

ويجرنى ذلك إلى التصريح برأيى فى شخصية الأستاذ سعيد ، وهو يخالف رأى أكثر الناس فيـه ، إذ يقولون : إنه رجل طيب ، مخدوعين بما يبدو عليه فى الظاهر من الهدوء والوداعة ، ومأخوذين بما يأتيه فعلا من العمل الصالح . والحقيقة التى أراها أنه ليس رجلا



(عثرات اللسان)

صنفه الأستاذ عبد القادر المغربي

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

لا عجب أن يصنف الأستاذ المغربي هذا الكتاب فهو من أشد العرب حرصاً على سلامة العربية . وهو فى تصنيفه هذا الكتاب يسير على منهج كثير ممن سبقوه من أعلام اللغة العربية الذين كانوا يجدون فى كل عصر ما يثير حفيظتهم ويحفزهم إلى حماية اللغة مما لا يفتأ يهاجمها من اللحن والخطأ .

وقد دب اللحن إلى العربية منذ أكثر من عشرة قرون وكان فصحاء العرب كالحجاج بن يوسف نفسه يحاذرون أن يقعوا فيه ولا يكاد أحدهم ينجو منه .

والكتاب ينطوى على ثلاثمائة وخمسين كلة بوبها الأستاذ على أقسام تجرى على ترتيب حروف المعجم . ولا شك فى أن اللحن فى اللغة يقع فى الوف من الألفاظ فحبذا لو استطاع الأستاذ أن يمضى فى احصائه بعد ذلك حتى يستوعب بالتصحيح كل الأخطاء الجارية على الألسن .

ولمثل هذا الكتاب فائدة غير فائدته فى التصحيح وذلك أن الأستاذ المصنف إنما يتناول الخطأ الجارى على ألسنة قطره ونستطيع منه أن نوازن بين لهجات الأقطار العربية لعل بعضها ييسر للبعض الآخر تصحيح الخطأ . وقد لاحظت فى تلك الأخطاء التى أحصاها الأستاذ أن كثيراً منها يستقيم فى لهجة العوام فى مصر . فالنذر مثلا فى لهجة الشام النذر بكسر النون وهو فى لهجة مصر النذر بفتح النون . والنثارة فى الشام بكسر النون أيضاً وهى فى مصر

طبياً كما يفهم الناس من هذا الوصف بصرف النظر عن معنى الكلمة ، إنه هادىء الصفحة ولكن صخاب فيما دونها . . إنه داهية خطير . . هو فى ملابساته العملية كما تراه فى أدبه يتعمق الأشياء وينفذ إلى الدخائل ويستكشف الدقائق . إنه يكافح فى حرب صامتة وقد شوهد أخيراً يجول ويصرع . وقد كان وجوده فى منصبه بالوزارة أخيراً بمثابة « إرهاص » لاقبال الدكتور طه حسين بك . وكم تحتاج أمور الثقافة والتعليم فى وزارة المعارف إلى هذه العزائم الصادقة والهمم التى تمضى إلى ما تريد وهى لا تريد إلا الصالح العام .

لقد أثبت عميدنا الكبير ، كما أثبت أديبنا العريان، أن الأديب — على خلاف ما يقول بعض الناس من أنه إنسان خيالى غير عملى — أهل لادارة الأمور على خير ما يكون وما ينفع الناس .

عباس خضر

بضمها وهو الصحيح . وكذلك النخالة فى الشام بكسر النون ونونها فى مصر مضمومة صحيحة . ويمكن أن نحصى من هذا النوع عددا كبيرا نجده سليما فى لهجة مصر محرفا فى لهجة الشام فمن ذلك المجون بضم الميم والمغربى بفتح الميم ومتر مكعب بضم الميم وتشديد العين المفتوحة ومساحة بكسر الميم واجنة بفتح اللام وكناسة بضم الكاف وقنينه بكسر القاف وكرة القدم بفتح الراء وتخفيفها وقرض بفتح القاف وقدوم بفتح القاف وتخفيف الدال وهكذا .

واللغة العربية ليست ملكا لقطر واحد من الأقطار بل هى ملك مشاع بين جميع الشعوب العربية ولعله من الجدير بنا إذا أردنا تقويم اللسان فى الألفاظ الشائعة أن نبدأ بحصر المحرف فى اللهجات العامية على اختلافها حصرا شاملا ثم نعمد إلى جمع ذلك كله فى شبه قاموس نذكر فيه اللفظ العربى السليم ونوجه انظار الناشئه إليه فى معاهد التعليم فى البلاد كلها . فالا كتفاء ببيان بعض الأخطاء عمل مشكور ولكنه لا يعالج الداء علاجا شافيا .

ولا يفوتنى هنا أن أشير إلى رأى ذهب إليه الأستاذ الفاضل فى مقدمة كتابه إذ قال :

« ولا يخفى أن إحياء اللغة الفصحى بيننا لا يمكن حصوله بمراعاة قواعد النحو فقط ولا بالتزام حركات الإعراب فى أواخر الكلمات التى نتكلم بها فى كلامنا الدارج فان هذا ليس بالميسور ولا المستطاع للجمهور . وإنما المستطاع هو تطهير كلامنا من الكلمات العامية المبتذلة واستعمال كلمات فصيحة مكانها . »

وهذا موضوع له خطورته فأنا أعرضه لطرافته وحسبى منه أنه دليل على ما للاستاذ من سعة الصدر وما عنده من الحماسة المشكورة على جعل لغة الحديث والحياة سليمة حية تقترب من لغة الكتابة فى فصاحة اللفظ وتجعل لغة الأدب مستساغة عند جمهور الناس

وبعد فاذا كان لى أن استدرك به على الأستاذ الفاضل فانى أظنه يذهب إلى نوع من التشدد الذى يجعل مهمة التقريب عسيرة مع أنه يسعى إليها ويدعو لها . فاذا كان لفظ يحتمل الأجازة على وجه من الوجوه كان الأجدر بنا أن نقره ولا نتشدد فى تخطيئه مادامت اللغة الفصحى لا تنكره ولا تأباه . فالبرسيم مثلا يجرى على الألسنة بفتح الباء وهو كلمة غير عربية الأصل على أكبر الظن إذ قد وجد فى عصر أقدم من الكلمة العربية مكسورة الباء فلا ضير فى بقاء اللفظ كما يستعمله الناس فى مثل هذه الحالة ومثل هذا نقول فى جرجير بفتح الجيم بدل جرها وكذلك لفظ ثكنة بضم الثاء وأظن أن تخطئه الذين يفتحون الثاء والكاف فيه شىء من النظر فجمع هذا اللفظ على وجهين أولهما ثكن بضم الثاء وفتح الكاف والآخر بفتح الثاء والكاف وهذا يشعر بأن اللفظ كان مستعملا فى المفرد بفتح الثاء والكاف وأن لم يسمعه صاحب المعجم. والأستاذ يخطىء من قال الدخان بوزن رمان مع أن القاموس نص على صحة هذا الوزن .

وهو يخطى من قال الدفعة بضم الدال والقاموس المحيط يذكر الدفعة من المطر . كما أنه لا يرضى أن نقول على الرحب بفتح الراء والرحب المكان المتسع ففيه وجه حسن .

وهو يصحح لفظ السحنة بفتح السين والحاء مما مع أنه يصح أن نقول السحنة بفتح السين واسكان الحاء وهذا أقرب فى التصحيح وأيسر كما أنه يصحح لفظ قروى بضم القاف فيجعلها بفتح القاف مع أنه يجوز على أنه نسبة للجمع وهو مقبول لغة ويكون معناه النسبة إلى القرى عامة لا إلى قرية معينة وقد جرى الاستعمال على أطلاق لفظ القروى على الذى يعيش فى قرى الريف

هذه بعض ملاحظات صغيرة أعتقد أن الأستاذ الفاضل يرحب بمثلها فهو فى علمه وتحقيقه من الأعلام الذين يرضون عن الحقيقة أكثر من رضائهم عن الموافقة ولا يمكن أن تكون مثل هذه اللاحظات اليسيرة إلا دليلا على فضل الاستاذ وتحية لجهده المشكور

محمد فريد أبو حديد

البريد الأدبي

حول ترجمة قصيدة بودلير :

فى مقالنا (الحب دوحة الأدب) ترجمنا كلمة recueillemen وهى عنوان قصيدة بودلير — بكلمة ضميمة . ولفت الدكتور عبد الرحمن بدوى نظرنا إلى أن هذه الكلمة لاتعنى هنا ماقصدنا ترجمته إلى العربية ، وإنما تعنى التفكير أو التأمل وأشار علينا أن نترجمها بكلمة تأمل مباشرة .

وراجعت هذه الترجمة فوجدت أول الأمر أن القواميس أشارت إلى معنيين لهذه الكلمة . وهما الضم أو الجمع ، والتفكير أو الأنطواء على النفس فى حالة التأمل . بيد أن الشاعر لم يقصد إلى المعنى القاموسى الثانى مباشرة لأنه كان يريد أن يستلهم مافى الكلمة من روح دينية صوفية . ولذلك نستطيع أن نقول إن فيها تأملا وتفكيرا واستبطانا وتركيزا لعمليات الدماغ ولكنها ليست شيئا من ذلك كله على حدة .

وحينما ترجمتها بكلمة ضميمة فقد كنت أريد أن أشير بذلك إلى عملية استكناه الذات التى يقوم بها الصوفى وحالة الإرتداد إلى النفس التى يكون عليها المتأمل عنـدما يستجمع تفكيره ويقوم باستلهام فؤاده واستشمار ذلك الإحساس الغريب بالطمأنينة والسلام الداخلى وقت التهجد . ومن أبرز خصائص هذه العملية هو استجماع المدارك وضم المشاعر ولصق كل من اليدين بالأخرى على نحو مايفعل المصلى المبتهل .

فلم أخطىء كثيرا حينما ترجمت هذه الكلمة على ذلك النحو . وإذا شئنا دقة أكثر فإننا نستطيع أن نترجمها بكلمة (تهويمة) فنى هذه الكلمة التى اهتديت إليها بعد التفكير الطويل كثير من روح الكلمة الفرنسية كما قصد إليها بودلير . ونلاحظ بهذه المناسبة أن الكلمة نفسها بالفرنسية غير واضحة المعنى تماما .

وعلى كل فنحن نشكر للدكتور بدوى جميل عنايته وحسن توجيهه

عبد الفتاح الديدى

ذكرى الجارم بك

فى اليوم الثامن من فبراير الماضى فاضت روح الشاعر العالم على الجارم بك وشعره يتلى على مسمع منه رثاء للمغفور له محمود فهمى النقراشى باشا .

فنحن الآن على ميقات الذكرى من رجل أحيا تراث العربية وشدا بأمجادها ، حاكى فى قصيده الأولى من أهل البيان الصحيح وكان من الرعيل الأول الذين ظفر بهم مجمع فؤاد الأول للغة العربية وكان لى حظ معرفة الرجل عن كثب حين كنت فى عداد موظفى المجمع ، فأدركت مبلغ غيرته على العربية وثورته من أجلها إذ كان لايطيق مبدأ الترخص فى ألفاظها أو فى نحوها أوفى صرفها .

وكان — رحمه الله — على شدة بصره باللغة وفهمه لآدابها شديد التواضع فى العلم يبحث عن المعرفة فى مواطنها ، ويأخذ الحكمة من كل لسان ، يبدو له الرأى الخطير فيعرضه علينا نحن تلاميذه الصغار . ويناقشنا فيه ويستدرجنا إلى القول ، حتى تتأدى له الحقيقة حرة خالصة من كل شيب !

نقول إننا على ميقات الذكرى الأولى لهذا العالم الكبير ، فهل فعلنا شيئا لتخليد ذكراه ، بل هل صنعنا شيئا حتى لاننساه؟ جواب هذا عند المجمع اللغوى وعند الذين تهدوا بهدى الجارم وتأدبوا بأدبه .

ولقد كنت منذ أيام أزور مدينة رشيد مسقط رأس الشاعر العظيم ، ، فاذا هى كابية حزينة ذهب رواؤها القديم وعفى الزمان على تليدها وطارفها وبقيت بلدة تعيش على هامش الحياة . وسألت طائفة من المثقفين من أهل رشيد : أما زلتم تذكرون الجارم الذى خلد اسم مدينتكم فى شعره وتحدث عن نخيلها وبحرها ونيلها ؟ فقالوا لم نعد نذكر من أمجاد رشيد سوى اسم الجارم ، وليس لنا من العزاء إلا أن رشيداً ذكرت فى شعر الجارم بعد أن ذوت وأهملت إهمالا لم تنحط إليه مدينة من مدائن مصر جميعا .

وقيل لى إن طائفة من أعيان المدينة أقترحوا أن يسمى شارع « السوق » باسم « على بك الجارم » فأهمل مقترحهم . ولعل مرد ذلك أن أهل العلم والأدب أمست بضاعتهم مزجاة لاتستحق الخلود ولا تصبر على أحداث الزمان ؟



رسالة من صديق..

للأستاذ غائب طعمه فرمان

كنا أربعة .. تربطنا رابطة وثيقة من التآلف والانسجام ، وتنبعث فى نفوسنا رغبات متسقة ، وآمال واحدة فى الحياة .. حتى يخيل إلينا أننا نؤلف كياناً مؤتلف الأركان فى دنيا تنهار تحت معاول الانشقاق !

وكنا نجتمع كلَّ أمسية فى بيت واحـــد منا .. نخلو إلى أفكارنا بعيدين عن ضجة الواقع ، وصخب العيش .. وكانت عقولنا تضل فى متاهات من الأفكار والتصورات ، وتهيم فى أفلاك بعيدة المدى ، غريبة عن الحياة ! .. وكل منا يحمل بين جنبيه قوة طاغية من التذمر والاندفاع وراء أخيلة غامضة حتى لقد ثبت فى ضمائرنا أن برزخاً عميقاً يفصلنا عن عالم الناس .. فقد كنا نعجب من سلوكهم ونسخر من إنشغالهم بالتوافه وصغائر الأمور .. أما نحن فنملك ذخيرة — لا تقدر — من الأفكار الرائعة ، ولا يشغلنا إلا مصير الإنسانية ومنشأ الوجود ، ولا نحفل إلا بعظائم الأمور ، لا نقلب الرأى إلا فى آفاق الكون الفسيحة !!

وكان « سامى » أكثرنا اندفاعاً ، وأعمقنا إيماناً . فقد كان روحاً هائمة فى أودية الغيب ! يسير مع فكره فى أجواء غامضة لا نهاية لها ولا حدود .. كان يزدرى الحياة ويعجب من متناقضاتها ، ويطوى نفسه فى أعماق وحدة من الفكر والشعور !

وشاء الله أن يفرق شملنا ، فقد سافر سامى إلى بيروت ، وسافرت أنا — بعده — إلى مصر ، وتطوّع ثالثنا للتدريس فى أحد أرياف العراق .. أما رابعنا فلم أسمع عنه شيئاً ! ..

وقضيت شهرين فى مصر سمعت فيهما أن سامى سافر إلى باريس .. ثم مضت الأيام وشغلتنى أسباب الحياة عن الالتفات إلى الماضى لاسترجاع صوره ، وجميل ذكرياته .. حتى جاءتنى — ذات يوم رسالة طويلة تحمل طوابع فرنسية ، وعرفت أنها من صديق الصبا « سامى » .ولا أخفى على القراء شيئاً فقد ذُهلت من أمر هذه الرسالة ، فقد قطع سامى رباط صداقتنا منذ أن سافر إلى بيروت ونسيت أنا فى غمرة الأيام صاحبى ! .. ولكنّ هذه الرسالة أعادت لى صورة ذلك الراهب فى محراب الوحدة الموحش

« عزيزى

« ... لم تعودنى حياتى الماضية على أن أصارح أحداً ،وأطلعه على مكنون نفسى .. فقـد كنت أعيش فى عالم غريب عنى كل الغرابة ، كريه إلى نفسى أشد الكره .. عالم لا تشغله إلا هموم المادة ، ولا تدور فى خلده إلا بواعث الجريمة .. فاذا تنكبت عن

كتاب الدرة لابن البيطار

أخرج الأستاذ محمد عبدالله الغزالى أمين مكتبة منطقة الأسكندرية التعليمية كتاب « الدرة البهية ، فى منافع الأبدان الإنسانية » لمؤلفه ضياء الدين أبى محمد عبدالله بن البيطار المالقى الأندلسى المتوفى سنة ٦٤٦ من الهجرة .

وقد عثر الأستاذ الغزالى على النسخة الخطية لهذا الكتاب النفيس يوم أن كان مدرساً فى الحرم الملكى بالحجاز ، فنشر منذ عشر سنوات موجزاً لها باسم « مفردات ابن البيطار » أقبل عليه الأطباء المحدثون وأدخلوا كثيراً من أعشابه فى « تركيباتهم » الأمر الذى حدا بالناشر على التوفر على النسخة الأصلية مرة أخرى فطبعها كاملة ، وأردفها بالمصطلحات الطبية فى اللغة اللاتينية . ثم عقب على « الدرة » بتعليقات قيمة عن تجاريبه وتجاريب الأطباء لأنواع النبات التى ذكرها ابن البيطار ، وخلص من ذلك إلى نصائح جمة أزجاها إلى الشباب لحفظ أبدانهم من التلف .

وقد ذكر لنا أكثر من طبيب من فضلاء الأطباء الفرنج أنهم استفادوا كما استفاد مرضاهم من كتاب ابن البيطـار ، ولا مشاحة فى أن الأستاذ الغزالى بذل جهداً يستحق عليه الثناء

الرمل

منصور جاب الله

عادني وجاءتك رسالتي محملة ببعض أسراري فما ذلك إلا لأنك صديق روحي ، ولأن إناء نفسي فاض على الجوانب .. ولم أستطع تحمل وطأة مشاعري المضمرة في صدر تتناهبه شتى الأعاصير !

وكثيراً ما كنت أخلو إلى نفسي ، وأستعرض صور الحياة الماضية ، وذكرياتها الدفينة فتلوح لي الحياة التي أحياها فصلا من « رواية » ساخرة فقدت عنصر التشويق ، وضاعت في ضمير الغيب نهايتها ! .. لهذا فقد كنت ممتلىء النفس بالحقد ، زائغ البصر عن الغاية ، أدفع قدمىّ في طريق وعرة خالية من الصوى .. لقد كنت أحاول أن أجعل من روحي ينبوع نور في طريق حياتي المظلم ، وكنت أحاول أن أرتفع من وحول الواقع إلى سماء فلسفة مثالية سامقة .. ولكن الظلمات استنزفت ينبوع نوري .. وأحسست بقوة قاسية كثيراً ما كانت تدفعني إلى .. الوحول !

وكنت .. وأنا في نشوة فلسفتي أحس بأن هناك بين أيدي البشر ملاهي تلهيهم عن مآسيهم، وتطلي وجه حياتهم البشع ببارق الألوان .. ولكن العقل المدرك لا تخدعه الأباطيل !

غير أنني أقر بأنني لم أستطع أن أبقى في قمتي الباردة ، وأتطلع إلى وجه الحياة المرعب بعينين لا يداخلهما الخوف . . فالحب — مثلا — تلك الملهاة المزمنة . أو ذلك الغاز الخانق . كثيراً ما كان يغريني ويشمرني بتفاهتي وأنا قابع في أحراش وحدتي . فرحت أتطلع إلى مشرقه في أفق قلبي بشوق شديد . . أرجوك أن لا ترمقني رمقات يربض في طياتها الاحتقار . فأنا رجل تعذب بأفكاره كثيراً . ولم أستطع، أن أتحملها فجئت أبثها لك . . ياصديق روحي .

أصارحك بأن حياتي الماضية كانت خفقات جريحة ، وأشواقا مضطرمة ، وتهاويم في عالم لا نهاية له من الآمال الكاذبة . لا تسخر ! . فان هـذا المخلوق العاق المضطرب ، الذي أوردني موارد الشقاء ، والمسمى « قلبي » كثيراً ما خفق ، وكثيراً ما تعذب، ورقص كالمذبوح على أطلال حبه، وعلى أشواك إخفاقه! . لقد كانت الكلمة التي يتغنى بها قلبي وهو وحيد لا تنطق بها شفتاه وهو في حضرة معبودته ! .

ماذا تظن ياصاحبي ؟! ..

أنحن الذين نفكر بمصير الانسانية ، وتشغلنا عظائم الأمور لا نفكر إلا بعقولنا ! . لا ياصديقي . فلم يكن رائدى أنا على الأقل في مجاهل الغيب ، وأسرار الكون ، وآفاق الإنسانية إلا قلبي . قلبي الذي تستعبده الأشواق الحائرة . إن قلبي كان دائماً دليلي وقائدي . أو قل كان جلادي ! فالنور الذي كان يتدفق منه ينير حلكة حياتي . كان في الوقت ذاته يعشي ناظري فأظل والحيرة دائماً تلازمني كظلي !

وعند ما نزلت إلى بيروت كان الشك في نفسي يعشعش ، وكنت لا أثق في نفسي أية ثقة ، ولا أطمئن إلى حياتي أي اطمئنان !

وفي بيروت صدمني الواقع أول صدمة ، وامتلأت نفسي بالمرارة . .

سأروي لك القصة من أولها . . فعلى الرغم من مرارتها فأن شوق كبير في أن أصارحك بها لتجد نتيجة فلسفتنا المحلقة في الأجواء العالية !

لقد بدت لي بيروت عالماً صاخباً لا يعرف الهدوء . أنا الرجل الراقد في أحضان السكينة في بغداد .. تلك المدينة التي مازالت تحتفظ بشيء من السحر القديم ! .

وفضلت السكنى مع عائلة فرنسية كريمة ، وعائلة قوامها أب وأم .. وابنة في الرابعة عشرة من عمرها ! . أوه . . ياصديقي لا تملأ فمك بابتسامة مثيرة ! . فتاة في الرابعة عشرة من عمرها لا تثير في نفسي أية عاطفة . . وأنا في ذرى السابعة والعشرين أحمل على عاتقي أعباء فلسفة غامضة محلقة ! لقد عاهدت نفسي على ألا أدخل في دهاليز الحب المظلمة ودروب العاطفة الملتوية . . لأن حياتي الماضية علمتني أن القلب إذا خفق وحده تسرب في خفقاته الذبول والاضمحلال ! وفلسفتي القاتمة التي يزخر بها فكري جعلتني بعيداً عن تلك الفتاة الصغيرة ! فكنت أراها في الصباح فأحييها تحية جامدة لا روح فيها ولا طراوة . . وماذا تثير في نفسي هذه الفتاة ؟ . ثم ماذا خلف لي الماضي ؟ الماضي المفعم بالكروب المتلىء طريقه بالاشواك؟ ! . . ثم حياتي في بيروت تكلفني أعباء كثيرة ، والنفس تجهد جهدها لتظفر بشيء من الراحة . ولكن لا راحة ولا اطمئنان !

وعندما كنت أرجع إلى بيتي ، وقد تحطمت قواي . أجدها

كالصورة الجميلة أو كالحديقة الغناء تحمل إلى الراحة، وأحس بالنسيم العبق يهب من جانبها!!.

وكنت أرتاح إلى ابتسامتها العذبة ، وخفتها المرحة ، ولهجتها العذبة . وماذا تطلب من فتاة فى الرابعة عشرة لاتحس بالحياة غير هذا الاحساس . ولا تحتفل بالدنيا بغير هذا الاحتفال ؟

ورجعت مرة إلى بيتى وفوق كتفى تهبط الهموم ! فرأيتهـا جالسة وحدها وهى صامتة فحييتها تحية مدرسية .فوقفت بقوامها الرشيق ، والابتسامة تشرق من شفتيها . . وعيناها تضحكان !

فرأيتنى أتطلع إليها ! فقد لاحت لى زهرة غضة . أو عالمـاً صغيراً مليئاً بالأحلام تلك العوالم التى ضللت فى مسارها طوال حياتى . وعبق من أغوار ذلك العالم عطر مسكن . ورحت أتأملها كما أتأمل لغزاً جميلا !

وعندما خلوت إلى نفسى كان عطر ذلك العالم الصغير لايزال يعبق فى أنفى!

وغمرنى فيض من الأفـــكار وأنا فى فراشى . ودخلت فى متمدح أحلامى أتجمل ! . ووقفت أمام مخيلتى هى . بقوامهـــا الرشيق . وابتسامتها . وعيناها تضحكان ! ورحت أتطلـع إلى خيالها كما يتطلع الانسان الى تمثال يشرق منـه النور ! واتجهت بكل تفكيرى وإحساسى إليها ، فبدت لى حـلوة عـذبة كزهرة غارقة بشذاها فأشفقت إليها . لأول مرة . وأحسست بقوه تدفعنى إليها دفعاً .

ولم أنم ليلتى ! . ويح قلبى ماذا جرى له ؟ ويح فكرى ماذا يحمل من أفكار قاتمة ؟ ياويح نفسى إلى أية جهة تساق ؟

وفى الصباح كنت أحس بجوع صارخ لها . وطلعت على كما يطلع النجم فى ليل السارى . ونظرت إليها من تحت جفنين أثقلهما التعب ، وأرثها التفكير الطويل ، والسهر ، والأوهام . فلاحت لى حورية !

ومن ذلك اليوم تبدل كل شىء !

رحمـاك لاتهزأ بى ، فأنا رجل شقى . أنا أطلال من حيـاة إنسانية ! لقد عشت فى جو كئيب غامض ليس له عطر . لقـد حملت نفسى فوق طاقتها وبنيت على أساسها الرملى قصور فلسفتى ومعابدها ، وأطلقت فى جنباتها بخوراً من وجدانى . ولكن اليوم أرقب معابد فلسفتى تنهار ، وبخور وجدانى يتحول إلى رائحة سامة . لقد كنت دائما أهرب من عملاق مارد إلى هيا كل فلسفتى وآرائى الشاذة . فقد كنت أخاف هذا العملاق أشد الخوف أتعرف ماهو ؟ إنه الحرمان . الجلاد الذى كان يسومنى سوء العذاب إن حياتى لو كتبها قصاص لكان عنوانها الحرمان . الحرمان من كل شىء . فهذا الشيطان المريد يطالعنى أنى توجهت ، ويرسم لى خطة قاسية فى الحياة !

فاذا وقفت على أعتاب عالم جميل ، وهربت من جلادى فأشفق على ، وأرأف بقلبى العمود ! وإذا لاحت إيماضة فى ليل وحدتى ، أو خفقت نسمة ندية فى صحراء جوعى العاطفى ، فأرجوك ألا تسخر منى . . أنا الظمآن الذى كاد يقتله الظمأ !

أوه ياصديقى . . أنا على أعتاب العالم الجميل ؟ أرتجف ! . . وتتملكنى هزات عنيفة فانا خائف أتوجس ، خجل أتردد !

هذه حالتى . . أما هى فقد تسألنى عنها . . هل تحس بما فى نظراتى من لهفة ، وبما تنم عليه قسمات وجهى من شغف ، وبما يختلج فى صوتى من أصداء لعاطفتى الحبيسة ؟ فأجيبك بأننى لا أدرى . . فقد كانت الطفولة تسبغ عليها ظلالا جميلة ، وتخلق أمام عينيها أودية خضراء ، وتفتح لها أبواباً من الانطلاق والسرور والاندفاع ؛ فهى مبتهجة .دائماً ، باسمة أبداً ، دنيا من السحر والفتنة فى كل الأحايين . أما أنا . المخلوق التمس فاننى ألتمس خطابى إلى ينبوع عينيها ، وتوخسنى الاشواك وحدى !

ومرة رجعت إلى بيتى متعباً ، فالحياة دائماً تحاربنى كأننى لست من أبنائها فراحت معانيها تساقط من عينى ، وأحس فى أعصابى جفاء صحرائها !

وعندما دلفت إلى بيتى . رأيتها واقفة ، والابتسامة تترقرق فى محياها

يالله . . أهذه طفلة بنت الرابعة عشرة ؟

لقد بدت فى عينى شيئاً آخر أكبر من طفلة . كانت ترتدى فستاناً أزرق كلون السماء الصافية ، وقد شدت على خصرهـا النحيل نطاقا أبيض كلون الثلج . أما محياها فقد أذهلنى . .

ماهذا ؟ لم أعهدها تستعمل « الأحمر شفايف » ! ولم أعهدها تتزين ورحت أنظلم إلى وجهها ، وقد صبغته حمرتان : حمرة الخجل ، وحمرة من زينتها – ولاح على ناظرى تساؤل وعجب !

أقسم لك إن حياتى الماضية لم تعلمنى كيف أتصرف فى مثل هـذه المواقف ، فهذه الصفحات من يد الأقدار ، وأنا مختنق بأفكارى ، أتلفت فى آفاق حيرتى ؛ هزمت كل ثقة فى نفسى ، وحطمت كل قوة من أعصابى ، وتركت فى نفسى رماداً وهشيما ..

ورأيتنى أتســـلل كاللص إلى غرفتى ... وبين جوانحى تمول الزوابع !

وفى وحدتى كانت الطيوف سمارى ... وكانت صورتهـا دنياى التى ضللت فى دروبها ... وساورتنى شتى الأفـــكار ، وبقيت معذباً بحمى وجدى المخنوق . . . وقد سمعت فى أعماق وجدانى تلك الـكلمة الساحرة ترن : أحبها . . أحبها . . نعم .. أحبها ... ولك الحرية فى أن تنزلنى منازل المجانين ... فأنا أريد أن أخلع رداء التستر وأواجه شمس الحقيقة . . فقد ضقت من دنيا الطلاء والخداع !

ستسخر منى وتقول : أهذا ممـكن ؟ . . فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها تستحوذ على عقل رجل ، وتعبث فيه ؟ رجل كان يحتقر الدنيـا ، ويأنف من صغائر الأمور ، ولا يفـكر إلا بعظائم الأشياء !

أما أنا فأجيبك أن حياتى الماضية بدت لى سخيفة ، وكل تصرفاتى وأفـكارى ليس فيها شىء من الحـكمة والتعقل ! ..

جاءتنى مرة وهى تقول : إن أمى ذهبت إلى أختها ! !

فنظرت إليها وكنت أقرأ كتاباً ، فأطبقت وغرقت فى صمت أليم !

قالت : – ماذا تقرأ ؟

قلت : – قصة مغامر فاشل يتردى فى كل مغامرة من مغامراته فى هوة عميقة ...

قالت : – إذن – لـماذا يغامر ؟

– لست أدرى . . ولـكن الذى أحسه أن الحياة كانت تدفعه دفعاً إلى المغامرة ... ثم تتألب عليه الأقدار فى النهاية وتجره إلى الفشل الذريع !

– هذا داء عياء !

– أما أنا – شخصياً – فأعرف لدائه شفاء . . وهو أن يتاح له النجاح فى مغامرة من مغامراته ! . . فيرضخ إلى حكم الحياة بعد ما يصيبه الـكسل .. ولـكن هل يكتب له النجاح ؟ ! لست أدرى فالقوة التى تصوغ هيكل حياتنا لاتطلعنا على أسرارها ولا تمنحنا شيئاً من الحرية ! . . صدقينى كلنا مغامر فى ميدان الحياة . . ولـكن نتائج مغامراتنا تختلف وتتعدد .

قالت وهى تبتسم وتألقت عيناها :

– وأنت مغامر فى أى شىء ؟

ورأيتنى أجابه بغفله ، ويأخذنى الذهول ، من جميع الطراف

قلت : – المشكلة هى أننالا نستطيع تعيين وجهة مغامراتنا

ونظرت إليها وهى ساهمة مطرقة كأنها لا تسمعنى ... ثم نظرت إلى نظرة صارمة وقالت :

– أتريد رأيى ... إنك لست مغامراً فى أى شىء .

وخرجت .. تاركة عطرها ، وذهولى .. ورحت كالغريق فى بحر لجى من الظنون .

ولم أرها فى اليوم الثانى .. أتعاهدت مع الشيطان على قتلى !

وأصابنى هم مقيم ، وأفعمت روحى المرارة ... ورحت أسأل نفسى :

– أحقا .. أنا .. لست مغامراً ؟

ولـكن ما الفائدة من المغامرة إذا كان يصيبها الفشل ! .. لقد حقـدت على ذلك المغامر الفاشل الذى كنت أقرأ حياته حقداً عظيما ، ولو رأيته وجها لوجه لصفعته وأنزلت عليه جحيم حقدى .. فإن الماضى المر الذى كان يصرخ وراءه منذراً إياه لم يسمعه ، وراح يركض وراء إخفاق جديد . أما أنا فشىء آخر .. إننى هربت من الحياة لأنى أخاف المغامرة وأخاف نتيجتها .. والأخفاق الذى يخيم على سماء حياتى فى كل عمل

أقوم به ترك كيانى هشاً لا يتحمل النتيجة فلتمض الحياة فى سبيلها ٠٠ ولأقبع فى كهف قنوطى وقنوطى ولا أحفل بالمغامرات

واقتنعت بهذا المنطق ٠٠ ولـكن ليلى القاتم أعاد إلى ماحدث على صورة أشباح ، وأحسست بحزن طاغ يلف نفسى ٠٠ وبندم مرير يسومنى سواء العذاب !

ولذعتنى تلك الجرة المتوقدة . فهى لم تنطفأ ، وصرخت فى أعماق تلك الكلمة السحرية . . وقضيت ليلة ساورتنى فيها هواجس وظنون !

وفى الصباح رأيتها صامتة كأنها تفكر فى أشياء مبهمه ، فرحت أنظر إليها ، وأحسست بقوة تدفعنى نحوها ، وغاب عن بالى الماضى بظلماته وأركام آماله وأمانيه ، ووقفت فى مخيلتى هو وحدها . فتقدمت إليها قائلا :

— جابى . . جابى . . أيتها الصغيرة إننى أحبك !

ونظرت إلى نظرة ساخرة ... ثم رأيتها تمط شفتيها بازدراء

— ولـكننى أكرهك ،

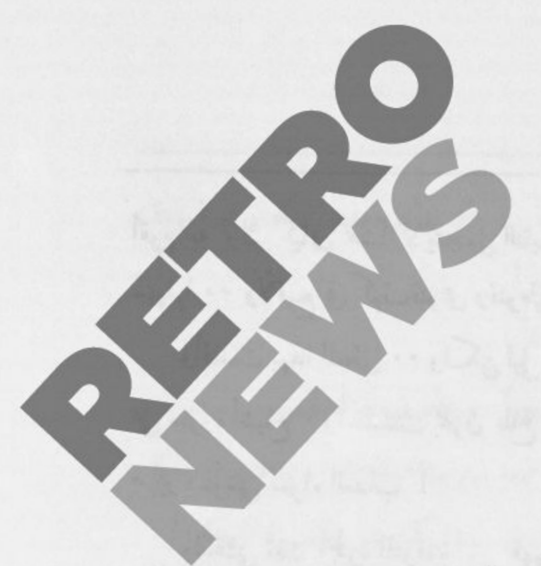
ومضت فى طريق .. وتركتنى فى حيرة أسأل عن السبب !!

تلك هى نهاية فلسفتنا ياصديق ٠٠ أترانا مصيبين أم مخطئين ؟!

— أنا الآن فى باريس ٠٠ أطل على عالم أخافه أشد الخوف .

القاهرة

غائب طعمة فرمان



محكمة قليوب الوطنية

إعلان بيع عقار

نشرة ثالثة

إنه في يوم الأربعاء ٢٢ / ٢ سنة ١٩٥٠ من الساعة ٨ أفرنكي صباحا بسراي محكمة قليوب الوطنية بجلسة المزادات والبيوع ·

سيباع علنا بطريق المزاد العلني العقار الآتي بيانه بعد ملك كل من محمد ابراهيم تعلب ، أمينة ابراهيم تعلب ، احمد ابراهيم تعلب ، وابراهيم عبد المؤمن السوسة ، صادق عبد المؤمن السوسة ورتيبة عبد المؤمن السوسة المقيمة بناحية شبرا شهاب مركز قليوب

وهذا البيع نفاذا لحكم نزع الملكية الصادر من محكمة قليوب الوطنية بتاريخ ٢ / ٦ سنة ١٩٤٨ في القضية رقم ٨٦١ سنة ١٩٤٢ ومسجل في ٢ / ١٠ سنة ١٩٤٨ برقم ٣٧٤٢ شهر عقاري بنها وذلك وفاء بمبلغ ٦٠٠ مليم و ١٠٦ جنيه للست فطوم ابراهيم خليل تعلب ومبلغ ٢٧٢ جنيه الخاص فالست جلفدان حسانين تعلب · قيمة الصادر به حكم نزع الملكية بخلاف مايستجد من الملحقات ·

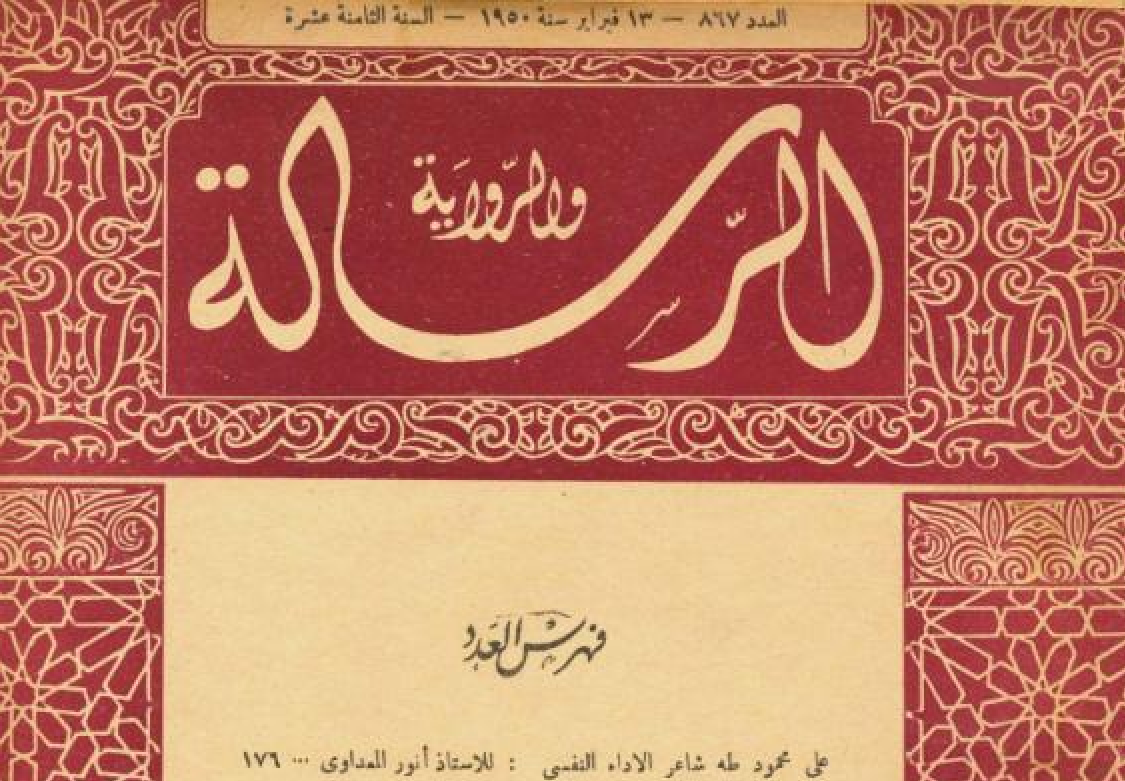
رهنا البيع العلني طالب الست فطوم ابراهيم تعلب المقيمة بناحية شبرا شهاب مركز قليوب ·

وهذا بيان العقار

٢٦١ متر مربع عبارة عن منزل كائن بناحية شبرا شهاب مركز قليوب بحوض داير الناحيه رقم ١٥ قطعة ٢٨ س ومحدود من بحرى منزل ورثة شحاته غنيم وشرقى منزل محمود أمين وقبلى شارع وبه الواجهة والباب وغربى منزل ورثة شحاتة غنيم وسيكون افتتاح المزاد بثمن أساسي قدره ٥٠ جنيه مصرى ·

وجميع الاوراق وشروط البيع مدونة بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها وعلى راغب الشراء الحضور في الزمان والمكان المحددين بد للزيادة ·

كاتب البيوع



العدد ٨٦٧ — ١٣ فبراير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

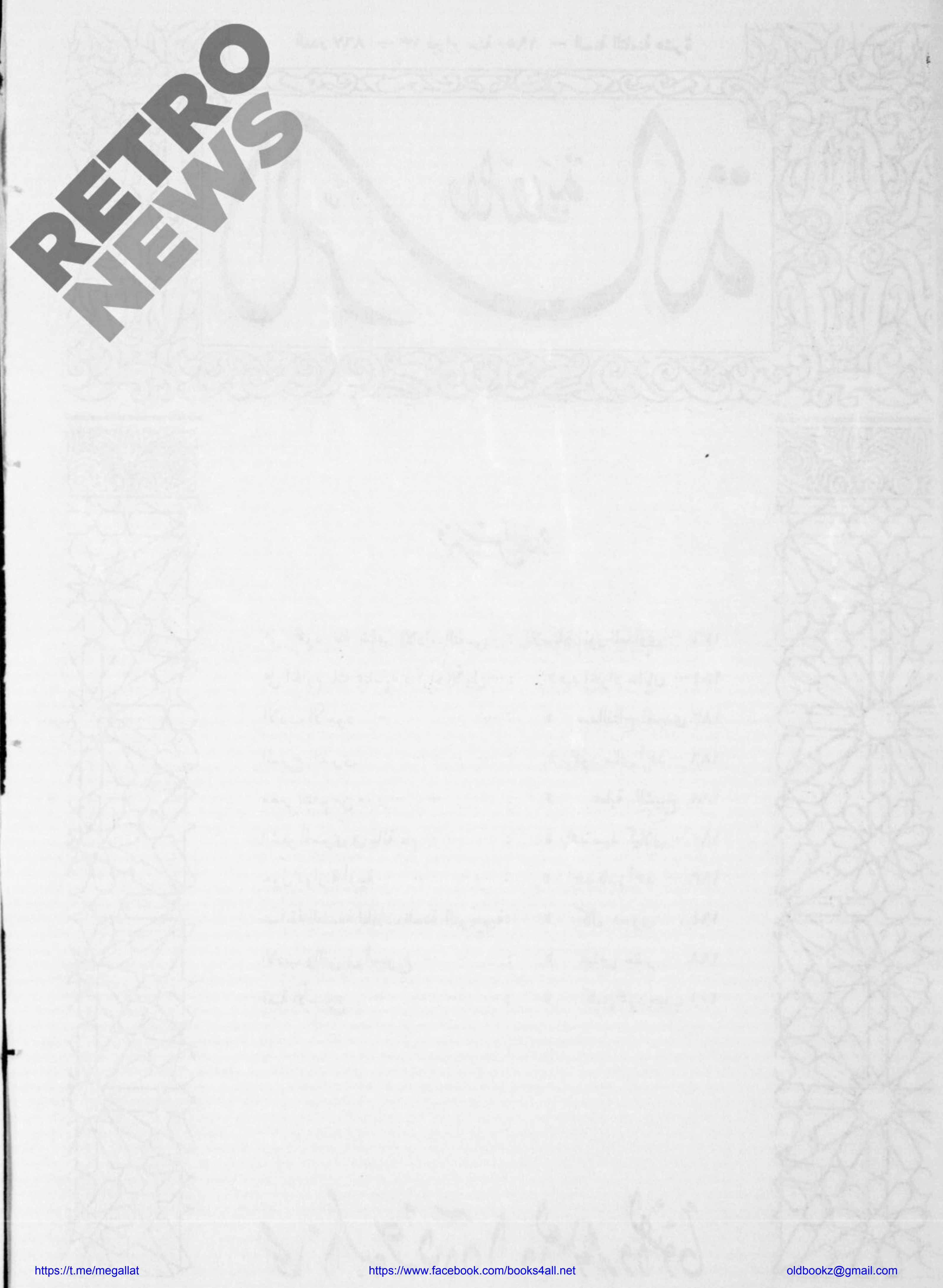
فهرس العدد

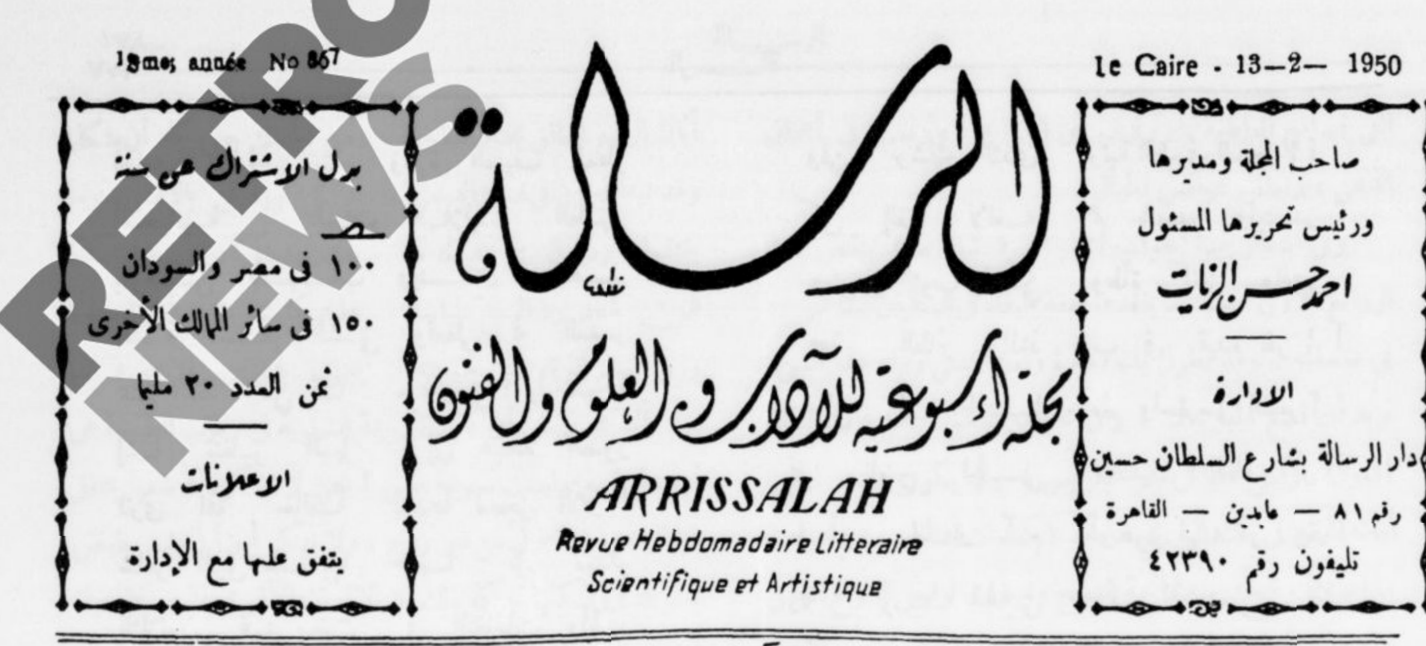
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٨٦٧ — ١٣ فبراير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد



18me année No 867
le Caire - 13-2- 1950


العدد ٨٦٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٦٩ — ١٣ فبراير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

علي محمود طه

شاعر الأداء النفسى

للأستاذ أنور المعداوى

— ٩ —

« تعتبر بحيرة كومو أجمل البحيرات الثلاث التى ينفرد بها اللمباردى الايطالى ، ومن أجمل مفاتن أوروبا التى جذبت إليها كثيراً من الشعراء فألهمتهم أرق أشعارهم وأعذب أغانيهم ، وقد زار الشاعر هذه البحيرة متنقلا من شواطئها ومدنها وأروع جبالها المسمى بالبرونات ، فنظم هذه القصيدة التى أهداها إلى أديبة أمريكية صحبته فى هذه الزيارة . . »

وكعادة الشاعر فى التقديم بمثل هذه الكلمة النثرية لبعض قصائده ، تطالعك هذه المقدمة مصحوبة بهذه القصيدة الفريدة فى وصف الطبيعة حول بحيرة كومو الايطالية . . . ومن الصفحة الثامنة والأربعين من « ليالى الملاح التائه » ننقل إليك هذه الصورة الوصفية الأخيرة فى إطارها الحسى الأخير :

هيئى الكأس والوتر   تلك « كومو » مدى النظر
واصدحى ياخواطرى   ط وبت شقة السفر
ودنت جنة المنى   وحلا عندها المقر
قد بعثنا بها على   موعد غير منتظر !
فى مساء كأنه   حلم الشيخ بالصغر
البحيرات والجبال   توشحن بالشجر
وتنقبن بالغما   م وأسفرن بالقمر
والبرونات غادة   لبست حلة السهر
نثرت فوقها الدنيا   ركما ينثر الزهر
وعبرنا رحابها   فأشارت لمن عبر
ها كها قبلة ؛ فمن   رام فليركب الخطر !
فسمونا لخدرها   زمراً تلوها زمر
فى زجاج معلق   لادخان ولا شرر
يتخطى بنا الفضا   ء على السندس النضر
سلم يشبه الصرا   ط تسامى على البصر
فالى النجم مرتقى   وإلى السحب منحدر
وحللنا بقمة   دونها قمة الفكر
برج فى كنوزها   للمحبين مدخر
بابل ؟ أم بحيرة ؟   أم قصور من الندر ؟
أم رؤى الخلد فى الحياة   تمثلن للبشر ؟
حبذا أمسياتها   وحنيناً إلى الهكر
ونزوعا إلى السفين   تهيأن للسفر
نسيت شغلها القلوب   وهمن للسمر

أوجه مثلما رنت — زهرة الصيف للمطر
أضحيانية السمات — هلالية الطرر
يتوهجن بالشباب — وينددن بالخفر
طلعة تسعد الشقى — وتعلى له العمر
تمنح الحظ من تشا — ء، وتبقى؛ ولا تذر!
إنما تنظر السما — ء إلى هذه الصور
لترى الله خالقاً — مبدعاً معجز الأثر!
شاعر النيل طاف بها — غنها كل مبتكر
الثلاثون قد مضت — فى التفاهات والهذر
فتزود من النعيم — لأيامك الأخر
أين وادى النخيل أم — قاهرياته الغرر؟
لاتقل أخصب الثرى — فهنا أورق الحجر!!
هاهنا يشعر الجما — د ويوحى لمن شعر!!
آه لولا أحبة — نزلوا شاطىء النهر
ورفات مطهر — وكريم من السير
لتمنيت شرفة — لى فى هذه الحجر
أقطع العمر عندها — غير وان عن النظر
فلقد فاز من رأى — ولقد عاش من ظفر

***

يابنة العالم الجديد — صلى عالماً غبر
فى دمى من تراثه — نفحة البدو والحضر
وأغان لمن شدا — ومعان لمن فخر!
ماتسرين؟ أفصحى! — إن فى عينك الخبر
الغريبان هاهنا — ليس يجديهما الحذر
نحن روحان عاصفا — ن وجسمان من سقر
فاعذرى الروح إن طغى — واعذرى الجسم إن ثار!
نضبت خمر بابل — وهوى الكأس وانكسر
وهنا كرمة الخلو — د فطوبى لمن عصر
غيم، والنبع دافق — يشتكى الظامىء الصدر؟
ولمن هذه العيون — تنمرن بالحور؟
بتن يلعبن بالنهى — لعب الطفل بالأكر
هن أرق من الشعاع — وأخفى من القدر؟!
ولمن توشك الثدى — وثبة الطير فى السحر؟!
كل إلف لالفه — م بالصدر وابتدر
عض فى الثوب واشتكى — وطأة الخز والوبر
سمة الطائر المعذ — ب فى قيده نقر!!
ولمن رفت البسا — م واسترسل الشعر؟
ثمر ناضج الجنى — كيف لا نقطف الثمر؟!
ما أبى الخلد آدم — أو غوى فيه أو عثر!
زلة تورث الحجى — وترى الله من كفر
كأسنا ضاحك الحبا — ب، مصفى من الكدر
فاسكبى الخمر وارشفيـ — ـه على رنة الوتر
وإذا شئت فاسقنيـ — ـه على نغمة المطر
فلقد يذهب الشبا — ب وتبقى لنا الذكر!

تلقى أحياناً وجهاً من الوجوه الجميلة فيجذب نظرك، ويستحوذ على فكرك، ويثير من جنبيك مكامن الاعجاب، فاذا غاب عنك ضاعت صورته من الخاطر، وتلاشت فتنته من القلب، وتبخرت ظلاله من الذاكرة. وتقرأ أحياناً قصة من القصص الممتعة فيهزك منها طرافة الفكرة، وتروعك سلامة العرض، وتبهرك وثبات الأداء؛ فاذا انتهيت منها لم تجد لها أثراً فى نفسك، ولا صدى فى ذاتك، ولا بقاء فى ثنايا الشعور. وقل مثل ذلك عن قصيدة من الشعر، وعن لوحة من التصوير، وعن قطعة من الموسيقى، وعن طرفة بالغة الروعة من طرف الفن الجميل... وتسأل نفسك: هذا الوجه الفاتن الذى لقيته، وهذه القصة الممتعة التى تصفحتها، وهذه القصيدة الفريدة التى قرأتها، وهذه اللوحة البديعة التى رأيتها، وهذه الموسيقى الرفيعة التى سمعتها؛ هذه الروائع كلها لماذا كانت بنت لحظتها فى إثارة إعجابك، ووليدة وقتها فى إلهاب إحساسك، وتوأم جوها الزمنى فى تحريك مشاعرك؟ وتروح تنتظر الجواب وقد يعييك أن تظفر به وأن تهتدى إليه، لأنك حائر بين أشباه ونظائر... فهناك فى الكفة الأخرى من الميزان روائع أخرى لم تنطو بانطواء الزمن، ولم تنقض بانقضاء الأيام: هناك وجه جذاب لا ينسى، وهناك قصة فنية لا تنسى، وهناك قطعة موسيقية لا تنسى، وهناك لوحة وقصيدة. هناك أصداؤها

التى تصافح العاطفة ، وترفرف بين الجوانح ، وترسب فى أعماق الذهن ، وتمانق عرائس الخيال .

وفى انتظار هذا الجواب، تشعر أن « شيئاً ما » ينقص تلك الروائع الأولى ، شيئاً ما يفقدها صفة البقاء فى الكيان الشاعر ... فى نفسك . وقد تطول بك الحيرة وأنت تسعى وراء هذا الشىء تريد أن تضع عليه يدك ، وأن تخضعه لمنطق العقل ، ولسلطان الذوق ، ولكل مقياس من المقاييس . وقد يكون مصدر الحيرة أنك تلمس فى تلك الروائع فناً قد اكتملت عناصره ، وتنوعت مذاهبه ، وفاحت منه رائحة النضج وسطعت لوامع النبوغ . تلمس هذا كله ولكنك لا تزال تفتش عن هذا الشىء الناقص ... الشىء الذى يشعرك فقده بأن بعض الوجوه ما هى إلا تماثيل باردة تنقصها الحرارة ، وأن بعض القصص واللوحات ما هى إلا صور هامدة تنقصها الحركة ، وأن بعض القصائد والقطع الموسيقية ما هى إلا أصداء تفتقر إلى معانى الحياة

هذا الشىء ما هو ؟ هو فى كلمة واحدة : (الروح) ... الروح الذى يدفىء برودة التمثال ، وينطق صمت الصورة ، ويحيى موات الشعر والنغم

والروح فى الفن هو ذلك اللهب المتوهج الذى يحمل إليه الدفء من موقد الحياة وينقل إليه الضوء من مشعل النفس ، وهو فى هذه الدراسة الفنية آخر حاجز بين أداء فى الشعر وأداء ، بعد تلك الألوان المتقدمة من شتى الحواجز والفروق . وقد تجد فى الشعر الأداء اللفظى شيئاً من الحرارة التى تشعها الألفاظ بين حين وحين ، ولكنها حرارة « التكييف الصناعى » لا مراء ... وإذن فلا مناص من التفرقة بين حرارة ذهن ولفظ وحرارة نفس وحياة ، أو بين حرارة شعر مصنوع وحرارة شعر مطبوع ، أو بين حرارة أداء لفظى وحرارة أداء نفسى ، ولا حاجة بك بعد هذا كله إلى أن تسأل نفسك : لماذا كانت بعض الأعمال الفنية بنت لحظتها فى إثارة إعجابك ، ووليدة وقتها فى إلهاب إحساسك ، وتوأم حدها الزمنى فى تحريك مشاعرك ، ولماذا لم تنطو بعض الأعمال الفنية الأخرى بانطواء الزمن ولم تنقض بانقضاء الأيام !

بعد هذا تعال نستعرض هذه الأبيات التى قالها البحترى فى وصف الربيع :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا	من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى	أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه	يبث حديثاً كان قبل مكتما
فمن شجر رد الربيع لباسه	عليه كما نشرت وشيا منمنما
ورق نسيم الريح حتى حسبته	يجىء بأنفاس الأحبة نعما

ألا تحس معى أن هذه التهويمة الشعرية فى رحاب الطبيعة هى تهويمة ذهن وليست تهويمة نفس ؟ نحن لا ننكر أنه شعر يحفل بالجمال ، ولكنه جمال من غير روح . ولا ننكر أيضاً أنه شعر ينبض بالحركة ، ولكنها حركة ذلك « الإنسان الآلى » الذى لا حياة فيه ... لو تجاوب البحترى مع الطبيعة ذلك التجاوب الذى تحدثه الألفة والكلف والهيام والاستغراق ، لما اقتصر على هذا الأداء اللفظى الذى خلا من الانفعال الذاتى الصارخ ، ولقدم لنا أداء نفسياً يمج بالطاقة الحرارية الملتهبة !

إنه رجل يصف مجلى من مجالى الطبيعة والربيع فى إبانه ، ولكنه أشبه بذلك الظمآن الذى يصف لنا كوبا من الماء المثلج فى قيظ الصيف ، ثم يغفل عن تسجيل الانتفاضة النفسية التى يحدثها الرى بعد انطفاء الظمأ وانتعاش الشعور . هو كما قلنا لك شعر جميل ، ولكن أين جمال الوجه من « جمال الروح » ؟ إنه شعر « السطوح الخارجية » لمشاهد الحياة !

أليس الشعر الصادق « عملية استقبال » تعقبها « عملية إرسال »؟ هو كذلك على التحقيق ... ولكننا نريد فى هذه المحاولة المذهبية الجديدة فى فهم الشعر أن تكون العملية الأولى عملية استقبال حسية ، وأن تكون العملية الثانية عملية إرسال نفسية . أى أننا يجب أن نتلقى المشهد المادى بكل أداة من أدوات الحس ، ثم نذيعه بعد ذلك بكل لغة مناسبة من لغات النفس ، وبخاصة فى هذا اللون الأخير الذى قدمناه إليك تحت عنوان : « الصور الوصفية فى إطارها الحسى » ، ومنها هذه الأبيات التى قالها البحترى فى وصف الربيع !

وتعال مرة أخرى لنستعرض « الجمال الطبيعى » ، الجمال الذى تتنفس فيه الروح لا الجمال الذى تصنعه « الأصباغ والمساحيق » ...

إنه هنا فى ذلك الشعر الذى يتجاوب مع الطبيعة بالنغم

الراقص والشعور الخافق والخواطر الصادحة، ويهتف لها من خلال نشوة الخمر وروعة الغناء :

هيئي الكأس والوتر تلك « كومو » مدى النظر
واصدحي يا خواطري طويت شقة السفر
ودنت جنة المنى وحلا عندها القمر
قد بعثنا بها على موعد غير منتظر !

أرأيت إلى عملية الاستقبال فى البيت الأول ؟ إنها عملية استقبال بدأت بالحواس : حاسة تطلب الكأس ، وحاسة تنشد الوتر ، وحاسة تنعم النظر ... وأعقبها عملية إرسال بدأت بالمشاعر : فى البيت الثانى خواطر تصدح ، وفى البيت الثالث جنة تدنو ، وفى البيت الرابع بعث على غير ميعاد ! وستعترضك عملية استقبال أخرى حسية فى البيت السادس والسابع والثامن والتاسع عند ما يقول :

البحيرات والجبال قد توشحن بالشجر
وتنقبن بالضيا م وأسفرن بالقمر
والبرونات غادة ليست حلة السهر
نثرت فوقها الديا ر كما ينثر الزهر !

ونود أن ترجع إلى الفصل السابق من فصول هذه الدراسة لتلاحظ الفوارق التعبيرية بين الاصطلاحات النقدية ، حتى لا يقع فى ظنك أن عملية الاستقبال الحسية هنا هى عملية الإحصاء الحسية هناك ، لأن الفارق بين الحواس التى تحصى ثم تسجل وبين الحواس التى تتلقى ثم ترسل فارق ملحوظ ! وإليك عملية الإرسال النفسية الثانية التى لا تختلف عن العملية الأولى لحظة من زمان .

وعبرنا رحابها فأشارت لمن عبر
ها كها قبلة فمن رام فليركب الخطر !

لقد استحال جبل « البرونات » هنا إلى غادة يعبر رحابها كل عاشق من عشاق الطبيعة ، وهى لمسة من تلك اللمسات الشعورية التى تترجم فى صدق عن لغة النفس ، حين تندمج فى النظر المعروض على البصر بكل خلجة من خلجات الوجدان . ومن أبلغ طرق الدلالة على هذا الاندماج أن يتخطى الشاعر مرحلة الهيام من جانب واحد إلى مرحلة العشق المتبادل بين جانبين ؛ التبادل بين الطبيعة وبين هؤلاء السارين فى مباهجها يدفعهم الشوق ويلهمهم الحنين . الشاعر عاشق والطبيعة عاشقة ... ولكنه هنا يقف على السفح وهى هناك تنتظره فوق القمم ، تلوح له بقبلة من القبل المسكرة لتثيره وتغريه ، بغية أن يصعد إلى غرفها الأنيقة فى أعالى الجبل شأن كل حبيبة تدعو المحب إلى ركوب الأخطار ! وأى محب صادق لا يستهين بالصعاب ولا يهزأ بالأهوال ؟ لقد أصاخ هو للنداء واستجاب للدعاء ، وصعد مع الصاعدين إلى خدرها الخالد :

فسمونا لخدرها زمراً تلوها زمر
وحللنا بقمة . دونها قمة الفكر !

هل خرجت من أبيات البحترى بشىء مما خرجت به من هذه الأبيات ؟ لقد كان موقف البحترى أمام الطبيعة أشبه بموقف رجل أمام حسناء لا يشغله منها غير وصف مفاتنها الجسدية ، أما أثر هذه المفاتن فى نفسه ووقعها على شعوره فليس لها فى شعره مكان ... لو تذوق البحترى طعم القبل من ثغر الطبيعة كما تذوقها هذا الشاعر المصرى ، لاستطاع أن يزف إلى مشاعرنا ذلك الأداء النفسى الذى لا ينطلق إلا من قلوب المحبين :

بهج فى كنوزها للمحبين مدخر
بابل أم بحيرة أم قصور من الدرر ؟
أم رؤى الخلد فى الحياة تمثلن للبشر ؟

إن الطبيعة فى عدسة البحترى (كادت) أن تتكلم ، أى كادت أن تأتى بحركة من الحركات الصوتية وهى الكلام ، وهو فى رأينا تصوير لم يبلغ درجة « الغناء الشعورى » الذى يوهم الشاعر أن المرئيات قد انتقلت من مرحلة اللاإرادة إلى مرحلة الإرادة .

ولكن الطبيعة فى عدسة الشاعر المصرى قد خطت هذه الخطوة الهائلة حين أصبحت الحركة المرئية فى حدود الواقع المحس الذى تعبر عنه كلمة (كان) لا كلمة (كاد أن يكون) :

لا تقل أخصب الثرى فهنا أورق الحجر ! !
ها هنا يشعر الجما د ويوحى لمن شعر ! !

الحجر هنا أورق ولم يقل الشاعر « كاد » أن يورق ، كما « كاد » الربيع هناك أن يتكلم ... ترى لم لم يقل القرآن الكريم : « ورأى جداراً يكاد أن ينقض » ؟ لأن الجدار قد بلغ من وهى الاساس وتداعى البناء وشدة القابلية للانهيار ذلك الحد الذى

لا تصدق فى وصفه كلمة « يكاد » ، وإنما تصدق فى وصفه كلمة أخرى تهيء له « الحركة الإرادية » ليبلغ الأداء النفسى منتهاه ، ومن هنا كان هذا التعبير القرآنى الفذ : « ورأى جداراً يريد أن ينقض » !!

وتنتقل عملية الاستقبال الحسية الثالثة من مجالى الطبيعة المادية إلى مجالى الطبيعة الحسية ممثلة فى وجوه الحسان ؛ تلك الوجوه الرانية رنو زهرة الصيف للمطر ، المتوهجة بدم الشباب الذى لا تطفىء جذوته قطرات من الخفر ، ذات السمات الأضحيانية والطرر الهلالية ... وعند ما ينتهى الشاعر من هذه الجولة البصرية الواصفة تبدأ على الأثر عمليـة الإرسال النفسية الثالثة ، وياله من إرسال ذلك الذى يرتفع بالشعر إلى مثل هذا الأداء :

إنمـا تنظر السما ء إلى هـذه الصور
لترى الله خالقاً مبـدعاً معجز الأثر !

وفى غمار النشوة الجارفة بين أعياد الطبيعة وأعياد الشعور ، لم ينس الشاعر تلك الأديبة الأمريكية التى صحبته فى هذه الزيارة ... لقد استهل المقطوعة الثانية من القصيدة مشيراً إلى عالمها الجديد مشيداً بماله الغابر ، وهى لفتة من لفتاته القومية الرائعة التى يزخر بها شعره ، والتى سنفرد لها فصلا خاصاً من فصول هذه الدراسة .

فى دمى من تراثه نفحة البدو والحضر
وأغان لمن شـدا ومعان لمن فخر !

ويأبى الشاعر إلا أن يجمع بين نشوة الروح ونشوة الجسد فى مكان ، وهكذا كان فى واقع الحياة وواقع الفن .

نحن روحان عاصفا ن وجسمان من سقر
فاعذرى الروح إن طغى واعذرى الجسم إن ثار !

ويمضى الشاعر بعد ذلك فى نفس الطريق معرجا على الصور الجسدية المنتثرة على جانبيه ، وكم مر بهذا الطريق فى شعره وكم عرج على صوره .. هنا كرمة الخلود فلا حاجة به إلى الخمرة الفانية ، وهنا النبع الدافق بكل نزعة عارمة وكل نزوة عانية .

ولمن هذه العيون ؟ إنها للشاعرية الملهمة التى تملك القدرة على أن تقول :

بأن يلعبن بالنهى لعب الطفل بالأكر
هن أصفى من الشعا ع وأخفى من القدر !

ولمن هذه النهود ؟ إنها للجناح المحلق فى أفق قل أن نجد له نظيراً فى الشعر العربى الحديث ... هل رأت عيناك منظر الطير حين يثب من أوكاره قبيل الصباح ؟ لقد شبه على طه وثبة النهد من الصدر بوثبة الطير من الوكر !! ثم شاء الخيال النادر للنهد الطائر أن يقف الثوب حائلا بينه وبين الطيران ، فراح ينشب منقاره فى القيد الحريرى متبرما بوطأته ثائرا على قسوته . . . وكما أن للطاير منقاراً فان للنهد مثل ذلك المنقار :

عض فى الثوب واشتكى وطأة الخز والوبر
سمة الطائر المعـذ ب فى قيـده نقر !!

ويدافع الشاعر عن موقف الانسانية إزاء الغواية الأنثوية وسلطانها القاهر . واستمع طويلا إلى هذا المنطق الخلاب لأنه منطق شاعر يجيد الدفاع :

ما أبى الخلد آدم أو غوى فيه أو عثر
زلة ورث الحجى وترى الله من كفر !

ويقول لصاحبته : « وإذا شئت فاسقنيه » ... وهذا هو الخطأ اللغوى الذى يؤخذ عليه ، وسبحان من لا يخطىء ! لقد كان على الشاعر أن يقول : « فاسقينيه » لأن الخطاب هنا للمفردة المؤنثة لا للمفرد المذكر . وبهذا الفصل ينتهى القسم الأول من هذه الدراسة وهو القسم الخاص بالناحية الفنية ، وفى الفصول المقبلة سنتحدث عن الشاعر كانسان بعد أن تحدثنا عنه كفنان ، رابطين بين شخصيته فى واقع الفن وشخصيته فى واقع الحياة .

(يتبع)

أنور المعداوى

على الجارم بك

بمناسبة ذكراه الاولى

للاستاذ عبد الجواد سليمان

من دلائل رقى الأمم ونهوضها أن تذكر أبناءها الراحلين الذين تركوا أثراً حسناً فيها، وأسهموا فى بناء نهضتها، ذلك لأن فى هذه الذكرى وفاء، والوفاء خلق ضرورى للأمم الناهضة. وكثيراً ماتتوفر للأمم أسباب الرقى ومقومات النهوض ولكنها تفتقر إلى الأخلاق؛ فلا يحالفها من أجل هذا النجاح فى مراحل نموها وتطورها، ولذلك لم يكن أمير الشعراء مبالغاً عندما شاد بالأخلاق قائلا:

فانما الأمم الأخلاق مابقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعلى الجارم كان من رجالات مصر العاملين الذين خدموا وطنهم وخلفوا وراءهم آثاراً ناطقة بما لهم من فضل يستحقون من أجله الذكرى والخلود.

لم يكن « الجارم » شاعراً فحسب أو كاتباً فقط، أو عالماً ليس غير أو.. أو.. بل كان كل أولئك وأ كثر.

عمل « الجارم » أستاذاً فى دار العلوم، فأشرف على إعداد جيل من أساتذة اللغة العربية كان يحاول فى دراسته أن يطبعهم بطابعه؛ ويحبب إليهم دراسة لغتهم ويدربهم على الغوص فى خضمها لاقتناص شواردها، ويعودهم كيف يكون البحث اللغوى فى حاجة إلى صبر وأناة واستعداد قد لايتوفر للكثير من طالبي العلم ورواد الثقافة ثم عمل ... رحمه الله — فى ميدان التفتيش عن الأساتذة فى المدارس على اختلاف مراحلها، فكان فى ذلك طرازاً فريداً، هيهات أن يوجد له نظير بين من تعاطوا هذه المهنة ممن أتوا بعده، فلم يكن فى تفتيشه مفتشاً فقط يكتفى بالمرور على المدارس لتسجيل الزيارة وكتابة التقارير، كما يفعل غيره ممن يؤدون هذه المهمة كعمل رسمى آلى نيط بهم متجاهلين أو ناسين الغرض الأول من هذا العمل، بل كان مفتشاً يرشد الضال ويأخذ بيد الخامل ويشجع العامل، وينفخ من روحه فى الضعيف ليتنفس ويقوى، ويتلمس فى لباقة وهدوء الفذ الممتاز بين المئات حتى يهتدى إليه ليثيبه وينبه إليه ليأخذ مكانه الذى هيأه له عمله وجده واستعداده. وكان أستاذاً يعلم الجاهل ويهدى المخطىء إلى الصواب ويوجه التوجيه الحر القويم، يفعل ذلك عن يقين بصواب طريقته وتمكن من مادته، وثقة بنفسه، واعتزاز بعلم أشمل فى تحصيله فحمة الدياجى. فلم يكن غريباً فى زمانه — أن يحسب له المدرسون حساباً وألف حساب فيتنافسوا فى الاطلاع لاحياء مادتهم ومراجعة مسائل العلم لتجديد معلوماتهم علماً منهم أن التقصير لن يخفى على « الجارم » وأن العمل لن يروقه أو يجازى عليه بالثناء إلا إذا أدى باخلاص ويقظة وأمانة وإتقان

ولم يكن غريباً — فى زمانه — على المدارس أن تعد العدة لاستقبال الجارم، لأنه لن يجامل فى الحق ولا يخشى فيه لومة لائم. ولن أكون مبالغاً إن قلت إن هذا الجو قد اختفى اليوم من المدارس أو كاد يختفى إذ غدت طائفة المفتشين كطوائف المعلمين فى المادة والكفاية فليس فى المفتشين إلا فى القليل النادر تميز واضح عن المدرسين، فلذلك تراهم أهملوا الجوهر واكتفوا بالقشور وشغلوا عن اللباب وقطعوا الوقت فى توافه الأمور وأصبحت مهمتهم محصورة فى المحاسبة على الهمزة والمؤاخذة على النقطة، واتخذوا الدرس وأرقام صفحاته هدفاً يصوبون إليها سهام مناقشتهم ومحاسبتهم، أما الموضوع، وأما العلم، وأما الأسلوب وأما النقد الأدبى؛ وأما الطريقة فقل على ذلك كله العفاء.

ومن هنا استهان المدرسون بالمفتشين عنهم، وتغيرت العلاقة بين الفئتين فأصبحت قائمة على « الجاسوسية » من جانب المفتش يتلمس الخطأ ويتمناه ويتجسس الهفوات ويسمى إليها؛ « والتقرير » من جانب المدرسين بمنون بالكم دون الكيف، ويعملون للتقرير لا للفائدة العلمية والانتاج، وسلكوا إلى هذا التقرير أقرب الطرق ولو جانب مكارم الأخلاق، واستوى فى نظر (المفتش) العامل والخامل والعالم والجاهل.

وعمل « الجارم » فى ميدان التأليف العلمى والأدبى، فألف فى « علم النفس » كتابا مدرسيا كان بمثابة نواة أو بذرة أولى نمت وترعرعت فأثمرت مؤلفات فى هذا العلم سلك أصحابها أو الكثير منهم مسلك الجارم فى مؤلفه فجاءت وافية فى مادتها قريبة المنال فى تحصيلها معبدة فى طرائقها.

وألف في علوم اللغة كتباً أشهرها (كتب النحو الواضح والبلاغة الواضحة) فكانت بحق فتحاً جديداً في آفاق النحو والصرف والبلاغة ، وقد انتشرت هذه الكتب في الشرق العربي انتشاراً ضمن لها البقاء ، وكفل لصاحبها الخلود ، إذ ألف الجارم بين أمثلتها بأسلوب الأستاذ الأديب والعالم المحقق ، فجاءت غاية في الوضوح وآية في الدقة ، وسهلت على تلاميذ المدارس تفهم هذه النظريات الجافة من النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع ، وستبقى هذه الكتب متخذة مكانتها في عالم التأليف مهما تقادم عليها العهد ، وستظل مرجع المؤلفين كلما عن لواحد منهم أن يضع لبنة في صرح المؤلفات العربية .

وتحضرني في هذا المقام شهادة سجلها لهذه الكتب الدكتور حافظ عفيفي باشا في كتابه على هامش السياسة عند كلامه عن تعليم اللغة العربية بمصر إذ قال بعد أن استعرض بالنقد ما ألف من كتب في هذه المواد من الغبن بعد هذا أن ننكر ما قام به بعض أساتذة هذه اللغة في ميدان الاصلاح والتأليف ، فلقد وضع الاستاذان على بك الجارم ومصطفى أمين كتابي « النحو الواضح » والبلاغة الواضحة ، وسلكا فيهما طريقة منطقية مشوقة هي إيراد الأمثلة الحديثة التي يجدر بالتلميذ أن يستعملها في أحاديثه وشرح هذه الأمثلة واستخلاص القاعدة أو القواعد منها وهي طريقة بيداجوجية حديثة »

أما مؤلفاته الأدبية فقد دلت على سعة باعه في اللغة ، وتمكنه من ناحية البلاغة العربية ، فهو يحاكي في أسلوبه الكتابي مذهب القدامى من كتاب القرن الرابع سلامة ألفاظ ، وإشراق ديباجة ، وسمو معان وانسجام أسلوب .

وعندي أن هذه المميزات في الأسلوب الكتابي يتفق فيها أربعة من أعلام الأدب في العصر الحديث ، مع اختلاف يسير في أداء كل منهم لطريقته وسلوكه مذهبه أولئك هم كرام الكاتبين مصطفى لطفي المنفلوطي ، وأحمد حسن الزيات ، وعلي الجارم ومصطفى صادق الرافعي .

ولقد توفر الجارم على الكتابة الأدبية بعد تخلصه من أغلال الوظيفة وتخففه من أعبائها ، فأنتج في تلك الفترة الوجيزة كتباً قيمة تفخر بها المكتبة العربية ، نذكر منها « شاعر ملك » ، سيدة القصور ، فارس بني حمدان ، خاتمة المطاف ، مرح الوليد ، غادة رشيد ، هاتف من الأندلس ؛ قصة العرب في اسبانيا (١) »

وهذا عدا بحوثه القيمة في « المجمع اللغوي » التي سجلتها أعداد مجلته ، وهي إن دلت على شيء في الرجل ، فإنما تدل على اتساع الأفق وسلامة الذوق ، ونضوج الفكر ، وسعة الاطلاع وعمق التفكير والرغبة في التجديد

أردت في هذه الكلمة أن أكشف بقدر ما أستطيع عن مجالات الجارم — رحمه الله — في غير ميدان الشعر ، الذي عرف به ، ومن أجله لمع اسمه ، وذاع صيته وعرفه القاصي والداني من أهل المشرق والمغرب .

فمن حق الجارم على مصر أن تذكره كلما ذكرت سدنة العربية وحراس هيكلها ، ومن حقه على المجمع اللغوي أن يذكره كلما عرض على بساط البحث مسألة من مسائل اللغة ، ومن حقه على دار العلوم أن تخلد اسمه إما بانشاء كرسي فيها للأدب يطلق عليه اسمه كما اقترح ذلك أحد زملائه من قبل ، وإما بانشاء قاعة للمحاضرات تسميها قاعة « الجارم » ، وإما بالاكتتاب في مشروع نافع باسمه يوزع ريعه على الأوائل في اللغة والأدب من طلابها

أما عن الجارم الشاعر فوعدنا به جولة أخرى على صفحات الرسالة الغراء .

عبد الجواد سليمان

المدرس بمعلمات سوهاج

---

(١) مترجمة عن استانلي لين بول

الأدب الأسود

للأستاذ عبد الفتاح الديدى

مسكين الأديب !

مسكين لأن الناس بتتالى العصور وتوالى الأيام قد ركبوا فى رءوسهم فكرة لا يريدون أن يتراجعوا فيها ولا يحبون أن ينثنوا عنها . فمنذ قديم نسبت الحكمة إلى الأديب وعرف بالأخلاق الحميدة بين الناس وشاع عنه أنه واحد من هؤلاء الأفراد الذين يخدمون الفكرة حتى الموت ،ويقومون فى محراب الفن والتأمل بتقديس المثل الأعلى مهما بلغت خسائرهم فى الروح ومهما أصابهم الإملاق من ناحية الرزق . ولو صدق مايقوله المؤرخون الأدباء من أن كلمة الأديب قد عرفت فى العصور الأولى من حياتها بأنها التهذيب الخلقى ، وأنها قد أخذت أخذا من مجال التربية لتوضع وضعا فى قاموس اللغة والأدب ، لعرفنا مقدار الصعوبة التى يجدها الأديب الآن فى معاشه اليومى . إنه الوحيد الذى يلزمه الناس — من بين أصحاب الحرف جميعا — بالمحافظة على سمته والاحتفاظ بكرامته والتعالى عما يدنس نفسه من الفعال .

ولا أحسب أن هذه الضرورة قد نشأت من شىء إلا من هذه الفكرة الخاطئة التى ملأت نفوس العامة بالنسبة إلى الأديب فى الأزمنة الماضية ، ثم بقيت لنا حتى اليوم بآثارها البالية من غير أن تنحرف قيد أنملة عما كانت عليه فى الأصل . إن الأديب كغيره من عباد الله يريد أن يعيش ، على الأقل كما يعيشون ، ويتشوف إلى حياة كريمة ، لا تليق بمهمته القدسية ، وإنما تليق بكرامة البشر العاديين ... ومع هذا فهو مطالب بأكثر مما تحتمله الأساود الضاربة فى المغارات والأدغال ، ومحمل بالمسئولية التى توجع ظهور النوق فى مستهل الرحيل .

ألا لعنة الله على هذه الحرفة التى يموت صاحبها من الجوع ويعانى من جرائها كل آلام الفقر والمرض ثم يطالب بعد هذا كله أن يكون عفيفا فلا يطلب ، وأن يكون كريما فلا يخضع ، وأن يكون متكبرا فلا يجارى . إنهم يريدون له أن يحقق ذلك المفهوم الذى اتفقوا عليه فيما بينهم بخصوص الأخلاق والمبادىء .

ونسألهم من ثم إذا كانوا يقتنون له كتبا أو يملكون من آثاره ونتاجه شيئا فيجيبونك بالنفى القاطع . ولو أحببت أن تعرف تفسيرا معقولا لهذا العمل أو إذا دفعك الفضول لأن تقف على السر فى عدم الاقبال عليه لأخبروك بأنه لا يكتب فى موضوعات مستحبة ولا يعالج المسائل الشيقة ولا يتناول بقلمه تلك المشاكل القريبة إليهم الأثيرة عندهم .

أفليس هذا بالشىء الغريب حقا ؟ يطالبون الأديب بأن يكون داعية للخير وبوقا من أبواق السلام وواعظا أو ناصحا بين الشباب .. فإن تمشى مع رغائبهم وجارى ميولهم ملوه وسئموا منه ، واحتجوا فى النهاية بأنه لا يحاول الكتابة السهلة اليسيرة فى الموضوعات التى تلائم نفوسهم وتتعلق بالظروف التى تحيط بهم ، فيضطر تحت تأثير الحاجة والعوز إلى أن يلفت أنظار القراء وأن يغريهم بالحكايات المبتذلة والروايات الرخيصة ، أو أن يكون دعامة لحزب من الأحزاب ومناديا لمذهب من المذاهب ، أو أن يكون بهلوانا يعرض عليهم صنوفا من قفزاته ، ويسوق إليهم السخيف من شطحاته . وعندئذ تراهم يتهامسون : لقد زل فلان وانحدر من مكانته الرفيعة وهبط من قمة التفكير والتأمل إلى كلام الأزقة وروايات الماجنين . ويطالبونه فى الحال بأن يعود من حيث أتى ، وأن يدبر من حيث أقبل ، مهما كانت البطن فارغة والحال رقيقة .

كيف يكون هذا بالله ؟ أهذا منطق يقبله الدماغ ويرضى عنه الحس والشعور ويؤيده شىء من واقع أو شىء من خيال ؟ ليت القراء يعرفون أن الأديب إنسان من دم ولحم ، وأنه يريد أن يقتات ، وأنه من الضرورى بالنسبة إليــه أن يأوى إلى بيت وأن يتستر باللباس . وليتهم فى الوقت نفسه ينزعون من رءوسهم هذه الفكرة الخاطئة التى تمسكوا بها عن الأديب ومهمته ، أو على الأقل يدعونه كغيره من خلق الله حتى يحصل على ما يحقق له حياة فيها بعض الهدوء والاطمئنان . هذا مع العلم بأن الأديب هو أعجز الناس وأقلهم حولا وأضعفهم سلاحا ، وأنه مهدد كما لا يمكن أن تهدد الحياة إنسانا سواه وإذا هبطت به إلى المعيشة الاجتماعية فستلمس هذا كله بوضوح عندما تصطدم أحلامه بمطامع الناس وأمانيهم العملية .

فمن الغبن للأديب أن نطالبه بنوع معين من الكتابة وأن نحظر عليه الكلام في غير ما يريده له الناس . دعوه يقول فيما يشاء وكما يشاء ، حتى إذا جاء وقت الحساب ، ذروا نشره واتركوا آثامه وتعلقوا بالجانب الممتاز الذي ينتجه في ظلال العيش الكريم لماذا يتاح للموظف مثلا أن يستغل نصف نهاره في العمل التافه المقيم من أجل أن يعيش كريما معززا في نصف نهاره الثاني ؟ ألا يرى الانسان العادي فيم يمضي نصف وقته وكيف يستغل عقله استغلالا رخيصا حتى يستبقي لنفسه بعض الساعات التي يحقق فيها كل مايرجوه من عزة وإباء وعيش كريم ؟ وكذلك أدب الأديب . . فليس كله متساويا من ناحية القيمة والدرجة وإنما بعضه عماد للبعض الآخر ، ونصفه الثاني عالة على نصفه الأول . إذا قام الأديب بالدعاية في صف الأحزاب السياسية فلكي يضمن لنفسه بعض الساعات التي يخرج فيها القصيدة التي تشجيك والفن الذي يرضيك والعمل الأدبي الذي يطربك . وإذا استحل لنفسه أن يكون رخيصا عند الوصف ومتبذلا في الكشف وفاجرا من ناحية انتقائه للموضوعات فذلك كله على أساس أن يتحصل على الدريهمات التي تضمن له بعض الوقت والتي تمكنه من التفرغ للعمل القيم والمؤلف الثمين .

ثم لاحظ شيئا آخر ، وهو أن ما اصطلح الأدباء الأوربيون في العصر الحاضر على تسميته بالأدب الأسود ، ويعنون به ذلك الأدب الصريح في مسائل الجنس ، أو ذلك الأدب الذي يهتم بنواحي الضعف في الانسان ويبرز جوانب الحياة المظلمة ، إنما هو نتيجة طبيعية لعدم الرغبة في القراءة لدى الناس . فقد أصبحت القراءة ثقيلة على نفس الانسان المتمدن وصار يقتصر في استقاء معلوماته على ماتتحفه به الصحف اليومية . وأصبح الأديب المتخصص في خطر المشغوليات الحيوية والدواعي المادية التي تكاثرت حول الانسان وجعلت تتخاطفه تخاطف التجار على الزبون الحائر . فهم غير مستعدين لأن يبقوا على بضع ساعات من يومهم للقراءة الخالصة الرفيعة والاطلاع على مسائل الفكر والروح . ومن هنا ترى الأديب قد اضطر اضطرارا إلى أن يتناول بقلمه بعض النواحي التي تجذب القراءة ، وأن يقص بطريقة شيقة بعض الحوادث الخاصة التي يبدعها خياله عن طبيعة الصلة فيما بين الرجل والمرأة . لقد فطن الأديب إلى مدى التأثير الذي تحدثه هذه المسائل في نفس القارىء فشاء أن يلفت نظره بواسطتها حتى يستولي على دراهمه أولا ، ثم من أجل أن يحبب إليه الفكرة التي تستعصي على فهمه ، والتي ما كان ليقبل عليه ويتدبرها ثانيا .

فالأدب الأسود أو الأدب الذي يخاطب الغرائز الانسانية طبيعي جدا في هذه الآونة بالذات بعد أن استحال على الأديب أن يجد رزقه بين مخالب الآدميين من حوله ، وبعد أن أصبح من العسير أن يقبل القارئ من تلقاء نفسه على الأدب الخالص والفكر البحت فلا يلومن أحد أديبا لأنه استثار غرائز القراء ، أو لأنه خاض في تلك الروابط الخفية المستترة فيما بين الرجل والمرأة ؛ فشأنه بالضبط في هذا العمل شأن التاجر الذي يعلن عن نوع بضاعته فوق لوحة قد رسم عليها امرأة عارية . أو شأنه شأن الأنثى التي تتبرج قليلا من أجل أن تصيد الزوج في الحلال .

فمن ناحية المبدأ نحن نريد أن نزيل من رءوس الناس هذه الفكرة التي شاعت بينهم عن مهمة الأديب ؛ إذ نحن نؤمن بحق الأديب في أن يتكلم كما يشاء ، وفي أن يختار وسائله كما يحلو له ، وفي أن يستعين بكل مامن شأنه أن يجذب القارىء وأن يدفعه دفعا إلى الاقبال على الكتب والنظر في الصحائف . فهذا كله يؤدي إلى عناية الانسان المتمدن بالقراءة وإلى أن يظل مستوى التعليم محتفظا برجاته ومقوماته عقب خروج الشبان من معاهد التعليم . ومن نتيجة ذلك أيضا أن الأديب يستطيع أن يوصل أفكاره إلى أدمغة الناس وأن يشترك مع الصحافة اليومية والمحاضرات العامة ووسائل الثقافة الاجتماعية في ترقية المستوى والاحتفاظ بالمنسوب الحضاري . ثم يلاحظ من ذلك أن الأديب لابد له أن يعيش في المجتمع الحديث مثلما تضطره الحياة إلى أن يكون . أعني أن الأديب في العصر الحاضر ملزم بأداء بعض المهمات التي لم يكن الأديب في العصور السالفة مسئولا عنها ولا مطالبا بها . أديب العصر الحاضر هو الانسان المتخصص في الفن الذي لا يؤدي إلى فائدة مادية فعالة ؛ ولا يعطى مكسبا ظاهراً ولا يجنى محبذوه ومشجعوه غير أو جاع القلب وهواجس النفس. هذا بينما تلح الحياة من حوله — بكل مظاهرها العملية وبكل مقوماتها المادية — على نبذ الأشياء المثالية وإهمال الكماليات ،

فالعلم والمـكانيكا والطب والهندسة وغيرها من المواد التي يتثقف بها الناس والتي يقبل عليها غالبية الشبان ، تعود عليهم في أوقات وجيزة بالخـيرات المضمونة وتجعل مستقبلهم حافلا بالأعمال والوظائف الهامة ، أما الأدب فتستطيع أن تصف أهله بأنهم طائفة من الفارغين البطالين ، وهذا صحيح في الوقت الذي لا تضمن من صناعة الأدب غير التفرغ لأعباء ثقيلة تشغل منك الساعات الطوال وتتطلب منك الجهد الكثير ولا تجازيك بعد ذلك إلا أيسر الجزاء

ففي هذا الخضم الهائل من الشهوات المتضاربة نريد أن نوقف الأديب مكتوف الأيدي وأن نحرم عليه نفس الوسائل التي يتاجر بها سواه من الناس، والتي يحصلون بها على الأموال المكدسة والثروات الطائلة ! وباسم الإنسانية والمروءة وأخلاق الفضل والكرامة نتقدم إليه حاملين أكاليل الورد وأكفان الموت كيما نحمله آسفين إلى بطن الثرى ، مترحمين على شبابه النضر

فالأدب الاسود إذن هو صرخة طبيعية من جانب الشاعر الذي أصبح قاب قوسين أو أدنى من الهلاك المحتوم ، وانقلاب ضروري على مظاهر الحياة التي تلزمه وحده من بين الآدميين جميعا ودون أصحاب الحرف قاطبة بأن يكون عفيفا شريفا مكرما ! ليس هذا فحسب ، وإنما يشعر الأديب في قرارة نفسه بأن أعماله توجب عليه شيئا من النزول أو الارتفاع كما نستطيع أن نقول إلى الجموع كيما يخلق من بينها طائفة من القراء إن الأديب لم يعد قادرا على الاكتفاء بالطبقة الوسطى حيث يظهر عادة هواة الفن وطلاب اللذة الروحية في الكتب والآثار ، ولا بد له إذا شاء أن يكون من بين قرائه عمال وتجار، وأن يستطعم كتاباته المتخصصون وغير المتخصصين ، وأن يتحبب لدى الطبقة الكادحة من أبناء الشعب ليصيروا من بين قرائه أقول إذا شاء الأديب أن يكون على هذا النحو فلا بد له من أن يخاطب الغرائز أحيانا ، وأن يؤثر على أصحابها ذلك التأثير الذي يخدرهم ساعة دفع الثمن إلى الكتب ، وإلا فسيظل محكوما عليه إلى الأبد بأن يخاطب طائفة معينة وأن يقتصر تأثيره على وسط بالذات وألا يتعدى هذه الحدود المصطنعة التي أوجدها هو بيديه عند ترفعه وادعائه للتسامي ...

لقد آن للأديب أن يخاطب أبناء عصره مباشرة وأن يحصل على المجد — إن صح أن هناك مجداً — وهو حي يرزق . أما أن يسلم كلامه للمؤرخين كيما يحكموا له أو عليه وأن يحتفظ بكتبه وآثاره لتكون مصدر لذة وسبباً في متعة الأجيال التالية فهذا مالا يقبله عقل ولا يسلم به منطق . إذا كنت كاتبا فأنا كاتب بالنسبة إلى هؤلاء الناس والأفراد الذين يعيشون من حولي ، وقرائي هم هذه الطائفة التي تعاصرني في الزمن ويستحيل أن أقتصر من وراء كدحي على إفادة قوم ليسوا مني في شيء . إنني وليد هذا العصر بظروفه وأوضاعه ، ومصدر الوحي عندي هم هؤلاء الذين يعيشون في هذه الفترة ، والتجاوب فيما بيني وبينهم هو كل مالي من عمل ورجاء فوق الأرض ، فاذا تنازلت عن هذا الحق — أو عن هذه الضرورة ، كما ينبغي لها أن تكون — فأنا أفقد عنصراً أساسياً في عملي الفني ، وفي الوقت نفسه سأجد فرصة إذا أصابني الفشل ، لأزعم أنني واحد من هؤلاء الذين يسبقون أوانهم ويتقدمون عصرهم . وهذا غير طبيعي عندما أكون مالكا للأداة أو الوسيلة التي تعينني على تحقيق أغراضي والتي تكفل لي كل ما أتمناه على أيدي القراء « المحترمين » من رخاء ومجد ، وتلك هي وسيلة الاغراء بالكتابات المكشوفة .

بعد هذا نحاول أن ننظر في المضرة التي تقع من جراء الصراحة الجنسية والتأثير الغرزي فاذا بالحقيقة تشدهنا وإذا بالتجارب تسخر منا للعلل الآتية : أولا لأن هذا العمل من جانب الأديب الحر يصبح أجدى على قارئه مما لو استخدم الجد والوقار والفضيلة، وثانياً لأن هذه المسائل لم تعد جديرة بأن يتحفظ الانسان عندما يتكلم فيها ويذكر تفاصيلها كما هو الحال من قبل . وثالثاً لأن الأسلوب الرمزي قد يؤدي إلى أخطر النتائج في التأثير على نفسية القارىء كما أنه يسهل على الأديب — وهذه هي العلة الرابعة — في تلك الآونة أن يملأ دماغ القارىء بما يجب أن يذيعه من المبادىء والآراء ، ذلك أن القارىء يكون في حالة التأثر بما يقرأ في هذه الناحية شديد الحساسية مرهف الشعور ، فينتهز الكاتب تلك الفرصة من أجل أن يقحم الأفكار إلى رأسه فيكون لها مفعولها في روحه ووجدانه وعقله جميعاً

وهكذا تراني في جانب هذه الطائفة من الأدباء الذين استطاعوا أن يعرفوا موقفهم بالضبط وأن يدركوا مهمتهم على الوجه الصحيح فاذا طلبت إلى أن أقول كلمة واحدة في هذا الباب تواريت واستحييت ، وطلبت منك الغفران لهذه الظاهرة التي تلمسها بوضوح فينا جميعاً ، وهي أننا نقفز بالعقول إلى الأشياء التي لم تستطع عواطفنا بعد أن تتقبلها راضية مطمئنة .

عبد الفتاح الديدي

المسرح المصـــري

للأستاذ محمود سامى أحمد

يأسى كل محب لفن التمثيل لهذا المصير المحزن الذى آل المسرح المصرى اليوم ، ولكن أنى للأسى والحزن أن يقوما ما اعوج من الأمور ، أو أن ينفخا الروح فى الجسد الهامد المستكن ؟

لن يصبح للمسرح المصرى شأن إلا يوم يتكاتف العاملون من رجاله ، فينصرفون إلى البحث الهادئ، ووضع الخطط السليمة دون ميل مع الهوى ، أو خضوع لأى مؤثر عاطفى ، ودون أن يقفزوا إلى نتائج مبتسرة لا تسندها مقدمات منطقية معقولة .

وقد رأيت أن أدلى على صفحات الرسـالة ببعض ما يمن لى من آراء ، راجيا أن يقابلها رجال المسرح بصـــدر رحب ، وألا يسخطوا على ما قد يكون فيهـا من صراحة تؤلم ، فإنه الألم من مشرط الجراح يعقبه البدء بإذن الله .

نشأة المسرح المصرى مفتعلة :

المتأمل فى نشأة المسرح فى مختلف البلاد يجد أنه انحدر من صلب العقيدة الدينية ، وأن أولى خطواته كانت من عمل الكهان ورجال الدين ، وأولى حفلاته كانت تقام فى المناسبات الدينية .

فهـذا المسرح اليونانى ، وهو أقدم المسارح المعروفة لنـا ، والمدروسة دراسة واضحة ؛ نشأ هـذا المسرح عن ديانة الإله ديونيسوس إله الخمر عند اليونان .

كانت عبادة ديونيسوس ترمز إلى حياة الكروم ، هـــذه الأشجار التى تجف سوقها وتذبل أوراقها فى الشتاء ، ثم تعود مع الربيع إلى الحياة ، فتدب الحيـاة فى تلك السوق ، وتظهر الأوراق اليانعة وتثمر ثمرها الشهى ، فإذا طاب الثمر عصره القوم وخمروه ليبعث فى نفوس شاربيه السرور والنشوة . فديونيسـوس إذن إله يحيا ويتألم ويموت ، ثم يبعث حيا !

ولـما كان الكرم هو أهم المحاصيل اليونانية ، وكانت الماعز هى أهم ما يربى من حيوان ، فقـــد احتفل اليونانيون بإله الخمر بعد أن مزجوا عبادته بعبادة الماعز ، فكانوا يقيمون الحفلات العامة فى أواخر مارس وأوائل إبريل ، ويحملون من مذبح الإله ، وهو ما كانوا يسمونه (التيميليه) Thymélé مركزا للاحتفال ، فكانت جوقة المنشدين تجتمع لتـــدور حوله مغنية راقصة ، بعد أن يلبس أفرادها جلود التيوس ، ومن ذلك الوقت أصبح الديترامبس وهو الغنـاء التوقيعى الذى تقوم به الجوقة يسمى التراجيديا أى غناء التيوس (وهو لفظ مركب من Tragos أى التيوس و odé أى غناء) ومن ذلك الوقت أصبح الكهنة والمتعبـــدون يلبسون جلود التيوس فى حفلاتهم الدينية تشبها بالساتير Satyre وهم صحابة الإله ديونيسوس .

ولم يقتصر الأمر على الغناء والرقص ، وإنما عمـد الكهان إلى تمثيل طرف من حيـاة الإله يصلح لأن يكون نواة لتمثيلية ، فكان أحد الكهنة يمثل شخصية عدو من أعدائه الذين يريدون به الشر ، ويطارد حورية من حوريات الإله وقد أمسك بيده فأسا يهـــددها به ، فتجفل الحورية ، وتفر منه وقد ملأها الرعب واستبد بها الخوف . واستمرت الحال زمنا ، ليس إلا رقصا وغناء لا يجمعه نظام خاص ، وإلا مشاهد صامتة فيها طرف من أسطورة وطرف من حركة ولـكن لا حوار فيه . استمرت الحال كذلك إلى أن جاء الشاعر أريون ، الذى حول هذا النشيد الساذج إلى فن ، إذ فصل بين الجوقة ورئيسها ، وجعل هذا يغنى غناء فرديا لم يكن موجودا من قبل ، فترد عليه الجوقة مجتمعة ، ومن هنـا نشأ الحوار .

ثم جاء دور تسبيس الذى يعتبر المبدع الأول للمأساة اليونانية إذ أنه حول هذه الأغانى والرقصات إلى حوار كامل ، رفعه أئمة المسرح اليونانى اسكيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز إلى مرتبة الفن الكامل .

وكما تطور الفن المسرحى من الرقص والغناء الساذج إلى المسرحية الفنية الكاملة ، كذلك تطور الموضوع ، فبعد أن كان وقفا على تمثيل حياة الآلهة ، أضاف اليونانيون إليه حياة الأبطال ، فأخذوا يتغنون بها ، ويمثلون قصصا منها ، معتمدين فى ذلك على القصص الطرادى والقصص الطيبى ، ثم طغى تمثيل حياة الأبطال على حياة الآلهة ، وانفردوا بالأمر ، ولم يعد للآلهة مكان على المسرح ،

ولكنها ظلت مع ذلك فى المسرح اليونانى تسيطر على أعمال الناس وتتحكم فى مصائرهم .

ولم يشذ المسرح المسيحى عن ذلك ، ومن عجب أن ينشأ المسرح فى أحضان الكنيسة ، وهى التى حاربت التمثيل الرومانى وكانت سبباً من أسباب انهياره ! ولكن لا غرابة فى ذلك ، فقد اثبتت الدراسات المختلفة فى علم الاجتماع وطبائع الشعوب ؛ أن كل دين قابل لأن ينشئ حادثة مسرحية ، وأن جميع الطقوس الدينية قابلة لأن تتخذ الشكل الدراماتيكى ، والدليل على ذلك أنه نشأ عند الفرس نوع من التمثيل لم يتطور إلى المسرحية الكاملة وقد نشأ عن الاحتفال باستشهاد الحسين رضى الله عنه .

ولد المسرح المسيحى إذن من طقوس الدين، وذلك للتأثير فى قلوب المؤمنين ، فكان القسس والرهبان يمثلون بعض مشاهد من حياة المسيح ، فيمثلون رفعه ثم يمثلون مولده ، وأقدم الوثائق التى تصف لنا هذه المشاهد هى الوثيقة التى تركها الراهب الأنجليزى سانت إتلوولد ، فكان القســـس يضعون إلى جانب المذبح تابوتاً يرمز إلى القبر ، ثم يتقدم قسان يحملان صليبا ملفوفا بالقماش يرمزون به إلى المسيح ، فيضعانه فى التابوت ، يتخلل ذلك كله الأناشيد . وأقدم التمثيليات ذات الحوار هى تلك التى كانت تمثل فى عيد الفصح ، إذ كان يتقدم قسيسان يلبسان مسوحا بيضاء يمثلان ملكين ، ثم يلتقيان بآخرين يمثلان إمرأتين ويقف الجميع أمام التابوت الفارغ ، فيسأل أحد الملكين

— عمن تبحثان فى الضريح ؟

فتجيب إحدى المرأتين :

— إننا أيها السماويان نبحث عن الذى صلب .

فيرد الملك الثانى :

— لن تجداه هنا ، فقد ارتفع إلى السماء كما تنبأ ، فاذهبا وأعلنا فى كل مكان ذلك ؛ أعلنا أنه ارتفع من ضريحه إلى السماء

وهكذا نشأ المسرح المسيحى بهذه التمثيليات الدينية Liturgical drama ، ثم تطورت بعد ذلك إلى مناظر كاملة ضاقت عنها الكنيسة ، فخرج التمثيل إلى فناء الكنيسة أو المقبرة ، ثم إلى دور البلديات

ولا تحدار التمثيل من صلب العقيدة الدينية نظر الجمهور إلى هذا المسرح نظرة القداسة ، وكانوا يؤمون المسارح أو أى مكان يقام فيه التمثيل كما يؤم المؤمن معبدا يؤدى فيه الفريضة لله . وهكذا تأصل حب المسرح فى النفوس ، حتى أصبح الأوربيون يرون للمسرح رسالة روحية ، وحتى أصبح فى نظرهم ضرورة من ألزم ضرورات الحياة .

أما فى مصر ، فالمسرح نقل إلينا دون أساس قومى أو دينى ، نقل إلينا بما ترجم أو اقتبس من الروايات الأوربية ، ومثلت هذه الروايات دون أن يراعى فيها فى أول الأمر اتفاقها وعقلية المصرى وتقاليده ، ولهذا ظل المسرح بعيدا عن أفئدة الجمهور ، ذلك الجمهور الذى أقبل على دور اللهو الأخرى التى تخاطب حسه وغريزته ، وانصرف عن المسرح الجدى الذى يخاطب فيه العقل والذوق ، فكاد يحم ذلك المسرح أن يأغل مع كل ما تقدمه الدولة من أموال لإعانة الفرقة المصرية .

وليس أمر المسرح المصرى بدعا فى ذلك ، فالمسرح الرومانى القديم نال نفس المصير ، فقد نشأ نفس النشأة المفتعلة بترجمة المسرحيات اليونانية أو اقتباسها أو تقليدها ، فلم يجد الإقبال الكافى ، حتى أن مسرحيات سنيكا الفيلسوف لم تمثل ، وإنما كانت تقرأ على النـــاس فى قاعة المحاضرات تسمى الأوديون، وهذه القاعة ابتدعها الرومان ليستمع الناس فيها إلى المحاضرات أو ما يقرأ عليهم من التمثيليات . وهكذا تحول المسرح الرومانى على مر الزمن إلى مسرح استعراضى يعتمد على الرقص والغناء واستثارة الغرائز الدنيا للمشاهدين .

لهذا السبب — وهو النشأة المفتعلة للمسرح المصرى — امتلأت المسارح الاستعراضية والفكاهية ؛ وخوى مسرح الفرقة المصرية ، ولهذا السبب أيضا امتلأت الروايات السينمائية المصرية بمشاهد الرقص والغناء بمناسبة وبغير مناسبة .

فالواجب على القائمين على أمر المسرح أن يستميلوا الجمهور إلى فنهم ، ولا أقصد بذلك أن يتبذلوا فيما يعرضون ، كما تحاول الفرقة المصرية اليوم ، وإنما أقصد إلى أن يبثوا حب المسرح فى النفوس ، وأن يرتفعوا بهم رويدا رويدا حتى يحلقوا فى أبعد الآفاق وأرفعها .

مصر تنتقم من وزير

للأستاذ عطية الشيخ

تشابه الطبائع :

الناس معادن وفصائل ، منهم الأخيار والأشرار ، ومهما تقدم العقل البشرى وامتدت المدنية ، وزاد الرخاء ، وتنادى الناس بالإخاء ، فإنك لا تزال تلمس فى هذا المجتمع الراقى فصائل من البشر لايميزهم عن إنسان الغاب إلا طراز الأزياء ، وتقاليد سطحية ، ليس لها فى أعماق نفوسهم أثر وهل تنى الببغاء مما تقول شيئاً ؟ وهل يعنى النسناس مما يؤدى من الحركات أمراً أفى فجر التاريخ تميز خيار الناس من شرارهم فى محاورة قابيل وهابيل ابنى آدم ، حين هم الأول بقتل الثانى ، فلم يزد هابيل على أن قال « لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين » فهل أثر هذا الموقف الكريم فى النفس الشريرة .

كلا بل طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله . ثم امتدت الحقب ، وتتابعت الأولاد والأحفاد ، وتوالت الأجيال ، وما زال فى أبناء آدم قابيل وهابيل ، لم تختلف الأرواح وإن تغيرت الأسماء وها هى ذى الأمثال والحكم التى أجرتها الحوادث على لسان الأمم البائدة . يتمثل بها أبناء اليوم كأنها قيلت بالأمس القريب .

علم الدين سنجر الشجاعى :

مملوك من مماليك السلطان المنصور قلاوون ، اتسم بقلب حجرى ، وبأس قوى ، وحب للشر ، وشهوة فى الانتقام ، ورغبة أكيدة فى الكيد للناس ، لا يسلم من شره أقرب الخلق منه ، ولا أكثرهم إحساناً إليه ، تولى الإشراف فى أيام سيده المنصور قلاوون على بناء البيمارستان ، فكان يتصيد الصناع والفعلة من أعلى سقالة بالبندق ، وإذا سقط أحدهم جثة هامدة لا يظهر عليه تغير ولا يتحرك من مكانه ولا يسأل عن أهله وذويه ، بل يأمر بالإسراع فى دفنه حتى لا يتعطل العمل .

الى الشام :

ثقل على المصريين أمر الشجاعى ، وكان فى الشام بقايا صليبيين ، فرأى الملك المنصور أن يرسله إلى دمشق ، عله يجد متنفساً لشره وظلمه فى أعداء الدولة إذ كان لا بد للأفعى من أن تنهش وللعقرب من أن تلدغ ، وقد صدق ظن الملك . فى الشام وجد الشجاعى متنفساً للأذى فى غير المسلمين حتى أحبه أهل دمشق .

السلطان خليل :

مات المنصور قلاوون وتولى بعده الملك ابنه الأشرف خليل وكان كما يقول الذهبى فى كتابه تاريخ الإسلام « بطلاً شجاعاً مقداماً مهيباً عالى الهمة ، تخافه الملوك فى أمصارها ، والوحوش فى آجامها » فلم يكد يستقر فى الملك حتى صمم على طرد الصليبيين من بلاد الشام جملة ، وكان أمنع حصن لهم « عكا » فجهز جيشاً جراراً وحاصرها ، وهناك قابله الشجاعى ، وأخذ يسمم أفكاره ضد من معه من الأمراء والوزراء (والشجعان دائماً أضعف فريسة للختل والمكر والدهاء) فقبض خليل على من معه من

ودليلنا على أن أفراد الجمهور المصرى لاينقصهم الإحساس الفنى ، أنهم يقبلون على مشاهدة الروائع السينمائية الأجنبية ، وفيها القصص الدسمة والموضوعات العميقة ، وهم راضون عما يرون ، بل إنهم أصبحوا الآن ينصرفون عن كل رواية ضعيفة ولو اختفى ضعفها وراء الإخراج الرائع والتمثيل المتقن .

فيجب ، والحالة هذه ، أن نبث حب المسرح فى النفوس ، وذلك باستلهام التاريخ الإسلامى فى وضع المسرحيات ، وبجعل مادة التمثيل مادة أساسية فى المدارس كما هى حال القصص الآن ، بالإكثار من وحدات المسرح الشعبى التى تجوب الأحياء والبلاد ولا تعرض هذه التفاهات التى تقدمها ، وإنما تعرض قطعا غنية جمعت بين المتعة والفن . ولا بأس من أن تعرض فى كل مرة مسرحية فكاهية لاجتذاب الجمهور ، ثم تتلوها مسرحية جيدة تخاطب العاطفة الدينية أو القومية فى النفوس ، ويتذوق فيها النظارة الفن الحقيقى الرفيع .

محمود سامى أحمد
ليسانسيه فى الآداب

أمراء أبيه وقواده ولم ينتظر حتى تنتهي المركة « وحصل للناس قلق شديد ، وخشوا من حدوث فتنة تكون سبباً في تنفيس الخناق عن أهل عكا المحصورين »

متى الوزير :

كان وزير الأشرف خليل هو محمد بن عثمان التنوخي الدمشقي ، وكان له صديق شاعر ، خاف عليه لؤم الشجاعي وكيده ، فأرسل إليه البيتين الآتيين يحذره منه .

تنبه يا وزير الأرض واعلم بأنك قد وطئت على الأفاعي
وكن بالله معتصما فإني أخاف عليك من نهش الشجاعي

فهل أغناه التحذير كلا بل ذهب الوزير صريعاً بيد الشجاعي أمر قراقوش فضربه ألفاً ومائة عصا حتى مات تحت التعذيب .

رفعة وسمو :

أخذ الشجاعي يترقى في وظائف الدولة أيام السلطان خليل ، بدسه وسعيه ضد أكابر الدولة وزجهم في السجون والمعتقلات ، حتى أنابه السلطان عنه في السلطنة ، وأنزله قلعة الجبل حين ذهب للصيد في مديرية البحيرة ، ولما قتل السلطان خليل ، وتولى الملك بعده أخوه الناصر ، اتفق الأمراء على أن يكون نائب السلطنة الأمير كتبغا ، ووزيرها الشجاعي ، وكان الملك صغير السن ، ونائب السلطنة كتبغا رجلا ديناً طيب القلب ، فانتهز الشجاعي هذه الفرصة واستبد بالأمر « وكان موكبه يضاهي موكب السلطان من التجمل .

الاستئثار أو النار :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ، والحوت لا يلهيه شيء يطعمه ، يصبح ظمآن وفي الماء فمه ، وشهوة الشر لا تشبع وإن شبعت شهوة الخير ، فلم يكتف الشجاعي بما وصل إليه ، وأخذ يعمل على استئصال جميع معارضيه ، والانفراد بالحكم وحده فدبر مع بعض الأخساء مؤامرة لقتل جميع الأمراء والعلماء والقادة والعظماء ، ووعدهم بأن من قتل أميراً أو عظيماً فله جميع تركته ، وأخذ ينفق من خزانة الدولة في سبيل هذا المأرب ، حتى بلغ ما أنفقه في يوم واحد ثمانين ألف دينار ، وعين لتحقيق الغرض يوما معلوماً وأوصى بالتكتم حتى يؤخذ الخصوم على غرة .

وتفدرونه :

كان من بين من أغراهم الشجاعي ومناهم سيف الدين قنقغ التتاري ، فأخذته العصبية الجنسية للأمير كتبغا لأنه كان تتاري الجنس ، وحذره وأطلعه على كل شيء ، فجمع كتبغا أمراء الدولة وعظماءها وبعد أن تحققوا من صدق الرواية ذهبوا إلى القلعة وحاصروها ليقبضوا على الشجاعي .

الذهب والشعب :

أغلق الشجاعي أبواب القلعة ، وأخرج صرر الذهب من الخزانة ، وأخذ يفرقها على البرجية حتى انحاز إليه فريق منهم ، وظل يعد ويمني ويرشو حتى تجمع حوله العدد الكافي . فخرج من القلعة وهاجم كتبغا وأصحابه فهزمهم وفروا إلى بلبيس . ورأى الشعب ذلك فثارت ثائرته وتدخل في الأمر ضد الشجاعي الظالم وهجم الأهالي هجمة رجل واحد حتى أدخلوا الشجاعي ومن معه قلعة الجبل وحاصروهم وقطعوا عنهم الماء ، فعاد كتبغا ومن معه وانضموا للشعب ، ودام الحصار « إلى أن طلعت الست خوند والدة السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى أعلى السور وكلمتهم بأن قالت لهم ! إيش هو غرضكم حتى إننا نفعله لكم ؟ فقالوا ما لنا غرض إلا مسك الشجاعي وإخماد الفتنة » وأمرت بإغلاق باب منزل الشجاعي عليه وكان داخل القلعة ، فأصبح في حصارين أحدهما خارج الأسوار ، والثاني داخل القلعة . ولما رأى أصحابه ذلك ، ولا ينحاز إلى مثله بالطبع إلا كل خسيس نفعي ، يكثر عند الطمع ويقل عند الفزع ، والطيور على أشكالها تقع ، أقول لما رأى أصحابه ذلك ، تفرقوا عنه وانضموا إلى أعدائه ثم انقض عليه بعضهم وقطع رأسه وأظهره للشعب من فوق سور القلعة ، فدقت البشائر وعمت الأفراح جميع البلاد .

الثأر من رأس الغريم :

علم بعض صيادي المال من المصريين كراهية الشعب للشجاعي فاستولوا على رأسه وطافوا به الأنحاء على أعلى رمح ، وتسابق المصريون في شفاء صدورهم من رأس عدوهم ، فتهافتوا على النيل منه وغالى حاملو الرأس في تقاضي الثمن « حتى بلغت اللطمة على وجهه بالمداس نصف درهم ، والبولة عليه درهماً » ولم يكتف المخدرات

الشعر المصرى فى مائة عام

للاستاذ محمد سيد كيلانى

الساعاتى

من ١٨٢٥ — ١٨٨٠

— ٨ —

هو محمود صفوت الساعاتى ابن مصطفى أغا الزيله لى [1] ولد بالقاهرة فى عام ١٨٢٥ م ونشأ بها إلى أن بلغ الاثنى عشر عاما . ثم توجه إلى الاسكندرية مع أبيه . وفى العشرين من عمره بدا له أن يقوم بفريضة الحج فسافر إلى الحجاز . وهناك التحق بحاشية أمير مكة الشريف محمد بن عون فأكرم مثواه وأحسن ملتقاه حتى أنساه وطنه وصحبه فظل ملازما له فى مقامه ومرتحله. وسافر معه إلى غزواته المعروفة فى نجد واليمن ووصف كثيراً من وقائعه فى شعره .

ووقعت بينه وبين أدباء الحجاز منافسات تلتها مناظرات كما هو شأن الأدباء فى كل عصر وفى كل موطن .

(١) الزيلة بلدة فى الأناضول .

وفى عام ١٨٥٠ م عزل الشريف محمد بن عون عن إمارة مكة فهاجر إلى مصر مصطحباً الساعاتى الذى سافر معه إلى الآستانة بعد ذلك بقليل . وهناك وقع نزاع أدبى بينـه وبين الشيخ زين العابدين المكى .

وفى عام ١٨٥١ م عاد إلى مدينـة القاهرة فعين فى إحدى الوظائف الحكومية . ثم ألحق بمعية سعيد باشا . ثم نقل إلى وظيفة كتابية بمجلس الأحكام المصرية . ثم عين بعد ذلك بديوان المالية، فعضواً بمجلس أحكام الجيزة والقليوبية. وتوفى سنة ١٨٨٠ م وله ديوان مطبوع .

***

شعره :

١ — فى الحجاز :

نزل الساعاتى عند أمير مكة الشريف محمد بن عون وهو ممن يدعون الانتساب إلى الإمام على . فأراد الشاعر أن يحظى لديه وينال عطفه . فلو أنه سلك فى مدائحه مسلك شعراء مصر فى عصره من ابتداء القصائد بغزل طويل ممل متكلف ، واستخدام الصناعة اللفظية من جناس وطباق وغيرهما لما ظفر بشىء مما يرجو ، ذلك لأن الأشراف لا يطربون لهذا ولا يحفلون بقائله . فلم ير الشاعر بداً من أن يكون شيعياً يهتم بالمعانى الشيعية التى تستهوى آل عون .

صنيع الرجال ، فطلبن من أزواجهن المشاركة فى الإهانة » فكانوا يأخذون الرأس ويدخلونه بيوتهم فتضربه النسوة بالمداسات » ولم يفرغ حاملو الرأس من مهمتهم حتى امتلأت جيوبهم وبعد أن جبوا عليه مصر والقاهرة وحصلوا مالاً كثيراً ، وغلقت أسواق القاهرة وحوانيتها خمسة أيام ابتهاجاً بزوال عهده » وسبب ذلك ما كان اشتمل عليه من الظلم ومصادراته للعالم وتنوعه فى الظلم والعسف »

دالت الدولة :

بعد أن هدأت الفتنة وأصبح الشجاعى فى خبر كان ، قبض كتبغا نائب السلطنة على أعوانه والمتآمرين معه ، وأطلق سراح المعتقلين ، وكان من جملتهم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الذى تسلطن بعد ذلك على الديار المصرية ، ومن الله على الذين استضعفوا فى الأرض وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

حتى الترحم عليه :

قال قاضى القضاة نجم الدين بن شيخ الجبل : كنت ليلة نائماً فاستيقظت وأنا أحفظ البيتين الآتيين :

عنـد الشجاعى أنواع منوعة من العذاب فلا يرحمه الله
لم تغن عنه ذنوب قد تحملها من العباد ولا مال ولا جاه

وكان ذلك فى نفس الليلة التى قتل فيها الشجاعى نعوذ بالله من سوء الخاتمة .

عطيه الشيخ

مفتش المعارف بالمنيا

أنظر إليه حين يقول فى مدح الشريف عبد الله بن عون :

ومن ذا الذى أحرى بمجدك منهم   ومدحك فى التنزيل جاء محرراً
وأعلى ملوك الأرض كسرى ولم يكـ   ـن له نسب دانى البتول وحيدرا
وإن كان بالإيوان أظهره فخره   فحسبك بالمحراب والبيت مظهرا
إلى خير خلق الله تنمى أصولكم   فكنتم به فى الناس أكرم عنصرا
وأنتم بنــوه والذين بفضلهم   أتى الروح بالذكر المبين مخبرا
ومن ذا الذى بالشعر يبلغ مدحكم   وفى هل أتى ما قد أتى وتصدرا

وانظر إليه حين يمدح شيخ السادة العلوية بالمدينة

أهلا وسهلا بابن بنت محمــد   نجل الحسين ومعدن الحسنات
أهلا بزهرة فرع أصـل طاهر   غرسـته أيدى الوحى والآيات
شرف على الشهب المنيرة مشرف   مترفع عن عرضة الشبهات
نسب قد انتظمت عقود جمانه   بيد التعفف لا بيد الشهوات
أورومة طابت فروع أصولها   رفعت بإسناد وصدق رواة
تلك التى غرس النبى لدوحهـا   فأتت بكم من أطيب الثمرات

فأنت ترى أن اهتمام الشاعر بالمعنى كان مسيطراً عليه فى هاتين القصيدتين وفى غيرهما مما نظمه فى أشراف مكة . وقد اجتهد فى الضرب على الوتر الحساس الذى تهوى إليه أفئدتهم . وتقمص الساعاتى فى هذه المدائح شخصية ابن هانىء الأندلسى وأغار على كثير من معانيه . ومثال ذلك قوله .

ومن ذا الذى أحرى بمجدك منهم   ومدحك فى التنزيل جاء محررا

فمأخوذ من قول ابن هانىء :

فرحت بيمينك السموات العلا   وتنزل القرآن فيك مديحا

وقوله :

وينظم فى الوصف الشريف قلائدا   وأبلغ منهـا قول أحكم حاكم

مأخوذ من قول ابن هانىء

والله فى علياك أصــدق قائل   فكأن قول القائلين هذاء

* * *

مدح الساعاتى الشريف ابن عون بقصيدة جاء فيها

رقت لرقة حالتى الأهواء   وحنت على البانة الهيفاء
وبكى النمام على من أسف وقد   كادت تمزق طوقها الورقاء

بدأ المدح بالشكوى مما أصابه من حوادث الدنيا . ثم مزج الشكوى بالفخر بنفسه وبشعره ، ولم يكن الرجل صادقا فى فخره بل قلد المتنبى فى ذلك . قال :

أنا ذلك الصل الذى عن نابه   تلوى المنون وتلتوى الرقطاء

وقد نظر فى هذا إلى المتنبى حيث يقول :

أنا صخرة الوادى إذا ما زوحمت   وإذا نطقت فإننى الجوزاء

وقال :

وفمى هو القوس الأرن ومقولى الـ   ـوتر الشديد وأسهمى الانشاء
فكر ينظم فى البـديع فرائدا   من دونها ما يلفظ الدأماء

وهذا فخر كاذب قلد فيه القدماء. وقد أراد أن يعظم من أمره ويرفع من شأنه فصور الناس وقد أشهروا عليه حربا وأجمعوا أمرهم على كيده . قال .

ولع الزمان وأهله بعـداوتى   إن الكرام لهـا اللئام عداء
أتحط قدرى الحادثات وهمتى   من دونهـا المريخ والجوزاء

وهو فى هذا ينظر إلى ابن هانىء الأندلسى حيث يقول :

طويت لى الأيام فوق مكايد   ما تنطوى لى فوقها الجوزاء

ثم استطرد إلى التحدث عن سوء حظه ، وذكر أنه قصد أناسا كثيرين فلم يجد عندهم ما يسره حتى أفنى عمره دون أن يتحقق له أمل واحد من آماله . قال :

أفنيت عمرى فى طلاب أولى الندى   متملا بعسى يجاب نداء

وهو غير صادق فيما يقول . ذلك لأنه عند ما حل فى مكة كان فى العشرين فإذا فرضنا أنه نظم هـذه بعد إقامته عند ابن عون بعامين أو أكثر فإنه فى هذه الحال لم يكن قد أفنى عمره كما يحدثنا ثم تخلص من هذا المدح فقال :

غضت عن العلياء طرفى برهة   ثم انجلت عن ناظرى الأقذاء
فعلمت أن الأكرمين هم الأولى   شرفوا وباقى العـالمين هباء
لم يبق غير بنى النبى محمد   فى الأرض من يعزى إليه سخاء
قوم همت جدواهم وبمدحهم   فى كل واد هامت الشعراء

ولو تأملت فى هذه الأبيات لوجدت روح ابن هانىء ماثلا فى وضوح وجلاء ، وطريقة الساعاتى فى التخلص إلى المدح هى نفس طريقة ابن هانىء . وإليك أبيات ابن هانىء لتوازن بينها وبين أبيات الساعاتى .

وطفقت أسأل عن أغر محجل   فإذا الأنام جبــلة دهماء
حتى دفعت إلى المعز خليفة   فعلمت أن المطلب الخلفاء
جود كأن اليم فيه نفاثة   وكأنمــا الدنيا عليه غثاء

إلا أن ابن هانى، كان يمدح الخليفة الفاطمي الذى امتد ملكه من المحيط الأطلسى غربا إلى بلاد العرب شرقاً؛ أما الساعاتى فكان يمدح عاملا بسيطاً من عمال الدولة العثمانية ، وهو معرض للعزل فى أى وقت . وقد عزل فعلا ورحل إلى الآستانة، وقد جعل الساعاتى من هذا الحاكم الصغير ملكا تهابه الملوك وتعنوا لسلطانه وتقصر عن بلوغ مرتبته . وقال :

ملك سما سلطانه وتقاصرت عنـــه الملوك لأنها أسماء
ولو ارتقوا يوما لأخمصه انتهوا لمراتب ما فوقهن علاء
وصلته أبكار العلاء كواعبا من قبل ما وصلتهم الشمطاء

ولا شك فى أن الشاعر قد أسرف فى التكلف وبالغ فى الكذب وليس مما يعقل أن رجلا كالساعاتى يقول مثل هذا المدح فى شريف مكة عن عقيدة راسخة وإيمان ثابت .

وظاهر من هذه القصيدة أن ابن عون قد أعرض عن الساعاتى مدة من الزمن بسعى بعض الحساد ، فشكا الرجل من حدوث هذه القطيعة . قال :

مازلت أجلو وصفكم حتى بدا كالشمس لا رمز ولا إيماء
وحبوتمونى بعدها بقطيعة أكذا يكون تكرم وحباء
من لى بخـــط الأعبياء فعلتى عز الدواء لها وجل الداء

وقال قبل ذلك بأبيات :

يا أيها الملك المفدى عودة يا من لديه لا يخيب رجاء
أوليتنى الآلاء ثم تركتنى مثل الذى حلت به اللأواء
ما كان ذا أملى الذى أملتـه فيكم وأنتم سادة نجباء
أو لستم أدرى بما كنتم به تعـــدوننى ومتى يكون أداء
إن كان دانى حسن حظى ربما يشقى الفصيح وتنعم العجماء

هذه الأبيات إذا قرأناها تركت فى أنفسنا أثراً عميقاً ، ذلك لأن الشاعر هنا لم يكن متكلفاً ولا متصنعاً ، وإنما كان يرسل القول من أعماق فؤاده ، فعبر فى هذا الشعر عما انطوى بين جوانحه من ألم شديد وحزن عميق ، وبسط يديه أمام شريف مكة راجياً منه أن يعمل على إزالة هذه القطيعة ، وعدة أبيات هذه القصيدة سبعة وسبعون بيتاً ، منها ثلاثون فى الفخر ، وحوالى عشرة أبيات فى الشكوى والباقى فى المدح .

وللساعاتى قصيدة هائية مدح بها الشريف على بن عون . وقد سلك فيها مسلك مروان بن أبى حفصة فى هائيته المشهورة التى مطلعها :

طرقتك زائرة فحى خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

أما قصيدة الساعاتى فطلعها

جادت بوصل بعد طول دلالها مطبوعة جبلت على إدلالها

وعجز البيت ضعيف التأليف تافه المعنى ، وربما كان سبب ذلك اهتمامه بالجناس بين « دلال » و « إدلال »

وقال :

وسرى بطيف خيالها جنح الدجى من بعد ما جنحت إلى عذالها
زارت على شوق محبيها وما زالت تجر إليه فى أذيالها
سفرت فقلنا قد تألق بارق يزجى رشاش الطل فى أطلالها
وتكلفت صلة المتيم عنـد ما نظرت كمال البـدر دون كمالها
غيداء جادت بالزيارة بعد ما جارت ومل الدهر دون ملالها
سمحت بما أسدت إلى وإنما صلة المنى من تمام خيالها
حسناء قد تاهت على كأنها حسنية والمجـد فى سر بالها

ولن تجد فى هذه الأبيات من المعانى سوى وصف تلك الغادة بالجمال والدلال ، وقد شعر الرجل بإفلاسه وخلو جعبته من المعانى فستر ذلك العجز باصطناع المحسنات اللفظية ، ثم انتقل من ذلك إلى المدح وقد أورد بعض المعانى الشيعية كقوله :

ولقد علمت بأن مدحى قاصر وعلاكم التنزيل فى إجلالها
أفبعد ما جاء الكتاب مفصلا تتفاضل البلغاء فى أقوالها

. . .

وقال يمدح الشريف محمد بن عون ويهنئه بانتصاره فى بلاد اليمن :

بشرى بنصر بالفتوح ميسر ودوام عز حيث سرت مسير

والمعنى ضعيف كما ترى ، وفى البيت جناس بين « ميسر » و « ميسر » ومنها

نشرت لك الأعلام من فوق العلى فطويت ذكرى كل باغ مفتر

وهو جيد المعنى ، وفيه طباق بين « نشر » و « طوى »

(يتبع) محمد سيد كيلانى

حول « موازنة أدبية »

الموازنة — إذا أريد لها أن تقوم على أساس عادل سليم — ينبغى أن تكون بين شيئين متكافئين — تقريبا — إلا من فروق دقيقة لا يعزها إلا ناقد فاحص أوتى من حدة الذكاء، وصواب النظرة، وإرهاف الذوق، حظا موفورا .. وليست الحال كذلك فى الموازنة التى أجراها حضرة الأستاذ الفاضل « محمد عبد المنعم خفاجى » بين قصيدتين « من عيون الشعر الجاهلى » أولاهما معلقة عمرو بن كلثوم، الأخرى مجمهرة أمية بن أبى الصلت . إذ أنهما غير متكافئين كما أنهما ليستا من طبقة واحدة . والفروق بينهما واضحة، لا تحتاج إلى إعمال فكر، أو إجهاد ذهن، وليس هذا من عندياتنا ولكن ما يقرره حضرة الكاتب الفاضل أثناء كتابته، فهو يعترف بأن هناك فروقا فنية كبرى (لا دقيقة) لاحظها النقاد بين القصيدتين، وقد ترتب على هذه الفروق التفرقة بينهما فوضعت الأولى (معلقة عمرو) فى صف المعلقات، ووضعت الثانية فى صف المجمهرات .

ويعترف أيضا بأن معلقة عمرو تمتاز بأنها الأصل الذى نسج على منواله أمية » فأمية إذن لم يأت بجديد خالص وإنما قال متأثرا عمرا فى ملعقته، حتى إن بعض أبيات قصيدته جاءت مشابهة لا يباب من قصيدة عمرو مشابهة تامة حينا وتكاد تكون تامة حينا آخر كما يقر بعدم التكافؤ بين القصيدتين حين يقول « إن شاعرية عمرو فى معلقته أقوى وأبين من شاعرية أمية فى مجمهرته سواء فى الأسلوب أو المعانى أو الأغراض أو مدى الجودة الفنية ومواهب الشعر » فهو يفضل المعلقة تفضيلا مطلقا، ويحلق بها فى آفاق السمو الفنى، بينما يهوى بالأخرى هويا عميقا، ويلقى بها فى قرارات سحيقة من الضعف الأدبى، وقصيدتان هذا شأنهما حوج إلى « ميزان طبلية » منهما إلى « ميزان حساس » يرى بدقة فروقهما .

بل هناك أكثر من هذا، فهو يرى أن أمية نظم مجمهرته فى شبابه « قبل أن تكتمل شخصية أمية الفنية »، ورغم كل ما تقدم مما يدل على عدم ارتكاز الموازنة على أسس سليمة، وبالرغم من هذا الفارق الكبير بين شاعرية عملاق من عمالقة الشعر الجاهلى وشاعرية — أمية — التى لم تكتمل — حين نظمت القصيدة — أسباب القوة والخصوبة، تجرى الموازنة .. ! ولاشك أنها مجحفة غير عادلة .

والتطويل ظاهر فى الأسلوب، ومن ظواهره الاستطراد والتكرار، فيكفى أن يذكر الأستاذ أن قصيدة أمية هى إحدى المجمهرات حتى يستطرد فيعددها ويوازن بينها، ويذكر مطالع بعضها، بينما يعرض عن ذكر مطالع البعض الآخر . ! ويكفى أن يذكر أن قصيدة عمرو هى إحدى المعلقات حتى يعرف المعلقات — وكأنها شىء غريب لم يسمع به أو كأنها جديدة على قراء « الرسالة » ..! ويذكر سبب اختيارها، ولكنه لا يعفى فيذكر سبب تسميتها لتتم بذلك معرفة القراء .. !

وأما التكرار فكثير، لفظا ومعنى، فهو يكرر كلمة « الفنية » أيضا . ! وكأنه بالتزامها يضفى على الموازنة شيئا من سمات البحث العميق وهو يكرر حين يتكلم عن المعلقة، فهو يصفها بأنها « ملحمة تاريخية تصور المجد القديم لتغلب قبيلة الشاعر » وبعد قليل « فهى جديرة حقا أن تسمى ملحمة فهى تاريخ مفصل لقبيلة عمرو ومفاخرها » وبعد قليل « عدتها تغلب كل مجدها وفخارها » ثم « ملحمة تاريخية نادرة » وأحيانا يقرر، وعندما يكرر بنتابه بعض الشك فيما يقرر . مثال ذلك قوله « وتمتاز (معلقة عمرو) بأنها الأصل الذى نسج على منواله أمية » ثم يكرر وكأنه يستنتج « وتستطيع أن نقول إن أمية قلد فى مجمهرته عمرو بن كلثوم تقليداً فنياً واضحا » ويستطرد فى التكرار « وصاغ قصيدته على موسيقى وقافية عمرو »

ونرى فى الموازنة بين المجمهرات تناقضا واضطرابا فهو يقول « وهذه القصائد السبع (يعنى المجمهرات) لم توضع فى مرتبة واحدة لاتفاق موضوعاتها » ويقول بعد ذلك مباشرة « إذ أن موضوعاتها مختلفة » .. ! ثم يقول « فهى إذن إنما وضعت فى منزلة أدبية واحدة ... » ! ثم يدلل على اتفاق موضوعاتها بقوله « إذا يشبه بعضها بعضا فى النواحى الفنية والفطرة الأدبية وفى خصائص الشعر والشاعرية ... » .

ويخالف حضرة الكاتب الدكتور طه فى رأيه القائل بوضع

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٦)

«٢» مناهج الأدلة لابن رشد

للأستاذ كمال دسوقى

هذا الكتاب لابن رشد لاينفك عن سابقه الذى تعود الناشرون أن يربطوه به ، وأعنى به ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، وغرض هذه الرسالة الطريفة الممتعة — كما يتبين من عنوانها — التوفيق بين الفلسفة والدين توفيقاً من شأنه أن يضع حداً للشكوك والأوهام التى تساور المقبلين على دراسة الفلسفة المشفقين على عقيدتهم منها ، وأنا أنصح بقراءة هذا النص القوى كل من هو فى شك وارتياب ، فانه إن لم يقنع قارئه المتعقل بضرورة التفلسف شرعاً ، ولا أقل من أن يهديه إلى أن لا تعارض بين الفلسفة والدين .

وسبيل ابن رشد فى التوفيق بين الحكمة والشرع والمؤاخاة بين الفلسفة والدين أن يتقدم فى وضوح وبحجة ناصعة ليقول إن الفلسفة هى علم النظر فى الموجودات من حيث دلالتها على موجدها ، ولما كان طبيعياً أنه كلما زادت المعرفة بالصنعة زاد العلم بالصانع ، أى أنه كلما قوى العقل على الاعتبار الذى حث عليه الدين والقرآن — وهو فى الفلسفة القياس والاستنباط — أمكن أن يصل إلى حقيقة الخالق ، وأن الشرع قد حثنا على معرفة الله فكأنه يحثنا على الفلسفة والمنطق وعلوم العقل التى من شأنها أن تؤهلنا للوصول إلى الحق ، خصوصاً إذا سلمنا بأن ماجاء به الدين حق ، وأن الفلسفة هى الأخرى تنشد الحق ، لم يبق إذن تعارض بينهما — لأن الحق واحد ، وحتى لو تعدد لم يتعارض بل يتأيد ويتوافق ؛ ويبقى على ابن رشد بعد هذا أن يقرر أن مايطرأ على بعض من يتعاطون الفلسفة ليس من ذنبها ، وهو يلحقها بالعرض لا بالذات ، كمن يشرب الماء العذب فيشرق فيموت ، وغاية ما فى الأمر أن مباحث الفلسفة يجب أن يلجم عنها العوام كما قال الغزالى

القصيدة ويرد على سهولتها بقوله إنه (أى عمرو) ارتجل بعضها . وقد يبدو هذا مقبولا ولكن كيف نعلل سهولة غير المرتجل منها؟ هنا يتغنى الأستاذ به « نشأة عمرو فى الطائف ذات الخصب والزروع والثمار والهواء المعتدل والجو الجميل ... » .. ! ناسيا أن هذا ليس كل شىء ، بل إن هناك شعراء عاشوا فى مثل البيئة التى نشأ وعاش فيها عمرو، بل فى بيئات أفضل وأغنى وأخصب ومع ذلك لم يجىء شعرهم فى سهولة المعلقة بل كان يكتنفه أحياناً تعقيد وغموض وخشونة . ودليل ذلك عند المتنبى ، وعند «البارودى» فبالرغم من أن الأخير عاش فى العصر الحديث فان شعره لم يكن يفرقه عن شعر الجاهليين فارق كبير .

ولقد حدد الأستاذ التاريخ الأدبى لقصيدة أمية بترجيحه أنها قيلت « فى مفاخرة من هذه المفاخرات التى تحدث كثيراً بين القبائل العربية خاصة فى العصر الجاهلى » وليت شعرى فهل كان يمكن أن تقال هذه القصيدة إن لم تكن قيلت فى مفاخرة من المفاخرات التى عناها الكاتب الفاضل . ؟ ولكن الأستاذ لم يبين ذلك الذى كان يفاخره أمية ؟ .

ويريد الأستاذ أن يحدد السبب الذى حدا بأمية إلى نظم قصيدته على غرار معلقة عمرو ، ولكنه لم يحدد بل استوعب كل الأسباب التى يمكن أن تدفع الشاعر إلى تقليد عمرو من إعجابه به أو روايته لشعره أو اتفاق الغرض الذى قالا فيه ، ولم يستطع أن يختص سببا من هذه الأسباب بعد تمحيص الأسباب التى أوردها . وأغلب ظنى أنه اعتقد ـ بذكره لعدة أسباب ـ أنه قد حدد واختار ومحص . !

ونستطيع أن نخلص من ذلك كله إلى :

١ ـ عدم عدالة الموازنة .

٢ ـ الاضطراب فى التعبير وعدم الدقة فيه .

٣ ـ عدم الوصول إلى آراء قيمة ، فكل ما وصل إليه واضح يكاد يبلغ درجة البداهة . وإنى أقدم تحيتى إلى الأستاذ الكاتب ، وأرجو أن يمتعنا قريبا ببعض بحوثه القيمة .

أحمد قاسم أحمد
كلية الآداب بجامعة فؤاد

من قبل وإن لم ينجح فى ذلك فى نظر ابن رشد ، وأن يقتصر تعاطيها على الخاصة حتى لا تزيغ العامة وتضل . والشريعة إذن قسمان : ظاهر يجب ألا يتجاوزه العوام وأن يؤمنوا به ، ومؤول هو فرض على العلماء والخاصة

وهذه نقطة البدء فى الكتاب الذى تدرسونه ، وابن رشد يذكر بعدها بوضوح أن غرضه فيه « أن يفحص عن الظاهر من العقائد التى قصد الشرع حمل الجمهور عليها متحريا فى ذلك قصد الشارع قدر الجهد والاستطاعة » . وسترونه مخلصاً لهذه الخطة التى رسمها ، أميناً على أن يجعل من نفسه الفيلسوف الذى يتصدى لأخص مسائل الدين دون أن يتعارض معه ؛ حتى ليأخذ فى كثير من الأحيان على أئمة الدين كالغزالى إقحام العامة فى الفلسفة ، مدعياً دائماً أنه على طريقته هو التى يشرحها يجب أن يكون تقديم أمور الدين للجمهور ، ومخطئاً فى أغلب الأحيان كافة الفرق الدينية التى حصرها منذ البدء فى أربع : المعتزلة والأشعرية والباطنية ثم الحشوية ؛ وإن كان لا يأتى بآراء هؤلاء جميعا فى كل مسألة مما عرض له — ربما لأنه لم يكن لها كلها آراء واضحة فى كل المسائل ، أو أنه هو لم يقف على كل هذه الآراء لأنها لم تصل إليه كما اعترف غير مرة .

ولا بد لكم من الرجوع إلى بعض مصادر الفلسفة الاسلامية أو معاجمها أو دوائر معارفها لتعرف نشأة هذه الفرق التى ذكرها ابن رشد وتمييزها عن بعضها البعض والوقوف على أشهر علمائها وآرائهم . ومن حسن حظكم أن مؤلفنا لم يذكر إلا هذا العدد الضئيل من الفرق الاسلامية . وهذه أشهرها وأظهرها — وإلا فان هذه الفرق تقدر عند الغزالى بثلاث وسبعين ، وعند غيره بأكثر من ذلك . وقد ألفت فى هذه المذاهب كتب جامعة شتى لا تحصر ، أهمها : كتاب الملل والنحل للشهرستانى ، ومقالات الاسلاميين للأشعرى ، والفرق بين الفرق للبغدادى — عدا الكتب الخاصة بكل فرقة ومذهب ، ولكن يفيدكم فيها الرجوع إلى كتاب حديث كفجر الاسلام للاستاذ الدكتور أحمد أمين بك كما يتحتم عليكم الالمام بتوسع أكبر بما ورد ذكره من الآراء لكل من هذه المدارس فى كتاب ابن رشد نفسه .

أما موضوعات كتابنا فتبدأ « بتعريف ما قصد الشارع أن يعتقده الجمهور فى الله » أولا من حيث طريقة إثبات وجوده « ص ٣١ — ٤٩ » فبيان وحدانيته « ٤٩ — ٥٣ » فالقول فى صفاته السبعة الثبوتية : العلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام « ٥٣ — ٦٠ » فمحاولة تنزيهه وتقديسه والترفع به عن التشبيه والجسمية والجهة والرؤية « ٦٠ — ٨٠ » وأخيراً الخمس المسائل التى يسميها معرفة الأفعال وهى : خلق العالم ، وبعث الرسل ، والقضاء والقدر ، والتجوير والتعديل ، والمعاد أو الحياة الآخرة ، وفكرة الكتاب إذن — على ما فى طريقة عرضها من خلط حينا وقصور أحيانا ، واستطراد أو شطط أحيانا أخرى — تتلخص فى محاولة نصرة الدين بالفلسفة ، ومناقشة أمور ما تسميه الأديان علم التوحيد أو العقائد بالنظر أولا فى إثبات وجود الله فوحدته فبقية صفاته الثبوتية التى تنسب له صفات ، والسلبية التى تنزهه عما يقابل هذه الصفات « وعددها عند أهل السنة عشرون لا مجرد السبعة التى ذكرها ابن رشد » ؛ وأخيراً النظر فى الأفعال الالهية ومحاولة تأويلها وتأييدها على ضوء العقل .

ومهمة ابن رشد هذه التى اضطلع بها على وجه لا بأس به من الجودة ليست بدعا من الفلسفة ؛ فكم من فيلسوف مسيحى قبله أو يهودى بعده يتصدى لظاهرة الدين بالفلسفة ، أو قل لنصرة الدين على حساب الفلسفة . ولكم أنتم أن تحكموا على مدى نجاح هذه المحاولات فى كل الأديان ، فإن لى فى ذلك رأيا أحتفظ به أن يصادر حريتكم فيما يجب أن تنتهوا إليه بأنفسكم .

ويبدأ ابن رشد بتسفيه رأى الحشوية فيما ذهبوا إليه من ضرورة الايمان بوجود الله إيمانا أعمى أساسه السمع والطاعة ، والاكتفاء بالنقل ونصوص الدين دون أى تفكير من جانب العقل ، فاننا إذا تأملنا القرآن ذاته وجدناه يحثنا بين حين وآخر على التأمل والتدبر والاعتبار ، ولا وجه لمعترض أن يقول إنه لو كان الايمان بوجود الله لا يصح إلا بالدليل العقلى لكان على النبى وهو يعرف العقيدة أن يقيم على ذلك الدليل ، لأن العرب حتى فى جاهليتهم يؤمنون بوجود إله ، فلا حاجة به إلى أن يقيم الدليل على شىء مسلم به كن يستجمع قوته ليدفع بابا مفتوحاً على حد تشبيه الغزالى نفسه ، أو أن يتصدى للبرهنة على بديهية بينة بنفسها self evident قد لا يزيدها البرهان إلا تعقيداً وغموضاً

خصوصاً عند البسطاء والسذج ، وهم الجمهور الذى خاطبه الشارع فهذا موقف الحشوية الجامد الغريب .

أما الأشعرية فكانوا أسعد حظاً ولكن أكثر تطرفاً فى الفلسفة مما ينبغى ، فقد اعتنقوا نظرية الجوهر الفرد وأقحموها فى إثبات وجود الله — وابن رشد يتصدى لبيان أن مسلكهم هذا ليس هو أيضاً مايقصد الشرع وأنه فضلا عن تعقيده يعسر فهمه على الرياضيين فضلا عن الجمهور، فان صح مايقولون من أن العالم محدث لكونه مركباً من ذرات محدثة ، فان للعالم لابد فاعلا لانستطيع أن نقول إنه محدث أيضا « لأنه يلزمه فاعل أقدم ، وهذا يلزمه فاعل آخر أكثر قدما وهكذا إلى غير نهاية — وهو محال » أو نقول إنه أزلى قديم « لأنهم بهذا يناقضون مبدأهم القائل بأن المقارن للحوادث حادث مثلها ، فلا يصدر عن القديم إلا القديم ،ولا عن الحادث إلا الحادث ،وحتى لو تخلو عن هذا المبدأ للزمهم أن يبينوا لنا كيف صدر الفعل الحديث عن فاعل قديم ، وأية علة صيرته أولى بأن يفعل الآن منه منذ الأزل » .

سيقولون إن فعل الخلق مع أنه حادث فقد صدر بارادة قديمة؛ وهذا التهرب بالتمييز بين إرادة الخلق وفعل الخلق سواء قدموا الارادة على الفعل أو جعلوها مصاحبة له لاتغير من طبيعة الاشكال شيئاً… فعلى إمكانياتهما الثلاث « قدم الارادة والفعل، أو حدوثهما معا،أو قدم هذه وحدوث ذاك » يجب أن يفهموا أن الارادة شرط الفعل لا الفعل ، وأنها شىء آخر غير الفعل والفاعل والمفعول ، وأنها إن كانت أقدم من الفعل لم تستطع أن تفعله بلا واسطة فضلا عن أنها يجب ألا تظل متعلقة به دهراً لانهاية له لكى يحدث الفعل بعد انقضائه إن كان للانهاية له أن ينقضى خصوصا وأن الارادة يجب أن يطرأ عليها فى وقت إيجاد المراد عزم على التنفيذ هو الذى يدفع إلى حدوث الفعل — إلى آخر ذلك مما يضل فيه العلماء فكيف بالجمهور ؟ وابن رشد يستطرد ليبين مجافاة هذه الأدلة لذوق الجمهور وعقل الخاصة من العلماء بأن يحصر مسالكهم كلها فى طريقين يناقشهما بالتفصيل ، وينتهى فى كليهما من إبطال المقدمات إلى إبطال النتائج ، ثم يقرر أخيراً أن طريقة الأشعرية فى إثبات وجود الله لاهى شرعية حقة ولا هى فلسفية حقة ، وانه ينقصها يقين الأدلة الشرعية وبساطتها .

ويعرض ابن رشد بعد هذا إلى طرق الصوفية فى هذا الصدد. فيقرر فى فقرة قصيرة أن معرفة الله نور يقذفه الله فى قلب من استطاع أن يتجرد من عوارض الشهوة ودنس الحس — وهم يحتجون لذلك بنصوص دينية ويذهبون إلى كثير من الرياضات الروحية تحقيقاً لغايتهم .

ويرى ابن رشد أن هذه الطريقة مهما يكن من صحتها وضرورة تحقيق التجرد من الشهوة فعلا كشرط لصحة النظر والمعرفة ؛ إلا أنها لا يمكن أن تكون عامة لكل الناس ، وليست على أى حال ما يقصده الشرع بحث الجمهور على النظر والاعتبار والتأمل . أما المعتزلة فيعترف ابن رشد أنه لم يصله من كتبهم شىء ويرجح أن تشبه أدلتهم أدلة الأشعرية . وهذا عجيب من الفيلسوف ومأخذ لا يغتفر — أن يرجم بالظن فى موضع كان يجب أن يتلمس فيه مذهب مدرسة حرة كالمعتزلة ، فهؤلاء ليسوا كالأشعرية موفقين — أو ملفقين — بين مختلف الآراء على حساب بعضها البعض من غير شك ؛ بل كانوا أصحاب نظر عقلى حر . ولكن لنلتمس له العذر .

وبعد إذ أبطل ابن رشد كافة أدلة هذه الفرق الأربع — شرع يذكر الطريقة الشرعية التى يقول إن القرآن قد نبه عليها ودعا إلى تعرف وجود الله عن طريقها . وهو يحصرها فى دليلين : ما يسميه دليل العناية ودليل الاختراع — الأول يراد به أن من عناية الله بالإنسان خلق هذه الوجودات من أجله ، والثانى مؤداه أن ما نرى من عنصر الإبداع فى هذه الموجودات إنما هو من فعل فاعل قادر مريد له فى ذلك حكمته وليس من عمل الصدفة أو الاتفاق وعند ابن رشد أنه لكى تتم المعرفة بالله يجب أن يجتمع لها (١) الفحص عن منافع الموجودات كالشمس والقمر والفصول والليل والنهار والنبات والحيوان التى خلقت رحمة بالإنسان (٢) والوقوف على الاختراع الحقيقى فى جميع هذه الوجودات للفصول من فهم المصنوع إلى فهم الصانع . هذان عنده هما دليلا الشرع — وحتى آيات القرآن لا تخرج فى دلالتها عن أن تنبه على دليل العناية أو دليل الاختراع أو هما معاً . وأحب أن تفهموا أن هذين الدليلين: هما المحور الذى لا تخرج أية فلسفة عن الإتيان بواحد من شعبتيه إما أن تستدل من وجود الأشياء على وجود الله (أى دليل الاختراع)

أو تنتقل من الله إلى بيان موجوداته التى تمد حينئذ فيضاً منه ورحمة صادرة عنه بمحض جوده وكرمه. والدليل الأهم هو الأول ويسمى عند فلاسفة المسيحيين بالحجة الوجودية - وإن كانت الطريقة التى عرض بها ابن رشد هذا الدليل هنا تجعلنا نخشى - كما نبه الغزالى - أن يؤدى العلم بدقائق الاختراع وعنصر الحياة فى الكائنات إلى الشك فى وجود خالقها والارتداد عنها إلى الإيمان بالمادية وإنكار وجود الله عند ذوى الطبائع الفاسدة كما يؤدى إلى الهدى وزيادة الايمان عند ذوى الفطر السليمة .

وأما طريقة ابن رشد فى إثبات وحدانية الله فهى الطريقة السلبية التى استفادها مما فى الشهادة الأولى (لا إله إلا الله) من إثبات للوحدانية بهذا النفى للشريك - وهو يعمد إلى الآيات التى تناولت هذا الموضوع فيحللها ويؤول تفسيراتها -

ولا بد لكم أن تحفظوا هذه الآيات جيداً وتعرفوا أرقامها من السور القرآنية وتلموا بتفسيرها فى حدود ما يلزمكم - فهى فى كثير من المواضع حجة ابن رشد الرئيسية ؛ لا تستطيعون عرض رأيه قبل أن تحيطوا بها علماً) ،ويبين أن الفرق بين العامة وخاصة العلماء فى الايمان بالوحدانية ما يجب على العلماء أن يزيدوا من العلم بارتباط أجزاء العالم كجسد واحد ، ثم يعرض لنقض دليل المانعة عند الأشعريين لأنه لا يجرى مجرى الشرع أو الطبع بمعنى أن الجمهور لا يفهمه ، وأنه ليس برهانا حتى لو فرضنا أن الإلهين فى هذا الدليل يتفقان بدلا من أن يختلفا ، أو جعلنا أحدهما يفعل بعضاً والآخر بعضاً آخر، أو جعلناهما يفعلان بالتداول. ويقرر أن الأشعرية لم يفهموا مضمون آية (ولعلا بعضهم على بعض) بأخذها على الاختلاف بدلا من الاتفاق فى الأفعال ، وباستعمال القياس الشرطى المنفصل بدلا من المتصل ، مما أدى بهم إلى محاولات كثيرة بدلا من محال واحد . وينتهى أخيراً إلى أن من نظر إلى كلمة التوحيد (الشهادة بالوحدانية) على النحو الذى بينه فهو المسلم الحقيقى .

ولا يخفى عليكم ما فى جدل ابن رشد من تحامل على غيره واعتساف وعناد ، خصوصا فى المسألة الأخيرة مع ما فى دليل المانعة من وجاهة ظاهرة،ولكنه - على ما يبدو من قلة ما وصل إليه من آراء المتكلمين - يقحم هذا الدليل يحاول تطبيقه على آية لم يقصد هؤلاء أن يكون دليلهم تفسيراً لها . وإحلاله مسألة اتفاق الآلهة بدلا من اختلافهم فى الآية المذكورة جدل مغالطى لا يحتمله المعنى . فروا فى هذا الأمر رأيكم ، واحكموا عليه بما ترون دون أن تتقبلوا آراءه بالتسلم والرضى .

وسنأتى فى المقال التالى على ما بقى من موضوعات الكتاب .

كمال دسوقى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

الثقافة ، وما هي ؟

يلاحظ أن معالى الدكتور طه حسين بك لم تشغله أعماله فى الوزارة — على كثرتها وتعقدها — عن الوفاء بما ارتبط به من إلقاء محاضرات قبل توليته الوزارة ، وقدتعددت هذه المحاضرات ، وكانت أخراها محاضرة عنوانها « الثقافة ، وما هى ؟ » ألقاها يوم الخميس الماضى بنادى الخريجين المصرى ، بدأ بالتعليق على ما قوبل به من تصفيق وما قدم به من ثناء ، فقال : لا تصدقوا شيئاً من ذلك فأنا نفسى لا أصدقه ، وما صدقت ثناء وجه إلى قط ، ولم أذكر فى وقت من الأوقات أبياتاً قالها أبو العلاء المعرى كما أذكرها فى هذه الآونة كلما رأيت تصفيقاً وهتافا وثناء ، فقد حاصر صالح ابن مرداس مدينة المعرة وضيق عليها ، فتضرع أهلها إلى أبى العلاء ليكون سفيرهم عند صالح ، فرق قلبه لهم وقام بهذه السفارة على كره منه ، فقبل صالح وساطته ، ولكن أبا العلاء لم يعد من عنده حتى أعلن ألمه لاضطراره إلى ذلك ، فقال :

تغيبت فى منزلى برهة ستير العيوب قليل الحسد
فلما مضى العمر إلا الأقـل وحم لروحى فراق الجسد
بعثت شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأى فسد
فيسمع منى سجع الحمام وأسمع منه زئير الأسد
فلا يعجبنى هذا النفاق فكم نفقت محنة ما كسد

ثم أشار إلى حرصه على الوفاء بهذه المحاضرة رغم الشواغل وقال :

إن هذا الحديث سيتناول أطرافا من أشياء ذكرتها وقتاً ثم نسيتها ، وسيكون إلى الحديث العادى أقرب منه إلى شىء آخر .
ثم أخذ فى الحديث فرأيناه يعلو على كثير من المحبر .

- قال : أخص ما يمتاز به هذا العصر أنه يبيح للشعوب أشياء لم تكن مباحة لها من قبل ، أشياء كانت مقصورة على طائفة من الناس أولها السياسة ، فقد كانت شؤون الحكم مقصورة على طبقة من السادة وقد ابتدع اليونان فى العصور القديمة إشراك الشعب فى السياسة ، ولكن هذه البدعة لم تعمر طويلا ، لأن الإنسانية لم تكن هيئت لها ، فعادت الشؤون السياسية كما كانت شيئاً محتكراً للخاصة ؛ وتذكر العصر الحديث هذه البدعة فأخذ بها بعد أن وسعها ومرنها ، فإذا السياسة تصبح أمراً شائعاً .

وكذلك العلم ، كان شيئاً أرستقراطياً لا يطمع فيه أحد من غير الطبقة التى كانت تحتكر السياسة والعلم ، وفى بيئاتنا العربية القديمة نفسها كبغداد والبصرة والكوفة والقاهرة ، لم يكن يباح العلم بغير حساب ، كان الأساتذة يتقاضون أجراً على التعليم ، فاذا حدث أن تطوع أحدهم فهو أمر نادر . كانت الإنسانية تعتقد أن العلم شىء نفيس يطلب بالجهد والمال ، وكان الحكام يحببون الناس فيهم بانشاء المدارس لا على أن التعليم حق من الحقوق التى يجب أن تؤدى وإنما هو فضل من السادة ، يقصد به بعضهم وجه الله ، ويقصد البعض الآخر وجه المصلحة أو وجه السياسة .

أما فى العصر الحديث فلم تكد حقوق الشعب فى المشاركة السياسية تشيع حتى شاعت معها حقوق الشعب فى العلم أيضاً ، فالعلم حق كالسياسة وهو مرفق كسائر المرافق التى تتولاها الدولة وتيسر الانتفاع بها للشعب ، وهو حق للانسان بحكم أنه إنسان كائن حى مفكر يجب أن يتاح له الفرص التى تمكنه من التفكير ، كما يتاح له أن يحصل على نصيبه من الطعام والماء والهواء ، وهو حق من أخطر الحقوق لأنه يقتضى تغيراً خطيراً أساسياً فى الحياة الاجتماعية ، إذ يشعر المتعلم بشخصيته وبحاجاته الإنسانية فيطالب حقه ويلح فيه ، والإنسان يشعر بالحق أكثر مما يشعر بالواجب لأنه ميال بطبيعته إلى أن يأخذ أكثر مما يعطى ؛ ومن هنا يعتبر التعليم سلاحا خطيراً ذا حدين . يشعر الناس بالحق ويشعرهم بالواجب ، فاذا لم يحسن استعماله وتغلب أحد الحدين على الآخر ، صار الناس كلهم مطالبين بالحقوق ، أو ضعفت شخصياتهم واستكانوا إذا أسرفوا فى الشعور بالواجب .

فاذا انتشر العلم ، وساد الشعور بالشخصية والمطالبة بالحقوق ، تعرض النظام الاجتماعى للخطر ، وهذا هو الذى يخيف بعض الناس من انتشار التعليم ، ومن هنا وجب أن يكون أمر التعليم

إلى الحكومات وأن تسهر الدولة على التعليم ، فاذا تولاه غيرها من الهيئات والأفراد أشرفت عليها وراقبتها ، متوخية فى ذلك كله التوازن بين الشعور بالحق والشعور بالواجب .

ثم قال معاليه . لعلكم تلاحظون أنى إلى الآن لم أتحدث فى موضوع المحاضرة ، وهو الثقافة ، ولا شك أن الثقافة غير التعليم ، ولكنه وسيلة من وسائلها ، وما أكثر المتعلمين الذين يتعلمون كثيراً ويعلمون كثيراً ويعلمون كثيراً أيضاً ولكنهم ليسوا من الثقافة فى شىء . الثقافة مزاج يدبر أمر العقل والقلب ، مزاج يعتدل من الشعور الراق والعقل الذكى والحس الدقيق ، وهى ليست مقصورة على الكتب والعلوم وتحصيل ما فيها ، وما أكثر الذين نلقاهم فينشدوننا الأشعار أو يحدثوننا بما حصلوا من العلوم ، ولكنكم إذا وضعتم أحدهم أمام قطعة من الموسيق الرائعة ضاق بها أو أخذه النوم ، ومنهم من يتبحر فى ناحية من العلم ولكنه يجهل سائر أنواع المعرفة والآداب فالمثقف هو الذى تكون البيئة عقله وذوقه وترهف قلبه وحسه ، فيتسع أفقه وتسمو مشاعره ويحس بالجمال فى مختلف مواطنه .

إذا ابتهجتم بمجانية التعليم فابتهجوا بمقدار ، وطالبوا بالثقافة ويوم ترون الحكومة تهتم بالتعليم على أنه سبيل إلى الثقافة ، ابتهجوا كل الابتهاج .

الهلالية والأدب الشعبي :

شهد المدرج الكبير بكلية الآداب مساء الأحد من الأسبوع الماضى ، جمعاً كبيراً حضر مناقشة الرسالة الجامعية التى تقدم بها الدكتور عبد الحميد يونس لنيل إجازة الدكتوراه فى الآداب من جامعة فؤاد الأول ، وقد نالها بدرجة جيد جدا ولعل هذا الحشد الكبير الذى لم نر له مثيلا فى مشاهدة المناقشات الجامعية ، يرجع إلى طرافة موضوع الرسالة ، وهو « الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى » ومن طرافة هذا الموضوع أن الباحث اعتمد — إلى مراجعه من المؤلفات — على المنشد المحترف الذى يسميه العامة « الشاعر » وأخذ عنه واستمع إليه ، وأورد صورة له كما أتى بصور الآلات الموسيقية التى يستعملها وفى مقدمتها (الربابة) مفصلا أجزاءها كما ثقفها من منشده ، وأورد كذلك النوتات الموسيقية لبعض الأنغام التى عرفت بها أشعار السيرة الهلالية . وقد حضر مندوبو بعض المجلات المصورة لأخذ صورة « أبوزيد » باعتباره موضوعا لرسالة جامعية …

كشكول الأسبوع

◻ تفضل جلالة الملك فأمر بأن يطبع البخارى ومسلم طبعة صحيحة أنيقة على نفقة جلالته ، لتيسير الإلمام بالحديث النبوى الشريف لكل مسلم فى شتى بقاع الأرض .

◻ لوحظت بعض الوجوه من كبار موظفى وزارة المعارف فى المحاضرات التى ألقاها أخيراً معالى الدكتور طه حسين بك ولعلها فرصة لأن ينتفعوا من هذه المحاضرات ، لم تكن تتاح لهم أو لم يكونوا يتيحونها لأنفسهم فى محاضراته قبل تولى الوزارة ...

◻ من برقيات التهانى التى تلقاها معالى الدكتور طه حسين بك البرقية الشعرية الآتية ، وهى للأستاذ ابراهيم محمد نجا :

أهنىء ؟ لا أهنىء غير مصر ... بهذا المجد يحرزه فتاها
إذا ماقيل : من فخر المعالى ... ومن زين « المعارف » قلت طه

◻ أنشأت الاذاعة إدارة جديدة للرد على ما تنشره الصحف عن الاذاعة ، وكان الأولى صرف الجهد إلى تلافى ما تنتقده الصحافة بدلا من الانشغال بالرد عليها .

◻ تشكو إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف من إدارة الإذاعة لأنها طلبت منها عدة مرات بيانات عن الأحاديث والتمثيليات الثقافية ، فلم تجبها . وقد تم إعداد السجل الثقافى لسنة ١٩٤٩ ولم يبق منه إلا باب الإذاعة فى الانتظار … فهل تستطيع الإدارة الإذاعية الجديدة أن تقول لم هذا ؟

◻ قال مراسل الأهرام فى باريس : نظمت مجلة « إيلان » الشهرية التى تصدرها اليونسكو مسابقة فى الاجابة عن السؤال التالى : ماهو أهم عمل إنشائى على اليونسكو أن تقوم به خلال العام الحالى فى ميدان التعليم والعلم والثقافة العالمية وترسل الإجابة ويشترط ألا تتجاوز مائتى كلمة — إلى المجلة بدار اليونسكو فى باريس قبل ١٧ فبراير الحالى . وسينال صاحب أحسن إجابة بطاقة دولية بعشرة دولارات لشراء الكتب من أى مكتبة من مكتبات العالم .

◻ فاز الأستاذ عبد الفتاح مجدى بجائزة أولى قدرها ١٥٠ جنيها فى مباراة التأليف المسرحى التى نظمتها أخيرا وزارة الشئون الاجتماعية ، عن روايته « جوارى ومماليك »

◻ دعت اليونسكو الحكومة المصرية إلى الاشتراك فى نظام البطاقات الدولية المخصصة لشراء الكتب والصحف والمجلات . ويتيح هذا النظام لأهل البلاد ذات العملة السهلة أن يحصلوا بعملتهم على هذه البطاقات من اليونسكو لكى يشتروا بها المطبوعات من بلاد العملة الصعبة . وقد عهد إلى إدارة الثقافة بوزارة المعارف فى الاشراف على شراء البطاقات وبيعها فى مصر .

بدأت جلسة المناقشة بتلخيص صاحب الرسالة موضوعه، وقد أثبت أنه حقاً تلميذ «الشاعر» إذ ملك أسماع الحاضرين وجعلهم يندمجون معه في الموضوع بحسن عرضه وبراعة إلقائه وسلامة منطقه. قال إن الموضوع قد انقسم بين يديه إلى تمهيد وكتابين تناول في التمهيد الأصول التي اتبعها في بحثه وخالف بها بعض المدارس الأدبية في مصر والشرق العربي، ووصل فيها الأدب بالبيئة وعلم النفس، وتحدث عن الأدب الشعبي بنوع خاص وحاول أن يحدد دائرته، ثم عرض لمنهجه في البحث مبيناً أنه اصطنع فيه خطتين: الأولى خطة التاريخ والثانية خطة الفن. ثم استعرض الأبواب التاريخية التي يضمها الكتاب الأول على منهج جديد في التاريخ أسماه المنهج الجماعي وفرق بينه وبين المنهج الاجتماعي، وأغلب الظن أنه قصد به إلى تتبع جماعة الهلالية في نشأتها وعلاقاتها بالطبيعة من ناحية، وبالجماعات الأخرى المخالفة أو المخاصمة لها من ناحية أخرى، كما سار وإياهم في مدارج حياتهم بموطنهم الأول في جزيرة العرب ومواطنهم الجديدة في سائر ربوع العالم العربي حتى هبطوا مصر وصمدوا إلى بلاد المغرب. ولم يقف جهد الباحث عند مجرد التاريخ أو التتبع، وإنما حاول أن يفسره ليتبين المنازع النفسية التي كان الهلالية يصدرون عنها في أعمالهم مجتمعين ومتفرقين.

وانتقل في الكتاب الثاني إلى دراسة النص الأدبي على المنهج الذي عرف به صاحب البحث في النقد، فعرف بالنص الأدبي، ولخص سيرة بني هلال المشهورة على طولها وتعدد مشاهدها واختلاط البيئات واللهجات التي أثرت فيها، مفرقاً بين الأدب المدون والأدب غير المدون، وتعرض لأبحاث العلماء المستشرقين في تاريخ هذه السيرة والنصوص والروايات التي أوردها المشارقة؛ ثم تأمل السيرة نفسها ليضعها في مكانها من فنون الأدب كما وازن بين واقع التاريخ وما ورد فيها. وختم البحث بدراسة مستفيضة عن المجتمع المصري وتفاعله مع هذه السيرة الشعبية واتخاذها وسيلة من وسائله في التعبير عن شخصيته، وحلل أثرها في الريف المصري وفي العاصمة المصرية، ودعا إلى العناية بالتراث المصري جملة وتفصيلا.

وما أريد أن أتعرض لما حدث بعد ذلك في المناقشة ولا في طول الوقت الذي استغرقته، ولكن الشيء الذي لم يكن يتوقعه أحد هو أن يهم أحد حضرات الأساتذة الأجلاء بالانسحاب لا لخلاف بينه وبين الباحث، ولكن لأن رئيس الجلسة قاطعه بعبارة عدها تدخلا! وكانت هذه الحركة من الانسحاب والاعتذار والعودة هي التي أثارت حماس الجموع ونشرت جواً عصبياً على الجلسة كلها. ولم نكن نصدق ما ذاع هنا وهناك من أن خلافاً في الرأي — ولا أقول في المصالح — بين أساتذة الجامعة يلون علاقاتهم بطلابهم، ويطبع أحكامهم في العلم وفي غيره بطابع الفرقة والانقسام، حتى كان من سوء حظنا وحظ الجامعة أيضاً أن نشهد هذه المناقشة التي شهدها جمهور من طلاب ومثقفين، فقد احتدم الخلاف بين الأساتذة، وخشينا أن تنقلب المناقشة إلى معركة...

وقد مر ربع قرن على جامعة فؤاد الأول وهي تخرج طلاب العلم في مختلف كلياتها ومعاهدها، وجاءها علماء أوربيون وأمريكيون، وأرسلت البعثات لتنهل من العلوم في جامعات العالم القديم والجديد؛ فكان الأحرى بها والأجدر بأساتذتها أن ينقلوا ما أثبتت الأيام صلاحيته من تقاليد الجامعات الأخرى العريقة، وهم بين اثنتين، إما أن يتنازلوا عن نظام «العلنية» في مثل هذه الاختبارات العالية ويحذوا حذو الكليات العلمية العملية في الاقتصار على مواجهة البحث والباحث، وإما أن يتفقوا قبل حضور الجلسات العلنية على نظام المناقشة وتنسيقها بينهم إذا لم يستطيعوا أن يجتثوا الفرقة من نفوسهم...

عباس خضر



خداع امرأة

للاستاذ كامل محمود حبيب

وقف الفتى (عز الدين) يجفف عبراته المهراقة من أثر الأسى الذى تدفق فى طوايا قلبه عاصفاً عاصفاً ، يقض مضجعه ويهيج من أشجانه ويتغلغل فى ثنايا حياته قلقاً واضطراباً يزعزع كيانه ويهد من قوته ... الأسى الذى أحسَّ به أول مرة فى حياته حين وجد فقد أمه الشابة ، وحين رآها مسجاة فى كفن ، وحين شهدها وهي تتوارى إلى الأبد فى رمس ، وحين ارتد إلى الدار – آخر الليل فألفاها خاوية من الحنان خالية من العطف ما فيها سوى رجل واحد يجوس خلالها فى حيرة وقلق ، وعلى وجهه سمات الهم والضيق ، مفزعا ما تهدأ نزعته ، تسكن حرقته . واقترب الفتى من أبيه ولصق الأب بابنه ، ورانت عليهما صدمة المصيبة ووحشة المكان، وعقد الحزن لسانيهما ولكن العبرات تحدثت حديثاً طويلا ما ينساه الفتى الشاب أبداً

وقف الفتى (عز الدين) وحده يجفف عبراته المهراقة وقد أشكل عليه الأمر واختلطت الحال ، فامامه حقيبة مفتوحة ، وإلى جانبها ثياب متناثرة هنا وهنالك ، ومن حواليه حاجات مبعثرة ، وهو بينها يضرب فى تيهاء مضلة لا يستطيع أن يجمع شتاتها ولا أن يلم شعثها ، فما له بذلك من عهد ولا طاقة . وتراءت له أمه فى الخيال يوم أن كانت تنسق له حاجاته أول كل عام دراسى ، يوم أن كان ينفض عنه غبار القرية ليستقبل أيام الدرس فى المدينه يوم أن كانت أمه تعينه على أمره لا تحمله مشقة ولا تكلفه عنتاً ، والدار من حولها تزخر بالناس وتفهق بالخدم ، فأجهش بالبكاء وأوشك الخور أن يعصف به لولا أن خيل إليه أنه يسمع صدى صوت ناقوس السكة يناديه فى الحاح إلى حياة الكد والعمل ، ليسطر بدم الشباب الفوار أول علامات النبوغ والتفوق ، وليقتحم بجده سبيل السمو والرفعة .. ، وليدفن هناك – بين شواغله – آلام قلبه وضنى روحه ، فهب فى تراخ وكسل يريد أن يهيىء نفسه للسفر

لقد كان (عز الدين) وحيد أبويه ، فى العشرين من سنى حياته، اتسم بسمات الريف، وطبع بطابع القرية ، طيب القلب رضى النفس هادىء الطبع ، وهو سليم البنية قوى التركيب ، لم يفتره الشباب – يوماً – عن الدرس ، ولم يصرفه مال أبيه عن أن يشمر للتحصيل ، ولم تبهره أنوار المدينة عن أن ينفذ إلى غايته فى سهولة ويسر فنال شهادة الدراسة الثانوية فى تفوق فتح أمامه باب كلية الهندسه فى غير عنت ولا إرهاق . وطرب الأب لفوز ابنه ، واستبشرت الأم . ولكن أمراً نجم – على حين فجأة – فغطى على فرحة الأب ووارى بهجة الأم ... لقد انحطت العلة على الأم تعركها عركا شديداً فى غير هوادة ولا لين ، فانطلق الأب يطب لها ، والإبن إلى جانبه ، وإن الفزع ليملأ قلبه ، وإن الوجوم ليغض من نشاطه . وحار الطب فى أمرها زماناً فهوت بين يديه جثة هامدة وانطوت أيام لم تمسح على شجن الأب ولا طامنت من كربة الإبن

* * *

وانطلق عز الدين إلى المدينة ... إلى كلية الهندسة ، يرزح تحت عبء من حاجاته ، ولكنه اغتمر بين أترابه يلهو فى لهوهم ويعبث عبثهم لينسى صدمة القضاء العاتية. وأراد الأب – بعد حين أن يطمئن على وحيده ، فانطلق إلى المدينة يسرى عن ابنه بالجديد من اللباس والطيب من المآكل والجزل من العطاء ، فهدأت جائشة الابن وسكنت هواجسه ، فاطمأن إلى درسه وإلى رفاقه .

لقد كان عز الدين طالباً ريفياً يقضى العام الدراسى فى القاهرة منكبا على الدرس فى جد ونشاط – كدأب أبناء الريف من الطلبة لا يشغله من نوازع الحياة إلا ما يتناهى إليه – بين الفينة والفينة من أخبار القرية وهى تافهة حقيرة غير أنها كانت تهز مشاعره وتثير عاطفته لأن فيها ذكر أبيه وذكر أمه وذكر غيطه و ...

فلما بدأ دم الشباب الثائر ينتفض فى قلبه أحس أن فى القرية أشياء أخر تجذبه إليها فى عنف. فهو يقضى شهور الصيف هناك ينعم بالراحة من عناء الدرس، ويسعد بالهدوء من صخب المدينة، وهو يخرج أصيل كل يوم - فى جماعة من رفاقه - إلى ضفة الغدير يتنسم عطر الريف ويتضاحك بالحديث، والنكتة ويعابث بنات الريف وهن لدى الغدير يملأن جرارهن، وإنه لذو خيال وذو قلب. وكان يشعر بأن خواطره تحوم - أبداً - حول فاطمة، وهى فتاة فيها جمال الريف وصفاء الجاذبية ومرح الظبى، فراح يداعبها بكلام فيه الرقة والظرف، وهى تقبل عليه - حيناً - فى خفر، وتعرض عنه حيناً آخر - فى دلال، وعلى وجهها بسمات الرضا والسعادة. فلا عجب إن كانت القرية تجذبه إليها ليرى هناك وجها أشرق النور من جبينه فأحبه فاطمأن إليه، هو وجه فاطمة التى يطمع أن يجلس إليها ساعة من زمان فى خلوة، فى منأى عن عين الرقيب..

أما الآن، حين حطمته الأيام ففقد أمه وأحس أنه فقد فيها الرفيق والعون والآسى جميعاً.. الآن، جلس يكتب إلى أبيه « يا أبى، لقد مرت الأيام والشهور تهدهد من أحزانى وتسرى من كربتى، وأنا أخشى أن يثير المكان نوازع نفسى وأشجان روحى فأشرق بالهم وأغص بالغم، فهلا تركتنى أقضى عطلة الصيف فى دار عمى فى الاسكندرية فألتمس هناك عزاء وسلوة؟ »

وقرأ الأب رسالة ابنه فما اختلج قلبه ولا اضطرب فؤاده، لأنه يطمع أن يذر ابنه يتلمس السلوة والعزاء، ولأنه يريد أن يدفع ابنه عن القرية لأمر يسره فى نفسه.

لطالما أحس الرجل فى فقد زوجته لوعة الفراق وألم الوحدة ولذع الوحشة، ولطالما اضطربت فى ذهنه خاطرة انضمت عليها جوانحه فأسرها فى نفسه أياماً وأياماً وهو فى فورة الرجولة وخولة العمر، ولطالما دخل الدار فخيل إليه أنها تلفظه لأنها لا يلمس فيها أنس نفسه ولا راحة قلبه، وما فيها سوى خادم عجوز تقبع - طول النهار - فى ناحية - كأنها دمية من طين أسندت إلى جدار، ولطالما ضاق بحاجاته فالطعام تافه قذر تعافه النفس ويتقزز منه الذوق، والملابس وسخة متناثرة لا تتناولها بالترتيب يد رفيقة ولا يرق خوالها قلب حبيب ولا ... وفاضت نفس الرجل بالضيق والملل فعزم على أمر أسره فى نفسه.

وتعاقبت الأيام رغم الرجل على أن يكشف رويداً رويداً - عن سر قلبه، وعلى أن يتحدث - فى حذر - إلى خلصائه بدات نفسه، وفى الناس من يرود له الطريق ويمهد السبيل، فاذا هو زوج لفتاة من بنات الريف، فتاة فى عمر ابنه عزالدين ... تزوج منها على حين أن ابنه هناك فى شغل لا يتراءى إليه من خبر نبضات قلب أبيه إلا همسات فيها الشك والريبة.

ومضت سنتان أسدلتا على قلب الفتى حجابا كثيفاً من النسيان فتيقظ قلبه مرة أخرى - يخفق خفقات فيها الحنين والشوق إلى ملاعب الصبا ومراتع الشباب ... إلى الدار، إلى الحقل، إلى الغدير، إلى الصبايا وهن يملأن جرارهن أصيل كل يوم وإن وجوههن لتطفح بالبشر والابتسام، وإن حركاتهن لتتوثب فتنة وإغراء، إلى فاطمة... الفتاة الرشيقة الجميلة الآسرة التى يطمع أن يجلس إليها ساعة من زمان فى خلوة، فى منأى عن عين الرقيب.

ودخل الفتى الدار التى لم يسعد بها منذ سنتين، دخلها فوجد أباه بين رفاقه يتألق وجهه غبطة وسروراً، وقد انزاحت عنه غشاوة الأسى التى رانت عليه حيناً من الزمان.

وخلا الرجل إلى ابنه يحدثه حديث حياته الجديدة فرق الفتى لكلمات أبيه فما أبدى ضيقا ولا نفوراً على حين قد تيقظ فى نفسه تاريخ أمه منذ أن أحس وجودها إلى أن وجد فقدها

ونظر عز الدين إلى زوجة أبيه - حسنية ... ثم غض الطرف فى ذلة وارتد فى انكسار، ثم استسلم لخواطره السود حين تراءى له أنه أصبح غريبا فى دار أبيه، ونظرت حسنية إلى الفتى بعين الأنثى فبدا لها ما يضطرب فى فؤاده؛ وآذاها أن يلفه الغم فى طياته لأنها هى هنا.. هنا فى دار أبيه، فراحت تتودد إليه فى رفق وتتقرب منه فى لين تريد أن تستلبه من شجونه. وتكلمت الفتاة فى ظرف وأنصت الفتى فى هدوء.. والأب يرى فتطمئن وساوسه لأنه شعر بأن الألفة توشك أن تنشر جناحيها على الدار

ومرت الأيام والفتى يجلس إلى حسنية ساعة من الليل أو ساعة من النهار، وهو يحس أن فى عينيها بريقا يخطف القلب، وأن فى أنوثتها جمالا يخلب الفؤاد، وأن فى حديثها موسيقى تسحر اللب، وأن فى قلبه نزعة جياشة لا تهدأ إلا فى كنفها، وأن فى روحه عاطفة فوارة لا تطمئن إلا إلى حديثها، وشعرت الأنثى

بدوافع قلب الفتى فذهبت تفسح له مكانا فى قلبها وفى مجلسها ، غير أن نظرات الأب النفاذة لم تغمض عن خفقات القلبين فضرب بينهما بحجاب . ولكن الفتاة كانت قد لمست فرق ما بين الشباب المضطرم وبين الرجولة الهادئة التى توشك أن تستحيل إلى شيخوخة باردة ، فرق ما بين الحياة الفوارة العارمة وبين الحياة الواهية الضعيفة التى تكاد تنحدر إلى قرار القبر ... فما أعجزتها الحيلة . وفيها المكر والخداع ... عن أن تلقى فتاها — بين الفينة والفينة ... فى ناحية من الدار على حين غفلة من زوجها

وطغى حب حسنية على خواطر الفتى فطم على آثار قاطمة فى قلبه ، وشغله عن أن يسعى إليها أصيل كل يوم وأقعده عن أن ينطلق إلى رفاقه لأنه أصبح لا يحس فى حديثهم سلوة ولا فى مجلسهم متعة

ووقف الفتى وحده — ذات مساء — يعد حاجاته ويرتب ملابسه ويهيىء نفسه للسفر ، وإن قلبه ليهفو نحو حسنية : الفتاة التى سلبته قلبه ووعيه فى وقت معا ونزعت عنه عقله ورشاده فى آن واحد ، وأحس ، وهو يضطرب بين خواطره وحاجاته بأن يداً تربت على كتفه فى رفق ، فنظر فاذا حسنية إلى جانبه تلصق به وهى تبسم فى تراخ وتكسر فشعر بالدفء يتدفق فى أوصاله منبعثا من شباب الفتاة ومن أنوثتها ، كأن تياراً عنيفا من الكهرباء يسرى فى دمه فهفا نحوها فى شوق ، وحبا اليها فى حنان ، ولصق جسم بجسم ، واقتربت شفة من شفة ولكن الفتاة مالبثت أن طارت من بين يديه وهى تناديه فى همس . وداعا . . وداعا ، ياحبيبى ، وانغمر الفتى فى أمواج من الأسى والشوق حين رأى الفتاة تنفلت فتتوارى فى ظلام الدار ، وتذره وحده يعيش بالذكرى

...

ومضت ثلاث سنوات فاذا الفتاة أم طفلين ، ولكنها لم ترتدع عن أن تستمتع برفقة صاحبها — ابن زوجها ، عز الدين أثناء عطلة الصيف من كل عام ، فهى تجذبه اليها فى قسوة ، تسيطر على خواطره فى عنف ، وهو فى عمى عن الهاوية التى يوشك أن يتردى فيها بحمقه وجهله

لقد أحست الأنثى بالشباب فكرهت الشيخوخة ، واستشعرت المرح فأبغضت الرزانة ، ولمست القوة فامتهنت الضعف . واضطرت نفسها بفكرة واحدة سلبتها الهدوء والقرار : ليتها تستطيع أن تفزع عن هذه الدار لتعيش بين ذراعى فتى فى مثل سنها !

وأسدل الطيش على عقل الفتى ستاراً كثيفا من الغباء فغم الأمر عليه فنسى أنه يقترف جريمة شنعاء تنكرها الانسانية ويمجها العقل ، حين يستخذى للشيطان فيفتات على حق أبيه يريد أن يستلبه قلب زوجه وأن يسطو على شرفه وكرامته فى غير روية ولا عقل ، ونسيت الفتاة أنها ترتدغ فى أعظم حماقة سولتها نفس أنثى لأنها تبذر غراس الكراهية والشقاق بين الأب والابن . ولكن للشيطان مآرب ينفذ منها إلى القلوب فيطم على النوازع الانسانية لتتأرث منها الحيوانية الجامحة فحسب

واطمأنت الفتاة إلى فتاها ، فجلست إليه -- ذات ليلة — توسوس له وتفتره عن انسانيته وتختله من رجولته ، فقالت تحدثه « . . وأنت ترى أن أباك يضرب بينى وبينك بحجاب ما كان لك أن تظهره لولا حيلة أحتالها أو علة أتملل بها ، وهو يضيق علينا الخناق فأشعر كأن الدار سجن يضمنى بين جدرانه ضمات قاسية توشك أن تقضقض عظامى » فقال الفتى « آه ليتنى أجد فرجة أنفذ منها فأزيح هذا الستار ، ولكننى كما ترينى عاجز اليد واللسان » فقالت فى تهكم « عاجز اليد واللسان ؟ هذا عجيب ! رجل فيه الرجولة والبأس يعترف أمام التى أحب أنه عاجز اليد واللسان ؟ هذا ولا ريب منتهى الضعف والتخاذل » فقال الفتى فى يأس « وماذا عساى أن أفعل ؟ » فقالت الفتاة فى مكر وهى تستل من بين ثيابها مسدسا « انظر ، انظر ! » وذعر الفتى مما رأى وشملته رجفة عنيفة مااستطاع أن يداريها عن التى أحب ، ففزع عنها وهو يهمس « أقتله ؟ أقتل أبى ؟ كلا ... كلا ! » وتصنعت الفتاة الماكرة الغضب والنفور فهبت من مكانها فى ثورة وهى تقول « الآن بدالى ما كنت تخفى ... إنك لا تحبنى ... لست رجلا ، أيها المخادع الوضيع ... » ثم دفعته عنها فى غلظة وأسرعت إلى داخل الدار ...

ظل الفتى طول ليله يتقلب فى فراشه لا يغمض له جفن ولا تهدأ له ثائرة ، وإنه ليضطرب من هول ما رأى وما سمع ، وغبر ساعات وإن الشيطان إلى جانبه يوسوس له بأمر ، وإن قلبه الطائش

ليزين له الجريمة ، غير أن عقله كان يناديه من خلال نزواته - بين الحين والحين - ليدفعه عن الهاوية السحيقة التي يوشك أن يتردى فيها ، ثم انحط - بعد لأي في فراشه هامداً من أثر المعركة النفسية العنيفة التي خاض غمارها منذ أن رأي فوهة المدس تلمع في يد زوجة أبيه ، حسنية .

وأصرت الفتاة على فتاها ، وراحت تستعين بفتنة الأنثى وإغراء الشيطان ودوافع قلبه هو ، حتى أسهل وانقاد ، وأخذت هي تهيء السبيل وترسم الخطة، ثم قالت له « ... وعند الفجر تهب من فراشك في خفة وهدوء فتتوارى خلف الباب ، وحين يعود أبوك من المسجد بعد صلاة الفجر تفجؤه وهو يفتح الباب فتطلق عليه سبع رصاصات متتالية ، ثم نستغيث معاً بعد أن تقذف أنت بالمدس في بيت الخلاء »

وأراد الفتى أن ينفذ خطة رسمتها زوجة أبيه ، ولكنه حين أحس بمقدم أبيه انهارت عزيمته ووعى جلده وانتفض قلبه وتصلبت أطرافه فتوارى في ناحية يكتم أنفاسه خشية أن يراه الرجل فيرى فيه العقوق والجحود ... توارى حتى دخل أبوه ثم انفلت إلى إلى حجرته وهو يرتعد من شدة الخوف والفرق .

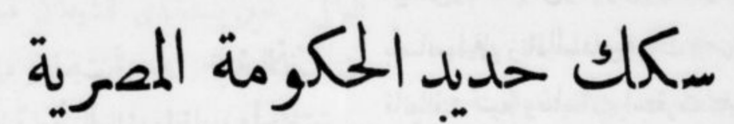
لم يرق حسنية ما رأت في الفتى من فزع وضعف فعزمت على أن تصحبه لتعينه على أمره ولتشد من عزمه . وعند فجر اليوم التالي وقفت الزوجة الماكرة خلف الفتى وقد ضمته إلى صدرها ومدت يدها إلى جانب يده تريد أن تساعده على أن يسدد الطلقات إلى الهدف ، إلى قلب أبيه ، في رباطة جأش وهدوء أعصاب وحين دخل الرجل ضغطت الزوجة بأصابعها على زناد المسدس مرات ومرات ويد الفتى تتراخى وتهوى فانطلقت سبع رصاصات استقرت جميعاً في أحشاء الرجل فسقط لدى الباب وهو ينادي « الله أكبر ... الله أكبر ! » وابتعدت الزوجة عن الفتى في خفة وثبات ثم صاحت « القاتل ... القاتل ! قتل أباه ... قتل أباه ! »

وتكشفت المرأة على حين فجأة - عن نوايا شيطانية وضيعة .

آه ، لقد مكرت المرأة بالفتى الغر مرتين لتستمتع بنزواتها المشبوبة وبشبابها المضطرم وبمال زوجها الضخم ، على حين قد تغفلته فقذفت به في هاوية سحيقة ليكون فداء لشهوات نفسها الحيوانية .

فيا لمكر الأنثى .. يا لمكر الأنثى .

كامل محمود حبيب



صرف تذاكر مشتركة الى الوجه القبلى بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلى والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر اعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم للدرجة الأولى فقط والاقامة فى الفنادق .

تشمل هذه التذاكر الاقامة فى الفنادق المبينة بعد :

اسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و٤ ليال من القاهرة (مليم)	(جنيه)
		مليم	جنيه
فندق ونتربالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	٩٦٠	١٨
فندق كاتاركت بأسوان	« « «	١٥٠	٢١
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٦٥٠	١٦
	« « « « الثانية	٨٩٥	١٠
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠	١٧
	« « « « الثانية	٠٩٠	١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٣٠٠	١٤
	« « « « « « الثانية	٤٤٥	٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « « الثانية	٣٥٥	٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « « الثانية	٣٥٥	٦



فهرس العدد

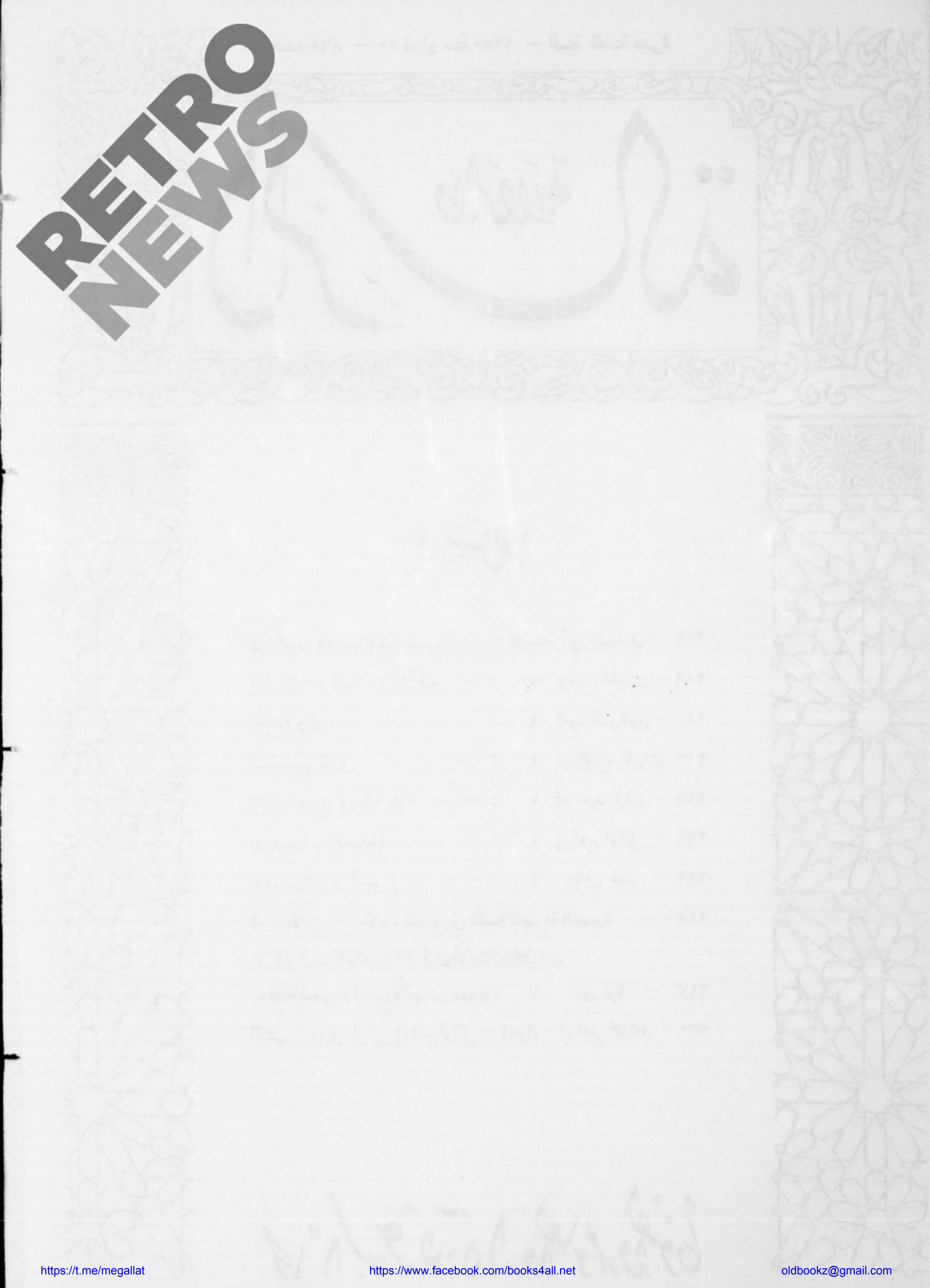
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

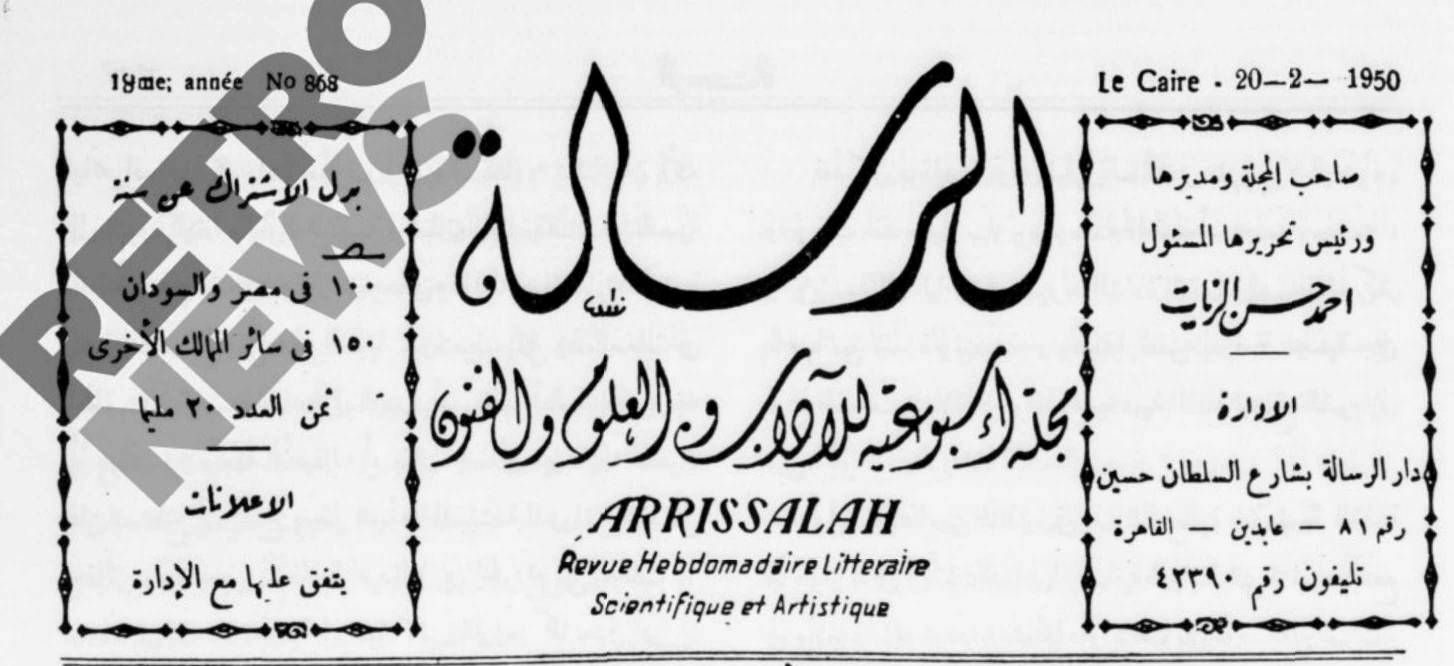
العدد ٨٦٨ — ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS



18me année No 868 — Le Caire 20-2-1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ — ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

على محمود طه

حياته من شعره

للأستاذ أنور المعداوي

— ١٠ —

أشرت فى مقدمة هذه الدراسة إلى أن شاعرنا المصرى كان أشبه بكتاب مفتوح . أستطيع أن أقول لك وأنا مطمئن ، إننى قد قرأته كله ... شعره على ضوء حياته ، وحياته على ضوء شعره ، ناحيتان تؤلفان هذا الكتاب الذى قرأته ، وعشت بين سطوره ، وخرجت من هذه السطور بآراء عرضتها على الذاكرة فما اعترضت ، وعلى الضمير فما أنكر ، وعلى موازين النقد فما اختلفت مع أصوله كما أفهمها ومناهجه .

وقلت لك أيضاً إننى قد درست حياة على طه النفسية ، ودرست آثاره الفنية ... درستهما على طريقتى التى أومن بها وأدعو إليها كلما حاولت أن أكتب عن أصحاب المواهب أو كلما حاول غيرى أن يكتب عنهم : مفتاح الشخصية الإنسانية أو مفاتيحها أولا ، ومفتاح الشخصية الفنية أو مفاتيحها ثانياً ، والربط بعد ذلك بين الشخصيتين لتنفذ إلى أعماق الحقيقة فى الحياة والفن ، ومدى التجاوب بينهما منعكساً على صفحة الشعور المعبر عنه فى كلمات .

وقلت لك مرة ثالثة إن الذين لم يعرفوا هذا الشاعر ولم يطلعوا على دخائل نفسه وآفاق حياته ، يستطيعون إذا لم ينزعوا عن الألفاظ أثوابها النفسية ، أو يجردوا الأخيلة من ظلالها المعنوية ، أو يفرقوا بين الصور وبين وشائج اللحم والدم ... يستطيعون إذا لم يلجأوا إلى شىء من هذا كله أن يعرفوه حق المعرفة من خلال شعره ! لقد كان شعره مرآة صادقة لهذا الوجود الذى أحاط به ، لأنه كان إنساناً صادقاً فى صحبته لتلك المرآة : لم يحاول يوماً أن يقف أمامها بوجه غير وجهه ، ولم يحاول يوماً أن يلقاها بملامح لونتها المساحيق أو اختفت حقيقتها وراء الأقنعة !

وقلت لك مرة رابعة إنه كان يمثل الوضوح فى الفن ، وقيمة الوضوح فى الفن هو أنه يتيح للدارسين أن يطمئنوا على مواقع أقلامهم كلما قطعوا مرحلة من مراحل الطريق ... لا غموض فى المقدمات يدعو إلى الشك فى النتائج ، ولا ضباب على سطح المنظار يحول دون الرؤية إذا التمستها العيون !

هذه بعض فقرات مما قلناه من قبل ، ونزيد عليها الآن وجهات نظر أخرى تدور حول مشكلة الغموض والوضوح فى الشخصية الفنية والإنسانية .. إن الرجل المغلق القلب فى الحياة مغلق القلب فى الفن ، وإن الرجل المعقد النفس فى الحياة معقد النفس فى الفن ، ولا خلاف فى هذه الحقيقة المستخرجة من ألوان التجارب ولا جدال ! وكل ما يصادفك من غموض وشذوذ

وانحراف عن كل ما هو مألوف ومعروف هنا ، يمكنك أن ترده إلى صوره المماثلة وأحواله المشابهة ولحظاته المطابقة هناك : شخصية فنية مبهمة ومضطربة وغير مفهومة فى هذا الجانب ، تقابلها شخصية إنسانية تصطبغ بكل هذه الصبغات وتتصف بكل هذه الصفات فى الجانب الآخر . ومهما حاول الفنان أن يظهر أمام الناس بوجه أرجوانى غير وجهه الأصفر ، أو بقلب إنسانى غير قلبه المقفر ، فلن يستطيع أن يخدع بعض العيون المستشفة لما وراء الطلاء من حقائق ، ولا بعض الآذان الراصدة لما بين الجوانح من خفقات ... وهذه هى اللحظة الحاسمة فى حياة كاتب التراجم كلما حاول أن يدرس واحداً من أصحاب الفن ، سالكا كل الطرق التى يمكن أن تدفع به إلى الهدف المرجو وتقذف به نحو الغاية المنشودة . وليس كل هدف يسير البلوغ وليست كل غاية قريبة المنال ، وما دام الأمر كذلك فلا مناص من استخدام علم النفس الأدبى وتسليط أضوائه على كل فجوة تتعذر فيها الرؤية حين يكتنفها الغموض ويلفها الظلام !

واستخدام علم النفس الأدبى من ألزم الأمور فى كل دراسة تريد أن تأمن الزلل فى التأويل وأن تتقى الخطأ فى التعليل ، وأن تتجنب كل منحدر فى طريق التشخيص والتشريح وإصدار الآراء والأحكام . ومع ذلك فهناك شخصيات مهوشة السمات مطموسة الحدود معقدة الطباع ، ترهق الدارسين حين يضعونها تحت مجهر التحليل النفسى وتكلفهم من الجهد والصبر والمثابرة فوق ما تحمل طاقة الأحياء . وفى الكفة المقابلة شخصيات أخرى واضحة سهلة التناول مسبورة الغور مكشوفة الأعماق ، ينفذ إليها الدارسون حين يضعونها تحت المجهر نفسه دون أن يصيبهم عنت أو إرهاق .

من هذه الشخصيات الأخيرة شخصية هذا الشاعر المصرى على محمود طه ، ومن تلك الشخصيات الأولى شخصية ذلك الشاعر الفرنسى شارل بودلير . ومن الذى تناول بودلير بالدراسة النفسية فأجهده وأرهقه وأصابه بما يشبه الدوار ؟ إنه الكاتب والفيلسوف الفرنسى جاك بول سارتر ... وعلى الرغم من أن سارتر قد وصل من وراء دراسته لبودلير إلى ما لم يصل إليه فى رأينا كاتب تراجم من قبل ، فقد خرج من هذه الدراسة وهو مكدود الأنفاس يخيل إليك أن جبينه قد تصبب بقطرات من العرق !

لقد كان بودلير فى رأى الحق إنساناً غير مفهوم ولا مهضوم ، ومع ذلك فقد حاول سارتر ما وسعته المحاولة أن يفهمه ويهضمه ، وأن يقدمه إلى الناس فى صورته الشاذة المعقدة وقد زايلها أكثر ما فيها من شذوذ وتعقيد ... وهكذا تفعل الدراسة النفسية حين ترفع السجف المدلاة على نوافذ الشخصية المغلقة ليندفع الضوء إلى شتى الجوانب والأركان !

وأين هى عناصر الشذوذ فى هذه الشخصية البودليرية الغريبة الأطوار ؟ هى فى تلك النواحى الإنسانية المتباينة التى لا تكاد تجتمع فى منهج واضح محدد يلم شعثها أو يؤلف بين ما فيها من شتات . لقد كان بودلير رجلا يفتش عن الآلام فى كل مكان ، ويسعى إليها سعياً متواصلا ليثور عليها آخر الأمر تلك الثورة المكبوتة العاجزة التى لا تدفع شراً ولا تدرأ خطيئة ... كان مثالياً بينه وبين نفسه ، ولكنها المثالية القاصرة على عالم الذهن وحده لا تكاد تتعداه . هو فى « وجوده الذهنى » إنسان مترفع عن كل ما يخدش الكرامة ويشين الخلق ويهبط بالسمعة إلى حمأة الموبقات ، وهو فى « وجوده الواقعى » إنسان غارق فى لجج الإثم ضال فى متاهات التى متخبط فى ظلام الوزر والمعصية . يدعو إلى الشىء ولا ينفذه ، ويرسم الطريق ولا يسير فيه ، ويضع لحياته خط سير هو أول المنحرفين عنه والخارجين عليه ... يحب الوحدة ويتوهم فى ظلالها راحة نفسه ونعيم دنياه ، ولكى يظفر بها فلا بأس من أن ينفّر منه الناس وأن يبغضهم فيه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بأن يرمى شخصه بأقبح التهم ، وينعت خلقه بأشنع النعوت ، ولا ضير من أن يشيع عن نفسه أنه قتل أباه وانحدر من الشذوذ الجنسى إلى أدنأ بؤره وأحط مهاويه هذا كله ليحقق لنفسه تلك الوحدة المنشودة التى يخلو فيها إلى هواجسه بعيداً عن دنيا الناس ...

ومع ذلك فما أكثر ما يضيق بهذه الوحدة ويفزع من أشباحها الرهيبة ويفر من ظلالها الخانقة ! وهو ، ذلك المخلوق الذى يسمو « بأفكاره » إلى مدارج العلاقة الجنسية النظيفة ، تراه يهبط « بأفعاله » إلى أقذر ما يمكن أن تلحقه هذه العلاقة بإنسان ... تراه يتصل بإحدى العاهرات ذلك الاتصال الشائن الذى يخرج منه بأخبث الأمراض وأفدح العلل ، ثم لا يحاول أن يقصد إلى طبيب ليلتمس لجسمه المنهك أى وسيلة من وسائل البرء الذى

يعقب الملاج ! وهو ، ذلك الرجل العاجز عن تصريف أموره ، المشلول الحركة فى معركة الحياة ، يسعى عن طيب خاطر إلى إيجاد من يشرف عليه وبرعاه ؛ حتى إذا وجد «مجلس العائلة» أومجلس الوصاية ليشرف على هذا الرجل الذى يفر من المسئوليات الضخام وغير الضخام ، تراه يثور على هؤلاء « الجلادين » الطغاة الذين يذيقونه الذل ويسومونه خسف العذاب ! وهو ، ذلك الفنان اللامع الذى كان يتطلع إلى أن يظفر بمكانه بين الخالدين من أعضاء الأكاديمية الفرنسية ، تراه يعبر كل درب يمكن أن يباعد بينه وبين المكان الخالد . وأعجب العجب أنه كان ينشد من كل قلبه مثل هذا الإخفاق ! وهو ، ذلك الشاعر الجهير يخرج للناس يوماً ديواناً من الشعر يطلق عليه « أزهار الشر » ليقف بسببه فى ساحة القضاء . ترى أكان يهدف من وراء هذا الشعر إلى مؤازرة الذين ينادون بمذهب « الفن للفن » ، أم كان يهدف إلى شيء آخر تتردد أصداؤه بين جنبيه وترسب فى قرار سحيق ؟ أغلب الظن أنه كان يحب أن يكون منبوذاً من الناس تلاحقه اللعنة فى كل عمل من أعماله الأدبية والإنسانية ... وإلا لما تعمد أن يطالع الناس بهذا الشعر الذى عرضه للادانة من جانب القضاء الفرنسى ، وهي إدانة مادية ومعنوية !

هو إذن فى رأى سارتر رجل مضيع عاجز مبهم يحرك يديه فى شتى الاتجاهات ليثير من حوله الزوابع والأعاصير ، حتى إذا هبت عليه من كل ناحية وعصفت بكيانه وأودت بوجوده وقف حيالها مكتوف اليدين ... رجل عاش ولكنه لم يستطع أن يفسر لنا هذه الحياة التى عاشها ولا أن يكيف لنا هذا الوجود الذى خلق فيه رجل كون مزاجه بنفسه واختار مصيره برضاه ، وخانته القدرة على أن يخرج من أخطائه وآثامه بمذهب يحدد ذاتيته فى زحمة الوجود أويبرر مكانه فى غمار الحياة. هذه الشخصية العجيبة الغريبة المتقلبة تحتاج إلى مفتاح يعالج أبوابها المغلقة على فنون من الطلاسم والأسرار ... وها هو سارتر يحاول أن يقدم إلينا هذا الفتاح .

بودلير الذى كان يفتش عن الآلام كان يريد أن يتعذب ، والدليل على ذلك مستخلص بوضوح من أخباره وآثاره ، من أخباره الخاصة وآثاره الفنية ... كان يسعى إلى صهر روحه فى بوتقة الألم والعذاب ، وكان يحلو له أن يتأوه كلما أحس فى نفسه حاجة إلى الثورة . كان يبغى أن يضطهد نفسه ليكون اضطهاده لنفسه عقاباً لها ، عقابا على عجزه وضياعه وما اقترف فى حقها من أخطاء وآثام . أكان ذلك من جانبه لوناً من العقاب الذاتى الناتج عن تغلغل النزعة الدينية المسيحية بين جوانحه كما ذهب إلى ذلك بعض النقاد ؟ إن سارتر ينبذ هذا التفسير المتهافت الذى لا يستطيع أن يقف على قدميه ، لأن هناك أدباء أشربت نفوسهم تلك النزعة الدينية منذ المولد وخلال النشأة والتربية ثم ساروا ردحاً من الزمن فى نفس الطريق الشاذ الذى سار فيه ، ومع ذلك فما أبعد الشقة بينهم وبين بودلير فى لقاء الحياة بمثل مالقيها به من عقاب للنفس واضطهاد للذات !

إن المسألة إذن ليست مسألة تلك النزعة الدينية من قريب ولا من بعيد ، ولكنها مسألة مركب النقص ومركب التعويض ... رجل كان يشعر فى أعماقه أنه لا وجود له أو أن وجوده كان أشبه بالعدم ، ومن هنا راح يلتمس شتى السبل ليقنع نفسه أو ليخدعها بأنه موجود . وهذه الخطوط المتنافرة التى كانت تحدد اتجاهات مصيره فى الحياة ، تعود آخر الأمر لتلتقى فى نقطة ارتكاز وجودية عمادها الكبرياء ... كبرياء الذات المهزومة !!

وما أشبه جوانب الشخصية البودليرية بعدد من الغرف النفسية التى تفتحها كلها بمفتاح واحد : غرفة للألم ، وتسلمك هذه إلى غرفة أخرى للعذاب ، وتسلمك هذه إلى غرفة ثالثة للعقاب ، وتسلمك هذه إلى غرفة رابعة للسخط والثورة، وتسلمك هذه إلى غرفة خامسة للكبرياء ... أعنى أنه رجل يريد أن يجد نفسه لأنه تائه مضطرب ، وهذا هو الطريق: بحث عن ألوان الشذوذ حتى اكتظت بها حياته، وحين تحقق له ما يبتغيه بدأ يتعذب، ثم طاب له أن يتخذ من هذه الرحلة معبراً إلى العقاب الذاتى الذى يتيح له أن يتبرم ويثور ، وفى هذا تحقيق لكبريائه ، وجوهر تلك الكبرياء الموهومة آهة حانقة على المجتمع ساخطة على الوجود ... لتشعره بينه وبين نفسه بانه موجود !!

هذه هى خلاصة رأى سارتر فى شارل بودلير ... ومنها يتضح لك أن الكاتب الفرنسى قد أجهد نفسه كل الجهد ليصل إلى أبعد أغوار هذه الشخصية القلقة المعذبة ، بعد أن طاف بنظره

الثاقب بين ما خلف صاحبها من أوراق ورسائل ، وما ترك من أخبار ونوادر ، وما نشر من آثار فى الشعر والنثر ، وبعد أن راح يجمع بين أطرافها المتنافرة ويوفق بين أحوالها المتناقضة ... تلك الشخصية التى لا تكاد ترضى حتى تسخط ، ولا تكاد تحب حتى تكره ، ولا تكاد تقبل حتى تدبر ، ولا تكاد تثور حتى تذعن ، ثم تتخيل بعد هذا كله أن فى الاستملاء شيئا من العزاء ! ومن هذه الخـــلاصة يتضح لك أيضا أثر الدراسة النفسية فى تناول الشخصية الفنية ، ذلك التناول الذى يعرضها لك عارية من كل ثوب من أثواب الغموض والابهام ! ... ونحن حين نقدم إليك هذا النموذج النادر من نماذج أدب التراجم ، فإنما نقدمه لنستشهد به على أن التعقيد بقدر ما يطبع صاحبه بطابعه ويسمه بميسمه فإن الوضوح من شأنه أن يقوم بمثل هذا الدور فى مثل هذا المجال !

ولقد كان الوضوح كما قلنا لك لازمة من لوازم شاعرنا المصرى فى كل فترة من فترات حياته وكل وجهة من وجهات فنه ، ولك أن تعده أول مفتاح يهيىء لنا أن نضع أيدينا على منافذ شخصيته الأدبية والإنسانية ، دون أن نلجأ إلى الفروض التى تضع الشىء موضع الاحتمال فى أن يكون حقيقة من الحقائق أولا يكون ... ولقد كان على طه واحـــدا من هؤلاء الذين يفتحون القلب على مصراعيه أمام الخلص من الأصدقاء ، حتى ليخيل إلى من يعرفه منذ شهور أنه يعرفه منذ أعوام وأعوام . كان واضحا فى فرحه كما كان واضحا فى حزنه ، وكان واضحا فى سره كما كان واضحا فى جهره ، حتى لو أنه حاول أن يصمت لكان صمته فنا من الكلام ، أو حاول أن يكتم لكان كتمانه ضربا من البوح والإفضاء ! ومن هنـا كانت حياته على لسانه سلسلة من الأحاديث وكانت فى شعـــره سلسلة من الاعترافات ... واستمع إلى هـذا « الاعتراف » فى موضعه من الصفحة الثالثة والثلاثين من « شرق وغرب » ، وهو حديث ينبع من قلب أبيض كزهرة الحقل البيضاء :

إن أكن قد شربت نخب كثيرات وأترعت بالمدامة كأسى
وتولعت بالحسان لأنى   مغرم بالجمال من كل جنس
وتوحدت فى الهـــوى ثم أشركت على حالتى رجاء ويأس
وتبذلت فى غرامى فلم أحبس على لذة شياطين رجسى

فبروحى أعيش فى عالم الفن طليقا والطهر يملأ حسى
تائها فى بحاره لست أدرى   لم أزجى الشراع أوفيم أرسى
لى قلب كزهرة الحقـــل بيضاء نمتها السماء من كل قبس
هو قيثارتى عليها أغنى   وعليها وحدى أغنى لنفسى
لى إليها فى خلوتى همسات   أنطقتها بكل رائع جرس

* * *

كم شفاه بهن من قبلاتى   وهج النار فى عواصف خرس
ووسـاد جرت به عبراتى   ضحكت يومى منه وإطراق أمسى
أيهذى الحذور ! أنوارك الحمـــراء كم أشملت ليالى أنسى
أحرقتهن ! آه لم يبق منهن ســوى ذلك الرماد برأسى !

هذا شعر صادق كل الصدق ، وأصدقه ذلك الوساد الذى جرت به العبرات ... ولابد لك من أن تقف معنا طويلا عند هذا البيت من هذه القصيدة الاعترافية ، لأن فيه مفتاحا رئيسياً يفصل بين فترتين من حياة الشاعر : فترة تحفل بالدموع وفترة تعج بالبسمات ، الأولى فترة الأمس أو ما قبل الثلاثين ، والثانية فترة اليوم أو ما بعد الثلاثين ... وها هو ذا يعترف بأن يومه يضحك لمنظر العبرات فى حين يأسى لها الأمس ذلك الأمس المعبر عنه بالإطراق ! وفى الفصل المقبل نحدثك عن هاتين الفترتين من حياته ، وأثرهما فى خلق مزاجين متباينين كل التباين فى نطاق الشخصية الفنية والإنسانية !.

(يتبع)

أنور المعداوى

كارلو نلينو

المستشرق الكبير

لمحة تاريخية يستدل منها على مدى تعمقه في العلوم عند العرب ، وبنوع خاص في الجغرافية والهيئة وآداب اللغة والفقه

للأستاذ يوسف الخورى

في يوم صافي الأديم من عام ١٩٠٩ أطل على إدارة مجلة الهلال الزاهرة بغية التعرف على إحدى أمهات المجلات العربية في مصر شاب إيطالي حسن الهندام وسيم المحيا يشع من عينيه بريق الذكاء وتنم على رزانته لحية شقراء تعبث بها أصابع ارستقراطية. وما وقف بباب غرفة رئيس التحرير حتى رفع قبعته مسلماً وانحنى بتأدب محيياً بعبارة عربية لا عجمة فيها ولا لكنة ، هي : «السلام عليكم يا سادتي الكرام»

وما سمع الحاضرون هذه التحية العربية الخالصة حتى تولتهم الدهشة ووقفوا إجلالا لهاولملقيها وهم يكادون لا يصدقون أنهم أمام أجنبي ينطق بلسانهم بفصاحة العرب الأقحاح .

أما هذا الزائر الشاب المتكلم بالعربية كأحد أبنائها فلم يكن سوى الأستاذ كارلو نلينو الذي أم القاهرة بطلب من الجامعة المصرية لكي يدرس فيها باللغة العربية تاريخ علم الفلك عند العرب.

ولم يكن تلامذة الجامعة أقل إعجاباً بفصاحة أستاذهم الأوروبي وسعة اطلاعه طيلة المدة التي قام فيها على تدريسهم حتى أواخر عام ١٩١٢ ، كما تعدام الإعجاب عينه إلى الجماهير ، لا في مصر وحدها بل في سورية ولبنان والبلدان العربية أيضاً حتى ليبيا وطرابلس وتونس الخضراء والجزائر والمغرب وكل البلدان التي أسعد الحظ رجالها وعلماءها بالتعرف إلى هذا العالم الكبير والمستعرب النادر المثال الذي طاف بكل هذه البلدان بعد أن سبقته إليها شهرته وتآليفه فكان في كل مكان حله وكل مجلس ضمه موضع تقدير أهل العلم ، لا لحسن نطقه وطلاقة لسانه في العربية فحسب ، بل لسعة معارفه . ولا بدع فهو المستعرب الفذ الذي ملك ناصية اللغة وتعمق في دراستها وتمكن من تاريخ العرب وآدابهم وحضارتهم وكل فرع من فروع اجتهادهم العلمي غير تارك شاردة ولا واردة من فقه أو لغة أو نحو أو حساب أو فلسفة أو تاريخ أو هيئة حتى بلغ الغاية فيه على شكل لم يتأت لأي واحد من المستشرقين الذين تقدموه أو خلفوه.

وكل من يدرس تاريخ هذا البحاثة المجاهد في حقل العربية دون كلل ولا ملل يرى أنه تعشق العربية والابحاث الشرقية منذ حداثته وبرع في هذه الدراسات حدثاً ويافعاً حتى توصل في كهولته إلى التسيطر الفكري على كل ما يتعلق بهذه العلوم فأصبحت له الكلمة العليا بين المستشرقين وقوله هو القول الفصل في كل نواحي الفكر العربي من حضارة وتاريخ في الجاهلية والإسلام لغة ولهجات وقبائل وعادات وأدياناً ونحلا وسياسة وفلسفة واجتماعا ، حتى إن المرء ليعجب كيف أن قوى رجل واحد وحياة واحدة تكفي لاستيعاب كل ما تقدم ، إلى جنب إنتاج خصب امتاز بالدقة والتحقيق ومعرفة تامة بالنصوص على تسام في القصد وتنزه عن الهوى . فعمل الأستاذ نلينو ونتاجه العلمي رفعاه إلى مرتبة سمياين كبار المستشرقين مثل (سنوك هورجرنيه) الهولاندي، وجولد زيهر المجري ، ونولدك وولهوزن وريت .

وقد أسعدني الحظ بالحصول على جل مؤلفات هذا المستعرب الأكل الذي ظل يخدم العربية والشرق حتى الرمق الأخير فأحببت أن ألخص سيرته لكي يرى كل عربي رأى العين كم نحن مدينون له ولأمثاله من المستشرقين، إذ هم الذين كشفوا لنا مميات تاريخنا ولغتنا لعلنا نقتفي إثرهم فنعمل بمثل جدهم ونشاطهم وتفانيهم على إحياء التراث المجيد الذي خلفه لنا أجدادنا فأهملوارثوه الشرعيون وحفل به الغرباء .

١

ولد كارلو نلينو في تورين عام ١٨٧٢ وفيها تلقى دروسه الابتدائية والثانوية وتعشق منذ حداثته علم تقويم البلدان وأكب على مطالعة كتب الرحلات . وطالما حدثته نفسه كالكثيرين من أنداده باقتحام غارب الأسفار واكتشاف المجاهل ، ولكن حلمه هذا لم يتحقق ، وكان شأنه شأن الكثيرين سواء ممن امتطوا متن الخيال صغاراً وكبابهم كباراً . على أن إخفاقه كان أجدى عليه

فازداد انصباباً على الدرس وتقصى آثار أصحاب الرحلات وأخبارهم وأوصاف البلدان التي أموها حتى استخلص منها وهو بعد في سن الفتوة خريطة لأوساط أفريقيا ومجاهلها.

ولم يكن شغفه باللغات الأجنبية دون شغفه بعلم الجغرافية. وشمر بميل خاص إلى اللغة العربية لانتشارها في بلدان كثيرة من قارتي آسيا وأفريقيا فأكب على دراستها في مجموعة عربية وقعت له في مكتبة بلدية أوديني. ولما تبين ذووه رغبته هذه أهدوا اليه أجرومية في العربية الدارجة ألفها بالإيطالية جوزبه سابيتو. وكان مؤلف ذلك الكتاب مرسلا وجغرافيا معاً طاف بلاد الحبشة والمستعمرات الإيطالية الواقعة على البحر الأحمر وعلم العربية في مدرسة فيرنزة العالية ثم في جنوى برغم أنه كان أعرف بالعربية العامية منه بالفصحى. ولكن الشاب نلينو استعان بهذا الكتاب السقيم كما استعان بغيره من الكتب التي كانت تصل إليها يده حتى قطع بكده وثاقب فكره شوطاً بعيداً في معرفة اللغة العربية وأصبح قادراً على تفهم النصوص الصعبة قبل أن تفتح له الجامعة أبوابها.

وبينما كان مكباً على درس العربية عكف على دراسة اختيها السريانية والعبرية اللتين تعمق فيهما تعمقه في العربية.

وفي سنة ١٨٩٩ رشح نفسه لدخول فرع الآداب في كلية تورينو لوجود كرسي فيها للدروس الشرقية يتولاها عالمان شهيران أحدهما ايطالو بيتزي الذي لم يحل تخصصه في الدروس الفارسية دون إلمامه بالعربية إلى حد أن أصدر مؤلفا في آدابها. وعلى يده تضلع نالينو من العربية وظل حياته كلها حافظاً جميله. على أن ميله للابحاث الجغرافية كان يحفزه للتلمذ على أحد أساتذة هذا العلم المشهورين بتفوقهم وهو جويدي كورا صاحب مجلة الكوزموس العلمية وأستاذ الجغرافية في كلية تورينو ثم في كلية روما.

وكانت باكورة ميله المزدوج إلى العلوم العربية وعلم الجغرافية إصداره في العام الأخير من دراسته أول تأليف في هذه الابحاث نشره لأستاذه جويدي في مجلته تحت هذا العنوان: « قياس العرب درجة من قوس نصف النهار وتعديلها بالقياس المترى » وفي مستهل المقال يخبرنا أنه فرغ من تأليفه سنة ١٨٩٠ ولكن نشره تأخر عامين بسبب اضطراره إلى الإقامة في مونا كو لفحص المخطوطات العربية في مكتبتها الملكية وإعداد برنامج استغرق عمله فيه بضعة أشهر. وفي هذه الرواية ما يدل على مبلغ تضلع هذا الفتى من العربية إلى حد أن يطالع وينتقد من نصوصها ما يتعذر فهمه حتى على المحنكين في حين أنه لم يكن إذ ذاك قد جاوز الثامنة عشرة.

وهذه الباكورة الناضجة من تآليف نالينو نمت برغبته في التخصص في الأبحاث الجغرافية والفلكية ومآلها عند العرب. وقد خصص لهذا القصد عدة مقالات نشرها في مجلة الكوزموس، منها مقالة ضافية في خمسين صفحة كبيرة ذات أهمية بالغة في تاريخ الجغرافية عندنا عنوانها: « الخوارزمي وتجديد جغرافية بطليموس عند العرب » وذلك على إثر تناوله بالدرس العميق الدقيق نسخة خطية وحيدة عثر عليها في مكتبة ستراسبورغ من كتاب صورة الأرض للخوارزمي. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن الدقة في البحث وحرية النقد كانتا مألوفتين على الأخص في زمن المأمون في حين أن العرب كانوا يومئذ في بدء نشأتهم العلمية وابطليموس عندهم منزلة رفيعة تحيط اسمه بهالة من الإجلال والاحترام، لا بل إنهم كانوا ينظرون إلى علمه ومعارفه الفلكية نظرهم إلى الخوارق أو الأعاجيب.

وفي هذه المقالة كما في ما كتبه سواها قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين أظهر نالينو من المقدرة العلمية في الحساب والهيئة وقراءة المخطوطات العويصة ما حدا العالمين سكابارللي — المستعرب منهما والفلكي — إلى تحميله سنة ١٨٩٤ مسؤولية استبهظها علماء طائروالصيت يفوقونه سناً هي إشرافه على طبع أجل المخطوطات العربية في علم الفلك وهو كتاب الزيج الصابئ للبتاني ومؤلفه أبو عبد الله محمد بن ثابت بن سنان بن جابر الحراني أزهر في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر إبان بلوغ الحضارة العربية أوج مجدها. وكتابه أس من أسس علم الهيئة لا عند العرب فحسب بل في الغرب أيضا حيث ترجم إلى اللاتينية وانتشر واشتهر حتى أصبح الدستور الذي عشى عليه هذا العلم في أوروبا المسيحية حتى عهد البعث أو التجديد. ولم تأفل شمسه إلا بعد تغلب نظرية كوبرنيكوس على معتقد الفلكيين الأقدمين.

وأقبل نالينو بملء الارتياح على هذا العمل وهو أعلم الناس بما سيعترض سبيله من المشاق فتوجه سنة ١٨٩٤ إلى مدريد لكي

يطلع على النسخة الوحيدة المعروفة لهذا الكتاب فى مكتبة الأسكوريال . ولكنه ما عتم أن رجع إلى نابولى لكى يمهد لقيامه بتلك المهمة على الوجه الأكمل، وذلك بدخوله كليتها الجامعة لكى يدرس فيها أصول علم الفلك فيمد نفسه لمجابهة المشاكل التى لا بد أن تعرض له فى كتابه هذا خصوصاً ما استعصى منها فى جداول أبعاد النجوم وحركات الكواكب المتحيرة التى تؤلف معظم الكتاب وهى أصعب قسم فيه . ولكى يتمكن من تصحيح ما ارتكبه النساخ من إخلال وتصحيف أجهد نفسه فى تحقيق كل العمليات الحسابية التى بنيت عليها أبعاد النجوم وتثبت من أرقامها المشيرة إلى كل نجم بمفرده . ولم يكتف من علم الهيئة بالنظريات بل اقتفى إثر العرب فاكب على الدرس العلمى جامعاً ومتصفحاً طائفة كبيرة من النصوص غير المطبوعة التى لم يوفق إليها سواه كما راجع عشرات الترجمات اللاتينية القديمة التى ضاع الأصل العربى المنقولة عنه وأعاد النظر فى الأصول اليونانية والفارسية والهندية وكل علوم الأقدمين الذين أخذ عنهم العرب .

وبفضل انكبابه المنقطع النظير وتنقيبه المتواصل تكلل سعيه بالنجاح فأتحف العلم بثلاثة مجلدات ضخمة جاءت فى ١١٣١ صفحة من القطع الكبير يشتمل الأول منها وهو ثلثها على النص العربى للزيج الصابئ ويليه الجزء الثانى وهو ترجمة لاتينية للنص العربى مع شروح وتعليقات ومقدمة تاريخية تعرف الصابئ وتآليفه ومكانته بين فلكيى العرب . أما الثالث فيتضمن ترجمة جداول الكتاب باللغة اللاتينية مع فهارس مهمة ومعجم نفيس للمصطلحات الفلكية وشروح لاتينية للتعابير العربية، وفى نهاية الكتاب فهارس تهدى إلى كل مادة من مواده.

وكان من شأن هذا التأليف الذى أنفق المؤلف فى وضعه أعواماً عديدة أنه ألقى بأبحاثه نوراً جديداً على علم الفلك وكشف عما بلغه العرب فى شرحه وجلائه وأظهر للملأ مقدرة ناشره العجيبة فى العربية وتفوقه فى شتى فروعها ومصطلحاتها العلمية القديمة والحديثة ، مما أكسبه شهرة واسعة فى عالم الاستشراق وأحله الذروة بين علماء الهيئة المعدودين .

ومما زاد فى شهرته فى هذا المضمار حادث جرى له مع زميله المستشرق السويسرى سوتر فقد اطلع على كتاب ألفه هذا وضمنه رأيه فى فلكيى العرب فكتب له بشأنه رسالة خاصة جاءت فى كراس كامل ضمنه ملحوظاته وتنقيحاته وشروحه وتفاسيره ، وبلغ من اهتمام العالم السويسرى برسالة زميله الايطالى أن أجلها لأهميتها التاريخية ونشرها كملحق لكتابه مما كان له أجل وقع فى الأوساط العلمية وعاد بالفخر على المستدرك والناشر معاً .

من أجل ما تقدم تسنم نلينو أعلى المراتب عند العلماء المحققين وأصبح مرجعاً يعتمد عليـه فى كشف الغوامض وحل الرموز الفلكية .

— ٢ —

ولا بدع وهذا شأنه وخطره أن يعهد إليه بكتابة مقالات فى علم الفلك وأحكام النجوم لدائرتى معارف عالميتين هما الموسوعة الاسلامية التى تطبع فى هولاندا وموسوعة أخرى انكليزية .

على أن ما يعنينا مباشرة هو وقوع الاختيار عليه عام ١٩٠٩ لإلقاء الدروس فى الجامعة المصرية فى علم الفلك عند العرب وسواهم ممن تقدموهم ، فلبى طلبها وراح يحيى فى ذلك القطر العربى هذه الدروس التى كان من تفوق العرب فيها بعد أن أكسبتهم شهرة عالية ولكنها لسوء الحظ أصبحت عند أحفادهم أثراً بعد عين .

واستفاض نالينو فى أبحاثه فى هذا العلم لا عند العرب فحسب بل عند الأقدمين الذين أخذ عنهم العرب كما أبان عما أخذه علماء القرون الوسطى بدورهم عن العرب . وبعد أن سرد تعريفات هذا العلم عند الأقدمين والمحدثين أخذ فى الفحص عن مصادر أخبار فلكيى العرب ومؤلفاتهم مبتدئاً بما كان يعرفه عرب الجاهلية عن السماء والنجوم وحساب النسيء ومنازل القمر وأنوائها . وتطرق إلى مبادئ علم الفلك عند الأمة الاسلامية وما كان من تأثير علم الفرس فيهم وما ورثوه عن اليونان والهنود وتعريبهم لكتبهم . وبعد هذه التوطئة أخذ فى ترجمة الذين اشتهروا من الفلكيين العرب وذكر تآليفهم التى وصلت إلينا وتلك التى عبثت بها أيدى الضياع وتوغل فى الفحص عن أهم مباحث علم الهيئة موضحاً رأى علماء العرب فى كل منها فشرح أقوالهم فى طبيعة الأفلاك والكواكب وأصل نورها الخ ، وأخيراً دار كلامه على علم أحكام النجوم مبيناً ما أخذه العرب عن أسلافهم وما اخترعوه هم أنفسهم ، وأورد المناقشات التى دارت رحاها بين المتكلمين والفقهاء والفلاسفة

والمنجمين فى تأييد هذا العلم أو بطلانه، فجمع هذه الدروس القيمة فى كتاب أتى فى ٣٧٠ صفحة ، طبعه فى روما سنة ١٩١١ ، مع فهارس عامة وحواش وتعاليق جملته تحفة من التحف . وقد تكرمت آخراً الآنسة كريمة الأستاذ الدكتورة ماريا نالينو فأتحفتنا بهذا الكتاب القيم فشكراً لها على هذه المنة .

وبلغ من ارتياح عمدة الجامعة المصرية إلى دروسه وأبحاثه أن جددت التعاقد معه دروتين أخريين حتى سنة ١٩١٣ . ومما زاد فى دهشة ذوى الاطلاع تبريزه فى تاريخ علم الأدب عند العرب على وعورة مسالكه وخشونة مركبه لأجنبى ، ناهيك بأنه كان إذ ذاك ممدوداً من اختصاص العلماء المصريين وحدهم فليس لأجنبى أن يقدم عليه وإلا تعرض لسهام النقد وأثار السخرية والهزء . ولكن مستشرقنا تغلب على كل هذه الصعوبات لأن عربيته كما قدمنا كانت سالمة من كل شائبة لفظاً ومبنى . وبدلا من أن يجرى على المألوف فيدرس الأدباء تبعاً لترتيب الحروف الأولى من أسمائهم نسق تاريخهم وقسمه لما طرأ على علم الأدب من تطورات جوهرية فى عصوره الجاهلى والمخضرم والأموى والعباسى ودرس كلا من هذه الحقب مبيناً الخاصية الأدبية والفنية التى تميزت بها عن سابقتها ولاحقتها ، متقصياً فى كل حقبة النتاج الفكرى الذى تفردت به نظماً ونثراً ، مما أنزله فى الأوساط الأدبية منزلة لا ينازعه فيها منازع وجعله ذا أثر بين فى التقدم العجيب الذى أحرزته اللغة العربية فى الربع الأول من هذا القرن . ويكفينا للتدليل على صحة هذا الرأى أن كان بين تلامذته المدودين الدكتور طه حسين بك زعيم المدرسة المصرية الحديثة فى التاريخ والآداب العربية والذى طالما اعترف بأنه مدين لأستاذه نالينو بثقافته الأدبية ونضجه الفكرى .

أما البشرى السارة التى نزفها إلى القراء فهى أن هاتيك الدروس التى استقى الأستاذ نالينو مادتها من مخطوطات قديمة لقى صنوف العناء فى قراءتها واستجلائها واعتمد عليها فى مقام التدليل والاستشهاد إثباتاً لنظرياته واستنتاجاته أصبحت فى مأمن من الاندثار إذ ستبعثها قريباً من مدافنها كريمته الدكتورة ماريا نالينو فى كتاب متقن الطبع يضم تعليقات وحواشى ضافية وفهارس عديدة . وهى قمينة بالاضطلاع بهذا العبء لأنها من أوسع الناس اطلاعا وأطولهم باعا فى هذه الأبحاث فى لغتنا واللغات الأجنبية جزاها الله خيراً وأبقاها خير خلف لخير سلف .

وللاستاذ نالينو عدا مؤلفاته الكبيرة مقالات عديدة نشرتها له المجلة الخديوية المصرية سنة ١٩٠٧ فى الجغرافية وأسماء الأمكنة فى البلاد ، على الأخص ما وضعه من القواعد لنقل الأسماء العربية إلى الايطالية وكيفية التوصل إلى ضبط الأسماء الجغرافية فى طرابلس وبرقة وما كتبه من المقالات العلمية للموسوعة الايطالية . وقد امتاز فى كل ما كتبه بالتعمق فى الدرس وإيفاء الموضوع حقه من البحث والتنقيب كما كان بطبعه عدواً للمطروق والسطحى إفيلج العباب ويغوص على اللباب ويعود بكل مجهول طريف .

— ٣ —

وإذا انتقلنا من علوم الطبيعة إلى علم العقل نرى إنتاج نالينو فى هذا الحقل ينمو ويزداد . وإذا نظرنا إلى اللغة من مختلف نواحيها فصيحها وعاميها وبائدها ، نرى نالينو قد امتلك ناصيتها وأخذ بأعنتها حتى ليكاد يلم بكل ما دق وخفى من قواعد صرفها ونحوها ولا يلتبس عليه أدنى صوت من مقاطع لهجاتها . وأصدق شاهد على قولنا هذا كتابه فى « العربية المتكلم بها فى مصر » الذى أصدر الطبعة الأولى منه سنة ١٩١٠ وأعاد طبعه سنة ١٩١٣ . وبيت القصيد فى هذا الكتاب مقدمته التى لا تتأتى كتابة مثلها إلا لعربى متضلع من لغته إلى أبعد حد

ومثل ذلك يقال فى الملحوظات التى أوردها بشأن اللغة التونسية ونشرها فى مجلة الشرق الحديث الذى كان يصدرها باللغة الايطالية . وقد أسعفه على التقصى ما امتاز به من دقة حاسة السمع ومرانه الطويل فى رحلاته المتعددة إلى تلك البلاد .

وقد أولى الجاهلية عناية فائقة وكرس لبحثها وقتاً طويلا . ففى سنة ١٨٩٣ ظهر لوهو بمدفتى بحث مستفيض عن نظام القبائل العربية قبل الإسلام أبدى فيه من الرصانة فى الحكم إلى جنب البحث فى القبائل العربية وتاريخها وأساليب معيشتها وعلاقاتها الاجتماعية ما حدا بالأب لامنس اليسوعى المعترف له بالتفوق فى هذا المضمار إلى ذكر هذا الفتى بعد انقضاء عشرين عاماً على صدور مقاله .

ولهذا المستعرب أبحاث كثيرة لم تنشر؛ ولكن ما كان نصيبه النشر منها يثبت معرفته التامة بلغات جنوبي الجزيرة العربية وهي المعروفة بالحميرية التي تفرعت منها لهجات عديدة منها المعينيــة والسبئية والحضرمية والقتبانية الخ ، وجميعها تختلف عن العربية الفصحى كل الاختلاف . أما ما اتصل بنا منها فالفضل ببقائه عائد إلى النقوش التي عثر عليها في المغاور والصخور الكائنة على طريق القوافل القديمة. وقد بدأ المستشرقون منذ سنة ١٨٣٤ في قراءة حروفها وحل رموزها غير مبالين بالصعوبات التي تعترض سبيلهم لتعذر الوصول إليها . أما النصوص الحميرية التي نجدها في كتاب الإكليل للهمذاني فليست سوى نصوص مزيفة لفقها المؤلفون كابن وهب ومحمد الكلبي وابن هشام وتقتصر على بعض كلمات عربيــة إلى جنب كلمات حميرية قليلة اهتدوا إليها مما عثروا عليه من الآثار، وقد تناول نالينو هذه اللهجات البائدة وأثبت معرفته التامة بها في مقال طويل تناول فيه بالنقد والتحليل كتاباً أصدره العالم الايطالي السيد كونتي روسيني باللاتينية عنوانه « مجموعة نصوص عربية جنوبية »

وعلاوة على أبحاثه في الكتب كان نالينو يتحف بعض المجلات العربية في مصر والشام بمقالات في اللغة والأدب ، منها مقالة نشرتها له مجلة الهلال سنة ١٩١٧ كانت من الجرأة الأدبية والأهمية العلمية بمكان وعنوانها « كيف نشأت اللغة العربية » انتهى فيها فيها إلى الاستنتاجات التالية :

إن اللغة العربية الفصحى هي بلا شك لغــة الشعر الجاهلي المدون في كتب السلف . ومزية هذا الشعر أن ما فيه من أوصاف وتشابيه وأفـكار ومعان يدل على أن مبتكريه هم الأعراب أهل الوبر، أخذه عنهم الحضر وقلدوه لغة وأسلوباً . ولما كان من الثابت أن معظم آداب الجاهلية انحصرت في القريض لزمنا القول إن العربية الفصحى كانت لهجة من لهجات هاتيك القبائل التي أخذ عنها الشعر والتي شــد إليها الرواة فيما بعد الرحال وتلاهم النحاة الذين دونوا أصول اللغة وقواعدها لكي يأخذوا عنها صحة النطق وتقويم اللسان وتفسير الغريب وشواهد النحو ، وإذا أنعمنا النظر في تاريخ القبائل التي كان لها القدح المعلى في الشعر انتهينا إلى الجزم بأنها كانت القبائل المدية المنضوية تحت لواء كندة قبل منتصف القرن الخامس . وكانت نهضة الشعر الجاهلي وبلوغه أوج الإجادة في عهد ملوك كندة الذين كان امرؤ القيس آخرهم ، وقد توفي بين ٥٣٠ و٥٤٠ ، وإذن فاللغــة الفصحى مردودة إلى إحدى اللهجات النجدية وقد تهذبت في عهد المملكة الكندية ونقلت دون سواها من اللهجات وأصبحت لغة الأدب السائدة وبها نزل القرآن على محمد فأصبح مرجع العرب الديني والسياسي واللغوي .

وفي ثنايا هذا المقال ينفي زعم الكثيرين بأن قريشاً كانت أفصح العرب إذ في رأيه أنه لو صح هذا الزعم لأخذ الرواة والنحاة الشعر والنحو عن قريش وأهملوا عرب البادية . ولو كان التنزيل بلغة قريش لاعتمد الشراح أهل مكة في تفسير ما استغلق من غريب القرآن . زد على ذلك أن قريشاً لم ينبغ فيها شاعر مشهور ولا خطيب مذكور، فلا شك إذن في أن ما ذهب إليه الناس من القول بتفضيل لغة قريش لم يكن مصدره سوى حب الرسول واعتبار تـكريم قبيلته تـكريماً له .

وغريب أن يتفرغ نالينو للـكتابة في المجلات والجرائد إبان انصرافه إلى الدروس التحليلية وإلقاء المحاضرات في جامعتي مصر وروما ، وكانت محاضراته في الجامعة الأخيرة خاصة بتاريخ اليمن القديم وجاهلية بلاده مما ساعد كثيراً على فهم الاسلام ونشأته. وما من شك في أنه لو استطاع لنشر هاتيك المحاضرات القيمة وخلفها إرثاً ثميناً .

ومما زاد في مشاغله انكبابه الوقت الطويل على تنقيح مؤلف جاء في ثلاثة مجلدات ضخمة كان أصدرها المستشرق الايطالي ميكالي اماري وتناول فيها تاريخ مسلمي صقلية ، وقد عني نالينو بضبط الأسماء والتواريخ وذكر المصادر من كتب مطبوعة ومخطوطة بحيث جاء ذلك الـكتاب دليلا ساطعاً على سعة اطلاع هذين العالمين المستعربين .

ويقصر باعنا وعلمنا ويضيق بنا الوقت والمجال من ذكر كل ما ألفه علماء الغرب وعلى الأخص نالينو مما لا عهــد لصحافتنا وكتابنا بمعالجته وكله يتعلق بالاسلام. وقد نقب عليه في فقه اللغة وغريب اللغة والشرع الاسلامي والفرق الاسلامية ، قديمة كانت كالخوارج والشيعة والمعتزلة والقدرية ، أو حديثة كالوهابية. وعلى

هذه الصورة من المتانة فى التعبير والدقة فى البحث جاء ما كتبه عن المتصوفة فى الاسلام وأشعار ابن الفارض والرئيس ابن سينا فى الحب الإلهى والفروق التى تفصلها عن متصوفة اليونان المشركين .

ـ ٤ ـ

وظل نالينو منذ نشأته معنياً بشؤون الشرق، قديمها وحديثها حتى تنبهت ايطاليا إلى ما للشؤون الشرقية والاسلامية من الأهمية فى ساسة الدولة ، وكان ذلك على أثر خروجها من الحرب العالمية الأولى فأنشأ (اماديو جانيني) فى روما معهد الشرق وعهد إلى نالينو بادارته العلمية . وكان فى جملة مقررات المعهد إنشاء مجلة شهرية بعنوان «الشرق الحديث» تبحث فى الشؤون السياسية والاقتصادية التى تتعلق بالشرق الاسلامي فقام نالينو بالمهمة التى أسندت إليه خير قيام . وكان فى الوقت نفسه يشرف على المجلة ويتعهدها يقلمه ويودعها من الأبحاث كل طريف مفيد . وعلى كثرة مشاغله لم يكن يهمل مطالعة كل ما يرد عليه من المجلات والجرائد والمنشورات العربية على اختلافها ويستفيد مما يطالعه أبحاثاً للمجلة التى لا تزال توالى الصدور بعد أن أفل نجم منشئها المتوقد .

ويجمل بنا ذكر المكتبة النفيسة التى أنشأها هذا العالم العامل وأودعها كل ما عثر عليه واستطاع اقتناءه من الآثار الأدبية والعلمية فى البلدان العربية التى زارها وكل ما صدر فى اوروبا من كتب الاستشراق حتى أصبحت أغنى مكتبة خاصة بالمختار من الكتب النادرة . والغريب انه بدأ بجمعها وهو بعد فتى رقيق الحال قليل المال وزادها أضعافا بعد أن أصبح فى يسر وإقبال .

وبلغ من شهرته العالمية أنه انتخب عضواً فى الجمعية الملكية الأسيوية فى لندن والجمعية الألمانية المضارعة لها ، وهو شرف رفيع نادر لم يظفر به سوى فطاحل العلماء . أما فى الشرق فقد عرفت له جمعياتنا العلمية مكانته وضمته إلى سلكها ابتداء بالجمعية الملكية المصرية سنة ١٩٣٢ كما أصبح من الأعضاء العاملين فى مجمعى دمشق وبغداد . وفى سنة ١٩٣٨ أم البلاد السعودية فاستقبل فيها بالاكرام والاجلال وطاف بها من العقبة حتى الطائف تصحبه كريمته الآنسة ماريا غير عابئة بقطع القفار وتجشم الاخطار . وبهذه الرحلة تمت له أمنية طالما راودته وكان اغتباطه عظيما بتغذيته بصره وتشنيفه سمعه بما وعاه ذهنه من أوصاف تلك البلاد وما كتبه بشأنها من أبحاث وألقاه من دروس فعاش مع أهلها عيشة البداوة واطلع على عاداتهم وسمع لهجاتهم وإنشادهم الشعر فى سمرهم وهم يصطلون فى خيامهم السود أو متكئون حلقات على بساط من الرمال . وهناك استعاد إلى ذهنه الحوادث الجسام والانقلابات التاريخية التى مثلت فى ما عبر على مسرح تلك الجزيرة المترامية فطوت الأيام الحوادث والرجال وبقى المسرح شاغراً لتحتله فرق جديدة تمثل عليه أدواراً ترمز إلى عصر جديد .

***

وكانت أمنيته الثانية بعد عودته أن يصف تلك البلاد وصف شاهد عيان ويقيم المقابلة بين ما عرفه من ماضيها وما خبره من حاضرها ولكن شاءت الأقدار أن يكون تسليمه عليها وداعاً وأن تكون آخر بقعة أمها ولم يمهله ربثما يستعيد ذكرياتها فى خلواته ويدون بشأنها معلوماته فذهب فى سنة ١٩٣٨ مذكوراً بمآثره الغر مأسوفاً عليه من كل من عرف فضله ونهل من ينبوع علمه الفياض ليتلألأ كنجم ساطع فى سماء النبل والفضل وينعم بالخلود .

العصبة الأندلسية **يوسف الخوري**

المراجع التى أخذنا عنها :

ميكالانجلو غويدى : كارلو الفونسو نالينو : فى مجلة الأبحاث الشرقية التى تصدرها مدرسة الدروس الشرقية فى كلية رومية . سنة ١٩٣٩

ج . ليفى دلا ڤيدا : كارلو الفونسو نالينو : مقالة ضافية نشرت فى آخر الجزء السادس من مجموعة تآليف نالينو . رومية ١٩٤٨

كارلو نالينو : مجموعة تآليفه التى نشرت والتى لم تنشر ٦٠ مجلدات رومية ١٩٣٨ — ١٩٤٨

كارلو نالينو : الزيج الصابئ للبتانى ج ٣ . رومية ١٨٩٩ — ١٩٠٧

كارلو نالينو . علم الفلك . تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى . رومية ١٩١١

كارلو نالينو : عدة مقالات متفرقة فى الهلال ومجلة المجمع العلمى العربى فى دمشق .

مطالعات فى العهد القديم

الخطيئة والمعـــــرفة

للاستاذ محمود الشرقاوى

فى أمسية من أمسيات هذا الشتاء المنقلب المضطرب القاسى وكان يوماً غائماً لم تظهر له شمس ، دخلت إلى خزانة كتبى وأنا قلق النفس أبحث عن شىء ولـكننى لا أدرى ماهو ، وأشعر فى داخل نفسى بشىء من ذلك الشعور الحزين الغامض الرقيق لم أدر له سبباً ولم أدرك له تعليلا ، اللهم إلا أن يكون مشاركة الطبيعة فيما هى به من الظـلام والـكآبة والقلق ، أو هو انسحاب مافى السماء من غيوم إلى مافى النفس من إحساس .

وقفت أمام الخـزانة لأختـار كتاباً ، من غير قصد ، أى كتـاب ، أسرى بالمطالعة فيه عن نفسى وأصرف عنهـا هـذه الكآبة الغامضة الرقيقة .

هذا تفسير الـكشاف ، نعم ، ولـكنه يحتاج إلى تدبر وإمعان وتهيؤ ، وليس نشاطى الآن مما يساعد على التدبر والامعان .

هذا ديوان البحترى ، نعم ، ولـكنه شعر ، وما أنا بسبيل البحترى وما فيه من صياغة ونصاعة تحتاج إلى نفس ناصعة كشعره لا إلى نفس غائمة تغشاها هذه السحابة من الحزن .

هذا هو الـكتاب المقدس بعهديه ، القديم والجديد ، نعم . لأقرأ فيه شيئاً . ولا بد أن ينسكب شىء مما فيه من الايمان والأطمئنان على مافى نفسى من الجزع والقلق .

. . .

وأخذ الرب الاله آدم ، ووضعه فى جنة عدن ليعمل ويحفظها وأوصى الرب الأله آدم قائلا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة « معرفة الخير والشر » فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت

وقالت الحيـة الخبيثة للمرأة « أحقاً قال الله لاتأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية ، من ثمر الجنة نأكل ، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لاتأكلا منه ولا تمسـاه لئلا تموتا ، فقالت الحية للمرأة : لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه « تنفتح أعينكما » وتكونان كالله عارفين الخير والشر »

قد تكون الخطيئة إذن هى الطريق للمعرفة ؛ والثمرة المحرمة قد تخرج الأنسان من الجنة إلى محنة الحياة ولـكنها تخرجه أيضاً إلى عالم المعرفة والأدراك والتجربة والنور ، أو كما قالت الحية تفتح العين وتجعل الأنسان كالله عارفاً الخير والشر ، ولذلك عنـدما أخـذت المرأة (من الثمرة وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معهـا فأكل ، انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان) وكانا من قبل أن يأكلا (كلاهما عريانان ، آدم وامرأته ، وهما لايخجلان) وعند ذلك خاطا (أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر)

كانا عريانين من قبل الخطيئة ولـكنهما لايخجلان لأنهما لم يدركا عريهما ، فلما أكلا من الشجرة المحرمة عرفا الخير من الشر والحسن من القبيح وأدركا عريهما فاكتسيا .

وهذه ثمرة الخطيئة . المعرفة .

ولذلك قال الرب وهو ينادى آدم فى الجنـة (أين أنت ؟ فقال . سمعت صوتك فى الجنة فخشيت ، لأنى عريان فاختبأت) فقال له : من أعلمك أنك عريان ! هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك ألا تأكل منها ! » فقد عرف آدم اذن — كما قال الرب — عريه من خطيئته .

. . .

وكانت هذه الثمرة ، أو هذه الخطيئة ، سببا فى أن غضب الله على آدم وزوجه وعلى تلك الحية الخبيثة التى أغرتهما بالمعرفة ليخطئا أو جعلت المعرفة سبيـلا لمقارفة الخطيئة ، فعاقب الله الثلاثة على السواء ، وكان عقاب آدم وحواء أن يخرجا من الجنة ، ولعن الله الأرض كلها بسبب آدم وجعله (بالتعب يأكل منها كل أيام حياته وشوكا وحسكا تنبت له ويأكل عشب الحقل) . وبعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود) .

وقـد نال آدم وحواء هذا الغضب كله من الله وخرجا من الجنة مطرودين ، ولـكنهما أدركا « معرفة الخير والشر » وهذه

ألكسيس كاريل

للاستاذ عبد الفتاح الديدى

عقلية من تلك العقليات الخصبة التى أفادتها الخبرة أكثر مما أفادتها المعلومات، وذهن صوفى متطلع إلى معـــانى الحياة بين المظاهر الماشية دون توقف عن حدود السطور والقـروء . فهو مثال الرجل الذى يحس الانسان عند قراءته بأنه فى حضرة مفكر ابتعد عن التفاصيل والتفت إلى الـكليات ونظر فى حقائق الأمور ، لا من حيث هى مبحث موقوف على نوع خاص من أنواع الدراسة ، وإنما من حيث هى مجال للتأمل والتدبر فى كل حين ، وعند كل انسان . فثقافته أكبر من تعليمه ، وتربيته أكثر من معرفته ، فجاءت كتبه حية ينبض فيها الدم ، عميقة تأمر اللب ، واضحة وضوح العبقرية المتزنة بعد أن اضطربت فى كميتها عصارة العلم والفلسفة والأدب جميعاً .

ذاك هو الـكسيس كاريل مؤلف كتاب الانسان ذلك المجهول ولد فى فرنسا بالقرب من ليون فى سنة ١٨٧٣ . وبعـد أن نال الدكتوراه ودرجة أخرى فى العلوم سافر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٥ حيث اشترك فى معهد روكفلر للأبحاث الطبية بنيويورك ولم يعد من هنالك إلى فرنسا مرة أخرى إلا بعد أربع وثلاثين سنة أى فى عام ١٩٣٩ ، واشترك بعد هذا فى أعمال حربية حتى نوفمبر من عام ١٩٤٤ حيث مات تاركاً تراثاً علميا رائماً وتخليا بعض الكتب من غير إتمام . ومن مؤلفاته كتاب عن الصلاة وكتاب بعنوان (الطب الرسمى وطب الزندقة) وقصة كتبها فى سن الثلاثين بعنوان (رحلة مدينة لورد) . وهذه القصة بوحى من زولا ومطبوعة فى مجموعة تضم يوميات وتأملات وابتهالات . أما كتابه عن « سير الحياة » فقد كان يزمع أن يجمله

المعرفة نفسها — بنت الخطيئة — قد أوشكت أن ترد إلى آدم وحواء مافقدا من الحياة الأبدية حتى يخرجهما الله من جنته قبل أن تدلهما المعرفة على شجرة هذه الحياة الأبدية الدائمة . فأنه بعد ذلك يقول الرب الأله : (هوذا الانسان قد صار « كواحد منا » عارفاً الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد) وأخرجه الرب الأله من جنة عدن « ليعمل الأرض التى أخذ منها »

فهذا آدم الذى أخرج من الجنة بالخطيئة ، كاد أن يدخل فى زمرة الآلهة بنفس الخطيئة

...

ومن الناس من يعيش الآن — على الأرض الملونة — وهو سعيد ناعم ، كأنه فى الجنة ، لأنه يعيش على هامش الحيـاة تلك الحياة النباتية التى لاتنفعل ولا تتأثر ولا تدرك إلا مايحيط بها أو يمس خاصة شأنها أو طعام يومها . فهى فى نعيم ولـكنه بعيـد عن « نعيم » المعرفـة . ذلك النعيم الذى لايدرك ولا ينـال إلا بالأقتحام وشجاعة القلب والذهن والمغالبة والأقدام

وكذلك كانت حياة الرواد والمخترعين والمفكرين والقادة وكل أولئك الذين أفادت البشرية كلها من حياتهم ومعرفتهم وتفكيرهم وخطاياهم ، وقديماً قال الشاعر العربى

ذو العقـــل يشقى — فى النعيم — بعقله
وأخو الشقـاوة — فى الجهالة — ينعم

وكذلك يقول العامة « المجانين فى نعيم . ! »

والحكمة بالغة أراد الله لآدم وحواء أن يقـارفا الخطيئة حتى يعرفا — ونسلهما من بعدهما — الخير والشر ، وما قيمة الحياة بلا معرفة . ؟

وفى كتب العقيدة الاسلامية والتفسير — وخاصة كتاب « المواقف » — مباحث بارعة عن الانسان والملائكة وأيهمـا أفضل . ؟ الملاك الذى لم يقارف معصية لأن الله برأه من الشهوات والنزوات والرغبات وخلقه بفطرته للطاعة ؟ أم الأنسان الذى خلقه الله وركب فيه النوازع والرغائب وسلط عليه همزات الشياطين ؟

محمود الشرقاوى

على طراز الانسان ذلك المجهول ومكملا له . إذجاء كتابه الانسان ذلك المجهول فريداً فى نمطه ، فذاً فى نوعه ، ومشجعا له على أن يتبعه بآخر من نفس الطراز . وقد اشتهر هذا الكتاب فى الأوساط الثقافية جيمها : أوربية وشرقية ، لما فيه من تجربة إنسانية عميقة ونظرة علمية ممتزجة بروح صوفية جارفة.

وقد حاول كاريل أن يوقف هذا الكتاب بصفحاته الثلاثمائة على دراسة الانسان من نواحيه المختلفة ؛ وكان يؤمن بأنه لا بد من أن نعطى تخطيطا عاما لما تقدمه لنا العلوم المختلفة من المساعدات إذا شئنا أن ندرك حقيقة ذواتنا وأن نقف على ماهية نفوسنا . ومن الضرورى فى رأيه — علاوة على ذلك — أن نصف فى تدقيق شامل وفى تفصيل كامل تلك العمليات الطبيعية والكيميائية والفسيولوجية التى تختفى من وراء ذلك الانساق الاجمالى فى حركاتنا وأفكارنا . وكان مقدراً لهذا العمل أن يكون مستحيلا لولم تسمح لنا أساليب المعيشة فى العصر الحديث من الملاحظة والتجريب ، ولولم تقدم لنا المعونة من أجل تحقيق هذه الرغبة الهائلة . فبفضل المنشئات العلميه التى تعنى بالنواحى المختلفة من الإنسان استطاع الدكتور كاريل أن يمد التفاته وأن يرعى بنفسه مجالات الحيوية الكثيرة لدى الأفراد .

وليس لكتابه هذا من غرض كما يقول هو نفسه إلا أن يجمل تحت أيدى الناس مجموعة من النتائج العلمية والحقائق الخاصة بالكائن البشرى الذى يحيا فى هذه الفترة بالذات . فعلى هذا النحو يمكننا أن نلمس جوانب الضعف فى مدنيتنا ونحس بما بدأ يظهر عليها من أعراض التهالك والانهيار . فإذا صح أن هناك طائفة معينة تخصها بهذا الكتاب الذى بين أيدينا فأظنها تلك الطائفة التى آثرت الهروب من حياتنا الاجتماعية والإفلات من أسر عاداتنا الحديثة وقيودنا المصطنعة . والكسيس كاريل نفسه واحد من هؤلاء ؛ إذ آثر فى آخر أيامه أن يعتزل فى جزيرة سانت جيلدا حيث أمضى بقية عمره .

ولما تأمل كاريل حياة المجتمع الحديث أحس بأننا قد شغلتنا المسائل الشكلية عن أمور جوهرية فى غاية الأهمية بالنسبة إلى الإنسان فى معاشه وتصرفه ووجوده . ولعل حياتنا اليوم قد غدت أكثر صعوبة وتعقيدا وأشد اضطرابا وأدعى للتفكير فى أمر موقفنا منها بعد كل هذه التغيرات . وإذا كان للعلم فى حد ذاته قيمة ما ، فذلك لأنه يؤثر فى كياننا بأجمعه ويجعلنا نرتد إلى أنفسنا ونناقش أفعالنا ونجدد أخلاقنا . أما أن يكون العلم مدعاة للانشغال عن الإنسان بهذه الأشياء العارضة فى حياتنا ، وبهذه المظاهر التى تنأى بنا عن الذوق والخير والصحة ، فذلك أكبر دليل على أننا لم نحتط للثورة التى أحدثناها بأيدينا ، ولم نعد العدة من أجل أن نوجد مثالا حيويا يحقق آمال الإنسان وأمانيه قبل أن يرضى مطامعه وشهواته .

ومن هنا حاول كاريل أن يؤكد ظاهرة التكيف وأن يضعها فى الرتبة الأولى من مظاهر الحيوية الإنسانية . وذلك طبيعى بالنسبة إلى عقليته التى ترى ضرورة المواءمة بين علوم العصر الحاضر وبين حياة الإنسان فى المجتمع . فالعلم الذى لا يفيد فى استناد الإنسان إليه عند حل مشاكله المختلفة لا ينفع فى شىء ولا يؤدى إلى نتيجة ذات قيمة . وظاهرة التكيف هى الأمل الوحيد الذى يفتح أمام الإنسان منفذا إلى حياة مستقيمة كريمة بإزاء أحداث الحياة ودلائل الحضارة . ثم إن الدكتور كاريل يؤكدها ويبين خطرها وهو يعلم أن الأمر لا يقتصر على الاستفادة من جانبها الفسيولوجى ، وإنما يمتد أكثر فأكثر إلى الناحية الاجتماعية وهى الناحية الجديرة باعتبارنا لما نتصف به من الآدمية. فالمفكرون والفلاسفة يعرفون ظاهرة الجسم الطبيعية فى تكيفه مع البيئة ومع الحرارة والبرودة ومع المؤثرات الخارجية ، ويعلمون أنه قد كان من المستحيل على الأطباء أن يتقدموا قيد أنملة فى علوم الجراحة والتضميد لو لم تكن هذه الظاهرة محل عنايتهم واهتمامهم. ولا بد لهم بعد ذلك أن يتعظوا بالتقدم الهائل الذى أحرزه الأطباء نتيجة لالتفاتهم إلى هذه الحقيقة . إذ أنهم يستطيعون فى بابهم أن يقيموا علوما فى غاية من الخطورة على أساس من بحثهم لظاهرة التكيف الاجتماعى .

فالعمليات الحيوية العقلية تجنح إلى خدمة الفرد وإعانته على أداء مهماته . مثال ذلك أن الإنسان يندفع عادة وراء فضوله ورغبته الجنسية ، وطموحه وحبه للمال حتى يجد نفسه فى أجواء غير مألوفة لديه أو لعلها تصل إلى درجة المعاداة له . وها هنا يتحقق من ضرورة الغلبة والانتصار على العناصر التى تحيط به

أو أن يكبت الدوافع التى تشب فى صدره وتتأجج فى خاطره . ومن المستحيل أن يتم لنا العمل الأخير للقضاء على النزعات الباطنة من غير أن نعنى بالتكوين الفردى المستقل للانسان . أما عن العمل الأول ، وأعنى به الغلبة والصراع مع العناصر المحيطة والظروف المجتمعة ، فلا شك أن الإنسان يحتاج عند النزول إليه والاشتباك فيه إلى قوة شخصية وطاقة نفسية تعينه على أن يطمح ولا يطمع ، وأن تمتد يده بالحق ، وأن يضرب فى صفوف الخير ، وأن يسمى بغير أن يسىء سعيه إلى الآخرين . ليس هذا فحسب وإنما يدخل ضمن عملية التكيف الاجتماعى هرب الإنسان عند اللزوم . فالهرب لابد منه فى كثير من الأحيان وخاصة عندما يستحيل النمو الصحيح والتكامل المشروط مع المجتمع الذى نعيش فيه .

فهناك أشخاص لا يستطيعون أبدا أن يتكيفوا مع الجماعة . من بين هؤلاء ضعاف العقول ، ومن بينهم من سلم عقله ولكنه أمضى فترة طويلة بين الأشرار والأوغاد حتى استحال عليه أن يعود من جديد فيتكيف مع الحياة الاجتماعية السليمة . وإن لم يستطع علماء الاجتماع أن يستفيدوا من هذه الظاهرة فأغلب الظن أن علومهم ستكون قليلة النفع بالنسبة إلى المستقبل . ومن هذا كله نرى أن أهم ما فى ظاهرة التكيف هو أنها تفتح أبواب الأمل للانسان المسكين فى تقدمه وارتقائه الذى يحدث على صورة وثبات ونهضات متفاوتة أو حركات طورية مستديمة .

ثم فى هذا الكتاب الذى وضعه كاريل تفصيل دقيق لفكرة الزمن . ولأول مرة فى تاريخ علم النفس يأتى باحث ليقدم مثل هذه الدراسات القوية العميقة فى آن واحد . لقد حاول أن يحدد أنواع الزمن فجاءت أربعة من بينها زمن جديد بالمرة هو الزمن الفسيولوجى . وكما استطاع كاريل أن ينتقل بظاهرة التكيف من مجالها العضوى المحدود إلى مجالات الحياة الفسيحة ، حاول ها هنا فى كلامه عن الزمن أن يبرز أهمية الزمن الفسيولوجى من الناحية البيئية الخالصة . وهو فى أصله عبارة عن الوقت الذى يستغرقه الجرح حتى يلتئم أو الذى يمر على العضو الجسدى إبان تكوينه .

وتكلم بإفاضة عن الزمن النفسى فقال إنه نوع من القياس الشعورى لكمية العواطف والانفعالات التى تتدفق من باطن الوجدان ومن داخلية الفؤاد ساعة تأثره وتجاوبه مع الوقائع الجارية فى حياتنا الخاصة أو العامة . وإذا كان يمكننا القول بأن الزمن النفسى يعتمد على شىء سواه فلن يكون ذلك الشىء غير الذاكرة الإنسانية . إن الذاكرة هى التى تجعلنا نحس بمرور الزمن وبتواصله على قدر ما تعيننا الأحداث فى الخارج أو تصوراتنا الخاصة داخل نفوسنا . والدليل على ذلك أن تكوين شخصيتنا على وجه التعميم قائم على أساس من تذكرنا للتاريخ الفردى واستحضارنا لما جرى لنا فى الأيام الماضية .

والملاحظة الثانية التى يسوقها كاريل فى تعليقه على الزمن النفسى هى التى يعتمد عليها فى تأييد وجه الاختلاف والتباعد بين كل من الزمن الفزيائى والزمن النفسانى . فها هنا يذكر أن الزمن الطبيعى (الفزيائى) الذى يمضى علينا فى سن الطفولة والبلوغ لا يزيد على ثمانية عشر عاماً ، بينما تزيد سنوات النضوج والشيخوخة فى عمر الفرد على الخمسين أو الستين . فالإنسان يبدأ بفترة نمو قصيرة ثم تعقبها فترة تمام وانحلال طويلة . ومع هذا فان الزمن الفزيائى يفقد كل قيمة هنا تبعا لشعور الإنسان بأن سنوات الطفولة طويلة وبطيئة بينما يحس أن السنوات تكون قصيرة جداً أثناء الشيخوخة . وهذا يثبت مفارقة عجيبة ويبرهن على أن الزمن النفسى محل اختلاف دائم فى تقديره والإحساس به وتمداد جزئياته عند الأفراد .

وهنا يجرى قلم كاريل بفقرة تعد من أرفع ألوان الكتابة الأدبية . يقول « تبدو لنا أيام طفولتنا كما لو كانت بطيئة جداً . أما أيام نضجنا فتمتاز بسرعتها التى تبعث على الفزع . وقد يكون هذا الشعور ناجما من أننا نضع الزمن الطبيعى بطريقة لا شعورية داخل إطار المدة . ويبدو لنا الزمن الطبيعى مختلفاً من غير شك عن تلك المدة بصورة عكسية . إذ ينزلق الزمن الطبيعى بسرعة واحدة بينما تنقص سرعتنا نحن دائما . ويشبه ذلك نهراً كبيراً يجرى فى سهل ، ويمشى فى ذلك السهل إنسان نشيط محاذياً النهر منذ طلوع النهار . وتبدو له المياه آنئذ كسولة ولكنها تزيد من سرعتها شيئا فشيئا . وعند الظهيرة لا تسمح المياه لذلك الإنسان النشيط بأن يتخطاها . أما إذا اقترب المساء فانها تضاعف من سرعتها ، وغالباً ما يقف الانسان بينما يمضى النهر فى طريقه بغير إشفاق . والحق أن النهر لم يغير قط من سرعته ولكن سرعة خطواتنا هى التى نقصت . ومن الممكن أن نعزو البطء الظاهر

فى بدء الحياة ، وقصر المدة الختامية إلى أن السنة كما نعلم تمثل لدى الطفل والشيخ نسبا مختلفة من حياتيهما الماضيتين ومع ذلك فان الأكثر احتمالا هو أننا ندرك إدراكا غامضاً مشى زماننا الداخلى الذى يبطيء إلى غير حد والذى يتمثل فى عملياتنـا الفسيولوجية . وكل منا هو الانسان الذى يجرى على طول النهر ويعجب حينما يشتد تزايد سرعة مرور المياه . »

وأخطر وأهم من هذا كله ما يقوله الكسس كاريل عن ظاهرة التصوف . والذى يمتاز به هذا الجانب النظرى فى عرضه هو أنه امتزج بروحه وصادف تجاوبا مع نفسه ولاقى ميلا واندفاعا هائلين من داخلية ذاته يؤيدان تفكيره وهواه . وحماس كاريل النظرى فى العرض الفلسفى لهذه الظاهرة لم يكن مجرداً من التجربة الشخصية ولم يكن محروماً من التأييد الحيوى . فكاريل متصوف قبل أن يكون فى عداد العلماء ، وجرت عليه نزعته تلك متاعب كثيرة ، إذا اعتبره رجال الكنيسة خارجا على أحكام الدين . وبعض أقواله تذكرنا بالوثنيين الأقدمين . قال فى يومية بتاريخ ٣١ يولية ١٩٤١ « يستطيع الدين بقدرة فائقة أن يعين الانسان على ملاحظة قواعد الحياة بناء على ما يضيفه العنصر العاطفى إلى العنصر العقلى . إن الناس مهيئون على نحو يجعلهم محتاجين إلى التجاوب مع كائن حي أكثر من تجاوبهم مع فكرة ما . وكثير من الناس قد ضحى بحياته من أجل وطنه ، ولكن التضحية تكون أكثر إمتاعا إذا كان موتهم من أجل نابليون . إن حب الرجل أقوى من حب الفكرة . إن الراهبة التى تقوم منهوكة فى الرابعة صباحا كيما تبدأ عملا لا ينتهى أبداً ، إنما تبذل هذا المجهود المخيف حبا فى المسيح وحبا للمساكين والصغار ، وليس ذلك من الشعور بالغيرية أو من الرغبة فى شغل عمل بين الناس . ولذلك فان الدين يبث فى السلوك عنصراً عاطفياً . فهذا الكلام على صحته وعمقه لا يلائم جماعة المتدينين الذين يريدون التجريد ويزعمون الخلاص تجربة الروح بين أجراس الكنيسة وإنشاد الآباء .

ومن ابتهالاته التى نشرت فى نهاية قصة مدينة لورد قوله : إلهى : أشكرك لأنك حفظت لى الحياة أمدا أطول من الأمد الذى خصصت به زملائى الأقدمين . قبل أن تطوى الكتاب هبنى من لدنك فضلا يربى ماخفق على حتى الآن . لقـــد كانت حياتى كالصحراء بسبب حرمانى من معرفتك . فلتـأمر على الرغم من الخريف بأن تزهر الصحراء . وستكون كل دقيقة من الأيام التى تبقت لى موقوفة لجلالك . ولا أطمع فى شيء من أجل نفسى سوى رحمتك . وسأبقى بين يديك كالدخان الذى تحمله الرياح . فاعطنى النور حتى أقوى على إعانة أولئك الذين أحبهم . ومن كلامه أيضا فى هـذا الباب : إلهى . خذ بزمامى بعد أن تهت فى الظلام . وسأفعل كل ماتوحى على إرادتك بفعله . ينبغى أن أقترب من جلالك يا إلهى بكل نقاء وتضرع . فكيف أصلح الشر الذى تسببت فيه للاخرين وآتى اليوم خيرا كنت قد قصرت فى فعله ؟

ومن ابتهاله ليلة عيد الميلاد : أى ألهى . . كم آسف لأنى لم أستطع أن أفهم شيئا فى الحيـاة ! وكم آسف لأنى قد حاولت أن أفهم أشياء من العبث أن نحاول فهمها . فالحياة لا تحتوى على الفهم وإنما على الحب ومساعدة الغير والصلاة والقيام بالأفعال . فليكن أجلى متأخرا يا إلهى ، ولتأمر بأن تظل الصفحة الأخيرة من الكتاب غير مكتوبة حتى يمكن أن يضاف فصل آخر إلى هـذا الكتاب الفاسد . تكلم فعبدك الحقير منصت لك . إنه يهبك مابقى له ، ويضحى من أجلك بحياته كما لو كانت صلاة . إنه يطالب إليك أن تهديه سواء السبيل . . سبيل البسطاء والمحبين والمصلين فاغفر له كل الأخطاء التى جناها فى حياته . وأعط النور من كان جاهلا بالمرة . فكل لحظة من الزمن تسمح له بأن يحياها ستمر لتحقيق مرادك فى السبيل الذى تختاره أنت من أجله . أى إلهى . فى هذا اليوم الذى يعيد ذكرى ميلاد ولدك ، أجمـل منك النهاية الكلية لذاتى وأرسم عليك حدودى آسفا لأنى قد مررت خلال الحياة كالأعمى . »

فالى هؤلاء الذين يؤمنون بالباطن من أهل التصوف أقدم هذه الشخصية التى آمنت بالروح وهي فى أسفل مباحث المادة ، وتشربت بالنزعة الصوفية وهى فى غمار العلم الخالص ، واستطاعت أن تنفذ إلى السماء بين ضوضاء المدنية المترفة وجلبة الحياة الصارخة وناموس الطبيعة المبسوط .

عبد الفتاح الديدى

الشعر المصرى فى مائة عام

للاستاذ محمد سيد كيلانى

من ١٨٢٥ — ١٨٨٠

الساعاتى

وقال :

وجه البسيطة ضاق عن جيش به رمت المدى فركبت هول الأبحر

وفيه مبالغة كاذبة . وفضلا عن ذلك فإنه عظم من شأن العدو وأسبغ عليه من مظاهر القوة والمنعة ما حمل الممدوح على تجهيز جيش كثيف ضاق به البر ليلاقى به هذا الخصم العنيد الجبار ولو كان الخصم ضعيفا هينا لما احتاج الممدوح إلى هذا الجحفل الجرار .

ومنها :

مرتم وموج البحر يلطم وجهه أسفا على الأعداء كالمتحسر
والسحب ترسل أدمعا من حزنها والرعد يندب فى قبائل حمير
والجو مسود الجوانب عابس والبرق يضحك منه كالمستبشر

وفى هذه الأبيات صور الطبيعة عابسة حزينة باكية على ما سيلحق الأعداء من الخطوب . وهذا لا يحدث إلا إذا كان العدو عظيما . فالطبيعة لا تبكى إلا على عظماء الناس .

ولا شك فى أن الشاعر لم يكن موفقا حينما حشر هذه الأبيات فى هذه القصيدة . فمن المستقبح أن يخاطب الممدوح بمثل هذا .

وقال :

والجاريات تأزرت بقلوعها والريح قد لعبت بفضل المئزر
رقصت على نقر النسيم بدفها وتمايلت بالتيه كالمستكبر

شبه السفن بالنساء وقد تحجبت بالقلوع . وبقى من كل قلع جزء أضحى لعبة فى يد الرياح تحركه كيف شاءت . وهذه السفن ترقص حينما ينقر النسيم على دفها . وتميل تيها وكبرا . ونسى الشاعر أن الرقص والتمايل مما لا يستحب فى السفن . لأن السفينة لا ترقص إلا إذا تعرضت للاخطار وحاقت بها الزوابع والعواصف . حينئذ لا تقوى على السير ولا تستطيع أن تشق طريقها فتعلو وتنخفض بفعل الأمواج . وهذا هو الرقص الذى يريده الشاعر . ولا ريب فى أن التوفيق قد أخطأه . والسفينة لا تميل تيها وكبرا ، إنما تميل ضعفا وعجزا ، وتكون عرضة للغرق بمن فيها .

ونسى الشاعر الجنود الذين فى هذه السفن . ولو أنه خلع من بأس هؤلاء العساكر وقوتهم صورة للسفن فيها روعة وجبروت وعزة لكان ذلك أنسب للمقام ، ولا سيما أن الممدوح ذهب للقتال والنضال . فتصوير السفن بالنساء المتحجبات لا يتلاءم مع الجو الحامى الذى ينبغى أن يخلق فى هذه الحال . على أن الساعاتى قد أجاد وصف هذه السفن فى قصيدة أخرى حيث يقول :

وشقت لهم صدر العباب سفائن بدت كجبال تحتها البحر أزبدا
رمتهم بأمثال الصواعق أضرمت فكاد بها الدأماء أن يتوقدا

ففى هذين البيتين ترى صورة مرعبة مخيفة . وهى من غير شك مناسبة لمقام الحرب . وللساعاتى أبيات فى وصف بعض السفن البخارية التى كان يملكها سعيد باشا ، ومنها :

وقلاعها مثل القلاع شواهق تحت البنود ومشيها خيلاء

وقد أتى فى هذه الأبيات بما يتفق مع الطابع العسكرى الذى اتسمت به الرحلة السعيدية إلى الأقطار الحجازية .

وقال :

طارت بنا نحو الحديدة مسرعة مثل السوابق فى العجاج الأكدر
حملت لها جيشا منذ انتبذت به غربيها وضعت أسود المعسكر
من كل مولود لديها لم يزل فى النقع يلعب بالحسام الأبتر

بعد أن شبه السفن بالنساء ترقص وتميل استطرد فصورها حينما طارت نحو الحديدة بالخيول العوابس الجبارة .

وفى هذا تناقض بين صورة النساء المتحجبات وبين الخيول العوابس . وفى البيت الثانى نظر الشاعر إلى قصة مريم . فشبه السفن بالنساء الحوامل . فلما وضعت جاءت مواليدها أسوداء . وصورة الحمل والوضع من الصور الضعيفة . وخير من هذا قوله :

رمتهم بأمثال الصواعق أضرمت فكاد بها الدأماء أن يتوقدا

وقال :

ولدوا على مهد الملا وقد اغتذوا بدم العدى وتكحلوا بالعثير

ففي قوله « ولدوا على مهد الملا » معنى جيد. أما بقية البيت فتوحي بصورة كريهة. وأخلق بمن يتكحل بالعثير أن يصاب بالعمى وقال :

رفعوا الخيام على النجوم وأوقدوا في الأرض نارا بالقنا المتكسر

وقد أغرم الساعاني بهذا المعنى فجاء به في قصائد كثيرة. وهو من اللغو الذى لا طائل وراءه. وقال :

ولقد أقاموا بالأسنة سوقها في يوم حرب بالسيوف مسعر
فقضت ببيع المعتدين سيوفهم للنسر لما غاب عنها المشترى

ومعنى البيت الأول مأخوذ من قول الشاعر

أقمنا بالذوابل سوق حرب وصيرنا النفوس لها متاعا

والبيت الثانى جميل المعنى غير أنه أخطأ فى التعبير عما يريد. يريد أن يقول إن الجنود لم يجدوا من يشترى منهم المعتدين فقتلوهم وتركوهم نهبا للنسور. فذكر أن جيش الممدوح لما عدم مشتريا باع الأعداء للنسر. وفى هذه الحال يكون النسر مشتريا فلا محل لقوله « غاب عنها » المشترى. ولو قال :

فقضت بمنح المعتدين سيوفهم للنسر لما غاب عنها المشترى

لكان موفقا. وقال :

وتواثبوا نحو الحصون فزلزلت والقوم بين مجندل ومعفر
حتى إذا اقتلعوا القلاع وأسبلوا ذيل العفاف رأيت كل مشمر

والمعنى فى البيت الأول جيد. غير أن الصورة التى فى « معفر » لا تذكر بجانب الصورة التى فى « مجندل » أما البيت الثانى ففى منتهى الضعف. وقال :

اسد إذا نزعوا الدروع لرغبة فى حتفهم لبسوا دروع تصبر
قوم عصوا إلا لأمر أميرهم ملك بفعل خطيئة لم يأمر

والمعنى فى البيتين تافه. وتكرار « أمر » و « أمير » و « يأمر » جعل البيت الثانى ثقيلا على الأسماع. وقال :

فضحت مناقبه الملوك وأظهرت تقصير كسرى عن علاه وقيصر

وهذا من لغو الكلام الذى دار على ألسنة الشعراء فى ذلك الدور. ومنها :

فتح الممالك لا لكثرة رغبة فيها ولكن رغبة فى المفخر

والمعنى هنا تافه جدا. وفضلا عن ذلك فأين هى الممالك التى فتحها أبن عون ؟ وقال :

ولقد محاها والبنود خوافق والرعب فى قلب الحسين وحيدر

والحسين وحيدر كانا من أمراء اليمن فى ذلك الوقت. ولكن ذكرهما على هذه الصورة لا يتفق فى قصيدة يمدح بها أبن عون الذى يدعوه الشاعر بابن بنت الرسول. فلهذين الاسمين من الإيحاء مالا يخفى.

(يتبع) محمد سيد كيلانى

رسالة الشعر

قفر وسراب

للاستاذ إبراهيم الوائلى

ضيعت فى دنيا الظلام شبابى ... وطفقت ألحمه وراء ضباب
حيران يستهدى الطريق فلا يرى ... فى موكب الظلماء غير يباب
ومتيمة جرداء إلا غابة ... نبتت على الاشلاء والأسلاب
تعوى الذئاب حيالها مسعورة ... وتمد للسارين أفظع ناب
والريح تعصف صرصرا مجنونة ... كمزيف جن أو هدير عباب
ضيعته مابين تلك وهذه ... فمضى وما أدركت فيه طلابى
دنيا وما كادت ترافق موكبى ... حتى طواها اليأس طى كتاب
وتناثرت كالروض ريع بعاصف ... اوكالمنادل فوجئت بعقاب
حسب الحوادث مايؤجج فى الحشا ... نارا وما يطغى على الأعصاب
أطوى الحياة ومثل أمسى ذاهب ... يومى ، وأمسى أحمر الجلباب
صديان لكنى أعب عصارة ... همى فى فمى نار وفى أهدابى
أين الكروم الوارفات تمدنى ... بألذ ماتهدى يد الأعناب ؟
أو كلما قربت كأسى من فمى ... طفحت شواظا وارتمت بلهاب!
أورحت أستجلى السماء بنظرة ... لاثت عليها السحب فضل نقاب
ياسامرين وللطلى اشراقة ... شتان بين شرابكم وشرابى
ان شاقكم رشف الكئوس فان لى ... بالهم مايغنى عن الاكواب
أو بات يطربكم صدى أنشودة ... مرنانة فلقد كفانى مابى
ذوبت قلبى فى حنايا أضلعى ... وصبغت قيثارى به وربابى
وبعثت أنغامى نشيد مكبل ... صب الطغاة عليه سوط عذاب

***

ومشرد فى البيد ضل طريقه ... مابين اودية وبين شعاب
يطوى الظلام وللرياح مناحة ... ضربت على الآفاق ألف حجاب
الشوك ملء طريقه فاذا مشى ... أدماه وخز أسنة وحراب
اوراح ينتبذ الكهوف توثبت ... ذؤبانها مسنونة الأنياب
ويلاه كم أصدى ودون تملتى ... قفر وماق القفر غير سراب ؟
لى مثل غيرى فى الحياة رغائب ... أكذا تموت كما أموت رغابى؟
وبنفسى الظمأى نزوع مؤمل ... يأبى الحياة تموج بالأوصاب
ماذا جنيت من السنين تمر بى ... كخفوق طيف أو كلمع شهاب؟
أفنيتها لشيئة موروثة ... عن سالف الأيام والأحقاب
وخسرتها .وهى الشباب .فلم أفد ... منها سوى أنى خسرت شبابى
ودفنتها بين الصخوو وأبت من ... تاريخها القبور شر مآب :

***

رحماك يادنيا وحسبك ماأرى ... فلقد أطلت مع الزمان حسابى
مالى وللشكوى وأعظم محنة ... شكوى الغريق لزبد صخاب ؟
ولمن أحرق باللهيب جوانحى ... وأزم فى الوادى المخيف ركابى
ألمستبد لايمل سياسة ... جبلت على التنكيل والارهاب؟
أم للسياط على المتون خضيبة ... بدماء من نكصوا على الأعقاب؟
أم للهيا كل أستجير بظلها ... فاذا برمت بها فبا لأنصاب ؟
أم للخشارة لم يكلل مجدهم ... بسوى النعوت السود والألقاب؟
يستمرئون العيش غير مكدر ... من جهد كل ممزق الجلباب !
ويشيدون بيوتهم معروشة ... بأكف من ركموا على الاعتاب

***

رحماك يادنيا وشر بلية ... جيل يظل مشرد الألباب !
ويتيه فى بيداء موحشة الرؤى ... والنجم مكدود اللامح كابى
لالا وخاف الليل فجر فاغفرى ... لى هذه الشكوى ومر عتابى
واستقبلى العهد القريب فربما ... تحيى الغيوم نضارة الأعشاب

ابراهيم الوائلى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أنفاس محترقة :

لست أدرى لم لا يلمع الآن اسم الشاعر محمود أبو الوفا ، ولم لا ينال حقه من التقدير اللائق به ، حتى كاد ينساه من عرفه من أهل الجيل ، وحتى كاد يجهله الشادون من الجيل الجديد ، وهو الذي قال فيه أمير الشعراء منذ ثمانية عشر عاما :

البلبل الغرد الذي هز الربا وشجا الغصون وحرك الأوراقا
سباق غايات البيان جرى بلا ساق فكيف إذا استرد الساقا

وهو نفسه الذي قال ما قال ولا يزال يقول من الشعر ما يقوم حجة على أن الشعر ما زال حيا على رغم قائليه من قائليه . .

لقد سعدت بديوانه الجديد « أنفاس محترقة » وقضيت في روضه أوقاتاً طيبة ، ومما قرأت فيه رثاؤه لنفسه ، إذ يقول :

في ذمة الله نفس ذات آمال وفي سبيل العلا هذا الدم الغالي
بذلته لم أذق في العمر واحدة من الهناء ولا من راحة البال
كأنني فكرة في غير بيئتها بدت فلم تلق فيها أي إقبال
أو أنني جئت هذا الكون عن غلط
فضاق بي رحبه ، المأهول والخالي

لست أدرى لم تحترق هذه الأنفاس ، ولم يضيق بصاحبها الرحب ، ولم لا يأخذ هذا الشاعر مكانه من قمة الشعر العربي في هذا العصر ؟

ولكنني أدرى . . إنه رجل فقير أبي يضع نفسه حيث تحلق شاعريته ، يمشي على عكازة ويوضع الصخر في طريقه ، كما قال يخاطب فكتور هوجو :

ياصاحب البؤساء جاءك شاعر يشكو من الزمن الأثيم العاتي
لم يكفه أني على عكازة أمشي فحط الصخر في طرقاتي

لو كان محمود أبو الوفا من ذوي النفوذ أو المال في هذا البلد ، أو حتى مدير إدارة في أية وزارة ، لكان أمير الشعراء . .

والحق أنني قبل ظهور هذا الديوان لم أكن قرأت كثيراً لأبي الوفا ، وإن كان القليل الذي قرأته له من قبل قد هزني ، ولعل ذلك - أي قلة القراءة - يرجع إلى انزواء الشاعر في العشرين سنة الأخيرة أو إقلاله من النشر ، ويبدو لي كأنه منطويا على نفسه لما لاقاه من أخلاق الناس وعنت الأيام . وهو يعبر عن مكافحته في الحياة ، ويصور حياة الكفاح الشعوري التي عاشها ، أقوى تعبير وأصدق تصوير كما رأيت في الأبيات المتقدمة التي رثى بها نفسه وبعدها يقول :

أبي وفي النار مثوى كل والدة ووالد أنجبا للبؤس أمثالي
خلفتني فوضعت الحبل في عنقي تشده كف دهر جد ختال
ما ضرك لو من غير صاحبة قضيت عمرك شأن الزاهد السالي

وهو يقول في قصيدة « قلب الفنان »

أمشي وقلبي على كفي أقول ألا من راغب في فؤاد صادق حاني
يحب حتى كأن الأرض ليس بها إلا زنابق من آس وسوسان
وليس في الأرض من بغض ولا إحن وليس في الأرض ظلم وطغيان
وليس من فوقها إلا سواسية من الصحاب ومن أخدان أخدان
فلا وربك هذا القلب ما التفتت عين إليه فيا للبائس العاني

وفي هذه الأبيات نرى نزعته الإنسانية الصافية ، فهو على رغم ما يكابده من الحرمان والنكران يحب ، متخيلا أن الأرض كلها روض جميل ، وأن الناس يعيشون عليها إخوانا متحابين لا يبغي بعضهم على بعض ، وهو يحب ولو أن عينا لا تلتفت إلى قلبه البائس الحاني

ومن النزاع بين نفسه المتفتحة للحياة وبين الحياة العابسة له قوله

أحب أضحك للدنيا فيمنعني أن عاقبتني على بعض ابتساماتي
هاج الجواد فمضته شكيمته شلت أنامل صناع الشكيمات

وهو يبتكر البكاء فيقول في آخر قصيدة « وقفة الوداع »

تعلم يا هزار الروض مني أنا لحن النواح ولا فخارا
غيري من بقلد حين يبكي ولكني أنا الباكي ابتكارا

ولا تستطيع ضرورات الحياة التي يجاهد من أجلها هذا الشاعر أن تحول بينه وبين التفريد والتغنى بالجمال ، يقول فى قصيدة « جمال مصر »

جمالك يا بنت مصر كمصر
يجمع كل فنون الجمال
فنى مصر حلى النسيم اعتدال
وفيك يحلى القوام اعتدال
وفيك من الشمس حسن الصقال
وبعد المنال وبذل النوال
وفيك السهول وفيك الربا
وعنف الشمول ولطف الشمال
تباركت يانيل هذا جناك
وهذى الخمايل من ذى الخلال

بل حتى فيما يعبر به عن آلامه تغلب عليه روح التطلع إلى الحب والخير والجمال كما رأيت فى أبياته السابقة . وهذا وذاك ومجرد قوله الشعر ، يدل على أصالة هذه الشاعرية وقوة بذورها وعمق جذورها ، فهى كنبتة الصحراء تنبت قوية رغم الجفاف وحرمان التعهد ، ثم تعيش رغم ما يصطلح عليها من الأنواء .

وقد أكسبه عراك الحياة والاحتكاك بالقساة من الناس الذين لا يصدرون إلا عن الأهواء والأغراض - أكسبه ذلك نفوذ بصيرة إلى دخائل النفوس ، فتتغلغل إليها بأداته الشاعرة ، يقول تحت عنوان « جاه » :

كشكول الأسبوع

□ احتفل يوم السبت الماضي فى عيد الميلاد الملكى السعيد بتوزيع جوائز فاروق للبحوث العلمية فى جامعة فاروق الأول بالاسكندرية ، وقد استحق جائزة العلوم الاجتماعية كتاب « التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » للمغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ، واستحق جائزة علم الحيوان الدكتور كامل منصور الأستاذ فى كلية العلوم ، واستحق جائزة علم النبات الأستاذ حسين سيد الأستاذ المساعد بكلية العلوم ، واستحق جائزة الجيولوجيا المصرية الأستاذ محمود ابراهيم عطية مدير المساحة الجيولوجية .

□ ألقى معالى الدكتور طه حسين بك كلمة فى الاحتفال بتوزيع جوائز فاروق ، لخص فيها بحث الشيخ مصطفى عبد الرازق فى الفلسفة الاسلامية ، بأنه خالف الباحثين شرقيين ومستشرقين الذين كانوا يردون الفلسفة الإسلامية إلى اليونانية ، أما هو فقد التمسها عند المسلمين أنفسهم إذ تتبع العقل الإسلامي من منشئه حتى ترجمت له آثار اليونان فالتقت الفلسفتان وأثرت كل منهما فى الأخرى .

□ استمع مؤتمر مجمع اللغة إلى بحث للشيخ ابراهيم حروش فى موضوع رسم المصحف واختلاف وجهات النظر فى تغييره ، فرأى المؤتمر أن لا ضرورة فى اتخاذ قرار فى هذا الشأن .

□ تنعقد لجنة الأدب بالمجمع فى هذا الأسبوع للبت فى المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ٥٠ ، وينتظر أن تعلن نتيجة هذه المسابقة فى خلال شهر مارس القادم . والمسابقة تشتمل على البحوث الأدبية والقصة ، وكان الشعر قد استبعد منها .

□ لا يزال الأستاذ سيد قطب فى بعثته العلمية بأمريكا ، وقد كتب فى مجلة « fulcrum » التى تصدر فى مدينة جريلى بكلورادو مقالا بعنوان (العالم ولد عاق) بنى فكرته على الأسطورة المصرية القديمة التى تتضمن أن التاريخ كان فى جولته التى يقوم بها لتتبع الأحداث وتسجيلها ، وقد جرى على أن يسأل الآلهة عما يغمض عليه ، فشاهد امرأة تعلم طفلا ، فسأل الإله عن ذلك ، فأجابه بأن المرأة هى مصر وأن الطفل هو العالم ، وترمز الأسطورة إلى أن مصر هى أم الحضارات . وقال الأستاذ سيد : إن العالم بعد أن كبر عق أمه ومعلمته مصر ، فأمريكا مثلا تخذلها فى قضاياها السياسية ووقفت مع أعدائها ضد الحق الذى هو فى جانب مصر

□ صدر أخيراً ديوان (جنى الأيام) للأستاذ عبد الحميد مصطفى خليل . وهو حافل بقصائد ممتعة فى الأغراض المختلفة

لا تلمه إن لم يمنك بجاه
هو قد باع نفسه واقتناه
فحرام إن باعه دون ربح
أو بشىء أقل مما اشتراه

وكم هو ظريف فى قوله :

أخى قل لى ولا تخجل
بماذا قد رقيت ؟
وما أنت بذى جاه
وعمرك ما تزوجت !

أما بعد فما مكان هذا الشاعر بين شعراء هذا العصر ، وما هى مدرسته ، وما هو مذهبه ؟ أسئلة يرددها النقاد ويلحون بها على الشعراء ، ويطيلون النظر فيما وراءها . ولكن أبا الوفا لا يلتفت إلى شىء من ذلك ، فهو يدع النقاد ، عليه أن يقول وعليهم أن يسلكوا قوله فيما « يمذهبون » من المذاهب ، كما كان الشعراء يقولون للنحويين : إنا نقول وعليكم أن تعربوا . وكأنى بشاعرنا لا يعتقد إلا بأمرين هما قوام الشعر فيما أرى :

الأول خصب الشعور وصدقه ، والثانى اكتمال الأداة . وقد اجتمعا له فأنتجا ما نحسه فى شعره من النبض والجمال ، وحسبه أن صور حياته تصويرا يطل منه الفكر اللماح وتنبعث منه الأنغام المطربة .

إن ديوان « أنفاس محترقة » بعيد إلى الشعر اعتباره بعد أن

انصرف كثير من الناس عن قراءته لكثرة هذر الشاعرين ، وأنا زعيم بأن هؤلاء المنصرفين ، إذا عرض لهم هذا الديوان ، لن يستطيعوا عنه منصرفا .

حق المحدثين في الوضع اللغوي

عرض على مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية في جلسته الأخيرة ، المقترحات التي انتهى إليها الأستاذ أحمد حسن الزيات في محاضرته التي كان ألقاها في أول انعقاد المؤتمر عن « الوضع اللغوي وحق المحدثين فيه » وقد أتيت من قبل بأهم ما دار من المناقشة بين أعضاء المؤتمر على أثر إلقائها . وقد استؤنفت المناقشة في هذه الجلسة الأخيرة ، فبدأها الأستاذ الزيات بالرد على ما كان قد أبداه بعض الأعضاء من الملاحظات ، بين أن قرارات المجمع السابقة تتناول المولد والقياس ، فيبقى من المقترحات الأربعة اثنان : فتح باب الوضع للمحدثين ، وإطلاق السماع من قيود الزمان والمكان ، ثم قال : يخشى صديق الدكتور أحمد أمين بك أن يكون في فتح باب الوضع على مصراعيه مقتحم للفوضى في اللغة فيكثر الترادف بتعدد الوضع ، وقد احتطت أنا لذلك فجعلت الكلمة العليا للمجمع في إقرار الوضع ، إذ قلت : فأيما كلمة توضع لا تدخل في متن اللغة قبل أن يسمها بميسمه ويدخلها في معجمه وإذا انتفت الفوضى بقى الحق مطلقاً لكل متكلم يريد أن يعبر عن ذات أو معنى لم يوضع له لفظ من قبل . وقد توقعت من اختلاف الرأي في مدى هذا الحق ، ومن تزمت قرار المجمع في استعمال المولد ، أن لجنة المعجم الوسيط ستغفل ما وضعه المحدثون وما عربوه ، فلما قرأت حرف الألف من هذا المعجم تحققت ما توقعته ، فإن هذا الحرف قد خلا أو كاد يخلو من الأوضاع التي استحدثتها الحضارة واقتضتها الصناعة والزراعة . وأتى الأستاذ بأمثلة كثيرة لذلك ، منها أنه ذكر في مادة أبر : إبرة الخياطة ولم تذكر إبرة الحياكة ولا إبرة المحقن ولا إبرة البندقية ، وذكرت الأسطوانة للسارية المبنية ولم تذكر الاسطوانة التي يسجل عليها الصوت ، وذكرت الآنسة بمعناها القديم ولم تذكر بمعناها الجديد وهي الفتاة البكر ، وفي مادة أنف لم تذكر محكمة الاستئناف ، إلى أن قال : وهناك غير ذلك كثير من ألفاظ الصناع والزراع أغفلها المعجم وفي يقيني أن المعجم الوسيط وهو أكثر معاجم المجمع دورانا بين الناس لا يغني من اللغة شيئا إذا أنغض رأسه هو أيضا للأوضاع الجديدة .

ثم رد الأستاذ الزيات على ملاحظات لمعالي الأستاذ الشبيبي ، ومن هذا الرد قوله ـ فهم معالي الأستاذ من الأمر الرابع وهو إطلاق السماع من قيود الزمان والمكان أني أقصد المسموع من العرب وقال إن علماء اللغة الأقدمين قد وضعوا قواعد للتعريب ولم يطلقوه إطلاقا ؛ والذي قصدته من إطلاق السماع ألا يظل مقصوراً على ما سمع من العرب الذين جعلوا لهم حق الوضع والتعريب وإنما يجب يقبل من المحدثين أيضا ، فكما قبلوا من المتقدمين أن يقولوا أيفع الكلام فهو يافع والقياس موفع ، وغلام أموى بالفتح والقياس الضم ، نقبل نحن كذلك من المتأخرين أن يقولوا مطار اللاظة وكان القياس أن يقولوا مطير ، وأن يقولوا متحف الحضارة وكان القياس أن يقولوا متحف بالضم ، وأن يقولوا مقهى بالفتح بالفتح وكان القياس أن يقولوا مقهى بالضم . فانا لنكلف الناس شططا إذا أردناهم على أن يعودوا فيقولوا مطير ومتحف ومقهى .

وقد دارت المناقشة بعد هذا البيان ، فقال الأستاذ أحمد العوامري بك ـ فهمت من كلام الأستاذ الزيات أنه يوصي بأن نأخذ من الصناع وأصحاب الحرف الأسماء التي يطلقونها على آلاتهم وأدواتهم دون أن نناقشها ونلتمس وجه الصواب فيها فعندهم أسماء يطلقونها على أجزاء السيارة منها ما يمكن أن يرد إلى ألفاظ عربية ، ومنها ما لا يمكن أن يرد ، فأما ما يمكن توجيهه فلا أخالف الأستاذ في قبوله ، وأما ما خالف قياس العربية فلا يمكن أن نقبله ونثبته في معاجمنا ، وعندنا مثلا كلمة مطار فالعامة وجمهور المثقفين يستعملونها وقد بحثتها ووجدت لها وجها في العربية ، ولذا لا أمانع في استعمالها بدلا من كلمة مطير التي لم تجر على الألسنة وعندنا كلمة متحف بضم الميم ، وقد شاع على الألسن نطقها بالفتح وهو خطأ ، فهل نعترف بهذا الخطأ وندخله في معاجمنا ؟

قال الأستاذ فريد أبو حديد بك ـ لماذا لا نقول متحف بفتح الميم ؟ أليس في العربية « محجر » اسم للمكان الذي تكثر فيه الحجارة ؟ ولنا أن نقيس من الجامد كما نقيس من المشتق فنسمي المكان الذي يضم تحفاً كثيرة متحفاً بفتح الميم .

وقال الأستاذ الزيات ـ بعض الكلمات التي ليس لها أصل عربي معروف مثل (الرابوب) وهي الفأرة الكبيرة التي يستعملها النجار ومثل هذه الكلمات يجب أن تدخل المعجم .

وقد تفرعت المناقشة إلى نقط أخرى ، ثم وافق المؤتمر على إحالة مقترحات الأستاذ الزيات إلى مجلس المجمع لنظرها فيه في متسع من الوقت.



الأداء النفسي في القصة المصرية القصيرة:

منذ أسابيع ، وأنا أرقب من منظار النقد محاولة جديدة في بناء القصة المصرية القصيرة ، وكانت نفسي وأنا أرقب هذه المحاولة ، موزعة بين الإعجاب الخالص والاشفاق البالغ ... أما الاعجاب فمبعثه أنني كنت -- منذ أمد بعيد — أتطلع إلى ذلك اليوم الذي أعثر فيه على « الأداء النفسي » وقد غزا ميدان القصة ، بعد أن عثرت عليه وقد غزا ميدان الشعر .

وحين عثرت على هذا الأداء — فجأة وعلى غير انتظار — غمرتني هذه النشوة التي تغمر كل صاحب فكرة تمليها وجهة من وجهات النقد ، وتحققها دورة من دورات الزمن ... ومن هنا كان هذا الاعجاب الخالص بتلك المحاولة التي بدأها على صفحات «المصري» منذ أسابيع ، ذلك القصاص الشاب زكريا الحجاوي !

وقلت لنفسي بعد أن قرأت له أول قصة : ترى أيكون هذا القصاص قد اهتدى إلى النبع ، نبع الأداء النفسي الذي كم تمنيت أن تكون أول ريشة تغمس فيه هي الريشة المصرية ؟ وامتزج الاعجاب الخالص في نفسي بالاشفاق البالغ ، خشية أن تكون قصته الأولى رمية أصابت الهدف من غير قصد!...ونشر الأستاذ الحجاوي قصته الثانية وإذا أنا أرجع إلى نفسي وأراجع إشفاقي : لقد كان المنهج المرسوم والهدف المقصود واحداً في القصتين ، ولم تهتز الريشة في يده . إنها تتجه إلى النبع الذي كنت أتطلع إليه في خط مستقيم لا انحراف فيه ! وبقي الاعجاب كما كان وتبخر جزء كبير من الاشفاق ... وحين دفع القصاص الشاب إلى القراء بقصته الثالثة ومن بعدها الرابعة ، أدركت تماماً أن هناك محاولة جديدة لخلق قصة جديدة ، أو بدء محاولة تخطو إلى غايتها في وعي وثبات وهي مفتوحة العينين !

فقد اهتدى القصاص الشاب إلى النبع ، وتلك محاولة من حقه علينا وعلى تاريخ الأدب أن نسجلها له ... ونحن الذين قد قنا من جانبنا بتلك المحاولة التي تهدف إلى مذهب جديد في النقد هو مذهب الأداء النفسي في الشعر ، يسعدنا أن نعثر بين الكتاب المصريين على من يبدأ بمثل هذه المحاولة في ميدان آخر هو ميدان القصة القصيرة . ذلك لأننا طالبون في هذه الفترة من حياتنا الأدبية بأن يكون لنا كيان فني قائم بنفسه مستقل بطابعه ، أعني أنه قد آن لنا أن نتخطى مرحلة المحاكاة الناقلة إلى مرحلة الأصالة الخالقة ، أو مرحلة الجلوس حول موائد الغير الى مرحلة الجلوس حول موائدنا الخاصة !

.. نريد هذه المحاولات (المذهبية) المستقلة وندعو إليها في كل فن من فنون الأدب ، فإذا تحقق هذا الحلم الجميل واستجاب له كل كاتب في محيط مواهبه الأصيلة وملكاته الذاتية ، أمكننا أن نظفر بذلك «الأدب المصري» الذي تنسب فيه كلمة « المصرية » إلى منهجه الفني المتفرد بطبيعة التفكير وطريقة التعبير ، قبل أن تنسب إلى موطنه الذي يضفي عليه ظلال البيئة ويغمره بأضواء المكان !

إننا نبارك هذه المحاولة الجديدة ونلفت إليها الأنظار ، وهي المحاولة التي طبقها الأستاذ الحجاوي على قصصه الأربع : « يوم الزفاف» و«وأنا قديس» و « الطريق الخامس» و«الشارع المسدود» ... وليثق هذا القصاص المصري الشاب أنه لو سار على هذا « المنهج النفسي » الذي اختطه لفنه في بناء القصة القصيرة ، ليثق كل الثقة من أننا سوف لا نكتفي بتسجيل محاولته ، بل سنمد إلى وضعها تحت مجهر النقد الذي يكرس وقته وجهده لتحليل كل ظاهرة مذهبية جديدة في حقل الأدب المصري الحديث..علينا هذا ، وعلى الأستاذ الحجاوي أن ينهض بإتمام محاولته !

سهو من الذاكرة :

في مقالنا الذي ظهر في العدد الماضي من الرسالة وردت هذه الآية الكريمة : « ورأى جداراً يريد أن ينقض » ، وهو سهو من الذاكرة ... وصحتها : « فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض »

أنور المعداوي

هل السواليت كلمة عربية ؟

أذكر في جلسة بندوة الرسالة أن تحلقنا حول الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات ، وتطرق الحديث إلى شئون وشجون حول انحرافات اللغة العربية ولهجاتها في الأقطار الناطقة،وكم كان جميلا

أن يدلى كل منا بدلوه . فقد كنا خليطاً من أبناء تلك الأقطار أو رواد بعضها أو من العارفين ببعض اللغات الأوروبية .

ودار الحديث حول بعض ألفاظ من اللغة الفرنسية ذوات أصول من اللغة العربية ، مثل Chemise وأصلها قيص ، و pastèque وأصلها بطيخ ، و amiral وأصلها أمير البحر . .

وهنا قلت مع القائلين : و كذلك toilette فعجب الرفاق وقالوا : فا أصلها ؟ قلت أصلها من (التولة) . قالوا : وما التولة ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرقى والتمائم والتولة شرك » وجاء فى لسان العرب : والتولة (بضم التاء وفتح الواو واللام) ضرب من الخرز يوضع للسحر أو لتحبيب المرأة زوجها أو هو ما يحبب المرأة إلى الزوج من الخاتم . وعند صاحب القاموس المحيط التولة هى السحر أو شبهه فى خرزة تحبب معها المرأة إلى زوجها . وزاد على ذلك رسمها بكسر التاء ومرة أخرى بفتحها مع تسكين الواو والجمع تولات ، وتال يتول عالج السحر . وفلان ذو توّلات أى ذو لطف وسحر .

أما الكلمة الفرنسية toilette فهى تصغير toile ومعناها « الزينة أى faire sa toilette » و كذلك « قطعة الأثاث المزودة بكل الأدوات الخاصة بلوازم الرأس والملبس »

لا عجب إذن فى أن تكون الكلمة الفرنسية مأخوذة من الكلمة العربية ، وورودها فى حديث الرسول عليه السلام قبل فتح الأندلس ، بل قبل الاتساع والاتصال والترجمة فى الزمن العباسى .

والكلمة العربية فضلا عن ذلك غنية بمشتقاتها فنها الاسم والفعل والصفة . وجدير بنا أن نعمل على إحيائها وتداولها ، وتلك الرسالة منوطة بمجلة الرسالة الغراء والمجمع اللغوى الموقر

محمد محمود زيتون

ذكرى صادق عنبر :

حلت الذكرى الثانية عشرة لوفاة فقيد اللغة والأدب المرحوم محمد صادق عنبر ، فذرفت عليه ابنته دمعة تقاطرت فى هذه الأبيات :

أواه من ذكرى إذا هى أقبلت   لم تُبق فى سكينة وركونا
أواه منها حين تأسر مهجتى   فتثير فيها لوعة وشجونا
يا نسمة من والد ترك الدّنا   أجريت دمعاً كان قبل مصونا
يا أدمع الذكرى حنانك أشفقى   فالدمع أوجع ما يكون سخينا
يا قلبي الملهوف هل لك سلوة   تُهدى إلى وداعة وسكونا ؟
أبتاه ! والذكرى حياة طلقة   تفنى السنين وإن مررن قرونا
قد كنت لى عوناً فصرت بغيره   لا أعرفن على الزمان معينا
قد مر عيشى بعد فقدك علقما   ولقيتُ من دنيا الهموم فنونا . .
وألفتُ أكدار الحياة كريهةً   ورضيت بعدك أن أذوق الهونا
لو كنت حياً لم تكن لى غصة   ولكان همى عارضاً مرهونا . . .
أشتاق طيفك فى المنام يزورنى   فيخاصم النومُ المنيدُ جفونا
فأزور قبرك فى الغداة يهزنى   شغف بقربك لا يزال كمينا
وأطوف بالقبر الذى أودعته   أملا عزيزاً فى التراب دفينا
ويطول بى التطواف غير ملولة   أعلى الفداء تشوفا وحنينا
ويظل صوتى هاتفا فى كربة   حتى يعزقه المتاف أنينا
وأروح من بعد الطواف حسيرة   فى سكرة تدع الفؤاد طعينا
أبتاه ! إن بكت الرفاق فقد بكت   قلما يتيه به الأديب مبينا
وبكت إخاءك إذ رحلت مصافيا   ثبت المقام على الإخاء أمينا
وأنا التى أبكيك . كنز أبوة   أبكيك ركناً فى الحياة ركينا
أبكيك قلبا خافقا لى رحمة   ما إن يزال بها الزمان ضنينا
أبكى منارهدى ، وظل هناءة   ومناط عز لا يرام مكينا
فلئن ذكرتك فى مغيبك ، إن لى   قلبا بموصول الوفاء ضمينا

وداد صادق عنبر



منزل للبيع

للكاتب الفرنسي ألفونس دوديه

بقلم الأستاذ أنور لوقا

وراء تلك اللافتة الصغيرة المبتذلة المعلقة على باب بيت من البيوت ، قرأ ألفونس دوديه — وهو الذي لقب نفسه « بالشيء الصغير » واستلهم أشياء أدبه — هذه المأساة الإنسانية المؤثرة .

فوق الباب ، باب خشبي واهي المفاصل ، يدع رمل الحديقة الصغيرة يختلط بتربة الطريق على بسطة من الأرض ، كانت لافتة معلقة منذ أمد بعيد ، ساكنة في شمس الصيف ، معذبة بعكوف ريح الخريف ، عليها « منزل للبيع » ، ولعلها كانت تقول أيضا « منزل مهجور » ، فقد كان الصمت يكتنف الدار .

ولكن أمرأ كان يقيم هناك . فإن دخانا خفيفا مزرقا يصعد من آجر المدخنة الذي يعلو الجدار قليلا ، كان ينم عن حياة خفية ، متكتمة، حزينة كهذا الدخان الذي ينبعث من نار الفقراء. ثم من خلال ألواح الباب المزعزعة ما كنت تحس الإهمال والخواء، وهذا الجو الذي يسبق ويعلن بيعا أو رحيلا ، بل ترى ممرات الحديقة مستقيمة التخطيط ، وعرائش مستديرة مشذبة ، وساقي بجوار الحوض ، وأدوات بستاني مسندة إلى البيت الصغير . لم يكن ذلك الربع سوى بيت من بيوت الفلاحين ، يتوازن على هذه الأرض المنحدرة بسلم صغير قد نحى الطابق الأول جهة الظل والطابق الأرضي جهة الجنوب . ومن تلك الجهة كان يخيل إليك أنه معمل من معامل الإنبات . فقد رصت على درجات السلم نواقيس زجاجية ، وأصص فارغة مقلوبة ، وأخرى منضودة على الرمل الأبيض الساخن قد نما فيها « الجيرانيوم » و « المرفين » بيد أن الحديقة كلها ، فيما عدا شجرتين او ثلاثا من شجر السرج القارع ، كانت تحت وهج الشمس . وكانت تمتد في النور الساطع مروحة من أشجار الفاكهة ، قائمة على أسلاك حديدية ، أو مفرشة وقد انتزعت بعض أوراقها إعدادا للثمرة ليس غير ، كما اصطفت أيضا أغراس من الشليك وأغراس من البازلاء تتسلق قضبانا طويلة مثبتة في الأرض . وفي وسط هذا كله ، وسط هذا النظام وهذا الهدوء ، كان رجل عجوز ، ذو قبعة من الخوص، يجوس خلال المسالك طول النهار ، يروي في الساعات الرطيبة ، ويقتطع ويشذب الأغصان ويسوي الأفاريز .

هذا الشيخ لم يكن يعرف أحدا في البلد . لم يكن يطرقه زائر قط . اللهم إلا عربة الخباز التي كانت تقف بكل باب في شارع القرية الوحيد . وأحيانا كان يرى اللافتة عابر من الناس يلتمس قطعة من أراضي السفح هذه الغنية الخصبة التي تمنح بساتين جميلة فيتوقف ليقرع الباب . يقرع في أول الأمر فإذا البيت أصم . ثم يقرع ثانيا ، فيدنو من أقصى الحديقة وقع « قبقاب » في بطء وتؤدة ، ويوارب الشيخ بابه وهو متجهم الوجه :

ـ ماذا تريد ؟

ـ هل المنزل للبيع ؟

فيجيب الرجل الطيب القلب في جهد :

ـ نعم ... ولكني أقول لك مقدما إنهم يطلبون فيه ثمنا غاليا جدا ...

وكانت يده المتأهبة لإغلاق الباب تسده عليك — وكانت عيناه تطاردانك ، فما أشد ما كانتا تظهران من سخط ، وكان يظل هناك قائما كالفارس على حراسة أحواضه وخضره وفنائه الصغير المفروش بالرمل . وإذ ذاك كان الطارقون يتابعون سبيلهم وهم يسائلون أنفسهم من تراه يكون هذا المخبول الذي عرضوا له ؟ وأي جنون هذا الذي يحمله على الإعلان عن بيع منزله بهذه الرغبة الملحة في الاحتفاظ به .

وأخيرا وضح لي هذا السر . ذات يوم وأنا مار أمام البيت الصغير ، سمعت أصواتا ثائرة ، وصخب مناقشة حامية .

يجب البيع يا أبانا ، يجب البيع . لقد وعدت بذلك وسمعت صوت الأب متهدجا يقول : إني يا أولادي لا أطلب أفضل من البيع ... أما ترون ؟ لقد وضعت اللافتة . وهكذا علمت أن هؤلاء هم أبناؤه وكناته ، تجار من صغار أصحاب الحوانيت في باريس ، يحملونه على أن يتخلص

من هذا الركن الحبيب . لأى سبب ؟ هذا ما كنت أجهله . أما المؤكد فهو أنهم بدأوا يلمسون أن الأمر قد طال وأن الشيخ يعطلهم . ومنذ ذلك الوقت أقبلوا بانتظام، يوم الأحد من كل أسبوع، يستنهضون الرجل المسكين ويحثونه على أن ينجز وعده من الطريق فى هذا الصمت المريض الذى يسود القرية يوم الأحد ، حين تستريح الأرض ذاتها من كونها قد حرثت وبذرت طوال الأسبوع ، كنت أسمع ذلك جليا . كان التجار الصغار يتحدثون ، ويتجادلون فيما بينهم وهم يلعبون لعبة « البرميل » ، وكانت كلمة « النقود » ترن رنينا جافا كهذه الأقراص المعدنية التى يقذفونها . وفى المساء كان الجميع يرحلون ، وكان الرجل الطيب القلب ، بعد أن يرافقهم فى الطريق بضع خطوات ، يعود مسرعا فيغلق من جديد بابه الغليظ سعيدا مبتهجاً ، وقد ظفر بمهلة لمـــدة أسبوع . ويستعيد البيت سكونه ، ويظل ساكناً ثمانية أيام ، فما تسمع فى الحديقة الصغيرة التى تلفحها الشمس إلا صوت الرمل يسحقه وطء قدم ثقيلة أو تجرفه المجرفة .

على أنهم من أسبوع لأسبوع ، راحوا يضيقون الخناق على الشيخ . ولم يدخر صغار التجار وسيلة من الوسائل . أحضروا الأحفاد لإغرائه : « أترى ياجدنا ، حين يباع البيت ستأتى لتسكن معنا . وكم سنكون سعيدين معاً ! ... » ثم كانت أحاديث منفردة يلقيها كل امرىء لنفسه فى ركن من أركان البيت على حدة ، وسير خلال ممرات الحديقة لا يقف عند حد ، ومسائل حسابية يجريها صوت مرتفع . ومرة سمعت إحدى البنات تصيح :

— هذا الخص لا يساوى مائة دانق ... إنه خليق بأن يهدم .

وكان الشيخ يصغى دون أن يقول شيئا . كانوا هم يتكلمون عنه كأنه قد مات ، وعن داره كأنها قد هدمت بالفعل . فكان يتجنبهم ويمشى ، أحدب الظهر ، والدموع ملء عينيه ، ملتمساً كعادته غصنا يشذبه أو ثمرة يعنى بها أثناء مروره . وإنك لتحس أن حياته قد تغلغلت جذورها فى هذا الركن الصغير من الأرض تغلغلا لن يبعث فيه القدرة على اجتثاث نفسه منه . والحق أنه كان مهما افتنوا فى إغرائه ، يرجىء دائماً لحظة الرحيل . فى الصيف ، حين تنضج هذه الثمار التى يوحى إليك مذاقها الحامض بعض الشىء بأن السنة ما زالت فى نضرتها وربيعها ، ثمار الكرز ، والبرقوق ، والمشمش ، كان يقول :

لننتظر المحصول ... سأبيع بعده مباشرة .

وبعد المحصول ، بعد انقضاء موسم الكرز ، يأتى موسم الخوخ ثم العنب ، وبعد العنب تأتى ثمار « النيفل » السمراء الجميلة التى يكاد المرء يجنيها تحت الجليد . وحينئذ يأتى الشتاء ، فيسودُّ الريف وتخلو الحديقة . الآن لا مارة ، ولا شراة ، بل ولا صغار التجار يوم الأحد ، وإنما ثلاثة أشهر عريضة من الراحة لإعداد البذار ، وتقليم أشجار الفاكهة ، بينما تتأرجح على الطريق اللافتة الباطلة وقد قلبها المطر والريح .

وعلى مر الأيام ، فرغ صبر الأبناء واقتنعوا بأن الشيخ كان يبذل كل ما فى وسعه لإقصاء المشترين ، فاتخذوا قراراً حاسما . قدمت إحدى الكنات واستقرت بجانبه ، وتلك امرأة صغيرة من نساء الدكاكين ، حالية منذ الصباح ، بارعة فى إظهار الحفاوة وتكلف الرقة والتلطف فى المجاملة براعة الذين اعتادوا التجارة . وكأن الطريق قد أصبح ملكها . فقد كانت تفتح الباب على مصراعيه ، وتتحدث وتلغو ، وتبتسم للمارة كأنما تقول لهم :

— أدخلوا ... أنظروا ... إن المنزل للبيع !

ولم تعد للشيخ المسكين مهلة بعد ذلك . أحيانا كان يحاول أن ينسى أنها هناك ، فينصرف إلى تقليب حياضه وبذرها من جديد ، كهؤلاء الناس الذين يوشكون على الموت ويحبون القيام بمشروعات ليخدعوا مخاوفهم . ولكن البائعة كانت تتبعه طيلة الوقت وتنغص عليه . — دع ! ما انتفاعك بهذا ؟ ... أمن أجل سواك تجشم نفسك كل هذا التعب ؟ فما كان يجيبها وإنما كان ينكب على عمله فى عناء غريب . إن ترك حديقته لعبث الاهمال معناه فقدانها بعض الفقدان منذ ذلك الوقت ، وبدء انفصاله عنها . ولهذا ما كنت تجد فى الممرات عودا واحدا من العشب ، ولا فى شجيرات الورد غصنا طفيليا .

وظل البيت معروضا للبيع ، ولكن الشراة لم يتقدموا .

ذلك أن الحرب قد نشبت . وعبثا نابرت المرأة على فتح بابها وإرسال النظرات المصولة إلى الطريق ، فلم يكن يمر غير النازحين من الأرض ولم يكن يدخل إلا الغبار . واشتد غيظ السيدة من يوم إلى يوم ، لا سيما وقد كانت أعمالها في باريس تستدعيها .

كنت أسمعها توسع حماها لوما وتأنيبا ، وتقسو في الهجوم عليه وتخبط الأبواب ، وأما الشيخ فكان يحنى ظهره دون أن يقول شيئا ، ويتعزى إذ يبصر بازلاءه الصغيرة تنمو ، واللافتة معلقة في مكانها دائما : « منزل للبيع » .

وفي هذا العام ، عندما وصلت إلى الريف ، وجدت المنزل وعرفته ! ولكن واحسرتاه لم تكن اللافتة هناك ! كانت إعلانات ممزقة بالية لم تبرح عالقة بأوجه الجدران . لقد قضى الأمر ، وباعوه ! .... وفي مكان البوابة الرمادية الكبيرة أصبح باب أخضر ، حديث الطلاء ، تعلوه عتبة مستديرة ، وتنفتح فيه نافذة ذات قضبان ، تلوح من ورائها الحديقة . ولم تعد الحديقة ذلك البستان الذي كنت أعهده هناك قديما ، بل غدت خليطا (بور جوازيا) من السلال ، والخضرة ، ومساقط الماء ، وصورة لهذا كله تنعكس على كرة معدنية تتأرجح أمام الدرج . وفي هذه الكرة ، بدت الممرات صفوفا من الأزهار الزاهية ، وامتد شكلان في كثير من المبالغة والتهويل ، رجل سمين أحمر ، غارق في عرق غزير ، غائص في كرسي من كراسي النزهة الخلوية ؛ وسيدة ضخمة لاهثة الأنفاس ، تصيح وهي تطوح مسقاة بيدها .

ـ لقد دفعت ثمنا للبلسمين أربعة عشر !

وكانوا قد شيدوا طابقا ، وجددوا السياج ، وفي هذا الركن الصغير المستطرف ، الذي مازالت تفوح منه رائحة الطلاء ، كان (بيانو) يعزف ملء الريح مقطوعات صاخبة مبتذلة وألحانا جذلة مما تردده جلبات الرقص العامة . وهذه الأنغام الراقصة التي كانت تنطلق إلى الطريق نابضة حارة ، مختلطة بقتام يوليه الكثيب ، وعجيج تلك الأزهار الضخمة ، والسيدات الضخمة ، هذا المرح الغامر الفياض ، هذا المرح السوقي المبتذل ، كان يقبض قلبي . كنت أفكر في الشيخ المسكين الذي كان يتمشى هنا راضيا وادعا سعيدا ، ثم أتمثله في باريس ، وقبعة الخوص على رأسه ، وحدبة البستاني المعجوز في ظهره ، هائما في قعر دكان ما ، ضيقا بأمره ، حييا ، مشحونا بالدموع ، بينما تتبوأ زوجة ابنه الظافرة خزانة جديدة ، ترف فيها قطع ذهبية هي ثمن البيت الصغير .

أنور لوقا



دعبـــل الخزاعى

تأليف السيد محسن الأمين

للاستاذ ابراهيم الوائلى

ليس من شك فى أن دعبلا الخزاعى من أشهر شعراء القرنين الثانى والثالث للهجرة فقـد تطرق فى نظمه إلى مختلف المواضيع وتعرض بشعره إلى كثير من الأشخاص ، وعرض نفسه إلى شتى المخاطر حتى انتهت حياته إلى الاغتيال وهو بعيـد عن أهله ووطنه .

ولقد نظر مؤرخو الآداب إلى هذا الشاعر من زاوية المقاييس العامة التى حددوا بها الشعر القديم فسموه شاعراً هجاء مقذعاً فى هجائه وشاركهم فى الرأى بعض المؤرخين المحدثين، ولـكننا حين ننظر إلى هذا الشاعر نظرة فيها شىء من العمق والتحليل نستطيع أن نسميه شاعراً سياسياً وإن يكن فى شعره مايسمى هجاء بالمعنى الدقيق لأن بعض الذين تناولهم ليس له خطر فى المجتمع .

وليس من شك فى أن شعر دعبل يمثل حياته المضطربة ونفسه الثائرة ونوازعه المذهبية التى دفعت به إلى كثير من المخاطر ، وما تعرض به للخلفاء العباسيين يمثل صفحة كبيرة من الشعر السياسى العارم فى العصر العباسى الأول وليست السياسة بأكثر من أن يتعرض الرشيد وأولاده وأحفاده ويتناولهم تناولاً شديد الوقع على أنفسهم حتى أغضبهم ولقى منهم الجفوة والعنت كما لقى منهم الحظوة والتـكريم ، يقربه الرشـيد ويرفع من منزلته فيناله بعد موته ، ويصفح عنه المأمون فيقابل هذا الصفح بالتمرد والطعن ، ويشنع على أبى عباد وزير المأمون فلا يجد منـه غير السكوت ، ويسخر بابراهيم بن المهدى أشد السخرية ويتندر بالأمين والمعتصم ، ويغضب المتوكل فلا يسلم منه إلا بالهرب ، ويتجاوزهم إلى غيرهم من ذوى المـكانة فى المجتمع حتى نعتـه مؤرخو الآداب بنعوت شتى من سلاطة اللسان وإفحاش الكلام وأقذاع الهجو ، وكل هـذه النعـوت التى وصفوا بها الشاعر مردها إلى تلك النظرة السطحية التى لم تتوغل إلى دخيلة القلب ولم تتعمق فى مطاوى النفس، مع أن الأمر أيسر مما تصوروه فى هذا الشاعر . ولو أنهم أرجعوا هذه الثورة إلى منابعها الأصلية ودوافعها الذاتية لأنصفوا الشاعر وأعطوه نصيبه من الدراسة المتينة وأفادوا من شعره فى تاريخ الأدب السياسى، وما هذه المنابع والدوافع إلا عقيدة الشاعر ومذهبه؛ فقد كان دعبل ممن يوالون آل على ويتعصبون لهم، وقد مدح أحياءهم مدحاً قوى العاطفة والإحساس، وبكى شهداءهم بكاء سخى الدموع شديد الحزن ، وكان من البديهى أن يقف الشاعر من خصومهم موقفاً لا يرضى الخصوم وأن يتعصب لأوليائه ويدافع عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فالرشيد قد آذى الامام الرضا وسجنه وهو من أئمة دعبل ، والمأمون يبايع الرضا بولاية العهد ثم ينكل عن هذه البيعة ، والمتوكل يغضب الشيعة ويطاردهم حتى فى ضريح الامام الحسـين ، وابراهيم بن المهدى يبايعه الناس فى بغداد عناداً للمأمون فى موقفه الأول من الامام الرضا ، وابراهيم هو من هو فى لهوه ومجونه ، وأبو عباد وزير المأمون كان شرس الخلق جافى الطبع . إن من الحق لدعبل — وهو يتولى آل على — أن ينتصف لهم ويدافع عنهم ويندد بخصومهم ولو ناله ما ناله من الأذى والتشريد لأن هذا جزء من عقيدته الدينية ومذهبه . وليس بغريب عليه أن يتعصب لعقيدته ومذهبه ما دام يجد فى هذا التعصب لذاته الروحية واطمئنانه النفسى ، وما دام يرى آل على أصلح من غيرهم لرعاية دينه وعقيدته وأولى بالحـكم من سواهم.

هذه النقطة الدقيقة فى تاريخ هذا الشاعر وجدنا منهـا لمحة عابرة فى كتاب « دعبل الخزاعى » لسماحة العلامة السيد محسن الأمين وهو كتيب صغير ألف فى الأيام القريبة وطبع فى دمشق .

وكنا نود أن تـكون هذه النقطة موضع عناية المؤلف الجليل ولـكنه لم يفعل ذلك جرياً مع عادته فى التأليف إذ أنه يعنى بالترجمة وجمع ما تفرق من أخبار المترجم له وتتبع حياته الأدبية والمادية إذا كان للثانية صلة بالأولى دون إطالة فى التحليل أو عمق فى الدراسة ، على أنه لا ينسى أن يمحص الأخبار التى ينقلها عن حياة الشاعر ويطرح الزائف منها وينقد المشكوك فيه ويقارن ويوازن وكثيراً

وكثيراً ما يستنبط من الخبر الواحد فوائد كثيرة تدل على ميله إلى التحليل والتعمق، ولكنه ميل قليل بالنسبة لطريقته العامة التي أشرنا إليها والتي تتجلى لنا في هذا الكتيب الصغير الذي جمع فيه معظم ما تحدث به المؤرخون عن دعبل الخزاعي وعن مواقفه من الخلفاء وصلته بهم ومقدار ما ظفر به من إطراء وتنويه بشاعريته. ثم علاقته بآل علي ومدحه إياهم. وفي الكتاب منتخبات كثيرة من شعر دعبل في المديح وفي السياسة، وقصيدته التائية المشهورة في آل البيت التي يمدحهم بها ويستعرض مصارع الشهداء منهم استعراضاً حزيناً باكياً وغير ذلك من المقطوعات.

والحق هذا الكتاب عمل ضئيل بالنسبة لما أنتجه سماحة السيد الأمين من كتب وموسوعات في الأدب والشعر إلى جانب كتبه العلمية النافعة.

ابراهيم الوائلي

أجـــواء

تأليف الاستاذ حسن محمود

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

كتاب صغير الحجم، قليل الثمن، ولكنه على صغر حجمه، وقلة ثمنه، يجمع بين القيمة الفنية الكاملة، والمتاع النفسي الوفير.

ومؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ حسن محمود، وهو كاتب قصصي من طراز رفيع، يعمل للمجد الأدبي، دون أن يحفل بالشهرة الزائفة، ولذلك يعنى كل العناية بجودة إنتاجه وإتقانه، لا بكثرته والاسراع فيه.

وهذا الكتاب يضم طائفة من الأقاصيص ذات أجواء مختلفة بعضها يمثل الحياة المصرية التي يعرفها الأستاذ عن خبرة وتجربة، وبعضها الآخر يمثل الحياة الأوربية التي ألم بها في رحلاته وأسفاره، وإن كانت هذه الأجواء المختلفة تتفق في أنها تصور النفس البشرية، في إطارها من الحياة الانسانية العامة.

وكثيرون من كتاب القصة المصرية يهدفون في قصصهم إلى إثارة القارىء إثارة حسية، إما بالاكثار من وصف أجساد النساء، وإما بالاعتماد على الحوادث الضخمة المثيرة، وإن كانت في صميمها فارغة من المعاني والدلالات! ولكن هؤلاء لا يفهمون فن القصة، ولا يعرفون رسالتها الفنية، وإنما يعرفون ويفهمون شيئاً واحداً هو اكتساب الشهرة الزائفة، بتملق غرائز الجماهير!

أما الأستاذ حسن محمود، فإنه يعنى في قصصه أول ما يعنى، بإبراز الأثر الداخلي الذي تعكسه الحوادث الخارجية في نفوس شخصياته؛ فالحادثة عنده لا تقصد لذاتها، ولكن لأثرها النفسي، ومن ثم تكون الحادثة الصغيرة لها حظ كبير، لأنه يعرف كيف يستلهم منها المعاني الكبيرة، وكيف يستخرج منها الدلائل العميقة، وهذه هي القدرة، وتلك هي البراعة. وشيء آخر يتصل بذلك، هو أن الأستاذ حسن رسم شخصياته لا يعتمد في ذلك على الألفاظ وحدها يسرد بها أوصاف تلك الشخصيات سرداً متتابعاً، كما يفعل بعض كتاب القصة عندنا، ولكنه يوزع لمساته التصويرية على أجزاء القصة كلها؛ ليتسنى له استخدام الحوادث في الرسم والتصوير، فلا ينتهي من القصة حتى تكون شخصياتها قد استوفت حظها من دقة التصوير، وبلغت قسطها من قوة الحياة.

وقد قلنا إن الأستاذ حسن محمود لا يعتمد في إثارة قارئه على الحوادث الضخمة المثيرة؛ ونزيد هنا أن مادة قصصه لهذا السبب تمتاز في مجموعها بالبساطة والعمق؛ لأنه يتناول الحادثة البسيطة في مظاهرها الخارجي، فيتعمقها بفكره وروحه وتجاربه، ثم يعرضها لنا، فنرى فيها ما لم نكن نرى، ونفهم عنها ما لم نكن نفهم، فهو من أولئك الملهمين الذين يلتقطون الفتات المتساقط من مائدة الحياة، فيحيلونه بفنهم أعظم غذاء للنفس الانسانية، في حياتها المثالية الرفيعة!

وأسلوب الأستاذ في قصصه، يلائم مادة هذه القصص كل الملاءمة؛ فهو مثلها بسيط عميق، ينساب كالما في رقة ودعة، لا من ضحولة مجراه، ولكن من طبيعة مسراه، فلا ترى فيه العبارات الطنانة، والكلمات الضخمة، وإنما هي كلمات طبيعية يؤلف بينها في حذق وبراعة، فإذا هي عميقة الدلالة، قوية الإيحاء، وافرة الأنغام والأصداء، والأضواء والظلال!

والأستاذ هادىء الشخصية ، كما يبـدو من خلال أسلوبه ، وطريقة عرضه لقصصه ، هادىء حتى حين يريد أن يسخر من بعض الناس سخرية خفية مبطنة ، فتراه يفعل ذلك فى شيء أقرب إلى الحياء ، وبصورة لبقة مهذبة قد تثير الضحك ، ولـكنها على كل حال لا تجرح الاحساس !

وهو هادىء أيضاً حين يلمس فى قصصه أحزان الناس ومآسيهم ، وليس ذلك من قلة تأثره بها ، ولـكن لأنه من أولئك الذين يحزنون فى صمت ، فيكون صمتهم أبلغ من كل كلام حزين ! وصراخ الانسان قد يثير الفضول أكثر مما يثير الرثاء والاشفاق ، ولكن دمعة واحدة تذرفها عين محزون ، فى صمت وسكون ، تهز النفوس ، وتثير الدموع !

وهو حين يسجل الانفعالات النفسية لشخصية إنسانية ، يحيطها بما يلائمها من الأجواء والمشاهد ، فيكون ذلك منها بمنزلة الاطار من الصورة . يتجلى ذلك فى قصته « نظرة إلى شاعر » . ففى هذه القصة تراه يرصد الانفعالات النفسية كما تظهر فى شخصية شاعر ركب معه القطار الذاهب من مدينة «بون» الألمانية ، إلى « كوبلنز » ، ويسجل مع هذه الانفعالات المختلفة ، ما يطرأ على مشاهد الطبيعة من تغير واختلاف ، بحيث يجعل من ذلك كله وحدة متناسقة .

وهو ينتقل بشخصياته من جو إلى جو ، ومن حال إلى حال ، بعد أن تمهد لذلك تمهيداً مناسباً ، بحيث يبدو هذا الانتقال طبيعياً ممكناً ، لا أثر فيه للتكلف والاستحالة ، وهو يقتصد فى طريقة عرضه ، بحيث يتجنب الحواشى والفضول ، كما يقتصد فى تعبيره بحيث يخلص فى لباقة من الـكلام المكرر المألوف إن لم يكن منه بد فى موضع من مواضع القصة ؛ ففى قصة « قسم » نرى حسيناً يسير بعد الغروب فى طريق مهجورة ، ثم يتنبه فجأة لوقع أقدام تطأ الأرض بخفة ، فيلتفت وراءه ، فاذا فتاة مصرية غضة الشباب هيفاء القوام تسير مثله فى هذه الطريق .. فلو أن قصاصاً آخر عرض لمثل هذا الموقف فى قصة من قصصه ، لاستغله كما يشاء ، فى كلام كثير ، وحوار طويل يثير الحس ، وينبه الغرائز .

ولـكن الأستاذ حسن محمود يكتفى فى هذا الموضع بأن يقول : ارتاحت نفس حسين لمنظر هـذه الفتاة ، فسار إلى أن حاذاها عازماً على أن يكلمها بأية وسيلة ، ولسنا نريد أن نقص كيف بدأ الحديث فان حسيناً لا يذكر كيف كان ذلك ، ونحن لا نود أن نفضح سرها ، ولكننا نقول أننا رأيناهما يسيران جنباً إلى جنب ، ثم كانا بعد نصف ساعة فى سيارة تسير بهما سريعاً إلى حيث مسكن الفتاة » . وهذا غاية فى حسن الايجاز ، وبراعة التخلص .

وللاستاذ حسن محمود ملاحظات صائبة ، ينثرها فى خلال قصصه وهى ملاحظات تنم عن تجارب كثيرة ، وثقافة واسعة ، وفهم عميق للحياة .

أما بعد ، فقد حلقت فى هذه الأجواء حيناً من الزمن ، فأتاح لى ذلك لذة روحية عميقة ، ومتعة نفسية كاملة ، فمن واجبى أن أوجه إلى صاحب هذه الأجواء ، شـكرى الخالص لما أتاح لى ، ومن واجبى كذلك أن أعبر له عن تقديرى الصادق لمقدرته الفنية . وأنا أعلم أنه لن يرضى عما كتبته عنه ، تواضعاً منه وحياء ؛ فقد عرفته جم التواضع ، وافر الحياء . ولـكن ما ذنبى أنا ، وما كتبته هو الحق والحق ينبغى أن يقال ؟

ابراهيم محمد نجا

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة الى الوجه القبلى بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من أول فبراير سنة ١٩٥٠ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ قد تعدلت الأجور المخفضة للتذاكر المشتركة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم للدرجة الأولى فقط والاقامة فى الفنادق كالآتى.

اسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و٤ ليال من القاهرة — مليم	جنيه
فندق ونتربالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	٩٦٠	١٨
فندق كاتاركت باسوان	» » »	١٥٠	٢١
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٦٥٠	١٦
	» » » » الثانية	٨٩٥	١٠
فندق جراند أوتيل باسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠	١٧
	» » » » الثانية	٠٩٠	١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٢٠٠	١٤
	» » » » » » الثانية	٤٤٥	٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	» » » » الثانية	٣٥٥	٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	» » » » الثانية	٣٥٥	٦

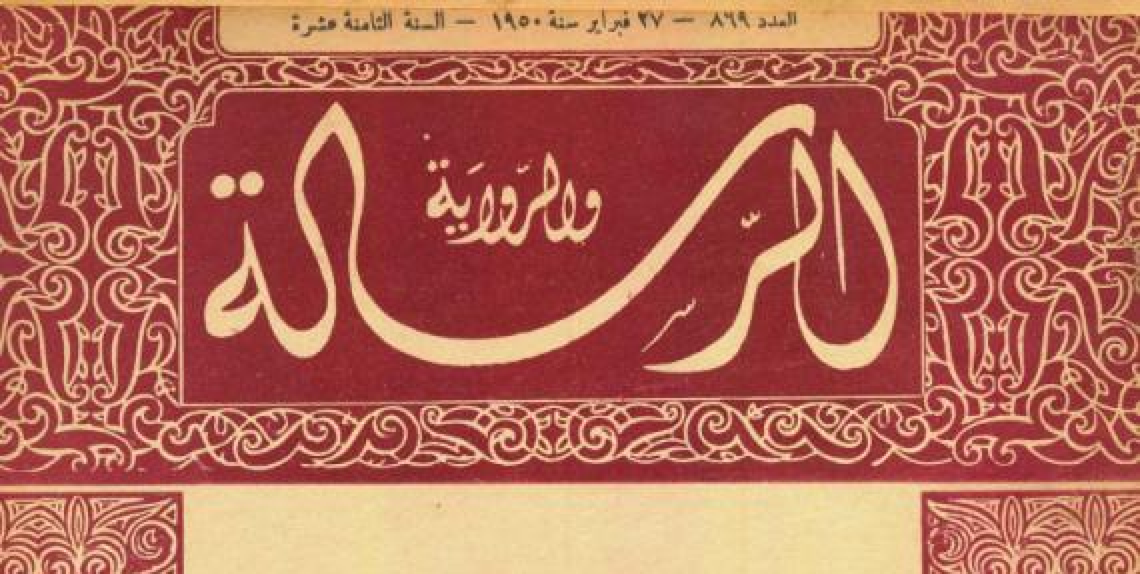
إعلان بيع

إنه فى يوم الثلاثاء ١٤ مارس سنة ١٩٥٠ من الساعة ٨ أفرنكي صباحا بجهة البساتين قسم مصر القديمة سيباع بالمزاد العمومى زراعة ٢ ف برسيم و ١٢ ط ٥ ف برسيم و ١٨ ط ١ ف برسيم السابق الحجز عليها وتنفيذيا فى ٣١ — ١ — ٩٥٠

وهذه الأشياء مملوكة إلى القائمقام محمود محمد جدى والأستاذ محمد أنور الرمدى

وذلك البيع بناء على طلب حضرة صاحب المعالى حسن احمد باشا بصفتـه وزيرا للاوقاف وناظر اعلى وقف محمد الامبابى اهلى ومتخذا له محلا مختارا قسم قضايا الوزارة بمركزها الكائن بباب اللوق بمصر تنفيذا للحكم الصادر بتاريخ ٢٢ ـ ٩ ـ ٤٩ من محكمة مصر الأهلية ووفاء لمبلغ ٨٣٤ جنيه ، ٢٤٣ مليم بخلاف ما يستجد .

فعلى من يرغب المشترى أن يحضر .



فهرس العدد

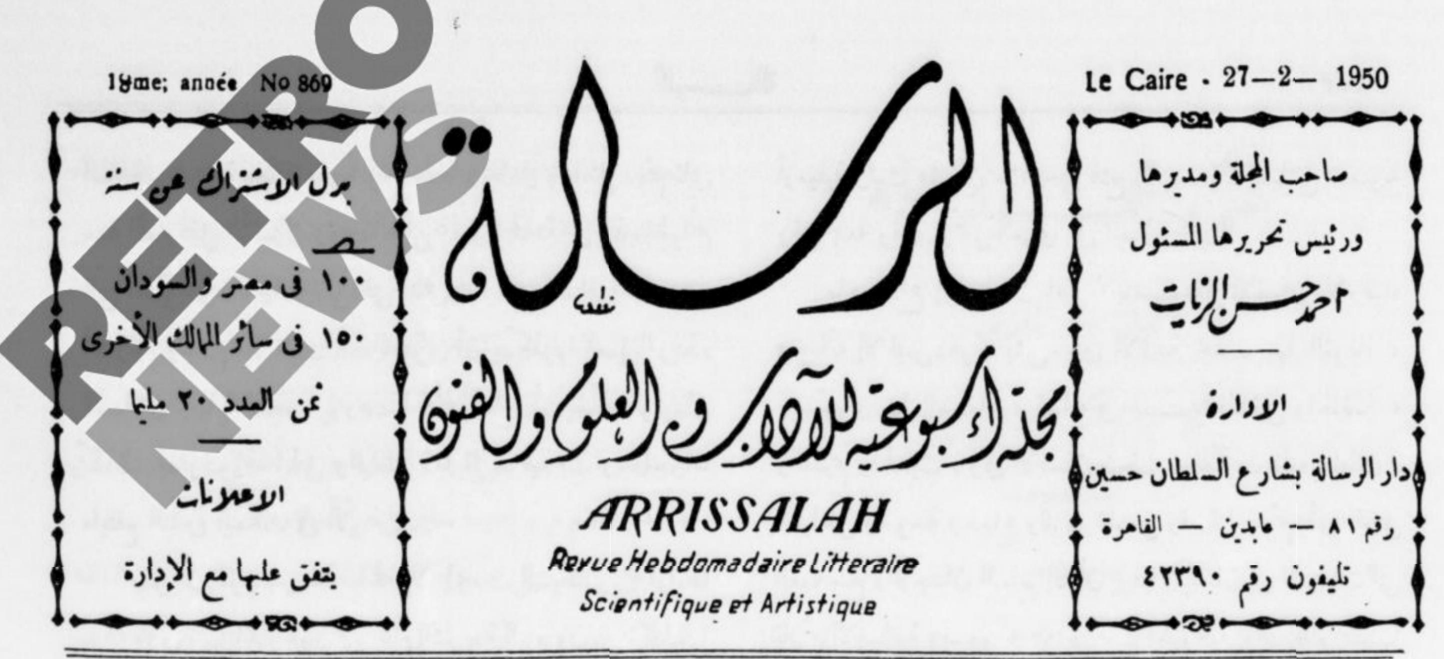
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٨٦٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ — ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة»

المذاهب الهدامة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

عملت الجماعات البشرية منذ كانت على هذه الأرض لبقائها ورفاهيتها وسعادتها فوضعت من الشرائع والآداب والسنن ما يكفل بقاءها ويقربها من الرفاهية والسعادة. وما زال العقل والوجدان يهديان الناس ويخرجانهم من الظلمات إلى النور، ومن الفوضى إلى النظام ومن التعامل إلى التعاون، حتى بلغ البشر مستوى الحضارة الذى بلغوه، وما يزالون يجهدون ليبلغوا المستوى الأرفع ويرقوا إلى الدرجة العليا.

وما زال الأنبياء والحكماء على مر العصور يعلمون ويفقهون ويشرعون ويؤدبون ويمكنون لشرائعهم وادابهم فى الأنفس بأسوة من العمل الصالح وحكمة من القول السديد حتى استقرت فى الأنفس الشرائع والسنن وتمكنت الأخلاق والآداب

وما زال الناس يتمسكون بما ورثوا ويزيدون عليه من هدى التجارب، ووحى الوجدان وقيادة العقل، طامحين إلى المقاصد العالية سائرين إلى الغايات الكريمة، وإن بعدت الشقة وكثرت العقبات.

وكلما ارتفعت الأنسانية خضعت للقوانين وألفتها وسكنت اليها واحبت النظام ونفرت من الفوضى وكلفت بمعانى الخير والحق الجامعة واعرضت عن الصغائر التى ينزع اليها الأنسان لمنفعة قريبة أو شهوة عاجلة أو لذة زائلة وعملت التى هى أقوم وابقى واعود على الناس بالخير والسعادة. وهكذا ترتقى النفس متى تؤثر الحقائق على الصور والروحانيات على الجثمانيات فى درجات من الرقى لا تنتهى وفى الشرائع والآداب تحجير على الأنسان وتقييد، وفيها نهى عما يشتهى وأمر بما يكره. وفيها تحريم للمنافع الفردية القريبة من أجل منافع جماعية بعيدة، وفيها صد عن الماديات المحسة ابتغاء الروحانيات التى لا تنالها الحواس. ومن أجل ذلك تنفر نفوس من الشرائع وتثقل عليها التكاليف وتعجز عن كف النفس عن شهواتها. ودفعها حتى إلى مصالحها وتقصر عن ادراك المعانى العامة الجامعة التى تؤلف بين منافع الجماعة وترقى بها إلى مستوى من الأنسانية رفيع.

يحاول كثير من الناس أن يخالفوا الشرائع والآدات سرا أو علانية. وأكثر هؤلاء فى حرب مع عقولهم وسرائرهم، يرون الخير فى شرائع الجماعة وسننها ولكن تقهرهم نزعاتهم، وتسوقهم إلى مخالفة القانون مآربهم. ومنهم من يحارب الشرائع جنوحا إلى الفوضى، وقصورا عن إدراك النظام وعجزا عن تصور ماوراء الحس، وعن التعالى إلى المعانى السامية، والنزعات العالية.

ومن الخارجين على سنن الجماعات وادابها من يريد السكون إلى انفعاله، والاستراحة إلى أوهامه وارضاء وجدانه فيخادع نفسه، ويكذب عقله وقلبه ويدعى أن لمآربه مقاصد انسانية وأن لخروجه قانونا ولإجرامه شريعة فيضع لنفسه ولمن يريد

اضلالهم شريعة مضللة ، وقانونا خادعا ويجادل بالباطل . ثم تأبى سنة الله وعقل الإنسان ووجدانه أن تسير الجماعة على هذه الجرائم التى تسمى شرعا ، والفوضى التى تدعى نظاما ، والتنافر الذى يدعى أنه وئام وسلام فلا تلبث هذه الدعوى أن يكذبها العمل ، وهذه السنة أن تبطلها التجربة ، وهذا الأعوجاج أن يقومه الوجدان كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب وجفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض .

وقل أن تقوم شريعة صالحة إلا احدث الشيطان ازاءها بدعة يأوى اليها الخارجون على نظام الشريعة النافرون من تكاليفها الشفقون من نورها ، وقل أن تستقيم للبشر عقيدة دون ان يجادل فيها مضلل ، وأن ائتلفت جماعة إلا وجدت خوارج ، ولا عمرت مدينة أو قرية إلا كان فيها لصوص وقتلة ، وسواء أكان مرجع هذا إلى نقص فى معرفة الناس ، أو اعوجاج فى تفكيرهم ، أو خلل فى وجدانهم ، كان مرجعه فسادا فى نظام الجماعة أو عيبا فى تأليفها . هذا الخروج شر على كل حال ، وأعراض مرض فى النفس الفرد أو الجماعة .

وإذا تتبعت الشرائع المضللة ، والمذاهب الفاسدة التى ولدها الباطل وأماتها الحق ونصرها الشر وهزمها الخير ، وجدت من علاماتها أن تحط عن الأنسان عبء التكاليف وتقرب اليه مآربه وتفتنه فى شهواته وتنزل به إلى الأمور الحسية وتتوسل اليه بمطالب الجسد ، هذه المطالب أقرب إلى العامة واشباه العامة من ضعاف النفوس أسارى الجهالة .

حدثنا التاريخ أن رجلا من إيران اسمه مزدك دعا فى القرن الخامس الميلادى إلى اشاعة الأموال والنساء بين الناس فاستهوى بدعوته أو شاباً من العامة سارعوا إلى دور الناس ينهبون الأموال ويغتصبون النساء واستكان لهذه الدعوة قباذ ملك الفرس وغلب على أمره حتى جاء ابنه أنو شروان فبطش بالمفسدين ، ورد الأمور إلى نصابها ، وأعاد إلى القانون سلطانه وقتل مزدك وكثيراً من أتباعه فلقب لهذا نوشين روان (الروح السعيدة) . وزالت البدعة وامحى اثرها .

وفى أول القرن الثالث الهجرى دعا إلى هذه الفتنة فى إيران أيضاً رجل اسمه بابك الخرمى وانحاز اليه جماعة واعتصم . بجبال أرمينية ولبث عشرين سنة حتى فتح المعتصم بالله العباسى حصونه وفل جمعه وقتله . ونحل أخرى فى اجيال كثيرة .

ما دعا داع إلى مذهب باطل لا ينصره عقل الإنسان ولا يرضاه وجدانه إلا لبس دعوته بشىء من الاباحة يجذب بها الغوغاء ، ويستهوى بها الضعفاء ، تشابه فى هذا الماضى والحاضر ، والقديم والحديث ، وفى الانسان ضعف ، وللمآرب عليه سلطان . وللباطل وسوسة وخداع وللزور تلبيس وتضليل . ثم يأبى العقل الصحيح والوجدان السليم إلا أن يرفعا الإنسان إلى الدرجات التى تلائم الانسانية ويسمو به عن درجات الحيوانية وقد طلع علينا عصرنا هذا ، وقد غلبت فيه المادة وسيطرت عليه الآلية طلع بمثل هذه النحل الضالة فى الاشاعة والإباحة ، دعا فى الشيوعية إلى اشاعة المال وغير المال وحرموا الملك ، وأرادوا للناس أن يكونوا سوائم ترعى معا وترد الماء ، سواء ولكن لا إرادة لها ولا اختيار ، فهى طوع أمر الراعى ونهيه ، وهى مسخرة لهواه ورأيه . لها ان تتساوى فى المرعى تجوع فيه أو تشبع وتسمن أو تهزل وتسمد أو تشقى وليس لها من الأمر شىء .

ثم ينبغى أن يكن الشبه بين الناس والسوائم بمحو ما وعاه تاريخ البشر وجمعته البشرية من أخلاق وآداب ، وما امتازت به الإنسانية على طول الجهاد من فضائل . كل اولئك اوهام باطلة ، فى زعمهم ، وأباطيل ملفقة فى مذهبهم . فالإنسان حيوان له غرائزه فلتسيره هذه الغرائز كما شاءت ، ولكن فى حدود هذا المرعى الذى يسوم فيه وفى سلطان الراعى الذى لا إرادة إلا إرادته ، ولا رأى إلا رأيه ولا جبروت إلا جبروته .

ومن اتمام الشبه بين الإنسان والحيوان الأعجم أن تقطع صلة الإنسان بالمعانى العالية الخالدة معانى الحق والخير والجمال والبر ، وكل ما يسمو بالإنسان عن الحيوانية ، ويعلمه ان وراء الأجسام أرواحا ، ووراء هذه الظواهر بواطن ، ووراء الطعام والشراب للنفس الإنسانية مقاصد ومن أجل ذلك يسدون على الإنسان ينبوع الخير الأزلى ، ويحولون بينه وبين مطلع الضوء السرمدى ، ويريدونه على ان يكفر بالخالق ، وينكر كل دين ، ليطفىء فى قلبه كل نور ، وينضب فى نفسه كل خير .

إن العدل بين الناس والتسوية بينهم ، والبر بهم قد عرفتها

على محمود طه

عيناه منه شعره

للأستاذ أنور المعداوى

— ١١ —

تصفح المجلد الثانى من كتاب « وحى الرسالة » للأستاذ الزيات ، وقف عند الصفحة الخامسة والأربعين بعد الثلاثمائة ، واقرأ ماجاء بهذه الصفحة تحت هذا العنوان : « أرواح وأشباح ».

« على الضفة الشجراء من مصيف المنصورة عرفت على محمود طه ، وعلى هذه الضفة الخضراء من مربعهـــا قرأت « أرواح وأشباح » ، وكان بين اللقية الأولى للصديق وبين القراءة الأخيرة للشاعر إحدى وعشرون سنة .

كان حين عرفته فى إبان شبابه ، وكنت حين عرفنى فى عنفوان شبابى ؛ وابن آدم فى هذه السن ربيع من أربعة الفردوس لايدرك بمحدود الشعور ، ولا يوصف بلغة الشعر . فهو منضور الخلقة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لا ينشد غير الحب ، ولا يبصر غير الجمال ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك . وعلى ذلك كنا أيام تعارفنا وتآلفنا : هو على حال عجيب من مواس الهوى وما لابسها من ألوان وصور ، وأنا على عهد قريب من ترجمة (آلام فرتر) وما سايرها من أحلام وذكر !

قال لى صديق حسين ونحن عائدان من نزهتنا اليومية فى الشقة الخلوية من شارع البحر : مل بنا إلى قهوة (ميتو) أعرفك بشاب من ذوى قرابتى يرضيك خلقه ، ويطربك حديثه ، وقد يعجبك شعره . وكان شارع البحر كما هو اليوم متنزه المدينة ، وكان نصفه الغربى لا يزال مخطوطا بين النيل والحقول ، فلا ترى على جانبيه غير مماص القصب ، ومشارب الكازوزة ، وعرائش الكرم وألفاف الشجر تتفيأها هذه القهوة .

دخلنا القهوة فوجدنا فى باحتها بعض الاغريق وعلى إحدى مناضدها المتنزلة فتى رقيق البدن شاحب الوجه فاتر الطرف ، ينظر فى سكون ويقرأ فى صمت . فلما رآنا هش بقريبه ورف لى ،

الشرائع ووكدتها فى النفوس الاديان ودعا إليها كل مذهب صالح على ظهر الأرض ، ولكن الشرائع والأديان والمذاهب أرادت ان تمكن مع هـذه المعانى انسانية الانسان وحريته ، وان تشيع الأخوة والرحمة بين الناس ، وان تسمو بهم إلى أعلى الدرجات ؛ لا ان تحكم بهذه المعانى سوائم ترعى الكلأ وترد الماء مقهورة مسخرة لا تعرف فى الحياة إلا المرعى وعصا الراعى .

إن قوانين البشر كلهم — إلا قوانين الشيوعيين — تقدس حرية الإنسان وتبيح له أن يعمل ويجد ملء حريته ، وتحاول ان تحكمه بقانون من عقله ووجدانه وتمهد للناس سبيل السعى والتنافس ثم تنظر فتعطى من خسر من مال من ربح ، وتمنح من خاب من سعى من نجح وتأخذ من حصل لتطعم وتداوى وتعلم من لم يحصل . والبشرية عاملة للعدل والرحمة والأخوة والاشتراكية الحرة الصحيحة ساعية إليها فى نظام من الحرية والخلق والرحمة والبر .

فأما هذه الشيوعية التى تربى وراء حجب من حديد ، خشية ان يطلع الناس على فضائلها ومحاسنها فمبلغ علمنا بها أنها تشيع العداوة والبغضاء ،افقرت الأغنياء ولم تغن الفقراء ومبلغ علمنا بها انها تريد ان تهبط بالإنسان إلى مستوى الحيوان ثم تمكنه من المرعى .

ثم أمر لايزال المفكر فى حيرة منه حتى يهتدى إلى سره ، هذه الصلة بين جامعى الذهب ، وعباد المال فى تاريخ الإنسانية وبين المذهب الذى يحرم الملك والانتفاع برأس المال . اعنى الصلة بين اليهودية والشيوعية . ان اليهود كما يعرف الباحثون مآرب فى اشاعة القلق والفوضى فى العالم ، ولهم مقاصد فى هدم النظم دلت عليها كتبهم ونمت عليها أعمالهم .

فهذا الذى جمع بين عبادة المال وتحريمه ، وهذا الذى ألف بين اليهودية والشيوعية . فاعتبروا — روايا أولى الأبصار .

عبد الوهاب عزام

ثم كان التعارف . وطارحناه طرفا من الحديث ثم طلب إليه صديق أن ينشدنا بعض شعره ، فنشط لهذا الطلب وارتاح كأنما نفسنا من كربه أو خففنا من عبثه ؛ ثم قال فى سذاجة الريفى ووداعة الطفل : نشرت لى جريدة السفور هذه القصيدة وقدمتها بهـذه الـكلمة ... ثم أدى المقدمة عن ظهر الغيب وهم بإنشاد القصيدة . وكنت حين ذكر « السفور » قد أصغيت سمعى وجمعت بالى ، فلم يكد يفرغ من سرد المقدمة حتى صحت به :

— أأنت صاحب هذه القصيدة ؟

— نعم .

— وأنا صاحب هذه المقدمة .

عجيب ! !

كان ذلك فى سنة ١٩١٨ ، وكانت جريدة السفور يحررها يومئذ الأعضاء الأصدقاء من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وكان النظر فيما يرد على الجريدة من الشعر موكولا لصديق الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق ، ولى .. فألقى إلينا البريد فيما ألقى هذه القصيدة غفلا من الإمضاء، فقرأناها للاختيار ، ثم قرأناها للاختبار فوجدنا قوة الشاعر الموهوب تطغي على ضعف الناشىء البادىء ، فضننا بها على السل ، وصححنا ما فيها من خطأ ، وقدمت لها ببضعة أسطر تنبأت فيها بنبوغ الشاعر ، ونصحت له أن يرفد قريحته السخية بمادة اللغة وآلة الفن ، وأخذت عليه أن يكره قيثارة المرح على النغم الحزين واللحن الباكى وهو لا يزال فى روق الشبيبة كما يقول شعره .

ثم تعقبت بعد ذلك عليا : تعقبت آثاره ، وتعرفت أطواره ، وتقصيت أشعاره ، فإذا الفراشة الهائمة فى أرباض المنصورة ورياض النيل تصبح «الملاح التائه» فى خضم الحياة ، و«الأرواح الشاردة» فى آفاق الوجود ، و «الأرواح والأشباح» فى أطباق اللانهاية ! وإذا الناشىء الذى كان يختشب الشعر ويتسمح فيه ، يغدو الشاعر المحلق بجناح الملك أو بجناح الشيطان ، يشق الغيب ، ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة بالناس ، ويقضى بين حواء وآدم ! »

من هذه الـكلمات التى كتبها الأستاذ الزيات عن الشاعر ، ومن دراستنا الخاصة لحياته على ضوء صلتنا به وقراءتنا له ، نخرج بأن شاعرنا المصرى كان فى الفترة الأولى من عمره — أى وربيع العمر فى إبانه — كان صاحب شخصية انطوائية .. وبقدر ما كانت هذه الشخصية منطوية على نفسها فيما قبل الثلاثين ، كانت فيما بعد الثلاثين شخصية أخرى لا يكاد يربطها بالماضى صلة من الصلات أى أن على طه كان فى تلك الفترة الأخيرة من حياته صاحب شخصية انبساطية ! وكان حين لقيه الزيات ذلك اللقاء الأول فى حدود العشرين من عمره على أكثر تقدير ، وكان الزيات فى حدود الثلاثين على وجه التقريب . ولا بد من هذا التحديد لعمر الشاعر والـكاتب لنظفر بمفتاح جديد يكشف لنا عن أثر البيئة المادية والمعنوية فى تكوين هذا المزاج القاتم الذى قاد حياة الشاعر وفنه فيما قبل الثلاثين والذى وجه حياة كثير من الشباب الذين فطروا على رهافة الحس وإشراق النفس وتوقد العاطفة ، فى تلك الفترة التى كان فيها على طه فى إبان شبابه وكان الزيات فى عنفوان هذا الشباب ، وهى الفترة التى انتظمت الربع الأول من القرن العشرين .

يقول لنا الأستاذ صاحب الرسالة — وهو قول يؤكده حديث الشاعر عن نفسه ويؤكده شعره — إن على طه كان فى تلك الفترة الأولى من حياته « فتى رقيق البدن شاحب الوجه فاتر الطرف ينظر فى سكون ويقرأ فى صمت » .. وأنه أخذ عليه فى تلك الـكلمة التى قدم بها القصيدته المنشورة فى مجلة السفور ١٩١٨م إكراه قيثاره على النغم الحزين واللحن الباكى وهو لا يزال فى روق الشبيبة كما يقول شعره » . ومن هاتين الزاويتين نستخلص هذه الحقيقة الناصعة ، وهى أن شاعرنا كان واحدا من هذه الشخصيات الانطوائية الحزينة ؛ المحلقة فى كل جو قاتم وكل أفق حالم وكل سماء تتوهج بلهب الحنين والحرمان !

والحق أن هذا المزاج الحزين كان مزاج العصر أو طابع العصر أو « مرض العصر » إذا شئت أن تسميه ... وكان هو الروح المسيطرة على شباب تلك الفترة ممن رفت مشاعرهم ورقت خواطرهم والتهب منهم الخيال والوجدان . وإذا قلنا مرض العصر فإنما نعنى تلك الفترة التى خلقت جيلا من الشباب كان الزيات واحداً منهم وكان على طه ، وهو الجيل الذى صنعته بيئة خاصة ذات تربية خاصة وتقاليد خاصة وثقافة خاصة ، ذلك الذى يصفه الزيات أدق وصف ويعبر عن هواجسه وأحلامه وآلامه أصدق تعبير، فى هذه

الكلمات التي ساقها في معرض الرد على من سأله لماذا ترجم آلام فرتر ؟

« تسألني لماذا ترجمت فرتر ... والجواب عن هـذا السؤال حديث ، والحديث غداً سيكون قصة ، وليس يمنيك اليوم منها إلا ما نجم عنها : قال جيته يوماً لصديقه أكرمان : « كل امرىء يأتي عليه حين من دهره يظن فيه أن (فرتر) إنما كتبت له خاصة »

... وأنا في سنة ١٩١٩ كنت أجتاز هـذا الحين : شباب طرير حصره الحياء والانقباض والدرس ونمط التربية وطبيعة المجتمع في حس مشبوب يتوقد شعوراً بالجمال ؛ وقلب رغيب يتحرق ظمأً إلى الحب ، ونوازع طماحة ما تنفك تجيش ، وعواصف سيالة ما تكاد تماسك ... فالطبيعة في خيالي شعر ، وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة ! وكان فهمي لكل شيء وحكمي على كل شخص يصدران عن منطق أفسد أقيسته الخيال ، وزور نتائجه المثل الأعلى ؛ ثم غمر هذه الحال التي وصفت هوى دخيل هادىء ولكنه ملح ، فسبحت منه في فيض سماوي من النشوة واللذة ، وأحسست أن وجودي الخالي قد امتلأ، وقلبي الصادي قد ارتوى ، وحسي الفائر قد سكن . وتخيلت أن حياتي الحائرة قد أخذت تسير في طريق لاحب تنتثر على مدارجه نواضر الورود ، وترف على جوانبه نوافح الريحان ، وتزهو على حواشيه ألوان عبقر، وترقص على حفافيه عرائس الحور . وذهبت أسلك هذا الطريق السحري محمولا على جناح الهوى كأنني (فوست) على جناحي (ميفستوفاليس) حتى ذكرني الزمان الغافل فأقام فيه عقبة اصطدم عندها الخيال بالواقع والحبيب بالخاطب والعاطفة بالمنفعة ! على أنني بقيت على رغم الصدمة حياً ، ولا بد للحي أن يسير !

تطلعت وراء العقبة أنظر الطريق فإذا الأرض قفر والورد عوسج والريحان حمض والعرائس وحوش ... فشعرت حينئذ بالحاجة إلى الرفيق المؤنس ! ولكن أين أنشد ما أبغي وحولي من الفراغ نطاق مخيف ، وأمامي على أسنة الصخور أشلاء وجثث ؟ هـذه أشباح صرعى الهوى تتراءى لعيني ، وهذه أرواح قتلاه تتهافت علي ، وهذه سجلات مصارعهم بين يدي . فلم لا أحدو بأناشيدهم رواحلي ، وأقطع بمناجاتهم مراحلي ، وألتمس في مواجعهم لهواي عزاء وسلوة ؟

قرأت : هيلويز الجديدة، ورينيه، وأتالا، وأدولف، ودومينيك ، وماريون دلورم ، ومانون ليسكو ، وذات الكاميليا، وجرازيلا ، ورفائيل ، وجان دكريف ... وتوثقت بأشخاصها صلاتي، وتصعدت في زفراتهم زفراتي ، وتمثلت في نهايتهم الحزينة نهايتي ، ولكنهم كانوا جميعاً غيري ! نتفق في الموضوع ونفترق في الوضع ، كالنساء النوادب في مناحة ، تندب كل واحدة منهن فقيدها وموضوع الأسى للجميع واحد : هو الموت !

فلما قرأت « آلام فرتر » سمعت نواحاً غير ذلك النواح ، ورأيت روحاً غير هاتيك الأرواح ، وأحسست حالا غير تلك الحال ...

فنيت في « جيته » وقادني إلهامه وروحه ، وأهبت بلغة القرآن والوحي أن تتسع لهذه النفحات القدسية فأسعفتني ببيانها الذي يتجدد على الدهر ويزهو على طول القرون . ثم أصبح فرتر بعد ذلك لنفسي صلاة حب ونشيد عزاء ورقيـة هم ! ! كأنما كان « جيته » يناديها من وراء الغيب حين يقول في تقدمته لفرتر : وأنت أيتها النفس ... إذا أشجاك ما أشجاه من غصة الهم وحرقة الجوى ، فاستمدي الصبر والعزاء من آلامه ، والتمسي البرء والشفاء في أسقامه ، واتخذي هذا الكتاب صاحباً وصديقاً إذا أبى عليك دهرك أو خطؤك أن تجدي من الأصدقاء من هو أقرب إليك وأحنى عليك ! »

أرأيت إلى هذه الصورة التي رسمها الزيات لنفسه ولشباب تلك الفترة التي حددناها لك بالربع الأول من هذا القرن الذي نعيش فيه ؟ إنها صورة تنطبق على صاحبها كل الانطباق وتصدق على شاعرنا المصري كل الصدق : شباب يغلب عليهم الحياء والانطواء والميل إلى العزلة والولع بالخيال ، وبهذه الأسلحـة التي لا تقطع ولا تدفع كانوا يواجهون الواقع في معركة الحياة . وما أكثر ما كان الواقع يصدمهم بمرارته ويلفح شعورهم بقسوته فيرتدون عقب كل جولة من جولات النضال ونفوسهم مثخنة بالجراح .
كان الحياء يحول بين نوازعهم الوقادة وبين متعة الانطلاق ، وكان الانطواء يحول بين عواطفهم الجياشة وبين نعمة التحرز ، وكانت العزلة تحول بين رغائبهم الوثابة وبين فرصة الظهور، ويقف الخيال بعد هذا كله ليعترض طريق مثلهم العليا لأن المثل العليا لا يمكن

أن تتحقق على جناح الخيال ... ومن هنا وجد هذا المزاج القاتم وهذا الطبع الحزين ، نتيجة لهذه الحياة التي كانت تحيط بهم وهي خالية من أفراح النفس ومباهج الروح وأعياد الشعور ؟

لقد كان الجو الذي يعيشون فيه جو « الرومانسية الوجودية » أي جو الإحساس بالفراغ والسكون والفقر ، يعقبه جو الخلوة إلى النفس والطبيعة وهواجس الأحلام. هذه « الرومانسية الوجودية » التي أصابتهم « بمرض العصر » في ميدان الحياة قد دفعتهم دفعاً إلى جو « الرومانسية الفنية » في ميدان الأدب ، حتى أصبح المزاج القاتم لا يكلف إلا بالشعر القاتم ، والطبع الحزين لا يعجب إلا بالأدب الحزين ، سواء أكان ذلك في الإنتاج الأدبي المقروء أم كان ذلك في الإنتاج الذاتي والمنقول ... ومن هنا كان شعر على طه فيما ينظم شعر اللوعة والدمعة والأنين والحنين ، وكان أدب الزيات فيما يترجم أدب الحسرة والزفرة والبكاء والعويل ! وها هو الزيات يقدم إلينا مزاج العصر ممثلا في الربع الأول من هذا القرن عند ما كان يبحث عن نفسه ملتمساً لها العزاء والسلوة في قراءة لون خاص من القصص « توثقت بأشخاصها صلاته وتصعدت في زفراتهم زفراته ، وتمثلت في نهاياتهم المحزنة نهايته » وفي ترجمة لون خاص من القصص يرضى في نفسه تلك النزعة الملحة إلى الاكتئاب والانقباض والحزن !

وكان الجمهور القارىء من الشباب في تلك الفترة -- أعني الجمهور الذي يقتصر على القراءة ولا ينتج ، — كان لا يستهويه شيء بقدر ما تستهويه تلك القصص التي تحفل بكل لون من ألوان المأساة وتتصل بكل سبب من أسباب الفاجعة . وقد وجد الجمهور القارىء عند الجمهور الكاتب بغيته المثلى وزاده المنشود ، فأقبل في شغف بالغ ونهم لا يحد ، على « آلام فرتر » و « رفائيل » للزيات ، وعلى « بول وفرجيني » و « ماجدولين » للمنفلوطي ... وعلى كل إنتاج أدبي من هذا الطراز !!

وإذا أردت أن تبحث عن مقومات هذا المزاج المنقبض عند الشباب في الربع الأول من القرن العشرين فارجع إلى البيئة المادية والمعنوية فهي المسئولة عن صنع هذا المزاج ... لقد كانت بيئة الشباب في محيط الأسرة والمدرسة والمجتمع تبعث على الانطواء وتدعو إلى التكبيل بكل قيد من القيود ؛ فالتقاليد الموروثة تفرض فرضاً على الشباب بما فيها من نظم عتيقة وأساليب صارمة ، وكل عبث بهذه التقاليد عبث بقواعد الشريعة والعرف والآداب والأذواق حتى إذا خطر للشباب شيء من التجديد في وسائل العيش ومظاهر الزي وطرائق التفكير ، كان ذلك في رأي القائمين على أمرهم خروجاً على النظام وثورة على الاحتشام ، واندفاعاً إلى هاوية الغي والفساد وانحرافاً عن معاني الفضيلة ومناهج الأخلاق ! ! ... وإلى هذه البيئة يشير الزيات في مقاله من الصفحة الرابعة والأربعين من المجلد الأول لكتاب « وحي الرسالة » عند ما يقول: « وأنا في سنة ١٩١٩ كنت أجتاز هذا الحين : شباب طرير حصره الحياء والانقباض والدرس ونمط التربية وطبيعة المجتمع في حس شبوب يتوقد شعوراً بالجمال ، وقلب رغيب يتحرق ظمأ إلى الحب ، ونوازع طماحة ما تنفك تجيش ، وعواصف سيالة ما تكاد تتماسك » ..

وكانت بيئة انعدم فيها الاتصال الكامل بين الرجل والمرأة، حين وقفت التقاليد الموروثة وبقايا الحجاب الصفيق سداً هائلا وجداراً منيعاً بين الشباب من الجنسين ... وحرمان البيئة من المرأة وهي بهجة الحياة الكبرى ونبعها الدافق باللذة والجمال والحب ، كان له أبعد الأثر في خلق الرومانسية الوجودية والفنية في حياة على طه الأولى وإنتاجه الأول ، وكانت مصدراً عميقاً من مصادر القلق الدفين والأسى الملح والشكاة التي تعلن عن نفسها في كثير من شعر « الملاح التائه » !

ولقد كانت المرأة أحد المفاتيح الكبرى لشخصية هذا الشاعر المصري ، شخصيته الأدبية والإنسانية فيما قبل الثلاثين وفيما بعد الثلاثين وكانت نقطة التحول بين شعر وشعر وبين حياة وحياة !!

(يتبع) أنور المعداوي

حكمتى

للاستاذ عبد الفتاح الديدى

لكل إنسان حكمته الخاصة التى ترشده فى حياته وتنير له سواء السبيل ، ولكل فرد من الأفراد المثقفين نوع من الإيمان وضرب من ضروب الاعتقاد الذى رسخ فى ذهنه ، وانطوى عليه باطنه ، واطمأنت إليه نفسه . وإذا قلت إن كل إنسان له حكمته فإنما أريد بذلك أن أتحاشى الكلام فيما يسمونه بالفلسفة الخاصة لدى كل واحد من أبناء آدم حتى ولو كان من رجال الشارع ، إذ لا يوافق الكثيرون على الزعم القائل بأن كل واحد له فلسفته ، فاذا جئت الآن لأقول عن كل واحد من الناس إن له حكمة يستوحيها فلا خطأ فى كلامى ولا جناح على ، لأن الحكمة أخف بكثير من الفلسفة وأقرب إلى قلوب العامة وأشد اتصالاً بالحياة اليومية وتنتج فى العقول بسبب الخبرة التى يجدها الشخص والتجارب التى يمر بها أثناء معاشه فوق ظهر الأرض .

وأنا شخصياً لى حكمتى ، أستوحيها فى الظل وأتملاها فى النور وأستأنس بها من وحشة الليل وأمشى فى الحياة بهديها ورضاها ، وهى حكمة غريبة عن كل هذه الأفكار والمشاعر التى عهدناها حتى الآن ، هى شئ من الواقع قبل أن تكون لوناً من الخيال؛ وهى صورة من الحياة قبل أن تكون أملا فى الحياة ، وضممتها فى صدرى قبل أن أمر بها على خاطرى ، وطويتها من قلبى ووجدانى حتى إذا ما تفتح عليها العقل ، ونبض بذكرها الفكر ، عاشت مجنحة ولكن فى اطمئنان، ومضت قلقة ولكن فى وثوق، وانطلقت منى باحثة عن الأوضاع المستقيمة بين صرامة المنطق وغواية العاطفة .

هى حكمة أحياها بنفسى ولا أقتصر على التفكير فيها بالعقل ، وأضمها إلى صدرى دون أن أطفىء حرارتها بالتشريح والتفسير ، وأتقبلها باسم الثغر وامق الفؤاد مستيقظ الضمير ، ومن أجل هذا لا أرضى بها البديل ، وإن جل البديل، ولا أتحول عنها إلى سواها مهما تكاءَدت من أمامى خطى السير ومهما تطورت فى عقلى أساليب الفكر والبحث . ولا أحب أن أضعها موضع التقديس، فلا أتأملها وأنظر فى أمرها ، ولا أرضى أن أخلطها بمعاش إلى الحد الذى تصير فيه محلا للابتذال . هى قدسية فى نورها أرضية فى صورتها ، ملائكية فى سحرها طبيعية فى هواها ، إن أنس كل شيء فلن أنساها وإذا تسربلت بالهم فهى وحدها سبيل الهداية والرشاد .

فأنا أجرى على نفسى قواعد حكمتى وأخطو فى حياتى بما تمليه على من الضرورة والحتم، ولذلك جاءت حكمتى بنتاً للواقع والظروف وبناء من أبنية الزمن والأيام ، بل لعل ذلك هو السبب فى أنها قد جرت فى دمى ، ونبضت دقات قلبها فى عروق ، واهتز لها خاطرى واستبشر بها محياى . عشت منها كما عشت لها واستضأت بنورها فى الوقت الذى غذيتها فيه بنار قلبى وثورة روحى، فأحببتها حب العاشق الموله للحبيبة الغالية ، أو حب الزاهد المتعبد لجلالة الرحمن . أستنشق من عبيرها خطوط سيرى أثناء التقدم والتصعيد فى الجبال الشامخة ، وأتغذى من هالتها فى خاطرى أثناء جوعى وحرمانى إبان الكفاح والتشريد ، وبعبارة صريحة موجزة هى كل شيء فى ، وكل عمل يصدر منى ، وكل فكرة تخطر على بالى .

ولذلك أحرص أشد الحرص على ألا أدعها تطير من يدى ولا أتركها بين براثن المقادير من غير أن أرعاها وأتعهدها ، فهى تحيا بى كما أحيا بها، وهى جزء منى أشعر بامتلاكى لها وسيطرتى عليها، أتنفس من شذاها وأستقى من ضروعها وأعتصر ساعاتى كلها حتى تخلص لى فيها وأفرغ لها منها . وهى عادية جداً بحيث تخطر على بال الفلاسفة وغير الفلاسفة وبحيث تعرض للتافهين والعظماء سواء بسواء ، ولكننى أخصها بنوع من الاحترام والتقديس الذى يحملها فى خاطرى ذات مكانة ، ويضعها بين مراتب اعتقادى فى أولى الصفوف ، هذا فضلا عن أننى خبرتها فلم تخيب لى أملا ، وامتحنتها فلم تفسد على رجاء ، واعتمدت عليها فلم تضيع لى أمنية . إنها صريحة لى كإنسان فاشل يحتاج إلى العزاء والرثاء ، ومهبطة من غرورى عند الكسب والنصر ، فتنفع عند الشدة والرخاء معاً ، وتدلنى على الوضع الذى يلزمنى وعلى الظروف التى تلائمنى وعلى المكان الذى يناسبنى ، فأمضى إليه غير حاسب حساباً ودون ما أضع أمام عينى اعتباراً .

وأنت تعلم أن رأى الإنسان جزء من كيانه العام عند التحدث

وعند إتيان الأفعال ، بل يمكننا القول بأن الرأى فى دماغ الإنسان بمثابة عضو كامل فى تكوينه الجسمى وله من التأثير مثل ما لبقية أجزاء البدن ، ولذلك أثور عند سماع الرأى المضاد كما أفعل تماماً عند ما تلدغنى الحشرة السامة فى بعض جسمى ، ولعلى أنفعل من الوقوف على الرأى المخالف لرأيى أكثر من انفعالى للنكبة الهابطة والمصيبة النازلة ، ويصعب على أن أحول وأبدل فى آرائى وأن أكيفها حسب الظروف . فالرأى من دماغ الإنسان كالساعد فى جسم الإنسان يستحيل ألا يؤثر فى ولا يمكن الرضا من إيذائه وإيقاع الضر به ، وفى الوقت نفسه يصعب على أن أغير من شكله أو أبدل فى منظره ، والساعد ساعد إلى الأبد ولا يمكن أن يأتى عليه يوم يصير فيه ساقاً أو استغنى فيه عن خدماته فأبتره بتراً ، كذلك فى الرأى الذى أدين به والفكرة التى أعتنقها والحكمة التى ينطوى عليها بالى ، فهى مشدودة إلى كيانى شداً ومرتبطة بى ارتباطاً لا ينفع معه التقطيع والتجزىء والإبعاد .

وأنا أعلم أنه لا يليق بالمفكر إطلاقاً أن يكون على هذا النحو من الجمود الذى أصوره فى الفقرة السابقة ، وأدرك تماماً مقدار ما ينبغى أن يكون عليه الانسان المثقف من المرونة فى آرائه بإزاء الأحداث ، وأنا واثق بعد ذلك من أن الانسان يرتقى فى تكوينه ونشاطه العقلى بارتقاء ملكته فى الانتقال من رأى إلى رأى وبمقدرته على التلون فى فكره كلما كان ذلك لازماً . ولكن ما أعتقده وأومن به شىء وما هو واقع بالفعل شىء آخر ، فما لا شك فيه أن الانسان يجد الصعوبة فى محاولته التنازل عما سبق أن آمن به وأعتقد فيه وتحمس له وأنه من الضرورى أن تتوفر لديه كمية كبيرة من الطاقة النفسية والمجهود السيكولوجى حتى يتغلب على حنانه بالنسبة إلى تفكيره القديم وحبه للرأى السابق وتشيعه للمبدأ القبلى .

فالرأى الذى يدين به الانسان ليس مجرد خاطر فى بال أو بادرة فى الدماغ وإنما هو دم يسرى فى الكيان بأجمعه حتى ليصير بمضى الأيام جزءاً من الكل وبعضاً من المجموع . واخطر شىء هو ألا نُرعى آراء الناس ومعتقدات الجماعة أية أهمية أو أن ننظر إليها نظرة عادية بسيطة ، إنهـا أهم من العناية بالصحة وأوقع فى النفس من التكوين الظاهرى ، ومن هنا نقول إن كل احتقار يصدره الفيلسوف أو المفكر للآراء الجماعية مصنوع ومفتعل بناء على ما نراه بالعين أو نلمسه باليدين من التأثير الواقع فى حياة الناس ونتيجة للانقلابات الباطنية داخل الفرد ذاته ، فالحياة العامة إنما هى نتيجة حتمية لما تكنه النفوس على صنوفها من الايمان والتقدير ، بل إن الرأى ليؤدى إلى مظاهر عديدة من ناحية العلاقات بين الأفراد ، فهـذا يقتل ذاك الإيمان فى قلبه بالخيانة وهذا يسفك دم ذاك لأنه اعتدى على عقيدته فى الله أو سب إيمانه بالقبيلة والأسرة أو لمن إنساناً من ذوى قرباه وذوى حماه .

فأفعالنا فى الخارج إنما تنتج عن اعتقاد فى الداخل أو عن الايمان الباطن ، وإذا كنت مهتماً بحكمتى إلى هـذا الحد فلأننى أعلم مقدار تأثيرها فى كيانى ومدى سيطرتها على أعمالى . وأرى لزاماً على كل إنسان أن يلائم بين نفسه وبين البيئة التى يحيا فيها عن طريق الحكمة التى يعتنقها والفكرة التى يغرسها فى عقله غرساً . كل فرد منا يعنى عناية خاصة بغذائه وملبسه وعلمتنا المدنية ضروبا من الفن فى الأكل وعودتنا طرائق شتى فى الكساء . ومن ثم كانت حياتنا فى مظاهرها المختلفة ناشئة عن أذواقنا المتأثرة بالضرورات والبدع الجديدة ، ولكننا لم نستطع أن نستفيد من الاتجاهات الفكرية العامة ولم نقو على تأسيس عقلياتنا تأسيساً فنياً ومن هنا ترانا مسرعين فى كل ما يهمنا أمره من ظاهرات المجتمع ومتقدمين تقدماً مادياً ملموساً فى كل منحى من مناحى العيش ؛ أما فى العمل الذى ينشد خلق المواطن الصالح وإيجاد الانسان المتمدن من ناحية تفكيره وثقافته وذوقه فلا نزال فى الحضيض أين منا الذى يعنى بقلبه وعقله كما يعنى بصنوف الطعام التى يحشو بها جوفه وأين منا المتأنق فى قراءته بجانب تأنقـــه فى اللبس والهندام ، إننا أحوج ما نكون إلى روح عامة تهزنا من الباطن قبل أن تبدل فى الشيات الظاهرة وتعمق الأحساس والذوق قبل أن تجمل الصور الشكلية فى حياتنا .

فقد آن الأوان كيما نعنى بآرائنا ومعتقداتنا الخاصة وكيما نفرد لحكمتنا قسطا من العناية والرعاية . ويكفى أن نعرف أننا نعيش بالأفكار والحكمة مثلما نعيش بالغذاء والكساء حتى نبذل من لدنا كل ما نملك من أجل اختيار الرأى الذى نملأ به رؤوسنا والخاطر الذى يجول بأذهاننا . ولابد ، منذ هذه الساعة التى نحدد فيها مستقبل الأمة عن طريق ما نصنعه بأيدينا من الفعال ، أن

نهتم اهتماماً خاصاً بالفكرة والحكمة الفرديتين بوصفهما منبعا لما نأتيه من الفعال ومصدراً لكل ما يخرج إلى العالم الظاهري من الحركات .

ومن مظاهر الاهتمام والعناية بالحكمة الفردية لدى كل أحد أن يباعد بين نفسه وبين البواعث التي يرى فيها ضررا برأيه والمؤثرات التي يحسبها مودية بمعتقده ، فلا يجالس إلا من يجد فيهم غذاء لروحه ويلمس عندهم متعة لقلبه ووجدانه ، ولا يخاطب غير أولئك الذين يرتفعون به ويضيفون إليه . ولاشك أن التجربة لمظاهر الحياة المختلفة على قدر كبير من الخطورة في التأثير الفردي ، ولكن الذي لاشك فيه أيضا هو أن مظاهر الحسن في الحياة أندر من مظاهر الدمامة ، وأن الشعور بالقوة والجمال أقل من الإحساس بالتفاهة والاعتياد ، وأن ما يلزم الإنسان في حالة تصديه لما يشبع طموحه من الروائع أنفع للانسانية من تلك المواطف التي تقوى على مقابلة الابتذال والتطفل ، والتي تستطيع أن تنفذ خلال الظروف المملية والحالات الشائهة . فحاجتنا إذن إلى العاطفة التي تصحب إحساسنا بالمتع الجمالية ، وتصرفنا عن منغصات الواقع المبتذل أهم في الآونة الحاضرة من المشاعر التي تلابس في نفوسنا كل خطورة نمر بها وكل تجربة ساقطة نتردى فيها . ولا يأتي هذا من اعتقادنا في الجانب الخيري الذي يسمى بعضنا من أجله في الحياة ، وإنما لأهمية تعمق الإحساس لدى الأفراد ، ولضرورة العناية بالأذواق ، وللزوم النواحي الجمالية في معاشنا . فما يقوله الشبان الذين يريدون الإقبال على كل تجربة مهما كانت تفاهتها ومهما كان ابتذالها ورخصها من أجل أن يتبينوا بأنفسهم مواطىء الشر فلا يقربونها وأن يحسوا بلذة الخير فينشدونه ، لا يحقق شيئا ولا يؤدي إلى نتيجة حقة ما دمنا حتى اليوم لم نقم شعورا جماليا ولم نؤسس ذوقا فاهما ولم نبن روحا متوثبة لدى الأفراد . فلننشىء أولا مظاهر الجمال ودلائل الروعة والبهاء ، حتى إذا جاء نصر الشيطان كنا على أهبة للقائه وكنا على استعداد لأن نرحب به ، فيقيم بيننا ما تيسرت له الاقامة وينصرف عندما يشعر بأنه لم يعد عن التنصرف بعد .

ليس هذا هو كل شيء في الأمر ، وإنما هناك شرط آخر لتكوين الحكمة الفردية وأعني به أن تكون لدى الناس مقدرة على التمييز المستقل بحيث يختار كل واحد لنفسه مايهمه أو مايلائمه بغير ما إملاء ولا سيطرة . فأهم ما عتاز به حكمتي تلك التي حدثتك عنها هو أنني قد انتقيتها انتقاء وفضلتها تفضيلا ذاتيا خالصاً . وهاهنا أيضا لابد من الاشارة إلى ضرورة التحصيل والتلمذ ، ومن توكيد أهمية الأخذ عن الغير في كل مراحل الحياة بلا اختلاف . ولكن المهم — حتى عند التأثر بالآخرين في الرأي والفكرة — أن يكون لدى الانسان محك يقيس إليه ومحور يدور حوله . كن تلميذا إلى الأبد ، فهذا يفيدك ولا يجني عليك إذا لم يمد عليك بأخصب الثمار ؛ ولكن لا تكن فاقداً للتمييز فيما تحصله ، ولا تجنى بعينيك مقفلتين . وبذلك تمتزج في قلبك عوامل السلب والايجاب ، وتتمخض روحك بمضي الأيام عن حكمة صائبة فريدة . ولا نريد بالحكمة الصائبة حكمة صحيحة على طول الخط ، وإنما نقصد منها أن يكون رأي الانسان مناسبا للمقام ملائما للوضع مبلغا إلى الهدف . أما بالفريدة فنعني أنها تكون خاصة به دون سواه من عباد الله ، فلا يشاركه فيها أحد ولا يقاسمه اياها إنسان .

والحق أنه من الضروري ألا تكون المبادىء والآراء أبدية أزلية لا يصيبها الكسر والتغير ، لأن العقلية المتفتحة والذهن المستنير لا ينقفل أمام شيء كما أن النفسية النشيطة تستطيع أن تفرز في كل مناسبة من الطاقة ما يمهد للهزة الباطنية التي تساعد على التحول من رأي إلى رأي والانتقال من حكمة إلى حكمة . فأهم ما تتصف به الحكمة الشخصية هو المرونة بإزاء المظاهر الحيوية . وظاهرة التكيف كما نعلم هي أرفع صفات الانسان وأخطر المظاهر البشرية ومن هنا حاول العلماء المحدثون أن يستفيدوا منها كما ينبغي . ولا يتعارض هذا مع قولي قبل الآن من أن حكمتي لا تتبدل ولا تتحول . فهي فعلا كذلك من ناحية الظاهر أما المضمون أو المحتوى فهو متقلب فائر مع تقلبات الزمن وفورة الأحداث .

وتلاحظ حتى الآن أنني لم أشرح فكرة معينة تحتويها وتتركب منها حكمتي ولم أحاول أن أقوم بعرض جملة من الأنظار التي أعتنقها وأدين بها . وقد عنيت أن أنتهي على هذه الصورة لسببين : أولهما ما قلته لك من أن شرط الحكمة الأصيل هو ألا تكون محلا للتأثر وأن تكون ناتجة عن ظروف صاحبها نفسه

صور من الحياة :

خاتمة قصة

للأستاذ عمر عودة الخطيب

« كتب الأستاذ كامل محمود حبيب فى الرسالة الغراء(١) قصة امرأة خانت زوجها الذى أحبها ، وحدب عليها ، ولم يستمع لنصيحة أبيه الشيخ بها ، وترك الأستاذ الفاضل بطل القصة ذلك الزوج الخائب حائر النفس قلق الفؤاد ، لا يستطيع أن يلقيها إلى الشارع مخافة أن يحرم أولاده الأمان والسعادة والراحة ولا يستطيع أن يستبقيها لديه وقد خالفت إلى غيره وطعنته فى قلبه وشرفه وقد دعا الأستاذ قراء الرسالة أن يبعثوا إلى هذا الحائر المعذب بأشعة من الرأى السديد والفكرة الصائبة ، لعله يتبين على ضوئها الطريقة السليمة والخطة الحكيمة وقد رأيت أن أسهم فى الحديث عن هذه القصة المؤثرة ، فجعلت رأيى فيها خاتمة لها ، فلعل بها تحل هذه العقدة العسيرة ويتنهى هذا الصراع الأليم ولعلها بعد هذا ترضى الأستاذ الفاضل كاملا وقراء الرسالة الغراء . »

قال لى صاحبى : وعشت أياماً شداداً ، أقاسى فيها حسرة الندم ، ولذعة الألم ، أتتجم مواطن الخلوة ، وأتجرع مرارة الخيبة وانطويت على نفسى ، وحرت فى أمرى ، وعزفت عن الدنيا والناس وأصبحت حليف القلق والأسى ، وكنت كلما رأيت عدوى الخائنة يتفجر السخط فى قلبى ، ويخيم المقت على روحى . .

وكنت كلما رأيت أولادى ، أحس بقلبى يكاد يختنق بأشجانه، وبروحى تكاد تفارق جسدى ، فتلك عدوة لابد منها لهم … ولكن … كيف لى بالاحتمال وأوحال العار تلطخ بيتى ! . وإنى لأرى كل شىء فى البيت يثب فى وجهى ثائراً محذراً … ويلتاه ! . انها حليفة الشيطان الرجيم ، وقطعة من نار الجحيم ، فماذا أصنع ؟!. ولم أهتد إلى الرأى السديد والحجة الواضحة ، وكنت كمن ألقى به فى لجة صاخبة ؛ وأمواج هائجة ، وقد أثقلته النكبة ، وأذهلته الصدمة ، فزاغ بصره ، وضاع صوابه ، فرحت يا صاحبى ـ أصارع الهموم والأحزان ، وأدرأ عن نفسى هذا البلاء واسعى إلى الخلاص دون أن أصل إلى الشاطىء . . . الشاطىء الذى يريحنى من هذا القلق الشديد ، والحيرة القاتلة ، وينقذنى من هذه اللجة الصاخبة التى غمرتنى أمواجها فكدت أغرق بها… وكنت كلما خلوت إلى نفسى ـ وما أكثر ما أخلو إليها ـ ادير فى رأسى أفكاراً شتى ، وتتنازعنى آراء جمة ، فتارة يدلى لى العقل بالرأى الصليب ، والأمر الشديد ، فيجزع قلبى وينهار . . وطوراً تترجم العاطفة عما فى القلب من حنان ورقة . . فأكاد أستسلم للواقع رعاية للاولاد الأحبة ، ووفاء للحب القديم ، فيسخط العقل ويثور ويهدد . . وأنا ـ يا صاحبى ـ ميدان هذا الصراع ، تنهبنى هذه الأفكار ، وترس فى روحى هذه الوساوس …

(١) فى العددين ٨٦١ و ٨٦٦

من غير إملاء ولا سيطرة . فالحكمة هى حكمة صاحبها وحده ويستطيع بنفسه أن يتوصل إليها ، وأن يباشرها بإرادته … والسبب الثانى هو أن مجال الاطلاع على آراء الناس ومعتقداتهم متاح لك فى كل كتاب يبغى الاصلاح ويريد الارشاد ويعمد إلى التوجيه . أما سبيل العناية وطريقة المحافظة على الآراء الفردية فقلما يطرقها كاتب . ولذلك حاولت أن أقدم لك شيئاً متصلا بالصورة والشكل الخارجى فى الحكمة ولا يتعداه إلى المضمون والفحوى . وأعتقد أننا محتاجون إلى من يشعرنا بكرامة العقل أكثر من احتياجنا إلى من يملأ العقل ، وأن المناهج تلزمنا أكثر من المواد . أو بعبارة موجزة إننا أشد حاجة إلى البطاقة المكتوبة على زجاجة الدواء منا إلى الدواء نفسه .

حكمتى … ها أنذا أفتح لك عقلى فاكتنى به ، وها أنذا أنير لك السبيل إلى ضميرى فادخليه ، وارع قلبا هام بالقداسة قبل أن يرتمى فى أحضان الرذيلة … ولا تأخذى عليه أخطاء المجرم القاصد ولا تحاسبيه حساب الفاسد المطبوع ، بل أنظرى إليه كما تنظرين إلى الشخص المنكود الذى يطيش السهم فى يده وتفلت المقادير من بين أصابعه فلا تترك له غير ذل العبرة وكيد الماضى ومرارة الذكريات .

عبد الفتاح الديدى

يقول لى القلب ـ وآه من هذا القلب ـ أنها ـ يا صاحبي ـ نجية نفسك ، وترب روحك ، وضياء بيتك ومهوى فؤادك ، . . . أجل حبيبتي ، أنا قلبك الرقيق الوفى . . ذقت معها مذ عرفتها أطيب ساعات العمر ، وأحلى أيام الشباب ، ألم تكن تحزن لحزنك وتفرح لفرحك ، وتغمرك بحنانها وعطفها . وتشيع فى روحك الأنس والنور ، وفى بيتك السعادة والجمال . . أنسيت يوم التقيت بها فى حديقة الأندلس ، وكنت مهموم النفس ، ضيق القلب ، برماً بالحياة وبالناس ، تشعر بالحرمان يملأ عليك دنياك ، والظلام يسد دروب حياتك . . فلما مدت يدها اليك لتصافحك ، تبدل يأسك أملا ، وظلامك نوراً ، وضيق نفسك رحابة وسعة ونشوة . . ورأيت فى الزهر تلك الساعة معنى ابتسامتها الجميلة ، وفى النهر الرائق صفاء روحها الوادعة . . أتذكر حين جلست بجانبها على ذلك المقعد الوثير ، والنسيم الجميل يداعب صفحة النيل ، ويهز أعطاف النخيل . . والشراع الحالم يشق الماء برقة وهدوء . . لقد كانت يدها فى يدك ، وروحها تمازج روحك ، حين قالت لك بلهجتها الحلوة الساحرة : انى اشعر ـ يا حبيبى ـ بأن قلبي كهذا النهر وانت الذى تداعبه وحدك ، فيخفق لك حين تنشر عليه شراع قلبك وظلال روحك . فابتسمت وقلت : ولكن ما قيمة الشراع من غير هذا النهر !! وذهبتما معاً فى أحاديث عذبة ، وعواطف رقيقة ، اتذكر . . اتذكر . . أم أن نزوتها الطائشة وخطيئتها الأخيرة ... هذه السحابة السوداء الصغيرة ، قد أخفت وراءها تلك الشمس الساطعة ، وهاتيك الأنوار الزاهرة ... وعفت على تلك الذكريات الحلوة ، والساعات الممتعة ... انها يا صاحبي رغم كل شىء تحمل لك فى قلبها الود الخالص ، وتغمرك بالحب العميق ... انها ـ رغم الخطيئة ـ حبيبتك وزوجتك ، فلا تتركها للايام ، ولا تكن قاسياً فى الانتقام ، فقد انزلقت قدمها وكادت تهوى إلى قرار سحيق ... أفليس من المروءة والوفاء أن تمد يدك اليها ، لتنقذها من الهلاك ، وتخلصها من أنياب الذئاب ... انك إن صنعت هذا بها رفعتها من الحضيض المظلم الوحش ، إلى دنيا من السمو والأنس والنور ... وان أنت القيت بها إلى الشارع فقدتركتها تهوى إلى قرار الجحيم ... جحيم الشارع الذى لا يعرف للانسانية والرحمة معنى ... انك بهذا تحطمها ، فتتحطم معها وتحطم أولادك ... فاستمع لندائى وأجب دعوتى فانى لك ناصح أمين ... وأذكر — أخيراً — حبك الماضى ، وأيامك الجميلة ، وذكرياتك السعيدة... وأذكر أولادك ، فلذات كبدك ، وأشعة روحك ...

وسمعت — يا صاحبي — إلى صوت القلب ، وأنا كاسف البال ، حزين النفس ، مشتت الفكر ، ومثل أمامى بجراحه الدامية يذكرنى بالماضى الجميل ، والأيام الحلوة ... فكدت أصغى إليه وألبى نداءه ، لولا أنه بدا لعينى ذلك الشبح الرهيب ... شبح الخيانة ... وهنا ـ يا صاحبي ـ رأيت العقل قد ضاق ذرعاً بفلسفة القلب فانطلق ساخطا يزمجر فيقول : دع عنك كل هذا ، وأسكت هذا الشيطان الذى ينفث سمومه على لسان القلب ... ولا تكن خائر العزم جباناً ... ان هذا البيت قد خلق ليكون جنة وارفة الظلال ، مورقة الافنان ، تشيع فيها السعادة ، وتغمرها الطمأنينة ، ويملأ أرجاءها الجمال ... جمال الروح ... وجمال القلب وصفاء النفس وطهارتها

وهذه — زوجتك الخائنة — ليست إلا أفعى تخفى وراء هذا الملمس الناعم والثوب القشيب الملون ، والرقة والهدوء — أنياباً حادة تقطر السم الزعاف ... وقد جاءت لتجعل من جنتك هذه جحيما مظلماً يزخو بالشرور والآثام ، ويمتلىء بالمردة والشياطين ... أنها — لو انعمت النظر — نار لاهبة اضرمها الشيطان بهذا الجسد الفائر ، فاستحالت إلى أتم محرق ... يلتهم الكرامة والشرف ؛ ويبدد الراحة والامان ، ويحطم بقسوة وعنف هذا الأمل الذى عشت عليه زمناً طويلا ؛ ورنوت اليه منذ أمد بعيد ... أجل — ياصاحبي — إنها تريد أن تلدغ شرفك الرفيع وتقوض عرشك المنيع ، وتبدل الألفة والمودة والصفاء ، بالمراوغة والنذالة والشقاء ... فلا تتردد فى طردها من جنتك ، قبل أن تحفر أوكارها ، وتميت ضحاياها ... أن لك أولاداً تحبهم ؛ وتسعى لخيرهم ، وتبذل من نفسك لاسعادهم ، فان أنت تركتها فى جنتك فقد حكمت على نفسك واولادك بالشقاء الدائم ، والعذاب الأليم : . وهذا مالا ارضاه لك ولا ترضاه لك كرامتك . فلا تبق هذه الافعى - ياصاحبي — لئلا تلد لك الشقاء والعار والنار ...

وأخيراً — ياصاحبي — مكثت أياماً تنهب لنفسي الوساوس والهموم ، وكدت اصعق من ثقل مالقيت . وحرت في أمر هذا الصراع ... الصراع المنيف بين القلب الوفي الرقيق بأبي — وهو يئن من جراحه — الان يستعيد ذكريات أيام الصفاء ، ليمحو بها مانقش في النفس من غم وضيق وألم دفين ... وبين العقل الذي يمسك بهـذا القلب فيصهره ويبهره ويصيح في وجهي ثائراً متمرداً : مالي أراك متردداً في تنفيـذ وصيتي ... وسماع رأيي ... دعني أذكرك برأي ابيك ذلك الشيخ الذي عركته الأيام والتجارب فأدلى لك بالرأي الصواب حين قال لك : « فاذا لم تصلك بزوجك صلات من القربى ، ووشائج من الدم ، عبثت بشرفك ، وفرطت في كرامتك ، وبددت ثمار كدك » قلت في لهفة « ولكني » قال « ولكنك تحب فتاتك ولا عجب فهي قد اغترتك عن نفسك ، وخدعتك عن عقلك ، وسحرتك عن صوابك؛ لأن المرأة المتعلمة كالثعلب تمكر بصاحبها حتى يقع في شبا كها ثم لا تلبث أن تذيقه وبال غفلته وحمقه » .

وهذه نبوءة أبيك قد تحققت ، وأن الأيام لتثبت لك أنك ما زلت بحاجة إلى يد تساعدك ، ورأي يعينك ، وأب ينصح لك ، ويشير عليك ، وإن كنت قد تملت وتجاوزت طور اليفاعة إلى سن الشباب . لقـد كان أبوك — يا صاحبي — بعيد النظر ، سديد الرأي ، ينظر من خلال تجاربه الكثيرة ، وشيخوخته الحكيمة ... وقد خشي عليك أن تعصف بك عاصفة من مكرها وسحرها ، وقد رأيته ليلة الزفاف ، وراعتك منه هذه العبرات الحائرة في عينيه ، وتلك الغلالة من الهم والضيق وقد كست وجهه .

قلت لنفسك (واعجباً ! أفكان أبي الشيخ يرى بعيني تجاربه أن من تحت قدمي هاوية سحيقة أوشك أن أزلق فأردى فيها فلا يمسكني إلا القرار) أجل والله — ياصاحبي — إنه لذلك وقد كان أبوك يشفق عليك من هذا المصير السيء ، وهـذا التردي الوبيق ، ألا فاعلم أن ما يراه الشيوخ بأبصارهم الكليلة ، ونظراتهم المستأنية لا يصل إليه الشباب بأبصارهم الحادة ، ونظراتهم السريعة ، لأن على بصر الشيوخ — وإن كان ضعيفاً — نوراً من الحكمة الرزينة ، والرأي السليم ، والفكرة الصائبة . وعلى أبصار الشباب — وإن كانت حديدة قوية — غشاوة من فورة الطيش ، وعبث القلب ، ونزوة الهوى .

. . .

قال لي صاحبي : وفي صباح ، يوم قارص البرد ممطر ، سمعت دقات خفيفة على الباب ، فعجبت من هذا الطارق البكر ، الذي سابق الشمس في البكور فلم تلحقه ، غير عابىء بهذا البرد الشديد والمطر الكثير ، والرياح العاصفة . ولكنه — يا صاحبي ... أبي قد جاء من القرية يزورني ، ويطمئن عن حالي ، بعد أن انطوى على ألمه وأحزانه وقلقه من هـذا الزواج الذي لم يرض به ولم يوافق عليه . أجل لقد فوجئت — يا صاحبي — بتلك الطلعـة المهيبة وذلك الشيخ الوقور يخطو نحوي ، مسلماً علي ، يعانقني ويقبلني ، وقد قرأ في وجهي ما أعاني في نفسي من قلق وأسى . فبادهني بالسؤال عن زوجتي ؟! — آه يا ويلتي . كيف أجيبه ؟! . وماذا أقول ؟! . أأقول . إنها . ولماذا أتردد ! ! . أليس هو أبي ؟ ! . فلماذا أكتم عنـه سري وأخفي عنه أمري ؟ ! . فقلت والأسى يعقد لساني ، والدمع يملأ مقلتي : إنها خائنة .

وذعر أبي ، وأخذته رعدة ، ورأيته قد أسند رأسه بذراعه ، شأنه حين يفـكر في أمر خطير وسكت . وخلت — يا صاحبي — أن الـكون كله يشخص بأبصاره نحوي ، ويحملق في بدهشة وتساؤل ، ويسخر مني ويهزأ بي ، ورأيت في هذا الصمت خطاباً مجلجلا يصدع الآذان ويرعب القلوب . ولما طال هـذا الصمت خلت أن قلبي يكاد يصمق وأن روحي تـكاد تزهق ، لولا أن أبي الشيخ قد أنقذني فرفع رأسه ونظر إلى نظرة حازمة صارمة يمازجها العطف والحنان . وقال : قلت لك — يا بني — وأعيد القول : « يا بني لست أخشى رأي الشباب في عقل الشيوخ . » أن المرأة المرأة — يا بني — لا تجد العقل إلا في الشارع » فدعها يا بني تجد هذا العقل الضائع . ولم أقل هـذه المرة : « وهي تجده في العلم وفي المدرسة وفي الجامعة » . ولكني قلت بمرارة وألم . وأولادي — يا أبي — إنهم أحبائي الأعزاء فـكيف أقتل السعادة والأمان في قلوبهم ؟! .

وهنا ثار أبي في وجهي قائلا : إنهم أولادك أنت وتستطيع

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٦)

«٢» مناهج الادلة لابن رشد

للاستاذ كمال دسوقي

وإذ فرغ فيلسوفنا من إثبات وجود الله يتناول مشكلة، فبعد تقرير الذات تأتى الصفات، وبعد الصفات الأفعال، وإن كان هذا التقسيم الثلاثى غير ظاهر تماماً كما أن تبويب الكتاب وتوزيع فصوله غير دقيق كذلك. وهو العيب الذى يعتور كثيرا من الكتب الإسلامية القديمة، والذى يحتاج معظمها من أجله إلى معاودة النشر بتبويب وتفصيل جديدين.

والذى ذكره ابن رشد من صفات الله سبع فقط يقول إنها التى وردت فى الكتاب – وقد سبق أن قلت لكم إن لله صفات أكثر من هذه تبلغ العشرين من حيث هى ثبوتية، ومثلها مما يقابلها من حيث هى سلبية (تجدونها فى كتب التوحيد) وكلها مؤيدة بالآيات القرآنية كالتى ذكرها ابن رشد. ولكن يبدو أن الفيلسوف لا يذكر من صفات الله إلا ما يتصف به الانسان الكامل كما يقول، وأول هذه الصفات العلم، الآية التى يستشهد بها على هذه الصفة تدل أقل ما تدل على أنه ما فى المخلوقات من براعة الصنعة ودقة الترتيب بما يوافق الغاية المرسومة لا يمكن أن يكون اعتباطاً – بل لابد من حكمة وتدبير مقصودين صادرين عن علم كامل. وعلم الله صفة قديمة كما هو قديم، وليس بصحيح ما يقول المتكلمون من أنه يعلم بالعلم القديم الشىء المحدث وإلا لكان علمه يتنوع؛ أو كان كالشىء تارة يوجد وتارة لا يوجد؛ وهذا ما لا يقتضيه الشرع لأن العلم المتغير محدث – وهو خلاف ما قررنا. والحياة بعد هذا شرط العلم؛ متى ثبت العلم تقررت الحياة وأمكن أن ننتقل مما قام عليه الدليل إلى ما لم يبرهن عليه بعد – ولا اعتراض لابن رشد على ما قال المتكلمون فى هذا. والارادة والقدرة لازمتان كذلك لصفة العلم التى سبق إثباتها بالأشياء المخلوقة – وما قيل فى العلم يقال فى الإرادة من حيث أن كون الشىء الآن ليس بإرادة قديمة كما توهم المتكلمون بل يجب أن يكون حدوث الشىء وقت إرادته؛ وعدم حدوثه رهناً بعدم إرادته كما تقتضى الآية «كن فيكون» ولما كان الموجود الواحد عالماً بما يفعل وقادراً

أن تكون لهم أبا وأماً، ومثل هذا فى الدنيا كثير، وأن الرجل الحق من يستطيع إن أصابه سهم من سهام الدهر، أن ينزعه بقوة وعزم، ثم يقف مرة أخرى ليكافح. فلا تترك للخور سبيلا إليك، فضمد جراحك ثم واجه الدهر بثبات وإيمان وصبر، دع الخائنة – يا بنى – تلق جزاء خيانتها، فليس أقدر على سحق الإثم والشر من العقاب. وأولادك!. ماذا كنت تصنع لو أنها ماتت؟!. كنت سترضى بالقضاء النازل وتتدبر أمرك.

ألا فاعلم – يا بنى – أن الخائنة ميتة فى قاموس الدين والأخلاق والكرامة. ولكن حذار أن يعرف أولادك عن أمهم شيئاً فى المستقبل – دعهم يعيشوا دائماً وإلى الأبد فى جهل بتاريخها. لئلا تخدش كرامتهم، ويعيشوا أذلاء. فإن سألوك عنها فقل لهم: إن هذه الأرواح – جنود مجندة، فما تعارف ائتلف، وما تناكر اختلف. ويشاء حظ أبيكم ألا يهتدى إلى الروح التى تأتلف إلى الأبد مع روحه، فكونوا أسعد حظاً منه، واستمعوا إلى نصيحتى، ولا تحيدوا عن مشورتى، ولا تخالفوا رأى شيخ كبير مثلى.» قالها أبى – ياصاحبى – والدمع يذرف من مآقيه. وعاد إلى صمته الطويل.

قال لى صاحبى: وهكذا كان فقد تركتها واستمعت إلى رأى الشيخ، وأسكت نوازع الهوى، وأعرضت من ظلال الأيام وصدى الذكريات، أرى سعادتى بين عملى وأولادى وأردد دائماً قولى أبى: «وهل تستطيع المرأة البرزة أن تحبس دم الشباب الفوار عن أن يصرخ فى عروقها صرخات شيطانية وضيعة، حين تجلس إلى الرجل فى غير رقبة ولا حذر؟!.»

القاهرة

عمر عودة الخطيب

على فعل ما يريد ؛ فإنه قادر أيضاً على مخاطبة من يريد والكشف له عما بنفسه — وهو الكلام — الذى هو أحرى بالله من الإنسان لكمال قدرة هذا وعلمه وإرادته والكلام إذا كان ولا بد بوساطة اللفظ ؛ فليس من الضرورى أن يكون لفظاً مخلوقاً فقد يوحى إلى من شاء من عباده بكلام نفسى ينكشف به المراد من غير واسطة كما فى آية إسراء النبى ، وقد يكلم فعلا بألفاظ يخلقها ولكن من وراء حجاب ، كما فى مناجاة موسى ؛ وقد يرسل ملكا أو رسولا فيوحى بإذنه مايشاء . والقرآن بهذا المعنى الثالث كلام الله الأزلى القديم ولفظه مخلوق لا يتعدى نصيبُ البشر فيه الحروف المكتوبة بإذنه — بمعنى أنه قديم معنى ومحدث لفظاً . وقد ذهب المعتزلة والأشاعرة مذهباً متضاداً فى هذا : قال المعتزلة إن الكلام فعل المتكلم ، وأنكر الأشاعرة ذلك . فانتهى هؤلاء إلى أن الكلام هو اللفظ ، وأن القرآن حادث ؛ وأولئك إلى أن الكلام النفسى أى المعنى المراد قديم أما اللفظ الدال عليه فحادث . وقد رأينا أن ابن رشد إلى الأشاعرة أميل وإن كان ليقرر أن بعض الرأيين حق وبعضه باطل . والسمع والبصر أخيراً من مقتضيات العلم الكامل أيضاً لأنها وسائل بعض المدركات الحسية التى لا يتم العلم إلا بها والتى تسوغ عبادتنا لعاقل مدرك جدير بالعبادة . وسواء أكانت هذه الصفات كلها زائدة عن الذات (بأن كانت معنوية) كما يقول الأشاعرة أو كانت هى والذات شيئاً واحداً (فيه‍ـمها حينئذ نفسية أى غير مفارقة) كما يقول المعتزلة ، فالذى يجب على الجمهور أن يعلم من أمرها هو مجرد الاعتراف بوجودها ؛ وهو ماصرح به الشرع فى نظر ابن رشد .

أما الفصل الرابع ففى الصفات التى يجب تنزيه الله عنها أى الترفع به عن أن يتصف بها . والآيات التى ذكرها المؤلف هنا يريد بها نفى مماثلة الله للحوادث أى نفى صفات المخلوقات عنه أو جعلها فيه على جهة أخرى بأن تكون أتم وأكمل ؛ يجب أن تعلوا بهذه الآيات الدالة على هذا النفى بقسميه : (١) نفى النقائص القريبة كالموت والنوم والنسيان والخطأ ؛ والبعيدة التى ترجع إلى أن « أكثر الناس لا يعلمون » كالقدرة والإرادة مما هو مشترك بين الخالق والمخلوق ولكنه فى الخالق أكمل وأتم . أما صفة الجسمية وإن كان مسكوتاً عن نفيها أو إثباتها ، وبرغم الآيات التى صورتها للحنابلة وغيرهم من هذا النوع الثانى ؛ فإن ابن رشد يرى ألا يصرح فيها بنفى أو إثبات لأدلة ثلاث واضحة ذكرها هو (ص٦٢ — ٦٣) يؤدى ثالثها إلى مسألتى الرؤية والجهة . وكذلك الحركة فيما يتعلق بموقف الحشر والحساب مما يرى معه ابن رشد ضرورة عدم التصريح للجمهور بنفى الجسمية — كما أراد الشرع — حتى لا تبطل هذه المعانى كلها فى أذهانهم فلا يصدقوا بها وهى من صميم الإيمان وإن أمسك عن تأويلها كما أمسك عن تأويل النفس والبرهنة على أنها ليست بجسم . فإذا كان لا بد أن نجيب على سؤال الجمهور : ما هو الله إذن ! فلنقل لهم إنه نور — كذلك هو وصف الله لنفسه ووصف رسوله له — هذا إلى أن النور أشرف المحسوسات اللائقة بوصف أشرف الموجودات ، وأن موقع الله من بصيرة المقربين كوقع النور من أعين الخفافيش ، وأن النور من الأشياء الملونة هو سبب وجودها بالفعل — كل هذه أدلة يحشدها الفيلسوف على ضرورة الوقوف عند وصف الله بالنور دون أن نخوض مع الجمهور فى نفى الجسمية عنه لكى ينقذ إيمانهم بالجهة والرؤية والحركة وغيرها من المعانى التى يشرع فى تفصيلها .

أما الجهة فيرى ابن رشد أنها وإن أنكرها المعتزلة قد أثبتها الشرع فى الآيات التى ذكرها . فمن الحقائق المقررة فى الأديان جميعاً كون الله فى السماء . ومنها تتنزل الملائكة بالوحى والكتب والرسالات وإليها كان الإسراء والمعراج . وليس يلزم عن إثبات الجهة ثبوت المكان فالجسمية كما يخشى المعتزلة (نفاة الجهة) فالجهة السطوح والأبعاد والأوجه وليست المكان . إذ المكان ما يمكن أن يشغله جسم ، ولا يكون السطح مكاناً لشىء إلا إذا جاوره سطح آخر يكون محيطاً به . ولما كان تجاور السطوح لا إلى غير نهاية ؛ فإن سطح الفلك الأخير ليس مكاناً ولا يوجد به جسم ؛ أو — إن وجد به شىء — فهو لا جسمى (ولا يكون خلاء ؛ لأن الخلاء حكمه حكم العدم — لا وجود له فى الواقع وليس أكثر من أبعاد فارغة لا جسم فيها إذا رفعت صار عدماً) والخلاصة أن إثبات الجهة لله واجب بالشرع والعقل ، وأن إبطالها إبطال للشرع (ص ٦٨ — ٦٩) حقاً إن إثبات الجهة مع نفى الجسمية مما يعسر فهمه ؛ ولكن هذه الشبهة لا يفطن الجمهور إليها ولا حاجة بنا إلى تأويلها . فإن أصناف الناس الثلاثة لن يجد جمهورهم وعلماؤهم مهنا

تشابها — أما الذين فى قلوبهم زيغ (وهم الأوساط فيما بين العامة والخاصة أى الصنف الثانى) فهم الذين يشكون فيضلون — وهم عند ابن رشد أهل الكلام والجدل (وعدتهم ٧٢ فرقة متأولة ضالة) أما الفرقة الناجية فهى التى سلكت ظاهر الشرع ولم تؤوله فى صراحة لعامة الناس كما فعل الخوارج فالمعتزلة فالأشاعرة فالصوفية وعلى رأس الجميع أبو حامد الغزالى (اعرفوا جيداً نقد ابن رشد لهذا الإمام فانه أكبر خصومه ص ٧٢ — ٧٣) فثل هؤلاء مثل من بدل الدواء النافع المفيد عموماً الذى وصفه الطبيب الأعظم بدواء تافه مستحدث يضر الأكثرين ، ويؤدى إلى الخلط والتشويش والإخلال بالشريعة والحكمة كليهما (٧٣ — ٧٤) .

والرؤية كذلك أنكرها المعتزلة لقيامها على الجهة القائمة بدورها على الجسمية ولكون المرئى لابد أن يكون فى جهة الرائى ؛ وأراد الأشعرية بين نفى الجسمية وإمكان الرؤية بالحس فجاءت أدلتهم متناقضة ومغالطية سواء منها ما عاندوا به المعتزلة وما أجازوا به رؤية ما ليس بجسم . ففى المقام الأول عاندوا قول المعتزلة إن كل مرئى فهو فى جهة من الرائى بأن هذا حكم الشاهد لا الغائب — أى المحسوس لا المعقول ، فهنا عند الأشعرية خلط ظاهر بين الرؤية البصرية والإدراك العقلى ، إذ الرؤية البصرية لا تتم إلا بالشىء اللون والحاسة المبصرة والأثير الشفاف . ودليل رؤية المرء ذاته فى المرآة الذى قال به الغزالى باطل لأن الذى يُرى هو الخيال فى الجهة المقابلة . ثم إن المتكلمين (الأشعرية) يدللون على إمكان رؤية ما ليس بجسم (٧٦ — ٧٧) بدليلين : أولهما ما يذهبون إليه من إبطال رؤية الشىء من حيث هو «جسم أو لون» إلى آخره ورؤيته فقط من جهة ما هو موجود — وينقض ابن رشد هذا بقوله إن اللون يُرى بذاته ، والجسم يرى للونه — ولو كان الشىء لا يرى إلا لوجوده لاختلطت الحواس وهو غير معقول .

وثانيهما دليل أبى المعالى فى «إرشاده» الذى ميز فيه بين ذات الشىء وأحواله وجعل للحواس أن تدرك الذات فقط أى الشىء من حيث هو موجود — أما أحواله وصفاته المشتركة فلا سبيل إلى أن يدركها الحس . وهذا الدليل يبطله ابن رشد أيضاً بمثل ما أبطل به سابقه من أن الحواس إذن تختلط وتصبح حاسة واحدة ... وإنما كانت هذه الحيرة لافتراض هؤلاء جميعاً نفى الجسمية وهو بعيد عن مقصد الشرع الذى شبه الله بالنور وهو محسوس . والنتيجة إذن أن الرؤية معنى ظاهر ، وأن شبهتها تزول بزوال شبهة نفى الجسمية .

والقسم الأخير من أدلة ابن رشد يتناول الأفعال الإلهية فى خمس أمور وأولها خلق العالم وهو يردد هنا ، كما فى كل مكان ، أن الأدلة لكى توافق الشرع يجب أن تكون بسيطة يمكن أن يسلم بها الجميع ، ومن أجل هذا تبطل أدلة الأشعرية التى سبق أن أتى عليها فى حدوث العالم ، فليست من مقصد الشرع فى شىء ، وحسبنا لكى نحقق مقصده بمعرفة أن العالم مصنوع لله ومخلوق لم ينشأ من نفسه ولم يوجد بمحض الصدفة ، حسبنا دليل العناية آنف الذكر ، فان موافقة أشياء العالم فى تفاصيلها وجعلها لكائناته الحية كالإنسان والحيوان لا يمكن أن تكون اتفاقاً وصدفة بل بل بإرادة وقصد . هذا هو الدليل الحق الذى إلى جانب كونه بسيطاً وقطعاً يقينا هو الذى نبه عليه القرآن (الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ... الليل لباساً والنهار معاشاً . وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً . وجعلنا سراجاً وهاجاً . بيان ما فى المخلوقات من ملاءمة ومنفعة . ومن هنا يبين فسادقول الأشعرية و بُعدهم عن مقصد الشرع باغفال عنصر الإنعام من الله على الإنسان (ص ٨٥) وعنصر ربط المسببات والأسباب لحكمة وتدبير ، فلا تخلو المسببات عندهم أن تكون بالصدفة والاضطرار لا بالأفضل والإجادة والإتقان ، فإذا علمنا أن المصنوعات لا تكون شريفة تماماً حتى لا يكون فى الامكان صنع أبدع منها ؛ فإننا لو أخذنا بغير ما يريد ابن رشد لم تكن للمصنوعات غايات معينة ، ونفى الغاية المحددة ينفى وجود النظام والترتيب وهذا ينفى بدورة المنظم والصانع الحكيم . أما سبب ضلال الأشعرية فى نظر ابن رشد فهو (١) خوفهم أن يجعلوا أسباباً فاعلة غير الله حتى ولو كانت تفعل بإذنه (٢) أو أن ينساقوا إلى الايمان بالقوى الطبيعية فلا يحسنوا الاستدلال على وجود الله . ومن هنا قالوا إن المخلوقات جائزة الوجود ليجعلوا خالقها مريداً . فأبطلوا الحكمة وافتروا على الله الكذب . ولما كان من العسير إقناع الجمهور بأن عقيدة الشرع فى العالم أنه محدث وأنه خلق من غير شىء غير زمان فان ابن رشد يرى أن نستعين بالتمثل والتصوير بالآيات التى تقرب المعنى إلى الأذهان (ص ٩٠)

(يتبع) كمال دسوقى

الأعمى

للكاتب الالمانى فردريك ويدسل

وصفت لى امى مرة منظر الشمس وهى تتعالى فوق الجبال ، فسرنى ذلك الوصف كثيراً فسألتها (ما الشمس يا أماه ؟) فقالت بصوت متأثر وهى تمسح بيدها على شعرى (اواه يا ولدى ! مهما وصفت لك الشمس فانك لن تتصورها كما هى ، دون أن تراها .)

(. . رباه لماذا حرمتنى نعمة الرؤيا ؟ لماذا ولدت أعمى ، ؟ اننى أريد رؤية الشمس التى أحس بحرارتها وهى تلفح وجهى ، افتح أجفانى — ولو مرة واحدة — لأرى الشمس ولأرى وجه امى ، ثم اغلقهما بعد ذلك ثانية !) ضاعت صرختى فى ادراج الرياح ، فبقيت فى عالمى المظلم الموحش ، أشعر بنعومة الزهور ، واشم عبير الورد ، ولكننى لا أعرف كيف أتخيل صورة الزهرة . فهى — كما يقولون لى — أحلى من عبيرها ، وافتن من نعومها .

حلمت ذات ليلة ان عيونى تفتحت . واننى صرت أرى نور الشمس ، وأرى صورة الشمس ، وشكل الزهور ووجه امى . فلما استيقظت وجدتنى لا أزال فى ظلام . ! وحدث بعد ذلك ان اتخذت امى كاربية ، اسمها (ميرى) ، وجدت بقربها بعض العزاء . فكثيراً ما أشجعتنى بأغانيها وألحانها ، و كثيراً ما أبعدت عن نفسى الهموم ، بأحاديثها فكانها . حتى كاد شوقى — إلى الشمس ، وإلى الزهور وإلى وجه امى — يزول ويتلاشى . . !

سمعت أهلى يتحدثون عن طبيب للعيون ، ذاع اسمه واشتهر أمره ، فى وقت قصير ، وقد علمت انهم سيأخذوننى إليه ، لعله يفتح اجفانى ، وينير عانيى ، فتنازعنى آنذاك شعور ان حبى لميرى وحبى للشمس ولوجه أمى وللزهر ، فوجدتهما متعادلين متكافئين وحين أخذونى إلى ذلك الطبيب ، وبدأ يفحصنى ارتفع صدرى ، وازداد ارتباكى . فقد شعرت كأنى على أبواب حياة جديدة ، واننى اولد من جديد ، فى عالم لم أره وإن كنت قد عشت فيه وسمعت عنه . . ! وبينما أنا فى أفكارى اتيه ، شعرت بألم قوى فى فصرخت مرتين . . مرة من الألم ، ومرة من الخوف . فقد عاودنى حلمى القديم ، فقد لاح لى كأنى رأيت النور . ! لكننى سرعان ما عدت إلى عالمى الأول ، فقد عصب الطبيب عينى ، فلم أعرف أكان حلماً ما رأيت أم حقيقة . فبقيت بعد ذلك أحيا حياة غريبة فيها أمل وفيها يأس ، وهى مع ذلك ملؤها التهيب والخوف !

حتى جاءنى الطبيب ذات ليلة ، وطفق يعالج عصابة عينى . . فإذا أنا أرى نجوماً تتلألأ عند الأفق . فإذا بى فى عالم جديد ، لم أحلم به ، فاجدنى مذهولاً ، أحول عينى يمنة ويسرى فأرى كل فذ عجيب . . ثمة خرائب أراها أمامى . فاسأل عنها فإذا هى جبال بعيدة ، تتعالى إلى السماء فى قلب الليل ، كالعمالقة التى وصفتها لى أمى . . وعلى مسافة خطوتين لمحت شيئاً كالشبح المقنع . . فسجدت ، مبتهلا إلى الله ، وفجأة تغير المنظر ، فرأيت فوق الجبال أشباحاً تصعد إلى الأعلى ، وفى وسط السماء نجوماً ترتجف خوفاً من الأشباح . . ولمحت خلفى مرآة مصقولة ، تنبعث منها أنوار ساطعة ، جعلتنى أحس كأن الله قادم إلى . . ! فارتجفت وارتعدت . .

رأيت ثمة ضباب يتكاثف أمامى بلا أن الأشباح مازالت كما هى ؛ تصعد إلى عنان السماء . لكن الانجم سرعان ما انطفأ بريقها ، وخبأ ضوؤها . . فاتخذت لها شكل الزهور ! وبغتة اندلعت اضواء من لهيب . . تجوب أطراف السماء . . فإذا فوق الغابة ألمح الشمس التى حلمت بها … حمراء ملتهبة . . ! فوضعت يدى على عينى ، وسقطت على الأرض ! . . . ولما أفقت كان النور يملأ الفضاء فرأيت — لأول مرة — العالم الذى عشنا فيه . . فالنجوم هبطت زهوراً على الأرض . جعل أحلى من عبيرها . . والنور يتفجر على الدنيا من كل جهة وكل صوب ! وفى الشجر ثمار حلوة ؛ وحول التلال عبير الزهور البرية … وفى الكرم تتدلى العناقيد كاللآلىء . وفى الجو تتطاير فراشات ، وتتطاير جلور ، وعصافير . . ومن آلاف الأفواه يتعالى غناء شجى ، يبتهل بأسمى المعانى إلى الله !

وفجأة سمعت من خلفى صوتاً كنت أعرفه ، فالتفت ، وإذا أنا أرى — لأول مرة أيضاً — وجه أمى ، ووجه ميرى رفيقتى فإذا فى عينيهما دموع تجول .

ايها الظلام . أرجع ثانية ، وخذنى بين احضانك مرة أخرى فانى لم أعد احتمل هذا النور . . وهذه العواطف ، وهذا الجمال .

المترجم

كارنيك جورج

الشعر المصرى فى مائة عام :

محمود صفوت الساعاتى

للاستاذ محمد سيد كيلانى

— ٣ —

وقال :

طلبوا السلامة من سطاه وسالموا   ملكا عليه عسيرهم لم يعسر
وقد استقالوا عثرة الحسن الذى   زلت به قدم الضرير المبصر
وتزاحموا حول البساط لينظروا   حرم الوفود وكعبة المستغفر

معنى البيت الأول جيد . وفى كلمة « عسير » تورية فهى اسم للبلاد الواقعة بين اليمن والحجاز . وتكون بمعنى الصعب من الأمور . ومعنى البيت الثاني جيد كذلك . وفى عجز البيت طباق بين « ضرير » و « مبصر » .

ومعنى البيت الثالث رائع لما أسبغ عليه من جو دينى .

وقال :

حتى إذا ثبتت بهم أقدامهم   نكسوا الرؤوس لذى المقام الأكبر

وهو جيد المعنى . وفيه طباق بين « أقدام » و « رؤوس »

وقال :

نظروا إلى ملك لديه كل ذى   ملك كبير كالأقل الأصغر

والمعنى تافه . وقال

ولو ان من قاد الجيوش إليهم   غير ابن عون عاد غير مظفر
إن كنت تجهل فعله فاسأل به   من شئته من أبيض أو أسمر
وسل الحجاز وأرض نجد والحا   عمن دحاها بالخيول الضمر

ومعنى هذه الأبيات وجيز . ولكن الشاعر أطنب لأن المقام اقتضى ذلك . وعبارة « فاسأل به » من ردىء القول . وكذلك « من شئته » .

وقال

ذلت له أسد الوغى من حمير   مذ أيقنت منه بموت أحمر
حتى إذا ما أذنوا بقدومه   هبط الإمام وكان فوق المنبر
وتسابقوا طوعا له فى مشهد   والكل بين مهلل ومكبر
سجدوا وقد نظروه شكرا للذى   خلق العباد وخاب من لم يشكر

معنى البيت الأول تافه . وفيه جناس بين « حمير » و « أحمر » . وفى البيت الثانى تلاعب بالألفاظ . فأذنوا بمعنى أخبروا . وتكون من أذان المؤذن . والإمام هو إمام اليمن . وقد يكون بمعنى الشخص الذى يؤم الناس فى صلاة . والمنبر بمعنى العرش . ويكون بمعنى الكرسى المرتفع الذى يخطب عليه الإمام فى المسجد . والمعنى فى حد ذاته تافه وهو أنهم ذلوا وخضعوا . ولكن الساعاتى أتى به فى صورة رائعة . وأراد أن يقول فى البيتين الأخيرين إن الأعداء قدموا طاعتهم فأسبغ على هذا المعنى ثوبا دينيا جمع بين التكبير والتهليل ، والسجود والشكر لله وقال .

كاد ابن يحيى أن يموت لرعبه   لولا تبسمه وحسن المنظر

وابن يحيى هو إمام اليمن ولم يوفق الشاعر فى عجز البيت إلى الجودة فى التعبير عما يريد .

وقال

أم الحديدة آملا لما رأى   غوث اللهيف بها وكهف المعسر
جاء الحمى فروى بفضل وانثنى   يروى الحديث عن الربيع وجعفر
رويت بجدوى آل محسن أرضهم   حتى اكتست زهوا بثوب أخضر
لله قوم لم يزل من دأبهم   خوض البحار وكل بر مقفر

وليس فى هذه الأبيات من المعانى سوى مدح آل محسن (آل عون) بالجود والبأس . وفى البيت الثانى جناس بين « روى » بمعنى سقى ، و « روى » بمعنى أخبر . وقد بالغ كثيرا فى قوله « خوض البحار ... » فأوهم السامع أن الممدوحين يملكون الأساطيل القوية التى يجوبون بها البحار والمحيطات شرقا وغربا . والحقيقة أنهم نقلوا قليلا من الجنود على ظهر بعض السفن . وفى قوله « حتى اكتست زهوا بثوب أخضر » معنى تداوله كثير من الشعراء . وقال

حرثت ربى نجد حوافر خيلهم   قدما وكم زرعوا بهامن سمهرى
وسقوا الرياض بجودهم فتزاهرت   وغدت بغير مديحهم لم تثمر

كرر في هذين البيتين بعض المعاني التي سبق أن مدحهم بها . وقد شعر بإفلاسه فلجأ كعادته وعادة غيره من الشعراء المفلسين إلى التلاعب بالألفاظ . فترى طباقا بين « حرث » و « زرع » وتورية في « الرياض » فهي عاصمة نجد . وقد تكون بمعنى الحدائق والبساتين . ولم تخل جعبة الشاعر من المعاني فقط ، بل خلت من الصور كذلك .

فقال في الأبيات السابقة

رويت بجدوى آل محسن أرضهم   حتى اكتست زهوا بثوب أخضر

وقال في هذه الأبيات .

وسقوا الرياض بجودهم متزاهرت ... الخ فلم يجد أمامه غير صورة واحدة وهي السقي والزرع وقال

آلت رماحهم وقد خاضوا الوغى   إن لم ترد صدر العدى لم تصدر

وسيوفهم رأت الفراب محرما   إلا الرقاب ورأس كل غضنفر

فسلوا الهالك عن نداه وأخبروا   في أي قطر جوده لم يقطر

وليس في هذه الأبيات شيء جديد . بل هي تكرار لما سبق من مدحهم بالبأس والجود . وفيها طباق بين « ترد » و « تصدر » وجناس بين « صدر » بسكون الدال وبين « صدر » بفتحها . وبين « قطر » بسكون الطاء و « قطر » بفتحها وقال

ماروضة ماست حدائق زهرها   طربا ونبهها بالربيع المزهر

غنى الحمام على قدود غصونها   سحرا فأغنى عن سماع المزهر

يوما بأحسن من مديح صغته   فيهم بنظم قلائد لم تنثر

وهنا تكرار لصورة السقي والزرع . وفيها جناس بين « غنى » و « أغنى » وطباق بين « نظم » و « نثر » وقد تجلت براعة الشاعر في الانتقال من المدح إلى الفخر بشعره . فبعد أن أشاد بجود آل عون وصور الأقاليم التي غزوها وقد أصبحت جنة تجري من تحتها الأنهار ، رجع فذكر أن مدحه يفوق تلك الجنة .

قال

فإذا شدت ورق الحمى ناديتها   يا ورق في ورق الغصون تستري

وإذا رأيت الجو مني قد خلا   وهممت بالترحال بيضي واصفري

إني لقاموس العروض ونظمه   أروى الفرائد عن صحاح الجوهري

لا تعدلوا في الشعر كل معمم   كالثور ذي القرنين بالاسكندر

ما كل من يعلي القصيدة ناظم   قد ينتمي للشعر من لم يشعر

لو كان فيهم شاعر لوقفت في   ديوانه أدبا ولم أتنكر

لكنهم جهلوا به ثم ادعوا   ما قصرت عنه شيوخ زمخشر

في هذه الأبيات قدم الساعاتي نفسه على من حوله من الشعراء ورفع منزلته في الشعر على منزلتهم . وأطال وأطنب وناقش وجادل دفاعا عن هذه القضية . وقد أسرف في الزراية بشعراء الحجاز وبالغ في تحقيرهم . فشبههم بالثيران وشبه نفسه بالاسكندر . وأشار إلى الفرق العظيم بين الثور ذي القرنين واسكندر ذي القرنين . وقال لو أنه وجد فيهم شاعرا يستحق هذا الاسم لأكرمه وعظمه وأحله المنزلة اللائقة به ولكن هؤلاء الشعراء الذين يناصبونه العداء يجهلون الشعر كل الجهل . ومع هذا فهم مدعون ينسبون لأنفسهم ما قصر عنه شيوخ البلاغة .

وقال

هجوا ولكن بيت كل قصيدة   وسموا ولكن في استراق منكر

وقد اتهمهم في هذا البيت بالسرقة من شعره والسطو على نظمه . وأسبغ على هذا جوا دينيا كما هي عادته في كثير من أبيات هذه القصيدة . فذكر الحج والسعي . وعظم من شأن قصائده فجعل كل بيت منها كعبة لهؤلاء الشعراء يحجون إليه ، ويسعون حوله لسرقة ما فيه من المعاني .

وقال

وحبوا عوم لا لشائب غفلة   لكن لحلمكم وطيب العنصر

يا آل محسن لم يزل إحسانكم   يدع الدنيء على حماكم يجتري

وفي هذين البيتين استطراد لحملته المنيفة على هؤلاء الشعراء وتحريض عليهم . وقد أجاد في هذا التحريض . فلم يجعل إحسان آل عون إلى هؤلاء الشعراء من باب الغفلة وعدم الفهم ولكنه من باب الحلم وطيب الأصل . وذكر أن هذا الإحسان قد جرأ كل حقير على قصد نوالهم والطمع في عطائهم . وهذه الأبيات التي ساقها في الفخر بشعره وفي التعريض بغيره هي – دون شك – من آثار الخصومة الهائلة التي نشبت بين الساعاتي وبين شعراء الحجاز .

٢ — في مصر :

يختلف شعر الساعاتي في مصر عنه في الحجاز . فامتاز

شعره فى الحجاز كما أسلفنا باحتوائه على بعض المعتقدات الشيعية ، وسيطرة الجو الدينى عليه ، والإشارة إلى المعارك والوقائع ، وتصوير الأعداء وقد جاءوا طائعين مستسلمين . وقد ظهرت فى هذا الشعر آثار العداء الشديد الذى قام بين الساعاتى وشعراء الحجاز . وقد دفعه هذا العداء إلى الإكثار من مدح شعره ، والتغنى ببلاغة نظمه ومتانة تراكيبه ، وقوة عباراته ، كما دفعه إلى التحقير من شأن من حوله من الشعراء .

أما فى مصر فقد كانت البيئة تختلف إختلافا كبيرا عن البيئة الحجازية . لذلك بعدت الشقة بين مدائحه فى امراء مصر ومدائحه فى آل عون .

كان الساعاتى إذا مدح حاكما مصريا خلع على مدحه ثوبا يلائم المقام ومزجه بالإشارة إلى أهم المظاهر التى امتازبها عصر الممدوح . فكان إذا مدح سعيدا أشار إلى جيوشه وأسلحته وقلاعه وحصونه ، ونوه ببأسه وقوته وشجاعته وإقدامه .

وإذا مدح اسماعيل تغنى بثراء مصر وخصوبة أرضها ومزايا نيلها وأشاد بقصورها وبساتينها . وذكر أنها هى الدنيا التى جمعت بين الشرق والغرب ، وحوت خزائن الأرض .

وإذا مدح توفيقا أشار إلى جوده وكرمه وعدله وحلمه وما امتاز به من حسن التدبير وسداد الرأى وجودة التفكير . ومن أمثلة هذه المدائح قصيدة مدح بها الخديو اسماعيل . وقد بدأها بقوله :

لمجدك من فوق النجوم سماء ... سماها سنا من نوره وسناء

كان فى وسع الشاعر أن يأتى بمعنى هذا البيت وهو تافه فى عبارة جيدة وتركيب سهل مستقيم . ولكنه حرص على أن يملأ بيته بالجناس فجاء تعبيره سقيما ثقيلا على الأذن . فهناك جناس بين « سماء » و « سما » وبين « سما » و « سنا » و « سناء » وبين « سماء » و « سناء » . كل هذا فى بيت واحد . وليس وراء هذا العناء معنى قيم . وقال :

عليك لواء المجد ظل مظللا ... علاه من النصر العزيز لواء
لأنك أولى الناس بالمجد والملا ... كما لك بالفضل العميم ولاء

والبيتان ضعيفا المعنى والعبارة . فأثقل بقوله « ظلا مظللا » وبدأ البيت الثانى بقوله « لأنك » وفى ذلك ضعف . وكذلك قوله « كمالك » فإنه من سقيم التراكيب الشعرية . وقوله « لأنك أولى الناس بالمجد والملا » كلام خلو من المعانى . وقد أحس الرجل بضعفه فى المدح فانتقل منه إلى التحدث عن مصر وخيراتها ونعيمها . قال :

لك الملك فاحكم كيف شئت على الثرى ... فما الأرض إلا مصر وهى ثراء
مبوأ صدق وهى أنضر ربوة ... مقام كريم حله كرماء
وذات قرار وهى خير مدينة ... وملك عظيم أهله عظماء

والمعنى ضعيف إلى أبعد حد . ويتجلى هذا الضعف فى قوله « مقام كريم حله كرماء » وقوله « ملك عظيم أهله عظماء » فهما خلوان من المعنى خلوا تاما . وقال :

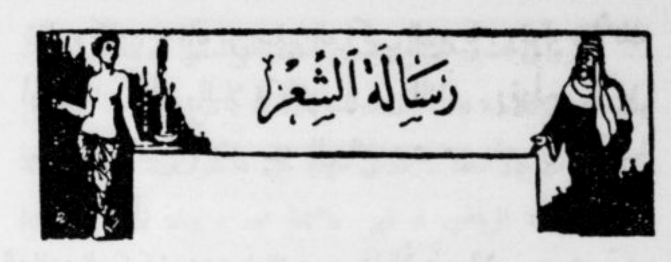
على أنها من جنة الخلد غيضة ... رياض بها عين وأنت ضياء

وصدر البيت جيد المعنى . وعجزه تافه . والقصيدة كلها ثلاثون بيتا . ومع أنه نظمها فى مدح اسماعيل إلا أنه استغرق أكثر من نصفها فى التحدث عن مصر وأرضها وسمائها ورياضها وحقولها وليس ببعيد أن يكون هذا من أثر الأعوام التى قضاها الساعاتى فى صحراء العرب . فوازن بين تلك القفار وبين مصر . فوجد أن مصر هى أم الدنيا وهى قطعة من الجنة وجزء من الفردوس . وقال :

فأبصرت فردوسا تدانت قطوفها ... وللنيل فيها كوثر وشفاء
ومصر هى الدنيا جميعا وربها ... عزيز وأهلوها هم النجباء
لقد جمعت مابين شرق ومغرب ... كذلك بالفرقان جاء ثناء
خزائن أرض الله مصر وكم أتى ... حديث رونه السادة القدماء
لقد صير البارى ثراها وأهلها ... وروى رباها كيف شاء وشاءوا

وهكذا وصف الشاعر مصر . ومع أنه أسهب وأطال فى التنويه بمصر إلا أنه كرر المعانى وردد الصور . فالصورة واحدة فى قوله « على أنها من جنة الخلد غيضة » وقوله « فأبصرت فردوسا تدانت قطوفه » . على أن هذا الإسهاب والتكرار لم يأت عبثا . وإنما هو نتيجة لما شاهده فى صحراء العرب من جدب ومحل ، وفقر وبؤس ، وبعد عن مظاهر الحضارة والعمران . فكبرت مصر فى نظره وعظمت فى عينه فأطنب فى التغنى بخصوبة تربتها وعذوبة نيلها وما فيها من ثراء ورخاء وترف ونعيم .

« يتبع » محمد سيد كيلانى



من وحي الحالة الحاضرة :

عتاب كريم

للأستاذ عبد الله عبد الرحمن الأمين

العضو المراسل لمجمع فؤاد الأول للغة العربية في السودان

رأى قومها أن يستطيل بك الهجر ... فهل لك عنها من سلو وهل صبر
وكنت إذا ما جئت يدنون مجلسي ... وقابلني منها الطلاقة والبشر
لقد كان لي عنها محيد وموطن ... كريم ولكن الهوى أمره أمر
قدمت إلى مصر وبي من غرامها ... كثير ولجت في تباعدها مصر
تسائلني من أنت وهي عليمة ... وهل يخفى مثلي على حالة نكر
زجرت لها طيراً وما كنت عائفاً ... وما كنت لهبياً فينفعني الزجر
وأبثثتها سري وإن كنت عالماً ... بأنا بمصر ليس يخفى به السر
وجئت إلى الوادي وعفت وسائلي ... وما كان من همي الثراء ولا التجر
أعاتبها إن العتاب مودة ... وصدق وإخلاص به يثلج الصدر
أرسلها نقدية واقعيــة ... عليها ثياب من دمائهم حمر

أخذت على مصر

أخذت عليها في الجنوب سياسة ... يديرونها سراً وقد أمكن الجهر
وسطحية التفكير فيه وإنما ير ... ى حاضر السودان أن يعمق الفكر
وشكلية الأشياء فيها وأخذها ... بزخرفها واللب عندهم القشر
وتركهم حبل الأمور لغيرهم ... حذاراً وقد يأتي بما نكره الحذر
وحرفيــة القانون حتى كأنما ... على كل حرف من تحنبلهم حجر
وتعقيدها في كل أمر وعسرها ... فما ضرها لو كان من شأنها اليسر
ففي كل ديوان مدير يرد من ... إلى الباب يدنو أو له يصدر الأمر
وروتينها ذاك العجيب فإنه ... كقيصر لا يدنو لجرأته وزر
وإهمالها حتى لقد قال قائل ... وقد يتقي المأثور في دهره الحر
لو أن انفصاليين خلوا سبيلها ... وعادوا انفصاليين قام لهم عذر
معاذ إلهي أن أقول بقولهم ... ولي خلق عال ولي أدب نضر
وآباء صدق كان منهم إلى الهدى ... دعاة ومنهم للملا العسكر المجر
اللقاطع الأسباب نظرة وامق ... وللواصلي أسبابها النظر الشزر
كأني لم ابن الشباب ولم أقل ... قوارع آيات بها طلع الفجر (١)

الوسطاء

ورب وسيط من جنوب وشمال ... أساءوا فلا ردوا الحقوق ولا بروا
وكانوا كمثل الغيم لا متزحزحاً ... ولا راح يهمي من تلبده قطر
على طول تجوال وطول اقامة ... لهم خبر عنها وليس لهم خبر
نصحت لهم أن يبرحوا أبراج عاجهم ... فلم تغن آياتي ولم تنفع النذر
رواسب من عهد احتلال دهاهمو ... وأنساهمو أن القيود لها كسر

احتجاج وتوجيه

ولا عيب فيهم غير أن تزلفاً ... لمن كان في المستعمرين له قدر
فهم يستسيغون الاساءة منهم ... وتصرفهم عنا لهم أعين خزر
وإلا فما بال الوجوه تنكرت ... علينا – وإن جئنا فمنطقهم نزر
وفيم نراها حنظلات نخلاتها ... وطاب لغير العاملين لها الثمر
إذا قيل كسب قد أردتم بقربهم ... فيالك من كسب عواقبه خسر
وإن قلتم جبر الخواطر واجب ... أقول وفي أشياعكم مسكم ضر
وأصبحت لا أدري أتلك سياسة ... لكم دون مصر أم لها رسمت مصر
فإن كانت الأولى فهاتوا وبينوا ... وإن كانت الأخرى فدكو جزر
حسبتم ليالي الفصل ليس لها فجر ... وإن جياد الخيل يدركها البهر
إذا لمتهم قالوا السياسة تقتضي ... مداورة والعيش بينكم مر

(١) ديوان الفجر الصادق للشاعر

وما بى من نقص الأخلاء انما … أنفت لهم ألا يشد لهم أزر
عزيز علينا أن نرى الوحدة التى … أقمنا لها سوقا بها يهبط السمر
لئن كان غفران الذنوب محببا … فليس لذنب العابثين بها غفر
وهل مصر والسودان إلا عشيرة … على النيل محياها ونجراها نجر
فلن يك قومى ساءهم ما أقوله … فإن على عهد مضى يقع الإصر
تحلل فيه الناس من كل واجب … والقى اليهم من أزمته الغدر
وكانت أداة الحكم فيه كما رووا … وما أسير الأمثال يرسلها الشمر
(عجوز ترجى أن تكون فتية وقد … يبس الجنبان واحدودب الظهر)
ولم أر كالتعليم حرا مقيدا … وان شئت برهانا فتعليمها الحر
رقابانه شتى وكل مراقب … على أذنيه من مطالبه وقر
سياسته ركت ونشت مياهها … كما الصيف نشت من سمائه الغدر
فأما وطه بن الحسين وزيرها … فأجدر وأجدر أن يوفى لها نذر
لقد وفقت إذ قلدتك أمورها … معارف مصر واستقل بها الفكر
وقفت على باب الوزير أزفها … تحايا من السودان يأتى بها الشعر
أحييك أم أثنى عليك وانما … أحق بأن يثنى عليه بك المصر
ألست الأديب العبقرى ومن غدا … من الفخر يدنو أو له ينتهى الفخر
بربك أين المكتبات ودورها … واين من الوادى الثقافة والنشر
وهل يرتقى شعب بغير ثقافة … وهل هب الامن قوادمه النسر
أفيضوا علينا من معارفكم يداً … يد العلم ان العلم يبقى به الذكر
عساها تجى بابن الحسين ديارنا … فتربتها خصب وآفاقها طهر
وقولوا الدار الكتب تمدد فروعها … إلى النفر النائى بهم منزل قفر
يراش من الشعب المهيض جناحه … ومن قوسها ترمي المثقفة السمر
وألقوا العصا بيضاء تلقف افكهم … فانى أرى الوادى يعود له السحر
ولا تحسبوها طفرة تلك كلمة … يراد بها الايفك لنا أمر

قضية الوادى

خليلى بالوادى أعينا أخاكما … على ما عراقى الحادثات ومايعرو
وعن ذات موضوع القضية حدثا … وقولا أحقا مالها بينكم ذكر
هل استنفدت أغراضها ودري بها … إلى القاع طاغ فى حقائبه مكر
مجالس للتشريع قامت ألم يقم … دليل على أن الشريك له الشطر
ثنائى حكم والمدبر واحد … وليس لكم فى الحكم قل ولا كثر
وسودنة ترمى إلى غير سؤدد … وهمس وأسرار وأخرى أهى النكر
نحتى متى تغضى الجفون على القذى … ويرخى علينا من ألاعيبها ستر

الأسلام فى الجنوب وأيادى مصر

وطيف خيال من ملاكال زارنى … وواد وجوبا كلما أذن الظهر (١)
بلاد بها الأسلام بث دعاته … جنوداً من الفاروق تقدمها البشر
فأنبت فى مستنقع الكفر رجله … وقال لها من تحت إخمصك الحشر
وأن أنس لاأنس المساجد انها … كثير وأرجوان يضيق بها الحصر
جزى الله مصراً كم أياد جليلة … وكم راح من فاروق يشملنا بر
ومن مثل فاروق يفديه شعبه … ويهتف بالوادى له البيض والسمر ٢
وشيآن بالوادى يرفان من هوى … قلوب بنى الوادى وأعلامك الخضر

عبد الله عبد الرحمن الامين

(١) أنما خصصت الظهر لأنها أول صلاة فى الأسلام
(٢) المصريون السودانيون

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

رقاعة فرنسية :

حضر إلى مصر أخيرا وفد من الصحفيين الفرنسيين ، وشغلت أنباء تنقلاتهم والحفاوة بهم صحافتنا المصرية فى الأسبوعين الماضيين ، وتحلت بعض الصحف والمجلات بصورهم على ظهور الجمال عند الأهرام وأبى الهول ، وتحدثوا إلى الصحفيين كما يتحدث أمثالهم دائما عن عظمة الأهرام وسر أبى الهول ، وقد يتحدثون عن كرم الضيافة ، وهم فى ذلك لا يقتصدون فى الإشادة والثناء ، ولكنهم إذا تحدثوا عن الحياة المصرية العامة ، ويكون ذلك إذا رجعوا إلى ديارهم ، فإنهم يتخذون من الكذب والتلفيق مادة للكتابة عن بلاد الأهرام وأبى الهول . . وما حديث جان كوكتو ببعيد ، فقد جاء إلى مصر فى العام الماضى مع الفرقة الفرنسية التى مثلت بعض رواياته على مسرح الأوبرا ، وأكرم المصريون وفادته ونوهت الصحافة بأدبه الذى تجرد منه لما عاد إلى فرنسا وألف كتابا فى الطعن على مصر والمصريين !

وأصل الكلام بالعودة إلى الصحفيين الفرنسيين وأحاديثهم إلى الصحفيين المصريين ، تحدث مندوب « أخبار اليوم » إلى الصحفية الفرنسية العجوز مدام تابوى ، فجعلت تسأله : لماذا تعملون على إقامة المتاعب لنا فى شمال افريقيا ؟ إنكم تلعبون بالنار إذ تشجعون هذه الشعوب . . وهى تقصد الشعوب الإسلامية وإذا كان تشجيعها لعبا بالنار فما أعظم هذا اللعب ! ثم قالت الفرنسية العجوز : كنت قد أعددت مقالا عن مصر فيه تحية طيبة لها ، ولكنى قرأت بعد ذلك فى صحفكم رد النحاس باشا على برقية بعث بها إليه أحد زعماء الجزائر الوطنيين ، فما كدت أقرأ هذا الرد حتى غيرت رأيى فى المقال الذى أعددته لصحيفتى فى باريس ، واستبدلت به مقالا آخر ! وهذا ما كسبتموه ! !

ورد النحاس باشا الذى أغضب مدام تابوى ، هو برقية بعث بها رفعتــه إلى السيد مصالى الحاج رئيس حزب الشعب الجزائرى ردا على تهنئته ، وقد تضمن الرد أن مصر لن تألو جهدا فى سبيل تحقيق الهدفين اللذين تسعى أقطار المغرب العربى إلى تحقيقهما ، وهما الاستقلال والإنضمام إلى جامعة الدول العربية .

ذلك هو ما جعل المرأة الفرنسية تغير رأيها فى مصر وتعدل عن الذى كتبته أولا إلى مقال آخر . . فهل كانت كتبت فى المقال الأول أن مصر لا تساعد بلاد المغرب على الاستقلال والتخلص من فرنسا ثم عادت فغيرت رأيها فى المقال الثانى بعد أن عرفت من رد النحاس باشا أن الأمر ليس كذلك ؟ ! أم ماذا أقول فى هذا المنطق الفرنسى الأعوج ؟ ثم متى كسبت مصر شيئا من أمثالها حتى تكسب من جنابها ذلك المقال الفقيد . . ؟ كل ما فى الأمر أننا قوم كرماء جدا ، وأن من ضيوفنا من لا يتورع عن الرقاعة !

ليت هؤلاء الفرنسيين يعلمون أن هذه الشعوب الإسلامية والعربية فى المغرب والمشرق تهمنا شؤونها ، إذ تجمعنا بهم روابط الدين واللغة والثقافة والتاريخ والحضارة — ليتهم يفقهون هذه الحقيقة عندما يتحدثون عن الصداقة والعلاقات الثقافية بيننا وبينهم ليستيقنوا أن هذه الصداقة لا تصفو ما دامت تشوبها أعمالهم فى الإعتداء على حريات إخوان لنا ، والعجيب أن يتحدثوا عن الثقافة ورسالتها وهم يمنعون وسائلنا الثقافية من الوصول إلى تلك البلاد الشقيقة ! .

وأذكر بذلك أن كنت مرة عند صديقى الأستاذ مختار الوكيل بدار الجامعة العربية ، وقدم علينا اثنان من الفرنسيين المشتغلين بالدراسات العربية ، وكان ذلك عقب عرض القضية المصرية على هيئة الأمم ، وجر حديث العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا إلى أن قال لهما الأستاذ مختار : كنا نود أن تؤازرنا فرنسا فى قضيتنا ! فنظر الفرنسيان أحدهما إلى الآخر وقال : سياسة ! وهكذا خرجا بهذه الكلمة من حرج السؤال ، وهما يومئان بها إلى أنهما منقطعان إلى محراب الفكر والدراسات البعيدة عن السياسة . . وإذا كان لأمثالهما من أبناء تلك الأمم أن ينحى السياسة عن مجرى تفكيره — على فرض أن جوابهما حقيق وليس تخلصا من الحرج — فإننا لا نستطيع أن نبعد أمانينا

القومية من مشاعرنا وأفكارنا لأننا لم نستكمل حريتنا ولم نتخلص نهائيـــا من جرائر الاستعمار ، فنحن فى موقف المعتدى عليه الذى يجند كل قواه للمقاومة .

ونحن صرحاء إذ نقول ذلك ، ولـكنهم يتبرؤون من السياسة عند ما يريدون ، ويخلطونها بغيرها إذا أعوزهم « البرود الأنجليزى » فلم يستطيعوا أن يملكوا أنفسهم ، كما صنعت صحفية فرنسا الأولى ! !

قرارات المجمع اللغوي ومدى تنفيـــذها

أثير فى مؤتمر المجمع اللغوى بالدورة الماضيـــة ، موضوع قرارات المجمع من حيث مدى تنفيذها ، أثار ذلك الأستاذ ماسينيون إذ قال : كان يحسن بنا بمناسبة النظر فى قرارات هذا المؤتمر أن يعرض علينا ما وصل إليه المجمع بشأن تنفيذ قراراته القديمة ، ويكون ذلك تقليدا متبعا فى كل دورة من دورات المؤتمر حتى نعرف مقدار القوة التنفيذية التى للمجمع ، ومدى استخدامه لها .

قال الدكتور منصور فهمى باشا : هذا الموضوع من أول

كشكول الأسبوع

□ اعترض الدكتور محمد صبرى فى مقال بجريدة « المصرى » على منح جائزة فاروق لـكتاب الشيخ مصطفى عبد الرازق ، قائلا إن الجائزة تمنح للعلماء الأحياء أو للعلم فى شخص العالم ليستعين بها أدبيا وماديا على المثابرة ومواصلة البحث ، وفى جميع بلاد العالم لا تمنح الجوائز إلا للاحياء ، أما الموتى فهناك طرق أخرى لتكريمهم أو منح مساعدات لعائلاتهم إذا كانوا فقراء .

□ قال الأستاذ الصاوى فى « ماقل ودل » : كان العلماء يسخرون منا نحن الـكتاب والشعراء ، مع أنهم هم الذين يستحقون السخرية والرثاء ... ابتكروا هذا الموت الزؤام (القنابل الذرية والأيدروجينية) وعجزوا عن اكتشاف دواء للزكام .

□ الأذاع (أعنى الإذاعة المصرية) كالزكام ، لا فى الوزن والدلالة على المرض فقط ، بل كذلك فى عدم الوصول إلى علاج شاف لـكل منها إلى الآن ...

□ استمع مؤتمر المجمع اللغوى فى دورته الماضية إلى محاضرة لمعالى السيد محمد رضا الشبيبى ، ترمى إلى توحيد المصطلحات العامة فى البلاد العربية . وقد أحال المؤتمر قوائم الألفاظ المختلفة التى أتى بها إلى لجان المجمع لـكى تدرس كل لجنة ما هى مختصة به منها لتحقيق غرض التوحيد .

□ صدر فى العراق ديوان « من العراق » للاستاذ عدنان الراوى المحامى . والشاعر يتجه فى ديوانه اتجاها قوميا عربيا يلم فيه بمختلف مسائل الوطن العربى العام ، يعبر عن الآلام ويغنى للامال ، فيشجى ويطرب .

□ من أنباء سوريا أن الـكاتبة المعروفة السيدة وداد سكاكينى تخرج كتابا جديدا عنوانه « مصر كما عرفتها » تتناول فيه نواحى الحياة المصرية وخاصة الحياة الأدبية .

□ منعت الحـكومة السورية عرض طائفة من الأفلام المصرية لأنها تتضمن مناظر منافية للاداب العامة ولا تتضمن قصصا مفيدة . وقد أحسنت بذلك ، والمؤسف أن تكون هذه صادراتنا ...

□ أعلنت وزارة الشؤون الاجتماعية عن مسابقة جديدة لتأليف مسرحيات للفرقة المصرية . وقد اعترض بعض أعضاء لجنة ترقية التمثيل على الاستمرار فى طريقة المسابقات ، لأنها لا تحقق الغرض المنشود منها ، إذ لا يدخلها إلا أنصاف الأدباء وبعض المترجين ، ويرون أن تقتصر الوزارة على تـكليف بعض كبار المؤلفين بالتأليف للفرقة .

□ وافق مؤتمر المجمع اللغوى على اقتراح سعادة حسن حسنى عبد الوهاب باشا أن تطلق كلمة « الخطاطة » على علم قراءة الخطوط القديمة .

الموضوعات التى عنى بها المجمع ، وأذكر أننا تناقشنا كثيرا فى الدورة الأولى حول السلطة التى يجب أن تكون للمجمع لتنفيذ قراراته حرصا على سلامة اللغة ولكن لم يحدث إلى الآن أن تحققت للمجمع سلطة تنفيذية ، ولم يتم الإنسجام بين عمل المجمع فى ميدان اللغة وبين الأعمال الأخرى فى المصالح الحـكومية المختلفة ، والواقع أننـــا نعمل كثيرا فى المجمع ولكن الصلة بيننا وبين غيرنا من الهيئـــات تكاد تكون مقطوعة ، وأضرب لذلك مثلا أنى والأستاذ العقاد كنا حاضرين مرة فى إجتماع للجنة من اللجان الحكومية ، فسمعنا كلمة « اســـتدويو » فاقترح أحدنا أن يترك استعمال هذه الـكلمة مؤقتا حتى يرى المجمع فيها رأيا .

وقال الأستاذ زكى المهندس بك : أرى أن المجمع لا ينبغى أن يحاول تنفيذ ما يقره بطريق الإلزام ، فليس الأمر محصوراً بين المجمع والحـكومة ، بل هناك طرف ثالث وهو الجمهور ، وإذن فلابد أن نسير فى عملنا على مبدأ الإستحسان لا على الإلزام .

والواقع أن الصلة مقطوعة بين قرارات المجمع وبين نور الحياة ، فلا أحد يستعمل ما يقره من الكلمات غير تلاميذ المدارس فى مثل المشن والسحاح والمسرة . . وما إلى هذه من كلمات لايجد التلاميذ لها حياة فى غير كراساتهم . ولو أن مؤتمر المجمع استعرض فى كل دورة من دوراته ما وصل إليه بشأن تنفيذ قراراته السابقة كما اقترح الأستاذ ماسينيون ، لما كانت النتيجة غير أن يقال : لم ينفذ شىء !

والعلة فى ذلك لاترجع إلى انعدام « القوة التنفيذية » فهذه غير ممكنة وخاصة بالنسبة للجمهور كما قال الأستاذ المهندس . ولكنها ترجع إلى أسباب أخرى ذات عدد ، منها عدم الاهتمام بوسائل الاتصال بالهيئات والجمهور ، ومنها أن المجمع لا يزال جامدا على رغم الصيحات التجديدية التى يطلقها بعض أعضائه من أمثال طه حسين وأحمد أمين والزيات ، فإن كثيرا من الكلمات التى يقرها لايمكن أبدا أن تستسيغها الأذواق مثل « الكحلكة » لتحليل الكحول . وثمة كثير من الأشياء لم يضع لها أسماء ، ومن العجيب أن يراد امتداد السلطة إلى هذه الأشياء التى لم تسم بالعربية ، مثل « الاستديو » فكيف يمسك الناس عن الكلام عنها حتى يضع لها المجمع اسما ؟ هل يدلون عليها بالإشارة كالخرس ؟ !

وهنا أمر آخر على جانب كبير من الخطورة ؛ ذلك أن المجمع الآن يضم الصفوة من كبار الكتاب فى مصر ، فمن من هؤلاء يستعمل كلمات المجمع ؟ إنهم يكتبون مثلا : التليفون والراديو والسينما ، ولا يقولون : المسرة والمذياع والخيالة . أقترح على المجمع أن يعقد جلسة لاستجوابهم فى ذلك ، فإما أن يكون لهم وجه يقتنع به ويعمل على مسايرته ، وإلا عرف شأنه معهم . .

الهمزة الحيرى :

عرض على مؤتمر مجمع فؤاد للغة العربية فى دورته الماضية ، تقرير لجنة الأصول والإملاء فى شأن كتابة الهمزة ، وقد انتهت اللجنة فى تقريرها إلى الاقتراحات الثلاثة الآتية :

١ — أن تبقى قواعد كتابة الهمزة كما هى على أن يدخل عليها بعض الإصلاح الذى لا ينتظر أن ينفر منه جمهور الكاتبين ، ويتلخص ذلك بأن تكتب الهمزة فى الأول على ألف ، وفى الوسط بحسب حركتها إذا كانت مكسورة أو مضمومة ، وبحسب كان ما قبلها إذا كانت مفتوحة أو ساكنة ، وفى الآخر بحسب حركة ما قبلها ، فإذا كان ما قبلها ساكنا كتبت مفردة . وإذا توسطت الهمزة توسطا عارضا فإن كانت فى الأول لم يعتد بهذا التوسط العارض بل كتبت ألفا إلا فى كلمات معدودة هى لئن ولئلا ، وإذا كانت فى الآخر عوملت معاملة المتوسطة .

٢ — أن تكتب الهمزة على ألف دائما فى أى موضع كانت من الكلمة ، ويستند هذا الاقتراح إلى آراء المتقدمين ، وإلى أن بعض المصاحف كانت تكتب به .

٣ — تكتب الهمزة على ألف دائما فى أى موضع كانت فإن كان الحرف الذى قبلها يوصل بما بعدها كتبت على الامتداد بين الحرفين ، وإذا كان ما قبلها يوصل بما بعدها كتبت فى الفضاء

وقد ناقش المؤتمر هذه الاقتراحات ، ثم رأى فى جلسته الأخيرة إحالتها إلى مجلس المجمع لدراستها فيه .

ولعل الاقتراح الثانى هو أسهل الثلاثة ، لأنه يجعل للهمزة صورة واحدة لاتتغير بتغير موقعها فى الكلمة . وقد علمت أن الاقتراح للدكتور أحمد أمين بك والأستاذ إبراهيم مصطفى . والرأى يستند — مع سهولة الرسم الذى يدعو إليه — إلى أن الهمزة والألف شىء واحد كما نص على ذلك السابقون من علماء اللغة ولم أر الأسانيد التى استند إليها صاحبا الاقتراح ، والتى يشير إليها تقرير لجنة الإملاء بالمجمع ، ولكننى وقفت عليها إذ تذكرت بحثا قيما لأستاذ جليل هو الشيخ رفعت فتح الله المدرس بكلية اللغة العربية ، نشره بالأهرام فى (١١ ـ ٥ ـ ١٩٣٨) تحت عنوان « الهمزة الحيرى » أوضح فيه حيرتها ورثى لها أو لمن يعانون كتابتها ومتابعتها فى تقلباتها ، وانتهى إلى أنه ينبغى أن تكتب على صورة واحدة هى صورة الألف فى جميع أحوالها لا تتأثر بشكلة ولا موضع ، واستند فى ذلك إلى أن الألف والهمزة توأمان فى وضع العربية ، ومما يدل على أن صورة الهمزة هى صورة الألف أن كل حرف فى أول اسمه لفظه بعينه ، فإذا قلت « ياء » ففى أول حروفه « يـ » وإذا قلت « تاء » ففى أوله « ت » وكذلك



حولية الثقافة العربية

السنة الأولى (١٩٤٨ — ١٩٤٩)

أصدرت الادارة الثقافية (حولية الثقافة العربية — السنة الأولى ٤٨ — ١٩٤٩)، وهي من وضع وتصنيف العلامة الأستاذ ساطع الحصري بك، مستشار الادارة ولا شك في أن هذا العمل هو الأول من نوعه في مضمار الثقافة العربية المصرية ويعتبر بحق، كما قال الأستاذ المؤلف في مقدمته (افتتاحا لسلسلة الحوليات التي ستنشرها الادارة الثقافية للجامعة العربية عن شئون الثقافة العربية كل عام). ويقع الكتاب في ٦٢٣ صفحة من القطع المتوسط. وينقسم إلى قسمين — الأول في المعاهد التعليمية والثاني في المعاهد الثقافية الأخرى.

وقد بدأ القسم الأول باستعراض تاريخي للنظم والمناهج الثقافية في الأقطار العربية قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها، وهذا العرض التاريخي ذو أهمية بالغة في شرح التطور التاريخي للمناهج الدراسية في العالم العربي. وعقدت الحولية، بعد ذلك مقارنات عامة، تناولت مدة الدراسة الابتدائية والثانوية، وأقسام المدارس الثانوية وفروعها وساعات الدراسة الأسبوعية ومناهج الدراسة الابتدائية والثانوية، ومناهج معاهد التعليم العالي ومعاهد اعداد المعلمين والمعلمات ولغة التعليم في مختلف المدارس والتعليم المختلط، والطلاب العرب في مختلف الأقطار العربية.

وتناولت الحولية في الفصول التالية شرح مختلف مظاهر الحياة الثقافية في كل دولة من الدول العربية التالية: المملكة الأردنية الهاشمية، الجمهورية السورية، المملكة العراقية، الجمهورية اللبنانية، المملكة المصرية، مبتدأة بخلاصة أحصائية عن السنة الدراسية ٤٧ — ١٩٤٨ لكل منها، وموردة نبذة تاريخية واحصاءات التطور الثقافي ثم متحدثة عن الأحكام التشريعية والنظم الادارية، ومحصية المعاهد التعليمية، من مدارس أولية وابتدائية وثانوية وخاصة وعالية وجامعية وشعبية الخ . . .

وأما عن القسم الثاني فقد تناول الحديث عن المؤسسات العلمية والثقافية، مثل الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية، والمجامع العربية في دمشق وبغداد والقاهرة، والمؤتمرات العربية ودور الكتب. وللحولية تذييل اشتمل على احصاءات التعليم عن السنة الدراسية ٤٨ — ١٩٤٩ في الأقطار العربية.

«جيم» و «دال» وسائر الحروف، فكذلك إذا قلت (ألف) فأول الحروف التي نطقت بها همزة (ا) فدل ذلك على أن صورتها هي صورة الألف.

ومما استدل به الأستاذ رفعت فتح الله من أقوال اللغويين، ما جاء في الصحاح للجوهري: (والألف من حروف المد واللين فاللينة تسمى الألف، والمتحركة تسمى الهمزة، وقد يتجوز فيها فيقال أيضا: ألف» وقول ابن جني في «سر الصناعة»: «أعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة في الحقيقة، وإنما كتبت الهمزة واوامرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ولو أريد تحقيقها ألبتة لوجب أن تكتب ألفا على كل حال، يدل على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعا لا يمكن فيه تخفيفها ولا تكون فيه إلا محققة لم يجز أن تكتب إلا ألفا، مفتوحة كانت أومضمومة أومكسورة وذلك إذا وقعت أولا نحو أخذ وأخذ وإبراهيم، فلما وقعت موقعا لابد فيه من تحقيقها اجتمع على كتبها ألفا ألبتة. على هذا وجدت في بعض المصاحف (يستهزأون) بالألف قبل الواو، ووجدت فيها أيضا (وإن من شيأ إلا يسبح بحمده) بألف بعد الياء . . الخ

وألقى الأستاذ رفعت سنة ١٩٤١ محاضرة في جمعية الشبان المسلمين كان موضوعها «إصلاح الكتابة العربية» ضمنها هذا الرأي ورأى أيضا أن تكتب الألف اللينة على صورة الألف في جميع أحوالها، قاصدا بهذا وذاك إلى رفع العسر الذي يصادف القارئ والكاتب في ضبط الكلمات وقراءتها قراءة صحيحة وقد نشر ملخص هذه المحاضرة في جريدة «المقطم»

وتومئ عبارة لجنة الإملاء بمجمع اللغة، إلى أن الأستاذ صاحبي الاقتراح يذهبان مذهب الشيخ رفعت فتح الله، فقد قالا بما قال به، واستندا إلى آراء المتقدمين وإلى كتابة بعض المصاحف كما فعل. ولا شك أن رائد الجميع الوصول — في أمر هذه الهمزة التي احتارت وحيرت الناس معها — إلى حل يريحها ويريح الناس، فعسى أن يحقق المجمع ذلك في القريب.

عباس خضر

ولا مشاحة فى أن هذه الحولية تعتبر مرجعاً عاما للباحثين والدارسين والمهتمين بتطور الشئون الثقافية والعلمية فى البلاد العربية . ولقد تولت الادارة الثقافية أمر توزيع نسخ منها على وزارات المعارف والجامعات والمكتبات العامة ومكتبات المعاهد العليا والمدارس الثانوية فى الأقطار العربية المختلفة ، كما وزعت منها نسخا على الصحف العربية والهيئات الدبلوماسية والقنصلية العربية فى مختلف الأقطار والمؤسسات الثقافية من نواد وجمعيات فى البلاد الغربية وخصوصا الأمريكية .

وفضلا عن ذلك ، فان الادارة الثقافية معتزمة عرض عدد من نسخ هذه الحولية للبيع لمن يشاء من المهتمين بشئون الثقافة وطلاب المعرفة ، كما أنها ترحب بمن يشاء من الباحثين الذين يرغبون فى الاطلاع على النسخ المعروضة لزائرين بمبنى الادارة .

رأى كاتب تونسى فى المخرج السينمائى المصرى

نشرت مجلة الأسبوع التونسية مقالا للاستاذ سلومة عبد الرازق فى الأخراج السينمائى فى مصر قال فيه :

ليس سرا إذا صرحنا بان المخرج هو « روح الفلم » فهو الذى يسبغ على العمل متانة البنـاء وهو فى نظر ابناء المهنـة « المكبس »

والآن اين فن الأخراج فى مصر ؟ وكيف تطور هذا الفن فى مدة العشرين سنة الاخيرة ؟ وهل يمكن ان نقارنه بفن الأخراج فى البلاد الأخرى ؟

فاذا تكلمنا مثلا عن السينما الانكليزية أو الفرنسية أو الايطالية أو الروسية أو الأمريكية تكلمنا حتما عن المخرجين فى هذه البلاد المختلفة وفن الاخراج هو المرآة التى تتراءى فيها عادات كل بلد ومقـدار ثقافته يقدمها هؤلاء الفنيون الذين نسميهم المخرجين .

فعندما يخرج المخرج رينيه كلير فى لندرة مثـلا فاننا نحس فى عمله بالروح الفرنسية . وكذلك عندما يخرج رينهارت فيلما فى هوليود فالصبغة الألمانية هى التى تسيطر على عمله . وعند مايخرج انشتاين فيلما فى أى بلد غير وطنه فانتاجه يكون طبيعيا ملونا بالطابع الروسى وهذا مانسميه بالمدرسة .

فالانسان قد ينتقل إلى أى جهـة من بقاع الأرض ولـكنه يحمل دائما روح وعادات وطنه .

ويرجع تاريخ الانتاج السينمائى فى مصر إلى نحو عشرين سنة ولنـا الآن بضع مئات من الأفلام من انتاج المصريين فيمكننا تحليل هذا الانتاج على ضوء هذه الأفلام وما هو المشترك الأعظم الذى يدلنا على وجود السينما المصرية . اننا نحس فى الأفلام الأخرى بسهولة بالروح الفرنسية أو العادات الانـكليزية والرقة الايطالية أو الطبائع الروسية أو البذخ الأمريكى أو الفطرة الهندية فماذا نشعر به بعدما نشاهد فيلما مصريا ؟

فى الحقيقة لا القصة ولا المناظر ولا تعبيرات الممثلين توحى بوجود فن سينمائى مستقل فى مصر فلماذا ذلك ، لأن المخرجين فى مصر وهم الذين يختـارون موضوع الفلم يتخيرون دائما القصص من الأدب الاجنبى أو المسرح الفرنسى أو من مختلف الأفلام السينمائية الناجحة

ويظهر أن « الحياء » هو الذى يمنع مخرجى مصر من اظهار عادات وحوادث مصر والمسائل التى تشغل الحياة الاجتماعية وأن السينما المصرية لا تـكتسب شيئا من تمصير قصص بعض الأفلام الأجنبية « عندما يسقط الجسد » و « غادة الـكاميليا » و « عودة الاسير » و « روميو وجوليت » و « البؤساء » وغيرها . وغيرها

هذا بالنسبة الى القصص المقتبسة أو الممصرة ، أما بالنسبة إلى فن الأخراج فانه لاشك قـد تطور فى ظرف العشرين سنة الماضية ولـكن من الصعب أن نجد فنانا يرضى عن هذا التطور لأن من النادر جدا وجود أى فيلم مصرى يمـكن مقارنته بفيلم اجنبى . ولا نكون مغالين اذا اتهمنـا الاكثرية من مخرجى مصر بالتهاون والاهمال فى تحضير اخراج افلامهم .

توجد عند المصريين عادة سيئة تقضى بان المخرج وهو الحاكم بامره فى الأستوديو يرتب المناظر الفنية بل ويغير فى السيناريو فى لحظته الأخيرة : . وقبل بدء التصوير بدقائق ، صحيح أن بعض المناظر يمكن أعدادها فى الحال ولكن عملية التقطيع الفنية لايمكن أن تكون كاملة الا بعد إعدادها اعدادا تاما قبل بدء تصوير الفيلم بمدة كافية . أن كلمة (التقطيع) لها معنى واحد فى جميع استديوهات العالم الا عند المصريين ، وجميع المخرجين فى الخارج عندهم طريقة تخالف طريقة المخرجين المصريين .

يجب أن نتعلم فن الإخراج دراسة يصحبها جهد وتعب ويجب أن نفهم أنه اذا كنا نريد أن يدرك العالم أن هناك سينما مصرية على الجميع دراسة فن الأخراج دراسة وا فيـه واعداد المخرجين اعدادا فنيا كاملا قبل أن يعهد اليهم بالأخراج !

سلومة عبد الرزاق



جنــة ..

الاديب احمد كمال زكى

لاتسألنى لماذا لم أحدثك من قبل بكل ماأحدثك به الآن .. فأنت تعرف من قديم طريقتى الخاصة فى الحياة ، وتدرك أنى فى أغلب الأحيان أوثر نفسى بأشياء أعلم أن ليس فيهـا غناء لأحد . قل هى رغبـــة مجهولة ، ولكن أرجو ألا تزعم أنى غريب شاذ كما تقول . . .

ثم هل كان ينبغى أن أقول لك أنى معذب ؟ بالله لاتضحك . فقد كنت معذبا حقا ، ألبت بشرا كـكل بشر ؟ وماذا فى ذلك هل ثمـة مايمنع أن يبـكى قلبى وقـد ضحك كثيرا ؟ إننى أضرع إليك أن تنصت إلى دون تساؤل أو إثارة . . فبحسبى هذا القلب يضطرم فى صدرى كالأتون !

والآن دعنى أسألك : أتذكر متى حـدثتك عن غرفة آوتنى فقلت لك إنها جنة أنيقة معطورة ؟ أرجو ألا تـكون نسيت . . فليس يحزننى شىء كما يحزننى منـك إهمال شئونى وهى جزء من ذات نفسى . فى هذه الغرفة — ياصديق — تبدأ قصتى ، وكنت وقد ودعت خارجها كل شىء . . حتى صباباتى العابثة .

لقد كنت مرهقا ، وكانت أعصابى فى حاجة إلى أن تستريح وكنت أطمع أن أجد الناس الذين لايعنيهم أمرى ، ولا يعترضون سبيلى . . فما أنفقت أسبوعا حتى أدركت أنى أصبحت — لأول مرة — ملك نفسى . فأما صاحب الفرقة أو صاحب المسكن كله فلم يكلف نفسه قط مشقة التحدث فى شىء إلا مسكنه ، وماإجتمع فيه من أسبـاب الراحة والدعة . وأما زوجـه فـكانت صموتا صارمة . . كرهت فيها نظراتها النافذة وحركاتها البطيئة ، ولكنها لم تحاول أن تهتك ذلك الستر الذى أقمته بينى وبين سائر سكان « البانسيون »

ولـكن حادثة صغيرة غيرت كل شىء . حادثة يعلم الله أنى لم أكن راغبا فيها ، فقد ناءت روحى بأثقال ضخام ، وأصبحت لا أريد إلا أغنية رقيقة ترفه عن نفسى وتردلهــا شيئا من قرار . أتريد أن تعرف ماهى ؟ لاتتعجل الحوادث .. فانى أرجو أن أقص عليك كل شىء فى ترتيب .

لقـد كنت فى يوم أهبط الدرج حين رأيتها هى . . فتاة فى عمر الربيع . . رشيقة خفيفة ، تصخب فيها حياة دافقة حلوة . أرأيت إلى عصفور يقفز ذات صباح على أشجار الورد ؟ لقد كانت هى أيها الصديق . .

ورمقتهـا .. والأمر مالم أستطيع أن أطرق ، لا ولا أفسح لها السبيل فالتقى ذراعى بذراعها .. فى لمسة ناعمة هادئة ، وأردت أن أعتذر فهزت رأسها فى وداعة وانفلتت كما تنفلت نسمة بين الزهور وخلفت وراءها سحبة عاطرة .

وماذا تتوقع منى بعد ذلك أيهـا الصديق وأنت تعرفنى كل المعرفة ؟ لقد فـكرة فيها الـكفاية .. وحين عدت إلى جنتى خيل إلى أنى أنثم فيها عطرها . وضج قلبى ، وحاولت أن أمسك به . لقد كان يسوقنى إلى مايحب فى إصرار عجيب . وأحسست وأنا واقف بنافذتى بصاحبة الدار تحمل إلى الغداء ، وتوقعت منها أن تقول طعامك . أيها السيد ! ولـكنها لم تقل وا كتفيت بنحوها ثم ... ثم خنقت آهة كادت تثب من حلقى فى دهشة وعرد . أتدرى لماذا لقـد كانت « هى » ياصديق . ولم تـكن المرأة الصموت الصارمة اشتعلت أعماق . . ومات الـكلام على شفتى ، وا كتفيت بالتطلع إليها . ويبدو أن منظرى كان مثيرا ، فقـــد انطلقت تضحك . فسمعت موسيق يرقص فى أصدائها شباب مندفع يقظ . .

وفى جهد أنتزعت صوتى ، فإذا به همهة بغيضة قلت لها « أنت ؟ » فأجابت وفى صوتها رنين أنوثة بكر : طبعا أنا . وعدت أسألها حالما أو كالحالم : ومن تكونين ؟ فأجابت فى تردد مستطيل : أنا . أنا أبنة صاحب الفندق . ودفعت بأناملها شعرها ثم أدارت ظهرها وانصرفت خفيفة كما أقبلت .

أتحسب أنى عرفت ماذا أكلت ؟ كلا والله ياصاحبى . . فما كنت بحاجة إلى ذلك وقد تشبثت هى بخيالى وصدرى لاتريد أن

تبرحها . على أنها حين عادت لترفع مائدتي الصغيرة خيل إلي أني أمير أسطورة من أساطير ألف ليلة وإلا بربك ماذا كنت أصور لنفسي وأمامي أنثى فاتنة تقوم على خدمتي ؟

أين كانت هذه الحورية . ولماذا أنت ؟ أكانت الأيام تدخرها لي لتضاعف من هناءتي ؟ لعلها كانت في سفر . أو لعلها هبطت من السماء ، فمن يدري . غير أنها كانت على أي حال ابنة صاحبي الفندق . وقد أصبحت فاذا يحتويها مسكن يحتويني ، فلا تسل كم وضعت من الخطط ، وكم من المشرعات قتلته بحثا !!

وتعودت رؤيتها كل يوم ، كما تعودت أن أحادثها ... فآمنت أني بحاجة إليها ، فقد كانت أنثى يمانقها شباب العشرين أنثى عذبة تطوف حولها أحلام بيض ، ويوم حدثتها عن نفسي وأنا آكل قلت لها إني أريد صداقتها . صداقتها فقط .

ورضيت هي بهذه الصداقة ورفعت الكلفة بيني وبينها .

وكانت لاتكاد تدخل غرفتي حتى ترمي خارج الباب كل شيء يقيدها وكانت أحيانا تميل على برأسها فتفتر أعصابي، وأتلاشى في عطرها المترف الرقيق . ولم تكن تعمد مطلقا إلى سحب يدها من يدي حين أمسك بها .

وقنعت ياأخي منها بذلك ، وأبيت أن أخطو خطوة واحدة . فقد كنت أخشى أن أرتطم بألف سد ، وكان حرصي الشديد عليها يحجم بي عما كنت أظن أنه يؤلمها . ثم كان يجب على أن أدرك أن عين الأم ترقبنا دائما . فلم يحدث أن دعوتها للخروج معي ، ولم تبدر مني بادرة توحي بأني راغب في قضاء سهرة معها . غير أني كنت أحس أنها لن ترفض إذا عرضت عليها عرضا .

إلى أن التقيت بها في إحدى صالات الرقص .. وكانت مع أبيها . ورأتني فابتسمت فدنوت منها مترددا وجلا وما رآني الرجل حتى استقبلني صاحا ضاحكا ، واستقبلتني هي في عين راعدة وشفة تختلج إلا أنها لم تستطع أن تكتم ضحكتها حين اعتذرت عما إذا كنت قد أقحمت نفسي عليها

وعاد الرجل يضحك ، ثم انطلق صوته في سرعة وعصبية ولكنه لم يتكلم في هذه المرة عن مسكنه ، فقد كان وراءه ماهو أهم كاراج يقول ، ولو لاها هي ... لولا ابنته لكان الآن في غير المكان ثم رجاني أن أعودبها إذا لم أمانع ، وانصرف قبل أن يعرف رأيي ، وكأنه كان على ثقة من رضائي !

حدث كل ذلك في وجيز وبين دقيقة وأخرى وجدت نفسي معها ، غير أني استشعرت أني وإياها في بحر عريض وسيع ، ولم أدر أين أذهب بها .. لقد كنت أريد أن أبتعد بها عن كل عين ، كنت أريد دنيا لا يمشي على أرضها أحد سوانا !

ونظرت إليها .. وكانت هي تتطلع نحوي ، فأسبلت أهدابها وحاولت أن تبتسم . وكانت خجلة على أكبر الظن ، أو كانت مترددة مثلي لاتدري ماذا تقول . واجتذبتها من ذراعها وأنا أهمس أتريدين الرجوع ؟ فأجابت في خفوت : وأنت ماذا تريد ؟

ثم قضينا معا أبدع ساعات ثلاث . ولما قفلنا راجعين كادت الدموع تطفر من مآقينا . وعلى الباب تكلمنا كثيرا ، وحاولت أن تشكرني ، فاستوقفتها قائلا : اسكتي .. ودعيني أتطلع إليك ، فإني أرى في عينك دنياي !

وكنا في عتمة .. وعلى ضوء المصباح الشاحب رأيت هاتين العينين تلمعان ، وأردت أن أقول لها شيئا ، فلم تدعني لأنها . . . لأنها قاطعتني بلثمة مذعورة من ثغرها الدقيق . ثم أنثنت تصعد الدرج مسرعة وأنا خلفها . .

وفي اليوم التالي تحدثنا عن كل شيء ، واستعرضنا ماحدث ولكننا لم نتحدث عن قبلة الليل وكنت سعيدا ، وكانت هي سعيدة وأقسمنا معا أن نظل وفيين أفتحسبنا كنا نلهـو أيها الصديق ؟ أما الأم فلم أرها ، وأخبرتني هي أنها غضبى !.. لعل ذلك لأنها كانت معي ، أو لأنها تألمت حين علمت أن زوجها فقد بالأمس بعض ماله في غير نفع .

ثم اجترأت ، وحاولت أن أعيد عليها صورة وداعنا وأمسكت بها فتخلصت مني برفق تقول : أرجوك

وتكرر خروجها معي وفي هذه الأثناء كانت صلتي بأمها تزداد توترا ، وكأنما كان بيني وبينها ثأر قديم . لقد كنت ياصديق أحاول أن أجملها في جانبي ، ولكنها كانت كالجـواد الجموح لايرضيها لين ، ولا تخدعها رقة ، ولا يقنعها تظاهري لها بالخضوع وخيل إلي أنها لاترضى من خروجي بديلا .

وأقسم أن هذه الفكرة روعتني ، وحاولت عبثا أن أقنع نفسي بغير ذلك وفي اليوم الذي ظننت فيـه أني موشك على إزالة حـدة التوتر سمعت منها رأيها في بصراحة لم تعجبني .

وأؤكد لك ياأخي أن صورة صاحبتي هي التي حالت بينها وبين لساني ومع ذلك فقد تفضلت وصارحتني بحاجتها إلى غرفتها .

وفزعت إلى الرجل فنصحني بالتريث ، وتفقدت صاحبتي فلم أعثر لها على أثر . وبدا لي أن العجوز عملت على إبعادها من

طريق . . فهل كانت تدرى ساقى بها ؟ أما أنا فقد كنت أوقن أنها لا تعرف شيئا مطلقا . على أنى فى يوم وليلة اعتزمت الرحيل!

وأرجو ألا تحسب أن هذا الرحيل كان على سهلا . وكان شيء واحد يشغلني هو : كيف أتصل بها . وكنت ساهما تائها حين سمعت بابى ينفتح فى رفق ، فالتفت لأرها تدخل ثم تغلق الباب على وعليها . .

قالت : أسترحل ؟ . بالله قل لا ، فأنا أريدك هنا

وقت لها وهمست : وأمك . . إنها لا تحبنى ولا تريدنى وأطرقت قليلا ثم رفعت رأسها فإذا بدموع غزار تأتلق على خديها وعزق قلبى أسى وأسفا .

وتقدمت نحوى وانطوت بين ذراعى فى وداعة ، وأخذت تضغط على صدرى كأنما تخشى على شيئا . ورفعت يدى لأمسح دموعها . . ولأول مرة فى حياتى أحس أن شيطانى يتخلى عنى فلا يغرينى بإثم دفىء . ولم تغادرنى إلا بعد أن أخذت منى وعداً بالبقاء . . !

يا صديقى . . لا تجعلنى أطيل وقوفى هنا ؛ فحسبى أن أقول إنى استشعرت أنى أحبها من أعماق . وآمنت أنها وإن كانت أنثى فهى لم تكن كـكل واحدة . . كان يخيل إلى أنها غير من عرفت ، وكان نجاحها فى قتل غرائزى ما رفعها فى عينى أنا الذى كان ينظر إلى المرأة دائما نظرة جائعة . ملأنى حبها فأحببت روحه . وهل كان فى وسعى أن أنسى هذه الليلة التى جمعتنا فيها ابتهالة مؤمنة طاهرة ؟

إن نفسى أيها الصديق لم تنطو على طيش ونزق . ويوم عرفت أن بجانبى عذراء تريد أن تبقى نقية طاهرة حرصت على أن أصونها ولما رجتنى ألا آتى بما يعكر صفو علاقتنا قررت أن أنتظر . . وفى أثناء ذلك حاولت عبثا كسب صداقة أمها

لقد أصبحت هذه تؤرق مضجعى وتقلق راحتى وكنت من حين إلى حين ألمح ابنتها فأرى فى عينيها توسلا ، وأحس بروحها الآلة ترجو منى أن أبقى ... من أجلها ! !

وفى ظهيرة أحد الأيام ـ وكانت أمها فى المطبخ ـ دخلت على لهفى جازعة . وفى روعة المفاجأة نسينا أنفسنا فاحتضنا ، ورفعت إلى ثغرها فقبلتها . وارتعدت شفتاها فى همس باك : سأسافر فى الغد ... ولن تبقى أنت أيضاً فلا أريد أن تبقى معها .

فأسرعت أقول : لنهرب .. فلن يمنعنا شيء من ذلك ؛ فأنا أحبك وأريدك لنفسى . فاستضحكت فى مرارة وقالت : أنسيت أنى ... أنى مسيحية ؟ !

وطفرت من عينيها الدموع ، ومالت على تقول : ولـكن تذكرنى .. تذكر أنى أحببتك حبا باركته الأحلام والدموع والأنات . وانفلتت خارجة ... ولم أرها بعد ذلك !

أجل ياصديقى ... لقد أصبحت فإذا ورقة تحمل عطرها بجانب بابى ، وقرأتها فإذا بها هذه الـكلمات « ربما كان هذا كله حلما .. أو ربما كان واقعاً عشناه ، اسأل نفسك فسأسأل أنا نفسى دائما وعزائى أنك كنت معى لطيفا مخلصا »

وقبلت الورقة ، ووضعتها فى جيبى . وانطلقت خارجا ، ولم أعد إلا لأحمل حقائبى .. وتركت جنتى لأعيش على الأرض مع البشر !

أحمد كمال زكى

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٥٠

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لاصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير وفضلا عن أهمية الاعلان فى الجداول المذكورة فان المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيدا فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظرا إلى الاقبال على الاعلان فيها شديد — ولزيادة الاستعلام اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات — بالادارة العامة

بمحطة مصر

العدد ٨٧٠ — ٦ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

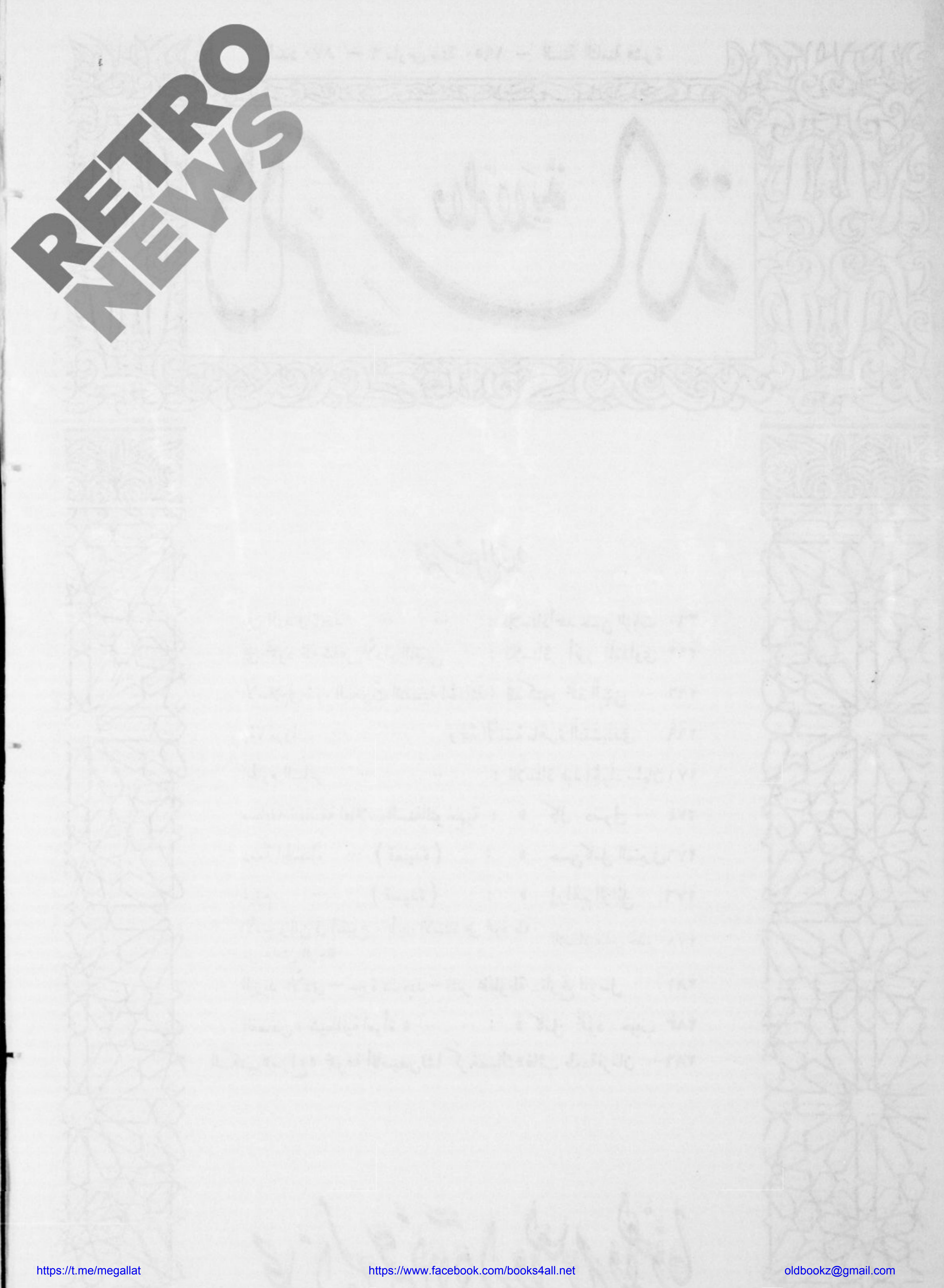
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

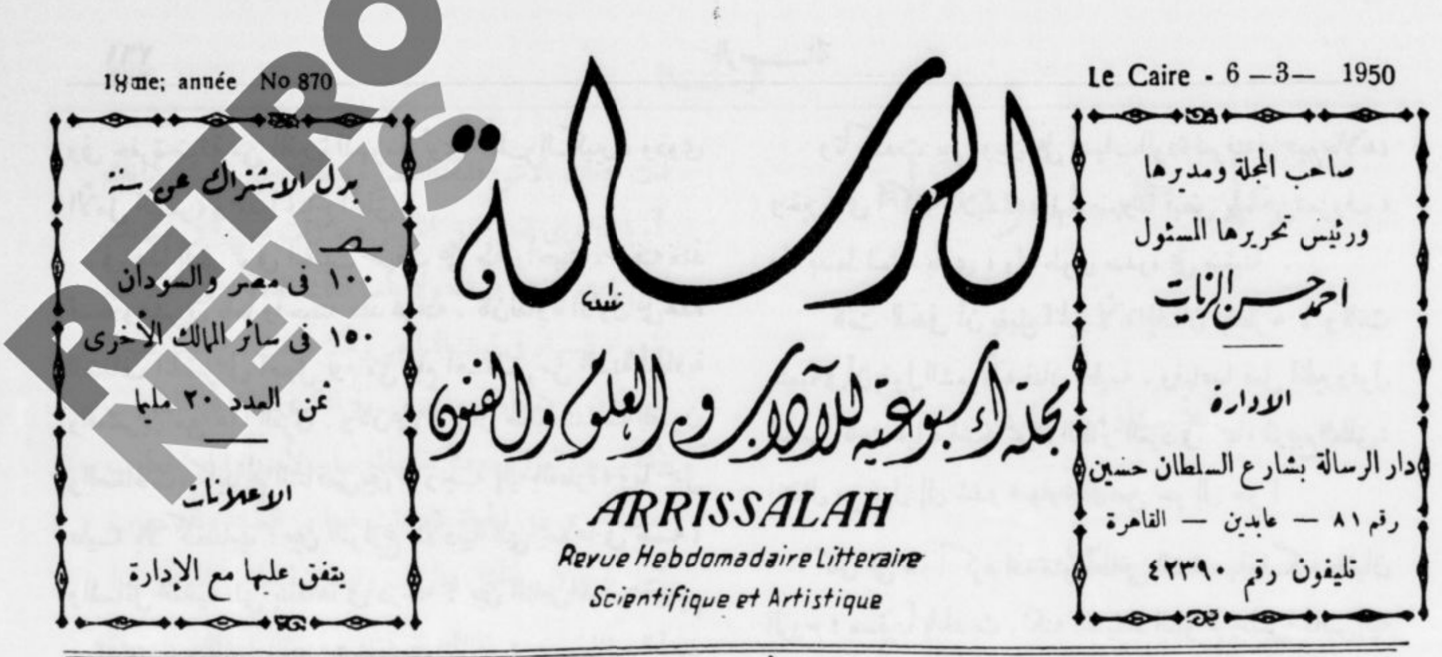
العدد ٨٧٠ — ٦ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




18me; année No 870

Le Caire - 6 — 3 — 1950

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١٧ من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ — ٦ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

بين المهد واللحد

الكلمة التي ألقيت في تأبين الأستاذ علي محمود طه بالمنصورة



سادتي أقرباء علي طه، وأصدقاء علي طه:

نحن هنا في البلد الذي خرج فيه إلى نور الوجود. ونحن هنا في البلد الذي رجع فيه إلى ظلام العدم!

نحن هنا في البلد الذي قدم إليه المهد مزيناً بأوراد الربيع، مشرقاً ببسمات الحب، محفوفاً بنظرات الأمل؛ ونحن هنا في البلد الذي أعد له اللحد مكللا بأزهار الخريف، مبللا بعبرات الأسى، مودعاً بحسرات الذكرى!

نحن هنا في البلد الذي نشأ علياً على حب الجمال، وهيأ علياً لرسالة الشعر، ووجه علياً إلى طريق المجد. ونحن هنا في البلد الذي خُتم فيه على القلب الشاعر، وضُرب فيه على السمع الواعي، وحكم فيه على اللسان البليغ!

من هذا الشاطىء شاطىء المنصورة ركب الملاح زورقه الهائم، ثم مخر به العباب في خضم الحياة. تارة يختفي، وتارة يظهر. فإذا اختفى غاب مع (الأشباح والأرواح) في جزر الأرخبيل أو على جبل الأولب؛ وإذا ظهر شوهد على سواحل كليوبطرة يردد اللوعة والأنين، أو على جندول البندقية يرجّع الشوق والحنين، أو في بحيرة كومو يمجد الحب والجمال في صور الناس ومجالي الطبيعة.

وكذلك كان في كل بحر يجري فيه، وفي كل ساحل يدنو منه: يرسل الأنغام العذبة من قيثاره المرح، ويبدع الصور الجميلة بريشته الفنانة، وينفح الصدور المكروبة بنسماته الشعرية السحرية التي تُسرّي هموم النفس وتهوّن متاعب الحياة.

ثم غام الأفق في وجه الملاح، وثارت الأعاصير على جوانب الزورق، فكلّت الذراع وسكن المجداف وتمزق الشراع. وفي يوم من الأيام السود ألقى في ساحل المنصورة حطام الزورق وجثة الملاح!

وفى حفرة ضيقة من المقبرة المنهومة ثوى القلب الـكبير ، وذوى الأمل النضر، وهمد الجناح المحلق !

فى هذا البلد الوفى الحبيب عرفت على طه وأحببته،عرفته منذ تسعة وعشرين عاماً وأحببته منذ عرفته . كان لقاؤنا الأول على هذه الضفاف الخضر فى أصيل يوم من أيام أغسطس من السنة الحادية والعشرين من هذا القرن . وكان على لا يزال طالباً بمدرسة الفنون والصناعات،يكابد ألم التناقض بين ما وجِّه إليه بالفطرة، وما جُبل عليه بالاكتساب ؛ بين النوازع الأدبية التى يجدها فى نفسه ، والمسائل العلمية التى يتلقاها فى درسه ؛ بين الناس الذين يتخيلهم فى الذهن ، والناس الذين يتمثلهم فى الخارج ؛ بين مطالب الجسد التى تربطه بالأرض ، ونوازى الروح التى تجذبه إلى السماء .

كان يقضى طرفى نهاره فى قهوة ماتيو بشارع البحر ينظر فى كتاب مرة ، ويكتب فى ورقة مرة؛ ثم يذهل عن الكتاب والورقة ويرسل بصره إلى الأفق البعيد، ثم يرده إلى نفسه وينطوى عليها انطواء الفيلسوف المفكر أو الشاعر الحالم . فإذا جلس إليه أحد ثقاته أخذ ينفس عن صدره المكظوم بالحديث عمن يحب أو بالشعر فيمن يحب . وحبه يومئذ كان حب الفنان الخيالى يجمله بالتنزيه والحرمان منبعاً للألم ومبعثاً للشكوى ليرهف به شعوره و يغذى عليه شعره .

قلت له ذات يوم : ما بالك يا على وأنت فى زهرة العمر ونضرة الصبى حزين الشعر ضائقاً بالناس والحياة ؟ فهل تشكو من مرض ؟ فقال على،وما زلت أذكر ما قال : إنما أشكو مرض الاغتراب . يخيل إلى أنى من قوم آخرين ومن بلد آخر ، فأنا لا أزال أشتاق إلى القريب المجهول،وأحن إلى الوطن النازح . ويشتد بى النزوع أحياناً فأتمنى لو أطير . وأتوهم حين يخفق قلبى أنه طائر يريد أن ينهض ، وأن ضلوعى من حوله قفص يأبى أن ينفرج

ثم انقضى ذلك العهد وانقضت معه تلك الحال الغريبة.ودخل على فى زحمة الحياة وغمار المجتمع فأزهر الوجه الشاحب ، وانبسط المحيا الـكئيب ، وابتسم الشعر الحزين ؛ وتشعبت فى نفسه أصول الجمال والحب ، فامتد فى نظره الجمال إلى العمل والخلق والسلوك ، واتسع فى قلبه الحب للخير والأخاء والمروءة . ولذلك عاش ما عاش فى سلام من نفسه، وعلى وئام مع الناس

وتأكدت بينى وبين على أسباب المودة فعرفته فى جميع حالاته، وخبرته فى أكثر ملابساته،فلم أره يوماً قبض يده عن معروف ، ولا بسط لسانه بأذى ، ولا طوى صدره على ضغينة .

كانت لذته فى أن يفعل الخير لأنه إنسان بفطرته ، وكانت متعته فى أن يقول الشعر لأنه فنان بطبعه . وفيما عدا فعل الخير وقول الشعر كانت حياته أشبه بحياة الطائر الفرد فى سماء الربيع الطلق: انتقال من غزل إلى شدو ، وارتحال من جو إلى جو !

كان على طه أكرم الله مثواه طاغى الشخصية ولـكنه طغيان الروح ؛ مستبداً بالحديث ولكنه استبداد النبوغ يجلس الجالس إليه ويطيل الجلوس ويكرره، ولـكنه فى كل جلسة يجد نفسه فى حضرة رجل ممتاز. وامتيازه كان من طلاوة حديثه وشجاعة رأيه وصراحة قوله وعفة لسانه وحرية ضميره وخلوص قلبـه . كان فى صرامة الرجل ووداعة الطفل،فلا يسع من يلقاه إلا أن يجله ، ولا يملك من يعرفه إلا أن يحبه .

وكان شعره صورة لشخصه ومرآة لنفسه . تقرأه فكأنما تقرأ فى قلب مفتوح ، وتنظر فيـه فكأنما تنظر فى أفق منـير . أجمل ما فيه الصدق ، وأقوى ما فيه الجمال ، وأعظم ما فيه الحب . والصدق والجمال والحب هى عناصر الرسالة الفنية التى أداها على طه.

كان شعره صافى الأسلوب لأنه صافى القلب ، متسق الألفاظ لأنه متسق الخلق ، مشرق المعنى لأنه مشرق النفس . وإن من المصائب التى يرفض لها الصبر ويضيق بها العزاء أن نستعمل (كان) فى الحديث عن على طه ! إنه باق ما بقيت العربية، مذكور ما ذكرت العروبة ، خالد ما خلد القرآن .

ولست اليوم بسبيل الـكشف عن عبقريته في فن الشعر ولا عن مكانته فى تاريخ الأدب ، إنما هى عبرات مما بقى فى المآقى جئت أسكبها على ثراه ، وزهرات من الروض الذى كان يحبه جئت أنثرها على قبره !

رحم الله الفقيد العزيز أوسع الرحمة ، وعزى عنه الأمة العربية أجمل العزاء ،وعوض الأدب الرفيع من فقده خير العوض .

احمد حسن الزيات

علي محمـــــود طه

حياته من شعره

للأستاذ أنور المعداوي

— ١٢ —

كانت بيئة ضنت عليه بما يشتهى ، وحرمته أكثر ما يطلب ، وقيدت قدميه فما يستطيع أن يندفع ، وطوت جناحيه فما يستطيع أن يطير … ولم يكن واحـداً من هؤلاء الذين يرضون بالقيود ويخضعون للأصفاد ، ولئن رضى بالأولى وخضع للثانية فى تلك الفترة التى يتنزى فيهـا شباب الروح والجسد ، فلأنه كان نتاج مجتمعه ووليد بيئته . ومن هنا اشتكت روحه وتعذب جسده وضجت بخيبة الرجاء أمانيه !

اشتكت روحه من وطأة القيد وسطوة السجان ، وتعذب جسده من قوة الغريزة وغلبة الحرمان، وضجت أمانيه وهو يتطلع إلى الأفق البعيد وبين جنبيه رهبة المشفق من مستقبل مجهول … وانعكس هذا كله على فنه : أنات متصلة ينقلها إليك شعر تكاد تشم فيه رائحة الدموع؛ شعر مظلم إن عثرت فيه على البسمة المشرقة فهى التماعة البرق الخاطف فى سماء داكنة ، تظلل حواشيها ألوان من السحاب والضباب! واستمع إلى هذه الشكاة الأولى فى الصفحة الثالثة والثلاثين من « الملاح التائه » ، من قصيدة عنوانها « غرفة الشاعر » :

أيها الشاعر الـكئيب مضى الليل وما زلت غارقاً فى شجونك
مسلماً رأسك الحزين إلى الفـكر وللسهد ذابلات جفونك
ويد تمسك اليراع وأخرى فى ارتعاش تمر فوق جبينك
وفم ناضب به حر أنفاسك يطفى على ضعيف أنينك
لست تصغى لقاصف الرعد فى الليل ولا يزدهيك فى الإبراق
قد تمشى خلال غرفتك الصمت ودب السكون فى الأعماق
غير هذا السراج فى ضوئه الشاحب يهفو إليك من إشفاق
وبقايا النيران فى الموقـــد الذابل تبكى الحياة فى الأرماق
أنت أذبلت بالأسى قلبك الغض وحطمت من رقيق كيانك
آه يا شاعرى لقد نصل الليـل وما زلت سادراً فى مكانك
ليس يحنو الدجى عليك ولا يأسى لتلك الدموع فى أجفانك
ما وراء السهاد فى ليلك الداجى وهلا فرغت من أحزانك ؟
فقم الآن من مكانك واغنم فى الكرى غبطة الخلى الطروب
والتمس فى الفراش دفئاً ينسيك نهار الأسى وليل الخطوب
لست تجزى من الحياة بما حملت فيها من الضنى والشحوب
إنها للمجون والختل والزيف وليست للشاعر الموهوب !

لقد حدثناك عن المزاج الـكئيب فى شـبابه الباكر وها هو بين يديك فى البيت الأول ، وحدثناك عن الطبع الحزين فى حياته الأولى وها هو يطل عليك من البيت الثانى. وزد على ذلك الجفون الملتهبة من السهد ، والأصابع المرتعشة فوق الجبين، والفم الناضب من رحيق الحب ، والشعور الطافح بحرارة الأنين ! وأى شباب هذا الذى يشغل عن الرعود حين تقصف وعن البروق حين تسطع ، بتلك الغرفة الصامتة وهذا السكون العميق ، يرقب بروحه الغافية ضوء المصباح الشاحب شحوب الأمل ، وبقايا النيران فى الموقد الذابل ذبول الحياة ؟! يمر عليه النهار فيعصف بقلبه الغض وكيانه الرقيق عصف الرياح العاتية بالنبتة الواهية ، وينقضى عليـه الليل وهو حائر فى مكانه من الغرفة الصامتة لا يطمئن ، ولا شىء فى عينيه غير الدموع ، ولا شىء فى فكره غير السؤال عما وراء السهاد … ولا جواب !

وأى شباب هذا الذى يفزع من وحشة اليقظة إلى أحضان الـكرى ينشد الأنس الأنيس فى ظلال الأحلام ، ويلتمس فى الفراش شيئاً من الدفء ينسيه برد الأسى وتجهم الأيام ؟! هو ذلك الشباب الذى خلق للضنى والشحوب ، وخلق لهـذا المزاج الرومانسى الضارب فى مجاهل الغيوب ! … ومرة أخرى تعال نستمع إليه وهو ينثر بين أيدينا خفقات قلبه ، فى هذه الأبيات التى نقتطفها من قصيدة عنوانها «قلبى» ، فى الصفحـة الحادية والخمسين من «الملاح التائه» :

يا قلب : مثـل النجم فى قلق والنـاس حولك لا يحسونا
لولا اختلاف النور والغسق مروا بأفقك لا يطـلونا
فاصفح إذا غمطوك إدراكا واذكـر قصور الآدميينا

أتريدهم يا قلب أملاكا … كلا . . وما هم بالنبيينا !
هم عالم في غيه يمضي … مستغرقا في الحمأة الدنيا
نزلوا قرارة هذه الأرض … وحللت أنت القمة العليا
عباد أوهام وما عبدوا … إلا حقير منى وغايات
ومناك ليس يحدها الأبد … دنيا وراء اللانهايات !
يا قلب كم من رائع الحلك … ألقاك في بحر من الرعب
كم عذت منه بقبة الفلك … وصرخت وحدك فيه يا قلبي
ومضيت تضرب في غياهبه … وترد عنك المائج الصخبا
تترقب البرق اللطيف به … وتسائل الأنواء والسحبا
وخفقت تحت دجاه من وجل … كالطير تحت الخنجر الصلت
وعرفت بين اليأس والأمل … صحو الحياة وسكرة الموت
يا قلب عندك أي أسرار … ما زلن في نشر وفي طي
يا ثورة مشبوبة النار … أقلقت جسم الكائن الحي
حملته العبء الذي فرقت … منه الجبال وأشفقت رهبا
وأثرت منه الروح فانطلقت … تحسو الجحيم وتأكل اللهبا
وعجبت منك ومن إبائك في … أسر الجمال وربقة الحب
وتلفت المتكبر الصلف … عن ذلة المقهور في الحرب
يا حر كيف قبلت شرعته … وقنعت منه بزاد مأسور ؟
آثرت في الأغلال طلعته … وأبيت منه فكاك مهجور !
وصحوت من وهم ومن خبل … فإذا جراحك كلهن دم
لجت عليك مرارة الفشل … ومشى يحز وتينك الألم
والأرض ضاق فضاؤها الرحب … وخلت فلا أهل ولا سكن
حال الهوى وتفرق الصحب … وبقيت وحدك أنت والزمن !
وصرخت حين أجنك الليل … متمرداً تجتاحك النار
وبدا صراعك أنت والعقل … ولأنتما بحر وإعصار !
ما بين سلمكما وحربكما … كون يبين ويختفي كون
وبنيتما الدنيا وحسبكما … دنيا يقيم بناءها الفن !

أنظر ، هنا زفرة تأخذ مكانها في الطليعة من هذه الزفرات ، زفرة مصدرها أن الناس لا يحفلون به وهو الشاعر الموهوب . والإشارة إلى حقه المهضوم تطالعك في البيت الأخير من « غرفة الشاعر » في لمحة عابرة ، ولكنها تواجهك هنا في وقفات متأنية متتابعة ... لقد كانت حياة علي طه كما استخلصناها من صحبته بالأمس وكما نستخلصها اليوم من شعره ، كانت فراغاً موحشاً في أيامه الأولى بقدر ما كانت امتلاء مؤنساً في أيامه الأخيرة . حرمان من المرأة وحرمان من الشهرة : وهذا هو الفراغ الذي يحيل الحياة جحيما لا نسمة فيه تنعش زهرة الفن ولا قطرة ماء تروي شعلة الجسد ! هنالك رجل قد يحل إرضاء الجسم في حياته محل إرضاء الإسم تبعاً لمركب النقص ومركب التعويض ، أي أنه إذا حرم متعة من المتع أمكن أن يستعيض عنها بمتعة أخرى تشعره أن الحياة ليست قفراً في كل مكان وليست فراغاً في كل آن ... فإذا فقد ذيوع الصيت مثلا أو شيوع الذكر ونباهة الشأن ، فإنه يستطيع أن يشغل عن اللذة النفسية بلذة أخرى حسية ، تتمثل في تلك الصلات التي تعمل في ميدان الجنس حيث تستنفذ القوى الكامنة بين شعاب الغريزة . ولك أن تعكس القضية من وضع إلى وضع حين تقوم المنويات مقام الماديات ، لتتم عملية الاستبدال بين طاقة إنسانية تقنع بواقع الحقائق وبين طاقة أخرى تقنع بما وراء الحقائق من أوهام !

لو وجد علي طه المرأة في إبان شبابه لسكن الجسم القلق وخبت الجذوة المتأججة وخفتت الصيحة الساخطة على مرارة الحياة . ولو حصل على الشهرة لاستقر القلب الحائر واطمأن الفكر الشارد وفترت الصرخة العاتبة على إدراك الناس . ولكنه حرم كلتا المتعتين فعاش غريباً في دنياه ... غريباً بالقلب والفكر والروح !!

ولا بد هنا من سؤال يفتح أمام السائلين باباً من أبواب الحقيقة المستترة وراء الظواهر الفنية في حياة هذا الشاعر ، وهذا هو السؤال : لم حيل بينه وبين الشهرة فلم يظفر بالمجد الأدبي الذي كان يتطلع إليه ويحلم به ويتمناه ؟ هل كان شعره في مرحلة شبابه الأول دون المستوى المنشود لتحقيق مجده في سجل الشعر وترديد اسمه على أفواه الناس ؟ كلا ، فلم يكن شعره في تلك المرحلة دون المستوى المنشود بحال من الأحوال ، بل لقد كان من أجود الشعر وأصدقه وأحفله بوثبات الأداء ، ولكن كان فيه جانب نقص حال بين الشاعر وبين فرصة الظهور ... لقد كان علي طه يدور بأكثر شعره حول محور ذاته شأن المنطوين على أنفسهم من شباب ذلك الحين ، ولقد شغلته نفسه عن الالتفات إلى ما حوله من شئون المجتمع وأحداث الحياة ، وأجبرته بيئته وطبيعته على أن ينظر في

أمر هذه النفس قبل أن ينظر فى أمر غيرها من النفوس ، فى وقت أقام الميزان للشعر الاجتماعى وكاد يهمل ما عداه . ومن هنا تخلف شعر النفس الإنسانية أو شعر الذاتية الفردية عند على طه وأمثاله من الشباب ، ليتقدم شعر العاطفة الاجتماعية أو شعر النزعة القومية عند شوقى وأمثاله من الشيوخ .. وغطى هؤلاء على أولئك من هذه الناحية وحدها لأنهم كانوا الصدى المعبر عن كيان جيل كامل من المصريين ؛ ذلك الكيان الذى كان قوامه رصد الأحداث وتسجيل الهزات وتحريك الهمم وإشعال النفوس !

ولقد كان على طه معذوراً فى أن يشغل بأمر نفسه عن أمر مجتمعه لأنه فنان ، فنان لم يهىء له مجتمعه غير القيود التى أدمت منه الجناح واستنفدت جل وقته فى تضميد تلك الجراح ! وهذه هى الناحية التى غفل عنها الدكتور طه حسين حين اكتفى بتسجيل الظواهر الفنية دون أن يرجع إلى ما وراء الظواهر من أسباب .. وهذه هى كلماته عن الشاعر فى هذا المجال ، نسوقها إليك من الصفحة السادسة والستين بعد المائة من الجزء الثالث لكتاب «حديث الأربعاء» : «وأريد أن أضيف إلى ما يعجبنى فى شعره أنه حلو الأسلوب جزل اللفظ ، جيد اختيار الكلام ، وأن لألفاظه ومعانيه رونقاً أخاذاً تألفه النفس ولا تكلف به وتستزيد منه ، وأن فى شعره موسيقى قلما نظفر بها فى شعر كثير من شعرائنا المحدثين ، وأنه قد استطاع أن يلائم إلى حد بعيد ، لا بين جمال اللفظ وجمال المعنى فحسب ، بل بين التجديد والاحتفاظ باللغة فى جمالها ورونقها وبهجتها وجزالتها . كل ذلك ظاهر فى أكثر ديوانه لا أكاد أستثنى منه إلا هذه القصائد التى قيلت فى المناسبات ولم يوحها الشعور الطبيعى للشاعر ! فشاعرنا ترجمان الطبيعة ، وترجمان الإنسان إذا اتصل بالطبيعة وضل فى فيافيها أو فتن بجمالها ، ولكنه ليس شاعر الجماعات ولا ترجمانها ، شاعر ناعم ، شخصيته أقوى من بيئته ، وليس قصاصاً بيئته أقوى من شخصيته » !

لقد خرج الدكتور من شعر على طه الأول بأنه فى ذلك الحين لم يكن شاعر الجماعات ، وهذا حق ... ولكنه اكتفى بالتسجيل والإشارة دون البحث والتعقيب ، مع أن المفتاح كامن بين طوايا العبارة التى أعلن فيها عدم إعجابه بشعره الذى نظمه فى عدد من المناسبات ، كامن فى قوله بأن تلك القصائد لم يوحها الشعور الطبيعى للشاعر ! الواقع أن «الشعور الطبيعى» لم يوح شعر المناسبات فى ديوان شاعرنا الأول ، وهذه لمسة جد موفقة من الدكتور الناقد ، ولكنه أدار المفتاح فى ثقب الباب ولم يفتح ... لقد كان عليه أن يرجع إلى طبيعته النفسية فى ذلك الحين وما اكتنفها من عوامل البيئة وتأثير النشأة ليربط بين النتائج والمقدمات ، ولو رجع لنفذ إلى أغوار الحقيقة التى تزيح الستار عن « الشعور الطبيعى » حين يجيد التعبير عن «المناسبة الذاتية» دون غيرها من المناسبات !!

وبقى سؤال آخر ننتظر أن يتردد فى بعض الأذهان ، وهو أننا قد أشرنا إلى أن الجمهور القارىء فى الربع الأول من هذا القرن كان لا يستهويه شىء كما يستهويه الأدب الحزين المعبر عن مزاجه الحزين . فكيف يتفق هذا الرأى مع قولنا بأن على طه لم يستطع أن يحتل مكانه فى مقدمة الصفوف مع أن شعره القاتم كان حرياً باجتذاب هذا المزاج القاتم عند قارئيه ؟ ! ... الحق أن موقف الشاعر فى ذلك الحين كان شيئاً يختلف كل الاختلاف عن موقف الكاتب الأديب ، وحسبك أن الجمهور القارىء كان يقبل على الآثار النثرية الباكية وينصرف عن الآثار الشعرية التى يتطرق إليها طابع البكاء . قدم إليه قصة فيها الفاجعة وفيها المأساة ، وقدم إليه قصيدة فيها أحوال المجتمع ومطالب الحياة ، يتهافت على هذه كما يتهافت على تلك ، وحسبك دليلا أن المنفلوطى قد أرضى تلك الأذواق بنثره وأن شوقى قد أرضى بشعره نفس تلك الأذواق ، على الرغم مما بين الوجهتين من تباين واختلاف ! ومرد هذه الظاهرة إلى أن الشعر كان مطالباً فى تلك الفترة بأن يكون اللسان الصادق للحالة الاجتماعية والسياسية ، كان مطالباً بأن يكون ترجمان المشاعر القومية العامة فى وقت كانت النفوس تتحرق ظمأ إلى استرجاع الحرية المسلوبة والاستقلال الضائع والوطن المغتصب ، ذلك لأن الشعر كان أكثر إلهاباً للشعور من النثر ، وحسب النثر أن يعبر عن المشاعر الفردية التى ران عليها الحزن فى نفوس الشباب وخيم عليها الأسى والإنقباض !

ولا بد من التفرقة بين الكتابة الأدبية فى ذلك الحين وبين الكتابة الصحفية ، لأن النثر الصحفى كان يقوم بواجبه القومى إلى جانب الشعر ، ونحن نقصر الحديث على الإنتاج الأدبى فى النثر دون سواه ...

ومن هنا حيل بين شاعرنا وبين الشهرة ، ومن هنا ثار على أذواق الناس وموازين الناس ، هذه الثورة السافرة التى بدأ بها المقطوعات الأولى من قصيدته . . أما بقية المقطوعات فليست إلا ترديدا لتلك الأنغام الباكية التى كانت رجع الصدى لفنون من الحرمان أهمها الحرمان من المرأة ؛ ولقد كان خلو حياته من الشهرة والمرأة كما سبق أن قلنا لك ، مبعثا لهذا الشعور العميق بأنه وحيد فى دنياه ، يعانى قسوة الوحدة وحرقة الاغتراب :

والأرض ضاق فضاؤها الرحب ... وخلت فلا أهل ولا سكن
حال الهوى وتفرق الصحب ... وبقيت وحدك أنت والزمن !

ومرة أخرى ينعى على الناس جحودهم للمواهب وتنكرهم للنبوغ ، وتشعر أنه طريد الظلم وإهدار القيم ، ويأخذ على الشرق غفلته عن تقدير النابهين وبخاصة فى مصر التى لا يلقون فيها غير الشقاء . . هناك فى قصيدة عنوانها « الطريد » فى الصفحة الثامنة والسبعين بعد المائة من « الملاح التائه » ونقتطف منها هذه الأنات :

شق أجنته الدياجى السوادف ... سليب رقاد أرقته المخاوف
ترامى به ليل كأنه سواده ... به الأرض غرقى والنجوم كواسف
إلى أين تمضى أيها التائه الخطى ... يساريك برق أو يباريك عاصف ؟
رأيتك فى بحر الظلام كأنما ... إلى الشاطئ المجهول يدعوك هاتف
تخوض الدجى سهمان والنجم حائر ... يسائل : من ذاك الشقى المجازف ؟
طريد ايفر الوحش من وقع خطوه ... ويغرب عنه الصل والصل واجف
كأن إله الشر يقتحم الورى ... أو أن الردى فى برده الرث زاحف
فواعجبا ! لم تحمل الأرض مثله ... ولا طاف منه بالدجنة طائف
يخاف الثرى مسراه وهو يخافه ... وبينهما يسرى الدجى وهو خائف
ترى أى سر فى الظلام محجب ... أليس له من نبأة القلب كاشف ؟
أجبنى طريد الأرض إنى يهزنى ... إليك هوى من جانب الغيب شاغف
فردد ذاك الطيف صوتا محببا ... إلى كلحن رددته المعازف
وقال أجل إنى الطريد وإنه ... لسر تهز القلب منه الرواجف
أتسألك الأملاك عنى أنا الذى ... رمته الدياجى والرعود القواصف ؟
أجل : إن ذاتى يانجى تنكرت ... لعينك لكن القلوب تعارف !
وما أنا إلا من بنى الأرض تاءبى ... مقيم عذابى والشقاء المحالف
وما كان هذا النوء والموج والدجى ... ليرهب نفسا حقرت ما تصادف
سواء لديها أشرق الفجر أم سجت ... غياهب فى سر الدجى تتكاثف
أيجحد فى الشرق النبوغ ويزدرى ... ويشقى بمصر النابهون الغطارف ؟!
يجوبون آفاق الحياة كأنهم ... رواحل بيد شردتها العواصف
طرائد فى صحراء لا نبع واحة ... يرق ولا دان من الظل وارف
ألا إن لى قلبى طعينا تحوطه ... عصائب تنزو من دمى ولفائف
أقلته أحنائى ذماء ولم أزل ... به فى غمار الحادثات أجازف
كما رف نسر راشه السهم فارتقى ... خفوق جناح وهو بالدم نازف !

من يصدق أن صاحب هذا الشعر هو على طه ؟ ومن يصدق أن الدنيا التى ودعها وهى على شفتيه ابتسامة عريضة قد استقبلها يوما وهى فى عينيه دمعة محرقة ؟ هكذا كان ! وجوهر شخصيته أنه لم يخلق للدموع وإنما خلق للبسمات ، ولم يخلق للقيود وإنما خلق للتحرر والانطلاق . ومفتاح شخصيته أنه كان فى شبابه الأول من صنع بيئته وأنه كان فى شبابه الأخير من صنع نفسه . . أى أن بيئته بالأمس كانت أقوى من إرادته فأخضعت تلك الإرادة وقررت مصيره فى غمار الحياة ، وأن إرادته بعد ذلك قد تغلبت على بيئته فحطمت أغلال تلك البيئة وهيأت له أن يختار مصيره برضاه ! !

لقد كانت الحرية ملتقى أحلامه وحديث أمانيه ، وكانت الحرية فى رأيه هى ذلك النبع الفياض الذى تتطهر فى مياهه آلام الجسد والروح ، ولن تتطهر آلام جسده وروحه إلا إذا ظفر بشيئين : المرأة والشهرة . . وفى سبيل هذه الشيئين ظل يكافح الأمواج والأنواء طيلة ثلاثين عاما حتى بلغ المرفأ ؛ وحين بلغ المرفأ بزورقه المجهد بعد رحلة مضنية ، استطاع أن يعب من هواء الحرية وأن يتنفس بملء رئتيه وأن يبتسم فى وجه الأيام . ومن وراء هذه البسمة المشرقة راح يتطلع إلى ماضيه ، ولم يملك حين أطل على الماضى المظلم من فوق قمة الحاضر الوضىء ، لم يملك إلا أن ينظر إلى العمر الذى ضاع نظرة الساخر الشامت أو نظرة الظافر المنتصر ! وارجع إلى قصيدته فى « بحيرة كومو » لتدرك كيف كان ينظر إلى حياته فيما قبل الثلاثين :

شاعر النيل طف بها ... غنها كل مبتكر
الثلاثون قد مضت ... فى التفاهات والهذر !

(يتبع) أنور المعداوى

الاسلام
في ضوء البحوث النفسية الحديثة
— ١ —

للدكتور محمد البهي
أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية أصول الدين

لم يختلف موضوع البحث النفسي في الحديث عنه في القديم، فقد كانت « النفس الانسانية » ومازالت موضوع هذا البحث منذ أن عرف للانسان الباحث استقلال في بحثه عن تعاليم الكهان في الجماعات البشرية الأولى إلى عصرنا الحاضر.

والجانب الذى يفترق به أحد النوعين عن الآخر هو فقط في النظرة التي يعالج بها موضوع «النفس». فبينما كان يتجه القدامى من المعالجين للنفس الانسانية .. وكذا من سلك طريقهم من علماء القرون الوسطى — إلى محاولة الكشف عن «حقيقتها» : ماهي ؟ وهل لها استقلال ذاتي عن الجسم ؟، وعن مصدرها ومصيرها : هل هي من عالم الأزل وسترد إليه ؟ أم تنتسب إلى عالمنا الذى نعيش فيه ؟ وعن أقسامها وأنواعها : منها ما هو خير، ومنها ماهو شرير، ومنها ماهو مزيج من الخيرية والشرية . . . إلى غير ذلك من التساؤل الميتافيزيقي، خاضعين في الاجابة والشرح لما كانت تقول به فلسفة « ما بعد الطبيعة » تحت تأثير آراء التعاليم الدينية الأولى على نحو مايذكر في علم القصص الديني القديم (الميثولوجي)، بينما كان ينحو بحث القدامى هذا النحو إذا بالمحدثين يعدلون عن هذا الاتجاه الميتافيزيقي في تحديد مشاكل النفس وتفسيرها إلى اتجاه آخر يجعل من أحوال « النفس » الخارجية التي تخضع للملاحظة الانسانية أو التجربة العلمية موضوع الشرح والتعليل والعمل السيكولوجي على العموم.

ولسنا الان بصدد ذكر العوامل التي دفعت المحدثين إلى مخالفة منهج القدامى ونظراتهم في ميدان البحث النفسي، لأن ذلك موضوع آخر يطرق فيما بعد.

***

وإذا كانت نظرة المحدثين في معالجتهم « النفس » تجاوزت حقيقتها إلى ما يصح أن يسجل من أحوالها على العموم فقد استعاضوا كذلك عما ألفه القدامى من الحديث عن « مبدإ » النفس و « معادها » وعما اعتاد هؤلاء أن يرسموه من طريق لحياتها، من كونها : تبتدىء بالهبوط من أعلى وتنتهي من جديد بالصعود إلى ذلك الأعلى والخلود فيه، استعاضوا عن ذلك بوضع خط سير آخر : بدايته البدائية، ونهايته الرشد والنضوج.

فتحدثوا عن تطور للنفس، وعن مراحل لهذا التطور. وعنوا ببحث الطفولة ومظاهرها كرحلة أولى في هذا التطور، وكذا ببحث البلوغ النفسي أو العقلي كرحلة أخيرة له. واستخلصوا من مظاهر الرحلتين خصائص متقابلة، وأرجعوا خصائص كل مرحلة منها إلى قوانين عامة، لها من الاعتبار والقيمة العلمية ما للقوانين النفسية الأخرى — المنتزعة من مجال بحث نفس آخر —. أما الحلقة الوسطى التي تقع بين هاتين المرحلتين في سير التطور النفسي — وهي من سن السابعة إلى الرابعة عشر تقريبا — فلم يروا لمظاهرها ما يجعلها مستقلة تماما عن مظاهر المرحلة السابقة عليها ومظاهر الأخرى اللاحقة لها؛ بل وجدوا فيها من خصائص كل من المرحلتين ما ليس على سبيل الانفراد أيضا. ولذا اعتبروا هذه الحلقة من حلقات تطور الانسان معبرا، ونظروا إليها كرحلة انتقال من طور قائم بذاته إلى آخر مستقل عنه تماما. ومن هنا ندرك : لماذا عنوا ببحث الطفولة الانسانية ثم ببحث البلوغ العقلي أكثر من عنايتهم ببحث المرحلة الوسطى بينهما.

***

وقاسوا على الطفل في مرحلة الطفولة الأولى — وهي من السنة الأولى إلى السابعة — الانسان البدائي في درجة البلوغ الجنسي، وهو كل إنسان لم ينضج نضوجا عقليا ونفسيا حسب معاييرهم. صنعوا ذلك لوجود الشبه في المظاهر النفسية بين الاثنين. وكلمة : «الطفولة» إذن عنوان على عدم الرشد، وتقابل تماماً — كما ذكرنا — البلوغ العقلي أو النضوج الانساني.

وتبع علماء النفس في تقسيم الانسان إلى فرد بدائي غير رشيد وآخر بالغ أو ناضج حسب تحديدهم لمظاهر النوعين علماء الاجتماع في تقسيم الجماعة الانسانية إلى بدائية أو فطرية وأخرى ناضجة

أو متحضرة . وراعوا فى تقسيم الجماعة على هذا النحو نفس المقاييس التى عرفت لعلماء النفس .

ونهج منهج النفسيين والاجتماعيين مؤرخو العقائد الدينية فى موازنتهم بين الأديان . فجعلوا منها ضربا بدائيا وآخر راقيا . وقصدوا بالأول ما كانت معتقداته تصور مظاهر الطفولة ، وبالثانى ما كانت معتقداته ووصاياه تمثل مظاهر البلوغ العقلى للانسان . فاستعاروا التقسيم لموضوعهم وكذا الأساس الذى قام عليه من علماء النفس أيضا .

وبالحديث عن مظاهر الطفولة عند النفسيين سنعرف بطريق المقابلة مظاهر الرشد أو البلوغ العقلى عندهم ، ويمكن بالتالى عن طريق الاسترسال تصور الجماعة البدائية والجماعة المتحضرة عند علماء الاجتماع ، وكذا أخذ صورة ، عن الديانة البدائية والأخرى الراقية عند علماء الأديان .

* * *

وفى الحديث عن مظاهر الطفولة النفسية سنقصر الكلام على بعضها — كأمثلة فقط — مما لبيانه أثر فى توضيح الاسلام كدين وهو هدف هذا الحديث . سنقصر الكلام على وصف :

١ ـ إدراك الطفل فى مرحلة الطفولة الأولى ـ من السنة الأولى إلى السابعة ـ ،

٢ ـ وجدانه ،

٣ ـ صلته بالعالم الخارجى ،

٤ ـ سلوكه وتصرفاته ،

٥ ـ أحكامه وتقديره .

* * *

١ — ادراكه :

فى الجانب الأدراكى : يقف إدراك الانسان فى مرحلة الطفولة الأولى عند حد المحسوس من الأشياء . ثم ما يدركه من ظاهر الشىء هو الشىء على الحقيقة عنده . وهكذا :

(ا) جزء الشىء يعبر فى نظره عن الشىء كله ، وهو كانه هو : فالبرتقالة مثلا لا يدركها بكل مقوماتها من شكل ، ولون ، وطعم ، وغير ذلك من خصائصها التى تتصل بألياف البرتقال وعصيره مثلا بل بما ينجذب إليه إدراكه من ظاهرها . فلونها الأصفر الفاقع كاف عنده فى تمييزها عن فاكهة أخرى .

(ب) والاجمال هو التفصيل فى رأيه : فلون البرتقالة ـ فى المثال السابق ـ يحمل فى طيه بقية العناصر الأخرى التى لها دخل فى ماهية البرتقالة من شكل ، وحجم ، وخشونة أو نعومة فى الملمس ، ومذاق فى الطعم . . . إلى غير ذلك .

(حـ) والشىء وأثره أو لازمة من لوازمه واحد فى نظره . فقد لوحظ أن طفلا فى سن الرابعة يقبض على شعاع الشمس فى غرفته ـ وقد وصل إليها عن طريق النافذة ـ ويحاول بفتح ذراعيه ثم بضمهما على هذا الشعاع القبض على الشمس حتى لا تخرج من الغرفة قبل أن تجىء أمه التى أخذ يناديها لترى الشمس حبيسة بين ذراعيه . كما لوحظ من طفل آخر فى سن الخامسة من عمره أنه أخذ يصيح ويبكى . فلما سأله أبوه المصاحب له عن سبب بكائه أراه ما سقط على يده قائلا له ، إنها دودة من دود القز ، تلدغه . ولم يتبين أبوه طبعا إلا بعض خيوط القز ، إذ ذلك هو الموجود فعلا على يد صغيره . لكن فى إدراك الطفل ؛ دودة القز وخيوطها سواء ، ولذا منح الخيوط خصائص الدودة ، وهو اللدغ .

وإدراكه إذن للشىء الخارجى على هذا النحو إدراك ناقص ، لأنه لم يقف على الشىء كما هو فى الواقع . ولذا لا يستطيع إدراك حقيقته ، وهى ذلك القدر العام الذى تشترك فيه جملة من الأشياء الخارجية والذى يحمله كل شىء منها خلف ظاهره أو على حد تعبير المناطقة وراء «مشخصاته» . كما لا يستطيع من باب أولى أن يدرك مايجمع مفردات العالم كلها من «معنى الوجود» أو مما يسميه المناطق «بالجنس الأعلى» . وبالتالى لا يدرك ما وراء ذلك من «الحقيقة العليا» التى هى مصدر الوجود كله وهو الله المعبود . فالله المعبود وراء كل ما يحس ، لا يدرك عن طريق أية حاسة من الحواس يتصور ذهنا فقط . ولأنه وراء المحسات كان كليا ، ولأنه مصدر الآحاد كلها والمجمع الأخير لها كان فردا واحدا .

والانسان البدائى فى الناحية الإدراكية يشبه الطفل فى مرحلة طفولته الأولى . يقف بإدراكه عند حد مايدرك بالحس من الأشياء ، ويقربه منها ماهو أشد ظهوراً فيها من لون ، أو حجم دون مالها من ذوات وقيم .

وجزء الشيء عنوان للشيء عنده : يعبر عن حيوان ما لو سئل عنه — بحكاية له من صوت أدركه عن طريق السمع ، أو بوصف آخر أدركه بأحدى الحواس الأخرى .

وقلما يتناول وصفه إياه عناصره المتعددة فضلا عن ماهيته وحقيقته .

ولأنه يقف فى إدراكه عند حد المحسوس كان إلهه دائما كائنا محسا مما يقع فى بيئته الجغرافية ووطنه المحلى . وليست القيمة الذاتية للمعبود هى التى دفعت ذلك الانسان البدائى إلى عبادته ـ لأنه لم يصل إلى تلك القيمة بعد ـ بل الصدفة وحدها هى التى ساقته لما عبد وأله .

وإذا كان جنس من الأجناس البشرية ـ كقدماء المصريين ، واليونان ، والأمم الأسيوية القديمة ، أو شعوب أواسط أفريقيا واستراليا اليوم ـ يحتل فى سكناه رقعة واسعة وجدنا فى تاريخه فى عهود ضعفه عدة معبودات ، لا تخرج عن كونها كائنات محسة ، ووجدناها موزعة فى تلك الرقعة حسب جماعاته .

وكثيرا ما يكون تكتل طوائفه وجماعاته ناشئا عن اتحاد الاتجاه نحو عبادة كائن معين ، وليس عن سكنة إقليم بالذات أو انتساب إلى قبيلة بعينها .

وأهم ما يحدد الوثنية أن المعبود فيها محسوس . أما أنه متعدد أو متغير ، أو غير مستمر النفع أو الضر ، أو خلاف ذلك مما يذكر فى خصائص الوثنية فن لوازم هذا الجانب الرئيسى فيها ، وهو كون المعبود محسوسا . إذ من طبيعة المحسوس أن يكون متعددا بحكم تشخصه · وعن هذا التشخص كان تغيره ، وبالتالى كان غير دائم النفع والضر .

وهكذا يجعل مؤرخوا الأديان وثنية أى شعب عنوانا على ضعف الجانب الأدراكى فيه ، ووثنية الفرد عنوانا على بدائيته ، للسبب الذى ذكرنا من وقوفه عند حد المحسوس فيما اعتقد وعبد .

والديانة الفارسية (الزرادشتية) — لأنها قامت على تأليه إلهين معنويين هما الخير والشر ، أو الفضيلة والرذيلة — تعد فى نظر هؤلاء المؤرخين أكثر رقيا من الوثنية ، لكن مع ذلك أدنى من الديانة الموحدة . لأن إدراك التابعين لهذه الديانة الآرية إن تجاوز المحسوس إلى ماوراءه لم يستطع أن يبلغ الغاية هناك ، لم يستطع أن يصل إلى ما يجمع هذين المعبودين · ومايجمعهما هو « الحقيقة العليا » التى لها اسم الله والتى يجب أن تقتصر العبادة عليها وحدها دون مايليها من موجودات أدناها .

فالديانة الفارسية أشبه بحلقة وسطى بين الديانة البدائية — وهى الوثنية — والأخرى الراقية — وهى الوحدة .

ولو سلكنا مسلك مؤرخى الأديان عند الموازنة بين دين وآخر ، واعتبرنا ماوضعوه من مقاييس للتفرقة — غاضين النظر عن حجية الوحى — لو سلكنا هذا المسلك فى توضيح قيمة الاسلام لأرانا هذا الذى عرفناه الآن فى الحديث عن جانب من جوانب الطفولة الانسانية أن الاسلام فى تحديده «لله» المعبود جل جلاله يمثل حسب مقاييس البلوغ العقلى فى نظر الانسان نهاية الرشد والنضوج .

فالله فى نظر الاسلام وراء الموجودات جميعها وفوق العالم كله . يخطو الادراك الانسانى فى تصوره خطوات : من وقف بادراكه عند الحس لم يكن تقدم إليه إلا خطوة . ومن تجاوز الحس إلى معنى مشترك بين جملة من المحسوسات لم يبلغه بعد .. حتى إذا نفذ بادراكه وراء جزئيات العالم عن طريق الترقى فى التفتيش عما يجمع الكائنات كلها يكون قد اقترب فى تصوره منه ، ومع ذلك فلما يكشف عن ذاته وحقيقته كما هى .

فهذه الخطوات فى الإدراك بعد الظاهر المحس من الأشياء لاتكون فى نظر علماء النفس إلا من الرشيد . وكلما كثرت خطوات الرشيد فى إدراكه كلما كان أكثر اكتمالا فى معنى الرشد والنضوج .

وصف الإسلام «الله» بأنه واحد فى مثل قول القرآن الكريم : قل هو الله أحد ... ليس كمثله شىء ... ولم يكن له كفوا أحد ... وإلهكم إله واحد، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . ووصفه بذلك يدل على أن له الوضع السابق . إذ الوحدة المطلقة التى تعطيها هيئة التركيب فى هذه الآيات الكريمة لا تكون إلا لمن انتفى عنه التشخص أولا ، ومعنى الاشتراك فيه ثانياً . وذلك هو الموجود المطلق .

فالوحدة هنا دليل على الإطلاق أو عدم القابلية للتحديد ، كما أن التشخص هناك فى الوثنية آية على التعدد والكثرة .

وبعض المسيحيين الذين ألهوا عيسى الرسول عليه السلام يضفون على المسيحية كديانة سماوية ـ عن طريق تأليههم عيسى ـ بعض خصائص الوثنية ، لا من حيث الاعتقاد بآلهين أحدهما الأب والآخر الابن ، لكن أولا وبالذات من حيث إن أحدهما يحده الحس والتشخص وهم بذلك يحرفون الكلم عن مواضعه ويستبدلون بآيات الله صنعة الإنسان .

«يتبع» محمد البهى

رؤيا ميرزا

للكاتب الانجليزي يوسف أديسون

بقلم الآنسة ماهرة النقشبندي

رأى النصف الأول من القرن الثامن عشر كاتباً بارعاً وفناناً أصيلا صال وجال فى جريدتى السبكتاتور Spactator وتتلر Totler وصور حياة الانجليز الاجتماعية تصويراً دقيقاً فى تلك المقالات النثرية التى كان ينشرها فى الجريدتين المذكورتين ، والتى تعتبر من فنون الأدب الرفيعة ، يدرسها طلاب الأدب فى اللسان الانجليزى فترهف احساسهم وتشيع فى أذواقهم روعة فن التهكم فى ابلغ معانيه . تخرج من جامعة اكسفورد وكان شاعراً يجيد القريض فى اللسان اللاتينى . طاف أوروبا دارساً متنقلا ؛ وعاد منها وانخرط فى السياسة فوصل إلى كرسى الوزارة وجلس فى البرلمان الانجليزى والارلندى مدة طويلة . تزوج سنة ١٧١٠ من الأرملة الفاتنة الثرية الكونتس واروك ومات فى هولندا فى ١٧ ــ ٦ ــ ١٧١٩ ودفن فى مقابر عظماء الانجليز فى كنيسة وستمنستر

(المترجمة)

حينما كنت فى مدينة القاهرة العظيمة وقع فى يدى عدد من المخطوطات الشرقية التى لايزال بعضها معى ، ووجدت من بينها واحدة عنوانها رؤيا ميرزا ، بعثت قراءتها فى نفسى سروراً لا حد له . وقد عزمت على نشرها للقراء عند ما لا أجد ما أسليهم به فسأبدأ بالحلم الأول الذى ترجمته بالحرف الواحد كما يلى :

عنـد ما حل اليوم الخامس من الشهر القمرى الذى لا أزال أقدسه كعادة اجدادى ، اغتسلت وصليت الصبح ثم تسلقت تلال بغداد لاقضى سحابة اليوم فى التأمل والتعبـد . وبينما كنت اتنزه على قمم الجبال ، رحت فى شرود ، أفـكر فى تفاهة الحياة البشرية ، وتنازعتنى الفـكر ، وقلبت الأمور على وجوهها فلم اجد الإنسان إلاظلا ولا الحياة إلا حلمـاً طويلا . وبينما أنا فى تأملى وقد سرحت النظر إلى قمة صخرة لاتبعد عنى كثيراً ، رأيت رجلاً فى ثياب راع يحمل فى يده آله موسـيقية رفعها إلى شفتيه وبدأ يعزف عليها حينما نظرت إليه . كانت الانغام رائعة شجية مختلفة الايقاع تنساب فى رفق ولين وعذوبة لا توصف وكانت تختلف عن كل ما سمعته أذناى من موسيقى ، وذكرتنى بالأنغام السماوية التى لا تعزف إلا للارواح الصالحة عند رحلتها الأولى إلى الفردوس لتنسيها آلام النزع الأخير وتمدها للسعادة التى تنتظرهـا فى ذلك المكان البهيج . فأحسست كأن قلبى يذوب وكأننى افنى فى ذهول خفى .

لقد كنت أعلم ان هذه الصخرة يسكنها جنى ، وان بعضهم قد اطربته موسـيقاه الساحرة ؛ غير اننى لم أسمع ان العازف قد ظهر للعيان . وفيما أنا ذاهل عن نفسى بما اثارت هذه الأنغـام الشجية فى رأسى من افكار ، ولـكى يتيح لى لذة محادثته اشـار إلى بيده حينما نظرت إليه مشدوها لأقترب من مجلسه ، فدنوت منه باحترام يليق بمكانة كأن غير بشر . ولمـا كانت أنغامه الشجيه قد اخضعت قلبى بكليته فقد ركعت على قدميه انتحب . فابتسم لى بسمة يشع منها اللطف والحنان جعلته قريباً إلى نفسى ، غير مخيف لناظرى ، وطردت ما اعترانى من خوف وفزع عنـد قدومى إليه . وأخذ بيدى ورفعنى عن الأرض قائلا : ميرزا ! لقد سمعتك وأنت تناجى نفسـك فانبعنى . وقادنى بعدئذ إلى أعلى نقطة فى الصخرة واوقفنى فيها وقال : ألق بنظرك إلى الشرق وأخبرنى ماذا ترى ؟ قلت : أرى وادياً عظيما يمر فيه تيار هائل من الماء . قال ، ان هذا الوادى الذى تراه هو وادى الشقا ، وهذا التيار الذى يقع عليه ناظراك هو جزء من تيار الأبدية العظيم . فسألته ما السبب فى ان التيار الذى اراه ينبع من ضباب كثيف من طرف ، ثم يتلاشى فى ضباب كثيف فى الطرف الآخر ؟ قال : ان ماتشاهده هو ذلك القسم من الأبدية الذى ندعوه بالزمن ونقيسه بواسطة الشمس ، ويمتد من بداية الدنيا إلى نهايتها . حدق الآن فى هذا البحر الذى تـكتنفه الظلمات من جميع جهاته وأخبرنى عما تجد فيه . . قلت . . اننى أرى جسراً فى منتصف التيار . قال : ان هذا الجسر الذى تراه هو حياة البشر ، فانظر إليه جيداً . وبعد إعادة النظر الدقيق وجدته مؤلفاً من ستين دعامة وعشر اخرى منفردة وبعض الدعامات المخربة التى إذا اضفناها إلى تلك تجعل المجموع يربى على المائة . وفيما كنت احصى الدعامات اخبرنى الجنى ان الجسر كان مؤلفاً فى البداية من ألف دعامة ، ولـكن فيضاناً مدمراً جرفها وترك الجسر فى حالة الخراب التى تراها . فسألنى عما أجد

فوقه فقلت : ارى جمهوراً من الناس يمرون عليه وارى سحابتين سوداوين معلقتين فوق نهايتيه . وبعد أن أعدت النظر ثانية رأيت بعض السائرين يسقطون من الجسر إلى التيار الهائل الذى يتدفق فى أسفله . وبعد كثير من الفحص والتدقيق لاحظت مزالق لاتعد وضعت فى الجسر بصورة خفية ، وحينما يطأها المارون يسقطون منها إلى التيار فيبتلعهم حالاً ويختفون . وكانت هذه الفتحات الخفية واسعة عند مدخل الجسر بحيث ان كثيراً من الناس كانوا يسقطون فيها حال خروجهم من الغيوم . وتأخذ فى الضيق عند منتصفه ولكنها تتضاعف وتقترب من بعضها عند اقترابها من نهاية الدعامات المنفردة .

لقد وجدت ان عدداً قليلاً جداً من الناس هم الذين استطاعوا الإستمرار فى سيرهم نحو الأعمدة الخربة ثم سقطوا تباعاً منهوكى القوى متعبين من ذلك السير الطويل .

وقضيت بعض الوقت فى تأمل ذلك البناء العجيب وما بان فيه من مواضع مختلفة غريبة . وقد ملأ قلبى الأسى لرؤية بعضهم يسقطون على حين غرة وهم فى اوج السعادة والمرح فيتشبثون بكل ما تقع عليه ايديهم لإنقاذ انفسهم .

وكان بعضهم ينظر إلى السموات غارقاً فى تفكير عميق،وفى خلال تلك التأملات والذهول يتعثر ويسقط ثم يتوارى عن النظر .

وكانت الجماهير منهمكة فى اللحاق بالدمى التى كانت تشع بالنور فى عيونهم وترقص أمامهم ، وعند ما يحسبون انهم بالغوها تزل اقدامهم فيقعون فى الأعماق غارقين . وبين هذه الأشياء المحيرة لاحظت ان بعضهم يحملون سيوفاً وآخرين يحملون مباول وهم يروحون ويجيئون فوق الجسر يدفعون بعض الناس خلال المزالق التى لا تبدو واضحة فى طريقهم والتى قد ينجون منها لو لم يدفعوا إليها قسراً .

ولما رأى الجنى أننى منهمك فى تتبع هذا المنظر المحزن أخبرنى أننى قد تأملت طويلا وقال : حول عينيك عن الجسر واسألنى عن الشىء الذى لم تدركه . فسألته وأنا مصوب نظرى إلى العلاء عما تعنى تلك المجموعة الهائلة من الطيور التى تحوّم بصورة مستمرة فوق الجسر وتقف عليه من حين إلى آخر؟ إننى أرى نسوراً وعقباناً وغرباناً ، و كثيراً من المخلوقات المجنحة ، أرى بينها صبياناً مجنحين يجثمون مزدحمين في وسط الأعمدة . قال الجنى : هؤلاء هم الحسد والطمع والخرافات واليأس والحب وما شابهها من المطامع والآلام التى تفيض بها حياة البشر .

وند عن صدرى تنهد عميق وقلت : يا للأسف ! لقد خلق الإنسان سدى . يدفع للشقاء ثم للفناء . يعانى فى حياته المضنية الآلام الجسام ثم ينقض عليه الموت ويزدرده ، لقد تحركت الرأفة فى قلب الجنى فأمرنى أن أترك هذا المنظر المؤلم قائلا كف عن النظر إلى الإنسان فى أول مرحلة وجوده ومسيره إلى الأبدية، وسرح طرفك فى ذلك الضباب الكثيف الذى يحمل التيار إليه الأجيال الفانية ، فنقلت بصرى إلى حيث أمرنى « ولا أدرى هل كان الجنى الطيب قد بعث فيه قوة فوق العادة أو أزاح قسما من الضباب الذى كان يبدو أولا شديد الكثافة حتى لا تستطيع العين اختراقه »

رأيت الوادى ينفتح من نهايته القصية ويمتد إلى محيط عظيم فى وسط صخرة من الماس تقسمه قسمين متساويين ، ولا تزال السحب تغطى نصفاً منه بصورة لم تدعنى أكتشف شيئاً منه . أما النصف الثانى فكان يبدو جلياً كمحيط فسيح تناثرت فيه جزائر لا يبلغها العد مزروعة بالفواكه والرياحين يفصلها عن بعضها آلاف من البحار الصغيرة المتلألئة . وكان فى استطاعتى أن أرى أناساً عليهم ثياب من سندس وإستبرق تزين رؤوسهم الأكاليل يتريضون خلال الأشجار ويتمددون عند المنابع الصافية أو يستريحون على فراش من الأزاهير . وسمعت أنغاماً ساحرة مشوشة من تغريد الطيور وخرير المياه وأصوات بشرية وآلات موسيقية . فملأ هذا المنظر البهيج روحى بالسعادة ونفسى بالأمل وتمنيت لو كان لى جناحا نسر لأطير إلى هذا الوادى السعيد؛ ولكن الجنى أنبأنى أن الطريق الوحيد إليه طريق الموت الذى كنت أراه يفتح فى كل لحظة فوق الجسر . واستطرد قائلاً إن خلف هذه الجزر التى تبدو لعينك نقية خضراء تملأ وجه المحيط بعددها الذى يفوق ذرات الرمل على ساحل البحر ، تمتد عشرات الآلاف من الجزائر حيث لا يدركه نظرك أو تتصوره مخيلتك تلك هى مساكن الصالحين بعد الموت يحلون بها تسربلهم السعادة السرمدية ويحف بهم السرور الدائم كل حسب ما قدم وأخر وما امتاز به من فضيلة ومنزلة وهم

الجارم الشاعر

للأستاذ عبد الجواد سليمان

وعدت القراء أن أعود إليهم على صفحات الرسالة الغراء لنجول جولة مع الجارم فى شعره علنا نعطى صورة ولو تقريبية لمقدار حظه من هذه الموهبة الشعرية التى يسكبها الله فى قلوب بعض عباده فيلهمون القول ، ويتفجرون بفيض من الحكمة يصوغونه نظما شعريا يتفاوتون فى بلاغته تفاوتا يخضع لنصيب كل شاعر من التهيؤ والملكة وسعة الإطلاع ، فإن الشعر عاطفة وفكرة ، وإحساس وخيال ، أو هو كما عرفه بعض الغربيين بأنه (الحقيقة التى تصل إلى القلب رائعة بوساطة العاطفة) أو هو (عرض البواعث النبيلة بوساطة الخيال) :

أو هو كما يقول الجارم نفسه : —

الشعر عاطفة تقتاد عاطفة ... وفكرة تتجلى بين أفكار
الشعر إن لامس الأرواح ألهبها ... كما تقابل تيار بتيار
الشعر مصباح أقوام إذا التمسوا ... نور الحياة وزند الأمة الوارى
الشعر أنشودة الفنان يرسلها ... إلى القلوب فيحيا بعد إقفار

والباحث فى شعر الشاعر لن يصل إلى نتائج صحيحة أو يأتى بحثه قريبا من كبد الحقيقة إلا إذا كان « ديوان الشاعر » أمامه لا يفارقه لحظة ، يقلب صفحاته ، ويتنقل بين قصائده وينعم النظر بين أبياته ، ويطيل التأمل والوقوف عند كل معنى من معانيها مراعيا فى تقديره وإصدار أحكامه للشاعر أو عليه كل ما أحاط به من ظروف وملابسات خاصة وعامة عند ما نظم قصيدته ؛ ومقدراً المناسبة التى قالها فيها والغرض الذى يرى إليه ، ثم يخلص من ذلك إلى الجمع بين المتشابه ، والتأليف بين المتقارب ، ثم يستنبط جمع ما هو بصدد الوصول إليه من حقائق عامة ونظريات أدبية هامة ، ويسوق من شعر الشاعر الشواهد التى تؤيد دعواه ، ومن أقوال النقاد السابقين أدلة تدعم قضاياه .

والجارم فى ثقافته وسط بين المدرسة القديمة التى يمثلها القدامى من أدباء دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى وهما مشتقتان من مصدر الأزهر : وهذه المدرسة القديمة ترتكز فى دراستها على القرآن وحديث الرسول والآثار القديمة من دواوين الشعراء فى عصور العربية الزاهرة ، وكتب الناقدين من أضراب عبد القاهر وابن رشيق والآمدى والعسكرى وغير هؤلاء ؛ والمدرسة الحديثة التى يمثلها الأعلام ممن تعلموا تعلما مدنيا وجنحوا فى دراستهم إلى الآداب الغربية ينهلون من حياضها ممن هم على شاكلة لطفى السيد وقاسم أمين وفتحى زغلول ومن سار سيرتهم واهتدى بهديهم .

فجاء الجارم فى شعره حلقة الاتصال بين المدرستين ، ينظم فى الحوادث الجلى والمناسبات التاريخية فتسمع له شعرا فيه الطابع البدوى والموسيقى العربية ، والألفاظ المنتقاة فتخاله رجعيا قديما وتحسبه ما يقول الامعارا ، ثم لا تلبث أن تسمعه ثانية فتسمع شاعرا متصرفا فى شعره ساميا فى خياله فتلمح روح العصر قد بدا ناطقا فى قصائده مرئيا من أبياته .

موزعون على الجزائر التى تعمها المسرات المتنوعة موافقة حسب ما يشاءون وما يلذ لهم لإتمام هناءتهم فيها . وكل جزيرة فردوس أعد للأبرار الأطهار من بنى البشر . فهلا تستحق هذه المساكن يا ميرزا النضال للفوز بها؟ وهل تبدو الحياة مفعمة بالتعاسة وهى تعطى هذه الفرص لنيل مكافأة كهذه ؟ وهل الموت مخيف وهو الذى يحملك إلى هذه الحياة الطليقة التى لا يعكر صفوها كدر ؟ فلا تحسب أن الإنسان خلق سدى ، وفى انتظاره تلك الحياة السرمدية . وحملقت فى تلك الجزر وقلبى مفعم بسعادة لا يحدها حد . وأخيراً رجوته أن يكشف لى عن السر الذى يكمن خلف الغيوم التى تحجب الطرف الآخر من صخرة الماس .

فلم يجبنى الجنى فالتفت بعد لحظة إليه لأكلمه فلم أجده ؛ واستدرت إلى المنظر الذى تأملته ذلك الوقت الطويل فرأيت بدلا من التيار الموار وأعمدة الجسر والجزر السعيدة وادى بغدات [1] العريض تمر فيه الثيران وقطعان الغنم والجمال ترعى الكلأ فى دعة واطمئنان .

(1) لعل الكاتب يقصد مدينة بغداد ، ولكنها غير واقعة على جبال كما توهما .

بغداد — ماهرة النقشبندى

فهو مثلا فى إحدى مدائحه الملكية تبدو عليه آثار المدرسة القديمة وتأثره بمنهج القدماء من الشعراء عند ما يقول : —

أقبس الروح من شعاع الراح والثم الحسن فى جبين الصباح
وابعث اللحن من سمائك ياشـــعر ونافس به ذوات الجناح
وانهب الحسن من خدود العذارى واسرق السحر من عيون الملاح

إلى أن يقول : —

إيه ياشعر أنت سلواى فى الدنيا إذا ضاق بى فسيح البراح

وفى مثل هذه المناسبة وفى قصيدة أخرى يطل عليك الجارم من مدرسته الحديثة فتبدو على شـــعره سمات الثقافة الغربية ودراسته الحديثة فيقول فى الفاروق : —

هو الأمل البسام رف جناحه فطارت به من كل قلب بلابله
هو الكوكب اللماح يسطع بالمنى وتنطق بالغيث العميم مخايله
ترى بسمة الآمال فى بسماته وتلمس سر النبل حين تقابله
يفديه غصن الروح ريان ناضرا إذا اهتز فى كف النسائم مائله

فإن الأمل البسام ، وطيران البلابل من القلوب ، وسطوع الكواكب بالمنى ، وبسمة الآمال وإهتزاز الغصن المائل فى كف النسائم ، وجريان (النسائم) على هـذا الوزن فى الجمع كلها من التعبيرات المصرية ، ووليدة اصطلاحات المدرسة الحديثة فى اتجاهات دراستها .

والجارم فى كل شعره أو على الأقل فى الغالب الكثير منه لا تكاد تفارقه هذه الصفة التى يمثل فيها مدرستى الأدب القديمة والحديثة ويصل بينهما ما يكاد ينقطع .

وهناك صفة أخرى يتميز بها الجارم فى شعره ، تلكم هى (قدرته على التصرف) فى نظمه فى مختلف الأغراض ، ولعله اكتسب هذه الميزة من كثرة ما قرأ وطول ما توفر على الدراسة والبحث مع حسن استعداد وصفاء طبع وإدامة النظر فى أشعار من سبقوه ، ولن تكون مطلقا لخالق شاعر حسن التصرف كثرة القراءة وحدها ؛ فما أكثر من المكثرين القراءة ، ولكن ما أقل من نجده من بينهم قد توافرت له أداة حسن التصرف فى القول ؛ بل لابد أن يعزز كثرة القراءة تهيؤ من خيال خصيب وذوق سليم وطبع صاف على نحو ما قال الجرجانى (إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان) أو على نحو ما يقول بكر بن النطاح (الشعر مثل عين الماء إذا تركتها اندفنت وإن استهتنها هتنت) وكما يقول أحمد حسن الزيات فى كتابه (دفاع عن البلاغه) (آلة البلاغة الطبع الموهوب والعلم المكتسب) .

فالجارم الذى يجود خياله بصورة للحرب المظمى تمج بالدماء وتتطاير فيها الأشلاء فتشبع منها العقبان فى البر والحيتان فى البحر ، وتعبر عنها هذه الأبيات : —

طاحت بأهل الغرب نار الوغى وهبت الريح بهم زعزعا
طاف عليهم بالردى طائف فاخترم الأنفس لما سعى
وصاح فيهم للنوى صائح فصمت الأسماع مذ سمعا
قد غصت الأرض بأشلائهم وأصبح البحر بهم مترعا
وآن للعقبان أن تكتفى وآن للحيتان أن تشبعا

— هو نفسه الجارم الذى يلين ويرق فيسيل ظرفا وحلاوة فى لهوه — لحسن تصرفه — فيقول : —

ياسارقات الصبح طال ليلى فديتكن بعض هـذا الدل
هل جازنى دين الغرام ذلى من لى بأن ألق الصباح من لى ؟
باللمح لو باللمس أو باللثم

فيكن ذات حسب ودين مشرقة الطلعة والجبين
كأنها إحدى الظباء العين من عاذرى فيهن من معينى
عيل بها صبرى وطاش حلمى

حديثها سلافة النديم وخلقها تواضع اليتيم
فديتها من ملاك كريم تعرف فيها نضرة النعيم
أنقى وأصفى من نطاف الغيم

وإن المعانى التى تتضمنها هذه الأساليب (سارقات الصبح ، دين الغرام ، طاش حلمى) من المعانى البديعة المبتكرة التى تدل على حسن تصرف الشاعر . وإن تشبيه الحديث بسلافة النديم والخلق بتواضع اليتيم ، من التشبيهات الجليلة الرائعة .

وهو نفسه الجارم الذى يبكى أمير الشعراء (شوقى) ويصور

لجيمة مصر والشعر فيه تصويراً تسمو فيه مقدرة الجارم على التصوير الشعرى فيقول : —

مات يا طير صادح تسجد الطـ ـير إذا رجع الصدى تحنانه
نبرات تخالها صوت داوو د بلفظ تخاله تبيانه
مات شوقى وكان أنفذ سهم صائب الرمى من سهام الكنانه
أبك للشمس فى السماء أخاها وإبك للدهر قلبه ولسانه
وابكه للنجوم كم ساهرته مائلات بوجهها آذانه
وابك للروض واصفاً يخجل الرو ض إذا هز باليراع بنانه
وابكه للخيال صفواً نقياً إنه كان فى الورى ترجمانه
ملأ الشرق موت من ملأ الشر ق حياة وقوة وزكانه

ثم ينتقل بحسن تصرفه — من تصوير هول المصيبة بوفاة شوقى وخسارة مصر والشرق العربى فيه ، إلى تصوير قومية شوقى وحبه لمصر وتعلقه بكل ما هو مصرى من نيل وخضرة وخمائل ، وأنه يعشق من أجل مصر النيل والجزيرة وجسر اسماعيل وعين شمس و ... و ... فيقول : —

كان صباً بمصر كم هام شوقاً بربـاهـا وبثـهـا أحزانه
دفن اللهو والصبا فى ثراها وطوى من شبابه عنفوانه
هى بستانه فغرد فيـه وحبـا كل قلبه بستانه
يحرس الفن فى ظلال نواحيه ويرى عن دوحـه غربانه
يعشق النيـل والخمـائل تهـ تز بشطيه خضرة ولدانه
يعشق النيل والجزيرة تفريـ ه وقد لف حولها أردانه
يعشق الجسر والسفائن تهفو حوله كالحمائم الظمآنة
ويحب السواد من عين شمس مائلاً من روائه أجفانه

ثم يطلع علينا الجارم بعد ذلك بصورة جديدة — دون أن يعدم سمة الحيلة وحسن التصرف — يصور فيها شوقى إماماً لمن ينشدون الخلود ومثلا أعلى لمن يتوقون إلى حسن الذكرى وطيب الأحدوثة يحتذ به كل من تصبو نفسه إلى ذلك فيقول :

هكذا كل من يريد خلوداً يجعل الكون كله ميدانه
هكذا فليسر إلى المجد من شا ء ويرفع بذكره أوطانه

ثم يلم بأخلاق شوقى فى أبيات ستة يجمع فيها مكارم الأخلاق التى يتسابق أعزاء الرجال فى تحصيلها لتزداد بها عزتهم حصانة وقوة فيقول : —

خلق كالندى وقد نقط الزهـ ـر فحلى وشى الرياض وزانه
وصبا يملأ الزمان ابتساماً وحجا يملأ الزمان رزانه
وسماح يلقى الصريخ بوجه تحسد الشمس فى الضحى لمعانه
شيم فى تواضع وحياء فى وقار وفطنة فى لقانه
وحديث حلوله روعة الشعر فلو كان ذا قواف لكانه
ويقين بالله ما مسه الضعف ولا طائف من الشك شانه

ثم ينتقل بعد ذلك — وعماده حسن تصرفه — إلى مناجاة شوقى فى حنان شعرى وأسف على فراقه ودعاء له من قلبه مع اعتذار واعتبار قائلا : —

أيها الراحل الكريم لقد كنـ ـت سواد العيون أو انسانه
نم قليلا فى جنة الخلد وانعم برضا الله واغتنم غفرانه
كيف يوفى الشعر الذى ملك الشعـ ـر وألقى لغيره أوزانه
ورثاء البيان جهد مقـل للذى خلد الزمان بيانه

نهج من المناهج القويمة السليمة رسمه الجارم بطبعه الشعرى الأصيل وسار عليه فكان موفقاً فيما نظم من قصيد . أليس هو النهج الذى رسمه عبد العزيز الجرجانى للشاعر وأوصاه بالتزامه ليسلم من الزلل فقال (ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعانى ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبكائك ولا هزلك بمنزلة جدك . . . بل ترتب كلامك مرتبته وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه، فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف؛ ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ؛ فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به وطريق لا يشاركه الآخر فيه) .

عبد الجواد سليمان
المدرس بمعلمات سوهاج

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٧)

«٣» مناهج الأدلة لابن رشد

للأستاذ كمال دسوقي

(تتمة)

والمبحث الثانى فى بعث الرسل ذو شــقين : الأول إثبات الرســالات — والثانى فى أن قد جاء بها إلى الناس واحد منهم ويجب تصديقه . وهذا أيضاً قد أراد المتكلمون إثباته بالقياس والحكم من الشاهد إلى الغائب بأن قالوا إن من حق الملك القادر المريد المتكلم أن يبعث رسولا إلى عباده ، كما أن من واجب الناس متى ظهرت على الرسول علامة الملك وصدق الدعوى أن يصدق ما جاء به . ويعترف ابن رشد أن هذا الدليل (ظهور المعجزة) مقنع ولائق بالجهور وهو مقصد الشرع — ولكنه يناقش ما يكتنفه من اختلال فى أصوله ككيفية معرفة صدق الرسالة بأن يقول لنا الشرع على لسان الله إن من علامات رسلى كذا وكذا — أو أن يستدل العقل من تلقاء ذاته على صحة هذه المعجزة . أما الأول فمحال ، وأما الثانى فله مقدمتان : (١) هذا الرسول قد أظهر معجزة : (٢) كل من أظهر معجزة فهو نبى — فمصدر المقدمة الأولى الحس والتسليم بأفعال حقيقية (لا خيالية ولا وهمية) تظهر على أيدى المخلوقين لا بسحر أو شعوذة — وصحة المقدمة الثانية تنبنى على الاعتراف بوجود الرسل فى المقدمة الأولى وبالتالى كذمن حقيقة المعجزة وصاحبها . ويحمل ابن رشد على مبدأ جعل إرسال الرسل جائزاً فى العقل — فإن الجواز جهل وتشكيك فى المقدمة الثانية يجعل أن المعجزة يمكن الإحساس بها أو امتناع تصديقها — وباعث الرسول نفسه يمكن أن يكون زيداً أو عمراً — فمن طبيعة الجائز أن يكون أو ألا يكون — ونحن نسلم بطرف منه لأنه الذى حدث فعلا ، بينما نجهل الآخر — وكون ما حدث من طرفيه قد كان أولى من الآخر يجعله بعد حدوثه ضروريا وواجبا . وهذا ما يريد ابن رشد ؛ فإن العقل حتى مع هــذه الضرورة والوجود لن يأخذ المعجزة دليلا على الرسالة — مهما كان إلهياً — إلا بأن يعتقد أن مثل هذه الخوارق لا تحدث إلا من فاضل غير كاذب ولا ساحر . ويعمد فيلسوفنا بعد هـذا إلى التطبيق على رسالة الإسلام ومعجزة القرآن — وكونها رغم أنها من جنس الأفعال المعتــادة معجزة بنفسها لا بصرف الناس عن الإتيان بمثلها بمعنى أنها السهل الممتنع . ويحاول أخيراً إثبــات صدق نبوة محمد (صلعم) بحجته من مبدءين : (١) تواتر الرسل قبله (٢) أن هؤلاء جميعاً يعلمون الناس بوحى . من الله وينتهى من تواتر وجودهم وصدق معجزاتهم إلى إثبات نبوتهم (٩٨ — ١٠٠) .

وعند بحثه للمسألة الثالثة فى القضاء والقدر (١٠٤) يبين أنها مشكلة عويصة تتعارض فيها دلائل السمع وحجج العقول . فمن الآيات ما يدل على أن كل شىء بقدر وأن الإنسان مجبور على أفعاله بينما هناك آيات توضح أن للانسان اكتسابا بفعله وأنه ليس مجبورا على أفعاله . وربما يظهر هذا التعارض فى الآية الواحدة . ولهذا انقسم المسلمون إلى فرقتين : (١) المعتزلة التى اعتقدت اكتساب الإنسان لأفعاله (٢) والجبرية التى تناقضها بقولها إن الإنسان مجبر على أفعاله .

أما موقف الأشـاعرة فكان كعادتهم داعـيا التوفيق بين الآراء فوافقوا أن للانسان كسبا ولكن المكتسب والكسب مخلوقان لله.. والإنسان بقولهم هذا لابد مجبور على اكتسابه . وهذا هو سر الاختلاف فى هــذه المسألة . فمع تعارض السمع تتعارض أيضا الأدلة العقلية ... فإذا فرض وخلق الإنسان أفعاله فمعنى ذلك أن هناك أفعالا لا تجرى على مشيئة الله ، فكأن هناك خالقاً غير الله ، فى حين أن المسلمين قد أجمعوا أن لا خالق غيره ... وإذا فرض أنه مجبور فلا وسط هناك بين الجبر والاكتساب .

لكن ابن رشد يرى أن الشرع إنما قصد الجمع بين الاعتقادين على التوسط إذ أن الأفعال المنسوبة إلينا إنما تتم بإرادتنا مع إرادة الله . . وما الإرادة الاشوق يحدث لنا عن الأمور التى من خارج والتى سخرها الله . فأفعالنا تجرى على نظام محدود لأنها مسببة عن تلك الأســباب التى من خارج . وهذا الارتباط بين أفعالنا والأســـباب التى من خارج والتى خلقها الله داخل أبداننا هو

القضاء والقدر.. الذى كتبه الله على عباده ولا يعلم بهذه الأسباب إلا الله وحده الذى عنده علم الغيب (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) الآية . فبهذا يكون من الواضح أن لنا إكتساباً وأن جميع مكتسباتنا بقضاء وبقدر سابقين .

. . وتناول فى البحث الرابع مسألة الجور والعدل . وقد جاءت الأشعرية فى هذا الصدد بضد ما صرح به الشرع فزعموا أنه إنما انصف بالعدل والجور لمكان الحجر الذى عليه فى أفعاله من الشريعة . فمتى فعل الإنسان شيئا هو عدل بالشرع كان عادلا . . والضد صحيح . ومن ليس مكلفا فلا يوجد فى حقه فعل هو جور أو عدل . وذهبوا من ذلك أنه ليس ثمة شىء عدل فى نفسه أو جور فى نفسه، وهذا عند ابن رشد خطأ فاحش؛ لأنه لا يوجد خير وشر كل بذاته . . فكيف لا يكون الشرك بالله جورا ولا ظلما إلا من جهة الشرع ، وأنه لو ورد فى الشرع باعتقاد الشريك كان ذلك عدلا . . وهذا خلاف المسموع والمعقول وصدق الله حين وصف نفسه فى كتابه ونفى الظلم عن ذاته العلية [وما ربك بظلام للعبيد] أما قوله إنه يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا يحمل على معناه الظاهرى وإنما المراد المشيئة التى تهيء قوماً للضلال بطبيعهم وليس فى هذا جور ، لأن حكمة الله اقتضت أن يكون بعض الناس أشرارا بطبائعهم . . والأسباب المترتبة من خارج لهداية الناس قد تكون مضلة لبعضهم . وهو إنما خلق أسباب الضلال لأنه يوجد عنها غالبا الهداية . وإنما أراد الله بهذه الآيات المتعارضة أن يبين أنه خالق كل شىء الخير والشر.. لكنه يخلق الخير لذات الخير. ويخلق الشر من أجل الخير؛ وعلى ذلك يكون خلقه للشر عدلا منه ولعل مثال النار أصدق الأمثلة على صحة هذا القول .

ولكن شتان بين عدل الله سبحانه وتعالى وعدل الإنسان . فالإنسان يعدل ليستفيد بالعدل خيرا فى نفسه . . لكنه سبحانه وتعالى يعدل لأن ذاته تستكمل بذلك العدل بل لأن الكمال الذى فى ذاته اقتضى أن يعدل . .

أما المسألة الخامسة فى المعاد وأحواله . . اتفقت كافة الشرائع فى جوهر وجود المعاد وإن كانت قد اختلفت فى الصور التى مثلت بها للجمهور . . فمن الشرائع ما جعله روحانية للنفوس ومنها ما جعله للأجسام والنفوس معا .

انفق إذن الكل على أن للإنسان سعادتين أخروية ودنيوية . ولما كان الإنسان أشرف الموجودات ، وأنه ما من موجود قد خلق عبثا وإنما لغاية من أجلها وجد ، وأن غاية الإنسان التى تميزه دون سائر الحيوان إنما تكون فى الحياة الناطقة ، فالنفس الناطقة جزءان جزء عملى وجزء علمى . ولأجل كمال الإنسان يجب أن يجمع هذين الجزءين الفضائل العملية والفضائل النظرية أى الخيرات والحسنات . وقد نصت الشريعة بتقرير هذه الأمور فعرفت من الأمور النظرية معرفة الله والملائكة والموجودات الشريفة والسعادة . إذا كانت النفوس زكية يتضاعف زكاؤها عند الموت . . وإذا كانت خبيثة زادت خُبثا . . ولقد اتفقت الشرائع أيضا فى تعريف هذه الحال للناس وتسميتها السعادة الأخرى والشقاء الآخر . .

ومن الشرائع ما لم تمثل لهذه السعادة وذلك الشقاء إنما صرحت بأحوال روحانية . . ومنها ما مثلت بالمحسوسات لتكون أشد تفهيما للجمهور فمثلت مكانا تنعم فيه الأجساد هو الجنة وآخر تقاد فيه الأجسام الشقية هو النار . . وذلك مثل شريعتنا الغراء فهى أتم إفهاما لأكثر الناس وأكثر تحريكا لنفوسهم لأن التمثيل الروحانى لا يثير نفوس الجمهور مع أنه يقبل عند المتكلمين المجادلين .

وبحسب فهم أصول المعاد ينقسم أهل ملتنا ثلاث فرق : الأولى رأت أن ذلك الوجود واحد بالجنس وإنما يختلف الوجودان بالدوام والانقطاع . وأخرى اعتقدت بروحانيته .. وطائفة رأت أنه جسمانى غير أن الجسمانية تختلف عنها الآن لأن هذه بالية وتلك باقية . ولكن الكل مجمع على بقاء النفس (ص ١٢٣) وأن الله سوى بين النوم والموت فى تعطيل فعل النفس .

وقبل نهاية الكتاب نرى فيلسوفنا يعرج على ما يجوز تأويله شرعا وما لا يجوز . وهو يرى ألا يصرح بالتأويل وبخاصة ما يحتاج إلى برهان لغير أهله وهم القادرون على البرهان والاستدلال بالمنطق . فتمثيلنا للعامة نعيم الآخرة بالجنة وأنهارها وفاكهتها أجدى فى الحث على الفضيلة من أن نشككهم فى الجزاء المادى . وهو يرى أن من النصوص ما يجب على أهل البرهان تأويله وإلا كفروا . . كما يجب على العامة حمله على الظاهر وتأويله كفر

انتهى شرح الكتابين التحريرين

كمال دسوقى

رسالة الشعر

دمعة الحسناء

للاستاذ حسن كامل الصيرفى

دموعك أغلى من الأمنيات فصونى دموعك ياغالية !
ولا تحزنى للغيوم الثقال تمر بأجوائك الصافيه
ولا تحسبى ظلمات الحياة تمتد أمواجها الطاغيه
فشمسك تحلم فى خدرها ببهجة غدوتها الصاحيه
ستنفض عنها خمول الدجى وتنهض سافرة لاهيه
وترسل فوق عراء الوجود خيوط أشعتها كاسيه
وتوقظ من غمرات السكون أمانيك الحلوة الغافيه
وتختال فى موكب من ضياء يبدد أشجانك الداجيه
صباحك ينبوعه القدسى يفيض على روحى العافيه
فكيف تظنين أن الظلام ستخلد رايته الساجيه ؟
يد الفجر تمقل مآرهبين وتطلق أطيارها الشاديه
وتمسح أعيننا الدامعات وتشفى جراحاتنا الداميه

. . .

رأيتك تبكين فى غشية من اليأس موحشة قاسيه
كأنك زنبقة فى الدجى تقطر أنداؤها الباكيه
فأحسست كف الظلام المتية تطفئ أحلامى الزاهيه
وأحسست أناتك الشاردات ترجعها نسمة حانيه
تمزق ستر الدجى والسكون وتقلق أنجمه الراعيه
وتبعث فى خفقات القلوب كوامن أشجانها الماضيه
فذودى عن النفس أشجانها تميدى ابتسامتك الشافيه
وإن عبست فى السماء الغيوم فضنى بأدمعك الغاليه
إذا قطرات دموع الحسان سوى صبحة الخالق الساميه
إذا فرطت حبة من عراها تدك لها الأجبل الراسيه
وتغلق أبواب فردوسه وتنضب أنهارها الجاريه
وتسكت أطيارها الصادحات وتخفت أصداؤها الساريه !

غيــــوم

للاستاذ ابراهيم الوائلى

فى ظلال الكروم ترقد كأسى وعلى الشاطئين مشرق أنسى
ومع الطير والنسائم عمر حسن على الزهر بين لثم وهمس
كان أمسى ممطر الأفق نشوا ن فيالى ويالأحلام أمسى
صور لا تزال تخفق فى قلبى وتنساب فى قرارة حسى
أتملى بها مع الفجر طيفا وأناجي ظلالها حين أمسى
أيها الفارس الكروم وحسبى منك فى الشاطئين أفضل غرس
سائل الظلم عن مهاويم روحى وتأمل على البراعم نفسى
كرمتى والضفاف والزورق النشوان يجرى مع النسيم ويرسى
والندامى وربة الشعر والأرغن والحالمات فى طيف عرس
عالم كان لى وعاد ضبابا يتراءى على مواكب يأسى
نغمة هومت مع الليل سكرى ثم أغفت على بقية جرس
وتلاشت مع الرياح وذابت ذوبان الندى بلفحة شمس
أين مغنى الهوى أين دنيا السمر ؟
أين تلك الضفاف حاليات الصور ؟
والربيع الوريف فتنة للنظر
وانعطاف الغصون دانيات الثمر
وائتلاق النجوم فى ظلال القمر
والرحيق المذاب نهلة للبشر

عالم كان لى وامحى واندثر

جف دمع الكروم مات لحن الوتر

. . .

ماجنى الزهر فى البراعم حتى كفنته لوافح وسموم ؟

والطيور المنغمات فريعت وتلاشى الغناء والترنيم

رصدتها الشباك من كل فج فهى فى عالم الذهول تهيم

لا وكور تأوى إليهـا سوى الأشواك تدمى والخاطفات تحوم

منسر يلتوى وينقض صديا ن وظفر ومخلب محموم

بالدنيا من الجمال تعرت فاذا كل مايلوح وجوم

جنت العاصفات فانتثر الزهر وأغفت على الرمال الكروم

والغصون المهومات على النهر عراها الذبول والتحطيم

لا الينابيع مثلما كن بالأمس عذاب ولا النسيم نسيم

هجر الحقل شاعر الحقل واختا ل على أيكه غراب وبوم

وانطوى الفجر فى الضباب وحالت دون إشراقة الصباح غيوم

فاذا الأفق ساهم الوجه مكدو د كأن الصباح ليل بهيم

أين دنيـا الهوى بابقايا الشباب ؟

هل لما قـد مضى رجعة أو مآب ؟

فهـزة العين حلسم تـــوارى وغاب

فى زوايا الربى فى السواقى العذاب

فى ارتعاش الكئوس فى غنـــاء الرباب

ومضـــة أشرقت فاحتواها الضباب

فاشبحى ياجفـون فى الدماء المذاب

إن دنيا المنى خفقة من سراب

القاهرة

ابراهيم الوائلى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين الأستاذ علي محمود طه بالمنصورة

كان يوم الخميس الماضي يوم وفاء المنصورة لابنها الذي أنجبته وأهدته إلى عالم الشعر والخلود، شاعر مصر الراحل المغفور له علي محمود طه. فقد نظمت جماعة الأدباء هناك حفلا لتأبينه لم يكن مقصوراً على المنصوريين، بل قصد إليه من القاهرة جمع من الأدباء والكبراء كما خفت إليه أسرة تحرير «الرسالة» في صحبة أستاذنا الكبير الزيات. وحججنا إلى البلد الجميل الذي أنبت صديقنا الفقيد لنلاقي روحه الهائم على منبته ومثواه. وقد رأيت المنصورة لأول مرة فأحسست كأني آلفها من قبل كما أحسست عند أول لقاء للصديق الراحل. وقد عدنا منها وما يزال خيالها ماثلا في نفسي، كما أن روح عزيزنا الشاعر سيظل خالداً في عالمنا خلود شعره وذكراه.

نظمت جماعة أدباء المنصورة حفل التأبين، وأشرف عليه الأستاذ علي بك الحاكم رئيس الجماعة ومراقب التعليم بالمنصورة، وكانت مشاركة وزارة المعارف متمثلة في رئيس الحفل وكلمة معالي وزير المعارف وحضور الأستاذ أحمد خيري بك وكيل الوزارة وفي المكان نفسه وهو المدرسة الابتدائية، وهي التي تلقى فيها الشاعر الفقيد دراسته الابتدائية.

بدىء الحفل — بعد الافتتاح بآي الذكر الحكيم — برسالة بعث بها الأستاذ علي أيوب بك وزير المعارف الأسبق، أبدى فيها الأسف لعوائق حالت بينه وبين الحضور، وقال فيها: كان فقيدنا شاعراً بفطرته وطبعه، أديباً بإحساسه الرهف وعواطفه الجياشة وذوقه المصفى، إلا أن دراسته للهندسة قد تركت أثرها في أدبه وشعره، ومن هنا كان شغفه بالموسيقى ونزوله على ما يقتضيه حسن الأداء وجمال التوقيع، والموسيقى تمت إلى العلوم الرياضية بأقوى سبب، بل إن هذه العلوم هي أساسها الأول ودعامتها الكبرى. وكانت له ميوله السياسية واتصالاته الحزبية، ولكنه أبى إلا أن يكون قومياً في شعره السياسي مثالياً فيما ينظم أو يقول.

وأشار الأستاذ الحاكم — في كلمته — إلى اعتزاز المنصورة بشاعرها الأصيل، قائلا إن روحه الفنية الخالدة لم تقبع في موطنه، وإنما فاض سحرها على البلاد العربية وامتد إلى الغرب، فعلي طه إنسان عالمي، وسيظل شراعه الرمزي جائباً الآفاق إلى ما شاء الله.

وألقى الأستاذ عدلي الصيرفي كلمة سعادة عبد السلام فهمي جمعه باشا رئيس مجلس النواب، وقد عبر فيها عن شعوره نحو صديقه الشاعر وألمه لفقده.

وقام الأستاذ محمد سعيد العريان فألقى كلمة معالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف، قال فيها: آسف أشد الأسف لأن الظروف لم تتح لي أن أشهد اجتماعكم وأن أعرب عن حبي وإعجابي بالشاعر العظيم، وعن حزني وحزن الذين يتذوقون الأدب ويكافئون بالشعر الرفيع على فقده. وهي كلمة قصيرة تشبه الاعتذار بالبرقيات السخية. وقد كنا نود أن نسمع كلمة فياضة في علي طه من طه حسين عميد الأدباء ولكنا لم نظفر إلا بهذا الاعتذار العاجل والتقدير المجمل من معالي الوزير.. ونحن نكبر عميدنا أن نخليه من العتاب في هذا الموقف لعدم أداء ما كان يقتضيه ...

وتحدث الأستاذ أحمد حسن الزيات فتمثل في حديثه وفاء الصديق وجمال البيان مع وضوح الصورة التي رسمها الشاعر في عبارات موجزة موفية. وترى كلمة الأستاذ في صدر هذا العدد من «الرسالة»

وكان ختام النثر كلمة الأستاذ حبيب الزحلاوي، قال: إن فقيدنا كان له إلى أحبابه المعجبين بشعره أحباب خصوم، وإنه — الزحلاوي — كان من الفئة الثانية إذ خاصمه خصومة أدبية خلت من الشوائب. وليسمح لي الأستاذ الزحلاوي، وقد أشاد بالخصومة الأدبية وأثرها الطيب في الصداقة، أن «أخاصمه» في بعض ما جاء بكلمته من قوله الشاعر «أحببته في خلائقه وسجاياه في مرحه وبوهيميته ...» فالكلمة الأخيرة ذات ظلال غير لائقة بالمقام.

وقد جنح الأستاذ إلى القضايا العقلية أكثر مما عنى بأن يندى كلامه بماء العاطفة، فجاءت كلمته غير خطابية . .

أما الشعر فقد ألقى منه ثمانى قصائد للأساتذة محمد عبد الغنى حسن وعلى الفلال ومحمد مصطفى حمام والسعيد يوسف والدكتور عزيز فهمى المحامى ومحمد فهمى وعبد الغنى سلامه والدكتور سعيد أبو بكر . وقد دل الشعراء فى مجموعهم — لا جميعهم — على أن مكان الشاعر المحتفل بتأبينه لا يزال شاغراً . . فقد كان أكثر ما أنشدونا من الشعر الوسط وما دونه . .

أما قصيدة الأستاذ عبد الغنى حسن فهى جيدة ، منها قوله :

يأيها الملاح مالك لم تعد
الشاطىء المهجور بعدك مظلم
وقف الندامى فيه لم تهتف بهم
شفة ولم يضحك بسامرهم فم
يترقبون هناك عودة شاعر
قد لفه البحر الخضم الأعظم
وضعوا الأكف على العيون ليرقبوا
وتنظروك على الرمال وخيموا
لكنما طال المدى بوقوفهم
فاستوحشوا من يأسهم واستسلموا
قل للرفاق الحالمين تيقظوا
ودعوا الأمانى الكواذب عنكمو
حلم من الأحلام عودة ذاهب
لا تحلموا بمجيئه لا تحلموا

وكذلك كانت قصيدة الفلال ، ومنها قوله :

على حسبك والذكرى مبرحة
أنى عجزت وعجزى فيك إكبار
يا فارس الشعر والجندول آنية
وجرسها فى مغانى الشرق سيار
ومالىء النيل آيات مخلدة
كيف احتوتك ببطن الترب أشبار

ومنها :

ياملهم الطير حلو السجع كيف ترى
من بعد فقدك تحيى السجع أطيار
شبا يراعك كم فى الطرس أطربها
كأنه من فم القمرى منقار

وإن كان لا يعجبنى التشبيه فى البيت الأخير ، فالشاعر حقاً يكتب بشبا يراعه ولكن القمرى هل يغنى بمنقاره . . ؟

على هامش الرحلة :

ركبنا بعد انتهاء حفلة التأبين ودفعنا إلى قصر الأستاذ عميد الرسالة بضيعته القريبة من مدينة المنصورة . ران علينا فى أول الأمر وجوم من ذكرى الفقيد الذى رحلنا للمشاركة فى تأبينه . ولكن كان معنا الأستاذ محمد مصطفى حمام ... وكيف يكون معنا حمام ولا يتبدل هذا الحال؟ هذا الأستاذ الزيات الذى كان يغالب دموعه وهو يلقى كلمته فى الحفل لم يلبث أمام غزوة حمام الفكاهية أن استسلم ونشط للايناس ، وزادت بشاشته إذ حللنا داره .

كشكول الأسبوع

◻ وافق مجلس المجمع اللغوى فى جلسة الأثنين الماضى على نتيجة المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ٥٠ التى قررتها لجنة الأدب بالمجمع ، وقرر أن يحتفل بتوزيع الجوائز فى الأسبوع الثالث من مارس الحالى . وتمنح الجوائز كما يلى : ٢٠٠ جنيه لكل من أحمد أحمد بدوى و عبد السلام هارون الأول عن بحثه فى « رفاعة الطهطاوى » والثانى عن تحقيقه كتابى « الحيوان » و « مجالس ثعلب » و ١٠٠ جنيه لكل من طه الحاجرى و بنت الشاطىء ، الأول عن تحقيق « البخلاء » و الثانية عن تحقيق « رسالة الغفران » ونلاحظ أن الجوائز كلها منحت لإحياء كتب قديمة ولبحث أدبى واحد . أما القصص فقد رؤى أن ما قدم منها لا يستحق الإجازة .

◻ أصدر معالى وزير المعارف قرارا بتشكيل اللجان الثلاث التى ستتولى فحص الكتب التى تقدم لنيل جائزة فؤاد الأول للاداب والقانون والعلوم فى سنة ١٩٥٠ . ولجنة الآداب مكونة من : على عبد الرازق (رئيسا) و ابراهيم مصطفى و أحمد أمين و أحمد حسن الزيات و أحمد زكى و عباس الجمل و عبد الحميد العبادى و محمد توفيق دياب و محمد خلف الله احمد و محمد عبد الواحد خلاف و محمد عوض محمد و محمد فريد أبو حديد و منصور فهمى — أعضاء . ويتولى سكرتارية اللجنة محمد عوض ويعاونه على أدهم ومحمود الخفيف. ومقدار الجائزة ٣٠٠٠ جنيه ألف جنيه لكل من الآداب والقانون والعلوم ، وتوزع على الفائزين فى احتفال كبير يقام فى الجامعة يوم ٢٨ أبريل القادم .

◻ يسعى الأديب العربى السائح الأستاذ محمد على الحومانى لدى الحكومة المصرية لتنشىء مدارس لأبناء المهاجرين المسلمين فى الولايات المتحدة لتثقيفهم بالثقافة العربية الإسلامية وهو يواصل هذا السعى منذ ثلاث سنين، وقد قدم أخيرا من أمريكا إلى مصر فى طريقه إلى لبنان ، وأخذ يتصل بالمسئولين وخاصة الدكتور طه حسين بك وزير المعارف . ومما يذكر فى هذا الصدد أن سفير مصر فى نيويورك كامل عبد الرحيم بك اقترح — بعد أن اطلع على تقرير كتبه الأستاذ الحومانى — أن يبنى جناح خاص فى مسجد واشنطن لتنفيذ الفكرة .

◻ استدعى الأستاذ زكى طليمات برسالة برقية من شمال افريقيا حيث كان يرافق الفرقة المصرية فى رحلتها الفنية هناك . وذلك للعمل على تكوين الفرقة النموذجية التى قرر وزير المعارف إنشاءها من خريجى معهد التمثيل العالى . والأستاذ زكى طليمات عميد المسرح المصرى — يعمل منذ سنوات على إخراج فكرة هذه الفرقة إلى حيز الوجود ، لإنهاض الفن المسرحى وتجديده بعناصر من الجيل الجديد الذى يتلقى فن التمثيل علميا وعمليا مع ثقافة شاملة . وستضم الفرقة الجديدة بعض الممثلين الكبار إلى جانب خريجى المعهد الشبان ، على أن يراعى فى الاختيار الشخصيات المتماسكة الخلق الممتازة فى الفن .

جمل حمام يحدثنا حديثاً عجباً من كل لون ! ولكنه أفاض في الرواية عن جماعة من الظرفاء تميزوا بطابع خاص أو كان لكل منهم طابعه الخاص ، ولكنهم يجتمعون في صفة مشتركة هي غزو مجالس الكبراء وكسب مودة هؤلاء وعطفهم ورفدهم بما يأتون من الملح وما يحسنون من الدعابة وأساليب التهريج ، من هؤلاء من مات كالشيخ عبد الحميد النحاس ومنهم لا يزال على قيد الحياة. ولا شك أن حياة هؤلاء جديرة بالكتابة عنها فهم يمثلون لوناً يشبه ما ذخرت به كتب الأدب من أمثال «الأغاني» و «العقد الفريد» وغيرهما ، وللكتابة عن هؤلاء المعاصرين قيمة خاصة من حيث ملابساتهم المصرية واتصالاتهم برجالات العصر الحديث ، وما يقترن بذلك من مفارقات وطرائف في الأدب والسياسة والاجتماع.

وقد أشرنا على حمام أن يكتب هذه الذكريات ويجمعها في كتاب أو كتب ، ولكنه يقول : يخيل إلى أن الحديث عنهم لا يحلو إلا شفوياً . والواقع أن حمام يتقمص الشخصية التي يتحدث عنها ويضيف إليها نفسه .. فإذا حكى أن فلاناً قال فالقائل هو حمام !

وإذا رأى أن ما يقصه لم يحدث في المجلس التأثير المطلوب ارتجل ما يصل به إلى ما يريد من التأثير ناسباً إياه إلى من يتحدث عنه ! فهو وضاع فنان لا يشق له غبار ..

وكذلك كان الرواة والمؤلفون في القديم على ما يخيل إلى . فأكثر ما نقرؤه من قصصهم ونوادرهم موضوع ، لم يقصد به الكذب وإنما قصد به الفن . ولك أن تعتبره خيالا على نحو الواقع ، يشبه في ذلك فن القصص العصري .

ونعود إلى حمام وطرائفه التي أغرقنا في سيلها المتدفق . حكي عن أولئك الظرفاء أنه التقى في بلده بإمام المسجد ، فرآه يحمل بعض العنب في قرطاس ، فبادره بقوله : ما هذا يا مولانا ؟ عنب ! ولماذا لم تشتر بطيخة بدل هذا العنب؟ ألا تعلم ما للبطيخة من مزايا لا توجد في العنب أو غيره ؟ إنك عندما تقصد إلى الفكهاني لشراء البطيخة ، يقف لك في احترام وتقلب أنت البطيخ، فيراك الناس فيقبلون يجاملونك بانتقاء بطيخة جيدة ، وبعد الشراء يأمر الفكهاني صبيه ليحملها وراءك وقد يتطوع لذلك أحد الناس وقد يكون من وجهاء البلد . وفي هذه الحركة مظاهرة ذات شأن ، إذ يعلم الناس أن الشيخ قد اشترى بطيخة ! فأين من هذا أفة العنب التي تأخذها وتذهب لا يدرى بها أحد ...

وإنه لمن الوجاهة أن تسير وشيخ البلد يحمل لك البطيخة . وعند ما تقترب من باب الدار تنادي : يا ولد ! تعال خذ البطيخة . وتلتفت إلى حاملها قائلا بأعلى صوتك : تفضل ! والله تفضل ! ولا تخش شيئاً فإنه لن يتفضل . وبذلك يسمع الجيران ويعلمون أن الشيخ كريم يدعو بعزم شديد ، كما يعلمون أنه يبر أولاده فيشترى لهم البطيخ .. وتدخل البطيخة الدار فيهرع إليها الأولاد ، هذا يركلها ، وذا يدحرجها ، وذاك يزاحم أخاه عليها ، وذلك يصيح: بابا أتى ببطيخة ! وأنت من وراء ذلك كله تنظر مغتبطاً، ثم تصيح: هاتوا السكين ! ويكون قطع ثم قضم ونحت. ويبقى القشر واللب فالأول تقطعونه للدجاج أو تتفضلون به على دجاج الجيران، والثاني تجففونه وتقلونه وتتسلون به أنتم وضيوفكم نحو أسبوع ... وهكذا تقضون أسبوعاً حافلا بالمرح والمسرة جديراً بأن يسمى «أسبوع البطيخة» فياسيدنا الشيخ أين من هذا كله أفة العنب التي يلتهم كل منكم حبات منها فتذهب في الحال لا يبقى لها ذكر ولا أثر ؟ !

وشملت طرائف حمام نوعاً من الناس نراه ظافراً مقدماً عند الكبراء وغيرهم، ولا مزية لأحدهم ظاهرة ولا كفاية تبرر ما يلقونه من نجاح وتقدير ، هذا أحدهم في مجلس رجل من رجالات الدولة يقول له صاحب المجلس وهو يعلم أنه لا يحسن شيئاً مما يطلب منه : أنشدنا قصيدة من شعرك .

— لست شاعراً

— قل لنا زجلا

— لا أقول الزجل

اقرأ لنا ما تيسر من القرآن الكريم

— لست من أهل القراءة

فيقول الكبير : إذا كنت لا تنظم الشعر ولا الزجل ، ولا تقرأ القرآن مع ما أنت عليه من زي علماء الدين ، فبأي حق تجلس معنا ، يا ... وما بعد «يا» هو المزية التي من أجلها يجالس صاحبنا في مثل ذلك المجلس !!

وقد أعدى حمام بقية الإخوان ، فصار الجميع يتسابقون في الخطابة والتندر . كنا في حديقة المنزل نمتع الأنظار بمرأى الأشجار



الى الاستاذ كامل محمود حبيب

أنا يا سيدى من المعجبين بما تكتب وما تنشر ، وقد ازداد إعجابي بهذه الصور التي ترسمها ريشتك الساحرة على صفحات الرسالة الغراء ، والتي تنقلها من صميم الحياة والواقع .

غير أن قصتك الأخيرة «خيانة امرأة» كانت من غير الواقع أو هكذا خيل إلى ، فقد تحدثت فيها عن مأساة رجل أحب فتاة مثقفة وتزوجها ، ثم ساوره الشك في إخلاصها له فراقبها، ويروى قصة اكتشافه لخيانتها بقوله « ومرض رئيسى يوماً فتفغلت رفاق في المكتب ، وتسللت من الديوان ، تسللت لأجد زوجتي في داري تجلس إلى رجل غريب على سريرى في حجرة نومى ، وأفزعنى المنظر ، فصرخت من أعماق قلبي « آه ! المرأة المتملقة كالثعلب تمكر بصاحبها حتى يقع في شباكها ثم لا تلبث أن تذيقه وبال غفلته وحمقه. وخرجت من الدار وقد ضاقت الأرض على بما رحبت وضاقت على نفسي .. »

وجاء إليك ينشد الحل فعرضت مشكلته على قرائك . أريد أن أسألك أهذه القصة من واقع الحياة ؟ وهل هناك رجل يرى زوجته مع رجل غريب على فراشه ، فلا تظهر آثار رجولته وغضبه إلا في خطاب يخاطب فيه نفسه بكلام يشبه الفلسفة ؟ أهذا الرجل في الشرق أم في الغرب ؟

السيد جليل السيد ابراهيم

بصره . عشار

إلى سيدى وأستاذى كمال الدسوقى

كم كنت أتمنى أن يكون لى بيان الأدباء ، وأسلوب الشعراء فأنظم لك من كلماتى تاجا رقيقاً أضعه فوق رأسك المفكر ! !

لقد كان لمقالاتكم القيمة أكبر الأثر في نفوسنا الغضة فأقبلنا على مسابقة الفلسفة بقلوب متعطشة بعد أن غرست في نفوسنا حب الفلسفة . وقيمة البحث والاطلاع .

وبالرغم من قيمتها العلمية الثمينة فقد كانت تحوى توجيهات كريمة وإرشادات نافعة، وحثا على التعمق في البحث. وكم كان جميلا حقاً أن توجهنا إلى المسابقة وتجعل لنا أسوة حسنة في فيلسوفنا العظيم لطفى السيد باشا إذ كان وزيراً للخارجية ولم تشغله مهام منصبه عن التعمق والتأليف . لقد كنت أنت نعم القدوة الحسنة ؛ فأنك إلى جانب تأديتك تلك الرسالة النبيلة . وهى التعليم لا تألو جهداً في التعمق والبحث وتأليف تلك الدرر الثمينة في عالم الفلسفة ! فجاء بحثك يا سيدى قيما للغاية بعد أن نفخت

والأزهار ، ولكن الأستاذ حبيب الزحلاوى — وهو إلى أدبه تاجر حديد — لا يرفع طرفه عن «ماكينة» ملقاة في أحد الأركان ، كل منا يسأل عن هذه الشجرة أو تلك الزهرة ، أما الأستاذ الزحلاوى فيسأل عن «الماكينة» فيبادره الأستاذ أنور المعداوى : لماذا تسأل عنها ؟ ... أتريد أن تشتريها ويبدى لأستاذ كامل حبيب رغبته في شراء «ماكينة» مثلها فينعم الأستاذ الزحلاوى فيها النظر كأنه يريد أن يشتريها ليبيعها للأستاذ كامل !

ونمر بـ « كوبرى » المنصورة ، فيتأمله الأستاذ الزحلاوى ويبدى ملاحظات عليه ، فيقول له الأستاذ الزيات : أتريد أن تشتريه ؟ وهذا «الكوبرى» يسير القطار من فوقه ، فمن يشتره يكن القطار داخلا فيه ، وبذلك يبذ من يشترى الترام !

ولا ينى الأستاذ الزحلاوى عن النظر إلى ما يصادفنا في الطريق من الآلات الحديدية والتحدث عنها . . فيقترح عليه الأستاذ الزيات أن يبادل الأستاذ نقولا الحداد اسمه الثانى فيصير اسمه «حبيب الحداد» بعد استئذان الأستاذ نقولا الزحلاوى ...

عباس خضر

فيه من روحك الوثابة ، ونفثت فيه عصارة عقلك الجبار وحيويتك المتدفقة .

وإن أطيل الكلام يا سيدى ، فإنك فوق أن تمدح ، وفوق أن يثنى عليك .وإذا كان النهار فى حاجة إلى دليل كان فضلك وعلمك فى حاجة إلى بيان .

فاليك أتقدم بتلك الهمسة من شكرى وتقديرى . ويكفيك فخراً يا سيدى أنك خلقت عقولا ناضجة تسمى إلى المعرفة وأوجدت نفوساً متعطشة للبحث .

المنصورة فوزية مهران عيسى

طالبة توجيهى

حيرة مسجد :

أنشئ من نحو عامين بمدينة الأقصر مسجد من أفخم المساجد وأعظمها رونقا وهو تحفة نادرة المثال ، فقد تواءمت فيه قداسة الدين وروعة الفن فكان آية ناصعة تنم بوضوح عن سمو ذوق منشئيه سواء من اختمرت الفكرة فى نفوسهم ومن ابرزها فى عالم الحس والعيان فهم جميعا احرياء بالشكر جديرون بأبلغ الحمد والثناء . ولئن كانت مدينة الأقصر عريقة بمظاهرها الفخمة وآثارها العظيمة ومعابدها الكثيرة وذكرياتها الحافلة بالمسجد إلا أنها قد ازدانت بهـــذا المسجد وازدادت به روعة وجمالا ، وذلك المسجد على ما به من مهابة وقداسة وما اجتمع إليه من جلال وبهاء ، معطل لم تقم فيه شعيرة من شعائر الدين ؛ لأن جهات الاختصاص تتهرب عنه وتتبرأ منه ، فوزارة الأوقاف لا تقبل الأشراف على إدارته لأنه لم تحبس عليه أعيان تفى غلاتها بنفقاته ولا شيء من ذلك . ووزارة التجارة والصناعة وهى التى انشأته وانفقت فى سبيل إنشائه نحوا من أربعين ألف جنيه لا تقبل أن تتحمل نفقات أدارته ؛ وحسبها فيما يقال أنها أنشأته وأضافت به إلى مدينة الأقصر مظهراً من مظاهر التجميل والتحسين . ولقد أصبح هذا المسجد حيران متمطلا يقرض عنه وزارة الأوقاف والخيرات ، وتجفوه وزارة التجارة والصناعة وهى امه التى انشأته وتربى فى كنفها وتولته بالرعاية ، فلما اكتمل بناؤه واستقام صرحه برمت به وتنكرت له فما أحوجه للعطف والرثاء ! !

فهل من يدبره رحيم تنقمة ذه من حيرته ؟ وهل من نفس خيرة عامرة بالأيمان يهدهدها ويؤثر فيها ويثيرها للخير قوله تعالى « إنمـــا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » الوحى الوحى والبدار البدار فخير البر عاجله والسلام

على ابراهيم الفنريلى

الأقصر

نشر مخطوطة — تاريخ الموصل

علمت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية أن المجمع العلمى العراقى ببغداد قرر نشر مخطوطة تاريخ الموصل لابن زكريا بن محمد المعروف بابن إياس الأزدى . وقد باشر فعلا بإعداد المسودات للطبع . وهذا الكتاب من الكتب القيمة التى تظهر نواحى مفيدة من تاريخ مدينة الموصل تلك المدينة التى كان لها شأن ثقافى وسياسى مهم .



شيطانية امرأة

للأستاذ كامل محمود حبيب

طوت (عليه) أيام الطفولة، أيام كانت تلهو وتلعب فى منأى عن قيد التقاليد، أيام كانت تمرح وتمزح بعيدة عن غل الدار ... طوت هذه الأيام فأخذت تشعر بدم الشباب يفور جياشاً فى عروقها فيضطرب أمنيـة فى قلبهـا، ويلمـع جمـالا فى خديهـا، ويتألق حيـاة فى خاطرها؛ فامتـدت يدها الغضـة ترتب شعرها الفاحم السبط على نسق جميـل جذاب، وامتد ذوقهـا النسوى إلى الأصباغ والعطر تتأنق فى الاختيار وتفتن فى التطرية، وامتد خيالها إلى الثياب يخصها بعناية منه وفن؛ وأبوها رجل فيه الثراء والبذل. فبدت الفتاة فى روعة الجمال وجمال الذوق وسمو الفن وخفة الظل، فتناهبتها الأبصار والقلوب وهى فى شغل لا يعنيها إلا أن تكشف عن زينتها وروائها لتسمع كلمة إطراء تنفث فيها النشوة أو عبارة مديح تبعث فيها الغرور

وجلست (علية) حيناً إلى المرآة تحدثها وتستشيرها، ولـكن قلب الفتاة الطموح كان يرنو إلى ما وراء المرآة، فالبثت أن ضاقت بحديث المرآة فامتد بصرها إلى النافذة تريد أن تفزع من وحدة الحجرة إلى أنس الشارع، فما راعها إلا أن ترى فى النافذة المقابلة شابا يجلس إلى المرآة يحدثها حديثاً ضاقت هى به . . . يحدثهـا حديثاً طويلا لا يحس فيه الملل ولا الضيق، فتعلق به بصرها... والتفت الشاب فرأى الفتاة تحدق فيه فبدت له فى روعة الجمـال وروعة الزينة، فتعلق بها بصره

وأحست الفتاة فى نظرات الشاب معانى تشبع نهم غرورها وتطفىء غلة أنوثتها، فاطمأنت إلى ابتسامته وسكنت إلى تحيته، وراحت تبادله ابتسامة بابتسامة، وتحية بتحية؛ وبينهما من الشارع ومن التقاليد حجاب لا يستطيع واحد أن يظهره

لقد كان (بهاء) شاباً فى زهرة العمر وجمال الحياة، يتأنق دائماً فى زينته وفى لباسه، وكان لا يحس وطأة الحياة ولا يضيق بتكاليف العيش رغم أنه موظف صغير فى الحكومة لا يبلغ راتبه إلا بضعة جنيهات؛ فهو أعزب، يسكن حجرة ضيقة رخيصة لا تنفضم إلا على فتات من الأثاث، وهو يقتنع بالوضيع من الطعام والتافه من الشراب ليوفر لنفسه زينتها وألقها، وهو يعيش على نهج الصعاليك من العزاب لا يعنيه إلا أن يبدو أمام الناس فى الغالى من اللباس ولا يشغله إلا أن يستمتع بالرخيص من المتعة. ولطالما جلس إلى المرآة يهيىء نفسه للشارع مثلما تفعل فتاة لا هم لها إلا أن تفرط فى الزينة أو تبالغ فى التطرية. فلما رأى (علية) ترمقه من خلال النافذة تعلق بها بصره وتشبث بها قلبه

وانطوت الأيام والفتاة تغدو وتروح إلى النافذة ترنو إلى فتاها من ثنايا الشباك، والفتى لا يبرح مكانه بإزاء الشباك كأنه جدار أسند إلى جدار. وضاقت الفتاة بهذا الستار الـكثيف المنسدل بينها وبين فتاها حين أحست بهوى الشاب يتسرب إلى قلبهـا فى رفق ولين؛ وطمعت أن تجلس إليه ساعة من زمان علها تسمع منه أنشودة من أناشيد الغزل الذى يصبو إليه قلب كل أنثى، انشودة يوقعها شاب على أوتار قلب فتاة؛ أو تطرب إلى لحن من ألحان الغرام يترنم به فى رقة فتنتشى له عواطفها وتهتز مشاعرها.. ضاقت الفتاة بهذا الستر فدست إليه من يدفعه إلى أن يتعرف إلى أخيها الأكبر فيجد السبيل إلى الدار ... إلى (علية)، وتستطيع هى أن تراه وأن تجلس إليه على حين غفلة من أهلها

ومرت الأيام فاذا (بهاء) صديق أخيها الأكبر، يزوره أصيل كل يوم ويرافقه فى نزهاته ويعينه على حاجاته، وسعدت الفتـاة بما كان وسعد الفتى

وطارت الشائعات تقول إن (عطية) قد خطب (علية) إلى أبيها

وعطية فتى من ذوى قرابتها خشن الجس قوى الأركان وثيق التراكيب، وهو عامل فى مصنع، يقضى نهاره فى الجهد العنيف لقاء دريهمات لا تسد خلة ولا تدفع غائلة. ولـكن والد الفتاة رضى به زوجاً لأبنته. وما كان للأب أن يرد فتى من ذوى قرابته يبذل غاية الطاقة ويستفرغ منتهى الجهد ليكسب قوت يومه؛ فهو نفسه نشأ — فى صباه — نجاراً صغيراً يعانى شظف

العيش وشدة الفاقة ، فما زال يرغم نفسه على الدأب ويحملها على الجد حتى أصبح الآن – صاحب (ورشة) كبيرة تدر عليه الآلاف والآلاف .

وجاءت الأم تزف البشرى إلى ابنتها (علية) وفى رأيها أن الفتاة ستهتز للخبر فرحاً وتطير له حبوراً ، ولكن ما راعها إلا ان ترى فى ابنتها الاباء والرفض ، وإلا أن تلمس فيها روح الكراهية والبغض ، وإلا أن تشهد وقع الخبر عليها عنيفاً قاسياً . وكيف ترضى الفتاة المدللة بهذا العامل الفقير وهى تراه يدلف إلى الدار فى ثياب مهلهلة قد لوثتها آثار العمل وعاثت فيها يد الأقذار ، فإن حاول أن يتأنق فى لباسه بدا مضطرباً يختلج فى ثياب فضفاضة لا تتسم بسمة من الذوق ولا سمة الفن ؟ كيف ترضى به ومن أمامها (بهاء) وهو فتى رقيق جذاب يتألق فى شعره الرجل الناعم وفى عطره الفواح وفى رباط رقبته الزاهى وفى بذلتــه النظيفة المتسقة وفى حذائه اللامع وفى حديثه الرقيق وفى …

وحاولت الأم جهدها أن تحمل الفتاة على أن تنزل عند رأى أبيها أو تلقى السلم لرغبة ذويها ، فما أفلحت …

وجلست الفتــاة – ذات يوم – إلى فتاها ، تقص عليه قصة عطية وتستثير همته ورجولته وتنفث فيه سموم الأنثى عبرات تتدفق حرى وباردة على خديها لتدفعه إلى غاية . وأسـهل الفتى وانقاد فتقدم إلى أبيها يخطبها فما تأبى الأب ولا تموقت الأم . وخرج (عطية) من الدار يجرر أذيال الخيبــة ، وفى قلبه حسرة ما تنطفىء .

* * *

وتعاقبت الأيام تشيد داراً صغيرة يسعد فيها زوجان وثلاثة أطفال .

وشعر الزوج (بهاء) بأن حاله قد استحالت إلى أخرى فهو لا يطمئن إلا إلى جانب زوجته ، ولا يهدأ إلا إلى جوار أطفاله ولا يسكن إلا فى كنف الدار ، غير أن أمراً واحداً كان يحز فى نفسه فيعكر عليه صفــاء الدار ويسلبه رونق السعادة بالزوجة والولد ؛ أمراً واحداً كان ينزع عنه – دائمــاً – القرار والهدوء : فهو كان يشعر بضيق ذات يده يمسكه عن أن يسد حاجات الدار وعن أن يشبع رغبات المدرسة . لطالما أصابه العنت والضيق ممــا يحس من فاقة وعسر ، ولـكن زوجته كانت تسرى عنه بعض أتراحه بكلمات جوفاء لا يلمس فيها روح التضحية ولا معنى الوفاء

وأخذ الغلاء يطحنه بين فـكين من جفاء وقسوة ، فجذب ابنته الـكبرى من المدرسـة لتعمل ممرضة فى مستشفى فما أفاد شيئاً ، وشعر كأن عيوناً كثيرة ترمقه شزراً وكأن قلوباً حبيبة إلى نفسه تخفق بالازدراء والاحتقار ، فضاقت عليه الدار بمــا رحبت وتبخرت السعادة من أركانهــــا ، وتألق الهم فى فوديه شعرات بيضاء لامعة وارتسم الأسى على جبينه خطوطاً غائرة . وعز عليه أن يبدو أمام أحبائه يتسربل بالضعة والعجز ، فامتدت يده إلى أموال الدولة تختلسها ليسد خلة أو يوفى ديناً .

وتيقظت عين الحارس على يد تمتد فى صمت فكبلها بالحديد، وساقها إلى ساحة القضاء؛ وجاء القاضى يمجد الأمانة ويغضى عن الشفقة ، ويطرى العفة ويتناسى الرحمة .

آه ، لك الله أيها الأب المسكين ! لو استطعت – فى عجزك – أن ترد سغب ابنائك بقطعة يجتزها من لحمك لقدمتها لهم فى رضا وهدوء ! ولو استطعت – فى فاقتك – أن تطفىء غلة صغارك بسيل من دمك لدفعته إليهم فى غير ونا، ولا بطء !

ولـكن القاضى تكلم بلسان القانون الذى كتبه رجل ، فسجن الأب ليذر من خلفه زوجة وثلاثة أبناء لا يجدون العون إلا فى دريهمات قليلة هى راتب الابنة الـكبرى . دريهمــات لا تغنى من جوع ولا تسمن من عرى .

* * *

ورأت (علية) الهاوية من أمامها توشك أن تبتلعها هى وأبناءها حين تداعى مستقبل زوجها وانهارت كرامته وتحطم شرفه ، فجلست إلى نفسها وإلى شيطانها ساعات تتلمس الرأى وتحتال إلى الخلاص ، فما برحت مكانها حتى انفرجت الغمة عن فكرة

وعند الصباح انفلتت المرأة من الدار فى زينتها إلى (عطية)، الخطيب الذى خرج من دارها – يوماً ما – يجرر أذيال الخيبة وفى قلبه حسرة ما تنطفىء … لقد عنمت عليه يوم أن كان عاملاً فقيراً تقتحمه العين وتزدريه النفس . أما الآن فلقد أسبغ الجد عليه من فيضه وحبته الحرب من فضلها فأصبح يرفل فى النعمى والنعيم ويسعد بالجدة والثراء .

ورأى الرجل (علية) فهم يستقبلها وعلى شفتيه ابتسامة وفى قلبه نبضة . وجلس الرجل إلى المرأة والشيطان ، فما مت من مكانها حتى كان قد استيقظ فى قلب الرجل هوى قديم كان قد غمره اليأس فطوا فى زاوية من النسيان

وفى مساء اليوم التالى وقف (عطية) أمام المرآة ينفض عنه غبار العمل ويفزع إلى الزينة والعطر، وقد بدت عليه سيما النشاط والشباب، وفاضت على وجهه علامات المرح والسرور، ثم انسل خفية إلى دار التى أحب... إلى دار علية

وغبر الرجل زماناً يختلف إلى دار (علية) يحبوها بالجزل من من العطاء والغالى من الثياب والفاخر من الطعام، لايدخروسعا فى أن يتلمس رضاها ويتوخى فرحتها، على حين قد فرغت داره منه ومن عطفه فى وقت معا

وأحست المرأة بالرجل يندفع نحـــوها فى حماقة وطيش، فأرادت أن تمكر به رويداً رويداً، فجلست إليه فى ساعة من ساعات النشوة والمرح تحدثه قائلة «لست أدرى كيف أشكر لك فضلك، ياحبيبى، وأنت قد غمرتنى بنعمة منك سابغة، فما استشعرت فقد الزوج ولاغيبة العائل» فقال الرجل لا «عليك، فإن منتهى أربي أن أفوز برضا قلبك وأن أظفر ببعض عطفك» قالت «أو تشك فى أخلاصى لك وحبي؟» قال «لا، أبداً!» قالت «وأنا قد علقتك ولا أخشى إلا أن تمتد الأيام القاسية فتضرب بيننا بحجاب لا أستطيع أن أنفذ منه ولا تستطيع أنت» قال «أما أنا فإنى أحس بعاطفة جارفة تجذبنى إليك فلا أستطيع عنك صبراً» قالت «ولكننى أخشى الأيام وأحس بها توشك أن أن تفرق بيننا» قال «وكيف» قالت؟ أو نسيت أن زوجى على وشك أن يخرج من السجن» قال «ولكننى لاأستطيع عنك صبراً» قالت «إذن فلا مفر من أن نتلمس الوسيلة إلى لقائنا دون أن يتطرق الشك إلى قلب زوجى» قال فى غفلة «وكيف السبيل؟» قالت فى مكر «لا سبيل إلا أن تتقدم ـ الآن ـ فتخطب ابنتى الكبرى» فأطرق الرجل يقلب الرأى ولكن المرأة عاجلتـه فى دلال «وإذ ذاك تستطيع أن تدخل الدرمتى شئت وأن تجلس إلى فى غير ريبة ولا شك» وأطرق الرجل مرة أخرى وإن عقله ليدفعه عن الفكرة وإن قلبه ليجذبه إلى المرأة التى أحب، غير أن المرأة استمرت فى حـــديثها «ولا ضير عليك إن فرغت إلى دارك وأولادك، وستجد فى هذه الخطة ستاراً يداريك هنا ولا يفزعك عن دارك» ثم مالت إليــه فى خفة وشوق وهى تقول «فما رأيك؟» وأحس الرجل بعطر المرأة يخطف عقله ويسلبه قلبـه فقال «لابأس، فأنا أوافق» وسميت الفتاة على رجل فى سن أبيها وترامى إلى الفتاة حديث أمها العاشقة فثارت ولكن الأم

هرت فيهــا هريراً منكراً أزعجها فاندفعت إلى حجرتها تبـكى خطها العاثر

وخرج الزوج من السجن فما وجـد مناصاً من أن يلقى السلم إلى زوجته فبارك الفكرة وفى رأيه أنه سيجد فى زوج ابنته عوناً على لأواء الحياة وغلظة العيش

ومكرت المرأة بالرجل مرة أخرى فإذا هى تستنزف ماله فى غير رحمة ولا شفقة لتدخره لنفسها، وإذا هى تختله عن زوجته وأولاده رويداً رويداً لتستأثر به من دونهم، وصرفته عن عمله، وأرغمته على أن يقتر على زوجته وأولاده

ثم جاء الزوج يستحث الرجل على أن يخطو خطوات فساح فى سبيل إتمام مراسيم الزواج فأبى ولا تمهل وجاءت المرأة تمكر به ـ مرة أخرى — فطلق زوجته وطرد أولاده، فما كان له — كرأى الزوجة — أن يتزوج من ابنتها الفتاة الآسرة الجميلة وهو زوج ورب أسرة، فيضربها بالضرة ويقتلها بالغيرة.

ياعجبا! لقد ارتدغ الرجل فى حمأة الجريمة حين أسلس وانقاد إلى امرأة من بنات حواء. لقد كان يصحو من غفلته — بين الحين والحين — فيعقد العزم على أن يحطم قيداً كبلته به هـذه المرأة فيعود إلى عمله، إلى داره، إلى زوجته، إلى أولاده، ولكنه كان يعجزه أن ينسى ما ذاق إلى جانبها من لذة الحياة ومتعة النفس، فيهى عزمه ويضعف جلده

وأرهقت المرأة زوج ابنتها المزعوم بتكاليف الزواج فما استطاع أن يشبع نهم المرأة التى سلبته كل ماله ... سلبته كل ماله فى فى نزوة من نزوات الحب الآثم. وجلس إليها — فى خلوة — ينفض أمامها جملة حاله وينثر على عينيها عجزه وضيق ذات يده ويطلب إليهـا — فى رقة ولين — أن تخفف من طلباتهـا فثارت به ثورة جارفة، وطردته من دارها وهى تقول «ماأحمقك أيها الغبى! أفكان لى أن أزوج أبنتى الفتاة الرشيقة الناعمة إلى رجل عجوز مفلس مثلك؟»

طردته بعد أن استنزفت كل ماله، وبعـد أن ختلته عن زوجته وأولاده ... طردته وبعد أن هدمت داراً فيها النعيم، وبعد أن حطمت أسرة فيها السعادة، بعد أن شردت صغاراً فيهم الطهر.

فيا لشيطانية المرأة ... يالشيطانية المرأة ...

كامل محمود حبيب



صراع

مجموعة أقاصيص للاستاذ شاكر خصباك

القصة العراقية لم تشهد النور إلا منذ أمد جد قصير ...

فالمحاولات الأدبية الأولى لإنشاء قصص عراقية كانت تصاب بالإخفاق ، أو تنحرف عن الميدان القصصي الفنى فتكون أشبه بالحكايات التى لا تمس الواقع ، ولا يصلها بالفن القصصى سبب الأسباب .

ذلك لأن تلك المحاولات لم تقم على أساس متين من الدراسة والتفهم العميق للفن القصصى ؛ لأن المضطلعين بها لم يكونوا مطلعين على الأدب الغربى ، وغير متثقفين ثقافة عامة شاملة .. لأن القصة محتاج إلى كثير من الخبرة ، والإدراك ، والمعرفة ، وسبر الحياة، وخوض غمارها ؛ ثم تأتى الموهبة القصصية لتبرز لك الفن القصصى مزيجاً من كل هذه الأمور .

وكان الأدباء العراقيون — قبل أكثر من عشرين سنة — يرون القصة المصرية تشق طريقها فى ميدان الإنتاج الأدبى ... وكان هذا اللون الجيل الجديد يدفعهم دفعاً إلى محاكاته ؛ فيحاولون تقليده والسير على منواله، من غير أن يفقهوا فن القصص؛ ومن غير دراسة فنية لأصوله .

هذا سبب من أسباب تأخر القصة العراقية ... ويمكننا أن نضيف إليه سبباً آخر وهو ما يتصل بالأحداث والتقلبات التى هزت العراق فى الفترة الأخيرة ، وانصراف الناس إلى السياسة وقد كان الشعر مبرزاً فى ميدان إيقاد الحماس ، وإيقاظ الهمم ، وإذكاء نيران الوطنية فى القلوب

أما القصة فلم يكن ثمة مجال لظهورها لعدم وجود قصصيين يملكون ناصية الفن القصصى بحيث يؤثرون فى نفوس الجماهير ويوجهونها نحو الوجهة الوطنية الصحيحة . أضف إلى ذلك عدم استعداد الجمهور لقراءة القصص واستساغتها ، لأن القصة فى مثل هذه الأحوال لا تثير ما يثير الشعر

ولكن بعض المحاولات القصصية كانت تظهر بصورة حكايات وأحاديث ... ونحن حين نستثنى رائد القصة العراقية الأول المرحوم محمود السيد صديق الأستاذ تيمور فى الجهاد ، لا نرى إلا محاولات فاشلة القصد منها العبرة والاتعاظ والإسراف فى الخيال .

ثم جاءت بعد ذلك كتابات جعفر الخليلى ، وعبد المجيد لطفى ، أو حكاياتهما على الأصح ، فهذان الأديبان لبعدهما عن تفهم القصة الحديثة ، ولجهلهما الأدب الغربى الحديث ، فشلا فى أول عهدهما ولكن بعض الأمل تسلل إلى القلوب عند قراءة نتاجهما فى العصر الحاضر ، وهما — بعد كل هذا — مشكوران لأنهما يمثلان مرحلة من مراحل القصة العراقية .

ثم تأتى المرحلة الثانية فى قصص شالوم درويش ، وذو النون أيوب ، فقد استطاع هذان القصصيان أن يرقيا بالفن القصصى العراقى درجات ، ويدفعاه إلى الأمام ، فقد أصابا حظاً ليس فيه بأس من الاطلاع على القصص الغربى، وتفهما العناصر الجوهرية فى الفن القصصى ، وكانا يستلهمان الحياة ، ولا يشطان فى دنيا الرومانسيه .

وجاءت المرحلة الثالثة — وهى دور الشباب . فقد بزغ بعض الشبان فى سماء القصة ، ومنهم يُرجى الخير ، وعليهم تعقد الآمال ... ولكنه يخيل إلى أن جريرة الصحافة المصرية الصفراء تلاحقنا ونحن فى ديارنا ، فتفسد أذواق الشباب ، وتتحكم بنزعات بعضهم ، وتصرفه عن العمل الجدى المنظم ، وعن التفكير الصادق السديد وعن إدراك الأمور إدراكا شاملاً واعيا . . ومما لا شك فيه أن الصحف المصرية تطغى على الأسواق العراقية ، وأن قصصها الناشئة الفكراء غير الناضجة ذات تأثير على نزعات الشباب . . وأغلب قصاصى المجلات لا يستلهم الحياة ، ولا يراعى مقاييس الفن ، بل يستلهم الطبع الفاسد ، ويراعى مقاييس المجلات الجائرة . . .

ولكن شيئاً من الاطمئنان يسرى فى نفسى عندما أجد بوادر السخط عند الشباب العراقى ، وعند الذين حصنوا أنفسهم بثقافة ومعرفة واسعتين .

والكتاب الذى أعرضه على القارىء الكريم الآن (صراع) لقصصى عراقي شاب لا أكون مغالياً لو قلت إنه خطا خطوة

رائعة موفقة فى مضمار القصة العراقيـة ، وهو على رغم بعض المـآخذ يبرز بين القصة العربية الناجحة عالى الرأس ...

والمؤلف شاب ، له أحلامه ونزعاته ، وميوله ، ونفس متوقدة حساسة ، تستلهم الحياة فيبرز لنا نواحى خافية خير ما يقال فيهـا إنها تقع فى محيطنا ولـكننا نتغاضى عنها ، لاننا نحفل دائمـاً بالحوادث والمفاجئات ، بأقاصيص البطولة والشجاعة ، أما الحوادث الصغيرة الساذجة الفنية بالاحاسيس ، والانفعالات النفسية فإننا نضرب عنها كشحاً ، ولا نميرها أى إلتفات ...

ولـكن الأستاذ شاكر خصباك يدرك تمام الادراك هـذه الحقيقة فى فن الأقاصيص فتراه لايحفل الحوادث والمفاجئات ، بل يخلق من الحوادث الصغيرة الساذجة عملاً فنياً بإطار من التحليل النفسى ، ويخلق الجو المشوق الذى يدفعك إلى الاعتراف بإن للكاتب موهبة فنية ، ووعياً عاماً فى جميع الأمور ... وأغلب أقاصيص الأستاذ شاكر حافل بهذا النوع من التحليل النفسى ... وتلك فضيلة أسجلها للمؤلف من غير إجحاف ...

ففى الـكتاب « أقاصيص » أول ما يطالبك فيها ، تحليل نفسى موفق ، وجو قصصى كامل ، وموهبة فنية رائعة ، وإذا بتلك الحادثة الصغيرة تحمل إليك ظلالاً من الإحساس ، وحياة عامرة بالمشاعر ، وحركة فى نبض الحس ، وفيض الشعور .

انظر إلى اقصوصة «عذاب» التى أعدها من أروع الأقاصيص العربية تجدها كما قلت لك : حادثة بسيطة ، وتحليلا نفسياً رائعاً وموهبة فنية تنظم الحركة ، وتبعث الحياة ، وتضفى الظلال . .

وخلاصة أقصوصة « عذاب » أن شـاباً كان يتمشى على شاطىء النهر ، مرتدياً بذلة جديدة ، يرى طفلاً يصارع الموج ، على شفا الغرق . . ويحاول الشاب إنقاذ الطفل ، ولـكنه يتردد بين خلع ملابسه الجديدة ، وإنقاذ الطفل الموشك على الغرق ، وبين المضى فى طريقه كأن شيئاً لم يحدث ، وليس ثمة عين تراه. ويتردد الشاب ، ويطيل التردد ، حتى يبتلع النهر الطفل ، وينقطع صراخه . . ويمضى الشاب فى طريقه ، ثم تقوده المصادفة إلى نواح نائحات ، وبكاء باكين ، وسرعان ما يتبين أن النائحات والباكين هؤلاء هم أهل الغريق . . وهناك ينشب الصراع بين ضميره فيعذبه ، وتشقيه الهواجس والظنون حتى يحاول الانتحار .

هـــذا الحادث تصوره ريشة ماهرة فى التقاط الصور وإكتشاف مواقع الإحساس ، وخلق الصور الإنسانيـة ، والظلال النفسية ، فتخلق لنا أقصوصة من أروع الأقاصيص . .

وهناك أقاصيص بالغة الروعة ، وافرة الحظ من النجاح ، منها « دكتور القرية » وهى صورة كاملة الملامح ، قوية السمات ، فيها سـخرية لاذعة ، وتصوير رائع . ومنها « عجيب » وهى أقصوصة تبرز لك مقدرة الأستاذ شاكر على الخلق القصصى ، وبعث الحركة والحياة بما فيها من انطلاق وعبث الظروف . .

وإلى هنا نقف مع محاسن هذا الكتاب ، فما هى مآخذنا عليه ؟

يبدو لى أن ميل الأستاذ خصباك إلى دراسة المجتمع يغلب فنه القصصى فى بعض الأحايين فتختفى روعة القصة ، وينفرط السلك القصصى ، وتبدو القصة أشبه شىء بتجربة طبيب نفسـانى .. ولولا مقدرة الـكاتب على إنشاء الفن القصصى لانهـدم صرح أقاصيصه إنهداما تاماً . .

وكم وددت لو ألقى الأستاذ عن عاتقه ذلك القانون الصارم الذى سنه لنفسه إذن لأنشأ قصصاً رائعة كل الروعة ، ولـكان غير ما هو الآن فى بعض أقاصيصه

فالا جدر بتلك الموهبة القصصية المتوقدة أن تنطلق فى ميدان الحياة من غير قيود ، وتسبح فى أجوائها من غير وازع ، وتلقط الصور من غير تمييز .. وذلك الميل الجارف لدراسة المجتمع يضفى على أشخاص المؤلف بعض الندرة ؛ فأنا لا أنكر أن أشخاصه جميعا موجودون ؛ ولـكن بعضهم نادر. فالمؤلف يؤمن « بأن العواطف الحبيسة تقود أصحابها إلى الشذوذ الجنسى .. » وتراه ينطق هذا القانون فى لهجة ساذجة أثناء أقصوصة من أقاصيصه وهى « أحلام ضائعة » فأنظر إليه كيف سخر قصته لإقرار هذا القانون أو هذه البديهية : زاهدة فتاة تعيش فى بيئة عراقية محافظة « وفى نطاق من تدابير اسرتها المحافظة ، فلا تفسح لها المجـال للاتصال بالعالم الخارجى ، ولا تسمح لها بمبارحة البيت إلا لماماً . « هذه الفتاة فى هذا فى السجن الماطق تخدع جمـاعة من الشبان ، واحداً بعد آخر ، وتوهمهم

بأنها تحبهم !! .. وإذا سألت : من أين جاءت هذه الفتاة بهذه الجرأة ؟. . أجابك المؤلف : من العاطفة الحبيسة .. هذا شيء معقول.. ولكن التصريح بهذا أضعف الاقصوصة

و « صراع » و« بداية النهاية » على هذه الشاكلة يحاول المؤلف البرهنة على قانونه . والملاحظ أن بعض الثغرات تبرز فى القصة حين يحاول المؤلف الخروج عن الجو القصصى . . فى « صراع » يعرض علينا المؤلف « فاطمة إمرأة متعطشة ، قوية الغريزة الجنسية ،تتعرف بصبي تحاول معه أن تشبع غريزتها الجنسية ولكن والدة الصبي تكشف ذلك فتأتى ثائرة ساخطة ، مزمجرة معربدة . . وفى هذا الجو المكهرب الساخط تسرد فاطمة قصتها محاولة تبرير ذنبها ومسالكها الشائن، فتبرد عند ذلك الاقصوصة والحق أن منطق الحياة لايقبل ذلك .

وقصة « صراع » لولا هذا الاقحام الأخير لكانت من غير الاقاصيص .. ويخيل إلى أن شغف المؤلف بدارسة المجتمع ،وتبين العلة أفسد عليه الجو القصصى .. فنحن نعرف أن كل علة وراءها مسبب ، ولكن ليست القصة مقالة إجتماعية ، تصف العلاج ، وتشخص سبب الداء.. ولنــدع ذكر المبررات لمخيلة القارىء ولتأويله — فالقارىء أولى الناس بمعرفة ذلك ، وإدراكه ..

وخلاصة المطاف أن هذا الكتاب بمحاسنه ومساوئه — نصر جديد للقصة العراقية ، ومحاولة ناجحة لانشاء قصص عراقية ناجحة فى رأى الفن ، وفى رأى الحقيقة ،

غائب طعمة فرمان

اعلان بيع

محكمة الزيتون الجزئية الوطنية

فى القضية رقم ٢٩٣ سنة ١٩٤٨ الزيتون نشرة ثانية

انه فى يوم الأربعاء الموافق ٢٢ مارس سنة ١٩٥٠ بسراى محكمة الزيتون الجزئية الوطنية سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد المملوك الى

(١) ودبد بك شنوده المقيم بشارع عماد الدين رقم ٥ قسم عابدين

(٢) الأستاذ هوروس وديد شنودة المقيم بشارع فؤاد الأول رقم ٣٠ بمصر

(٣) سعادة أحمد باشا نجيب الجواهرجى بصفته الشخصية وبصفته قيما على أخيه المحجوز عليه محمد بك نجيب الجواهرجى ومقيم بشارع الملكة فريده رقم ٤٨ قسم عابدين

وذلك نفاذاً لحكم البيع لعدم امكان القسمة الصادر باتفاق الخصوم من محكمة مصر الجديدة الجزئية الوطنية فى القضية رقم ٨ سنة ١٩٤٦ بتاريخ ٢٣ -- ٣ — ٩٤٨ القاضى ذلك الحكم ببيع العقار المذكور الآتى بيانه لعدم إمكان قسمته نظير ثمن أساس للمتر المربع قدره ٥ — ٨٣٧ مليما حسب تقرير الخبير

وهذا بيان العقار

قطعة أرض كائنة بحلمية الزيتون بزمام المطرية ضواحى مصر قسم الزيتون محافظة مصر عبارة عن القطعة نمرة ٣٠٦ من تقسيم مصلحة الأملاك الأميرية سنة ١٨٨٩ وواردة بالمساحة الحديثة على قطعته ن ١٨ و١٩ بحوض فيليبو ن٢٧ مسطحها ٩٨١٦ متراً مربعاً وهى تقع على ناصية شارعى جسر السويس القديم وابن الحكم على ميدان الطيران الجديد وعلى أثر توسيع عرض شارع بن الحكم من ٢٠ متر الى ٤٠ متراً وبعد تعديل محور ميدان الطيران الجديد المذكور نزعت نزعت مصلحة التنظيم ملكية جزء من قطعة الأرض المذكورة أصبح مسطح القطعة المذكورة ٥٠ — ٦٨٥٠ متراً مربعاً تعادل ٣ س ١٣ط — ١ف وهى على قطعتين

القطعة الأولى مساحتها ١٧ س — ١٤ ط تعادل ٢٥٧٩ متراً مربعاً محددة الشرق شارع جسر السويس القديم بطول ٧٥ — ٣٨ متراً والقبلى قوس على ميدان الطيران يبتدىء من بحرى إلى قبلى بطول ١٥ — ٢٦ متراً وهو عبارة عن خط مستدير ثم يتجه من شرق الى غرب بطول ٣٥ — ٣٨ متراً على شارع بن الحكم عرضه ٤٠ متراً والبحرى أرض فضاء بطول ٣٥ — ٥٤ متراً والغربى بطول ٤٥ — ٥١ متراً الآتى تحديدها بعد والقطعة المذكورة عبارة عن ن ٣١ ضمن ١٨ كدستر

القطعة الثانية مساحتها ١٠ س ٠٠ ط — ١ ف فدان تعادل ٥٠ — ٤٢٧١ متراً مربعاً محددة الشرق بطول ٤٥ — ٥١ متر القطعة السابق تحديدها والقبلى بطول ٨٣ متراً شارع ابن الحكم عرضه ٤٠ متراً والبحرى بطول ٤٠ - ٨٥ متر ملك الجار الغربى بطول ٥٠ متراً ملك الجار والقطعة المذكورة عبارة عن القطعة ن ٢٩ ضمن ٩ كدستر بحوض فيليبو ن ٣٧

وذلك مع حفظ حق المعلن اليهما والمدعى الأول فى ثمن ما نزعته التنظيم للمنافع العمومية حسب نصيب كل حسب المبين بعريضة الدعوى

وهذا البيع بناء على طلب الأستاذ وديد بك شنوده والأستاذ هوروس وديد شنوده المقيمين بمصر ومحلهما المختار مكتب الاستاذ لطيف شاكر مطران المحامى ٣٣ شارع شريف باشا بمصر قسم عابدين

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين وشروط البيع والشهادات العقارية مودعة بقلم الكتاب لمن يرغب الاطلاع عليها

كاتب البيوع



فهرس العدد

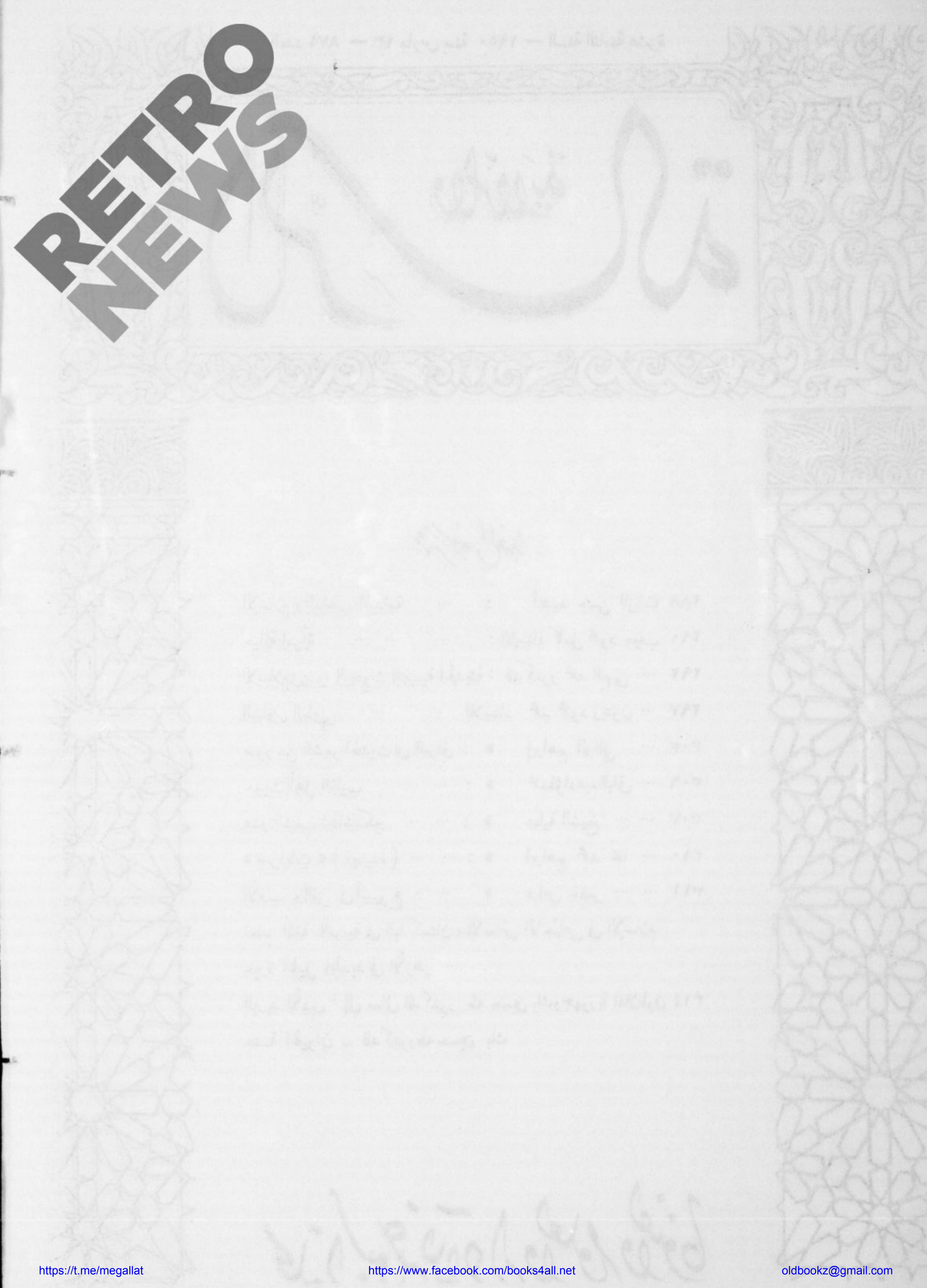
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

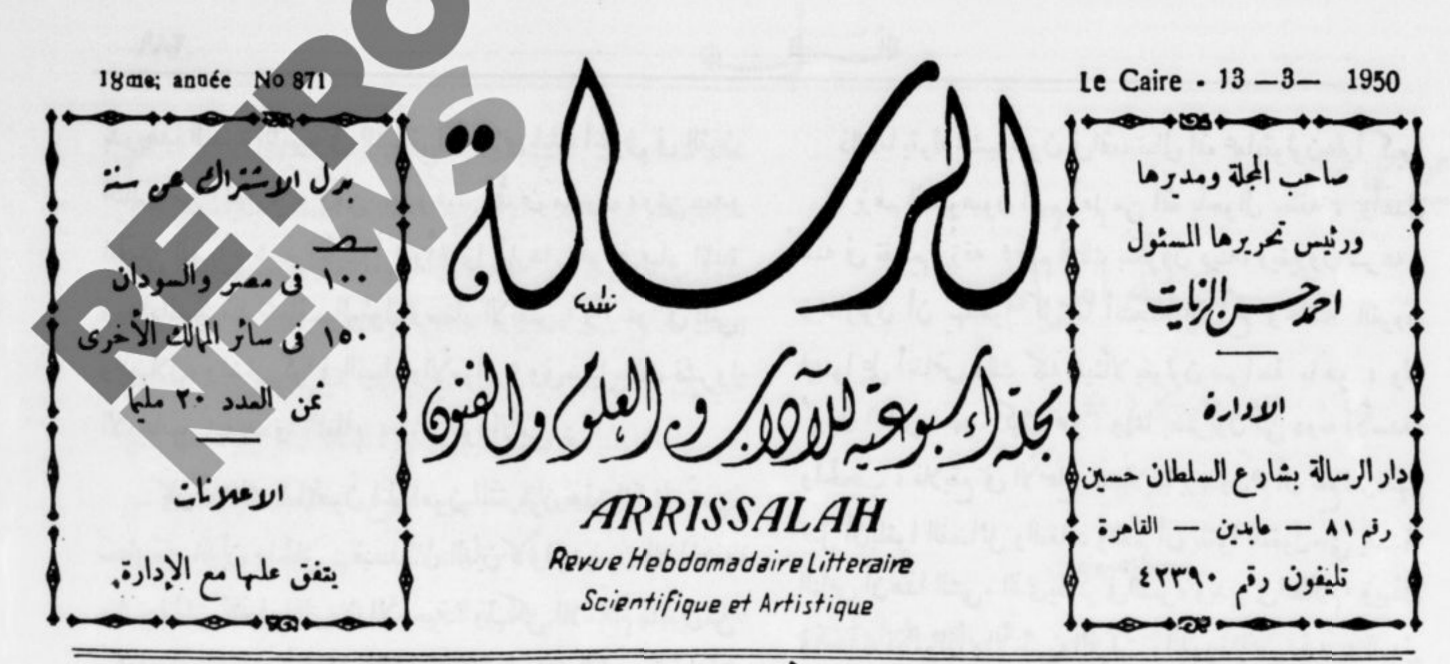
العدد ٨٧١ — ١٣ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون





18me année No 871

Le Caire - 13 — 3 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ — ١٣ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

الاسلام والمذاهب الهدامة

الإسلام هو السلام الإلهى على هذا الكون . شرعه الله وهو العليم الخبير ليكون للناس جميعاً دستوراً كاملا تصلح عليه شؤون الفرد وأمور الجماعة من كل جنس وفى كل عصر وعلى كل أرض .

جمل فيه أفضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية ، وأجمل ما فى المدنية ؛ ثم كشف لرسوله الكريم عن أطوار النفس البشرية فى طوايا الغيب فدعا دعوته الخالدة لتكريم الإنسان وتنظيم العمران وتعميم الخير وتحقيق السعادة من طريق التوحيد والمؤاخاة والمساواة والحرية والسلام . فالتوحيد سبيل القوة ، والمؤاخاة سبيل التعاون ، والمساواة سبيل العدل ، والحرية سبيل الكرامة ، والسلام سبيل الرخاء . وتلك هى الغايات التى ترجو الإنسانية بلوغها عن طريق النظم السياسية والمذاهب الاجتماعية فلا تتكشف أمامها بعد طول الجهاد وفرط الجهد إلا عن سحاب خلب وسراب خادع .

ثم علم الله جلت حكمته وعز شأنه أن الفقر من أمراض المجتمع المحتومة ما دام فى الناس القادر والعاجز والقانع والطامع والسابق والمتخلف ، فعالجه عُلاجاً لو دأب عليه المسلمون لعاشوا إخوة متعاطفين متناصرين تجد فيهم الفقير ولا تجد المحروم ، وترى بينهم الضعيف ولا ترى المظلوم ، لأن دينهم جعل بين الغنى والفقير سبباً هو البر ، وأنشأ بين القوى والضعيف نسباً هو الرحمة .

ولو أخذ به المصلحون لوقى العالم شر هذه النحل الهدامة التى تثير بين الدول النزاع والحرب ، وتنشر بين الأمم القلق والثورة . ذلك العلاج الإلهى هو الوساطة بين الأغنياء والفقراء على أساس الاعتراف بحق التملك ، والاحتفاظ بحرية التصرف ، فلا يدفع مالك عن ملكه ، ولا يعارض حر فى إرادته . إنما جعل للفقير فى مال الغنى حقاً معلوماً لا يكمل دينه إلا بأدائه . ذلك الحق هو الزكاة وهى الركن الثالث من الأركان الخمسة التى بنى عليها الإسلام . وليست الزكاة بالقدر الذى يخفى أثره فى حياة الفقير ، فهى ربع العشر فى المال وما يقدر بنحو ذلك فى غيره . فإذا جُبيت الزكاة بالأمانة على حسابها المقدر ، ووزعت بالعدالة فى نظامها المفروض ، شفت النفوس من الحقد ، وأنقذت المجتمع من البؤس ، فلا تجد سائلا فى شارع ، ولا جائعاً فى بيت ، ولا جاهلا فى عمل . ذلك العلاج الذى عالج به الإسلام الفقر فيه البر والرحمة من صاحب المال ، والرضا والقناعة من صاحب العمل ، والرعاية والعدل من صاحب الحكم . وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ؛ ولكن أصحاب النحل الخبيثة وذوى المطامع الخسيسة لم يرضهم فى الزمن الغابر ، ولا يرضيهم فى الزمن الحاضر ، أن يعيش الناس وادعين راضين فى ظلال النظم المشروعة ؛ فهبوا يعارضون أوامر الله ووصايا الرسل بتسليط الغرائز وتحكيم الشهوات وإثارة الفتن ، فتمردوا على الدين ، وتحللوا من الخلق ، وتحرروا من القيود ، وقال القرامطة : « لا حقيقة فى هذا الوجود وكل أمر مباح »

الزيات
أذيعت من القاهرة فى مساء الخميس الماضى

بذر هذه البذرة الملعونة فى الشرق الأسلامى بابك الخرمى فى القرن الثالث من الهجرة ، ومن بعده عبد الله بن ميمون ، ومن بعده الحسن الصباح شيخ الجبل ، وأغروا بثمارها المحرمة عباد اللذة ورواد المنكر من ضعاف العقول وصغار الأنفس ، وأمعنوا فى الغى والضلال ، واشتركوا فى النساء والأموال ؛ وفى سبيل ذلك نشروا الارهاب ، وبددوا النظام ، وزعزعوا الأمن .

كان أولئك الطاعون الخداعون يقترفون هذه الكبائر تحت ستار من الدين والخلق : فبسلطان الدين كانوا يشيعون الالحاد ، وباسم الخلق كانوا ينشرون الاباحية . ولكن الاسلام منبعين من كتاب الله وسنة رسوله لا يزالان يتدفقان بالصفاء والطهر والعذوبة ؛ فإذا تلوثت مجاريه البعيدة بمثل هذا الدنس أقبل الفيض الالهى تجرف تياره القوى كل عفن ، وطهر ماؤه النقى كل رجس .

وفى هذا العصر الحديث تجددت المزدكية والبابكية باسم الفوضوية والشيوعية ، فقامتا تدعوان باسم الانسانية إلى الالحاد والاباحية سراً وعلانية . تقول الشيوعية للاسلام : إن ربك ظالم لا يعرف العدل ، جائر لا يعرف المساواة ، مستبد لا يعرف الحرية . لا يعرف العدل لأنه يقول : والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، وأنا أريد أن يكون الرزق مشاعاً ينال كل امرىء منه ما يشاء . ولا يعرف المساواة لأنه يقول : ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ، وأنا أريد أن يكون الناس جميعاً فى كل أمر سواء . ولا يعرف الحرية لأنه قيد كل شىء بقيد : قيد الرزق بالملكية ، وقيد المرأة بالزوجية ، وقيد تصرف النفوس بالعقيدة والخلق ، وقيد تداول الأموال بالوقف والارث . أما أنا فأقول : كل شىء مشاع ، وكل أمر مباح ، وكل إرادة طليقة . حرمت الملكية ، ومحوت الأسرة ، وألغيت الجنسية ، وأنكرت الوطنية ، وجعلت المزارع والمصانع والنساء وسائل للانتاج العام : آخذ من كل على حسب كفايته ، وأعطى كلا على حسب حاجته . على الناس أن يعملوا ، ولهم أن يأكلوا . . أما أن يكون للأفراد أملاك تغنيهم عن الانتاج ، وللآباء أبناء يشغلونهم عن العمل ، فذلك فى شرع الشيوعيين لا يجوز . المللك ملك الدولة ، والولد ولد الدولة . وليس بين الرجل ووطنه ، ولا بين الولد ووالده ، إلا كما يكون بين القطعان والمرعى ، أو بين الحلان والكبش !

ذلك ما يقوله الشيوعيون فى الله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا

يزعم الشيوعيون أنهم أعلم من الله بأحوال خلقه ، وأعدل منه فى تقسيم رزقه ؛ فهم لذلك ينكرون دينه ، ويغيرون شرعه ، ويحاولون أن يهدموا كل ما أنتجته القرائح وخلفته القرون ليبنوا على أنقاض ذلك كله شيئاً لا يقولون صراحة ما هو ، ولا يُرون الناس جهرة كيف هو ؛ وإنما يضربون من دونه الأسداد والحجب ، فلا يقع فى الأسماع منه إلا ما يريدونهم أن يقع ! وقاتهم قبل أن يلغوا الفضائل والعقائد والقيم أن يلغوا العقول حتى يصدق الناس أن هذا الشىء الذى يذكر فى السر ، ويدبر فى الظلام ، ويبذل فى سبيله الأموال والأنفس والثمرات والجهود إنما يقصد به العدل المطلق والخير العام ، ولا يقصد به طغيان بشر على إله ، وسلطان دولة على عالم !

ليست الشيوعية عقيدة تقوم على الخير ، ولا طريقة تعتمد على الحق ، ولا رسالة تؤدى بالمعروف ، إنما هى أطماع من عمل الشيطان وسوس بها فى صدور جماعة من مغامرى الروس كابدوا استبداد القيصرية ، وقاسوا استعباد الأرستقراطية ، فلم يكادوا يثلون عرش المستبد ، ويقوضون صرح المستعبد ، حتى أدركهم مركب النقص ، وأخذتهم سورة الانتقام ، فتقاسموا بينهم جبروت القياصرة وصلف الأشراف ، وسخروا كل ما تنتج العقول وتخرج المصانع وتنبت الأرض للجيوش والأسلحة ليتخذوا عباد الله كلهم عبيداً ، ويجعلوا أرض الله كلها لهم ضيعة ! حزب من ستة ملايين قيصر قد أعد الحديد والنار والدمار والقلق والفزع والاضطراب والفوضى لتنفيذ هذه الخطة وبلوغ هذه الغاية ! فهل يقدر الله أن تنهزم القوى الخيرة أمام هذا الشر ، وتنخزل المبادىء الصالحة عن هذا الفساد ؟ حاشى لله أن يؤتى ملكه غير البر ، وأن يورث أرضه غير الصالح ؛ فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

إن العقلية العربية معمرة فلا تقبل الهدم . وإن العقيدة الاسلامية نيرة فلا ترضى الضلال . وإن النحل الهدامة التى انتشر ظلامها حيناً فى سماء العراق إنما كانت خارجة عن الاسلام طارئة على العرب . وإن الشرق العربى سيظل بفضل عقليته وعقيدته آمناً من كل سوء ، نابياً على كل فتنة .

احمد حسن الزيات

عود على بدء

خيانة امرأة

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٣ —

كتبت فى العددين ٨٦٥و٨٦٦ من « الرسالة » القراء قصة «خيانة امرأة» وهى قصة سمعتها بقلب يهتز من أثر الصدمة، وعيتها بفؤاد يضطرم من أثر الفجيعة، وحفظتها فى عقل يختلج من أثر الحيرة؛ ثم ظللت أياماً أنازع عنها الرأى وأدفع عنها القلم وأدع عنها الخيال؛ شفقة على صاحب القصة أن يراها مسطورة بين يديه فيرى فيها — دائماً داء قلبه وأذى روحه، فلا يتسرب إليه النسيان؛ فتكون كلماتى غذاء يتأرث به ضنا روحه، وحطباً تتوهج به لواعج نفسه. ولكن صاحبى كان يلح فى أن أهديه إلى الرأى الذى عزب عن فكره، وأن أبصره بالصواب الذى ندّ عن عقله، فأهبت بصحابى وأحبائى من قراء «الرسالة» أن يمينوه بمحل فيه الصواب والعقل، فتدفق على فيض من رسائلهم وفيها آراء أعرض بعضها هنا، لى الأسلوب والأداء، ولأصحاب الرسائل الرأى

***

كتب الأديب عبدالفتاح اسماعيل القبيبى بفرشوط بعد مقدمة طويلة من التحايا الطيبة المشكورة يقول:

... والحق أنى قرأت قصة «خيانة امرأة» فأحسست بعقلى يختنق، وشعرت بصدرى ينقبض، وشملنى هم ألح على أياماً فما استطعت أن أدفعه وهو يلازمنى، ولا أن أفر منه وهو يلاحقنى، فأذهلنى عن أن أجد ريح الحياة الطيبة أو أحس نعيم الهدوء الجميل، فضاقت على الأرض بما رحبت وضاقت على نفسى. واستشعرت كلماتك تساقط على كبدى شواظاً من نار يسلبنى القرار والعقل، فظللت حيناً مستلب اللب مأخوذ الرأى لا أثبت على فكرة ولا أستقر على خاطرة. فما بال صاحبك وهو قد وجد لذع المصيبة فى قرار قلبه وأحس مس النكبة فى أغوار نفسه، ورأى المرأة التى حباها بالهوى والحب، وخصها بالحنان والعطف، وفضلها على كثير من ذوى قرابته، وعق فى سبيلها أباه وأحفظ أهله ... رآها تثلم شرفه فى عبث وضيع، وتخدش كرامته فى استهتار حقير، فلا عجب إن جاءك ينثر عبرات قلبه بين يديك الرفيقتين وينفض أتراحه أمام روحك المتألقة؛ فهو غريق أعوزه الملجأ فنفر إليك عله يتفيأ ظل عقلك، ومحترق أعجزه المهرب ففزع نحوك يستلهم الهدى من قلبك. فالتمس له عذراً ... أو، لا ... فهو كان يعلم أن صاحبته عاشت فى دار أبيها تنعم بالحرية التى يزينها الشيطان ويزوقها الهوى، ولكنه لم ير بعقله الأعور أنها تخلبه بكلام مفوف جميل هو مما يزخرف الخداع والمكر، وأنها تستميله بصناعة أهل المدينة وتجذبه ببضاعة أهل الحضر؛ وهو فتى بدوى الطبع ريفى الشمائل، خلو من خداع المدنية بعيد عن لؤم الحضارة؛ فخلطها بنفسه على حين قد غاب عنه أنها تتصنع طهارة تستر رجساً، وتموه عليه ببراءة مصنوعة توارى خسة، فارتدع فى نزوة من نزوات الشباب وانحط قلبه فى غمرات الطيش، ليجنى — بعد حين — ثمرات نزقه مأساة جارفة تعصف بآماله وتطوى أمانيه وتهدم سعادته.

ولست أدرى كيف يطمئن الرجل فى دار تضم امرأة دنست عرضه وامتهنت كرامته؟ ولا كيف يرغم نفسه على أن يبذل فى سبيلها درهماً واحداً من مال أصابه بالجد والتعب فيطعمها ويكسوها ...؟ ولا كيف يرضى أن يحميها فى داره من غوائل الحياة وهى رجس من عمل الشيطان، عبثت بحرمته وانتهكت شرفه؟ ولا كيف يطيق أن يراها تضطرب أمام ناظريه وهو يحمل لها فى نفسه بغضاً واحتقاراً؟ فماذا إذن يمسكه عن أن يقذف فى وجهها بالكلمة المحرمة فيلقى بالخائنة الوضيعة إلى الشارع ... إلى الذئب.

أما أحباؤه — أبناؤه — فيسجدون فى المربية عزاء وسلوة .. والمربية الحصيفة تستطيع أن تكون أماً وخادماً.

***

وجاء فى رسالة الأديب نيازى على مرزوق بكلية اللغة العربية ما يأتى:

لا معدى لصاحبك — يا سيدى ... من أن يحل عقدة الزواج

ويلقى الخائنة إلى لجاج الشارع ، فإن حرمان الصغار من عطف الأمومة أيسر من أن يرى الرجل شرفه وهو يلطخ بالدنس ثم يقف حياله عاجزاً ضعيفاً لا يدفع عن نفسه ضيما ولا يرد أذى . والنساء غيرها كثير فليتزوج من أخرى طاهرة المنبت شريفة الأصل نبيلة الأرومة فيجد فيها زوجاً تصون عرضه وتحفظ كرامته ، ويجد الصغار فى كنفها العطف والحنان .

وللأديب محمود محمد عبده بالمنصورة رأى يشبه رأى الأديب نيازى .

وكتب الأديب السيد عوض الجعفرى بقنا يقول :

قد تظن — ياسيدى — أن صعيدياً مثلى يقرأ قصة « خيانة امرأة » فيفقد عقله ويطير صوابه وتتأجج فيه الحيوانية الثائرة التى لا تعرف إلا الدم ... الدم الذى يغسل الشرف الرفيع مما لوثته به امرأة حمقاء ساقطة ، ولكنى أرفق بصاحبك فأهديه إلى سواء السبيل فى غير عنف ولا شدة . والرأى عندى أن يذرها فى الدار تخدم أولادها وهم حبة قلبه ونور عينه؛ ثم يهجرها فلا يميل إليها ؛ ويجانبها فلا يهفو نحوها ، ويحتقرها فلا يرعى حقها ، ويراقبها فى دقة خشية أن تمادى فى الغواية أو تندفع فى الطيش ، ثم يكتم الخبر فى نفسه لا يحدث به أحداً ولا ينشره على أبيه . ولا بد أن يعلم صاحبك أنه إن طلق زوجته تناثر الخبر ولاكته ألسن فى القرية فيها الحفيظة والغيظ ، ونالته شماتة القريب وأصابه تهكم الغريب . وإذا بلغ أبناؤه مبلغ العقل وجدوا من يعيرهم بجاجنته الأم فيحسون مس الذل وعار الخطيئة ، وتعمل فى نفوسهم عوامل متضاربة تقتل فيهم هبة العقل، وتنزع عنهم دوافع السمو ، وتخلع عنهم أسباب الترفع . ويعيش الواحد منهم عمره وفى خياله الجرم الدنىء يلاحقه فيضيق بالحياة ويضيق بالشرف،وقد تسول له نفسه أن ينتقم من مجتمع جاهل أحمق حمله عبء جناية لم تقترفها يده .

وإذا بقيت الأم فى الدار لم يتناثر الحديث ولا تطايرت ريبة ولا شاع شك ، فيحفظ الزوج — إذ ذاك — على نفسه عزتها ؛ ويبقى على الأولاد حنان الأم ، ويجنبهم مرارة اليتم ، ويوقيهم لذع الضياع.

ولست أنصح بأن يتزوج مرة أخرى لأنه إن فعل جمع على نفسه همين وضرب نفسه بالضربتين وقتل عقله الشك فى المرأتين . وإنه ليتراءى لى أن صاحبك لن يطمئن إلى امرأة من بنات حواء بعدما عانى من خيانة الزوجة . فلا معدى له — إذن — من أن يعيش زوجاً كالعزب أو عزباً كالزوج يستعذب الوحدة فى سبيل رضا أولاده، ويستمرىء النأى عن النساء خيفة أن تتناهبه الظنون وتتوزعه الشكوك .

...

وافتتحت الآنسة «مجهولة» بطرابلس — لبنان ، رسالتها بعتاب حاد تقول فيه !

... وأعجب العجب أن تبحث مشكلة المرأة فتستفتى القراء وحدهم دون القارئات على حين أن لمجلة «الرسالة» قارئات من ذوات العقل والرأى. والمرأة فى مشاكل الدار رأى لا يتخلف — أبداً — عن رأى الرجل، وللسيدة فى مسائل الأسرة عقل يسمو — غالباً — على عقل الرجل . ولكن لا عتب عليكم ، فأنتم — أيها الرجال — ما زلتم تنظرون إلى المرأة بعين الاحتقار ظناً منكم أنها تخلفت عن الركب فلا تستأهل أن تجاذبكم الرأى ولا أن تناقشكم الفكرة ، ميراث أورثتموه — منذ زمان — فتدفق فى دمائكم وعز عليكم أن تطرحوه جانباً لتواجهوا الحقيقة التى تتبدى لكل ذى عينين. ولا ريب عندى فى أن المرأة المصرية هى والرجل على سواء واحد فى سعة الأفق وأصالة الرأى وحصافة العقل .

ثم راحت تدافع عن الزوجة الخائنة دفاعاً حاراً عنيداً يتراءى من خلاله التعصب الجارف للجنس ، فقالت : وليست المسألة هى قضية الشرف والكرامة و ... مما نسمع من كلمات رنانة طنانة تستهوى القلب وتستميل الأذن ، ولكنها قضية زوجة صحبت زوجها سبع سنوات ثم تصبح — فى لمحة واحدة — طريدة تتلقفها الشوارع فى غير رحمة، ويتجاذبها الذئاب فى غير هوادة ، وهى قضية صغار زغب الحواصل يفتقدون — على حين فجأة — حنان الأم ونور السعادة فى غير ذنب ولا جريرة .

ولا عجب أن تلقى اللوم كله على الزوجة وحدها حين خانت زوجها ، لأنك رجل . أما أنا فلا أبرىء الزوج مما اقترفت زوجته

الاسلام

في ضوء البحوث النفسية الحديثة

— ٢ —

للدكتور محمد البهي
أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية أصول الدين

وليست وحدة الله فى الأسلام هى وحدها أمارة هنا على رق الاسلام — جريا على مقاييس الرق التى وضعها الباحث النفسى استنباطا من الموازنة بين الطفولة الانسانية والبلوغ الانسانى — بل مطالبة الاسلام كذلك بوحدة الجماعة الانسانية عن طريق محو الفوارق ، أو إضعافها على الأقل ، التى توزع الناس إلى شيع وطوائف ، سواء أكانت هذه الفوارق تتصل بالجنس والقبيلة أو بالعوامل الجغرافية أو الاجتماعية أو الثقافية ... أو غيرها . إذ من لوازم خصائص إدراك الطفل — وكذا الانسان البدائى — على نحو ما أشرنا من ارتباطه بالمحسوس تقيد صاحبه بالمحسوس الذى فى محيطه ، لا يوليه الأفضلية فحسب، بل يهبه مزايا الوجود كله ، إذ الوجود فى واقع الأمر عنـــده هو ذلك المحيط الذى يعيش فيه .

وعلماء الاجتماع — بالقياس على هذا — يصفون شعبا من الشعوب بالبدائية إذا كان متكونا من طوائف أو قبائل تقف كل طائفة أو كل قبيلة عند حد وجودها الخاص لا تتجاوزه إلى ما فوقه من معنى الوطن أو الدولة ، إذ الإدراك عند مثل هـذا الشعب لم يخترق بعـــد تلك الحجب الظاهرة التى جعلت منه طوائف أو قبائل .

٢ — الوجدان :

تتجاوز الآن الجانب الأدراكى للانسان فى مرحلة طفولته الأولى إلى جانبه الوجدانى . نراه فى هذه الناحية أيضا يقف عند حد المحسوس : فانفعالاته التى تتنوع إلى لذة وألم ؛ والتى يعبر عنها مرة بالبشر والتهلل أو الضحك كثيرا وأخرى بقبض أسارير الوجه والحزن أو البكاء كثيرا ، ترجع إلى ما يدركه ممـا حوله إدراكا حسيا فحسب: فهو يفرح بلون الدمية التى يلعب بها لا بقيمتها الذاتية ، ويتودد لزميله فى ليونة وبشر ليلعب بلعبته أو ليفوز بها لا بما يدركه فى الزمالة أو الصداقة من معنى يربط أحد الزميلين بالآخر ويجعل كلا منهما يسر للقاء الآخر أو التحدث إليـه . وهو يحزن — وكثيرا ما يبكى — عند مفارقته لزميله ولـكن ليس لمـا يوجبه معنى الزمالة عنـد الفرقة بل لفقده لعبة الزميل التى كان يلعب بها فى حضرته .

فإن فى كثير من الأزواج حماقات تدفع الزوجات كارهات إلى أن يتدهن فى حمأة الرذيلة .

أما قولك إن المرأة المتعلمة كالثعلب فرأى تعرّى عن الحقيقة ، لأن العلم دريئة تنقذ المرأة — دائماً — من حبائل الرجل، وعزة تسمو بها إلى الترفع والإباء ، وحصن يحميها شر المكيدة الخادعة . وأنت تعلم أن المرأة المتعلمة صعبة المراس شديدة الحفاظ على حين أن المرأة الجاهلة سهلة المكسر لينة الجس .

والرأى عندى أن يصبر الرجل فستجبر الأيام الكسر وترأب الصدع ، وعلى الزوج أن ينصح الزوجة فى هدوء ويعاتبها فى رفق ثم يسدل على الماضى ستاراً كثيفاً من النسيان . ولا ريب عندى فى أن الزوجة ستسعى جهدها إلى مرضاة الرجل وتتوب عن الغى وتستغفر عن الزلة، ثم تبدأ حياة جديدة فيها الاستقامة والاستقرار وفيها الإخلاص والوفاء .

• • •

وكتب الأستاذ عمر عودة الخطيب رأيه فى العدد ٨٦٩ من «الرسالة» وهو ينتهى إلى ما انتهى إليه من قالوا بفراق الزوجين

• •

وقرأ صاحبى ما كتب أصحاب الرسائل ، فنظر إلى نظرات ثم أطرق وقال وكأنه يحدث نفسه ... فماذا قال ؟

كامل محمود حبيب

تستهويه الحلوى ولكن لا يغريه التبشير بالجنة ، ويخيفه العقاب المادى كالضرب أو الحرمان ولكن لا ترهبه الخشية من الله . فرحه وتألمه إذن لما يبدو من الشيء لا من ذات الشيء وجوهره :

(ا) فوجدانه مادى ، لا يثيره إلا ما هو مادى . ولذته وألمه ماديان مرتبطان أشد ارتباط بالشيء المادى ؛ بما يرى فيه ، أو يتذوق منه ، أو يلعب به ... الحصول عليه يسبب لذته والحرمان منه يسبب الألم عنده .

حياته هي فى الأكل والشرب والاستمتاع بالمتع الحسية . لا يعرف من الحياة إلا لونا واحدا هو هذا اللون . أما انقسام الحياة إلى دنيا وعليا ؛ إلى رخيصة وسامية ؛ إلى حياة الماديات وحياة المثل والمعنويات فلم يدركه بعد . لم يصل بعد إلى لذة معنوية وشقاء معنوى .

(ب) كذلك يغلب على وجدانه طابع التطرف وعدم الاعتدال : فكثرة حركة الطفل ونشاطه فى هذه الحركة عند الفرح ، وكثرة بكائه أو شدة صياحه عند الشيء المخيف المرعب تعبر عن هذا التطرف فى درجة الوجدان فى هذه المرحلة .

والانسان البدائى كذلك يثيره من الشيء مظهره المادى : يندفع نحو كبير الحجم أو بارق اللون فى بشر وسرور ، ويبكى - إن لم يول هربا - مما لم يعهده من قبل .

لا يعرف الجزاء بنوعيه إلا المادى منه . ولهذا يسير المستعمرون بالجهات المتأخرة فى الحضارة فى معاملة أهل مستعمراتهم من البدائيين طبق هذه الحقيقة النفسية : فإذا أنعموا على إنسان منهم أنعموا عليه بزاهى اللون أو عظيم الحجم مما يلبس أو يؤكل . ونرى لذلك أن أكثر هداياهم إلى الزعماء هناك عبارة عن تيجان من الزجاج اللون يجمع بين كبر الحجم وبريق اللون . كما أن عقابهم ينحصر فيما يؤلم ألما ماديا كالضرب أو الحرمان من الأكل مثلا . أما قائمة الشرف وكذا القائمة السوداء مثلا فلا تعرفان كضربين للجزاء عند البدائيين .

وعبادة هؤلاء - والعبادة مظهر من مظاهر الوجدان -[1] تتمثل فى تقديم القرابين المادية لمعبوداتهم مما يؤكل أو يشرب فى بيئتهم عادة . بل أساس تخيرهم للمعبود نفسه مادى أيضا ، هو إما نفع مادى أو ضر مادى . وفند - العالم المانى - فى كتابه علم النفس للشعوب يذكر أن الصدفة وحدها هي السبيل الأول لتعين الآلهة فى الديانات الوثنية . على معنى أن حادثا ما يقع صدفة للفرد أو الجماعة من الناس فى مكان معين أو عند شيء معين فيصبح هذا الحادث السبب فى عبادة الفرد أو الجماعة لذلك المكان المعين أو لهذا الشيء المعين، إما ترقبا لمنفعة منه أو طلبا لدفع مشقة تصدر عنه ، على حسب نوع الحادث الذى وقع :

فالصحراء كانت تعبد عند قدماء المصريين رجاء أن تدفع عنهم غضبها ، وهو تلك الأتربة التى كانت تثيرها العواصف فتغطى الزرع أو تتلف الضرع . و « النيل » كان يقدس منهم كذلك حتى لا يتخلف عنهم خيره من ماء وطمى . والصدفة وحدها هى التى جعلت من قدماء المصريين عبادا للصحراء والنيل ، وهى أنهم استوطنوا هذه الرقعة من العالم فارتبطوا فى حياتهم المادية بهما . بدليل أن غيرهم من الشعوب القديمة ممن سكنوا بقاعا أخرى - فى آسيا مثلا - لم يعرفوا عبادة النيل والصحراء ، ذلك لأن حياتهم المادية لم ترتبط بهما يوما من الأيام

وعلى نحو ما رأينا من عدم الاعتدال فى وجدان الطفل يسيطر على وجدان البدائى طابع الغلو والتطرف كذلك : هو كثير القهقهة إن سر بشيء ما ، كثير النواح والصياح إن تألم من شيء ما . إن أقبل ففى غير احتياط ، وإن ولى ففى غير احتياط أيضا . كثير الشكوى قليل الصبر على ما يؤلمه ، كثير الزهو قليل الاتزان فى نشوة فرحه .

لكن الاسلام لم ير الحياة ذات لون مادى فقط ؛ بل جعل أسمى نوع من المتعة واللذة فى رضا الله ، وأقسى نوع من العقاب فى غضبه .

---

(١) « الله أنزل الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ... » سورة الزمر آية ٢٣ .

الأسلام عاب الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة ، ولم ير البر فى أن تتجه الوجوه قبل المشرق والمغرب ولكن فيما وراء ذلك من الأيمان بالله واليوم الآخر … إلى آخر ما جاء فى الآية الكريمة : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاه …

ورسول الله محمد بن عبد الله عليه السلام كان إذا ضحك ابتسم ولا يقهقه ، وإذا بكى — كما حصل عند دفنه لولده ابراهيم — دمعت عيناه فقط.

يطلب القرآن الكريم من المؤمنين عدم الجزع والهلع عند المصيبة بقوله : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين [1] » وفى قوله جل شأنه . « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون [2] » فجمل علامة الإيمان بالله — وهو دليل النضج الانسانى والبلوغ العقلى كما سنرى — الاعتدال فى الوجدان وعدم التطرف فيه إن فى حالة الألم أو فى حالة اللذة .

٣ — الصلة بالعالم الخارجى :

وإذا انتقلنا من دائرة الوجدان بعد الادراك فى حياة الانسان فى مرحلة طفولته الأولى إلى صلة هذا الانسان بالعالم وجدنا أنه يغلب عليه فى هذه الصلة طابع الذاتية والأنانية

ة « أنا » ، هذه الذات ، هى الدافع لكفاحه فى هذا العالم وهى هدف هذا الكفاح فيه . يركز كفاحه فى الحصول على ما فى محيطه لنفسه فحسب ، ويحاول بأسلوب وبآخر أن يمنع الاشتراك فيما يحصل عليه ولو كان مع من هو مصدر الأعطاء من أب أو أم مثلا .

ولأنه لا يستطيع أن يدرك غير هذا العالم المحس فأهدافه التى يحاول أن يبلغها فيه لا تتجاوز ما يحس منه كذلك . لا يسعى إلى تحصيل المثل الرفيعة ؛ لا يسعى إلى تحصيل الفضيلة والقيم الاخلاقية . لا يسعى إلى التضحية فى سبيل الغير لأنه لم يعترف بالغير بعد . لا يسعى إلى أداء الواجب نحو الجماعة لأنه لم يدرك معنى الجماعة الآن . لا يعرف معنى الزهد ، فضلا عن أن يسعى لتحقيقه . قد يعاف الشىء ولكن لا يزهد فيه .

وما أشبه الانسان البدائى بالطفل فى هذه المرحلة الأولى من مراحل تطوره . لا يعرف البدائى أيضا حدودا لمطالب نفسه ، ولا دافعا فى الحياة غير ذاته . ذاته كل شىء ، وكل شىء فى الوجود هو لذاته . إن عبد فلما يعود على ذاته الخاصة من نفع أو اتقاء لما يقع عليها من ضرر . وإن حارب فللغنيمة ، وإن هرب من الحرب فلا نقاذ حياته . وإن صادق أو عادى فلمنفعة فى المصادقة أو المعاداة .

لا يعرف معنى الوطن فيفديه بالنزول عن بعض ما يملك أو بأجهاد نفسه فى سبيله . وما دام لم يعرف الوطن أو الجماعة فتركيز كفاحه لتحقيق مطالبه الخاصة لا ينشأ عن أختيار منه ، حتى كأنه آثر نفسه على وطنه أو جماعته عندما نراه يكافح لذاته فقط ؛ بل ذلك عن غير إرادة منه بدافع اضطرارى من ذاته . إذ الاختيار إنما يكون عند الموازنة ، والموازنة لا تكون إلا بعد إدراك لشئين فأكثر . كأن يدرك أن له ذاتا ، وأن هناك غيرها فى العالم من الجماعة أو الوطن ، وان هناك علاقة بين ذاته وبين هذا الغير تقوم على أداء واجبات نحو هذا الغير وأخذ حقوق من هذا الغير . ولكنه لم يدرك بعد أنه « منفصل » فى هذا العالم وفى بيئته ، إذ لم يزل يرى أن كل ما فى الكون هو ، وأن الكون لا يتعدى ذاته .

وعلى هذه الحقيقة النفسية عند البدائيين تقوم سياسة الغربيين المستعمرين فى عصرنا الحاضر . يلبون المطالب الشخصية للافراد ، ويقسمون الرقعة الضيقة الواحدة إلى سلطنات أو إمارات وولايات ، ويساعدون رؤساء الأمارات أو السلاطين على تحقيق رغباتهم التى لا تنتهى ولو كانت عبئاً على الصالح العام ، وينمون فى ذواتهم وأشخاصهم معنى الزهو والخيلاء بما يضعونه تحت تصرفهم من

(١) سورة البقرة آية ١٥٣ (٢) سورة البقرة:

مفاتن هذه الحياة . حتى لـكأنهم لايسمعون من الواحد منهم إلا ترديده : أنا ! أنا ! فى كبرياء أجوف ـ تجاه الوطنيين فقط ـ .

وعن هذا الطريق السهل الذى لا يكلفهم شيئا يأخذون ما ينفق فيه المستعمر عرقه أو ما تزهق فى سبيله نفسه من غلات الحاصلات الزراعيـة والمعادن المستخرجة من أرض الوطنيين المستعمرين.

لـكن الإسلام نادى بمصلحة الجماعة وجعلها فى الصف الأول إذا تعارضت مع مصلحـة الفرد . فرض على الفرد واجبات نحو نفسه ونحو جماعته ، وجعل مبدأ : « أن لا ضرر ولا ضرار » شعاراً لتعرف هذه الواجبات . بل أكثر من ندائه بالحرص على الجماعة ورعايتها رغب المؤمنين فى أن يضحوا بما لهم من نفس ومال وولد فى « سبيل الله » . وليس سبيل الله إلا إعزاز الجماعة . إذ القربى إلى الله هى المشاركة فى إسـعاد الغير عن طريق تخفيف آلامه واطمئنان نفسه : فالنصيحة للغير قربى، وبذل المال له قربى ، ودفع الضرر عنه قربى ، وستر عرضه قربى ، والقول المعروف قربى ، والتسرية عن نفسه قربى .. وهكذا . وكلما تعاون الفرد مع الفرد ورأى أن من وجوده وكيانه وجود الآخر واستقراره تقوت الجماعة، إذ أنها حينئذ تكون كالبنيان الذى يشد بعضه بعضاً .

الإسلام نصح بالزهد فى هذه الحياة . وليس الزهد إلا وضع حد بين مطالب الذات ومطالب الغير . ليس إلا وضع نهاية لرغبات الذات . ولذلك كان كفاحاً لتلك الرغبات . هو كفاح رجعى يتجه نحو الذات نفسها بعد أن طغت مطامعها وزاد جشعها فى عهـد الطفولة الإنسانية ، وقد يمتد أجلها سنوات فى حياة الإنسان .

وإن شئنا قلنا إن الزهد هو تحويل الكفاح فى الإنسان من الدائرة الانفرادية أو الأنانية الأولى إلى الدائرة الجماعيـة . ليس الزهد عبارة عن موقف سلبى فى الحياة وتعطيلاً لقوة الـكفاح والسعى فى الإنسان ، فقد كان محمد بن عبد الله زاهداً وكان مع ذلك فى مقدمة المكافحين .

٤ — السلوك :

وإذا تركنا هذه الظاهرة النفسية التى ذكرناها الآن كإحدى ظواهر الطفولة الأولى للانسان إلى الحديث عن سلوكه فى هذه المرحلة وجدنا طابع الوقتية من جهة والتقليد من جهة أخرى يسيطران على هذا السلوك :

(ا) ينتقل الطفل فى هذه المرحلة بسرعة من حال إلى آخر . لا يلبث تمسكه بالشىء طويلا ولا يبقى إعجابه فترة زمنية واضحة ، كما لا يستمر تألمه من الحرمان وبكاؤه على فقد الشىء طويلا كذلك . يقبل البدل والعوض فى يسر وفى سرعة لـكن بشرط أن يكون هذا العوض أكثر إغراء له بكبر حجمه أو بكثرة لمعانه أو بشدة تفاوته فى اختلاط الألوان الزاهية ، وإن كان ضعيف القيمة أو قليل الجودة .

لذا ينعدم الايمان بشىء هنا فى هذه المرحلة . وبالتالى لا يوجد كفاح من أجل العقيدة أو المبدأ . إذ مأخوذ فى طبيعة الايمان أنه ليس التصديق فحسب ، بل الاستمرار فيما يصدق به الانسان . وتختلف درجات المؤمنين لذلك حسب تفاوتهم فى هذا الاستمرار لا حسب التصديق والاقرار .

الثبات على الشىء أو على المبدأ ميزة الرشيد من الانسان . والتحول عن الشىء ميزة الطفل فى طفولته الأولى أو ذلك الانسان البدائى ، وهو ذلك الذى لم تكتمل إنسانيته بعد . . .

سبب ذلك أن العالم مشحون بالمحسات أو الماديات والطفل مرتبط بما هو مادى محس أيما ارتباط لا يستطيع الانفكاك عنه إلى الآن . فهذه المادية اللانهائية للعالم لا تخلو من مغريات كثيرة تشغله فى صحوته ويقظته ، وهو منجذب نحو آحادها لا يلبث عند واحد منها إلا بمقدار ما يجذبه الآخر .

أما الرشيد فقد استطاع أن يقف على قدميه فى هذا العالم يتخير منه ما يريد . إن أقبل على شىء ما أو أدبر عن شىء ما فمن إدراك فتصميم . لاختياره سبب وعلة . فهو يقف عند ما اختار ، مادام سبب الاختيار قائما فى نفسه . وقلما يتغير السبب إذا كان عن تفتيش وروية — شأن من بلغ بلوغاً عقليا — .

(ب) كذلك يخضع الطفل فى سلوكه لعامل التقليد : يخالف اتجاهه السابق فى السير تقليدا لمن هو أكبر منه . لا يستطيع الاجابة عن سر تحوله سوى أن فلانا — الأب أو خلافه — هكذا صنع :

والبدائى لا يختلف عنه فى سلوكه : يتميز بكثرة التحول والتنقل ، ثم باتباع التقليد فيه . لا يطول عجبه ولا تطول صداقته وزمالته . لا يستمر حزنه وبكاؤه ، يضحك ومازالت الدموع فى مقلته أو على خده . صديقه بالأمس عدوه اليوم .

يأتى من التصرفات ما يناقض بعضه بعضا . ولو فتشنا فى سبب تناقضه وجدناه التقليد فيما أتى به .

وما عللنا به سلوك الطفل هناك هو ما نعلل به سلوك البدائى هنا . كلاهما فى هذا العالم كن وقف فى مهب الريح ، يدفع فى سيره دون أن يستطيع اختيار اتجاه معين . إن بدأ فى السير لا يعرف متى يقف ؟ وأين يكون

والاسلام إن قام على دعائم فالايمان أولها فى نظره . لا لأنه أساس يتفرع عليه غيره من مبادىء أخرى ؛ بل لأنه فى الواقع الفيصل فى الحياة الانسانية . هو أمارة على انتقال الانسان من مرحلة أدنى إلى أخرى أرقى منها فى تطوره .

لم يثن الاسلام على المؤمنين به وحده لايمانهم ؛ بل احترم كذلك أهل الكتاب ممن لم يحرفوا الكلم عن مواضعه . أما غير أهل الكتاب من الوثنيين ، أما أهل الكتاب الذين بدلوا دين الله فهم أمامه سواء فى عدم انتقالهم من حال الطفولة الانسانية إلى حال الاكتمال والرشد الانسانى . لا يحق لهم إذن عهد ولا ذمة .

الاسلام إن شاد بالايمان فاشادته بذلك الايمان الذى جاء نتيجة الروية واستقلال الفكر ووليد النظرة الحرة ، لا ذلك الذى أساسه التقليد . « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » (١) . يريد من الايمان ذلك الذى هو عنوان الرشد الانسانى .

أما الاقرار نتيجة التقليد فهو بالأحرى أمارة الطفولة ، لا يلبث صاحبه أن ينتقل مما أقر به أولا إلى الاقرار بشىء آخر تدفعه إليه مغريات العالم ومفاتنه الظاهرة .. « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » (١) . أولئك هم البدائيون فى الانسانية ، هم أطفال ولو بلغوا الحلم .

٥ — الحكم والتقدير

ومما يتصل بهذا الجانب النفسى الذى عالجناه الآن — وهو السلوك الانسانى فى مرحلة الطفولة الأولى — جانب آخر له أهميته وهو طابع الحكم وأساس وزن قيم الأشياء عند الانسان فى هذه المرحلة أو من هو شبيه له .

(ا) يغلب على حكمه طابع التذبذب والتردد ، لأنه فى حكمه على الشىء يتبع ما يدركه من ظاهره وظاهر الشىء دائما متغير فى نظره : فبينما يقدر الشىء للونه إذا به ينفر منه لمذاقه . وبينما يقبل على والده أو أمه بالتقبيل — إن أخذ من أحدهما قطعة من الحلوى مثلا — إذا به يثب بالضرب على من يناديه منهما للنوم أو يدعوه للهدوء والسكينة .

هو لم يختبر بعد ما نال اعجابه أولا ثم نفر عنه ثانيا ليقف على شىء ثابت فيه ، وهو ماله من حقيقة وكنه حتى يكون الحكم عليه مرتبطا بماله من هذه الحقيقة . ولم يعرف بعد أيضا فى أبيه معنى الأبوة وفى أمه معنى الأمومة حتى يربط تقديره لأحدهما بذلك المعنى الباقى فيه .

(ب) ولم يستوف فى وزنه للشىء عناصر التقويم فيه ، إذ الجزء للشىء يعبر عن نفس الشىء فى تصوره وإدراكه — كما ذكرنا ذلك أولا — .

فتقويمه إذن للشىء تقويم لجزئه ، وبجزء تأثر به هو ، وقد لا يكون من مقومات ذات الشىء : فكراهيته لانسان لأنه أدرك فيه مغايرة البشرة لما ألف رؤيته من الناس ، وحبه لانسان لأنه أعطاه ما يهواه لا يتصل ذلك بتقويم الانسان بما هو به إنسان .

هنا تتقدم الثقة العامة بأحكامه وتقديراته ، لأن أساسها متغير وسريع فى تغيره كذلك .

---

١) سورة الحجرات آيه ١٥ .

١) سورة البقرة آيه ١٧٠

الشاعر العاصي...

للأستاذ محمد محمود زيتون

ولد أحمد العاصي — رحمه الله وغفر له — بفارسكور في صيف سنة ١٩٠٣ وكان أبوه من كبار التجار فيها، وماتت أمه، ولم يتجاوز السادسة من عمره. ولقد بدت على الغلام بشائر النبوغ، فمني به أبوه، حتى ألحقه بكلية الطب، وما زال يحصل دروسه حتى انتابته حالة عصبية، وهو في السنة الثالثة، فقضى بلبنان ثلاثة أشهر عاد بعدها خفيفاً من بعض ماجثم على نفسه.

ولمابدأ العام الدراسي عدل عن الاستمرار بكلية الطب، والتحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب، وقرأ «تأملات ديكارت» على الفيلسوف الفرنسي لالاند، وراقته الدراسات الفلسفية

لهذا جد العاصي في أن يعوض ممايبه بالانطواء على نفسه،

مل حتى الحديث بل صار يحيا   في حياة كأنه في مغيب

ولاسيما خلود الروح والتفاؤل والتشاؤم، والموت والحياة، وفي أيام الدراسة وضع رواية «غادة لبنان» ثم نشر «ديوان العاصي» سنة ١٩٢٦، ولما حصل على الليسانس سنة ١٩٢٩ عين موظفاً بالجامعة المصرية (جامعة فؤاد الأول)

كان العاصي مثال الشخصية المتناقضة، فإذا ضحك أضحك حتى لتكاد الجادات يضحكن معه، وإذا حزن ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، واسودت من حوله الحياة، فغلبت عليه نزعة النفور، وتمكن من نفسه الشعور بالنقص، ولا سيما أنه كان قميئاً خفيض الصوت لا يكاد يبين. يقول عن نفسه:

ابن عشرين عذبته الليالي   وأطاحت بعزمه المشبوب

لم يذق لذة الحياة ولكن   ذاق أنواع قاصمات الخطوب

ساهم ساكن مُعنى مروع   في شباب مقنع بمشيب

إن تحدثه قد يجيب بصمت   أو بهمس أو شارة أو دبيب

وتقديرات الانسان البدائي، وإعطاؤه القيم للأشياء لايتفاوت في الطابع والأساس عما يعرف للطفل في مرحلة طفولته الأولى من التغير وعدم الثبات:

يجري في التقدير وراء ما يتصل بأنانيته أو ما يدركه من ظواهر الأشياء دون ما يتصل بذات الشيء وجوهره. يبدو ذلك في تصرفاته المتقلبة ـ كما رأينا ـ .

لا يعرف مقياسا عاما في وزنه وتقديره لأنه لم يهتد بعد إلى الحقائق. وقلما يصل إلى حكم استوعب فيه عناصر الحكم الصحيح عند الرشيد.

لكن الاسلام طلب أن يكون التفتيش والاختيار والروية أساس الحكم: يقول تعالى مخاطبا المؤمنين: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» (١). ويقول مخاطبا رسوله الكريم: «وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون (١)». فلم يرض أن يكون الظاهر المدرك لأول وهلة أساس الحكم ثم العمل والتصرف.

٥ ٥ ٥

وهكذا في كل جانب من جوانب الطفولة الانسانية — في الطفل في مرحلته الأولى أو في الانسان البدائي — لو وقفنا على مظاهره وعرفنا بطريق المقابلة بظاهر الرشد والنضج العقلي وجدنا الاسلام يمثل منتهى الرقي حسب معايير الانسان. ومع ذلك ليس من صنع انسان كامل، لأن هذا الإنسان الكامل لم يكن حقيقة واقعة ولم يزل بعد فكرة، وسيظل فكرة ومثالا فقط. الاسلام وحي من الله الذي هو فوق التجديد الإنساني، إذ هو سر الوجود وسيبقى سر الوجود مادامت السموات والأرض، وما دام الإنسان يعيش ويبحث (٢).

محمد البهي

١) سورة الحجرات آية ٦.

(١) في سورة المنافقين آية ٤

(٢) من محاضرة ألقت في معهد التربية العالي بالاسكندرية في مساء ٢٢ فبراير الماضي ١٩٥٠.

ومداومة الاطلاع. وزادت ظروفه العائلية من حدة نفوره من أبيه الذى تزوج من غير أمه بعد موتها ، وهجر أخويه واعتزلها وأقام بالقاهرة .

وكان لشيشرون أثر قوى فى تسمير جذوة نفسه : قرأ كتاب « كتاب روما Writes of Rome » وأخذ يقرأ فى صمت عن الموت حتى لقد كان يضع خطاً بالقلم الأحمر تحت كل كلمة « الموت » فى الكتاب .

وبعد أن غمرته هذه الدراسة السوداء كتب خطاباً على الصفحة الأولى من الكتاب قال فيه « إلى من يهمهم أمرى : جبان من يخشى الموت، ومن لا يرحب بهذا الملك الكريم الذى هو لى كالرائحة الزكية ... أحمد العاصى »

وتملكته فكرة الانتحار ، فلم يجد عنها مصرفاً ، حتى إنه كان يفكر ويمعن لا فى العدول عن الانتحار ولكن فى اختيار أيسر السبل إليه ، وأخفها وطأة عليه . وقف على كوبرى محمد على ذات مساء ونظر إلى الأمواج ، واستحب أن يلتف بها، ويحتضن الموت، ولم يكد يهم بذلك حتى راجعته سيدة إفرنجية كانت تتمشى ساعتئذ خلفه ، فعدل ولكنه آثر الموت عاجلا أو آجلا ، فأوى إلى فراشه وبخع نفسه بمادة كاوية ظلت تحرق حجرة نومه من الساعة التاسعة صباحاً حتى الخامسة من اليوم التالى حيث اندلعت ألسنة الدخان من خلال النوافذ ، ولم يكد المارة يقتحمون المنزل حتى رأوا هيكلا بشرياً صار هشيما .

وهكذا آثر الموت الزؤام على الحياة الباسمة، ولقى ربه سنة ١٩٣٠ . أما شعره فكان مرآة هذه النفس الجامحة الجامحة ، وهو يمهد لديوان شعره بهذه العبارة الصريحة : « ألمت بى محنة من محن الدهر ألزمتنى العزلة حيناً فشعرت بحاجة حادة لأن أشغل نفسى بقول الشعر فيما شغلنى من شئون الحياة من قبل ... » وصدر له ديوانه أمير الشعراء أحمد شوقى بك بأبيات منها :

هـذا شباب السحر يلمح ماؤه | من جدول (العاصى) ومن ديوانه

ويقول منها :

ويكاد يلمسك السرور يراعه | وترى يد الأحزان حول بيانه
يشكو الزمان لنا، وبالك يافعا | نامت بجيمته همـوم زمانه

ولتعلمن إذا السنون تتابعت | أن التشكى كان قبـل أوانه

وهذا الشاكى الذى فارق الحياة غير آسف عليها ، ولم يبلغ السابعة والعشرين ، عاش نهباً للألم الدفين ، واليأس اللافح ، وكانت أضالعه مرجلا للصراع العاطفى المنيف ، وأبواب ديوانه صورة من ذلك كله ، فثمت باب الأدب، ويشمل ما قال من شعره فى عهد الاطمئنان — كما يدعى — وماهو باطمئنان وباب النقمة ، ويشتمل على ما قاله فى عهد المحنة والتبرم بالحياة ؛ ثم باب الغزل والفخر وفيه شعر المدح وتشريح الهم ؛ ثم باب للمتفرقات من الشعر الذى قاله فى أوقات متباينة، وختم ديوانه بمأساة هو بطلها وسماها « قصة الموت »

قرأ صاحبنا للفلاسفة القدامى منهم والمحدثين ، فأوغل فى الأعماق متدبراً متفكراً عله يثوب إلى نفسه التى افتقدها، ولكنه راح يتعجل « سر الحياة » فارتد عن حجابه الكثيف ، لايدرى غير شىء واحد هو أننا :

نحن نسعى فى فلاة ، لا نرى | غايها والكل يغرى بالسراب

وأن الناس نوام فإذا ماتوا انتبهوا ، وعلى الناس أن يعودوا من حيث جاءوا ، هكذا يدعوهم العاصى :

يا بنى الأرض إن منها نشأتم | فارجعوا حيث كنتمو فى أمان

ويمضى الشاعر يفلسف الحياة وخداعها ، وعيش الناس فيها ، والمنى التى من دونهن المصاعب ، وحقيقة الإنسان، وما أوتى من عقل يتباهى به الناس ، وإن لم يكن فيه شفاء من جهالة، ثم يتهكم بهؤلاء الذين يتحدثون عن الآخرة :

يا صاحبى لقد تحدث بعضهم | عن عيشة أخرى وعن أخبارها
لله درهمو ، فهـل قد جاءهم | يا صاحبى البعض من زوارها

وينقلب بعد ذلك على الإنسان شيخ الجاحدين :

خير هذى الأرض يسعى نحوه | وهو ما زال زعيم الناقين

ويعاود التفكير فى سر الحياة الذى لن يدركه الإنسان إلا أن يترك هذا العالم المسترذل :

نحن سر فى الدهر، والدهر سر | هو عنا مسـتتر محجوب
نحن فى العيش كلنا كُكرات | قذفتها — كما تشاء — الخطوب

لهذا صار عبداً للذات ، وعجرابها سيضحى ويمسى ، فلئن سألته كيف استعبدته اللذة أجاب :

ضقت بالهم فانتقمت لنفسى بالملذات من هموى وبؤسى

وهكذا قهره الدهر ، فانتهب اللذة ، وانتقم لنفسه مما ترزح تحته من أرزاء ، فوجد فى النسيان ما يباعد بينه وبين مواقع الصراع .

غير أنه ينصح بالزهد فيها ، وكسر شرة النفس ، ويقول :

حسبكم ما سد جوعاً أو صدى أو فيكم عاجز عن ذا وذاه

كل أطماع الفتى من عيشه ضلة أوقعه فيها هواه

وهو إذ يبذل هذه النصيحة يزجى بين يديها خبرته بالحياة :

لقد فعل الخير فصار بخساً ، وطلب العلم فهان فى نظر الناس

ويتأثر العاصى بأفلاطون فى نظرية المثل حيث كانت النفس خيرة فهبطت إثر الخطيئة إلى عالم الرجس والفساد بعد أن « كانت الدنيا صفاء خالصاً »

وتمضى هذه العاصفة التى زعزعت من خواطر العاصى ، وتفلتت أصداؤها فى قرارة حسه حتى إذا هدأت قليلا، اطمأنت نفسه بالإيمان فقال :

آية الله بدت فى خلقه فى جمال نحن فى الدنيا عبيده

وفى قصيدة أخرى عن الإيمان أيضاً يدعو إلى التذرع بالقوة ، ويعيب على القائلين بأن الزمان رمى فلاناً « فاذا للزمان وللنزال » وجدير بهم أن يعترفوا بضعفهم وعجزهم من ملاقاة الهموم المتوالية . ولكن يخفف همنا هذا التوالى » وخير من لوم الدهر أنا نضرع إلى الله .

ما شاء الله ! هذه لمحات الإيمان تنبثق من لحظة إلى أخرى على الشاعر المسكين ، ولو أنها وجدت إلى جواره الصديق الطبيب لعاد حسه المرهف على الأدب والحكمة بأسمى المثل ، ولشفى أنفس الناس ونفسه مما يجد ويجدون

وفى قصيدة « الإقدام » التى يمتحها من أعماق اللاشعور ، يحث غيره على الجد والمعالى بينما يزجى نفسه إلى الموت فى عجل ، وكأنى به يتخيل نفسه حين يقول :

« والمرء فوق فراش الموت منطرح »

ثم يقول راضياً عن الأيام ، منتظراً الرحيل فى الأبدية :

دعنى أقضى بها عهدى وأرحل من دهر لدهر ، وإن العمر أجيال

ويقول مرة أخرى فى سر الحياة :

وإذا الموت أتى فاستقبلوا ركبه ، وليهن فيكم من يراه

وهو يستوحش الناس ، ويدعو إلى اعتزالهم لما يتباينون فيه من الأحكام على الأشياء والأفعال ، ويقول :

رب أمر خلته حمقاً وقد خاله الناس حكيماً ومصيباً

رب فعل أنت تأتيه لكي تطرب الغير فتلقاه غضوبا

رب رأى كان عذباً ناضجاً عد من يأتيه خداعاً كذوبا

فاتخل الناس يحيون كما قد أرادوا ولتعش فيهم غريبا

ليست العزلة عنهم وحشة أنت بالعزلة قد تحيا طروبا

إن من أكثر من أصحابه لا يرى يوماً من الدنيا رطيبا

إن سوءاً من أخ أو صاحب منهض ما بين الإثنين الحروبا

كأن العاصى يستشعر فى نفسه بغضا متبادلا بينه وبين الناس وإن كان لا وجود له فى عالم الواقع . فليس اختلاف الناس فيما بينهم فى أحكام القيم إلا دليلا على حيويتهم ، وبغير ذلك لا يتميز خير من شر ، ولا حق من باطل ، ولا جميل من قبيح

والذكاء أو العقل فى نظرة علماء النفس إنما هو « التكيف بالبيئة » وإذن تكون العزلة نتيجة لاضطراب النفس ، وارتباك العقل ، وعلامة على تخلف الفرد عن ركب الجماعة .

حياة كلها يأس وشقاء ، وبؤس وهموم ، وأنفاسه موزعة بين حسرة وزفرة ونقمة :

فإن تكن الليالى مثل هذا
فإن الأمن عندى فى اعتزالى

وصاحبنا — مع ذلك معذور ، والمجتمع الذى حوله مسئول عما انتابه ، ومأخوذ بجريرته التى ارتكبها ، فلو أنه لقى فى صحراء العيش واحة للصداقة تروح عن نفسه ، لفض همومه ، وسلك مع السالكين إلى المجد الذى طالما داعب طموحه ، وهو

الفيلسوف المفكر ، والشاعر المرهف ، ولكنه يقول :

ضاعت سعادة نفسى ، وانبرى أملى

ونال مابى من - جسمى فأضنانى

إنى ظمئت إلى خل يؤنسنى

فلم أجد مؤنسا مابين خلانى

فعدت للهم عل الهم يؤنسنى

إن كان فى الهم أنس الواله العانى

فلم يستجب له أحد ، وذهبت صرخاته مشلولة الأصداء :

قولوا لسارية الآلام فى كبدى

هل تقصرين ، فإن الهم أبلانى

واحنوا على إذا ما الهم أرقنى

وباركونى إذا ما الصبر وافانى

ولا تـكونوا على نفسى إذا جزعت

فإننى مرجع نفسى لإيمانى

لهذا كله حلت له العزلة بدار « لا يزور ولا يزار »

أهيم بوحدتى ، وبقرب نفسى ... فود الناس حل به البوار

وحسبى أننى غرد طروب ... بأفكارى ، وما فى ذاك عار

فلا عجب إذا نقم على الحياة ، وعلى الناس ، وعلى نفسه إذ يقول :

يوقد النقمة فى قلب الكريم ... سوء ما يلقى من الدهر الاثيم

وإذا ما تحطمت النفس اعتل الجسم ، فلا راحة ، ولا انسجام ، واختل التوازن بين القوى فى كيان الفرد .

يجمع الآلام جسمى ياله ... من صبور وحمول وكظيم

بل ويرى هوة فاصلة بينه وبين الناس ، ينكرهم وينكرونه لما يحس فى نفسه من نقص :

اخالنى وأخال الناس ترمقنى ... عجيب خلق يحير الناس مرآه

ولو رأنى مأخوذا ومستلبا ... خلتنى موكلا بالغيب أرعاه

ويقينى أن شاعرنا غير صادق إذ يقول :

لكننى وخطوب الدهر تعصف بى ... ثبت على كل ما فى الدهر ألقاه

ألقى الهموم وتلقانى وأتركها ... يوما وتتركنى : كل لمثواه

هذه مغالطة نفسانية ، وتعويض داخلى ، ليت له قوة التأثير فى نفس شاعرنا ، ولكنه بات صريعا من طول ما أوهت عزائمه الهموم التى قعدت بهمته ، فأخلد إلى الأرض . قال :

شعرت بالهم حتى لا أحس به ... وقد تفيد فتى فى الهم سكرته

أنى الزمان بدائى ثم أعجزه ... دواء دائى ، وضاقت عنه همته

يا قوم ليس تفيد المرء همته ... إن أقعدته بهـذا الدهر لوعته

وكما ضاق صاحبنا بالخل الوفى ، ضاق أيضـا بالعيش الهنى ، وهو أظمأ ما يكون إليه ، ولـكن أين هو : —

ولعيش هـانىء بى ظمأ ... بالغ ما بعده للنفس رى

يا بنى الدنيـا ويا عشاقها ... ويكمو أين هو العيش الهنى

ثم يعود إلى لوعته تساوره ويساورها ، ويحاول أن يزحزحها عن كاهله فيكل عنها ، فيغالط نفسه مرة أخرى ، ويدعى الثبات أمام ويلات الزمان .

لا ينثنى عنـه الزمان ولا ينى ... عن نيله ، وهو الـكمى الأصيد

ويتحدث بعد هذا الصراع ، وهو يجرر أذيال الهزيمة :

وما أنا إلا بعض هم تجسمت ... معانيه حتى أصبحت جسدا يجرى

يقولون أين العزم قلت مضت به ... هموم عدت يوما على العزم والصبر

كأن صروف الدهر بينى وبينها ... وما أحد يدرى قديم من الوتر

فتى فى إهابى ضاق صحن فؤاده ... بجيش من الآلام فى ضحوة العمر

ويأبى الأسى المضنى فراق صريعه ... إلى أن يراهم أو دعوه ثرى القبر

ذلك بأن الموت طبيبه الذى سيشفيه من داء العيش :

أنا فى الدهر حائر كيف ألقى ... أى أنس بحابه فأطيب

كيف أهنا بالعيش ، والعيش عندى ... مرض ، والممات عندى الطبيب

ولطالما بحث عن همه ليعالجه ، فما يرى إلا سحائب من دخان الهم يضيق بها صدره . ومما يزيد فى ضيقه أن الناس إذ يريدون أن يخففوا عنه زفرة أو محنة أو لاعة أو نقمة إنما يلفظون بكلمة « أنت واهم » فما تفتح مغلقا ، ولا تأسو جرحا .

إنى لأبحث عن همى فأخطئه ... لـكن أشم فؤادى وهو يحترق

كأن صدرى وما ضمت أضالعه ... حصن إليه جيوش الهم تستبق

قالوا وهمت ، ونال الوهم بغيته ... منى فهل وهموا فى القول أم صدقوا

وفى قصيدة أخرى يقول :

قالوا : اصطبر ، قلت إن الصبر قد نفذا ... فما يفيد أخو هم اذا اتأدا

قالوا اعتزم، قلت ضاع العزم وانفردت   بى البوائق حتى أوهت الجلدا
ما حيلة المرء إن مال الزمان به   إلا رضى بأمر يفرى له الكبدا
أرعى همومى، وترعانى ولا أحد   يحنو على، فألقى فيه معتمدا

ويتذكر العاصى ليالى أنسه، ويداعب ذكريات عزه، ويتمنى لو تسكت عنه الهموم ويهدأ قلبه المتمرد :

فإن كان هذا فى غد طاب لى غد   وإلا فصبرى فى غد متمرد
فقد سار بى شوطا بعيدا عن المنى   وما هو للسير الطويل معود
فيا غد لا وافيت إلا بنصرتى   فإن حياتى فى يمينك ياغد

وهذا آخر الشوط الذى استسلم عنده الشاعر من شدة الإعياء . وباب الغزل الذى طرقه احمد العاصى يفضى بنا إلى تيارين أحدهما قبل العاصفة العاطفية التى جمحت به، والآخر وهو يتخبط فى دياجير تلك العاصفة . وعلى كل حال فإنه عشق لا لشىء إلا لأن له قلبا كسائر قلوب الناس، وكل ما بينه وبين غيره أنه أحد هؤلاء الذين فشلوا فى الحب فكان هذا الفشل ضغثا على إبالة . فهو يقول :

خبرى يا أمة العشق : فتى   زار يوما ساحة العشق فضل

على أن باب الفخر يتم عن فترة من التجلد سبقت المحنة التى استمصت عليه :

لعمركو ما فى إلا معاند   لدهرى صليب الجانبين صؤول

ويمضى فى هذه القصيدة معبرا عن حبه الخير وفعله المعروف:

أحب فعال الخير والصدق شيمتى   وفى حكمتى لى قائد ودليل
وإن رام منى الدهر مالا أوده   رددت جموح الدهر وهو ذلول

ولعل الأبيات التالية تنبىء عن مسلك الشاب الطموح الذى لا يلوى على شىء وهو بسبيل المعالى من الأمور :

وما السير للعلياء إلا لذاذة   لنفس فتى ما حل عقدته الدهر
إذا ما ركبت الليل فالمجد مطلبى   وسيرى مد ليس يتبعه جزر
أهم فلا أبقى لدى النفس مطلبا   وأصبح والآمال فى ساحتى كثر
فأما ملذات النفوس فإننى   أرى أن سعى المرء فى إثرها نكر

ويستطرد فى هذه القصيدة مستنكرا أن تموقه عن مطلبه السامى بنت كرمة (تضيق بها فى الدهر أخلاق الزهر) أو أن يهيم بغانية لأن :

لنا عزة من دونها كل مطلب   وهمة نفس ضاق فى أمرها الدهر
وليس بنا للناس إلا محبة   وليس براح القلب من أجلهم غمر
ونسعى لهم حتى نقيم ضعيفهم   وننهض من يهوى بعزمته الفقر

وهكذا كل الفضائل الاجتماعية من رد الظالم وإيواء الشريد وبغض الاثيم وحب الناس جميعا، ونزعة الخير غالبة على شاعرنا فى فترة اطمئنان نفسه وهدوء انفعالاته .

ودأبى فعل الخير حتى لو اننى   سئلت لما أدرى لمن أنا فاعل
ومابى حب للحياة وإنما   أعيش لتحيا فى حماى الفضائل

فهو كهف للخيرات وحمى للفضائل . ويشهد معاصروه من زملائه بما كان له من آراء صائبة عند مناقشة أساتذته، وهو يسجل هذا فيقول :

أدفع القول فلا أبقى فتى   سامعا لى لم يصر من تبعى
وأرى الحق فلا أتركه   ضائعا ما بين قوم ضيع
تعرف الأقوام عنى أننى   أسمع الأقوام مالم يسمع

وأغلب الظن أن لهذا البيت الآخير صلة بما وقع بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين بك يوم اعترض احمد العاصى أثناء إحدى محاضراته، فلم يسمع الأستاذ واستمر يحاضر، فحسب العاصى أن الدكتور يحتقره ويغضى عنه، فحز ذلك فى نفسه وامتلأ غيظا، فلم تكد تنتهى المحاضرة حتى هب العاصى محتجا على الدكتور كيف يسأله فلا يجيب، فأخبره بأنه لم يسمعه ولو كان سمعه ما تردد فى الجواب والنقاش ولاسيما مع أحمد العاصى بما عرف عنه من قوة الحجة، وإجادة الجدال، ومع ذلك أصر العاصى على احتجاجه، والدكتور يخفف من نفسه ويطيب خاطره على الرغم من خفوت صوت العاصى، ويقول :

أنا فى العلم غلام لوذعى   وإذا ماقلت فالرأى معى

ومن ثنايا الديوان يخرج الشاعر المتمرد المنطوى على نفسه إلى عالم الناس جريئا قويا ثبت الجنان حقا، فيعبر عن آمال مصر فى جامعتها، ويحفز الهمم فى حماسة الشباب، مفضيا عن محنته هو :

لا يصد المرء عن أغراضه   محنة تزجى إليه أو سقم

ويؤذيه أن يرى ما بين بنى قومه من شقاق، فيعتب عليهم فى رفق :

تريدون بالشحناء نيل مرادكم وترجون الاستقلال بالأقوال

ويؤثر أن يختم ديوانه بقصة الموت ، وهي تلك الساعة الرهيبة التي يستعجل فيها ملك الموت ، مرحبابه ، ويستحثه على الصعود إلى العالم الباقي بروحه ليخلص من الأرجاس الدنيوية والهموم القاتمة :

ساعة يؤنسني فيها الملك هامسا هيا لمن قد أرسلك
قائلا لا تخش سوءا يافتى ها هو المركب قد هيأت لك
سر حثيثا لا تمانع إعيا في غدٍ تشتى على من أوصلك
واسع بالروح إلى المولى ولا تذكر الدنيا فليست منزلك

ثم يمضي : —

ها هي الحدباء قد جهزها لك من قبلك للموت سلك
فاشدد العزم وهيا لترى لذة كبرى وتحيا ككلك

ثم يتخيل نفسه في وادي الموتى حيث يبعث منه برسالة إلى الأحياء فيقول :

كم أنا رافه هنا بحياتي وبما عندنا من اللذات
كل ما نشتهيه تحت يدينا ولنا ما نشاء من طيبات

هذا هو الشاعر العاصي الذي نفث في قيثارته أنفاسه ، ووقع على أوتارها نبضات قلبه فجاءت ألحانه صادقة في التعبير عن وجدانه. لم يتكلف الشعر ولم يكن إلا كالسيل يندفع نحو غاية عنيفا غاية العنف ، ثم يمضي بعد ذلك كالجدول المنساب بين فحيح النيران في جوف الظلام .

نعم صدق العاصي في التعبير عن أحاسيسه ومشاعره ، وبرع حقا في اقتناص كل انفعال تردد بين جوانبه ، فتصيد له النغم المناسب ، وقيده في شعره الحر الطليق ، فواتاه اللفظ ، وأسعفه اللحن ، ودانت له القافية ، فأنابها عن ذوق ولا كبا في خطاه . ولو كان للشاعر المرهف رفيق يفضي إليه بغمرات نفسه ، لاستطاع أن يطرح من أثقاله ، ويروح من همومه ، ولكنه للأسف — كان كالظمآن في بيداء اللانهاية : حرم عطف الصديق ، وحنو الشقيق . وأنس الرفيق ، وجافاه الحبيب ، وفارق الأم ، واعتزل أباه ، وهجر البلد ، ونأى بجانبه . فتقلص شبابه ، وانطوت آماله وعكف على اللذات ، وفلسف الأحزان كما أراد .

هذه الحياة كانت آفاق الشاعر العاصي وحده ، لأنه اعتصرها بعيدا عن الناس واستدار حول نفسه في إطارها من الداخل . غير أنه لم يحفل بالطبيعة في كثير ولا قليل . نعم لقد عطل جميع منافذ إحساسه عن مجالي الكون ، وماله يرى ويسمع وهو في « كهف أفلاطون » ليس أمامه فيه إلا أشباح الفناء وقد ظنها حقائق تجسمت حتى أخذت تخايله في حياة كلها مظلم صامت. الطبيعة الحسناء ،والقاهرة وضواحيها ، والفجر والربيع والسماء والماء والجداول والضفاف ، والزهور الحسان ... لم يكن لهذه التهاويل ظلال في جوانب الشاعر المتمرد ، فخلا منها شعره ، وكان كدودة القز تغزل خيطهـا في محبس الظلام حتى يؤذن لروحها أن تهيم كالفراشة في مسبح الضياء .

ومهما يكن من شيء ، فتلك شاعرية لها ميزتها التي تكفل لصاحبنا « شخصية » في الشعراء الخالدين ، من أوضح عناصرها وأبرز معالمها ، ما قاله أمير الشعراء فيه :

ولتعلمن إذا السنون تتابعت أن التشكي كان قبل أوانه

محمد محمود زيتون

صور من الشعر الحديث في العراق

للاستاذ ابراهيم الوائلي

تمهيد :

كانت بداية النهاية فى كانون الثانى « يناير » من السنة ١٢٥٦ حين هاجم هولاكو أسوار بغداد ولم يقدمه عرض الصلح الذى تقدم به ابن العلقمى وجاثليق النصارى .

وفى اليوم العاشر من شهر شباط « فبراير » من السنة نفسها استيقظت بغداد فإذا بها أمام تيار عارم لا يقف عند حد ولا يريد ان يقف عند حد . تيار من الوحشية التى تستعذب دماء الناس وتستمرئ لحومهم وإذا بالسيف والنار يقدمان لهذا الجائع موائد من الدماء واللحوم يدوسها بأقدامه ضاحكا ساخراً . والناس من أهل بغداد وما جاور بغداد حيارى واجمون يعصف بهم الرعب ويجرفهم الخوف وتشتد بهم العاصفة من كل جانب فلم يجدوا بدا من أن يودعوا خليفتهم الذى استسلم وخضع . ومجدهم الذى توارى واحتجب وحريتهم الاسلامية التى انتهكت وأهينت . ولم يجدوا بدا من أن يستقبلوا فاتحاً متغطرساً سفاكا مستبيحا ، كل ذلك على مضض منهم وكره . واستسلمت بغداد لحد السيف وأسلمت تراثها لألسنة النار وأمواج النهر، تلك تلتهم وهذه تبتلع، وانطوى العصر الذهبي بمجده وعظمته فلم يعد التاريخ يسمع غير الهمسات الخفيفة والنأمات العابرة والصدى المبحوح وحتى هذا الصدى أخذ يختنق تحت وطأة العجمة الطاغية والوحشية الحمقاء . ولوحقت اللغة العربية وآدابها فى كل مكان وطوردت فى كل مرفق تجتث أصولها وتشذب فروعها ويغرس مكانها الجهل والعماية .

وبقيت بغداد وسائر المدن العراقية تغط فى نومة طويلة أحقابا وسنين سماها المؤرخون « الفترة المظلمة » ولم يخطىء المؤرخون فى هذه التسمية فقد كانت هذه القرون التى مرت على العراق زاخرة بالجهل والتأخر والانحطاط والانتكاسة المميتة فلا عدل ولا إصلاح ولا أدب ولا دراسة ولا تعليم ، الأخيال باهت يلوح بين جدران المساجد والبيوت فى بعض الحواضر العراقية ، والالمحات قليلة لا تقع من تأريخ الأدب الصحيح على مكان إذا استثنينا العلوم الدينية والتاريخية التى لم تركد كل الركود . بالرغم من ذلك كله فإن اللغة العربية فى العراق بقيت تصارع وتكافح فتهدأ حينا وتثور أحيانا أخر ، تكافح عدوا عنيدا لا يكتفى بما يبتزه من خيرات ومنافع بل يحاول القضاء على هذا الطابع الذى تتميز به الأمة — وطابع كل أمة لغتها كما يقولون — وكانت هذه اللغة تدرس وتقرأ ولكن فى نطاق ضيق محدود، وتجد من يحدب عليها ويرعاها ولكن فى مجال غير فسيح؛ فبعد أن كانت بغداد هى مركز العصب الحساس للغة العربية وآدابها أصبحت فى هاوية بعيدة الغور من غفوة الزمن ، وبعد أن كانت البصرة فى مربدها والكوفة في منبرها تتنجان وتتباريان أخلدتا إلى السكون والدعة، ولم يعد التاريخ يسجل للعربية علما وأدبا إلا القليل مما تنتجه بعض المدن كالحلة والنجف والموصل وكان هذا الانتاج بين تأليف لا عمق فيه ولا دقة، وشعر لا عاطفة فيه ولا تصوير، ونثر تشمئز اللغة من تراكيبه وأسلوبه . يجرف ذلك كله تيار من التقليد والمحاكاة . تقرأ للشاعر فلا تقع عينك فى ألفاظه إلا على الطلول والدمن، ولا تهيم معه إلا فى حاجر وذى سلم؛ وهو بعيد عن ذلك فى بيئته وحياته الاجتماعية . وتتطلب معانيه فلا تجدها إلا وهى باهتة خابية لا حياة فيها ولا حركة ماعدا شعراء قليلين كان لهم نصيب من الشعر الجيد .

حتى إذا جاء القرنان الثانى عشر والثالث عشر للهجرة أخذ الشعر يتمطى بعد غفوة ويصحو بعد رقدة، ولكنه لم يستطع أن يزيل عن جسمه غبار السفر البعيد أو يتخلص من بقايا التعب فلم يسلم من تبعات التصنع والتقليد. ومن أشهر شعراء هذه الحقبة كاظم الازرى ثم العمرى والأخرس وحيدر وجعفر الحليان ، والسيد الحبوبى وغيرهم كالشيخ جواد الشبيبى والشيخ جعفر الشرقى . وكان هذا العصر إيذانا بعصر جديد وبنهضة شعرية جديدة نشط فيها الشعر وتحلل من القيود الصناعية والزخرف اللفظى ، وانطلق من عقال التقليد فى أغراضه ومواضيعه وفى أخيلته ومعانيه فواكب السياسة فى ادوارها المختلفة وساير المجتمع

فى تطوره ودعا إلى الاصلاح والتحرر ومقاومة الاستعمار.

هذه النهضة الشعرية المباركة تلتقى عندها عوامل عدة وتقف إلى جانبها أسباب كثيرة ، منها ما هو داخلى يعود إلى البيئة والطبيعة والثقافة المحلية ، ومنها ماهو خارجى يعود إلى الاستعمار الذى خيم على العراق فحرك نفوس الشعراء ، وإلى النهضات العلمية التى بدأت تنمو فى مصر وسوريا ، والصحافة العربية فى هذه البلدان بما كانت تنقله من وعى وتبثه من علم وأدب .

فالبيئة العراقية حساسة ثائرة ، والطبيعة متقلبة متحولة : شتاء قاس ، وصيف شديد، وربيع معتدل قصير العمر ، وخريف عارم كثير الرياح والزوابع ، وأنهار تكاد تجف فى الصيف وتطغى فى الشتاء والربيع ، وصحار خاوية لانبت فيها ولا ماء ، ومروج خضر عتد بامتداد البصر . هذه الطبيعة بألوانها وصورها وخيرها وشرها معرض يطوف الشاعر فى أرجائه فيتأثر وينفعل ثم يغنى انفعالاته قصائد تحكى هذه الطبيعة وتصور انقباضها وانبساطها وسكونها وثورتها وكل ما فيها من مختلف ومتشابه .

***

وأما الثقافة المحلية فقد كانت فى حدود الدين واللغة العربية فى كتبها الصفر وفى بقايا من التراث العباسى يستق من مخطوط قديم أو من مطبوع جاءت به المطابع الهندية والايرانية وندت به المطابع التركية إلى جانب ما تنتجه المطابع السورية والمصرية والعراقية فى ذلك العهد ولا شك أن هذا الانتاج كان محدودا قليلا ، لذلك كانت الثقافة العراقية فى أواخر القرن التاسع عشر لاتتجاوز الأفراد متفرقين فى بغداد والحلة والنجف والموصل؛ حتى إذا أخذت الطباعة تنتشر والمطبوعات تتيسر أخذ الأدباء العراقيون يتسابقون إلى اقتناء الكتب العربية الدسمة واستيعابها والأفادة منها فتجاوز الأدباء حدود الأفراد وكثر الشعراء على ضفاف الرافدين ، وكانت الذهنية العراقية تدفع الشاعر والأديب إلى التمحيص والاختيار فلا يقرأ الغث ولا يحفل بالردىء. هذا إذا كان الشاعر موهوبا قد هيأته الطبيعة وكونت فيه عنصر الشاعر تكوينا سليما، لذلك كان الشعر العراقى فيما مر من القرن العشرين صافيا مشرق الألفاظ مركز الاداء إلى جانب معانيه الدقيقة وأخيلته السامية .

والاستعمار الخارجى كان يتمثل آنذاك فى سلاطين آل عثمان وولاتهم ضباطهم وجنودهم يحكمون دنيا العراق السخية ويبتزون خيراتها ويفرضون اتاوتهم على كل إنسان بالقوة والسوط ويجندون ابناء العراق لحروبهم ومماركهم ، ومن يقعد عن الجندية يدفع البدل المرهق الذى تفرضه السلطات كما تريد، وتذهب هذه الخيرات إلى ليالى البسفور والدردنيل وإلى قصر يلدز وغيره . ويبقى العراق رازحا تحت وطأة البؤس والفاقة والأمراض والطواعين . وكان من جراء ذلك أن انتشرت الرشوة وكثرت الاقطاعات بأيدى نفر من الزعماء يمالئون الولاة والحكام لتسلم لهم إقطاعاتهم ونفوذهم . هذه الصور والألوان يستعرضها الشاعر العراقى كل يوم فيتأثر وينفعل ويثور ويردد ثورته فى قصائد يقذف بها كالحمم الملتهبة .

وأما الصحافة — ونعنى بها الصحافة التركية والعربية فى مصر وسوريا — فقد كانت ذات نصيب كبير فى إيقاظ الشعر العراقى ونهضته بما تحمله من العالم الخارجى وبما تتحدث عنه من تقدم ووعى فى الأمم الأخرى وفى الشعوب العربية كمصر وسوريا؛ ففى مصر كانت النهضة قد نشرت اجنحتها وتناولت معظم المرافق والحقول ، وفى سوريا كان الوعى القومى قد رسخت قواعده وزكت مبادئه نتيجة لاحتكاك العقلية السورية بالنتاج الفكرى الغربى وكان الأدباء العراقيون على صلة بهذه التيارات يتتبعونها ويتطلعون إليها ويقرؤن ما يصل إليهم باستيعاب ورغبة فيحسون نهضة العالم ويشعرون بما فى البلاد العربية من يقظة وتوثب، ويتألمون لما فى العراق من تأخر وتخلف ، وليس العراق بأقل من غيره قابلية للنهوض والتقدم فلا يلبثون حتى يرددوا ألمهم أناشيد تشيع هنا وهناك فيرن صداها قبولا واستحسانا فى دنيا العراق، وسخطا وحنقا فى قصور المستعمرين وكان لابد لهذه الأناشيد من منابر تذيعها على الملأ وهذه المنابر هى بعض الصحف التى تصدر فى العراق ، ولكنها كانت تضيق فى معظم الأحيان عن نشر هذه الصرخات المدوية حذرا من الولاة والحكام، وما تضيق عنه هذه الصحف تتناقله صحف مصر وسوريا آنذاك فيذيع فى الأقطار العربية ومنها العراق .

بهذه العوامل وغيرها اندفع الشعر العراقى إلى مواكبة العصر الحديث وتصوير آلام المجتمع والدفاع عن حرية العراق والبلاد العربية عامة .

بعد التمهيد الذى قدمناه نحب أن ندرس ثلاثة من شعراء العراق فى العصر الحديث وهؤلاء الثلاثة هم الكاظمى والزهاوى والرصافى ندرسهم فى مجال الشعر السياسى فقط، وفى عهد الاستبداد الحميدى وبعد إعلان الدستور فحسب؛ ثم نشير إلى مواقفهم الايجابية من العثمانيين والظروف التى دعت إلى ذلك. وقبل أن نتحدث عن هؤلاء الشعراء نحب أن نشير بإيجاز إلى تاريخ الدستور العثمانى.

لعل الرجل الوحيد الذى شغلته فكرة الدستور وناضل من أجلها هو مدحت باشا الذى نفاه عبد الحميد إلى الطائف من الحجاز وسجن هناك ثم اغتيل فى العاشر من نيسان «ابريل سنة ١٨٨٣م.»

وكان مدحت هذا ثمرة طيبة ندت بها تلك الشجرة المرة فاشتغل بالسياسة وتقلد مناصب كبارا فى أوربا وسوريا والعراق. وقد ساءه أن يرى الجهاز الحكومى فى تركيا يسير على غير انتظام، والولايات التابعة للحكومة العثمانية ترسف فى أغلال العبودية والذل وتدفع الأتاوات لحكام جائرين، ففكر أن يضع حداً لهذا الاستبداد. كان ذلك أيام حكم السلطان عبد العزيز، والصدر الأعظم محمود نديم، وشيخ الاسلام حسن فهمى. وكل واحد من هؤلاء لا يبالى من أين جاء المال وبأى وسيلة يجمعه. وفى مظاهرة كبرى قام بها مدحت على رأس جمهور كبير هتف المتظاهرون بسقوط الصدر الأعظم وشيخ الإسلام فلاذا بالفرار. وطلب المتظاهرون إسناد الصدارة إلى مدحت فاكتفى السلطان بتعيينه وزيراً بلا وزارة، ولكن المفكرين وعلى رأسهم مدحت لم يكتفوا بذلك فألحوا بوضع الدستور الأمر الذى نتج عنه عزل السلطان عبد العزيز ومبايعة ابن أخيه السلطان مراد سنة ١٨٧٦ م. وفى هذه السنة انتحر عبد العزيز وجن مراد وانهارت قواه العقلية بعد اعتقال طويل وتألم مدحت لهذا الحادث فاتصل بعبد الحميد ولى العهد فوعده بالغيرة على الدستور — إن ولى السلطنة — وبالتنازل عن العرش إن استعاد مراد قواه العقلية، وأسند الملك إلى عبد الحميد. غير أنه بعد أيام قليلة بيت الغدر لمدحت ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً بسبب الحوادث التى جدت فى أوروبا والتى اضطرته إلى استشارة مدحت فى أمر الدستور. وفى ٢٤ أيلول «سبتمبر» سنة ١٨٧٦م تألفت لجنة من الوزراء والعلماء والقادة فقررت تأليف مجلس للشيوخ وآخر للنواب وشرعت تدرس مواد الدستور، وأسندت الصدارة العظمى إلى مدحت فى ١٩ تشرين الأول «أكتوبر» من السنة نفسها وقوبل هذا التعيين باغتباط عظيم فى تركيا والبلاد الخاضعة للنفوذ العثمانى لما كانت تنتظره من إصلاح على يد مدحت؛ ولكن عبد الحميد أخذ يضع المصاعب فى طريق مدحت ويسوف بإعلان الدستور فلم يكن من مدحت إلى أن هدد بالاستقالة قائلا فى خطاب له:

« إننا لم نخلع السلطان عبد العزيز إلا طمعاً فى الوصول إلى هذه الغاية المقدسة » ومن ثم اضطر عبد الحميد إلى إعلان الدستور وأصدر إرادته بهذا فى يوم ١٢ من كانون الثانى «يناير» سنة ١٨٧٧ فأطلقت المدافع ابتهاجاً بهذا الحادث العظيم وأعلن الشعب فرحه وسروره لأن الأمة أصبحت مصدر الحكم ولها الحق فى ممارسة شئونها الداخلية والخارجية. وأخذ مدحت يعمل على تنفيذ مواد الدستور ويسترضى جميع الطوائف والطبقات؛ ولكن عبد الحميد أحس بخطر مدحت، وفجأة أمر بنفيه إلى أوروبا بتهمة الخيانة العظمى وكان إذ ذاك فى حدود الخامسة والخمسين فثار الأحرار والمفكرون لهذا المآل وكثرت المظاهرات احتجاجاً على مصير مدحت فلم يطل مكثه فى أوروبا وأعيد إلى الشرق والياً على سوريا بينما كان عبد الحميد ينكل بأتباع مدحت ويبعد عن الأستانة كل من شارك فى أعمال الدستور. وكثرت الاضطرابات حتى وقعت الدولة التركية بين مطامع الانجليز والروس وانتشر المبشرون والأوربيون فى الساحل السورى وفى فلسطين. وثار مجلس النواب مطالباً بمحاكمة محمود نديم الصدر الأعظم فغضب عبد الحميد وأصدر أمره بحل المجلس النيابى وإلغاء الدستور وذلك فى ١٣ شباط «فبراير» سنة ١٧٨٨ م ثم أرغم على إعادته سنة ١٩٠٨ م وفى فترة الثلاثين سنة بين الإلغاء والإعادة كان عبد الحميد يتربع على قمة الاستبداد فنفى كل وطنى غيور، وقضى على كل ضمير حر، ولم يبق ممه إلا شرذمة من حثالة الأدنياء والمنافقين يتقلبون فى المناصب بينما كانت الأمة تتدهور حالتها والبلاد العربية وبخاصة العراق — تقاسى كل ألوان الفقر. وانعدمت الحرية فى كل مكان وكثر الأرصاد والجواسيس يتعقبون كل جمعية ويتابعون كل قائلة، وغصت السجون بالأبرياء وضرب نطاق من حديد على المطبوعات والصحافة والبريد.

وأخيراً استدعى مدحت إلى المحاكمة وحوصر قصره بأزمير

حول حديث أهل القليب

إلى الأستاذ محمد أبو رية

للاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى

قال ابن عمر : اطلع النبى صلى الله عليه وسلم فقال « وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقيل له : تدعو أمواتاً ؟ فقال « ما أنتم بأسمع منهم ، ولكن لا يجيبون »

وعن عائشة ، قالت : إنما قال النبى صلى الله عليه وسلم « إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق » وقد الله تعالى إنك لا تسمع الموتى

انتهى ما أورده الإمام البخارى فى صحيحه فى ٢٣ — كتاب الجنائز — ٨٧ — باب ما جاء فى عذاب القبر. وقال أستاذ الدنيا فى علم الحديث (الحافظ ابن حجر العسقلانى) فى كتابه قاموس السنة المحيط (فتح البارى) ما نصه :

هذا مصير من عائشة إلى رد رواية ابن عمر المذكورة.(وقد خالفها الجمهور فى ذلك ، وقبلوا رواية ابن عمر ، لموافقة من رواه غيره عليه) وأما استدلالها بقوله تعالى — إنك لا تسمع الموتى — فقالوا : معناها لا تسمعهم سماعاً ينفعهم ، أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله . وقال السهيلى : (عائشة لم تحضر قول النبى صلى الله عليه وسلم) فغيرها ممن حضر أحفظ للفظ النبى صلى الله عليه وسلم . وقد قالوا له : يا رسول الله ! أتخاطب قوماً قد جيفوا؟ « فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . قال وأما الآية فإنها كقوله تعالى ـ أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ـ أى إن الله هو الذى يسمع ويهدى إه .

وبعد كلام طويل فى كيفية عذاب القبر قال :

(تنبيه) وجه إدخال حديث ابن عمر وما عارضه من حديث عائشة فى ترجمة عذاب القبر أنه لما ثبت من سماع أهل القليب كلامه وتوبيخه لهم ، دل إدراكهم الكلام بحاسة السمع على جواز إدراكهم ألم العذاب ببقية الحواس ، بل بالذات ، إذ الجامع بينهما وبين بقية الأحاديث أن المصنف أشار إلى طريق من طرق الجمع بين حديثى ابن عمر وعائشة ، بحمل حديث ابن عمر على أن مخاطبة أهل القليب وقعت وقت المسئلة ، وحينئذ كانت الروح قد أعيدت إلى الجسد . وقد تبين من الأحاديث الأخرى أن الكافر المسئول يعذب . وأما إنكار عائشة فمحمول على غير وقت المسئلة . فيتفق الخبران . اه قول الحافظ .

أقول ؛ وهذا الحديث لم ينفرد به ابن عمر ، بل جاء فى صحيح الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال ، وكنت رجلا حديد البصر ، فرأيته، وليس أحد تزعم أنه رآه غيرى . قال : فجعلت أقول لعمر أما تراه ؟ فجعل لا يراه . قال : يقول عمر سأراه وأنا مستلق على فراشى . ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس . يقول هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله . قال : فقال عمر ، فوالذى بعثه بالحق، ما أخطئوا الحدود التى حد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض . فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم

فسلم نفسه إلى السلطات وحوكم فى قصر « يلدز » بتهمة اغتيال عبد العزيز ولم يجده الدفاع عن نفسه فنفى مكبلا بالحديد إلى الحجاز وسجن فى الطائف مع رفاقه وفى اليوم العاشر من شهر نيسان « ابريل » سنة ١٨٨٣ م لقى حتفه مسموماً ودفن بالطائف وبعد دفنه أمر عبد الحميد بإحضار رأسه للتأكد من موته وكان الأمر كما أراد [١] .

هذه الفترة العصيبة التى اشتهرت بعبد الحميد كانت مثار قلق وتذمر فى البلاد العربية وكان العراق يعمل دائباً للتخلص منها والثورة على الاستبداد وكان فى طليعة الثائرين أكابر الشعراء وفى طليعة هؤلاء الشعراء : الكاظمى والزهاوى والرصافى حتى انتهى الاستبداد وعاد الدستور فرحب به الشعراء مشاركين إخوانهم من الأحرار ، وبعد هذا فماذا نحن واجدون فى شعر هؤلاء الثلاثة حيال هذه الفترة وما بعدها ؟ ذلك ما سندرسه فى دواوينهم التى بين أيدينا .

(يتبع)

إبراهيم الوائلى

(١) لخصنا القصة الدستور العثمانى من كتاب : مدحت باشا للأستاذ قدرى قلعجى

عدو الشعب الجاشنكير

للاستاذ عطية الشيخ علية

ما أحسن قول المنفلوطي في المصلحين : « إنهم أنصار الخير وللشر أنصار أشد منهم قوة ، وأكثر عدة وعددا ، وهم دائما هدف لغضب الملوك ، لأنهم يثيرون ثائرة الشعوب عليهم ؛ وغضب النبلاء لأنهم يحتقرون نبلهم ؛ ويزدرون مجدهم وعظمتهم ؛ وغضب الكهنة ، لأنهم ينمون عليهم رياءهم وكذبهم ؛ وغضب العامة ؛ لأنهم يصادرون أهواءهم وشهواتهم ، أى أن العالم كله حرب عليهم من أدناه إلى أقصاه ، وقلما تنتهي حياتهم إلا بمثل ما انتهت به حياة سقراط الحكيم وهومير الشاعر وأفلاطون الفيلسوف من قتل أو صلب أو حبس أو تشريد ، ولا ذنب لهم إلا أنهم أحبوا البشر ، وعطفوا عليه ، وتألموا لألمه ، وبكوا لبكائه . . . »

أقول هذا وأنا أتذكر مأساة بيبرس الجاشنكير ، ذلك الملك الذى يقول فيه المؤرخون : « كان ثابتا كثير السكون والوقار ، جميل الصفات ، ندب إلى المهمات مرارا عديدة ، وتكلم في أمر الدولة مدة سنين ، وحسنت سيرته ، وكان يرجع إلى دين وخير ومعروف ، وله أوقاف على وجوه البر والصدقة » ولا تزال بعض المدارس والآثار فى القاهرة تحمل اسمه إلى اليوم ، وأصله من مماليك المنصور قلاوون ، ثم صار فى أيامه من أعيان الأمراء ، وترقى بعده حتى صار أمير القاهرة ثم استدارا [1] ، وقد أشار باستدعاء الناصر بن قلاوون للسلطنة بعد قتل الملك المنصور لاجين ، فكافأه المنصور بأن أقره استدارا على عادته ، فاتفق مع نائب السلطنة سلار ، وأخذا فى تدبير الملك بهمة ونشاط كفيلين المملكة ، وكان بيبرس مخلصا جدا للملك الناصر ، وفاء لأبيه الملك المنصور قلاوون الذى كان أستاذه وسيده ، ولكن بطانة السوء ، أوغرت قلبه عليه حسدا وبغضاء ولم تكتف بإثارة الملك حتى أثارت الشعب

(١) مراقبة بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب والحاشية والغلمان ، وله حديث مطلق وتصرف تام فى نفقات القصور الملكية ومن فيها « صبح الأعشى »

فقال « يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً فإنى وجدت ما وعدنى الله حقاً ؟ قال عمر : يارسول الله ! كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ قال « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئاً »

وجاء فى صحيح مسلم أيضاً عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثاً ، ثم أتاهم ، فقام عليهم ، فناداهم ، فقال « يا أبا جهل بن هشام ، ويا أمية بن خلف ، ويا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، أليس قد وجدتم ما وعدربكم حقاً ؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً » فسمع عمر قول النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله ! كيف يسمعوا (كذا) وأنى يجيبوا (كذا) وقد جيفوا ؟ قال « والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا . ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر اه

قال الحافظ فى الفتح : ولم ينفرد عمر ولا ابنه بحكاية ذلك ، بل وافقهما أبو طلحة . وللطبرانى فى حديث بن مسعود مثله بإسناد صحيح . ومن حديث عبد الله بن سيدان نحوه . وفيه قالوا يارسول الله ! وهل يسمعون ؟ قال « يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون » . وفى حديث ابن مسعود « ولكنهم اليوم لا يجيبون » .

ومن الغريب أن فى المغازى لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبى طلحة . وفيه « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » وأخرجه أحمد بإسناد حسن . فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة .

وهذا الذى دعا معالى الدكتور طه حسين بك أن يدع رواية عائشة ، ويأخذ برواية هؤلاء الصحابة فى كتابه (الوعد الحق) وهو القول الحق الذى وهاه الأستاذ محمود أبو رية فى عدد الرسالة رقم ٨٦٥ بغير حق والسلام .

محمد فؤاد عبد الباقى

وليت شعرى لم يولع اللئام بمحاربة الكرام ويحسدونهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، ويقعدون لهم كل مرصد ولا يتركون فرصة إلا افترصوها ، ولا فرية إلا دبجوها ، ولا نار فتنة إلا أشعلوها، وياليت شعرى لم يحتضن الرؤساء دائما الأخساء الدساسين ، ويقربونهم، ويرفعون شأنهم ؟ أما يعلمون أن الضعيف لا يكون مخلصا أبدا ، والذى خبث لا يخرج إلا نكدا ؟ ومن العجيب أن أكثر الحكم والأقاصيص قيلت فى الوقيعة والنميمة والوشاية والدس ، ولكن كم آذان لا تسمع ، وقلوب لا تتعظ وليس كابن آدم يلدغ من الجحر سبعين مرة لا مرتين

فى سنة ٧٠٠هـ وصل إلى القاهرة وزير ملك المغرب فى طريقه إلى الحج ، واجتمع بالسلطان الناصر وبالأمير بيبرس الجاشنكير وبالأمير سلار نائب السلطنة ، فأكرموه وأنعموا عليه وعظموه غاية التعظيم . وفى بعض الأيام جلس الوزير المغربى بباب القلعة مع بيبرس ، وحضر بعض كتاب النصارى ، فتوهم المغربى أنه مسلم ، فقام إليه مسلما معظما ، ولما علم أنه نصرانى قامت قيامته وهاج هائجه ، ودخل على السلطان مع بيبرس وتحدث فى أمر اليهود والنصارى ، وأنهم فى بلاد المغرب غاية الذل والهوان « لا يركبون الخيل ، ولا يستخدمون فى الدولة » وأنكر على المصريين سماحهم للنصارى واليهود بلبس الثياب الفاخرة ، وركوب الخيل ، واستخدامهم فى أكبر المناصب وتحكيمهم فى رقاب المسلمين . وأكثر من الكلام فى هذا الباب ، وذكر أن عهد ذمتهم قد انتهى سنة ٦٠٠هـ ، وقد أثر كلامه فى السلطان والأمراء ولكن لم يأخذ أحد على عاتقه تنفيذ ما أشار به المغربى إلا بيبرس، لأنه كان أكثرهم تدينا ، بجمع النصارى واليهود ، وأعلمهم أنهم لن يستخدموا فى الجهات السلطانية ، ولا عند الأمراء ، وكلفهم باختيار عمائم تخالف عمائم المسلمين ، فلبس النصارى عمائم زرقاء ، ويشدون زنانيرهم فى أوساطهم ، ويلبس اليهود عمائم صفراء وحدد للتنفيذ « ٢٢ رجب سنة ٧٠٠هـ » للظهور بزيهم الجديد . وقد عرضوا على بيبرس « الأموال الكثيرة الخارجة عن الحد ليعفوا من ذلك فلم يقبل » فنفذوا الأمر فى الميعاد مرغمين ، فى جميع بلاد المملكة من دنقلة إلى الفرات ، وإلى هذا الحادث يشير الوداعى بقوله :

لقد ألزموا الكفار شاشات ذلة ... تزيدهم من لعنة الله تشويشا

فقلت لهم ما ألبسوكم عمائما ... ولكنهم قد ألبسوكم براطيشا

ويقول شمس الدين الطيبى :

تعجبوا للنصارى واليهود معاً ... والسامريين لما عمموا خرقا

كأنما بات بالأصباغ منسهلا ... نسر السماء فأضحى فوقهم ذرقا

سرت فى الشعب موجة حماس دينى ، وأعجب السلطان بحمية الجاشنكير وأنعم عليه بدخل الإسكندرية مدة مقامه فيها للرياضة والنزهة ، وأراد بيبرس أن يتخذ يدا أخرى عند المسلمين فأمر فى ٧٠٢ بإبطال عيد الشهيد بمصر ، وكان عند النصارى تابوت فيه إصبع ، يزعمون أنها من أصابع بعض شهدائهم ، وأن النيل لا يزيد مالم يرم فيه هذا التابوت ؛ فكان النصارى يجتمعون من سائر النواحى إلى شبرا [1] فى ٨ بشنس من كل سنة قبطية ، ويحتفلون بهذا العيد « وكانت تثور فيه فتن وتقتل خلائق » وترتكب موبقات ، وتستباح الحرمات ، ويكثر اللهو والفجور ، حتى قيل إن تاجرا واحدا باع خمرا فى هذا العيد باثنى عشر الف درهم . وقد شق إبطال هذا العيد على النصارى ، وظاهرهم الأقباط الذين أظهروا الإسلام وذهبوا إلى بيبرس وعرضوا عليه أموالا كثيرة ، وخوفوه من عدم طلوع النيل ، فلم يلتفت لكلامهم ، وأبطل هذا العيد إلى يومنا هذا .

فى سنة ٧٠٣ وصل إلى دمشق رجل من بلاد التتار يقال له الشيخ براق [2] روى عنه حوادث خارقة للعادة ، ومعه نحو مائة فقير لهم هيئة عجيبة ، وعلى رأسهم قلانس لباد مقصوص فوقها عمائم ، فيها قرون من لباد تشبه قرون الجواميس وأجراس ، ولحاهم محلقة ، وشواربهم مرسلة ، ولبسهم لبابيد بيض ، وقد تقلدوا بحبال منظومة بكعاب البقر ، وكل منهم مكسور الثنية العليا ، وشيخهم جرىء مقدام قوى النفس له محتسب يؤدب كل من يترك شيئا من سنته . وكان غازان ملك التتار يحترمه ويجله ،

---

(١) شبرة الخيمة أو الخيام سميت بذلك للخيام التى كانت تنصب فى هذا العيد

(٢) راجع وفيات سنة ٧٠٧ والمنهل الصافى والدرر الكامنة والنجوم الزاهرة

ولـكن بيبرس رأى فى سنة الرجل مخالفة لسنة الإسلام ، فطلب من السلطان منعه من الديار المصرية فرجع إلى بلاده وفيه يقول سراج الدين الوراق

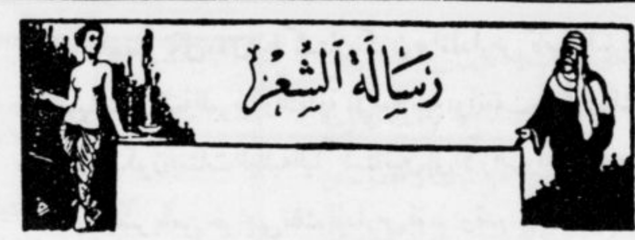
جتنا عجم من جو الروم صور تحير فيهـا الأفـكار
لها قرون مثـــل التيران إبليس يصيح فيهم زنهار

كان قد وقع بالقاهرة زلزال عظيم سنة ٧٠٢ دمر كثيرا من المساجد والمدارس فأخذ بيبرس يصلح ما تهدم ويجدد ما تقوض ، ولم يكد ينتهى من إصلاح ما أفسده الزلزال حتى بدأ فى سنة ٧٠٦ ينشىء الخانقاه الركنية ، التى لا تزال إلى اليوم بشارع الجمالية بالقاهرة ، وتعرف باسم جامع بيبرس ، وقد ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٤١٦ ج ٢) فقال : « هى أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا ، وأوسعها مقدارا ، وأتقنها صنعة » وقرر بها ٤٠٠ صوفى وبنى بجانبها رباطا كبيراً لمائة جندى مرابط ولمن أخنى عليه الدهر من كرام الناس ، وبنى فى الجانب الآخر من الخانقاه قبة لقبره ، رتب فيها درساً للحديث النبوى ، وجهز الخانقاه بمطبخ يعد طعاما للنازلين « من الخبز واللحم والحلوى كل يوم » وقد تم بناؤها سنة ٧٠٩هـ

كان الجاشنكير حى الضمير ، متأجج العاطفة الدينية راسخ العقيدة ، شديد الخوف من الله ، لذلك كان يدقق تدقيقاً عمريا فى مصرف كل درهم من دراهم بيت المال ، حتى كان يحاسب السلطان نفسه على كل شىء ، ويمنع عن القصور السلطانية مايرى فيه إسرافا وتبذيرا . وكان من الممكن أن يرضى السلطان بهذا لعلمه أن الدافع إليه شريف ، وأن القائم به من أخلص الناس إليه ، وهو الذى استدعاه إلى كرسى الملك ، ولا يزيد عن كونه مملوك أبيه ، وأن الأمين على مال الدولة إذا عفت يده وطهرت سرت الطهارة فى جميع مرافق الدولة ودواوين الحـكومة ، وامتلأت الخزائن وزكت النفوس ، وثبتت دعائم الدولة ، وخمدت بواعث الفتن ، وفشا الرخاء فى الأمة وأمكن الاصلاح ، وكل أولئك من عوامل تثبيت الملك ، وصيانة العرش ، واتساع العمران فى الدولة .

لـكن هل يهم ذلك فى شىء بطانة السوء التى تظهر للسلطان ما يحب ، وتضمر ما يكره ، وتريد أن تشبع ولو جاع الشعب ، وتملأ خزائنها ولو خوى بيت المال ، ولا تعيش إلا إذا أبعدت السلطان عن شعبه والمخلصين له ، ونشرت جوا من الإرهاب يشغل كل امرىء بنفسه ، وقد اتفقت بطانة السوء عند الناصر ، والحاسدون بيبرس الجاشنكير على ما وصل إليه عند الشعب من مركز ممتاز ، ومكانة عالية ، ومقام رفيع ، والمرتزقة الذين يلتقطون الفتات ، ويتصيدون الفضـــلات ويعيشون عيالا على مال الأمة ، واللصوص والمرتشون الذين قطعت أمانة الجاشنكير أرزاقهم ، وخربت بيوتهم ، فإما الـكسب الحلال ، وإما الجوع والفقر المدقع - اتفق هؤلاء جميعاً على إقصاء بيبرس والـكيد له ، وأخذوا يقلبون الأمور للسلطان ، وينتجعون مراتع الباطل ، ويبتغون الفتنة ، ويشيمون بروق المكائد ، وساعدهم على تحقيق بغيتهم صغر سن السلطان ، وقلة تجاربه ، فبدأ قلبه يتغير على بيبرس أكبر المخلصين له ، والحافظين لدولته ، والمتفانين فى خدمته. وما أشد الحقد إذا غرس فى الصغر وأخذ ينمو ويترعرع مع الـكبر .

كان بيبرس وسلار كفيلى المملكة والقائمين بأمرها ، وقد أعانهما على حسن التفاهم فى العمل أخوة فى الخدمة وزمالة فى ساحات الجهاد ، ومحبة من طول الصحبة ، ورأت البطانة أن أول واجب عليها للوصول إلى مأربها . إفساد ما بين الـكفيلين ، وضرب كل منهما بصاحبه ، فسولت لها نفسها أن توقع بين سفيه من أتباع أحدهما وسفيه من أتباع الآخر ، حتى يجر كل صاحبه إلى المخاصمة ، وهى حيلة شيطانية لا يتقنها إلا من تربى فى أعطان الفتن ، وقد نجحت المؤامرة فى شخصى الطشلاق حليف سلار والبروانى حليف الجاشنكير ، فسطا الطشلاق على البروانى أمام باب القلعة فى حضور الأمراء ؛ فشكا البروانى إلى بيبرس فاستدعى الطشلاق ليعاتبه ، فأساء فى الرد وأفحش فى القول ، فاستل بيبرس سيفه ليضربه به ، ولـكن الأمراء تكاثروا عليه ومنعوه منه ، فأمر بيبرس بنفيه إلى دمشق ، وأخذ سلار يرجوه فى الابقاء على حليفه ، وبيبرس يأبى ويعدد مساوئه ، وأثيرت المسألة فى حضرة السلطان فأراد استغلالها لإثارة الفتنه بينهما ، ولـكنه لم يفلح ، لأن سلار التزم الصمت وكان فيه دهاء وذكاء وحسن تدبير ، فعلم أن وقوع الخلف بينهما ، يعجل بنهايتهما ، لأن الملك بدأت تظهر فيه رغبة جامحة للاستئثار بالملك والاستبداد به ، وكان ذلك بدافع من خاصته وإشارة من بطانته لحاجة فى أنفسهم



ضراعات !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

يا صبح تزهو بنور من محياها ... ويا نسيم الصبا تهفو برياها
كلاكما نال منها وهي هانئة ... ما يبتغيه ، ولم أنعم بجدواها !
لم تعطني من نعيم الحب أيسره ... إن اليسير كثير من عطاياها
ما بالها منعتني ما أؤمله ... وما أؤمل شيئاً غير لقياها ؟
وكيف ضنت على نفسي ببلسمها ... من دائها، وهي تدري سر بلواها ؟
وكيف نادى بها قلبي لترحمه ... فما استجابت لقلبي حين ناداها ؟
فقلت للقلب ينسى أنها ظلمت ... فما عصاني ؛ لأن القلب يهواها
وكيف أرسل شكوى الروح في نغم ... يدمي القلوب ولا تصغي لشكواها ؟
يا ليتها حينما ضنت على زمني ... بقربها ، علمتني كيف أنساها !
وليتها تركت في القلب متسعاً ... لغيرها ، علَّه يهوى فيسلاها

* * *

يامن أحن إليها وهي نائية ... ومن ترفرف روحي حول مغناها
يامن على الورد تقضي الليل ناعمة ... ويسهر الليل فوق الشوك مضناها
ومن بعثت أغاريدي مولهة ... بحبها ، فهداها الحب مسراها
ومن سكبت لها قلبي لتبصره ... دمعاً ، فتعرف سر الدمع عيناها
ومن جعلت حياتي كلها نغماً ... من أجلها ؛ فبكاني حين وافاها
رحماك ! ما أنا إلا نسمة خطرت ... على صباك ، وحيته فحياها
رحماك ! ما أنا إلا همسة عبرت ... إلى هواك ، وناجته فناجاها
رحماك ! ما أنا إلا حيرة نظرت ... إلى سناك ، ونادته فغشاها
قضى الزمان على روحي بغربتها ... عن مهد حبي فأبكاني وأبكاها
هل تذكرين زماناً في الهوى ذهبت ... أيامه كالرؤى ؟ آهاً لها آها !
إذ تبعثين بنجوى الروح باكية ... فيهجس القلب إذ يصغي لنجواها
وما التقينا سوى روحين رفرفتا ... على رسائل حب قد بعثناها
تذكري كلمات في رسائلنا ... يمضي الزمان ، ولا يمضي بمعناها
تذكري كم سهرنا الليل نكتبها ... ونسكب القلب دمعاً في ثناياها
حتى إذا ما انتهينا من قراءتها ... عدنا إليها كأنا ما قرأناها
تلك الرسائل ما زالت تؤرقني ... لأنها سر ليلات سهرناها
تلك الرسائل ما زالت تعذبني ... لأنها وحي أيام أضعناها
أضعتها أنت ! لكني وهبت لها ... قلبي ليحفظ في الأعماق ذكراها
أضعتها ، فتركت الروح ضائعة ... تبكي ، وقد فقدت في الحب مأواها
هلا تذكرت عهداً كنت أحسبه ... يبقى ، فكان كأوهام بنيناها
أقسمت أنك لا تنسينني أبداً ... واليوم أسأل : من ياقلب أنساها ؟
أواه منك ومن حب وهبت له ... أيام عمري ، فأضناني وأضناها !
هواك ياجنتي نار مولهة ... تمشي على كبدي ، أو في حناياها
هواك فاضت به نفسي فرحها ... والكأس تهتز إن فاضت حمياها
هواك ياأخت روحي حين أسعدها ... غنت ، وناحت لديه حين أشقاها
وما على النفس من لوم إذا صرخت ... لما استقر بها سهم فأدماها !
هواك جمل أشعاري وحببها ... إلى قلوب ترى الأشعار دنياها
فكل قلب شقي الحب ناح بها ... وكل قلب سعيد الحب غناها
لولا الهوى ماتت الأشعار في خلدي ... ولم أكن لأذوق الحب لولاها
مهما صنعت فلن أنسى الهوى أبداً ... فالحب أمنية قلبي تمناها
إذا رعيت حياتي فهي يانعة ... على يديك ، وعين الحب ترعاها
وإن أبيت ، فآهاً كلما صرخت: ... ما كان أظلمها ! ما كان أقساها

ابراهيم محمد نجا

في سنة ٧٠٧ جمع الملك بعض خاصته وعلى رأسهم بكتمر ويلبغا وأيدمر ، وأمر بتدبير مؤامرة لاغتيال بيبرس وصديقه سلار ، واتفق الجميع على تنفيذها ، بعد إغلاق أبواب القلعة على البرجية وكلهم صنائع بيبرس ، وبلغ الخبر سلار وزميله ، فأمرا بأن يرد أبوابها ، ويطرفها دون أن يغلق أقفالها، ويمر بالمفاتيح على السلطان كالعادة ، ليظن أنها أغلقت ، ففعل ذلك ، ثم استدعى بيبرس بكتمر زعيم المتآمرين وأطلعه على ما بلغه فسقط في يده وتبرأ من من المشاركة في ذلك ونسب المؤامرة إلى السلطان ، وحلف له أنه سيكون معه عليه، ولن يبارح منزله حتى لا يشك، وانتظر السلطان ومن معه حضور بكتمر لتنفيذ المؤامرة فلم يحضر، فبعث في إحضاره فوجده في بيت الجاشنكير فعلم أنه غدر به وأفشى سره ، وتوقع المكروه من بيبرس وسلار، فأرسل بعض البطانة تستنجد بالشعب لينقذه مما وقع فيه « فلم تفتح الأسواق وخرج العامة والأجناد إلى تحت القلعة » وأرسل بيبرس بعض الأمراء ليحولوا بين الملك وبين النزول من القلعة والاتصال بالعامة، وضاق الملك ذرعاً بموقفه فأرسل إلى بيبرس « إن كان غرضكم في الملك فما أنا متطلع إليه فخذوه وابعثوني أى موضع أردتم » فرد عليه بيبرس « أن السبب هو من عند السلطان ومن المماليك الذين يحرضونه » وأخذت الرسل تغدو وتروح بين السلطان وبيبرس بمثل هذه المعاني .

(يتبع)

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تعليم اللغة العربية في الباكستان :

دعا سعادة السيد عبد الستار سيت سفير الباكستان في مصر جمعاً من الأدباء والكبراء إلى حفلة شاي بفندق «سميراميس» يوم السبت الماضي، لاستقبال محمد علي علوبه باشا سفير مصر في الباكستان . وقد قدم السفير الباكستاني السفير المصري بكلمة طيبة نوه فيها بجهوده الموفقة في تنمية العلاقات وتوثيق المودة بين البلدين . ثم وقف علوبه باشا فتحدث عن أمة الباكستان وما يربطنا بها من أسباب الحضارة الإسلامية في الماضي والحاضر وما يرجى من مصائرها في المستقبل . وتناول موضوع اللغة العربية ففصله على الوجه الآتي :

قال : إن في شبه القارة الهندية التي انقسمت إلى الهند والباكستان، نحو اثنتين وثلاثين لغة كل منها مستقلة عن الأخرى لأنها لغة إقليم لا يعرفها إقليم آخر، غير أن هناك لغة سائدة هي الأردية وهي التي تميل الباكستان بعد استقلالها إلى اتخاذها لغة رسمية بدل الانجليزية التي كانت لغة الاستعمار؛ وهناك عدد كبير يتكلمون اللغة العربية الفصيحة، منهم من يجيدون الخطابة بها بل يحفظون أشعار شعرائها كالمتنبي وغيره، ومنهم من يجد عسراً في التحدث والتخاطب بها ولكنه يقرؤها ويكتبها، وهناك مؤلفون يؤلفون بالعربية في الفقه والتفسير والحديث. وقد زرت جماعة من هؤلاء العلماء فأبدوا رغبتهم الشديدة في أن ينتشر تعلم اللغة العربية في الباكستان قائلين إننا نريد أن نتعلم لغتكم لا لأنكم عرب بل لأنها لغة القرآن . وبين سعادته مزايا انتشار اللغة العربية في البلاد الشرقية من حيث الثقافة والاجتماع والاقتصاد، وقال : إنه إذا كان هناك من يهتم بـ «الاسبرانتو» للتقريب بين أمم العالم فإن اللغة العربية هي «إسبرانتو الشرق» .

وتحدث علوبه باشا عن اهتمام الحكومة الباكستانية بتعليم اللغة العربية وأشار إلى أن في كراتشي معهداً خاصاً بها تحت رعاية وزير المعارف ثم قال : رأيت إزاء ذلك كله أن أقترح على حكومتي إنشاء مدارس ابتدائية مصرية في مدن الباكستان تكون نواة لمدارس ثانوية أخرى، مهمتها نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، واتفقت مع أولي الشأن هناك أن تكون بعثات الطلبة الباكستانيين إلى الأزهر والجامعة وسائر المعاهد المصرية من خريجي تلك المدارس فقط . وقد رحبت الحكومة الباكستانية بهذا المشروع وأبدت استعدادها لمعاونته والمساهمة فيه . ورأيت أن مهمتي قد انتهت بذلك فقد وضعت الأسس لبرنامج العلاقات الثقافية بين مصر والباكستان، وغاية الرجاء أن تتحقق أهدافه . ولعل سعادته يشير بانتهاء مهمته إلى الاستقالة التي قدمها ولا يزال بمصر أعليها .

ثم قال إن لجنة تكونت في القاهرة من أعضاء بالمجمع اللغوي وأساتذة في الجامعة والأزهر لوضع أسس وقوانين لتكوين «جمعية الثقافة العربية بالشرق» غايتها تنمية العلاقات الثقافية العربية بين أمم الشرق وخاصة مصر والباكستان، ورجا أن تنال هذه الجمعية رعاية المسئولين من العلماء والرؤساء والزعماء وعلى رأس الجميع جلالة الفاروق .

ويلاحظ أن علوبة باشا أنهى الحديث عند اقتراحه إنشاء مدارس مصرية في الباكستان ، ولم يقل لنا ماذا تم فيه وما مصيره لدى الجهات المصرية ، ولم يكن بحاجة إلى أن يقول ذلك ، فنحن نعلم أن هذه المقترحات لم يقم فيها برأي، لا في وزارة المعارف ولا في الأزهر .

وأريد أن أقول أولا إن وزارة المعارف المصرية في هذه الظروف تواجه مسائل ومشاكل في نشر التعليم بمصر تستغرق كل ما في وسعها، ومع ذلك لا ينبغي أن ينصرف عنها الأمل فيما يناسب من الفرص وما يأتي من الزمن، أما الأزهر فلا أرى له عذراً في التواني عن نشر رسالة التعليم الإسلامي وتيسيره لطلابه في أية بقعة من بقاع الأرض، فهذه هي مهمته الأساسية باعتباره أكبر جامعة إسلامية في العالم وباعتبار أن الإسلام لا يتقيد بالحدود الجغرافية بل بعد ديار المسلمين المنتشرة في أنحاء الأرض كلها داراً واحدة .

وأريد ثانياً أن أخلص من ذلك لأتوجه إلى الحكومة الباكستانية فأسوق الحديث إليها : لماذا لا تنشيء بينها وبين مصر ما يسمى في وزارة معارفنا بـ «التعاون الشرقي» على غرار المتبع مع البلاد العربية من إيفاد الأساتذة المصريين إلى معاهدها للتدريس فيها، ومصر لن تضن على الباكستان بعدد من الأساتذة تمشياً مع ما تسير عليه من تنمية الروابط الثقافية بينها وبين الشقيقات على رغم أزمة المدرسين القائمة في مصر ، ومن حسن الحظ أن أولي الأمر لم تصرفهم هذه الأزمة عن تلك المسؤليات التي يجب أن نمد النظر إليها بعيداً عن المواضع القريبة التي

لا تجاوزها أبصار بعض المواطنين ... وإنما تواجه الأزمة بالإكثار من إعداد المدرسين لا بالحيلولة دون أعداد منهم هنا وهناك تؤدى أغراضاً لابد منها .

فمن الخير أن لا تنتظر حكومة الباكستان حتى تنشأ المدارس المصرية المقترحة ، فقد يطول هذا الانتظار ، لانشغال وزارة المعارف ، والمتوقع أو الواقع من تراخي الأزهر ... ومن تعجيل الخير أن تبادر هي بتنظيم الأمر فى مدارسها ومعاهدها وتطلب من تريد من الأساتذة والمدرسين ، وعلى مصر أن تلبى .

الانعاش الاجتماعى فى الاسلام

ينظم قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية سلسلة من المحاضرات موضوعها « الانعاش الاجتماعى فى مصر ووسائل تحقيقه » كان منها يوم الجمعة الماضى محاضرة للشيخ عبد الوهاب خلاف بك عن « الضعفاء والفقراء والمرضى وما دبر به الاسلام شأنهم والوسائل التى تحقق سياسة الاسلام فيهم »

بدأ الأستاذ المحاضر بمقدمة فحواها أن كل أمة فيها فقراء ومرضى وضعفاء وأن هذه فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وأن

كشكول الأسبوع

□ كان يوم الاثنين الماضى موعد انتخاب عضوين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، مكان المرحومين الأستاذ المازنى والدكتور محمد شرف بك ، وجرى الانتخاب بين المرشحين ، وهم سبعة ذكرنا أسماءهم من قبل ، وتكررت عملية الانتخاب نحو خمس مرات ، ولكن لم يظفر أحد من السبعة بالنصاب القانونى الذى يقتضى موافقة عشرين عضوا على حين أن الحاضرين لم يزيدوا على ٢٣ . وبناء على ذلك قرر المجلس تأجيل الانتخاب إلى الدورة القادمة ، مع إلغاء الترشيح الحالى وفتح باب الترشيح من جديد .

□ كان المجمع قد وضع فى العام الماضى مشروعا للتنويه بما يراه جديرا بالتنويه من كتب الأدب والثقافة العالية التى تصدر فى مصر وسائر العالم العربى . ولكنه بعد أن استعرض ما وقف عليه وما قدم إليه إلى الآن لم ير شيئا يستحق التنويه فى هذا العام .

□ صدر أخيرا « ديوان عماد » للاستاذ محمود عماد ، ويمتاز شعر الديوان بصدق الشعور وجمال الأداء . والأستاذ عماد شاعر أصيل الشاعرية فهو ليس بحاجة إلى أن يكتب على ديوانه « الفائز بالجائزة الأولى من المجمع اللغوى فى شعر المدرسة الحديثة الإبتداعية عام ١٩٤٧ » .

□ خطأ الدكتور زكى مبارك — فى حديثه بالبلاغ — الأستاذ محمد عبد الغنى حسن لاستعماله كلمة « المجداف » فى رثائه للمرحوم الأستاذ على محمود طه . ولو فتح الدكتور أى معجم لوجد به مجداف السفينة . ولم يكن يليق به أن يسارع إلى هذه التخطئة المخطئة وهو يرشح نفسه لعضوية المجمع اللغوى .

□ عين الأستاذ عزيز رفعت خبيرا بالإذاعة المصرية للافادة بخبرته الفنية فى رفع مستوى البرامج . والأستاذ عزيز شاعر أديب ، وقد كان مديرا لقسم الأحاديث بالإذاعة المصرية فى أوائل عهدها ، ثم وقع عليه اختيار الإذاعة البريطانية ليدير القسم العربى بها فى لندن ، وظل هناك عدة سنوات ثم عاد إلى مصر أخيرا . ويرجى أن تستفيد الإذاعة المصرية من خبرته لو وجد طريق العمل نظيفا خاليا من العقبات .

□ من المناظر المؤذية — مع الاعتذار لزميلنا ملحوس الصور — أن يقف شاعر ليلقى قصيدة فى حفل ، فلا يستعيده أحد ، ولكنه يعيد ويترنم فى الإعادة ، والمستمعون يتململون ...

□ كتب نائب لبنانى فى صحيفة لبنانية يدافع عن زراعة « الحشيش » هناك وتصديره إلى مصر . فقال إن مصر تصدر إلى لبنان الأفلام المصرية وهى أشد ضررا من الحشيش .

الاختلاف بين الأمم فى ذلك إنما هو فى نسبة من فى كل منها من هؤلاء ، وأنه لابد أن تكون لكل أمة سياسة حكومية وسياسة شعبية للعناية بهم لأنهم أعضاء فى جسمها وفروع من شجرتها .

وقد أطال فى هذه المقدمة البدهية . والأستاذ الشيخ خلاف خطيب ممتاز بحسن إلقائه وسلامة لغته وعباراته المختارة مع ارتجال لا توقف فيه ولا تلكؤ ، وبهذه الصفات اجتاز مرحلة تلك المقدمة دون أن يمله السامعون .. ولكنه لما دخل فى صميم الموضوع - بعد فوات نصف الوقت - وفاه حقه إذ مخضه جيداً حتى أخرج زبدته قال : إن الاسلام عنى بالفقراء والضعفاء والمرضى فوضع لهم سياستين لتدبير شؤونهم ، سياسية وقائية وسياسة علاجية ، فالوقائية تقوم على أمرين ، الأول أن الاسلام أوجب على كل من يستطيع العمل أن يعمل وألا يعيش عالة على غيره ، وأورد فى ذلك آيات وأحاديث ، منها قول الله تعالى : « فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » وقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وهو يعلم يعلم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » . الأمر الثانى أن الاسلام قسم كل أمة إلى عدة أمم صغير

هى الأسر ، وأوجب تضامناً خاصاً بين أفراد الأسرة كفرض نفقة العاجز على الموسر .

أما السياسة العلاجية فهى ما جعله الله للفقير فى مال الغنى من حق معلوم ، وهى سياسة اشتراكية عادلة ، تجعل للفقير حقاً فى مال الغنى لاحق الاعتداء على ماله ؛ جعل الاسلام إحياء المواسم والأعياد بالتصدق على المحتاجين ، وجعل كفارة الآثام معونة الفقراء والمساكين ، والآثام دورية إذ لاتخلو منها تصرفات الانسان فكفارتها كذلك لاتنقطع ، وجعل الاسلام خمس الغنائم للفقراء والمساكين، وقضى بأن التركة التى لاوارث لها تضم إلى بيت المال لتنفق فى وجوه الخير .

ثم قال الأستاذ المحاضر : هذه التعاليم لم لم تثمر ؟ وبعبارة أخرى لماذا نرى حال المسلمين الآن أكثر سوءاً من غيرهم مما يوهم أن الاسلام لم يعن بأمر ضعفائهم وفقرائهم ، ولكن الاسلام هو البرىء المتهم وهو مظلوم من أهله ، مثله مثل الطبيب الذى يصف الدواء ولكن المريض يهمل تعاطيه ، ولو أن تلك الوسائل التى وضعها الاسلام نفذها المسلمون لما رأينا هذا الجيش الجرار من المحاويج .

وفصل ذلك التقصير بقوله : إن الاسلام لما أوجب هذه الواجبات قسمها قسمين، قسما جعله من وظيفة الدولة كالزكاة ، وقسما تركه لسخاء الناس لتربية النفوس وتعويدها السخاء وابتغاء أن تسود روح التراحم والتعاون بين أفراد الأمة ، أما الأول فقد أهملته الحكومات الاسلامية مع أن إيتاء الزكاة من الخمس التى بنى عليها الاسلام ، فإن كانت الضرائب التى تجبى تشتمل على الزكاة فلم لا تصرف إلى وجوهها ومصارفها المعروفة ؟ والقسم الثانى أهم سبب يحول دون تحقيقه هو ضعف الوازع الدينى ، والسبيل إليه هو التربية الدينية ، ولو أن كل واحد حنث فى قسم فكفر عنه لما رأينا فقيراً .

فيجب للانعاش الاجتماعى أن يبعث مشروع الزكاة المحال على « لجنة » بوزارة الشئون الاجتماعية — وأن يبعث روح التضامن بين الأفراد .

وثمة ظاهرة أخرى من معوقات الإنعاش الاجتماعى فى البيئات الاسلامية ، تتمثل فى أولئك الذين يحسبون أنفسهم متدينين ، أولئك الذين تراهم قانعين قاعدين راكدين ، مع أن الاسلام يحث على النشاط واستكمال أسباب القوة والعزة ، وهم يدعون أنهم متوكلون وإنما هم متواكلون ، فالتوكل أن تأخذ بالأسباب وتترك النتائج للمقادير ؛ كما يدل على ذلك قول رسول الله للاعرابى : « اعقلها وتوكل » .

حيرة الجيل الجديد فى الأزهر

جاءتنى رسالة من « ضياء الحائر بكلية الشريعة » ولست أدرى هل « الحائر » من اسمه أو من حيرته ، فإن الموضوع الذى ضمنه رسالته يحيره ويحير إخوانه طلبة الأزهر ، كما أنه يحير كل غيور على رسالة الأزهر التعليمية فى هذا العصر ؛ وأنقل مما كتبه إلى الطالب « الحائر » ما يعرض صلب الموضوع ، فيما يلى :

« من المعلوم أن الطالب الأزهرى فى هذا الوقت العصيب يعصره الهم ويكاد يقضى عليه الحزن . فهو رهن محبسه المعتم ، ليفك الطلاسم ويحل الرموز التى تمسك بها شيوخنا كأنما هى وحى يوحى ؛ وقد وضعوا للكليات كتباً مطولة لم توضع لمصرنا ولا على نظام مدرسى ، وإنما هى أخلاط وأنماط شتى يحللها الطالب وحده ليخرج من بينها لبناً خالصاً . . وأنت جد خبير بما يلاقيه المسكين من إعنات وإرهاق يفوق كل وصف ، ولعل سيدى يذكر حالة الطالب الأزهرى وما يكتنفها من مشاق وصوارف ونوازع ولا أتحرج من القول بأن حالتنا على وجه عام سيئة ، وغالبيتنا لا تعرف شيئاً عن الرفاهية على الإطلاق . فى هذا الخضم المائج يقف الطالب مشدوها حائراً فيما يطلبه الشيوخ منا . وهو دراستنا لهذه الكتب المقيمة وحدنا ؛ بمعنى أن الاستاذ لو درس من الكتاب نصفه أو ثلثه فعلى الطالب أن يكمل الباقى وحده ، فيكد ويكد حتى يعشى نظره أو يحدودب ظهره أو يفقد صحته وما هو ببالغ مما يريد شيئاً ، ولقد كان من العدل شيئاً ما ، فى زمن مضى ، أن ما يقرأ فى جميع السنة الدراسية يعتبر هو المقرر ويؤدى فيه الامتحان، لأنه ما دام الطالب بمعونة المدرس لم يستطع أن يستوعب الكتاب فمن غير المعقول أن يمهيه وحده على أى وضع كان. ولا إخالك ياسيدى تظن أن المقروء شىء بسيط ، فهو على أية حال بلاء كبير جداً . على أننى لا أكاد أعرف الحكمة فى تمييز المدرسين للأزهر ما دام الطالب هو الطالب وهو الأستاذ معاً ! »



الي معالى الدكتور طه حسين بك

رجعت إلى عدد من أعداد « مجلتى » التى كان يصدرها الأستاذ أحمد الصاوى محمد ، لأنى تذكرت به شيئاً كنت قد أطلعت عليه وانتظرت أوانه وأعجبت بما جاء فيه ، حتى آن الأوان وحان البعث وجاء موعد الوفاء ..

هذا العدد هو ذلك الذى صدر فى ١٥ يناير ١٩٣٥ وهذا الشيء الذى تذكرته هو مقال للاستاذ الدكتور طه حسين تحدث فيه عن كتاب « تحت سمائك الزرقاء Sous ton ciel blue» للقاضى الفرنسى « شارل بويس باريرا Charles puech—Barrera » وهو كتاب كتب عن مصر العزيزة وتلك السماء الزرقاء هى سماؤها . والذى يهمنى اليوم من هذا المقال هو هذه الفقرة التالية التى ختم بها الدكتور هذا المقال الشيق فى مؤتنف عام ١٩٣٥ إذ قال :

« ما أجدر هذا الكتاب أن يقرأه المصريون ليروا فيه أنفسهم قبل أن يقرأه الأجانب ليروا فيه المصريين . لو أن إلى أمر التعليم لجعلت هذا الكتاب بعض ما يعرض على الشبان الذين يتعلمون اللغة الفرنسية ، فمن يدرى لعله يحبب إليهم هذه اللغة لأنه يتحدث إليهم عن أنفسهم ؛ ولعله يحبب إليهم قبل كل شيء أن يحاولوا وصف ما يرون وتصوير ما يجدون كما وصف الكاتب ما يرى وكما صور ما يجد . ثم من يدرى لعله يثير فى نفوسهم شيئاً من هذا الحياء الخصب ومن هذه الغيرة المقدسة فيقول بعضهم لبعض ما ينبغى أن يحتكر الأجانب وإن كانوا كراماتصوير مصر من دون المصريين ، وما ينبغى أن توحى مصر إلى الأجانب فنونا من الأدب الرائع شعراً ونثراً وأن تترك أبناءها أو أن يترك أبناؤها لا يستوحونها ولا يستلهمونها ولا يقولون فيها الشعر الرائع ولا يكتبون فيها النثر الجيل .

ثم لو أن إلى أمر التعليم لوضعت هذا الكتاب وأمثاله من الكتب التى تتحدث عن مصر بين أيدى الشباب ولأخذتهم بترجمته وتكرار النظر فيه »

هذا ما قاله معالى الدكتور فى عام ١٩٣٥ ، ولا ريب أنه يتذكر هذا جيداً ، وذاكرته القوية خير شفيع لذلك . والآن وأمر التعليم قد وكل إلى معاليه يحسن بنا أن نذكره بهذا الأمر الهام الذى أشار إليه فيما مضى وأخذ على عاتقه أمر تحقيقه لو أن إليه أمر التعليم فى مصر ..

ولست أريد بهذه اللفتة الخاطفة ذلك الكتاب الذى ذكر بالذات ، وإنما أومىء إلى الرأى وأنوه بالغرض الذى رمى إليه . والكتب الفرنسية وغير الفرنسية التى كتبت عن مصر بعد (تحت سمائك الزرقاء) كثيرة متنوعة ، ومعالى الدكتور هو أدرى الناس بها ، فليتخذ ما يشابه منها كتاب القاضى شارل وليضعه تحت الغرض الذى أراده من فقرته السالفة .

إن هذا الرأى هام جداً ولا أحب أن أذكر ما عليه من الأهمية وما له من الفوائد الجلية ، فحسبي ما جاء فى فقرة معاليه وفى مقاله الذى حوى هذه الفقرة .

فاليه أبعث بهذه التذكرة عسى أن تجد لديه ما ترى إليه من فائدة للأمة وللمتعلمين ، وفقه الله إلى كل خير فى سبيل هذه الأمة المصرية التى نتنشق نسماتها ونحيا تحت سمائها الزرقاء ..!

أحمد طه السنوسى

ولا أريد أن أتوسع فى التعليق على هذه الرسالة قبل أن أسمع آراء إخواننا الأزهريين ، أساتذة وطلاباً ، فى قيمة هذه الكتب المعقدة التى تفرض على طلاب العلم فى هذا العصر ، وأسأل : هل انتفع الأزهريون بما حصلوه من العلوم الحديثة وما رأوه من طرائقها ، فى ثقافتهم الأزهرية الأصيلة ؟ أما مسألة « المقروء والمقرر » فهى ظاهرة ، كتب تتوارث الأجيال الأزهرية فهم عباراتها ومدلولاتها ، ليس من العدل أن يكلف الطالب إدراك معمياتها وحده ، فلا هم يجرون على طريقة « التوقيف » القديمة ، ولا هم يجملون المقصود تحصيل العلم من مراجع يتيسر التحصيل منها .

عباس خضر

الدكتور طه حسين وجمهورية أفلاطون

حكام الدولة المثلى فى جمهورية أفلاطون هم الفلاسفة الحائزون لروح الفلسفة وقوتها ... يقول أفلاطون : « ما لم تجتمع الحكمة والزعامة والسياسة فى رجل واحـد ، لا تستطيع الدول أن تشفى من أدوائها ... ولا الجنس البشرى » . واستطرد قائلا « إن هؤلاء الفلاسفة بعد أن يجتازوا الامتحان الأول والثـانى ... « جمهورية أفلاطون ٤١٥ تلخيص صروف » يجب أن ينزلوا من قمم الفلاسفة إلى ظلمات الكهف وإلى عالم الناس والأشياء ، وهنالك يخوضون معمعة الحياة ويصطدمون برجال الحيلة والدهاء ، وفى ميدان هذا النزاع يتعلمون من كتاب الحيـاة المفتوح أمامهم .

قد يؤذى الكفاح أصابعهم ، وقد تجرح حقائق الحياة بعض مذاهبهم الفلسفية .

وها هو اليوم الدكتور طه حسين بك الذى سبر أغوار الحياة ، واصطدم بغدر الناس ومكرهم ، وأذى الكفاح أصابعه ، وجرحت حقائق الحياة بعض مذاهبه الفلسفية ، يتولى وزارة المعارف المصرية ، أى الدولة القائمة بشئون التعليم ، فى المملكة المصرية لا فى جمهورية أفلاطون ، ولا كما يعيش بعقله الكبير وخياله الواسع فى الفلسفة اليونانية ، بل فى دنيا الواقع وفى عام سنة ١٩٥٠ . أمد الله فى عمر العلامة العظيم ، وهيأ للعرب دولة مثلى تقوم على أكتاف مثل طه حسين .

الدويم — سودان **مصطفى شكرى**

جنة الحيوان — لمعالى الدكتور طه حسين بك

إذا استطاع الكاتب أن يوقظ وجدانك ، ويثير إنفعالك ، ويخلق فى نفسك عاطفة نحو ما يعالج فقد أدى رسالته الفنية أبلغ أداء . وإذا قيس كتاب — الدكتور — بهذا المقياس فلاشك أنه يرجح رجحانا كبيرا . وهو فى هذا الكتاب يتناول بعض ما يطفو على سطح المجتمع من مظاهر شائنة ، وأعراض لأمراض خلقية وإجتماعية وفكرية ؛ ولا يزال — الدكتور — يصور لك ألوانها ، ويأخذ بيدك تارة ليطوف بك فى ميادينها ، وتارة ليرجع بك إلى أسبابها ومنابعها ؛ ثم يرسم طريق النجاة من عقابيلها ؛ كل هذا وأنت مأخوذ بسحر العرض وإبداع التصوير ، وإذا به يعمق شعورك بما يعرضه عليك . ويذكى يقظتك إلى هذه الألوان فى محيطنـا ، ويغذى وعيك الاجتماعى ، والفكرى . وينشطه ويحييه ؛ وإذا وصل بك الكاتب إلى هذا المرتقى فقد أخصب شـــخصيتك وأرهف حسك

والدكتور — لم يقصد أن يجرح أشخاصا بقدر ما يهمه أن يعالج أمراضا ، ويزيل عيوبا ، ويحل مشاكل . فإذا اتخذ هــــذه الشخصية أو تلك ليدير حولها الحديث فما كانت شخصية هؤلاء بالهدف الأصيل بل هى وسيلة إلى تقويم القيم الاجتماعية والفكرية . أنظر إلى — الدكتور — يصور بعض الشخصيـات المطبوعة بطابع المكر والدهاء والتى يطلق عليهـا لفظ — الثعلب — ليلخص لك جوهر هذه الشخصية فى هـذا اللفظ الواحد الذى كأنه المصباح يضىء لك كل جوانب الشخصية . فيقول : لو رأيته قبل العشرين سنة ياسيدتى لما أنكرت منظره هـــذا الغريب حين يقبل متدحرجا كأنه البرمة المـائلة لم ترتفع فى الجو كثيرا ولـكنها إتسعت عن يمين وشمال ، وامتدت من خلف وامام . وهى تسعى مع ذلك خفيفة لا تكاد الأرض تحس لها ثقلا لأنها من لحم وعظم ، ولم تتخذ من حجر وصخر . ولو رأيته قبل عشرين سنة ياسيدتى لما أنكرت منظره هذا الغريب حين أقبل لحيا ثم تقدم يسعى حتى إذا بلغ مكانه جلس وكأنه الكثيب المنهال . فكان الناظر إليه يسأل نفسه لأول وهلة : أيرى إنسانا جالسا أم يرى كومة من الرمل قد استخفى فيها شخص ضئيل لا يكاد يظهر منه الاتقاطيع وجهه ضئيلة غائرة لولا هذا الصـــوت

الذى يخرج منها ضئيلا نحيلا، ولولا هذا الشر، الذى يتطاير من عينين صغيرتين لا تفتح عنهما الجفون إلا فى بطء بطىء وثقل ثقيل كأنما يشد بخيط قد ركب فى قفاه . وقام شخص من ورائه يجذبه متكلفا بين حين وحين ويمضى — الدكتور — فى تصوير خصائص هذا — الثعلب — الجسمية والخلقية والعلمية بهذا الأسلوب الطيع الذى يشف عن معانيه . ويبرزها كما تبرز المرآة ما يتراءى على صفحتها من الوجوه والملامح ... أرأيت جمال هـذه الصـــورة التى صورها — للثعلب — فى قصره . وضخامة جسمه؟ وما أظرف وأفكه تشبيهه بالبرمة الهائلة التى لم ترتفع فى الطول ولكنها اتسعت عن يمين وشمال وامتدت من خلف وامام. ثم يصوره جالسا بالكثيب . قد لا توافق الدكتور فى هـذا الرأى أو ذاك، ولكنك لا تستطيع أن تملك اعجابك به فى العرض والتصـوير والتحليل . هـذا هو الجانب الفنى فى هذه الفصول الممتعة التى ينسقها فى كتابه الجديد — جنـــة الحيوان

محمد عبد الحليم أبو زيد

تصحيح :

فى قصيدة الأستاذ ابراهيم الوائلى المنشورة فى العدد الماضى بعنوان (فيوم) كلمات تصحح كما يلى :

فى البيت الثانى : يمرحن ، وفى السابع : سـائل الظل . وفى الحادى عشر : ثم أغفت . وفى الخامس والثلاثين . نهزة العيش حلم ، وفى ماقبل الأخير . فى الرماد المذاب .

سكك حديد الحكومة المصرية

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بناء على طلب مجلس التموين الأعلى ولضرورة استعمال القاطرات فى نقل مواد التموين تقرر أبطال مسير القطارات الآتى بيانها إعتبارا من أول مارس سنة ١٩٥٠

القطار	رقم	الذى يغادر	الساعة	ويصل	الساعة
قطار الاكسبريس رقم	٩٩١ الذى	يغادر مصر	الساعة ٨٫٣٠	ويصل الاسكندرية	الساعة ١١ر١٠
« « «	« ٩٩٣	« «	« ١٧٫٣٠	« «	« ٢٠٫١٠
« « «	« ٩٩٠	« الاسكندرية	« ٨٫٠٠	« مصر	« ١٠٫٤٠
« « «	« ٩٩٢	« «	« ١٧٫٠٠	« «	« ١٩٫٤٠
« « «	« ٩٥١	« مصر	« ١١٫٤٠	« دمياط	« ١٥٫١٥
« « «	« ٩٤٩	« طنطا	« ١٨٫٤٥	« «	« ٢١٫١٥
« « «	« ٩٥٠	« دمياط	« ٧٫٢٠	« مصر	« ١٠٫٥٠
« « «	« ٩٤٨	« «	« ١٥٫٥٠	« طنطا	« ١٨٫١٧
« الركاب «	« ٢٨١٣	« مصر	« ١٧٫١٥	« كفر صقر	« ٢١٫١٠
« « «	« ٢٨٠	« كفر صقر	« ٢١٫٢٠	« الزقازيق	« ٢٢٫٢٠
القطار السريع «	« ١٦٠	« مصر	« ١٢٫١٥	« الأقصر	« ٢٢٫٠٠
« « «	« ١٥٩	« الأقصر	« ٥٫٠٠	« مصر	« ١٤٫٥٠
قطار الاكسبريس «	« ٧١٤	« مصر	« ١١٫٠٠	« أبو كساه	« ١٣٫٥٠ سيلغى

مسيره بين مصر الواسطى ويستمر بين الواسطى وأبو كساه ويقوم من الوسطى الساعة ١٢٫٢٥ .

قطار الاكسبريس رقم ٧٣٥ الذى يغادر أبو كساه ١٤٫٠٥ ويصل مصر الساعة ١٦٫٥٥ سيلغى مسيره بين الواسطى ومصر

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات الأقاليم طبعة سنة ١٩٥٠

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات الوجهين البحرى والقبلى طبعة سنة ١٩٥٠ والاعلان فى الدليلين المذكورين له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسعار زهيدة .

ولزيادة الايضاح اتصلوا:—

بقسم النشر والاعلانات بالادارة العامة —

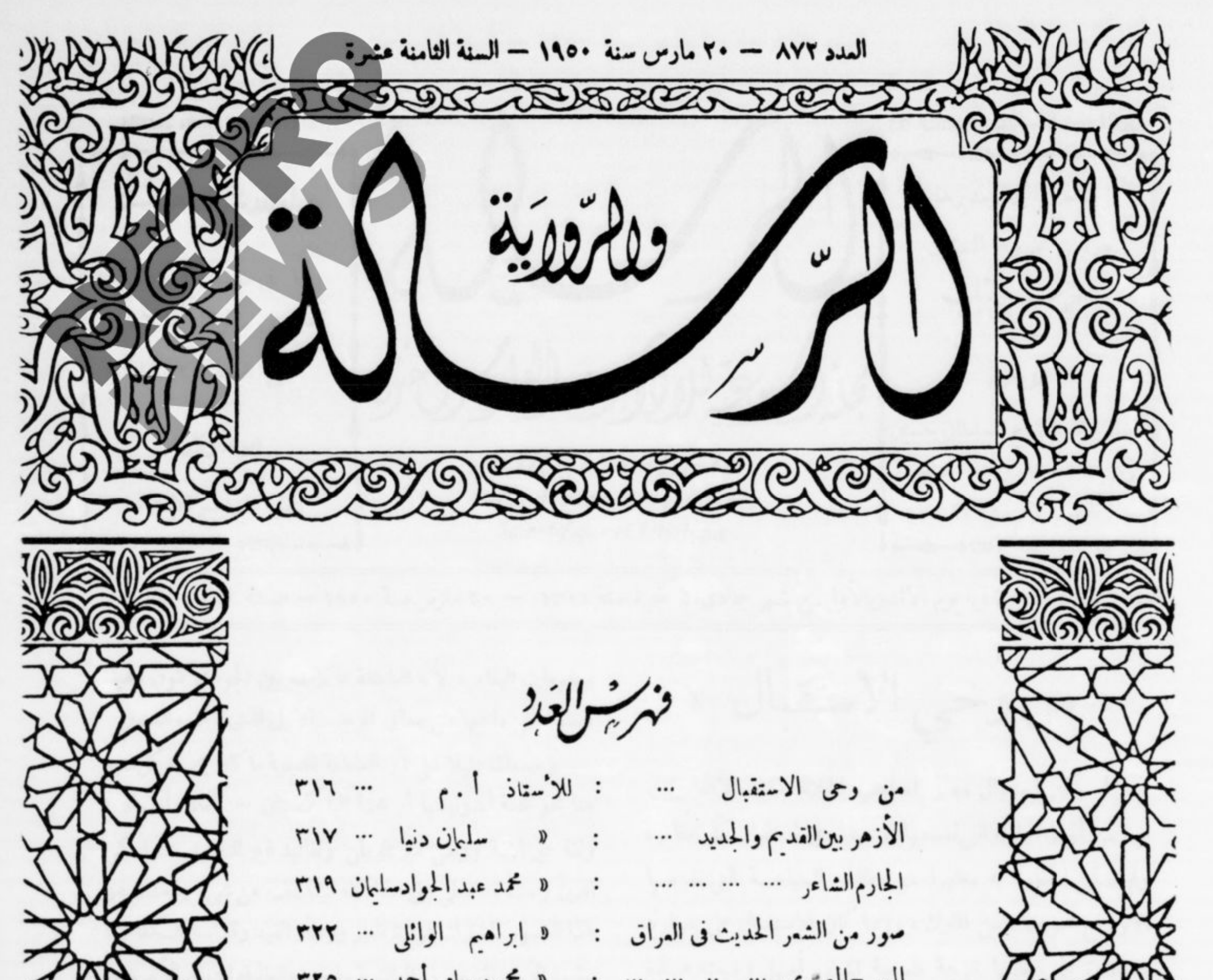
بمحطة مصر



فهرس العدد

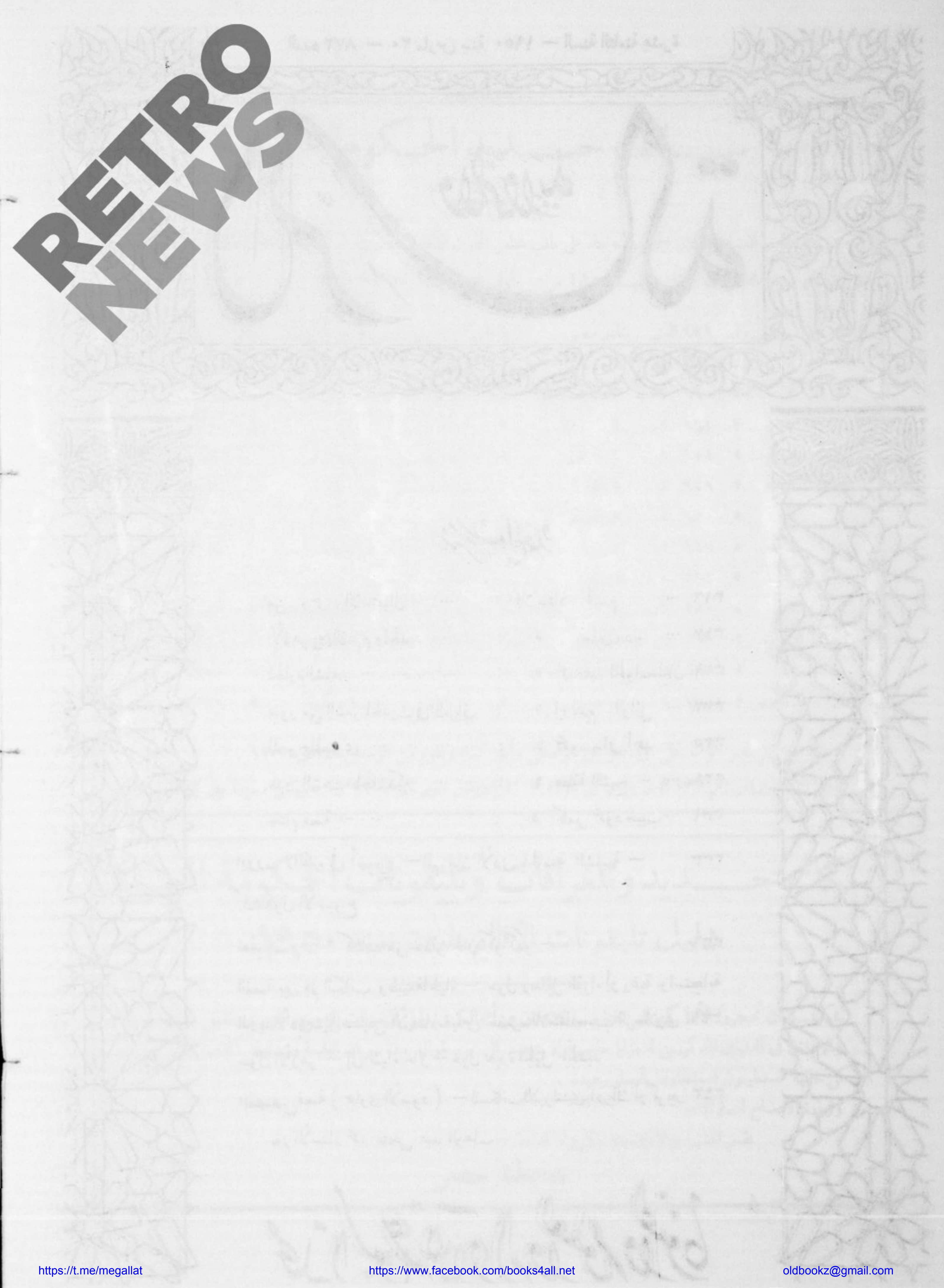
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

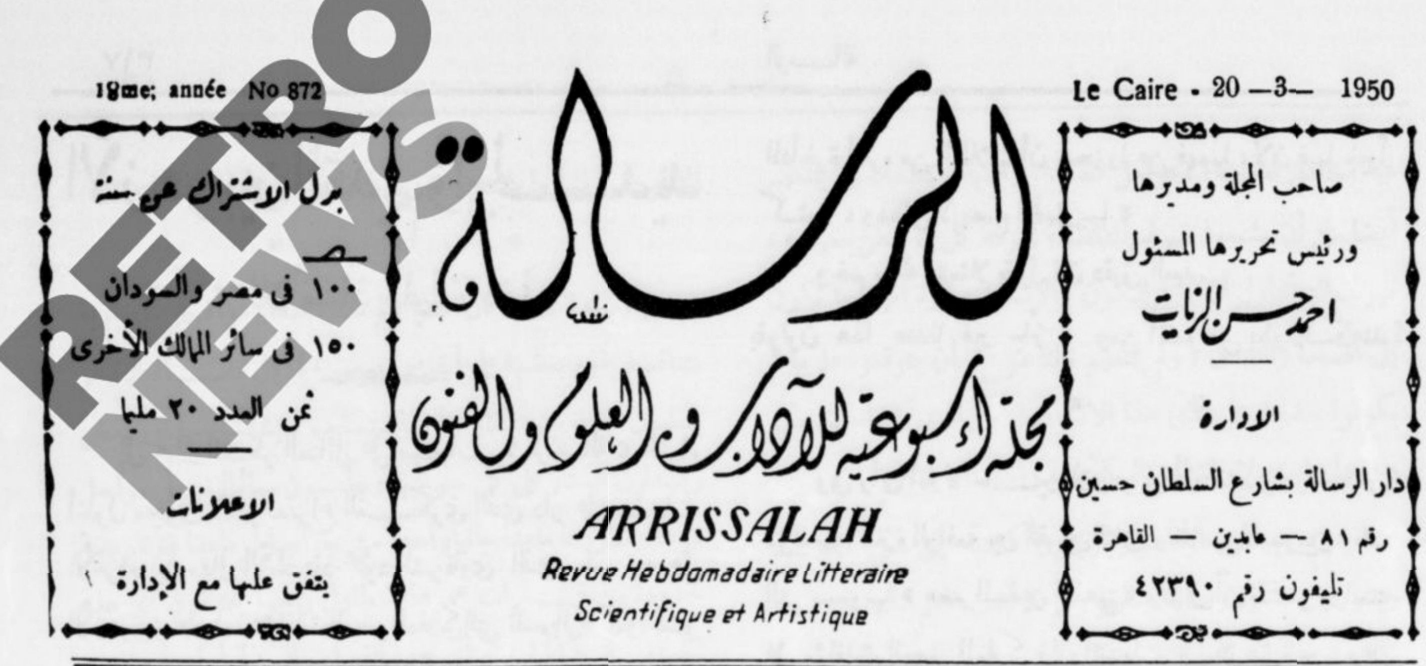
العدد ٨٧٢ — ٢٠ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




18me année No 872

Le Caire - 20 —3— 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٢ « القاهرة في يوم الاثنين الأول من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ — ٢٠ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

« من وحي الاستقبال »

لم يكن استقبال مصر لصاحب الجلالة ملك الأفغان لونا من ألوان المجاملة التي تصنعها الرسميات في استقبال كل عظيم، ولم تكن الحفاوة به مظهرا من مظاهر السياسة التي تفرضها الأوضاع نحو ملك من الملوك، وإنما كان الاستقبال على حرارته والحفاوة على بهجتها نتيجة طبيعية لشعور أصيل، مبعثه هذه القرابة الروحية العميقة بين قلوب شعبين مجتمعين حول دين واحد وأبلغ الدلالة على مثل هذه الشعور هو أن الملك « الأفغاني » لم يكن ضيفا عظيما على الشعب المصري، بقدر ما كان الملك « المسلم » ضيفا كريما على مصر المسلمة!!

وإذا رحت تعدد أواصر القربى بين شعبين يلتقيان على الجوار أو يفترقان لبعد الديار، فلن تجد أصدق ولا أجل من أواصر الدين والتقاليد واللغة ... ومدار الصدق فيها أو مدار الجمال أن آصرة منها قد تغني عن الآصرتين، حين لا يكون هناك بد من وجود بعض الفوارق بين تلك الأواصر الثلاث! فاللغة قد تحل محل التقاليد والدين حين يرجى التقريب بين شتى الميول والأهواء، وقد يقوم الدين مقام اللغة والتقاليد حين ينشد التوحيد بين مختلف العواطف والنزعات، وقد تحقق التقاليد كثيرا من تلك الأمور حين لا يكون الدين واللغة تراثا مشتركا بين الشعوب. ولكن أثر الدين في التقاء النفوس على التآزر والتضافر والإيثار والحب، هو أقوى الروابط الإنسانية وأحفلها بصفات الألفة ومقومات البقاء، لأنه العاطفة الكامنة بين الجوانح كون الحياة نفسها بكل ما فيها من معاني الوجود الأزلي الذي لا تحده العصور!

وحسبك دليلا على أثر العاطفة الدينية ما كان يحسه كل مسلم هنا نحو محنة أندونيسيا أو محنة الباكستان ... آماد وأبعاد، ولغة غير اللغة ووطن غير الوطن وتقاليد غير التقاليد، ولكن الدين وحده قد غطى على هذا كله ليكشف عن شيء واحد: هو هذا الشعور المشترك بمرارة الظلم ووطأة القيد وقداسة الكفاح، يعقبها الأمل الموحد بزوال النقمة وانقشاع الظلمة وانتصار الأحرار.. وليس من شك في أن تلك الدفقات الشعورية المتسامية قد انثالت على خاطر الضيف العظيم وهو يشهد التفاف القلوب المسلمة من حوله، حتى إنه ليتحدث عن تلك الدفقات المنثالة بمثل هذه الكلمات: « إنني لأشعر شعوراً عميقا بأن في الإسلام قوة كامنة في تعاليمه ومبادئه، وإن نظاما فيه هذه القوة لا يمكن أن يقهر، وإن الأحداث التي يشهدها العالم ستحرك هذه القوة العظيمة الكامنة بين المسلمين »!

كلمات فيها كل الحق الذي يؤيده تاريخ الإسلام وتؤكده صفحات ماضيه.. وإنها لكلمات من شأنها أن تهز جمود الحاضر وتشعل جذوته الخابية وتنعش روحه الغافية، وتفتح عيون بعض الناس على كثير من الحقائق التي نسيتها بفعل المطامع والضغائن والأحقاد! نعم؛ إن في الإسلام قوة كامنة كما يقول صاحب الجلالة الأفغانية، قوة من طبيعتها ألا تقهر إذا صفت الضمائر وخلصت السرائر وشرفت الغايات، ولكن أين نحن من هذا كله ومأساة فلسطين قد قدمت الدليل كل الدليل على أن

الأزهر بين القديم والجديد

للأستاذ سليمان دنيا

إلى مجال الفكر الصائل على صفحات «الرسالة» الغراء أحول مجرى ذلك الصراع الفكري الذي دار على صفحات الأهرام بين مقال الأستاذ محمود الشرقاوي الذي عاب فيه على الأزهريين تمسكهم بمؤلفات العصر المملوكي التي تتسم بالركاكة والحشو والتعقيد والجمود، والذي تمثل فيه بقول الشاعر:

عذيري من قوم يقولون كلما طلبت دليلا: هكذا قال مالك.

ودعا فيه إلى الأخذ بالأقدم والأقوم من مؤلفات الفترة الواقعة بين القرنين الثاني والخامس الهجريين.

ومقال الأستاذ محمد على مخلوف الذي ذهب فيه إلى أن في مؤلفات العصر المملوكي من العلم النافع والأدب المفيد ما ينمي في النشء ملكات البحث والجدل والقدرة على التصرف في المناظرة. وأنها والحالة هذه، وبعد أن بذل الأزهريون جهودا موفقة في تنقيحها وتهذيبها، لا ينبغي لنا العزوف عنها واللجوء إلى سواها. واستشهد لوجهة نظره بقول الإمام المراغي.

«إني على بغضي لأكثر الكتب التي ألفت في العصور المتأخرة أكره من الطلاب أن يعجزوا عن فهمها، لأن فيها خيراً كثيرا، ودقائق لا يصح الجهل بها»

وختم مقاله متمثلا بقول ابن دقيق العيد.

يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتمو حتى يكون لكم عند؟

* * *

وفي رأيي أنه لا خير للأزهر في أن تقتصر دراسته على مؤلفات الفترة الواقعة بين القرنين الثاني والخامس الهجريين، تلك التي يسمونها «عصر المسلمين الذهبي» ولا في أن تقتصر دراسته على مؤلفات العصر المملوكي وإن اشتملت على كل علم نافع، وعلى كل أدب مفيد، وحتى لو بلغت جهود الأزهريين في تنقيحها وتهذيبها الغاية التي ليس بعدها من غاية.

وإنما الخير كل الخير للأزهر في أن تكون دراسته مستوعبة تتناول المؤلفات منذ عرف المسلمون التأليف والتدوين. تدرسها وتتبين أسلوبها ومنهجها وموضوعاتها.

ثم تنتقل إلى فترة تلي ذلك وتصنع بها نفس الصنيع، ثم تنتقل إلى فترة ثالثة، وهكذا ما تزال تنتقل من فترة إلى فترة ومن عصر إلى عصر حتى ينتهي بها المطاف إلى مؤلفات العصر الراهن. وهي في تضاعيف كل ذلك تبين الصلات بين الآراء والنظريات، وتعقد المقارنات بين العصور والفترات.

ينبغي — في رأيي — أن يفصل الأزهر كل ذلك ليؤدي واجبه نحو كل عصر من العصور وعهد من العهود، وليؤدي أيضاً واجبه نحو نفسه، إذ ليس واحد منها أولى من كل ما عداه بكده وجهده، وبأن يستوقفه عنده ويصرفه عن غيره.

إن العلماء من غير الأزهريين لا يحقرون عهداً من العهود، ولا يزورون عصراً من العصور وإنما يعطون كلا ما هو جدير به من عناية واهتمام، حتى أنهم ليدرسون الإنسان الأول في عصور ما قبل التاريخ، ليعرفوا أسلوب تفكيره وطريقة بحثه، والموضوعات التي استرعت انتباهه فأخضعها لتفكيره وبحثه.

إنهم يفعلون ذلك مع وثوقهم بأن الانسان الأول كان بدائيا في أسلوب تفكيره وطريقة بحثه، ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يدرسوه ليضعوا للعقل الانساني سجلا كاملا، نستطيع أن نتبين

بعض الأيدي لا تريد أن تتصافح، وأن بعض الرءوس لا تريد أن تتسامح، ولو ضاع في سبيل تلك الأثرة البغيضة كل مجد من أمجاد العروبة وكل قرية من قرى فلسطين وكل مبدأ من مبادىء والأخلاق؟!

إن هذه الروح المثالية التي تجلت في حديث صاحب الجلالة الأفغانية عن قوة الإسلام التي لا تقهر، لجديرة بإيقاظ بعض الضمائر التي سمحت لهذه القوة بأن تقهر وهي على أبواب تل أبيب!!

أ. م

فيه مراحل تطوره ، وعوامل نضجه ، وأسباب تقدمه ، ولم يمنعهم أيضا من أن يشبعوا ميولهم المتعطشة لمعرفة كل ما يمكن معرفته ، ميولهم التي تحاول أن ترسم للكون والانسان صورة أقرب ما تكون إلى الصحة والصدق ، ولم يمنعهم ثالثا من أن يتوقموا علم ما لم يكونوا يملون على يدى هذا الانسان الأولى الذى كان أسبق منهم وجودا واستجلاء لمشاهد الكون ، واستمتاعا بمنافعه .

إنهم يدرسون أرسطو ويترجمون كتبه إلى شتى اللغات ، ويشيدون بمآثره وفضله وسبقه رغم ما أثبت العلم الحديث فساد كثير من آرائه ونظرياته . وإنهم ليقسمون الزمن إلى عصور فيقولون — العصر القديم ، والعصر الوسيط ، وعصر النهضة ، والعصر الحديث ، ويدخلون تحت كل قسم من هذه الأقسام طائفة من الأبحاث والنظريات والأشخاص ، ويدرسون كل طائفة من هذه الطوائف على حدة ، ويعكف بعض الدارسين على أحد هذه العصور ، أو على شخصية من شخصياته أو على نظرية من نظرياته ، ليتخصص فيها ويسبر غورها ويجلو غامضها ، ويعكف بعض آخر على جانب آخر وهكذا حتى يتوزعوا جميع هذه الآراء والنظريات وتلك الشخصيات ويلموا بأطرافها بحثا وتمحيصا ونقدا وتدقيقا . وهم فى تضاعيف كل ذلك يعقدون المقارنات ، ويتبينون الروابط والصلات ، ويكشفون عن الأصل والفرع ، والتابع والمتبوع ، والناسخ والمنسوخ ، والزائف والصحيح ، ويخرجون من كل ذلك بسلسلة مترابطة من الأفكار والمعلومات ممتدة بامتداد الزمن متصلة باتصاله .

وإنه ليلذ للعالم الضليع أن يلم بأطراف الزمن ويتعرف صنوف التفكير وألوان الرأى فى المسألة الواحدة ، ويشوقه أن يتعرف وجهة نظر الأقدمين ووجهة نظر المحدثين وأن يقول حين يعلم أو يؤلف أو يناظر ، كانوا قديما يعتقدون فيها كذا ، ولكنهم الآن يعتقدون فيها اعتقادا غيره ، ثم يبسط وجهة نظر كل فريق ويناقشها ، وفرق كبير بين عالم هذا شأنه ، وآخر يلق حكمه فى نفس المسألة ناقصا مبتورا ، يدل على عدم دراية بما انتهى إليه أمر المسألة وآخر مرحلة من مراحلها ، وجهل تام بما قبل ذلك ، وبصنوف التفكير التى تواردت عليها ، ولولا الدراسة المستوعبة المتطورة ما نشأ ما يسمونه تاريخ النظريات أو تاريخ العلوم

* * *

خبرنى بربك ! ، إذا كان هذا هو شأن العلماء مع أفكار متضاربة متناقضة يقوم بعضها على أنقاض بعض ، فما بال علماء الأزهر يقطعون الصلة بين أفكار متآخية متساندة ، يشد بعضها أزر بعض ويسدلون الستار على كل جوانبها ويطمسون معالم الزمن فى مراحل نموها وتطورها ماعدا جانبا واحدا من جوانبها أو ماعدا فترة زمنية محدودة من فترات عمرها المتطاول راحوا يختلفون أى هذه الجوانب الكثيرة ، أو أى هذه الفترات الزمنية أولى بأن نقصر عليه جهودها ، ونخصه بعنايتنا ودراستنا وتدريسنا !؟

على رسلكم ، فليس بعض جوانب الفكرة أولى بالدرس والتمحيص من البعض الآخر ، ولا بعض الفترات الزمنية أحق من سواها بذلك . أدرسوا كل جانب ، ولا تقطعوا صلتكم بعصر من العصور ، وما كان الإمام المراغى بقولته تلك إلا حريصا على أن تكون دراستكم مستوعبة لا يفلت منها عصر من العصور حتى أشدها كراهية وبغضا ، لا أن يكون عصر من العصور مهما يكن له من خصائص ومميزات تسمو به على كل ما عداه ، هو كل معلومكم ، ومنه وإليه بدؤكم وانتهاؤكم !

سليمان دنيا
عضو بعثة الأزهر بانجلترا

الجارم الشاعر

للأستاذ عبد الجواد سليمان

(الوفاء فى شعره)

فى شعر الجارم ركن من الأركان العامرة يكاد يجزم كل من قرأ شعره فى أجزاء ديوانه الأربعة ، وتتبعه فى كل ما أذاعه أو نشرته له الصحف فى أواخر أيامه أنه أكثر الشعراء المحدثين نظماً فى هذا الميدان ، ذلكم هو (شعر الوفاء) والوفاء صفة إنسانية تجيش بها العاطفة اليقظة التى تهيم بحب من أحبت . وقد كان مظهر هذه الصفة فى شعر الجارم وفاؤه لمليكه ، والوفاء للملوك ولاء ، وولاء شاعرنا هو ذوب نفسه المؤمنة وعصارة وجدانه الصادق ، سجله فى عشرات القصائد ومئات الأبيات فى شتى المناسبات الملكية السعيدة . ثم وفاؤه لوطنه الصغير مصر ووطنه الأكبر الشرق ، ثم وفاؤه لأصدقائه من شعراء وعلماء وعظماء وأساتذة يحييهم عن حب وتقدير أحياء ، ويظل حافظاً لودهم باقياً على عهدهم فيرثيهم بعد مماتهم رثاء يترجم عما ينطوى عليه قلبه لهم من حب ومودة وإخلاص ؛ هذا إلى وفائه لمعاهده التى ورد فيها موارد الثقافة والمعارف يشيد بفضلها وينوه بذكرها ولا يتنكر لها ؛ للغته ينافح عنها ولدينه يذود عنه .

وسنقصر هذه الكلمة على النوع الأول من الوفاء (والوفاء بمعنى الولاء) الذى آثر به الجارم الجالسين على عرش مصر فأدى لهم ديناً فى جيده من شعر يبقى على الدهر خالداً توقعه قيثارة الولاء وتهتف به ألحان الخلود .

لم تفت الجارم مناسبة ملكية أو عيد من الأعياد (المصرية) إلا قيد لها أوابد فكره وتغنى بها فى بيان عذب وسحر مبين . وكيف يفوت الجارم شىء من ذلك وقد غمره مليكه بفيض من إحسانه فقربه منه ، وأصغى إلى شعره ينشده بين يديه ، وأغدق عليه فضله وأسبغ عليه إنعامه ؟

فى قصيدة له سماها (التاحية الكبرى) قالها بمناسبة تولى الفاروق سلطته الدستورية يصف الجارم هذا اليوم التاريخى العظيم ، فيجعله متوجاً على الأيام حتى إن الأيام التى سبقته فى الوجود لتأسف على تقدمها عليه ، ويود كل يوم منها لو حالفها حسن الطالع فتأخر ظهوره قليلا ليحظى بالشرف الذى ناله هذا اليوم ؛ ثم تغبطه الأيام بعده فيتمنى كل منها لو سعد فسبق فى صحيفة المقدور ليدرك المجد الذى أدركه يوم الفاروق وأنى لكل منهما أن يبلغ ما أراد أو ينال ما تمنى ؟

هذه العاطفة الجياشة بالولاء يخطها الجارم شعراً فيقول : —

يوم غدا بين الدهور مملكا	يوماً إليـــه مهابة ويشار
الأمس يجزع أن تقدم خطوة	وغداً أطار صوابه استئخار
يوم جنا التاريخ فيه مدونا	لله ما قد ضمت الأسفار

ثم يلتفت إلى المليك العظيم فيقول : —

يكفيه أن ينمى لأكرم سدة	سعدت بها الأيام والأمصار
بيت له عنت الوجوه خواشعا	كالبيت يمسح ركنه ويزار

وإن الصورة الحية الناطقة التى صور فيها التاريخ جاثياً على ركبتيه خاضعاً ذليلاً ليدون محامد هذا اليوم ، ويتلو صحفاً مطهرة من أسفاره لتدل على الطبع الشعرى الأصيل والخيال الواسع فى الجارم الذى يرهف سمعه وحسه للحوادث فيسجلها ويعبر عنها عن قلبه فلا يبدو فيها أثر الصنعة والتكلف .

وإن التورية التى تضمنتها كلمة (البيت) فى البيت الأخير لمن التوريات الطريفة التى لا تنقاد إلا لشاعر ملك ناصية البلاغة وقبض على أزمة التصرف فى فنون القول ليختار منها ما يهز القلوب ويبهر البلغاء ، فقد لاءم فيها الجارم بين خيال شعرى جميل ونفحة روحية استقاها من نبع ثقافته الدينية ، فالحج ركن من أركان الإسلام ، والحجاج فى حجهم يزورون الكعبة وهى البيت الحرام قبلة المسلمين ثم يطوفون حولها ويتمسحون ببعض أركانها خاشعين لله قد عنت وجوههم ؛ متجردين إلا من لباس التقوى .

والشعراء يدونون التاريخ بلغة الشعر لأنهم لا يقوون على سرد الحوادث جافة مجردة بل يلقونها فى أفواف من تلك النفحات القدسية التى آثرهم الله بها ، ويرسلونها أنفاساً شعرية تلين ما جف من حوادث التاريخ .

والجارم فى أبياته الآتية يسير على هذا السنن الشعرى ، فهو يلم فيها بما كانت عليه حال مصر قبل محمد على جد الفاروق ، من

ضعف وتدهور ، وجهل وفوضى ، ثم كيف انتعشت وتقدمت عند ما تولى أمرها جد الأسرة العلوية ، فضم الصفوف ووحد القوى ، فبعثها من مرقدها فهبت متحفزة متوثبة تخطب المجد وتنشد الحياة الحرة الكريمة ، ثم يذيل هذه الأبيات ببيت حكمى ضمنه مقابلة طريفة حيث يقول : —

العلم يخفق للزوال سراجه   والعدل منـدك الذرا منهار

والناس فى حلك الظلام يسوقهم   نحو الفناء تخبط وعثار

فبدا (محمد كم) فهب صريعهم   حيا كذاك البعث والإنشار

والتفت الرايات حول لوائه   ودعا النفاة إلى المسير فساروا

وأعاد مجـــد الأولين بعزمة   إيرادهـا لله والإصدار

إن النفوس تضيق وهى صغيرة   ويضيق عنها الكون وهى كبار

ووفاء الجارم الشاعر من نوع الوفاء الراكز فى النفس الممزوج بغرائزها الذى لا يفارقها ولا يتخلى عنها فى ساعة من ساعاتها . وهل يخرج الإنسان على طبعه الذى طبع عليه أو يحيد عن فطرته التى فطره الله عليها ؟ إنه لو حاول ذلك مرة لخانته طبيعته فجاء شاذاً مقلداً، يفضحه تقليده ويدل عليه شذوذه ولا يخفى على الناس تكلفه . ووفاؤه لمليكه يلهمه فى عيد ميلاده أبياتاً جديرة أن تسمى بحق (شعر الولاء) عند ما يؤرخ لهذا اللون من الشعر فى أبواب الأدب العربى المعاصر .

ففيها يصور (الفاروق) أستاذاً يلقن دروس الوفاء ، وقد اتخذ النيل منه مجلس التلميذ ؛ فتعلم من المليك الوفى لبلاده الوفاء بمائه ، والنيل لذلك بقى على طول طريقه حتى أصبح مضرب المثل فى الوفاء بمائه وخيراته كل عام؛ وماؤه بالفاروق أعذب مورداً من ماء الحياة ، بل إن ماء الحياة أثارة من مائه : —

النيل بالفاروق أعظم مورداً   ماء الحياة ثمالة من مائه

علمته صدق الوفاء فأصبحت   تتحدث الدنيا بصـدق وفائه

ومنحته خلق العطاء فغردت   صداحة الوادى بفضل عطائه

يصف الجارم فى بيتين بعد ذلك مليكه بأنه رجل الدين والدنيا فيأتيان بمنجاة من الزلل إذ يقول : —

الدين والأخلاق ملء جنانه   وجلالة الأملاك ملء ردائه

يهتز فى برد الشباب كأنه   سـيف يدل بمائه ومضائه

حالف الجارم التوفيق فى هذين البيتين كشاعر يمدح ملكا ؛ فلم يزلّ كما زلّ شاعر المأمون من قبل عند ما امتدحه بقصيدة قال فيها :

تشاغل الناس بالدنيا وزبرجها   وأنت بالدين عن دنياك مشغول

حتى إن المأمون لم يرتض منه لنفسه هذا المدح حيث أظهره فيه مظهر رجل من رجال الدين الزاهدين الذين نسوا حظهم من الدنيا فقال له : ويحك ، هلا قلت كما قال جرير فى عمر بن عبد العزيز : —

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه   ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ثم هو يؤكد هذا المعنى فى مناسبة عيد الجلوس، فاخراً بدولة الفاروق القوية التى أصبحت بفضل ملكها وتمسكه بأهداب دينه موئل الاسلام وملاذه فيقول : —

ملك من النور قد ضاءت دعائمه   كأنما شـيد من هالات أقمار

ودولة ركز الإسلام رايته   فيهـا على طود تاريخ وآثار

وفى مناسبة تهنئته بعيد الفطر فيقول : —

إذا اصطنع الله أمراً جل سعيه   وعمت أياديه وطابت نقائبـه

به ازداد دين الله عزاً ورددت   منـــابره آلاءه ومحاربه

وقور بدرس الدين يطرق خاشعاً   من النسك يرجو ربه ويراقبه

بجانبـه الشعب الوفى يحوطه   وترجمـــه أعضاده ومناكبه

تحلى به عصر الرشـيد وعزه   وسالف عهد الراشدين وذاهبه

ثم يوفق إلى هذا المعنى الجليل فى مناسبة أخرى منشداً فى الفاروق : —

قدوة للشباب قد عرف الجيـ   ـل طريق الحياة من خطواته

مرة سامقاً على صهوة الخيـ   ـل وأخرى مطامناً فى صلاته

وفى غيرها فى سهولة وإشراق قائلا فى مملكة الفاروق :

شهدت بعطلمك الحيا   ة تفيض بالنعم الزواخر

ورأت مخايل دولة   فوق النجوم لها معابر

وتطلـــع المحراب فى   جذل وأشرقت المنابر

واستبشر الدين الحنيـ   ـف بخير من يحمى الشعائر

ومدينة (رشيد) بلد الجارم قد شرفت بزيارة ملكية سعيدة ؛ فلم تنسه غمرة الفرح التى عمت بلده بشرف الزيارة حق الوفاء لمليكه بل يسجل ولاءه فى هذه المناسبة فيخلع على رشيد ثوباً قشيباً تزهو به على الأيام بين البلدان . فبزيارة الملك لرشـيد أصبحت

طريقها تبراً وكانت قبل تراباً . —

جزت الطريق فصارت تبرا وكانت تراباً

وتخيلها اهتز طرباً تشوقاً إلى طلعة المليك :

والنخل ماست ومالت تشوقاً واجتـــذابا

قد هزها الشوق حتى كادت تجارى الركابا

وثغرها قد تفتحت أساريره ، وبسم عن ثغور — فواحة بالعطر — بسمة حبيب أذهلت حبيبه عن لومه وعتابه : —

والزهر ينضح عطراً بين الربا وملابا

له ابتسـام حبيب أنسى المحب العتـابا

وطبيعة رشيد السحرية شاركت أهل رشيد الحفاوة بالملك ، فتطامنت هضابها وحنت رقابها وكانت قبل الزيارة عالية شامخة ، والبحر لا ينتظر حتى يرده الفاروق بل هو يسعى إلى بحر مثله ليستقبله لأنه أكثر منه عطاء وأسخى جناباً والنيل قد سار فخوراً مدلا بسفينة الفاروق فوق متنه . —

تطامنت هضبات ماذا أصاب الهضابا

كانت تسامى الثريا واليوم تحنى الرقابا

والبحـر يدنو ويعلو تطلعـاً وارتقـابا

لـما تلقاك قلنا لاقى العباب العبابا

فاروق أعظم نفساً منه وأسخى جنابا

يزجى السحاب ثقالا وأنت تزجى الرغابا

والنيل ينساب تيهاً بين المروج انسيابا

ثم يصور رشيد وقد خرجت شيباً وشباناً تجتلى طلعة المليك ، ورنت مآذنها وقبابها تتمنى أن تخوض مياه النيل للقيا المليك لو قدر لها ذلك : —

لولا السفين لهامت (رشيد) تعدو وثابا

وأقبلت وهى ترنو مآذناً وقبـابا

تود خوضا إليـه لو استطاعت ذهابا

ثم لا يترك هذه الظواهر من غير أن يعلل لها تعليلا نفسياً يظهر فيه أثر ثقافته ومعرفته بالنفوس وطبها فيقول : —

والشوق إن غال نفساً لا تستطيع غلابا

وولاء الجارم لمليكه المحبوب لم ينسه حتى فى أشد حالات سروره وفاءه لأبيه الملك الراحل ، وذلك شأن النفوس الكريمة ذات البداهة الثاقبة ، وإن من وفى للغائبين كان وفاؤه للحاضرين أولى وأجدر ؛ فالمغفور له الملك فؤاد أعلى من قدره واستمع إلى شعره ، فتراه هنا يستطرد إلى ذلك فى إلماعة لبقة تنبعث من منابع نفسه قائلا : —

أبوك راش جناحى حتى لمست السحابا

وكان يصغى لشعرى وكان شعرى عجابا

وفى قوله (وكان شعرى عجاباً) إشارة من الإشارات الدقيقة الخفية إلى ما كان عليه الملك فؤاد من تذوق للشعر ، وهى إشارة تعفى الجارم من مؤاخذته على الفخر فى مقام مدح الملوك ، ولعل تعبيره هنا (بكان) يشفع له ويجعل السامعين يتحسرون معه على أيام شبابه الخوالى .

أما وفاء النفس الطاهرة ، وولاء القلب الواله الذى لا ينسى الجميل والاحسان ؛ وأما دموع الوفاء السخينة وزفراته الحارة ، وأما ولاء الرعية الملوك فاستمع إلى الجارم يتلوه فى رثاء الملك فؤاد لتعرف كيف يكون حزن الأوفياء ورزؤهم فيمن وفوا لهم : —

حملوه وإنما حملوا آ مال شعب بزهرها الغصن تندى

حملوا حامى الحقيقة والدين كما تحمل الملائك عهدا

ما على الدهر مرة لو توانى ؟ أو على الدهر ساعة لو تهـدا

قد نعينا فرداً به كان عصراً وفقدنا عصراً به كان فرداً

إنما النـاس بالملوك وأعلى الا ملك شأواً ماكان حباً وودا

يا مليكى والحب يطحن نفسى كلما قلت : خف قال : سأبدا

أين تلك الهبات للعلم تزجى ؟ وجميل العزاء بالحر أجدى

نحن لله راجعون وكل بالغ فى مجـالة العمر حدا

غير أن الفتى يغالبه الدمـــع فلا يستطيع للدمع صـــدا

ثم يعلل نفسه ، ويخفف من حزنه على الملك الراحل ، بذكر الفاروق — وفاء له — فى مقام الولاء لأبيه ، فهو أمل الشعب المرجى ، قد قرأ خطه فى ملامحه وعلق آماله على مليكه وسلطانه .

أمل الشعب فى خليفتك الفا روق أحيـا آماله وأجدا

قرأ الشعب فى ملامحه الغ ر سطور المنى وأبصر جدا

ورأى فيه نبعة المجد والنب ل أبا مفرد الجلال وجدا

لم يجـد للعلا سواه مثيلا ولبـدر السماء إلاه ندا

لقد صدر الجارم فى قصائد ولائه عن طبعه الشاعرى ، فلم

يقهر المعانى أو يحشر الألفاظ بل انثالت عليه المعانى فى تداع طبيعى وانقادت له الألفاظ آخذا بعضها برقاب بعض، وواتته القوافى فى طيعة لينة فكان فى ذلك كأنه من قصده ابن قتيبة فى قوله (والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافى، وأراك فى صدر بيته عجزه وفى فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة ...) ولعل سر نجاحه فى هذا الباب صدق عاطفته وقوة شعوره، فإن صدق العاطفة وعمق الشعور يكسبان الأسلوب صفة القوة متى كان صاحبهما قوى السلطان اللغوى خبيراً بفن التعبير وما نظن أن حظ الجارم من هاتين الميزتين قليل.

وبعد فهذا ولاء الجارم لعرش بلاده هتف به فى شعره وشدا به فى بيانه بعد أن آمنت به نفسه لجعله فرضاً لازماً عليه وعلى الشعب فقال: —

إذ الشعب والاه فذلك فرضه وإن هو فداه فذلك واجبه

عبد الجواد سليمان
المدرس بمعلمات سوهاج

صور من الشعر الحديث في العراق

للاستاذ ابراهيم الوائلي

الكاظمي

لم يطل مكث الشيخ عبد المحسن الكاظمى فى العراق فقد هاجر منه إلى مصر سنة ١٨٩٧ م وهو فى السابعة والعشرين أو الثانية والثلاثين واستقر به المقام فى القاهرة سنة ٨٩٩ م والتاريخ يحدثنا أن الكاظمى ترك العراق مرغماً من قبل السلطات الحاكمة وقد كان تركه هذا أشبه شىء بالهرب. ويقول الذين أرخوا هذه الفترة من حياته: إنه اضطهد بسبب اتصاله بالسيد جمال الدين الأفغانى عند مروره بالعراق لأنه تأثر بمبادئه واقتبس من آرائه فغضبت عليه السلطات واضطرته إلى مغادرة العراق. غير أن الذى وجدناه فى ديوان الكاظمى لا يدل على مناهضته للسياسة العثمانية يوم كان فى العراق بل وجدناه شاعرا مؤيدا لهم هاتفا بمجدهم؛ وقصيدته « حرب الحياة الباقية » المنشورة فى الجزء الأول من ديوانه دليل واضح على تأييده للعثمانيين وحثهم على محاربة الأوربيين وبخاصة دول البلقان متى ثارت عليهم فى أواخر القرن التاسع عشر ومن هذه القصيدة:

حماة العلى قد آن حصد الجماجم أقيموا العلى واستأصلوا كل هادم

* * *

حماة العلى طال السكوت فماذر إذا نطقت أسيافكم فى الجماجم
خصومكم ضلوا وطاشت سهامهم وما وسموا إلا بشر المياسم
رعاياكم يا آل عثمان أصبحوا ملوكا. وملك البغى ليس بدائم
أرى دول البلقان طالت أنوفها على دولة آثارها فى المخاطم

والقصيدة طويلة وكلها مدح واستنهاض. ولا نستطيع أن نفسر هذا المنحى الذى نحاه الكاظمى ازاء سياسة الأتراك إلا بالعاطفة وحدها وهى التعصب للاسلام؛ فهو إذاً لا يعدو هذه العاطفة الاسلامية التى أنسته كل شىء فلم يقف فى طريقه ما عاناه العراق من تدهور ومآس فى ظل الحكم العثمانى

ولا نريد أن نحاسب الكاظمى على هذا الموقف الذى وقفه ما دام منبعثا عن حسن نية وصفاء عقيدة. على أنه موقف واحد سبقته مواقف لا ترضى العثمانيين، وتلته مواقف أخر فيها الشدة والصرامة عليهم. أما الأولى فدليلها السخط الذى انصب عليه فاضطر إلى الهرب، وما يرويه المؤرخون من أن له مذكرات قذف بها فى نهر دجلة. وأما الثانية ففى ديوانه المطبوع ما يكفى للتدليل عليها؛ ففى الديوان قصائد كثيرة نظمها فى مصر وفيها دعوة إلى الحرية وتنديد بسياسة الأتراك فى العراق وحنين إلى وطنه الأول وابتهاج بخروج الأتراك منه وانتهاء حكمهم له، ورغبة ملحة فى أن يحكم العراقيون أنفسهم بدلا من أن يحكمهم أى أجنبى. وهذه المواطف التى تنساب فى قلب الكاظمى نجدها ماثلة فى قصيدته « ذكرى الفتوح » وقد نظمها يوم حملت إليه الأنباء هزيمة الأتراك من العراق.

عسى بغداد يوقظها بيانى فتقرأ فيه أبكار المعانى

مضى أمس فلا يرجى لأمس مآب أو يؤوب القارظان
فلا العهد القديم له بباق ولا الذكر الحميد لنا بفان

ونجد الشاعر يعبر بوضوح عما كان يعانيه في العراق من اضطهاد العثمانيين له وأنه لم يستطع أن يجاهر بآماله وخواطره حتى إذا استقر به المقام في مصر وانتهت دولة الأتراك من العراق لم يجد ضيقا في مجال التنفس ولا حرجا في البوح بما يكنه لبلاده .

هل الزوراء تعلم ما عراها غداة دنا النفير وما عراني
أبوح بما أكن وكنت دهرا أحاذر أن أبوح بما أعاني

ويهتز الشاعر بشرا حين استراحت بغداد من الأتراك .

أتاني أن بغدادا أريحت فلا كذب البشير بما أتاني
أريحت من ليال كن نارا فمن بكر تشب ومن عوان
ورد لها التراث فلا بعيد ينازعها التراث ولا مدان

ثم يدعو بغداد إلى الاستمرار في الجهاد ويحثها على السير في طريق الاستقلال .

أعيذك غرة البلدان من أن تخورى في جهادك أو توانى
إذا نامت ظباك فقل سلام على تلك المنازل والمغانى
بنوك القرم « جنكيز » أحرى بهذا الملك من قاص ودان
فسيرى لاسرتك غير بشرى يسيل بها لديك الرافدان

ويكرر هذه العاطفة في قصيدة عنوانها « أنين وحنين » وأولها شعر تقليدى الأسلوب ولكنه لا يخلو من عاطفة الشاعر المحب لوطنه ولبلاده . وبعد هذا الحنين والشوق يبكى مجد بغداد الغابر وتأريخها الذهبي أيام بنى العباس .

أين تلك القصور والدور أضحت حيث أضحت مقابرا وسجونا
ما ذكرنا تلك الليالى إلا وبكينا هارون والمـأمونا

ثم يخاطب بغداد . بأبيات تدل على حزنه الكامن وتفجعه بما جرى على بغداد من نكبات .

أقصرى الشكوى يا ربوع المعالى رب شكوى مرت فكانت أنينا
لم يخنك الأمين يوم تولا ك ولكنك ائتمنت الخئونا
كان للعدل من تراثك نصيب عبثت فيه أثرة الحاكمينا
ومن الناسكين من لا يرى الملـك سوى آلة تقيه المنونا
يستفز القانون والدين لـكن لا يراعى دينا ولا قانونا

ومثل هاتين القصيدتين قصائد أخرى تتشابه معهما في الدوافع والإحساس وفى العاطفة الصادقة التى يثيرها الحنين إلى الوطن والتطلع إلى الحرية المحروبة أمام الغشم والاستعمار

ونجد الكاظمى فى قصائد غير قليلة يمدح الملك الحسين وأولاده ويشير إلى ثورتهم على الأتراك ويبارك هذه الثورة ولكنه لا يتحدث عن الأتراك وأعمالهم كما يجب أن يكون عليه الشعر السياسى بل يجتاز هذا إلا قليلا ويترك شاعريته تنطلق فى آفاق المدح وإطراء الممدوحين ومواقفهم فى سبيل العرب والأمة العربية . غير أن هذه القصائد لا تخلو من العاطفة القومية التى تجرى فى عروق الشاعر وتتبلور فى أفكاره وتأملاته فهى تفيض بالشعور العميق لتأييد الثورة العربية على الأتراك . ونترك استعراض هذه القصائد لطولها وما فيها من مدح وثناء يكاد يكون مكررا مسموعا ولما فيها من لهجة قاسية على الأتراك مكتفين ببيتين من قصيدة عنوانها «هذا الحسين» ويعنى الحسين بن على ملك الحجاز أنذاك

أمطرت بالبيض الذكور مطهرا أرضا بهاعات الشرير ودنسا
وتجابك البيت الحرام وللورى أمل بأن تنجى ظباك المقدسا

من هذا الذى درسناه يتضح لنا أن الكاظمى صاحب عقيدة دينية راسخة القواعد لا يرضى لها أن تذل وتخضع لأية عقيدة أخرى ، وعاطفة قومية عنيفة لا يريد لها أن تتصاغر لأية أمة أخرى ولو كانت من المسلمين . وهو فى كلتا الحالتين واسع الآمال والابعاد لا يحتويه العراق — وإن كان وطنه الحبيب — ولا الجزيرة العربية — وإن كانت مهد العرب — بل كان يخفق بجناحيه فى آفاق العروبة أينما حلت وأيان أقامت ، وفى دنيا المسلمين مهما اتسعت رقعتها . على أن الكاظمى شاعر إنسانى يحب الخير للبشر جميعا ولكن الحديث عن انسانيته لا يستقيم لنا فى هذا البحث المحدود .

بقى أن نشير إلى شىء له علاقة بالموضوع الذى نتحدث فيه وهو أن الكاظمى لم يشر إلى عودة الدستور فى تركيا ولم يتحدث عنه بخير أو شر كما سنرى ذلك عند الزهاوى والرصافى ولا سيما أن اعلان الدستور اتفق أيام كان الكاظمى فى مصر التى كانت منفصلة عن الخلافة العثمانية . وفى حيث لا يخشى الشاعر بأس أحد . يضاف إلى هذا أن اعلان الدستور كان بأمر من عبد الحميد ذلك الرجل الذى مدح مع من مدح فى قصيدة « حرب الحياة الباقية »

التي أشرنا إليها في صدر البحث . ولعل الكاظمي قد قال في ذلك شيئاً ولكنه لم يصل إلينا .

الزهاوي

لا نريد أن نترجم لجميل صدقي الزهاوي ترجمة تاريخية . ولا نريد أن نتتبع حياته المادية كيف قضاها ، وكيف كان يحياها . بل نريد أن نتحدث عنه كما تحدثنا عن الكاظمي فلا نتجاوز شعره ولا نلم إلا بالسياسي منه . وندع هذا الشعر نفسه يصف لنا جوانب من حياة الشاعر في بغداد وفي تركيا وما لاقى من اضطهاد وتشريد بسبب دعوته إلى التحرر من حكم العثمانيين فكان ثائراً حانقاً شديد اللهجة على خصومه أيام استبدادهم، ثم هادئاً مطمئناً كبير الأمل يوم أعيد الدستور . وفي ديوانه « الكلم المنظوم » دليل واضح على ثورته واستيائه من سياسة العثمانيين ودعوته الجريئة إلى التخلص منهم . وشعره هذا لا يخلو في كثير من المواطن من الناحية القصصية التي يتحدث بها عن حياته وما كان يلاقيه من الجواسيس والحكام ، وما ينزلون من بلاء على كل بريء يدر كونه؛ فدولة الأتراك في ذلك الوقت — كما يراها الزهاوي — دولة همجية تعبث بالعراق وسوريا واليمن وتجور على هذه الأقطار وتستنفد خيراتها بلا وازع ولا ضمير ، والسلطان لا يرتضي رأي ناصح ولا يستجيب لمشورة أحد ، ولا يعمل بما أنزل الله وما صدع به النبي الكريم . نجد هذا في قصيدة عنوانها « حتام تغفل » وقد نظمها أيام طغيان عبد الحميد وقبل إعلان الدستور بسنوات قليلة . ومنها :

ألا فانتبه للامر حتام تغفل ... أما علمتك الحال ما كنت تجهل

ويسير على هذه الوتيرة في أبيات غير قليلة يدعو فيها أمته وشعبه إلى التكتل والنهوض والثورة على حكومة الأتراك ثم يصف هذه الحكومة فيقول :

وما هي إلا دولة همجية [1] ... تسوس بما يقضي هواها وتعمل

فترفع بالاعزاز من كان جاهلا ... وتخفض بالأذلال من كان يعقل

ولا نريد أن نتعرض للبيت الأخير بالنقد من الوجهة اللفظية واعتماده على الصناعة والتقليد فنقول : ان الشاعر كان نحوياً حين رفع وخفض ، وكان بديعياً حين طابق بين الجهل والعقل . لا نريد هذا وإن تكن الموسيقى اللفظية من أهم العناصر في الشعر — وانما يكفينا هذه الصورة التي يضعها الشاعر في إطار الواقع عن تلك الحكومة التي أساءت إلى نفسها وإلى غيرها ، هذه الصورة تبرز لنا في هذا البيت وفي غيره من أبيات هذه القصيدة ، فالدولة العثمانية دولة همجية مستبدة كما سبق ، وحكامها وولاتها .

إذا نزلوا أرضاً تفاقم خطبها ... كأنهم فيها البلاء الموكل

ولم تسلم منهم البلاد العربية وأقطارها .

فدت إلى سورية يد عسفهم ... تحملها من ظلمهم ما تحمل

وبغداد دار العلم قد اصبحت بهم ... يهددها داء من الجهل معضل

وسل عنهم القطر اليماني إنه ... يبث بما يجرى عليه وينزل

ثم يتحدث عن السلطان عبد الحميد ونترك مجال التصوير للشعر وحده :

وذي سلطة لا يرتضي رأي ناصح ... إذا قال قولا فهو لا يتبدل

أيأمر ظل الله في ارضه بما ... نهى الله عنه والنبي المبجل

فيفقر ذا مال وينفي مبرأ ... ويسجن مظلوماً ويسبي ويقتل

ثم يلتفت إلى عبد الحميد فيهدده ويتوعده بسوء العاقبة :

فيا ملكا في ظلمه ظل مسرفا ... فلا الأمن موفور ولا هو يعدل [1]

تمهل قليلا لا تنفظ أمة إذا ... تحرك فيها الغيظ لا تتمهل

وايديك ان طالت فلا تغتربها ... فإن يد الأيام منهن أطول

ونحب أن نستمع إلى الزهاوي وهو يقص علينا ما لاقاه في تركيا من عنت واضطهاد وما قوبل به هو وصحبه من مراقبة شديدة وتجسس بغيض ، ثم ارجاعه إلى بغداد مقهوراً ونفي أصحابه الذين كانوا معه ، نجد هذا كله في قصيدته « أين المفارق » وقد نظمها سنة ١٣١٧ هـ ونترك أول القصيدة آخذين ما فيها من وصف للظلم والجاسوسية ، وما فيها من احتجاج شديد وجهه الشاعر إلى خصومه فلم يفده شيئاً :

---

(١) في الباب : مستبدة :

(١) أخذنا هذا البيت من الباب كما هو في الترتيب .

ويمت دار الملك أحسب أننى ... إذا كنت فيها نازلا أتمتع
وأنى إذا ما قلت قولا يفيد فى ... مصالحها ألفيت من هو يسمع
ولم أدر أنى راحل لمحـلة ... بها الفضل مجذوم الذراعين أقطع
إلى منزل فيه العزيز محقر ... إلى بلد فيه النجيب مضيع

ويحاول الشاعر أن يعود إلى وطنه بعد الذى شاهده من الغدر والخيانة والظلم الذى استغلقت فيه منافذ الحرية ولكنه لم يستطع العودة كما يشاء لأن الشرطة والجواسيس حالوا بينه وبين ما يريد :

ولما رأيت الغدر فى القوم شيمة ... وأن مجال الظلم فيهم يوسع
وأن الكلام الحق ينبذ جانبا ... وأن أراجيف الوشاية تسمع
خشيت على نفسى فأزمعت رحلة ... إلى بلدى من قبل أنى أصرع
وهل راحة فى بلدة نصف أهلها ... على نصفه الثانى عيون تطلع
ولكننى لما تهيأت صدنى ... عن السير «بوليس» ورأى يرح

(للكلام صلة) ابراهيم الوائلى

المسرح المصرى

للأستاذ محمود سامى أحمد

احتكار الفن

أعود اليوم إلى موضوع المسرح المصرى ، لأكتب فى ناحية أخرى غير تلك التى تناولتها فى مقالتى السابقة ، ناحية كان لها أثر كبير فى ركود ريح المسرح . ويؤسفنى أن أقول إن الممثل هو سبب هذا الموت أو ما يشبه الموت الذى حل بالمسرح .

كان فى مصر نهضة مسرحية رائعة فيما قبل عام ١٩٣٠ ، وكان من أهم أسباب هذه النهضة تلك المنافسة القوية التى كانت قائمة بين الفرق التمثيلية المختلفة ، فكانت كل فرقة تنتقى أحسن ما كتبه مؤلفو الغرب من مسرحيات ، وأقوى ما يكتبه المؤلفون المصريون ، بل كانت تجتذب إليها كبار الكتاب ليكتبوا للمسرح وذلك لتفوز بإقبال الجمهور دون الفرق الأخرى . وأظن أن الكثيرين منا يذكرون تلك المنافسة القوية بين فرقتى رمسيس وفاطمه رشدى . وتلك المنافسة الشديدة بين فرقتى الريحانى والكسار .

لم يكن التمثيل فى ذلك الوقت قاصرا على لون بعينه ، بل كانت المسارح المختلفة تعرض ألوانا شتى ، من مآسى tragedy إلى ملهاة Comedy إلى أوبرا أو أوبريت ، وهكذا كان الجو المسرحى جوا نابضا بالحيوية والنشاط .

أما بعد أن تكونت الفرقة القومية ثم المصرية فالحالة تغيرت وتطورت ، ولم يكن هذا التطور نحو النهضة ، وإنما حدث العكس ، فقد انحط المسرح ، وركدت ريحه ، وحل به ما يشبه الموت إن لم يكن الموت نفسه .

وقد عجب كثير من الناس كيف يموت المسرح بعد أن تكونت فرقة تعينها الحكومة بالمبالغ الطائلة نسبياً ، وتجمع كل نابغة ونابغ من الممثلين ؟ ! والحق إن هذه الأسباب نفسها هى سبب تدهور المسرح .

والمسألة بسيطة واضحة ، فقد أحس الممثلون أنهم أصبحوا من موظفى الحكومة ، ولم يعد أحد منهم يخشى على عيشه ، فانتابهم الكسل ، وفقدوا الدافع إلى العمل والتبريز ، ولم تعد هناك فرقة أخرى تنافس الفرقة المصرية بعد أن جمعت أكثر الممثلين ، فاحتكرت الفن ، وأصبحت تعمل فى السنة فترة لا تزيد عن أربعة أشهر أو خمسة ، ثم يقضى أعضاؤها ما بقى من شهور العام فى النوم اللذيذ والكسل الحلو ، وكنا نسمع سنويا فى الصيف عن الاستعداد الضخم للموسم المقبل ، فإذا ما حل الشتاء وبدأت الفرقة عملها ، إذا بالجبل يتمخض فيلد فأرا هزيلا لا حياة فيه . وكيف نرجو نهضة من فرقة لا تقدم فى الموسم الكامل إلا روايات تعد على أصابع اليد الواحدة ، ثم تعيد فيما بقى من الموسم القصير روايات سبق أن مثلت مرارا وتكرارا حتى ملها الجمهور ؟

هذا الاحتكار هو أول معول هدم صرح المسرح المصرى .

رسالة الفرقة المصرية :

المفروض أن للفرقة المصرية رسالة ، ورسالة ضخمة تتناسب وما يجتمع فيها من كبار الممثلين .

والمفروض أن رسالة الفرقة هى العمل على رفع شأن المسرح

المصرى بتقديم أروع ما كتبه المؤلفون المسرحيون بين مصريين وأجانب .

والمفروض أيضا أن الفرقة لم تكونها الحكومة للكسب ، وإنما كونتها للقيام بأعباء هذه الرسالة الثقافية الكبيرة .

فهل أدت الفرقة فيما سلخت من أعوام رسالتها ؟

يحز فى نفسى أن يكون الجواب بالنفى .

وأنا لا أبنى فشل الفرقة فى أداء رسالتها على قلة الإيراد ، فهذا آخر ما يجب النظر إليه ، وإنما أبنى هذا الفشل على ما تقدمه الفرقة من روايات .

كم رواية خالدة قدمتها الفرقة فى تاريخها الطويل ؟

لن أستطيع أن أبخس قدر الفرقة فأدعى أنها لم تقدم شيئا من هذه الروايات ، ولكن ما قدمته منها ضاع فى غمار ما قدمته من مسرحيات فاشلة أو سوقية تقوم على التهريج من نوع المهازل Farce ، فهذا النوع أجدر به أن يمثل فى دور الرقص والفن الرخيص .

وأين رسالة الفرقة وهى تعيد روايات مثلت قبل تأليفها ، والمفروض أنها ما كونت إلا لتقدم نوعاً آخر من الروايات غير ما كانت تقدمه الفرق الأهلية ؟ لا شك أن الفرقة مقصرة .

أنا لا أفهم السر فى قصر عمل الفرقة على نوع واحد من المسرحيات ، وهى الفرقة الغنية بعناصرها الفنية ، فلما لا تتكون من هذا العدد الضخم فرقتان أو أكثر ، فرقة تعمل باستمرار فى القاهرة وفرقة تجوب الأقاليم المختلفة ؟ ولماذا لا تتشعب منها شعبة للملهاة وثانية للمأساة وثالثة للاوبرا والمسرحية الغنائية ؟

إن كان غرض الفرقة أن تقتصر رسالتها على الكسب المادى فلتنشأ إلى جانبها فرقة أخرى لا تهدف إلا إلى عرض الروائع المسرحية الخالدة ، غير ناظرة إلى كسب مادى أو إلى أى عراقيل فنية . لتكن فرقة تجارب تثبت أقدام الأنواع الجديدة ، فإذا ما استساغها الجمهور عرضت الفرقة المصرية منها وهى واثقة من إقبال الجمهور ، فوجود فرقة التجارب هذه أمر واجب حتم لرفع شأن المسرح المصرى .

وإنى لأرجو أن يأتى اليوم الذى أغشى فيه مسرح هذه الفرقة فأراها تقدم عددا من المسرحيات ذات الفصل الواحد مثلا ، أو أراها تعرض مسرحيات مما رفض الفرقة عرضه الآن ، فإن الفرقة المصرية ترفض الكثير من أروع المسرحيات محتجة بأن الجمهور لن يقبل عليها . ويكفى أن يعلم القارىء أن الفرقة رفضت مسرحيات لهنريك إبسن النرويجى مؤسس المسرح الحديث وأستاذ برناردشو ، كما رفضت مسرحيات لسومرست موم الكاتب الإنجليزى العظيم .

المسرح والسينما :

وقد يدعى البعض أن السبب فيما حاق بالمسرح إنما هو انتشار السينما ، فهى تتفوق على المسرح بوفرة مناظرها وتنوعها ، واستطاعتها الجمع بين كبار الممثلين فى صعيد واحد ، وبرخص أسعارها بالنسبة للمشاهدين لإمكان عرض الرواية مئات المرات دون أن يدفع للممثلين أجر عن كل مرة ، ثم لأنها اجتذبت كبار ممثلى المسرح بما تدفعه لهم من أجور عالية .

وهذه مغالطة ، مغالطة ضخمة ، لجأ إليها المتقاعسون عن العمل على رفع شأن المسرح ، لأنها أسهل حجة يبعدون بها اللوم عن أنفسهم .

وما المسرح والسينما إلا كالرسم والتصوير ، فإذا كان التصوير الفوتوغرافى قد قضى على الرسم بالفحم أو بالزيت ، فإن السينما يمكن أن تقضى على المسرح . فالمسرح بالنسبة للمشاهدين شىء فيه حياة وروح لأنهم يرون الممثلين أمامهم بأشخاصهم ، أما السينما فهى خيالات تعتمد على شىء كثير من خيال الجمهور ليوهم نفسه بأن أشخاصها أشخاص حقيقيون . ولهذا يفضل الناس الذهاب إلى المسرح ، فالشخص يذهب إلى دار السينما فى كثير من الأحيان، ولكنه إذا أراد أن يحتفل بمناسبة ما وأراد قضاء سهرة خاصة خارج البيت فإنه يقصد المسرح .

وكذلك الحال بالنسبة للممثلين فإنهم يفضلون العمل فى المسرح على العمل فى السينما ، وكل مطلع على أخبار الفنانين يسمع عن انصراف بعض ممثلى السينما فى أمريكا وأوربا إلى المسرح بعض الوقت إرضاء لميلهم الفنى ، لأن المسرح يغذى فيهم الحاسة الفنية ،

الرواية المسرحية :

لا جدال فى أن الرواية المسرحية هى أحد الأعمدة التى

يقوم عليها فن التمثيل ، لذا يجب العناية بالتأليف المسرحى أكبر العناية حتى يظهر بيننا المؤلفون المسرحيون الذين يمتد بأعمالهم. وإنى لا أنكر أن فى مصر بعض مؤلفين ممتازين ، ولكن ليس بالقدر الواجب توافره . والكتابة المسرحية تختلف عن أنواع الأدب الأخرى فى أنها قائمة على الحوار ، وأن بناءها يختلف اختلافا كليا عن القصة أو القصيدة مثلا ، فالمسرحية لها قواعد خاصة يجب أن يلم بها المؤلف ، فهى له كالنحو للكاتب لا يمكن أن يكتب كتابة سليمة إلا بمعرفته ، كذلك لا يستطيع مؤلف أن يكتب مسرحيات صحيحة من وجهة النظر المسرحية إلا بدراسة هذه القواعد .

ولما كان أدبنا العربى لم يعمل فى هذا الميدان إلا فى السنوات الأربعين الأخيرة ، فليس فيه أساس يبنى عليه المحدثون ، فواجب علينا لمن نطلع على ما كتبه الغربيون فى هذا النوع ، وأن نطلع على الكتب التى ألفت فى دراسة المسرحية .

ولما كان عدد من يعرفون اللغات الأوربية قليلا فى مصر ، فانى أرى أن من واجب وزارة المعارف ، ولجنة ترقية التمثيل ، والمعهد العالى لفن التمثيل العربى ، ودور النشر المختلفة ، أن يتكاتفوا جميعا وينشروا ترجمات لروائع المسرحيات من مختلف اللغات ، وترجمات لكتب الفن المسرحي .

ومن الغريب حقا ، أن دور النشر ، وهى تعرض فى الأسواق كل يوم عشرات من الكتب ، أهملت المسرح والمسرحيات ، ولم تنشر منها إلا أقل القليل ، وهو أمر غريب ، غريب حقا أن تتكاتف دور النشر جميعا على إهمال المسرح هذا الإهمال المشين .

ترجوا المسرحيات الجيدة ، وأنا الكفيل بأننا سنرى بيننا بعد بضع سنوات عددا كبيراً من المؤلفين المسرحيين المجيدين .

وسائل النهوض بالمسرح :

وأخيرا ، ألخص ما يجب علينا عمله لننهض بالمسرح المصرى من كبوته فأقول :

أنشروا حب المسرح بين أفراد الشعب وخاصة طلبة المدارس، وأكثروا من الفرق التمثيلية ليكون بينهما تنافس يدفعها إلى الكمال ، وانشروا بين الناس ترجمات صحيحة جيدة لأروع المسرحيات ولأكبر ما كتب من فن المسرح .

هذا هو السبيل ، وهو بين واضح لمن يريد العمل على نهضة المسرح ؛ أما غير ذلك فلغو باطل لا خير فيه .

محمود سامي أحمد

عدو الشعب الجاشنكير

للاستاذ عطية الشيخ

— ٢ —

صرخة الشعب :

ما أحسن قول شوقى فى رواية كليوبترا :

انظر الشعب ديون كيف يوحون إليــه
أثر البهتــان فيه وانطلى الزور عليه
ياله من ببغاء عقله فى أذنيــه

وما أحقر عقل الجماهير ومنطقهــا ، وما أكثر ما ترى شعبا من الشعوب ، لمجرد فرية مزورة يعادى حبيبه ، ويحب عــدوه وينصر خاذله ، ويخذل ناصره ، ويصدق المحال ، ويستبعد الحق . وصدق من قال إن الشعوب تقاد من عاطفتها لا من تفكيرها ، وهكذا استطاع بعض البطانة أن يثير الشعب على بيبرس ومن معه . ولعل الشعب عطف على السلطان بغريزة مناصرة الرئيس على المرءوس ، والأب على الابن ، أو لصغر ســن السلطان ، واستنجاده بهم ، فتحركت فيهم النخوة التى تحمى من استجار. وأيا كان ســبب ذلك فسأنقل الرواية التاريخية بلفظها ليعرف القارىء الكريم كيف كانت الأمة مصدر السلطة فى ذلك العصر : « لمــا رأى العامة أن الملك الناصر قد وقف بالرفرف من القلعة ، وجنود بيبرس وسلار تحاصره ، حنقوا وصرخوا ، وحملوا يدا واحدة على الأمراء ، وهم يقولون : يا ناصر يا منصور ، الله يخون الخائن ، الله يخون من يخون ابن قلاوون ، فأرسل بيبرس عدة مماليك لينحوا العامة ويفرقوهم ، فاشــتد صياحهم ، وهجموا عليهم ، وأخشوا فى حقهم ، فخشى قائدهم من تكاثر العامــة ، وأخذ يلاطفهم ، وقال لهم : طيبوا خاطركم فإن السلطان قد طاب خاطره على أمرائه ، وما زال يحلف لهم حتى تفرقوا ، وعاد قائد السرية إلى بيبرس وعرفه شدة تعصب العامة للسلطان ، فلم يسعه هو ومن معه إلا استعطافه ، فأرســلوا إليه يقولون إنهم مماليكه وفى طاعته ولا يريدون إلا إخراج الشباب الذين يوقعون بينه وبينهم ، فرضى السلطان بإخراج زعماء الدس إلى الشام ، ودخل الأمراء عليه وقبلوا يده فخلع عليهم وركب معهم وطاف بالقاهرة لتطمئن قلوب العامة » .

لم يحمد الدساسون المغبة :

عادت المياه إلى مجاريها ، وحمد كل الله على ما انتهت إليه الفتنة ، ولــكن بطانة السوء لم تحمد الله على ذلك ، فما زال بيبرس أمينا على خزانة الدولة ، وسلار مصرفا لشئونها وهم محرومون من شهوة المال ، وشهوة الحكم ، فوجدوا فى اخراج زعماء الفتنــة مادة جديدة لإشــعال أحقاد الملك على بيبرس ، وأخذوا يتباكون على استبداد الأمير بيبرس بملكه حتى يجبره على نفى بعض خاصته ، وعلى تحكمه فى مأكل الملك وملبسه ومشربه وشهوة نفسه ، حتى كان الملك يبيت « فى قلق زائد وكرب عظيم لإخراج مماليكه إلى القدس ... وقد ضاق صدره ، وصار فى غاية الحصر من تحكم بيبرس وسلار عليه ، وعدم تصرفه فى الدولة كما يريد ، حتى إنه لا يصل إلى ما تشتهى نفسه من المأكل لقــلة المرتب له ! فلولا ما كان يتحصل له من أملاكه وأوقاف أبيه ما وجد سبيلا لبلوغ بعض أغراضه » .

الى الصيد :

بلغ الضيق منتهاه بالسلطان ، وكاد يختنق هما وغما فخرج فى سنة ٧٠٨ ﻫ من القلعة ، وجاز النيل إلى البر الغربى ، وأقام حول الأهرام بتصيد عشرين يوما ، وهناك دبرت مؤامرة ثالثة خلاصتها أن يظهر الملك رغبته فى الحج مع عياله ثم يهرب إلى قلعة الــكرك ، وفى هذه الجهة النائية تمد نيران ثورة تلتهم بيبرس وسلار ومن معهما ، ومهد لذلك بإرسال خطاب مزور باسم ســلار وبيبرس إلى قائد قلعة الــكرك ليسلمها للملك عند حضوره .

حج مبرور :

أعلن الملك رغبته فى الحج مع عيــاله ، وشرع الأمراء فى تقديم الهدايا على العادة ، من الخيل والإبل ، والتزم عرب الشرقية

بالشعير اللازم للدواب. وفى ٢٥ رمضان نزل السلطان من القلعة وحوله جميع الأمراء ، وكانت البطانة لا تألو جهدا فى استغلال الشعب ضد بيبرس ، مخترعين القصص مفترين الأباطيل عما يضايق بيبرس ملكه ، حتى اعتبر الشعب نفسه مسئولا عن إنقاذ الملك وحمايته من هـذا الأمير المستبد القاسى ، وأراد الشعب أن يعلن فى توديعه الملك إلى الحجاز مقدار حبه له واستعداده للتضحية بكل شيء فى سبيله « فخرج العامة حوله وحاولوا بينه وبين الأمراء وهم يتباكون ويتأسـفون على فراقه ويدعون له تحميد المودة » حتى وصل إلى بركة الحاج ، فعاد المودعون جميعا من العامة والأمراء ، وبيبرس وسلار يتعجبان مما سمعا من العامة ولا يعلمان أن الدس مستمر من البطانة للشعب .

الى الكرك :

بعث السلطان أهله إلى العقبة ، وظل هومدة بتصيد بالصالحية ثم سار فى طريقه إلى الحجاز. ولـما صار فى أقرب نقطة إلى الـكرك عرج عليها ، وأرسل من استدعى أهله من العقبة ، وأمر بإخراج كل من فى ناحيـة الـكرك من الأهالى ، وبعث بقائد القلعة وحاميتهـا إلى مصر ليخبر بيبرس أنه قد انثنى عزمه عن الحج واختار الإقامة بالقلعة ، ورد معه كل الهدايا التى أهداها إليـه الأمراء بمناسـبة حجه ، وأخذ الأمراء المصاحبون له فى الحج يبكون ويحاولون إرجاعه عن عزمه فلم يفلحوا ، فعاد الجميع إلى مصر محزونين . ولـما لام بيبرس نائب القلعة على تسليمها للملك أطلعه على الخطاب المحرر باسمه واسم سـلار ، وبالبحث ظهر أنه مزور ، دسـه عليهمـا الطنبغـا الـكاتب ، بتحريض من بطانة السلطان .

حرب القلم :

طلب الناصر علاء الدين بن الأثير الـكاتب وأمره أن يكتب لبيبرس وسلار وأمراء مصر الـكتاب الآتى : « بسم الله الرحمن الرحيم : حرس الله الجنابين العاليين الـكبيرين الغازيين المجاهدين ، وفقهما الله تعالى توفيق العارفين ، أما بعد فقـد اطلعت إلى قلعة الـكرك وهى من بعض قلاعى وملـكى ، وقد عولت على الإقامة فيها ، فإن كنتم مماليكى ومماليك أبى ، فأطيعوا نائبى ولا تخالفوه فى أمر من الأمور ، ولا تعملوا شيئا حتى تشاوروني ، فأنا ما أريد لكم إلا الخير ، وأنا ما طلعت إلى هذا المكان إلا لأنه أروح لى ، وأقل كلفة ، وإن كنتم ما تسمعون منى فأنا متوكل على الله والسلام »

وصل الـكتاب فاجتمع الأمراء بدار بيبرس ، وقد طار صوابهم لهذه الألاعيب ، وكتبوا إلى الملك بعد التشاور الجواب الآتى :

« ما علمنا ما عولت عليـه ، وطلوعك إلى قلعـة الـكرك وإخراج أهلها ، وتشييعك نائبها ، وهذا أمل بعيد . تخل عنك شغل الصبى ، وقم واحضر إلينا ، وإلا بعد ذلك تطلب الحضور ولا يصح لك ، وتندم ولا ينفعك الندم ، فياليت لو علمنا ما كان وقع فى خاطرك وما عولت عليه ، غير أن لـكل ملك انصرام ، ولا نقضاء الدولة أحكام ، ولحلول الأقدار سهام ، ولأجل هـذا أمرك غيـــك بالتطويل ، وحسن لك زخرف الأقاويل. فالله الله حال وقوفك على هذا الـكتاب يكون الجواب حضورك بنفسك ومعك مماليكك ، وإلا تعلم أنا ما نخليك فى الـكرك ، ويخرج الملك من يدك والسلام » .

تنازل مصطنع :

لـما قرىء الـكتاب على الناصر تبسم وقال : لا إله إلا الله! كيف أظهروا ما فى صدورهم ! ثم أمر بإحضـار آلة الملك مثل العصائب والـكوسات والهجن وكل ما كان عنده من شـارات الملك وسلمها للرسول . وقال له : قل لهم ما أخذت لـكم شيئا من بيت المال ، حتى الهدايا أرجعتها إليـكم ، ولن أعمل سلطانا ، فدعونى فى هذه القلعة ، متعزلا عنكم إلى أن يفرج الله تعالى اما بالموت وإما بغيره. وسلم كتابا بالتنازل عن السلطنة ، وعاد الرسول إلى مصر ودفع الكتاب لبيبرس وسلار وسلمهما شارة الملك ، « فلما قرآ الكتاب قالا : « لو كان هذا الصبى يجىء ما بقى يفلح ، ولا يصلح للسلطنة ، ولا نأمن غدره » .

تشاور وبيعة :

اجتمع بيبرس وسلار وسائر الأمراء بدار النيابة بالقلعة ، واستدعوا الخليفة وقضـاة المذاهب الأربعة ، وقرىء كتاب الناصر ، وشهد الأمراء الذين عادوا من صحبته بتنازله عن العرش

فأثبت ذلك ، وبحثوا فيمن يصلح للسلطنة بعده،واختلفوا بين سلار وبيبرس فأنهى سلار الخلاف بأن قام وبايع بيبرس، فقبلها الأخير مكرها « وجلس على تخت الملك وهو يبكي بحيث يراه الناس » واشترط لقبوله الملك أن يبقى سلار نائب السلطنة ، فقام الأمراء إليه حتى قبلها ولبس خلعة النيابة .

حرب السماء :

كأن من شيم الأيام عداوة الكرام ، وكأن الزمان حليف الأخس ، وكأن وظائف الرياسة ملعونة منحوسة لا يسعد فيها إلا كل ملعون نحس ، فطالما رأينا عوامل الطبيعة تتضافر مع لئام الناس في حرب الكرام ، وقلما رأينا الحق في صراعه مع الباطل إلا مهزوما ، وكلما صنع اللئيم سنانا لحرب الكريم أنبت الزمان قناة لسنانه ، ولولا هذه المشاهدات ، ما آمن الناس بآخرة تنصف المظلوم من الظالم ، وتميز الفاضل من المفضول ، وما آمن ابن العاص حتى فكر فوجد العرب أقوم أخلاقا من العجم ، والعجم أسعد دنيا من العرب ، فقال لابد من آخرة تقيم هذا العوج . أقول هذا لأن بيبرس المستقيم المخلص العفيف النزيه ، ما كاد يجلس على العرش حتى بدأ سوء الطالع يلازمه ، فقد فشت في البلاد أمراض حادة ، وعم الوباء الخلائق ، وعز التداوي ، وامتنع كل ما يحتاج إليه المرضى ، ثم تأخر فيضان النيل إلى شهر مسرى ، فارتفع سعر القمح وعم الغلاء جميع السلع ، ولم يزد النيل في هذه السنة عن ست عشرة ذراعا فشرقت أرض كثيرة وتوقع الناس مجاعة قاسية ، ودبت عقارب السعاية بين الشعب مستغلة الظرف « فتشاءم الناس بطلعة الملك المظفر بيبرس » وصنع العوام أغنية صاروا يتغنون بها وهي :

سلطاننا ركين ونائبنا دقين يجينا الماء من أين

يجيبوا لنا الأعرج يجي الماء ويدحرج

يقصدون بركين ركن الدين بيبرس ، وبدقين سلار لأنه كان منولبا أجرد في حنكه بعض الشعرات ، وبالأعرج الملك الناصر لأنه كان كذلك . وقد أخذ بعض المحبين للملك يضربون من يغني هذه الأغنية ، فكانوا كالدبة المخلصة لصاحبها ، رضي الله عنها ، إذ سببوا ازدياد الكراهة من الشعب للملك ، وولوعه بهذه الأغنية حتى كانوا يغنونها تحت سور القلعة ، فوضعت الوحشة بين المظفر وبين عامة الشعب .

أمراء الشام :

تزعم حركة الولاء للناصر ، وعدم الاعتراف بسلطنة الجاشنكير ، ثلاثة من كبار أمراء الشام . هم قراسنقر نائب حلب ، وقبجق نائب حماة، واستدمر نائب طرابلس ، وكان أكبرهم وزعيمهم قراسنقر ، أما الأفرم نائب دمشق ، فكان أخلص الناس للجاشنكير إذ كان جركسيا مثله لذلك بايع الأفرم وأرسل إلى الثلاثة السالفين ؛ فأما قراسنقر فقال لرسول الأفرام : إيش الحاجة لمشاورتنا بعد أن خلف أستاذك وبايع وكان الأولى أن يتأنى ، وأما قبجق فقال للرسول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إيش جرى على ابن أستاذنا حتى عزل نفسه ! والله لقد دبرتم أنحس تدبير ، اذهب إلى استاذك وقل له الآن بلغت مرادك ، وسوف تبصر من يصبح ندمان وفي أمره حيران . وأما أستدمر فقال للرسول : اذهب إلى استاذك وقل له يا بعيد الذهن وقليل العلم ، بعد أن دبرت أمرا ما الحاجة إلى مشاورتنا ؟ فوالله ليكونن عليك أشأم التدبير وسيعود وباله عليك . ثم اجتمع هؤلاء العصاة الثلاثة واتفقوا على العمل سرا مع الناصر لإعادته إلى الملك وخلع بيبرس وألا يقطع واحد منهم في رأى إلا بمشورة أصحابه .

يتبع

عطيه الشيخ

مفتش المعارف بالمنيا

نشر بالعـــدد ٨٧١ بالاعلان ٤٣٩٥ — مناقصـــة الأعمال الاعتيادية والتجارية اللازمه والصواب : مناقصة الأعمال الأعتيادية والنجارة اللازمة —

فنان قصير :

خيانة امرأة

— ٤ —

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال لى صاحب أديب ... ومن العجب أن يقول : « وهل هناك رجل يرى زوجته مع رجل غريب على فراشه فلا تظهر آثار رجولته وغضبه إلا فى خطاب يخاطب فيه بكلام يشبه الفلسفة ؟ أهذا الرجل فى الشرق أم فى الغرب ؟ » هذا كلام فيه سخرية منى لاذعة وتهكم من الفلسفة مرير ، فهو يسم الفلسفة بالعجز والفتور ويصورنى رجلا خوار العزيمة جبان القلب ؛ ذلك لأن صاحبك لم يستطع أن يستشف ماوراء السطور من ثورة جامحة عنيفة تتبدى حيناً فى عنف وتتوارى حيناً فى أسى ، ولأنك أنت يا صديق — حين كتبت القصة — جملت الاص دبر أذنيك فما تحدثت عن شأنى وشأنه بكلمة واحدة ، وأنا قد نشرت على يديك جملة الخبر فقلت لك إننى حين أحسست بالطعنة القاسية تتغلغل فى قلبى هدرت هدير الجمل الهائج غاظه عبث طفل أحمق ، فانطلقت صوب الخائن والخائنة أحتدم احتداماً جارفاً ، فلم أدع الرجل يفلت من يدى إلا بعد أن صار حطاماً من انسان ثم قذفت به إلى الشارع وهو لا يكاد يتماسك مما ناله من ثورتى وبطشى . ثم اندفعت فى فورة الغضب أفتش عن الخائنة — وقد توارت عن عينى — فما راعنى إلا أن أسمع صوتاً رقيقاً نديا ينادينى : بابا .. بابا ! فالتفت فإذا ابنى الأكبر يشتد نحوى على عادته كلما أقبل من روضة الأطفال ... يشتد نحوى ليتشبث بى ويتعلق بعنق ويغمرنى بقبلاته الحارة ، وفاضت مشاعره الطاهرة الجياشة يتوثب الحب من خلالها ويتأرج الصفاء من أضعافها . آه يا قلبى ! لقد شعرت بقبلات الطفل تلقنى فى جو من الهدوء والسكينة وتسكبت الثورة العنيفة فى قلبى وتستلبنى من حيوانيتى العمياء ، وضننت أنا بأعصاب الطفل أن تتحطم حين يرانى أهجم على أمه فى قسوة وعنف أذيقها وبال أمرها ، فأمسكت حتى حين . وانطلق الطفل ينادى أخوته فتدفقت رنات صوته فى أغوار قلبى نغماً موسيقياً أخاذاً يدفعنى إلى هؤلاء الملائكة الصغار ... إلى أولادى ... إلى أحبائى . ورأيت الطفل يدور فى الحجرات يبحث عبثا عن أخوته فى جنون وشغف . لقد أرسلتهم الخائنة مع الخادم إلى دار أختها ليخلو لها الجو هنا .. هنا فى دارى ، ثم أقبل الطفل وهو يلهث من شدة الأين ومن أثر الإخفاق . . . أقبل يسألنى عن أخوته فضممته إلى صدرى وانتحيت به ناحية أتقى السمم إلى حديثه التافه البرىء عسى أن أجد فيه سلوة أو عزاء ، ولكن ...

وظللت أياماً أدير الرأى فى خاطرى فما أهتدى وإن بى لنهماً إلى الدم يدفعنى إلى أن أحتقر نفسى وأمتهن عقلى لأننى لم أقطع فى الأمر برأى منذ أن كان ، ولأننى أصغيت إلى صوت قلبى حين رنت فى جنباته صيحات طفل برىء . ثم أخذتنى سورة الجهل لأننى فتى بدوى الطبع ريفى الشمائل ، فعقدت العزم على أمر .

وجلست إلى زوجتى — بعد أيام — وقد ملأنى الغيظ بروح الشر وغمرنى الكمد بنوازع الانتقام ... جلست إليها أناقشها فى شدة وأجادلها فى عنف وفى حديثى سمات الاحتقار وعلامات الازدراء ؛ قلت لها « كيف سولت لك نفسك أن تفتحى بابك لرجل غريب يقتحمه فى غيبتى ؟ » قالت « ليس هذا الرجل غريباً عنى فهو من ذوى قرابتى جاء يزورنى » قلت فى تهكم « فجلستما معاً على سريرى تتجاذبان حديثاً فيه العفة والطهر » قالت « فأنت الآن تهكم بي وتتهمنى فى شرفى » قلت « عفواً ! فما كان أجدرنى بأن أذر الدار لكما تستمتعان فيها كيف شئتما ، وأن أعتذر لكما فى رقة وأدب لأننى قطعت صفو الخلوة » قالت فى تنمر « ماذا تعنى ؟ » قلت « أعنى أن هذه الدار دارى ولا حق لك فى أن تفعلى شيئاً إلا أن آذن لك » فضحكت فى سخرية ثم قالت « إذن تريد أن تتعبدنى . لعلك نسيت أننا هنا شريكان ! » قلت « هذا كلام توحى به حماقة المرأة لتوهم نفسها بأنها شىء وما هى بشىء . إن الشركة — يا سيدتى — معناها التعاون فبماذا تساهمين هنا ... فى هذه الدار ... لتستمتعى بحق الشركة » قالت فى غضب « أنت تعرض بى وأنا لا أستطيع أن أصبر على مثل هذا الكلام »

قلت « وهل يعبأ مدير الشركة بمن أصابه مس من جنون فحاول أن يستمتع بأرباح الشركة دون أن يساهم فيها بنصيب ؟ » قالت في تحد « هذه أفكار رجعية تافهة » قلت « ولكنها مبادئي أنا ومبادىء الحياة . إن المرأة التي تمرح فضل في الرجل وترفل في نعمته ، ولا تحس الضيق ولا العنت ؛ لابد لها أن تتعبد للرجل في رضا، وتخضع لرأيه في استسلام، وتقر بسلطانه في تواضع . فإن كابرت فهي وضيعة الأصل دنيئة المنبت ؛ أولا ، فهي حمقاء العقل هوجاء الرأي ؛ أولا ، فهي ساقطة تافهة ... ولا معدى لرجل فيه الرجولة عن أن يقيم عوجها – إذ ذاك – بالعصا ... العصا التي يسلس لها الحيوان الشموس وينقاد ... أو بالكلمة التي تقذف بها إلى الشارع » قالت « هذا كلام رجل ريفي الطبع ريفي العقل ريفي النزعة لم يهذبه التعليم ولا شذبته المدنية » قلت « أما أنت فقد هذبك التعليم فنزلت عن الكرامة . وشذبتك المدنية فأغضيت عن الشرف ، وصقلتك الحضارة فعبثت بالعرض » فقالت في ثورة جامحة « أنت رجل سافل وضيع » فثار غضبي وتأجج غيظي واندفعت إليها وأنا أزجرها بقولي « أخرسي يا ... » ثم أهويت عليها بصفعة قوية قاسية طار لها صوابها فانقضت علي تخمشني بأظافر حادة كأنها مخالب نمر فركلتها ركلة قوية فانحطت على الأرض وهي تعوي عواء ذئب ناله أذى شديد فما يمسك عن العواء ...

وسمع أولادي صيحات أمهم فتدافعوا نحوي ، وأفزعهم أن يروا المرأة على الأرض تتلوى مما أصابها من شـــدة الركلة ، فانطلقوا إليها يلقون بأنفسهم عليها يتمسحون بها وهم يبكون في مرارة وحسرة وقد كست وجوههم صفرة الرعب ورانت على نظراتهم علامات الحيرة والفزع ، وانصرفوا عني جميعــاً في إهمال وخــوف . ووقفت أنا بإزائهم حيناً انظر في ذهول ودهشة ، ثم تسللت من الدار وأنا أحدث نفسي « يا عجباً إن في الأم معاني سامية لا يدركها إلا قلب الطفل » وخرجت من الدار أهيم على وجهي وإن كلمات أبي ترن في مسمعي حين قال « وإذا تفلسفت الفتاة في الدار جمحت بها نزوات الطيش فأنكرت وظيفتها وجحدت مكانها، فتستحيل طمأنينة الزوج إلى فزع ما ينتهي ويحور هدوء الدار إلى ثورة ما تنقضي . إن المرأة التي تلد الفلسفة تلد الهم والأسى والضيق في نفس الرجل ... »

وعدت إلى الدار في هدأة الليل لأجلس إلى زوجتي أحدثها في صراحة « إن الحياة لن تستقر في هذه الدار إلا أن تبرحيها ، فأنا لا أستطيع أن أجد هدوء نفسي ولا راحة قلبي إن رأيتك إلى جانبي . وإذا رفضت، فستدفعني حماقتك إلى أن أكشف لأهلك عن فضيحتك. وإذ ذاك أقذف في وجهك – مرغماً – بالكلمة المحرمة . تعللي بما تشائين من التعلات ، واتهميني بما يروق لك من التهم ، ولكن حذار أن تتحدثي لأهلك بحقيقة ما كان » قالت في انكسار « والأولاد ؟ » قلت « خذي ابني الرضيع وذري الباقين أقوم على حاجاتهم وأسهر على تربيتهم »

وانفلتت زوجتي إلى دار أبيها تصحب ابني الرضيع وحده

وغبرت أياما أعيش بين أولادي أباً وأماً ، أهيء لهم حاجاتهم وأعد لهم رغباتهم ، لا أطمئن إلى قلب الخادم وهـــو غليظ، ولا أرضى عن يدها وهي قاسية . وأحاول جهدي أن أصرفهم عن التفكير في أمهم بالحديث والحلوى واللعب فما أستطيع ، فجرفني سيل عارم من الأسى أكتمه في قلبي وأغمض جفني على قذاه وأقضي الليل ساهراً قلقاً أقلب الفكر في جوانبه وأدير الرأي في نواحيه ، حتى نالني التعب وأصابني الارهاق، وبدا لعيني أن صغاري يتجرعون كأساً مريرة من اليتم والضياع حين افتقدوا الحنان والعطف . وأحسست بأن الحياة قد اضطربت وأن نظام الدار قد تشعث وأن مالي قد تبدد في غير رحمة . وأصبحت الدار في ناظري جحيما يتلظى أوارها فيكاد يلتهمني أنا وأحبائي دفعة واحدة ، أو سجناً ضيقاً يقضقض عظامي وعظامهم معاً

ولشد ما حز في نفسي أن أرى ابني الأصغر – وهو في الثانية من عمره – يدور في أنحاء الدار – ساعات طوالا – يفتش عن أمه لا يهدأ ولا يستقر وهو ينادي في لهفة وشغف: ماما ... ماما ! ثم يرتد في ذلة وانكسار ، وقد آلمه الإخفاق وأضناه البحث. يرتد ليلقي بنفسه بين يدي وهو ينادي بصوت باك حزين : ماما . . ماما ورحت أبذل غاية الجهد لأهدهد دوافع نفسه واستفرق وسع الطاقة لأصرفه عن نوازع قلبه ، فأعجزتني الحيلة ، فأخذت أنظر إليه في لوعة وأسى وإن العبرات لتكاد تتفجر من محجري وهكذا توزعتني حاجات الصغار وحاجات الدار وحاجات

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

المهرجان الأول بالجامعة الشعبية

سموها «مؤسسة الثقافة الشعبية» ولكن مازال الاسم القديم «الجامعة الشعبية» جارياً على الألسنة، لتقدمه وخفته وثقل الاسم الجديد .. وقد رأيناه على بطاقة الدعوة إلى المهرجان كما نراه في الصحف، ولكن في المهرجان نفسه وعلى ألسنة الخطباء من المشرفين عليها أنفسهم لا يزال اسم الجامعة الشعبية هو السابق الأثير. وكأنهم قد أرضوا طلبة الجامعة «غير الشعبية» بتغيير الاسم «تحريريا» فقط، حتى لا يشركهم الشعبيون في لفظ الجامعة .. وبذلك انتفى سبب من أسباب «الاعتصام»!

ولكي تثبت الجامعة الشعبية — وأنا من المصرين على ذلك — أنها جامعة حقاً، أراد قسم الدراسات الأدبية بها أن ينظم مهرجاناً أدبياً تلقى فيه دراسات أدبية لجماعة من الأساتذة يستمع إليها المدعوون من أهل العلم والأدب ورجال الصحافة .. ولنا تعقيب في موضوع المهرجان يأتي بعد أن نلقي نظرة على برنامجه.

بعد أن افتتح المهرجان بالسلام الوطني ونشيد الجامعة الشعبية وقف الدكتور أحمد أمين بك رئيس مجلس إدارة الجامعة، فألقى كلمة قال فيها إن فكرة الجامعة الشعبية ثورة على النظم المدرسية التي كانت تقف عندها وزارة المعارف، فهي تقبل كل راغب في الثقافة غير متقيدة بسن ولا بامتحان دخول، ولا تعلم لتعطي شهادة تسعرها وزارة المالية؛ وهي تيسر الثقافة للعامل في مصنعه وللفلاح في حقله وللبنت في حارتها . . . ، وقال إن مهمتها أن تمحو الأمية العقلية، فليس محو الأمية مقصوراً على تعليم القراءة والكتابة، وأن تكون رأياً عاماً ناضجاً يفهم حقائق الأمور ولا ينطلي عليه الخداع والدجل.

وذلك كلام قيم. غير أن الدكتور أحمد أمين بك صور المسألة على أن الجامعة الشعبية هي التي تحقق التثقيف العام المطلوب من حيث تكوين المواطن الصالح والرأي العام الناضج، كأن ليس هذا من أغراض المدارس والجامعات التي تعلم الناشئين، وهو يعلم باعتباره مؤسساً للجامعة الشعبية أنها فرصة لمن فاتهم إتمام التعليم في الصغر فهي مكملة لنقص في الثقافة لا محدثة نوعاً جديداً من التثقيف فكل ما فيها — عدا المحاضرات العامة — أقسام تعلم ما يعلم في المدارس العامة والفنية.

وبعد ذلك ألقى الأستاذ السباعي بيومي بك كلمة موضوعها «مشاهد البطولة في الأدب الجاهلي» فتحدث فيها عن حروب العرب وآثارها في أخلاقهم من حيث تكوين البطولة التي تقوم على الشجاعة ورثاء البطل الشهيد وقرى الأضياف. والموضوع من موضوعات تاريخ أدب اللغة العربية المعروفة، ولكن الأستاذ أحسن عرضه وتجميع فكرته، كما أجاد اختيار الشواهد التي كانت موضع الاستحسان ومثار التصفيق.

ثم ألقى الأستاذ مهدي علام بحثاً في «الصداقة في شعر المتنبي» قال فيه إن المتنبي لم يكن له أصدقاء، لأنه كان متعالياً لا يرى أحداً أهلا لصداقته، ولأنه كان متشائماً سيء الظن في الناس، ولأنه كان ذا أطماع يبغي الوصول إليها فيتخذ الصداقة

العمل وحاجات العيش، فتقسمتني الشواغل المتضاربة، فتفرطت عزيمتي وتبددت قوتي ولفتني الحياة في إعصار من الضيق والملل ووسوست لي نفسي فانطلقت إلى زوجتي في دار أبيها أطلب إليها أن تعود إلى داري لترعى شأن أولادي فاستسلمت في خضوع ورضخت في استكانة

وها أنا الآن — يا صاحبي — أعيش في صراع دائم لا يهدأ ولا يستقر، أعيش بين عدوتي الخائنة، زوجتي، وبين أحبائي الأعزاء، أولادي. لا أستطيع أن أقذف بعدوتي إلى عرض الشارع فأقتل السعادة والأمان في قلوب أحبائي، ولا أستطيع أن أصبر فأراها إلى جانبي تذكرني — أبداً — بغباوتي وحمقي

كامل محمود حبيب

ذريعة لها ثم يخرج عليها، وعلى ذلك كان البحث جديراً بأن يسمى « عدم الصداقة عند المتنبي »

ثم تحدث الدكتور عبد اللطيف حمزة عن « الروح المصرى فى شعر البهاء زهير » وكان حديثه قيما ، ومما قاله أن البهاء كان شعبي النزعة فى شعره ، وأن هذه الشعبية قوة لم تتح لمعاصريه من الشعراء الذين جروا على التقليد ومحاكاة الأقدمين ، أما هو فكان يصور البيئة المصرية ويعبر عن روحها تعبيراً أصيلاً، ومن مظاهر ذلك سهولة شعره واستعمال العبارات الفصيحة الجارية على ألسنة الناس والتي يترفع عنها الأدباء والشعراء ويعدونها ابتذالا، ومن هذا اقتباسه الأمثال العامية ، إلى شيوع الدعابة والمرح فى شعره .

وأتى بعد ذلك الأستاذ محمد سعيد العريان بحثاً « عنوانه « ديمقراطية الأدب » فأتى فى الموضوع بمحصول الدراسة الدقيقة وهيأ بعرضه جواً من الإمتاع المعجب . قال إن الأدب عرف أول ما عرف على أنه فن من فنون الجمال أو لون من ألوان الترف العقلى ، وظل كذلك مفهومه فى أجيال متعاقبة ، فى العربية وغير العربية من لغات الناس ، لا يكاد يتجاوز هذه الدائرة إلا خطوة بعد خطوة فى السنين ذوات العدد، حتى التقى فى هذا العصر بالحياة الإنسانية فى صميمها أو أوشك أن يلتقى ، فإذا هو فى حياة الناس عامل ذو أثر، وإذا هو توجيه لهذه الحياة ، وتوجيه لهذا الناس ، وإذا هو ضرورة بعد ترف ، ودعوة إلى الكمال بعد دعوة إلى الجمال ، وكذلك عرف الإنسان الديمقراطية أول ما عرفها على أنها مذهب من مذاهب الحكم وصلة من الصلات بين الحكام والمحكومين ثم تطور هذا الفهم على مر القرون، فإذا الديمقراطية رأى وفن من فنون الجدل العقلى ، ثم إذا هى تجربة عملية يراق على جوانبها الدم ، ثم إذا هى وعى وإحساس وفكرة إنسانية ، ثم إذا هى حكومة وبرلمان وتعاون الحاكم والمحكوم على الرقى بمستوى الحياة الإنسانية . وكذلك صارت الديمقراطية وجداناً إنسانياً عاما يرتفع بالمستوى العقلى العام للجماعات فوق اعتبارات الغنى والفقر وفوق اعتبارات العرق والدم واختلاف المنشأ والبيئة . وفى هذا العصر التقى الأدب بمعناه العميق الواسع ، بالديمقراطية بمدلولها الوجدانى الرفيع وصارت ديمقراطية الأدب — ونحن منها

كشكول الأسبوع

□ من قرارات مجلس الوزراء فى جلسته الأخيرة ، تعليم أولاد المرحوم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى بالمجان فى جميع مراحل التعليم . وأذكر بذلك أن الدكتور طه حسين بك اقترح على المجمع اللغوى فى جلسة (٥–١٢–٤٩) وقبل توليه الوزارة — أن يسعى لدى مجلس الوزراء لتقرير معاش يكفل لأسرة المازني حياة كريمة وتعليم أبنائه بالمجان ، فقرر مجلس المجمع أن يتوجه إلى معالى الرئيس لإبلاغ هذه الرغبة إلى معالى وزير المعارف للعمل على تحقيقها .

ولا بد أن اقتراح الدكتور طه حسين بك أبلغ إلى معاليه .

ولا بد أنه عمل على تحقيقه ، فتحقق شطر منه ، ونرجو أن يتحقق الباقى .

□ قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية أن يحتفل بإعلان نتيجة المسابقة الأدبية فى مساء يوم الأحد ١٩ مارس الحالى بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية . ويتلخص برنامج الحفلة فى حديث يلقيه الأستاذ ابراهيم مصطفى عن المسابقة وموضوعاتها والفائزين فيها ، وإعلان النتائج .

□ ضم الدكتور محمد مندور إلى المحدثين والمعلقين على الحوادث بالاذاعة ، والدكتور مندور ممن يستفاد منهم فى الإذاعة وغيرها ، ولكن يلاحظ أن رؤساء الاذاعة — وهم كما هم من قبل — لم يلتفتوا إلى الانتفاع بثقافة الكاتب الوفدى إلا فى هذه الظروف ... كما كان يلاحظ من قبل الاكثار من اختيار من يلوذون برجال الحكم فى العهد الماضى . فمتى توضع لهذه الإذاعة خطة قومية تبعدها عن مثل هذه الاعتبارات ؟ .

□ وصفت مجلة الإذاعة حفلة أم كلثوم « التى ألغيت » بما يلى : « وإن كل من استمع إلى كوكب الشرق فى حفلتها هذه (!) أجمع على أن الآنسة أم كلثوم كانت فى أوج مجدها الفنى ، قد غنت وأطربت واهتزت الأكف بالتصفيق والإعجاب فى كل فترة من كل وصلة »

وكان المزمع إقامة هذه الحفلة فى الجامعة ولكنها ألغيت ، أما مجلة الإذاعة فقد أبت أن تعترف بهذا الإلغاء ! !

□ كانت وزارة الأشغال قد وضعت مسابقة لعمل تماثيل لعظماء التاريخ المصرى الحديث كى تقام فى الميادين العامة ، وحددت ثلاثة أشهر لانجازها . ولكن الفنانين المثالين المصريين رأوا أن هذه المدة غير كافية لانجاز هذه الأعمال الفنية التى تحتاج إلى وقت طويل ، ولما لم يجدوا من الوزارة استجابة لرغبتهم فى تعديل المدة قرر اتحادهم عدم دخول المسابقة .

□ يخرج المجمع العلمى العربى بدمشق كتاب « عثرات اللسان » للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربى ، وهو يحوى كثيرا من الأخطاء التى يقع فيها المعاصرون .

على الطريق – أنه فن من فنون المعرفة للسمو بمستوى العقل الانساني ولون من ألوان الأخوة الانسانية ، ونسف الأبراج العاجية فلا تحجب حقيقة من حقائق الحياة عن ذى عينين .

وانتقل الأستاذ سعيد بعد ذلك إلى مناقشة من يقول بأن ديمقراطية الأدب هى أن تكتب للناس بلغة الناس ، ومن يقول بأنها انتزاع الموضوعات من صميم الحياة التى تحياها الطبقات الشعبية العامة أو البيئات الدنيا فقال : جميل أن تكون لغة الأديب وأسلوبه وفنه فى الأداء بحيث يحس مذاقها الملايين ذات العدد من الناس ، ولكن أجل من ذلك أن يكون الأدب توجيها إلى ما هو أرفع وأرقى وأكمل ، فليست المساواة هى الغاية الأولى للديمقراطية ولكن السمو هو الغاية . وقال : ليست الديمقراطية فى الأدب هى أن يكون الموضوع ديمقراطيا ، فقد يؤخذ الموضوع من طبقة عالية ويعالج على نمط يحقق أهداف الديمقراطية القومية والدعوة إلى الحرية والمساواة والأخوة الانسانية .

وتحدث الدكتور ابراهيم ناجى عن « القصة فى العصر الحديث » فاستعرض تطور فن القصة من الكلاسيكية إلى الرومانتيكية إلى الواقعية . ولوحظ أنه قصر كلامه على القصة فى العالم الغربى ولم يعرج على القصة المصرية بقليل أو كثير .

وألقى الأستاذ على الجبلاطى قصيدة جيدة وصف فيها حال الطالب بالجامعة الشعبية من حيث تيسيرها له ما يطمح إليه من تعليم وتثقيف ، ومنها قوله يخاطب الجامعة :

أنت أعليت فيه أشواقه العلـ ـيا فأعلى ما فيه من رغبات
ومشى للجمال يدفعه الشو ق إليه وصادق العزمات
كان لولاك يقطع العيش سأما نا ملول الساعات واللحظات
لا يرى فى الحياة غير فراغ مد فوق الحياة ظل السبات

وحبذا لو قصر الأستاذ الجبلاطى كان قصيدته على الموضوع دون أن يمدح وزير المعارف ورئيس مجلس إدارة الجامعة الشعبية ومديرها العام بنحو نصف القصيدة مدحا غير وثيق الصلة بموضوعها .

وبعد فما موضوع هذا المهرجان ؟ ولم أقيم ؟ وما مدى صلته بالجامعة الشعبية ؟

يجب أولا أن نرحب بكل حفل للأدب فى أى مكان ، ويجب ثانياً أن نذكر – من باب نسبة الفضل إلى أهله – جهد الأستاذ على الجبلاطى مفتش الدراسات الأدبية بالجامعة الشعبية ، الذى بذله فى إقامة المهرجان وتنظيمه ، وقد أشاد به الدكتور أحمد أمين بك فى كلمته ، وهو جهد بارز يدل على ما وراءه من محاولة إحياء الدراسات الأدبية فى الجامعة الشعبية ، وقد شاهدنا انصراف الطلبة عنها – وعن سائر الدراسات النظرية فى السنوات الماضية حتى لقد أصبح كل جهدها يكاد يكون قاصراً على الصناعات والفنون التطبيقية ، وأترك هذه الظاهرة مكتفيا بالتنبيه عليها ، لعلهم ينظرون فيها ، لمعرفة أسبابها ومعالجتها ، وأعود إلى المهرجان .

سمعنا المحاضرات التى ألقيت ، وهى ذات موضوعات مختلفة ، من أساتذة أجلاء تدعوهم الجامعة إلى إلقاء محاضرات عامة فى دار الجامعة ، وهذه كل صلتهم بها . وهى موضوعات غير ميسرة أى لم يراع فيها مستوى طلبة الجامعة الشعبية ، ولم يراعى هذا ؟ وأين هم هؤلاء الطلبة ؟ إن الحاضرين هم جمهور المدعوين إلى حفلة الشاى من رجال الأدب والصحافة وغيرهم من المثقفين وكبار الموظفين

لقد فهمت قبل أن أشهد الحفل أنه يمثل الجامعة الشعبية بمعنى أنها أرادت أن تبرز به جهودها الأدبية فيمن يقصدونها من الطلاب ، فنرى بعضهم ، ولو إلى جانب الأساتذة ، يبدى بعض ثمرات الغرس ولكننا لم نر شيئا من ذلك ، فلم نشهد الطلبة حتى فى مكان الاستماع ...

وقد رأينا أن المحاضرات كانت مختلفة الموضوعات ، ولكن يلاحظ أن محاضرتى الأستاذ العريان والدكتور حمزة وقصيدة الأستاذ الجبلاطى يجمعها سمة واحدة ذات ارتباط بفكرة الجامعة الشعبية ، وكان موقع الفكرة الشعبية فى كل من المحاضرتين والقصيدة . جميلا مناسبا . وهذا يدل على أنه كان يمكن وكان يحسن أن يكون للمهرجان فكرة أدبية معينة تتجه إليها أفكار المتحدثين .

عباس خضر

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

كتاب عن مصر لجان كوكتو

فى الشتاء الماضى حل الكاتب الفرنسى جان كوكتو ضيفاً على مصر ، وفى ذلك الحين كتبنا عنه كلمتين فى « التعقيبات » وردت فى إحداهما هذه الفقرات : « ولقد تهيأ لنا أن نطلع على أربع رسائل تلقاها من باريس أحد أصدقائنا من بعض زملاء دراسته فى السوربون وهى تدور كلها حول كوكتو وفنه ورحلته إلى مصر : رسالتان تحطان من قدره وتحملان على خلقه ، ورسالتان ترفعان من فنه وتشيدان بمواهبه ، ونحن بين الرسائل الأربع يأخذنا العجب من رجل لا يلقى رأيا وسطا بين المعجبين به والمتحاملين عليه » !

وهذه فقرات أخرى مما قلناه عنه فى الكلمة الثانية : « أما مصر فقد قال عنها كوكتو إنها أوحت إليه الكثير ؛ لقد انفرد بأبى الهول ساعات فى الليل والنهار ، وصادف من قلبه منزلة حسنة فباح له بسره ، أما هذا السر فسيحمله إلى المصريين كتاب يود كوكتو أن يفرغ منه فى الشهور المقبلة ، كتاب يقبس أسلوبه السحر من وحى النخيل الباسق على ضفاف النيل... وكل مانطلبه إلى الكاتب الفرنسى هو أن يكون صادقا فى إصغائه لكلمات أبى الهول ، أمينا فى نقل حديثه ونجواه . إن أبا الهول لا يمكن أن يتجنى على وطنه ، لأنه عاصر تاريخه ، وأشرف على حضارته وبارك منذ خمسة آلاف عام مجده الخالد ... إننا فى انتظار كتاب جان كوكتو لننظر فيما إذا كان قد استمع لكلمات محدثه أم انقاد لنزوات هواه » !

قلنا هذا عن الكاتب الفرنسى منذ عام على وجه التقريب ، وبعد أيام من هذا الذى قلناه نقلت جريدة « البورص » الفرنسية كلمتنا الأولى بما فيها من فقرات تشير إلى أخلاق الرجل تلك الإشارة العابرة . . . وليس من شك فى أن الكاتب الفرنسى قد اعتذر من لقائنا يوم أن رغبنا فى لقائه ، حين قرأ تلك الفقرات اللاذعة فى الصحيفة الفرنسية ! ويشهد الله أننا لم نكن متجنين يوم أن نعتناه بسوء الخلق وانحراف الطبع ، لأننا لم نقل فيه إلا هذا القليل مما حملته إلينا رسائل مواطنيه ، بل لعلنا قد استشرنا الذوق حين أغفلنا الكثير مما جاء بتلك الرسائل ، نزولا على حكم المجاملة نحو ضيوفنا من الأدباء ... ومن هذا الكثير الذى أغفلناه قصص تصور بعض مظاهر الشذوذ الخلقى فى شخصية جان كوكتو وهى قصص لم نكد نشك فى صحتها حتى بعث إلينا مرسلوها بصورة فوتوغرافية تمثل الكاتب الفرنسى فى أحد الأوضاع الشاذة التى تأباها رجولة الرجال ، وقد كتب تحت الصورة الحافلة بكل ما يشين الخلق هذا الاعتراض : كيف تحتفى مصر برجل هذه هى كل مواهبه ؟ ! !

وطوينا هذا الذى وافتنا به الرسائل الفرنسية ، واستقبلنا جان كوكتو ، واحتفينا به ، وأقمنا له المآدب والحفلات . . . وانتظرنا بعد هذا كله أن يقول كوكتو عن مصر كلمة تتسم بالعدل والإنصاف ، وإنها لأقل ما كان ينتظر منه ردا لكرم الضيافة واعترافا بالجميل . ولكن الرجل أبى إلا أن يكون نسخة صادقة من صورته الفوتوغرافية . . . وهاهو يخرج كتابه عن مصر ، وهاهى الحكومة المصرية تصادر الكتاب الذى لطخت صفحاته بأسخف ألوان الكذب والافتراء !

ولكن ماجدوى هذه المصادرة والكتاب يقرأ فى كل مكان خارج الحدود المصرية ؟ لقد كنا نفضل ألا يصادر هذا الكتاب الهابط ليتاح للأدباء المصريين أن يقرأوه ، عسى أن يتناول أحدهم قلمه ليرد على الكاتب الذى خضع لانحراف طبعه وانقاد لنزوات هواه.. نقول هذا ونحن نتطلع إلى الدكتور طه حسين ، نتطلع إليه لثلاثة أسباب : السبب الأول أن الدكتور يتمتع بمكانة ملحوظة فى الأوساط الأدبية الفرنسية ، فهو إن تناول قلمه ليرد على جان كوكتو كان لرده أجمل الوقع وأبعد الأثر . والسبب الثانى أن فى الكتاب صفحات منصفة لشخصية الدكتور وأدبه ، فهو إن تغافل عن هذا الثناء الذى أضفى عليه ، كان لرده أبلغ الدلالة على أن سمعة الأوطان فوق سمعة الأفراد ... أما السبب الثالث فلا بأس من أن أذكر الدكتور به ، حين أطوى من الزمن عاماً أرتد

معه إلى ذلك المساء الذي جمعني به على ميعاد ؛ لقد دار الحديث فى تلك الليلة حول ما كتبته فى «الرسالة» عن جان كوكتو ، ومازلت أذكر تلك الابتسامة العذبة التى ارتسمت على شفتيه ، وهو يرغب إلى فى أن أكف قلمى عن الكاتب الفرنسى خضوعاً لواجب المجاملة . . . وخضوعاً لهذا الواجب أيضا كففت قلمى عن نشر تلك القصة الطريفة التى قصها على ، حول ذلك العتاب العابر الذى وجهه إليه كوكتو بمناسبة المحاضرة التى ألقاها عن « أوديب فى الآداب المختلفة » والتى حمل فيها الدكتور بقسوة على مسرحية «الآلة الجهنمية» للكاتب الفرنسى !

من هذا كله ترى أن الأدباء المصريين قد عاملوا جان كوكتو معاملة الكرام لرجل ليس له كرامة ... وأين هذا من رجل كاميل هنريو عضو الأكاديمية الفرنسية ، ذلك الرجل الذى ما كاد يغادر القاهرة إلى باريس حتى كتب فى جريدة «الموند» مقالا أثنى فيه أطيب الثناء على مصر والمصريين !

القصة بين قلم الكاتب وطبيعة الحياة

نكتب إليكم هذه الرسالة للاستنارة برأيكم فى مسألة جوهرية تتعلق بفن القصة العربية ، وقد كانت تلك المسألة مثار جدل عنيف صاخب هنا ، بين جماعة من الأدباء هم أعضاء غرفة المعلمين الأدبية «بالمكلا» . وكانت أهم مآخذ النقد تتركز فى النقطة التالية وهى :

هل من الطبيعى أن يظل شبح المأساة يلاحق فصول القصة حتى نهايتها ، ثم لا يكون (لعدالة السماء) دخل فى ذلك ؟ وهل تكون حوادث مثل تلك المأساة طبيعية فى عالم ترعاه عناية الله وتكلؤه قدرته ؟ وإليكم فيما يأتى فحوى تلك القصة التى كانت وما تزال مثار جدل عنيف واختلاف كبير ، فقد يكون فى سردها هنا على الإجمال ، بعض النفع :

تجرى حوادث القصة فى بيئة حضرمية ، ولهذه البيئة مميزات خاصة هى فى الواقع صورة منعكسة للحياة العقلية والأدبية فى هذه البلاد . وتبتدىء القصة فى بيت الشيخ (معروف) حيث يجرى مع ابنته (علوية) حوار عائلى ، يدخل بعده (حامد) ابن عم الفتاة ويطلب إلى عمه أن يربط بينه وبين (علوية) رباط الزوجية . ويتفق فى ذلك أن تكون أم الفتاة متوفاة ، وأن تكون (صفية) زوجة الشيخ (معروف) الثانية ، لا تشعر نحو الفتى الشاب (حامد) بالرضى والارتياح ، فتشير على زوجها بالتسويف والمماطلة فى طلب الشاب ثم يتقدم لخطبة الفتاة الشيخ (خليفة) وهو رجل غنى فى العقد السابع من عمره . ويقوم بدور الوساطة (عمار) حيث يوفق فى مسعاه ويستجيب الشيخ (معروف) لطلبه ، بعد أن يكون (الدينار) قد لعب دوره بنجاح فى القضية !

وتزف (علوية) إلى بيت الشيخ (خليفة) على كره منها ، ويتندر الأدباء فى مجالسهم وتنتشر القالة حول الشيخ (معروف) وأطماعه ... ويضطر الشيخ (خليفة) فى الفصل الخامس والأخير إلى تسريح (علوية) بعد أن واجهته بالشتائم وامتنعت عن معاشرته ، وعاودها السقم والمرض ، فأشفق ورثى لحالها . ويقع الخبر من الشيخ (معروف) موقعاً أليماً فيعود على نفسه باللوم ، ولكن الشيخ (خليفة) يقترح عليه كحل للأمر أن يجمع بين (علوية) وابن عمها (حامد) . ويقف (حامد) موقفاً نبيلاً عند مايقبل التضحية ، إبقاء على حياة الفتاة المظلومة ، وصوناً لكرامتها ، وإكراماً لخاطر عمه المنكود !

هذه صورة تقريبية لفصول القصة ، وحيث تنتهى تبدأ قضية النزاع والاختلاف ، فيرى البعض أن تتلاحق فصول القصة كمأساة حتى الشوط الأخير . بينما يرى البعض الآخر ومنهم المؤلف أن أن الله وهو أعدل العادلين لن يجعل لمثل هذه (المأساة) صورة ما ، فى عالم تجرى حوادثه على قوانين طبيعية عادلة ... هذه هى نقطة الخلاف عرضناها عليكم بكل أمانة ، راجين أن ترشدونا برأيكم على صفحات « الرسالة » الغراء :

« المكلا — حضرموت » أحمد عوض باوزير
سكرتير الغرفة الأدبية للمعلمين

نود أن نقول للأديب الحضرمى الفاضل رداً على سؤاله ، إن هذا الجدل الذى دار بين جماعة من أصدقائه حول هذه القصة جدل غريب . ومصدر الغرابة فيه أن أصحاب الرأى الأول يريدون أن يطبعوا موضوع القصة بطابع المأساة ، وأن أصحاب الرأى الثانى يريدون أن يخضعوا الموضوع لعدالة الله ... وكلا الرأيين بعيد عن

جوهر الفن القصصي لأنه يمثل منطق القائلين به أكثر مما يمثل منطق الوقائع الطبيعية !

جوهر الفن هو أن نستوحي الحياة وحدها عند ما نريد أن نخلق عملا من الأعمال الفنية ، والقصة كعمل من هذه الأعمال لا بد أن تخضع لمجرى الحياة في صورتها الواقعية التي لا تنكرها العين ولا يرفضها العقل ... فالحياة التي ترفرف عليها عدالة الله فيها الخير وفيها الشر، وفيها الفضيلة وفيها الرذيلة ، وفيها السعادة وفيها الشقاء، وفيها ما شئت من ألوان المفارقات وضروب المتناقضات . فإذا صورنا الحياة تصويراً صادقاً فمن الطبيعي أن نتقبل المأساة المستمدة من واقعها كما نقبل الملهاة ، على شرط أن يكون عرضنا لهذه وتلك مسايراً لمنطق الحوادث المألوفة ومطابقاً لطبيعة الأمور كما يألفها الأحياء !

خذ موضوع القصة من هذا الوجود المتحرك أمام ناظريك ، ثم اخلع عليها بعد ذلك من أثواب الفن ما يبعد عنها صفة الجمود الذي لا يتفق مع الحركة ، ونزعة الخيال الذي لا يلتقي مع الواقع ، ولا مبرر بعد ذلك لأن تفرض على موضوع القصة أن يسير في هذا الطريق دون ذاك ! إن الحياة وحدها هي التي ترسم خط السير ، وتقرر غرض الاتجاه ، وتحدد طبيعة الموضوع ... أعني أننا يجب أن نقتفي أثر الحياة في كل خطوة من الخطوات وكل نقلة من النقلات ، ثم نسجل ما شاهدناه كما حدث في الواقع المشهود أو كما حدث في الواقع الذي يمكن أن يكون . فإذا كان مجرى الحوادث في القصة لا يضيق بشبح المأساة فلا ضير من توجيه دفتها نحو هذا الذي نبتغيه ، فإذا ضاق بها فلا حاجة بنا إلى أن نحمل الحياة فوق ما يمكن أن تطيق !

والقصة التي يعرضها الأديب الفاضل لا يتنافى موضوعها مع رأي الفريق الأول كما أنه لا يتنافى مع رأي الفريق الأخير ، لأن البداية الفنية فيها تمهد لكلتا النهايتين المقترحتين دون أن يمس جوهر الواقعية بحال من الأحوال ... ولكن الذي يتنافى مع جوهر الفن القصصي هو أن يصر الفريق الأول على أن تكون الخاتمة مظلمة مع أنها تحتمل أن تكون مشرقة ، وأن يصر الفريق الأخير على أن تشرف عليها العدالة الإلهية ، وكأنها ليست قصة فنية وإنما هي درس في الوعظ والإرشاد !

حول رسائل القراء أو رغبة استجابة

كان من رأينا أن نمضي في كتابة هذه الدراسة المطولة لحياة المغفور له الأستاذ علي محمود طه وشعره حتى نبلغ بها أربعة وعشرين فصلا على أن نجمع آخر الأمر بين دفتي كتاب يشير إلى فضل الشاعر العظيم على الشعر العربي الحديث . ولكننا ما كدنا نعد الفصل الثالث عشر للنشر حتى نبهنا أحد القراء الظرفاء إلى حقيقة تستحق التسجيل ، وهي أن نرجىء بقية الفصول التي كنا نزمع نشرها على صفحات «الرسالة» حتى لا يفقد الكتاب جدته حين ندفع به إلى أيدي الناس، وحتى لا يستغني الجمهور القارىء بأعداد الرسالة عن شراء الكتاب ... فكرة ناضجة بلا ريب، وبخاصة ونحن في عصر يلتمس فيه القارىء المصري شتى السبل التي تحقق له قراءة الكتب دون أن يدفع الثمن ! !

وإذن فلا بأس من أن نستجيب لهذه الرغبة التي تفضل بإبدائها قارىء لا شك في أنه صديق ... ونحن إذ نعمل على تحقيقها إنما نستجيب لرغبة أخرى هي الرد على كثير من رسائل القراء التي تكدست خلال تلك الفترة ، والتي ينتظر مرسلوها منذ شهور أن نجيب عما فيها من أسئلة تتعلق بمشكلات الأدب والفن ، وليس أمامنا من مجال للاجابة عنها غير أن نعود إلى كتابة «التعقيبات» ... وإنها لعودة محببة تلك التي تتيح لنا أن نتصل بقراء الأقطار العربية من جديد ، راجين أن نكون عند حسن الظن شاكرين لهم كريم العاطفة وصادق التقدير .

ولقد كنا نود أن نعرض بالإجابة لبعض الرسائل في هذا العدد لولا ضيق النطاق ، فإلى الأعداد المقبلة حيث نعقب على الأسئلة وغير الأسئلة إن شاء الله .

أنور المعداوي



الى صديقى الأستاذ عباس خضر :

... تطيب نفسى بقراءة بعض ما تنشره فى باب الأدب والفن ، لما فيك من براعة فى التقاط « القفشات » وتصيد « النكات » فى مجالس الأدب وتسجيلها ، ولكم أثنيت عليك ودعوتك إلى المزيد من الانتباه والاتقان .

كأنى بك ياصاحبى أردت إقامة دليل يقنعنى بأنك « أتقنت الصنعة » فعمدت إلى مداعبتى مداعبة حلوة خفيفة الروح والظل ولكن ؟ . . ولكنها برغم حلاوتها وخفتها ، لم يكن لك فيها سوى فضل الناقل المسجل فقط ، أما خلق المناسبة للنكات ، وتهيئة الجو لها ، ولحها ببراعة فهو راجع « للمنداوى » مرة و « للزيات » مرات ، ولانسان آخر

وكأنى بك ؛ مرة ثانية ، أردت أن تحذوحذوى فيمن أخاصم وأصادق من الأدباء فخاصمتنى ، ولكنك تعثرت فى الخطوة الأولى ، وأزعم أن الذى يتعثر ويكبو فى الخصام قد لا يهتدى إلى السبيل المؤدى إلى الفوز والنصر

تعال معى يا صاحبى إلى صميم الموضوع بغير خصام ، قلت « انى جنحت فى تأبين فقيدنا العزيز على محمود طه إلى القضايا العقلية ولم أعن بتندية كلامى بماء العاطفة »

أجل لقد جنحت إلى العقل فى رثاء الصديق الشاعر الذى فقدنا صداقته وشعره ، وتعمدت إبراز الصفات والسجايا والخلائق والمزايا التى عرفته بها حساً ومعنى ودمتها ، وامل صفة البوهيمية التى اجتذب بها جل أصحابه كانت ابرز صفاته واحلاها فى حياته الواقعية والخيالية ، ولم انزع إلى محاكاة الشعراء الذين عناهم فيلسوف المعرة بقوله « كذب يقال على المنابر دائما » لهذا قلت فى مستهل خطابى « ماجئت أبكى صديقى الراحل » ثم ما قيمة البكاء على الميت؟ وهل إذا نديت كلامى بماء العاطفة كنت أضفت صفة جديدة إلى الصفات التى اجتمعنا للاحتفال بها ، أو أن الاحتفال لا يكون ذا قيمة بغير دموع ؟ إن البكاء صناعة يعرفها الشعراء البكاءون النداون . . الحريصون على استبكاء الناس فى المآتم حرصهم على استضحاكهم فى الأفراح . ألم تسمع ياصاحبى إلى شاعر من شعراء تلك الحفلة وقد عتب على الله كيف انتزع الوردة — أى على محمود طه — وسأله سؤال اللائم لماذا أبقى على « الشوك » أى على جميع من بقى يمشى على الأرض بعد موت الشاعر ! !

ألم تقتبس أبياتا من قصيدة قلت أنها « جيدة » أى فوق الدون والوسط من الشعر الذى أنشده شعراء الحفلة . أليس معنى تلك الأبيات ، إذا ترجمت إلى لغة النثر هى الاهابة بالناس الترقبين عودة صاحب الملاح من الشاطىء المهجور والقول لهم « لا تحلموا بعجيئه لا تحلموا »

لندع الشعراء جانبا لأنهم فى واد غير وادينا ، ولأننا نفهم نحن غير الشعراء أن حفلات التأبين انما تقام لذكر المناقب وغير المناقب التى أحدثت حدثها وتركت أثرها فى الناس ، واسمع ماقاله « الزيات صاحب الرسالة » فى صديقه على محمود طه ، وكيف عرفه وأحبه ، وقد رأى فيه انطواء الفيلسوف المفكر والشاعر الحالم

ثم كيف لقيه فى زحمة الحياة وقد تشعبت فيه أصول الجمال والحب واتسع فى قلبه الحب للخير والاخاء والروءة ، وكيف كان طاغى الشخصية مستبدا بالحديث وكان شعره صورة لشخصه ومرآة لنفسه ؛ ثم قارن ماذكرته أنا من صفات عرفتها فى الفقيد ، فى حالتين متباينتين ، فى الخصومة الأدبية المنيفة ، وفى الصداقة الطيبة والعربدة أيضا ، تجد أننا اتفقنا — أنا والزيات — فى رسم الخطوط الرئيسية لمن يتوفر على دراسة الشاعر الصديق على محمود طه .

وأزعم أن صدر الأستاذ الزيات ينطوى على معلومات فى حياة الفقيد الخاصة والعامة ، تماثل أو تزيد على معلوماتى عنه ، وان من الخير نشر تلك المعلومات ليتيسر للباحث الكلام عن الشاعر الذى خلده شعره

كلمة أخيرة أقولها للاستاذ عباس ، ان جميع حفلات التكريم والتأبين فى وقتنا الحاضر إنما تقام للاعلان والظهور ، وأن ليس للاعلان معنى غير النفاق والرياء والمجاملات الكاذبة ، وأن من أوجب واجبات الكاتب محاربة الطبالين والزمارين فى حفلات التكريم ، والندابين النواحين فى المآتم ، وأعتقد فيك الكفاءة لشن هذه الغارة

حبيب الزحلاوى

حول الأزهر — الى ضياء الحائر

ليس عجيبا أن نرى شكاة لطالب نجيب مثلك ياضياء . يبعثها ضيق بتلك المواد العقيمة التى تدرسها فى كليتك . ولكن العجب ألا تجد هذه الشكاية ومثيلاتها آذانا مصغية لدى المهيمنين على شئون الأزهر .

إن مناهج الدراسة فى كليات الأزهر مبنية على أسس غير سليمة ، ذلك لأن العنصر الأول الذى تقوم عليه الحياة الجامعية — وهو حرية البحث — ليس له أثر فى تلك الكليات . ولن ترى إلا كتبا — هى بدار الآثار الأولى — . وهذه الكتب يكلف الطلاب دراستها . ويقع العبء الأكبر من ذلك على كواهلهم ولكن ما الحيلة والطالب لا يستطيع فهمها منفرداً ؟ إذا فليتسلح ليلتهمها إلتهاما وليذهب بصره ، ولتضعف صحته ولتنهد قواه ، وما هو ببالغ شيئا من الفهم الدقيق ، والاستيعاب الذى يقوم على التحليل والتفصيل . فطالب الأزهر مثله كمثل شخص لا يعرف « السباحة » القيته فى « البحر » ثم قلت له اسبح ياعزيزى .

وإذا كان هذا شأن الدراسة فى كليات الأزهر — ونحن فى عصر التخصص — فما بالك به فى معاهده ؟ هناك العجب العجاب هناك ما يبعث الحسرة فى النفوس ، ويطبع اللوعة فى القلوب . هناك وياهول ماهناك : ملكات تقبر ، ومواهب تقتل ، وعقول تسخر ، فأول ما يفاجأ الطالب فى أول عام من التحاقه بالأزهر أن يكلف بحفظ ما يتلقاه من علوم . ويدرس دراسة يعوزها التوجيه والارشاد . ولهذه الطريقة أثرها السيء فى حياة الطالب فلا يلبث — بعد أن تتقدم به الحياة الدراسية — أن يرى ظلالا قاتمة تنعكس على حياته . مما يبعث على تشاؤمه وحيرته .

لابد للازهر أن ينظر فى برامجه نظرة تربوية — على وفق ما تسير عليه وزارة المعارف — وليس بضائرنا أن نقلد مادمنا نروم الصالح للجيل الجديد ؛ فنحن حياله مقصرون جد التقصير ، ونحن محاسبون عن ذلك أشد الحساب.

ولدى ضياء : عنى المفكرون وأعلام الثقافة فى مصر بإصلاح الأزهر . وكأنى بهم قد أسفوا لما لحق بالأزهر من ركود وتخلف عن ركب الحياة . وكانت لهم آراء سديدة لها وجاهتها وأصالتها . ولو أخذ بها لكان للازهر شأن أى شأن . ومنزلة سامية بين جامعات العالم الحديثة .

أى بنى : لا يصلح الأزهر إلا بالمدرس الصالح ، والكتاب الصالح [1] ونحن لا نقول عن المدرس إلا أنه — فى ثقافته وانتاجه — مازال عالة على غيره وإلا فأمامنا الكتاب والمؤلفون والمفكرون فى مصر أفلا نرى أن جلهم من أبناء الجامعة . تلك

---

(١) رأى أمير البيان الأستاذ أحمد حسن الزيات .

التي طغت على الأزهر وظهرت عليه . والفرق بينهما أنها سايرت العصر وواكبت الحياة ، ونهلت من ثقافة الغرب، فوقفت في مصاف الجامعــات الأوربية . أما الأزهر — أقدم الجامعات في العالم — فقد عض على كتب القدامى بالنواجذ . ولم يتصرف فيها بشيء من التهذيب والتنظيم . وفضلا عن ذلك فإنه لم يراع ظروف الحياة ولا تقدم العصر . فتأخر عن الصفوف ورجع القهقرى، أما الـكتاب الصالح فلن تجده في الأزهر . وتبعة ذلك تعود على المدرسين . يا ضياء . لك من اسمك ما يهديك . فلم الحيرة يا بني ؟ هذه هي حياة الأزهر فاعتصم بالصبر وسر على بركة الله في الدراسة واستمد منه العون في استذكار دروسك . ولا تجعل للحيرة إلى قلبك سبيلا .

أزهري عجوز

حول « حيرة الجيل الجديد في الأزهر »

شيئان يعيبان التعليم في الأزهر وهما سبب ما يعاني الشباب الأزهري من حيرة وتعب ، الـكتب الأزهرية العتيقة : وليست مشقتهــا في تعقيدها فقط بل هي أيضا في تفاهتها وخلطها بين مختلف العلوم في سياق واحد وفي بعدها عن الحياة ومجافاتها لروح التعليم بل التربية . ثم منهج التعليم نفسه؛ فهو يحرص على قطع الصلة بين المتعلمين والبيئة التي يعيشون فيها ويعنى عناية كبرى بالمواد التي تتوقف على الحفظ ويعنى في هــذه المواد أيضا بحفظ التعاريف والشروط والأقسام بينما يهمل النواحي التطبيقية التي تدرب الناشيء على الفهم والأنشاء والجغرافيا والحساب والهندسة والجبر تدرس بصورة شـكلية واكثرها يدرس في الأقســـام الإبتدائية ثم يتفرغ الطالب أو يتفرغ المنهج للعلوم النظرية الـكلامية وفي تلك الـكتب التي تعنى بمضغ الألفاظ واثارة الجدل الـكلامي فيما لا جدوى منه

وهذا هو سبب شعور الطالب الأزهري بالغربة عن مجتمعه وإحساسه بعدم القدرة على الاندماج في الناس لأن آراءه وافكاره ومناقشاته تتأثر بطريقة تعليمه وهي طريقة غريبة على الناس في هذه الأيام — ثم هو يشعر في قرارة نفسه بنقص ثقافته وضيق أفقه في التفـكير وعدم قدرته على تعليل الاشياء بعللها الحقيقية. وهذا أيضا هو سر اعتـكاف الأزهريين حتى بعد تخرجهم فهم يعيشون في محيط خاص ولا يقربون حياة الناس إلا بحذر .

ويبدو أن الشباب الأزهري بدأ يتمرد على هذا الاسـلوب العتيق من التعليم بعد أن كثر المدرسون الأزهريون في المدارس ورأوا نمطا من التربية ونظما من المناهج والـكتب خيرا مما درسوا ولعل المسئولين في الأزهر ومن بيدهم الأمر فيه يستجيبون لصوت الشباب فيتخلوا عن كتبهم التي لم تعــد تصلح للتعليم ولا عيب على الأزهر أن يستعين في درس علومه بكتب غير أزهرية مما ألف حديثا في كليات الجامعات الأخرى .

إن هذه الـكتب الأزهرية لاجدوى وراءها غير ضياع الجهد والوقت وانفاق أيام الشباب وزهرة العمر رخيصة في هذا السبيل ولـكن هل يقرأ شيوخ الأزهر شيئا من شـكوى الشباب ؟

معهـــد سوهاج عصام الدين شلبي



حماري الأسود الصغير

للكاتب الإيرلندي بادرياك اوكونير

بقلم الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

حدث ذلك في كنفارا عندما تعرفت على حماري الأسود الصغير . كان ذلك اليوم يوم السوق . فرأيته واقفا بجوار حاجز لا يبالي بالعالم ، ويبالي العالم به . وأعجبت به منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناي عليه . وكنت في رغبة للحصول على حمار . فقد كنت متبرما من التجول على قدمي . ألا يكفي هذا الرفيق الصغير ليحملني وحقيبتي وحاجاتي ؟ وفكرت : لعلي أستطيع الحصول عليه بثمن بخس .

ثم سألت عن صاحبه : بيد أني نقبت عنه في كافة أرجاء البلدة قبل أن أجده يتسكع أمام دار العمدة . كيف ! يبيع الحمار ؟ ، ولماذا لا يبيعه مادام أنه سيحصل على ثمنه ؟ نعم ثمنه انه لا يرغب في قرش زائد عن ثمنه . لولا هذه الأيام العجاف لما فارقه عنه مطلقا - لا لا خوف منه ! انه حمار صغير جميل يستطيع أن يقطع في سهولة عشرين ميلا يوميا . لو استطاع أن يطعمه الشوفان مرة واحدة في الشهر ، فلن يفوقه أي جواد - نعم ، لا يفوقه أي جواد !

وجعلنا نتباحث في طباع الحيوان . وما أبرع مدح صاحبه ! ليس هنا حمار ، منذ أن حلت الحمير بايرلندا ، في مثل نشاط هذا الحمار ، وعقله وبعد نظره !

وقال لي ذلك الأستاذ - في الدبع « أتعرف عاداته ؟ إذا أعطيته حفنة من الحبوب صباحا ، فانه يحتفظ ببعضها عندما لا تكون هناك حبوب - بحق كتب روما السماوية انه يفعل ذلك » وهناضحك أحد الموجودين ، فواجهه الرجل قائلا « ما الذي يضحكك أيها الأبله ؟ » ثم قال لي « أليس من العقل ان يحتفظ بجزء من طعامه ؟ ألم يحدث لي في بعض الأحيان أن أكون في حالة عسر فأسطو على طعامه ؟ لولم يكن هذا الحيوان لمت جوعا أنا وأولادي الاثنا عشر »

وسألت في حذر : هل في استطاعة هذا الحمار العاقل أن يميز بين حنطة صاحبه وحنطة جيرانه . فأجاب الرجل « أنه أمين أمانة الكاهن . لو كانت كل الحيوانات مثله ، لما كانت هناك حاجة إلى تشييد حواجز أو حفرات أو أسوار . لم تكن هناك حاجة إلى كل ذلك مطلقا . »

وتكاثر حولنا جمع غفير ، وكان من بينهم أولاد الرجل ، ولا أدري أكانوا الاثني عشر جميعا موجودين . بيد أن من كان موجودا منهم لا تجد له مثيلا في أية بقعة من بقاع ايرلنده . كانوا مهلهلي الثياب قذرين كل واحد منهم يفوق أخاه في سوء السلوك . وكانت زوجته واقفة هناك ، عارية القدم ، بلا قبعة .

وقالت له « أتذكر يا بيتر اليوم الذي سبح فيه في النهر وأنقذ ميكايل عندما جرفه التيار ؟ »

فأجاب « وكيف لا أذكره ؟ نعم ياشابي ، أتذكرين اليوم الذي دفع لي فيه مبلغ خمسة جنيهات ؟ » فالتفتت إلى قائلة « خمسة جنيهات . نعم لقد وضعوا في يده خمسة جنيهات ذهبية » فقاطعها الرجل قائلا « أقسم لك أن هذا ما حدث ! لقد كادت الصفقة تتم . وكانت النقود في يدي - » .

فقاطعته زوجته بدورها « ولكنه عندما شاهد الحمار المسكين يذرف الدمع لأنه سيفترق عنه ، لم يطاوعه قلبه على بيعه ، والابتعاد عنه » فصاح زوجها « صه ! تكلمي في هدوء . فلا توجد كلمة تقال إلا وفهمها . ألا ترى ياسيدي أذنيه الواقفتين ؟ »

وبدأت الشراء بجنيه واحد ثمنا لهذا الحيوان البديع . فدوى الرجل قائلا « جنيه ! » وصرخت امرأته « جنيه ! » وهدر الأولاد في صوت واحد « جنيه ! » .

كم كانت دهشتهم او تجمعوا حولي يتفحصونني . وأمسك صبي بسترتي وآخر بسروالي وأمسكني أصغرهم من عنق . ووضعت فتاة يدها في جيب سترتي . كانت المخلوقة بطبيعة الحال تحاول أن تبحث إذا كنت حقا أمتلك جنيها - بيد أنها حصلت

على ضربة على أذنها بدلا من الجنيه — ولم تكن الضربة من والدها .

* * *

كنت قد أعجبت بالحمار اعجابا شـــديدا . فقد كان وفق ما أشتهى . انه سيحملنى فى طريقى . ثم أستطيع بيعه فى أى وقت إذا ما شعرت بالضجر منه .

وقلت مرة أخرى « جنيه » .

فأجاب الرجل « جنيهان » .

واعولت المرأة وهى تقول « اواه ! اواه ! حمارى الجميل يباع بجنيهين » وانفجرت تنشج فى بكاء وعويل .

والححت قائلا « جنيه » .

فقال الرجل « إذن جنيه — وست بنسات لكل طفل » .

وتمت الصفقة أخيرا . وناولته الجنيه . وأعطيت ست بنسات لكل طفل من أطفاله المصطفين حولى . وجعلت المرأة تستدعيهم سيتين ، ندين ، تايمين ، وغيرهم ممن لا أذكرهم .

ولم يبق واحـد من المتسولين لم يستحضر أولاده .. كانوا جميعا يهددون ويصرخون . وكم من الضوضاء أثاروا ! اشـتكى احدهم أنه لم يستلم البنسات الستة مع أن النقود كانت فى هـذه الآونة تحت لسانه . وقال آخر —

ولكن لم يكن أحد يعى ما الذى يقوله الآخر ، أو ما يحاول أن يقوله . فقد كان ضجيجهم يطغى على كل شىء .

وندمت لأنى لم أدفع للرجل جنيهين فى بادىء الأمر . وبذلك كنت اتجنب هؤلاء الحاضرين الذين كونوا عائلة لانهاية لها .

وأخيراً تركت القرية وحالى حال . كنت ممتطيا الحمار ، وقد ســـار على يمينه صاحبه قابضا على مقوده ، ومشت زوجه على يساره ، والأولاد يصخبون حولنا .

وتبعنا بعض صبية القرية ، كل منهم يزودنى بنصائحه . ان الحمار لا يقارنه أسرع جياد السبق ، ولذلك يجب أن أكون متيقظا وإلا أفلت منى واختفى إلى الأبد . يجب أن أعطيه كذا وكذا من أنواع الطعام . وهكذا كان يخيل للرائى كأنما الحشد لم يسبق له أن رأى ما يضحك عليه ، إلى أن شـــاهدنى ممتطيا حمارى الأسود الصغير .

ولكن لماذا أهتم ؟ ألم أحصل على الحمار — الحيوان الذى كنت أود الحصول عليه منذ أيام عديدة ؟ كيف أستطيع أن أصف مشهد افتراق والحمار عن هـذه الشرذمة . كان كل واحد منهم يشد على يدى تسع مرات . وأخذوا منى عهدا بأن أكون لطيفا معه وشفيقا عليه . وأن أهبه قبضة من القمح كلما استطعت وأعطيه حفنة من الشعير كل ليلة . وأقسمت لهم الا استعمل مطلقا العصـــا معه . وعندما افترقنـــا ارتفع عويلهم بدأه الأب وساعدته الأم وشاركهما الأولاد حتى أصبحت الغابة حولى تعج ببكائهم ... وأخيرا أصبحت وحيـــدا — وحيدا مع حمارى الأسود الصغير . ؟

ثم انطلق يعدو بى إلى أن خلفنا الغابة . وعندئذ شعرت بأنى قد قمت بصفقة طيبة . أين يستطيع المرء أن يجد حمارا فى مثل نشاط حمارى الأسود الصغير ؟

بيد أنه عندما ابتعدنا عن الغابة ، حدثت قصة أخرى . إذ لم يقبل الحمار التحرك خطوة واحدة ، ذلك الحمار الفريد ! وظننت أنه قد يلين إذا ما دللته بعبارات متملقة ، فلم يأبه بى . وفكرت أن أحركه بعصا فلم يتحرك ، بل ظل واقفا هناك وسط الطريق .

ومر علينا الناس الذين كانوا فى السوق ، أقبلوا فى حال من البهجة . فنصحونى أن أفعل كذا ، وأصنع كذا . بيد أنه عندما نصحنى مازح منهم أن أضع الحمار على ظهرى ، فرغ صبرى ، وقذفت ذلك الوقح بالحجارة :

وأخيرا، اضطررت أن أترجل وأسحب الحمار فى الطريق رغما عن أنفه . وما أكثر الشتائم التى أمطرتها على ذلك اللص الذى باعنى هذا الوحش الثمين !

ولكن سرعان ما لاحظت ظاهرة غريبة . رأيت أن الحمـار فى حالة عصبية ، وبدا لى أنه يجفل من تلاعب الريح بالأفنان . فعندما مر تحت أذرع الشجر النامى على جانبى الطريق ، تلاشى كسده ، وأصبح من المتعذر كبح زمامه ، وقفت أذناه فى بادىء



الأمر ، ثم هز نفسه كما يفعل الكلب عند ابتعاده عن الماء ، ثم انطلق كأنه الزوبعة

يا لحظى ، لقد كشفت سره .

وقيدته على باب كوخ ثم ذهبت إلى الغابة ، وانتزعت كمية من الحشائش وأوراق الشجر ، وكونت منها حزمة ، ثم وضعتها على مقربة من عنقه ، فوق أذنيه .

يا للحيوان المسكين ! إنك لن ترى له مثيلا فى سرعته عندما عدا . فقد كان يظن ، بسبب ما يسمع من موسيقى منبعثة فوق أذنيه ، أنه لا يزال فى الغابة . وعندما وصلنا إلى باليفهان ، قامت القرى لتشاهد الأعجوبة — أنا وحمارى الصغير الأسود المتحلى بتاج من أوراق الشجر .

***

انى لا أزال أملك ذلك الحمار الأسود الصغير ، وسأظل أحتفظ به مدى الحياة . لكم رحلنا أميالا طويلة فى الطريق الموحشة ، وفى مختلف الأجواء . وكان يهتدى إلى طريقه فى مهارة ، مع أن سيده للاسف قد فشل فى ذلك . وانى اعتقد ان المتشرد الصغير كان يعرف ان سيده ليست له القدرة على الاهتداء . ولكنك لن تشاهد مثل كبريائه عندما ابتسمت له مركبة خضراء جميلة وعاد المخلوق المسكين اصغر سنا مما كان ، منذ ان قيدته بالمركبة .

محمد فتحى عبد الوهاب

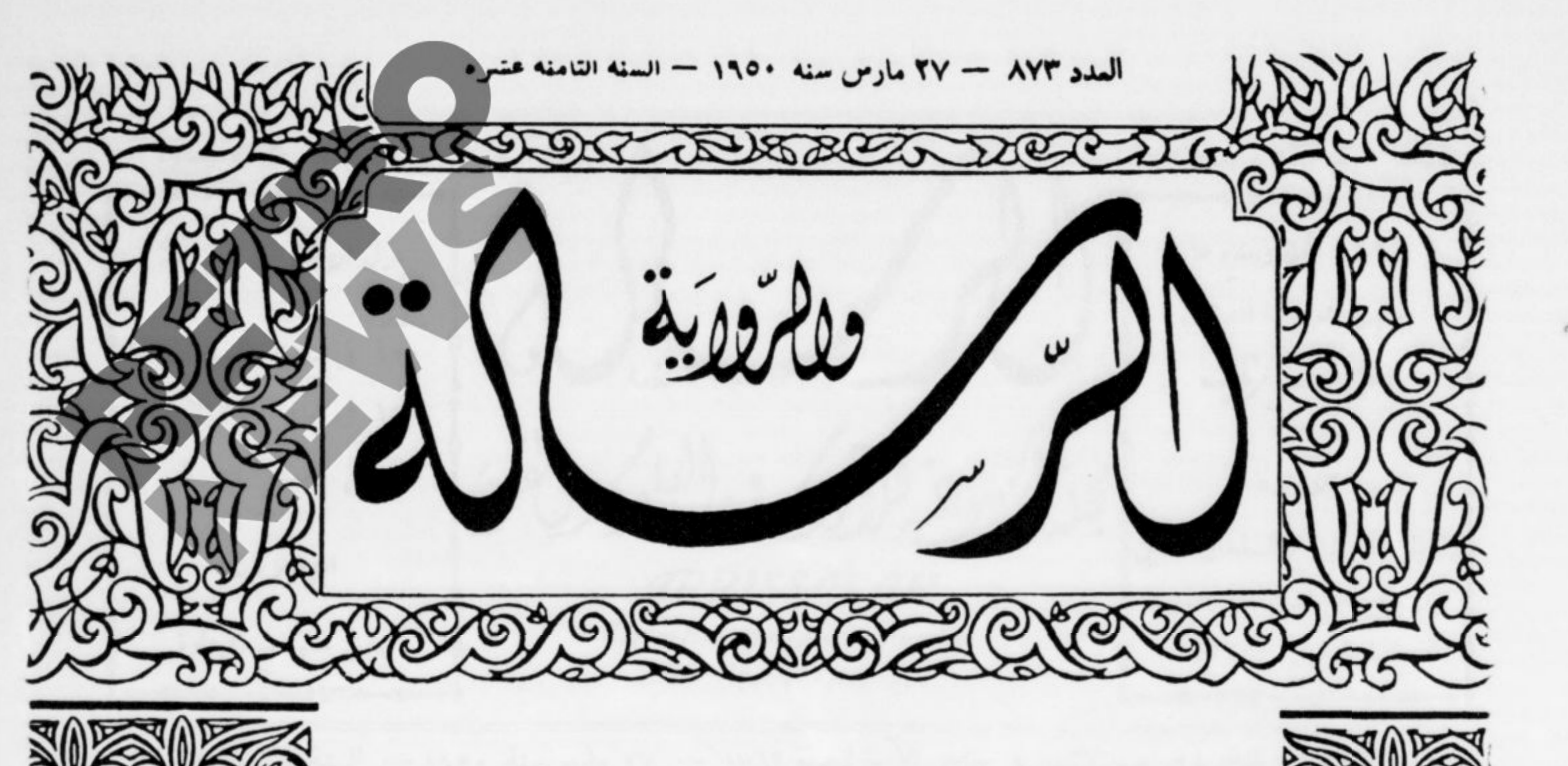

العدد ٨٧٣ — ٢٧ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

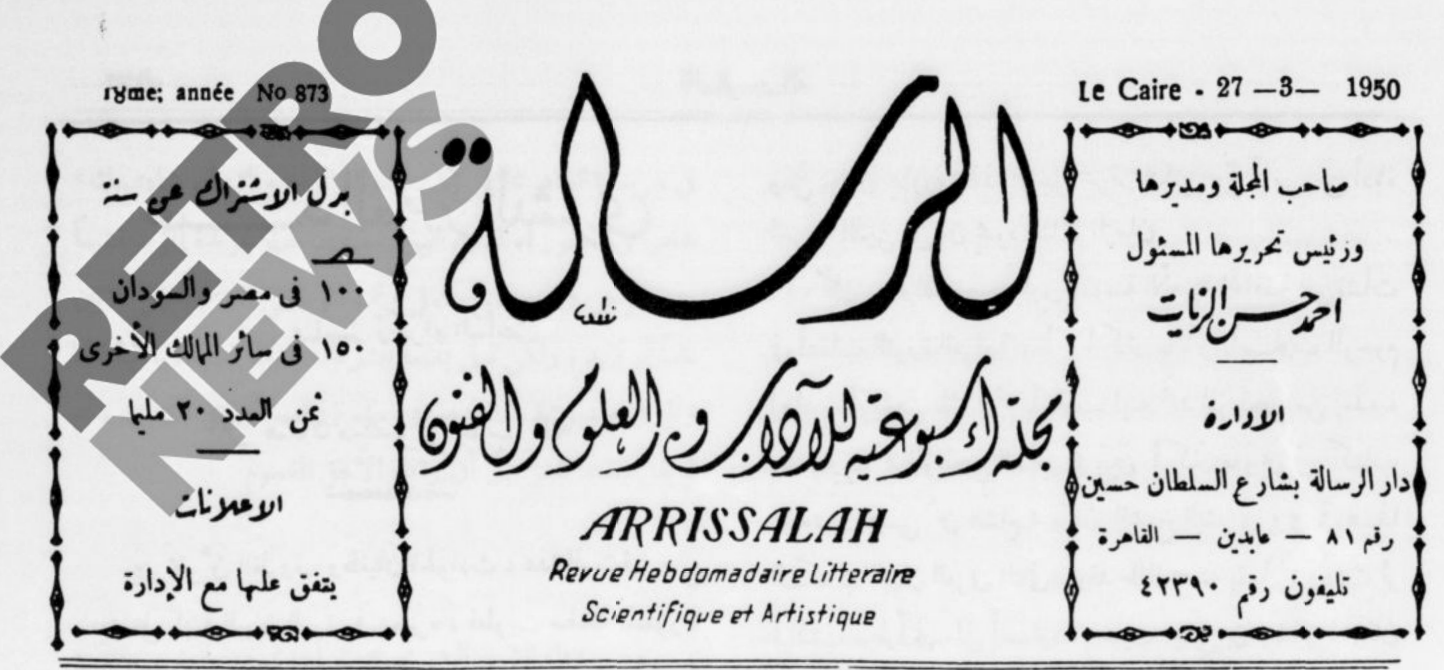
العدد ٨٧٣ — ٢٧ مارس سنه ١٩٥٠ — السنه الثامنه عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٨٧٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ — ٢٧ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

الشيوعية على المصطبة

من عادتى فى المجلس الا أتكلم إلا مضطرا ، كأن أحيا فأرد ، وكأن أسأل فأجيب ؛ أما إذا خليت لطبعى فانى أحبس لسانى عن الكلام، وأجمل أذنى لكل متكلم . لذلك تركت اخوان المصطبة يخوضون فى كل حديث ، ويعلقون على كل حادث : فمن حديث الباشا العظيم الذى يكره فلاحيه ومستأجريه على أن يتبرعوا بأقواتهم لأعمال الخير ثم يعلن التبرع باسمه على وجوه الصحف وهو لم يشارك فيه من ماله بقرش ، إلى حديث النائب المحترم الذى قطع العهود على نفسه لدائرته أيام الانتخاب أن يجعل لهم البحر طحينة ، والحياة كلها متاعا وزينة ؛ فلما وضعوه على كرسى مجلس النواب ظل موضوعا عليه كالجرة الفارغة لا تنضح حتى بالمش! إلى حديث الشيوعية التى تعد الفقير بالغنى ، وتمنى الشقى بالسعادة ، وتزعم أنها تنصف الفلاح من أمثال هذا الباشا الطماع ، وتؤمن الناخب من أشباه هذا النائب الخداع . وحينئذ قال الشيخ مصباح للشيخ مفتاح وهو يحاوره فى خير الشيوعية وشرها :

لعلك لم تسمع الكلمة التى أذاعها (الأستاذ) بالراديو منذ أيام، فى الشيوعية والاسلام . إنك لو سمعتها لكسعت أملك باليأس ورجاءك بالخيبة . إن الشيوعية لا تملك الناس أرضا . ولا توسع عليهم رزقا ، ولا تهىء لهم حرية . فبهت الشيخ مفتاح ونظر إلى نظرة المستفهم المشدوه . فقلت له : صدق الشيخ مصباح ! إن الشيوعية تأخذ لنفسها لا للناس ، وتدعو إلى باطلها لا إلى الحق . إنها لا تسوى بين الخلق فى الغنى والحرية ، وإنما تسوى بينهم فى الفقر والعبودية . تجعل الغنى فقيرا بانتزاع ما يملك ، ولا تجعل الفقير غنيا بامتلاك ما يستأجر . تصادر الأرضين لتكون خالصة لها من دون المواطنين، ثم تستغلها بتسخير الأيدى العاملة فلا تعطى الزارع غير أجرته، ولا تؤجره إلا على حسب قدرته . فهى تنزع منك يا مفتاح نصف الفدان الذى تستثمره ، تصبح كعلى رمضان الذى يستأجره . ذلك فضلا عن كفرها بالدين الذى رضيه لك الله ، وإباحتها للزوجة التى ربطها بك الشرع .

فقال الشيخ مفتاح وهو يكرش من وجهه ويزم بأنفه ويستعيذ بربه : كل شىء تغنى الحيلة فيه إلا نصف الفدان ! إن عقيدتى فى نفسى ، وإن تخونى فى رأسى ، وليس فى العالم قوة تستطيع أن تعبث بهما إلا برضاى . أما الملك وهو الضمان والأمان والمتعة والغبطة والمنزلة والغاية، فليس إلى الاحتفاظ به مع الشيوعية من سبيل . فقال الفتى محجوب وهو يضرب بيده على يد فأسه : انك تعارض الشيوعية لأن لك نصف فدان ، فأما الأجير الذى لا يملك من دنيا كم غير هذه الفأس فكيف يعارضها وهو لا يتصور أنه ينقلب إلى حال أدنى من هذه الحال ؟ قالوا للقرد: إن الله سيمسخك . فقال : لعله يجعلنى غزالا !

فقال الشيخ مفتاح : وإذا أقطعتك الحكومة ستة قراريط ؟ فصاح محجوب وصاح معه جميع الجلوس : حينئذ نلعن الشيوعية فى كل صلاة ، ونحاربها بكل قوة . يا أخى، ملكونا تملكونا!

احمد حسن الزيات

عبد العزيز البشرى

بمناسبة ذكراه السابعة

للأستاذ منصور جاب الله

بين تخوّن الظروف وطغيان الحوادث ، عدا الموت قبل سبع سنين على نابغة البيان العربى فى عصره ، فطويت صفحة المغفور له الشيخ عبد العزيز البشرى بعد ما أمضّه المرض الوجيع وأضناه حقبة من السنين .

وإذ قضى الشيخ البشرى فى مارس من عام ١٩٤٣ ، كانت المجزرة العالمية ما تبرح طامية صاخبة ، تفرق المنايا باليمين والشمال ، وتلعق الدم بالأيدى والأرجل جميعاً ، ومن ثم مضى شيخنا إلى برزخه غير مذكور إلا من قلة عرفوا فضله ولم يجحدوه ، ودرسوا أدبه ولم يجتووه .

ويوم مات أستاذنا البشرى لم ترسل فى تمجيده المقالات الضافية ، ولا القصائد الباكية ، لا عن كنود ولا عن نكران ، وإنما هى « الاستحالة المادية » التى جاءت بها تلك الحرب الزبون فحدّت من حجم الصحف وصيرتها أشبه ما تكون بنشرات عسكرية تكاد تكون مقصورة على أنباء المعارك وأخبار الانتصارات والهزائم !

وكذلك كان البشرى هو الأديب المصرى الواحد — إذا لم تخن الذكرة — الذى لم يعقد له حفل تأبين يتوافى إليه صدقائه ليرسلوا فيه القال شعراً ونثراً . وما بنا أن نرد هذا إلى قصور أو إهمال ، فالعذر القائم إنما ينصب على الحرب وويلاتها ، فالحرب هى التى جنت على الشيخ البشرى يوم وفاته ، وهى التى جنت على ذكراه فغدا اليوم فى المنسيين ، وضاع فى أطوار الزمن أدبه الرفيع ، وذهبت أصداء تلك الضحكات التى تكاد تخلع الأشداق إذ يرسل دعاباته ومفاكهاته بأسلوبه الذى لا يُبارى

عرفت البشرى عن كثب ، وصادقته زماناً إذا قيس إلى العمر الإنسانى عد طويلا ، وكان بيننا فى الاسكندرية جيرة قريبة ، ومن خلال مجاورتى لهذا الرجل عرفت الكثير عن أديب من أدباء العربية الذين قل أن يجود بمثلهم الزمان

كان رحمه الله من حواريى المدرسة الأدبية المحافظة التى نشأت فى أعقاب الثورة العرابية ، تأثر أكثر ما تأثر بأسلوب المرحوم ابراهيم المويلحى بك ، ثم بأسلوب ابنه محمد المويلحى من بعده ، وأسلوب « المويلحى الصغير » يبين أكثر ما يبين فى كتاب « حديث عيسى بن هشام » وكان الشيخ البشرى يرى فى هذا الكتاب البيان العربى المثالى ، وقد طالما سمعته يقول : وددت لو أكتب سطراً فى مثل أسلوب حديث عيسى بن هشام ! وكان هذا القول تواضعاً منه — رحمه الله — فقد بصرنا به فى بعض كتاباته يحاق ويحلّق حتى ليكون المجلّى على أستاذه ويقنع أستاذه بأن يكون مع المصلين !

وعبد العزيز البشرى — كما يعرف سائر الناس — نشأ فى بيت علم ونعمة وحفاظ ، فأبوه الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر فى عهد من أينع عهوده ، ولقد أراد ابنه على أن يكون من شيوخ الأزهر ، فلم يشأ « البشرى الصغير » أن يخالف عن تقاليد أسرته فانخرط فى سلك طلاب الجامع العتيق على تكره منه واستثقال ، فقد أخذته أضواء النهضة الحديثة التى كانت تتوامض أضواؤها فى أفق الأزهر بين الحين بعد الحين ، وهو إذ يحضر جلسات الدرس إنما كان يحضرها بجسده ، أما ذهنه فكان يشرد بعيداً ، إذ يقلب الطالب الشاب عقله ولسانه فى بلاغة المويلحى التى تطالعه بها كل أسبوع صحيفة « مصباح الشرق » وكذلك فتن شيخنا البشرى بالأدب وعزف عن حلقات الفقه فى الأزهر الشريف ، ودأب على مراسلة الصحف الأدبية القائمة حينذاك ، حتى إذا ظفر بإجازة العالمية أبى أن يكون فى عداد مدرسى الأزهر شأن أنداده وإنما انكفأ إلى وزارة المعارف ليعمل محرراً فنياً فيها .

* * *

وكان رحمه الله شديد الولوع بالفن ، أغرم به من مشرق الصبا ، وكانت له صحبة ومخالطة بأهل صناعة الغناء ، وحدثنا فيما حدثنا أنه وقد أدرك من كبار المطربين عبده الحمولى ومحمد عثمان ويوسف المنيلاوى وعبد الحى حلمى وأضرابهم ، كان لا يفوته مجلس من مجالسهم المونقة ، ولكن ما كان ينفذ إلى هاتيك المجالس وهو ناشىء صغير إلا بشق النفس ، لأن الناس فى ذياك العهد

كانوا ما يبرحون على الحفاظ والاحتشام ، ودون مجالس اللهو حفظة وأحراس !

وقال لنا رحمه الله إنه كان فى صباه يمضى الليل ساهراً ، ولا ينام إلا غراراً مع مطالع الصبح ، فتحطم من ذلك جسمه ، وتضعضعت فى الكهولة صحته . وكذلك طوى الأعوام العشرة الأخيرة من حياته مريضاً ما يكاد ينقه حتى تعاوده العلة فيرتكس حتى وطأنها ويستحث شبح الموت والموت منه بعيد !

***

وإذ كان الشيخ البشرى موظفاً حكومياً ، فقد قيدته الوظيفة الحكومية بأمراس من حديد ، واشتد شعوره بالقيد الحكومى بعد أن عين قاضياً شرعياً ، فما كان يستطيع الكتابة بتوقيعه الصريح ؛ بيد أنه وقد خشى أن تنسب مقالاته إلى غيره من الكتاب ، كان يعمد إلى مطالعة كل مقال يكتبه على ملأ من الصحاب ممن يتذوقون الأدب ، فإذا دفع المقال للنشر وطالعه الناس من مصبحهم فى صحيفة سيارة ، أدركوا أن هذه الجزالة اللفظية وهذا الترف البيانى وهذا الترصيع الأنشائى ، كل أولئك من صنعة عبد العزيز البشرى !

ورسائل « فى المرآة » التى كانت تنشرها صحيفة « السياسة الأسبوعية » قبل خمسة وعشرين عاماً ، فترن رنينها ، وتحدث دويها ، وتتصل رجفتها الأدبية أسبوعاً بعد أسبوع لم تكن ممهورة بتوقيع عبد العزيز البشرى ؛ ولكن قارئاً من القارئين لم يكن لينسبها لغير عبد العزيز البشرى .

وكان أسلوب البشرى وسطاً بين الترسل والسجع ، وكانت فواصله بعيدة المدى ، ولكنها تتقاصر حينما يمزح أو يداعب . ولما أراد أن يسوى من مقالاته المبثوثة فى الصحف كتاباً أذكى النساخين فى المكتبات العامة فجمعوا له قدراً صالحاً مما كتب ، فقد كان — أحسن الله اليه — لا يحتفظ بشىء مما يكتب ، ثم جعل ينخل مقالاته نخلا ويغربلها بغربال دقيق ، حتى استوى له كتاب « المختار » فى مجلدين . ومن حق التاريخ على الشيخ البشرى أن نقول إنه لم يحرف فى مقالاته شيئاً ، فهى كما نشرت لوقتها فى الصحف لم يغير منها حرفا .

وقال البشرى الشعر فى شبابه الأول ، وكان ينشر قصائده فى جريدة « الظاهر » التى كان يصدرها المرحوم محمد أبو شادى بك ، هجواً فى المغفور له الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد تشيعاً منه للمرحومين مصطفى كامل ومحمد المويلحى ، ثم أجبل ثلاثين عاماً أو تزيد ، ولكن قبل بضعة عشر عاماً أسمعنا قصيدة باكية قالها رثاء فى صديق له مات وهو فى مشرق العمر وريق الشباب ، ثم لم يقل بعدها شعراً إلى أن وافاه الأجل المقسوم .

***

وبعد وفاة الشيخ البشرى جمعت إحدى دور النشر مقالاته التى لم يضمها « المختار » وطبعتها للناس طبعاً أنيقاً فكان ذلك وفاء لذكرى أديب أجدى على الأدب الشىء الكثير ، ولكن هذا المجهود الفردى لا يكافى أدب البشرى ، فهنالك قصائده فى صحيفة « الظاهر » ودعاباته فى مجلة « الكشكول » ويومياته فى « السياسة الأسبوعية » وكل هذه تبين خصائص أدب البشرى ، بما يتميز به من فكاهة وعمق وتدسس إلى مداخل الأشياء ، لو أن هذه الذخيرة جمعت لأجدت على الأدب ولأفادت الأدباء .

رحم الله شيخنا البشرى فقد كان أديباً ملء إهابه ، وأفسح له المقام فى دار المقام .

منصور جاب الله

فــــيرون

زعيم الشكاك اليونان

للأستاذ محمد محمود زيتون

ولد فيرون بن بلستارك الفقير حوالى سنة ٣٦٥ ق . م . فى (إيليس) بلد (هيبياس hippias) السفسطائى ، و (فيدون Phédon) تلميذ سقراط . اشتغل نقاشا منذ نعومة أظفاره ، وانصرف عن النقش إلى الفلسفة؛ غير أنه نشأ ومات فقيراً ، وعمر تسعين عاما .

وقد ذهبت الآراء فى (فيرون) مذاهب شتى ، محور ارتكازها جميعا أنه صاحب مذهب الشك الأخلاقى الذى نسب إليه وعرف به وهو (الفيرونية Pyrrhonisme) الذى امتد فى المكان والزمان ودار مع الفلك حتى انقسم شطرين : الفيرونية القديمة ، والفيرونية الحديثة . ومجرد التسمية يقفنا على أن فيرون هو الجد الأول للشك وزعيم الشكاك اليونان .

عرف (فيرون) بالتقوى والورع ، وعاش مع أخته (فيلستا philista) وكانت أعقل منه . كم كانت تشفق عليه ، وترثى لسلوكه العجيب ، وتناقضه فى الحياة : فقلما كان يوجد فى داره ، وقلما كان يرى بين صحب أو رفاق ، وكثيرا ما كان يحب الخلوة بنفسه وارتياد الحدائق النائية ، والأماكن التى لا يؤمها الناس . وكان من عادته أن يترحل دون أن يعلم به أحد ، فيسير كيفما اتفق إلى حيثما اتفق ، غير عابىء بشىء ولا مكترث لشىء . حكى عنه (ديوجين لايرس) أنه كان مرة فى سفينة تتقاذفها الأمواج ، وتتلاعب بها العواصف ، حتى أوشك الركاب على الغرق ، فهاجوا وماجوا ، واضطرب جبلهم ، وتوقعوا الموت فى أحضان البحر ، وشحبت وجوههم . أما فيرون فلم يبال ولم يهتم ، بل استمر فى برود تام وهدوء لا حد له ، ثم وقف يقول « ذلك هو الهدوء الذى يجب أن يمنحه العقل والفلسفة لأولئك الذين لا يريدون أن يستسلموا للخطوب » .

وكان صديقه (أنكسارك) فى صحبته يوما فسقط فى مستنقع ، فلم يعبأ به (فيرون) . ولم يمد له يد المساعدة بل تركه ومضى فى سبيله لا يلوى على شىء ، وبقدر ما لامه الناس وأوسعوه ذماً وتقريعا ، هنأه أنكسارك على ثبات جنانه ، وعصمته من التألم .

ويقول عنه (شيشرون) إنه لم يفرق بين الصحة التامة والمرض الأليم . وكان سواء عنده أن يعيش وأن يموت ، وكثيرا ما كان يجرى على لسانه قول (هوميروس) « ما أشبه الناس بأوراق الشجر » وقوله الآخر « أما أنت فستموت بدورك ، فلماذا تتحسر ؟ مات قبلك (باتروكل) وهو خير منك » . واتخذ شعاره « لاشىء أفضل من شىء » .

كان (فيرون) محبا للرحلات ، اصطحبه (أنكسارك) فى حملة الإسكندر إلى الشرق ، فعرف أخلاق الهنود وطقوسهم وعاداتهم ، فتركوا فى نفسه أبعد الأثر . ويقال إنه عرف الكثير من العادات والأخلاق الشرقية عند السوريين والميديين والمصريين والفرس .

وبعد موت (الإسكندر) عاد إلى وطنه وأسس مدرسته حوالى سنة ٣٢١ ق م وقد أكبره مواطنوه فلقبوه « الكاهن الأكبر » وأقاموا له تمثالا بعد موته ، ثم إنه عاصر (أرسطو) ، وعرف كتبه وتناقش مع ابن أخته (كالستين) ، وتتلمذ لصغار السقراطيين والميغاريين خاصة ، وتذوق مذهب (ديمقريطس) عن طريقهم وتعلم على يديهم الجدل ، ولكنه بغض إليه ، وعرف السفسطائيين وعاصرهم وصاحبهم وواطنهم ، ووقف على أسرار الشرق وروحانيته . وبذلك استوعب التراث الفلسفى من منابته الأولى .

والمعروف أن (فيرون) لم يكتب شيئا عن مذهبه ، ولم يلق محاضرات ، وكل ما كتبه قطعة فنية للحث على الغزو منحه الإسكندر عليها عشرة آلاف قطعة من الذهب . وكل ما انحدر إلينا عنه نذر يسير فى مقطوعات احتفظ بها معاصروه وتلاميذه وعلى رأسهم (تيمون Timon) الوفى .

وقد لخص (أرسطقليس Aristoclés) مذهب فيرون تلخيصا وافيا فقال (فيرون الإيلى لم يترك مكتوبا ، ولكن تلميذه تيمون يقول : إن من أراد أن يكون سعيدا فليعتبر ثلاثا : ما الأشياء فى ذاتها ؟ وما موقفنا حيالها ؟ وماذا نجنى من وراء ذلك ؟ الأشياء كلها بلا استثناء غير حقيقية على الإطلاق ، وليست أحكامنا ولا

مشاعرنا بقادرة على أن تمثل لنا الحق أو الباطل . لذا وجب ألا نركن إلى الحواس ولا العقل . وإنما يجب أن نظل بدون رأى لا نجنح إلى ناحية دون أخرى . بهذا لا يتطرق إلينا الألم ، فإذا عرض لنا شيء وجب ألا نثبته أو ننفيه ، وألا نثبته أو ننفيه معاً ، وعلى هذا الوجه نصل إلى تعليق الحكم l'époque ومنه ينتج تعليق اليقين l'aphasie ثم ننتهى إلى الطمأنينة التامة l'ataraxie (١)

ولكى نزيد ذلك بيانا نتساءل مع تيمون ونجيب مع فيرون فنقول :

أولا : ما الأشياء فى ذاتها ؟

يقر فيرون بأن الوقت نهار ، وأنه هو حى يرزق ، وأنه يرى بعينى رأسه ، وأن ذلك الشيء يلوح له أبيض ، وأن العسل يبدو له حلوا ، وأن النار تحرق كما يرى ، ولكن هل الشيء فى ذاته أبيض ، وهل العسل حقا حلو ، وهل من طبيعة النار أن تحرق ؟؟ يجيب فيرون : لا أدرى .

فهو لا ينكر المرئيات والمسموعات وسائر المحسوسات ، ولكن ما حقائقها ؟ لا يدرى . فالحواس هى كل ما يملك فيرون من هذه الدنيا ، وهو يعتز بها ويؤيدها بقوة ، وظواهر الأشياء وأعراضها هى كل ما يدرك من معرفة . ولكن هل هذه الظواهر هى هى بعينها حقائق الأشياء ؟ كلا . فما الحقائق إذن ؟ لا يدرى . ولهذا يقول (تيمون) « إن المظهر ملك حيثما وجد » فإذا كان ذلك هو أمر الأشياء ، فلنتساءل مع تيمون هذا السؤال الثانى :

ثانياً : ما موقفنا حيال الأشياء ؟

كل الناس أو على الأقل (فيرون) يستطيع أن يثبت للشيء صفة ، وأن ينفى عنه نفس الصفة بمقدار واحد ، لأن النفى والاثبات فى كفتين متعادلتين لا مرجح لأحدهما دون الآخر : الشهد حلو ، والشهد ليس بحلو . هذان الحكمان لا يثبتان فى العقل ، لأن أحدهما يمحو الآخر ، فلا يعود لهما وجود ، كالنار تختفى فى الخشب الذى تلتهمه . فلا يمكن القول بأن هذا الشيء شريف أو سخيف ، وأنه صحيح أو غير صحيح ، وأن هذا الشخص هو تيمون أو غير تيمون . لماذا ؟ لأن الأضداد متعادلة فى تقلبها على الأشياء ، ليس فقط فى المحسوسات بل فى المعنويات أيضا من فضيلة ورذيلة وعدل وظلم وغير ذلك . ولا يمكن القول بأن الشهد أحلى من العنب ، لأن التفضيل يتضمن الإثبات ، ولا يمكن القول بأن الشهد ليس أحلى من العنب ، لأن ذلك يتضمن نفى الحكم عن شيء وإثباته لآخر . والنفى والإثبات لا وجود لهما لأنهما متعارضان ، وبالتالى ينفى أحدهما الآخر .

فالأحكام المضافة إلى الأشياء والمعانى لا وجود لها فى الواقع ، وكذلك الأحكام المسلوبة منها ، سواء كانت تقريراً أو تقديراً ، لأن الناس فى عرف فيرون « إنما يخضعون فى أحكامهم للقانون والعرف » فيجب أن نلتزم الحياد التام من هذه الظواهر والأعراض ، والخير كل الخير فى « تعليق الحكم » . هذا هو الموقف التوقفى الذى يريده لنا فيرون حيال الأشياء ، فماذا نفيد من ذلك ؟ هذا هو السؤال الثالث والأخير فلنسأل :

ثالثا : ماذا نجنى من تعليق الحكم ؟

لا يشغل الناس فى حياتهم إلا التردد بين الشيء وضده ، والحيرة بين الخير والشر . وهم كثيراً ما يجلبون الهم والغم لأنفسهم بأنفسهم فيتألمون لأنهم محرومون مما يعتقدون أنه الخير الذى إن وجدوه أشفقوا من أن يفقدوه ، ثم هم يتألمون لأنهم مرتكبون لما يعتقدون أنه الشر الذى إن أصابهم تحسروا على أن قد ارتكبوه ، فلا هم بالخير فائزون ، ولا هم من الشر سالمون . فالرغبة حرمان ، والحرمان ألم ، والألم إنيان ، والإنيان رغبة . فاجتنب الاعتقاد بالخير والشر تختفى كل الوساوس والهواجس ، فإن الشك هو الخير الحق ، ومتى استراح الناس من كابوس الخير والشر ، فليضربوا فى الحياة كيفما شاءت لهم الحياة ، لا يفرحون ولا يحزنون ، يأكلون حين يجوعون ، ويشربون حين يظمأون ، لا يطمحون ولا يتحسرون . راحتهم فى أنهم لا يبالون ، لأنه لا شيء فى الحياة ذو بال .

هذا هو فيرون يعلق الحكم وينفى الأضرار ويتجاهل الخير والشر فيشرع لا يبالى بشيء ولا يهتم بشيء ، لأن شيئا بالغاً ما بلغ لم يمد بطرف عينه ، أو يهز عطفيه ولو سقط انكسارك ولو أوشك هو على الغرق .

الشرور واقعة ، ولكن لا نستطيع ولا يستطيع أحد أن

1 Brochard : Les sceptiques grecs. p : 51

يبيدها ، وما على المرء إلا أن يخفف من وقعها عليه ، وأن يهون على نفسه منها . وليعش كسائر الطغمة الدهماء ، خاضعا لقوانين الدولة وعوائدها ودينها ، لا يثور عليها ، فقد لاقى سقراط جزاء ثورته ، فامتلأت النفوس خوفا ورعباً ، وتجمدت الارادة خنوعاً ومسكنة ، حتى قال تيمون « أما نحن فلا نخرج عن العرف » .

وبهذا التوقف الاعتقادى نصل إلى الطمأنينة التامة والسعادة المطلقة حيث لا شر ولا ألم . وهل السعادة إلا غياب الألم ؟ وهل ينشد الانسان إلا السعادة ؟ وهل من سبيل إليها إلا فى تعليق الحكم وعدم المبالاة ؟

« فالأشياء مظاهر لا ندرى حقائقها ، فلنقف منها على الحياد غير مبالين بشىء فنستريح ونطمئن ونسعد »

واذا كان فيرون يلتمس السعادة فى الشك ، فإنه ينخرط فى سلك المفكرين بهذه الطرافة النائية التى أفسحت له مكانا بينهم ؛ ذلك بأن الناس انما يختلفون فى وسائلهم الى غاياتهم أكثر من اختلافهم فى غاياتهم ، ولشد ما يكون الاختلاف اذا اتحدت الغايات . واذا كانت غاية الغايات عند الجميع هى السعادة ، فقد توسل لها سقراط بالعلم ، وأفلاطون بزكاة النفس ، وأرسطو بالحكمة ، وأبيقور باللذة ، وديوجين بالفوضى ، أما فيرون فوسيلته تعليق الحكم أو اللاأدرية . ولهذا يقول (وادنجتون Waddington) فى كتابه عن (فيرون والفيرونية) :

« ان أساس مذهب فيرون أنه اتخذ من الشك آلة للحكمة والاعتدال والعزلة والسعادة » أى أن فيرون اتخذ من الشك آلة للشك .

يقول الجرجانى « الشك هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك » [(١)] وذلك هو اللا أدرية عند فيرون

ويستطرد الجرجانى بقوله « وقيل الشك ما استوى طرفاه ، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب الى أحدهما » وعند أبى البقاء وقيل الشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما ، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عنده بالنقيضين أو لعدم الامارة فيهما » [(١)] وذلك هو تعليق الحكم عند فيرون .

ويقول الجوينى : « الشك ما استوى فيه اعتقادان ، أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور الذى يبنى عليه العاقل الأمور المتبرة » [(٢)] وذلك هو الشك الاعتقادى عند فيرون

ويقول التهانوى « الظن عند الفقهاء : التردد بين أمرين استويا [(٣)] واستدل على ذلك بذكر هذا المعنى فى (الحواشى المضدية) وفى (السلم) ، وعلى ذلك فالشك مرادف للظن . وجاء فى (كليات أبى البقاء) « الظن يكون معناه يقينا وشكا ، فهو من الأضداد كالرجاء يكون خوفا وأمنا . وفى الحديث القدسى : أنا عند ظن عبدى بى ، بمعنى اليقين والاعتقاد » [(٤)] .

وما دام الشك مرادفا للظن ، والظن يقين وشك ، فالشك يكون معناه اليقين ، واليقين عند أبى هلال العسكرى « هو سكون النفس بما علم » [(٥)] وذلك هو الطمأنينة التامة عند فيرون .

ومن هذا نرى أن مذهب فيرون ليس من السفسطائية فى شىء ، وبذلك يكون ابن حزم مخطئا إذ اعتبر اللاأدرية مذهبا سفسطائيا ، واللاأدرية ليست مع ذلك إلا جزءا من « الفيرونية » الذى يتلخص فى ثلاث وثلاث :

١ — ما الأشياء فى ذاتها ؟.. لا ندرى

٢ — فما موقفنا حيالها ؟.. تعليق الحكم

٣ — فماذا نجنى من ذلك ؟.. الطمأنينة

على أن تعليق الحكم وعدم المبالاة ليسا من أساليب الحياة فى قليل ولا كثير . إذ التقدم ظاهرة الحياة ، وكل شىء فى الوجود يسعى إلى كماله ويتوق إليه ، ويشق به ، أما التوقف فنكوص على الأعقاب » ونحن فى حركة دائمة مادمنا نفكر حتى لقد قال (ديكارت) « النفس تفكر دائما L'âme pense toujours » والسكون فى نظر (هرقليطس) هو الموت والعدم ، ونحن لابد لنا من أن نختار يمينا أو شمالا pour ou cantre وصدق السيد المسيح عليه السلام : (من لم يكن معى كان على) .

(للكلام بقية) محمد محمود زيتونه

(١ كليات أبى البقاء ٢) عن التهانوى مجلدا ص ٧٨٥ ٣) كشاف مصلحات الفنون ٥) الكليات ص ٢٣٩ ٦) مختصر الفروق ص١٠ ، ١٤

١ تعريفات الجرجانى ص ١٣٤

صور من الشعر الحديث في العـــراق

للاستاذ ابراهيم الوائلي

الزهاوى

ويحتج الشاعر على هذا المنع :

بأى كتاب أم بأية سنة أصد مهانا عن طريقى وأمنع

ولـكن هذا الاحتجاج الصارخ لما يقابل بشىء غير التجسس ورفع التقارير إلى السلطات الحاكمة :

فما نبسوا لى بالجواب وإنما أعدوا جواسيسا ورائى تتبع
تراقب أفعالى وكل عشية إلى (يلدز) عنى التقارير ترفع

ويتضح لنا أن الشاعر كان قد ذهب إلى تركيا مع رفاقه مطالبين بالحرية ورفع الظلم عن البلاد العربية وبخاصة العراق وقد كان لهذه المطالبة صدى معكوس فى الدوائر الحاكمة . ويتضح لنا أيضا أن الشاعر كان ذا خطر يخشى منه الحكام ويخافونه فلم يأمنوا جانبه إذا بقى فى تركيا هو ورفاقه ولم يأمنوا جانبه إذا عاد إلى بلاده حراً طليقاً لذلك أعدوا له الأرصاد وبثوا له العيون وضيقوا عليه منافذ عيشه حتى أرجعوه محوطا بالقوة التى لا ترحم وبالجواسيس الذين لا ذمة لهم ، ولم يكن نصيب أصحابه بأقل من نصيبه فقد نفى كل واحدمنهم إلى مكان وأبعدإلى منأى وعومل بمثل ماعومل به الشاعر. وهنا نترك مجال التعبير للشاعر نفسه يحدثنا عن مشهد من أشق المشاهد وأفجعها عليه وهو مشهد التوديع وما يبعثه من أسى ولوعة ، مشهد الشاعر يودع أصحابه بقلب واجف مضطرب ودمع سخى متدفق ، ومشهد أصحابه وهم يودعونه بمثل ماودعهم به وكل واحدمنهم محوط بفريق من الشرطة يسرعون به فى طريق النفى والابعاد :

أودعهم والقلب يمتلىء لهم حنانا وجفن العين بالدمع مترع
يشيعهم قلبى يسير وراءهم وقلبهم يمشى ورائى يشيع
يحيط بنا من كل صوب وجانب فريق من (البوليس) يسعى فيسرع
نبعــد منفيين كل لبلدة وما ذنبنا الانصــائح تنفع

إذا فلم يكن ذنب الشاعر حين لاقى ما لاقاه هو وأصحابه إلا الدعوة إلى الاصلاح ورفع الحيف عن الشعوب المكبلة بالأغلال .

وتنتهى هذه القصة المؤلمة بالاستنكار لهذا الوضع الجائر ولتحمل الأذى والظلم ، ووصف ما كان يلاقيه الشاعر من تهديد بالموت الذى هو خير من هذه الحياة الداكنة :

إلى أى وقت نعبد الظلم خشية فنسجد للقوم البغاة ونركع
حملنا الأذى حتى حنا من ظهورنا وقيل لنا لم يبق فى القوس منزع
يهددنى بالموت قوم وأنه لدون الذى من عسفهم أتجرع
وللموت خير من حياة مهانة يرى الحر وجه السوء فيها ويسمع

ويرسم لنا الزهاوى صورة أخرى لهذا الظلم . وقصة من تلك القصص التى تتجدد كلما تجدد والى أو حاكم . قصة الأحرار المشردين . والسكاكين التى تشحذ كل يوم . والرعية التى تساق سوق الأغنام ، والرشوة التى قضت على معالم العدل وغيرت مجرى القوانين . كل ذلك نجده فى قصيدته « الظلم والعدل » :

تأن فى الظلم تخفيفاً وتهويناً فالظلم يقتلنا والعدل يحيينا
يامالـكا أمرهذى الناس فى يده عامل برفق رعاياك المساكينا
لهوت عنا بما أوتيت من دعة فابيض ليلك واسودت ليالينا

ثم يستعرض بكاء الأرامل. وتقتيل الشباب ، وقسوة الولاة والرشوة وضياع العدل :

كم نسوة قتلت ظلما بعولتها فصرن يهملن دمعاً قبله صينا
وكم شباب من الأحرار قدهلكوا والارادات قد صاروا قرابينا
قست قلوب ولاة أنت مرسلهم كأنما الله لم يخلق بهـا لينا
تراهم أغبياء عند مصلحة وفى المفاسد تلقاهم شياطينا
وضاع فى الملك عدل يستظل به ما بين إغماض مرتشى وراشينا
ان الرعية أغنام يحد لها عمالك المستبدون السكاكينا

ولـكن :

ما جاءنا الشر إلا من تهاوننا ما عمنا الظلم إلا من تغاضينا

ان فى ديوان « الـكلم المنظوم » كثيراً من هذا النغم الثائر

الحزن الذى يتدفق عن حرارة ولهفة وينبع من أعماق النفس ، وكله لا يختلف من حيث العاطفة المشبوبة والموسيقى اللفظية .

ونكتفى بهذا القدر الذى سقناه مما نظمه الزهاوى أيام الاستبداد لنتحدث عن شعره بعد إعادة الدستور ولنرى موقفه من هـذا الحادث العظيم فى تاريخ الدولة العثمانية .

لم نجد للزهاوى قصائد كثيرة فى مناسبة الدستور وإنما كل الذى وجدناه لا يصل إلى ماوصل إليه ذلك الذى نظمه أيام الاستبداد ؟ وهذا المقدار القليل كاف لأن يفسر لنا مذهب الشاعر وموقفه حيال الدستور وهو موقف الفرح المستبشر والراضى المطمئن . ففى « الكلم المنظوم » قصيدة عنوانها (التعاون) قالها بعد إعلان الدستور – أو بالأحرى إعادته – وتلاها يوم انعقدت جمعية الاتحاد فى بغداد، والقصيدة لا تتجاوز خمسة وعشرين بيتا نجتزىء منها ما يأتى :

حزب التعاون فى الدنيا هو الناجى ... غنى على ضوئه فى ليلنا الداجى
قد أفلحت أمة فى قصده نهجت ... فانه للترقى خـير منهاج
ان الذى أصبحت عينى تشاهده ... قد أبهج القلب منى أى إبهاج
قد أعلنت للورى حرية فقضى ... زمان سخرة ذى أمرو (قرباج)
واطلقت كل نفس من اسارتها ... هذا الذى كان يرجو نيله الراجى

ثم يؤرخ هذه المناسبة :

فقال فى وصفها شعرى يؤرخها : (تحرر الناس من أسر وإحواج)

ويصادف هذا التاريخ سنة ١٣٢٦ هـ .

وقصيدة أخرى عنوانها « عيد ومأتم » قالها فى هذه المناسبة وقد صادف أن مات رجب باشا صديق الشاعر أيام اعادة الدستور فجمع الشاعر بين الفرح والحزن :

عم البلاد سرور لا يكدره ... إلا وفاة أبى احرارها رجب
أفراحنا برزا ياناقد اختلطت ... فقلت : قد طابت الدنيا ولم تطب

ليس هذا الذى تحدثنا عنه بغريب على الزهاوى وقد نفى وشرد وأبصر بعينه ما يجرى فى العراق وغير العراق من سوء المعاملة وما تعانيه هـذه الأقطار من فقر وجهـل وما يقع على الأحرار والأبرياء من تنكيل واضطهاد. ليس بغريب على الزهاوى أن يثور على عبد الحميد وولاته وأن يستبشر بعودة الأستور ولكن الغريب أن عبد الحميد الذى يقول فيه الزهاوى :

أيأمر ظل الله فى أرضه بمـا ... نهى الله عنه والنبى المبجل

وجدناه فى شعر الزهاوى حاميا للدين الاسلامى رافعاً منار الشريعة كما فى قصيدته (الفتح الحميدى) :

نهنيك بالفتح المبين الذى به ... تسامى منار للشريعة واستعلى !!

ولنا أن نعتذر عن الشاعر بما فسرنا به موقف الكاظمى من العاطفة الدينية التى استجاب لهـا الزهاوى حين رأى انتصار عبد الحميد على أوروبا الشرقية فاهتز لهذا الانتصار كما اهتز له غيره من الشعراء. وإلا فأى رافع لمنار الشريعة ذلك الذى حاد عن سنن النبى والكتاب ؟ .

ابراهيم الوائلى

عدو الشعب الجاشنكير

للاستاذ عطية الشيخ

تتمة

فى قلعة الكرك :

وقف اعربيان على باب قلعة الكرك واستأذنا فى الدخول على الناصر ذاكرين أنهما من مصر . فلما مثلا بين يديه كشف ابن قراسنقر لثامه فعرفه السلطان وقال له : محمد ؟ فقال لبيك يا مولانا السلطان ، وقبل الأرض وقال لابد من الخلوة ، فصرف السلطان من حوله . وآنئذ حدثه محمد باتفاق أبيه مع قبجق واستدمر على مناصرته ، وسلم إليه كتابا من الثلاثة الموالين مضمونه لوم الملك على النزول عن العرش ووعده برجوع ملكه إليه ، فلما قرأه قال يا محمد ، ما لهم قدرة على ما اتفقوا عليه ، فإن أمراء مصر والشام قد اتفقوا على سلطنة بيبرس ، والشاعر يقول .

كن جريا إذا رأيت جبانا ... وجبانا إذا رأيت جريا
لا تقاتل بواحد أهل بيت ... فضعيفان يغلبان قويا

ولن يتم لنا الحال إلا بالحيلة وحسن التدبير والمداراة والصبر على الأمور ، وأرسل مع ابن قراسنقر جوابا لأبيه نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : حرس الله تعالى نعمة المقر العالى الأبوى الشمسى ومتعنا بطول حياته ، فقد عملنا ما أشار به وما عول عليه ... وهذا الأمر ما ينال بالعجلة .. وإن حضر إليك من جهة المظفر أحد ، وطلب منك اليمين فقدم النية أنك مجبور واحلف ، ولا تقطع كتبك عنى » وهكذا بدأ الناصر يتصل سرا بمن يستطيع إفساده من الأمراء وأعيان الدولة .

عقارب السعاية

وأخذت عقارب السعاية تعمل بين المظفر والناصر ، توغر بطانة كل قلب صاحبها ليسرع إلى الوقيعة بالآخر ، حتى بعث المظفر للناصر بالكرك يطلب ما عنده من الخيل والمماليك ، ويهدده بالنفى إلى القسطنطينية إن لم يجب ، فغضب الناصر غضبا شديدا وقال: « أنا خليت ملك مصر والشام لبيبرس ، فما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندى ومملوك لى، إرجع إليه وقل له! « والله لئن لم يتركنى ، وإلا دخلت بلاد التتار وأعلمتهم أنى تركت ملك أبى وأخى وملكى لمملوكى ، وهو يتابعنى ويطلب منى ما أخذته » فأغلظ له رسول بيبرس القول حتى اشتد غضب الناصر وصاح به ، ويلك ! وأمر أن يرمى من سور القلعة . ثم ثاب إلى رشده واكتفى بحبسه ، ثم طرده ماشيا من الكرك ، وقد استغل الناصر ما حدث لاستدرار عطف الناس فكتب إلى جميع الأمراء بالدولة المصرية وإلى النواب بالبلاد الشامية كتبا سيرها مع العربان يستنكر سلوك بيبرس معه ، وفى آخر كل جواب « إما أن تردوه عنى وإما أن أسير إلى بلاد التتار لاجئا مستغيثا »

بداية النهاية

كانت الأفكار مهيأة من قبل عند أمراء الشام بزعامة قراسنقر فكتبوا الى الناصر بأنهم طوع أمره ، أما أمراء مصر وقوادها فأخذوا يهربون إلى الكرك وينضمون إلى الناصر بمماليكهم وأموالهم وأسلحتهم ، تاركين أولادهم بمصر ، فبدأ الشك يساور بيبرس ، وارتاب فى جميع المماليك بسبب ذلك ، وزاد الأمر حرجا أن البرجية ، وهم أعوان بيبرس استغلوا ظروفه الحرجة وأخذوا يظهرون جشعهم ، ويطلبون ثمن اخلاصهم ، ثم استبد الخوف ببيبرس وارتاب فى أخلص الناس إليه ، وقبض على كثير من الأمراء والمماليك ، وقطع رواتبهم وأرسل كتابا شديد اللهجة إلى الملك الناصر ليعيد من هرب إلى مصر ، وأغلظ فيه وأفحش على غير عادته ، ولكنه الضعف دائما ، وحرج المركز ، يسببان الشعور بالنقص ، فيعوض الإنسان هذا الشعور ، بالتكبر والتعالى مرة ، وبيذىء الألفاظ مرة أخرى ، وبالوعيد والتهديد آنا آخر ، وقد أشارت بطانة الناصر عليه ، أن يرد على بيبرس ردا لينا إمعانا فى الخديعة ، حتى يتم الاستعداد ، وينفض عنه الجميع .

رد مخادع

كتب الناصر إلى بيبرس جوابا على طلبه من هرب من الأمراء هذا نصه : « المملوك محمد بن قلاوون يقبل اليد العالية المولوية السلطانية المظفرية أسبغ الله ظلها ، ورفع قدرها ومحلها ... لما علم المملوك بوصولهم أغلق باب القلعة وسيرت إليهم ألومهم على ما فعلوه ... وعلمت أنهم أنما هربوا خوفا على حياتهم ، واستجاروا بالمملوك ، والمملوك يستجير بظل الدولة المظفرية ... والمملوك يسأل كريم العفو والصفح الجميل ، والله تعالى قال فى كتابه الكريم ، وهو أصدق القائلين (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)

عرش ينهاوى

وصل هذا الجواب للملك المظفر فاطمأن خاطره ، واستنام إلى الخديعة ، ولم يقرع له ناقوس الخطر إلا كتاب وصل إليه من الأفرم نائب دمشق بأن الناصر خرج من الكرك بقضه وقضيضه ، وأن كل أمراء الشام قد انحازوا إليه بعساكرهم وأموالهم ، وأن منابر الشام بدأت تدعو للناصر . ومنعت اسم بيبرس من الخطبة ، وشاع خبر خروجه فى مصر ، فازدادت حركة الهرب والانحياز إليه من المماليك والأمراء ، ثم أخذ المظفر يرسل الجيش تلو الجيش لمحاربة الناصر فيفر الجنود والأمراء ويلتحقون بجيش الناصر فى الشام .

يجنى عليه اجتهاده

هال المظفر ما يدور حوله ، وشعر بحرج مركزه فرأى تجديد البيعة لنفسه ، واستدعى الخليفة ، وحلف بين يديه الأمراء ، واستكتبه عهداً جديدا ليتلى فى المساجد على مسامع الشعب ، ونسخة العهد : « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله وخليفة رسول الله صلى الله عليـه وسلم أبى الربيع سليمان بن أحمد العباسى إلى أمراء المسلمين وجيوشها (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وإنى رضيت لـكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائبا عنى لملك الديار المصرية والبلاد الشامية وأقمته مقام نفسى لدينه وكفاءته وأهليته ، ورضيته للمؤمنين ، وعزلت من كان قبله بعد علمى بنزوله عن الملك ، ورأيت ذلك متعينا على ، وحكمت بذلك الحكام الأربعة . واعلموا رحمكم الله أن الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف ولا صاغر عن كابر ، وقد استخرت الله تعالى ووليت عليكم الملك المظفر فمن أطاعه فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى ، ومن عصانى فقد عصى أبا القاسم ابن عمى صلى الله عليه وسلم . وبلغنى أن الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور شق العصا على المسلمين ، وفرق كلمهم وشتت شملهم ، وأطمع عدوهم فيهم ، وعرض البلاد الشامية والمصرية لسبى الحريم والأولاد ، وسفك الدماء وأنا خارج إليه ومحاربه إن استمر على ذلك ...

وقد أوجبت عليكم يامعاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائى اللواء الشريف ...

ولما قرىء هذا العهد على منابر مساجد القاهرة وبلغ القارىء اسم الناصر صاحت العوام نصره الله نصره الله ، ولما وصل إلى اسم الملك المظفر صاحوا لالا ، مانريده ، وقامت ضجة وحركة فى القاهرة ومصر بسبب ذلك .

حتى ختنه وصديقه

كان بروغلى قائد قواد بيبرس وزوج ابنته لـما رأى العسكر والقواد يفرون إلى الناصر طلب إلى المظفر أن يقود الجيش بنفسه فتعلل بيبرس بكراهيته للفتنة وسفك الدماء ، واكتفى بتجديد البيعة وعهد الخليفة ، فلم يرق ذلك فى نظر بروغلى ، وقال له على لسان الرسول «يا بارد الذقن هل بقى أحد يلتفت إلى الخليفة؟ » ثم هرب مع جيشه وانضم للناصر وإذ ذاك سقط فى يد المظفر وعلم بزوال ملـكه ، وظهر عليه اختلال الحال وأخذ خواصه يلومونه على أخطائه ، كـكل ملك يأفل نجمه فيـكثر ناقدوه وتعد حسناته سيئات ، وكان أكثر لومهم له فى إبقائه سلار ، وإغضائه الطرف عنه ، مع أن جميع ما حصل من اختلال الدولة بسببه ؛ فإنه لـما فاتته السلطنة وقام بيبرس فيها حسده على ذلك ، ودبر عليه ، واشترك فى إثارة الفتنة مع دسائس الناصر « وبيبرس فى غفلة عنه فانه كان سليم الباطن لا يظن أن صديقه يخونه »

ويل للمغلوب

بلغ من انحلال أمر بيبرس أن العوام كانوا يعلنون سبه فى الشوارع ، ويهتفون به تحت أسوار القلعة ، فلم يجد بداً من أن يكتب للناصر بتنازله عن الملك وقال فى كتبه « إن حبستنى عددت ذلك خلوة ، وإن نفيتنى عددت ذلك سياحة ، وإن قتلتنى كان ذلك لى شهادة » ثم فكر فى ترك القاهرة خلسة والسفر إلى أسوان للاحتماء ببلاد النوبة ، لأنها من قديم مهرب لمن هوى نجمه من أمراء مصر وملوكها « فكأنما نودى فى الناس بأنه خرج هاربا ، فاجتمع العوام وعندما برز من باب الاصطبل صاحوا به وتبعوه ثم تجاوزوا الحد فى إهانته وشتمه بل أخذوا يقذفونه بالحجارة .

فى ساعة العسرة

عز على مماليك بيبرس السبعمائة مافعلته العامة بسيدهم فثارت ثائرتهم ، وهموا بوضع السيف فيهم ، ولـكن بيبرس الذى لاقى ما لاقى فى سبيل خدمة الشعب والمحافظة على ماله لم يقبل أن يسىء إلى أحد ، ونهاهم عما هموا به ، وطلب إليهم أن ينثروا ما معهم من الذهب على العامة لينشغلوا بجمعه عن السب والاهانة والجرى وراء الركب ، وقد نفذ مماليكه أمره ، وأخرج كل منهم حفنة من الذهب ونثرها على الشعب ، ولـكن العامة لم تلتفت للذهب ووجدت فى القسوة على هذا العزيز الذى ذل مغنما أكبر من الذهب ؛ وبذىء الألفاظ دائما أشهى إلى نفوس العامة من كل طعام آخر ، فاستمروا يعدون

خلف الملك ، وهم يسبون ويصيحون ؛ ولما علم خطباء المساجد إلى الوجه القبلي أسقطوا اسمه من الخطبـة ، وأعلنوا على المنابر اسم الملك الناصر .

لعن الله الدنيا :

كان أتباع المظفر يتناقصون كلما أوغل في السير للجنوب وما وصـل إلى إخميم حتى كان أكثر مماليكه قد فارقه ، بانثنى عزمه عن الوصول إلى أسوان وعاد أدراجه في طريقه إلى السويس ليذهب منها إلى بلاد الشام . وأرسل السلطان في طلبـه بعض الأمراء برياسة قراسنقر فأدركوه في غزة ، وأراد من بقي حوله من المماليك أن يدافعوا عنه ليخلص من الطلب فقال (أنا كنت ملكا وحولي أضعافكم ولي عصبة كبيرة من الأمراء وما اخترت سفك الدماء) وما زال بهم حتى كفوا عن القتال وسلم نفسه لقراسنقر وكذلك سلم مماليكه السلاح .. وفي طريق عودة الجميع إلى القاهرة لمقابلة الناصر قابل الركب في الخطارة بمديرية الشرقية رسول آخر من الملك ، أنزل المظفر عن فرسه ، وقيده بقيد أحضره معـه فبكى وتحدرت دموعه ، فشق ذلك على قراسنقر وقال : لعن الله الدنيا ! ياليتنا متنا وما رأينا هذا اليوم ! ورمى قلنسوته على الأرض من شدة الألم ، مع أن قراسنقر كان أكبر الساعين ضد المظفر والعاملين على زوال ملـكه . وبلغ الناصر ما أظهره قراسنقر من العاطفة نحو بيبرس فطلبه ليقتله ، ولم يجد مجالا للخلاص إلا الهرب إلى بلاد الشام . وليت شعري كيف يعاقب الإنسان على عاطفة أثارتها حوادث دامية يتفتت لها الجلمود الأصم .

محاكمة :

مثل المظفر بين يدي السلطان ، وقبل الأرض فعنفه الناصر ، وأخذ يعدد ذنوبه على مسامعه ويقول : « تذكر وقد رددت شفاعتي في حق فلان ، واستدعيت نفقة في يوم كذا فمنعتها ، وطلبت مرة حلوى بلوز وسكر فمنعتني ، ويلك ! وزدت في أمري حتى منعتني شهوة نفسي » فلما فرغ كلام السلطان قال المظفر : وإيش يقول المملوك لأستاذه ؟ فقال السلطان : أنا اليوم أستاذك وبالأمس طلبت أوزاً مشوياً ، فقلت إيش يعمل بالأوز ؟ أيأكل عشرين مرة في النهار ! ثم طلب السلطان وتراً ليخنق به بيبرس أمامه فالتمس المظفر وضوءاً ليتوضأ ، ثم خنق المظفر حتى كاد يتلف . ثم ترك حتى فاق وأخذ الملك يعنفه ويزيد في شتمه ، وكرر الخنق والإفاقة والتعنيف حتى مات المظفر تحت العذاب فأنزل إلى الاصطبل على درابزين وغسل وكفن ودفن خلف قلعـة الجبل وأخفى قبره ، وكذلك مثل الملك بابنته وزوجه وصادر أموالها وحتى جواهرها بتحريض بطانته ، وعلى قمة هذه المأساة وقف الشاعر يقول :

تثنى عطف مصر حين وافى قدوم النـاصر الملك الخبير
فذل الجشنـكير بلا لقاء وأمسى وهو ذو جأش نـكير
إذا لم تعضد الأقدار شخصاً فأول ما يراع من النصير

عطية الشيخ
مفتش المعارف بالمنيا

في تقسيم النفس

التوافق الفكري
بين سيجموند فرويد والغزالي

للأستاذ نور الدين رضا الواعظ

قد يبدو غريباً إذا قلنا ، ان التقسيم الثـلاثي الجديد للجهاز النفسي من قبل العلامة فرويد لم يكن حدثاً جديداً ، ولا إبداعا علمياً ، لأنه سبق أن تطرق إليه العلامة الغزالي » فعندما نقول هذا القول لا يعني أننا عققنا فرويداً ونتعصب للغزالي ، أو نريد أن نحط من قيمة فرويد العلمية حتى نرفع من شأن الغزالي لأن ؛ كلا من العلامتين في غنى عن المدح والقدح . ولكننا نريد أن نبحث عن الحقيقة أين وجدت ونتخذ « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » لأن التفـكير العلمي يقتضي التجرد عن التزمت ، والابتعـاد عن التعصب ، والا إختل « التوازن العلمي » الذي يجب السير بهداه ، أثناء البحث والتنقيب عن الحقائق العلمية ..

وعناصر التقسيم الثلاثى لجهاز النفس عند فرويد هى :

١ — الهو ـ وهو ذلك الجانب من النفس الذى يسود فيه مبدأ اللذة .. بمعنى أن فيه كل الغرائز الفطرية والميول والنزعات الأولية (أو الحيوانيه) التى ورثها الانسان من حياته البدائية ومستقر هذه النزعات هو اللاشعور . وأساسها (الغريزة الجنسية) بمعناها الواسع التى (تشمل كل ما يهدف إلى اللذة فى الكائن الحى)(١)

(والهو فى بحثه عن اللذة يخبط خبط عشواء لا يعرف المنطق ولا التبصر ولا وزن الأمور ، وإنما هو يندفع فى قوة وعنف لارضاء دوافعه واشباعها لا يرعى حرمة ولا يكف لحظة)(٢)

٢ — الأنا . هو الجانب الشعورى من النفس ، وهو يدين بمبدأ الواقع ، ويتكون من تحول جزء من (الهو) نتيجة الاتصال بالحياة الخارجية ، أى أن هنالك (عملية تفاعلية بين مبدأ اللذة المتمثل فى الهو ٠٠ ومبدأ الواقع المتمثل فى الانا ، تنتهى بتكوين الانا تدريجيا) (٣) ٠ والأنا يقوم بأعماله وفق المنطق والعقل ، خلافا لما عليه (الهو) ٠ ويتأمل فى عواقب الأمور ونتائجها ، ويزنها بميزان الدافع ٠٠ والأنا يطابق ما يسمى بالنفس أو الذات الشعورية »٠ (٤) الأنا الأعلى . وهو بمثابة المرشد للنفس ينصحها ويهديها سبيل الرشاد ، ويساعد الأنا فى صراعه مع الهو ، ويهال عليه بموج من الترغيب والترهيب ، ليصمد أمام نداءات (الهو) الشهوانية ، ويردها على أعقابها ٠ والانا الأعلى يتكون من الدوافع الدينية الموروثة ، والتعاليم الاخلاقية ٠ وعن العادات المشتقة من الأبوين ، والمربين وعن أوامرهم ونواهيهم

فيظهر من كل هذا ان الأنا هو الجزء المعذب من النفس لأن كلا من الهو والأنا والأعلى يضغطان عليه ، هـذا بطلباته الشهوانية الممجية، وذاك بطلباته المثالية الرفيعة ٠٠ ومن الطبيعى أن الانا يقف حائراً بين هذه الأصوات الرعبة التى ترن فى أذنه فلا يؤمل له الفلاح الا اذا تمكن من ايجاد توازن فى نفسه بين هذه الدوافع والأصوات .. فان لم يجد توازنا بين هذه الدوافع . فأن العاقبة ستكون وخيمة عليه .

وعناصر النفس عند الغزالى ثلاثة كذلك : ولكن يجب أن نصرح ، أن جوهر التقسيم يختلف بينه وبين فرويد .. وهى :

١ — الأمارة بالسوء من النفس : ويراد بها ذلك القسم من النفس « الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الانسان » (٥) والتى « تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان . وهى مذمومة غاية الذم ... لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فأنها مبعدة عن الله ، وهى من حزب الشيطان ، وما ابرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » (٦)

٢ — اللوامة من النفس .

و يراد بها ذلك القسم من النفس الذى « لم يتم سكونه ، ولكنه صار مدافعا للنفس الشهوانية ومعترضا عليها ، لأنه يلوم صاحبه عند تقصيره فى عبادة مولاه » (٧) والنفس اللوامة محمودة « لأنها نفس الانسان أى ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات (٨)

٣ — المطمئنة من النفس

وهى التى سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات »(٩) وهى لطيفة ربانية روحانية. وهى المدركة من الانسان ، والمخاطبة ؛ والمعاتبة ، والمعاقبة والمطالبة . جريانها فى البدن وفيضانها فيه ، يضاهى فيضان النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت، فانه لا ينتهى الى جزء من البيت الا ويستنير به (١٠)

ولا يضاح علاقة هذه الأقسام الثلاثة من النفس ببعضها ، يورد الإمام الغزالى عدة أمثلة ، نقتبس منها مثالا واحداً ... نوضح به العلاقة القائمة بين هذه لأقسام من النفس :

« ان مثل نفس الانسان أعنى النفس اللطيفة — أو « الانا » على حد تعبير فرويد — كمثل ملك فى مدينته ومملكته ، لأن

١ — ص ١٨ . علم النفس الجنائى : أحمد خليفة
٢ — ص ١٥ علم النفس الجنائى والثقافى : أحمد خليفة
٣ — ص ١٤ علم النفس الجنائى والقضائى ـ أحمد خليفة
٤ — ص ١٦ علم النفس الجنائى ـ للاستاذ أحمد خليفة

٥ — ص ٣ ـ جـ ٣ الأحياء للغزالى
٦ — ص ٤ ـ جـ ٣ أحياء علوم الدين للغزالى
٧ — ص ٤ ـ جـ ٣ ـ الأحياء للغزالى
٨ — ص ٤ جـ ٣ الأحياء للغزالى
٩ — ص ٤ جـ ٣ ـ الأحياء للغزالى
١٠ — ص ـ ٣ ـ جـ ٣ الأحياء للغزالى

من أدب الشباب :

خـــذلان

يا صديقي العزيز:

لشد ما أتألم حين أتصور وجهك الهادىء المنبسط تغضنه يد الألم ، وروحك الوادعة الساكنة تعصف بها نوبة من الشجى المرير وأنت تقرأ هذه الخطاب! ... ولشد ما يزداد ألمي حين أذكر أنني كاتب هذا السطور وباعث هاته الآلام ! !

أنا يا عزيزي ذلك الإنسان الذي كان يحشد لك في رسائله كل رائع وجميل ، ويقطف البسمات من ثغور الناس ليحيلها إلى كلمات تبعث المسرة في نفسك ، وتوقظ النشوة في عواطفك ، وتحمل إليك من معرض السعادة أجمل الصور وأنضر الألوان ! !

ولكن الذي يشجعني أيها العزيز أن ما أذكره الآن حقائق لها في دنيا الشعور رصيد كبير ، وما أجدرنا أن نحترمها مهما كانت قاسية ! !

يا صديقي العزيز ما أظن أن فترة في تاريخ صداقتنا الغالية تظفر منك بالاهتمام والتقدير مثل تلك الفترة التي كنا نعمل فيها جادين لدخول مسابقة أدبية عقدتها إحدى الهيئات الثقافية بالقاهرة !

لقد كنا إذ ذاك في لغة الطبيعة نسرين لا ينظران غير الأفق ، ولا يجيدان سوى التحليق ؛ وفي لغة الصداقة قلبين عرف الحب فيهما نعمة الخلود ، وعرف الوفاء بهما نعمة البقاء . وكنا كما شاءت لنا أحلام الشباب ، وما أروع ما تشاء تلك الأحلام وتريد !

وما أظن أن يوما في تلك الفترة ترعاه ذكراك مثل ذلك اليوم الذي كنا نتسابق فيه إلى بائع الصحف لنقرأ رأي لجنة التحكيم في نتاجنا الأدبي الباكر !

لقد تخاطفنا الجريدة إذ ذاك من يد البائع وراحت نظراتنا تنهب صفحاتها في سباق جنوني ... وتحت عنوان خاص تلاقت نظرتان : أما نظرتك فقد استحالت إلى إطار من الأمل المشرق يضم في حناياه ذلك الاسم المحبوب الذي يزهو في قائمة الفائزين ؛ وأما نظرتي فقد ارتدت مذعورة لتدفن أساها في فيض من

البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ؛ وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعمال . والقـوة العقلية — أي النفس المطمئنة « أو الانا الأعلى » على حد تعبير فرويد .. له كالمشير الناصح والوزير العاقل .. والشهوة .. أي للنفس الأمارة بالسوء أو « الهو » على حد تعبير فرويد .. كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة . والغضب والحمية له كصاحب الشرطة . والعبد السوء « الهو » الجالب للميرة ، كذاب خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح ، وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل ، وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح (أي الأنا الأعلى » في آرائه وتدبيراته ، حتى أنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة . كما أن الملك في مملكته اذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومستشيراً له ومعرضا عن اشارة العبد الخبيث مستدلا بأشارته ، على أن الصواب في نقيض رأيه حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأموراً مدبراً لا أميراً مديراً استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه .

كذلك النفس متى استعانت بالقوة العقلية المدركة (المطمئنة أو « الانا الأعلى » وأدبت حمية الغضب وسلطتها على الشهوة ، واستعانت باحداها على الأخرى .. تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها . وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها ، اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ، ومن عدل عن هذه الطريقة ، كان كمن قال الله تعالى فيه « أرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم » (١)

فلست أدري ، بعد هذا .. هل أنا مصيب في قولي ان الغزالي قد تطرق الى التقسيم الثلاثي للنفس قبل أن يتطرق إليـــه فرويد أم لا ؟!

نور الدين رضا الواعظ

كلية الحقوق . بغداد

---

١ — ص ٦ — ج ٣ — أحياء علوم الدين — للغزالي

الدموع .. الدموع التى أرسلها قلبى لتنوب عنه فى مأتم الخذلان !!

آه يا صديق لقد جفت دموعى إذ ذاك والتفت إليك وعلى ثغرى ابتسامة قلقة هى أشبه ما تكون بممثل يصعد خشبة المسرح لأول مرة ! ! ورحت أشد على يدك فى حرارة بل ، وامتد ثغرى إلى جبينك يترجم التهنئة إلى لغة القبلات !

آه يا صديق لقد عدت أنت إلى منزلك لتضيف إلى أمجادك صفحة ناصعة ، وانزويت أنا فى منزلى ألتمس معانى الخذلان فى هذا الوجود ! !

* * *

النجوم تتراءى أمام عينى وكأنها تستعطف الليل أن يسدل عليها أستار الغيوم .. أجل فلا شك أنها تستشعر الخذلان أمام هذا البدر المشرق الذى لا يفتأ يزهو عليها بأضوائه الألاقة الزاهية .

ولكن ألا يجوز أن يكون هذا البدر هو الآخر مخذولا ينشر العزاء فى رحاب الليل ، وأن تكون تلك النجوم دموعه الحارة الذليلة ! أجل فلا شك أنه يستشعر الهوان إلى جانب الشمس تلك التى لا تزال تميس بأنوارها كلما أقبل النهار .. أيها الليل إننى أنا الآخر مخذول ! ألا يوجد لديك مكان يسعنى لأذرف فيه دموعى ! !

تلك يا صديقى هى الخواطر التى كنت أتقلب على لظاها فى ذلك المساء القلق حتى حمل إلى البريد صباح ذلك خطابا منك كان ولا شك آثرا من آثار تلك الأحلام التى أغفت أفكارنا الشابة فى رحابها الرخية الوارفة !! وها أنت ذا تقول فى خطابك : « الآن يا صديقى آمنت أن الصداقة تفعل المستحيل . إنها السائل العجيب الذى يستحيل فيه الصديقان إلى إنسان واحد ، وتستحيل فيه آمالهم الرحيبة إلى أمل واحد! أجل يا أخى لا نتردد فى قبول ذلك الرأى فأنت أول دليل التمسه له . ألم أفز أنا وتخفق أنت فى مسابقة واحدة ، وبالرغم من ذلك كنت أحس النشوة الغامرة ترعش أناملك وأنت تشد على يدى والفرحة ، الفائرة تلهب شفتيك وأنت تقبل جبينى .. لقد كنت أود أن أشكرك أيها العزيز ولكنى سوف أشكر الصداقة — الصداقة التى تفعل المستحيل ! ! » .

وهنا يا عزيزى يحزننى أن أقول لك أن هذه الحرارة التى تحدثت عنها لم تكن إلا حرارة القلب الذى يحترق ، وأن هذه الرعشة لم تكن إلا رعشة الطائر الذبيح ، وأن اسمك الكريم ، اسمك الذى كنت أهتف به حين أراك مثلما يهتف العاشق بأغنية كانت ترددها حبيبته .. اسمك هذا لم يكن ثقيلا على نفسى مثلما كان ذلك اليوم . لقد خيل إلى أنه اغتصب ذلك المكان الذى كنت أهيئه لاسمى أنا وتربع فيه ولكن على أنقاض أمل نضير ! !

أنا أحبك يا صديقى ؛ هذا لا شك فيه ، ولكنى قبل ذلك أحب نفسى . تلك هى الحقيقة التى ضلت طريقها إلى قلوبنا وتركتها تعبد الوهم فى دير الأحلام !

حسب الصداقة يا أخى أنها أحالت ذلك الشعور بالخذلان ، ذلك الشعور الذى يلون الوجود بألوان المقت والكراهية حسبها ، أنه تحيله إلى بسمات لا يفيدنا أن تكون مسرحية ؛ فالواقع يا صديقى أن العالم مسرح كبير !

المنصورة محمد أبو المعاطى أبو النجا

رسالة الشعر

أشواق حائرة !.

للآنسة فدوى طوقان

ماذا أحس ؟ هنا، بأعماق   ترتج أهوائى وأشواق
بى ألف إحساس يحرقنى   متدافع التيار ، دفاق
ألف انفعال ، ألف عاطفة   محمومة بدمى ، بأعراق
ماذا أحس ؟ أحس بى لهفاً   حيران يغمر كل آفاق
جفت له شفتاى وارتعشت   أظلاله العطشى بأحداق

...

نفسى موزعة ، معذبة   بحنينها ، بغموض لهفتها
شوق إلى المجهول يدفعها   متقحماً جدران عزلتها
شوق إلى ما لست أفهمه   يدعو بها فى صمت وحدتها
أهي الطبيعة صاح هاتفها ؟   أهى الحياة تهيب بابنتها ؟!
ماذا أحس ؟ شعور تائهة   عن نفسها تشقى بحيرتها !.

...

قلبى تفور به الحياة وقد   عمقت ومدت فيه كالأمد..
فتهز أغوارى نوازعه ..   صخابة ، دفاقة المدد . .
ويظل منتظراً على شغف..   ويظل مرتقباً على وقد . .
أحلام محروم تساوره   متوحد فى العيش منفرد !
ويود لو تمضى الحياة به   للحب، مصدر فيضها الأبدى!

...

وهناك تومى لى السماء وبى   شوق إليها لاهف عارم
فأحس إحساس الغريب طغى   ظمأ الحنين بروحه الهائم
وأرى كواكبها تعانقنى   بضيائها الترجرج الحالم
تهمى على روحى أشعتها   وتلفه بجناحها الناعم
فأود لو أفنى وأمتزج فى   عمق السماء ونورها الباسم !

مالى يزعزعنى ويعصف بى   قلق عتى ، جامح الألم
تتضارب الأشواق حائرة   فى غور روحى، فى شعاب دمى
الأرض تعلق بى وتجذبنى   وتشد قبضتها على قدمى !
وهناك روحى هائم شغف   بالنور، فوق رفارف السدم
مستحقر للأرض تفزعه   دنيا التراب وهوة العدم !

...

روحى يلوب بدار غربته   عطشاً إلى ينبوعه السامى
فهناك أصداء يسلسلها   صوت السماء بروحى الظامى
وهناهنا فى الأرض يهتف بى   صوت يقيد خطو أقدامى
صوتان ، كم لجلجت بينهما   يتنازعان شراع أيامى
وأنا كيان تائه .. قلق ..   يطوى الوجود حنينه الظامى !..

نابلس   **فدوى طوقان**

الى الحبيب

للشاعر الشاب طالب الحيدرى

صاحب « ألوان شتى »

إلى القدح الذى تحطم على شفتي
إلى الوتر الذي أغنى على يدى
إلى الربيع الذى الهمنى ديواناً من الشعر
إلى الذى قال: أنا لك.. وسرعان ما انقلب!

همـوم نفسى تكاد تقتلها   فهل لقاء به أعللها ؟
إن غراماً أقام فى كبدى   أقسم بالله ليس يرحلها
آمنت أن القلوب أبردها   أقفرها من هوى وأعطلها
وأن أفكارنا التى صدئت   يرهفها حبنا ويصقلها
وأن هذى الجسوم أصدقها   صبابة فى الغرام أنحلها
ما الجفون الملاح أفترها   أصرعها للفتى وأقتلها !
وليلة بها على علل   غيرى من الناس ليس يحملها
سهرتها: لا السكون يغمرها   ولا هلال الدجى يكللها
وسادتى : والأنين يحرقها   يطفئها الدمع إذ يبللها
ياهاجرى لو وصلت لازدهرت   نفس على الملتقى معولها
تلك الليلات هل ستذكرها   ذاكرنى أم أنت سوف تغفلها؟

لى طلعة أثر السهاد بها | والهجر حتى لكدت تجهلها
أبعد هذا الغرام تهجرنى | خابت إذن ساعة أؤملها
تحمل النفس فوق طاقتها | تفديك تلك التى تحملها

• • •

عدت على العكس لا الهوى قبل | نملها بيننا وننهلها
ولا الليالى كالعهد ساهرة | نقطعها لذة ونقتلها
ولا الأحاديث كلها أملء | يسكرنا عذبها وسلسلها
ولا الأويقات وهى غالية | نشربها بيننا ونأ كلها
ولا المواعيد وهى باسمة | فى الليل أوفى النهار نجملها
ولا الترانيم وهى راقصة | نبعثها فى الهوى ونرسلها
ولا الأمانى التى نحققها | ولا الصعاب ألتى نذللها
ولا العيون التى نكحلها | ولا الخدود التى نقبلها
نفسى وهى التى أضن بها | بل وعلى غيرها أفضلها
ثق أننى فى الهوى أقدمها | وفى سبيل اللقاء أبذلها
نفسى فدى خصلة مجعدة | كان نسيم الصبا يرجلها
نفسى فدى ريقة معطرة | أرشفها خمرة وأنهلها
كأنها والعبير يغمرها | حديقة قد ذكا قرنفلها
نفسى فدى مقلة معربدة | يشمانى سحرها ويشملها
كنت إذا استغرقت أهدهدها | كطفلة أمها تدللها
نفسى فدى وجنة موردة | كنت متى أشتهى أقبلها
بحمرة الجلنار أصبغها | بماء ورد الرياض أغسلها

• • •

صلنى فنفسى يكاد يسقمها | هجرك ، لا ، بل يكاد يقتلها
عللت نفسى بالصبر مجتهداً | هيهات فالصبر لا يعللها

بغداد — طالب الحيدري

اللقاء الأخـــير

للشاعر الروسى ايفان تورجنيف

ترجمة الآنسة : سلوى الحومانى

كنا حبيبين سعيدين ... ثم جاءت اللحظة المشئومة فافترقنا كالأعداء .

وكرت سنون عديدة .. وفى ذات مرة ، عند ما كنت أزور المدينة التى يسكن فيها حبيبى ، علمت أن اليأس من لقائى قد حطمه ذهبت إليه ، ودخلت عليه ، وتلاقت أعيننا .

ولأيا استطعت أن أعرفه .. يالله ! أى مرض خبيث قد هصر حبيبى ؟ .. شحوب .. ارتعاش .. ذبول

ورأيت جسم حبيبى يذوب تحت ثوبه الهلهل

بدا لى فى قيصه الممزق كأن جسمه الواهى لا يستطيع تحمل ضغط الثوب .. وبجهد مد إلى يده المرتعشة التى تنوء بحمل عظامها ، ونفث بضع كلمات غامضة .. خــرجت حائرة تتعثر بين السلام والملام

وكان لهاثه يكاد يمزق صدره الهزيل المضنى .. وكذلك انسانا عينيه تقلصا حتى كادا أن يتلاشيا

وتفصدت من عينى حبيبى الذاويتين عبرتا أن تكسرتا على وجهه الشاحب

انفطر قلبى لمرآى حبيبى . وجلست الى جانبه يتنازعنى الألم والرعب من شبح المرض الجاثم عليه .

وداخلنى شعور عميق بأن هذه اليد التى تصافح يدى ليست يد حبيبى · وخيل إلى أن امرأة طويلة كاللانهاية ، صامتة كالأبدية ، باهتة كالعدم تجلس بيننا .. هى ملتفة من رأسها لقدميها بكفن كبـــير . عيناها الحادتان الغائرتان الشاحبتان تحدقان فى الفضاء ، وشفتاها الصارمتان المطبقتان الباهتتان لا تنفرجان عن كلمة · هذه المرأة لمست أيدينا .. ووفقت بيننا إلى الأبد نعم هو الموت الذى وفق بيننا !

سلوى الحومانى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

ثورة الجيل الجديد في الأزهر

نشرت في العدد الأسبق من « الرسالة » ما تلقيته من الطالب « ضياء الحائر بكلية الشريعة » متضمنا شكواه من كتب الدراسة الأزهرية . ولم أتوسع في التعليق عليها ، انتظارا لما عسى أن يبدى من آراء ووجهات نظر تنير جوانب الموضوع ونستطيع أن نتبين في ضوئها اتجاه الرأى العام الأزهرى فيه

ولم ألبث حتى جاءت الرسائل تترى من الطلبة ، تعبر عن الارتياح لإثارة الموضوع ، وتهيب بي أن أجيل القلم فيه ، وتفيض بالألم والشكوى مما يعانونه منها . وكتب بالعدد الماضى من « الرسالة » اثنان يعطفان على « ضياء الحائر » ويؤيد انه فيما أبداه ، كما كتب الأستاذ سليمان دنيا مقالا عالج فيه الموضوع على نحو يقوى جانب تلك الكتب ، وسيأتى الكلام على ما تضمنه هذا المقال بعد النظر فى رسائل الطلبة الذين يستصرخون ، وهم الجيل الجديد الحائر الذى ينبغى أن يتوجه الاهتمام إليه ، عسى أن يؤخذ بيده ليسير نحو مستقبل يرجى له وللثقافة الاسلامية على العموم .

يقول « ص . ا . ج بمعهد طنطا » فى رسالته الطويلة :

« قرأت اليوم العدد ٧٨١ من مجلة الرسالة وتصفحت خطاب الأستاذ الحائر فشممت منه رائحة العواطف المحترقة والمشاعر المحتضرة ، واطلعت على تعليقك على كلمة (الحائر) وأغلب ظنى أنها من الحيرة التى تكتنفنا جميعا وكان الواجب عليه أن يعبر بلفظ (الحائرون) لأن البلية طامة » وينقل إلى عبارات من الكتب المقررة منها ، ما قاله صاحب النهاية المقررة على طلبة السنة الثانية الابتدائية بعد أن عرف التيمم : « والأصل فيه آية وإن كنتم مرضى أو على سفر وخبر جعلت لى الأرض مسجدا وتربها طهورا ، وسوغ الاستدلال بهذا الخبر قرينة سياق الامتنان

وكذا الانتقال إلى التخصيص بعد العموم إذ مفهوم اللقب مع القرينة حجة كما صرح به الغزالى »

ومنها ما جاء فى كتاب آخر « ولنصاب الذهب الخالص ولو غير مضروب عشرون مثقالا وهو لم يتغير جاهلية ولا إسلاما والمثقال اثنتان وسبعون حبة وهى شعيرة معتدلة لم تقشر وقطع من طرفيها مادق وطال » ثم يقول: « وليس الأمر مقصورا على كتب الفقه ، وإليك عبارة من كتاب البلاغة بالنص: (فإن قيل هو أى وجه الشبه مشترك فيه ضرورة اشتراك الطرفين فيه فهو كلى ضرورة أن الجزئى يمتنع وقوع الشركة فيه والحسى ليس بكلى ضرورة أن كل حسى فهو موجود فى المادة حاضر عند المدارك ومثل هذا لا يكون إلا جزئيا ضرورة فوجه الشبه لا يكون حسيا قط — قلنا المراد بكون وجه الشبه حسيا أن أفراده أى جزئياته مدركة بالحس كالحمرة التى تدرك بالبصر جزئياتها الحاصلة فى المواد) أواه ! أواه من أى التفسيرية وما فعلت بعقولنا وما أنهكت من جسومنا وهدت من قوانا إن كان قد بقى فينا شىء من قوة ! »

ولا أريد أن أطيل بعرض محتويات بقية الرسائل ، وهى من « أحمد السيد خضر طالب بكلية الشريعة » و « فتحى محمد عبد الحافظ بمعهد طنطا الثانوى » و « السيد عوض محمود الجمفرى بمعهد فاروق الثانوى » و « رفاعى خاطر بكلية الشريعة »

وكلها تعبر عن القلق والحيرة والألم ، وتفصح عن التطلع إلى التعديل والإصلاح ومسايرة الزمن ، ومما يقوله الطالب فتحى عبد الحافظ « هذا رأينا نحن الطلاب وأما رأى أساتذتنا الأفاضل فيكفيك أننا كنا نقرأ هذا الموضوع أمام أحد الأساتذة الأجلاء فكان جوابه أن هذا كلام ليس له ظل من الحقيقة ، وحجته فى ذلك أن هذه العلوم المعميات تفتق الذهن وتوسع مدارك الفهم، وكيف تأخذ رأى أستاذ عاشر هذه الكتب طول حياته وأصبحت هى غذاءه الوحيد ؟ »

وأنا والله لا أدرى كيف تفتق تلك المؤلفات الذهن وتوسع مدارك الفهم ! كيف يدرك الطالب فى السنة الثانية الابتدائية أن الذى سوغ الاستدلال بالخبر قرينة سياق الامتنان إلى آخر ما صرح به الغزالى .. حتى يكون ذلك مدعاة إلى تفتيق ذهنه وتوسيع مداركه ؟ ثم ما « لنصاب الذهب » الخالص مضروبا أو

كشكول الأسبوع

▫ لا يزال معالى الدكتور طه حسين بك يسعى فى تقرير معاش لأسرة المرحوم المازنى ، ومما يؤسف له أنه وحده الذى يعمل لذلك ، والمسألة ليست مسألة المازني وأبنائه فقط بل هى مسألة الأدباء وحقوقهم ومصالحهم وتأمين حياتهم وحياة أولادهم من بعدهم . ولا تكفى جهود فرد وحده مهما كان نفوذه ، مالم يجد سنداً من الطائفة التى يدافع عنها ، ومما يؤسف له أيضا أن الأدباء هم الطائفة الوحيدة التى ليس لها شمل ملتئم . وهم فى البلد الذى تنال فيه الحقوق بقوة الجماعات . فمتى نرى للأدباء نقابة كغيرهم ؟ ولعل عميدنا يذكر دعوته إلى ذلك ، وليته يستطيع أن يحقق المعجزة .

▫ أجلت مناقشة الرسالة المقدمة من السيدة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » للحصول على الدكتوراه فى الأدب من جامعة فؤاد الأول ، لأن المسؤولين توقعوا ازدحام الطلبة وغيرهم فى حضورها وما قد ينشأ عن ذلك من شغب . ولا نذيع سرا إذا قلنا إن الرسالة قد تناقش سرا ...

▫ يشكو المدرسون المصريون المنتدبون التدريس بمدارس الحجاز من تأخر صرف مرتباتهم عدة شهور . وهذا أمر يؤسف له لأنه — على الأقل — يثبط همم المدرسين الذين يرغبون فى العمل بالقطر الشقيق .

▫ قررت وزارة المعارف تخفيف مناهج التعليم الثانوى ومن ذلك أن يعفى التلاميذ والتلميذات فى جميع سنى الدراسة التى فيها كتب إضافية للمطالعة من الامتحان التحريرى فى تلك الكتب ، ويوجههم المدرسون إلى قراءتها فى أوقات الفراغ ثم يناقشونهم فيما قرأوه فى بعض دروس المطالعة والإنشاء

▫ كتب الأستاذ منصور جاب الله فى « المصرى » مقترحاً على أعضاء المجمع اللغوى ترشيح عضو سودانى من المعروفين بسعة الاطلاع فى اللغة والأدب، فى أحد الكرسيين الخاليين به.

▫ قرأت كلمة صديقى الأستاذ الزحلاوى وطبيعى أن يدافع عن نفسه ويبدى وجهة نظره كما يريد . ولكن لست أدرى لماذا جشم نفسه أن ينفى عنى فضلا لم أدعه ... أما ردى على ما تضمنته الكلمة فقد ضاق عنه المقام فى هذا العدد ، فإلى العدد القادم .

▫ نظمت الجامعة الشعبية بدمنهور مباراة أدبية لاعداد رواية تمثيلية شعرية لمناسبة عيد الجلوس الملكى ، واشترطت عدم وجود العنصر النسوى فى أشخاص التمثيلية . وكان ينبغى أن تكون المبارة فى أى لون آخر من ألوان الأدب ما دام هذا الشرط .

غير مضروب ، وما الشميرة المتقدة التي لم تقشر وقطع من طرفيها ما دق وطال ؟ ما هذا وأمثاله ، مما وضع في العصور الماضية ، من أفهام ناشئين في القرن العشرين بمصر حيث يتعامل الناس بالجنيه والقرش والمليم ! وهذه البلاغة من قال بأنها بلاغة وصاحبها لا يكاد يبين ؟

هل المقصود من دراسة تلك المؤلفات ما فيها من علم أو هي نفسها المقصودة ؟ فاذا كان العلم هو الغرض فلماذا يصرون على حبسه بين جدرانها المغلقة ، ولماذا لا يستخرج ما فيها من (الخير الكثير) ويجلى لأهل العصر في أسلوب العصر ، ويوجه الجهد الذي يبذل في فهم العبارات الغامضة إلى ألوان المعرفة المتعددة أو إلى التطبيق على مسائل الحيـــاة المصرية الواقعة

يذهب الأستاذ دنيا إلى أن (الخير كل الخير للأزهر في أن تكون دراسته مستوعبة تتناول المؤلفات منذ عرف المسلمون التأليف والتدوين ، تدرسها وتتبين أسلوبها ومنهجها وموضوعاتها) ويقيس ذلك بأن العلماء من غير الأزهريين يدرسون الانسان الأول في عصور ما قبل التاريخ ليعرفوا أسلوب تفكيره وطريقة بحثه والموضوعات التي استرعت انتباهه فأخضعها لتفكيره وبحثه الخ . فهل يريد الأستاذ أن يدرس الطلاب جميعا من البدء إلى النهاية على نمط أساتذة قليلين معنيين بدراسات خاصة ؟ وهل يريد أن تكون الدراسة بالأزهر كلها تاريخ مؤلفات وطرائق مؤلفين !

نحن أمام علوم ذات حقـــائق معينة ، فهل ندع هذه الحقائق لندرس عبارات المؤلفين ونجهد في تفسيرها أو نعمد إلى الحقائق نفسها فنكشف عنها وندنيها من الأفهام والعقول وننميها بإضافة ما استحدث بعدها ؟ لقد عالج الأستاذ الموضوع معالجة فيلسوف يجلس في البرج العاجي ، معـالجة بعيدة عن الواقعية والأغراض التربوية .

سألت في كلمتي السابقة : « هـل انتفع الأزهريون بما حصلوه من العلوم الحديثـة ومارأوه من طرائقها في ثقافتهم الأزهرية الأصيلة ! » وأنا لا أقصد السؤال عن فائدة العلوم الحديثة في ذاتهـا ، كما فهم بعض من كتبوا إلي ، وإنما أعني أثرها في عرض العلوم الشرعية والعربية بالأزهر ، ولماذا لم يحتذ الأساتذة الأزهريون حذوها في تأليف علومهم بحيث تكون قريبة المنال ملائمة للعصر داعية إلى التجاوب فيها مع البيئات الأخرى . إن هذه العلوم الحديثة روافد للتثقيف العام بالنسبة للأزهريين ، وقد جرت في الأزهر ومعاهده على أيدي المصلحين المصريين ، فاستفادوا منها ولا شك ، ولكن لا يزال بينها وبين العلم الأزهري الصميم من شريعة ولغة حاجز قائم ، إذ لا يزال هذا العلم على حاله القديم لم يتأثر بطرائق العلوم الحديثة . وأنا أعتقد أن باب الاصلاح الحقيقي في الأزهر ما زال مغلقا ، ولم تدخل شمس الاصلاح الحديث إلى ذلك العلم الأزهري الصميم إلا من كوى ضيقة ، نفذت هذه الشمس إلى النحو قليـــلا ، فلم يعد الطالب يبدأ بإعراب (بسم الله الرحمن الرحيم)

أما علوم الشريعة وما يسمونه (بلاغة) فلا تزال في ظلام دامس من طرائق العصور الماضية التي لا تتفق مع العصر الحاضر

والأمر كله يتلخص في أمرين : الأول الكتب القديمة المعقدة التي يفرض إدراك مراميها الخفيـة المستعصية على طلاب يتلقون معارف كثيرة ، مختلفين عن أسلافهم على الأقل في أن الأسلاف كانوا متفرغين لها غير مطالبين بتحصيل ما جد من العلوم والمعارف ، والأمر الثاني هو وقوف العلماء المحصلين لهذه الكتب أنفسهم عندما وقفوا عليه منها ، معرضين عن تنميتها بما يلائم واقع الحياة الحاضرة .

ولا يقتصر ضرر ذلك على طلبة الأزهر ، بل هو يمتد إلى المحيط الاسلامي كله ، لأن استغلاق الدراسة الاسلامية في الأزهر يباعد بين هـذه الدراسة وبين المتعلمين في خارج الأزهر لأنهم يجدونها صعبة المنال بل مستحيلة التحصيل ، فكان من ذلك انفصال عقلية المتعلمين المسلمين من غير الأزهريين عن الحقائق الإسلامية . وهذا من أسباب عدم التجاوب بين المجتمع وأبناء الأزهر .

بعد كتابة ما تقدم وصلتني رسائل من حضرات (جمعة الباكى بكلية الشريعة ومحمد عبد العزيز عمر طالب بمعهد أسيوط وعبد الصبور الفندور ومحمد السعيد بكلية الشريعة) ويظهر أن ما تضمنته سيحملني على معاودة الكتابة في الموضوع . وعلى ذلك يعتبر الباب مفتوحا ...

مسابقة المجمع اللغوى :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بإعلان نتيجة مسابقته الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ بدار الجمعية الجغرافية الملكية يوم الأحد الماضى فألقى الأستاذ ابراهيم مصطفى كلمة عبر فيها عن سرور المجمع بهذا اليوم الذى يعد من أيامه ومواسمه . وتحدث عن مكافأة المجمع على الانتاج الأدبى فقال إنها كانت فى أول الأمر هبات من نفوس كريمة ثم رصد لها المجمع فى ميزانيته ٨٠٠ جنيه كل عام . ثم تحدث عن موضوعات هذه المسابقة فقال إنها كانت تشمل القصة والبحث الأدبى ، فأما القصة فان المجمع لم يتاق من آثار المتنافسين ما يرضاه لسمو هذا الفن . وأما البحث الأدبى فقد شمل تحقيق كتب عربية قديمة وقد فاز منها أربعة حققها دارسون مجدون قادرون ، وفاز فى الدراسات الأدبية بحث عن « رفاعة الطهطاوى » وهو أحد الموضوعين اللذين حددهما المجمع ليلتفت بالكاتبين إلى درس أدبنا الحديث .

وقد عرف الأستاذ بالكتب المحققة الفائزة ومكانتها الأدبية ، كما عرف برفاعة الطهطاوى موضوع الدراسة الفائزة ثم أعرب عن اغتباطه بفوز السيدة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) قائلا إنها أول فائزة بجائزة من المجمع . وقد فات الأستاذ أن أول فائزة بجائزة من المجمع هى السيدة سهير القلماوى على بحثها فى ألف ليلة وليلة . ثم قال إنه يأمل أن يجد فى المجمع اللغوى زميلات يعملن مع الأعضاء العاملين ... ولعل الأستاذ يتيح بذلك للسيدات المطالبات بالحق السياسى أن يطالبن أيضا بالحق اللغوى ... ولعلهن بعد أن ينلن هذا الحق يرضين عن نون النسوة التى كن يطالبن المجمع اللغوى بالغائها ...

ولم يدع الأستاذ ابراهيم مصطفى النحو ، أو لم يدعه النحو ، فعندما أراد أن يزجى التهنئة إلى الفائزين جعل يخرج كلمة «تهنئتى» هل من إضافة المصدر إلى فاعله أو من إضافة المصدر إلى مفعوله ، وعلى هذا الاعراب يكون المعنى (نهنىء أنفسنا)

ويلاحظ أن الكلمة فى مجموعها كانت «سانحة» إذ لم يوجه الاستاذهمه إلى ناحية أدبية يأتى فيها بغير مايشبه تقارير اللجان ، ومن أمثلة هذه الناحية ما ألقاه الدكتور طه حسين بك فى تقديم إحدى المسابقات الماضية عن «البحث الأدبى» وما ألقاه الأستاذ العقاد فى تقديم إحداها عن «مدارس الشعر المعاصر» وما ألقاه المرحوم الأستاذ المازنى فى إحداها أيضا عن «الشعر الوسط»

وبعد أن فرغ الأستاذ ابراهيم مصطفى من كلمته، وقف الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى مراقب المجمع فأعلن نتيجة المسابقة كما يلى :

١ — يمنح الأستاذ عبد السلام محمد هارون الجائزة الأولى المخصصة للنشر والتحقيق وقدرها مائتا جنيه عن مجموع جهوده القيمة فى تحقيقه ونشره لكتابى الحيوان للجاحظ ومجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب .

٢ — تمنح جائزة ثانية للتحقيق والنشر قيمتها مائتا جنيه على أن تقسم مناصفة بين السيدة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) لتحقيقها ونشرها رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، وبين الأستاذ طه الحاجرى لتحقيقه ونشره كتاب البخلاء للجاحظ ، تقديراً لما بذلاه فى تحقيقهما من مجهود .

٣ — يمنح الأستاذ أحمد أحمد بدوى الجائزة المخصصة لأحسن دراسة لرفاعة الطهطاوى بك وأثره فى وضع المصطلحات الأدبية ، وقدرها مائتا جنيه عن بحثه «رفاعة الطهطاوى بك» تقديرا لما بذل فيه من جهد قيم .

عباس خضر



جنة الحيوان

تأليف الدكتور طه حسين بك

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

« الفن للفن » و « الفن لخدمة المجتمع » ، نظريتان تؤثران أعمق التأثير فيما ينتجه الأدباء والفنانون المعاصرون من ألوان الفن والأدب ، من حيث طبيعة هذا الإنتاج ، والمنابع التي ينبع منها ، والمؤثرات التي يتأثر بها ، والأهداف التي يهدف إليها . ولكل نظرية من هاتين النظريتين أدباء وفنانون يتشيعون لها، ويخضعون في إنتاجهم لمناهجها المقررة ، ومبادئها المحررة، وأهدافها المرسومة، إن صح أن يخضع الفنانون والأدباء للمناهج والمبادىء والأهداف !

فالذين يذهبون في إنتاجهم مذهب الفن للفن يتسم إنتاجهم بالذاتية ، ويمتاز بالتجارب الخاصة . وهم لا يريدون بإنتاجهم شيئاً غير التنفيس عن مشاعرهم وأحاسيسهم بالتعبير عنها تعبيراً يكفل لأنفسهم الهدوء والراحة ، بعد القلق والعناء ، دون أن يقصدوا إلى إمتاع الناس أو نفعهم ، وإن كان أدبهم في ذاته يحقق بعض ذلك أو كله للناس .

والذين يذهبون في إنتاجهم مذهب الفن لخدمة المجتمع يعرضون في هذا الإنتاج لما يفيض به المجتمع الذي يعيشون فيه من المشكلات الكثيرة المتنوعة ، سواء أكانت هذه المشكلات مادية أم مذهبية أم نفسية . ولا يبغون من وراء ذلك إلا أن توجد الحلول المناسبة لهذه المشكلات ، فيتحقق بذلك نفع الناس ، وخدمة المجتمع . ولا يعنينا هنا أن نوازن بين أدب هؤلاء وأدب أولئك، وإنما يعنينا أن نذكر هذين اللونين من ألوان الأدب والفن لنقول إن القراء يختلفون اختلافاً شديداً في الإقبال على هذا اللون دون ذاك ؛ فبعض القراء يؤثر اللون الذاتي الذي يحقق له المتعة النفسية الكاملة ، ويكلف به ، ويقبل عليه ، وبعضهم الآخر يؤثر اللون الاجتماعي الذي يجد فيه صدى قوياً لحاجاته المادية ، ومطالبه الاجتماعية ، ويعرض عن سواه مما لا يجد فيه شيئاً من ذلك .

نعم ؛ ولكن هناك لوناً فريداً من ألوان الأدب استطاع أن يلائم بين هاتين النظريتين ملاءمة قوية ناجحة ، فاستطاع بذلك أن يجمع هاتين الطائفتين المختلفتين من القراء على الإقبال عليه ، والإعجاب به، والتشيع له ؛ لأنه جمع بين المتعة الفنية الكاملة التي يحققها التعبير الرائع ، والتصوير البارع ، والعرض الخلاب ، والمنفعة الاجتماعية التي يجلبها تصوير المشكلات الاجتماعية المختلفة تصويراً دقيقاً ، والدعوة القوية إلى حياة تقل فيها المشكلات إن لم تنعدم ، وتتحقق فيها العدالة الاجتماعية ، والحرية الإنسانية ، على نحو يرتفع بالحياة البشرية عن المستوى الذي نزلت إليه .

وهذا اللون نادر في أدبنا العربي المعاصر . ولا يوجد في هذا الأدب ما يمثل اللون الفريد النادر كما يمثله أدب طه حسين في كتبه الكثيرة المنوعة .

من هذه الكتب التي تمثل هذا اللون من ألوان الأدب ، كتاب «جنة الحيوان» الذي أخرجه عميد الأدب العربي للناس منذ قريب . وهذا الكتاب إنما هو صور نفسية دقيقة لبعض الشخصيات المعاصرة التي عرفها الكاتب العظيم معرفة خبرة وتجربة ، ثم صورها بقلمه الساحر القدير هذا التصوير الدقيق الذي يخلع عنها ما تصطنعه من العظمة ، وتتكلفه من المظاهر ، فتبدو أمامنا عارية إلا من مباذلها ونقائصها .

ومن خلال هذا التصوير الدقيق لتلك الشخصيات المعاصرة تظهر لنا الأفكار الإنسانية السامية ، والمبادىء الاجتماعية النبيلة التي يعتنقها الكاتب العظيم عن يقين وإيمان ، ويدعو إليها في قوة وإخلاص . وقد أصبحت هذه الأفكار والمبادىء في غنى عن التعريف بما أذاع عنها الأستاذ العميد ، ودعا إليها في الصحف والمجلات والمنتديات .

وموقف الكاتب من شخصياته التي يصورها في هذا الكتاب يختلف تبعاً لطبيعة هذه الشخصيات ، ومكانها من نفسه . فهو يسخر من بعضها سخرية مرة ، ويتهكم به تهكماً لاذعاً ، كما

يبدو فى حديثه عن « ثعلب » و « الطفل » وأمثالها من الصور النفسية والنماذج البشرية . وهو يداعب بعضها مداعبة محرجة ، ويعاتبه عتاباً مؤثراً ، كما يبدو ذلك فى «حديث القلوب» وهو فى كل ما تحدث به فى هذا الكتاب ، صاحب القلب الإنسانى الكبير الذى يقول بعد أن يعرض لما تشقى به بعض الأسر من دفع نفقات التعليم ، ولما يفعله بعض كبار وزارة المعارف الذين تعلموا على نفقة الدولة ، ثم يريدون أن يحرموا غيرهم من أن يتعلموا على نفقة الدولة كما تعلموا : « اللهم اشهد أنى ما ذهبت قط إلى الجامعة أو إلى وزارة المعارف إلا كانت هذه القصة ملء قلبى ، وإلا ذكرت أنى كنت سعيداً حين تعلمت على حساب الدولة ، فمن الحق على أن أتيح بعض هذه السعادة لأكبر عدد ممكن من شباب مصر : ولو استطعت لأتحتها لهم جميعاً . ومن يدرى فما لم نستطعه أمس قد نستطيعه غداً ولا بد أن يبلغ الكتاب أجله ، ولا بد لمصر من أن تظفر بحقها من العدل فى يوم من الأيام » .

هذه كلمات لا يقولها إلا من كان ممتلىء النفس بحب الانسانية ، قوى العزم على العمل لتحقيق العدالة الاجتماعية . بل هذا اعتراف لا يصدر إلا عن صاحب «الأيام» وأمثاله من ذوى العظمة النفسية ، والضمائر الحية .

وأسلوب طه حسين فى هذا الكتاب هو أسلوبه فى كل ما كتب ... أسلوب سهل المفردات ، واضح التراكيب ، ينساب فى حرية ، ويسترسل فى طلاقة . وميزة هذا الأسلوب كامنة فى موجاته الموسيقية الطويلة التى هى من خصائص الموسيقى التصويرية ، ولهذا استطاع طه حسين أن يصور بهذا الأسلوب ما يشاء من المشاعر والأفكار تصويراً دقيقاً رائعاً مؤثراً . ومن عجائب هذا الأسلوب أن القارىء حين يقرؤه يظن بنفسه القدرة على الاتيان بمثله ، فإذا حاول ذلك انقطع وتحير ، وأنه يحتفظ بكل خصائصه الفنية حتى حين يتناول مشكلات المادة ، وشئون المعيشة ، ومطالب الموظفين !

ونستطيع أن نقول إن أسلوب طه حسين هو خير نموذج للشعر الحر الذى يخلص من قيود الوزن الموحد ، والقافية المشتركة ؛ ولهذا فقد استطاع صاحب هذا الأسلوب أن يجعل نثره شعراً ... شعراً موزوناً مقفى سواء أراد ذلك أم لم يرده ؟ فقد بدأ الفصل الذى عقده فى كتابه وسماه « الفانيات » بهذه العبارات المنثورة التى ننسقها تنسيق الشعر ، ونسميها « طيف » ، ونوردها فيما يلى :

من أين أقبلت يا ابنتى ؟	من حيث لا تبلغ الظنون !
ما ذا تريدين يا ابنتى ؟	أقول ما لا تصدرون !
كيف تقولين يا ابنتى ؟	أقول ما لا تصدقون !
أسرفت فى الرمز يا ابنتى	بل ما لكم كيف تحكمون ؟
وينظر الشيخ حوله	فلا يرى من يحاوره
وينكر الشيخ نفسه	ولا شكوك تساوره
فقد رأى شخصها الجميل	تظله هذه الغصون
ولم يزل صوتها الضئيل	يثير فى نفسه الشجون
وكانت الشمس قد تولت	كالأمل الخائب الكذوب
وظلمة الليل قد أظلت	كاليأس إذ يغمر القلوب

أما بعد ، فخلاصة ما يقال فى هذا الكتاب أنه صور نفسية دقيقة لبعض الشخصيات المعاصرة ، وأنه يجمع بين التصوير الفنى الذى يحقق للنفس المتاع ، والهدف الاجتماعى النبيل الذى يجلب للناس الخير . ولهذا فقد لازم بين النظريتين المختلفتين ، وجمع بين الطائفتين المختصمتين !

وليس ذلك بعزيز على عبقرية طه حسين ، ومقدرته الفنية الفائقة .

ابراهيم محمد نجا

ابن المعتز

وتراثه فى النقد والأدب والبيان

سفر جديد ألفه الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة العربية ، ونشرته مكتبة الحسين التجارية بأول السكة الجديدة بمصر لصاحبها محمود توفيق ، فى أربعمائة صفحة من الحجم الكبير على ورق أبيض مصقول

تناول مؤلفه فيه ، هذا العالم الفذ ، والشاعر العبقرى ، والكاتب البليغ ، والناقد الأديب ، والعالم المجلى فى حلبة العلم .

والعلماء ، والمؤلف الممتع فيما كتبه من مؤلفات وبحوث ؛ فى تفصيل واسع ، وتحليل دقيق ، لحياته وشخصيته وشعره وأدبه وأثره فى النقد والبيان

وهو أول كتاب فى الأدب العربى ، يؤلف وينشر فى حياة ابن المعتز الخليفة العباسى م ٢٩٦هـ وآثاره الفنية والأدبية والعلمية ويمتاز بدقة البحث وعمق الفهم والاستنتاج وكثرة المصادر وتنوعها وتعدد ألوان التجديد فى الدراسة الأدبية

وقد صدره مؤلفه بكلمة عن عهد الفاروق الزاهر ، وفيض رعايته وتشجيعه وعطفه على النهضة الفكرية والعلمية والأدبية فى وطننا الخالد وفى شتى بلاد الشرق العربى

ولا شك أنه سفر نفيس ، جدير بالاهتمام وبعناية القارىء وحرصه على اقتنائه .

وفيات الاعيان لابن خلسكان

يعد هذا الكتاب موسوعة تاريخية قيمة ، ومرجع من أوثق المراجع فى تراجم الشخصيات البارزة فى التاريخ الاسلامى منذ فجره إلى القرن السابع . ويعد مؤلفه من خيرة من كتبوا فى التراجم من حيث تحرى الدقة فى البحث ، والأمانة فى النقل ، وذكر المراجع التى يأخذ عنها ، وعدم تحكيم عواطفه الخاصة فى كتاباته . ولعل مرد هـــذه الخصائص يرجع إلى طول اشتغاله بالقضاء . غير أن هذا الكتاب قد أصابه من التحريف ، ورداءة الطبع ، وندوة نسخه ماجنى على قيمته ، ونال من مكانته ، كرجع من أهم المراجع التاريخية للباحث . وقد توفر على مراجعة هـذا الكتاب ، وتحقيق نصوصه ، وضبطها ، وشرحها ووضع فهارس له فضيلة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد وتمنى له أخراجه فى سبعة أجزاء . والعمل الجدير بالتنويه والشكر هو دقة فهارسه وشمولها . ومن أهم ما تحتاج إليه أمثال هذه الموسوعات هو الفهارس الدقيقة الشاملة فهى بمثابة المعالم التى تحدد المواقع وترشد إلى الاهداف . وتعين السالك فى فجاجها ، تعصمه فى مناهاتها من الضنى أو الضلال . وقد ركز أستاذنا — جهده فيما يستحق الجهد من عمل هذه الفهارس ، فقد وضع فهرسا عاما تناول فيه الأعلام بحسب اسم الشخص وأبيه وجده وما اشتهر به من كنية أو لقب . وفهرسا للقرون بذكر فيه شخصيات كل قرن ، ثم فهرسا للطبقات العلمية يذكر فيه كل طبقة على حدة . طبقة الشعراء والمغنين والقضاة والولاة والمتكلمين وغيرهم كل طبقة فى اطار فهرسها الخاص . ثم فهرسا بالكلمات التى ضبطها المؤلف نفسه من نسبة أو اسم بلد أو علم غريب أو كلة لغوية أو مثل . فمتى يتاح لذخائرنا أن تبعث ولتراثنا أن يحقق وينشر ؟

محمد عبد الحليم أبوزيد



الأدب المنتحر :

الأدب العربي — اليوم — يقاسي محنة مريرة ، ويعاني تجربة قاسية، أسأل الله أن يجتازها بسلام .

ذلك أن نفراً من المبتلين بداء التقليد يطلمون علينا كل يوم بصورة من صور الإفلاس الكبرى ، والمجاعة العاطفية .

فتراهم يحاولون تقليد المذاهب الغربية الهاربة من نعيم الحياة الحاقدة على المجتمع ، المنزوية فى كهوف من الأوهام العاجزة الربضة .

وفى لبنان مجلة تقرأ فى كل عدد من أعدادها نماذج من تلك المذاهب ، وأنا أورد ثلاثة نماذج من تلك الصور البشعة للأدب البغيض .

أحدها من قصة عنوانها (مواطن جديد) قال كاتبها فى أولها :

« آه .. تنبعث من زاوية الكوخ فيرفع الرجل رأسه ، ويرنو إلى زوجته القابعة على بقايا حصير ، ثم يتطلع إلى وجهها الشاحب الباهت ويتسائل (هكذا) — ما بك ؟ . — الجنين . أحس ألماً شديداً فى أحشائى . يبدو أن ساعة الوضع قد دنت . إن الشقى يتأهب للنزول إلى الحياة ، ليأخذ نصيبه من الألم والعذاب، نصيبه من الشقاء والبؤس ... ويدير ببصره إلى باب الكوخ . ظلام .. الظلام يكتنف الكون ... لا ... الأكواخ ... فقط ... إن كلمات زوجته تهبط على رأسى كالطارق فهلا كفت عن الشكوى ؟

— أممك عود ثقاب ؟ ! .. يلتفت الزوج .. إن النور الضعيف الذى كان ينبعث من ذبالة السراج قدمات ... تلاشى .. فملأ السواد جانب الكوخ .. انطفأ .. ويمد الرجل يده إلى جيبه، لا شىء .. إنه مثقوب .. الجيب الآخر .. فتصطدم ببعض الأجسام الصغيرة يعرف بينها علبة الثقاب لكنه يتمهل فلا يخرج يده .. بل ظل يعبث بتلك القطع ويمر بأصابعه على أطرافها ، هذه القطعة التى جوانبها ملساء .. قرش .. وهذه الصغيرة التى بأطرافها نتوء .. أربعة .. أما هذه الكبيرة قليلاً .. فعشرة .. خمسة عشر فلساً . إنه يتفحصها الدرة العاشرة دون أن تزداد قليلا . خمسة عشر فلساً . يقولون إن النقود تأتى بالنقود والذهب يأتى بالذهب . أما النحاس ؟ . وينهض الرجل متثاقلا فيتحسس بأقدامه الأرض ... ويحمل الرجل السراج متذمراً ويهزه بيديه هزاً عنيفاً .

— نضب .. الغاز نضب .. إن السراج خال من الغاز . تئن الزوجة .. ويطلق الزوج ضحكة قصيرة .. — حتى الغاز أيضاً .. هه

— تضحك وأنا أتألم

— أجل أضحك وأنت تتألمين . يجب أن نضحك ونحن نتألم ، هكذا يريدوننا . أما الشكوى فكأى شىء آخر فى الحياة محرمة علينا .. يريدوننا أن نضحك ونحن نموت »

وهكذا تمضى القصة مفككة لا هدف لها ، كاذبة على الحياة ، متفلسفة فى جو لا تعيش فيه الفلسفة ، زائغة عن القصد ..

. . .

أما النموذج الثانى فشعر بعنوان (نعش تائه) للطفى جعفر أمان يقول فيه :

ليل .. ومقبرة .. ومنبوذ بلا خفق طريح
هفت الرؤس لنعشه .. وتنفست صمتاً وريح
فى كأس جمجمة يريق شبابه يأساً جريح
فترف نازفة النطاف بحتفها ولهى تصيح
بعث العدم ..
فى جنة تلظى بلف ربيعها فجر أصم
أذبته حياً .. فازهر، واضطرم
وأرقته عطراً أغم
ناراً ودم

. . .

والقصيدة كلها غموض وتفسخ وألفاظ لا معنى لها ولا رواء

أما ثالث النماذج فبعنوان (حزنى) لمنير وبس يقول فيه :

بى حزن عميق ، مظلم
يحتضر فى ضباب ابتسامى فيضيع
يجف فى عطش
فى خلاء اكتفائى
يحتضر فيضيع



أقصوصة عراقية

بدور ابنة عمي

للقصاص العراقي شاكر خصباك

صحيح أن بدور لم تكن تعدو عن كونها ابنة عمي ، ولكنني مع ذلك كنت أحبها بقدر محبتي لوالدتي وهي كل ما أملك في الحياة . كيف أنسى تلك اللهفة التي كانت تلهب نفسي إلى رؤيتها ورؤية أبوي حين كنت أقوم بمهام وظيفتي الحكومية في (البصرة) ؟ وعند ما عدت إلى بلدتي لقضاء أجازتي السنوية .. رباه ، كيف يغيب عن خيالي ذلك الموقف ؟ ! لكم أثار منظرها في نفسي من غبطة وحبور حين تهادت نحوي في خفر وألقت على تحية اللقاء بلسان لثمه الحياء ، ووجه أضرجه الخجل ! ولأول وهلة كذبت عيني وأنا أتفرس فيها مأخوذاً . قبل عشرة شهور فقط خلفتها طفلة ساذجة ، أما هذه فامرأة ، امرأة فاتنة تتضوع سحراً وإغراء ! أهي بدور حقاً هذه الشابة الرائعة ذات القامة الفارعة والجسد الممتلىء والنهدين المتوثبين ؟! سبحانك اللهم..!

لكم تمنيت في تلك اللحظة لو تطول الأجازة لأستمتع بالحياة الهنيئة في هذا الجو العائلي الجميل الذي يظلله بالحنان المضطرم أبواي العزيزان ، وتنيره بالبهجة بدور العظيمة . أية أيام تلك التي هنئت بها في مطالع عودتي ؟ ! لقد طفح قلبي بسعادة مشرقة . . سعادة فياضة لم أذق لطعمها مثيلا في الأجازات السابقة ، ووجدتني مسوقاً إلى الاهتمام ببدور أكثر من أي وقت مضى . ولست أدري ما الذي أوحى إلى أنني كنت مقصراً في محبتها أثناء الأعوام المنصرمة مع أنني محضتها أعظم الحب كما لو كانت شقيقتي الوحيدة ، عند ما

عذب ، حنون ، كأنفاس الحبيبة

كرطوبة الضباب يغمر الأزهار

به سكون ، به دموع ، به حنان ، به حنين عذب

أعذب من آلام المخلص ، فالآن قوة وظفر

أما حزني فنغم هائم في نسيان

شعاع يتلاشى في نور ، ضعف يرتعش في حياة

حزني أنين ، بليد ، بليد ، كالأحلام ، كالرقاد

أنفاس قبور .. لقاء حبيب .. دموع أم أنين

مدنية .. بليد .. بليد كالنعاس »

إلى آخر هذه السفسطة البليدة

غائب طعمه فرمان

حول مقال الجارم الشاعر :

قد اطلعت في الرسالة الغراء بالعدد (٨٧٢) بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩٥٠ على مقال الأستاذ عبد الجواد سليمان بعنوان الجارم الشاعر وقد سرني هذا البحث القيم الذي يدل على وفاء الباحث لأستاذنا الجارم بيد أن الأستاذ ذكر البيت الآتي

بيت له عنت الوجوه خواشعاً كالبيت يمسح ركنه ويزار

وقال . (وإن التورية التي تضمنتها كلمة (البيت) لمن التوريات الظريفة الخ ...) وأنا أخالف الأستاذ فيما ذهب إليه ، وأرى أنه ليس في البيت تورية ولكن فيه تشبيه مرسل . يشبه الشاعر البيت العلوي الكريم بالبيت الحرام الذي يمسح ركنه ويزار . والتورية هي أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد اعتماداً على قرينة خفية ولذلك تسمى (الإيهام) أيضاً لأن الأديب أو الشاعر يقصد بالتورية أن يوهم السامع أنه يريد أمراً غير ما يقصده فيدفعه إلى التأمل والتفكير ليدله على براعته ولهذا اشترط أن تكون القرينة خفية ومن أمثلة التورية قول المعرى

إذا صدق الجد افترى العم للفتى مكارم لا تخفى وإن كذب الخال

أراد بالجد الحظ وبالعم عامة الناس وجماعتهم وبالخال المخيلة .

وقد أوهمنا المعرى أنه يريد الجد والعم والخال أقارب الإنسان مع أنه لا يريد ذلك .

ابراهيم عبد الفتاح

انتقلت إلى منزلنا وهى فى السابعة من عمرها عقب وفاة أبويها وكأن هذا الخاطر كان مدعاة لى لتلافى ذلك التقصير فاندفعت فى رعايتها اندفاع المهوس فى شكه ، وشغفت بمرآها شغف الطفل بلعبه ! وكنت أحس بينبوع من الهناءة يتدفق فى قلبى حين أراها تخطر فى الدار بوجهها الطاهر الصبوح وشعرها الأشقر الطويل وقوامها الأهيف الرائع .

لا أذكر كم من الأيام لبثت أنهل من ينبوع السعادة الفياض ، عند ما بدأ ذلك الينبوع يغيض شيئاً فشيئاً حتى جفت مياهه . ولعلها كانت أياماً طوالا فى حساب الزمن لكننى أحسست كما لو كانت يوماً واحداً . ولا أعلم أيضاً متى بدأ النبع يجف ؛ أفى تلك الساعة التى لمحت فيها مهدى متكئاً على سور السطح المشرف على دارنا وعيناه مثبتتان على سطح منزلنا كأنه يترقب ظهور شخص معين ؟ أم فى تلك الأمسية التى وافيت فيها بدور إلى السطح فألفيتها متشاغلة عن العمل ترصد سور السطح المجاور فى لهفة وقلق ؟ أغلب الظن أنه بدأ يجف فى تلك الأمسية، فلا زلت أتصور كيف حدقت إلى الناحية التى تتجه إليها أنظارها فارتسمت فى خيالى فى التوصورة الشاب المتكيء على السور وفى عينيه شوق حائر . وانبعث فى أعماق شعور داخلى يشى بوجود صلة تربط الاثنين .

وبين يوم وليلة تفتحت عيناى على حقائق مرة .. إن بدور لم تعد تلك الصبية الحيية الهادئة التى عهدتها بالأمس .. كل همها اليوم أن تبدو جميلة فاتنة ! فى الصيف الماضى لم تكن تعبأ بالوقوف أمام المرآة .. وفى هذا الصيف دأبت على مناجاتها دون كلل أو ملل. ماذا جرى بالله يا بدور ؟! ماذا جرى ؟!

لم يكن الأمر مغلفاً بغموض يعوزه التأويل .. إنه مهدى .: ذلك الشيطان ! كانت تنذر أوقات فراغها للتبرج له .. له وحده . وكانت تخلق الأعذار الواهية لتخف إلى السطح وتنشر زينتها أمام عينيه . وكم اختلست إليها النظر وهى تخطر على مرأى منه فى رشاقة وخيلاء ، وتطلق موجات الإغراء من مكمنها فى الشعر الساحر .. تارة تهدل بعض خصلاته على جبينها فتلق برأسها إلى الوراء فى دلال متكلفة إبعادها، وطوراً تتدلى ضفيرتاها على الصدر الأثم فتقذف بهما إلى كتفيها فى حركة فاتنة ، وحيناً تتناثر الشعيرات المتوهجة كأشعة الشمس على وجهها تغمره القبلات فتمد إليها يدها وتداعبها فى حنان . بدور .. بدور ، لماذا اخترت مهدى من دون الناس جميعاً لتغرقيه بفيض فتنتك ؟؟ إنه لم يكن أهلا للاختيار فهو شاب سيء النوايا لا يعرف للحب الصادق معنى . وكنت كالزهرة العبقة المتفتحة فى مطلع الشمس فاشتهاك كما تشتهى الفراشة الزهرة الزاهية . وكما تنبذ الفراشة الزهرة بعد أن تمتص رحيقها يتمتع الشباب العابثون من طرازه بالفتاة ردحاً من الزمن لينبذوها بعد حين ، وقد أشفقت عليك من هذا المصير التعس يا بدور ، فلماذا تجاهلت غرضى ، لماذا ؟!

كان غاية همى أن أصرفها عن سلوكها الشائن الذى لم أشك لحظة واحدة أنه سيوردها موارد الهلاك ، فعقاب زلة القدم لا رجوع فيه . لكنها تسلحت بالصمم حيال نصائحى المتواصلة . بدور ، إن التعرض لأنظار شاب غريب بهذه الهيئة الفاضحة مضر بسمعة العائلة . بوسعك أن تلبسى هذا المظهر أمامى فأنا ابن عمك ولا حرج عليك فى ذلك ، ولكن مهدى شخص غريب .. بل إنه شاب خبيث يا بدور . أفلا تفهمين ؟ ! أرجوك .. أرجوك يا بدور .. تجنبى فضوله .

لكنها لم تتجنب فضوله ، كانت على يقين أننى عاجز عن الوقوف فى وجه نزواتها عجز الطير المقصوص الجناحين عن الطيران. فالواجب المنزلى يقتضيها الصعود إلى السطح كل عصر لتنظيفه وتهيئة أسرة النوم وبذلك تتهيأ لها رؤيته . وكانت تلك الحقيقة الكاوية تلذع مشاعرى بنيران الغيظ ، فأحس كلما غدوت على فراشى ليلا بوخز يلسع ظهرى كما لو كنت راقداً على حزمة من الشوك . وذات أمسية ، بينما كنت مستلقياً على الفراش وذهنى عاكف على مراجعة غرامها الطائش تراءى لى أن أسلوب اللين الذى أعالج به طيشها لن يجدى شيئاً ، وقر فى عزمى أن أهجر ذلك الأسلوب . وفى صباح اليوم التالى أمرتها بلهجة حازمة أن تتلفع بالعباءة كلما ظهرت على السطح. ولم يخف على ما بدا على صفحة وجهها من تجهم واحتجاج وإن لازمت الصمت ولم تفه بكلمة اعتراض . ولكننى كنت كمن ينتظر أن يهجر البلبل التغريد ويمتنع الريحان عن نشر أريجه !

ومضت أيام ..

وكان من عادتى أن أبارح الدار فى مساء كل يوم لأتنزه فى

شوارع المدينة بصحبة صديق زكى ، ثم أعود أدراجى حين يهبط ستار الليل ، وخرجت تلك الأمسية فى ساعتى المحددة ، وبدلا من أن استصحب صديق زكى تجولت فى الشوارع منفرداً ، ثم قفلت راجعا — قبل ميعادى — وكانت رغبة قوية تدفعنى نحو المنزل ... وتلك لحظة لن تمحى صورتها من مخيلتى أبداً . حين ظهرت أمام بدور . وجمدت فى مكانها كالتمثال وراحت ترسل إلى النظر فى ذهول يشوبه الرعب كما لو كنت عفريتاً انشقت عنه الأرض وتمالى فوقها بهامته ! وكان كل شىء كما تجسم فى أعماق منذ البداية . . كانت تخطر على السطح بدون عباءة وشعرها الأشقر منثور على كتفيها فى إهمال يثير كوامن الإعجاب كأنها إحدى حوريات البحر المنطوية فى ضمير الأساطير .

واستولت على مشاعر وحشية وانثالت على سيول من الغيظ الجارف ، فانقضضت عليها كما ينقض الوحش الكاسر على فريسة ضعيفة ، وجررتها من شعرها إلى غرفة السطح وأقفلت بابها ، ثم انهلت عليها ضرباً وركلا وصفعاً ... يا إلهى ، لم غرست فى قلبي هذه العواطف المتدفقة بالشفقة والحنان؟! ألم تكن تستأهل ذلك العقاب فما الذى دعانى إلى الاحتراق فى لهيب ألمها ؟! كنت أحس بكل صفعة تهبط على خدها تقفز إلى خدى ، وبكل ركلة أسددها إلى جسدها تتحول إلى جسدى وكانت صيحاتها الفزعة رصاصاً يمزق سمعى ، ودمعها المتدفق شواظاً يحرق قلبي . ومع ذلك لم يكن بوسعى تلك اللحظة أن أكبح جماح الرغبة الجبارة التى استحوذت على بالإمعان فى إيلامها ! كنت كاليائس من الحياة الذى يفضل الموت فيواصل طمن قلبه حتى يكف عن الوجيب .

ومنذ ذلك اليوم لاحت فى عينى بدور صورة لمشاعرها الفائرة ... صورة خطوطها المقت والعناد وإطارها الاستهانة والازدراء وتمادت فى غيها كأنها تتعمد معا كستى . وضاعفت عنايتها بزينتها فى الساعة التى تتأهب فيها للظهور على السطح استعداداً للقاء الحبيب . وكنت حين أرقبها وهى تقف أمام المرآة وتمشط شعرها فى عناية وتمهل ثم تضفره أو تعقصه أو تدعه منثوراً على كتفيها أستشعر موجات من الرغائب المتناقضة تتدافع فى صدرى . ففى الوقت الذى تتملكنى فيه رغبة فى قص ذلك الشعر عن آخره ، تساورنى رغبة أخرى فى العناية به بنفسى وتزيينه بيدى . . !

كنت أبنى لها الخير على أية حال ، فلم واجهته بالشر ؟! ولماذا كانت تجد لذة فى إثارة الألم فى نفسى ؟! كانت تعلم حق العلم بما تجر على تلك الساعة من عذاب . حين يقترب أوان العصر وينادبها السطح لإعداده . ومع ذلك كانت تحاول أن تذكرنى بها جهد استطاعتها لتغذى شعلة عذابى ، فإذا ما حان الوقت خفت خطواتها على بلاط الدار حتى لتكاد تتحول إلى رقص ، وحلق فوقها نغم غنائى صامت ينبعث من شفتيها فى عذوبة ومرح ، وتلألأ شعرها وازداد بريقه ، واشتدت حركتها ونشاطها ، فتروح وتجىء وتدخل وتخرج ، وتتعمد المرور على مقربة منى دون أن تنظر إلى أو أن تلق على نظرة عابرة كما لو كنت قطعة تافهة من أثاث الدار لا تستوقف النظر ، وكانت تلك الخطوات الخفيفة والنغم المرح والحركة الدائبة والشعر المتوهج تتجمع فى مخيلتى وتتجسم حتى لتبدو شخصاً متكاملا له ملامح مهدى الشريرة وابتسامته الخبيثة التي توحى بالمكر وتبيت الغدر . أيها الناس : من باستطاعته أن يتلقى سلوك بدور فى رزانة وهدوء ؟! ومن بقدرته أن يشهدها تغازل فتى غريباً أمامه وهو ابن عمهـــا ؟! وصحيح أنها لم تبادل مهدى كلمة واحدة ، وصحيح أن محاولات مهدى الغرامية لم تتجاوز النظرات المشوقة ، كل هذا صحيح ، ولكن من فى إمكانه أن يضمن تفاديهما الخطيئة إلى النهاية ؟! من فى إمكانه ، من ؟!

وبدت لى الحياة مظلمة قاتمة ، وانقلبت الأوضاع فى عينى ، وشرعت أنظر إلى الأمور بعين المستقبل كما لو كانت الكارثة قد وقعت بالفعل . ولم لا تقع ؟ إن أية قوة فى الأرض لم تكن قادرة على ضبط عواطف بدور وتقويم سلوكها ، بينما لبث مهدى قائماً على عهده ؛ يترصد ظهورها على السطح ليلتهم شعرها الأشقر وصدرها الناهد ووجهها الفاتن بنظراته الآثيمة . كم مقت ذلك الفتى الخبيث بل الشيطان الرجيم الذى أرسلته أبالسة الجحيم ليمكر ليمكر هنائى فى تلك الأجازة التى بشرتنى بادىء الأمر بسعادة طافحة . وأصبحت سجيناً فى الدار رهن مخاوف ، ولم أعد أطمئن لوجودى بعيداً عن بدور . فضلت سجن الدار على سجن الشكوك والتهاويل . . وأى سجن ؟! كنت أنتزه على السطح فى عجاجة الغبار الذى تثيره بدور أثناء الكنس فى الوقت الذى يهرع فيه الناس إلى الشوارع الجميلة . وكم كان يشق على أن أراقبها فى تلك اللحظات

عند ما أرى عباءتها تنزلق عن رأسها بين حين وآخر فتتكشف عن شعرها المتوهج بلون الذهب الصافي وتفسح له سبيل الإغراء !

آه منك يا بدور .. كم كنت عنيدة قاسية ! لقد أعجزتني . أقسم لك أنك أعجزتني فلم أعد آمل إلا بكف ذلك الوقح عن غزله الصفيق . وفكرت أن أذهب إليه وأستعطفه علّه ينصرف عنك . تصوري ! أوشكت أن أكون كمن يتوسل إلى اللص ليعيد إليه ماله !

ولكنني وجدت نفسي، حين رأيته صباح اليوم التالي على رأس الزقاق، أجذبه من (باقة) سترته بعنف وأبادره بلكمة ألقته على الأرض صريعاً وأنا أصرخ مهدداً إياه بالقتل إن لم يكف عن البحلقة في سطحنا ...

ما أعظم السعادة التي تغمر المرء حينما تستجاب له رغبة قد يئس من تحقيقها، وما أعظم الفرحة التي اجتاحت كياني حينما أقبلت الأمسية التالية فلم يلح لمهدي ظل على السور، وأمسيت واثقاً أن أثر وعيدي قد سرى في نفسه. ألم تر السجين وهو ينطلق من باب السجن لأول مرة بعد أعوام طويلة طواها بين القيود والأغلال؟! هكذا كنت حين ارتديت بدلتي على عجل وهرعت إلى دار صديقي زكي لأحتفل بالمناسبة السعيدة باجتراع كأس من الخمر بعيداً عن أعين الرقباء. وكم دهش زكي من تلك البهجة التي أشربت جوانبي بالخفة والمرح وأنارت وجهي بالبشاشة والارتياح وهو الذي عهدني كئيباً مغتماً كسجين ينتظر ساعة إعدامه على حد تعبيره. ولا زلت أذكر كيف كان يرمقني باستغراب وأنا أرفع الكأس إلى ثغري في ضجة وصخب وألقي الفكاهات المحطمة في حماس ثم اندفع مقهقهاً ولا زلت أذكر أيضاً أنه سألني في دعابة — وأنا في غمرة نشوتي — إن كنت قد ربحت الجائزة الأولى ليانصيب (جمعية المواساة الخيرية) فانطلقت أحشو أذنيه بمحاضرة طويلة مضمونها أن قيمة المال تافهة بالنسبة للحياة الحقة، وأن العواطف المتقدة الجيلة التي تهبها لنا هي الكل في الكل ولا إخاله فهم شيئاً من محاضرتي لأنني كنت كمن يحدث نفسه حديثاً خاصاً .

وتوالت الأيام دون أن يظهر مهدي على السور وتلقت بدور اختفاءه في الأمسية الأولى بهدوء وعدم اهتمام . وفي الأمسية الثانية تسللت إلى صدرها هبة من رياح القلق عبر الفجوة الصغيرة التي تفتقت في أحاسيسها. وأخذت الفجوة تتسع وتتسع على تعاقب الأيام والرياح تتكاثر وتتكاثف حتى مــلأت صدرها . وعندئذ انقلبت إلى مخلوقة جديدة لا تمت إلى بدور بصلة سوى الشبه في الملامح والتكوين . أما بدور القديمة ... بدور بروحها المرحة ووجهها الطلق وعينيها المتألقتين وشعرها المترفع فقد باتت حلماً عابراً في نومة هانئة .

يا لتلك الحياة الجديدة التي ولدت لها .. حياة أشبه بتلك التي تمنح لوليد كتب له العيش في الظلام . كانت تتحرك وتروح وتجيء، ولكنها تمثال ... تمثال نحت رمزاً للكآبة واللوعة والحزن وأصبح منظر شعرها كئيباً قاتماً كأنه يشاركها في مصابها، ولم يعد يذوق المشط طعماً بل بات يترامى على كتفيها في إهمال ويتجمع على بعضه ويلتف في مذلة وخذلان ولم أكن أتصور أن تخلف غيبة مهدي في نفسها ذلك الأثر، فقد كنت أحسب أن ألمها سيكون كسحابة صيف تحجب الشمس الساعات ثم لا تلبث أن تتبدد سريعاً . ولكن الأمر تبدى لي أعمق مما تخيلته بكثير، وما كان هذا الوضوح إلا ليضرم ألمي ويأسي وموجدتي . ووجدتني في موقف أحسد فيه نفسي على حياتي الماضية . وكان من الواضح أن بدور تتهمني بإقصاء مهدي .. كانت كل حركة تبدر منها تعلن ذلك الاتهام في صراحة صارخة . وكنت أقرأ ذلك الاتهام في عينيها واضحاً سافراً في الأيام الأولى، حين كانت تهرع إلى السطح ساعة العصر في لهفة لا تمد لها لهفة الأم وهي تخف لاستقبال ولدها الغائب، وتقف حيال سور المنزل المجاور ترنو إليه بعيون حائرة ساهمة والأسى ينضح من ملامحها . ثم تحول أنظارها لأطالع فيها اتهامها المغلف بالغيظ والمقت والازدراء، كما لو كنت أقرأه في كتاب

لكنها لم تلبث طويلا حتى حرمتني من آخر أثر كان يشعرني بصلتي بها فكفت عن مطالعتي بنظراتها الساخطة . ماذا دهاك يا بدور، ماذا دهاك ؟! أفيستأهل ذلك الصبي الأخرق الذي لم يكن ليتجاوز مراتب الطفولة كل هذا الحب والهيام؟! أفمن العدل أن يؤدي بك خبثه إلى كراهيتي وأنا الذي رعاك بحبه وحنانه منذ أن وطئت قدماك أرض الدار ؟!

وعدت أتمنى أن تحدجني بدور بنظراتها الفياضة بالبغض

والازدراء ... أجل، فقد أصبحت تواقاً إلى أن أحس لنفسي وجوداً في دنياها بأي شكل كان! ولكن ذلك الصمت، وذلك الجمود، وذلك التجاهل. يا إلهي، ليس في طوقي أن أحتمل هذا كله.

وراحت تتحاشى مواضع وجودي في إصرار عجيب، ومضت تتجنب النظر إلي في عناد غريب! ولبثت حائراً معذباً في زحمة العواطف التي تتصارع في نفسي تجاه سلوكها الفظيع. تارة أحس بالغيظ والحقد حين يخطر في ذهني أن صبياً خبيثاً كمهدي استطاع أن يثير في نفسها تلك الزوبعة المروعة. وطوراً أستشعر حزناً عميقاً حين أتمثلها تدب في ساحة الدار في تخاذل والصمت والكآبة والذهول تدثرها بغطاء كثيف. وحيناً تسعر بين جوانبي نيران ثورة مكتومة على تلك القوة المجهولة التي تسير أحداث الحياة وتجد اللذة في مماكسة الانسان وكانت تلك الثورة تخفف عن كاهلي عبء ما أحسه من كراهية واحتقار لنفسي بسبب قسوتي على بدور، إذ تدعوني إلى تبرير سلوكي وسلوك بدور ومهدي وإلقاء التبعة كلها على القوة المجهولة ... إنني لست ملوما على تصرفي هذا فأنا مرغم على اتباعه ... يجب علي أن أدافع عن شرف الأسرة تجاه أية محاولة لثلمه، وبدور ليست ملومة على سلوكها فهي تحب مهدي ... ما ذنبها إذا كان قلبها قد هفا إلى ذلك الشاب؟! ومهدي ليس ملوماً على غرامه ببدور ... لقد عثر على فتاة كاملة الجمال تبادله الاعجاب فاتجهت إليها عواطفه. إن أي أحداً منا — في الثلاثين — لا يؤاخذ على سلوكه الخاطىء ... إن اللوم وحده تلك القوة المجهولة التي رتبت ماجريات الحياة في صورة متنافرة الألوان. أفلم يكن بوسعها أن تحمل بدور على الوقوع في غرامي بدلا من التعلق بشاب غريب؟! لو حدث هذا لما اضطر أي أحد منا إلى سلوكه الخاطىء، فأنا ابن عمها ولا ضير عليها إن حاولت أن تستولي على عواطفي بأية طريقة كانت، أما أن تحاول اجتذاب شاب غريب ونحن في مجتمع يتزعم القيم الاجتماعية فيه والشرف الجندي، فهذا هو الخطأ عينه، ولكن هكذا تريد تلك القوة الساخرة

وظلت الشمس تشرق في الصباح وتغيب في المساء وحياتنا مدثرة بجمودها الكئيب، إلى أن حلت تلك الساعة. وكانت الشمس قد تأهبت للمغيب وبساط السماء الأزرق قد صبغ بحمرة قانية، أشبه بساحة معركة خضبت بدماء المتقاتلين، وكنت أذرع السطح بخطوات متمهلة وبين يدي كتاب أحاول القراءة فيه، في حين انكبت بدور على عملها وهي تتحرك في صمت وجمود كأنها آلة صماء. وفجأة، وبدون أن أصدق عيني، رأيت مهدي يظهر في موضعه على السور! وتسمرت قدماي في موضعهما وانطلقت أحدق فيه مذهولا كأنني أشهد حدوث كارثة مروعة لا تدخل في نطاق التصور، ومضى هو يرمقني بنظرات تفيض بالتحدي والازدراء وعلى ثغره ابتسامة احتقار! وجف حلقي حتى تعذر علي أن أبتلع ريقي، وشحب وجهي حتى إخاله بات بلون التراب. وهبت بين جوانحي عاصفة تزأر بالحقد والخيبة والقنوط، وطفت على رغبة جارفة بتحطيم شيء ما أيا كان!

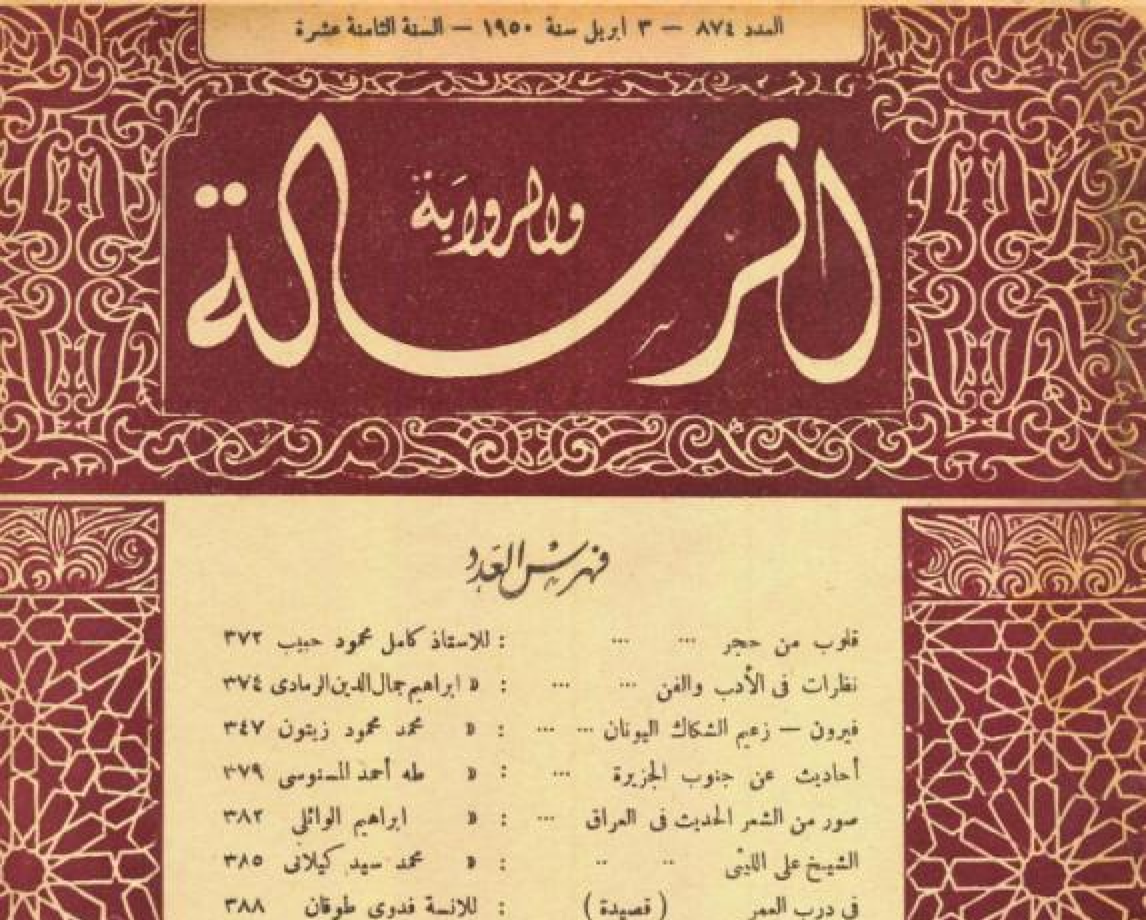
ثم حولت أنظاري إلى بدور فإذا هي مسمرة في مكانها وهي تحدق في السور منتشية سكرى كأنها في وادي الأحلام لا في عالم الحقيقة، وكان وجهها قد شع بنور الألاق فبدا رائقاً صافياً كسماء الشتاء المدلهمة حين تنقشع عنها الغيوم. ومكثت جامداً في موضعي وأنا أنقل النظر بينها وبين مهدي بفكر تائه وعواطف صاخبة

ثم بدأت المناظر تختلط أمام عيني ولم أعد أميز ما يجري حوالي بوضوح. رأيت بدور تتحرك من موقفها وتنتقل في ساحة السطح بحركة رشيقة كالرقص وعيناها موصولتان بعيني مهدي. ثم اتجهت فجأة نحو السياج المنخفض المشرف على الدار وانحنت عليه، وجن جنوني في تلك اللحظة حين تراءى لي مهدي يتلقفها بين ذراعيه ويغمر وجهها وشعرها بقبلات نهمة، واندفعت نحوها حانقا لأنتزعها من بين ذراعيه، ولكنني توقفت بإزائها مشدوها حين رأيت جسدها يترنح على السياج في عنف، ودوت صرخاتها في أذني فزعة هائلة، ومددت يدي لأجذبها نحوي ولكنها هوت إلى الأسفل

وحين أفقت من ذهولي وجدتني منحنيا على السياج وأنا أحملق كالمخبول في جثة بدور المحطمة على بلاط الدار، ولم أفهم ماذا حدث بالضبط هل اختل توازنها وهي منحنية على السياج المنخفض فانقلبت على رأسها، أم أنني، أم أنني دفعتها بيدي؟؟ لست أدري ـ لست أدري!

شاكر خصباك





العدد ٨٧٤ — ٣ ابريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

فهرس العدد

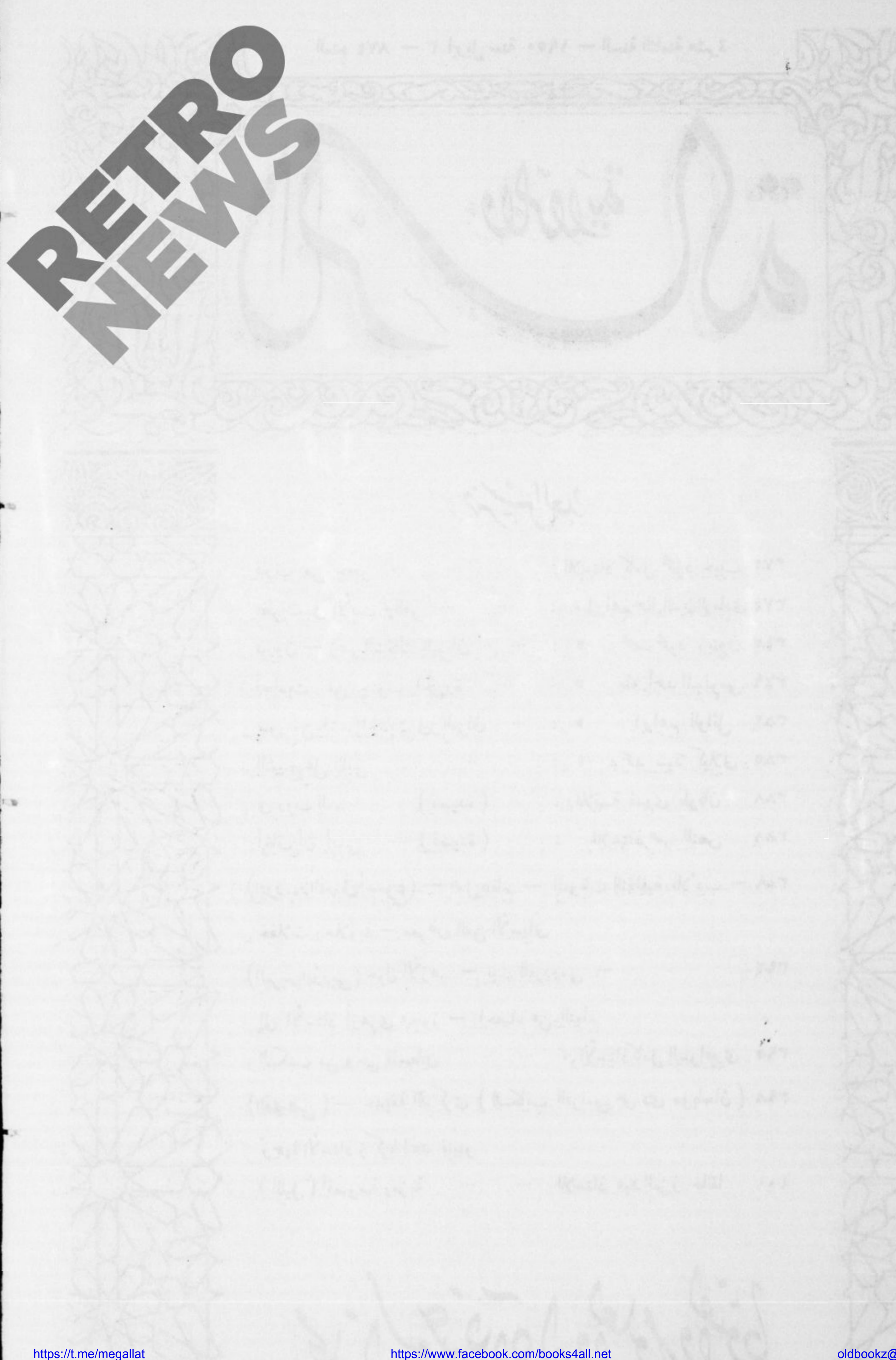
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

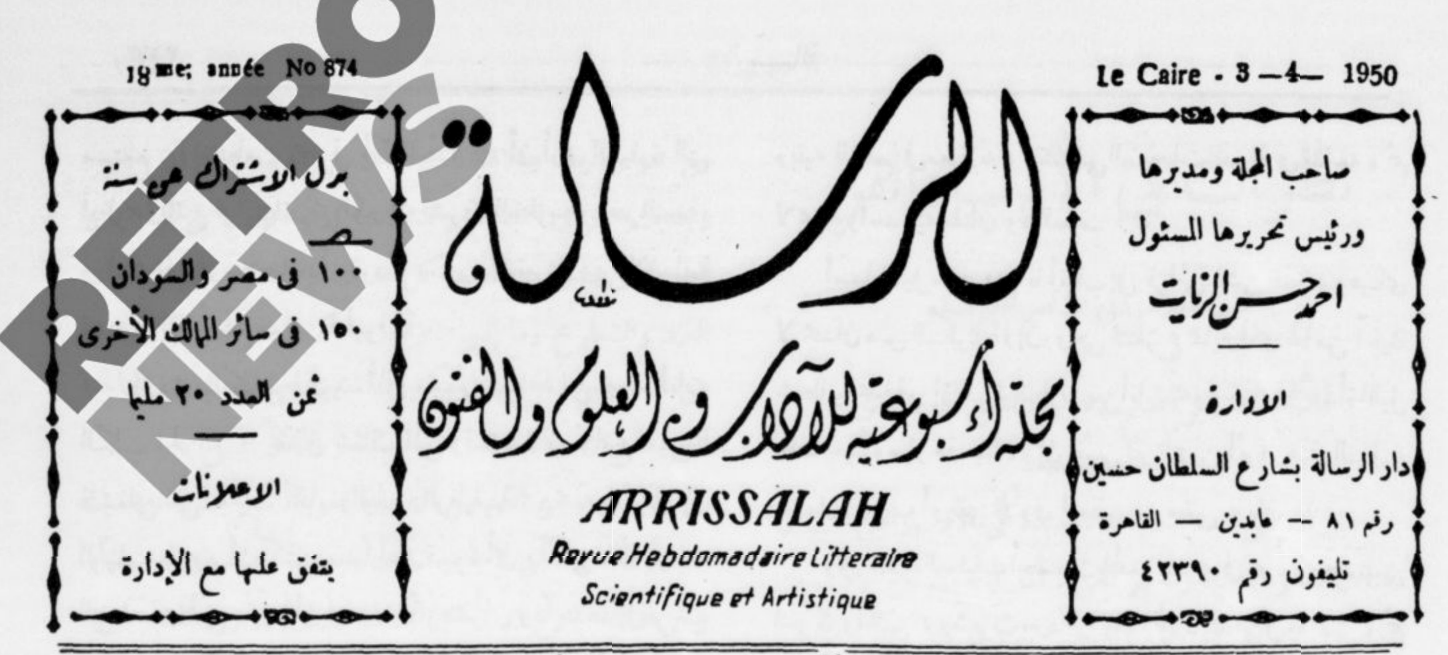
العدد ٨٧٤ — ٣ ابريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٨٧٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ — ٣ أبريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

صور من الحياة :

قلوب من حجر !

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال لى صاحبي : خرجت من الدار — منـذ أيام — وقد شغلتنى حاجات الدار والولد ، واكتنفتنى شواغل الوظيفة ، فأنا بينها مضطرب العقل موزع الذهن ، لا أستقر على حال ولا أقيم على رأى ؛ فانطلقت مفزعاً على أجد متنفساً فى الشارع أو مصرفاً فى لجة الحياة . وأنا — دائماً — أرى فى الشارع ملهاة لخاطرى ومسرحاً لفكرى . ورحت أضرب فى أنحاء المدينة لا أبتغى هدفاً ولا أصبو إلى غاية ، أقلب النظر فى حياة المدينة وفى قفزات الحضارة وفى مشاغل الناس ... فما راعنى إلا أن أرى كلباً ملقى على الطوار يئن أنيناً خافتاً فيه الألم والاستسلام ، ويرمق الناس بنظرات راجفة فيها الضيق والخوف ، فنظرت فإذا ساقه مكسورة وإذا الدم ينزف متدفقاً فى شدة وعنف ، وإذا الناس يمرون بإزائه فى غير عناية ثم يندفعون كل إلى هدفه ، وما فيهم من يعبأ بالجريح الطريح على الطوار . ونبض قلبي بالرحمة واختلج فؤادى بالحنان فاندفعت إليه ... ولكن ، أشد ما آلمنى أن أراه ينبح نباحاً عالياً متواصلاً ، وأن أجده يجر نفسه بعيداً ، وفى نظراته الخوف وعلى سماته الفزع ! فقلت لنفسى « يا ويح قلبي ! لأمر ما فزع منى هذا الكلب الجريح ! » ورحت أروضه فى هدوء ، وأذلله فى عطف ، حتى اطمأن إلى وسكن رعبه فاستكان واستسلم ، وأنا فى حيرة من أمره أجيل فيه البصر والفكر معاً ؛ وتراءى لى أنه يحدثنى حديث صديق حبيب ، وسمعت من وراء أنانه كلمات ترن فى مسمعى كأنها تقول « آه يا صاحبى ! كم فى هذا الناس من يغرك بمظهره ويخدعـك بروائه ، تراه يزهو فى ثيابه ويتألق فى بهـائه ، تخشع النفس من هيبته ، ويعنو القلب لأبهته ، ويستأسر الفؤاد لصمره ، على حين أن فى إهابه روح خنزير وفى رأسه عقل حمار ! أما قصتى — يا سيدى — فهى أننى عبرت ساعة من الزمان وأنا طريد صبى من أولاد الشارع يقذفنى بالحجارة فى غير ذنب جنيته ، ويضربنى بالعصا فى غير جرم اقترفته ؛ لا يزيده فرارى إلا تشبثاً بى ، ولا يدفعـه نباحى عن أن يستأسد على ، ولا يصرفه تحرشى به عن أن يوسعنى أذى وتعذيباً . ونظرت إلى وراء لأرى عدوى فرأيت إنساناً تخلى عن إنسانيته فبدت فيه حيوانية جياشة تبطش بالعقل والحيلة . ولا عجب — يا سيدى — فإن الإنسانية حين تتهاوى تسفل فتتضع فتنحط إلى أوضع مراتب الحيوانية ! وراعتنى شراسة الصبى فانطلقت أشتد فى غير وعى ألتمس الخلاص والهرب فقذفت بنفسى فى عرض هذا الشارع أريد أن أخترقه ، وهو — كما ترى — مكتظ تزحمه العربات والسيارات والترام جميعاً ، فدهمتنى سيارة كسرت ساقى ثم مرقت مثلما يمرق سهم عن قوسه ... مرقت وخلفتنى هنا أنادى فير

مستمع . واستطعت – فى لمحة واحدة – أن أرى السيارة التى أبطرها الغنى فرأيتها تفهق بالكبرياء وتشرق بالفطرسة وتزهو بالنعمة، ورأيت فيها رجلا واحداً يقودها ... رجلا تعرى عن الإنسانية لينحط إلى أوضع مراتب الحيوانية ...

ورنت الكلمات الحزينة فى مسمعى تصاعد من وراء أنات الكلب الجريح ، تخترق شغاف قلبى وتسيطر على نوازع نفسى ، فتشغلنى عن حاجات الدار والولد والوظيفة ، وتجذب خيالى إلى الوراء ... يوم أن كنت صبياً أعانى قسوة أبى وأقاسى غلظة زوجته التى ليست أمى ، يوم أن لبثت نيفاً وعشرين يوماً موثقاً إلى فراشى لا أبرحه إلا لماماً ، أجد برحاء المرض ولوعة الوحدة ، أفتقد القلب الرحيم الذى يعطف، واليد الرفيقة التى تواسى ، لا أستطيع أن أبوح بالشكوى التى ترفه عن النفس، ولا أطمع فى أن أرى الطبيب الذى يطب للمرض... ثم هدأت سورة المرض ساعة فنقلت إلى المستشفى وفى رأيى أنى طرت إلى الدار التى أجد فيها شفاء دائى وشفاء نفسى .

ووضع الطبيب يده ثم رفعها وهو يقول «عملية!» فانطويت على نفسى أحدثها حديثاً فيه الطمأنينة والرضا فقلت: «الآن أفوز بإحدى الحسنيين: إما الموت، فأشتفى من داء الحياة ... الحياة التى تصفعنى منذ زمان – بالعنت وتعصرنى بالشدة ، وإما البرء من سقام أمضنى طويلا فأعيش فتى فيه القوة والفتوة ، لا يعجزنى أن أكسب قوت يومى » واستسلمت

وفى المستشفى رأيت عجباً من العجب ، رأيت أجساماً مريضة ينهكها السقام، ونفوساً سقيمة يقتلها اليأس، وقلوباً قاسية يصرعها الشره. وتنشقت روائح متناقضة تصاعد فى أرجاء الحجرة فتملأ أنفى فتتقزز لها نفسى. وسمعت أصواتاً مدوية يجأر بعضها بالشكوى ويرتفع بعضها بالصياح ... أصواتاً تصك السمع وينخلع لها القلب . ووهت عزيمتى فراودتنى نفسى أن أفر من هذا المكان الوحش تحت ستر من الليل ومن الهدوء، غير أن الألم حال بينى وبين أن أفعل فاستسلمت.

هذا هو المستشفى، الدار التى كانت تتراءى فى خيالى مهبط الرحمة ومسكن الشفقة، لأنها أنشئت على عمد من الإنسانية السامية لتمسح على أوجاع الفقير والعانى بيد رقيقة طيبة ... هذه الدار نفضت عن نفسها الآن غبار الخيال المموه فبدت أمام ناظرى سجناً يضيع المريض فى ظلماته، ويتيه السقيم فى مضلاته ، وتتلاشى الصيحات المدوية فى نجاجه ، ثم لا يحس واحد فيه الحنان ولا العطف !

أسدل الليل سجوفه وأنا أتقلب على فراش خشن قذر ، وعيناى لا تجدان مس الكرى ، وإن روحى لتتفزع مما يتراءى لها من أخيلة شيطانية مخيفة ، وإن قلبى ليضطرب من أنات تحوم حواليه فى هدأة الليل خافتة حيناً وصارخة حيناً ، وإن نفسى لترتاع من أثر الرهبة والفرق ، فشملنى خوف أورثنى الأرق الممض ، ومضى يومان ...

وفى حجرة العمليات أحسست بالخدر يسرى فى عروق فيستلبنى الحركة والحس ، وشعرت ببرد الراحة والجمود يتدفق فى مفاصلى ، ثم اغتمرت فى سبات عميق

وحين انجابت عنى وطأة الخدر استشعرت ألماً عاتياً يعركنى عركا شديداً ... ألماً طاش له صوابى وبدا فيه ضعفى ، فندت عنى صيحة ارتجت لها أركان المكان ، فخف نحوى الممرض يأمرنى فى كبرياء وقسوة أن أخفف من علوائى وأن أهدى من نورتى ، وأرغمنى على ما لا تهواه نفسى ولا رضاه ضعفى ، ثم قدم إلى قطعة من قماش قذر وأرادنى على أن أحشو فى لتمنع الصوت عن أن يرتفع ، وتكتم الصيحة فلا تدوى ، فألقيت السلم خشية أن ينالنى عنته وهو فظيع ، أو يصيبنى بطشه وهو قاس

ولأول مرة فى حياتى علمت أن الممرض فى المستشفى الحكومى رجل جبار النزعة غليظ الكبد جافى القلب ، مرن على الجفوة ودرب على القسوة . وهو – إلى ذلك – صاحب السلطان المطلق فى المستشفى ، وصاحب الرأى الأعلى فى المنبر ، وصاحب السيطرة العارمة على المريض ، والرغمى يأخذون ما يعطى المريض فى غير نقاش، ويذرون ما يكره فى غير تمنع ، ويأتمرون بما يأمر فى غير تردد ، ثم هو لا يفعل شيئاً إلا أن يستلب المريض من طعامه ، ويسرق السقيم من دوائه ، وينزع عن المستشفى ثوبه السماوى الذى تسربله منذ أن أقيم . وهو فى الحكومة خادم مطيع ، وفى رأى نفسه السيد الذى لا يخضع إلا للدرهم ولا يتعبد إلا للدينار ، يرتدع – دائماً – فى حماقته لأنه أمن الرقيب

وأنشب الألم أظفاره الجافية فى جسمى فما تمالكت نفسى عن أن أعض قطعة القماش القذرة بأسنان فتية حادة ، فأحسست برائحة النتن تصاعد من ثناياها ، فألقيت بذات بطنى على صدرى وإلى جانبى

نظرات في الأدب والفن

بحث مقدم الى مؤتمر اليونسكو

للأستاذ ابراهيم جمال الدين الرمادى

قبل أن نلق هذه النظرات الجديدة على الأدب والفن يجب أن نتساءل ما هو الأدب وما هو الفن . أما الحديث عن الأدب من الناحية اللغوية فأكبر الظن أنه حديث معاد قد قتل بحثاً وتمحيصاً كما يقولون ، ولكن هذا لا يمنع أن نلم بهذا الحديث إلماماً . فقد قيل إن كلمة أدب أصلها دأب والدأب هو العادة وقد جمت على آداب على حد قولهم آبار فى جمع بئر كما يقول نالينو . وقيل إن كلمة أدب من المأدبة وقيـل غير ذلك أما الحديث عن الأدب من الناحية التعريفية فهناك تعريف يكاد يجمع عليه جمهور الأدباء وهو أن الأدب أن تجمع من كل شىء بطرف . فلا يصح للمرء أن يكون أديباً إلا إذا كان ذا معرفة بالمعارف العامة سواء كانت فى اللغة وفروعها من نحو وصرف وبلاغة ، أو كانت فى الدين من قرآن وتفسير وحديث ، أو فى الفلسفة والسياسـة والأخلاق ؛ بل لقد تجاوز التعريف فى عصر من العصور كل هذه الحدود فشمل المعرفة بألعاب النرد والشطرنج وما إليها . ولست أكتب هذا البحث لأتحدث عن الأدب بهذا المعنى إنما أكتبه لأتحدث عن الأدب من الناحية المعروفة فى جميع اللغات وهو أنه الشعر والنثر

والحديث عن الفن من الناحية اللغوية أكبر الظن أنه حديث معاد أيضاً ، ولكن لا بأس من أن نلم به إلماماً ونعرض له عرضاً . فالفن فى اللغة النوع ، والأفانين الأساليب وهى أجناس الكلام وطرقه . والرجل المتفنن هو الرجل ذو الفنون ، وافتن الرجل فى حديثه أو فى خطبته بمعنى جاء بالأفانين . والفن فى اللغات الأوربية هو المقدرة والبراعة فى أداء عمل من الأعمال كالنحت أو الرسم ؛ أو هو الملكة التى ترتفع عن الملكات الإنسانية المعتادة فى أداء لون من الألوان .

والحديث عن الفن من الناحية التعريفية حديث طويل مستفيض لكن قبل أن نخوض فى هذا الحديث يجب أن نفرق بين لونين من

المرض ينظر ثم لا يمد يداً . ونظرت إليـه نظرات فيها التوسل والرجاء فقال لى فى كبر : «هات كذا قرشاً وأنا أزيح عنك الخبث» فأشرت إليه من خلال آلامى أننى لا أملك شيئاً ، فانصرف عنى وخلفنى أعانى ضنى الألم ومضض القذارة . ومضت أيام

واستصرخته — ذات مرة — ليعيننى على بعض شأنى فما ألقى إلى السمع ، فنزلت من على السرير أتحامل على نفسى ، فما برحت أن دارت بى الأرض فاقد الوعى لا أجـد الرحمة فى قلب ولا أحس الشفقة فى فؤاد

وغبرت أياماً فى الدار التى أنشئت على عمـد من الإنسانية السامية لتمسح على أوجاع الفقير والعانى بيد رقيقة طيبة ... غبرت أياماً أعانى الوحشة وأقاسى الضياع ، لم تهف نفس أبى نحوى ولا رفت على أبوته .

آه لطالما قضيت الليل سابحاً فى أمواج من العبرات ... عبرات الشباب العابس الحزين حين ينطوى عنه أحب الناس إلى نفسه وأقربهم إلى قلبه

وجاء عمى — بعد أيام — يزورنى فتكلم لسانه كلاماً طويلا ولكن يده لم تبض بدرهم واحد أشبع به نهم المرض أو أستجدى عطفه ، فودعته — حين ودعنى — بعبرات قلبى

وجاء الطبيب يزورنى ، فهمس المرض فى أذنه بكلمات دفعته إلى أن يكتب على بطاقتى «يخرج اليوم!»

آه ! ما للقلوب الإنسانية قد تحجرت فصفرت من الإنسانية وخلت من الرجولة ! أأخرج من المستشفى إلى الشارع ولما أتماثل للشفاء ؟ وطردت — بعد ساعة من المستشفى ... من الدار التى أنشئت على عمد من الإنسانية الساميـة لتمسح على أوجاع الفقير والعانى بيد رفيقة طيبة ... خرجت لألقى بنفسى على طوار الشارع أرمق الناس بنظرات راجفة فيها الضيق والألم

لا عجب — يا قلبى — فإن الإنسانية حين تتهاوى تسفل فتتضع فتنحط إلى أوضع مراتب الحيوانية !

كامل محمود حبيب

ألوان الفن : الأول هو الفن المجرد والثانى هو الفن الجميل . أما الفن المجرد فهو الناحية التطبيقية والمرانية للعلم ؛ فالصياغة مثلا فن لعلم الكيمياء لأنها تطبيق ومران على المواد الكيمائية . والبناء مثلا فن لعلم الهندسة لأنه تطبيق ومران على الرسوم الهندسية وهلم جرا . ولهذا أطلقت كلمة فن على كثير من الحرف والصنائع كالتجارة والحدادة والتدريس والخطابة . ولكن الفن الجميل هو الترجمة عن الشعور بالجمال أو بالقبح . وتنقسم الفنون الجميلة إلى الحفر والنحت والتصوير وهى فنون تمتع النظر فهى فنون بصرية ، وإلى الموسيقى والشعر وهى فنون تمتع السمع فهى فنون سمعية . وقد جاء فى لاروس أن الفن معروف عند العامة من الناس بجمع أو تركيب أشياء محسوسة بوساطة اللمس أو السمع لغرض الانتفاع منها ماديا أو أدبيا ؛ فالصائغ مثلا يجمع حبات الدر النضيد وقطع الذهب البراق كيما يصوغ منها قلائد وأقراطا ابتغاء الزينة . وقل مثل هذا عن النجار الذى يصنع من قطع الخشب مناضد ومقاعد جميلة ابتغاء الجلوس وابتغاء الزينة بعد ذلك . أما فى الموسيقى والشعر والحفر فالأمر يختلف فيها عنه فى الصياغة والبناء ؛ فالفنان لا يؤدى عمله ليترجم عن عاطفة جاشت فى صدره أو لإحساس خلج قلبه ، وهذا العمل قد لا يجدى نفعاً للإنسانية مثلما يجدى مقعد النجار أو بيت المهندس . ونعنى بالفائدة الفائدة المادية لا الفائدة المعنوية ، لأن الشعر والموسيقى فوائد معنوية كبرى لا يمكن أن يتطرق إليها النكران أو يرقى إليها الشك ...

وأحب هنا أن أسجل ملاحظة لا بد منها عن هؤلاء الشعراء أو أولئك الموسيقيين الذين يتكسبون بفنهم والذين يتخذون الفن وسيلة لعيشهم وذريعة إلى قضاء مآربهم ؛ فهؤلاء الشعراء الذين يقفون على أعتاب الملوك والخلفاء والأمراء يكيلون لهم المديح كيلا براء من الفن ، لأنهم لا يفكرون فيه بقدر ما يفكرون فى العطايا والهدايا ! حدثنى بربك أى فن يتمثل فى هذا البيت .

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار !

حدثنى بربك أى فن يتمثل فى هذا البيت وفى أمثاله ثم قل لى ألا يهدم هؤلاء الشعراء صرح الفن هدماً ويحطمونه تحطيما ...

هل فعلوا كما فعل لودفيج بيتهوفن عند ما دعى إلى تأليف لحن موسيقى يصور انتصارات نابليون وعظمته وقوته وجبروته لقاء قدر عظيم من المال فألف هذا اللحن ثم لم يلبث أن لاح أمامه شبح الفن فمزق اللحن تمزيقاً

العمل الفنى إذن تعبير عن شعور الفنان ؛ ولكن ينبغى أن نقرر هنا هذه الحقيقة وهى أن الذوق يلعب فى الفن دوره ، ولكنه مع هذا يلتقى عند جل الفنانين التقاء جمال وروعة وبهاء . وقد عرف بودلير الذوق أنه تطلع إنسانى نحو جمال أسمى . وينبغى أن نقرر هنا حقيقة أخرى وهى أن الفن ليس تقليداً للطبيعة كما كان يظن أرسطو إنما هو إبراز ما هو جميل فى الطبيعة وحذف كل ما هو مشوه ، فقد يرى الرسام شجرة من الأشجار ويريد أن يرسمها فلا يرسمها بهيئتها التامة وشكلها الكامل إنما يرى من الفن أن يقلم بعض أفنانها ويقطع بعض أوراقها حتى تخرج أكثر ملاءمة للفن الجميل .

فالفن إذن كدوحة سامقة قد رسخت أساقها فى الطبيعة وامتدت فروعها فى الخيال . ولما كان الشعر قسيما للنثر والشعر ، والنثر مكونان للأدب والأدب فن من الفنون فإنى أوثر أن نتحدث بعض الشىء عن تعريف الفن عند الفلاسفة والعلماء . قال أفلاطون الفن عبارة عن إظهار ما هو غامض فى الطبيعة . وقال أستاذه أرسطو الفن تقليد للطبيعة . وقال فرنسيس بيكون الفن روح الفنان مضافة إلى الطبيعة . وقال ريزنج الفن هو المظهر الخارجى الإله . وقال أميل زولا الفن هو الطبيعة ترى خلال شعور الفنان . وقال كوزان الفن هو التعبير الحر للطبيعة . وقال تين : الفن إخراج خاصيات الأشياء وإظهارها فى شكل بارز . وقال جيته : الفن الجميل كقوس قزح لا يرتسم إلا فوق سطح معتم ، ولهذا كان الحزن عنصراً مناسباً للعبقرية

أما حديث أوسكار وايلد عن الفن فهو حديث ذو شجون : وقد قدم به مجموعة من أقاصيصه الرائعة فى الأدب الانجليزى فقال الفن صانع الأشياء الجميلة . وغاية الفن أن يكشف عن نفسه وأن يخفى شخصية الفنان ؛ وما من فنان يشتكى الحدب أبداً . فالفنان يستطيع التعبير عن كل شىء فى الحياة . وأرقى الفنون من ناحية القلب الموسيقى ، وأرقى الفنون من ناحية الشعور التمثيل ، وللفن ظاهر مكشوف ورمز مستور ؛ ومن يتجاوز الظاهر يجازف بكل شىء ، ومن يفهم الرمز يجازف بكل عزيز والفن ليس صورة الحياة بل صورة المستعرض للحياة وليس للفن نفع على الإطلاق !

ونحن أمام هذه التعاريف المختلفة والتعابير المدة عن الفن نكاد

تخرج نتيجة واحدة ، وهى أن الفن ترجمة عن الجمال والقبح سواء اتصل هذا الجمال أو القبح بالعالم الداخلى وهو النفس ، أو العالم الخارجى وهو الطبيعة. والفن وأعنى به الفن الجميل لا يرمى وراء منفعة ولا يجرى وراء غاية سوى اللذة الفنية التى يشعر بها الفنان .

وقد قال جوليان هكسلى رئيس لجنة التربية الثقافية بمؤتمر اليونسكو إن الفن إبداع فردى يقام فيه وزن للتكييف والقيمة والفنون جزء من المعنى الثقافى للحياة أما العلم فيهدف إلى وحدة المعرفة وإلى إثراء كى فى العالم . ولكن جوليان فاته أن يذكر هذا الفن الذى يمكن أن تتذوقه الأمم جميعاً وهو الفن الذى سنتحدث عنه بعد حين. لكن قبل الحديث عن الفن بمعناه الواسع أحب أن أتحدث عن الأدب بوصف الشعر فناً من الفنون .

من الباحثين من ينظر إلى الأدب عندما يؤرخه نظرة زمانية فيقول هذا أدب جاهلى وهذا أدب أموى وهذا أدب عباسى وهلم جرا أو هذا أدب كلاسيكى وهذا أدب رومانتيكى . ومن الباحثين من ينظر إلى الأدب عند ما يؤرخه نظرة مكانية فيقول هذا أدب مصرى وهذا أدب أندلسى وهذا أدب عراقى أو هذا أدب ريفى وهذا أدب ايرلندى وهلم جرا ...

ومن الباحثين من ينظر إلى الأدب عندما يؤرخه نظرة تجمع بين الزمانية والمكانية . والفريق الذى ينظر إلى تاريخ الأدب نظرة زمانية إنما يجارى الزمان الذى يمر عليه والأحداث التى تحدث له. والفريق الذى ينظر إلى تاريخ الأدب نظرة مكانية ينكر أثر الزمان ؛ فالزمان لا وجود له، والمكان هو الإسم للظرف المادى أو الوجودى . والبيئة المادية مؤثرة فى الأدب من حيث أنها وعاء محسوس يؤثر تأثيراً حاسياً مادياً عملياً يمكن إحساسه ويمكن قياسه وربما تأثر هذا الفريق بفكرة إلغاء الزمان أو بفكرة الزمان الوجودى إن أردت الدقة فى التعبير ؛ تلك الفكرة التى دعت بعض الفلاسفة إلى إلغاء الحاضر إلغاء. فالطفل لا ندرى متى ينمو ولا كيف ينمو ؛ والكلمة التى يتفوه بها الإنسان فى الحاضر لا تلبث أن تكون ماضية فلا يمكن أن نجزم بوجود الحاضر . هذا فى الفلسفة . أما فى الأدب فالزمان اعتبار لا أكثر ولا أقل عند هذا الفريق. والبيئة هى المؤثر الأول فى الأدب ؛ فبيئة بلاد العرب تختلف عن بيئة مصر ، ومن ثم كان أدب بلاد العرب يختلف عن أدب مصر : أما الفريق الثالث كما قلت فهو الفريق الذى يقف وسطاً بين المذهبين فتارة يميل إلى جهة اليمين وتارة يجنح إلى جهة اليسار !

وعندى نظرة جديدة إلى الأدب والفن بل إلى تاريخ الأدب والفن أيضاً ، وهذه النظرة لا تعبأ بالزمان ولا تعبأ بالمكان ولا تعبأ لشىء مطلقاً قدر ما تعبأ بذاتية الأدب وذاتية الفن

والشىء الذى أدعو إليه هو أن أوجد أدباً عالياً يمكن أن يقرأه المصرى ويقرأه الفرنسى ويقرأه الانجليزى ويقرأه الأمريكى فيعجب كل منهم به ، وأن أوجد أدبا عاليا أيضاً فيقرأ رجل القرن العشرين نتاج أدب القرن الأول أو ما قبل القرن الأول فيعجب به أيضاً وأنا عند ما أريد أن أوجد هذا الأدب لا أوجده من العدم لأنه موجود فعلاً. فلا يزال كتاب التراجيديا يا كاون من فتات مائدة هوميروس كما يقولون. ومازلنا نقرأ الالياذة والأوديسة فتعجبنا هذه العواطف المتطاحنة وهذه الانفعالات الصاخبة فى شعرها. ولا زلنا نقرأ شعر الغزل المصرى القديم فنجد فيه رقة وعذوبة وجمالا. ويكفى أن أذكر قطعة غزلية مصرية قديمة لتكون دليلا على هذا القول ومن احتاج إلى أكثر من ذلك فليرجع إلى كتابى شعراء الحب فى العالم . اسمع قول الشاعر

« إذا قدمت خفق قلبي وطوقتها بذراعى فشعرت بالسعادة فى أعماق قلبي. وإذا دنت منى وفتحت ذراعيها إلى شممت كأن أزكى روائح العطور تغمرنى. فإذا أدنت شفتيها من شفتى ولثمتنى فهناك السكر ولا خمر ! »

ومن الشعراء العرب من تحدث عن سقيا الخمر بالنظرات وعن رضاب حسناء برود وما شابه هذا مما لا داعى لتفصيله فى هذه العجالة

بل من منا من لم يقرأ قصيدة لامارتين البحيرة التى صور فيها أوقات الهوى مع حبيبته جوليا فوق صفحة البحيرة الرقراقة وتحت أضواء النجوم! المتألقة فى السماء الزرقاء وبين إيقاع المجاذيف وهمسات الأمواج فلم يعجب بلامارتين وقصيدته قدر أو أكثر من إعجابه بيركة البحترى ووصف معالمها وأركانها !

بل من منا من لم يقرأ قصائد أدجار ألن بو الترجمة أوماشوز الشاعر الأمريكى الرائع ولا سيما فى الغزل فلم تفضح عيناه بدمعة ولم يتأوه قلبه بحسرة ولم يتحرك لسانه بآهة !

بل من منا من لم يقرأ شكسبير ومسرحياته الروائع التى اقتحمت البلاد

جميعاً ووجدفيها الشرق والغربي أشخاصاً يشعرون بشعوره ويحسون بأحاسيسه؟! بل من منا من يسمع أقوال لقمان الحكيم منذ فجر الزمان وحكم الفرس فلم يعجب بالحنكة والخبرة ودرس الزمان! بل من منا من لم يقرأ حكم طرفة وزهد المعرى وأبي العتاهية الذى يصدق على كل آن ومكان ؟ إن الناس مهما اختلفت أذواقهم وطباعهم فإنهم لابد ملتقون سواء رضوا أم لم يرضوا فى الإنســـانية . فغرائزهم واحدة وتفكيرهم فى منشاه واحد . ولهذا كان أقرب أبواب الأدب الذاتى إلى ذوق العالم بابا الغزل والحكمة، لأن الأول يختص بالعاطفة والثانى يختص بالعقل. أما الأبواب الأخرى فى الشعر فتتأثر بعوامل أخرى أكثر وضوحاً وبياناً ... وكان أقرب أبواب الأدب الموضوعى إلى ذوق العالم أدب القصة والمسرحيات

بينت حتى الآن أن هنالك أدبا عالياً نعجب به جميعاً ، ولكنى أحب أن أقرر شيئاً وهو أننى لا أثق بهذه لنظارة لتكون قضية مسلماً بها فهذا لا يكون فى الأدب . لأن الأدب لا ينتهى عند قرار كما هو الحال فى العلم. فنحن عند ما نقول مثلا إن قيس ليلى زعيم مدرسة شعر الحب العفيف ، وعمر بن أبى ربيعة زعيم مدرسة شعر الحب الصريح ،لا نعنى من لفظة مدرسة المعنى المعروف فى الفلسفة مثلا . فأنا أعرف شعراً لقيس ليلى يدخله فى دور الفاحشين، وأنا أعرف شعراً لعمر بن أبى ربيعة يدخله فى دور المتورعين . فالمسألة فى الأدب ميل غالب بدلا من أن نترك الأدب كالبحر الخضم الذى ليس له شاطئ،وليس له قرار .

فعند ما أقول إذن إن هناك أدبا عالياً لا أعنى أن هذا الأدب يجب أن يعجب جميع أفراد العالم، أنا! أعنى أن الإعجاب يكاد يكون الميل الغالب بين الأمم نحو هذا الأدب. وهذه الفكرة موجودة فى الطبيعة أيضاً فعندما نقول منطقة الغابات المدارية تليها منطقة السافانا لا نعنى أن النباتات تأتى عند حد فتختلف اختلافا عظيما وهو الاختلاف بين الغابات المدارية والسافانا، انما تتدرج النباتات المدارية حتى تصبح من نباتات السفانا. فليس الخط الفاصل بين المنطقتين اذن إلا خطا وهميا يعصم من الالتباس،وهكذا الحال فى الأدب فالقضايا ليست إلا قضايا تقريبيه إن صح هذا الضرب من التعبير عند المناطقة .

إذن فهنالك أدب عالى لا يدرس بالزمان ولا بالمكان؛ وإذن هنالك شعراء عاليون لا يدرسون بالزمان ولا بالمكان؛ بل هنالك شعر عالمى إن أردت أن تكون أكثر دقة، فالشاعر قد يبدع حينا؛ وقد يسف حينا آخر، وقد يرتفع تارة إلى آفاق البلاغة وينحدر تارة إلى أعماق الركاكة لاختلاف مزاجه وتباين عاطفته. ومهمة الأديب فى العصر الحديث بل مهمة اليونسكو فى العصر الحديث يجب أن تكون البحث عن هذا الأدب وهذا الشعر لنشره بين الناس جميعا وترجمته بجميع اللغات . فأوديب الملك مثلا استمرت تغزو الأدب الأوربى زمنا طويلا فتأثر بها كورنى وفولتير وفيكتور هيجو، ومسرحية فاوست لكرستوف مارلو تأثر بها جيته فيما بعد ولا زالت تمثـــل حتى اليوم على المسرح فيعجب بهـــا الجمهور اعجابا شديداً ويتعجب منها ومن الشياطين العابثة بالأرواح عجبا عظيما . بل لم نذهب بعيداً ونحن نجد إقبال الجمهور المصرى على السينما الغربية وهى فن من الفنون يزداد على إقباله على السينما العربية باضعاف وأضعاف .

وكما أدعو إلى أدب عالى أدعو إلى موسيقى عالمية يحاول الموسيقار الحديث بل تحاول هيئة اليونسكو ابرازها إلى الوجود . ولست أعنى بالموسيقى العالمية هى تلك الموسيقى الصاخبة الداوية فى المراقص أو الفالس والتانجو والرومبا والفوكس تروت انما أعنى الموسيقى التى تطمئن اليها النفوس جميعاً سواء ارتفعت إلى تصوير شوبان وشوبير وتشيوفسكى أو انحدرت إلى صفير الصافر أو زفير الزافر أو عزيف العازف على الناى على ضفاف البحيرة أو حافة الغدير ! فقد يصفر الفلاح الرقيق الحال فى نايه فيخرج منه نغم حلو طروب يهز أوتار القلوب يعجب الفلاحين فى مصر والمثقفين فى مصر كما يعجب الفلاحين والمثقفين من القوزاق فى روسيا أوغير روسيا . ومهمة اليونسكو إذن هى البحث عن هذا النغم ومهمة الموسيقيين من وراء اليونسكو البدء فى العمل .

وحينئذ يمكن أن تتفاهم الشعوب وحينئذ يمكن أن تتآلف الأرواح بين الشعوب ويتجنب العالم قدر الاستطاعة الحروب لا لشىء إلا لأن الأمم استطاعت أن يفهم بعضها بعضاً عن طريق الأدب والفن

ابراهيم جمال الدين الرمادى

فـــيرون

زعيم الشكاك اليونان

للأستاذ محمد محمود زيتون

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

وفضلا عن ذلك ، فان التوقف لا يؤدى إلى الغاية التى ينشدها فيرون ، فاذا كانت تلك الغاية هى السعادة . والسعادة شعور النفس بها عند الانتقال من ضدها وهو الشقاء ، فان انعدام الشقاء انعدام للشعور بالسعادة ، وصدق الشاعر « وبضدها تتميز الأشياء » . وفيرون إنما سعد ليشقى .

ثم إنه لم يفهم الألوهية ، ولم يحاول فهمها ، وقد أوتى وسيلة الفهم وهى العقل ، وبذلك عطلها وأسقطها من حسابه ، أما الخضوع للعرف والدين والقانون خضوعا آليا فذلك مما لا يبرره عقل صحيح لأنه إذ يعترف بأنها أمور اتفاقية اصطلح الناس عليها فيما بينهم فقد اعترف ضمنا بأن للفرد حظا مشتركا فى إقامة صرح القانون ، فما أشبه فيرون هنا بعابد الصنم وهو من صنع يده .

وشك عندى فى أن فيرون قد تأثر كثيرا بالمذاهب الهندية القديمة ، وآية ذلك ما يقوله (فيكتور كوزان V Cousin) « كانت الحقيقة المطلقة عند (كاريكا Karika) هى الإفطار المطلق » كما أن الآلام عند البرهميين لاتأتى إلا من الآمال ، فالتزموا العزلة ، والفارق مع ذلك واضح بين الفيرونية والسفسطائية : كان السفسطائى منكرا لكل شىء ، ولكن فيرون لم ينف ولم يثبت . والسفسطة هدم العلم ، والشك الفيرونى توقف ، والسفسطائيون كانوا يبتغون العز والجاه والأناقة وزهد فيرون كل ذلك . وهم لم ينتهجوا نهجا حين يسفسطون ، وهو على نهج واضح حين يشك .

وفيرون كان تلميذا لمترودور Métrodore القائل « لا نستطيع أن نعرف شيئاً بل نحن لا نستطيع أن نعرف إن كنا نعرف أو لا نعرف » وهو أيضا تلميذ لديمقريطس القائل « نحن لا نعرف من الحقيقة إلا ما يعرض لنا بحسب الحالة التى عليها أبداننا ، وبحسب طبيعة ما يرد على حواسنا وما يصدر عنها » .

والفارق بعيد أيضا بين فيرون وسقراط . فقد كان كاهن إبليس شكا كا sceptique بينما كان فيلسوف أثينا مؤمنا dogmatique. اعتبر سقراط العلم ورده إلى العقل ، ورد إليه الأخلاق. أما فيرون فقال باللاأدرية وردها إلى الحس ، ورد إليها تعليق الحكم . وكان سقراط مضطهدا بينما كان فيرون محترما . وكلاهما — مع ذلك — زهد الحياة ، وبشر بتعاليم جديدة أثر الشخصية فى بثها أشد وأقوى من الثورة والدعوة ، وكلاهما خضع للعرف ، ولم يجار العامة فى دياناتهم . توسل سقراط إلى السعادة بالعلم والفضيلة ، وتوسل لها فيرون باللاأدرية واللامبالاة .

وأفلاطون اتهم الحواس التى لا يعلى فيرون غيرها . وأنكر أفلاطون الجزئيات وهي الموجودات عند فيرون ، حقائق الأشياء هى المثل عند أفلاطون ، وهى غير معروفة إطلاقا عند فيرون . والسعادة عند أستاذ تيمون فى اللامبالاة ، وعند أستاذ أرسطو فى الموت ، وهو التطهير . الخير عند فيرون وتلميذه صريع الشر وهو عند سقراط وتلميذه متحقق فى أعماق النفس تحس به .

وأرسطو يقول بالاعتدال فى كل الأمور ، وفيرون يقول بالتوقف والحياد ، وإزاء هذا المذهب الفيرونى العجيب يقف تيمون يناجى أستاذه فيقول :

«فيرون : أيها الكهل النبيل ! حدثنى كيف وبأى وسيلة عرفت سبيل التخلص من نير المذاهب المستعبدة ، والتعاليم السفسطائية الباطلة ؟ حدثنى كيف حطمت قيود الباطل ، والاعتقاد التقليدى . وأنت الذى لم يأل جهداً فى البحث عن طبيعة الهواء الذى يحيط ببلاد اليونان ، وعن طبائع الأشياء وعن غايتها التى تنتهى إليها جميعا »

ونرى من هذا كيف أن طرافة المذهب الفيرونى ترجع إلى جريان المذاهب السابقة عليه فى دمه ، واستحالتها إلى لون جديد انتبه له المفكرون بعد أن نصلت الأنسجة السفسطائية وبهتت ألوانها .

على أن الشك من مستلزمات الفكر الحر ومن موجبات تقدمه ، فأنبياء الله ورسله داخلهم الشك ، آمن إبراهيم عليه السلام بربه ، ولكن لم يطمئن قلبه حتى رأى من آيات الله ما رأى ، وموسى عليه سلام الله ناجى ربه : «رب أرنى أنظر إليك» ومحمد

عليه الصلوات قال « أنا أولى بالشك من ابراهيم » ونحن ألسنا أولى بالشك من الأنبياء ؟. ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزالون تسئلون عمن خلق الله ، فقولوا : إن الله خالق كل شيء ، وهو قبل كل شيء ، وبعد كل شيء » . وإذن فلا تنافى بين الشك والدين ، كما لا تنافى بين الشك واليقين ، لأن اليقين لا يزال بالشك كما يقول العسكري .

ومن فلاسفة الاسلام من اتخذ الشك المنهجي عكازا إلى نور اليقين وزعيمهم فخر الرازي ، فقد كان أستاذنا المرحوم (كراوس) المستشرق الألماني يعتبره زعيم المتشككين في الإسلام . وقد اصطنع المنهج الشكي أو الشك المنهجي حجة الاسلام أبو حامد الغزالي كما هو واضح في كتابه أو اعترافاته «المنقذ من الضلال» . وعند الواقفية من الجهمية مسحة من الشك في تعاليمهم لاتصال جهم بن صفوان بالشكاك الهنود ، وسميت بالواقفية لأنها لم تقل بأن القرآن مخلوق أو ليس .

وكان الغزالي يعمل للعامة اعتبارا فوضع « إلجام العوام عن علم الكلام » وكتب السيوطي «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» وما أكثر تآمر الجهل والجمود على العلم والحرية ، فقد اتخذ ديكارت منهجا للشك بغية الوصول إلى الحقيقة والكشف عن القوانين العامة للعلوم وثار على خزعبلات المشايخ Le doctes أو هيئة كبار العلماء في عصره . وكانت ثورته الفكرية قوامها هدم احتكار العلم فافتتح « المقال عن المنهج » بقوله « العقل أكثر الأشياء توزعا بين الناس بالعدل » وإذ خشى انقضاض العلماء الرسميين عليه قال «من أحسن المهروب عاش سعيدا» وكان لقواعد منهجه في الشك أبعد الأثر في توجيه الفكر الإنساني إلى أبعد الغايات ، وتابعه (كانت Kant) الذي نقد العقل ، وبيكون P Bacon) الذي هدم « أصنام العقل » ليبنى على أنقاضها منهجا جديدا للتفكير والبحث في العلوم . وكذلك (بيل Bayle) و (مونتنى Montagne) و (هيوم hume) وغيرهم من الشكاك المحدثين والأقدمين .

هذا هو نفوذ المذهب الفيروني في كل ماجد من بعده من أفكار حصرناها على نطاق واسع جدا يضيق المقام هنا عن ذكر تفاصيله وتفاريعه . أما أثر فيرون فقد كان مباشرا في تلاميذه الذين انخرطوا في مدارس للشك لكل واحدة لونها وصبغتها ، وإن كانوا يسمون les Zététiques كأنهم كانوا رواد الحقيقة ، فلما حاولوها ولم ينالوها سموا les Sceptique ولما تحيروا وتوقفوا حيالها سموا les Ephectiques ، فعلقوا أحكامهم ، فسموا les Aporétiques لأنهم لم يطمئنوا إلى وجود الحقيقة التي أشكلت عليهم .

وكان أركاسيلاس وكارنياد أشهر المدرسة الاحتمالية ، وكان أنسيدام وأغريبا أشهر المدرسة الجدلية ، ثم جاءت أخيرا المدرسة التجريبية التي اشتهر فيها مينودوت وسكستوس من الأطباء الشكاك أو الشكاك الأطباء الذين كانوا حربا على الفلاسفة والناطقة والفيازقة ورجال الأخلاق وانتهوا إلى مذهبهم التجريبي في الشك الذي يقضي بالخضوع لتكاليف الطبيعة والرضوخ لقوانين الوطن وعوائده ومزاولة بعض الفنون ، واتباع ما تأتى به الظواهر .

محمد محمود زيتونه

أحاديث عن جنوب الجزيرة

للاستاذ طه أحمد السنوسي

برهوت :

ذكر الامام أبو محمد عيسى الأندلسي في كتابه عيون الأخبار حكاية كان من بينها هذه العبارة : « ولكن مر إلى اليمين إلى واد في عدن يقال له (برهوت) وفيه بئر ... ويقول أبو محمد عبدالله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبي مخرمة في مؤلف الجزء الأول من تاريخ ثغر عدن بعد أن أورد حكاية الامام أبي محمد عيسى الاندلسي :

(كذا نقله عنه القاضي محمد بن عبد السلام الناشري في كتابه الموسوم بموجب دار السلام في صلة الوالدين والأرحام ، والمشهور أن برهوت واد بحضرموت ، وأن أرواح الفجار تأوى في بئر برهوت ، فإن صح ماذكره الأندلسي أنها بعدن ، فلعله السبب في اختصاص عدن بخروج النار الطاردة للناس إلى المحشر اهـ .

... ومن هذا نفهم أن ابن أبي مخرمة قد بنى استنتاجه باختصاص عدن بخروج النار الطاردة للناس إلى المحشر على كلام الأندلسي من أن برهوت واد في عدن ، وهو كلام واه لا يستند إلى حقيقة، وان أبي مخرمة نفسه يعلم أن برهوت واد بحضرموت، ويقول إن ذلك مشهور، ولكنه يريد أن يتلمس سبيلا لتعليل علة اختصاص عدن بخروج النار ، فيستوقف ما ذكره الأندلسي ، ويتلمس منه علة واهية متداعية الأركان ...

أما القزويني فيقول في كتابه (عجائب المخلوقات) إن بئر برهوت على مقربة من حضر موت ...

أما الذي أريد أن أقوله هو أن برهوت في حضرموت على مقربة من قبر سيدنا هود عليه السلام ، وهو كهف من الجير ، وقد قامت منذ قديم الزمان شتى العقائد والخرافات حول هذا الكهف، وقد صدقها المؤرخون العرب، كما أخذها عنهم الكتاب الغربيون دون تعقيب أو تحقيق ...

وقد حقق صاحبا كتاب (حضرموت) وهما درميان ووزمان البحث في بئر برهوت ذاك ، وعللا الروائح الخبيثة التي تنبثق منه بأنها ناشـئة عن تبول الخفاش الذي يقطن هذا البئر ، ثم عن التحلل الصخري فيه ، وكانت هذه الروائح الكريهة مصدر اعتقاد بأنها نذير بموت الكفار ، بل إن البئر نفسها في المعتقدات القديمة مستكن أرواح الكفار ، وأرهب نقطة على سطح الغبراء . . .

جنوب شبه الجزيرة في كتاب « الاسلام في العالم » :

وقد اطلعت منذ أمد ليس ببعيد ، على كتاب بالانجليزية للدكتور زكي علي تحت عنوان (الاسلام في العالم) وقد توقفت تجاه ما كتبه الدكتور الفاضل عن جنوب الجزيرة العربية في فصل (تحرير الإسلام) فرأيته يقول ماتعريبه :

بلاد العرب الانجليزية :

بالرغم من أن اسم بلاد العرب الانجليزية لم يظهر رسميا في أطلس جغرافي ، فإنها توجد في الحقيقة وتغطي أقاليم عربية كبيرة وهامة على الساحل الجنوبي لبلاد العرب ومنفذ البحر الأحمر وعلى طول ساحل الخليج الفارسي ، وكذا عدن ومحمية عدن مشتملة حضر موت ومسقط وعمان ومشيخة قطر والكويت وإمارة البحرين تحت الادارة البريطانية .

عدن :

وتقع شبه جزيرة عدن على الساحل العربي قرابة مائة ميل شرق باب المندب ، وكانت عدن مضافة كمتلكة بريطانية في عام ١٩٣٩ ، وكانت سابقا محكومة من الهند ، بيد أنها أصبحت مستعمرة بريطانية في ابريل ١٩٣٧ ، وهي تحكم المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وتمتلك أهمية استراتيجية عظيمة، فهي كائنة كجبل طارق للبحر الأحمر ، وقد سما مدخل قناة السويس بعدن إلى مركز ذي أهمية تجارية ، وهو مخرج قيم للتجارة مع بلاد العرب والبلاد القريبة ، وهو أيضا يشمل جزيرة بريم ومحمية عدن مقسمة إلى قسمين : محمية عدن الغربية ومحمية عدن الشرقية ، والأولى تحتوى على تسع عشرة سلطنة ، وسلطان لحج رئيس الحمية الأولى، وتشمل محمية عدن الشرقية حضرموت (محتوية دولة القعيطي لشهرا والمكلا ودولة الكثيري اسيام) وسلطنة مهرة لكش وسوكترا وسلطنات الواهيدي لبير علي وبالهاف ومشيخات أركاوهورا . . وسلطان شهر والمكلا هو رئيس محمية عدن الشرقية، وحضرموت هي الأكثر أهمية والأحسن نظاما لهذه المساحات ، وحددت حضرموت من الشرق بسلطنة المهرة ومن الغرب بسلطانات الواهيدي . .

ومن الاتصال الطارف بالعالم الخارجي والنضارات الحديثة ما هو داخل في هذا البلد الصحراوي ، وكل هذه السلطنات تقع في محمية معاهدة الصداقة مع الحكومة الانجليزية ، وتحت إدارة المستوطنين الانجليز أو الحكام — كما في عدن — »

ولسنا نعلم فيما نعلم هذا التقسيم الذي وضعه الدكتور المؤلف لعدن شرقية وغربية ، وهل الانكليز في نظره قد اتخذوا جنوب الجزيرة محمية واحدة أطلقوا عليها محمية عدن ، ثم قسموها قسمين: الشرقية والغربية ؟ وهل يجوز أن نمحى أسماء حضرموت ولحج وغيرها لنضع فوقها اسم عدن ، ما دام الانجليز يحتلون عدن الصغيرة .

ويرى الدكتور زكي على أن محمية عدن (الغربية) تحتوى على تسع عشرة سلطنة ، ونحن نعلم أن سلطنات جنوب الجزيرة عشرة سلطنات ، فلو زدنا — على رأى الدكتور — عدد سلطنات محمية عدن (الشرقية) ، فنظن أن المجموع سيكون أربعين أو خمسين سلطنة .

وبعد ذلك أقول إن ماذكرته من كلام صاحب (الاسلام فى العالم) قول أدعه لأهل الجنوب ليروا فيه رأيهم . . .

نفرات عربية :

... يقول الشيخ أبو مخرمة : (اعلم أن عدن بلدة قديمة يقال أن قابيل لما قتل أخاه هابيل خاف من أبيه آدم ، ففر من أرض الهند إلى عدن وأقام هو وأهله بجبل صيره ، وأنه لما استوحش بمفارقة الوطن وغيره ، تبدى له إبليس ومعه شىء من آلات اللهو كالمزامير ونحوها ، فكان يسليه باستعمالها ، فهو أول من استعمل ذلك على ماقيل) . . وإن كان إبليس أول من استعمل آلات اللهو فى عدن ، فكان من المحقق أنها تصير فى أيامنا هذى آلات شر وشؤم لا آلات فن بديع ، وعلى حد قول أبى مخرمة ليس من الضرورى أن نثبت أن ابليس هو أول من استعمل تلك الآلات وهو الذى كان يلهى قابيل (لما قتل أخاه هابيل وخاف من أبيه آدم) .

والذى نريد أن نقوله إن عدن هذه التى كان لها التاريخ الطويل القديم ، قد بدأت اليوم نهضتها نابضة حية وستجلوها الأيام عن قريب فى ثوب قشيب من الحضارة والمدنية والرقى

ولقدسعدت بكلمات الأستاذ الفاضل أنور المداوى عن نهضة عدن حيث قال فى إحدى تعقيباته بالرسالة الزاهرة : (الله يشهد أننى سعيد بهذه النهضة ؛ لأنها وثبة رائعة من وثبات الشباب العربى فى جنوب الجزيرة، ومتفائل بها كل التفاؤل ، لأننى أومن كل الايمان بأن النهضات الأدبية ما هى إلا مقدمات طبيعية لنهضات أخرى) . .

ويمتاز الشباب المدنى بالوعى العربى والشعور الصميم ، ويقص لى أحد الشبان المدنيين المخلصين ما صنعوه باليهود بمناسبة فلسطين ، فيبعث إلى ويقول : (وهاك بعض مناظر لمنازل اليهود المحروقة التى دمرناها هى وسا كنيها مع أننا لا نملك سلاحا ؛ لأن السلاح فى مستعمراتنا ممنوع ، وإذا اكتشف أحد من الشرطة أن لدى أحدنا مسدساً يأخذه مباشرة ليقضى فى السجن بعض السنين ، وعندما نشبت الحرب فى فلسطين ، أضر بنا وكان ذلك فى يوم الأربعاء ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ وقمنا بمظاهرات إلى حارة اليهود — عليهم اللعنة — وعندماشاهدونا فى هذه المظاهرة أغلقوا منازلهم وجلسوا فى منافذها مستعدين للقتال ، مع أنه من المسموح لهم أن يحملوا السلاح ، ونحن المدنيين ليس لدينا سوى عصيان الكشافة ، وعندما ظهرنا فى أول سكة من سكك اليهود وهى بالقرب من سكة شركة الطيران رميت القوارير فوق رؤوسنا ، وأصيب منا اثنان ، وعلى هذا دارت الدائرة عليهم ، وأخذنا كمية من البترول وأحرقنا جميع سياراتهم الفخمة ، وكان ذلك بالمساء ، أما فى الصباح فقد خرجنا أيضا فى مظاهرات أخرى وقد خرج إلينا الجنود البريطانيون بأسلحتهم ومصفحاتهم على أهبة الاستعداد لتدميرنا ، فلم نبال بشىء من هذا كله ومضينا وعندما مررنا بسكة من سكك اليهود لاحظنا الجند الانجليز ، ولكن يهودياً من فوق نافذته أخذ غدارته أطلق ثلاث رصاصات على ضابط بريطانى . فقضى عليه ، ومن ثم سمح الانجليز لنا بالهجوم ، وكان النصر حليف المدنيين تلك الثلة العربية الموفقة ...)

المحميات على لساد الجفري :

أسدل ستار من التمويه والخطأ على (المحميات) وتسميتها ووجودها ، لذا رأيت أن أورد فى هذه الأحاديث نص ما ذكره السيد الجفرى مستشار عظمة سلطان لحج عنها فى مذكرة سلطنة لحج التى قدمت إلى الوزارة المصرية فى ١٨ فبراير سنة ١٩٤٨ : (تقع مملكة اليمن فى الركن الجنوبى من جزيرة العرب ، وإلى الجنوب منها تقع محمية عدن ، وسلطنة لحج وسلطنة حضرموت إلى إمارات أخرى اشتهرت على ألسنة بعض الكتاب منذ عهد غير بعيد باسم (المحميات) وهى تسمية لا تطابق الوضع السياسى الصحيح لتلك البلاد التى يتمتع كثير منها بنوع من الاستقلال والحرية .

صور من الشعر الحديث في العـــــراق

للاستاذ ابراهيم الوائلي

الرصافي (١)

لا نستطيع أن ننكر ما للرصافي من أثر كبير في نهضة الشعر الحديثة في العراق وما لصوته من الصدى المدوي في دنيا العرب، فقد حمل قيثارة الشعر يداعب أوتارها المتنوعة ويرتل عليها أنغامه المختلفة هاتفا بمجد أمته مناديا بوحدتها واستقلالها داعيا لتخفيف آلام الانسانية المعذبة الحائرة في بيداء الحياة.

كانت أنغام الرصافي تنبعث من أعماق القلب حينا ومن آفاق العقل حينا آخر؛ فهو حين يندمج بالحياة الاجتماعية ويعيش كيا في ساعات الألم ولحظات الهدوء يستوحي عاطفته وإحساسه فتستجيب له العاطفة وبوانيه الاحساس فيترجم تلك الانفعالات نغما حزينا باكيا ولحنا مرح المقاطع هادىء النبرات، وحين يخلو إلى الطبيعة في عزلة عن صخب المجتمع وضوضاء البشر يستلهم عقله وتفكيره ويعرج إلى آفاق السماء فيصف الكون ومافيه من صور وأعاجيب ونجوم وأملاك، ويهبط إلى الطبيعة من حوله فيتحسس جمالها ومنابعها وما فيها من فتون وروعة ويتمتم ويتغنى ويفصح عن خلجات وجدانه بما يواتيه من تعبير وأداء.

كان الرصافي عاطفيا حساسا حين ينظم في السياسة والاجتماع، وحين يتغزل ويمدح أو حين تصفو له الأجواء لحظة من لحظات العمر. وكان وجدانيا حين يصف الطبيعة وما فيها من مباهج وصور ومنابت وأطيار وجداول ومروج، أو حين يصف حريقا أو مخترعا جديدا. وكان فيلسوفا حين يتجرد إلى عقله وتأملاته الكونية، ولكنه في الثانية والثالثة يخاتل حياته ويخالس طبيعته فلم يؤلف من وصفه وفلسفته ما يناهض تيار العاطفة وموجات الاحساس فقد خلق الرصافي عاطفي النبع يتحدث إلى قلبه ويتحدث قلبه إلى موسيقاه ومن ثم تعبر هذه الموسيقى عن خواطر وأحاسيس تمثل روح الشاعر وقلبه وما في هذه الروح وهذا القلب من صور حية نابضة بالحركة والألوان.

ويجب أن نحدد مسارب هذه العاطفة عند الشاعر ونسير معها إلى ينبوعها الأكبر لنضيق دائرة البحث في مركز واحد.

إن عاطفة الرصافي تستمد صورها من السياسة والاجتماع والغزل والمدح وما يشبه هذه الألوان. ولكن الينبوع الأكبر لعاطفة الشاعر هو السياسة والمجتمع إذ فيهما تبدو هذه العاطفة

(١) توفي الرصافي في ١٦ مارس سنة ١٩٤٥

وقد كان لهذه التسمية الخاطئة أسباب ودوافع، بل أغراض ومطامع؛ فلاشك أنه مما يسر بريطانيا أن تمنح ماليس لها بحق حين يقال إن هذه المحميات تابعة لها خاضعة لسلطانها، فذلك كسب استعماري كبير تطمع أن تناله، كما أن بعض الذين يحاولون توجيه السياسة اليمنية يرجون من وراء هذه التسمية أن يقع في وهم العرب أن تلك السلطنات أو الامارات المستقلة في جنوب شبه الجزيرة هي أجزاء من مملكة اليمن اقتطعها الاستعمار عن وطنها الأم ليفرض عليها سيادته، وسلطانه ومن الحق والواجب أن تعود إلى أحضان اليمن كما كانت.

وقد وقر هذا المعنى الخاطىء في نفوس كثير من الناس، وساعد على استقراره انعزال هذه السلطنات أو الامارات في ركنها الجنوبي منطوية على نفسها لا تحاول دعاية في بلاد العرب ولا في غير بلاد العرب.

على أن بعض الدعايات المادية قد نشطت منذ قريب لتشويه الوضع السياسي لسلطنة الجنوب تحقيقاً لبعض ما أشرنا إليه من الأغراض والمطامع، بدأ ذلك جلياً حين تقدمت سلطنة لحج إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية طالبة قبولها عضواً في الجامعة، أو تمثيلها في بعض لجانها الثقافية، فقد بدر يومئذ صوت معارض يزعم أن سلطنة لحج (محمية) لا يسوغ لها الانضمام إلى الجامعة، وأنها ليست إلا جزءاً مقتطعاً من بلاد اليمن لا يسوغ أن يكون له ممثلون في الجامعة)

أحمد طه السنوسي

جلية واضحة وتكثر صورها الشعرية . أما موطن هذه العاطفة في أكبر ينابيعهـا فهو ذلك القلب الذي تفتح في دنيـا كثيرة الصخب قاعة لآفاق عارمة الزوابع ، دنيا تعبث بها سياسة قاسية هوجاء وسلطون جائرون فلا عدل ولا إصلاح ولا علم ولا حرية ؛ فقر وحرمان ، وظلم واستهتار ، وخضوع وذل ، ووشاية ورشوة ، وسجون ومعاقل ، وشباب يقدمون قرابين على مذابح الشهوات ، وسياط تتخضب بدماء المتون والظهور في المدن والقرى ، وطبقات لا يؤلف بينها منهج ولا نظام . تلك هي دنيا العراق حين أطل عليها الرصافي فكان من البديهي أن يتأثر ذلك القلب ويتألم ويعبر عن تأثره وألمه بعد أن اكتملت الأداة عند صاحبه وطاوعته الموسيقى اللفظية أحسن مطاوعة . وهكذا ثار الرصـافي وندد بالسلطان والولاة ووصف السجون وما فيها من ظلام وتعذيب ، ودافع عن المرأة والعامل والفلاح .

وإذ نحن بصدد البحث هنا في شعر الرصافي الذي نظمه أيام الاستبداد العثماني وحين عودة الدستور فلا يسعنا إلا أن نقصر البحث على ما نحن بسدده تاركين الألوان الأخر إلى فرصة ثانية .

لا شك أن الرصافي مر في أدوار عـدة من تاريخه السياسي أو مرت به أدوار سياسية متعددة مختلفة فقد نشأ النشأة الأولى في بغداد وهو محدود الفكر ضيق الشعور لا يعبر إلا عما تقع عليه عينه في بغداد وما حوالبها ولا يتأثر إلا بمـا يسمع من الأحاديث ويقرأ من الصحف والمجلات وهي قليلة في ذلك الوقت . ثم طاف بالبلاد العربية وبخاصة سوريا وفلسطين ، وسافر إلى تركيا وشاهد مواطن البذخ والترف على البسفور والدردنيل فأثرت في نفسه تلك الفوارق الاجتماعية بين رعايا مغرقين في تيار الذل والحرمان وبين أسياد يمشون في أبراج الذهب والحرير ، بين رعايا مكبلين بالحديد والأغلال وحكام تتمرغ أنوفهم بعطر الحيـاة وتدوس أقدامهم أشلاء العبيد الصاغرين فاذا الرصافي يثور على الظلم والاستبداد ، وإذا بهذه العاطفة التي كانت حبيسـة في أفق ضيق محدود قد تغيرت وتبلورت بهذا الأفق الرحب ومشت في ركاب الحيـاة الواقعية الصريحة تندد بالخليفة الجائر والولاة المستبدين وتنفخ روح الثورة في الجماهير المظلومة الصاغرة . ثم جاء دور الأحرار ودعاة الدستور فاتصل بهم الرصافي وشاركهم في شعورهم وأيدهم في مواقفهم حتى إذا أعيد الدستور تلقاه فرحا مستبشرا وحياه بأكثر من قصيدة ومجد زعمـاءه وأنصاره . حتى إذا كانت نهـاية الأتراك على يد الاحتلال الانجليزي في الحرب العالمية الأولى أخذت عاطفة الرصافي تموج وتضطرب وتثور ولا تستقر لأنها أحست بلفحة النار تسري في الوطن العراقي الجريح، وتتمشى في الأفق العربي الداكن، وتتمدد في البلاد الإسلامية المنكوبة ؛ فمن حق الرصافي أن يثور ويضطرب حين وجد الحياة داكنة مدلهمة تعصف بهـا الزوابع والأعاصير من كل جانب وتعبث بهـا السياسة العثمانية الجائرة . ومن حق الرصافي أن يهدأ ويطمئن حين عاد الدستور فعادت الحرية إلى طلابها وشداتها . ومن حقه أن يعود إلى ثورته وجيشانه حين جاء الانجليز فاتحين مستعمرين وظلوا فاتحين مستعمرين يعـدون ولا يفون ، ويأخـذون ولا يعطون ، ويشاركون في كل رأي ويتدخلون في كل أمر وفي كل مرفق . فكان بديهيــا أن يقف الرصافي منهـم موقف الساخط الثائر ، وكان بديهيـا أن يحن إلى الأتراك وقد ذاق حلوهم كما ذاق مرهم ولم يجد من الانجليز ما ينسيه عهدهم . وهذا هو السر الذي جعل الرصافي يعيش أواخر عمره وقد سدت عليه منافذ الحياة وضاقت دونه مسارب العيش إلى أن ودع الحياة بين خصوم يتهمونه بالنزعة التركية والتمرد على بعض العادات ، وبين أصدقاء معجبين فهموا شعره وقدروا فيه عاطفة الشاعر العميق الاحساس الذي يملى أفكاره ونزعاته ولا تملى عليــه الأفكار والنزعات .

إن خصوم الرصافي يأخذون عليه تودده للأتراك في بعض المناسبات ومدحه لبعض ملوكهم وولاتهم ودفاعه عنهم في بعض حروبهم ، وبكاءه عليهم حين تقلص ظلهم من العراق إلى جانب ثورته عليهـم . ثم مواقفه التي لا ترضي بعض الحكام في تاريخ العراق الجديد وقد فات هؤلاء الخصوم أن عاطفة الشاعر — كأي شاعر أصيل الطبع — لا يمكن أن تستقر على حال أو تجنح إلى شاطئ واحد بل هي متنقـلة متحولة من الشمس إلى الظل ومن الجبال إلى السهول كالطائر الذي لا تسع جناحيه الآفاق ولا يستقيم له وكر .

إن الشاعر العاطفي الحساس قد ينظر إلى الحياة والاشخاص وما حوله من الصور والألوان نظرة تختلف عن غيره من سائر الناس فقد يحس باللذة في موطن الألم ، وبالجمال في موطن القبح

وبالصخب فى مجال الهدوء ، وقد تنعكس هذه الصور عنده وما عليه إذا غضب الناس أو رضوا مادام يعيش فى عالمه ويستجيب لقلبه وعاطفته . وبمثل هذا الرأى نستطيع أن ندافع عن الرصافى فى مواقفه التى كبرت على خصومه وظنوا أن بها استخفافا ببعض المظاهر الاجتماعية وخروجا على بعض التقاليد ناسين أن الشاعر الذى يستوحى خلجات نفسه وهواجس قلبه لا يقيم وزنا لمذهب «بلوتارك» الذى يريد من الشاعر أن يكون أخلاقيا فحسب ! ! . وليس الرصافى واعظا على منبر أو خطيبا فى مسجد . وحتى الوعاظ والخطباء قد يكون لهم من اللحظات مايشعرون فيه بوجود آخر غير وجودهم الدينى فكيف الشعراء ؟

وإذا كان لا بد من الدفاع المادى عن مواقف الرصافى السياسية التى أغضبت بعض الناس فان الدراسة التحليلية لشعره كفيلة باستجلاء الحقيقة لأن شعره يدل على أنه لم يكن ليستجيب للافراد على حساب الجماعات أو يرضخ للتنويم المغناطيسى يفعل به مايشاء لجميع مواقفه التى فسرها الخصوم تفسيرا سطحيا لها ما يبررها وليس فيها مايؤيد زعم هؤلاء الخصوم كما سيأتى ، ولو أراد الرصافى لنفسه موقف المصانع الموارب — ان فى عهد الأتراك أو عهد الانجليز — لكانت حياته المادية غير التى قضاها .

يضاف إلى هذا أنه لم يكن وحده مؤيدا لسياسة الأتراك — وهى سياسة فى مجال الدستور — بل شاركه فى مجال التأييد الزهاوى والكاظمى وشوقى وحافظ وغيرهم حتى بلغ من تأييد حافظ للاتراك تهجمه على الثائرين فى الحجاز على الدولة العثمانية .

إن الرصافى قد أدى رسالة الشعر فى حق الشعر . وأدى رسالة الشعر فى حق العراق والبلاد العربية ، وأدى هذه الرسالة فى حق المسلمين والانسانية عامة .

هذه كلمة موجزة عن حياة الرصافى السياسية كما وجدناها فى شعره وفى الظروف والملابسات التى رافقها والأدوار التى اجتازها وقد وقفنا منه موقفا يتردد بين التحليل والدفاع مستندين فى ذلك إلى طبيعة الشعر وعنصره العاطفى وإلى السياسة التى كانت آنذاك فى تبلبل واضطراب ، وسنترك للنماذج التى سنختارها وندرسها تعزيز الرأى وإيضاح الدراسة مقتصرين من هذه النماذج على مرحلتى الاستبداد وعودة الدستور ثم ماقاله الشاعر فى مدح الأتراك ومقدار صلة هذا المدح بالواقع الذى يبرره والظروف التى تحتمه .

للرصافى قصائد كثيرة فى الثورة على الاستبداد العثمانى وفى ثورته عنف وشدة . وقصيدته « إيقاظ الرقود » أبلغ دليل على هذه الثورة العنيفة فقد جاء فيها :

إلى كم أنت تهتف بالنشيد وقد أعياك إيقاظ الرقود
فلست وإن شددت عرا القصيد بمجد فى نشيدك أو مفيد
لأن القوم فى غى بعيد

إذا أيقظتهم زادوا رقادا وان أنهضتهم قعدوا وئادا
فسبحان الذى خلق العبادا كأن القوم قد خلقوا جمادا
وهل يخلو الجماد من الجمود ؟

هؤلاء هم قوم الرصافى وأبناء وطنه كما يراهم فهم لا ينتبهون من غفلة ولا ينهضون بعد قعود ولا يثورون على حكومة جائرة عاتية فهم كالجماد الذى لا يحس. ثم ينتقل إلى وصف هذه الحكومة وينذرها بعاقبة الظلم والجبروت :

حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبد بما أشارت
فلا أحد دعته ولا استشارت وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتمزيق الحدود

ويشير إلى أن هذا الجور والسكوت عليه لم يكن سببه إلا الجهل حتى أدى هذا الجهل إلى تحكم عبد الحميد :

سكنا من جهالتنا بقاعا يجور بها المؤمر ما استطاعا
فكدنا أن نموت بها ارتياعا وهبنا أمة هلكت ضياعا
تولى أمرها عبد الحميد

وهنا تشتد الثورة فى نفس الشاعر وتطغى العاطفة الحانقة فيخاطب عبد الحميد بلهجة عنيفة :

أقول وليس بعض القول جدا لسلطان تجبر واستبدا
تعدى فى الأمور وما استمدا : ألا يا أيها الملك المفدى
ومن لولاه لم نك فى الوجود

أنم عن أن تسوس الملك طرفا أقم ما تشتهى زمرا وعزفا
أطل نكر الرعية خل عرفا سم البلدان مهما شئت خسفا
وارسل من تشاء إلى اللحود

تنعم فى قصورك غير دار أعاش الناس أم هم فى بوار
فانك لن تطالب باعتذار وهب أن الممالك فى بوار
أليس بناء يلذ بالمشيد ؟

للكلام بقية

ابراهيم الوائلى

الشعر المصرى فى مائة عام :

على الليثى

للاستاذ محمد سيد كيلانى

١٨٢٢ — ١٨٩٦

— ١ —

ولد الشيخ على الليثى بمدينة القاهرة . وقد نسب إلى الإمام الليث لأنه كان يقيم فى مطلع حياته فى ضريحه .

التحق الليثى بالأزهر وظل مشتغلا بطلب العلم حتى وفد على مصر الشيخ السنوسى الكبير قاصداً أداء فريضة الحج فاتصل به وأخذ عنه الطريق وحج معه . ولما عاد إلى مصر لم يفارقه بل سافر معه إلى جغبوب ، وأقام هناك مدة يطلب العلم . ثم فارقه وعاد إلى مصر واتصل بأم عباس باشا الأول فجعلته شيخاً على مجلس دلائل الخيرات عندها ثم اتصل أيضاً بالأمير أحمد باشا رفعت بن إبراهيم باشا الكبير وشقيق الخديو اسماعيل فاعتقد فيه وأطلعه على خزانة كتب عديدة .

وقد اتهم بالاشتغال بفنون السحر والشعوذة والزايرجة والإخبار عن الغيب والكشف عن الطالع وغير ذلك مما هو مشهور عن المغاربة . فنفى إلى السودان فى عهد سعيد الذى أمر بجمع كل من يأكلون أموال الناس بمثل هذه الخزعبلات وإبعادهم إلى السودان . فبقى هناك مدة من الزمن ثم عفى عنه فرجع إلى مصر .

والظاهر أنه كان قد عرف الخديو اسماعيل حينما كان يتردد على منزل أخيه الأمير أحمد رفعت وذلك فى عهد سعيد . فلما تولى هذا الخديو قرب الليثى إليه وجعله هو والشيخ على أبا النصر نديمين له يحضران مجالس أنسه وتزول الكلفة بين الحاضرين فيتبسطان فى القول ويملآن المجلس فرحاً وسروراً بالنوادر المطربة والفكاهات المضحكة . وقد بلغ من شغفه بهما أنه خصص لهما قاعة بالديوان الخديوى يجلسان فيها كأنهما من المستخدمين . وقد تقرأ فى الوقائع المصرية مثل هذه العبارة : « قصيدة فائقة للشيخ على الليثى المنشىء بديوان المعية السنية » وتقرأ مثل هذا عن الشيخ على أبى النصر ، فتظن أنهما كانا يقومان بالكتابة الإنشائية . والواقع أنهما لم يزاولا الكتابة قط ، إنما هو لقب منح لكل منهما .

وقد تمتع الليثى بجاه كبير فى عهد الخديو اسماعيل . فكان الناس يلجأون إليه متوسلين به ومتشفعين فى قضاء الحاجات . وظل الشاعر محتفظاً بمكانته فى أيام الخديو توفيق . وكان قد انضم إلى الحركة العرابية فلما قضى عليها نظم قصيدة تبرأ فيها من تهمة العصيان فعفا عنه الخديو وزاده قرباً منه .

ولما بنى الخديو توفيق قصره فى حلوان كان ينتقل إلى ضيعة الليثى بشرق اطفيح ويقيم عنده يوماً . ولهذا اعتنى الليثى بضيعته فشيد فيها قصراً وغرس الحدائق والكروم .

ولما تولى الخديو عباس أعرض عن الليثى، ولا عجب فى ذلك . فقد كان صاحبنا فى العقد السابع من عمره على حين كان الخديو فى الثامنة عشرة . ثم إن عصر الليثى كان قد انتهى فأقام فى ضيعته وكان كثير من الأدباء يزورونه هناك أو فى داره بباب اللوق فيكرم مثواهم ويحسن لقاءهم . وبقى على ذلك حتى مات فى عام ١٨٩٦ .

شعره

لا يوجد بين أيدينا ديوان لليثى . ولا نعرف أنه قال شعراً قبل عصر اسماعيل . وقد اعتمدت فى حديثى عن شعره على ما نشر فى الوقائع المصرية . وتتبعت شاعريته فى عهدى اسماعيل ، وتوفيق

قال يمدح الخديو اسماعيل :

أنعم بطيب ليال لحن كالغرر	فى جبهة الدهر تسمو عن سنا القمر
بها تزف الأمانى فى مواكبها	لكل راج ويرعاها أخو السمر
علا بها الدهر شأناً وهى تتحفه	بحلية المجد حتى فاز بالوطر
قد قلدت كل جيد من بدائعها	وأنعمت بمراد السمع والبصر
كأنها والليالى الغر سالفة	ليلات قدر توافينا على قدر

وقفت أمام هذه الأبيات وحاولت أن استكشف ما حوته من المعانى فلم أظفر بشىء . واجتهدت فى استخراج الصورة الشعرية التى تخيلها الرجل حينما نظم هذه القصيدة فلم أحرج بصورة ولا شبه صورة . ليال لحن كالغرر . بها تزف الأمانى لكل راج . وما معنى

قوله «ويرعاها أخو السمر» ولم خص أخا السمر؟ «علاها الدهر» وهنا كرر كلمة الدهر . وهذه الليالى تتحف الدهر بحلية المجد . فما معنى هذا ؟ وكيف فاز الدهر بالوطر؟ وما هو المعنى الطريف فى قوله «وأنعمت بمراد السمع والبصر» ؟ ثم قال «كأنها والليالى الغر سالفة» فكرر كلمة «الغر» . لا شك فى أن هـذا لغو لا طائل وراءه. وهذه الأبيات على طولها لا تحمل غير معنى تافه جداً. يريد أن يقول إن هذه ليال سعيدة فأسهب على غير جدوى .

وقال :

وكيف ولا وخديو مصر ألبسها ... ثوباً من الطول مأموناً من القصر
تجر أذيال إعزاز بمقـــدمه ... حتى بها مصر سامت كل مفتخر
وفاخرت كل إقليم يناظرها ... وقد جرى النيل عند الفخر بالخبر

فأى معنى تحمله هذه الأبيات ؟ أراد الرجل أن يقول إن البلاد فرحت بقدوم الخديو وابتهجت بعودته فلم يوفق فى إبرازهذا المعنى البسيط فى ثوب قشيب . فجعل الليالى تجر أذيال إعزاز وقال «حتى بها مصر سامت كل مفتخر» ثم كرر هذا المعنى فى قوله «وفاخرت كل إقليم يناظرها» وما هو المعنى الطريف أو الصورة الشعرية التى فى قوله «وقد جرى النيل عند الفخر بالخبر»؟ لن نخرج من وراء هذا الكلام بفائدة لا كثيرة ولا قليلة .

ثم قال :

أهلا بمقدم روح القطر من سعدت ... به الرعية واستولت على الظفر
مليكنا المفرد السارى إلى نسق ... فى العدل مسراه أعيى كل مقتدر
لقد خلعت على الألقاب ثوب علا ... وشرفت بك بين البدو والحضر
حتى غدا أعظم الألقاب مفتقراً ... إليك كى يرتقى فى عالم الصور
ولو يقـول بلغنا قدر قـدركم ... أهدى اللسان ثناء الآى والسور

ومفهوم أن يقول إن الرعية سعدت بمقدم الخديو . أما قوله «واستولت على الظفر» فغير مفهوم ولا مقبول ولا مما يستقيم ولا مما يستساغ . ومعنى البيت الثانى تافه . وأراد أن يقول فى الأبيات الثلاثة الباقية إن الألقاب ارتفعت بالخديو وتشرفت فأتى بهذا المعنى الضئيل فى ثلاثة أبيات كلها عبث وهراء .

ثم قال :

فلا عدمنا أياديك التى عظمت ... فى مصر حتى غدت الملك كالأسر
وازينت بقدوم جاء بقـدمه ... طير المسرات بين الزعر والزهر
وكل ثغر غـدا بالبشر مبتسما ... فاق الدرارى سنا فى رائق الدهر

والبيت الأول تافه المعنى . أما البيت الثانى فإنه جمع بين تفاهة المعنى وضعف التأليف . ولا أظن شاعراً يحترم نفسه يقول «بقدوم جاء بقدمه» . والبيت الثالث خلو من المعنى .

ثم قال :

والأنس دار بأقداح السرور وقد ... حيا الرعية واستملى أخا النظر
فكل ذى فكرة أبدى نتائجها ... فى مدح علياك لكن غير مبتكر
تملى عليه معانيك الحسان فما ... يجيد شيئاً سوى تنظيم منتثر
لازال ذا الدهر يسعى فى رغائبكم ... وما أردتم مراد الدهر والقدر

أما قوله «والأنس دار بأقداح السرور» ففيه صورة من حياة الندماء التى لازمته فى ذلك الوقت . وقوله «حيى الرعية واستملى أخا النظر» خلو من كل معنى . والأبيات التالية تافهة المعنى .

وقال :

والملك يبسم عن عدل يقارنه ... تمام فضل وإحسان مدى العصر
ما اختال ذا القرفى برد الأمان بكم ... وكف بالصفو كف البغى والكدر
وردت باريس سر الود تملنه ... وقد صدرت حميد السعى والسير
وعدت فى فتية فاقوا النجوم سناً ... منك استمدوا وهم فى الدهر كالغرر

ومعنى البيت الأول قد تقـدم قبل ذلك بأبيات . وكذلك صورة ابتسام الملك فقـد وردت فى قوله «وكل ثغر غدا بالبشر مبتسما» . وليس فى الأبيات التالية من المعنى ما يستحق الذكر . وقد امتازت هـذه الأبيات دون سائر القصيدة بظهور الصنعة اللفظية فيها . فهناك طباق بين «أمان» و «بغى» وبين «صفو» و «كدر» وجناس بين «كف» و «كف» . وطباق بين «ورد» و «صدر» .

وأول ما نلاحظه على هـذه القصيدة أن الشاعر كرر بعض المفردات فذكر كلمة «الدهر» ستة مرات. وقد كرر كذلك بعض التعابير . ومثال ذلك قوله «تسمو عن سنا القمر» و «فاق الدرارى سنا فى رائق الدهر» و «عدت فى فتية فاقوا النجوم سنا». وقوله «وكل ثغر غدا بالبشر مبتسما» و «الملك يبسم عن عدل يقارنه» . كما كرر بعض المعانى على تفاهتها فإذا أضفنا إلى ما تقدم ضعفه التناهى فى الصياغة استطعنا أن نقول إن الليثى لم يك شيئاً فى عهد اسماعيل .

والآن ننتقل معك يا على لنرى كيف كنت تقول الشعر فى زمن توفيق.

***

بعد أن فشلت الثورة العرابية شرع المصريون يتبرأون منها ويتنصلون من تبعتها . ومن كان منهم قد انضم إلى صفوفها أخذ ينتحل المعاذير ويذكر أنه اضطر إلى الانضمام إلى الثوار تحت الضغط والإرهاب . ولعبد الله فكرى قصيدتان طويلتان نظمهما عقب الاحتلال البريطانى نفى فيهما ما نسب إليه من ميله إلى الثوار . والليثى قصيدة أنشأها فى هذا الغرض . ولكن الليثى فى قصيدته يبدو أنبل نفساً وأسمى شأناً من عبد الله فكرى. وقبل أن نتكلم عن قصيدة الليثى نريد أن نشير إلى ملاحظة صغيرة ؛ وهى أن العلاقة بين الشاعر وبين الخديو اسماعيل كانت قد فترت فى الأيام الأخيرة من حكم هذا العاهل . والدليل على ذلك أن الليثى كان قد شد رحاله إلى ضيعته . وهناك وصلت إليه قصيدة من عبدالله فكرى يبشره فيها بخلع اسماعيل . ومما جاء فيها قوله :

واقرأ على الشيخ الجليل تحيـة مقرونة بالشـوق والتبجيل
وقل البشارة مصر ولى أمرها توفيقها من بعد اسماعيـــل

ولو لم يكن عبد الله فكرى يأنس فى الليثى ارتياحاً لمثل هذا الأمر لما أسرع وزف إليه ذلك النبأ، وجعل من خلع اسماعيل بشارة يبعث بها إلى الليثى . والدليـل على ذلك مذكور فى نفس هذه القصيدة وهو :

حتى إذا استأنست من تصديقه بعلائم التكبير والتضليل
فانهض به فى الحال نهضة مسرع للعـود لا يلوى على تعليـل

وعلائم التكبير والتهليل لا تبدو إلا ممن يطغى عليه الفرح والسرور . هذه مقدمة أتينا بها تمهيداً للكلام على قصيدة الليثى التى نظمها بعد هزيمة العرابيين والتى بدأها بقوله :

كل حال لضـــده يتحول فالزم الصـبر إذ عليـه المعول
يا فؤادى استرح فما الشأن إلا ما به مظهر القضـــاء تنزل
رب ساع لحتفه وهو ممن ظن بالسـعى للعـلا يتوصل
قـدر غالب وسر الخفايا فوق عقل الأريب مهما تكمل
غاية العقـــل حيرة وعقال واللبيب الذكى من قد تأمل

وهذا كلام لا يقال فى قصيدة يريد ناظمها أن يعتذر فيها عما نسب إليه من تهمة خطيرة، ويتبرأ من ذنب عظيم ، ويطلب الصفح والمغفرة وهذا الاستهلال أليق بقصائد الرثاء ، ففيه حث على التزام الصبر، وحض على الرضى بالقضاء والقدر. ولم يكن المقام يستدعى ذلك. فقد كان الخديو توفيق فى حالة فرح وسرور بعد انتصاره على أعدائه واطمئنانه على عرشه وملكه فكان من المناسب أن يبدأ الشاعر قصيدته بالتهنئة أو الاعتذار. ولكنه لم يفعل ذلك بل افتتحها بهذه الأبيات التى يظهر عليها طابع الحزن والأسى والاستسلام الذى يتمثل فى قوله :

يا فؤادى استرح فما الشأن إلا ما به مظهر القضاء تنزل

فم استوحى الليثى هذه الأبيات؟ وما هو الدافع النفسى الذى حرك لسانه وأنطقه بهذا المطلع ؟ ومن هذا الذى خاطبه بقوله «فالزم الصبر إذ عليه المعول» ؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن نذكر أن الأحوال فى أوائل عهد توفيق لم تكن تسمح بعقد مجالس الأنس والطرب التى لا تظهر مواهب الليثى فى غيرها فلم تكن الملاقات بين الشاعر والخديو فى السنوات الأولى من حكمه كالملاقات التى كانت بينه وبين اسماعيل إبان عظمته ومجده. ولو كانت الصلة قوية بين الليثى والخديو لصحبه إلى الاسكندرية فيمن صحبه من خاصته. ويتضح من هذا المطلع الحزين الباكى أن الشاعر انضم إلى صفوف العرابيين اعتقاداً منه أن حركتهم ترمى إلى صيانة الوطن والدفاع عنه ضد الانجليز. والليثى أزهرى ، والأزهريون قد انضووا تحت لواء العرابيين مدفوعين بالنعرة الدينية والعاطفة الوطنية فمن المعقول أن يحذو الليثى حـذو إخوانه ويندمج فى صفوف العرابيين . ويشجعه على ذلك ورود الأنباء الكاذبة المنبئة بانتصار الجيش المصرى وانهزام الانجليز .

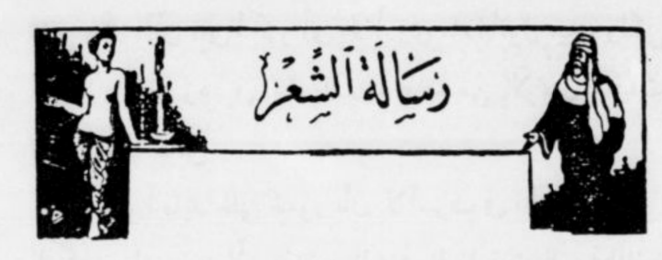
ولا شك فى أن الليثى قد خاطب نفسه فى هذه الأبيات وحثها على الصبر ، وحضها على الرضى بما جاءت به المقادير وبكي على ما أصاب البلاد من الكوارث والخطوب .

ثم قال :

كيف ننسى وحادثات الليالى فاجأتنا بكارث ليس يحمل
أذهبت أنفساً وغالت نفيساً وذوى مربع الحظوظ وأمحل
كان أقليمنا رياض صفاء فيـه للواردين أعذب منهـل

للكلام صلة

محمد سيد كيلانى



في درب العمر

« لا تصافح كل من لاقيت فى طريقك ... »
« إن من الناس من يجب أن لا تمـد »
« إليهم يداً ، بل مخلباً ناشباً ... ... »

زرادشت : نيتشه

للآنسة فدوى طوقان

أتيت درب العمر مع قلبى   أغرس زهر الحب فى الدرب
ليغرق الناس بأشــذائه   تنهل فى دفق وفى سـكب
ليغمر الصحب بعطر الهوى   فينعموا فى فيئه الرطب
فيعثروا زهرى بأقدامهم   ووطأوه فى الثرى الجدب !.
وارتج قلبى خلف صدرى أسى   ولج فى دق وفى وثب
فقلت : فى أهلى وفى اخوتى   غنى عن الخلان والصحب
وخلتنى ملأت منهم يدى ..   وخلتهم قد ملأوا قلبى ..
فلم يطل وهمى حتى هوى   خنجرهم ، وغاص فى جنبى !
وضحـكت نفسى فى سرها   هازئة منى ، ومن حبى
وسرت مع قلبى وحيدين، لا   شىء سوى الأشواك فى الدرب

نابلس — فدوى طوقان

أخاف أن أنسى ...

للاستاذ عمر النص

يد الأيام ... كم أخشى   على دنياى من غدرك
مضى الحلم .. ولم ينج   سوى ماضى من أمرك
فما آثرت أن أطغى   ولا تقت إلى سحرك
بل ارتحت إلى اليأس   وقلت أفـر من شرك
مضى الحلم ... ولم تبق   سوى ذكراه فى نفسى
أخاف أخاف من يوم   يموت فـراغه حسى
وأصحـوا فوق أنقاض   من الأوهام والحدس
تذل الزهو فى حدق   وتلقى السم فى كأسى !
تركت الأرض للنـاس   ورحت أعيش فى جرحى
فلم أرنح إلى ليـل   ولم أركن إلى صبح
يريد الدهر أن أنسى   فهلا كـف عن نصحى؟
وهل أبقى لى اليـوم   سوى الوحشة والقبح !
أخاف أخاف أن أنسى   ويذهب رونق المـاضى
وأن يستيقظ القلب   على سـأم وإرماض !
إذا ما هـزه الشوق   وأقبل بعـد إعراض
تلفت يذكر الأمس   فلم ير غير أنقـاض !
أخاف أخاف أن يطوى   ظـلام اليـأس ليـلاتى
ويتركنى على الأرض   بلا ماض ولا آت
سليب العزم... أستجدى   من الحـرمان أبيـاتى
إذا ما أومأ الفجر ...   نثرت عليـه فلذاتى !
أخاف أخاف من عيشى   تؤود النفس أعبـاؤه
وتعصف بالذى أبـنى   من الأحـلام أنواؤه
إذا ما قلت : لن أنسى   ولن يفلح إغراؤه ..
رمت أشواكه كبدى   وعاثت فيـه أفـذاؤه !
فديتـك أيهـا القلب   ألأنت نزاع من ذهرك ؟
أأنت تخـاف أن تنسى   ألأنت تشك فى صبرك ..
لقد جد بك النـأى   فماذا كان من أمرك ؟
وقد روعك الدهـر   فـكاد يجن من كبرك !
فديتك أيهـا القلب   فقد أذكيت بى البـأسا
قهـرت الغم ... والأيا   م .. والنسيان ... واليأسا
ورحت تجدد العهد   وتحضن ذلك الأمسـا
وكـدت تستمر الدهر   فـكيف تخاف أن تنسى ؟!

دمشق

عمر النص

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عمل عظيم :

أذكر بمزيد الغبطة والسرور قرار مجلس الوزراء الذي يقضي بمنح زوجة وولدي المرحوم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني معاشاً قدره ثلاثون جنيهاً على أن يؤول نصيب الولدين عند بلوغهما سن الرشد إلى الزوجة . وهكذا تحقق مسعى الإنسان العظيم عميد الأدباء الدكتور طه حسين بك ، وهذا القرار يعتبر مبدأ جديداً في تقدير الأدباء تقديراً خالصاً من أي اعتبار لغير أدبهم وأثرهم في خدمة البلاد .

ولقد كان من أشنع الجحود أن تهمل أسرة الكاتب العظيم – وليس لديها ما يوفر لها العيش الكريم اللائق بها – دون رعاية الدولة وعنايتها .

ولقد هزني ذلك القرار الحكيم وبث إلى فؤادي نشوة ، إذ استشعرت فيه أمرين إلى جانب أثره في تخفيف أعباء العيش عن أسرة الأديب الراحل ، الأول أنه محا عن مصر سبة العقوق لأعلامها الأدباء ، والأمر الثاني أننا صرنا إلى حال يتجه فيها أولو الأمر إلى الحق الصرف ، وقد اعتدنا أن نرى تدخل الحزبيات في المنح والمنع .

أما عميد الأدباء – رعاه الله – فماذا أقول فيه ؟

لقد قلت إبان توليته وزارة المعارف بعد أن أجملت برنامجه كما فهمناه من كتاباته ومحاضراته – قلت إننا لن نتوانى عن مطالبته بتنفيذ هذا البرنامج ، وداخلني عند ذاك شيء من الإشفاق وأنا أستحضر ما عهدنا من بلادة الرسميات ، فقلت : ليس كل ما يكتبه الكاتب يستطيع تحقيقه إذا ولي الأمر. فالكاتب يضع المثل والتنفيذ شيء آخر ، ولكنا نرجو أن يعمل ما وسعه العمل . قلت ذلك وأنا لا أتوقع أنه سيصنع ما صنع من عظائم الأمور ولما يمض غير قليل . أما الآن فإني أكرر أني لا أدري ماذا أقول فيه . ولكني أرى الرجل قد زهد في ثناء الكلام فاتخذ من الأعمال مثنيات لا ترائي ولا تنافق .

وكثيراً ما يداخلني شعور بأن لا أسرف في الحديث عن الدكتور طه حسين لأن مكان معاليه في الوزارة يثير التهمة بالملق، وليس كل الناس يعلم أني بعيد عنه . ولكن ما حيلتي ؟ هل أقول له مثلا : لا تعمل على تقرير معاش لأسرة المازني وتعليم أولاده بالمجان في التعليم العالي ؟

الحقيقة أننا حين نتحدث عن طه حسين فإننا نتحدث عن « معنى » أو « مثل » أتيح للبلاد أن تظفر به في هذه الفترة من حياتها المضطربة . ألسنا إذن نتحدث عن نعمة الله فينا ؟

المعوقات الثقافية للأدب :

ابتدأت محطة لندن العربية إذاعة سلسلة من الأحاديث لمعالي الدكتور طه حسين بك في موضوع « معوقات الأدب الحديث » وقد أذيع أول هذه الأحاديث يوم الجمعة الماضي ، وقد تناول فيه واحداً من هذه المعوقات ، وهو الخاص بالثقافة ، فقال : إنه يأتي من أن الثقافة ليست منتشرة في الشرق العربي كما ينبغي ، فالتعليم لا يزال محدوداً ، وقراء الأدب تبعاً لذلك قليلون ، فالكاتب لا يجد صدى كبيراً لما يكتب ، ولا يجد ما يغنيه من الكسب المادي. وقد كان الأدباء في القديم وفي أوائل الحديث يتكسبون بأدبهم من الأمراء والكبراء ، أما الأديب المعاصر فقد عزف عن ذلك واتجه إلى الاعتماد على أدبه في كسب عيشه ، وإن كان الأدباء قد اضطروا إلى الرجوع إلى الحماية بعض الشيء ، وهم يكتبون في الصحف ويعملون في خدمة الدولة لأن الأدب وحده لا يقوم بحاجتهم ، والأديب في حاجة إلى أن يفرغ لأدبه ، يقرأ كثيراً ويكتب قليلا ، فلو كثر القراء وأغنوا الكاتب عن اللجوء إلى الوسائل الأخرى لكان للأدب في الشرق العربي شأن آخر .
وهناك ناحية أخرى لهذه المسألة ، وهي أن ثقافة الأدباء وثقافة القراء قليلة التنوع ، وذلك آت من طريقة التعليم ، فإن التعليم في الشرق العربي لا يتيح للمتعلمين إلا تعلم لغة أجنبية واحدة أو اثنتين ، فالكاتب الذي لا يلم بالثقافات المختلفة لا يتعمق موضوعه ؛ والمثل الأعلى في ذلك أن يكون في الأمة من يترجمون إلى لغتها كل ما يجد في

الأمم الأخرى من ألوان الثقافات، فيجد الأدباء والقراء من هذه الثقافات ما ينمي أفكارهم ويوسع آفاقهم.

مقالات زملاوية:

أشرت في الأسبوع الماضي إلى كلمة الأستاذ حبيب الزحلاوي التي عقب بها على ما جاء خاصاً به، وعلى غير ما يخصه، فيما كتبته عن حفلة تأبين المغفور له الأستاذ علي محمود طه بالمنصورة.

وأسارع أولا فأشكره على ثنائه، وأذكر فضله فيما هيأ لنا من جو المرح والدعابة في تلك الرحلة بسعة صدره وقوة أعصابه الحديدية.

وأوثر أن أعرض عما تطاير في كلمته من شرر أورى وخبا دون أن يصيب هدفا، فمن المفهوم أني لم أحذ حذوه في الخصومة كما قال، إنما هي مشاكلة في التعبير، كما أني لا أشعر بحاجة إلى إقناعه بأني أتقنت (القفش والتنكيت) وما أنتظر منه دعوة إلى مزيد من انتباه وإتقان — أوثر أن أعرض عن ذلك كله، لأقصد إلى جلاء المعالم الأدبية فيما تناوله.

يقول إني تعثرت في الخطوة الأولى، ويزعم « أن الذي يتعثر ويكبو في الخصام قد لا يهتدي إلى السبيل المؤدي إلى الفوز والنصر » مهلا يا صديق! ولا صارما في حكمك هكذا.. فإن الذي زعمته تعثراً وكبوا والذي هو أنا قد ينهض من عثرته وكبوته ويأخذ في السبيل إلى النصر.. إلا أن يكون ذلك مستحيلا في منطقك الحديدي! ثم ما هي العثرة أو الكبوة التي أضلتني سبيل نصر ليس في بالي وحسباني؟ ألأني قلت إن وصفك للشاعر الذي اجتمع الناس لتأبينه بالبوهيمية غير لائق بالمقام! كنت أحسب أن هذه الإشارة تكفي، وقد تلطفت أيضاً فوصفت كلمتك التي ألقيتها بالحفل، حفل التأبين، بأنها لم تند بماء العاطفة. فجئت تقرر مذهبا جديدا في التأبين يسوغ أو لعله يوجب أن لا يقتصر على ذكر محاسن الشاعر والإعراب عن عواطف الأسى لفقده، بل لعل هذا المذهب الجديد يلغي المراثي من الأدب ويمنع التأسي والتفجع، فإنك تقول «ما جئت أبكي صديقي الراحل، ثم ما قيمة البكاء على الميت؟ وهل إذا نديت كلامي بماء العاطفة كنت أضفت صفة جديدة إلى الصفات التي اجتمعنا للاحتفال بها» فلم جئت إذن يا صاحبي؟ أتقول إن الشاعر كان عربيداً ماجناً؟ وبذلك أضفت صفة جديدة إلى الصفات المحتفل بها! وأكسبت الحفل قيمة أي

كشكول الأسبوع

□ وافق معالي وزير المعارف على منح إعانة قدرها ١٢٠٠ جنيه لمعهد دراسات البحر الأبيض المتوسط في نيس بفرنسا، لكي يستعين بها على تنفيذ برنامجه في الدراسات الخاصة بحضارات شعوب البحر الأبيض المتوسط — ومن بينها مصر — قديما وحديثا.

□ كتبت وزارة الشئون الاجتماعية إلى وزارة المعارف بأنها اتفقت مع شركة انجليزية على إخراج فلم عن حياة محمد علي الكبير، وأن الشركة ترغب في إمدادها بالإرشادات الفنية والتاريخية التي تلزمها عند تصوير الفلم عن طريق متاحف وزارة المعارف. وقد رأت الوزارة أن يؤخذ رأيها أولا في السناريو قبل إخراجه وأن تدفع الشركة مكافآت للفنيين.

□ شاهدنا يوم السبت الماضي فلمين عربيين عن الباكستان عرضا بدار قسم الاستعلامات والتعليم الأمريكي، ومما تتميز الحياة في الباكستان — كما يبدو في الفلمين — الاحتفاظ بالأصالة القومية مع الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، فقد رأينا — مثلا — المرأة الباكستانية، بالحفلات وفي صفوف الجندية، في مناظر ذات وقار وروعة، متحررة من الجمود في غير تبذل.

□ يعمل الآن الدكتور سامي الدهان في تحقيق وإخراج كتاب «تاريخ حلب» لابن النديم الحلبي، وقد عثر على الأصل المخطوط في إحدى المكتبات العالمية. والكتاب يتناول تاريخ حلب ابتداء من القرن الأول الهجري إلى عصر المؤلف في القرن السابع، وهو يقع في ثلاثة أجزاء، ويصدر الجزء الأول قريبا بدمشق.

□ انتهت رحلة الفرقة المصرية للتمثيل إلى بلاد المغرب وعاد أفراد الفرقة إلى القاهرة في هذا الأسبوع، وقد لاقت الفرقة هناك إقبالا كبيرا على حفلاتها، ولكن مع هذا النجاح المادي وجه إليها النقاد الفنيون هناك مآخذ على مسرحياتها منها أن أكثر ما قدمته قديم ومؤلف باللغة العامية في حين أن اللغة العربية تستطيع أن تواجه حاجات المسرح.

□ من اعتمادات الأعمال الجديدة بميزانية وزارة المعارف ألفا جنيه لتشجيع البعوث العلمية إلى السودان، وألفا جنيه لنفقات إلقاء محاضرات موسمية بالسودان.

□ قال رجل لأحد أمراء العرب: لي عندك حاجة صغيرة. فقال له: دعها حتى تكبر.

قيمة ! إذ أخرجته عن ندب النداين وبكاء البكائين إلى ... إلى ماذا يا ربى ؟ ! أأقول إلى شتم الشاتمين ؟ يا أستاذ زحلاوى ، إن حفلات التأبين إنما تقام للتأبين أى ذكر محاسن الفقيد وتعديد مناقبه ، وحفلات التكريم هى أيضاً تقام للتكريم لا للتهزىء ، فإن بالغ قوم فى هذا أو ذاك إلى درجة الكذب واختراع صفات غير موجودة فى المؤبن أو المكرم فهذا شىء آخر غير ما كنا فيه بالمنصورة ، وهو خروج عن الأصل لا حاجة بنا إلى زجه فى مناسبتنا الكريمة . اللهم إلا إن كنت تريد أن تبتكر نوعاً من الحفلات طبقاً لمذهبك السالف الذكر ، حفلات لا عهد لأحد بها ، وهى جديرة بأن تنسب إلى مخترعها فتسمى حفلات زحلاوية ..

وما ذنب الشعر يا صديقى حتى كدت تصهره بنارك أو تعالجه بالمطرقة والسندان وهو فن رقيق كالأزهار تتلقاه المشاعر كما يلمس البنان الزهرة فى رفق وحنان ؟ فالشاعر صاحب القصيدة الجيدة يتخيل أصحاب الشاعر قد ذهلوا لأنه غادر الشاطىء وأوغل فى اليم ، فوقفوا مذهولين يحلمون بعودته ، ولكن الذاهب لن يعود .

قل للرفاق الحالمين تيقظوا ودعوا الأمانى الكواذب عنكمو
حلم من الأحلام عودة ذاهب لا تحلموا بحديثه لا تحلموا

فماذا يضيرك يا سيدى من أن يقال إن هذا كلام جيد ؟ هل عيبه أنك ألقيت كلمة فى الحفل يجب أن تسطع شمسها فتحجب سائر النجوم والكواكب ؟

ورأيتك يا صديقى تأتى باقتباس من كلمة الأستاذ الزيات وتطلب مقارنتها بما قلت أنت لتخرج بالنتيجة التى أردتها وهى أنك رسمت معه « الخطوط الرئيسية لمن يتوفر على دراسة الشاعر الصديق على محمود طه » وقد علمنا ما قاله الأستاذ الزيات ، فهل وصفك الشاعر بالبوهيمية والعربدة هو الذى كمل هذه الخطوط دون كل ما قيل فى الحفل من نثر وشعر ؟!

هلا رسمت مستقلا خطوط هذه الدراسة ، ولعلك تفعل الآن وأنت فى حل من أن تذكر عن الشاعر الفقيد كل ما تريد فى غير مقام التأبين ، وقد ذكرت أنك تعرف عنه كثيراً ، وإنى أفترض فيك الكفاية ، فهيا ... وأرجو لك الهداية إلى سبيل الفوز والنصر .

معرض الفن الأسبانى :

يقوم هذا المعرض الآن فى قصر اسماعيل على شاطىء النيل وهو يمثل الفن الأسبانى فى الرسم والتصوير والنقش والنحت فى القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، ويحوى أعمالا فنية لفنانى هذه الفترة الأسبانيين وعلى رأسهم الفنان العظيم « جويا » الذى تحرر من الجمود فى عصره وعبر بحرية تامة عن نوازعه الانسانية وثار على الأوضاع وسخر من أهل الرذائل والنقائص ، يعبر عن كل ذلك بريشته كما يعبر الكاتب بقلمه ، ومن هؤلاء الفنانين أيضاً « جوليو أنطونيو » الذى تعمق طبائع الانسان مع الوضوح والصفاء ، ومنهم « زوكواجا » الذى يتميز بالقوة والأناقة والتجديد ، و « دالى » الذى أبدع جمالا أروع من الواقع فى لوحته « المرأة فى النافذة »

ويشعر الانسان فى هذا المعرض أنه أمام حرارة فائرة ونصاعة باهرة ، ولا إخال كلتا الصفتين إلا منحدرتين من الدم العربى الأندلسى الذى لا يزال متغلغلا فى تلك البلاد ، فالحرارة الفائرة هى حرارة الشرق ، والنصاعة هى البيان العربى المشرق قد تحول على الريشة إلى خطوط وألوان . وإنك لتقرأ فى هذه الأعمال الفنية قصائد ومقالات ، أبدعها قصائد الغزل .. فالمرأة تمثل أهم اللوحات والتماثيل ، وهى المرأة العربية بسحنتها وسماتها مع ما اكتسبته هناك من النضارة الزهراء والبشرة البضة الملساء ، وترى فيها غزل عمر بن أبى ربيعة وأصحابه كما ترى نسيب العذريين ممثلا فى تعبيرات النفس المحبة والعواطف المتأججة .

وتبرز فى هذا الفن الاسبانى الناحية الاجتماعية والانسانية أكثر من مظاهر الطبيعة ، فالغالب فيه تحليل النفس الانسانية واستخراج الموضوعات المختلفة من صورة الانسان . مثل « أهوال الحرب » و « الثورة » و « محاكم التفتيش » وغيرها . ويبدو فيها تمجيد الانسانية العالية ونقد الأوضاع المنحرفة والسخرية منها .

ولكننى حرت أمام صور المصارعة الثيرانية ، فإنى أقشعر من هذه المناظر وأشعر بوحشيتها ، ولكن لم أجد على اللوحات تعبيراً يماثل ما بنفسى ، بل أجد الأمر على خلاف ذلك ، وكل الطاقة الفنية منصبة على المهارة فى إبراز الأوضاع المختلفة لهذه المصارعة ، ولكننى لست أسبانياً ، والفنان الأسبانى إنما يعبر عن شعور الأسبانيين فى اعتزازهم بهذه « الفروسية » ومع هذا فقد كنت أرجو أن أجد هناك فناناً يرتفع عن هذه الظاهرة القومية إلى ذروة الانسانية ...

عباس خضر



حول الأزهر : على رسلكم يا سادة

في عدد مضى من « الرسالة الغراء » أعطيتك صورة مجملة عن البرامج الدراسية في الأزهر — معاهده وكلياته — وقلت إنها لم تقم على أسس تربوية سليمة . وصورت لك ما يعانيه الطالب من ويلات ومشاق في تحصيل علومه وترجيع ضمائرها وحل طلاسمها ذلك لأن الجانب الأكبر في فهم تلك العلوم يقع على كاهل الطالب . فلا نعدو الحقيقة إذا اعتبرناها طلاسم تقوم على المعاياة والمماحكات اللفظية والجدل العقيم . واليوم أحدثك عن أمر عجب يبين مدى ما يعانيه الطلبة من إرهاق وإهمال .

كنا ننتظر أن تكون هيئة من مدرسي الأزهر لتبحث في تهذيب العلوم الأزهرية وتنقيحها ، بل لتتقدم بمؤلفات حديثة وافية تتسق وتقدم العصر وتتفق ورقي الحياة ، لا يشوبها شيء من التعقيد المخل ، ولا شائبة من التقعيد الممل . وإنما تيسر المعلومات للطالب وتبسطها أمامه خالصة سائغة يتقبلها ونفسه راضية مطمئنة هذا هو الطريق السليم الذي كان ينبغي أن يسير عليه مدرسو الأزهر . ولكن يظهر أنها مهمة شاقة لا قبل لهم بها . وما لهم ولهذه الجهود وقد ألفوا هذه الحياة المريحة وتحرروا من التبعات التي يؤاخذ بها زملاؤهم في وزارة المعارف . وأخذوا يباركون هذه التركة الخالدة التي حفظتها لهم الأجيال ليتقلبوا في نعيمها المريض . أبعد هذا ننتظر أن يضطلع هؤلاء بالإصلاح المنشود ؟ يبدو أن هناك سرا خفيا يصرف تفكيرهم عن كل هذا الذي نتحدث عنه . وإلا فأين ثمرات خمسة عشر عاما بين جدران الأزهر ؟

على أني لست أعرف سببا في التمسك بحرفية تلك العلوم والحرص عليها . مع أن ذلك طعن صريح في عقولنا وتفكيرنا وثقافاتنا ؛ أفليس فينا من يستطيع أن يؤلف في تلك المواد كتبا قيمة ؛ ثم أليس يجدر بنا أن ننشئ في الأزهر مدارس فكرية حديثة . كل ذلك في الإمكان ولكن سيقولون ليس في الإمكان أبدع مما كان . وما ترك الأوائل لنا شيئا . وجوابنا عليهم ما قاله الجاحظ « إذا سمعت الرجل يقول : ما ترك الأول للآخر شيئا فاعلم أنه ما يريد أن يفلح » وأقول إن الدراسة الأزهرية تخلف عقدا نفسية ، وتترك وراءها آثارا قاتمة من اليأس المبرح والهم المقيم . ومن هنا نستطيع أن نكون رأيا وهو أنه ليس من البعيد أن يكون تقاعد الأزهريين عن التفكير في إصلاح الأزهر إنما هو ثمرة لتلك الحياة الطويلة التي قضاها كل واحد منهم في الأزهر .

ولا أدل على ذلك من أن معظمهم يعلم أولاده في المدارس لماذا ؟ لأنه ذاق الأمرين في الأزهر . فلا ينبغي أن يتعثر الولد بدوره في حياة مظلمة لا يعرف لها نهاية .

وبعد . فإن مما يؤسف له أن ينتهي بنا الحال إلى هذا الموقف المخجل . ونترك الطلبة تعاني الآلام من تلك الكتب العتيقة . ونشغل بسفاسف الأمور فتتعالى صيحاتنا بأن يكون لمدرسي المعاهد حق التدريس في الكليات . على رسلكم يا سادة فقد أضحكتمونا كثيرا ، وشر المصائب ما يضحك .

أزهري عجوز

بيت للفردوسي :

للفردوسي الشاعر الفارسي الذائع الصيت بيت في الشاهنامه يكاد يعتبر من أجل وأروع أنواع المبالغات الشعرية في الأدب الفارسي ان لم يكن اجلها وأروعها إطلاقا ... فهو إذ يصف الخيمة التي ضربت في ساحة المعركة لأحد ابطال روايته وأحسبه (اسفنديار) يقول ما مؤداه :

« إن أعلى الخيمة قد بز القمر في ارتفاعه ... وان أسفل الرمح — أي العمود القائم في وسط الخيمة والذي يبلغ في علوه رقما فلكيا كما علمنا — قد اخترق الأرض من اعلاها إلى

أسفلها ، ثم نفذ من بين قرني الثور مستمراً في طريقه ، ولم يكتب له التوقف والاستقرار إلا على ظهر الحوت ...

والنص الفارسي لهذا البيت الرائع :

فروشدبه ماهي، برشد به ماه بن نيزو قبسه، باركاه

وقد نقلته إلى العربية فقلت :

أدرك الحوت وجاز القمرا أسفل الرمح قباب الخيم

الترجمة حرفية ، وكل جزء من بيت الفردوسي يقابله الجزء نفسه في النص العربي . . . غير أن القول الفصل هنا لأستاذنا المبجل أديب الشرق الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام بك حفظه الله للعرب والشرق أجمعين ...

(العراق — اربيل) احمد مصطفى

الى الأستاذ الجليل أزهري عجوز :

باقة من الورد والرياحين ، قطفتها من خفقات قلبي ، ومن خلجات روحي ، ومن أصداء نفسي ، أقدمها إليك، يامن أحسست بضيق، ولمست حيرتي ، وعرفت مبلغ ما أعانيه من ألم واضطراب. فيالك من إنسان كريم ، قد أفعم قلبه بالخير والحب والمروءة ، وأفضت على فيضا من نورك يشرق على في محبسي، وأنار جوانب مظلمة في نفسي ، وأضاء أنحاء معتمة في حياتي . ويعلم الله أنني ما تأثرت لرسالة في حياتي ، كما تأثرت بهذه الرسالة !

ماذا أقول — أيها الملك الرحيم — الذي لم يفتك أن ترشدني إلى الطريق السوي ، وهو أنه لابد من الصبر ، فحياة الأزهر هي هذه الحياة ! نصيحة كريمة من أب كريم ، فأنى لي بالشكر أزجيه إليكم ، وإن الكلمات على كثرتها وتزاحمها ، لتضطرب في نفسي ، وتتعثر في قلمي ، وإني أعتقد أنكم ستقدرون ضيقي فتعتبرون العجز عن الاعراب اعرابا .

شيء واحد — أي أستاذي الكريم — لايزال يحيرني ، ومعذرة إن أنا جشمتك سماعه ، وهو: لم يشق طلاب القرآن مع أن الدين يسر ؟ ثم ماهي رسالة الأزهر ؟ وما هي مهمة العالم الديني ؟ أهي حفظ المتون والشروح وغيرها ، أم هي خدمة الدين واللغة ؟ فان كانت الأولى فما أحقرها رسالة وما أدونها ؟ وإن كانت الثانية ، فلم لا نتسلح بالعزيمة القوية ، وننظر في البرامج نظرة تربوية ، تفيد الطلاب ، وتعود عليهم وعلى الدين وعلى العالم أجمع بالخير العظيم ؟

إنه ينبغي ألا ننحى باللائمة على الكتب العقيمة ، ولا على المؤلفين القدامى ؛ فانهم على أية حال ، بذلوا جهدا مشكورا ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وهم لم يكلفونا بأن ندرس كتبهم ولا أن نحفظ عقولهم في أدمغتنا ، بل ينبغي أن يلام هؤلاء الشيوخ لوماً عنيفا لانهم عالة على غيرهم ، ولأنهم قتلوا أعظم ما يملكه الانسان وهو العقل . وأقول قتلوا ، ولا أقول عطلوا لأنني اعتقد اعتقادا لا يرقى إليه ريب أننا معشر الأزهريين لم نحمل بشيء من الدين مطلقا، بل أضعنا العمر فيما لا يجدي ، ونسينا أن الزمن يسير ، وأن الدنيا تدور ، وأن العالم يعيش الآن في عصر الذرة ، وقطعنا كل صلة لنا بالعالم الخارجي ، وصرنا كالذي يقول فيه القائل :

لو قيل كم خمس خمس لاغتدى يوماً وليلته يعد ويحسب

ولهذا ولتخلفنا عن الركب نجد أن الشيوخ أنفسهم توجهوا وجهة أخرى غير الأزهر، ونسوا أن الله سيحاسبهم أشد الحساب على هذه الأمانة التي بأيديهم ، وعلى الدين الذي أضاعوه ، بجمودهم وعصبيتهم العمية ؛

وثمة ظاهرة أخرى يجب الالتفات إليها ، وهي أن قاصدي الأزهر من مختلف الجنسيات، وأن الأجانب يلاقون صعوبة شديدة في فهم العبارات ، فينفرون من التعلم ويمقتونه ، فاذا ما رجع هؤلاء السفراء إلى بلادهم فلابد أن يكونوا أشد مقتا وشنآنا . وكم سمعت من كثير منهم كما سمع غيري عبارات الألم ، لأنهم يريدون أن يتثقفوا ويفهموا ويتثقفوا ، لا أن يصموا ويحفظوا فقط ، ولعلهم على حق كبير في هذا ؟

أبتاه هل يعود ذلك اليوم الذي أرى الأزهر فيه وقد تبوأ مكانته السامية بين الجامعات ، ونشطت فيه الحركة العلمية وآمن به الشيوخ قبل غيرهم ، وأمه الأغنياء قبل الفقراء ،وأشرق بضيائه على العالم في هذا العصر ، كما أشرق بنوره من قبل . . وقت أن كان ولاشيء معه من المدارس أو الجامعات!

معذرة — أيها الأب النبيل — إن أرهقتك بسماع كاتي هذي ، للملة ، وأتعبتك قبلا بالكتابة إلي ؛ عذري اريحتكم

الكريمة ؛ التي أبت أن تستولى الحيرة علي والامتحان قد أزف وعطفكم وحنانكم الذى دفعكم إلى الكتابة إلى ، فأزحتم عن كاهلى عبئا ثقيلا ، وهما طويلا ، وإنى لمتدرع بعونه تعالى بالصبر حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ؛

والسلام عليكم — أبت — ورحمة الله

الأقصر ضياء

احصاء عن التعليم

عدد طلبة الجامعتين والتعليم العام

اذاعت وزارة المعارف بيانا عن عدد طلبة وطالبات جامعتى فؤاد وفاروق ، وعن عدد المدارس المختلفة وما تضمه من التلاميذ والتلميذات .

ويؤخذ من البيان ان عدد طلبة الجامعتين يبلغ ١٧٫٣٨٤ فى مختلف الكليات ، من هذا العدد ١٦٫٣٣٢ من البنين ، و ١٠٥٢ من البنات .

المدارس الاولية . . .

وان جملة المدارس الأولية ٤٢٦٣ مدرسة ، منها ٧٤٨مدرسة تابعة للوزارة وتضم ٩٥٫٠٩٤ من التلاميذ و ٦٧٫٣٩٧ من التلميذات . و ٣٥١٥ مدرسة تابعة لمجالس المديريات وتضم ٣٥١٫٢٤٢ من التلاميذ و ٢٨٥٫٦٥٨ من التلميذات ومجموع ما فى هذه المدارس جميعا ٧٩٩٫٣٩ تلميذا وتلميذة .

ورياض الاطفال

ويبلغ عدد مدارس رياض الأطفال ٥٢ مدرسة ؛ تضم ١٣٫٣٠١ من البنين والبنات .

والمدارس الابتدائيـــة

وعدد المدارس الابتدائية للبنين ٥٤٨ مدرسة منها ٢٣٩ مدرسة تابعة للوزارة وتضم ٧٥٫٦٨٩ تلميذا و ٣٠٩ مدارس حرة وتضم ٨١٫١٤٠ تلميذا .

أما عدد المدارس الابتدائية للبنات فهو ٢٢٠ مدرسة منها ٧٥ تابعة للوزارة وتضم ١٩٫٧١١ تلميذة و ١٤٥ مدرسة حرة ٢٤٫٣٢٧ تلميذة .

والمدارس الثانوية

وعدد المدارس الثانوية للبنين ١٣٢ مدرسة ، منها ٦٥ تابعة للوزارة وتضم ٤٤٫٩٤٣ تلميذا ، و ٦٧ مدرسة حرة تضم ١٣٫١٧١ تلميذا .

وعدد المدارس الثانوية للبنات ٢١ مدرسة ، منها ١٠ تابعة للوزارة وتضم ٥٣٣٦ تلميذة و ١١ مدرسة حرة تضم ١١٣٣ تلميذة .

المعاهد الاخرى

وهناك ١٤ مدرسة للفنون الطرزية تضم ٣٢٦١ تلميذة ، و ١٤ مدرسة للثقافة النسوية تضم ٢٤٤٤ تلميذة ، و ٣٦ مدرسة للتجارة الليلية تضم ٥٩٧٤ طالبا ، و ٩ مدارس للتجارة المتوسطة تضم ٣٨٤٢ طالبا ، و ١٠ مدارس للزراعة المتوسطة تضم ١٩٠١ من التلاميذ ، و ٢٣ مدرسة صناعية تضم ٨٣٦٠ طالبا ، و ١٧ مدرسة للتربية النسوية تضم ٢٠٢٤ تلميذة ، و ١٠ مدارس أولية راقية للبنات تضم ١٣٨٥ تلميذة، و١٥ مدرسة للمعلمات الأولية تضم ١٨٩٨ طالبة ، و ٤١ مدرسة للمعلمين الأولية تضم ١٧٢٩ طالبا ، ومعهد واحد متوسط لإعداد المعلمات ويضم ٣٢ طالبة ، و ٣ معاهد عليا للمعلمات تضم ١١٢١ طلبا ، و ٩ معاهد عليا للمعلمات تضم ٨٥١ طالبة ، و ٨ معاهد عليا فنية تضم ٢٢٥٣ من الطلبة .



من وحى فلسطين

تاليف الأستاذ احمد رمزى بك

بقلم الأستاذ كامل السوافيرى

كانت مأساة فلسطين ، وما ترتب عليها من نتائج صدمة عنيفة للامة العربية ، وضربة قاصمة للكيان العربى دفعت الكتاب والمؤرخين لتحليل أسبابها ، وبحث نتائجها ومحاولة علاجها .

وانبرت اقلامهم تصور الفاجعة ، وتصف الكارثة ، وتلفت أنظار الساسة والزعماء فى الأقطار العربية إلى ما يتهدد العالم العربى من أخطار جسيمة بسبب قيام دولة اسرائيل التى انشأتهـــا بريطانيا ، واحتضنتها امريكا واعترفت بها وجعلت منها دولة ذات حدود .

ومعظم هؤلاء الكتاب لم يكتبوا عن المأساة إلا بعد حدوثها ولم ينبهوا الأذهان إلا بعد ان وقعت الواقعة ، ودهمت الكارثة .

ولكن هناك كتابا كانوا بعيدى النظر ، ثاقبى الفكر ، درسوا المقدمات ، ورتبوا النتائج ، وتنبأوا بالأحداث قبل وقوعها . وأحسوا بالخطر قبل حدوثه فكاشفوا امهم بما فى الجو من سحب ، وبصروها بما تضمر الليالى ، ونبهوها إلى السبيل الذى تنهجه لدرء الخطر ، والحيلولة دون حدوثه فلم تشرهم الآذان الصاغية ولا القلوب الواعية وفى طليعة اولئك الكتاب الأماجد علم من اعلام الأدب فى مصر ، وحجة من افذاذ التاريخ فى هذا العصر ، وركن من أركان النهضة العربية هو الأستاذ احمد رمزى بك الذى اتاحت له خبرته ودرايته ان يلم بالمشكلة الفلسطينية ، ويستقصى اسبابها ودوافعها ويتنبأ بهذه النتيجة التى وصلت إليها حيث كان قنصلا عاما لمصر فى فلسطين وشرق الأردن مدة تقرب من ثلاثة أعوام استطاع فى غضونها ، وهو العالم الأديب ، ان يدرس ويحقق بعقل المؤرخ ، وخيال الأديب ، ونظر السياسى نواحي المشكلة وأخذ يومئذ [1] يرسل الصرخات فى اجواء العالم العربى ، ويدبج المقالات ، ويذيع الأحاديث والمحاضرات ليوقظ الأمة من سباتها ، ويحذر الساسة والحكام فى هذا الشرق العربى من الخطر الصهيونى الرابض فى فلسطين ، ويهيب بأشبال العروبة ان يستأصلوا شأفته ، قبل ان تمتد جذوره ، ولم يكن ذلك الخطر يومئذ قد تفاقم امره أو استفحل شره على الصورة التى نراها الآن

ثم جمع الكاتب الفاضل تلك المقالات ، وزاد عليها ابحاثا لم تنشر ونسقها واخرجها كتابا سماه من وحى فلسطين .

وقد صدر الكتاب بمقدمة جليلة لمؤرخ نابه الذكر ، وسياسى عظيم الخطر هو العلامة الكبير الاستاذ محمد توفيق السلحدار بك. وقد تصفحت الكتاب فوجدت المؤلف يحلق فى اجواء بعيدة ، ويتنقل فى رياض متعددة ، ويطرق نواحى مجهولة ، ويضىء جوانب مظلمة ويقدم للقراء طعاما شهيا ، وماء نميرا من أدب قيم وفن رفيع ، وحكمة سامية وفلسفة عالية وتوجيه سديد وارشاد نافع ، فتقرأه أديبا يعلو خياله ومؤرخا يصدق حكمه ، وجغرافيا تتضح مصوراته ، وفيلسوفا تصدق نظرياته ، ومرشدا تؤثر عظاته ، وعالما يغوص بك فى أعماق المجهول .

فهو لا يكتفى بسرد الوقائع — وتسجيل الأحداث ، وإيراد الحجج التى تؤيد أقواله ، وتدعم آراءه ، ولا يقف عنـــد رواية الحوادث وتسلسها بل يحلل الدوافع ، ويجلى ما غمض ، ويوضح ما استبهم حتى لترى الحقائق ظاهرة أمامك ظهور الشمس فى رائعة النهار .

ولعل أهم ظاهرة برزت فى ثنايا سفره هى الصراحة المطلقة التى اتسم بهــا أسلوبه حين نعى على الشرق انحلاله وتخاذله ، وتهافت ابنائه على المصالح الذاتية ، وتكالبهم على المنافع الشخصية مما أضعف عندهم المثل العليا والقيم الروحية ، وجعلهم فى معزل عن ضياء العلم ، ونور الحضارة فلم يجاروا العصر الذى يعيشون فيه ، ولم يسايروا الزمن بل ظلوا جامدين أمام عصر الآلة ، قانعين بالسير على الخطوات التى عفا عليها الزمن .

---

(١) من سنة ١٩٣٥ سنة ١٩٣٧

(ان الشرق العربي الذى عاش مدة من الزمن تتناوبه السياسات والأهواء المختلفة نتيجة لتنازع الدول الكبرى والذى استمر أهله ينعمون بتجانس فى الميول والآمال والأغراض فقنعوا بالسير على خطوات الحضارة الزراعية البطيئه والاكتفاء بالقليل قد وجه بحقيقة جديدة هى ظهور الصناعة الآلية المعتمدة على العلم والمال .

إن مجىء الصهيونية تستعمر بلاد العرب كان بمثابة هزة عنيفة لهذا الشرق النائم فهل تكفى لايقاظه من سباته حتى يقف ويستمد لمواجهة هذا الخطر الجديد ليدفعه بالقوة التى تتفق مع تاريخه القديم وأثره فى قيادة هذا العالم) (١)

وهو حين ينعى على قومه تخبطهم فى خضم السياسة ، وتيههم فى صحارى الضلالات وارتجالهم فى علاج المشكلات ، لا يحاول تثبيط الهمم ، ولا اضعاف العزائم بل يريد ايقاظ روح العمل ، وبث الكماح ، ويدعو إلى استجلاء العظة والاعتبار . بالدروس التى تلقنها هذا الشرق خلال ربع قرن من الزمان .

ويقسو قلم الكاتب ، وتلتهب عباراته حين ينكر على الشرق اهمال الكفاءات العلمية والآلات الحديثة التى تمخض عنها القرن العشرون مع ان الحرب فى هذه الأيام صراع فكرى ، ونضال عقلى ، قبل ان تكون حرب طائرات ودبابات وقنابل ومتفجرات .

(اننا ازاء قوة تتطلب حشد كل مالدينا من وسائل تحتم علينا ان نقف لمحاربتها بعقل ، وفكر وإرادة ولا يكون ذلك بغير العلم . العلم الذى هو قوة ثورية هائلة والذى يمكن صاحبه من القدرة والغلبة والانتصار . نعم سيكون العلم سلاحا قاطعا فيصلا لحل مشاكلنا معهم)

ويشفع للكاتب فى قسوته صدور كلامه عن قلب مفعم بالوطنية الصادقة ، زاخر بالاخلاص للعروبة ، فياض بالإيمان الثابت . ولذا نجده يرسم الطريق للوثبة العربية ، والنهضة الاسلامية ، مذكرا سكان هذا الشرق بمجدهم الغابر ، وعزمهم السالف وقوتهم المرهوبة يوم اظلتهم جميعا راية الاسلام ، ورفرفت عليهم اعلام الوحدة ، وجمعتهم أواصر الدين .

ونورد هنا بعض الأبحاث التى تناولها الكتاب .

١ — فلسطين بين العرب والصهيونية ٢ — أثر الكفاح من أجل فلسطين فى يقظة العرب ٣ — رأس النقب وخليج العقبة ٤ — مصر العربية ٥ — الفكرة العربية وحاجتها لمذهب سياسى فلسفى ٦ — العالم العربى والسياسة الدولية ٧ — وحدة العالم الإسلامى فى البحثين الأول والثانى يعرض الكاتب تاريخ الحركة الصهيونية والدوافع إليها، والأهداف التى ترمى إليها. اليهودية العالمية من انشاء وطن لليهود فى فلسطين ، ودعائم الاقتصاد اليهودى والوكالة اليهودية ، وموقف بريطانيا من العرب واليهود . والصناعة اليهودية فى الشرق . ثم يعقد مقارنه بين المعسكر العربى والمعسكر الصهيونى والقوة التى يستند إليها الجانبان . ومدى ما يمكن لكل قوة ان تفعله ، وأساليب الحياة عند الجانبين ، وإظهار الخطر الصهيونى ، ونظرة اليهود للشرق .

يستهل المؤلف البحث الأول ببيان أهمية موقع فلسطين الجغرافى ومركزها الحيوى ، وتوسطها بين اجزاء العالم العربى فيقول : [انه بتوسط العالم وتظهر أهميته للعرب لأنه يقسم بلادهم شطارين الشطر الأسيوى والشطر الافريقى فهو يتحكم فى مصير الأمة العربية ، وبوسعه ان يحول دون تحقيق اهداف الجامعة العربية]

وينتقل بعد ذلك إلى بيان الروابط المتينة والأواصر القوية التى تجمع بين مصر وفلسطين وهى ناحية على جانب من الأهمية فيقول (من العبث الكلام عن هذا فهو معروف وثابت،وأهم منه اننا فى مصر ننسى أو نحاول أن ننسى حقيقة ثابتة واضحة هى ان مصر وفلسطين عاشتا أكثر من ثمانية قرون معا (١) ولايذهب المؤلف إلى المهود والفرعونية بل يقول (إن فلسطين عاشت مع مصر طوال الأيام الطولونية والأخشيدية والفاطمية وفى عهود الدول الأيوبية والتركية ودولة الجراكسة) (٢)

ويتحدث عن الخطر الصهيونى ، ويوجه اللوم للذين يقللون من شأنه ، ولا يصارحون الأمة بحقيقته لتقاومه فيقول :

(والحق ان الاكتفاء بالنبوات لم يعد يكفى فى حياة عالم دائم الحركة والتطور والتنقل ومع ذلك وقف جماعة من أهل هذا الشرق يحاولون الأقلال من شأن الحركة الصهيونية ومراميها

---

(١) ص ٩

(١) ص ٣ (٢) ص ٤

واهدافها وكان الواجب عليهم وضع الحقائق ظاهرة واضحة أمام جماهير الشعوب العربية ، وكان فرضا عليهم تفتيح الأذهان والعمل على جمع الشمل وحشد القوى المبعثرة ، وتركيزها جميعا نحو غرض واحد هو محاربة الصهيونية بأسلحة القرن العشرين . وكان أول عبء على المخلصين هو تفهم هذه الحركة ومراميها ثم الانتقال مرة واحدة إلى العمل المجهد الشاق وهو الأخذ بأسلحة الخصم لامكان التغلب عليه . ولم يكن هذا السلاح سوى الأخذ بأنظمة جديدة لكياننا الاقتصادى أى الخروج من الحياة التى ألفناها إلى تنسيق نظام صناعى ومالى وثقافى يتفق مع القرن الذى نعيش فيه لكى ندخل المعركة ونحن على قدم المساواة فى التنظيم والتعبئة والتسليح وهذا مالم نوفق (١) فى الوصول إليه) وعن نظرة الصهيونية للشرق وسخريتهم من استقلال شعوبه يستشهد بما أدلى به موسى شرتوك وزير خارجية اسرائيل حاليا ورئيس القسم السياسى فى الوكالة اليهودية فى عهد الانتداب أمام لجنة التحقيق سنة ١٩٠٦ .

(البلاد العربية فقيرة ، وعدد سكانها قليل ، ولا صناعة فيها ، وزراعتها متأخرة جدا ومواردها غير مستغلة ، فاستقلالها السياسى إذن لاقيمة له ولامعنى ؛ لأنه لا تطور ولا نماء فيها ، والاستقلال الحقيقى هو استمرار النماء والبناء والتطور (٢))

وعن رأيهم فى أقطار الشرق يقول : (ان هناك حقيقة يجب ان ندركها تماما وهى ان الصهيونين ينظرون للشعوب العربية والشرقية كافة نظرة الأوروبى للشعوب التى لم تنضج بعد ولم تستكمل وعيها وفهمها لحقيقة الأشياء) (٣)

وهكذا يمضى الكاتب فى كتابه متنقلا من بحث إلى بحث ومن موضوع إلى آخر فى أسلوب يمتاز برشاقة الألفاظ ، ورصانة الكلمات ، وجمال التعبير ، ودقة الأداء ويقدم للقراء ثمار دراسته العاليه ، وثقافته الواسعة .

وبعد فأظننى قد قدمت للقراء لمحة عن هذا السفر الجليل وما به من عرض تاريخى ، وتوجيه سياسى ، ولا يسعنى فى ختام كلمتى إلا ان أعرب لحضرة المؤلف الفاضل عن تقديرى لجهوده الملى فيما رجع إليه من اسانيد ، وما قرأ من مراجع وأوجه لحضرته جزيل شكرى على ما قدم لأمته من آراء ، وما وضع به جبين العروبة من حلى ، وما الإسه للوطن العربى من حلل لن تبليها الأيام .

كامل السوافيرى

ليسانس كلية دار العلوم — جامعة فؤاد الأول

(١) ص ١٠
(٢) ص ١١
(٣) ص ٣٧



حديقة الذكرى

(للكاتب الفرنسي جي دي موباسان)

الأستاذ زكريا أحمد قليبو

قال جون بربدالي: لقد خانني الحظ قليلا.

قضيت زمنا طويلا في أيام العزوبة شاهدت فيها حربا شعواء استطعت خلالها أن أكون واسع الخطى فوق أجساد الموتى دون شفقة ولا رحمة، وذلك دأب الطبيعة البهيمية، فقد لمت حقائق جلية وآلام غامضة وخيانة خفية كانت سببا في اثارة هذا العالم وبلبلة أفكاره حيث فتح هذا الباب السري على مصراعيه لنقاسي فيه ما قد قدر أن يكون. إنه لأمر جلل وخطب مدلهم وداء عضال أخذ يزداد تعمقا وتشبثا فكأننا نستحق هذا الجزاء فلا وزر لسع هذا الشوك وقد ازداد التشبث واضطرمت النيران ووضعت الحرب أوزارها مما جعلنا نهذي كهذيان الممسوس، وصارت الأرواح تحوم فوق الأجساد تئن وتتألم، فساد الحزن البلاد وكدنا خلاله أن نفقد وعينا واحساسنا لولا أن رضنا قلوبنا على مقاومة هذا التيار الجارف الخطير وتحطيمه.

أجل، لقد نجحت تلك المقاومة، وإنها لصورة باهرة من صور الحياة.

ويجول في خاطري شيئان يؤثران في احساسي العميق لولا أن العاطفة قد تخفف عني شيئا من هذا التهيج والانفعال السريع، وسأسرد لك شيئا واحدا من هذين، وهو حادث خيالي قد انطبع في مخيلتي وطالما يعاودني كأنه حصل لي بالأمس.

انني أتجاوز الخمسين من العمر ولقد كنت يومئذ شابا في ريعان الشباب ينتابني شيء من الأسى والأرق وكثير من أحلام الشباب التي كادت تذهب مع الرياح.

لقد شغلني ملهى كان يتألق بغاداته الحسان حيث كنت كثير التردد عليه.

وهذه الحياة على ما يكتنفها من غموض حافلة بالجمال وأي جمال. الجمال الذي لا يسير على أسلوب واحد، بل الذي يتغير باستمرار.

وفي يوم من الأيام نهضت باكرا وأخذت أجول في حديقة الأطفال في لوزمبرغ، كانت تلك الحديقة جد جميلة على رغم تقادم عهدها، يكتنفها سور مزركش بديع التركيب يتوسطها صفان منفصلان على خط واحد من الأشجار التي شذبت أوراقها بانتظام وتحف بها الأزهار على أنواعها المختلفة، تلك الأزهار التي تفتقت أكمامها كأنها تبتسم للحياة، فحياها الندى بقطرات انتثرت عليها كأنها الماس لمعانا، فيالها من حديقة غناء يطيب التنزه فيها والجلوس تحت ظلال أفنانها، وكان أحد أركانها يغص بخلايا النحل المصنوعة من القش والتي تنفصل عن بعضها بمسافات متباينة حيث تنفذ الشمس من ثقوبها الصغيرة ويعطر أريجها جميع أرجاء الحديقة، والنحل تحلق فوق تلك الخلايا ولها دوي مستمر، وعمالها يخضعون لأمر سيدتهم مسالين في أعمالهم، وذلك مثل أعلى في منهاج الحياة.

ولشد ما دهشت لمنظر الحديقة الخلاب فصرت أختلف إليها في أغلب الأحايين وخصوصا في الصباح، وأجلس حيث يطيب لي الجلوس أطالع بعض الكتب. فتغمرني النشوة وتدور في رأسي الأماني الحلوة التي يهفو لها قلبي الظامئ إلى ري من طمأنينة، فأرى خلالها الوجدان اليقظ والانفعالات النفسية الجياشة بالعواطف السامية والمثل العليا، وبينا أنا غارق في تلك الأحلام إذ رمقت خيالا يقترب من مدخل الحديقة فأدركت بأنني لست الرجل الوحيد الذي يتردد إليها، فنهضت من مكاني لأتحقق من هذا الخيال وإذا به رجل مسن ينتعل حذاء فضي اللون ويرتدي لباسا أحمر ضاربا إلى الصفرة قليلا، وعلى رأسه قبعة من الصوف يبرز منها زغب كالريش، هزيل الجسم مقطب الوجه تنم عليه أمارات الكبر، وعيناه متوقدتان كأنهما تنظران بحذر شديد، وبيده عصا مزخرفة مقبضها من ذهب تدل على أنها تذكار قديم، فاسترعى انتباهي ذلك المنظر، وبدا السرور على محياي، فاسترقت الخطى خلف

جدار تغطيه أوراق من الشجر، وأخذت أراقبه عن كثب .

وحدث فى صباح يوم من الأيام أن التقينا فى المكان نفسه ، فقبعت تحت شجرة متسترا بأوراقها ، وقد اعتقد فى نفسه أنه الوحيد فى هذا المكان ، فبدأ يشير اشارات واحدة تلو الأخرى تنم عن أسرار متعارفة ، وأعقبها انحناء وقفزإلى الأمام قليلا ، ثم عاد إلى مكانه محتفظا بمركزه ، وأخذ يترنح كأنه وريقة غصن ينفخها النسيم ،فدهشت من هذا الرقص الشاذ الهزلى، ثم أعقبها بحركات قوية فوق طاقة جسمه الهزيل كأنه ألعوبة من الورق تطيرها الرياح أنى تشاء ، لا تستقر على أية حالة . فبقيت فى مكانى ذاهلا من هذا الفصل المضحك أسائل نفسى عمن فقد وعيه منا أهو أم أنا ...

وسرعان ما توقف عن الرقص وتقدم وانحنى للتحية كأنه أحد الممثلين البارعين فوق المرسح ، ثم ارتد خطوات إلى الوزراء وقد ارتسمت على محياه ابتسامات تعبر عن قلبه الساذج ، وأشار بيده نحو صفى الأشجار الجميلة

وبعدذلك استأنف خطاه باهتمام. ومنذذلك اليوم لم أتخلف عن هذه الحديقة قط لأشاهد تمثيله العجيب حيث كان لا ينقطع عن تمرينه الخاص صباح كل يوم ، وقد حفزتنى الرغبة للتعارف به ، فاندفعت إليه بالتحية قائلا أنه ليوم سعيد يا سيدى ، فرد على التحية قائلا أجل أنه ليوم سعيد حقاً ، ومنذ تلك اللحظة أصبحنا صديقين وفيين ، وعرفت قصته فقد كان الراقص الأول فى الأوبرا منذ عهد لويس الخامس عشر ؛ وعصاه الجميلة كانت هبة من الكونت دى كابريمونت ، وكان عندما يتحدث عن الرقص تغمره النشوة والفرح .

وذات يوم أسر لى حاجة فى نفسه ، قال . — لقد تزوجت لا كاستريس وسأحضرها معى كى تراها إذا رغبت فى ذلك ، فهى لا تأتى مبكرة الى هذا المكان ، وهذه الحديقة التى نتمتع برؤيتها هى مبعث أمانينا ووحى ذكرياتنا ، وهى حديقة بعيدة العهد قل أن تشابهها حديقة أخرى .

وكثيراً ما كنت أردد وزوجى إلى ذلك المكان فى وقت الظهيرة يومياً. وفى يوم من الأيام نهضت باكراً ، وأخذت أتجول من مكان إلى آخر ومن شارع إلى شارع ، إلى أن حان وقت الظهيرة، فاستأنفت العودة إلى الحديقة المعهودة حيث الجو ثمل حافل بالرقص والسرور فرأيت الحبيبين العاشقين ، امرأة مسنة ترتدى ثيابا سوداء ، وصديق المحب الذى كان له اليد الطولى فى ذلك الاحتفال المهيب . وكانت تلك الراقصة لا كاستريس حيث كانت حاذقة بفن الرقص ، فهى عشيقة الملك وعطية الأمير .

وما إن انتهى ذلك الاحتفال اتخذنا مقعداً فوق غصن شجرة جميلة ، وكان الفصل ربيعاً . لقد هب النسيم على الغصون مشبعاً بروائح الزهور العطرة ، وأرسلت الشمس أشعتها الذهبية لتحيى تلك الزهور ، وقد انعكست أشعتها فوق ما يظللنا من أوراق الشجر نافذة من خلالها إلى دوائر صغيرة ، بينما ثوب لا كاستريس الأسود قد تحول إلى بريق شديد حيث الجو هادىء والحديقة خالية وصوت العربات يسمع باستمرار .

قلت للراقص الأول .

ألا توضح لى شيئا عن هذا الاحتفال؟

فقال : — الاحتفال هو ملكة الرقص ورقص الملكات ، أما تعلم أن الرقص قد فقد بهاءه وجماله منذ ذلك الحين ... وصار يتمتم بعبارات غامضة لم أفهم شيئا منها . وقد اضطرب فى وضعه ، ونزل عن الغصن وسارت أمامه عشيقته لا كاستريس ، فحدقت ببصرى إليهما ، وأنا مضطرب النهى فاقـــد الاحساس والشعور ، فاعترانى الحزن لمنظر ذلك الشبح المحزن ، وسبحت فى فكر عميق .

فاستمرا واقفين لحظات ، وقد أتما دورة الرقص ، وأخيراً ابتسما ابتسامتهما المعروفة ، وتعانقا عناقا حاراً ، وتنهدا تنهدات عميقة ، ثم فارقتهما .

وغادرت المدينة بعد ثلاثة أيام ، ولم أعد أراهما ، فرجعت إلى باريس بعد سنين ورأيت الحديقة وقد خيم عليها الذبول ، وساءلت نفسى عن حالة هذين الزوجين الحبيبين وما كان من أمرهما بعد ذبول تلك الحديقة الغناء، هل توفيا أم لا يزالان على قيد الحياة، وهل يرقصان فى مكانهما المعهود؟ ...

لقد عاودتنى تلك الذكرى ، واستقرت جروحها فى فؤادى، وإنى لأرى فيها أغواراً عميقة لمصابيح الروح التى تعبر عن خلجات نفسى ، عرفت الحياة وآمنت بأنها متاع الغرور ، وكيف ! ... لا أستطيع القول ، ستجده مضحكا جداً بلا ريب . .

زكريا احمد فلبو

مدرس ومدير مدرسة الحكمة بفلسطين

أقصوصة رمزية:

الليـــل ..!

للاستاذ عبد العزيز خانقاه

إرتعد الطفل خائفاً مذعوراً ، فالتصق بصدر أمه الحنون .. فكأن معجزة حدثت فأنطقته :

— اماه ! إنني خائف ..

فأجابت الأم :

— ليس هناك ما يدعو الى الأرتياع ياصغيرى ..

— وما هذا الصوت الرهيب الذى ينبعث من بعيد ؟

— انه نباح كلاب وعواء ذئاب ! !

— ولم تعوى فى مثل هذا الوقت ؟

— شراسة وجوعاً ... ثم يا حبيبي ! !

— ألا تعوى فى غير هذا الوقت ؟

— فى الليل غالباً ...

— وفى النهار ؟

— قلما ...

— عجباً ! ! أتعلمين يا أمى العزيزة الأسباب ؟

— نحن الآن فى جوف الليل ... والظلام مخيم .. فلم .. — ولم ينطلق العواء البعيد من الكلاب والذئاب ليلا ..؟ ها أنذا أسمعه .. انه مفزع يا أماه ! ! أليس كذلك ؟

— بلى .. وان ضوء النهار الرائق يخنق الأصوات الناشزة القذرة ..

وفى الليل حين يتلبد الجو بغمائم خانقة ، ويهبط القتام .. وتعمى البصائر ووقر فظيع يصيب آذانها ، فيحلو لمثل تلك المخلوقات البغيضة أن تنبح وتعوى وتطلق صراخها المزعج ..

— وهل تأكلنا إذا خرجنا إليها ؟

— أجل .. بعد ما تنشر فى السكون الملع وتبذر فى القلوب وتزرع فى النفوس القلق والزعزعة ، عند ذاك ... من الأفضل أن ترقد يا ولدى !

والطفل كان فاغر الفم ، جاحظ العين ، يرمق فى لهفة شديدة ، أمه وهي مسترسلة فى حديثهـــا وحين كفت عنه .. عاد الى تساؤله بقلب أكثر اصراراً فقال :

— ليس يأتيني الرقاد ؛ فالخوف قد زال بعضه من نفسى ، فحدثيني يا أماه هـــذا الحديث الشيق ! كلما جن الليل ، بل اعيديه على مسامعى ، فذلك خير وأولى من الاستغراق فى النوم اللذيذ !

فضمت الأم وليدها إلى صدرها ، تعطره قبلا خالصات طافحات بالأعجاب . فقالت :

— بورك فيك ، يا بطلى الصغير . فاسمعنى ، وإليك بقية الحديث ...

— كلى آذان ، فأنا مصغ بكليتى ...

— أجل .. عندما تتزعزع تلك النفوس يلج فيها الأنهيار والشلل ، فتنفكي على وجههـا عائدة ، تلوذ بالهزيمة ؛ وهى فى منتصف الطريق فلا تلبث ان يقلها الأعياء ويأكلها الهلع ... فتقبل الذئاب الضارية والكلاب العابثة الجائعة فتلتهمها وتأتى عليها فى هنيهات من الزمن قصار ..

— ولكن .. أليس هناك من يقارعهـا ويناصبها العداء ويقف فى وجه الزوبعة ؟

— بلى ، يا فلذة الكبد .. بيد أن البعض منهم قد دنت آجالهم فلقوا حتفهم ، فضمتهم الأكفان والبعض الآخر ما زال يصارع فى بطولة بقوة وبطش ولكنهم .. !

اراك يا أماه ، ركنت مرة أخرى إلى السكوت .. ولكن ماذا ؟ ..

— انهم يرتقبون إنجلاء الليل .. لتزول هذه الغمة ..

ـ وهل لا نزال فى الليل .. ؟

ـ نعم .. إنه ليل طويل ..

ـ وهل لا ينجلى هذا الليل الكريه الأسود ؟

ـ كيف لا يابنى ؟ فكل ليل يطل عليه فجر منير ويغمر الكون من بعده ، نهار مشرق ، عبق الشذى ! ؟

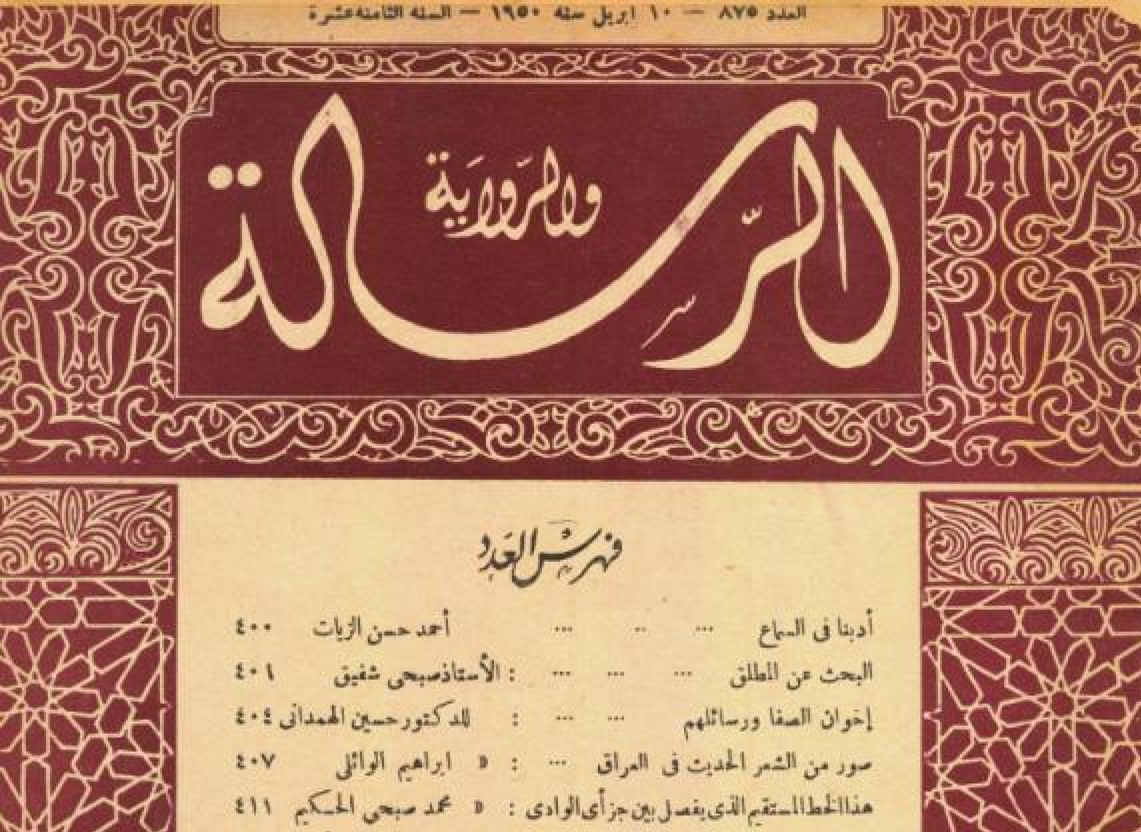
ـ ومتى ذلك يا أماه ؟ انى لفى شوق إليه لجوج ...

ـ صبراً ... ثم يا صغيرى ..

ـ لا ، لا ، لن أنام ، سأرتقب ذلك الفجر يا أماه ! !

عراق — كركوك عبد العزيز خانقاه





فهرس العدد

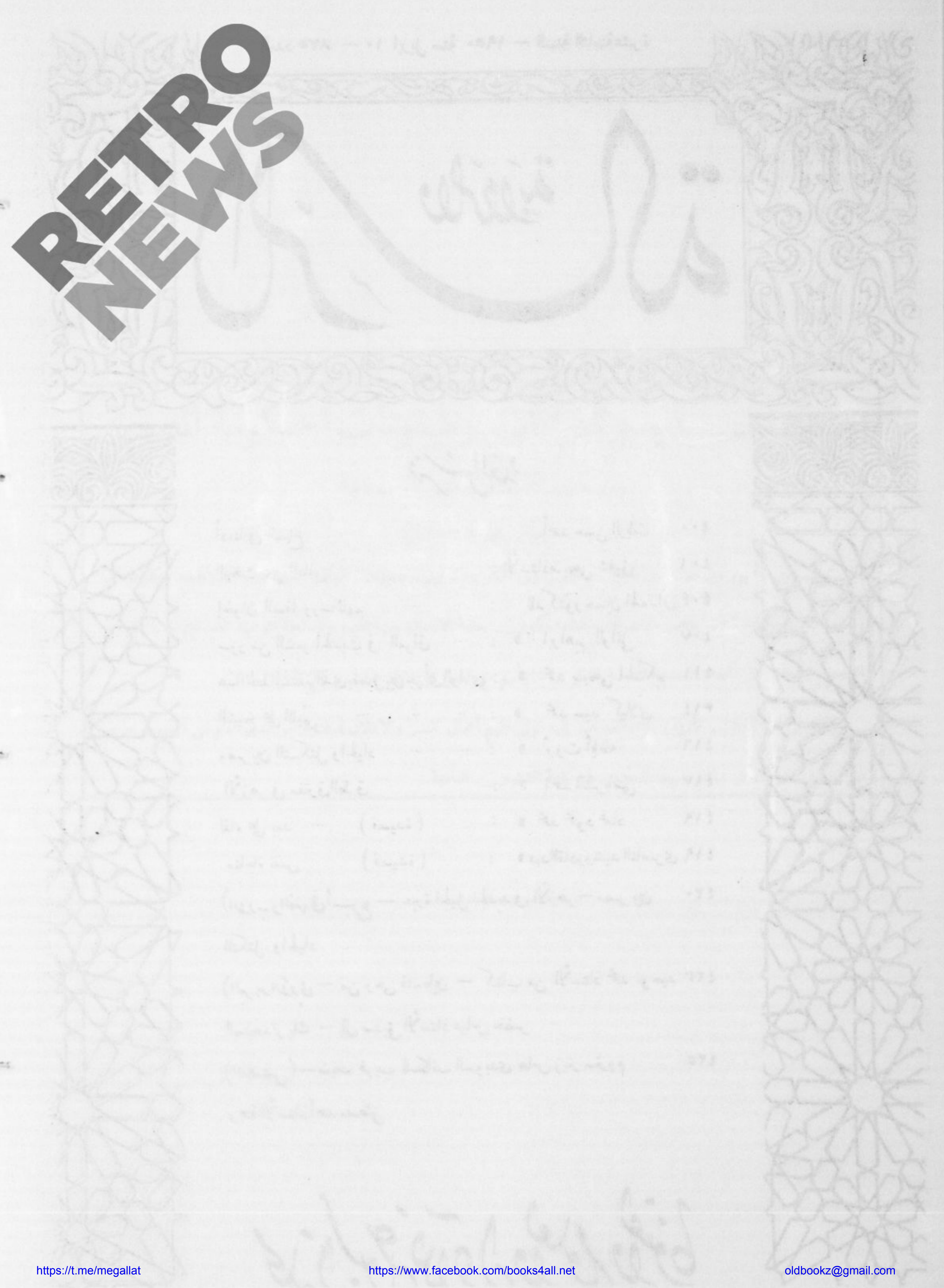
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

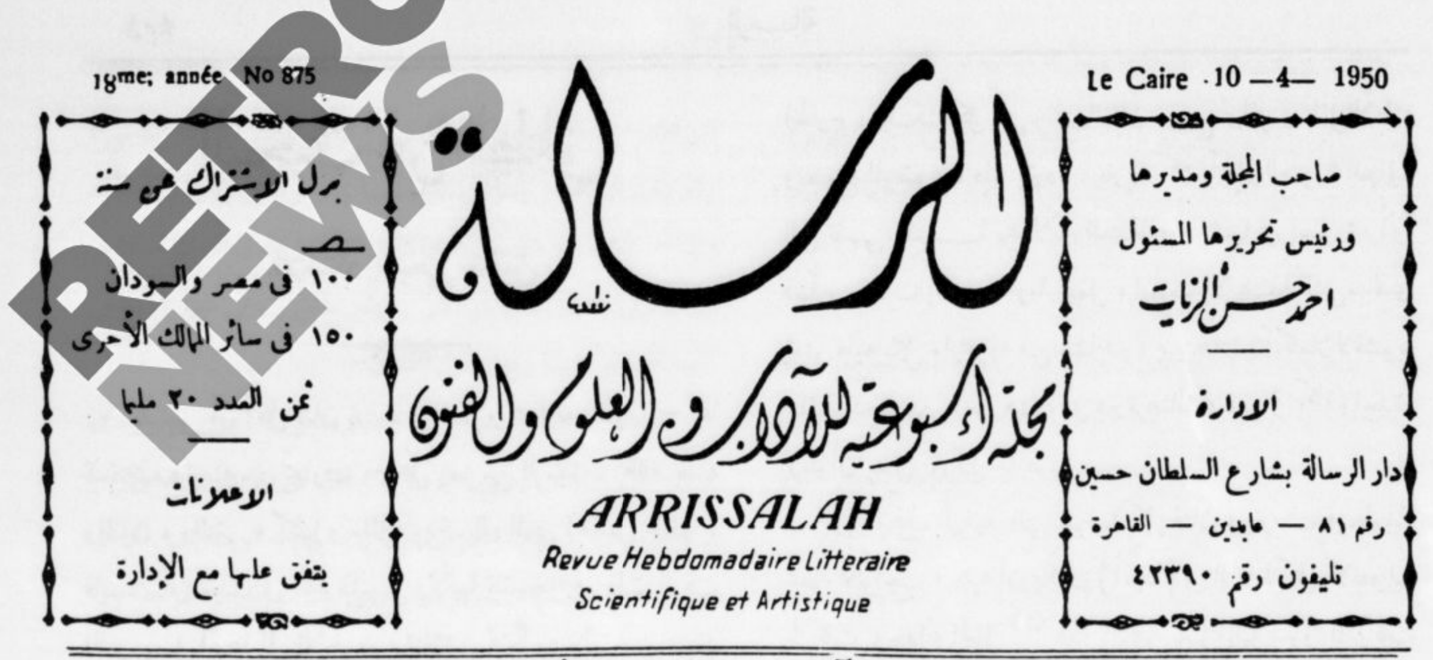
العدد ٨٧٥ — ١٠ ابريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون




18me année No 875 — Le Caire 10—4— 1950

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ — ١٠ أبريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

أدبنا في السماع!

كانت الإذاعة ليلة الأمس مفتوحة على آذان العالم كله. وكان الحفل مقاماً للسمر والترفيه فى دار من دور العلم، فلم يشهده إلا أستاذ أو طالب أو رجل بين ذلك. وكان المغنى يرسل النغم حلو الإيقاع صافى الرنين، فيشيع الطرب فى النفوس، ويبعث اللذة فى المشاعر؛ ولكنه كان قبل أن يقف وقفته الفنية لدى التقطيعة أو الترجيعة، تنفجر حلوق السامعين بالآهات المدوية فتعلو عليه كما تطغى زمجرة العاصفة على سجعة الحمامة!

(آه)، أو (عاه)، هو الصوت الجماعى الذى تنشق عنه الحناجر الطروبة فى مجلس الغناء فيكون عند انطلاقه أشبه بهزيم الرعد أو خوار الثور، ثم يكون عند ارتداده أشبه بتفجع المحزون أو توجع المريض. وتلك شعيرة من شعائر الطرب ينفرد بها المصريون من بين خلق الله فى الشرق والغرب!

رغبت الكاتبة الفرنسية (فلنتين دسان بوا) أن تشهد حفلة من حفلات أم كلثوم. فلما خرجت من مسرح الأزبكية سئلت عن رأيها فى الغناء العربى والموسيقى المصرية، فقالت: والله لقد اختلط الأمر على فلم أدر أفى مسرح كنت أم فى مستشفى! فلو كنت فى مسرح فلم كانت هذه الآهات؟ ولو كنت فى مستشفى فلم كانت هذه القهقهات؟ ولو كان السامعون يضجون من فرط الإعجاب والسرور، فلم كانوا يقذفون المغنية بالطرابيش لا بالزهور؟!

والحق أن مجلس الغناء عندنا نمط من المجالس عجيب! فى مجالس التثقيف أو التكريم أو التأبين يهيمن على غرائز الناس ضابط من الوقار المطبوع أو المصنوع فلا تكاد تميز فيها الجاهل من العالم، ولا الجلف من المهذب، ولا الأحمق من الرزين؛ ولكن مجالس اللهو تحدث فى الأعصاب ضرباً من النشوة، يخف فيكون حماسة، ويثقل فيكون عربدة. والطرب فى مصر أكثره من الوزن الثقيل! يستخف الطباع المرحة حتى يخرجها عن التكاليف، ويبعدها عن الحشمة! لذلك صارت حفلاتنا الغنائية كما ترى وتسمع: زفير وشهيق، وصفير وتصفيق، وحركات فى القيام والقعود، كحركات اليهود فى برص المقود. ثم تلويح بالأذرع، وتنافس فى الزياط، وتراشق بالنكت، حتى أصبح الهرج والضجيج سنتنا فى السماع، فلا يجيد المغنى الغناء إلا فيه، ولا يحسن السامع الاصغاء إلا به! ولقد ذهب مغنينا الأكبر إلى العراق — وكنت هناك — فلما وجدهم يسمعون فى سكون، ويتمتعون فى وقار، ظن أنهم لا يطربون، ففتر نشاطه وتعثر فنه!

فاتقوا الله يا قوم فى سمعتنا المدنية، فلقد كنا نسمع المغنى وحدنا بين أربعة جدران، فأصبحنا اليوم نسمعه مع كل إنسان فى كل مكان!

احمد حسن الزيات

البحث عن المطلق

للاستاذ صبحى شفيق

بديهى أن كل فنان يعتمد فى تصوير مجالاته الفنية — بما تستنفذه وتبعثه من تجارب — على رمز من الرموز . فاللفظ ، واللون ، والنغم ، كلها وسائل تهدف إلى المعنى الجاثم خلفها ، فليست هى غايات فى حد ذاتهـا ، لأنها تضمحل فى ذات الوقت الذى يصل أثرها إلى الآخرين ، تتلاشى تماماً من عالم الحس ، بعد أن خلقت فى وجداننا صوراً مترابطة تمام الترابط ، متجسمة تمام التجسم ، هى عالم الفنان الذى نشاركه هذه المشاركة الوجدانية .

وحينما نعجب بهذا الأثر أو ذاك ، لانفطن إطلاقاً إلى مشكل نقدى يكمن خلف حكمنا العام هذا . إننا نعكس الآثار الفنية على أنفسنا ، وقد نسينا هذا الذى خلقها : أى طريق قطعها من أجل الوصول إلى هذه الصورة الخالصة التى نتملاها فى لحظات؟ .. أى إحساس ملك كيانه حتى تمت هذه المشاركة لوجدانية ؟ . . ولو حاولنا رد هذا التساؤل إلى أصوله فى النفس الفنانة ، لأضفنا الكثير إلى ذواتنا المتذوقة ، ولأخرجناها من موقعة الحكم الذاتى ، والنقد التأثرى ، إلى مجالات أخرى أهمها تحديد قيمة الأثر الفنى مجرداً من الأهواء : فكيف يكون ذلك ؟ . .

لنرجع إلى فناننا ذاته . إننا نجده مهموماً ، وهمــه لا ينقطع ، من أجل الوصــول إلى فن خالص . يريد أن يكون فناناً قبل كل شىء ، وأثره يريده كذلك فناً قبل كل شىء ، ولابد من طريق يسلكها . لابد من اتجاه يتحــدد أمامه ، وكلما جال ببصره فى الماضى وجده لا يعطيه الكثير ، وكلما اتجه إلى المستقبل ، وجد الناس أخلاطاً متمايزة ، كل منهم يريده فناناً على هواه الخاص ، يعطيه مايوائم مزاجه وحده دون سواه فكيف يعبر وهذا الضجيج يجتاح كل ملكاته ويسلمه إلى قلق واضــطراب شديدين ؟ . .

وفناننا لا يجهل ما يراد منه إنه يعرف أن عليه توصيل ما يضطرب فى دخيلته . . وهذا حقاً مشكل هين حين نتأمله من الخارج ، ولـكنه كل شىء لدى الفنان . ومع توافر وسائل الأداء ، ووضوح الموضوع ، فإنه يتردد ، يتردد كثيراً فإن الصورة النهائية التى تنتهى إليهـــا مجالاته المتيقظة ، نسميها فى يسر : أثراً فنياً . . ليست إلا عوالمه وما تحمل ، ليست إلا هــذا الشىء الذى يحنو عليه بكل ما يجرفه من مشاعر ، يريدها شيئاً كاملا لاتشوبه شائبة تنجم عن نقص هنا ، أو عثرة هناك ، فهو فى كلمة واحدة ، يريد أن يصل إلى فن خالص . .

وإزاء هذه الرغبة التى يعرفها كل فنان ، يترسب فى طواياه شعور بالواجب ، عليه أن يكون (أميناً) فى التقاط كل الانفعالية لحركات وجدانه المحلل [1] هذا الذى تصل إليه صور المدركات الحسية ، وصور كل التجارب التى ينفعل لها ، مستمدة قيمتها لاما تطبعه فى الدفعة الواحدة ، ولـكن من هــذه التجزئة التى تحدد الأجزاء متتابعة ، وتربط الصور ربطاً متسقاً ، تبرز التجربة وتجسمها بما يكتنفها من نتوء وسطوح ومنحنيات .

وهنا يحدث الصراع بين موضــعين متعارضين : فلو ساير وجدانه وحده لفقد هذا العنصر الآخر الكامن فى نفسه ، وهو الذى سميناه واجب الفنان ، فمسئوليته عن الأثر تجعله يقف إزاء طواياه المستترة وعاله الآخر : هل كل شىء يقال ؟ . . هل يعبر عن هذا الشكل الجاثم ؟ . . ولو عبر عن هذا فهل يصل إلى الفن الخالص الذى يريد ؟ . .

وفناننا لم يصل إلى موضع التقاء بين خطين متعارضين : بين الفن الخالص والمسئولية .. هو متردد بمض الشىء لأنه لم يكتشف طريقه بعد .. وها هو ذا يجد كل هذا التوتر النفسى قد تبلور فى رغبة أخرى غامضة كحلم ، ولـكنها أخطر من كل ما مس بعوالمه المتشابكة الـكثيرة الاهتزاز : هذه الرغبة : ما هى ؟ . وكيف يلقى أمانيه فيها ؟ . لقد سمع النقاد يرددون : اتخذ لك طابعاً . غلف أثرك بغــلاف شكلى يشتمل على الكل والجزء فى آن . أبرزه فى قالب يتوافر فيه عنصر التناسق ! ... وهنا يواتى فناننا الحائر هذا

---

(١) نطلق لفظة « وجدان محلل » على عالم الفنان وحــده ، فـكل إنسان يحس ، وليس كل إنسان يستطيع التعبير . والفنان هو الانسان المعبر ، فالفارق بين ما تخلفه التجارب فى وجدانه ووجدان الآخرين إنه يدركها علاقة مجسمة ، بينما يأخذها الآخرون صوراً مبهمة . .

النوع من الارتياح الذى يعرفه السائر فى الطريق المجهـول حينما يلمح فجأة الضوء الخافت يكشف له الخطوط الممتدة على مرمى البصر ينبثق منها الأمل القريب .

ولكن : أتراه وجد آماله فى هذا ؟ .

لقد أراحه هذا فى ناحية واحدة ، وكان قاصراً عليهـا دون مناحيه كفنان ، هى ناحية الشكل ، ناحية الظل البادى فى هذه الزاوية ، والخافت المتدرج فى الأخرى ، والنور الملقى بضوئه فى سائر الأجزاء . أما الداخل ؟؟ . أما فى الكيان نفسه ، . أما فى المضمون الفنى . فما زال إحساسه قلقاً ، ولكن بهارج الزينات التى يضفيها الطابع la forme على ما حوله ، قد أنسته حيرته بعض الشيء .

وما دام يتحسس الشكل ،فيده لم توضع إلا على الأبعاد الوهمية للفن دون الداخل . تلك التى يحاول بعض النقاد تحديد الأثر بها ، وإخضاعه للتجزئة على هـذا القياس ، كيما يصل إلى النمط المتسق الذى يخدع المتذوق تمام الخديعـة فهم يدركون حقيقة كامنة فى العمل الملىء بالقوى ، الفائض بالطاقات الحيوانية ، هذا العمل الذى نسميه مشاركة الوجدان . وهذه الحقيقة المرتبطة بكل هـذا ، هى الراحة النفسية التى يحسها الآخرون . فتجدهم يرددون فى لهث متقطع : اعطوه ما يرتاح إليه ، وما نرتاح إليـه نحن أيضاً .

ولا تحدث الراحة النفسية إلا إزاء ما تطبعه فينا الأشياء من شعور بالتحرر ، بأنها نازعة أبداً إلى الصورة النقية . قف قليلا أمام منزل سقطت واجهته ، وبدا عارياً من كل إتساق . إنك تجده يبدو كخط متكسر ، أو كجملة خطوط متكسرة ، فمجالاتك البصرية لا تجول فى أبعاد فسيحة متسقة . خط يعترضك هنا . زوايا تصدم رحبة بصرك هناك . فتجد نفسك قد شعرت بنوع من القلق ، تجد نفسك لا ترتاح إلى هذا الشكل إطلاقاً ، بينما تشعر بانتشاء نفسى إذا ما نظرت إلى انطباق الأفق والأرض فى ساعات المغيب . وما التحرر الذى نستشعره إلا فى كون ما نراه هو هـذا الشيء الذى لا يوقفنا قليلا لوعورة هنا ، أو خطوط هشة هناك إننا نميل للمنحنيات بفطرتنا ، نميل إلى الأشيـاء التى تغلف الجوهر ، وكل ما يتفرع منه بغلاف ليس فيـه من بروز شوهاء ... أما الخطوط المتكسرة ، فهى تقطع تجاوبنا النفسى ، وتعاطفنا نحوها .. إننا لا ننتقل معها بمشاعرنا فى انسياب أبداً ، ولا تحركنا معها مفسحـة مجالاتنا النفسية ، ولا تجعلنا نستشعر الوحدة فى هـذا الانحدار الحر . بغير عائق وعلى هذا الأساس تقوم الملائمة بيننا وبين شتى الفنون .

وهنا تحدث الخديعة ، إذ تختلط معطيات الحس والوجدان لدى الفنان والمتذوق على حد سواء ، فلا تفرقة بين (شـكل) و (مضمون) ، فهما يحسبان الاثنين أشياء تستوى لدى المتأمل والمعبر بغير افتئات ، كلاهما مطلب من مطالب الراحة الوجدانية ، وكلاهما تعاطف بلغ أوجه الإتساق .

وحقيقة أننا نجد فى هذه الفنون الشكلية الألوان المنسحبة من سطح إلى سطح ، فى وحدة وترابط تثير انفعالاتنا . ونجـد كذلك الأصـوات فى إيقاعها الرتيب تجرف مشاعرنا ، وكذلك الألفاظ فى ترادفها وتتابعها تحدث هذا النوع من التعاطف الجمالى (Esthe'tiques) .ولـكن كلما نفذنا إلى كنه المسألة ، وجدنا كل هذا طلاء . طلاء مروع أشبه بالغشاوة تحجب أعيننا ، وتتركنا فى حال من تداعى الصور لذيذ ، فنحن لا نخرج من كل هذا إلا بالخدر ، بالمسكن الوقتى . أما التيار فى عمقه وقوته فلم يصلنا بعد ، لأن فناننا كان حائراً فى استكشاف المنبع والأصل ، كان يضرب فى طريق يحيطها الوهم الرومانتى إلى حد الغثيان ، وكان كل ما يريده عالقاً بالشكليات .

ومن هذه الخديعة وجدت الدعوات الكثيرة التى انتهت إلى قالب من قوالب فلسفـة الفن ، فالفن عـند البعض لعب راق ، وعند البعض متعة لاذة ، وعند البعض حدس غيبوبى ، فى كل هذا يخفت المنطق وتستطيل العبارات الشاعرية ، ويدور الإنسان مع نفسه فى تأمل واستكشاف لما فيها ، فى تداع نرجسى [1]

(١) فى الأساطير اليونانية يقال أن نرجس قد خرج مرة للنزهة ، ووقف قليلا إزاء أحد النهيرات . فلمح فى الماء صورته لأول مرة . . فصار لا يفارقها إطلاقاً . . لقد عشق نفسه تماماً . . ثم فنى فى سبيل هـذا العشق . فحولته آلهة الاولب إلى الزهرة المعروفة باسمه . . وفى حياتنا النفسية تعاود الأسطورة نفسها فى كثير من الأحيان . . إننا نتأمل أنفسنا معجبين ، لا نشعر إطلاقاً بما يجب علينا عمله . . وكل فنان يدور مع نفسه ، فى هذا الوهم الذاتى ، يصح أن نطلق عليه هذا اللفظ . .

وما كان هذا التضارب فى الآراء، إلا حيرة الكائن الحى فى فهم مضمون نشاطه . إن هذا الخدر المنطوى فى اللاشعور ، يريد أن يخرج إلى مجالات الإدراك ، ولكنه يتعثر دائماً ، ويحدث كل هذا الخلط فى تحديد القيم .

لقد كانوا جميعاً ، نقاداً وفنانين أشبه براكب السيارة يحاول الوصول إلى بؤرة المرآة التى أمامه ، يريد اللحاق بصورته المتجمعة فيها ، وحواسه تخدعه ، فتهيىء له الحركة الوهميــة ، بينما المسافة ثابتة بينهما ، وكل الخلاف فى الزمن القياسى .

كانوا جميعاً غارقين فى بؤرة الأبعاد الشكلية ، فى الحين الذى يحل فيــه الشكل يتدرج النظر بين البؤرة ومكان الجالس ، بين (الشكل) و (الجوهر)، هــــذا الذى لا يمكننا أن نمسكه ونضمه فى أنبوبة اختبار ، ولــكن نستشمره فى المضمون الخالص .

فــكيف نصل إلى هذا ! أين نجده ؟ .

إننا نجد الشىء دائماً فى طوية موضوعه ، ولــكننا ننسى هذه الحقيقة الكبيرة ، فنفتش فى الخارج، غافلين عن ملكاتنا التى تستطيع الملاحظة والربط والاستدلال .

وموضوعنا هــو كيان النشاط الفنى ، إنه يمنحنا ما يفسح الطريق على مداها ، وفى ذات الفنان الخالقة نلق مادة بحثنا ، فــكل ما نريده فى الداخل ، وفى الداخل دائماً .

وما دمنا قد بعدنا عن الأبعاد الخارجية ، فإنا نلقى الذات الخالقة ، من — ذات الفنان — كل منافذها متفتحة لتأخــذ وتعطى . ولا بد من منظم قوى لنشاطها ، فليس الأخذ والعطاء هنا عملية حسابية فى بورصــة الأوراق المالية . إنه عالم النفس الإنسانية . وكل منظم قوى نريده، نقصد به حل مشكلة واحدة ، هى قلقلة الاضطراب السائد فى دخيلة الفنان ، هــذا الاضطراب الذى يرجع إلى حالة التوتر بين (واجب) و (تعبير) فى الآنــة الواحدة ، فى الزمن الذى يتسرب فيـــه النشاط ليتكامل المضمون .

وإذا وصلنا إلى هذا المنظم القوى وامتلأت نفس الفنان به ، لا يحدث القلق ولا المنحى الشكلى : وما هو المنظم إذا لم يكن الوصول إلى الوضع الفاصل بين حدى التوتر ، بين تحــديد قيمة (التعبير) وتحديد قيمة (المسئولية)، إلى مركز حركتين متعارضتين ، ولــكنها متشابكتان ؟ .

كيف نصل إليه ؟ كيف ؟

نلاحظ أن أكثر الفنانين يعطوننا فناً مريضاً . فيه صرخات جوفاء ، وفيه عويل ونحيب . إنه أشبه بجنازة طويلة لا ينتهى فيها البكاء . وهذا فى جملته ليس عالمك أنت ولا عالمى أنا ، ولا عالم سائر البشر الموجودين ، إنه حالة تشبه الاغماء ، أشياء لا يفهمها إلا خالقها ، وهو يعبر عنها تعبيراً فيه الكثير من حرق البخور ، والترهب ، ومناجاة الأرواح الخفية . إنها حالة فيها التداعى إلى حد نفاذ (الوعى الفنى) الذى يستحيل الوجدان به شيئاً محللا ، وتتم به عملية الروابط وتتحدد بالوضوح إذا ما توافر لديه .

وتتم به عملية الربط وتتحدد به عملية التصور ، ويتميز الفن وما السبب فى هذا ؟؟ ...

ليس من سبب إلا أن فناننا هذا ، صاحب الفن المريض ، كان يعيش وحده . ليست له عيون كالعدسة ترقب وتلتقط وتعكس ، وتعطى كل ما تستنفذه إلى مدركات حسية ، ترتبط برباط الفن ، لا ، لم يكن هذا طابع المسألة ، وإنما فناننا مصاب بالنرجسية الراقية ، وحقيقة إنه لا يعجب بنفسه ، ولا يتأمل محاسنه، ولكنه دائر مع نفسه فى صورة أخرى منعكسة على أثر فنى يريد إخراجه . هو يجول مع هذه المشاعر النرجسية ، متأملا نفسه ، مطلا عليها من عاله وحده . ولنفس السبب نجد أكثر الآثار الفنية يبدو كأنها آتية إلينا من عالم غريب ، ليس عالمنا . إننا نحس فى القصص أو الأشعار التى تدخل فى هذا النطاق ، بأن نقل أوراق كتبها يعيدنا إلى عالم المحســوسات حولنا بين الفينة والفينة ، وفى أحيان كثيرة يصرخ البعض : لا نستطيع أن نستمر فى قراءة هذا . إذ هــذه اللوحة غريبة عنى ، أو هذه القطعة الموسيقية لا تخاطبنى .

ولماذا يقول هذا ؟ إن الفن تعبير، وكل تعبير يعنى الوضوح ، فــكل الناس تدور مع نفسها ، ولــكن الفنان — كما أسلفت — هو الذى يخرج هذه العوالم المغلقة على ذواتها، إلى الخارج الموضوعى .

ولا يمكن أن يصل إلى هذا الوضع إلا إذا سقطت عنه أقنعة النرجسية ... لأن الرابط بين كل الحواس ، يبدو واضحاً فى حد ذاته لديه . إنه يعطيه التوازن فى الربط ، والتناسب فى معطيات الوجدان ، والتعاطف بينه وبين موضوعه ، لأنه يحس حينئذ بأن ما يخرجه هو مسئول عنه ، إنه مولوده البكر يصرخ متلمساً موضع حنان .

اخــــوان الصفا ورسائلهم

للدكتور حسين الهمدانى

الدكتور حسين الهمدانى أستاذ متخصص فى التاريخ الاسلامى، وهذا البحث مما عنى بدراسته عناية خاصة ، وقد ألقاه فى رابطة الأدباء بالقاهرة ، ومما تخصص فيه الدكتور الهمدانى بحث الدعوة الاسماعيلية باليمن . وآثاره فى هذين الموضوعين معروفة فى البيئات العلمية العربية والاستشراقية وله بحوث قيمة فى عدة مؤتمرات عقدت بلندن وبألمانيا

أعتقد أن البحث عن « اخوان الصفا ورسائلهم » ـ على رغم كثرة ما تعرض له الكتاب طيلة مئات السنين الفائتة ، مرغم تعدد الآراء والنتائج التى استخلصت منها — لا يزال بحثا غامضا يشوبه كثير من الابهام ، ويكتنف جنباته مزيد من التشكك والارتياب سواء كان ذلك من ناحية شخصية الاخوان أنفسهم الذين ألفوا الجماعة ، أو كان من ناحية الأهداف التى كونوا أنفسهم وعاهدوا الله على تحقيقها ...

ولم يصادف التاريخ فى حقبة من حقبه جماعة كهذه الجماعة ، ظل أمرها خافيا على النـاس ملتبسا عليهم . وكثيرا ما قامت فى الشرق والغرب جماعات سرية ، دينية أو علمية أو سياسية أو ارهابية وكثيرا ما كانت تعمل فى الخفاء ، لا تعلن عن نفسها ، ولا تفصح عن حقيقة أعضائها ، ولكنها بعد وقت ، طال أو قصر ظهرت ، وعلم الناس من أمرها كل خافية ... إلا جماعتنا هذه ، فانها بقيت إلى اليوم موضع الشك ومثار الابهام والجدل وموطن الدهشة والغرابة .

ولكن يمكن أن يقال نتيجة لما اتصل بنا من بحــوث الأقدمين وأحاديث الرواة ، إن هذه الجماعة كانت مجموعة من علماء البصرة ، تعاهدوا فيما بينهم فى أواسط القرن الرابع الهجرى ، على إحداث حدث جديد، يقلب الأوضاع التى كانت سائدة ، والنظريات المتواترة ، دينية كانت أو سياسية عقلية أو نظرية أو مادية ...

ولكن : كيف تسقط الترجسية الراقية هذه ؟؟

لدينا حكمة قديمة ، ولكنها متجددة نابضة على مر القرون ، حكمة قالها حكيم اليونان : إعرف نفسك ... وإذا حصرنا حكمته فى دائرة الفن ، نجد المقصود بها أن يتجرد الفنان من خيالاته وأوهامه ، يحلل كل قضاياه ، يعرف كيف ينبع التيار النفسى أو من أين ينبع

ومتى عرف ذلك استطاع أن يضع نفسه موضع الآخرين ، فتصبح ذاته — وقد تحللت — هى الذات التى تفهم تجارب النوع الإنسانى كله .

فالفن فى أبسط تعاريفه ، تجربة وانفعال فى مضمون واحد ، وإزاء هذا لابد أن نكون صادقين حينما نحس ، وحينما نتأمل ، وحينما نعبر، هذا الصدق الذى لا يصور الواقع تصويراً فتوغرافياً ، ولكنه يبدو فى الإحساس بالواقع — مجرداً من كل نفاق : وهل كان النفاق فى عالم الفن إلا العجز الناجم عن غموض الموضــوع لدى الفنان نفسه ؟ هل كان سوى العجز الذى يعنى أنه لا يفهم نفسه ولا يفهم موضــوعه ، ولا يمكن أن يكون صادقاً بغير فهم لهذين

وهذا هو الصدق الفنى .

وبوصولنا إليه نجد أنفسنا إزاء النتيجة الأخيرة فى هـذا الموضوع المتشابك : فالتعبير الصادق ، يدفع بجزئيات الموضوع فى تتابع صادق ، ومتى شاركنا الفنان فى فنه الصادق هـذا نحس بالراحة النفسية بغير خديعة .

إن الفن هنا هو عالمنا . إننا ننتقل مع الموضوع فى انسياب دائم ، لا يواتيه تكسر أو خطوط شائهة ، بينما كنا لا نحس الراحة النفسية فى (الفن النرجسى) ، لأننا نصدم بالنفاق فى أكثر المواضع كنا نصدم بأشياء غريبة عنا ، أشياء لا نفهمها على نحو من الانحاء .

وما دام هذا الفن عالمنا ، فهو هذا الشىء المجرد من العوائق ، هو هذا الشىء الحر ، هو هذا الشىء الذى يحدث الراحة النفسية الصادقة ، هو هذا الجميل ، بل هو فى كلمة واحدة : المطلق !! ...

صبحى شفيق

وأول من قال بهذا الرأى أبو حيان التوحيدى فى كتابه (الامتاع والمؤانسة) ثم جاء بعده جمال الدين أبو الحسن القفطى المصرى فأورد فى (تراجم الحكماء) كلاما طويلا ، بل تسجيلا كاملا للحديث الذى جرى عام ٩٨٣ ميلادية بين أبى حيان وبين وزير لصمصام الدولة ، الذى خرج منه بنتيجة هى أن زيد بن رفاعة تمهد وهو بالبصرة مع جماعة بينها أبو سليمان محمد بن معشر البستى المعروف بالمقدسى ، وأبو الحسن على بن هرون الزنجانى . وأبو أحمد القفطى كان أمينا وحذرا فى الرواية ، فانه لم يخف فى كتابه شكه فى حقيقة الجماعة فقال : « ولما كتم مصنفوها أسماءهم ، اختلف الناس فى الذى وضعها . فكل قوم قالوا قولا بطريق الحدس والتخمين ، فقوم قالوا : هى من كلام بعض الأئمة من نسل على بن أبى طالب كرم الله وجهه واختلفوا فى إسم الإمام الواضع لها اختلافا لا يثبت له حقيقة . وقال آخرون هى تصنيف بعض متكلمى المعتزلة فى العصر الأول » . والغريب أن القفطى اعترف بامكان نسبة الرسائل إلى الأئمة العلويين ، كما اعترف بوجود مذاهب أخرى ، مع أنه استند كثيرا فيما قال إلى كلام أبى حيان .

ولكن يتبين من كل هذا أن تاريخ انشاء الرسائل تراوح بين سنة ٣٣٤ و ٣٧٣ هجرية وأن مدينة البصرة كانت مركزا للجماعة . ولكن لو بعدنا عن القفطى لأعوز هذه النتائج كثير من الأدلة والشواهد . ومما يذكر أن الاخوان تحاشوا ذكر إسم البلدة كما لم يذكروا التاريخ .

وهناك رأى فى أن هذه الرسائل ألفها مسلمة المجريطي سنة ٣٩٨ هـ لأنه قال فى كتاب (رتبة الحكيم) ما يأتى : « وقد قدمنا من التأليف فى العلوم الرياضية والأسرار الفلسفية رسائل استوعبناها فيها استيعابا ، لم يتقدمنا فيها أحد من عصرنا البتة . وقد شاعت هذه الرسائل فيهم وظهرت إليهم فتنافسوا فى النظر إليها وحضوا أهل زمانهم عليها ، ولا يعلم من ألف ولا أين ألف غير الحذاق منهم ...

ونحن لا نستطيع أن نسلم بهذه النظرية ؛ فكتاب « رتبة الحكيم » ثابت أنه ليس من تأليف المجريطى ، بل هو منسوب إليه فقط فقد أثبت العلماء أن هذا الكتاب ألفه شخص غير المجريطى لا نعرف اسمه بعد قرن من وفاة المجريطى . ومن الجائز أن يكون صاحب كتاب « رتبة الحكيم » يشير إلى رسائل أخرى ألفها على نمط رسائل اخوان الصفا ، وعلى كل فلو افترضنا أنه يريد من التأليف رسائل اخوان الصفا فالمجريطي ليس هو صاحب هذه التآليف .

وهناك رأى آخر وهو ما نادت به الدعوة الفاطمية باليمن وهو ينصب على أن هذه الرسائل ألفها أمام من الأئمة الفاطميين المستورين قبل ظهور المهدى بالمغرب هو أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فى أيام الخليفة المأمون العباسى ، وأول من قال بهذا الرأى الداعى على بن محمد الوليد الأنف المتوفى سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦) ومن بعده الداعى ادريس عماد الدين المتوفى سنة ٨٧٢ هـ (١٤٦٧ م) ولا شك أن هذا الرأى يلقى ضوءا على الصلة بين الرسائل والحركة الفاطمية الاسماعيلية ولكننا لا نعرف شيئا عن هذا الأمام المستور وليس هناك ذكر لهذه الرسائل ، فضلا عن ذكر مؤلفها ، فى الكتب التى ألفت فى أيام الفاطميين فى مصر أو فى غيرها من البلاد الاسلامية .

ومما يثير شيئا من الدهشة أيضا أن الرسائل كانت خالية تماما من ذكر الفاطميين مع انتساب هذه الجماعة إلى دعوة أهل بيت النبى ؛ ومع أن الدعوة الفاطمية طرف متصل بالدولة الفاطمية التى بدأت فى المغرب وتسربت حتى مصر وسوريا فليست هناك شواهد داخلية أو خارجية ترمى إلى اثبات هذه النظرية أو الى صحة هذه العقيدة إلا أن يقال أن الصلة قوية بين الآراء والتعاليم التى تتضمنها الرسائل وعقائد الاسماعيليين ، وإلا أن الرسائل كانت مصطبغة تماما بالصبغة الاسماعيلية نفسها . وقد وصل إلى هذا الرأى كل المستشرقين أمثال كازانوفا ، ودى بور ، وجولد تزيهر ، وغيرهم . .

هذا وقد وجدت رسائل اخوان الصفا كلها كاملة فيما عدا (الرسالة الجامعة) وتعتبر أهمها ، حتى جاء المستشرق الفرنسى كازانوفا فى أواخر القرن الماضى ، وأعلن عثوره على نسخة خطية منها فريدة ، كانت صفحاتها الأولى بما تحمله من تعريف بها مفقودة تالفة ، فأخذ يدرسها ويبحثها حتى خرج من البحث إلى أنها (الرسالة الجامعة) وهنا أخذ العلماء يدرسون الرسائل من وجهة أخرى حتى اتجه الفكر أخيرا كما قال الأستاذ عبد اللطيف

الطيباوى إلى وجود صلة بين فلسفة اخوان الصفا من جهة وعقائد الاسماعيلية من جهة أخرى وهناك نسخ خطية من هذه الرسائل توجد فى مكتبة ميونيخ فى ألمانيـا وفى دار الـكتب المصرية ومكتبة المغفورله أحمدباشا تيمور وفى خزائن ولى الدعوة الفاطمية باليمن والهند . والغريب أن كل هده النسخ منسوبة الى الحكيم مسلمة المجريطى ماعدا النسخ المحفوظة فى اليمن . وكانت الدعوة الفاطمية اليمنية تهتم برسالة الجامعة منذ أواخر عهد السلاطين الصليحيين اهتماماً بالغا . وقد عرفت الرسالة عندهم منذ القرن السادس وكانت تعرف باسم « الجـامعة » وهم لا ينسبونها إلى المجريطى ، بل يقولون إن الرسالة الجامعة لب الرسائل وروحها ؛ وهي الرسالة المذكورة فى رسائل اخوان الصفا . وكان الداعى ابراهيم بن الحسين الحامدى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ أول من أشارفى كتابه (كـنز الولد) إلى الرسالة الجامعة فى عدة مواضع ونقل منها عبارات كثيرة .

ولهذه الرســائل أثر كبير فى اليمن ، حتى لـكان الدعاة يعتبرونها بمثابة (قرآن الامامة) وقد ذكر الشيخ السيفى أنه سمع بعض العلماء يقول : ان رسـائل اخوان الصفا هى القرآن بعد القرآن وهى قرآن العلم ، كما أن القرآن قرآن الوحى ؛ وهى قرآن الامامة ،وذلك قرآن النبوة .

وقد ادعى اخوان الصفا أن الرسائل تتضمن علوم بيت النبى (صلعم) . ويظهر هذا فى قولهم : (واعلم يا أخى بانا قد عملنا احدى وخمسين رسالة فى فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والأنموذج ، لـكيما إذا نظر فيها اخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها وعرفوا حقيقة ما هومقرون بها من تفضيل أهل بيت النبى (صلعم) لأنهم خزان علم الله ووارثو عـلم النبوات تبين لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة ...)

وقالوا كذلك (من أرادأن يدخل مدينة العلم وجنة الدين فليأت الباب كما قال النبى : انا مدينة العلم وعلى بابها . ومن أراد أن يستفيد من هذه العلوم فعليه أولا معرفة الباب . وهى معرفة الحدود ، ومن عرف حدود الدين فقد دخل الجنة ، جنة الدعوة والدين الاختيارى إذ لا اكراه فيه)

كل هذا الغموض وهذا الابهام الذى اكتنف هذه الرسائل مبعثه عدم افصاح الاخوان عن حقيقتهم ، وهذا طبيعى ، لأنهم كانوا جماعة سرية غرضها قلب النظام السياسى السائد فى العالم الاسلامى وقتئذ عن طريق التـأليف ، أو عن طريق الاغراء على اعتناق الفـكرة . لهذا سموا إلى بث دعاياتهم فى رسائلهم هذه عن طريق الكلام ، متفادين اللجوء إلى أى اجراء آخر مما قد يعتمد عليه فى الانقلابات التى ذخر بها التاريخ — ولقد أرادوا تغيير الأوضاع وقلب النظريات عن طريق انشاء فلسفة جديدة تخلق جوا وأفقا جديدين بالنسبة للفرد وبالنسبة للجماعة . وكانوا فى هذا كله يسعون بجد واهتمام الى هدم بناء الدين القديم وتأسيس دولة الخير ؛ يصرف الأمور فيها علماء حكماء أخيار . وكانت كل أعمالهم ومحاولاتهم هذه تتم عن طريق خفى مقنع ، يمكن أن نقول عنها إنها أعمال كان يشوبها الغموض من كافة نواحيها .

و كانوا كذلك يحاربون أهل الفـكر المتزمت ، ويطالبون بحرية الفـكر وحرية القول وحرية الفرد . والغريب أنهم كانوا يطالبون بتحقيق أمور هى فى يومنا الحاضر هدف الناس وهدف الساسة ؛ وكأنهم استشفوا مغاليق الغيب وعرفوا أن العالم لا ينصلح إذا وضع زمام الأمـور فى أيدى الشيب « الذين اعتنقوا الآراء الفاسدة والعادات الردية والاخلاق الوحشية مع استبعاد الشباب السالمى الصدور ، الراغبين فى الآداب ، المبتدين بالنظر فى العلوم . »

والـكلام عن الرسائل وما جاء فيها كلام طويل ، إذ تضمنت كثيرا من العلوم الفلسفية والهندسية والشرعية والأدبية كما تضمنت غرائب الحكم وطرائفها واسنا اليوم بسبيل التحدث عنها وانما نستطيع أن نتكلم عن ناحية أخرى من هذه الرسائل ولو أنها ليست فى صميمها ، وانما تدور حولها .

فقد قصد الاخوان من وضع رسائل الدعوة لمذهب سياسى ودينى جديد ، ولـكنهم عرفوا أنهم إذا ما قاموا يدعوتهم سافرة فانها تـكون عرضة للقيل والقال ، كما تـكون عرضة للجـدل الرخيص . فآثروا أن يبثوا دعوتهم فى تضـاعيف أمور أخرى ويقدموها دواء للناس داخل غطاء ، فكانوا يبثون دعوتهم فى صور مقالات أدبية ، وطورا فى مباحث دينية ، لا تحمل صبغة الدعاية ولـكنها تظهر بمظهر البحث العلمى أو الأدبى .

صور من الشعر الحديث في العراق

الأستاذ ابراهيم الوائلي

الرصافي (٢)

وفى قصيدة للرصافى « رقية الصريع » استعراض لموظفى الأتراك والطرق التى يسلكونها لبلوغ المراكز الحكومية والوصول إلى كراسى الوظائف . وتبدأ هذه القصيدة بالحنين إلى العدل الذى طال انتظاره وضاق الصبر عنه ، وبالسخط على هذه الحكومة التى انحرفت عن الطريق المستقيم فنشرت الفظائع وكتبت صكوك العدل حبرا على ورق ، وجعلت الوظائف سلعا تباع وتشترى ، فلا يستطيع شراءها إلا الغنى الجاهل بما نهب وارتشى ، ويعجب الشاعر من أن هذه السوق التى تباع بها الوظائف وتشترى تسمى دار الخلافة :

يا عدل طال الانتظار فعجل ... يا عدل ضاق الصبر عنك فأقبل

كيف القرار على أمور حكومة ... حادت بهن عن الطريق الأمثل

فى الملك تفعل من فظائع جورها ... مالم نقل ونقول مالم تفعل

ملأت قراطيس الزمان كتابة ... للعدل وهى بحكمها لم تعدل

أضحت مناصبها تباع وتشترى ... فغدت تفوض للغنى الأجهل

تعطى مؤجلة لمن يبتاعها ... ومتى انقضى الأجل المسمى يعزل

فيروح يشرى ثانيا وعا ارتشى ... قد عاد من أهل الثراء الأجزل

فيظل فى دار الخلافة راشيا ... حتى يعود بمنصب كالأول

سوق تباع بها المراتب سميت ... دار الخلافة عند من لم يعقل ؟!

ويعود الشاعر إلى رأيه السالف فى هذه الحكومة المستبدة :

أبت السياسة أن تدوم حكومة ... خصت برأى مقدس لم يسأل

مثل الحكومة تستبد بحكمها ... مثل البناء على نقاً منهيل

ويتفق الرصافى مع الزهاوى فى مروق الخليفة العثمانى عن هدى النبى وتركه أحكام القرآن . يتفقان فى الفكرة والأسلوب والاستفهام الذى ينطوى على استنكار شديد لأعمال هذا الخليفة ، فقد رأينا الزهاوى يثور على الخليفة ويشجب أعماله وذلك بقوله :

وغريب أن يصل هؤلاء المتقدمون إلى ما وصل إليه العلم الحديث اليوم من تفضيل بث الدعوة فى شىء من الغموض أو اللف والدوران ، ونحن نجد اليوم الدول الحديثة وأصحاب الأفكار يقومون بنشر ما يريدون عن طريق كتب أو عن طريق المجلات أو الصحف ، أو عن طريق معاهد يؤسسونها باسم العلم والدرس والثقافة . وها نحن نرى بيننا وحولنا كثيراً من هذا مما يضيق المقام عن سرده . وكأنى بهؤلاء الاخوان قد توغلوا فى النفس البشرية حتى وصلوا إلى النقطة الحساسة فيها فعرفوا قبل مئات السنين هذه الحقيقة وعرفوا الطريق الذى يصل بهم إلى الغاية .

وليس فينا من ينكر عليهم أدبهم وغوصهم لإلتقاط المعانى والألفاظ واستخلاص الآراء . ولسنا ننكر عليهم توسعهم فى المعرفة وامتلاكهم لناصية الكلام والبلاغة والبيان . ولكننا نعرف أنهم كانوا يريدون بث دعوتهم على نطاق واسع ونشرها بين الناس على كافة طبقاتهم ، غير مقتصرة على طائفة ولذلك عمدوا الى وضعها فى أسلوب بسيط ممتع تستطيع العامة قبل الخاصة أن تفهمه وأن تستوعبه .

وثمة حقيقة أخرى تظهر بوضوح مدى التفكير البعيد الذى سبقنا الجماعة إليه قبل مئات السنين ، فقد حدث أنه بعد أن ألفت الرسائل أرسلت سرا وبواسطة مبعوثيهم إلى بعض المدن الاسلامية . وفى وقت وفى ساعة متفق عليهما ظهرت هذه الرسائل فى مساجد هذه البلاد المهمة وأمكن الاطلاع على ما فيها . وقد يكون هذا جائزا فى عصرنا الحالى ، عصر السرعة ، حيث يقوم التليفون واللاسلكى والطائرة . أما يوم كانت واسطة الانتقال الوحيدة الدابة والجمل فانه أمر يدعو إلى الدهشة وإلى إعمال الفكر ... وهكذا سبقنا اخوان الصفا إلى كثير مما عمدنا إليه اليوم ، وهكذا سبقونا فى الفكرة ثم فى كيفية التنفيذ .

حسين الهمداني

أيأمر ظل الله فى أرضه بما نهى الله عنه والنبى المبجل

وترى الرصافى هنا يعيد هذه الثورة :

أيكون ظل الله تارك حكمه النصوص فى آى الكتاب المنزل ؟
أم هل يكون خليفة لرسوله من حاد عن سنن النبى المرسل

وقصيدة عنوانها « آل السلطنة » وقد نظمها على أثر المرسوم الذى صدر بزيادة رواتب البيت المالك ومن يمت إليهم بالمصاهرة والقرابة فى الوقت الذى كانت تركيا تعانى فيه نقصا فى الخزانة ومن هذه القصيدة :

هم يمدون بالمئات ذكورا وإناثا لهم قصور مشاله

أما حياة هؤلاء فإنهم :

يأكلون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله

وهم فى حياتهم هذه قد :

حملونا من عيشهم كل عبء ثم زادوا أصهارهم والكلاله

وهذه الحالة التى تدعو إلى الألم :

هى منهم دناءة وشنار وهى منا حماقة وضلاله

وقصيدة عنوانها « تنبيه النيام » وهى لا تقل ثورة وسخطا عن القصائد التى مرت :

عجبت لقوم يخضعون لدولة يسوسهم بالموبقات عميدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها وأموالها منهم ومنهم جنودها

ولا نريد أن نطيل الأخذ من قصائد الرصافى أيام الاستبداد العثمانى فهى كثيرة وكلها على وتيرة واحدة فى الحث على النهوض وتحطيم الأصفاد وأغلال العبودية ، وفى وصف الظلم الذى كان يقع على العراق وغير العراق من الخلفاء العثمانيين وولاتهم .

والآن ننتقل إلى المرحلة الثانية من شعره السياسى وهى مرحلة الدستور . وسنجد الرصافى فى هذه المرحلة باسم الثغر مطمئن النفس ، هادىء الأعصاب لا جموح ولا ثورة ، ولا سخط ولا تذمر لانه استقبل عهدا جديدا كان يتمناه الأحرار ويعملون من أجله فجاءت الأمنية ناضجة دانية القطوف .

ونحب أن نجتزىء من شعره فى هذه المناسبة بما يسمح به البحث وما يكفى فى مجال الشاهد . قال فى قصيدة عنوانها (بعد الدستور) :

سقتنا المعالى من سلافتها صرفا وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا
وزفت لنا الدستور أحرار جيشنا فأهلا بما زفت وشكرا لمن زفا
ولاحت لنا حرية العيش عندما أماطت لنا الأحرار عن وجهها سجفا

وهى قصيدة طويلة يتعرض بها لكامل باشا الصدر الأعظم الذى لم يعط هذه الصدارة حقها واختص بالحكم أنصاره ومعاونيه ونسى البلاد وأهلها حتى أغضب الدستور والأمة فثارت عليه .

نحا أن يتم الدست فيها لحزبه علينا وظن الأمر فيما نحا يخفى
لقد أغضب الدستور فعلا ونية
ومن أعلنوا الدستور والشعب والصحفا

ثم يخاطب الصدر الجديد ومجلس النواب ويذكره بالعراق وما يجرى به :

فيا أيها الصدر الجديد اتعظ به فإياك أن تطغى وأن تثنى المعطفا
ويا مجلس النواب سر غير عاثر إلى المجد لا تلقى كلا لا ولا ضعفا
ولا تنس مغبر العراق وأهله فإن البلاء الجم من حوله احتفا

وقصيدة أخرى عنوانها « تموز الحرية » وتموز هو شهر يوليه وفيه كانت عودة الدستور :

إذا انقضى « مارت » فاكسر خلفه الكوزا
واحفل بتموز إن أدركت تموزا

أكرم بتموز شهرا ان عاشره قد كان للشرق إكراما وتعزيزا
شهر به الناس قد أضحت محررة
من رق من كان يقفو إثر جنكيزا

ومن المصادفات الجميلة ان شهر تموز كان فيه انتصار الفرنسيين على الحكومة وهدمهم سجن الباستيل ، فالرصافى يتحدث عن هذه المصادفة ويقارن بين انتصار الفرنسيين الثوار وبين انتصار الأحرار الدستوريين فى تركيا :

سل أهل (باريز) عن تموز تلق لهم
يوما به كان مشهودا لباريزا
كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم
بسالة هدت الباستيل مبزوزا
وان تموز شهر قام فيه لنا
على البقاع لواء العز مركوزا
فى شهر تموز صادفنا لما وعدت
بيض الصوارم بالدستور تنجيزا

هى المساواة عمتنا فما تركت
فضلا لبعض على بعض وتمييزا

ويستمر الرصافى على هذا النسق فى مدح تموز حتى يتمنى ان ينظم النجوم ويخطها بأقلام من الماس ومداد من الذهب على الأفق الرحيب مدحا لهذا الشهر المبارك .

وقصيدة « المجلس العمومى » وفيها يشير إلى مجلس النواب التركى الذى كان انعقاده نتيجة للدستور :

ياشراق بشرك أبدى شمسك الفلك — وزال عنك وعن آفاقك الحلك
أضحى بك القوم أحرارا فاعتصموا — من النجاة بحبل ليس ينبتك

والقصيدة طويلة يدعو فيها الشاعر إلى نشر العلم والتعليم وتشييد المدارس لأن كل مدرسة تهدم سجنا ان اسسدوا فى الأرض أو فتكوا .

ولا نستطيع بهذه المناسبة أن نغفل الاشارة إلى قصيدته : « وقفة عند قصر يلدز » وقد نظمها بعد خلع السلطان عبد الحميد ونفيه إلى سلانيك . وهنا يظهر الشاعر كل ما فى نفسه من حنق وغيظ ازاء هذه القصر الذى شهد كثيرا من مصارع الأحرار كما شهد أقصى درجات البذخ والترف :

لمن القصر لايجيب سؤالى — آهلات ربوعه أم خوالى ؟
مشمخر البناء حيث تراءى — باليا مجده بلى الاطلال
لم تصبه زلازل الأرض لكن — قد رمته السماء بالزلزال

ثم يخاطب القصر :

قصر عبد الحميد أنت ولكن — أين ياقصر أين عرش الجلال
أين خاقانك الذى كان يدعى — قاسم الرزق باعث الآجال

ويشير إلى فترة الثلاثين سنة التى مرت بين إلغاء الدستور وعودته :

قد تخوننتنا ثلاثين عاما — جئت فيها لنا بكل محال
تلك أعوام رفعة للأدانى — تلك أعوام حطة للأعالى

وبعد وقفة طويلة إلى جانب القصر يودعه بمثل ما حياه :

فابق ياقصر عانس الوجه كيما — ينهض العدل ناشطا عن عقال
إنما نحن أمة تدرأ الضيم — وتأبى أن تستكين لوالى

ويلاحظ أن الرصافى حين يتحدث بضمير المتكلمين فى كل قصائده مما يدل على أن ميله للدستوريين وانحيازه إلى جانبهم لم يكن فى حدود الشعور والتفكير فحسب وإنما كان فى مجال العمل والسعى أيضا .

هذه نماذج استعرضناها شاهدا على موقف الرصافى من الدستور وهى جزء مما نظمه فى هذه المناسبة وقد دلت على ميله الشديد إلى الدستوريين وتأييده لمواقفهم .

هذا الشاعر الذى ثار على الاستبداد غير هياب ولا وجل وحمل معول الشعر يهدم به صرح عبد الحميد مع الهادمين حتى استتب الأمر وأعلن الدستور فاستبشر به وفرح وغنى ومجد وجدناه إلى جانب ذلك يمدح الأتراك ويتقرب إلى بعض ولاتهم ، وهذه هى النقطة الثالثة التى نحب أن نشير إليها عند الرصافى وندرسها على ضوء شعره لنرى إلى أى حد كان يميل إلى العثمانيين وفى أى نطاق كان يمدح من يمدحه منهم . والذى نحب الإشارة إليه أن المدح الذى نقصده هنا لا يعنى شعره فى عودة الدستور الذى كان يستلزم أن يمدح به أنصار الدستور من الأتراك أنفسهم وإنما يعنى المدح الذى قاله فى غير هذه المناسبة حتى نستطيع أن نعد هذا الشعر مرحلة قائمة بذاتها ولونا يتميز عن الألوان الأخر .

للرصافى فى مدح الأتراك قصائد نظمت فى مناسبات خاصة كانت تستدعى الشاعر أن يستجيب لها ولم يكن فى هذه القصائد كما يبدو — مدفوعا بدافع الطمع أو الزلفى ولا مأخوذا بالمدح المجرد بل اتفق أن جدت بعض الحوادث التى هزت إحساس الشاعر وأهابت به إلى أن ينظم فيها . ومن هذه القصائد قصيدة فى مدح « حازم بك » والى بغداد وعنوانها « السد فى بغداد » وكانت مناسبتها انكسار أحد السدود وتسرب المياه إلى بغداد وقد بذل هذا الوالى أقصى ما تستطيع لدرء الخطر عن المدينة ولم نجد فى فى القصيدة إلا وصفا للسد وحوادث الغرق التى نجمت عن انكساره ؛ وفيها بعض الأبيات التى تشير إلى ما بذل الوالى من جهد يستحق التنويه به . وليس فى القصيدة أى مدح للدولة العثمانية .

وقصيدة عنوانها « عند سياحة السلطان » نظمها فى مدح السلطان رشاد عندما ساح فى بلاد الألبان ومقدونية ابان الفتن التى كانت تشملها الأقطار البلقانية وكان للعرب نصيب كبير فى اخماد تلك الفتن فكان أن تعرض الشاعر لهذا الحادث ومجد العرب ومواقفهم :

امابنو العرب فالاخلاص يرفعهم إلى مقام على الاقوام ممتاز
إذ هم عماد لعرش أنت ماسكه فاضرب بنات العدا منهم بأبواز

ولم يكن الشاعر ليمدح السلطان إلا لأنه كان متمسكا بالدستور :

ماذا على ملك الدستور من وطن لو جال منه بأطراف وأجواز

فالقصيدة إذن مستوحاة من العقيدة الدينية والعاطفة القومية والمبدأ الدستورى وهذه المنابع الثلاثة تكفى لأن يبرر موقف الشاعر هنا .

وقصيدة عنوانها « الوطن والجهاد » قالهـا عندما دخلت الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الكبرى وقد دعا فيها العرب والمسلمين إلى الجهاد وقد شاركه فى هذه كثير من الشعراء آنذاك ، ولا لوم على الشاعر فى هذه الصرخة ما دام المهاجمون هم الأمم نج وما دامت البلاد المغزوة هى بلاد المسلمين ، وما دام الحكم التركى دستوريا :

ياقوم إن العدا قد هاجموا الوطنا
فانضوا الصوارم واحموا الاهل والسكنا
ان لم تموتوا كراما فى مواطنكم
متم أذلاء فيها ميتة الجبنا
لاعذر للمسلمين اليوم إن وهنوا
فى هوشة ذل فيها كل من وهنا

ويندد بموقف السلطان حسين كامل ووزيره حسين رشدى باشا فى مصر لأنهما شايعا الأنجليز فى هذه الحرب ولم يساعدا الحكومة العثمانية فى حربها مع الأعداء :

قل للحسينين فى مصر رويدكما قد خنتما الله والإسلام والوطنا
شايعتما الأنجليز اليوم عن سنه فالله ما كان هذا منكما حسنا

كما ندد حافظ بثورة الهاشميين على الأتراك بتأييد الأنجليز .

وقصيدة عنوانها (نواح دجلة) وقد نظمها جوابا على عتاب الشاعر التركى سليمان نظيف وكان هذا الشاعر قد نظم قصيدة يعاتب بهـا بغداد على أثر سقوطها بيد الأنجليز فأجابه الرصافى عليها ، وقصيدة الرصافى هذه على ما بها من مدح للعثمانيين يبررها كونها مجاملة شاعر لصديقه وكونها نظمت بعد احتلال الأنجليز الذين لم يستقبلهم الشاعر — كأى شاعر آخر — إلا كما يستقبل أى فاتح مستعمر . ويظهر شاعرنا فى هذه القصيدة بمظهر الوفى الحافظ على العهود فدجله بعد العثمانيين قد أصبحت نهبة للعدو الجديد فلا مساؤها مساء ولا صباحها صباح وأنها تتمنى لو بقيتها أولئك الذين ألبسوها تاجا من مخارم ووشحوها براية الهلال :

كيف يغضون عن إغاثة واد زانه من ودادهم أوضاح
فعليه من نخر عثمان تاج وله راية الهلال وشاح

ومع هذا فإن الرصافى لم يترك عاطفة الوفاء تتغلب على نزعته الواقعية التى كانت تهاجم الأتراك وتثور على سياستهم بين حين وآخر ؛ فهذا نهر دجلة يتحدث على لسان الشاعر قائلا :

أنا باق على الوفاء وان كان بقلبى ممن أحب جراح
فاليهم ومنهم اليوم أشكو بلغيهم شكايتى بارياح

وإذا كان لابد أن نقف لحظة مع المتندرين بمواقف الرصافى إلى جانب الأتراك فإنما نقف معهم فى قصيدته يمدح بهـا « مصطفى كمال » عندما أنتصر على اليونان سنة ١٩٢٣ م أى فى الوقت الذى كان يعيش فيه الرصافى تحت ظل الحكم الوطنى فى العراق وليست مآخذنا على الشاعر أن يمدح مصطفى كمال وهو محرر تركيا من استبداد السلاطين ، ولا أن يمدحه فى هذا الوقت والعراق ينتقل من استعمار إلى آخر وإنما نأخذ عليه اندفاع العاطفة فى أقصى أشواطها إلى تهجين اليونان ونكران تاريخهم القديم وفضلهم على العقل البشرى فيقول :

هم اليونان الأم كل قوم واخوف فى الوغى من فرخ قبج
أرق سجية منهم وأرق حمير الوحش سارحة بمرج
فلا تغررك أوجههم بياضا فان طباعهم كطباع زنج

وقد يكون عذر الشاعر أن هؤلاء الذين حاربهم مصطفى كمال هم من أوشاب اليونان .

هذا هو الرصافى فى مواقفه السياسية ؛ وهذا هو الرصافى الشاعر العاطفى كما عرفناه فى حدود العاطفة التى لا تخضع لمقياس ولا تسير فى خط واحد بل هى كصفحة الغدير تتموج فى موكب النسيم وتثور فى هبوب العاصفة وتهدأ حين تصفو الاجواء . ولو أننا درسنا الرصافى فى نطاق المتزمتين والسطحيين لأخرجنا الشعر عن طبيعته والشاعر عن مكانته ، وليس هذا من النقد النزيه فى شىء ولا من حق الشاعر فى مكان .

ابراهيم الوائلى

هذا الخـــط المستقيم

الذي يفصل بين شقي الوادي

للاستاذ محمد صبحي الحكيم

إنه لما يلفت النظر لأول وهلة لمن يطلع على خريطة سياسية للقارة الافريقية تلك الخطوط المستقيمة الحمراء التي اعتبرت وما زالت تعتبر حدوداً سياسية . وخاصة ذلك الخط الذي يفصل بين شطري وادي النيل ، مصره وسودانه .

وليس الغريب هنا أن يقسم وادي النيل بواسطة خط مستقيم فحسب ، ولكن الأغرب من هذا اعتبار الأراضي الواقعة جنوبي هذا الخط قطراً له كيانه الدولي . وقد يعجب القارىء إذا عرف أن كلمة « السودان » لم تكن تعني حتى آخر القرن الماضي ذلك الجزء من وادي النيل المعروف بذلك الإسم في الوقت الحاضر ؛ ولكن تلك الكلمة كانت أعم وأشمل وقد كانت تطلق على جزء كبير من قارة افريقيا يمتد من البحر الأحمر في الشرق حتى المحيط الأطلسي في الغرب ، وينضوي تحت تلك التسمية مايطلق عليه الآن افريقيه الغربية الفرنسية والتي ما زال يطلق عليها في الأوساط العلمية السودان الغربي .

وقد نص في اتفاقية سنة ١٨٩٩ على ما يدعم كلامنا هذا ؛ فقد جاء في المادة الأولى منها ما يأتي :

« تطلق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الأراضي الكائنة إلى جنوبي الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض »

وهكذا أنشأ الوفاق حدوداً صناعية من الطراز الأول بين الشمال والجنوب . وليس أدل على « صناعيتها » من أنها قد حددت بأحد خطوط العرض في الكرة الأرضية

ثم أصدر قرار بجعل نهاية الحدود بين مصر والسودان خطا يمتد غربي النيل على مسافة مائتي متر شمالي البربة الكائنة بناحية فرس ، وشرقي النيل إلى البربة الكائنة بناحيه أدندان .

وكأن نهر النيل قد أبى أن يقطعه خط صناعي مستقيم فكان هذا التجويف في الحدود الذي يدخل حلفا داخـــل السودان ويخرجها من الأراضي المصرية ، وكأن سكان وادي حلفا « سودانيون » ومن يسكنون شماليها « مصريون » .

وسواء كان هذا التجويف أو لم يكن . فقد فصلت تلك الحدود بين جماعات ترتبط بروابط الدم واللغة والدين وهي الجماعات النوبية التي تسكن الجزء من وادي النيل الممتد من أسوان في الشمال حتى بلدة الدبة في الجنوب . ففي الشمال — داخل الحدود المصرية — بين أسوان وبلدة المضيق يعيش الكنوز الذين يبلغ عددهم ٤٣٠٠٠ نسمة . ثم يحتل الفضيكية القرى الواقعة بين كرسكو ووادي حلفا ويقدر عددهم بنحو الثلاثين ألفا . وإلى الجنوب منهم يمتد وطن السكوت والمحس من وادي حلفا حتى قرب دنقلة ؛ وهؤلاء كثيرا ما ينتقلون إلى مصر طلبا للرزق ، ثم يليهم الدناقلة الذين يسكنون جنوبهم حتى بلدة الدبة .

واخواننا النوبيون وإن كان المستعمر قد فرق بينهم بواسطة « خطه المستقيم » إلا أن لغتهم تربط بين جماعاتهم المختلفة كما تربط بينهم كذلك وحدة الدين ، فقد كان النوبيون أيام الفراعنة يدينون بالدين المصري القديم ؛ وفي أيام المسيحية بمصر دخلت الديانة المسيحية بلادهم . ولما دخل العرب مصر ظلت بلاد النوبة برمتها بعيدة عن التأثير العربي الإسلامي وتأسست بالنوبة دولة مسيحية بقيت مدة طويلة مستقلة عن البلاد المصرية إلى أن اعتنق أهلها آخر الأمر الدين الاسلامي ، وإن كانت اللغة العربية لم تجد الطريق أمامها سهلا ممهدا في بلاد النوبة ، فقد ظل النوبيون حتى الوقت الحاضر محتفظين بلغتهم النوبية المتعددة اللهجات

وليت الأمر قاصر على أن فصل هذا الخط بين النوبيين ، ولكنه فصل كذلك بين جماعات البشاريين التي تسكن الصحراء الشرقية وتمتد شمالا حتى بلدة دراو وتعيش شعبة منهم شرق أسوان . وقد فرق (هذا الخط المستقيم) بين بطونهم دون مبرر ، وفكك وحدتهم دون داع ، وخلق المشاكل بينهم بسبب تقسيم الآبار ومناطق الرعي التي تعودوا أن يستفيدوا منها فائدة مشتركة ، وجرى العرف بينهم على أن تكون مصادر الماء وأماكن الرعي ملكا مشاعاً للجميع .

وكأن الطبيعة قد أبت مرة أخرى أن يظل هذا الخط مستقيما ، ولكن المستعمر حار في أمر هذه القبائل فأبقى على الخط المستقيم

(سياسيا) واختلق حداً آخر إلى جانب الحد السياسى، أو بالأحرى اختلق نوعا آخر من الحدود لم تعرفه دولة من دول العالم قبل ذلك، وهو الحدود الادارية، وهو خط منكسر يتجه قليلا فى جنوب الحدود السياسية ثم ينحرف كثيرا فى شمالها حتى يصل إلى البحر الأحمر، والغرض منه ضمان توحيد الادارة فى أرض القبيلة الواحدة، إما تحت اشراف حكومة السودان وأما ضمن الادارة المصرية فى الصحراء الشرقية، واقامة نوعين من الحدود فى هذا الجزء ان دل على شىء فانما يدل على أن الحدود القائمة غير طبيعية، أو بمعنى آخر أن الطبيعة وهذا الاقليم لا تيسر الاصطلاح على حدود فاصلة من النوع المعروف الذى تتمشى فيه مقتضيات السيادة القومية مع الضروريات الادارية المحلية.

ولعل من الطريف أن نلحظ أن مساحة المنطقة التى سلخت من الادارة المصرية وأضيفت إلى ادارة حكومة السودان تبلغ أكثر من تسعة أمثال مساحة ما أضيف إلى الادارة المصرية من أراضى السودان، ومع أن هذا الأمر قد لايكون ذا خطر كبير أو صغير من وجهة النظر المصرية السودانية إلا أن المصورات والخرائط الجغرافية التى تطبع حديثا فى بريطانيا بل التى تقوم بطبعها حكومة السودان ذاتها كثيرا ما تغفل أمر الحدود السياسية ولا تثبت إلا الحدود الادارية؛ ومع ذلك فان المنطقة التى سلخت من مصر غنية بنباتها، وهناك احتمال أن تكون غنية أيضا ببعض المعادن، فهى قرب البحر الأحمر ويوجد بها جبل علبة وغيره من المرتفعات، فاذا اكتشف بها بعض المعادن كانت مواقعها ومناجمها تابعة للسيادة المصرية من جهة، وخاضعة للادارة (الثنائية) من جهة أخرى، وفى ذلك مافيه. وإن كان المستعمر قد حاول أن يتجنب المنازعات بين القبائل والبطون على مياه مراعيهم فهو قد فرق بهذه الخطوط المتداخلة بين جماعات تجرى فيها دماء واحدة وهى الدماء الحامية، وتتكلم لغة واحدة هى اللغة التبداوية. هذا مع ملاحظة أن جماعات البشاريين انما هى وحدة ترتبط بباقى قبائل البجاه الأخرى التى تسكن فى مصر الصحراء الشرقية بأكملها ويعيشون فى السودان الشرقى حتى الحدود الفاصلة بين السودان والحبشة من ناحية وبين السودان وارتيريا من ناحية أخرى.

وهكذا يتضح جليا أن المستعمر قد تجاهل كل تلك الحقائق فى سبيل تحقيق أغراضه ومراميه، وأخيرا قد تجاهل كذلك التاريخ. ولسنا بصدد اثبات تلك الوحدة بين شقى الوادى منذ أقدم العصور ولكن يكفى أن نذكر أن مصر والسودان - منذ أن فتح السلطان سليم الأول جنوب وادى النيل أول مرة عام ١٥٣٠م ووصلت جيوشه إلى الشلال الثالث، حتى وضع الانجليز أقدامهم فى السودان، كانت مصر والسودان خلال تلك الفترة الطويلة قطرا واحدا لا تفصل بين شطريه حدود، تديره حكومة واحدة، ويخضع لسيادة واحدة، ويذود عن اقليمه جيش واحد وتسرى فى شطريه قوانين واحدة وتشرف على تنفيذها سلطة واحدة ويستمتع فيه سكان الجنوب وسكان الشمال بحقوق واحدة. ويلتزمون بواجبات وتبعات واحدة

حقق الله هذه الوحدة المباركة حتى نمسح (هذا الخط المستقيم) من خرائطنا، ويمسحونه من خرائطهم.

محمد صبحى عبد الحكيم
ليسانيه فى الآداب

الشعر المصرى فى مائة عام :

على الليثى

للاستاذ محمد سيد كيلانى

١٨٢٢ — ١٨٩٦

— ٢ —

فى هذه الأبيات يعبر الشاعر عن إحساس داخلى مفعم بالحزن، ويترجم عن شعور صادق فياض بالأسى على ما حاق بالوطن من النكبات الجسام ، ويتحسر على أيام الرخاء والصفاء. ويندب صريع الحظ والأنس الذى أقفر . ولا شك فى أننا نرى مظاهر الحسرة والألم بادية بوضوح فى قوله :

كان إقليمنا رياض صفاء   فيه للواردين أعذب منهل

بساطة فى التعبير ولكن لا تكلف ولا تصنع .

وقال :

من رآه يقول توفيق مصر   أبصر الناس بالأمور وأعدل

قد أمنا الزمان فيه وغنا   آمنين الخطوب لا نتململ

وهنا يذكر فترة الرخاء القصيرة التى أشرقت على البلاد قبيل جنوح الحركة العرابية إلى الطيش الذى أضر بالأمة المصرية ضرراً بليغاً . وعبارة البيت الثانى ضعيفة ، ذلك لأنه قال « أمنا الزمان » ثم قال « وغنا آمنين الخطوب » والجملتان بمعنى واحد .

وقال :

تتهادى فى ظل أسمى مليك   من سجاياه كل خير يؤمل

فسرت أعين الحوادث فينا   فاطرحنا الوقار والأمر أعضل

البيت الأول تافه المعنى . وفى البيت الثانى انتقل إلى الاعتذار فزعم أن الدهر قد حسد المصريين فتركوا ما طبعوا عليه من الهدوء والسكينة . وفى تعبيره بضمير المتكلم فى قوله «فاطرحنا» اعتراف صريح منه باشتراكه مع العرابيين فى حركتهم . ويظهر فى البيتين شعور الحزن والندم . ورد الحركة العرابية إلى حسد الدهر أمر لطيف واعتذار جميل وقال :

ورأى غرنا من الحلم أمراً   غره فابتغى الذى لا يحصل

وإذا المرء كان بالوهم يبنى   لخيال الظنون ماقد تمثل

ويح قوم سموا لإدراك أمر   دون إدراكه الجبال تزلزل

والغر هو عرابى الذى أظهر جهلا عظيما وقصر نظر فى الشؤون السياسية . ومعنى البيت تافه . والبيت الثانى جيد المعنى أراد أن يجريه مجرى الحكم . أما معنى البيت الثالث فقد ورد فى البيت الأول .

وقال :

ما أصروا عليه إلا أضروا   بأناس من نابه ومغفل

ذاك يسعى على التقية خوفا   وسواه يسعى لسكيما يجمل

لو أصابوا الرشاد عند ابتداء   كانت الغاية الجميلة أمثل

ذكر فى البيت الأول أن العرابيين بإصرارهم على خطتهم قد ألحقوا الضرر بالناس أجمعين . وفى البيت جناس بين « أصروا » و « أضروا » وطباق بين « نابه » و « مغفل » . وفى البيت الثانى يذكر أن الذين انضموا إلى العرابيين كان منهم المتطوعون المؤمنون بما يدعو إليه عرابى وزملاؤه . ومنهم المكرهون الذين أرغموا على تأييد تلك فشايعوها رهبة لا رغبة . ومعنى هذا البيت مأخوذ من الواقع لا من الخيال .

وفى البيت الثالث يقول لو أن العرابيين منذ بداية أمرهم وفقوا إلى الصواب لحمدت العاقبة . وهو فى هذا يستمد من الواقع ويستوحى القول من الحقيقة المرة التى صدمت الأمة . وفى البيت الأخير نرى روحاً وطنياً سامياً . إذ نظر الشاعر إلى هزيمة العرابيين أمام الانجليز على أنها معرة لحقت بالأمة فى حين أن المشايعين للخديو والراغبين فى التزلف إليه اعتبروا هزيمة الجيش المصرى من نصر الله الذى جاءهم والفتح ، وراحوا يتغنون بفوز الانجليز وبنجاح أسطولهم وجيشهم فى القضاء على العرابيين .

ثم قال :

آه من رقدة الحلوم ودهر   أيقظتنا صروفه إذ تبدل

كانت الناس فى ظلال نعيم   تجتنى من ثمار غصن تهدل

مالنا لم نقم بجد وندعو   من عدا للهدى وننصح من ضل

مالنا كلنا سوى القل منا   قد سلكنا سبيل غاو مضلل

قد تساوى الغبى والمتغابى   وعليم من جاهل صار أجهل

هـذه أبيات مؤثرة لأنها صادرة من أعماق الفؤاد فيها تأوه وتوجع وتحسر وتفجع وبكاء على ما أصاب الوطن وأهله . ويلوم الليثي العقلاء من المصريين لأنهم لم يسعوا في إزالة الشقة التي فصلت بين الخديو والعرابيين والتي كانت نتيجتها الوبال والخسران . وهو من غير شك صادق في شعوره، مخلص الإخلاص كله فيما يتحدث به . وفي هـذه الأبيات يعترف الشاعر بأن المصريين — سوى أقلية منهم — قد انخرطوا في سلك العرابيين وهو محق فيما يقول :

ثم قال :

قد جبنا وصاحب الجبن جان   وهو بالطبع في الأنام مرذل

لو رزقنا السداد لانسد باب   وحقنا دماء قوم تحلل

كان يا قومنا الذباب مصانا   فسقينا به الثرى إذ تهيل

كم غرسنا جماجماً وجسوما   وجنينا الأسى بزلة من زل

من يقرأ هذه الأبيات ولا يذكر الدماء العزيزة التي تلطخت بها أرض الأسكندرية والمحسمة والقصاصين والتل الكبير ؟ أجل لقد بكى الليثي بكاء الوطني على هذه الدماء التي سفكت والأرواح التي أزهقت . وناح على الأبرياء الذين قتلوا وخلفوا الأسى والحزن

وقال :

يا ترى من يقوم عنا بعذر   إذ أطمنا النواة في كل محفل

حيث حدنا عن المليك وخفنا   سطوة من عداه والقطر مقبل

حيث لا يرفع البريد شكاة   وسلوك السلوك صار معطل

حيرة أدهشت أولى اللب حتى   ما اهتدى للصواب منهم مجل

ذاك سر القضا وليس عجيباً   أن يحار الأريب فيه فيذهل

في هذه الأبيات اعترف الليثي بأنه أطاع العرابيين ومالأهم . وعذره في ذلك الخوف وعجزه عن إيصال شكواه إلى الخديو لانقطاع الأسلاك البرقية بين مصر والاسكندرية ، وتعطل البريد . وهذا ليس بعذر. فقد كان في استطاعته أن يلحق بالخديو كما لحق غيره . وكان في قدرته أن ينزوي في ضيعته متمارضاً كما فعل بعض الناس . وهو دون ريب متكلف في هذه الأبيات يقول غير الواقع ويحاول أن يخلق لنفسه عذراً يبرر به مسلكه . وأخـيراً أحال الأمر على القضاء والقدر ، وعزا اندفاعه في تأييد العرابيين إلى سر خفي من الأسرار الإلهية . وماذا كان قائلا غير هذا ؟ أجل ! لم يجد الرجل أمامه غير ما تقدم .

وقال :

غير أنا لما أفقنا أرقنا   من شؤون العيون دمعاً تسلسل

وبسطنا اللسان في ذم قوم   إن ذكرناهم ننغص ونخجل

ومددنا أكف ذل لمولى   شأنه البر كم علينا تطول

آل مصر بغيره لا تلوذوا   إذ هو الملجأ الملاذ لمن ذل

يا عظيم الجناب يا خير ملك   سعده قد أباد من قد تقول

في هـذه الأبيات يذكر الليثي أنه لما انتهت الأمور بهزيمة العرابيين أفاق من أحلامه واصطدم بالواقع فبكى ندماً على ما فرط منه . وأخذ يلعن زعماء الحركة العرابية لما جنوه على أنفسهم وعلى مواطنيهم بجهلهم وقصر نظرهم ورعونتهم وطيشهم والليثي في قوله «وبسطنا اللسان ... الخ» يصور المصريين وقد تنكروا لتلك الحركة وشرعوا يتقربون من الخديو بالقدح في زعمائها. وفي البيت التالي تصوير لبعض من اتهموا بموالاة العرابيين وقد هرعوا إلى ساحة الخديو طالبين العفو والصفح . ثم انتقل بعد ذلك إلى مدح الخديو فخاطب المصريين وحثهم على أن يلوذوا بجانب الخديو إذ هو خير ملاذ وأطيب ملجأ . وما أظن الليثي قصد مخاطبة المصريين الذين تسابقوا من تلقاء أنفسهم إلى ساحة الخديو رغبة أو رهبة. إنما أراد أن يظفر بالعفو فنهج نهجاً فيه إغراء للخديو بتحقيق أمنيته التي يصبو إليها . وذلك بتقريره أن الخديو هو الملجأ والملاذ لمن ذل . فهذا التقرير فيه حث وإغراء . وفي البيت الأخير يخاطب الخديو ويمدحه ويقول إن حظه الحسن قد أعان في القضاء على من شق عصا الطاعة من العرابيين. ومن الطبيعي أن يذكر الشاعر شيئاً كهذا في ذلك المقام .

وقال :

من بغى والوغى أثار تحكم   في طلاه الحسام فالسيف فيصل

واجعل العدل عادل الرمح فيهم   نافذاً قدر ما يعل وينهل

واسقهم كالذي سقيناه إنا   قد شربنا من بعد بعدك حنظل

كان الخديو توفيق يرتاح لمثل هذه الأبيات . ولذلك أكثر الشعراء من تحريضه على قتل زعماء الحركة العرابية، وإهدار دمائهم . ولو ترك له الأمر لتردد في قتلهم . وقد جاء الليثي إلى الخديو من الناحية

التي وتاح إليها، وضرب على الوتر الذي يسره . وذلك لا حقداً منه على هؤلاء الزعماء بل استرضاء للخديو واستدرار العطفه وهو لم ير في ذلك بأساً فمصير الزعماء كان قد تقرر . فتحريضه لا يقدم ولا يؤخر ، ولا يغير من هذا المصير . وعلاوة على ما تقدم فإن الليثي في هذه القصيدة لم يحزن على الزعماء ولم يبك على ما أصابهم إنما حزن وبكى على ما أصاب المصريين من الكوارث والخطوب التي دهمتهم من جراء قيام الحركة العرابية . أما قوله :

« واسقهم كالذي سقيناه ... الخ » فظاهر فيه الكذب . وأي حنظل هذا الذي سقيه ؟ وكان في استطاعته أن يستزل في ضيعته . وما قال هذا إلا ليصور للخديو أن يد العرابيين امتدت إليه بالأذى وأنه قاسى منهم الأهوال وشرب الحنظل ، فيرثي الخديو له ويعطف عليه ويقرب منه إكراماً له وتقديراً على ما أصابه من شر العرابيين .

وقال :

واغتفر ذلة لمن جر رغماً ... لبـــلاء ولا منيع يؤمل
كم مليك عفـا وأنت المفـدى ... فوقهم همـــة فلا تتعجـل
وامنح الناس من سجاياك عطفاً ... واجمل العفو موضع الشكر واعمل
لجدير بمجـد ذات الخـديوى ... كل فضل وليس للعـذر محمل

ذكر في البيت الأول أنه أرغم على الانضواء تحت لواء الحركة العرابية . ثم أخذ بعد ذلك يلتمس العفو بعبارات في منتهى البساطة لا غلو فيها ولا مبالغة ، ولا إمعان في التذلل والخضوع . ثم قال :

فابق واستبق من رعاياك قوماً ... أملوا العفو من حيـاك المسبل
إن تدقق تدق أعناق ألف ... بل مئين من الألوف تقتـل
والرعايا تضيع بين عدو ... وولى له الفخار المؤثل

هكذا ختم الليثي قصيدته هذه ، مستمداً ختامه من الواقع . فالذين اشتركوا في الحركة العرابية كثيرون أو كما قال :

مالنا كلنا سـوى القل منا ... قد سلكنا سبيل غاو مضلل

فلو أن الخديو تشدد لقضى على حياة مئات الألوف . وقد أجاد في الجمع بين بقاء الخديو واستبقائه لقوم من رعاياه أملوا عفوه . ووفق في استخدام كلمة «رعايا» في هـذا المقام . وكأنه أراد أن يقول إن الذين تعفو عنهم ليسوا بأجانب إنما هم وطنيون ومن رعاهم . فإذا لم يستثمر الخديو الحلم هتكت الرعية . وكيف يبقى الراعي بغير رعية ؟ وكل هذا إغراء للخديو على ترك الغلو والمبالغة في معاقبة من انضموا تحت لواء عرابي

***

هذه القصيدة وإن كانت ضعيفة الأسلوب ، واهية المهارة إلا أنها خير ما نظم الليثي . ذلك لأنه لم يكن فيها متكلفاً ولا متصنعاً . إنما كان معبراً عن إحساس داخلي وشعور كامن في نفسه . وإذا قارنت هذه القصيدة بقصيدة عبد الله فكري التي نظمها في هذا الصدد لأدركت الفرق بين الرجلين فالليثي بدا في هذه القصيدة وطنياً مخلصاً . بكى على ما أصاب الوطن ، وناح وتألم وتوجع وتحسر ، وذكر الضحايا والشهداء وقرر أن هزيمة الجيش المصري مصرة كبرى لحقت بالأمة أما عبد الله فكري فقد بكى على نفسه وشرع يستدر عطف الخديو بعبارات الشحاذين . ومثال ذلك قوله :

أيجمل في دين المروءة أنني ... أكابد في أيامك البؤس والعسرا

وقوله :

وحسبي ما قدمت من ضنك أشهر ... تجرعت فيها الصبر أطعمه مرا

(الكلام صلة) **محمد سيد كيلاني**

مصر بين التكتل والحياد [1]

للأستاذ ثروت أباظه

« ياعم واحنا مالنا » تعبير بطلة؟ قوم منا ، يحافظون على جهده وماسهم الجهد ، يكفي الفرد منهم أن يلقي إلى داره نظرة وإلى جيبه أخرى حتى إذا اطمأن إلى قوت يومه ورأى قوت الغد على بعد يحتاج منه إلى أيسر محاولة لوى عنه عنقه وأغمض عينيه وأطلق القولة المستكينة « ياعم واحنا مالنا » .

ونحن اليوم نتساءل أنشارك في المعترك الدولي ونصير دولة تؤيد وجودها بالعمل إلى جانب الأمم أم نقبع ، في شمالنا الشرق من أفريقيا ننظر ، فإذا أعجبنا أمر استل كتابنا أقلامهم يمدحون، وإن غضبوا شحذوها ناقدين. نتساءل فيما لا نتساءل فيه إن كنا نريد العالم ليقول عن مصر إن شعارها الأوحد « ياعم واحنا مالنا » فنوما ، أو بقظة المتفرج لا يشارك بغير التصفيق أو السخط . . وإن شئنا من العالم نظرة ترفعنا إلى مستوى الأمم العاملة في الحياة ، المشاركة فيها بالسيف والثقافة : وإن شئنا أن نثبت للعالم أن جيوش الفراعنة ومحمد على هي هي جيوش الفاروق ، وأنها ليست — كما يظنون — جيوشاً حسبها من القتال السير في التوديع والاستقبال . . إن شئنا ذلك فهلم !

ويا أيها الشباب انى اعيذكم وأنتم بواكير الأمل أن تعودوا إلى الأمني أدرعاً مسترخية لينة، فإنها لا عفاها الله قتالة الحسن ، فتاكة الجمال، تبدو في اللامحة المشرقة وتقتل في السكرة المنتشية والا يناس البهيج . . ها هي ذي تشير إلينا نحن الشباب أن نهب خلفها مرددين إن مصر قوية بجيوشها ، عتيدة برجالها ، جبارة بعتادها.. كلام إن قلناه فارت منا الدماء وثارت فينا الوطنية بعاطفة حادة لا سبيل لنا عليها — حتى إذا اطلقنا فيها العقل وقيدنا منها الثائر وجدنا قولنا قولا لا برهان وراءه ، فإن أكبر الجيوش اليوم لا تستطيع مطلقا أن تعتمد على نفسها دون مؤازرة الغير .

إن ميزانية تركيا تقارب ميزانية مصر . وتركيا تنفق على جيشها نصف ميزانيتها، وهذه أكبر نسبة تنفقها دولة على جيشها ، وقد استطاعت تركيا بذلك أن تكون جيشا يقف مع أكبر جيوش العالم على قدم، ومع ذلك فتركيا تعترف أن جيوشها لا تستطيع إلا أن توقف العدو حتى يدركها المدد . . فهي في حاجة إلى مدد ، وهي في حاجة إلى سند ، وهي بذلك تعترف .

أيها السادة ، قال القدماء : إن الإنسان لا يستطيع أن يخرج من ملك ربه ، فإذا كان الإنسان هذا المخلوق الصغير لا يستطيع ذلك . فما ظنكم بالدولة ؟ هل يمكنها أن تخرج من ملك ربها ؟.. إننا إذا أعلنا هذا الحياد كنا كمن رأى معركة ثائرة تتقاذف فيها الكراسي وتتطاير الأطباق وتتلاحق الهراوات ، فجاء هو وجلس بين المتشاجرين ، وصاح بأعلى صوته أنا لا شأن لي بعراككم فلا تصلوا إلى بأذى ، ثم أغمض عينيه ، وأقفل أذنيه ، وأطبق شفتيه واطمأن . هكذا يكون حيادنا . . حياد يحول بيننا وبينه طبيعة الأمور وما جريات السياسة الدولية .

حيادا نريد ؟ فما هي الوسائل الواجبة علينا لذلك ؟ يجب علينا أن نعلن الدول الأخرى بموقفنا هذا ، وأصبح لزاماً عليهم أن يخضعوا للقانون الدولي فلا يعدوا إلينا عدوانا . . ولكن إذا اعتدت علينا واحدة من الكتلتين . . ماذا نفعل ؟ نعلم أنه خرق للقوانين واعتداء على الحرمات الآمنة، وانحطاط في المعاملات الدولية . . نعلم ذلك ولكن ماذا نفعل ؟ . . نرد العدو ونذود عن الحياض ، ونمنع الدمار . . ولكن . . وحدنا ! ! نستعين بالكتلة الأخرى .. لقد كنا محايدين .. سوف نقول لها إدفعي عن الحرمات الدولية .. دافعي عن الشرف الحربي .. أدركي السلام العالمي بالحرب المدمرة .. قد تجيب هذه الكتلة وان يكون الدافع لها واحدا من هذه الأسباب .. ستجيب ولكن لتقتضى الثمن . الثمن الذي ما نزال نبذله حتى اليوم ولم نوفه . . حربتنا ثمن حيادنا . . أي ثمن ! تجربة عرفناها . . أنعيدها ؟ الأمر لكم .

قد يرد على هذا بأن الأيام غير الأيام، وأن الذي حدث في الماضي لا يحدث اليوم، ولكن ألا ترون إلى موقفنا ونحن نلجأ إلى الدافع عنا كالطفل يمنع عن مساعدة صديقه حتى إذا تعثر صرخ إليه يستنجده فإذا أنجده فإنه لا يلبث ينفض عنه التراب ويسخر منه : (ألم أقل لك .. ألم أحذرك . أنظر الآن ماذا فعلت بنفسك) كرامة مبذولة .. وخزى كبير !

(1) القيت في المناظرة التي أقيمت حول هذا الموضوع بدار الحكمة في يوم ١٩ مارس

الأزهر فى مفترق الطرق

للاستاذ أحمد الشرباصى

من شرائط الوصول إلى الحق ، والتوفيق لكلمة الصدق ، القصد فى النقد ، والاعتدال فى الحكم ، والنزاهة فى الرأى ، والنأى من الاستجابة لعاطفة قوية أو غى جامح ! وكم من حقوق ضاعت بين الهوى المفرط والبغض المفرط ؛ وكم من صيحات إخلاص بعضها مخلص ضاعت فلم يستجب لها أهلوها بسبب ما اكتنفها من شدة أو إسراف ! . .

لقد فسحت « الرسالة » الزهراء صدرها الرحيب للأقلام الناشئة والقديمة على السواء لكى تصول وتجول فى الحديث عن الأزهر والأزهريين ، واشترك فى هذا الميدان الأزهرى الشاب والأزهرى العجوز والأزهرى الوسط ؛ وتلك عناية مشكورة تبديها الرسالة الغراء بالأزهر ، أو بمعنى أدق تعيدها ، فليست الرسالة بجديدة العهد والصلة بالأزهر ، فمنذ سنوات وسنوات وهى تهتبل الفرص والمناسبات لتذكر بخير أو تدعو الأزهريين إلى معروف ، فشكر الله لها ، وجزاها خيرا كفاء ما قدمت وتقدم

لكنى لاحظت على كثير ممن كتبوا أنهم غضبوا لنقص موجود أو عيب قائم أو حق مضيع ، فشرعوا رماحهم المسنونة ، بدل أن يشرعوا أقلامهم الرفيقة الرقيقة ؛ فشنوها حربا قاسية على الأزهر . والأسلوب إن حمدناه عند دواعى اليأس والرغبة فى إثارة الهمم واستنهاض العزائم ، فان نحمده حين يكون المقام مقام بحث عن حقيقة ، ووصول إلى فكرة ، وتحديد لهدف ، واتفاق على وجهة إصلاح ! ... وكيف يتأتى ذلك والأقلام المشبوبة قد صورت أن الأزهر قد خلا من معناه ، ومن رجاله الجدراء به ، ومن الكتاب الصالح فيه ، ومن المدرس الصالح له ، ومن الطالب المعتز به ، و .. ماذا بقى بعد هذا من الأزهر المسكين حتى يحكم عليه بالوجود ، أو بعدم الوجود ؟ .. لم يبق اللهم إلا هذه الأحجار المرصوصة التى نالت منها يد الزمان ما نالت ، ونالت منها يد المصلحين أو المبدلين ما نالت هى الأخرى ، وما أهون هذه الأحجار مجردة فى نظر الناس ونظر التاريخ ! . .

وهل حقيقة أفلس الأزهر كله من رسالته وجماعته وكتبه ومدرسيه ؟ .. فلنتريث فى الجواب حتى نعرف فصل الخطاب ! ..

لا جدال فى أن الأزهر الشريف كان قبل النهضة المعاصرة يغط فى سبات عميق ، وكان مقطوع الصلات بالحياة والأحياء ، وكان أشبه بالأثر الكريم العزيز على قومه ، لاينتفعون منه ولكنهم يبقون عليه إجلالا للماضى وهيبة من التبعة ورجاء للمستقبل .. ثم تنادى الغير المصلحون بوجوب إخراج الأزهر من عزلته فخرج بلاشك .. صدرت من أجله القوانين وغيرت النظم واستحدثت الوسائل وجددت الأشكال والمظاهر ، وحذفت كتب وجاءت كتب ، وطمعت طرق التدريس فيه بما طمعت .

وخدع الأزهر ببريق التجديد فانطلق فى سبيله عجلان لايتلبث ، وأسرف فى هذا التجديد بلا تحديد ، أو بلا تفرقة بين التجديد

قد تسارع الكتلة الأخرى إلى النجدة ولن تفعل إلا عن أنانية .. تسارع ولكن هذه المسارعة لن تكون مضمونة النتيجة ؛ فهم لم يدرسوا فى السلم وسائل الدفاع فرد العدو سيكون أمرا يقرب إلى الاستحالة وحجتهم . فى يدهم . هكذا كان الأمر مع بلجيكا وهولاندا .

أيها السادة .. أنحن الآن على حياد ؟ أنشارك فى كل هذه المؤتمرات ونقتبس من الغرب كل هذه الثقافات ونسمى أنفسنا على حياد ؟ أى حياد ؟

لعلكم نسيتم ذلك الحياد الذى إلتزمته بعض الدول فى الحرب العالمية الأخيرة فكان هتلر يلتهمها الواحدة بعد الأخرى .. إن الأمم المحايدة حبات من الذرة يمر بها الديك فلا يبذل غير نبشة مخلب واحناءة رأس ليلتقطها .. أما هذا الديك فقد أثبتت الحوادث العالمية وما تزال تثبت أنه ما تكون إلا من تكتل وتضامن .

إن الحياد أيها السادة أصبح تقليدا عتيقا أشبه ما يكون بموظف ترك الخدمة فأصبح ولا عمل له إلا قهوة وطاولة فى الصباح ، وجريدة وشيشة فى المساء .. فهو يقضيها أيام انتظار بلاأمل .. ويقطعها أمسيات نوم بلا غد .. ولن تصبح مصر أمة على المعاش وشيوخها شيوخها ، وشبابها أنتم ، ومليكها الفاروق

ثروت أباظه

فى المفيد والتجديد البعيد عن الجوهر والأصل ، حتى أشفق بعض الناس على الأزهر الشرقى العربى الإسلامى المصرى من هــذه الوثبة الواسعة التى لا تطيقها قدماه اللتان طال بهما الوقوف والسكون ، فدعوا الأزهر إلى التأنى والالتفات إلى الوراء ، لعله ترك خلفه ما هو أولى بعنايته واهتمامه مما يخطف بصره من بريق يتطلع إليه فى الأمام .

ووقف الأزهر حائراً مبلبل الفكر تائه اللب ، يريد أن يرضى دعاة التجديد فيسمى نفسه جامعة ، ويرسل بعوثه إلى أوربا ، وينشىء كليات ومعاهد ، ويقيم معامل وملاعب ، وغير ذلك من أشكال وأنماط ، ويريد أن يرضى أيضاً دعاة القديم فيدرس كتب القدماء ، ويعنى بالمتون والشروح والحواشى والتقارير ، ويتزمت فى التقيد بآراء السالفين حتى فيما تحسن فيه الحرية كالأدب والبلاغة وعلوم البيان . . ومن هنا يستطيع من يريد أن يلتمس للأزهر وجوه محافظة وإيثار للقديم أن يجد ما يريد من الشواهد والبراهين ، كما يستطيع من يريد أن يصف الأزهر بالتجديد أو بالتجديد فى الشكل دون الجوهر والأصل أن يجد ما يدلل به على ما يقول .

ونستطيع نحن أن نقول إن الأزهر الآن فى فترة بلبلة واضطراب ، فلا هو بالقديم ولا هو بالجديد ، وحتى اليوم نستطيع أن نقول إن الأزهر قد عرف طريقه المستقيم بين أنصار القديم وأنصار الجديد ؛ فقد جدد فعلا ولكن التجديد فى الغالب كان فى الأساليب والأوضاع لا فى المناهج والأهداف ، واستحدث فعلا ولكن على سبيل المتابعة والاقتداء لا على سبيل الاقتناع أو الاستقلال . وحسبك دليلا على هذا أن الأزهر فى الغالب ينتظر حتى يتصرف سواه ثم يسير هو على خطاه !

والأزهر محافظ فعلا رغم هذا التجديد ، فروحه وكتبه وأفكاره وطرزه فى تناول الأشياء وأحكامه على أمور الحياة وخاصة عند الكبار ، كل هذا لا يزال وثيق الصلة بالماضى ، عريق الجذور فى تربة السلف ! . .

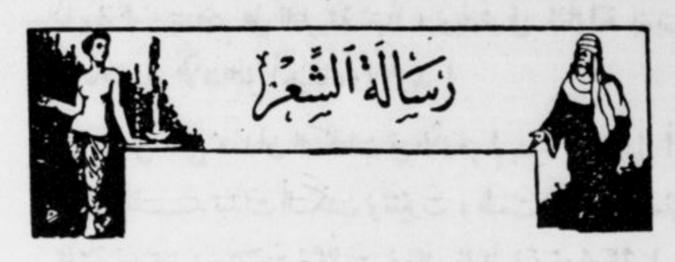
لكن هل معنى هذا أن الأزهر متخلف أو جامد أو ميت ؟ لا ، فالأزهر سائر حى متحرك يأخذ طريقه إلى ما يريد ، أو إلى ما يراد له ، يستقيم على الطريقة حيناً ، ويتعثر فى خطواته بسبب الأعاصير أو الأضاليل أحياناً ، ولا أزيد !

وهل معنى هذا أن الكتاب فى الأزهر لم يتغير ولم يتبدل ؟ كلا ، فقــد تبدلت الكتب وتغيرت ، طبعت الكتب الصفر طبعة جديدة ، ونقحت وهذبت وعلق عليها وترجم لرجالها ، ووجدت فيها بعض التغيير والتجديد ، وإذا كان هذا لم يخرجها بأكملها عن صورتها الأولى فليس ذلك بضائرها فى فترة نعتبرها فترة تجربة وانتقال من حال إلى حال فى تاريخ الأزهــر الطويل . . كذلك ظهرت فى الأزهر كتب جديدة لها قيمتها العلمية ، وأنشأها رجال فى الأزهر لهم مكانتهم وثقافتهم ، ونستطيع الآن لكى نقتنع بهذا أن نتذكر كتب أمثال الأساتذة الأجلاء شلتوت و محمد يوسف موسى والصعيدى وغلاب وحامد مصطفى والبهى وماضى وعنتر ومحيى الدين والمدنى والنجار ويوسف الشيخ وحامد عونى وغيرهم .

كذلك فى الأزهر بلا شك اليوم كوكبة معجبة من الأساتذة المدرسين ، وأغلبهم من الشباب ، وهؤلاء فيهم الثقافة والدربة وسعة الأفق والشوق إلى العمل والإصلاح ، ولكن حوائل كثيرة تقف فى وجوه هؤلاء فلا تمكنهم من تحقيق ما يريدون من أحلام وآمال ؛ فإذ أردت إيقاعى فى « شر عملى » وسألتنى ومن ذا الذى يقيم تلك الحوائل ؟ . قلت لك : ارتفع فى الصفوف العليا ثم اسأل ! . .

قد تسألنى : وما عيوب الأزهر إذن ؟ فأوجز لك قائلا : عيوب الأزهر هى الحيرة بين القديم والجديد ، انقطاعه عن متابعة الحياة ، وتفرق وجهات النظر فيه ، وتوتر العلاقات الداخلية بين أهليه ، ومتابعته متابعة التسخير لسواه ، وانصراف الطلاب عن رحيقه لانشغالهم بغيره من جواذب الحيــاة ؛ فمن للأزهر بعد كل هذا ؟ . . له الله ! . .

أحمد الشرباصى
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى



لقاء على بعـد

للأستاذ محمد محمود عماد

تلاقينا؟ نعم! دون اتفاق   وما كنا لنأمل في التلاقي
لقد رضنا النفوس على فراق   وكانت لا تقر على الفـراق
رضينا بالذي يرضاه منا   عذول، عذله مر المذاق
عجيب يا منى قلبي لقاء   يريني البدر في وقت المحاق
هما القلبان قادانا لحفل   فجمعنا على غير اتفاق
فأيقظت الصبابة وهي وسنى   وآذنت اللواعج بانطلاق
ولم أنظر إليك إذا نظرت (١)   وما أوحيت ما يوحي اشتياقي
خشيت على العيون إذا التفت   تسر بما نسر إلى الرفاق
خصصت بنظرتي كلا عداك. (٢)   ولست، ومن عداك، على وفاق
ووجهت التفاتي كل صوب   ولكن، غير وجهك لم ألاق
ومرت محنـة عانيت فيها   صراعاً بين قلبي والمآقي
مجاهلت التي أصبو إليها   وذلك بدء عهدي بالنفاق!
لقد لاقيتني فلقيت شوقي   وقد خلفتني والشوق باق

محمد محمود عماد

(١) كنتا (٢) كنا

مناجاة نفس...

« مهداة الى الناقد العربي الكبير الأستاذ أنور المعداوي »

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصري

يا نفس كفي الأنين   واحتفلي بالنغم
هـذا المساء الحزين   يوحي إليك السأم
ما لك لا تهجعين   وتقبرين النـدم
أأنت ماء وطين   أم زفرات الضرم
ما أنت إلا جنين   على ضفاف الألم
والروح إلا سجين   فاستبشري بالعدم
يا حلماً في السنين   طاف ولما يتم
حبك لو تعلمين   من وحي لحم ودم
يا نفس كفي الأنين   واحتفلي بالنغم
هذا المساء الحزين   يوحي إليك السأم
ما لك لا تهجعين   وتقبرين الندم

***

يا نفس حب الحياة   حب لعوب هلوك
أتعبدين الإله؟!   كما عبدت الملوك
نحن كآل الفلاه   أو كضباب الشكوك
أحلامنا.. وبلتاه   نجم هفا للدلوك
كما تلظت شفاه   والقلب نبع ضحوك
يا نفس كفي الأنين   واحتفلي بالنغم
هذا المساء الحزين   يوحي إليك السأم
ما لك لا تهجعين   وتقبرين الندم

***

يا نفس عمر الورى   ذبالة تحترق
فاستعصمي بالذرى   وحلقي في الأفق
لا تستحبي الكرى   ولا تلبي الفسق
صبراً فكم في الثرى   قبر لنجم خفق
لتنتهي في السرى   أحلامنا يا شفق

***

يا نفس كفي الأنين   واحتفلي بالنغم
هذا المساء الحزين   يوحي إليك السأم
ما لك لا تهجعين   وتقبرين الندم
يا نفس كفي الدموع   ما لك كالذاهله

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

حيرة الجيل الجديد في الأزهر

أمامى الآن كومة من رسائل الطلبة فى كليات الأزهر ومعاهده ، أمطرنى بها البريد فى هذين الأسبوعين منذ أثرت موضوع المؤلفات القديمة التى يعتمد عليها الأزهر فى دراسة العلوم الدينية واللغوية. وقد عشت ساعات مع أصحابها فى آلامهم ومشاعرهم وليست حالهم التى يصفون غريبة عنى ، فقد كنت قريباً منها ومررت بها وبلوتها ، وأحمد الله على أن ضقت بها وطلبت منها الفكاك ، وكان لى ما أردت ، ولكن هذا الموضوع الذى أثرته فى «الرسالة» وهذه الرسائل الكثيرة التى يتحدث إلى فيها هؤلاء الشباب حديث الصراحة والصدق والألم جعلتنى أندمج فى هذه المشاعر وأحس كأنى معهم فيما يعانون .

هذا « جمة الباكى » بعد « ضياء الحائر » وكلاهما فى كلية الشريعة ، يبكى جمة مما يحير ضياء .. يبكى مما يلقاه فى كتاب

كما ستفنى الجموع تفنين يا جاهله
عضى وما من رجوع قافلة ... قافلة
أما كرهت المجموع والوحدة القاتلة
انطلق فالربيـــع أفراحه حافله

***

يا نفس كفى الانين واحتفلى بالنغم
هـذا المساء الحزين يرحى إليك السأم
مالك لا تهجمين وتقبرين النـدم
يا نفس ولى الشتاء واستيقظ البرعم
هيا لرشف الضياء صفيك اللهم
لبى السنا والسناء ليلك لا يرحم
روحى تهوى الصفاء وهى به تحلم
فغنمها باشتهاء يا غيم يا أنجم

« الهداية » من أبواب العتق والتدبير والاستيلاد ، ولا عتق ولا تدبير ولا استيلاد فى هذا العصر ، ويبكى من (التلويح على التوضيح على التنقيح) الذى تعاقب فيه ثلاثة ، وضع ثانيهم ما نقح الأول ، ولوح الثالث على توضيح الثانى ، وقد نشط هؤلاء فى التنقيح والتوضيح والتلويح من نحو سبعة قرون ، لنعيش نحن الآن عالة على ما صنعوا بلا تنقيح أو توضيح أو حتى تلويح ...

وهذا « أحد ضحايا السكاكى بمعهد قارء فى بقنا» يبدأ رسالته بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . لأنه يشعر أن الشك بدأ بداخله بعد أن قرأ كتاب « الجوهرة » فى علم التوحيد ! وقد كان من قبله قوى الايمان ، فأصبح لا يكتب رسالة إلا صدرها بالاقرار بالشهادتين ليطمئن نفسه بأنه ما زال مؤمنا ... وهو يشكو من « السكاكى » وأقواله فى المجاز المقلى مر الشكوى .

وكثير من الطلبة ينقلون إلى نتفا من تلك الكتب ، يستدلون بها على ما فيها من تعقيد وعقم وبعد عن الحقائق العلمية المسلم بها فى عصرنا وعما يجـرى فى واقع حياتنا. يقول « ع ٠ م ٠ ج بمعهد طنطا الثانوى » : إن فى الأزهر كتبا يقول فيها أصحابها إن الأرض يحملها حوت اسمه بهموت! ويقول بعضهم فى (تفسير النسفى) إن « ن » فى قوله تعالى « ن والقلم وما يسطرون » هو اسم ذلك الحوت ! ويورد (محمد عبـد العزيز عمر الطالب بمعهد أسيوط) مسائل غريبة من الفقه ، منها: مات رجل وترك نصف بنت أو نصف بنت الابن فما نصيب كل من الميراث ؟! ومنها : لا يجوز لحيوان البحر أن يتزوج إنسية.. ومنها: لو وجد الانسان قشر رمان أو نواة ملقاة على الأرض يجب عليه أن يحتفظ بها وينادى على صاحبها أربعين يوما! وأقول إنه لن يترك أحد نصف بنت ، ولن يجرؤ « السيد قشطه » على أن يخطب بنت حارسه فى حديقة الحيوان ، ولكن الذى ينادى على من فقد قشرة رمان ومن سقطت منه نواة ، فانه سيقضى بقية الأربعين يوما وما بعدها فى مستشفى المجانين بالعباسية ، ما فى ذلك شك . وقد ذكر أيضا فرضا فقهيا مضحكا عنع الآداب العامة من نشره . وجاءت هذه المسائل أيضا فى رسالة «سلطان بمعهد أسيوط» ويستدل (ح ى ع بمعهد الاسكندرية) على ما يعنى الطالب الصغير من الخلط بين

مسائل الفقه والنحو والصرف ، والتاريخ بعبارات لا يستطيع إلا حفظها من غير فهم، قال المصنف فى المتن « العاقلة أهل الديوان » فجاء صاحب الحاشية يقول شارحا : « وهم الجيش الذين كتبت أساميهم فى الديوان ، وهو جريدة الحساب ، وهو معرب ، والأصل دوان فأبدل من المضعفين ياء للتخفيف ولهذا يرد فى الجمع إلى أصله فيقال دواوين ويقال إن عمر رضى الله عنه أول من دون الدواوين فى العرب أى رتب الجرائد للعمال كما فى المصباح » ثم قال المصنف « يؤخذ ذلك من عطاياهم » فجاء صاحب الحاشية يشرح : « جمع عطاء وهو اسم لما يخرج للجندى من بيت المال فى السنة مرة أو مرتين والرزق ما يخرج لهم فى كل شهر وقيل يوما بيوم جوهرة لأن إيجابها فيما هو صلة وهو العطاء أولى من إيجابها فى أصول أموالهم لأنها أخف وما تحملت العاقلة إلا للتخفيف » وإنى والله لأعجب أشد العجب، لا من مؤلفى هذه الكتب، فقد كانت تلك مسائلهم ، وكان ذلك عصرهم وطابعهم العلمى ، ولكن العجب من هؤلاء « المعاصرين » الذين يقولون بأن هذه الكتب تقوى المدارك وتنمى المواهب ! لنفرض أن المعجزة وقعت وفهم الطالب الصغير تلك العبارات ، فما هو الخير الكثير أو القليل الذى يحصل عليه منها ! وكيف يوفق بين ما تدل عليه من أن الذين يتحملون دية القتيل هم زملاء القاتل فى الجيش . وبين ما يجرى عليه معالى الفريق حيدر باشا فى تنظيم الجيش المصرى الحديث ؟ فهل هذا يقوى المدارك والمواهب أو يحيرها ويحطمها ؟ لكم الله أيها الحائرون !

ويعجب «ح س . ع» أيضا من إصرار كتب الصرف على تصغير « فيلس وشمردل وهبيخ وحبنطى » وحق له العجب ، فهو إن عرف مدلولات هذه الكلمات فانه لا يجدها فى حياته مكبرة أو مصغرة ، ولو نطق بها فى خارج الأزهر لسخر منه الناس

ويقول عبد العزيز محمد قاسم بكلية الشريعة : « إن الطالب فى كلية الشريعة يدرس المعاملات ضمن مقرر الفقه ، ولا تظن ياسيدى أنه يعرف شيئا مما حدث ويحدث من معاملات فى أيامنا ، وأقرب مثال لهذا أننا ندرس (الشركة) وكل ما نعرفه أنها تنقسم إلى عنان ووجوه ومفاوضة ، أما الشركات المساهمة وشركات التأمين وغيرها من الشركات القائمة وهل هذه تدخل تحت تلك وما حكم هذه الأنواع فى الشريعة الاسلامية ، فكل هذا لا نعرف عنه شيئا » .

ويعبر « حسين على ريحان بمعهد الأسكندرية » عن متاعبه فى تلك الدراسة بعبارات شاعرية مؤثرة ، ويعتب على الأستاذ « دنيا » لأنه « وصف ما يقوى السعال لا ما يزيل الصداع » ويدعو الله أن يسامحه .

وفى الرسائل نقد لاذع للأساتذة والرؤساء ، على نحو ما بين الأستاذ « أزهرى عجوز » فى العدد الماضى من « الرسالة » ويبلغ بعضه حد العنف ، ويدل ذلك على روح السخط الشامل ، كما يدل على الهوة السحيقة التى تفصل العقلية الجديدة عن العقلية القديمة . وينصف بعضهم الأساتذة الذين تخرجوا حديثا ، يقول (م . م . ح . بكلية اللغة العربية) : « ومع ذلك فهناك طائفة من الأساتذة التى تخرجت حديثا ولم تحرم نفسها من الاغتراف من منهل الثقافة المصرية والعلوم والمعارف الحديثة . هذه الطائفة وإن تكن قليلة جدا فى هذا الجيش اللجب إلا أنها يرجى منها الخير وينتظر على يدها الإصلاح لو سلم لها زمام القافلة وشاركت فى إدارة الأزهر ، ولكن متى يتاح لها ذلك ؟ إن كل من يشتم منه رائحة التجديد والإصلاح فى الأزهر يقصى إقصاء تاما ... الخ »

والرسائل على العموم ناطقة بروح التوثب والتطلع إلى مجاراة العصر ، وفى كثير منها رغبة حارة فى تعلم اللغات الأجنبية . وهى فى جملتها تدل على وعى وحسن تقدير للأمور ، وفيها شعور بالمدى الواسع بين ما يقضى عليهم به من « النفى المقلى » إلى عصور التأخر التى ألفت فيها تلك الكتب وبين ما يجدونه من تقدم العصر فى العلوم والفنون والآداب ، وفيها غير ما أتيت به من الملاحظات السديدة ، وهناك رسائل أخرى كثيرة عدا ما أشرت إليه ، ويؤسفنى أن تحول دون عرض كل ذلك خشية الاطالة .

وبين هذه الرسائل الكثيرة رسالتان من طالبين « مجتهدين » أحدهما « محمد السعيد بكلية الشريعة » وهو يرجع شكوى « ضياء الجو » إلى قرب الامتحان وإهماله الاستذكار فى أثناء العام الدراسى ... ويقول إن رسالة الأزهر هى المحافظة على هذا القديم . والثانى «مأمون يس عبداللا بمعهد أسيوط » وهو يقول: لا تلوموا العلوم نفسها ولوموا إن استطعتم من زادها تعقيدا عن

مشايخنا المدرسين ، فذلك قول الحق الذي فيه تمترون » ويقول « فإن أنكرتم بعد هذا قولي وقلتم أساطير الأولين اكتتبها ، فنقبوا في الوجود عن عباقرة الأدب العربي ثم ارجعوا إلى وهاتوا ما عندكم من علم إن كنتم صادقين، سائلوا العقاد العالم والدكتور طه عميد الأدب والأستاذ أحمد حسن الزيات أمير البيان ؛ هل منهم من لم يقرأ كتب الأزهريين، لا ، لا تسألوا هذا ولا ذاك فقد حكمتم حكما قديرا ، ما إخاله إلا وقرأ كتبكم وزيادة عليها ، ألا وهو الأستاذ عباس خضر (هنا ثناء يخجل ذكره تواضعي !) وإنا منتظرون »

حقا — يا سيدي عبداللا — إن هؤلاء قرأوا كتب الأزهر ومنهم من كان في الأزهر فعلا ، ولكنهم ضاقوا بها وكان لهم عراك معها ، وقد خلصوا منها إلى الأدب والثقافة المصرية ، ولو أنهم ظلوا عاكفين عليها لكانوا كمن ذكرت من المشايخ ، ولكن الله سلمهم ، فكانوا من المنتجين النافعين، نفعنا الله بآدابهم آمين ذلك كله ، وفي النفس بقية

مناظرة في الحياد والتكتل

أقام الاتحاد العام لجامعة فؤاد الأول يوم الأربعاء الماضي بدار الحكمة مناظرة برياسة معالي الدكتور محمد صلاح الدين بك وزير الخارجية ، موضوعها: « من مصلحة مصر التمسك بسياسة الحياد في الوقت الحاضر » أيد الرأي سعادة الأستاذ فكري أباظه باشا والأستاذ أحمد هيكل والآنسة ثريا الحكيم ، وعارضه الأستاذ حسين كامل سليم بك والأستاذ ثروت أباظه والآنسة ثريا الجبالي

ويخيل إلى أني لمحت « بين سطور » هذه المناظرة معاني قد تكون مقصودة الموضوع من موضوعات الساعة ، والرئيس وزير الخارجية ، والوزارة وزارة شعبية ، فهل أريد درس المسألة على نمط أدبي، ومعرفة رأي جمهور من المثقفين؟ أولا يدل قيام المناظرة على أننا الآن غير مرتبطين بما يحملنا مع هؤلاء أو هؤلاء ، وإنما نحن، وقد أبطلنا ما استنفد أغراضه ، نديرالرأي فيما نرى المصلحة في الأخذ به .

بدأت المناظرة بكلمة الأستاذ مبروك نافع رئيس لجنة المناظرات والمحاضرات باتحاد الجامعة ، فأعرب عن اغتباطه لتقدمنا في الديمقراطية حتى صار الوزير يرأس المناظرات العامة ، ثم أراد أن يقدم المتناظرين ، ولكن الرئيس ينهض قائلا : يظهر أن ديمقراطيتنا وصلت إلى أبعد من رآسة الوزراء للمناظرات، وصلت إلى أن يهمل الوزير وهو رئيس المناظرة فلا يترك له حتى أن يرد على الشكر ..

وانبعث طريقة جديدة في تقديم المتناظرين، فابتدىء بالأقل .. وقد حار الأستاذ نافع في التمييز .. فأسعفه أحدهم قائلا : الأقل سنا ، وجاء ترتيب الأستاذ فكري أباظه باشا في الآخر ! فهل كان ذلك مدبرا لمشاغبته .. ؟

وقد وفق جميع المتناظرين في تناول الموضوع ، وكان حديثهم منسقا ، وعباراتهم فصيحة ، وخطابتهم بارعة ، وكانت الآنستان مدعاة للاعجاب ، وخاصة الآنسة ثريا الحكيم فهي خطيبة معبرة بنبرات صوتها وحسن جرسها مع فصاحة في النطق والتعبير .

وكان من مظاهر الديمقراطية في المناظرة أن اتخذ الأستاذ ثروت أباظه مكانه في الصف المعارض أمام عمه فكري أباظه باشا ، وقد جال جولته في موقف خطابي بارع ، ولكنه لم يسلم من طعنات عمه التي سددها إليه وإلى زميلته الآنسة ثريا الجبالي ، ولم يكف فكري باشا عن الخطابة بمدان جلس .. فقد كانت إشاراته الصامتة الناطقة تدحض كل حجة يأتي بها معارضه حسين كامل سليم بك وكان الأستاذ أحمد هيكل لبقا عند ما قال إنه واثق من وطنية المعارضين وأنهم يرون فيما بينهم وبين أنفسهم ضرورة الحياد ولكنهم يريدون أن يهيئوا الفرصة لمناقشة كل ما يمكن أن يقال في معارضته .

وقد كانت حجة المؤيدين — على وجه الإجمال — أننا لا مصلحة لنا في الانحياز إلى أحد ، وأنه من الخيرلنا ألا نعرض أنفسنا للأخطار والأضرارالتي تأتينا من الجهة التي ننحاز ضدها، وأن خطر الحرب والاعتداء علينا محقق إذا انضممنا إلى أي فريق ولكنه متوهم إذا وقفنا على الحياد ، فكيف نسعى إلى الضرر المحقق خوفا من المتوهم ؟ وأن موقع مصر في مفترق الطرق بين أمم العالم، وموقع قناة السويس منها، يحتم لسلام العالم أن تكون مصر محايدة ، ومن الظلم أن تقوى جانبا لهزم آخر لا جريرة له عندها . وضرب المؤيدون الأمثال بالأمم المحايدة ، مثل تركيا وسويسرا وأسبانيا ، التي تجنبت بحيادها ما لحق بالأمم المحاربة من الخراب والتدمير . وقد تساءل فكري باشا: إلى من ننحاز؟



من وحي فلسطين :

جاءنا من الأستاذ الجليل محمد توحيد السلحدار بك هذا الكتاب تعقيبا على كلمة الأستاذ كامل السوافيرى فى كتاب من وحى فلسطين وهذا نصه بعد الديباجة:

فى العدد ٧٨٤ من الرسالة الصادر فى الثالث من ابريل هذا العام ، مقالة لحضرة الأستاذ الكريم كامل السوافيرى خص بها كتاب احمد رمزى بك « من وحى فلسطين » .

استشف الأستاذ الماهر هذا الكتاب المفيد ، ونوهت به مقالته الصادرة عن بصيرة واخلاص ؛ وأعجبه الموضوع واطلاع المؤلف وإقدامه على التصريح بحقائق فى اظهارها خير وفى اخفائها شر ، فاستجاب الأستاذ بمقالته لإعجابه ، وأوحت إليه أريحيته بصفات تمتنى بها عند ذكره مقدمتى للكتاب ، فأنا شاكر له حسن ظنه وقصده جزيل الشكر .

وأرى من حقه على ، وهو يحسبنى خليقا بتلك الصفات السامية ، أن اقرن شكرى الصريح بالتعرف إليه : لست مؤرخا ، ولا سياسيا، ولا علامة ، ولا من أصحاب الرتب ، ولست أقول ذلك عن تواضع ، بل أقوله عن الواقع واليقين وتفاديا من تقليد أولئك المصريين الذين يجهلون أنهم بعيدون عن علم العلماء وفقه الفقهاء وفضل الفضلاء فى الشعوب المتيقظة ! وحسبى ان أعدمن المصريين المتعلمين فى تفاوت بينهم ، غير المحرومين من حساسات العفة ومن الشعور بواجبات التضامن القومى والمصلحة العامة . وإذا لاح فى فكرى خاطر ، أو نبهتنى مناسبة إلى موضوع أو كتاب وكانت حالى الصحية مسعدة ، ربما كتبت بشأنه ما أظن أن نشره قد لا يخلو من فائدة لبعض القراء ، ولا تكون لى عندئذ رغبة سوى ان ينظر القارىء ، إن هو قرأ لى ، إلى المكتوب وليس إلى الكاتب .

وبودى لو يتضاعف عدد الأقلام التى تعالج انقاذ الغارقين فى غمرة لما يصل إليهم فى أعماقها نور القرن العشرين . بودى حقا لو يكثر ظهور المؤلفات من أنواع « الوعى القومى » و « معنى النكبة » لقسطنطين زريق ، و « الاستعمار الفرنسى » و « من وحى فلسطين » لأحمد رمزى » و « فى أصول المسألة المصرية » لصبحى وحيده . فهذه كتب ، اصابت كل الاصابة أم اخطأت بعض الخطأ ، تفتح عيونا وتوقظ قلوبا مدت الأيام لأصحابها فى الغرور والضلال ، ففتنتهم مغانم التهويش والتضليل على حساب الشعب . وعسى ان يأتى انتشار هذه المؤلفات وأمثالها بالفائدة المطلوبة ، ومن هنا كانت إشادة الأستاذ البصير بكتاب رمزى بك خدمة للمصلحة العامة ومحمدة تذكر وتشكر .

محمد توحيد السلحدار

حفلات التأبين — إلى صديقى الأستاذ عباس خضر :

إذا كنت من اتباع دعاة المحافظة على القديم وقصر حفلات التأبين على ذكر محاسن الفقيد وتعديد مناقبه تكون من الراضين

أ إلى الانجليز ونحن نجاهد للتخلص منهم ، أم إلى الأمريكان مؤيدى إسرائيل فى فلسطين ، أم إلى روسيا سعيا إلى فوضى الشيوعية ، وقال: لسنا استعماريين ولا رأسماليين ولا شيوعيين ، فا مصلحتنا إذن فى الانضمام إلى أى من هؤلاء ؟

أما المعارضون فقد قالوا بأنه لا ينبغى أن نظل بمعزل عن المعترك حتى يدهمنا الخطر ، فنضطر إلى ارتجال الخطط ، ولن نستطيع وحدنا أن ندفع العدوان فنستنجد بمن يقتضينا الثمن من كرامتنا وحريتنا . وضرب المعارضون الأمثال بالدول التى كانت محايدة ، مثل بلجيكا وهولندا ، وظنت أن حيادها ينجيها ، ولكن هتلر التهمها واحدة بعد واحدة . وقد شبه الأستاذ ثروت أباظه المحايد بموظف ترك الخدمة يقضى وقته بلا أمل فى القهوة بين الجريدة والبرد والنرجيلة ، قائلا إنه لا يجوز أن تصبح مصر أمة « على المعاش » .

وقد طلب فكرى باشا من كبير المعارضين ، وهو عميد كلية التجارة ، أن يجيبه عن مصلحة مصر الاقتصادية فى التكتل ، ولكن الأستاذ العميد لم يعرض لهذه الناحية ، ومما قاله أن التكتل أمر لا بد منه ، وأن مصر آخذة به فعلا بتكتلها مع الدول العربية ، وأن الجميع متفقون على ضرورة ذلك . وواضح أن هذا ليس هو المقصود بالتكتل ، لأن موضوع المناظرة خاص بالانضمام إلى إحدى الكتلتين العالميتين أو عدمه . وأخيراً أخذ رأى الحاضرين فكانت الأغلبية الساحقة مع الحياد .

عباس خضر

نفاق الشعراء وكذب الخطباء فى هـذا العصر ، ومن المتساهلين فى سماع الشعر الوسط وما هو دون الوسط كالذى سمعته فى حفلة المرحوم على محمود طه .

وإذا كنت ممن لا يؤيدون ما أدخل على حفلات التأبين من مقالات — ومبالغات فى تعديد المناقب وافتعال الصفات لكل فقيد كما هو واقع الآن ، فانك تكون قد جاريتنى فى إقحام أكثر الشعراء والخطباء فى زمرة الندابين المأجورين .

أما إذا كنت ممن يقدرون نهضتنا الأدبية ومن العاملين فى وضع لبنـة واحدة فى بنائها — وانك لكذلك — فكان الأخلق بك ان تنكر معى على شعراء وخطباء حفلات التأبين تباكيهم وتفجعهم المكذوب وإلحاحهم فى النواح المجوج ، وأن تدعوهم — لا بالمطرقة والسندان — إلى سلوك السبيل التى يسلكها الأدباء فى الأمم الراقية .

هكذا يكون الرثاء :

مات الشاعر فلان فأقام له أصدقاؤه الأدباء حفلة تأبين ، ولما اعتلى رئيس الدعوة المنبر قال « يتكلم أربعة من الخطباء فى أربع ناحيات من شعر الفقيد » وتكلم الخطباء وأفاضوا فى تعديد تلك النواحى ، وانى لأرجو الأستاذ عباس ان يصدقنى ان أحد أولئك الخطباء لم يكتف فى الكلام عن بوهيمية ذلك الشاعر فحسب ، بل أفاض فى تحليل ناحية الشذوذ فيه — وهل يخلو شاعر من شذوذ ؟ وأنهض الدليل ، وهو مستمد من شعر الفقيد ، فلم يسع أرملة ذلك الشاعر إلا تغطية خديها بكفيها والاستعاذة بالله من جرأة النقاد الذين يلمحون فيخمنون فيصيبون ، ويحللون فيصدقون ، ولم يتورع ذلك الخطيب ، أعود فأقول لم يتورع ذلك الخطيب عن الاعتذار إلى تلك الأرملة بقوله « لقد أصبح الشاعر الذى كان زوجك ملكنا نحن الذين نرسم الخطوط للمؤرخين » وأنت يا مناظرى الكريم إذا تصفحت أية مجلة أدبيـة غربية تجد ان التأبين ليس معناه « ذكر المحاسن وتعديد المناقب » كما يطيب لك ان يكون .

أنت تشك يا صاحبى فى انى رسمت مع الزيات خطوطا رئيسية لمن سيتوفر على دراسة الشاعر الصديق على محمود طه وتدعونى إلى « الاستقلال برسم خطوط للدراسة » يحسن بى قبل أن أقول لبيك ان أسألك : ألم تكن صورة خطابى معك ؟ لم لم تقارن كلامى بكلام الزيات فتطمئن بعد المقارنة إلى ما يؤيد دعواى ، ويدحض ادعائى ، ويزول عنك الشك أو يبقى ؟ ألم تسمعنى أتكلم فى خصومة الأدباء ومزاياها وصداقتهم ومطاويها ؟ ألم تقرأ فى خطابى كلاماً عن « الحب » فى شعر على طه . وانه — يرحمه الله — قد أحب مرة واحدة ، وانه صور ذلك الحب العارم فى قصيدة واحدة هى كالمنارة فى بحور شـعاره ؟ أليس فى كل هذا خطوط كخطوط الزيات ؟ لقد تواضعت برغم كبريائى فاستشهدت بالخطوط الرئيسية التى رسمها الزيات وسكت عن نفسى ، أما كان يجدر بك ان تذكرها أنت وتنشر نتفاً منهـا ؟ لقد سكت عن كل هذا وتشككت لماذا ؟

الجواب : لأنك تملقت بأذيال « البوهيميـة » لتظهر أمام الناس معمما بعمة خضراء وقداسة بيضاء ، وجبة سوداء لتقول مع المتوقرين المستقدمين « اذكروا محاسن موتاكم » ولكن فاتك ان الشاعر لا يموت .

وأخيرا ما لك يا صاحبى توهمنى بأن كلمتى التى ألقيتها فى ذلك « يجب ان تسطع شمسها فتحجب سائر النجوم والكواكب » ؟ ثم من هم نجوم تلك الحفلة ومن هم كواكبها ؟

— الشعراء ولا شك ! !

أما أكثر الشعراء يا صاحب فقل معى يرحمهم الله .

حبيب الزحلاوى



ضيف غريب

للكاتب السويدى الفكه المعروف

هاس زبتر ستروم

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى

كنت قد فرغت منذ لحظات من تناول فطورى ودلفت إلى الشرفة ... كان الخليج ينبسط أمامى بشطآنه الفسيحة المترامية، ولونه الأزرق الداكن، وتتألق فوق مياهه شمس متوهجة تتقد اتقاداً.

وبعد أن ثبت مقعدى بحيث أواجه مهب الريح، أخذت استمتع بالنسيم الرخى الفاتر فشاعت فى حنايا قلبى دواعى الغبطة والابتهاج ...

ناولنى الخادم برقية ... وقد شعرت وأنا أتناولها منه بأننى سأجد فيها حتما ما يضايقنى وينغص على عيشى رغم اننى كنت أجهل بطبيعة الحال ما قد تتضمنه بين ثنايا سطورها ...

صعدت زوجتى أيضاً إلى الطابق الذى كنت فيه .. فقلت لها

— وصلتنى برقية .. فهل لك أن تحزرى ما فيها ؟ ...

— ليس لدى الوقت الكافى لحل الألغاز وفك الأحاجى .. فضها وانظر ما فيها ... فضضت الغلاف فقرأت :

بحثت عنك فى المدينة ... سأتحرك فى الرابعة والثلاثين ... تحياتى لزوجتك

«فردريك»

قلت لزوجتى .

— هل تعرفينه ؟..

— كلا ! .. ومن يكون فردريك هذا ؟ ..

لا أعلم ... أنا أعرف شخصاً واحداً بهذا الاسم وهو ليس ممن يطيب له أن يبحث عنى أو يخطر له ببال أن يشخص إلى ...

— لعل البرقية ضلت طريقها إلينا : ...

— لا ! ... فالعنوان كامل. ليت شعرى أى فردريك هذا ؟..

إنه سيصل فى السابعة ... يجب أن ترتدى ثياباً لائقة، ثم اغسلى الأولاد قبل ربع ساعة فقط من الموعد ليمكن إبقاؤهم نظيفين ... غادرتنى زوجتى، تخلوت إلى نفسى وإلى أفكارى. ثم نسيت فردريك تماماً إذ فقدته بين زورق البخارى والجزيرة التى لجأت إليها التماساً للراحة والهدوء ...

كان النهار رائعاً حقاً ...

وفى أثناء تناول الغداء قلت لزوجتى :

— الساعة السابعة بالضبط ... ألا يجب أن نذهب لاستقبال فردريك ؟

هبطنا إلى الميناء ...

كان المرفأ يموج بعلية القوم الصلفاء الذين تعودوا تمضية أوقاتهم فيـه على الدوام عابثين سادرين ... وكان هناك المصور الشاب ذو القبعة الحمراء والمشية الوئيدة المتزنة ، كما كانت هناك النساء اللائى درجن على أن يصدقن بسذاجة متناهية كل ما يقال لهن :

وما إن رمقنى هؤلاء بعيونهن الزرق الواسعة التى حملت إلى قلبى كل ما فى أرواحهن من معانى الوداعة والدلال حتى ابتدرت مخاطباً إياهن :

— نشبت ثورة عظيمة فى باريس هـذا الصباح ، وأعلنت الأحكام العرفية ، وقد بلغ دوى المدافع والانفجارات من العنف والشدة بحيث تعذر على السكان أن يسمع الواحد منهم صوت محدثه . لهذا فقد اضطر الجميع إلى تخلية المدينة والخروج إلى الأرض الفضاء لمواصلة ثورتهم ولقومهم هناك ...

صرخت إحداهن بصوت حاد مؤلم ، وكانت أمها تقيم بباريس :

— أمى ! .. أمى ! ...

فقلت مسلياً إياها

لا تخافى ولا تحزنى ! . إنهم نقلوا النساء والأطفال جميعاً إلى ساحة معشوشبة خضراء قبالة المدينة ...

أخذت الباخرة تقترب شيئاً فشيئاً وكان القول قد تبعه العمل ...

قلت لزوجتى :

— عاملى فردريك بمنتهى الرقة واللطف

التصقت الباخرة بالميناء ... فحيانى قائدها ، كما حيا المصور الشاب ، والسيدة التى هتفت به بقولها : هل من أخبار جديدة ؟.

خرج من الباخرة رجل وخط الشيب رأسه ، ونال الزمان من فوديه ، فقلت فى نفسى :

أستبعد أن يكون فردريك هو هذا ... ثم عرفته على التحقيق . لقد كان الرجل الذى تزوج حديثاً سـيدة تملك متجراً فى المدينة لبيع القمصان ، وقد أبت صاحبته مغادرة عملها لأن موسم الصيف ملائم جداً لبيع أكبر عدد من باقات القمصان ...

ثم خرجت إلى البر سيدة وبنتها . لقد عرفتهما أيضاً ولوحت لهما بيدى ...

وعلى أثر هؤلاء الثلاثة غادر السفينة رجل غريب ، ضخم الجثة ، متين البنيان ، عريض ما بين المنكبين ، يرتدى بدلة فى غاية الأناقة وتوحى مشيته بالجرأة والاعتداد بالنفس ...

وما إن لمحنى حتى تقدم نحوى ووضع يده على كتفى وقال بصوت يمازجه الود والمرح

— ها ! قد حضرت أخيراً أيها الشيخ الماجن ! ...

بات لزاماً أن يكون هذا هو فردريك بالذات ...

تولتنى الحيرة والذهول ... إنه لم يسبق لى أن رأيت هـذا الرجل فى حياتى من قبل . ومع ذلك فهو يعرفنى ، بل ويتحدث إلى كما لو كنا صديقين حميمين منـذ سنين . انغمسنا فى الثرثرة وتبادلنا « الماجن » ، غير مرة . إلى أن قال أخيراً :

— والآن كيف أنت ؟ . هل الأطفال بخير ؟ . وكيف حال مرتا ؟ ...

إلهى . إلهى ! إنه يعرف حتى اسم زوجتى .

— شكراً لك ... إننا جميعاً بخير ... إننا جميعاً بخير .

شكراً لك ... شكراً لك ...

مد إلى حقيبة كان يحملها :

— خذ هذه أنت بنفسك . أما الحقيبة الكبيرة فستأتى بها العربة بعد قليل . يبدو لى أن حضورى كان مفاجأة لك . أليس كذلك ؟

وهنا لحقت بنا زوجتى أيضاً .

انبسطت أسارير وجه فردريك وأبرقت عيناه ، وانحنى أمامها ، حتى كاد أن يمس الأرض بناصيته ثم قال مخاطباً إياها :

— فى كل مرة أراك أجمل مما كنت فى المرة السابقة !

رمقتنى زوجتى بنظرة شزراء مريبة ولكننى استدركت الموقف فقلت لها :

— ستأتى حقيبة فردريك الكبيرة فى العربة بعد قليل ...

لفردريك حقيبة غير هـذه التى أحملها بيدى لفردريك حقيبة كبيرة ... ثم أخذت أتمتم بهذه الكلمات الأخيرة بغير وعى أو شعور ...

أما زوجتى فقد كانت جامدة كالصنم ، قاسية كالصخر .

ارتقينا ثلاثتنا التل إلى (الفيلا) التى كنت أقيم فيها . فقطع

علينا فردريك الصمت وقال موجهاً الحديث إلى :

— ما أجمل المكان الذى اخترته لنفسك ! بكم استأجرته ؟

ثم استدرك قائلا : ولكن لماذا أسأل هذا السؤال ؟ ... أى غرفة ستخصص لى ؟ ...

— اختر أى مكان تشاء ! أى مكان تشاء أيها الفتى الماجن ؟.

قال لى فردريك :

— عهدى بك لم تتغير كثيراً

فأجبت مرتبكا

— يؤسفنى لا تكون أنت كذلك .

— ماذا تقول ؟ ثم ما هذا الهراء ؟ هل كبرت حقاً ؟ . إن وزنى لا يزال ثمانين كيلو وهو وزنى بعينه منذ ست سنوات ...

ثم أدار رأسه إلى زوجتى

— أتجديننى الآن أسمن مما كنت سابقاً يا مرتا ؟ .

أجابت زوجتى بجفاء ظاهر

— لا ، لم تسمن إلا قليلا

اصطحبنا فردريك إلى غرفة الاستقبال ، وعند ما غادرنا الغرفة قالت لى زوجتى بحدة

— ومن يكون هذا الطفيلى ؟

— هذا هو فردريك ، الرجل الذى أبرق إلينا نبأ حضوره هذا الصباح .

— حسن جداً : وهل ... سيبقى ... هنا ... فى بيتنا ؟

— هذا ما تدل عليه قرائن الأمور الآن . أو هذا ما يراه هو نفسه على الأقل .

كنا واقفين فى فناء الدار ، فأطل فردريك برأسه من النافذة :

— أريد صابوناً لحقيبتى الكبيرة لما تصل .

التفت إلى زوجتى وقلت :

— مرتا ! احضرى له قطعة من الصابون سريعاً .

ولكن مرتا لم تحفل بكلامي بل ولت بوجهها شطر غرفة النوم ، وذراعاها إلى الأعلى ثم ألقت هناك بنفسها على السرير .

كان هذا ديدنها فى حالات الغضب والهياج ...

فاضطررت إلى أن أحضر الصابون بنفسى

— كان فردريك وقد خلع عنه سترته منهمكا فى تنظيف ثيابه وإصلاح شأنه ، وعند ما رآنى مقبلا عليه ابتدرنى قائلا :

— لم أكن سعيداً فى حياتى فى الآونة الأخيرة كما قد تظن. لقد هزتنى (ألما) هزة عنيفة وهدت من كيانى .

— اعرف ذلك تماماً ...

وهنا أخذت أسائل نفسى ... من هى (ألما) هذه يا ترى ؟ أمتزوج هذا الرجل أم هو يحدثنى عن خطيبته فحسب ؟ ...

— النساء هكذا شأنهن دائماً

— أجل ! ... انهن هكذا دائماً

— الك ما تشكو منه ؟ ...

— ليس كثيراً ! . وأما الآن فليس لدى ما أشكو منه إطلاقاً

— ألما ، تقوم برحلة الآن

— هيه ! هذا حسن

— نعم نعم إنها هى التى طلبت ذلك .

— وهذا أحسن طبعاً .

فرغ ضيفنا من ارتداء ثيابه فدلفنا إلى الشرفة . وما إن أفرغ كأساً من (البنج) فى جوفه حتى كانت زوجتى أيضاً قد لحقت بنا وشاركتنا حديثنا .

كان فردريك فى ذروة نشوته ومرحه . يمزح ، يثرثر ، يثير قهقهة إثر قهقهة حتى لقد أوشك ان يغمى على زوجتى ثلاث مرات من فرط الضحك .

وصلت الحقيبة الكبيرة ، وكان أول عمل قمت به هو أننى هرعت إلى السلم لاقرأ عليها على الأقل العنوان الذى قد يرشدنى إلى هوية صاحبها .

فردريك لند نهولم .

هذا هو الاسم الذى وقع عليه بصرى وأنا أتفرس جيداً فى أحد جانبى الحقيبة .

لم يتبدد شىء من الظلام الذى كان يكتنف ذهنى .

وعلى هذا المنوال أقام فردريك لند نهولم هذا بيننا . غير أنه لم تكد تمر سوى ثلاثة أيام فقط حتى كانت قد استحكمت بيننا وبين ضيفنا أواصر الألفة والمودة ، واشتدت الوشائج التى تربط كلا منا بالآخر .

كان فردريك قد أصبح عنصراً ضروريا فى حياتنا اليومية لا يمكن إغفال أمره أو الغض من أهميته . فهو حيناً يداعب الأطفال

ويلاعبهم ، وطوراً يساعدني في قيادة زورق البخاري .

وقد استطاع بظرفه وخفة روحه أن يكسب حتى قلب زوجتي وثقتها .

قالت لي زوجتي ذات يوم :

— ليتك أنت أيضاً مثل فردريك دائم المرح، بادي البشاشة، مستعداً لمعونة الغير في أي لحظة ! إن الإنسان ليكاد لا يشعر بأي ضجر أو سأم عند ما يكون قريباً منه .

استسلمت لبحر من التأمل والتفكير العميقين ، بينما مرت الحياة رتيبة هادئة في بيتنا لا يكدر من صفوها وإشراقها شيء يستحق الذكر .

وبعد مضي ثمانية أيام تسلم فردريك خطاباً، وما فضه وقرأه حتى قطب جبينه وبدت على قسمات وجهه علائم الجد والاهتمام ثم قال :

— أصدقائي الأعزاء . لقد انتهى عملي هنا ، يجب أن أسافر غداً صباحاً بدون إبطاء . إن (ألما) قد عادت من رحلتها وأظنكم تفهمون معنى ما أقول .

— نعم ! نعم ! أفهم ذلك حق الفهم — ولكنني أيضاً آسف أشد الأسف على فراقك أيها الصديق العزيز . لقد قضينا معاً أياماً سعيدة . هل لك أن تعدنا بالعودة إلينا ثانية ؟

أجاب فردريك

هذا محتمل ! ربما !

وعند ما سمعت زوجتي نبأ اعتزام فردريك العودة، وإن «ألما» كانت هي السبب في ذلك قالت والتأثر باد على صوتها :

— إن «ألما» هذه لشريرة مستهترة !

وفي صباح اليوم التالي شيعنا فردريك إلى الباخرة، ولم يتأخر أي واحد منا في النوم برغم أن الوقت كان مبكراً جداً .

صعد فردريك إلى سطح الباخرة ، وعند ما دنا موعد الرحيل ظل يلوح لنا بمنديله الأبيض إلى أن ابتعدت السفينة وتوارت عن الأنظار .

قفلنا راجعين إلى البيت واجمين وكأن على رؤوسنا الطير ، وعند ما وصلنا باب سور الحديقة توقفنا عن المسير لحظة . فابتدرت زوجتي قائلة :

— قل لي بربك من كان هذا الرجل ؟ .

— لا أعلم .

كنا قد أحببناه دون أن يعرف أحدنا الآخر . وعندما فارقنا خيل إلي أنني فقدت شيئاً ثميناً جداً وأحسست بالفراغ يحيط بي من كل صوب .

وفي غرفتي وجدت على المنضدة خطاباً فاختطفته في مثل سرعة البرق وتلوته وأنا أكاد ألتهم ما فيه التهاما . ثم أعدت تلاوته من جديد وأنا مطرق ساهم غارق في لجة من التأمل العميق.

وإليك ما جاء فيه :

سيدي الأديب !

بينا أنا جالس ذات يوم مع زمرة من الأصدقاء في أحد الأماكن نتحدث عن أحسن مكان أستطيع أن أقضي فيه عطلتي الأسبوعية إذ ذكر أحدهم اسمكم وأثنى على جمال البقعة التي تنزلون فيها وأوصاني حتى بالنزول في ضيافتكم . ولكنني اعتذرت لعدم وجود تعارف سابق بيننا . غير أنه لمت في ذهني في تلك اللحظة فكرة طريفة فقلت لأصدقائي : هل تراهنونني على أن أذهب إلى هذا الرجل بدون أن يعرفه بي أحد أو أتلق دعوة منه ، فأمكث في ضيافته طول أسبوع كامل ؟.. فقبلوا ذلك وتقرر تنفيذ الفكرة. التقطت عنكم وعن أسرتكم بعض المعلومات ثم حدث بعد ذلك ما أنتم به أدرى وأعرف . لقد كسبت الرهان اليوم . ولكنني أستشعر خجلا شديدا كلما تذكرت ما جرى . اضطررت إلى أن أعترف لكم بالحقيقة . سامحوني . لن أقبل رهاناً كهذا بعد الآن وبخاصة إذا كنتم أنتم طرفاً فيه.

المخلص

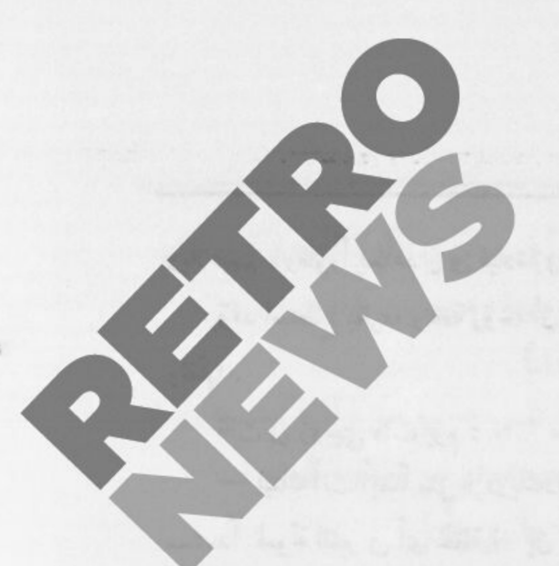
فردريك

خرجت من الغرفة وناولت الخطاب إلي زوجتي فألقت هي الأخرى أيضا عليه نظرة خاطفة ثم صاحت : مدهش: مدهش !. وأعادت تلاوته ثانية .

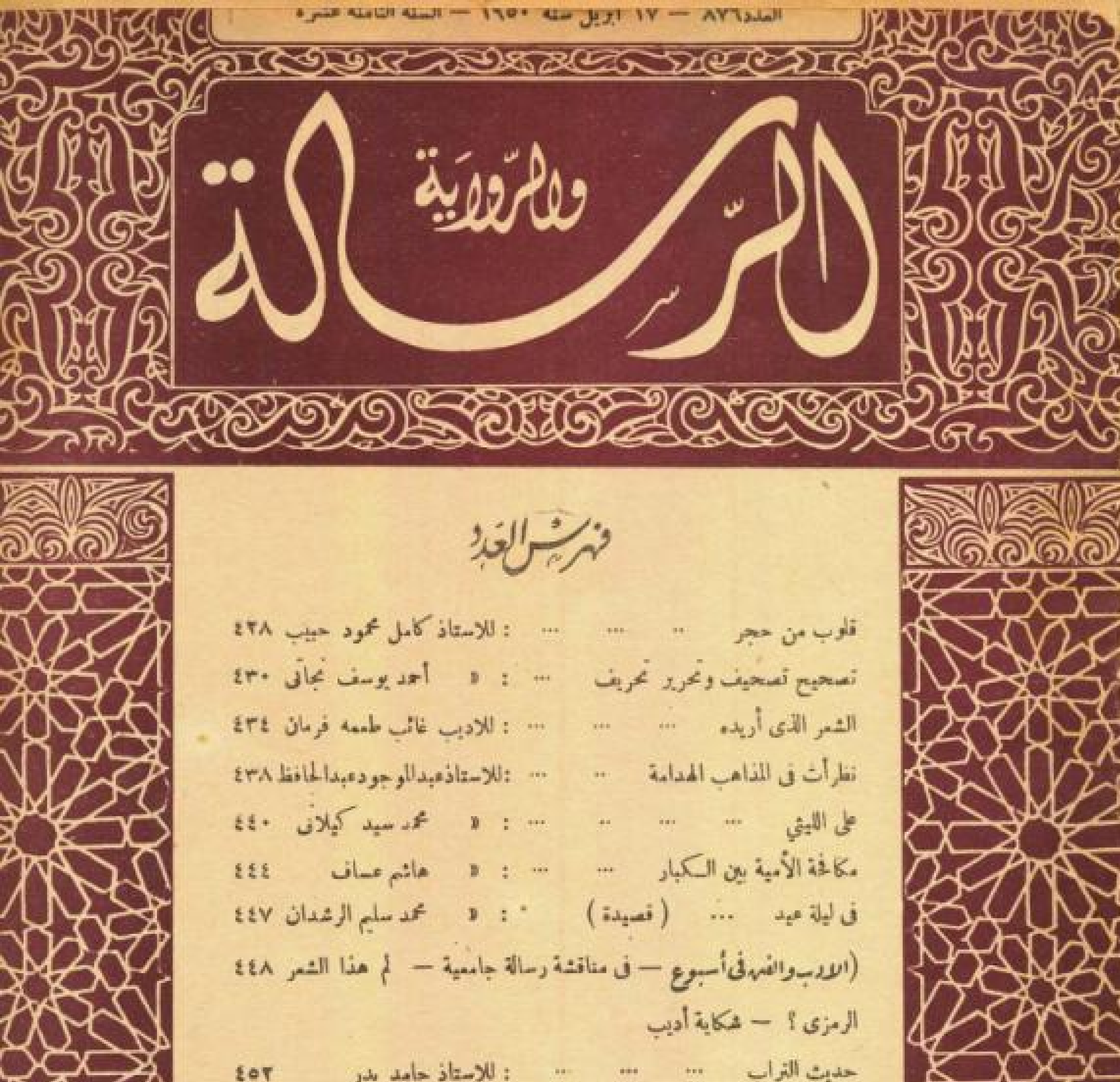
وبعد أن أرسلت مرتا تنهيدة عميقة أدارت رأسها نحوي وقالت :

— مهما يكن فقد كان انساناً نبيلا حقاً! .

أحمد مصطفى



العدد ٨٧٦ — ١٧ ابريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

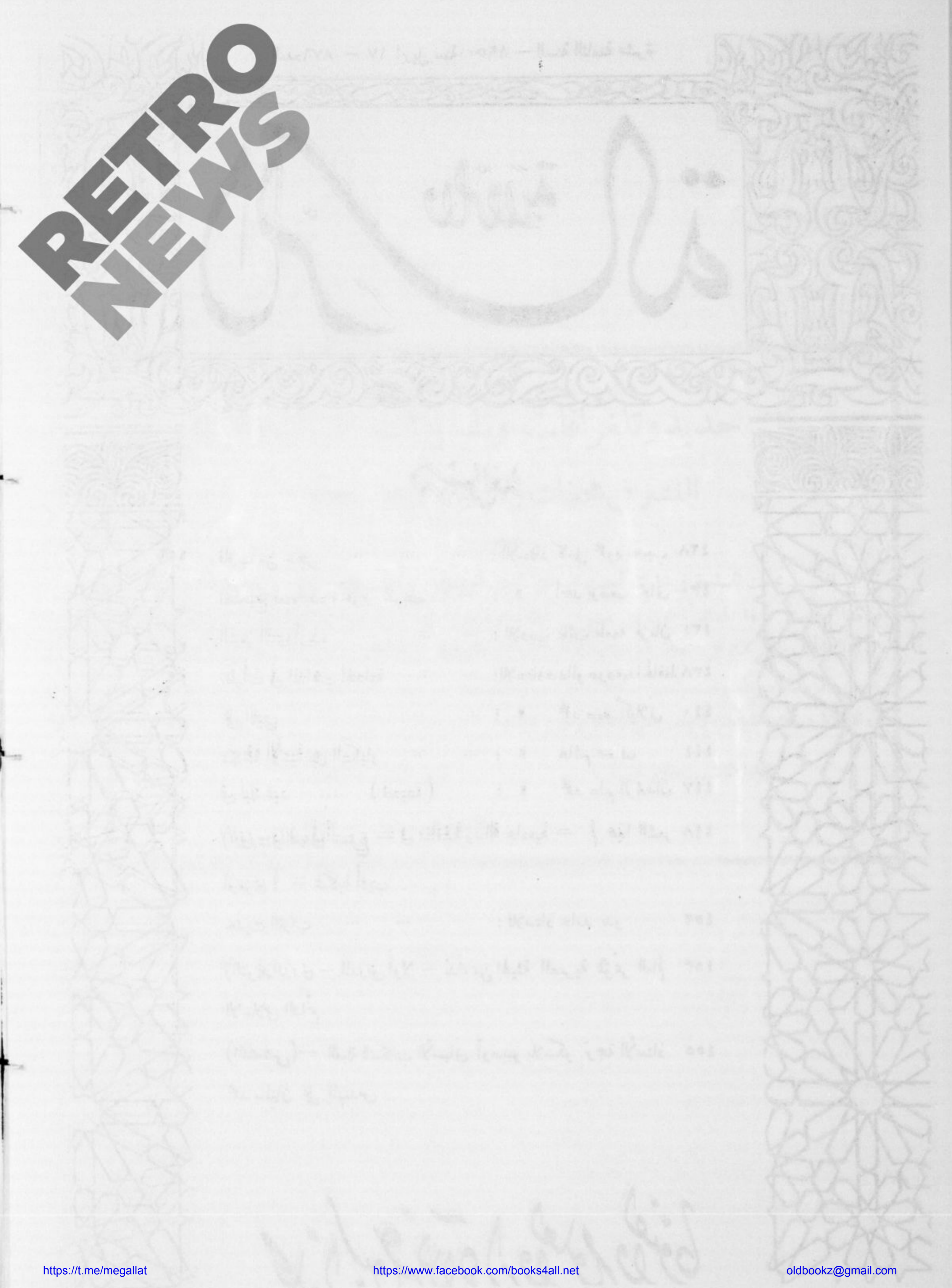
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

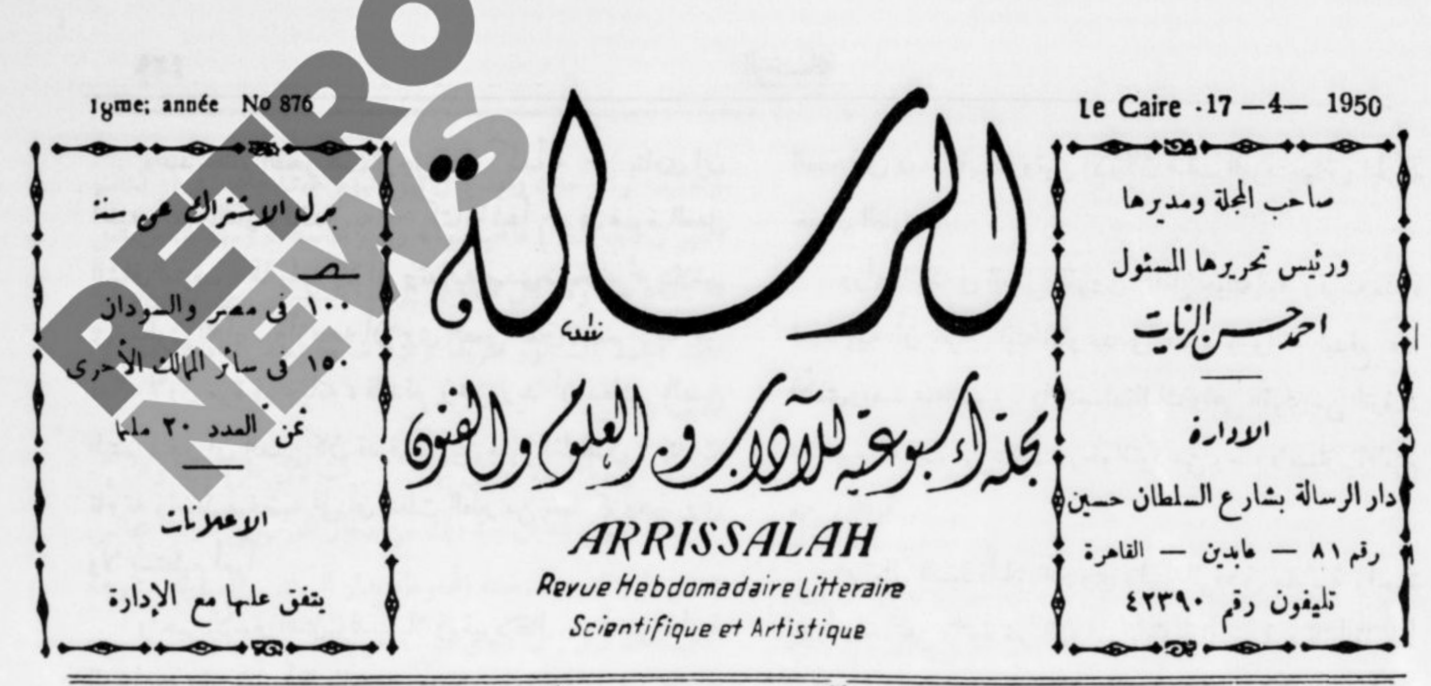
العدد ٨٧٦ — ١٧ ابريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٨٧٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ — ١٧ أبريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

صور من الحياة :

قلوب من حجر

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

قلت لصاحبي : ما بال هذا الفتى يصعر خده في كبر ويتطاول في صلف ، وينظر إلى هذا الناس في احتقار كأنه يرمق بعوضة مناوية عرجاء ؛ ثم هو يتأنق في زينته ويزهى في إهابه ؛ على حين أنه ما برح في أول الطريق لم يبلغ الغاية التي تصبو إليها نفس ، ولا سما إلى المنزلة التي يفرح بها قلب .

فهمهم صاحبي في أسى كأنما يحدث نفسه : آه لو انشق عنه إهاب الانسان لرأيت من خلاله صورة كلب ! إن الانسانية — يا أخي — حين تتهاوى تسفل فتتضع فتنحط إلى أوضع مراتب الحيوانية !

قلت : وماذا عسى أن يكون شأنه ؟

قال : إن له لقصة فيها عبرة للعقل وعظة للقلب

فقلت : هاتها

قال : آه لو رأيت هذا الفتى وهو صبي في فجر الحياة يضطرب في دار عمه ، يفتش في زواياها عن حنان الأم فلا يجده ، ويبحث في أركانها عن عطف الأب فلا يلمسه ، لأنهما ماتا عنه طفلا وخلفاه بين يدي عمه . وشعر الصبي — منذ أول العمر — بأن الحياة خاوية من الرحمة خالية من الشفقة ، لا تنبض بالسعادة ولا تخفق باللذة ، فنزل عن طفولته كارها ، وعاش في دار عمه حيناً من الزمان ، وعمه رجل فيه قسوة الطبع وجفاء الخلق ، يحس وطأة الضيق ويستشعر شظف العيش ، ومن ورائه أولاده يستحثونه إلى غاية فهو يستل قوتهم من براثن الفاقة في جهد ، وينتزع اللقمة الجافة من مخالب الفقر في كد ، وهو لا يرى في ابن أخيه إلا عالة تثقل كاهله وتكثر من عياله ، فرماه بالجفوة وأخذه بالعنف . وسرى داء الأب إلى أبنائه فتدافعوا إلى ابن عمهم يقذفونه بالسباب ويلطمونه بالقسوة ، يدعونه عن الطعام ويدفعونه إلى العمل ، فعاش عبداً بين سادة غلاظ شداد يتمنى الخلاص فلا يبلغه ، ويرجو المفر فلا يناله ، وإن في قلبه أسى يسلبه القرار ، وإن في نفسه ذلة ترغمه على الصبر .

وأحس الصبي بالضوى من أثر الجوع ، وشعر بالضنى من أثر الإرهاق ، وأصابه الكلال من شدة الغلظة ، فانطوى على كراهية تؤج في صدره ، وانضم على مقت أبنائه مقتا ينفث فيه روح الشر والانتقام ، ثم عقد العزم على أمر وإلى جانبه صبي في مثل سنه يعينه على شأنه ويزين له الرأي ويسول له أن يطيرا معاً إلى غير غاية.

وعند مطلع الفجر هب الرجل — كدأبه — ينادى ابن أخيه ، عبد الدار ، ليقذف به — كشأنه أبداً — فى غمرة العمل الشاق المنيف ، فما راعه إلا أن يرتد إليه صدى صيحاته ثم يتلاشى فى سكون الدار . وأزعجه أن يرى الصبى العاق يصم أذنيه عن ندائه لأول مرة فى حياته ، فاندفع يزمجر يريد أن يبطش بالصبى اليتيم ، غير أن الصبى كان قد فر من بين يديه الغليظتين ، فثارت ثائرته واضطرم غضبه على أن ينفلت الطير من شبا كه وهو يرى ولا يستطيع أمراً

وأحس الأسير الذى ولد مكبلا فى قيود ثقال... أحس بالحرية التى لم يتذوقهـا أبداً فانطلق يشدو ويثب ويضحك وإلى جانبـه صاحبه يشاركه نوازع نفسه الطروب ، ويشاطره أفراح قلبه النضر

وهبط الصبى القاهرة بعد أيام — فتاه فى لجة المدينة ، وتقاذفته أمواج الحياة ، لا يستقر فى مكان ولا يهـدأ إلى عمل ، ثم ساقه الحظ إلى دار سيد من ذوى الثراء والجـاه ، فراح يقلب ناظريه فيما حواليه من رواء وأناقة وقد خلبته أبهة المـكان وسحرته روعة الدار وأذهلته هيبـة العظمة ، فامتلأت نفسه رهبة وخشوعاً . ووقف أمام سيده ، سعادة البك ، فاضطربت روحه من خوف ، وارتعدت فرائصه من فرق ، وتلجلج لسانه من فزع . ورأى البك الصبى القروى يوشك أن يتنـاثر من رعب فهم من مجلسه يريد أن يهدىء من روعه ؛ ولـكن خيل للصبى أنه هم يبطش به حين آذاه ما سيطر عليه من ارتباك وخوف ، ففزع خشية أن يصفعه السيد فى غلظة مثلما كان يصفعه عمه من قبل ، فزلت قدمه فهوى فانطرح على الأرض ؛ فابتسم سعادة البك لما رأى ، ثم أخذ يسكن من جأشه بكلمات فيها الرقة والعطف حتى أفرخ روعه واطمأنت نفسه . لقد شهد الصبى — إذ ذاك شيئاً لم يره أبداً فقال لنفسه « ياعجبا ! أفى الناس رجل يعطف على أنا الضائع المسكين ؟ لطالما شعرت بأن العالم كله لا ينضم إلا على خشونة الطبع وجفاء الخلق ودنس النفس أشياء لمستها فى عمى الفظ الغليظ ! »

واندفع الصبى فى عمله يتوثب نشاطا ويتألق احلاصاً ، لاينى عن الطاعة ولا يتريث عن الخضوع ، حتى رضى سيـده واطمأن فخصه بفضل من عنايته وشمله بفيض من عطفه ، فسرت سمات الحياة فى عروقه ، وتوهجت علامات العافية فى وجهه ، وانسربت معانى الصحة فى دمه ، فبـدا وثيق الأركان صلب العود جياش الحركة خفيف الظل

ورأى البك فى الصبى القروى شمائل حببته إليه وقربته منه ، فمهد إليه أن يحرس ابنه الأوحد فى غدوه ورواحه ليدفع عنه الأذى ويصد عنه السوء . وابن سعادة البك واهى القوى من الترف ، مضعضع العصب من دلال ، رخو العود من رخاء ، مسلوب العزم من رفاهية .

ثم تغالى السيد فألحق القروى وابنه المرفه فى مدرسة واحدة ليدرأ واحد عن واحد شر التلميـذ وعادية المدرسة ، فانطلقا معاً والخادم يتبع سيده فى ريث ويقلب البصر فى لباسه الأفرنجى الأنيق يتيه فى زهو ويتخلع فى خيلاء وهو لا يكاد يصدق أنه قذف عن كاهله أعباء الريف وشقاء الحقل ليكون أفندياً يتأنق فى زيه ويختال فى أبهته ...

وانطوت السنون فإذا الصبى القروى ينكب على الدرس فى نهم لا يهمل ولا يتمهل فيسبق أقرانه فى سهولة ويسمو على أترابه فى يسر . وإذا ابن النعمة يتراخى من ضعف وينحط من كسل فيتخلف عن الركب فيبغض المدرسة ويمقت الـكتاب ويجتوى القراءة ، ثم يندفع فى شبابه الأول ليرتدغ فى أسباب اللهو والعبث وسبـله من أمامه معبـدة ميسرة ، ثم ينصرف عن المدرسة إلى غير رجعة

ورأى البك فرق ما كان بين ابنه الغض الجميل وبين ابن القروى الفظ الغليظ ، فغاظه أن يسبق الخادم سيده ، وأن يسمو الوضيع على الرفيع ، فتكشفت انسانيته الرقيقة عن حيوانية جارفة تصفع الخادم وقد شب ونما غرسه وشدا طرفا من العلم ... تصفعه فتذيقه فنوناً من القسـوة والغلظة ، ثم تجذبه من المدرسة إلى الدار ، ثم تدفعه من الدار إلى الشارع

واستحالت صورة البك ، السيد الطيب الرقيق... استحالت صورة — فى لمحة واحدة — فى عينى الفتى القروى إلى صورة بغيضة إلى نفسـه كريهة إلى قلبه ، هى صورة عمه الفظ يوم أن كان يذيقه فنوناً من القسوة والغلظة فى غير ذنب ولا جريرة

الآن ، بدا للفتى القروى أن العالم كله لا ينضم إلا على خشونة الطبع وجفاء الخلق ودنس النفس ، أشياء لمسها — زمان —

تصحيح تصحيف وتحرير تحريف

للأستاذ أحمد يوسف نجاتي

إذا كان الإقرار بالمنة واجباً فالشكر عليها أوجب ، وأقولها كلمة صادقة مخلصة مدوية غير غال فيها ولا مفرط : إن للأستاذ الأديب المحقق (عبد السلام محمد هرون المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول) على اللغة العربية وآدابها مننا غراً وأيادي بيضاً يجب على كل من يمت بصلة للغة الضاد أن يشكرها ويثني عليها ؛ فقد دأب على خدمة هذه اللغة بتنقيح المفيد من كتبها وتحقيقه وشرحه ، ولقد بذل قبل اليوم جهداً جاهداً في (كتاب الحيوان للجاحظ) فأحيا مواته وأبرز محاسنه ، ومهد للناس سبل الانتفاع به ، وقد كان الطريق إلى هذا الكتاب قبل أن يبذل فيه ذلك الجهد المشكور طريقاً وعراً شائكا يصد المتأدبين عنه في أسف وحسرة .

كم من رياض لا أنيس بها ... تركت لأن طريقها وعر

ثم أخرج للناس بعد ذلك من ذخائر العرب (كتاب مجالس ثعلب) وكانت نسخته المحفوظة بدار الكتب المصرية مشوهة سقيمة قد عبثت بها أيدي البلى ، فحرم الناس ثمرة الاستفادة منها ، فتصدى لها الأستاذ نضر الله وجهه ، واستعان بعقله وفكره وأدبه وغزارة مادته وكثرة اطلاعه وبالكثير الجم من المراجع المختلفة من كتب اللغة وعلومها وآدابها وغير ذلك من المصادر

في عمه الفظ الغليظ .

***

وتاه الفتى القروي مرة أخرى في لجة المدينة — وتقاذفته أمواج الحياة ، ولكنه لم يلق السلم وفي نفسه أن يسمى ليكون في مثل ما كان فيه من نعمة وترف في دار سيده . ولم لا ! وهو قد سبق ابنه في الدرس وغلبه في التحصيل وفاز عليه في العلم ، فراح يفتش عن عمل يسد به رمقه ولا يحول بينه وبين المدرسة .

وذاق الفتى بين عمله الجديد وبين المدرسة ... ذاق مرارة الضيق ولذع الحرمان ، يرضى بالقليل ويقنع بالتافه ويصبر على الشدة ، ومن أمامه أمل جياش يفعم صدره فيصرفه عن بعض ما يقاسي من فاقة وشظف ، فاندفع إلى غايته في غير هوادة ولا لين

واشتاقت نفسه إلى لقمة طرية ناعمة ، فأخذ يدخر من عوز ويوفر من فقر ، حتى جمع — في أيام — قروشاً اشترى بها قطعة من لحم لا تغني من جوع ولا تسمن من غثاثة — غير أنها بعثت في نفسه روح البهجة والطرب ، فانطلق إلى حجرته الضيقة المظلمة ، يطهوها بنفسه لنفسه وفي قلبه السعادة والغبطة وفي روحه اللذة والفرح . وامتلأت الحجرة بريح الشواء وروح المرح في وقت معاً . يالعجب ! إن قطعة من اللحم لا تشبع طفلا قد أترعت حياة الفتى المحروم باللذة والسعادة !

وأعد الفتى لنفسه مائدة شهية لا تنضم إلا على قطعة من اللحم ورغيف واحد ، ثم أخذ يمتع نفسه بالنظر إليها حيناً ويتنسم ريحها العبق حيناً آخر ، فما أفاق إلا على قط فظ غليظ ينقض عليها فيلتهمها دفعة واحدة ، فهب الفتى المحروم من مكانه مذعوراً ثائراً يقذف الحيوان الشره بما حواليه في غير وعي ولا عقل .

ورأى الفتى غريمه ملقى على الأرض يصرخ من شدة الألم فاندفع إليه في غيظ يشد وثاقه وفي رأيه أنه قد سلبه متعة نفسه وحرمه لذة بطنه . ثم سيطر عليه جنون الشهوة ... الجنون الذي بعث فيه روح الشر والانتقام من حيوان ضعيف ، الجنون الذي نزع عنه ثوب الانسانية الرقيق ليتبدى في أوضع مراتب الحيوانية .

ووضع الفتى المحروم القط الضعيف في هاون ثم اندفع يدق عظمه في غلظة وفظاظة ، وتناثر الدم يلطخ ثوبه ووجهه ليصمه بالخسة والضعة ، ويلصق بجدار الحجرة ليشهد أن انساناً قد صفرت نفسه من الرحمة وخوى قلبه من الشفقة فانحط إلى أوضع مراتب الحيوانية .

ولا عجب — يا صاحبي — فإن الانسانية حين تتهاوى تسفل فتتضع فتنحط إلى أوضع مراتب الحيوانية .

كامل محمود حبيب

والكتب القيمة فى شتى العلوم والفنون ، وقدمه للقراء بعد ذلك يانع الثمار دانى الجنى فى حسن معرض وسلامة ذوق .

ولما كانت المطابع العربية لا تخلو من تقصير ولا تسلم من زلل مهما عنى بإصلاح غادجها — هذا إلى ما فى نسخة الكتاب الأصلية من تشويه — رأيت فى ذلك الكتاب بعض كلمات محرفة آثرت أن أنبه القراء إلى تصويبها مع اعترافى بالفضل العظيم للأستاذ (عبد السلام) جزاه الله خير الجزاء وجزاء الخير .

(١) فى صفحة ٧ بيتان لعبدالرحمن القس فى صاحبته سلامة ، وصدر البيت الأول

(أهابك أن أقول بذات نفسى) وصوابها بذات كما فى الأغانى وغيره وكما يقتضيه المعنى ، وهذا تحريف سهل ظاهر

(٢) ص ٣٩ فى أول السطر العاشر ضبط اسم (مربع) هكذا (مرْبع) بفتح الميم والصواب أنه (مربع بكسرها) وفى القاموس وشرحه (تاج العروس) ما يأتى :

(ومربع) كمنبر لقب وعوعة بن سعيد بن قرط بن كعب ابن عبد بن أبى بكر بن كلاب راوية جرير الشاعر ، وفيه يقول جرير :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

(٣) فى ص ١٨٥ : وأنشد أبو العباس لأبى محمد (الحُدلى) وعلق على كلمة (الحُدلى) المحرفة بأنها نسبة إلى حديلة من الخزرج ... والحق أن كلمة (الحدلى) محرفة عن الحذلمى) وقد ذكر هذا الاسم صواباً فى صفحتى ٢٣٢ ، ٢٣٤ مصوبة عن تحريفها بكلمة (الحدنلى) ونقل الاسم صواباً فى الصفحتين من لسان العرب — وأبو محمد الحذلمى هذا هو عبد الله بن ربعى بن خالد الفقعسى راجز إسلامى مكثر مجيد

(٤) حكيم بن مُعية الربعى : ضبط فى الكتاب ص ٣٦١ بفتح الحاء وكسر الكاف (حكيم) على صيغة التكبير ، والصواب أنه بضم الحاء وفتح الكاف (حكيم على صيغة التصغير — وفى القاموس وشرحه (تاج العروس) فى مادة (حكم) فى المسمين باسم (حكيم) على وزن (زُبير) ما يأتى : وحكيم بن معية الربعى شاعر راجز أموى كان فى زمن جرير والفرزدق والعجاج — وكذلك ضبطه بصيغة التصغير أبو عبيد البكرى صاحب التنبيه على أمالى القالى ، وكذا ضبط فى (النقائض) ص ١٠ عند قول جرير من قصيدة :

إذا الحرب لم يرجع بصلح سفيرها سـتعلم ما يغنى حكيم ومنقع

(منقع) أحد بنى نضالة من بنى ربيعة أيضاً وكان كذلك يعين على جرير . وروى صاحب الأمالى ج ٣ ص ٧٦ قال : ومن شعر حكيم رثى أخاه عطية بن معية :

ولو لم يفارقنى عطيةُ لم أهن ولم أعط أعدائى الذى كنت أمنع
شجاع إذا لاقى ورام إذا رمى وهاد إذا ما أظلم الليل مصدع
سأبكيك حتى تنفد العينُ ماءها ويشفى منى الدمع ما أتوجع

ونسب هذه الأبيات المرحوم الشيخ سيد بن على المرصفى فى شرحه للكامل للفرزدق يرثى صديقه ونديمه عطية بن جمال من سادات بنى تميم ونقل ذلك من الكامل وشرحه جامع ديوان الفرزدق (الأستاذ الصاوى) . غير أنى أرجح رواية الأمالى وأن الأبيات لحكيم . ابن معية يرثى أخاه كما أقر ذلك شارح الأمالى على أن المبرد صاحب الكامل نسب الأبيات لرجل قال :(أحسبه تميمياً) ولم يسمه ، فزاد بعضهم قوله (هو الفرزدق) وعلق عليه المرحوم الشيخ المرصفى بقوله :

يرثى صديقه ونديمه عطية بن جمال الخ .. وأرى أن المعانى فى الأبيات الثلاثة ليست مما يقصدها أبو فراس فى رثائه فإنه لا يقر بوهن أو هوان، ولا يعترف بخنوع أو ضعف ، أو إن مات أكرم الناس وأحدبهم عليه ، فهو قوى جلد حتى فى رثائه ، عزيز أبى حتى فى أحزانه ، منيع صليب حتى فى مصائبه ، واسمع قوله فى رثاء أولاده وبنيه (وموت الولد يوهي القوى ويفت فى العضد ويقرح القلب والكبد) :

فلا تحسبا أنى تضعضع جانبى لفقد امرئ لو كان غيرى تضعضعا
بنى بأعلام الجزرة صرعوا وكل امرىء يوماً يأخذ مضجعا
لعمرى لقد أبقى لى الدهر صخرة يُرادّى بى الباغى ولم تك أضرعا

ويقول لزوجه (نوار) من قصيدة فى رثاء ابنين له منها :

فما ابناك إلا ابن من الناس فاصبرى فلن يرجع الموتى حنين المآتم

والبغدادى صاحب (خزانة الأدب) لم يتعرض لضبط حكيم وإنما ضبط اسم (معية) مع وضوحه

والحكيم بن معية هذا ابن شاعر راجز كأبيه اسمه عمرو ذكره المرزبانى فى المعجم ونسب له البيتين :

خليلى أمسى حب حرقاء عامدى وفى القلب منه و قدة وصدوع
ولو جاورتنا العام خرقاء لم نُبل على جدبنا ألا يصوب ربيع

وفى كتاب (الصناعتين) فى باب المبالغة ص ٢٩٠ ، قال : ومن جيد المبالغة قول عمرو بن (حاتم) : خليلي أمسى حب خرقاء ... البيتين ثم قال : قوله : على جدينا) مبالغة جيدة ، وكلمة (حاتم) فى الصناعتين مصحفة عن اسم (حكيم) وربما ذكر هذان البيتان ضمن قصيدة عينية روى بعضها أبو على القالى فى الأمالى ص ٣٠ ج ١ ثم يختلف فى نسبتها إلى عمرو بن حكيم أو إلى أبيه أو إلى قيس بن ذريح ، ونسبها القالى فى ص ٦٠ ج ٢ للضحاك بن عمارة ، والحق أن هذه القصيدة مزج فيها أبيات لهؤلاء الشعراء اتفقت فى البحر والقافية والروى ، وأكثر أبيات القالى تنسب إلى الضحاك بن خفاجة العقيلى

(٥) وفى صفحة ٤٧٤ ما يأتى : ... دخلت أنا وأبو محمد التيمى وأشجع بن عمرو وابن رزين (الحرانى) ... وعلق فى الهامش بقوله :

(٣) فى الأغانى (الخراسانى) والحق من وراء الحرانى والخراسانى وإنما هو (الخزاعى) والمراد الشاعر المشهور محمد بن عبد الله ابن رزين الخزاعى المعروف بأبى الشيص بن عم دعبل بن على بن رزين الخزاعى ، والحكاية التى ورد فيها هذا الاسم المحرف مذكورة فى الأغانى ج ١٧ ص ٣٢ فى ترجمة أشجع بن عمرو السلمى سمى أبو الشيص فيها (ابن رزين الخراسانى) . والراجح فى نسبه أنه أبو جعفر محمد بن عبد الله بن رزين بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن بديل بن ورقاء الخزاعى ، وجده أبو على بديل بن ورقاء صحابى جليل تقدم إسلامه وكان من كبار مسلمة الفتح فقد أسلم هو وابنه عبد الله يوم فتح مكة وشهد كلاهما حنينا والطائف وتبوك ، وتوفى بديل قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . وابنه عبد الله بن بديل ورد هو وأخوه محمد فى عسكر على بن أبى طالب حيث سارا إلى صفين وقتلا هناك . وجده الأدنى رزين بن عثمان كان مولى عبد الله ابن خلف الخزاعى البصرى والد طلحة بن عبد الله الملقب طلحة الطلحات (وكان عبد الله بن خلف هذا كاتب عمر بن الخطاب على ديوان الكوفة . وابنه طلحة شهد وقعة الجمل مع السيدة عائشة وولى سجستان فتوفى بها سنة ٦٣ هـ — وقد ترجم لابن عمه دعبل الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ، وصاحب الأغانى وابن خلكان فى وفيات الأعيان ، وصاحب كتاب (معاهد التنصيص وغيرهم ونسبه فى تاريخ بغداد مخالف لما فى الأغانى والمراجع الأخرى التى نقلت عنه ومنها معجم الأدباء لياقوت ، وقد رجحت ما فى تاريخ بغداد لأنه ذكر جماعته من أقرباء دعبل وأبى الشيص ينتهى نسبهم إلى بديل بن ورقاء

وقد ذكر ياقوت النسبين ثم قال : والأكثر على هذا الذى ذكره الخطيب البغدادى . وفى الأغانى ج ١٥ ص ٢٠٤ ترجمة لأبى الشيص نقلها عنه صاحب معاهد التنصيص وقال إنه : محمد بن رزين ابن سليمان . —

والذى رجحه المحققون أنه محمد بن عبد الله بن رزين وأنه ابن عم دعبل ابن على لا عمه . وكان أبو الشيص من شعراء عصره متوسط الحال فيهم غير نبيه الذكر لمعاصرته لمسلم بن الوليد وأبى نواس وأشجع بن عمرو السلمى تخمل بالنسبة إليهم وانقطع إلى أمير الرقة عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى فدحه بأكثر شعره ، وقلما يروى له فى غيره ، ومدح الرشيد فلما مات رثاه ومدح ولده الأمين ، ومدح أيضاً الأمير أبادلف (القاسم بن عيسى العجلى أحد قواد المأمون ثم المعتصم ، وتوفى أبودلف ببغداد سنة ٢٢٦) . وكانت وفاة أبى الشيص سنة ١٩٦ هـ وهو من أسرة عريقة فى الشعر فقد عرف به كثير من أفرادها وإن لم تكن لهم نباهة ذكر ، وحسبك بابن عمه دعبل بن على وابنه على بن دعبل شاعر ، ومن هؤلاء بن أخيه على ابن رزين بن على ، وقد ذكره المرزبانى فى المعجم ، ومنهم ابن عمه سليمان بن رزين ابن على . ومن هذه الأسرة اسماعيل بن على ابن على بن رزين (بن أخى دعبل) وكان متهماً بوضع بعض الأحاديث ، ولد سنة ٢٥٩ وتوفى سنة ٣٥٢ بمدينة واسط ، وله ترجمة فى تاريخ بغداد —

ولأبى الشيص الأبيات الرقيقة المشهورة التى لو لم يكن له سواها لاستحق بها التقديم واستوجب التفضيل : وهى :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخر عنــه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة شغفاً بذكرك فليلمنى اللوم
أشبهت أعدائى فصرت أحبهم إذ كان حظى منك حظى منهم
وأهنتنى فأهنت نفسى صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم

وكل الأدباء على نسبة هذه الأبيات إلى أبى الشيص كما فى الشعر والشعراء والعقد الفريد والأغانى (ج ١٥ ص ٢٠٥) وشرح مقامات الحريرى للشريشى ، وفوات الوفيات وغير ذلك من كتب

الأدب ولـكن الأصفهانى فى الأغانى (ج ٢٩ ص ٢٤٢) نسب هذه الأبيات إلى على بن عبد الله بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن محمد ابن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وكان شاعراً غزلا (فى عصر المتوكل) وعجيب أن يرجح ذلك أبو عبيد البكرى

— ومن لطيف شعر أبى الشيص قوله :

يا حبـذا الزَّوْرُ الذى زارا ... كأنه مقتبسٌ نارا

مر بـبـاب الدار فاجتازها ... يا ليته لو دخـــل الدارا

نفسى فـداء لك من زائر ... ما حل حتى قيل قد سارا

ومنه قوله :

وقائلة وقـد بصرت بدمع ... على الخدين منحدر سكوب

أتـكذب فى البكا وأنت خلو ... قديماً ماجسرت على الذنوب

قميصك والدموع تجول فيه ... وقلبك ليس بالقلب الكئيب

نظير قميص يوسف حين جاءوا ... على لبانه بدم كذوب

فقلت لهـا فداك أبى وأمى ... رجمت بسوء ظنك فى الغيوب

أما والله لو فتشت قلبي ... لسرك بالعـويل وبالنحيب

دموع العاشقين إذا تلاقوا ... بظهر الغيب ألسنة القلوب

ومن جيد شعره قصيدة يمدح بها ممدوحه عقبة بن جعفر، ولم أجدها مجموعة فى كتاب فبذلت جهداً فى لم شعثها وجمع ما تفرق منها حتى اجتمع لى منها ٢٥ بيتاً التقطتها منثورة من جملة مراجع منسوباً بعضها لأعرابى ، ومهملا بعضها عن النسب (ومن هذه المراجع كتاب الصناعتين، وأمالى ابن الشجرى، وشرح الأمالى، وشرح المقامات وعيون الأخبار، ونكت الهميان للصفدى وغيرها. ومطلعها

لا تنـكرى صدى ولا إعراضى ... ليس المُـقل عن الزمان براضى

شيئان لا تصبو النساء إليهما ... حلى المشيب وحلة الأنفاض

حسر المشيب قناعه عن رأسه ... فرمينـه بالصد والإعراض

ولربما جُعلت محاسن وجهه ... لجفونها غرضاً من الأغراض

... ولقد أقول الشيبة أبصرتها ... فى مفرق فنحتها إعراضى :

عنى إليك فلست منتهياً ولو ... عممت منك مفـارق ببياض

هل لى سوى عشرين عاماً قد مضت ... مع ستة فى أزهن مراضى

وأقلها أرتاع منك وإننى ... فيما هويت وإن وزعت لماضى

حمليك ما استطعت الظهور لمتى ... وعلىّ أن ألقاك بالمراض

ومنها يذكر المطايا التى حملته وحملت قاصدى ممدوحه :

أ كل الوجيف لحومها ولحومهم ... فأتوك أنقاضاً على أنقاض

ولقد أتتك على الزمان سواخطا ... ورجعن عنك وهن عنه رواضى

إن الأمان من الزمان وريبـه ... يا عقب شـطـاً ا بحرك الفياض

بحر يلوذ المعتفون بسيله ... فعم الجداول مترع الأحواض

لأبى محمـــد المؤمل راحتا ... ملك إلى أعلى العـلا نهاض

فيد تدفق بالغنى لصديقه ... ويدٌ على الأعداء سم قاضى

هذا ولأبى الشيص ابن اسمه عبد الله (ذكره الخطيب البغدادى) كان من شعراء بغداد ، وروى عنـه بعض شعره عمرو بن بحر الجاحظ وغيره، وكان مولعاً بهجو أبى سعد المخزومي الشاعر (واسمه عيسى ابن خالد بن الوليد من ولد الحرث بن هشام المخزومى) .

ورثى محمد الجواد بن على بن موسى الرضا المتوفى سنة ٢٢٠ ورثى أبا تمام حبيب بن أوس المتوفى سنة ٢٣١

وعم أبى الشيص على بن رزين والد دعبل شاعر مقل ذكره المرزبانى ومن شعره قوله :

خليلى ماذا أرتجى من غدامرئ ... طوى الكشح عنى اليوم وهو مكين

وإن أمرأ قد ضن منـه بمنطق ... يسد به فقر امرىء لضنين

وقوله: أقول لما رأيت الموت يطلبنى ... يا ليتنى درهم فى كيس مياح

فياله درهماً طالت صيانته ... لا هالك ضـيعة يوماً ولا ضاح

(مياح) اسم رجل يهجوه ويرميه بالشح .

(٤) فى ص ٦٠٠ سطر ٩: وأنشدنى على بن عبد الله للفضل ابن العباس اللهبى هكذا ضبط (اللِهبى) بكسر اللام وسكون الهاء نسبة إلى لهب ، والصواب أنه (لَهبى) بفتح اللام والهاء نسبة إلى أبى لهب (كما هو القاعدة فى النسب إلى المركب الإضافى المبدوء بابن أو أب كالبكرى نسبة إلى أبى بكر) يريد الفضل بن العباس ابن عتبة ابن أبى لهب (واسمه عبد العزى) بن عبد المطلب بن هاشم أحد أعمامه صلى الله عليه وسلم . وكان الفضل هـذا أحد شعراء بنى هاشم المذكورين وفصحائهم المشهورين . أسلم جده عتبة يوم الفتح وشهد يوم حنين والطائف ، وهو هاشمى الأبوين، وأمه آمنة بنت العباس بن عبد المطلب عمه صلى الله عليه وسلم ، والفضل هو قائل الأبيات المشهورة التى أولها

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا ... لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

يريد ببنى عمه بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كما فى الحماسة والكامل للمبرد وغيرهما . وقد اتصل الفضل بعبد الملك بن مروان

الشعر الذى أريده ..

للأديب غائب طعمه فرمان

للكاتب الفرنسى (أندريه موروا) أقصوصة ممتعة ، وجد طريفة .. فحواها أن رساماً أصاب رسومه الكساد ، وأعرض الجمهور عن شرائها والأقبال عليها ، فغرض من هذا الحال ، وغمه الأمر ، وتعاقبت على صدره الهموم .. فذهب إلى صديق أديب يستشيره فى الأمر ، ويطلب حكمته فى ساعة الحرج وإختلاف المصائب عليه ! ، فأوعز إليه الأديب الأريب أن يغير أسلوبه فى الرسم ، ويعقد ما وسعه التعقيد ، ويغمض مسرفاً فى الغموض ، فبدلا من أن يرسم وجهاً فيه لألاء الجمال ، وفتنة التناسق ، وإغراء الواقع ، يشذ فيرسم وجهاً ذا أربع اعين وأنفاً تحت فم كبير ، وأذناً ملتصقة فى الجبين !! .. وهكذا يطلق لخيلته العنان ، ويصفع وجه الواقع ، ويلعن أبا الحقيقة ! .. وعجب الرسام المسكين من هذا الاقتراح ، وعده مزاحاً ودعابة لولا لهجة الأديب الصادقة ، وحماسه الملتهب !

وقفل الرسام إلى مرسمه عاملا بنصيحة الأديب ، مبدياً كل شذوذ واغراب ، حتى إذا تم له الأمر ، وهيأ صوراً غامضة مغرقة فى الغموض أعلن بمساعدة الأديب فى الصحف عن ميلاد رسام عبقرى من طراز غريب ، سيبدل مجرى الفن ، وتقف الانسانية مذهولة مما أنتجه .. كما أعلن أن هذا الرسام العبقرى الفذ سيفتتح معرضه فى اليوم الفلانى !

وأثار الاعلان فضول الناس ، وحبهم لكل عجيب وغريب ، وتهافتهم على مواطن الشذوذ والغرابة ، فاذا بالمعرض يزدحم بآلاف من الناس ، كلهم دهش من هذه الصور العجيبة ، قادح زناد ذهنه ليظفر بالغاية منها ! .. والظاهر أن الأديب كان من طراز

وابن الوليد ومدحهما . وله ترجمة فى الأغانى فى أول الجزء الخامس عشر .

ومن شعره قوله (كما فى شرح نهج البلاغة) :

زعم ابن سلمى ضرني حلمى ... ماضر قبلى أهله الحلم
إنا أناس من سجيتهم ... صدق الحديث ورأيهم حتم
لبسوا الحياء فأنت تحسبهم ... سقموا ولم يمسسهم سقم
أني وجدت العدم أكثره ... عدم العقول فذلك العدم
والمرء أكثر عيبه ضرراً ... خطل اللسان وصمته حكم

أما بنو لهب بالكسر فهم قبيلة من الأزدفى اليمن تنسب إلى لهب بن أحجن بن كعب بن الحرث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، وهم أهل العيافة والزجر ، وفيهم يقول كثير بن عبد الرحمن الخزاعى :

تيممت لهبا أبتغى العلم عندهم ... وقد رد علم العائفين إلى لهب

ويقول غيره :

خبير بنـــو لهب فلاتك ملغيا ... مقالة لهبي إذا الطير مرّت

فهم بعيدون عن أن يفتخروا بمثل الأبيات التى فى المجالس ص ٦٠٠ وإنما يفخر بها آل بيت النبوة . على أن هـذه الأبيات تنسب أيضا للفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم كما فى معجم المرزبانى نقلا عن أبى بكر الباقلانى وقد شهد الفضل هذا يوم الفتح وحنين وثبت معه صلى الله عليه وسلم حين انهزم الناس وشهد معه حجة الوداع وكان رديفه يومئذ وتوفى فى طاعون عمواس بالشام سنة ٢٨ هـ

(تنبيه) عقبة بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعى ممدوح أبى الشيص المتقدم من أسرة سرية ، وجده جعفر كان من أماثل بغداد وسراتها وكان أخوه العباس بن جعفر من ولاة الأعمال للرشيد ، ولدعبل فيه مدائح كثيرة ، وكان ابنه الفضل بن العباس ابن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعى الكوفى أديبا شاعراً ولى الأعمال الجليلة فى الدولة العباسية وكان مع هذا قائداً مظفراً منصوراً (معجم المرزبانى ص ٣٢٢) .

وأختم القول كما بدأته بأن أهدى الثناء الجميل والشكر الجزيل للاستاذ النابغة البارع (عبد السلام) ومنى عليه أطيب التحية وأذكى السلام

أحمد يوسف نجاتى

الأستاذ سابقاً بدار العلوم وكلية اللغة العربية ثم بدار المعلمين وكلية الملكة عالية بمدينة بغداد

٣٤ ٥ ٣٢

عجيب أيضاً في الحيلة وسعة الدهاء ، فقد عرف أن الجمهور لا بد من أنه سيسأل الرسام عن حقيقة هذه الرسوم ومغزاها البعيد المدى ، فلا بد من جواب مدهش ، فاتفق الاثنان على أن يكون الجواب : « هل رأيت في حياتك نهراً ؟! » . وقد وقع ما كانا ينتظرانه ، فقد سئل الرسام عن هذه الرسوم فوقف وقفة صارمة ، وقال بلهجة غامضة « هل رأيتم في حياتكم نهراً ؟!» وانصرف ، تاركا الجمهور المسكين في غيبوبة عن الوعي ، مذهولا مما يرى ... سبحان الله ! إن هذا الرسام لمن طراز أعجب من العجب . فما أشد غرابته ، وما أشذ سلوكه ، وما أعجب تفكيره .. لا .. لا .. لابد أن يكون من وراء جوابه الغامض سر محير تكمن فيه العبقرية والموهبة الفلسفية ، ولا بد من أن يكون لهذه الرسوم معان غامضة لا يستطيع العقل المتوسط أن يدركها ، ويبلغ شاطئيها الساحرين. وفي اليوم التالي كانت الصحف تتحدث عن مولد هذا الرسام العبقري العظيم !!

وأغلب الظن أن بعض إخواننا الشعراء يؤمنون بهذا المبدأ إيماناً مفرطاً تتداعى أمامه كل حقيقة من حقائق الدنيا .. ومع أن الزمن يتقدم ، والحياة تعرض علينا في كل يوم شيئاً جديداً ، فان الاخوان — حفظهم الله — يدخلون في هيا كل عزتهم ، ويطلقون في جنباتها بخور الأحلام العاجزة ، والأوهام الواهية ، ويعيدون على مسامعهم قصة الرسام وطريقة ظفره بالشهرة وذيوع الصيت يحاولون تقليدها بتكلف الغرابة وافتعال الغموض ..

هؤلاء الناس يجب أن يسقطوا من حساب الشعراء ، فهم كالنباتات الطفيلية تعيش في رياض الأدب الفيحاء ... والحياة ذاتها لا تقبل هذا الغموض فهي دائماً سهلة المأخذ ، طيعة الفكر . وكل شذوذ عن الحياة ومخالفة لمنطقها يخفي نقصاً في الإدراك ومرضاً في القلب .. وخير العواطف الانسانية وأعمقها وأكثرها صدقاً ، وأرحبها آفاقاً تلك التي تصدر عن قلب سليم حساس .

إذن فنحن مطالبون بإهمال هذا الغموض ، وإسقاط كل تعقيد من الشعر ، لأننا بذلك نسقط كل تكلف وكذب ومراوغة وشذوذ .. والبساطة تحيط بنا أينما سرنا ، فآفاق الشاعرية في الكون الجميل المتناسق العذب النغمات ، وفي أغوار النفس البشرية التي لا نجد فيها إلا كل سهولة ويسر لا في تلك النوبات الهستيرية عند بعض خلق الله ! ولا وراء اللعب بالألفاظ ، والتقعر في المعاني ، وخوض اليم لإستخراج الصور الغريبة .. وأعذب النغمات تلك التي تنساب في اتساق ونعومة ؛ تلك التي تغمر القلب الانساني بفيض من العذوبة والحنان ؛ تلك التي تعمر الجانب المهدم من الانسانية بمعاول البغضاء والشنآن !

ودعاة الغموض في الشعر مشغوفون لحد الجنون بالصور الشعرية يخلقونها من أية مادة كانت ، ويمتاحونها من أي نوع من المياه حتى ولو كانت مستنقعاً ، ويسلكون إليها سبلا مليئة بالأشواك ! هم يحاولون أن يخلقوا عوالم جديدة من الصور ولو كان أساسها من رمال ، وجدرانها من قش !! هؤلاء ليسوا بعيدي النظر ، ولا دقيقي التفكير ؛ لأنهم يبدأون عملهم الأدبي من حيث يجب أن ينتهوا إليه ؛ فلا يدركون قيمة الألفاظ ولا قدسيتها ، فقد أقعدهم العجز وفساد الطبع عن استكناه العوالم التي تخلقها الألفاظ . فاللفظ الشعري إذا وضع في موضعه واتسق مع موسيقاه ومعناه الوضعي خلق وحده صورة شعرية جميلة تنطلق في الاجواء الوجدانية بشائر لأحاسيس جديدة. والشاعر الحق كما يقول شارلتن « من تميز عن سائر خلق الله بإدراكه لقيمة الألفاظ ، ولما فيها من قوة وإبداع » فهم — إذن — في نظر شارلتن ليسوا شعراء !

وما دامت آفاق الشاعر في الحياة والكون وليست في الألفاظ التائهة والتعابير العمياء فهو مكلف بخلق أشياء جديدة أو قل نغمات جديدة .. فلقد آن لنا أن ننادي بإخراج الشعر العربي من القوالب القديمة التي تصب معاني متبلورة لا طعم لها ولا لون! لقد آن لنا أن نفهم أن القصيدة الشعرية صورة لتجربة وجدانية لا خلاصة من خلاصات التجربة . صورة يجب أن تبرز في جميع معالمها ، وتتألف جميع ملامحها وألوانها في التعبير عن التجربة الشعورية .. فالتجربة الشعورية ليس القصد منها استخراج قانون ، أو الاستفادة من موعظة ! فتلك وجهة نظر الاخلاقيين لا الشعراء .

والشعر العربي فقير إلى الإخراج . ومن هنا انفتح باب كبير شغل النقاد العرب زمناً طويلا وهو (باب السرقات) .. ذلك لأن تلك المعاني المودعة في ألفاظ قليلة كمعاني حكمية ، أو كنتائج لتجارب وجدانية مجهولة ، سهلة السرق يتصرف بها أي شاعر

وينقلها فى ثوب جديد !

أنا مؤمن بأن النفوس الانسانية تتغاير سمات وملامح، وتختلف أمزجة وطبائع . . فمن الحماقة تطبيق علم النفس على التجارب الوجدانية . وإذا كان لا بد من استعماله بعض الشيء فيكون بعد انتهاء التجربة على النصوص الأدبية لا قبلها لإدراك بعض الخصائص العامة فحسب . . ونحن سنجد أن احتفال الشاعر بطريقة من طرائق التعبير أو بلفظ من الألفاظ الشعرية راجع إلى دخيلة نفسه وطوايا ضميره وقد لاحظ النقاد أن « بودلير » كان يستعمل كلمة « أسود » وما يؤدى معناها كثيراً فى شعره . ولا شك فى أن هناك صلة وثقى بين حياة بودلير البوهيمية الصاخبة وخروجه من معترك الحياة محطم النفس ، خائر القوى تتناهبه عوامل السأم والضجر والخيبة المريرة ، وبين تلك الألفاظ التى تعبر عن واقع حاله وآلام نفسه . . وكذلك كان أوسكار وايلد الذى لقى من المجتمع اضطهاداً منكرا ، وجبروتاً مؤلماً ، ونفوراً مقيتاً ، تراه يستعمل لفظ (المجتمع الحاضر) أو العصر الحاضر كثيراً فى مسرحياته وأقاصيصه ، ويستعمله بسخط وازدراء ، وفى موضع تشف وانتقام وكراهية !

وما دام الأمر كذلك فاننا سنجد عند الشعراء العظماء شخصية فنية متمايزة بخصائصها لها لونها الخاص ، وكيانها المحدد وأدع القارىء يفتش عن الشخصية الفنية بين هذا الجمع الزاخر من المتشاعرين لعله يظفر بما لم أظفر !!

الحق أن الشخصية الفنية فى خطر . وإذا قلنا هذا فقد قلنا إن الشعر العربى يمثل الآن مجاعة فى الوجدان . . إن الشعر العربى يقاسى أقسى أزمة ؛ ذلك لأن الذين يعالجون قرض الشعر لم يفهموا حتى الآن ما يسمى بالصدق الوجدانى . . فهم لا ينفذون إلى أعماق نفوسهم ليكتبوا عن انعكاسات العالم فيها ، واستجاباتها لما يحيطها من الأشياء . . بل عاموا كالأوراق اليابسة فوق السطح ليجتروا عواطف غيرهم ، ويعيدوا على مسامعنا تجارب الآخرين بصورة مشوهة ، ونعم بال . . واختفت فى عالم الشعر الشخصية الفنية ولاح شاعر واحد فجع بشىء لا أعرفه فظل يبكى بدموع غزار !

وأصبح نقادنا حفظهم الله — يطلقون الألقاب جزافاً ، ويصفون الشعراء صفات مبهمة . وأصبحت كلمات الابداع والعبقرية والصدق والرفعة فى الأسلوب ، والسمو فى العاطفة حقيرة رخيصة تباع بالجملة فى أسواق الوساطة والشفاعات

يخيل إلى أننا لم نظلم كلمة مثل ظلمنا لكلمة « العاطفة » فقد شاء ربك أن تصبح هذه الكلمة القدسية مبتذلة تلوكها الألسن ، ولا تفهم حقيقتها العقول ! . نحن نصف العاطفة بالصدق تارة ، وبالضيق أخرى ، وبالابهام تارة أخرى . . فما هى تلك العاطفة ؟!

العاطفة عندى هى الإدراك الوجدانى تقابل الفكر وهو الإدراك العقلى . . فالعاطفة هى العين التى تهدينا قلبياً إلى ينبوع من الحقيقة والجمال . . ونحن فى حياتنا الوجدانية نستشير قلوبنا أكثر مما نستشير عقولنا !! وما دامت العاطفة إدراكا وجدانيا فهى تختلف آماداً ، وتتباين فى عمقها واتساعها . . فهناك إدراك ضيق مريض يدور حول نفسه ولا يخرج إلى رحاب الانسانية الطليقة ؛ كذلك الادراك الوجدانى القائم على اللذة وحب الذات حين ينشأ الحب بين فتى وفتاة ينحصر فى حدود ذاتيهما ، ويتلون بلون مزاجهما ، فذلك اللون من الإدراك أنانى مفرط فى الأنانية . ونحن نعلم حين يصاب شاعر من شعرائنا بهذا المرض الوبيل يبيع العالم بثمن بخس ، ويخيل إليه الوهم والادراك الضيق أن العالم كله فى كفة ، وهو وحبيبته فى الكفة الأخرى ! . وكم من شاعر قدم العالم المسكين قرباناً لقدمى محبوبته بوقاحة وعدم مبالاة كأن لديه مصائر البشرية ... لهذا فأنا أحقد على هذا الحب ؛ أولا ، لأنه إدراك فاسد وأنانية محضة ، وثانيا : لأنه قصير الأجل يترك وراءه حقداً على العالم وكراهية للبشرية ، وثالثاً : لأنه يصرف الشاعر عن الادراك الكلى للوجود ، ويسجنه فى دائرة لا تتعدى محبوبته فيظل يسبح بحمدها ، ويقدسها إلى حد العبادة . . وهو بعد ذلك لا يخلو من كذب ورياء ومبالغة وخداع !

فأنا أكره هذا الحب الضيق كما أكره التعقيد . . بل أريده حباً أوسع أفقاً ، وأبعد غوراً ، وأرفع إدراكا .

أنا لا أنكر على الشاعر أن يحب ، وأن يفرط فى الحب ، وأن يضطرم بين جوانحه عواطف وأحاسيس ، وأن تنبت فى روض مخيلته آمال وأحلام .. ولكن الجميل فى الشاعر أن يحمل من حبه المحدود الضيق وثبته إلى عوالم جديدة من التعاطف الوجدانى .. أن ينبثق فى أعماقه ذلك الهيام الصوفى فى حب أعم وأكثر شمولا ،

وأوسع عاطفة فيتحول غزله إلى معنى رمزى جميـــل هو حب الانسانية كلها والوجود جميعه .. هنالك تشرق فى دنياه شموس من الأمل والرجاء.. هنالك يحلق فى سماوات من الرفعة والسمو ، وتصبح كل قصيدة من قصائد شعره كما قال شارلتن « كشفاً جديداً وتنبؤاً لحوادث المستقبل » .

لا بأس بأن يتغزل ، وأن يرسل من أعماق قلبه نغمات وألحاناً عذاباً ، ويقدم من عصارة روحه رحيقاً لأرواحنا الظامئة — دائماً — إلى الخمرة الخالدة .. خمرة الحق والجمال! وعند ذلك يولد الشعر الذى يستحق أن ينشد فى موكب الانسانيـة وهى سائرة قدماً إلى الشاطئ الجميل .. والانسانية دائماً مشتاقة تواقه إلى مثل هذا الشعر كما تحتاج الجموع المجهدة إلى الراحة والظل الظليل ، وكما تتوق النوق الظامئة إلى النمير العذب ..

هناك تتحطم الحدود أمام الشاعر، وتزال العقبات ، وتصبح روحه ملكاً للبشر جميعه لا لوطن بعينه ولا لأمة واحدة .. وحينئذ تختفى أمامه أشباح الحزن والقنوط ، وتلوح لناظريه بشائر الأمل والرجاء الجميل ، ويأنف من البكاء — كالأنثى !! — على أطلال آمال ضيقة ، وأحلام حمقاء ! وهذا ما نراه عند الـكثرة المطلقة من شعرائنا الأكرمين : عويل وبكاء كأنهم فى مأتم يندبون الدنيا التى أوشكت أن تزول ... وليتهم كانوا صادقين يعبرون عن وجدان يشعرهما فى الدنيا من متناقضات ، ويبكى على معانى الخير والحق والجمال .. ولـكنهم كالنائحات المستأجرات ينوحون فى كل مأتم ، ويبكون إثر كل ميت ، ويذرفون الدمع كأرخص ما يكون الدمع ، وأسخف ما يكون البكاء !!

هؤلاء يظنون البكاء نغماً جميلا يأخذ سحره بالألباب ! ، وأن البكاء عبقرية وفهم بينما البكاء يقترن دائماً بمعنى الجهل وقصر النظر، وضعف النفس ، وأنوثة الخلق وما إلى ذلك.. والبكاء ـ كما قيل ـ أسهل بكثير من الغبطة والإنشراح .. ذلك لأن النفس مكلفة بالإدراك الـكامل ، واستعمال العقـــل والدراية حين تضحك ويصيبها الانشراح ، بينما البكاء لا يكلفها إلا دعك العينين لاستخراج الدموع !

والبكاء بهذلك معنى ضيق يتصل بمطالب الذات ، ومسراتها الفانية فى حين أن الانسانية دائماً تسير نحو النور .

ليت شعرى ألا يوجد فى العـالم العربى شاعر واحد يحس بالانطلاق ، ويتحرر من ربقة الأوهام ، ويحطم تلك الأبواق التى أزعجتنا وناحت على مأتم لا وجود له ، ليملأنا بالأمل ، وينشد لنا أناشيد الفرح والسرور .

إن الشعر كما أريده إدراك واسع للـكون والنفس الانسانية ، وألوان مختلفة من الشعور ، وعمق فى الإحساس لا تحدده غاية قصيرة ، ولا تستبد به أوهام عاجز مقبول ، وتعبير رفيع من غرابة ولا تعقيد ، ونغمات تفصح عن طوايا النفس تشعر بالأمل ، وتسرى فى أرواحنا عذوبة غامرة ، وفيضاً من الاطمئنان العميق .

سيقول بعض الناس : إنك تقيد الشاعر ، وتسلبه حريته فى التعبير . وجوابى على هؤلاء أنه لو كانت الحرية غلواً فى التعقيد ، وشذوذاً فى التعبير ، وتكلفاً مقيتاً ، ولهواً بالقشور ، والوقوف على أى طلل للبكاء والنحيب ، والإندفاع وراء كل رغبة مجنونة ، فلتذهب الحرية إلى الشيطان

غائب طعمه فرمان

نظرات فى المذاهب الهدامة

(... ولكن أصحاب النحل الخبيثة وذوى المطامع الخسيسة لم يرضهم فى الزمن الغابر ، ولا يرضيهم فى الزمن الحاضر ، أن يعيش الناس وادعين راضين فى ظلال النظم المشروعة ، فهم يعارضون أوامر الله ووصايا الرسل بتسليط الغرائز وتحكيم الشهوات ، فتمردوا على الدين ، وتحللوا من الخلق ، وتحرروا من القيود .) الزيات

تقوم الحياة الاجتماعية للشعوب والأمم ، على سنة ثابتة من الرقى والتطور التدريجى الذى يسير فى طريق طبيعى منذ القدم . ومن الوهم ، استطاعة نقل حياة الناس من حال إلى آخر بنظام يبتكر أو مذهب يتخيل فيه واضعوه أنه سيطفر بهذه الشعوب مرة واحدة . وقد رسخ فى وهمهم أن الجماعات الانسانية لو قامت على هذه النظم وسارت على تعاليمها ، لوصلت إلى حالة أرقى وعيش أسعد ، مما عليه حياتها القائمة .

وقد انتشر كثير من هذه النظم والمذاهب فى هذه الأيام ، فأطلق أصحاب هذه المذاهب العنان لخيالهم الذى أتى بكثير من الانتاجات التى تعتبر وصمة عار فى جبين الانسانية المتحضرة فى القرن العشرين . والعجيب أن تنبع هذه المذاهب الهدامة والنظريات المتوحشة ، من أوربا المتمدينة التى يدعى شعوبها أنهم أكثر الناس انسانية وحضارة ؛ هذه المذاهب التى تقول بإبادة الضعفاء والمرضى وأصحاب العلل والعاهات حتى لا يبقى إلا الأقوياء القادرون على الكفاح فى الحياة ، فلا يكون أولئك المرضى الضعفاء عقبة فى سبيل التقدم ، بإعالة المجتمع لهم وصرف بعض الجهد فى سبيلهم .

وأكثر هذه المذاهب تطرفا (الشيوعية) التى أخذت تغزو بعض الشعوب فتقلب أمرها رأسا على عقب ، تزلزل بنيانها وتهدم أركانها .

يقوم هذا المذهب على أركان رئيسية ثلاثة : (١) أن تكون أرض الوطن وما عليها ملكا للأفراد والأمة على السواء ، وذلك بمحو الملكية الفردية وإبطال الحقوق المكتسبة بالجهد والسعى . وفى هذا ما فيه من إضعاف روح الجد والطموح إلى العلا . فهم يتوهمون أن الفقر المنتشر بين الطبقات وفى الشعوب سببه سوء توزيع الثروة بين أفراد الشعب ، وهم بهذا يريدون أن يرجعوا بالناس آلاف السنين إلى الوراء يوم أن كانوا فى العصور الهمجية الأولى لا يعرفون شيئا عن الملكية فكانوا يعيشون على ما يصطادونه من الحيوانات أو ما تصل إليه أيديهم من الأعشاب .

فلما ارتقت حالهم وزادت معرفتهم بالزراعة والصناعة وغيرها ، عرفوا الملكية فعرفوا ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات . فحينما ينادون بمحو الملكية الفردية وإبطال حقوق الأفراد فيما يجمعون ، يريدون على حد زعمهم أن يمنعوا بعض الأفراد من أن يتناولوا فوق ما يكفيهم من الثروة العامة فيكتنزوه فى خزائنهم ، ليفرقوه على الذين لا ثروة لهم ، وفاتهم أن هذه الوسيلة عديمة الجدوى ضعيفة الأثر فى تحسين الحالة الاقتصادية وإخراج الناس من الأزمة التى يرزحون تحت كلكلها .

وفاتهم أنهم بعملهم هذا يقضون على روح التنافس المشروع بين الأفراد ويقتلون فى نفوسهم النشاط والرغبة فى العمل ، مادام كل ما يجمعونه سيذهب إلى أيدى غيرهم ممن لم يبذلوا مجهودا ولم تتصبب جباههم عرقا ، ولم يجهدوا عقولهم فى التفكير فيما يجلب لهم المال والثروة . فيتقاعد العاملون ويتكاسل أصحاب الهمم العالية ويصبح الناس سواسية فى الفاقة والاحتياج ، وتعود الخسارة على العالم عامة والوطن خاصة لتوقف المشروعات العظيمة والأعمال النافعة التى يقوم بها ذوو الهمم الجبارة ويتولاها أصحاب الكفايات الممتازة سعيا وراء الكسب المشروع وزيادة ثروة البلاد.

(١) أن تكون الحكومة قيمة على الأعمال قائمة بجميع المشروعات التى تكون كلها ملكا للدولة ، أى حذف رءوس الأموال الفردية . وهم بذلك يستهوون الفقراء ويجتذبونهم إلى صفوفهم لما يوهمونهم به من معسول الكلام ، بأن العمل بهذا سيجعلهم فى رغد من العيش ويحسن حالهم ، ويقضى على هذا العدو الناشب أظفاره فيهم كما يقول عالم من علماء الاقتصاد الروس « إن الفقر لا يعالج عن تقسيم الثروة بين الناس لسببين واضحين

أحدهما أن الثروة التى يراد تقسيمها لا تكفى حاجات الناس جميعا . وقد عرف ذلك عن طريق الاحصاءات . فلو صودرت

الأرباح الفردية التي تزيد عن ١٠٠٠٠ فرنك ووزعت بين الذين يقل دخلهم عن هذا المقدار ، فإن كل فرد لا يحصل على أكثر من ١٢ ٪ من دخله تقريبا ، وبما أن الناس لا يصلون إلى رغد العيش المرجو إلا إذا ارتفع دخل كل منهم إلى عشرة أضعاف ما يحصل عليه حاليا ، عرفنا أن مشكلة الفقر لا تعالج بتقسيم ثروة الأغنياء على الفقراء. فالعامل الذي دخله خمسة فرنكات ويشكو الفاقة والعوز ، فإن حاله لن تتغير عما هي عليه إذا حصل على الـ ١٢ / التي تخصه من الاستيلاء على أموال الأغنياء وذلك لأن دخله لا يرتفع في الحالة الثانية أكثر من ربع فرنك يوميا وهذا فرق ضئيل لا يأتي بالتحسين المطلوب الذي يقصد من تقسيم الثروة بين أفراد الشعب جميعا .

والسبب الآخر أنه إذا كان دخل أحد الناس في السنة ٥٠ مليونا من الفرنكات وصودرهذا المبلغ لتوزيعه على الفقراء المحيطين به فإن كلا منهم لا يحصل على أكثر من فرنك ، وهذا مقياس لجميع الأغنياء ، كما أنه لو أفاد هذا العمل مرة فلن تتكرر هذه الفائدة فمن سيدفع عن الفقراء حاجاتهم التي تتجدد يوما بعد يوم؟

ذلك لأن الشخص الذي كافح وجاهد واكتسب الـ ٥٠ مليونا لن يعمل على كسب مثلها في السنة التالية لأنه حرم لذة هذا الجهاد وحرمت عليه ثمرة ما بذله ، فيكتفي بما يسد به حاجاته الشخصية ويكفل له العيش » ثم يقول : « إن حالة البشر المعيشية سيئة جدا ، وإننا فقراء مدقعون وذلك لأن منتجات الأرض السنوية تعجز عن سد حاجة البشر من الغذاء والملبس. فهل هذا لأن الأرض لا تنتج ما يفي بما هو ضروري لنا ، إن كان الجواب على هذا بالإيجاب فعلينا أن نرضى بحظنا من الحياة وما قسمه الله لنا ، وأن نعتبر أن الفقر كالموت أمر لا مفر منه ولا محيص عنه ، ولكن لحسن الحظ أن هذا الافتراض لا نصيب له من الصحة لأن الأرض في مقدورها أن تدر علينا من المحصول عشرة أضعاف ما تنتجه حاليا، وأن في قدرة الفرد أن يحصل على عشرات أضعاف دخله ، لأن ينابيع الثروة لا حد لها على الاطلاق . . »

٣ـ الركن الثالث أن الدين ألد أعداء الشيوعية وما يتبعها من المذاهب الهدامة ، المتسلطة على عقول العامة ، لأنه يدعو إلى مبادىء تخالف الشيوعية وتحارب مبادئها التي تعمل على جعل الأرض فردوسا موهوما على أشلاء ضحايا البشرية؛ لذلك يعمل الشيوعيون على استئصال أثر الدين من نفوس المجتمع، لأن الذي يؤمن بالدين يستحيل على المبادىء الهدامة أن تجد لها مكانا من نفسه ومن تفكيره وفي هذا يقول أبو الشيوعية كارل ماركس في تعاليمه : (إن الدين هو تنهدات الجماعة المظلومة) أي أنه لولا ما يقع على هذه الجماعات الفقيرة من ظلم واضطهاد لما التجأوا الى حظيرة الدين يطلبون حمايتها ، وعلى هذا الزعم الباطل ، لو محى الظلم من بين هذه الطبقات بالوسائل التي يدعو اليها ، لما وجد للدين أثر بين الناس .

ويقول غيره من الداعين إلى هذه المذاهب : (لا يتولد الدين إلا تحت تأثير النير الاقتصادي ، ولا يكون ذلك إلا في المجتمعات التي تقوم على أساس الطبقات) ثم يقول: (إن الشروط الاجتماعية التي كانت تنشأ عنها العقائد الدينية قد بادت ، وأن الدين قد أضحى كائنا ميتا لا حياة فيه ولا أثر له في اقتصادنا ونظامنا الاجتماعي الذي تتطلبه حياة التقدم والرقي .) (١)

***

هذه هي المفتريات التي يوجهها هؤلاء الواهمون إلى القوانين السماوية ، ليجتثوها من النفوس فيصبح العالم فوضى لا ضابط له ولا نظام فيه ، وهي مفتريات باطلة ، كما يراها المتأمل في التعاليم الدينية بعين البصيرة ، البعيدة عن الأهواء والزيغ ، فإن الذين يرزحون تحت كلاكل الظلم ، والذين يعيشون في أمن ودعة ، يستوون عند عاطفة التدين ، وكثيرا ما نرى ذوي السلطان وأصحاب الأموال ومن يتمتعون بمكانة اجتماعية ممتازة ، أكثر تمسكا بالدين من أولئك الفقراء المظلومين ، بل هناك من الملوك والأمراء من نزلوا عن عروشهم وتنازلوا عن إماراتهم تورعا في

---

١ — نسي هؤلاء أو تناسوا أن الدين هو الدافع الأول في أكثر الأمم المتمدينة إلى بلوغها أرفع الدرجات من مختلف العهود ، بل إن كثيرا منها من طال عليه عهد الجمود ، فانهض الا على أسس دينية كما حدث في الأمة العربية التي نفخ فيها الإسلام وتعاليمه روحا بلغت بها أوج العظمة والسؤدد .

وغير الأمة العربية كثير هي التي استمدت مدنيتها من تعاليم الدين فوصلت إلى ما تريد .

الشعر المصرى فى مائة عام :

على الليثى

للاستاذ محمد سيد كيلانى

١٨٢٢ — ١٨٩٦

— ٣ —

ولليثى قصيدة نظمها فى حادثة قصر النيل المشهورة واستقالة وزارة رياض باشا . وهى لا تقل عن تلك التى تحدثنا عنها فى صدق العاطفة وقوة الاحساس . ومطلعها :

العيد وافى وحسن الحال منتظم — والأمن عم وكل الناس قد نعموا
وانجاب عن مصر ليل مد غيهبه — تنميق واش بنصح صبحه حكم
يا طالما قد سعى الساعون وارتقبوا — شق العصا وزفير الغيظ محتدم
لولا الأناة ولولا الحزم لابهجت — نفوسهم وعرى التدبير تنفصم
كل له غرض فيما ينمقــــه — والألمعى يرى ما ضمه الكلم
ماذا عليهم إذا ما سيد كرما — أغضى وأرضى رعاياه وسرهم

هكذا بدأ الليثى قصيدته ، فهو فى هذه الأبيات فرح مبتهج لحلول الأمن والطمأنينة بعد فترة من الخوف والهلع سادت بين المصريين قبيل حادثة قصر النيل ، ويشير الى دسائس العنصر الجركسى وبخاصة عثمان رفقى باشا وسعيهم فى الإيقاع بين الخديو والمرابيين . وينوه بحلم الخديو وعفوه . وهو فى هذا غير متكلف ولا متصنع بل إنه ليرسل القول من أعماق فؤاده .

ومنها :

داعى التنافر والأحوال تلتئم — الصفح والعفو أولى ما يزول به
من حلمه ما أدهشت عن حمله الأمم — هذا فتى الحلم توفيق الزمان بدا
قد سهل الصعب حتى كاد يتهم — فهل رأيت مليكا فى شبيبتــه
لم يعمل السيف فيما يعمل القلم — سمح الخليقة رحب الصدر ذو أدب
عند الحفيظة حيث الغير ينتقم — حرصاً على العدل لم يعجل ببادرة

وليس فى هذه الأبيات من المعانى سوى مدح الخديو بالحلم وقد أطنب فى هذا كما ترى ولعل السر فى ذلك هو الفرح الذى طغى على المصريين حين تخلصوا من وزارة رياض وظفروا بوزارة شريف التى عملت على ارضاء الشعب بانتهاج خطة الاصلاح . فلا عجب إذا اندفع الليثى يشيد بحلم الخديو ويطيل فى الإشادة .

ومنها :

قد عارضوا واتقوا بالحزم واحتزموا — لما رأى جنده من شبهة عرضت
راموا انتصافا وكاد السلم ينحسم — يوم العروبة إذ شوال منتصف

الدين وزهدا فى متاع الحياة الدنيا . فهل هؤلاء يرضون تحت وطأة الفقر والحاجة ؟ وقد توهم الشيوعيون أن فى مقدورهم تقويض سلطان الدين لأنهم ظنوا أنه يستمد سلطانه من فقر الجماعات وجوعها ووقوعها تحت سلطان القادة المتجبرين يسومونهم سوء العذاب ، وفاتهم أن الدين يستمد سلطانه من أكرم ما يوحيه العقل وأشرف ما يبعث من عواطف فى النفس .

والانسان الذى يكون كل همه السعى فى طلب القوت وكل تفكيره منصرفا لاستنباط الحيل للحصول عليه ، لا يجد وقتا يساعده على التأمل فى الدين وتعاليمه أو التفكر فى مصيره . بل إن الإنسان إذا اشتد به الظلم والفقر ، كثيرا ما يؤدى به هذا إلى الكفر والخروج على طاعة الدين ومخالفة أوامره .

هذه نظرة عجلى فى أركان المذهب الشيوعى نستطيع أن نستخلص منها أن الشيوعيين قد خيل لهم وهمهم أن الانسان كائن لا يهمه إلا امتلاء بطنه ، وأن همه الأكبر لا يخرج عن هذا العمل فهو لا يسعى للبحث عن المثل العليا ولا عن الغذاء الروحى الذى يغذى النفوس والتى هى دائما فى تعطش إليــه ، ما دام قد وجد ما يشبع كرشه

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

أجاب سؤلهم وهو الجدير به   فقابلوه بحسن الحمد واحترموا
وقبلوا سيدة سادت بأنعمه   فى موقف تتقيه العرب والعجم
وعاضهم من رياض غرس أنعمه   وهيئة فى نظام الملك قد خدموا

وفى هذه الأبيات ترى الشاعر يقف فى صفوف العرابيين فيصف ثورتهم وهجومهم على قصر النيل بأنها شبهة لهم ويدافع عنهم بقوله « راموا انتصافا » . فهو يقرر بأنهم كانوا مظلومين مغبونين، وأنهم قاموا لإزالة ما هو واقع بهم من الجور والطغيان

ولا شك فى أن الشاعر قد أغضب الخديو فى هذه الابيات التى كشف فيها عن موقفه من الحركة العرابية . وتتجلى عاطفة الليثى بصورة أوضح فى هذه الأبيات :

وهب لجندك ما قد كان وارعهم   بعين أروع سيما طبعه الكرم
هب أنهم أخطأوا لم يستخفهم   خوف به ثورة الأحشاء تضطرم
فكان ما كان من أمر مغبته   والحمد لله لم يلمم بها ألم
رفقاً وعطفاً وبالصفح الجميل أعد   عادات بر لهم فى عودها عشم
فهم للملك أنصار وهم عدد   عند الوغى ومثار النقع مرتكم
وهم سيوفك فى يوم يفر به   قلب الجبان وموج الحرب يلتطم
وهم دروع رعاياك الذين لهم   فى وصف معناك ما تعنو له الأمم
حاشاك مولاى أن تصغى لذى غرض   لديه سيان من يحيي وينعدم

لن تجد شاعراً واحداً دافع عن العرابيين فى هذا الموقف غير الليثى . وهو يظهر فى هذه الأبيات فى ثوب الوطنى المخلص الذى يفيض حباً لبلاده وغيرة على وطنه. فهو يخاطب الخديو محاولا التهوين من شأن تلك الحادثة الخطيرة ، مجتهداً فى التقليل من قيمتها . ويذكره فى نفس الوقت بأن الجيش هو درعه الوحيد الذى يلجأ إليه عند الشدائد والخطوب . فلا بد من العطف على رجال الجيش والاحسان إليهم وعدم الالتفات إلى الوشايات التى كان يسمى الجراكسة بها فى حق المصريين . وهذه من غير شك وقفة مشرفة من وقفات الليثى انفرد بها دون سواه من شعراء عصره .

* * *

وقد مدح الليثى الخديو توفيق فى أغسطس من عام ١٨٨٣م بقصيدة مطلعها :

ساعد الجد والمراد تيسر   وصفاء الزمان كالصبح أسفر
ثم بنا ننتشق حدائق أنس   روحها بالذى يسرك نور
ننتهز فرصة فليل الأمانى   بعد يأس قد استنار وأقمر

وفى هذه الأبيات يبدو الشاعر فرحا مسروراً ، متغنياً بالصفاء الذى جاء بعد الكدر، والرخاء الذى أعقب الضيق ، وانبثاق نور الأمانى بعد انقشاع ظلمات اليأس . وذلك على أثر تحسن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية عقيب الاحتلال . وقد تغنى شعراء كثيرون بما أصاب البلاد من الرخاء . والليثى أحد هؤلاء الذين نسوا الاستقلال المفقود وألهاهم الصفاء والرخاء عن تحكم البريطانيين فى مرافق البلاد . ثم قال :

شنف السمع واطرب الجمع وانثر   من بديع المقال حبات جوهر
وانعم الحالة التى أنت فيها   ناعم البال بالسرور مؤزر
فى زمان حلا كرشف رضاب   من حبيب بغير وعد تيسر
أو مدام أدارها بدر تم   من رأى شمسها فلا يتكدر
فالتوانى حليفه العجز فانشط   للتهانى عساك بالأنس تظفر

نشأ الليثى فى مجالس اللهو والسرور ، وطبع على حياة المرح والطرب بين المغنين والمغنيات . فلذلك تراه يكثر فى شعره من ذكر العبارات والصور التى يستمدها من هذا الجو المرح الطروب كتشنيف السمع ، واطراب الجمع ، ورشف رضاب الحبيب ، وشرب المدام ، وذكر النديم ، وأخي السمر ومجالس الأنس ووقت الصفاء ، إلى غير ذلك مما توحيه إليه بيئته التى عاش فيها وقد أثرت هذه البيئة فى شعره وخياله وأفكاره ومعانيه ، وطبعته بطابع خاص انظر إليه حين يقول :

حديثه بين أرباب النهى سمر   يعزوه للمجد منقول ومعقول

أو حين يقول :

فاسمح فديتك فالأوقات آنسة   والحظ أقبل بالاسعاد طالعه

أو حين يقول :

بها تزف الأمانى فى مواكبها   لكل راج ويرعاها أخو السمر
والأنس دار بأقداح السرور وقد   حيي الرعية واستملى أخا النظر

تجده يذكر « السمر » و « الأنس » و « اقداح السرور » وهذا من غير شك وليد الوسط الذى درج فيه

وكانت مجالس الأنس والسرور تعقد فى الحدائق بين الأزهار والرياحين والجداول والطيور والأشجار . وقد أثرت هذه المناظر فى خيال الليثى فأكثر من التغني بها فى شعره . ومثال ذلك قوله :

والدهر وافى بما كنا نؤمله والروض غنت كما تهوى سواجعه
طافت جداوله بالدوح ساقية كأنه طفلها تحنو فترضعه
تشدو على عودها الورقا كأن لها إلفا يردد شكواه تراجعه
وبلبل الأيك أبدى لحنه طربا فرنح الغصن حتى قام راكعه
وللنسيم بهاتيك الربا أرب إن مر يحلو ونفح الطيب ضائعه

فهذه الصور التي جاء بها هنا قد أخذها من الواقع الذي يحيط به في حدائقه الخاصة وبساتينه ، وفي حدائق اسماعيل ومتنزهاته ورياضه ، وفي حدائق الأمراء والكبراء الذين كان يغشى دورهم .

وقد أعجبني من هذه الأبيات قوله :

طافت جداوله بالدوح ساقية كأنه طفلها تحنو فترضعه

فتشبيه الجدول حين يسقي الدوح بأم ترضع طفلها يحمل صورة شعرية جميلة تجعلنا نعطف على تلك الأم وذلك الطفل .

وللشاعر قصيدة في رثاء عبد الله فكري مطلعها :

نذم المنايا وهي في النقد أعدل غداة انتقت مولى به الفضل يكمل
تخطت أناسا من كثير نذمهم وغالت وحيداً من قليل يحصل
ونحن بنى الدنيا نباين فعلها فلا تنتقي حراً عليه يعول
كأن المنايا في انتقاها خبيرة بكسب النفوس العاليات تعجل

وليس في الأبيات معنى جديد ، بل هي بعض المعاني القديمة التي سبق إليها منذ قرون ، لم يحسن أداءها ، ولم يوفق إلى صياغتها في أسلوب جيد ولا في عبارة قوية . وقد شاع بين شعراء هذا الدور افتتاح قصائد الرثاء بمثل هذه الديباجة التي يذمون فيها المنايا ويتحدثون عن خبرتها في انتقاء الأخيار والأفاضل

ثم قال :

فتم لها من منتقى الدر حلية بها العالم العلوى أنسا يهلل
وتم نظام العقد وازينت به نحور بدور الحور وهو مفصل
وكل بعبد الله فكرى مهم ينافس فيه غيره حيث ينزل
فما شغلته عن شهود مليكه ومن كان عند الله لا يتحول
دعاه بشير القرب أن جد للقا لتحظى بما قد كنت ترجو وتأمل
فأهداه طيب الروح وارتاح للبقا ومن يطلب الأعلى له النفس يبذل
وحل مقاما لا يحيا بمثله سوى مهتد يرعى الكمال ويعدل

في هذه الأبيات انتقل الليثي عن الدنيا إلى الآخرة وشاهد عبد الله فكرى وقد التفت حوله الحور العين وتنافسن في القرب منه والظفر بوصاله . وهذا عبث وهراء . وفضلا عن ذلك عباراته جاءت في منتهى الضعف والسقم . وما أثقل قوله « نحور بدور الحور » . ومن مظاهر افلاسه اللغوى قوله « فتم لها من منتقى الدر حلية » وقوله في البيت الثاني « وتم نظام العقد » فكرر الفعل « تم » في بيتين متتاليين . وكذلك قوله « انتقت مولى » و « فلا تنتقي » و « كأن المنايا في انتقاها » و « فتم لها من منتقى » فكأن اللغة وقد نضب معينها وضاعت مترادفاتها فلم يجد أمامه غير فعل واحد هو « انتقى » وقد اتخذ هذه الأبيات مقدمة مهد بها لانتقاله إلى وصف مناقب عبد الله فكرى التي استحق بها هذا النعيم المقيم فقال :

غراس مساعيه جناه تنعما ومن ماء رحماه يعل وينهل
لقد كان ذا دين قويم وعفة بها ساد أمثالا لديه تمثلوا
لقد كان ذا بر عطوفا مهذبا سجاياه صفو القطر بل هي أمثل
رقيق حواشي الطبع سهل محبب إلى كل قلب حيث كان مبجل
كريم السجايا لا الدنايا تشينه عظيم المزايا إذ يقول ويفعل
شمائله لو قسمت في زماننا على الناس لازدانوا بها وتجملوا

وهذه كلها من المعاني التافهة التي يحوم حولها الشعراء في مثل هذا المقام ، ولا تحتاج إلى القول بأنها متكلفة مصطنعة . ولن تجد الشاعر مهما بلغ به من الضعف مشقة في سرد مثل هذه النعوت . والذين رثوا عبد الله فكرى اشتركوا في هذه المعاني فمنهم عن أوجز ومنهم من أسهب . ومثال ذلك قول حفني ناصف :

باللطف واللين والدين الرصين له مقام سبق عليه قط ما غلبا
ما روح النفس بالدنيا مفاكهة إلا قضى من فروض الدين ما وجبا
قضى الحياة ونصر الدين ديدنه لا ينثني رهباً عنه ولا رغبا
وكان مغرى بفعل الخير يحسب في إسدائه أنه قد أدرك الأربا

وقد أطال الليثي على غير جدوى ، وأتى بالمعنى القليل في لفظ كثير . فالمعنى الذي في قوله « رقيق حواشي الطبع ... » هو عينه الذي في قوله « كريم السجايا ... » وقول الليثي :

لقد كان ذا دين قويم وعفة بها ساد أمثالا لديه تمثلوا

قريب جداً من قول حفني ناصف :

يا للطف واللين والدين الرصين له مقام سبق عليه قط ما غلبا

وعبارة حفنى ناصف وهى « مقام سبق عليه قط ما غلبا ... » أقوى بكثير من عبارة الليثى « بها ساد أمثالا لديه تمثلوا . . »

ثم انتقل الليثى بعد ذلك إلى الإشادة بمكانة عبد الله فى عالم الأدب فقال :

فقدنا محيــاه ولكن بيننا بديع مزاياه بها نتمثــل
فكم أدب غض وحسن ترسل لآياته عبــد الحميد يذلل
فما الفاضل القاضى إذا جاش صدره وأبدع فى معنى عليه يفضل
ومهما صبا الصابى وأبدى بدائعاً فإن ضجيج الحور منه لأكل
وما ابن هلال حينما حل بدره وأطلق من الفكر إلا مكبل

هكذا أمضى الليثى فى غير تحفظ ولا احتراس يزرى بعبد الحميد الكاتب ، والقاضى الفاضل ، وأبى اسحاق الصابىء ، وأبى هلال الصابىء وهو من أجهل الناس بهؤلاء الكتاب . ولولا ضيق فى خياله وضعف فى تفكيره لما جاء بهذا اللغو الذى لا خير فيه . وأفضل منه قول مصطفى نجيب .

أقت من الآداب نهجاً مسدداً قويماً فكل فى الرثاء أديب

قلنا إن الليثى أزرى ببعض القدماء ؛ أما حفنى ناصف فقد كان أعقل بكثير من الليثى ، فلم يحط من شأن القدماء ، إنما حط من شأن معاصريه . والفكرتان تقومان على السلبية أى نفى وجود الأمثال والأشباه ، ولم يزد الليثى على هذه الأبيات فاكتفى بالسلبية . أما حفنى ناصف فكان كما سترى فيما بعد سلبياً وإيجابياً إلى حد بعيد . ولم يصدق لا فى سلبيته ولا فى إيجابيته .

وقال :

مدى من فقدناه عزيز مناله وآثاره فينا تضوع وتنقل
فلو أنصفتنا أنفس علقت بنا لحامت على نعش به البحر يحمل
يا لهف الخلان حيث فقدنه ويا لهف الأقران ماذا تحملوا
ويا لهف الآداب بعد عميدها ويا لهف الكتاب إن عن معضل
ويا لهف الإيناس من بعد نأيه ويا لهف الجلاس إن غص محفل
فويا لهف مثلى وهو أولى تلهفاً على فقد من كنا به نتجمل

هكذا ندب الليثى عبد الله فكرى وناح لموته ورثى لحال هؤلاء الذين فجعوا به من الخلان والأقران كما رثى لحال الآداب والكتاب والإيناس والجلاس . ولا يظهر على هذه الأبيات شعور داخلى مبعثه الأسى والحزن ، بل ظهر عليها التكلف والتصنع . وكرر الفعل « فقد » فقال « مدى من فقدناه . » و « حيث فقدته » و « على فقد . » وهذا يدل كما ذكرنا سابقاً على خلو جعبته من المترادفات .

وقال :

خليلى الذى قد كان أدرى بخلتى وبدر أعنى الحادثات ويحمل

والليثى فى هذا البيت يقول غير الواقع . ذلك لأنه كان أقرب الناس إلى الخديوين اسماعيل وتوفيق . وكانت داره كعبة يحج إليها أصحاب الحاجات . فهو الذى درأ الحادثات وحملها وجمع بين « خليل » و « خله » و « أدرى » و « يدرأ » وهذا مما يوجب الثقل على اللسان والأذن . ثم قال :

نأى عن محبيه وأقسم جازما بأن لا يؤوب الدهر ما طاب منزل
وأقسم كل من أخلاه موقناً بأنا إلى لقياه شوقا سنرحل
كلانا بصدق بر عند يمينه وبالرغم ما قلنا وقال المكمل

وهذا لغو وعبث . يقول بأن عبد الله فكرى أقسم ألا يعود ما صفا له العيش فى الجنة . وأقسم خلانه على اللحاق به شوقا إليه . ويقول إن كليهما صادق فى يمينه . وهذا هراء لا طائل وراءه .

وقال :

ولولا أمين المكرمات الذى إلى مخايله سر الأبوة ينقــل
فتى المجد والعلياء والصدق والحيا وأوفى أمين يرتجى ويؤمـل
يشم شذا المرحوم منه ويجتلى بغرته اليمن الذى يتهلل
لذبنا أسى مما عرانا من النوى ونحنا كما ناح الهديل المبتل

وفى هذه الأبيات انتقل الشاعر من البكاء على عبد الله فكرى إلى التحدث عن ابنه . ولم يوفق إلى معنى جديد ولا إلى صورة لطيفة بل هوى إلى الحضيض . وقوله « يشم شذا المرحوم » من تعابير الدهماء . وقال :

عزاء عزاء أيها الشهم واحتسب وأيقن بأن الله ما شاء يفعل
تجلد ولا تبد التضجر والأسى فانك ممن للمعالى يؤهل
فمثلك من يسلى سواه إذا جنت عليه الليالى واعتراه التنول
ومثلك من يرعى شئون مراعه ويسمى لمان قلبه يتململ

مكافحة الأمية بين الكبار

أوجه النقص في النظام الحاضر وأوجه الإصلاح المرتقبة

للاستاذ هاشم عساف

تعنى وزارة المعارف في الوقت الحاضر، وعلى رأسها العالم الجليل، معالي الدكتور طـه حسين بك، ببحث أنظمة التعليم في البلاد، ومن بينها بغير شك التعليم الأولي ومكافحة الأمية .

ولما كنت وثيق الصلة بموضوع تعليم الكبار بوصفي مديرا لأحد المراكز الثقافية التابعة لمؤسسة الثقافة الشعبية ، فإني أبادر إلى الإدلاء ، فيما يلي ، ببعض الملاحظات والمقترحات عساها تلقى بعض الاعتبار لدى ولاة الأمور عند النظر في هذا الموضوع الخطير

١ – الواقع أن جميع من ينطبق عليهم قانون مكافحة الأمية ، هم من الفقراء الذين لم تساعدهم ظروفهم في السنين الأولى من حياتهم على الالتحاق بالمدارس الأولية ، وهي بالمجان ، إما لجهل والديهم بقيمة التعليم ، أو لحاجتهم إليهم في اكتساب القليل من القروش لمعاونتهم في معاشهم ، أو لفقد عائلهم واضطرارهم إلى كسب قوتهم مبكرين . وحسبنا لإدراك ما هم فيه من فقر أن نعلم أنهم لم يكونوا ليستطيعوا ، إبان طفولتهم ، الاستغناء عن ساعات يقضونها كل يوم في المدارس الأولية؛ فكيف بهم الآن وقد أصبحوا يافعين، وقويت سواعدهم على العمل ، واشتدت حاجتهم لكسب القوت؟

٢ – المعروف حتى الآن أن الجهات الرسمية مازالت تنظر إلى مكافحة الأمية من معناها الضيق . أي أنها تقصرها على معرفة القراءة والكتابة ، وتجعل ذلك غاية لا وسيلة ؛ فالطالب في هذه السن، وحالته المادية كما ذكرت ، غالبا ما يكون مرهقا بالأعمال والكد في سبيل العيش لنفسه ولمن يعول ، فلن تجديه المدة التي يقضيها في التعليم نفعا سواء أطالت أم قصرت ، والتعليم على هذه الصورة المعهودة من الجفاف . وهو إذ يذهب إلى المدرسة يذهب مرغما

وأنت بحمد الله أول عارف   بأن الكريم الحر لا يتزلزل

فلو أن شخصا أميا أراد أن يعزى آخر لما عزاه بأقل من هذه العبارات . ومن المدهش أن يصل الليثي في أسلوبه إلى مستوى الأميين وأن ينحط في عباراته إلى درجة سحيقة من الضعف والركة . وما قوله « وأنت بحمد الله أول عارف » إلا مما يجرى على ألسنة الدهماء . وقد أسرف في هذه السوقية فقال :

فكن ثابتا عالي العزائم مقبلا   على شأنك الحالي عداك التنزل

فإن مصابا حل قد حل وانقضى   ونحن بما يأتي نسام ونشغل

فقوله « إن مصابا حل قد حل وانقضى » من تراكيب العامة ثم انتقل من التعزية إلى التحدث عن حال الفقيد في الجنة وما يتمتع به من حور عين وخمر وغير ذلك . قال :

ومن بان عنا في الفراديس ناعم   بظل ظليل دوحه يتهدل

يغازل ولدانا وحورا على صفا   وفي حسنها من لطفه يتغزل

وليس مما يستحسن أن يقال في حفلة تأبين « يغازل ولدانا وحورا .. الخ » ولكن هكذا كانت عادة الشعراء في هذا الدور . فقال احمد عبد الغني :

فالحور والولدان قد فرحوا به   واستقبلوه بالسرور وتاهوا

غير أن عبارة « قد فرحوا به » أخف بكثير من عبارة « يغازل » ولم يتعرض حفني ناصف لذكر الحور والولدان . بل اكتفى بقوله :

في جيرة الله في دار النعيم ومن   يحلل بها بلغ الغايات أو كربا

وإلى هنا نترك الليثي .

محمد سيد كيلاني

بحكم القانون ، ولكنه يتمنى أن يترك وشأنه ليستغل هذا الوقت في اكتساب قرش أكثر له ولعياله بدلا من ضياعه سدى في شيء يراه كماليا بالنسبة لحالته. ولكأني به يحدث نفسه فيقول: « ما هي الفائدة التي سوف تعود على من تعلم القراءة والكتابة ؟ أهي في قراءة الكتب والجرائد والمجلات ؟ أم هي في تحرير الرسائل وإمساك الدفاتر ؟ . إنني في غنى عن ذلك جميعا .. إنني في حاجة إلى ما يقيم الأود ويغني من الجوع.. الأجدر بكم أيها الحكام أن تتركوا الأميين أحرارا ليكدحوا في هذه السويعات ، ويبتغوا من فضل الله لعلهم يرزقون .

٣ — لهذا عمد هؤلاء الأفراد إلى التهرب بشتى الوسائل والحيل من الانتظام في مدارس مكافحة الأمية ، بل لقد تحملوا بعض الغرامات ولكنهم لم يعدلوا عن رأيهم في هذا النوع من التعليم ، وتمادوا في العصيان حتى اضطر القائمون بالأمر إلى تغطية الموقف بوسائل ليس هنا مجال سردها ، ولكن أقل ما يقال عنها أنها بعيدة كل البعد عما قصد إليه القانون . وإن كانت هذه الوسائل قد أكسبت النظام مسحة ظاهرة من النجاح ، فإن حقيقة الأمر أن المظهر يخالف المخبر على خط مستقيم . ولو أعطى هؤلاء السادة حرية في القول وسئلوا عما في دخيلة أنفسهم لأجابوا بغير تردد أن هذا النظام فاشل ولم يؤد رسالته .

٤ — كان المفروض، على رغم ما في نظام المكافحة الحالي من عيوب، أن يتناقص عدد الأميين عاما بعد عام ولو بنسبة ضئيلة ؛ ولكن الحقيقة المؤلمة ، ان عدد الأميين، على عكس ذلك، يزداد زيادة مطردة بما يضاف إلى قائمتهم في كل عام من أشخاص تعدت سنهم حد الالزام ، ولما يستطيعوا ، لسبب أو لأكثر ، تعلم القراءة والكتابة !.. هؤلاء هم معاول الهدم في مكافحة الأمية ، ولن يستطيع أي نظام بالغاً ما بلغ من دقة وأحكام، أن يصل إلى الغاية المرجوة ، ما دام هذا النبع يغذي بفيضه الذي لا ينفد جحافل الأميين !

٥ — إن الآراء الحديثة قد توسعت في تعريف الأمية توسعا كبيراً حتى صارت هذه الكلمة تطلق على الجهل بأي نوع من أنواع العلوم أو الفنون أو الصناعات . فإلى جانب الأمية الأبجدية أو الهجائية ، توجد هناك أميات اجتماعية وسياسية وصحية وفنية ومهنية وهكذا .. ويعتبر على هذا القياس أميا كل من كانت به جهالة للعلم في أية ناحية من نواحيه المعروفة . وكلما كثر هؤلاء الأشخاص في أمة من الأمم ، قيل إن الأمية من نوع كذا تتفشى بين أفرادها ووجب على أولى الأمر مكافحتها .

٦ — على ضوء هذا المعنى يجب أن تعالج المكافحة. وأغلب الظن أن هذا هو الاتجاه الذي تتجه إليه هيئة اليونسكو في الوقت الحاضر . فلقد قامت هذه الهيئة بجهود جبارة لمكافحة الأميات مجتمعة في وادي «ماربيال» بجزيرة «هاييتي» إحدى جزر الهند الغربية أتت بأحسن النتائج وأطيب الثمرات . (١)

ونحن في مصر ، ما أكثر هذه الأميات في بلادنا ! فإذا أريد الاصلاح حقا ، وإذا أريد أن يكون الاصلاح شاملا ، وإذا أريد أن تكون المكافحة مجدية ، فليكن نصب أعيننا وضع ضمان لكسب القوت .. ولن يتأتى ذلك إلا إذا كوفحت هذه الأميات، وبينها الأمية الهجائية ، مجتمعة وفي آن واحد. وتوضيحا لذلك أقول :

إذا علم الرجل الأمي ، وهو فقير طبعاً ، أنه حينما يذهب لمدارس المكافحة ، يتعلم إلى جانب القراءة والكتابة ، صناعة أو حرفة ، تفتح له أبواب الرزق الحلال ، وتقيه شر العوز ؛ وإذا علم أنه سوف يتلقى دروسا مبسطة في الدين والأخلاق والصحة والاجتماع مثلا ، لترفع من شأنه كإنسان ، وتجعله مواطناً صالحاً نافعاً لنفسه ولأهله ولوطنه .. إذا علم كل ذلك ، أقبل برغبة صادقة ، بل بشغف ونهم ، على تعلم القراءة والكتابة ، ولأصبحت القراءة عنده والحالة هذه وسيلة يستعين بها على تفهم واستيعاب ما يلقى إليه من دروس .

---

(١) مجلة الثقافة العدد ٥٦١ في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٤٩ « واد يبعث » للاستاذ علي رفاعة الانصاري .

ومتى استقر هذا الرأى فى الأذهان ، ورؤى الأخذ به ، فإنى أرى ، قبل البدء فى تنفيذه ، العمل على تحقيق ما يأتى :

(١) تعديل نظام التعليم الأولى تعديلا جامعا بحيث لا يتأتى لأى شخص أن يفلت منه فى نهاية المدة وهو على ما كان عليه من الأمية الهجائية ..

(٢) تعديل قانون مكافحة الأمية بحيث يشتمل على الدراسات الآنف ذكرها .

(٣) جعل مدة الدراسة فى المكافحة ثلاث سنوات بدلا من سنتين حتى يصير الطالب فى نهايتها ملما بالقراءة والكتابة متقنا للصناعة التى تخيرها .

(٤) جعل سن المكافحة تبدأ من السادسة عشرة ، وأن يتمشى قانون التعليم الالزامى مع هذا التحديد .

(٥) جعل مناهج الدراسة مرنة بحيث تتفق والبيئات وحاجات البلاد .

(٦) السير بالتدريج فى تطبيق القاعدة الجديدة بحيث تبدأ أولا فى المدن الكبيرة ، وعواصم المديريات ، ثم تنتقل إلى المدن الصغيرة فالقرى .

(٧) أن تتكفل الحكومة بجميع الخامات والأدوات اللازمة للعمل .

(٨) صرف أجور للطلاب عن انتاجهم بالورش على سبيل التشجيع .

(٩) تقديم وجبات خفيفة لهم أثناء الدراسة أسوة بتلاميذ المدارس الأولية .

(١٠) اعطاء شهادات لهم فى نهاية الدراسة ، غير ملزمة للحكومة بشىء ، كى تساعدهم فى البحث عن عمل .

٧ – هذا النوع من التعليم يختلف اختلافا بينا عن تعليم الصغار الذى تقوم به مراقبة التعليم الأولى أو المراقبات الأخرى بالوزارة . ولقد عنيت به الدول الراقية عناية كبيرة ، فخصصت له دراسات ومناهج معينة ، وحتمت الالمام بها على الأشخاص الذين سيوكل إليهم أمر تعليم الكبار .

والهيئة الوحيدة فى مصر الآن التى تمارس هذا التعليم ، واكتسب رجالها خبرة ومرانا فى هذه الناحية ، هى مؤسسة الثقافة الشعبية . ولقد جاء فى المرسوم الملكى الخاص بإنشائها مايلى : « العمل على نشر الثقافة العامة بين أفراد الشعب » كما جاء فى المذكرة الإيضاحية لمشروع إنشائها « . وهى فى هذا تهدف إلى تعليم الكبار وتثقيفهم . » وفى موضع آخر « . بل ترمى إلى أن أن يمتد نشاطها إلى سائر المدن ويتغلغل بقدر الامكان إلى صميم الريف . كما تهدف إلى توجيه من يشاء توجيها مهنيا مثمرا . » .

وما دامت هذه هى مهمة مؤسسة الثقافة الشعبية، وتلك هى أغراضها ، وذلك هو عملها ، فلماذا يوكل أمر تعليم الكبار القراءة والكتابة إلى غيرها ؟ ولماذا تتعدد الأيدى التى تعالج هذا الموضوع فتتوزع الجهود وتذهب جفاء

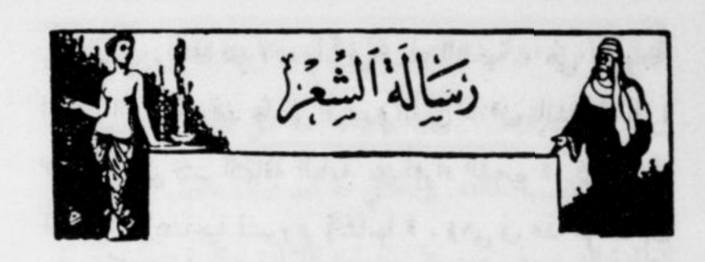
ألا يجدر بأولى الأمر أن يعملوا على توحيد الجهود وتركيزها فى إدارة واحدة ، تقوم بالاشراف على هذا النوع من التعليم فى شتى نواحيه حتى يؤتى الثمرة المطلوبة ؟

إن الصالح العام، وكل الظروف . فنية كانت أو إدارية، تقتضى أن تكون مكافحة الأميات المختلفة ، هى المهمة الرئيسية لهذه المؤسسة . ويجب أن يدور على هذا المحور كل نشاطها . أما مهمة تزويد القارئين فعلا بالثقافة العامة فينبغى أن تكون فى المحل الثانى .

وعندى أنه متى أخذت الحكومة بهذا الرأى، وبدأت المعاهد والمراكز الثقافية فى العمل على النحو المقترح ، فأخرجت للبلاد بعد ثلاث سنوات عددا لا يتجاوز الألف فى جميع أنحاء القطر من أفراد يجيدون القراءة والكتابة ، ويتقنون صناعة ما ، ثم يلمون بنبذة من تاريخ بلادهم ، ولمحة عن المسائل الصحية والاجتماعية الضرورية ، وجملة من مبادىء الدين والأخلاق لكان ... ذلك العدد مع ضآلته ، نواة صالحة ستزداد على مر الأيام ، لخلق مجتمع ناهض قوى ، مزود بكافة الأسلحة التى تمنيه على رفع مستواه ، وإبراء نفسه بنفسه من أعدائه الثلاثة وهى الفقر والجهل والمرض . والله ولى التوفيق

هاشم عساف

مدير مركز سوهاج الثقافى



في ليلة عيد . .

كثيراً ما يستلهم الشاعر قصة شعره من عالم الخيال ليجعلها مسرحا لمعانيه . ولكنى — فى هذا الذى بين يديك — كنت فى غنى عن ذلك . فلقد نقلته من دنيا الواقع ، اذ شهدت نهايته فى لبنان ، وعرفت بدايته هناك ... (فى البلد الذى تحف به حدائق الليمون) . فقضى شيطان الشعر أن أسرده فقعلت . »

تناهت به سالفات الذكر … إلى عالم من نعيم غبرْ
بهيم بأفيائه الوارفات … وقد أغفلته صروف القدر
فأصباحه مشرقات الصفاء … وأمساؤه ضاحكات السمر
تسير الهناءة فى ركبه … فينهل منها بشتى الصور
ويمرح ملء رداء الشباب … فؤاد خلى وعيش نضر

إذا ذكر الصب عهد الحبيب … وما ذاق من صده أو رضاه
وحدث عن أمسيات اللقاء … وجفوة معشوقه إن جفاه!
ففى أم طفلته ما أفاء … عليه الحبور وبرد الحياه!
وجنبه موبقات اليسار … وشط به عن مغانى هواه!
فعاش صدوقاً نقى الأزار … بعيد الأمانى فيما ابتغاه

وكر الزمان وئيد الخطى … وطفلته شغله الشاغلُ
يفيض عليها ضروب النعيم … ويغمرها عطفه الشاملُ
فتعبر دنيا صباها النضير … ويبرحها عهده الآملُ
وتقبل فى خطوات الشباب … كظبى تأثره الحابلُ
عيس ببرد جمال مهيب … يسانده خلق كامل ..

ومرت خطوب تشيب الوليد … بما حل من هولها المفزع
فيوم حصار كيوم الوعيد … أقضوا به ساكن المهجع
ويوما يساق أباة الرجال … إلى محشر دافق مترع
فنهم أذاقوه مر العذاب … ومنهم تولى فلم يرجع
ومن قام يتلو نشيد السلام … أفاق على نغم المدافع

وأقبل يوم كئيب الصباح … بفيض الحيا لما جاء فيه!
فشيخ يعض على راحتيه … ويندب فى القوم صرعى بنيه
وطفل بدا هدفاً للرصاص … نخر — على مشهد من أبيه
وقوم حيارى أضلوا السبيل … فكل أخ ذاهل عن أخيه
مضى بينهم ليس يدرى المصير … إلى هدف لم يكن يبتغيه . .

وفى أرض لبنان — بعد العناء … وطول السرى — كان غب المسير
تناجيه (ليلى) — غداة استقر … أحلفت أمى وما من نصير ؟
فيمضى يمنيها بالمنى … إذا أردفت : أين صوت الضمير!
غداً يا ابنتى الجحفل اليعربى … يذيق أعاديك سوء النكير!
غداً يجمع الشمل بعد الشتات … متى انقض جيش (العزيز) المغير

وتغمض إغماضة المطمئن … وتغفو على الأمل المشرق
صباح غد هو عيد الأضاحى … فكيف يطل ولم يألق!
ولم تك تعلم أن الزمان … يداهم بالحادث المطبق!
وان أباها حليف الطوى … يبيت من الهم فى مأزق!
وان البلاد انتهت للعدو .. … بكيد امرئ قط لم يتق ..

مواكب شتى من الذكريات … تعيد له الصور الدامية
توالت عليه إزاء الغروب … فكانت هى الظلمة الثانية!
لقد حطم اليأس آماله … نخلفها مزقاً باليـة
وأنحى عليه الضنى ما استطاع … بقبضة سورته العاتية
نخر على وجهه للثرى … وأسلم أنفاسه الواهية ..

فيالك عيداً تكالب فيه … عديد من المحن القاصمة!
فأصبح يجمع أشتاتها … لتحدق بالغادة النائمة!
فياليته امتد هذا الرقاد … وظلت بآفاقه حالمة!
متى قاومت عاصفات الرياح … وطغيانها الزهرة الناعمة!
هو الدهر أسلمها للهوان … فآثرت الطعنة الحاسمة ..

ومتع بالعيد أصحابه … وإن وسدوا الهالكين الثرى!
أما رددوا — إن قضى لاجئ … (لقد باع أوطانه فاشترى)!
فيا أيها الشعب حتى متى … يضللك الخصم فيما افترى!
تدبر أمورك قبل الضياع … فها هو ذا العلج قد دبرا!
وبادر عدوك فى وكره … وإلا ارتقب يومك الأغبرا

محمد سليم الرشدان

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

فى مناقشة رسالة جامعية

نوقشت الرسالة المقدمة من السيدة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) للحصول على الدكتوراه فى الأدب من جامعة فؤاد الأول يوم الخميس الماضى بكلية الآداب، وكانت لجنة المناقشة مكونة من معالى الدكتور طه حسين بك، وهو الأستاذ المشرف على الرسالة، ومن الأستاذ ابراهيم مصطفى والدكتور زكى حسن والدكتور فؤاد حسنين والأستاذ مصطفى السقا.

وموضوع الرسالة « رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى — تحقيق ودرس » وقد بدأت السيدة صاحبة الرسالة بالحديث عن موضوعها، فقالت إن ما حببه إليها واسترعى اهتمامها به هو الحياة الانسانية عند أبى العلاء، وهى تتجلى خاصة فى رسالة الغفران، وذكرت جهدها فى جمع النسخ المخطوطة ومقابلتها وتفسير ألفاظها والتعريف بمن جاء فيها من الأعلام وما ورد بها من الأماكن، ثم بينت أهم الموضوعات التى تناولتها بالدراسة، من دراسة حول النص، والمعالم الكبرى فى رسالة الغفران، وموضوعات هذه الرسالة، وخصائصها، ومكانها من أدب أبى العلاء، ومقارنة هذا اللون من الأدب بأشباهه فى الأدب الأوربى. وما إلى ذلك..

والموضوع — كما ترى — خشن ... وخاصة تحقيق النص؛ فكان موضع العجب ومثار الإعجاب أن تنهض بأعبائه سيدة ويظهر أن قيامها بهذا العمل قد أغرى بها الأساتذة الممتحنين، فاشتدوا فى مناقشتها وحاسبوها حساباً عسيراً أشبه بمواقف الحساب فى العالم الآخر الذى تحدثت عنه رسالة الغفران ... كما يظهر أن هذا الجهد العسير قد حملها على الاعتزاز به — قبل المناقشة والمحاسبة — فكانت تتحدث عنه مزهوة ولم تنتظر حكم المحكمين ولم تعبأ بكل ما قيل عن التواضع ومزاياه ... فانبرى لها معالى الدكتور طه حسين بك وسلقها على هذا المسلك، ولكنها صمدت له، وكان الظانون أن تنسحب باكية، فكان صمودها موضع العجب ومثار الإعجاب مرة أخرى، وظلت تلاقى المكاره التى حفت بها « جنة الدكتوراه » حتى ظفرت بها أخيرا بتقدير ممتاز

وقد بدأ الدكتور طه حسين بك مناقشته بالثناء على هذا العمل الأدبى الذى قامت به السيدة، فوصفه بأنه عمل خطير، قائلا: إنها قدمت نصا محققا ميسر الفهم قد بعد أشد البعد عن التشويه والاضطراب، وقد كانت دراسة أبى العلاء مهملة تحمل عليه كثير من الأكاذيب، وقد أحسنت بهذا العمل إلى أبى العلاء وإلى العلم. وقدمت إلى عالم الأدب خدمة جليلة تستحق عليها شكرا أى شكر وثناء أى ثناء، وتغيرت نبرة معاليه فى صوته المعبر وهو ينتقل من هذا الثناء، فيقول: كل هذا لا شك فيه، وإنما الشيء الذى فيه شك هو أنك تشعرين شعورا قويا بجلال العمل. وهذا أول ما نؤاخذين به من نقد، فأنت أثرة مستأثرة جئت تلتمسين الموافقة على جهدك وقد وافقت أنت عليه من قبل، ولم تنتظرى التشجيع فشجعت نفسك بنفسك، وأثنيت عليها ثناء مسرفا، وليس أبغض إلى الله من الثناء على النفس لما فيه من الرياء والغرور، وكنت أحب أن تقبلى علينا متواضعة راضية، بما قدمت من جهد منتظرة رأينا فيك وفى عملك، وأنت لا تكتفين بذلك وإنما تهاجمين غيرك فى الموازنة بين النص الذى تقدمينه وبين ما نشر قبله، وكان يجب أن تتركى لنا هذا، ولكنك تأبين إلا أن تتناولى النصوص مشنعة، وليس التشنيع من البحث العلمى، وإنما هو أقرب إلى الصحافة وإلى الصحافة المهوشة.. وعسى أن تكون خطورة هذه المسألة من أنك لم تنسى بعد مايتصف به الطلاب الشبان من الطموح إلى التفوق والحرص على السبق وإرضاء الأستاذ فكأنك حريصة على أن تكونى الأولى كما يفعل التلاميذ فى المدارس الثانوية. عقلك عالم ولكن خلقك شاب، والشاب الذى لم يجرب هو الذى يريد أن يسبق. والنصيحة التى أقدمها اليك تنحصر فى جملة واحدة قد أخذناها عن شيوخنا فى الأزهر وهى: من تواضع لله رفعه.

وبعد ذلك لاحظ معاليه أنها تذكر كلمة « المنهج » مطلقة من غير إضافة لشيء كالجامعة مثلا، وخاطبها قائلا: ما دمت

حريصة على المنهج فتعالى أناقشك، وناقشها في عدة مسائل، منها أنها تحدثت عن سياسة العرب الاسلامية أيام رسالة الغفران من أفق عال من حيث التحدث عن الملوك والأمراء، وأهملت عنصر الحياة الشعبية والاجتماعية مع ما لهذا من أثر في أدب أبي العلاء، كتشاؤمه الذي يرجع إلى اضطراب الحياة الاجتماعية واختلاف الطبقات. ومما ناقشها فيه قولها: إن أبا العلاء رجل محروم مكبوت، لأنه لما يئس من العفة تشاءم. قال الدكتور طه: إن أحدا لم يسيء إلى أبي العلاء كما أسأت إليه بهذا القول، هل كان أبو العلاء حريصا على الاستمتاع ثم زهد عن عجز؟ تقولين هذا ثم تدعين أنك تكبرينه، ولم تأت بنص واحد يثبت أنه كان حريصا على اللذات، لقد كان أبو العلاء يرى أن اللذات الكبرى هي التي لا ألم وراءها كان يرى الانسان حقيرا وحياته لا تستحق العناية، كان يقول:

ولم أعرض عن اللذات إلا ... لأن خيارها عني خنسنه

لقد خدعك ما يكتبه الأوربيون عن الكبت والحرمان وقد سمعت في مصر وفي الشام ما قيل من أن أبا العلاء حمل على المرأة لأنه لم يستطع أن ينالها، وهذا ليس من الإكبار لأبي العلاء في شيء.

وأذكر أني قرأت هذا الرأي الذي أشار إليه معالي الدكتور طه حسين بك، في كتاب «رأي في أبي العلاء» للأستاذ أمين الخولي، وقد سمعت ما قاله الدكتور في تفنيده وتفنيد ما جاء متصلا به في الرسالة موضوع المناقشة، فلم تقتنع نفسي بهذا التفنيد، لأن تحقير أبي العلاء لذات الحياة لا يمنع أن تكون رغبته فيها كامنة، ولا أقول بأنه يرائي، إنما كان تحقيره قائما في شعوره الظاهر على سطح ما استتر في غريزته، وعلى ذلك ليس من الممكنات الإتيان بنص يثبت حرصه على اللذات، وليس ما يقوله في الزهد والإعراض عنها دليلا على عدم رغبة فيها فهذه الرغبة لما كبتت ولدت النفور. ولست أدري لماذا لا نأخذ في هذه المسألة بما يكتبه الأوربيون عن الحرمان والكبت والشعور الظاهر والعقل الباطن.

ولولا أن صوت الدكتور طه حسين معبر لما وقفت عند ذكره الصحافة في مقابل البحث العلمي. ولست أريد أن

كشكول الأسبوع

□ يزمع معالي الدكتور طه حسين بك القيام في أوائل مايو القادم — برحلة ثقافية إلى إيطاليا، تشمل إلقاء محاضرات عن الأدب العربي بجامعة روما، وقد يقوم بعد ذلك برحلة أخرى إلى اسبانيا حيث يفتتح معهد فاروق للدراسات الاسلامية بمدريد.

□ تتجه النية إلى تعزيز هيئة التدريس في كلية دار العلوم ببعض أبنائها البارزين في الميدان الأدبي، سداً للنقص الملحوظ فيها الآن بعد أن فقدت في السنوات الأخيرة كبار أساتذتها إما بالنقل أو بالإحالة إلى المعاش، كما أريد أن يختار لها عميد يرجى لها الازدهار على يديه، وقد تلقى أولياء الأمور رسائل كثيرة من الطلبة والخريجين يطلبون فيها إعادة العميد السابق الأستاذ ابراهيم مصطفى.

ونظراً إلى كل ذلك، وإلى مكانة الأستاذ العلمية والجامعية، قرر مجلس الجامعة مد خدمته ثلاث سنوات وإعادته إلى عمادة الكلية، بعد أن انقطع عنها منذ اكتوبر الماضي. وقد رفع ذلك القرار إلى مجلس الوزراء للنظر فيه رجاء الموافقة عليه.

□ منع مراقب الإذاعة يوم الأحد من الأسبوع الماضي — إذاعة قصيدة «من الأعماق» للأستاذ محمود أبو الوفا. ثم نشرت القصيدة نفسها في مجلة الاذاعة هذا الأسبوع، والمتبع أن تنشر هذه المجلة ما يذاع، ولكن فيم كان منع الإذاعة ثم النشر بالمجلة؟ ترى لم تعترف المجلة بذكاء المراقب العام وعلمه الواسع..

□ قال الأستاذ محمود أبو الوفا في نظام الأزهر الحديث مع بقاء الكتب القديمة:

فما النظام وتلك الكتب باقية ... إلا كوشي على أثواب أسمال

□ والبيت من قصيدة «لم يبق والحي» وهي في ديوان «أنفاس محترقة».

□ ألقى عميد المسرح العربي الأستاذ زكي طليمات كلمة بنقابة الصحفيين عن المسرح المصري في وفد الصحفيين البلجيكيين، قال فيها:

أصبحت المسرحية من أهم ما يعنى به كبار الكتاب عندنا وهم يحاولون أن يجعلوا من التمثيل شعبة من الأدب العربي المستحدث.

□ قال أبو الفتح كشاجم يهجو مغنياً:

ومغني بارد النغـ ... ـمة مختل اليدين
ما رآه أحد في ... دار قوم مرتين

قال المبتلى بسماع مطربي الإذاعة: إلا في دار الإذاعة المصرية فانه يرى فيها دائماً!

أن أعرض لما عساه أن يكون قد قصده من أن اشتغال صاحبة الرسالة بالصحافة غلب عليها فى جزء من دراستها وهو الخاص بالطعن والتشنيع على من سبقوها فى تحقيق رسالة الغفران ، ولكنى أقول إن فضل الصحافة فى تقديم الأدب إلى الناس لا ينكر ، وإن قسما كبيرا جدا من إنتاج أدبائنا وخاصة كبارهم رآه القراء أول ما رأوه على صفحات المجلات والجرائد ، وأقول أكثر من ذلك : إن كل أدبائنا الكبار منسوبون إلى الصحافة وقد كاد العميد الكبير أن يكون نقيب الصحفيين كما يعرف القراء مما جرى فى آخر عهد الوزارة السابقة ، ولعل اسم معاليه لا يزال إلى الآن مقيد فى جدول الصحفيين .

لم هذا الشعر الرمزى ؟:

فى عدد ابريل الحالى من زميلتنا مجلة « الكتاب » كلام للدكتور بشر فارس ، عنوانه « الشاطىء الحافل » وأوله:

أنا السيد الأعلى للشاطىء الحافل

إليه من مواغل الأرض تقبل الضمائر

ذوات الرغبات الحساس

عاجزات ، غيارى

فتموت .

وقد كتب تحت العنوان (شعر) لكي يلقى القارىء باله إلى أن هذا الكلام شعر ... أو لكى يزول عنه الشك فى أنه شعر وإن كانت هذه الكلمة غير كافية لإزالة الشك ، فلا أقل من أن يقال : والله العظيم إنه شعر ! وقد علق عليه الأستاذ عادل الغضبان بكلمة أنكر فيها نسبة هذا الكلام إلى الشعر ، حتى الشعر الرمزى القائم على التعريض والكناية ، فعقب عليه الدكتور بشر بأن الرمز عنده ليس بالتعريض والكناية ، بل هو « إبراز المضمر واستنباط ما وراء الحس من المحسوس وتدوين اللوامع والبواده» وماذا يعنى ؟ والله أعلم ! خذ مثلا « إبراز المضمر » هل أبرز فى ذلك « الشعر » مضمرا ؟ ألست تراه — على العكس — زاده إضمارا على إضمار ؟ وأنا أفهم أن ما يقع عليه الحس هو المحسوس ، أما ما وراء الحس فكيف يكون محسوسا ؟ وأما « اللوامع والبواده » فكل شاعر يدونها ، ولكنه كلام غريب ! والمطلوب أن يدهش وأن تصرف غرابته عن طلب ما وراءه !

أقصد بعد ذلك إلى الأستاذ ابراهيم الأبيارى الذى كتب فى نفس العدد مقالا بعنوان « الرمز فى الشعر العربى » وغاية المراد هى الرمزية فى شعر الدكتور بشر فارس ، وقد « بدهنى » من هذا المقال أن الأستاذ الابيارى تحول فيه من الإغراب اللغوى إلى الإغراب بـ « اللوامع والبواده » . عرف الأستاذ « الرمزية البشرية الفارسية » بأنها « رمزية الصورة وهى أن ينعقد فكر الشاعر على حقيقة ما فيحيلها خيالا ، يختار له صورة تتفق ومعناه ثم يذهب يضم إليها ما يشبع نواحى تلك الصورة المتخيلة إشباعا» وكل شاعر ينعقد فكره على حقيقة يحيلها خيالا يصوره ويشبعه إشباعا ، فما الجديد ؟

وليقل الاستاذ الابيارى ما يقول ، ولينجز ما وعد أو توعد به من إطالة الحديث فى هذا الباب والتقميد له . . إنما أريد أن أقف معه إزاء « الشاطىء الحافل » أو « الشاطىء الحافى » كما ينبغى أن يقال ليكون أشد إمعانا فى الرمزية ! ولننظر فى الفقرات السابقة التى نقلتها من أول « القصيدة » ما هى الحقيقة التى انعقد عليها فكر الشاعر .. الخ ؟ ولنفرض أننا استطعنا — بعد الكد وحمل النفس على مالا تستطيب — أن ندرك مايرمى إليه القائل ، فما غاية هذا العناء ؟ وما محصوله ! وهل فيه جمال من جمال الفنون!

لطالما أسمعنى الدكتور بشر فارس من أمثال ذلك « الشعر » — عفا الله عنه لحسن نيته ! -- وأنا أقول له : إنى لا أفهم شيئاً ، فيحاول أن يبين ، وكنت أحياناً أصل إلى أنه يريد شيئاً ، ولكن لا أجد هذا الشىء يستحق كل ذلك الشقاء ، شقاءه وشقائى . . وقد رثيت لهذا الصديق الطيب وأشفقت عليه مما يعانيه، ولكنى أرى العدوى تصل إلى صديق آخر طيب أيضاً ، هو الأستاذ الابيارى ، وقد يئست من الأول ، وبقى لى أمل فى الثانى ، لعله يبين لنا الحقيقة والصورة وما أكلت منه حتى شبعت ، على أن يذكر فائدة هذا اللون من الكلام وهل فيه ما نطلب فى الشعر من متعة فنية ، أو هو كلام غير مألوف والسلام ...

شكاية أديب :

« طالعت فى كشكولك الأسبوعى قولك (إن الأدباء هم

الطائفة الوحيدة التي ليس لها شمل ملتئم ، وهم في البلد الذي تنال فيه الحقوق بقوة الجماعات) ولقد أثارني هذا القول ، فإن جريدة الأهرام - كما قد تعلم - أخرجتني من وظيفتي بوزارة المعارف لأتفرغ للتحرير فيها ، ثم تخلت عني دون مبرر ولا موجب ، فلجأت إلى نقابة الصحفيين - وأنا عضو فيها - ولكن النقابة لم تنصفني ، بل ولم تأذن لي بمخاصمة الجريدة المذكورة، فهل رأيت في الدنيا موقفاً أعجب من هذا ؟! لبثت قضيتي مطروحة على مجلس النقابة أكثر من ستة أشهر ، حتى لم يعد في قوس الصبر منزع ، وأخيراً لجأت إلى القضاء مطالباً جريدة الأهرام بتعويض مقداره خمسة آلاف جنيه وسوف تعرض الدعوى على محكمة الأسكندرية الابتدائية في ١٦ ابريل . فأين يا أخي عباس الطائفة التي تدافع عن الصحفيين بعد أن خذلتني نقابة الصحفيين التي أدفع اشتراكها السنوي وأقوم بالتزاماتها جميعاً ؟! »

منصور جاب الله

هذا بعض رسالة تلقيتها من الأديب الفاضل والصديق الكريم الأستاذ منصور جاب الله . وأنا حقاً أعلم قصته مع « الأهرام » وهي قصة يعرف مطلعها القراء ، من مقالاته وتحقيقاته الصحفية ، التي تدل على الاطلاع الواسع والذوق المصقول . وقد كان يوالي الكتابة بالأهرام وهو موظف ، وكان المغفور له أنطون الجميل باشا يعرف قدره ، وقد طلب إليه في سبتمبر سنة ١٩٤٧ الانقطاع للتحرير بالجريدة ، وكان الأستاذ منصور حريصاً على الإقامة بالأسكندرية لملاءمة جوها لحالته الصحية ، فاتفق معه على أن يكون محرراً مقيما بالأسكندرية ، وعلى ذلك استقال من الوظيفة الحكومية ، وظل يراسل الأهرام ويكتب إليها من هناك . وفي نوفبر سنة ١٩٤٨ أصدرت الجريدة إليه أمراً بالانتقال إلى القاهرة وإلا عد مفصولا ، فلما اعتذر بأن هذا مخالف للاتفاق انقطعت عن موافاته بمرتبه ثم قررت فصله .

وأنا لا أريد أن أتعرض للأمر من الناحية القضائية ولا من ناحية النقابة، وإنما أنظر إليه من الناحية الأدبية بالنسبة إلى الصحيفة الكبيرة ذات الماضي النبيل في معاملة محرريها وسائر موظفيها وبالنسبة للأستاذ منصور الذي خدمها متطوعاً وضحى بوظيفته ليكون من جنود صاحبة الجلالة بها ، وإذا هو أخيراً يجد نفسه على قارعة الطريق ..

ماكان ضر الأهرام لو أبقته يوالي عمله بالأسكندرية كما كان ؟

وليت شعري كيف يضيق صدرها الواسع بكاتب مثل منصور جاب الله ؟ لقد عرفنا الأهرام مثالا لحسن المعاملة وتقدير العاملين بها ، وكان يضرب بها المثل في ذلك بين الصحف ، فماذا جرى ؟ ما كان ينبغي قط أن يصل الأمر بينها وبين أحد لا إلى النقابة ولا إلى القضاء .

ولقد ترددت في إثارة هذا الموضوع هنا ، ولكن الكاتب الأديب الأستاذ منصور جاب الله في محنة . ومن حقه أن يرفع صوته بالشكوى .

عباس خضر

خواطر مرسلة

حديث التراب

« إلى المتكبرين الذين نسوا أنهم من تراب خلقوا وإليه يعودون ومنه يخرجون »

للاستاذ حامد بدر

قلت لصاحبي : هل سمعت حديث التراب ؟ قال: وهل يتكلم التراب ؟ قلت: نعم يتكلم بصوت يسمعه من كان له قلب ، وآثر على الشموخ بأنفه ،الأطراق برأسه ، ممعناً فى التردد إلى الأرض ، بعد أن عرف أن نعيم الدنيا وشقاءها يزولان بزوالها ، كما تزول عند الافاقة طيوف الأحلام ؛ وأن السعادة التي يتنافس من أجلها المتنافسون ، والشقاوة التي يستعيذ بالله منها المتقون ، هما السعادة والشقاوة اللتان لا تنفدان ولا تنتهيان .

قال صاحبي : فما حديثه ؟ قلت : كلما وطئ المتكبر الأرض بقدميه قال له التراب : أنت ظلوم جهول ... ترى الحق وتعمى ، فان لم تعم تعاميت ! وأنت حقير مغرور ... تتعالى من فوق ناسيا أنني رفيق الآباد، ومتحدى القرون بهذا الظاهر المنبسط الغامض، وذاك الوجه الأشعث الأعفر ، وذلك السطح الرحب الصبور ، جاعلا صدرى مهادا لأقدام الثقلين بمظالم الخطايا ، الفاخرين بكبائر الذنوب ... ! وقليل من يدرك أسرارى، ويقدر عظاتى .!!

أنت تنظر إلى نظرة سطحية فارغة قصيرة لا تتجاوز قدميك؛ ولو استطعت أن تنظر نظرة نافذة مليئة بعيدة المدى ، لرأيت فى تواضعي قوة الجبار ، وفى سكونى ثبات الواثق ، وفى احتمالى أناة الحليم ، وفى صمتى عظة الحكم ، وفى ركودى عفو القادر ، وفى هبوبى — الفينة بعد الفينة — آية للغافل الوسنان . !

وأنك إذا تأملت قليلا ما شككت فى أن فى باطنى قوة تفتت الجماجم ، وتذيب الجلامد ، وتصهر الحديد ..!

كم ثار من فوق طاغية ... وأخيراً لاذ بى جثة فارقتها الحياة، ونفر منها الأحياء ؛ ولولا سعة صدرى لاشمأز منها الأقربون !

وكم شمخ بأنفه مغرور صادما بقدميه تواضعى ، فحملته حيا ، واحتضنته ميتا ، ليرى مصيره ، وينزل منزله !

عرفت شأنى من قديم الدهور، فلم أحفل من داسني بنعله ،

ولكنى أنهاك أيها المغرور — نهى الناصح — عن التمادى فيما أنت فيه من غفلة وعمى وسوء أدب . فأنت منى سوى ذرات! وأنك إن عرفتنى عرفت أصلك ومرجعك ، وإن ضربت الأرض بقدميك ، ورمقت السماء بعينيك ، وذهبت منتفخا ، ورجعت منتفخا ، فقد أتعبت نفسك وأشقيتها، ثم عدت تطلب الراحة فى مهادى الوثير ، فينبوبك لأنك عققته ، وحق عليك غضبه !

حامد بدر



المدرس أولا

قرأت فى مجلة الرسالة الغراء كلاما كثيراً حول مناهج الدراسة فى الأزهر، وركود الحركة الفكرية. فيه وآخر ما قرأت من ذلك كلمة فى العدد (٨٧٤) بامضاء (أزهرى عجوز).

والكلام فى هذا الموضوع ليس ابن اليوم فكل ما يكتب الآن إنما هو ترديد لما كتب فى السنوات الأخيرة. وقد كانت النية ألا اشترك فى هذا الجدل مكتفيا بما كتبته فى مجلة الأزهر وما قدمته للرؤساء من تقارير حول هذا الموضوع، ولكن كلمة الأزهرى العجوز أثارت عجبى، فرأيت أن أعقب عليها بهذه الكلمة القصيرة.

إذا أردنا أن نقيم الدراسة فى الأزهر على أساس علمى سليم، وأن نظفر بانتاج أزهرى قويم، فعلينا أولا أن نعنى بالمدرس العناية التامة، فان إعداد المدرس وتكوينه والعناية به هى التى توجد لنا الدرس المفيد أولا، والكتاب النافع ثانيا.

والمدرسون فى الأزهر الآن ثلاثة أصناف، فصنف تمرسوا بالكتب الأزهرية القديمة، وأطالوا فيها النظر، وفهموها حق فهمها، وهضموها، وهؤلاء يقومون بأداء رسالتهم على خير وجه، وصنف آخر درسوا على النظام الحديث، فدرسوا علوم التربية، وعلم النفس. وهؤلاء خير من يستطيع بسط المعلومات وتنظيمها، وإيصالها إلى أذهان الطلاب فى يسر وسهولة. أما الصنف الثالث فدرسوا دراسة علمية ولكنهم لم يتح لهم الزمن الذى يجعلهم يهضمون الكتب القديمة، ولم يظفروا بدراسة شىء من أصول التربية وعلم النفس، وهؤلاء فى حاجة ماسة إلى أن يدرسوا ويطيلوا الدرس حتى يلحقوا بواحد من الفريقين الأخيرين، فان من الأمور الثابتة التى لا يختلف فيهما اثنان أن النجاح فى التدريس لا يرجع إلى كثرة المعلومات وحشدها، وإنما يتوقف على تنظيمها، وأسلوب إلقائها. و (الأزهرى العجوز) يؤمن بهذه النظرية، ولذلك يقول فى أول كلمته بوجوب بناء المناهج الحديثة على أصول تربوية سليمة، ولكنه فى آخر كلمته يناقض هذا الذى بدأ فهو يندد بتمالى الصيحات التى تنادى بأن تفتح أبواب الكليات لمدرسى المعاهد، فهو يعرف أن هؤلاء المدرسين المبعدين عن الكليات هم — وحدهم — الذين درسوا أصول التربية، وأنهم أقدر من غيرهم على معالجة الكتب، وتسهيل صعبها، ولكنه يخاف من ذلك، ويريد أن تبقى الكليات احتكارا للذين لم يدرسوا حرفا واحدا من هذه العلوم، وليس لهم فضل إلا فى كثرة المعلومات التى حشوا بها أذهانهم

وأنادى بها عالية مدوية أنه لا إصلاح للأزهر ما لم يمكن المدرس الكفء من أداء رسالته. أما أن يقبر الأكفاء، وأن تبقى الدراسة فى الكليات موقوفة على طائفة معينة، أو مرهونة بأغراض أخرى غير الكفاءة والاستحقاق، فذلك ما يضعف الأمل فى التقدم.

وقل لى بربك كيف تقبل نفس المدرس على العمل أو على التأليف وهو يرى نفسه كما قال الأول:

تقدمتنى أناس كان خطوهم وراء خطوى لو أمشى على مهل

أعدوا المدرس الصالح أولا، وقد أعددتموه فمكنوه من أداء رسالته، وهؤلاء الذين جعلتم له الحق فى احتكار التدريس بالكليات قد علمتموه بالعلم، فعلموهم كيف يدرسونه.

أم درمان — **على العمارى**

قرار من الهيئة المصرية لمؤتمر العالم الاسلامي الدائم

١ — ان المسلمين فى إبان تاريخهم الطويل وما تركوه من أثر فى قيادة العالم لم يصلوا بعددهم فى وقت من الأوقات إلى مثل عددهم فى العصر الحاضر:

فهم يكونون الآن من مجموعات كبيرة موزعة فى قارتين من الأرض وأخرى موزعة على بقية القارات وعددهم يتكون من مئات الملايين.

وتمكن بعض الأمم الاسلامية لما أهميتها الجغرافية والتاريخية لأنها تتوسط قارات العالم القديم. ويؤيد من أهمية المسلمين فى نظر بقية العالم أن بعض أراضيهم تعد من أغلى بقاع الدنيا – لا من ناحية خصب التربة وخيرات الزراعة وحدها، بل لما تحويه داخل التربة من ثروات معدنية وخيرات لم تصل إليها يد الانسان بعد، فهم من ناحية موقعهم الجغرافى تسيطر بلادهم على أهم طرق المواصلات العالمية، ومن ناحية ثروتهم الزراعية وما تحويه أقطارهم من ثروات معدنية عرضة لتغيير كبير وتطور جارف قد يجعلهم فى مقدمة أمم الأرض فى النصف القادم من القرن العشرين.

٢ – ومع كثرتهم العددية التى أشرنا إليها وما ينتظرهم من مستقبل باهر نتيجة موقع بلادهم وما تحويه تربتهم من غنى وخيرات لم تستغل بعد، ومع وصول عدد من دولهم إلى الاستقلال التام عقب الحرب العالمية الثانية، ومع مظاهر الوعى القومى وبعض الوعى الدينى، فيهم ومع انتشار أقليات منهم فى بلاد كثيرة، لم يتمكنوا بعد من تأسيس هيئة اسلامية عالمية تستطيع أن تخدم الاسلام وتنشر الحقائق عن أهله وبلاده وتشير إلى أهميتهم كمجموع كبير وعنصر من عناصر الرقى والتقدم.

ولما اجتمعت الهيئات الدولية عقب الحرب واهتمت بالشئون الدينية والروحية كعناصر من عناصر بقاء الانسان وتطوره، أخذت الأديان الأخرى تتقدم بهيئاتها المختلفة إلى منظمة الأمم المتحدة ولم تجد بينها هيئة واحدة اسلامية تتحدث باسم المسلمين ترفع لهم صوتا مسموعا فى هـــذه المحافل بين الهيئات الغير الحكومية التى تتكلم باسم الأديان والمذاهب الأخرى مع أنها لا تقاس بأهمية المسلمين وكثرتهم العددية فى العالم

٣ – لهذا كله فكر عدد من أهل الرأى والفكر فى مصر فى سد هذا النقص وعملوا على تأسيس هيئة مصرية لمؤتمر العالم الاسلامى الدائم يكون من أهم أهدافها:

توثيق الروابط الدينية والعقلية والروحية بين المسلمين فى العالم – ثم العمل على تحقيق الاتصال بين المسلمين للتعارف والتفاهم وابراز مبادىء الاسلام التى تتعالى عن فوارق اللون والجنس والقومية.

٤ – ولقد نظر القائمون بهذه الفكرة إلى أن الوحدة الإسلامية فى نطاقها الدينى والروحى لا تحارب الوحدة الانسانية بل تكملها لكى يؤدى الاسلام رسالته الخالدة فيتعاون مع سائر الأديان الأخرى للمحافظة على القيم الروحية التى لا يمكن للانسانية أن تتخلى عنها وهى فى عنفوان نهضتها وتطورها واندفاعها نحو تأسيس نظام جديد لعالم المستقبل.

٥ – وتمر الانسانية فى أوقات صعبة إذ تحاول بعض القوات السائدة على الأرض أن تقلل من أثر الأديان وأهميتها فى قيادة شئون العالم وأن تضعف من عمل القيم الانسانية والروحية فى تطور البشر ويقظتهم.

لذلك كان بقاء المسلمين بعيدين عن هذه اليقظة الشاملة لا يفيدهم، بل إن واجبهم الأول هو دخول هذه المعركة القائمة بين الأديان من جهة، ودعاة الالحاد من جهة أخرى، حتى تبرز القوى الكامنة فى الاسلام كدين عالمى فيه كل وسائل الانطلاق والبعث والدعوة إلى خير الانسان وإسعاده على هذه الأرض.

ولذلك فإن عمل مؤتمر العالم الاسلامى الدائم لن يقصد منه محاربة دين من الأديان، وإنما يدعو إلى كلمة سواء بين المسلمين مهما اختلفت أنظارهم وألوانهم ومذاهبهم وجنسياتهم ولغاتهم ثم، يرمى إلى تأكيد مبادىء التفاهم والتكاتف والتعاون والمحبة والسلام بين الناس جميعاً وهى المبادىء التى ما انفك الاسلام يدعو إليها منذ نشأته الأولى.

وبعد اجتماعات دامت عدة أسابيع وضعت اللجنة التحضيرية بهذه الهيئة نظاما للعمل وعرضته على جمعية عامة وافقت عليه وأخذت تنفذه. وقد رأت الهيئة أن تتقدم إلى الرأى العام الاسلامى فى مصر وفى سائر البلاد بندائها حتى يتعرف المسلمون الوجهة الصحيحة التى ترمى إليها الهيئة المصرية لمؤتمر العالم الاسلامى والأغراض السامية التى تدعو إليها، فينضم للهيئة من يشاء ممن يلمسون فى نفسه رغبة المساهمة فى هذا المشروع الجليل.

وقد وزعت أعمال المؤتمر على ثلاث لجان:

(١) لجنة للدعاية (٢) لجنة رشاد (٣) لجنة المالية

وقد بدأت كل واحدة منها تعمل فى إنطاقها ويرحب القائمون بأمر المؤتمر وهيئته الاسلامية بكل من يود الاشترك فى عضوية الهية المصرية من المشتغلين بالشئون الاسلامية والداعين إلى تحقيق أهدافها والذين تدفعهم الغيرة للمحافظة على قيم الاسلام ومبادئه وتراثه فى خدمة الانسانية والحضارة.

اللجنة التحضيرية للمؤتمر



القبــــلة

للكاتب الأسبانى أوسيبيو بلاسكو

في سجن من السجون ليس يعنينا اسمه ، كان أحـد المجرمين العتاة سجيناً . والحق أنه لا ينتظر المرء في مثل هـذا المكان أن يجد عدداً من خيار الناس ، بيد أنه من بين السمائة سجين الذين كانت تضمهم جدران هـذا السجن الذي نسوق الحديث عنه ، كان هذا السجين أشدهم خطراً .

كانوا يدعونه (الذئب) . وكان في الستين من عمره ، وقد أمضى من الستين اثنتان وأربعين سنة في سجون مختلفات . وكان منذ شبابه ينتقل من دار قصاص إلى دار قصاص ، وقد حكم عليه بسبب السرقة حيناً ، وبسبب القتل آخر حيناً . وإنه لمن المحال أن يقدم كشف جامع لجرائمه ، وقد حكم عليـه آخر مرة لجريمة أشنع من سابقاته كلها ، بالسجن لمدة تزيد على البقية الباقية من حياته .

ولقد كان على قدر كبير من الضراوة ، وسوء الخلق ، حتى أن بقية السجناء كانوا يتحاشونه . وكان كلما مر بأحدهم نأى عن سبيله جهد المستطاع ، إذ كان (الذئب) بطبعه شرساً عسر الخليقة . وقد حدث أكثر من مرة أن عض من اقترب منه كثيراً أو ركله بقدمه ، أو شكه بالأبرة ، وكان دائب العمل في جوارب من الصوف . وكان أكثر شراسة من غالبية القوم ، متعطشاً للدم كأكثر الحيوانات المفترسة .

وكان يقضى الأيام والأسابيع في صمت قاعدا على الأرض ، وأمامه عمله ، وهو مطرق برأسه . وكان رأسـه مغطى بشعر أسود ، ولحيته التي سمح له أولو الأمر بالاحتفاظ بها بدافع الخوف أو التحمل ، شعثة الشعر مهملة ، وكانت عيناه سود قاسيتين ، ونظراته مخيفة مهددة . وكان برغم سنيه الستين شديد القوى ، وثيق عضلات اليدين ، وكان مبعث الرعب الصامت في المكان كله . إذ كان لا يبادل الحديث أحداً ، ولا يشارك الآخرين مزاحهم الآثم ، ولكنه كان يحافظ على سمته الذي كان الجميع يعترف به ويحترمه ، وكان كلما رفع بصره ، وألقى الطرف حوله إلى نزلاء السجن الآخرين ، أشاحوا برؤوسهم ، أو رفعوا أبصارهم إلى السماء بدلا من لقاء نظرته .

وعين مدير للسجن جديد كان من أولى النشاط ، حازما لا يستهان به . وأخذ المسجونون بسبب صمته هذه يحدجونه بنظرات آثمة ، ويتذمرون تذمراً منه دون سبب حقيق .

وكان لهذا المدير طفلة صغيرة تدعى أوروراً ، لم تبلغ الخامسة بعد حين عين ابوها مديرا للسجون . وذهبت عصر يوم مع أبيها إلى فناء السجن ساعة الغداء . وبينا كان يقوم بوزن غداء السجناء ذهبت الطفلة في شجاعة الأطفال وأخذت تحدثهم . وكلمتهم جميعا وضحك نفر منهم ، وطلب البعض منها أن تشفع لهم عند أبيها . ولكن فريقا منهم تمتم بألفاظ نابية ضد الأب وابنته .

وكان الذئب وحيدا ، بعيدا عن الآخرين ، جالسا على الأرض وظهره مسند إلى الحائط ، وغداؤه موضوع بجانبه لم يؤكل نصفه ، وكان يعمل بسرعة تبعث الدوار في صنع جورب . وكان مطرقا برأسه ولم يرفع بصره حتى عند ما أصبح الوالد وطفلته على قيد خطوتين أو ثلاث منه . ونظر بطرف عينه ، لحظة لا غير ، إلى الرئيس وابنة الرئيس .

وحاولت البنية أن تقترب منه ، ولكن أباها منعها .

وقالت أوروراً « أريد أن أقترب منه ، وأتفرس فيه . »

فقال الأب « كلام إنه شرير جداً ، خطر جداً ، ربما يلطمك »

فقالت الطفلة « أنظر ، أنظر ، يا أبت ، كيف يبدو ! وإنه ليصنع جوربا ! » فقال الأب :

« إنه ليصنع ذلك على الدوام ؛ وقد أخبرني المدير السـابق انه شديد الخطر ، وقد قضى في السجن كل حياته تقريباً . وله الآن هنا ثلاثون عاما . » فقالت الطفلة

« ثلاثون عاما ! يالمسكين ! يالرجل المسكين ! »

ولما سمع (الذئب) الكلمات « يالمسكين! يالرجل المسكين! »

رفع بصره ، ورمق الطفلة بعينين محملقتين ، ولـكنه لم ينقطع عن العمل بأبرته . وكان المدير على وشك أن يقول لابنته الصـغيرة كلاما ، ولـكنها أنفلتت إلى الأمام وهى تصيح « سأمنحه قبلة . »

وقد فعلت ذلك . واقتربت من (الذئب) وقبلته دون اشمئزاز أو خوف ، قبلة فى وجهه تماما ، وهى تقول « خذها ، ولا تـكن شريرا بعد ! »

وكأنما أصابت (الذئب) صاعقة . ولم يفه ببنت شفة ، ولـكن خرج من حنجرته صوت حشرجة ، كالمشلول الذى يود الـكلام فلا يستطيع ، فلما بلغ الأب وابنته الباب المؤدى إلى سكن المدير ، التفت المجرم العجوز نحوهما وحدجهما بنظره .

ومر العصر ، ثم المساء ، وذهب (الذئب) كـكل حيوان إلى عرينه .

وتعاقبت الأيام والأشهر ، ولم يحدث فى السجن المنظم شىء ذو بال . ولـكن قامت ذات يوم من شهر يوليو عاصفة فى اليم خارج السجن ، وثارت فى نفوس السجناء ثورة تجاوب العاصفة . وارتفع نذير العصيان ، ورفض الرجال تناول الطعام الذى قدم إليهم . وانفجرت المؤامرة التى كانت تضطرم بكامل قوتها .

وهتف المسجونون « اطردوا الضباط ! ليسقط الضباط ! لنأخذ السجن ! »

وقفز المدير كالفهد من غرفته حيث كان يقيل ، وفى طريقه إلى الفناء أغلق باب مسكنه على طفلته حتى لا تتبعه . ولمـا دخل فناء السجن وجد أمامه ثلاثمائة رجل مسلح بملاعق خشبية كبيرة دببت أطرافها وأرهفت حتى لتقتل كالسكاكين

وأطلق الطلقات الست من غدارته ، ولمـا أطلق الطلقة الأخيرة رأى وحشا حقيقيا مقبلا نحوه ، رجلا أشعث الرأس ، كأنه رأس دب ، وهو يصيح « لا تخف ! إننى هنا ! » وكان هو (الذئب) .

وأمسك المدير من حزامه ، ودفعه إلى الحائط واواره بجسمه ، وأمسك فى يمناه مدية كبيرة الحجم ، لا يدرى أحد كيف حصل عليها ، وبدأ والمدية فى يده يستقبل العدو ، وهو يسدد طعنات صائبات حتى ان كل من اقترب من متناول يده سقط ميتاً عند قدميه .

لما وصل لنجدته الحرس المسلحون والشرطة ، وانتهت المعركة ، وهدأ كل شىء ، ونجا المدير ، سقط (الذئب) ، وقد أثخنت الجراح رأسه وجسمه وكان فى حشرجة الموت .

وأدخلوه سكن المدير بناء أمره ، وأرقدوه على سرير ناعم وثير رقد على مثله لأول فى مرة حياته . ورقد هنالك ، يقلب الطرف حوله ، بعينين باحثتـين متوقعتين .. وتكلم (الذئب) بصوت متقطع وهو راقد هناك بين الحياة والموت ، وهو يرمق الرجـل الذى أنقذه من الموت .

وقال « الطفله .. الطفلة » .

وفطن المدير فى لحظة إلى السبب الذى حمله على الدفاع عنه ، أجل أجل لا ريب أن ذلك هو السبب اوجرى نحو مسكنه الذى أغلق بابه على ابنته ، وقد نسى أن يفتح الباب حتى الآن وكانت الطفلة تبكي من الرعب . وأخذها بين ذراعيه وعاد بها إلى الغرفة التى كان الرجل العجوز يلفظ أنفاسه الأخيرة فيها . وكان (الذئب) العجوز راقداوعيناه مفتوحتان محملقتان ، وما زال لديه فسحة من الوقت لرؤية المخلوق الوحيد الصديق الذى لقيه فى حياته ، وليقول :

« مرة أخرى ! مرة أخرى ! »

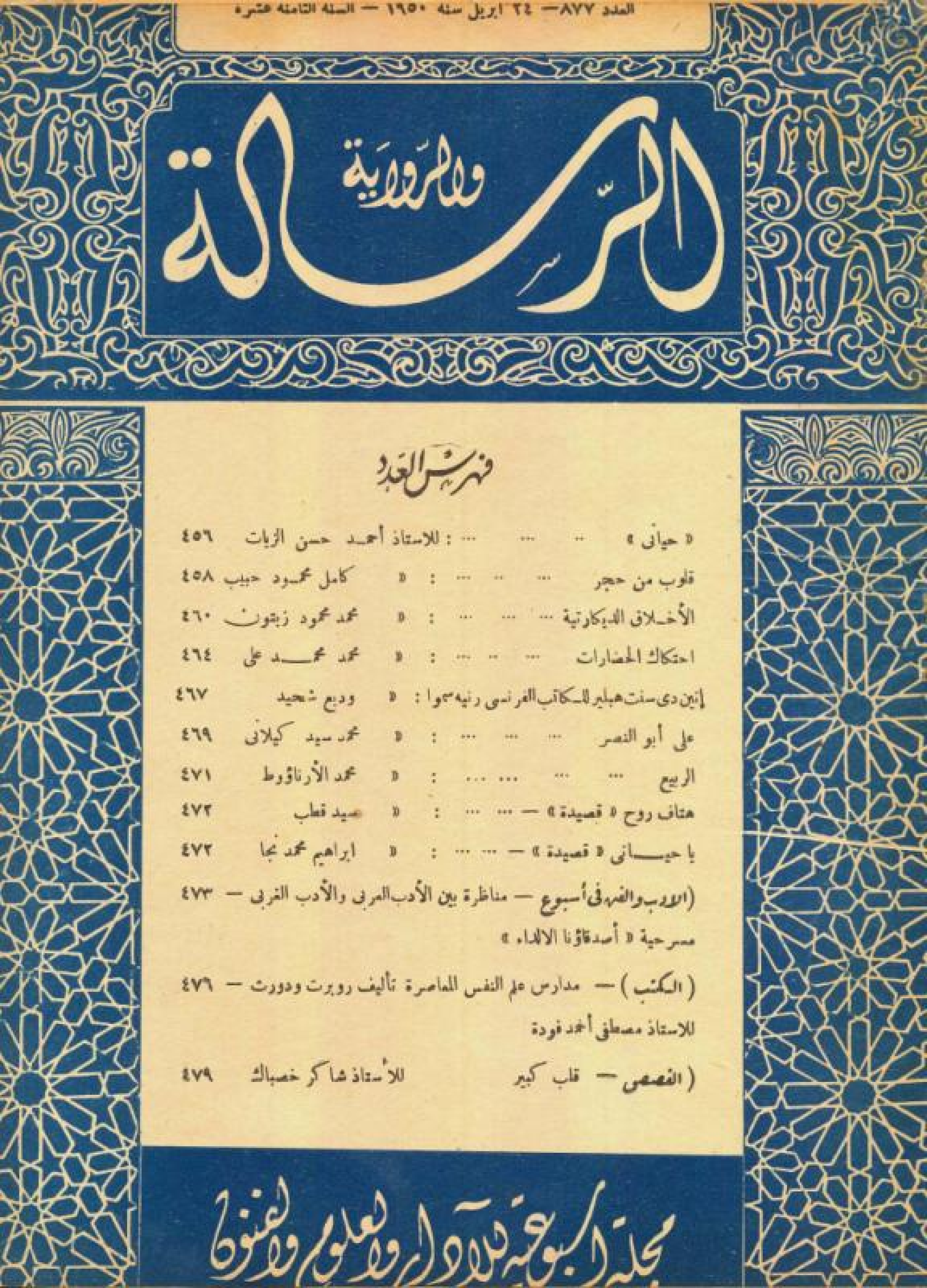
ورفع الأب أورورا بين ذراعيه ، وسمع صوت قبـلة ، قبلة وضعتها شفتان ملائكيتان لطفلة صغيرة على ذلك الوجه المغضن الذى لفحته السنون .

ولما غادر القس المكان ، وما زال يتمتم بالصلاة وهو يحمـل الزيت المقدس ، ظـــل المدير ورجال الشرطة ، ورجال الحرس ، ركعا أمام الجسد فى صمت رهيب ، وأخذت الفتاة الصغيرة بناء على كلمة من أبيها تقول فى صوت حـلو ، رقيق ، صوت الطفولة :

« يا أبانا الذى فى السموات ، نقدس اسمك ، .. »

محمد سليمان على المهندس





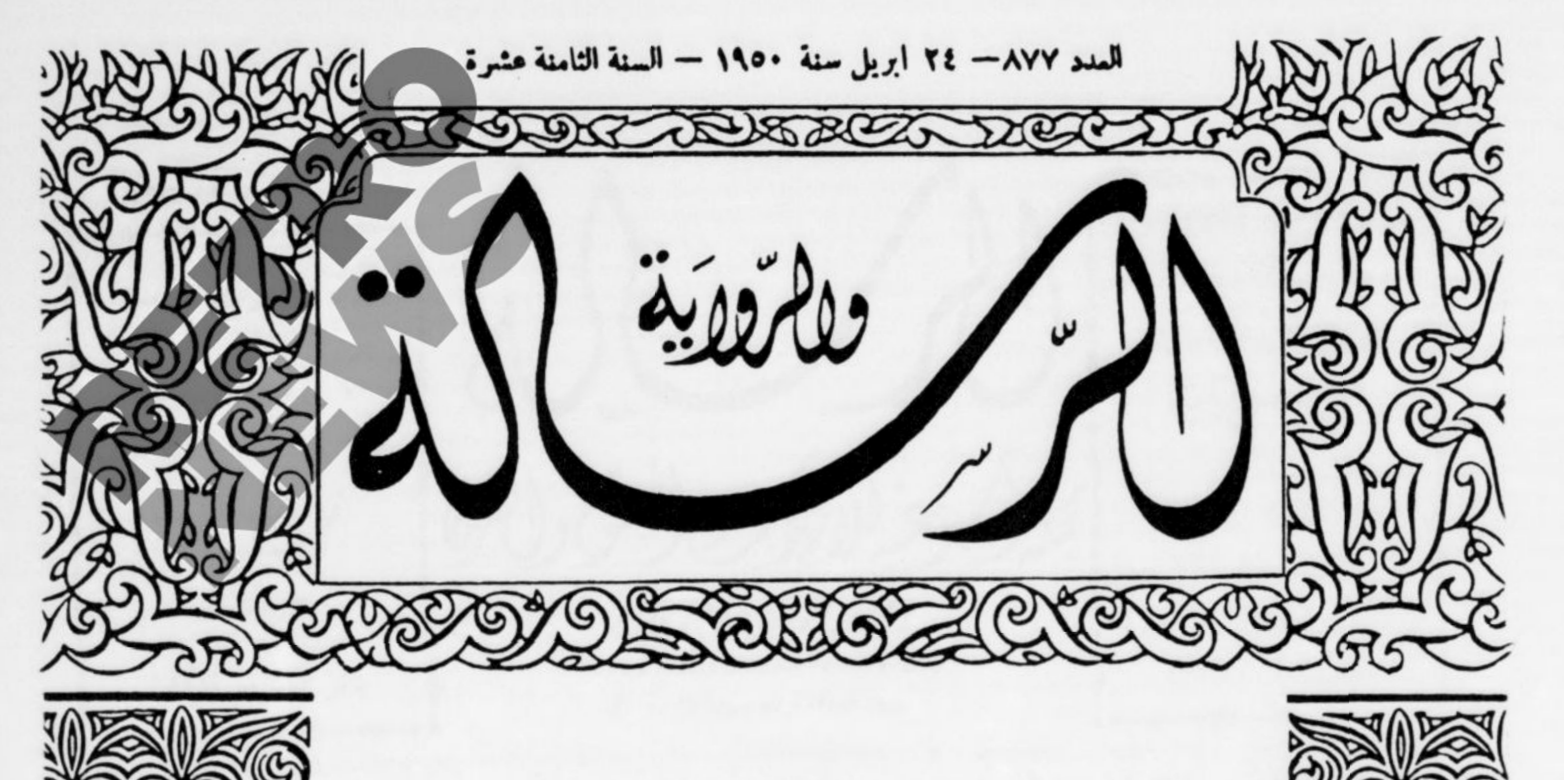
العدد ٨٧٧ — ٢٤ أبريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٨٧٧ — ٢٤ ابريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

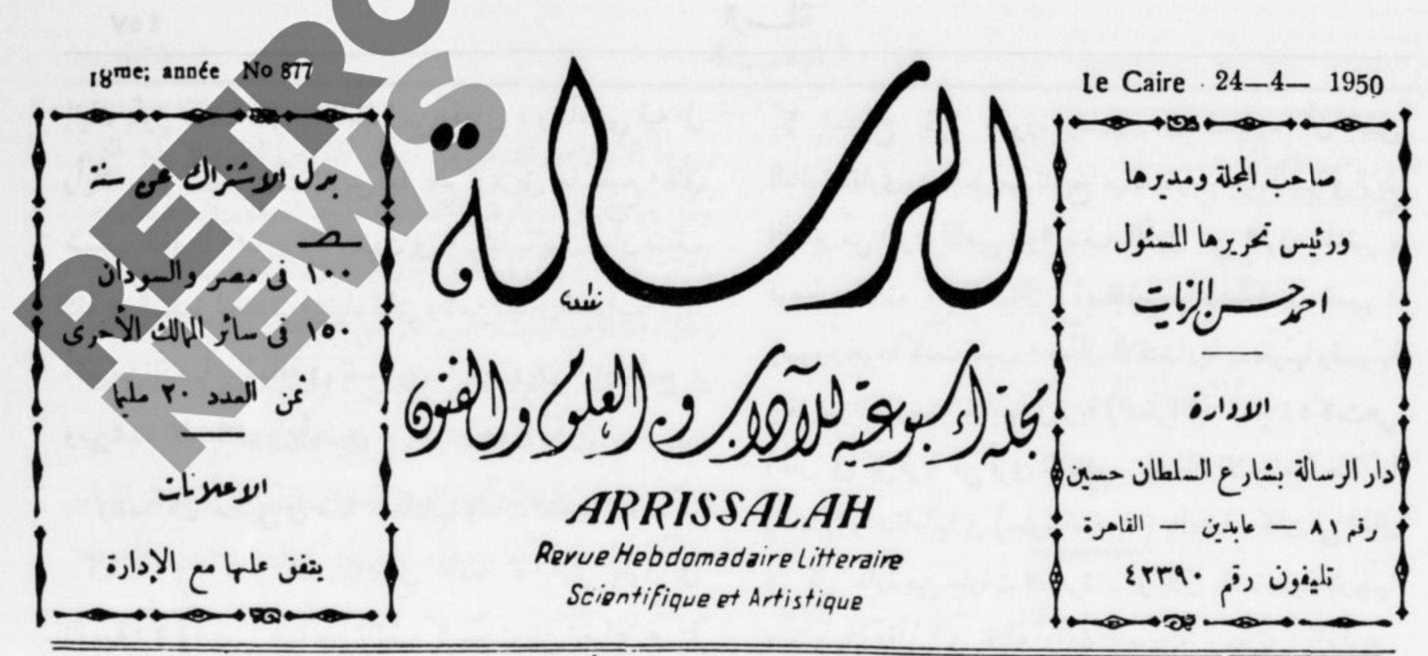


فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



18me année No 877 — Le Caire 24-4- 1950



الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٦٩ — ٢٤ أبريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

«حيـــاتى» *

« حياتى » هى حياة صديق الدكتور أحمد أمين بك ، ألفتها الوراثة والبيئة والأقدار والظروف والمواهب والأخلاق والجهود فى مدى أربع وستين سنة ، فجاءت فصلا متميزا من كتاب الحياة العام . وقليل من الناس من يتهيأ بفطرته وعبقريته ليكون مادة من مواد هذا الكتاب . أما الأكثرون فأكثرهم ينكرهم المؤلف الأعظم إنكاره للمعدوم، وأقلهم يذكرهم إما لحقا فى حاشية وإما عرضا على هامش .

هذا الفصل الطويل الحفيل لخصه أحمد أمين بقلمه فجاء قصة من قصص البطولة النفسية فى ثلثمائة وخمسين صفحة من الحجم اللطيف ، تقرأها وأنت ترجو ألا تشغل عنها ، وتفرغ لها وأنت ترجو ألا تفرغ منها !

قرأتها فى جلستين اثنتين على كلال بصرى ووهن أعصابى ، فكنت كأننى أشهد بخيالى وذهنى فلما ثقافيا عجيب المناظر مختلف الألوان جم الصور يمتع العقل والقلب جميعا .

كان ماأجده من الشوق واللذة وأنا أقرأ « حياتى » لأحمد أمين ، يشبه ما كنت أجده من الشوق واللذة وأنا أقرأ « الأيام » لطه حسين : شوق ولذة من نوع غريب الطعم والأثر لم أذقهما فى حياتى الأدبية قبل هاتين المرتين فى هذين الكتابين . وليس معنى ذلك أن « حياتى » و « الأيام » يشتركان فى مذهب فنى واحد ، بل معناه أنهما يشتركان فى اجتذاب النفوس وامتلاك المشاعر بشىء آخر غير الفن . قد يكون ذلك الشىء فى الجمال النفسى الذى يتجلى فى الصدق حين يجوز الكذب ، وفى الصراحة حيث تنفذ الكناية ، وفى التفصيل حيث يسهل الإجمال .

وقد يكون فى الروح القوى الذى يهيمن على الكتابين ، فيظهر هناك فى عمق الشعور ، كما يظهر هنا فى عمق الفكر

وقد يكون فى التصوير الدقيق البارع لتربية روحية مسختها المادة، وبيئة شعبية نسختها المدنية ، ولا يزال لهما فى النفوس أثر وبالقلوب نوطة .

وقد يكون فى أولئك كله ، وما أولئك كله إلا الصفات الجوهرية التى لا بد منها للمكتوب الصحيح وللكاتب الحق عبر صادقا عن نفسك تتجاوب أنت والناس ، وانقل أمينا عن بيئتك تتعارف أنت والطبيعة .

* * *

قال لى صديقى ذات يوم ونحن جالسان فى المجمع . صابعث

---

* كتاب للدكتور أحمد بك أمين نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

إليك بأول نسخة تخرجها المطبعة من كتابى ، وسأمضى فيه على رأيك ولو كلفنى ذلك تفريق ما جمع وتمزيق ما طبع ، فانى ضعيف الثقة بما أعمل . فلما مضيت فى الكتاب تبين لى أن ضعف الثقة فى الصديق لم يأته من اشتباه الحق ولا من التباس الصواب، وإنما أتاه من اتساع المسافة فى نفسه بين ما يريد وبين ما يستطيع ، ومن شدة الاختلاف فى رأيه بين ما يجب وبين ما يكون .

ولقد كان صديقى فى هذا الكتاب بالذات شديد التردد فى كتابته ، كثير التشكك فى افادته ، فهو يقول فى المقدمة : « لم أتهيب شيئاً من تأليف كما تهيبت من اخراج هذا الكتاب ؛ فان كل ما أخرجته كان غيرى المعروض وأنا العارض، أو غيرى الموصوف وأنا الواصف . أما فى هذا الكتاب فأنا العارض والمعروض والواصف والموصوف . والعين لا ترى نفسها إلا بمرآة . والشيء إذا زاد قربه صعبت رؤيته . والنفس لا ترى شخصها إلا من قول عدو أو صديق، أو بمحاولة التجريد وتوزيعها على شخصيتين: ناظرة ومنظورة، وحاكمة ومحكومة، وما أشق ذلك وأضناه! » ... « وترددت أيضا فى نشره : ما للناس و « حياتى » ؟ لست بالسياسى العظيم ، ولا ذى المنصب الخطير ، الذى إذا نشر مذكراته ، أو ترجم لحياته ، أبان عن غوامض لم تعرف ، ومخبآت لم تظهر ، فجلى الحق وأكمل التاريخ ؛ ولا أنا بالمغامر الذى استكشف مجهولا من حقائق العلم فحاول وصفه وأضاف ثروة إلى العلم ، أو مجهولا من العواطف كالحب والبطولة أو نحوهما فجلاها وزاد بعمله فى ثروة الأدب وتاريخ الفن ؛ ولا أنا بالزعيم المصلح المجاهد ، ناضل وحارب، وانتصر وانهزم ، وقاوم الكبراء والأمراء ، أو الشعوب والجماهير، فرضوا عنه أحيانا ، وغضبوا عليه أحيانا ، وسعد وشقى ، وعذب وأكرم ، فهو يروى أحداثه لتكون عبرة ، وينشر مذكراته لتكون درساً . لست بشيء من ذلك ولا قريب من ذلك ، ففيم أنشر حياتى ؟ »

ومع ذلك استطاع أحمد أمين بوزانة عقله ورزانة خلقه أن يقول لحن أصرح ما يقال ، وأن يصدر الحكم أعدل ما يصدر؛ كما استطاع بقوة شعوره وصدق تصويره أن يحقق الفائدة للقارىء ، فجمل من تاريخ حياته تاريخ حياة لمصر فى الربع الأخير من القرن الماضى ، والنصف الأول من القرن الحاضر ، فوصف عادات كادت تزول ، وسجل حوادث كادت تنسى ، وصور وجوها كادت تغيب ؛ فالحال الاقتصادية بسخرتها وقسوتها وثقل ضرائبها وسوء جبايتها فى قرية (سمخراط) بالبحيرة ؛ كانت هى الحال فى كل قرية من قرى الأقاليم . والحال الاجتماعية بطبقاتها وعاداتها واعتقاداتها فى (حارة العبادية) بالمنشية ، كانت هى الحال فى كل حارة من حارات القاهرة . والحال الشخصية بتربيتها ونفسيتها وعقليتها فى نفسه وأهله وصحبه وجيرته ، كانت هى الحال فى كل فرد من أفراد الشعب . وإن فى تصويره البيت والسقاء والمحدث والكتاب والأزهر ، وفى وصفه لأبويه وأخويه، وصديقيه عبد الحكيم محمد وعلى فوزى ، وأستاذيه عاطف بركات ومس بور ، لنماذج من البيان المطبوع الذى يشرق بنور العقل وينبض بروح العاطفة . وإن من أجمل ما فى الكتاب تلك البراعات الذهنية التى تبدهك بين الصفحة والصفحة فى تحليل نفس ، أو تعليل حادث، أو تأثير شخص فى شخص ، أو موازنة حالة بحالة . على أن مثل « حياتى » فى انبثاقها من البيت والحارة والكتاب والأزهر ، وفى تفرقها بعد ذلك فى نواحى العمل ووجوه الأرض وأشتات الأمر ، كمثل الدوحة العظيمة ، تكون عند الجذع قوية غليظة مكتنزة ، تضطرب بالحياة وتزخر بالخصب وتستمد غذاءها من جذورها الضاربة فى جوف الثرى ؛ فاذا تفرعت على ساقها انتشرت الأغصان وتشعبت الأفنان فتوزعت الحياة ، وتقسم الرى ، وخفت الحركة، ولكن فيها مع ذلك الجمال والظلال والزهر والثمر ؛ فالقسم الأول من « حياتى » كأصل الدوحة عميق وثيق مكتنز لاستمداده من أعماق النفس ؛ والقسم الآخر كفروعها هش الأفنان منبسط الجوانب لامتداده فى آفاق الطبيعة .

والكتاب بعد ذلك قد كشف عن سر من أسرار الصناعة فى كاتبه . ذلك سر القصة . والنفس الفنانة عميقة كالكون؛ سحيقة كالأبد ، فلا تنتهى أسرارها حتى ينتهى المجهول ، ولا تنقضى عجائبها حتى تنقضى الحياة !

احمد حسن الزيات

صور من الحياة

قلوب من حجر

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٣ —

هبت نسمات الربيع تدفعني إلى الماضي الجميل ، فحن الفؤاد إلى مراتع الطفولة، وصبا القلب إلى ملاهي الصبا، ونزعت الروح إلى مهاد الذكرى ، هناك في القرية حيث الربيع الغض يمد سحره الرفاف، فينتشر على الثرى بجراً سندسي الحواشي، مرح الأعطاف ، يبسم لهبات النسيم في رقة، ويصافحها في لين، ويعانقها في شوق ، حيث الغدير العذب ينساب إلى غير غاية ، يترنم بأناشيد الهوى ويشدو بألحان الغرام ، وهو يضم بين حبات قلبه صفيه الحبيب : شعاع الشمس الذهبي الذي يدفىء حناياه بزفرات الشوق والحنين ؛ حيث فىء شجرة التوت يتهادى ليهدهد من أنات الثور المعنى ونواح الساقية الشجي ؛ حيث أهلي الذين أتشوف إليهم برغم أن شواغل المال قد جرفتهم فجف فيهم الحنان وذوى العطف ونضب الصفاء ؛ حيث الفلاح الذي يئن تحت وقرين من ضنى العمل ورقة الحال ...

وجذبتني نوازع النفس إلى القرية فطرت إليها أستجم من عناء وأتدع من كلال وأهدأ من صخب ، فخلعت أول شيء لباس المدينة وهو ضيق يرهق الجسم ويحبس الدم ويخنق الحركة ، ثم انطلقت وحدي إلى مكان ذي ظل وهدوء ، على أجد نفسي وخواطري معاً .

وتكبكب الفلاحون يحيون الضيف الذي حل في ديارهم على حين فجأة بعد سنوات من نأى كادت تمحو ورته من الذهن ، وتمسح سماته من الخاطر ، وتطوى تاريخه من الوعى ... الضيف الذي نفض عنه - في لمحة واحدة - أثر المدينة فلبس ثوب الفلاح في غير تمنع، واستلقى على ثرى أرضه في غير تحفظ، وأكل طعامه في غير تقزز، وشرب شرابه في تكمش . وستني روعة المكان وروعة الاخلاص المتدفق من أغوار النفوس الطيبة الزكية التي ترفل في دثارين من الرضا والقناعة ؛ فأخذت معهم في حديث راح يتشقق فنوناً ، وإن فيه العذوبة والذكرى . ومضت ساعة من زمان وأنا أرقب رجلا منهم نفر عن الجماعة فانتحى ناحية فما شارك في الحديث ولا هش المجلس ، ولكنه ظل في منأى عنا منطوياً على نفسه وعليه آثار الأسى وفيه علامات الحزن ؛ وتراءى لي كأنه يحمل على عاتقه أعباء السنين العجاف، وراعني أن ينفض السامر ولما أكشف عن طوايا نفسه أو أنفذ إلى أعماق قلبه ، وإني لأعرفه فتى طروب النفس خفيف الحركة قوى العضل . . أعرفه منذ أن كان أبي رب هذه الأرض وصاحب هذا الغيط وسيد هذا الناس ، ومنذ أن كنت أنا صبياً أرفل في عبث الطفولة وحماقة الصبا .

وناديته فلبي وجاء يتوكأ على عصا وقد حطمته السنون فبدا هيكلا يتداعى من وهن وضعف ، ثم سألته « مالك لا تنتمر في الحديث ولا تندفع في السمر ولا تهتز للطرب ؟ »

فقال « يابني ! إن أبناء المدينة لا يفهمون لغة الريف ولا يستمرئون شكوى المظلوم »

قلت « وي كأنك نسيت أنني ابن الريف وربيبه ، لم تصرفني عنه إلا نوازع العيش ولا دعتني عنه إلا دواعي الوظيفة ! »

قال « ولكنك جئت ترفه عن نفسك بلذة الهادئة ، وتلتمس السكون والراحة من صخب المدينة ، فما كان لي أن أعكر صفو المتعة بشوائب الشكوى، ولا أن أدنس سعادة المرح بأنات الأسى »

قلت « لا بأس عليك ! هات حديثك عسى أن أجد لك فرجة من ضيق أو برءاً من سقام »

فقال في صوت شاع في نبراته الأسى وأفعم رنانه الحزن :

« أما قصتي فهي قصة الضعف تعصف به القوة العارمة ، قصة الفقر يعبث به الغنى الجارف .

« للملك ، يابني ، لا تذكر يوم أن تركت غيط أبيك إلى ضيعة سعادة البك ! لقد فعلت وإنه ليتراءى لي أنني أفر من ضيق إلى سعة ومن شظف إلى خفض . وكنت - إذ ذاك - فتى في الطمع والطموح في وقت معاً وتنسيت أن الثراء العريض لا يرقق القلوب القاسية ، وأن النعمة السابغة لا تداوى الأنفس الشح ، وأن المال

الوفير لابلين العقول الجافة ؛ ولـكننى طرت إلى عزبة البك

«وتقبلنى سعادة البك ورجاله بقبول حسن ، وتقبلت أنا العمل بشوق وأمل ، وانطوت الأيام فاذا أنا أقرب الناس إلى قلب البك ، يسبغ على من نعمته ويحبونى بفضل رعايته ، ثم يقيمنى رئيساً على عماله

« ووجدت فى عملى الجديد معانى السيطرة والسلطان ، وأنا حينذاك – رجل صقلتنى التجارب وشذبتنى الحياة ، فرحت أبذل غاية الجهد وأستنفد وسع الطاقة لأكون أهلا لثقة البك ، وعشت بين العمال أخاً وصديقاً وصاحباً ، وعشت فى الغيط أميناً ومخلصاً ، وعشت فى دار سعادة البك خادماً وعبداً ؛ لا أتطاول إلى طمع ولا أتشوف إلى جشع ، ورضيت ورضى أهلى ، وأحس أولادى بالخفض والسعة ، فاطمأنت نفسى وسكنت جأشتى واستنامت خواطرى ، ولكن الحوادث لم تنم ...

« وعلى حين غفلة أصاب ابنى الأكبر داء عضال ، فتفزع قلبى واضطربت حياتى لأنه عونى وساعدى ولأنه ابنى ...

«وطرت إلى الطبيب أستشيره وأستعينه على أمرى ، وتحدث الطبيب حديثاً ثلج به صدرى وتطامنت له لوعتى ، ثم بدأ يطب لمرض المريض وأنا أدفع الأجر من عرق الجبين وأجزل العطاء من عناء العمل

« ليت شعرى هل كان الطبيب يسخر من غفلتى ويهزأ من جهلى حين راح يمدلى فى الأمل ويفسح لى فى الرجاء ليخدعنى عن مالى ويستلبنى من كد العمر . آه ، يابنى ، لقد ظل ابنى بين يدى الطبيب شهوراً لا يجد الراحة ولا الشفاء والطبيب يمكر بى ليستنفد طاقتى حتى لصقت يدى بالتراب ولم يبق فى دارى سوى صبابة توشك أن تنضب ، ولكن الأمل ... ومرت الأيام فاذا أنا لا أجد قوت يومى ، وإذا الطبيب ينذرنى فى جفاء وغلظة ... ينذرنى بأن يقذف ابنى إلى عرض الشارع إن أنا لم أشبع نهمه أو أرد غلته

« ياقلبى ! ما أغلظ أكباد قوم سيطر عليهم سعار المال فصرفهم عن معانى الانسانية السامية ودفعهم عن رقة الرحمة والشفقة !

« وانطلقت إلى سعادة البك – سيدى – أقص قصة ابنى المريض وهو يقاسى برحاء المرض عند الطبيب ، وأنا أعانى مس الفاقه هنا بين يديه ، وطلبت إليه أن يعينى ببعض ماله ... بخمسة جنيهات .

«وحدجنى البك بنظرات قاسية ثائرة ثم قال « وإذن فقد شغلك ابنك عن عملى شهورا . لا بأس فهذا أمر أستطيع أن أغفره لك . أما الجنيهات ، فمن ذا الذى أوهمك بأن دارى هى بعض التكايا فتطمع أن تجد فيها مالا غير أجرك الذى تستحق » .

«وانكشف لى قلب سعادة البك عن حجر لا ينبض برحمة ولا يخفق بشفقة فقلت له فى توسل « ولكننى خادمك منذ زمان وهذا ابنى بين يدى طبيب غليظ الكبد قاسى الطبع خدعنى عن كل مالى وهو الآن يوشك أن يقذف به مريضا إلى عرض الشارع لأننى لا أجد ثمن العلاج ولا ثمن الدواء » .

فقال فى قسوة « لا عجب أن تمن على بعمل نلت أجره مرتين . أما الطبيب ، أما ابنك فلا شأن لى بهما ، فاخرج وإلا ... »

« وخرجت من لدن سعادة البك وأنا أذرف عبارات الأسى واليأس وقد ضاقت على نفسى وضاقت على الأرض بما رحبت ، وحدثتنى شجونى بأن ألقى بنفسى فى اليم لأتخلص من حياة لا أحس فيها إلا قلوبا قدت من حجر فما أمسكنى إلا ابنى المريض الذى يترجى عودتى »

« وأنفت نفسى – منذ تلك الساعة – أن أعيش فى كنف البك الذى تكشف لى عن وحش مفترس يتأنق فى مسلاخ إنسان ، وترامى الخبر إلى البك فأقام حارسا على دارى ، ثم طردنى وحبس قوتى وقوت عيالى فما استطعت أن أحمل معى الذرة ولا القمح ... ولا العيش . وتركت الدار التى كنت أسكن فى عزبة البك ... تركتها يوم أن مات ابنى »

« واحر كبدى ! لقد عشت ساعة على قارعة الطريق أذرف لوعة قلبى وحرقة فؤادى أمام جثة ابنى المسجاة فى أسمال لأن سعادة البك رفض أن ندخله فى داره ، وأبى فى قسوة أن يمد لى يده فى ساعة العسرة ، ولكن عماله أعانونى فى الشدة وساعدونى فى الضيق .

« ولا عجب – يا بنى – فان الانسانية حين تتهاوى تسفل فتتضع فتنحط إلى أوضع مراتب الحيوانية ! »

كامل محمود حبيب

الأخـــلاق الديكارتية

بمناسبة مرور ٣٠٠ سنة
على وفاة الفيلسوف ديكارت

للاستاذ محمد محمود زيتون

ديكارت فيلسوف ، حظه من الفلسفة رحب الجوانب مترامى الأطراف ، وله من الإلمام بالتراث الفلسفى القديم نصيب موفور . فقد أحاط خبرا بسابقيه إحاطة تختلف سعة وضيقا ، ومع هذا كله فله مذهبه الخاص به فى كل ضرب من ضروب الفلسفة . إذ الفيلسوف الحق إنما تخلد آثاره لا بما فهم وهضم من تراث ماضيه فحسب، بل بما أضاف من جهده له قيمته إلى هذا الماضى إضافة من شأنها أن تجعل المذهب الفلسفى كالكائن الحى له صفات النمو والنشور

هكذا كان ديكارت ، فإن له لآثاره وابتكاره اللذين يميزانه ولاسيما فيما نحن بصدده أى الأخلاق ولا بأس من عرض سريع للتعرف على ميزة الأخلاق عند القدامى قبل استيضاح معالم الأخلاق عند ديكارت .

نعم كان علم الأخلاق عند القدامى علما عمليا يفترض إحاطة تامة بشتى ضروب المعرفة من الطبيعة وما وراءها ، والسيكولوجيا وغيرها ، فسقراط يقول « اعرف نفسك بنفسك » وينشد أفلاطون « العدالة » النفسية ليبنى عليها العدالة السياسية ، ويقيم أرسطو بنيان أخلاقه على علم النفس ، ولا يشذ عن أستاذه فى نشدان « الفضيلة التى ليست شيئا آخر غير الوسط العدل بين طرفين » فهم ثلاثتهم يقصدون إلى « الخير » كما عند سقراط ، أو « السعادة » كما عند أفلاطون ، أو « الحكمة » عند أرسطو .

وعلى هذه الوتيرة سار التابعون لفلاسفة اليونان والآخذون عنهم من رواقيين وغير رواقيين وامتد الشعاع من الرواقية حتى وصل إلى ديكارت فتلمسه ثم تأثر به سلبا وإيجابا .

وإذ أحس ديكارت بضرورة الحاجة إلى إتمام صرحه الفلسفى كان لا بد له من أن يصنف العلوم تصنيفا هو بمثابة الهيكل أضلاعه مرتبة على جوانبه، فقد ارتأى أن العلم شجرة جذورها الميتافيزيقا، وجذعها الفيزيقا ، وفروعها الطب والميكانيكا والأخلاق ، وهو آخر مراتب الحكمة والعلوم لأنه يتطلب البحث والإحاطة التامة بكل ضروب العرفان ، فهو لذلك أعقد العلوم ، أما وقد جد فى الطبيعيات والميكانيكا والطب ولم يتنه بعد من هذين الأخيرين فقد آثر ديكارت الانتظار .

ومن أجل تجديد المسكن الذى ارتأى وجوب القيام فيه ، وجب قبل هدمه أن يأوى إلى أخلاق موقوتة Morale provisoire هى بمثابة المسكن المؤقت حتى يتم له هدم ما أراد هدمه ، وبناء ما أراد بناءه ، فمات ديكارت وما ترك لنا إلا هذا المسكن الموقوت الذى سكن إليه ريثما يتمم الأسس ، فلم يتح له ذلك . ومع هذا فإن هذه الأخلاق تستحق العناية لإمكان الاستدلال منها على كثير من جوانب الحياة التى اكتنفت ديكارت فى شخصه ومجتمعه معا.

وثمت مسألة لها قيمتها وهى الخاصة بالعلاقة بين الفلسفة والحكمة من ناحية ، والأخلاق والسعادة من ناحية أخرى. أما الحكمة فإنها مرتبطة بالفلسفة ارتباطا وثيقا . يقول فى كتابه عن « القواعد » وكلمة فلسفة تعنى دراسة الحكمة . وليست العلوم بأسرها إلا الحكمة الإنسانية التى تبقى هى هى دائما » ، والحكمة ـ فضلا عن تضمنها للحكمة العملية — ، فإنها المعرفة التامة بكل الأشياء التى يتسنى للانسان المعرفة بها . وإذا كانت الفلسفة هى دراسة الحكمة فهل اللفظان مترادفان ؟ كلا . فالفلسفة هى « الحكمة » من حيث هى « عملية » ، والأخلاق هى آخر درجة وأبعدها فى الحكمة ، كما يقول ديكارت فى مقدمة كتابه « المبادىء » .

وبين الأخلاق وعلم النفس صلة وثيقة ، فلنتعرف على أحوال النفس وأحوال البدن ثم على ما بينهما من تفاعل . وكل ذلك نتلمسه بوضوح فى رسائل ديكارت إلى الملكة كرستين Christine والأميرة إليزابث Elisabeth فضلا عن « بحثه فى الانفعالات »، وفى هذه الينابيع الثلاثة عرف ديكارت لب الأخلاق من حيث هى السلوك الإنسانى على أساس قوى من السلوك النفسانى .

وعند ديكارت ألفاظ أخلاقية هى : الكمال والخير الأسمى والسعادة والنعيم المقيم واللذة والنظر والعمل والحرية والفضيلة والمعرفة والإرادة . ودراسة هذه الألفاظ ومدلولاتها عنده والصلة

بينها وبين بعضها كل ذلك إدراك للعقد التي تجمع بين أطراف الأخلاق الديكارتية :

يعرف ديكارت الخير الأسمى بالكمال إذ الخير الأسمى هو الحصول على كل الكمال الذي كل فعل خالق خليق به [١] والخير الأسمى لا يتضمن أي وسيلة للسعادة ، ولذلك هما متباينان أشد ما يكون التباين ، ولا يتردد ديكارت لحظة في الفصل بين الخير الأسمى وبين الله فيقول « من الممكن اعتبار طيبة كل شيء في ذاتها بدون ربطها بغيرها مما يكون معناه واضحا ، لدرجة أن الله هو الخير الأسمى لأنه أكمل الموجودات حيث لا شبيه له في هذا » . ثم هو كذلك يبعد معنى الخير الأسمى عن المعنى الأفلاطوني أي المثل الأعلى والمعيار الثابت للعمل الإنساني ... وعندما نراعي فكرة الخير لاستخدام قاعدة لأعمالنا فإنا نأخذها على أنها الكمال التام » (٢) .

ويفرق أيضا بين السعادة والنعيم القيم ، فالسعادة حظ سعيد قد لا يكون من فعلنا ، أما النعيم القيم فهو نتيجة الحكمة ، وهو يقوم على السرور . وليست المسرات على درجة واحدة من القيمة ، فالسرور كعلاقة ونتيجة للكمال يجب تقديره بحسب ماله من سبب . وبحسب هذا تعدل مسرات النفس وحدها جميع مسرات الإنسان المركب من جسم وروح لأن مسرات الانفعالات معرضة للظهور مقدما أعظم مما سوف لا تؤول إليه . ولهذا فهي تخدعنا . والمسرات عامة تعطينا من الارتياح أكثر من حقيقتها أي هي متعلقة بالكمال الحقيقي ، و « لنعرف تماما كيف يمكن لكل شيء أن يعين على ارتياحنا يجب اعتبار الأسباب التي تنتجها » (٣)

هناك نوعان من اللذة : فمنها ما يتعلق بالنفس وحدها . ومنها ما يتعلق بالإنسان أي النفس من حيث اتصالها بالبدن ، وهذه الأخيرة تظهر غالبا أكثر مما هي عليه ، وقبل حيازتها يكون الأصل في جميع الشرور وجميع الأخطاء في الحياة . وبمقتضى العقل يجب أن تقاس كل لذة بمقدار الكمال الذي ينتجها . وإنه لكذلك حين نقيس تلك التي أسبابها معروفة لدينا معرفة واضحة .

وغالبا ما يجعلنا الانفعال نعتقد بعض الأشياء الحسنة والمرغوبة . وإن لم تكن هي كذلك . على أننا إذا أصابنا كثير من الألم وفقدنا فرصة الحصول على خيرات أكثر تحققا فإن الغمة تمرفنا الأخطاء . ومن هنا تأتي العوامل الداخلية كالحسرة والندم ، ولهذا كانت مهمة العقل امتحان القيمة الصحيحة لجميع الخيرات التي يبدو أن الحصول عليها يعتمد بشكل ما على تصرفنا لكيلا نحتاج أبدا إلى استعمال جميع غاياتنا إلى محاولة أن نتابع تلك المرغوب فيها أكثر من غيرها

فالنعيم القيم يؤدي إلى اللذة ، ولما لجنها يجب معرفة كيف تتميز هذه اللذات ، ولما كنا لا نستطيع القول ضمنا بأن النعيم القيم ليس هو الخير الأسمى فإنه ليس إلا نتيجة له (١) والنعيم القيم بعبارة أخرى هو الاتجاه الذي يحتم علينا أن نتبع الخير الأسمى الذي هو الوسيلة لهذه الغاية العليا . وهكذا نرى كيف يتميز ويرتبط كل من السعادة والخير الأسمى

كيف نعرف الخير الأسمى أو مثال الكمال الذي نتوصل إليه إليه باتباع اللذة ؟ يفرق ديكارت بين المثال الغامض والعام عند الكمال الانساني . وهذا ما يجب على كل فرد أن يفترضه . أي يفترض المثال الذي يوافق طبيعته ، وفضلا عن هذا فإن الخير الواجب اتباعه ليس وحده خير الكل وإنما هو الخير المتعلق بالفرد وحده .

ولما كان من الضروري أن نفرق بين الخيرات الخارجية وبين الخيرات التي تتعلق بنا ، فإن كل الأشياء المتساوية عند الغير ، والخيرات الخارجية تضيف شيئا إلى الكمال والسعادة الدائمة . ولما كانت الخيرات الخارجية لا تدخل تحت نطاقنا فقد وجب أن نركز رغائبنا في الخيرات الخاصة بنا . والذي يخص المرء أولا وبالذات هو إرادته . والكمال الذي يجب أن نبحث عنه هو كمال الإرادة على نحو ما ينتهي الخير الأسمى إلى الفضيلة فيتحد معها .

وإذ نتزع بالارادة نحو الكمال نكون قد فعلنا كل ما نستطيع فعله لمعالجة الخير الأسمى الذي قد حصلنا عليه فعلا حينما أدركنا معه كل ما يتفق مع طبيعتنا أي حينما نكون قد استحوزنا على

---

١ — من خطابه إلى الملكة كرستين في ٢٠ نوفمبر سنة ١٦٤٧

٢ — من خطابه إلى الأميرة اليزابت في يناير سنة ١٦٤٦

٣ — من خطابه إلى اليزابت في أول سبتمبر سنة ٦٤٥

(١) لماليزبت في ١٨ أغسطس سنة ١٦٤٥

الخير الأسمى الحقيقى وحده من الخير الذى هو ملك لنا .

أما الفضيلة فهى مجهود الارادة . وهي ليست استعدادا طبيعيا ، ولا وظيفة من وظائف الذهن ويهتم ديكارت بالنية فهو يخرجها حتى تقرب أحيانا من الشخصية الاخلاقية ، فالنية الحسنة الأساسية هى نية معرفة الخير. وثمت فضيلة هى أن يتفق الشخص والموضوع .

والعقل عند ديكارت هو النفس المنفعلة ، والنفس مرآة عليها تظهر الأفكار والحقائق من أشعة النور الإلهى . وعنده أن الانفعال غير مستقل عن العمل لا فى النفس ولا فى العالم الجسمانى، ولا يمكن أن يفهم أحدهما بدون الآخر ، فانهما اسمان مختلفان لحقيقة واحدة ينظر إليها من وجهين . والعقل ليس وحده كل النفس ، ولكنه مزدوج بالارادة ، وديكارت يستخرج الحقيقة واليقين من العقل والارادة معا .

وديكارت لا يقيم للحرية الاعتباطية وزنا لأنها لا توجد ، وإن وجدت فإنها أحط درجة للحرية (١) على أن للحرية تعريفا ورد فى « الرسائل السادسة » وهو « أنها ملكة وضعية للجنوح إلى أمر ، واجتناب آخر ، أى اتباعه وتفاديه ، وبعبارة أخرى العزم على أمر أو رفضه . وإذن فالحرية هى ملكة الاختيار بمعنى أننا إما أن نقبل الشىء أو نرفض ولما كانت الارادة والحرية شيئا واحدا فإنهما يعتمدان على الأفكار « فنحن لا نريد شيئا لا نعلم عنه شيئا » (٢) ، وشىء هام جدا هو أن العقل محدود ، أما الارادة فلا حدود لها (٣) فالعقل لا يتأمل إلا جزءا فقط من الحقيقة، أما الارادة فإنها تتعلق بكل شىء سواء فى مظاهرها أم فى حقائقها .

ثم يتسامى ديكارت إلى أفق الميتافيزيقا فيفرق بين الحرية الانسانية والحرية الالهية ، فالأولى تبحث عن الحقيقة التى خلقتها الثانية . والارادة والمعرفة عند الله شىء واحد ، وعند الانسان : الارادة مقدرة مطلقة دون المعرفة .

والايمان ـ عند ديكارت وعند معظم معاصريه ـ يكفى لتوجيه الحياة ، وهو يقول « بما أن ارادتنا التى لا تهتم إلا باتباع أمر أو عدم اتباعه حسب ما يصوره لنا العقل حسنا أم سيئا ، فإنه يكفى أن نحسن الحكم لنحسن العمل . وأن نحكم أحسن ما نستطيع أى للحصول على جميع الفضائل » (٤)

هذا هو موجز التخلق عند ديكارت ، فإجادة الحكم هو إجادة العمل ، وبما أن الوضوح هو القاعدة الأولى لأحكامنا ، وأن الوضوح علامة الحق ، وأن الخير هو الحق ، فكذلك أعمالنا لها ما لمزاماتنا من القواعد، فليس هناك حقيقة علمية تنظم روابط أعمالنا ، وإنما الحقيقة واحدة نظرا وعملا ، فالارادة الحرة تحددها أفكارنا التى ليست نظرية وعملية، هى شىء واحد ولا فضل لاحداهما على الأخرى . إذ الأولى قيمتها فى العظمة ، والأخرى قيمتها فى الكمال كما يقول ملبرانش .

ومن أجل هذه الطرافة التى أتى بها ديكارت بشأن حرية الارادة استحق أن يسمى « فيلسوف الحرية » . وكلمة الحرية هنا وعند ديكارت ذات معنى حر إذ تمتد من النفس الانسانية حتى تنتهى إلى الحرية السياسية .

وبهذا تكون الأخلاق الديكارتية ترجمة لنظريته فى المعرفة ، إذ يرى ـ وقد سبقه سقراط ـ أن الجهل والرذيلة شىء واحد . كما أن العلم والفضيلة شىء واحد ، فرؤية الحق بوضوح هى إرادة الخير مباشرة ، والرذيلة خطأ ، والخطأ ناشىء عن معميات وأوهام وأضاليل ، فنحن لا نرى الشر بوضوح ، والشر الذى نرتكبه يتمثل دائما فى صورة الخير « فإذا نحن رأيناه واضحا كان محالا أن نأثم حين رأيناه على ذلك النحو ، ولذا قيل الخطأ جهل ، وكل خطأ يرجع إلى آرائنا ونزعاتنا ورغباتنا . ومهما يكن من شىء فنحن لا نقدر إلا على أفكارنا » .

وتتضح بذلك خصائص الأخلاق الديكارتية وتتركز فى كونها « معرفة عاملة » فضلا عن أنها علم معيارى لأنه يضيف الحرية ومثالا واضحا للواقع ، بل هى علم للنظام المثالى .

والتخلق هو أن كل موجود وكل فعل يجب ان يضع فى نصابه ، والوظيفة الحقيقية للارادة هى أن نتوسل بالنية إلى هذا

(١) التأملات الأولى (٢) الرسائل الثامنة
(٣) التأملات الأولى (٤) المقال عن المنهج

النظام ، ومعرفة هذا النظام هى إذن ذات الشأن المظيم ، فالرغبة فى معرفة النظام ، ثم الرغبة فى اتباعه هو أســاس التخلق عند ديكارت ، وإذن فالبرجازم على أوضح صورة متحقق فى الأخلاق الديكارتية العملية .

ويعنى ديكارت بالانفعالات بغية ترويض النفس تبعا لمعرفة هذه الانفعالات . وبذلك نستفيد منها فى غرس عادة جديدة ونزع أخرى ولا سيما أن النفس الانسانية هي القابلة للتعود والتخلق .

والانفعالات بطبيعتها توجه الارادة قبل العقل لـكسب معارف جديدة (الدهشة) ، والبحث فيما هو نافع لنا (الحب) والهرب مما هو غريب عنا (الـكره) ، ولـكن هذه الاتجاهات تستمد أيضا من الأحكام على الخير والشر ، وهذه الأحكام شأنها فى ذلك شأن الانفعالات التى تبقى فى حدودها الطبيعية ، وإنما هى أحكام حقة ، ولـكن يندر أن تـكون كذلك .

وبعد ، فهل من سبيل إلى التعرف على سـلوك ديكارت ، ونحن نعلم أن مذهب الفيلسوف قطعة من حياته ؟ الحق أن قراء ديكارت يختلفون كثيرا على نص واحد بكتبه ، فهو فى المقال عن المنهج بصدد الحديث عن القسم الأول يقول « وآمل أن يكون هذا الـكتاب نافعا للبعض دون أن يضر أحدا ، وأن يرضى عن الجميع لصراحتى » . هـذه الجملة البسيطة ، تحمل من اللفتات التهكمية اللاذعة ما لا يستطيع قارىء أن يمر به مر الـكرام . إذ هو يتواضع تواضعا جما فى عرضه لآرائه على الناس ، وهو إذ يقصد إلى أن يتبع الناس جميعا هذا المنهج الذى انتهجه نراه يتخفى وراء هذه الغاية فيتخذ من تواضعه ما يشف عن رغبته هـذه . وهو أيضا يعبر عن نفسه بأنه صريح . والواقع أن هـذه ليست صراحة ، إنما هى تقنيع للفـكرة التى لا يريد التصريح بها حذر الوشاة والخراصين .

وديكارت بهذا يقوم ـ كما يقول كويريبه بدور Koyeré[1] « المناورة السقراطية » ومصداق ذلك قولة « ... لم أكتسب من اجتهادى فى التعليم إلا تبينى جهالتى شيئا فشيئا »[2] ولقد سئل سقراط عما يعرف فقال « كل ما أعرف هو أننى لا أعرف شيئا » .

ثم هو إذ يعرض للفلسفة يتنـاولها بالتجريح فى لباقة وحرص لأنها « تمطينا وسيلة ... لـكسب الاعجاب ممن هم أقل منا علما » وهو تهكم بالسفسطائيين المعاصرين له .

ويعرض ديكارت بفساد النظم السياسية المعاصرة فيقول « أما ما فى نظم الدول من عيوب — إن كان فى نظمها عيوب ، والخلاف بينهـــا كاف لاثبات كثير من العيوب فى كثير منها — فإن التطبيق قد لطفها كثيرا بلا ريب ، بل هو جنب من عيوبها ، وتلافى منها رويدا رويدا ما لم يكن مستطاعا بالحكمة . ثم إن تلك العيوب تـكاد تحتمل دائما أكثر مما يحتمل تغييرها كالطرق الملتوية بين الجبال تتمهد شيئا فشيئا لـكثرة التردد عليها . وخير للسائل أن يذهب فى طريق أكثر استقامة ، متسلقا فوق الصخور منحدرا إلى بطون الوهاد »[1]

وفى هذا من الغمز والتعريض ما لو شرح لفقد قيمته التعبيرية والتفـكيرية معا . وهو لهذا يعد صاحب « ثورة سياسية » لا « ثورة فـكرية » فحسب ، كما يرى بعض المؤرخين اعتمادا على افتتاحية المقال عن المنهج . فإن ديكارت — فى نظرى — كفلاسفة اليونان إذ نشدوا الاصلاح الاجتماعى فبدأوا بتغيير عقلية المجتمع على أسس فلسفية ؛ وكذلك كان ديكارت .

واختلف الناس فى أمر هذا الثائر الجبار الذى اتخذ شعاره « عاش سعيدا من أحسن الاختفاء » ، ولم يحاول أحدهم أن يعذر ديكارت فى مناوراته الفـكرية .

ومع ذلك فإنه إذ ينشد الاصلاح يرى أن « من المفيد أن نعرف شيئا عن أخلاق الأمم المختلفة حتى يكون حكمنا على أخلاقنا أصح ، وحتى لا نظن أن كل ما خالف عاداتنا هو سخرية ، ويخالف العقل كما هو دأب الذين لم يروا شيئا » الذين لم تتجاوز معارفهم حدود بلادهم . لهذا ساح ديكارت حول « الـكتاب الأكبر » واستفاد من أسفاره ما حقق له غرضه .

وما كان ديكارت ليعشق الجاه ، بل لقد بنض إليه — على

La méthode 2 Trois lexons sur Descartes

١ — المقال عن المنهج: القسم الثانى

احتكاك الحضارات

للأستاذ محمد محمد علي

منذ ظهر الإنسان على وجه الأرض وهو دائم الحركة لا يقر له قرار ، إذ دأب على الهجرة والارتحال ، مما أدى إلى انتشار الأجناس البشرية وتمميزهم مختلف بقاع هذا الكوكب . وهو من الحيوانات المقلدة ولكن ليس تقليده آليا . فإذا ما انتقل من بيئة إلى أخرى فإنه لا محالة ناقل معه مظاهر حضارته وتقاليده . وكما يحدث تزاوج بين الأجناس واختلاط بين العناصر ، كذلك يحدث امتزاج بين الثقافات واحتكاك بين الحضارات ، نتيجة الأخذ والعطاء ، وتبادل الآراء . وحركة الإنسان هذه لها فائدة مشتركة ؛ فانتقاله إلى بيئة جديدة يمكن هذه البيئة من الاستفادة منه ، كما يستفيد هو الآخر منها ، إذ ينقل إلى موطنه بعض مظاهر الحضارة الجديدة .

ولقد تعقدت حركة الإنسان على مر الزمن ، فتدرجت من مجرد هجرات سلمية إلى غزوات حربية وفتوحات استعمارية على أشكال شتى وألوان متباينة . وتبع هذا التطور في الحركات : تطور في الاحتكاك الذي ساعد على شدته وتعقده في الأزمنة الحديثة سهولة المواصلات وظهور المخترعات وانتشار الصحافة وغير ذلك . فلم تعد هناك عزلة بين الحضارات .

والكلام في هذا الموضوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الطرق التي يتم بها احتكاك الحضارات ، ثم النتائج التي تنجم عن ذلك ، وأخيرا أمثلة من اتصال العرب بالشعوب الأخرى بعد انتشار الإسلام ، واحتكاك الأوربيين بالجماعات البدائية : الإسكيمو في الشمال وزنوج البانتو في الجنوب ، وأخيرا لمحة عن الذي حدث بين الشرق والغرب في الماضي والحاضر .

وسائل الاحتكاك

ليس احتكاك الحضارات أمرا مقصورا على الماضي ، ولكنه ظاهرة مستمرة على مر العصور [١] . ويرى الأستاذ دنكن [٢] أن الاحتكاك بنوعين من الطرق : طرق منظمة

1. Rivers : Psych logy and Ethnology : 1926. P, 300
2. Duncan : Race and population problem. 1929, p. 157

ما أوتي من بسطة في العيش — ولم يكن يحفل بمنصب يناله ، ولا بجمال زائف غير جمال الحقيقة ؛ حتى لقد آثرها على جمال التي هوى بيتها . ولم يغفل ديكارت الصدى المر الذي تردده مأساة جاليليو ، فآثر الحيطة في كل ما يقول ويكتب ، ولكن ألم يذكر حقا غير الأخلاق الموقوتة التي ذكرها في المنهج لأنه لم يكن قد انتهى بعد من إقامة هيكل العلوم ؟

الحق أن ديكارت اتخذ من الأخلاق الموقوتة سكنا موقوتا حتى يتم له هدم القديم لبناء الجديد . فهل تم له الهدم والبناء . وإذا لم يكن ذلك فكيف كتب هذه البحوث المستفيضة في الأخلاق ، وهو لم ينته بعد من العلوم التي افترض وجودها قبل الأخلاق ؟

الواقع أن ديكارت اضطر إلى ذلك اضطرارا . أولا ليرضي رغبة الأميرة . وثانيا ليظهر مجهوده الاخلاقي قبل أن تعاجله المنية فتخرج فلسفة إلى التاريخ مبتورة من عضو هام هو الأخلاق . وكل فيلسوف — فيما نعلم — لا بد أن يردف الأخلاق بالسياسة فأين السياسة من فلسفة ديكارت؟ الجواب على ذلك معاد ، وهو أنه لم يرد إلا أن ينبه الأذهان في رفق إلى فساد استغرق العصر دون أن يعكر مزاجه ويجرح هدوءه صخب الدنيا ، فضلا عن نداء المجازر والمشانق لكل متمرد ثائر .

من أجل هذا اطمأن صاحبنا إلى « منزله المؤقت » المبني على قواعد ثلاث هي : —

١ — طاعة قوانين البلاد واحترام عوائدها ، والثبات على ديانتها في اعتدال أجمع عليه أعقل المعاصرين .

٢ — الثبات في العمل ، وتجنب الشك والتردد في السياسة

٣ — مغالبة النفس التي لا تقدر إلا على أفكارها إذ لا تحكم لنا في الأقدار . وهي أخلاق لها أهميتها — كما يقول « مزنار » Mesnard [١] لأنها تمكن النفس من الاستمرار في البحث عن الحقيقة في أمان ، والاستمرار في كسب العلوم ، ثم هي تكفي الأخلاق المضطربة التي تمثل مشاكل الحياة العملية في كل لحظة .

محمد محمود زيتون

1 Essai sur la morole de Descartes

وأخرى غير منظمة .

الطرق المنظمة: يمثلها التبشير والتجارة والاستعمار والحروب.

١ — المبشرون

ويرتبط تأثيرهم بالنواحي الدينية والروحية . وتعتبر المسيحية أكثر الأديان تبشيرا . ويقال إن السبب في إرسال المبشرين هو القضاء على الوثنية ونشر المسيحية . والذي يحدث في الواقع محاولة إحلال الحضارة الأوربية الجديدة محل الحضارة الأصلية البدائية . فيعقب وصول المبشرين تغيرات في الملبس والمسكن والعادات والتقاليد واللغة ، ذلك لأن المبشر يعمل على تعليم الناس لغة قومه قراءة وكتابة . وينظر الأهالي إلى المبشرين أول الأمر على أنهم إنما يأتون أعمالا غير شرعية . لكنه سرعان ماتنبذ التقاليد القديمة وتنتشر النظم الجديدة التي يعتمد انتشارها اعتمادا كبيرا على مدى تذوق الأهالي لها . وكثير من القبائل في جنوب افريقيا وجزيرة مدغشقر ونيوزيلند قد تحسنت أحوالها على أيدي المبشرين (١) . ولقد كان للغرب في الشرق منذ زمن بعيد رهبان ومبشرون يعلمون أبناءهم مبادىء العلوم واللغة القومية مع إحدى اللغات الغربية ، وجعلوا من بيروت أس حركاتها ، يبثون في عول النشء المبادىء التي رأوا فيها مصالح أممهم الدينية (٢) . وتقوم الإرساليات الأمريكية بقسط كبير في التبشير الديني .

٢ — التجار

يأتي التجار غالبا في إثر المبشرين . ومع أن التاجر يكون عدوا للمبشر إلاأن الاثنين يعملان معا على نشر الحضارة الجديدة ؛ فالمبشر يعمل على محو الوثنية ونشر المسيحية ، وأما التاجر فيبيع الكماليات مثل الشاى والسكر والأسلحة للأهالي . على أن البضائع التي تباع للأهالي هي من أحط الأصناف (٣) وفي الواقع يلحق التجار كثيرا من الضرر بالسكان ، فمثلا حملوا جماعات الاسكيمو على احتساء القهوة وتناول الخبز واستعمال الطباق ، وتعلقوا بها حتى أنهم اضطروا إلى بيع الجلود التي هم في حاجة إليها — لكي يحصلوا على هذه المواد ، فأصبحت الحاجة ماسة إلى الجلود الأمر الذي أدى إلى سوء الأحوال (١) . وفي ساحل الذهب بغرب افريقيا استطاع التجار أن يحصلوا على الكاكاو — أهم غلات هذا الاقليم — وذلك مقابل إعطائهم الخمور التي ولع بها الزنوج لذلك قال وكادوكوت Caldecott (٢) « إن المسيحية لم تر في التوسع الأوربي عاملا مساعدا بل وجدته معرقلا لها . » وليس من شك في أن الربح من التجارة كان أساس احتكاك الأوربيين بغيرهم . ويحدث عادة انقسام بين الأهالي إزاء البضائع الجديدة ، فمنهم من يقبل عليها ومنهم من يحجم عنها . ويتوقف نجاح التجار على مدى إحاطتهم بعادات أهل البلاد وتقاليدهم (٣) والقاعدة العامة أنه كلما كان التجار أسمى حضارة كان تأثيرهم قويا ، حتى ولو كانوا قليلي العدد . مثال ذلك : العرب في الملايو ، إذ استطاعوا أن ينشروا الثقافة الاسلامية في هذه الأصقاع رغم قلة عددهم — ولو أن التأثير الجنسي كان ضئيلا بالطبع .

٣ — الاستعمار

وهو انتقال جماعة من الناس من موطنهم الأصلي إلى منطقة أخرى بقصد السيطرة عليها واستغلال مرافقها أو الاقامة فيها . وقد يكون الباعث اقتصاديا أو سياسيا أو هما معا . ولقد كان لمعظم الدول الأوربية نصيب في استعمار المناطق البدائية . وحيثما حل المستعمرون فإنهم ينشرون حضارتهم . ويعتبر محل إقامتهم مركزا للمبشرين والتجار (٤) . وكثيرا ما يحدث امتزاج بين حضارتي المستعمرين والأهالي ، أي أن كلا من الطرفين يستفيد من صاحبه؛ فقد أخذ الأمريكيون عن الهنود كثيرا من أسماء المدن والأنهار ، وفي لغتهم كلمات هندية كثيرة . وإن جزءا كبيرا من غذاء الأوروبيين مأخوذ عن الهنود ، حتى قال أحدهم : « لو أننا حذفنا من الأوربية كل الأصول الهندية فإن ذلك يترك ثغرة كبيرة . ولولا الاتصال الدائم بالوطن الأصلي لحدث

---

١) يلاحظ أن هذا زعم الأوربيين ولعله لا يخلو من المبالغة

٢) الأستاذ محمد كرد علي : الاسلام والحضارة الغربية : ١٩٣٤ ج ١ ص ٣٥٠

3, Duncan,p, 162

1- Brown , Teh polar Regions,1927 ,p,156

2- Duncon,p,164 3. Vidal adle Blache principles of human geography, 1926,p,338 4- Duncan' p, 168

التشابه التام بين الحضارتين (١) . » وأحيانا يحتفظ المستعمرون بمقومات حضارتهم ويعزلونها عن الأهالى فلا يختلطون بهم؛ ولكن هـــذا الأمر لا يطول . ويتميز الاستعمار الحديث بميزة سوداء ، ألا وهى إبادة كثير من العناصر الأصلية ، هذه الإبادة على ثلاثة أشكال .

ا ـ إبادة مباشرة : وهذه تتم بالقتل كما حدث فى تسمانيا

ب ـ إبادة غيرمباشرة : وذلك بتسليمهم الأسلحة التى يجهلون استخدامها فيقتل بعضهم بعضا ، أو نشر الأمراض كما حدث بين الاسكيمو .

جـ ـ إبادة هادئة لطيفة باسكانهم فى المناطق غير المنتجة كما فى استراليا أو وضعهم فى حظائر ـ كما عومل الهنود فى جنوب افريقيا .

وإذا نظرنا إلى أعمال الدول الكبرى يمكن القول إن للاستعمار سياستين (٢) : سياسة التلاشى داخل الوحدة وهـذه سياسة الدول اللاتينية وعلى رأسها فرنســـا، وتعمل على فرض حضارتها بشىء من القوة مع القضاء على الأصلية وسياسة التنوع داخل الوحدة وهى سياسة الدول السكسونية وفى مقدمتها انجلترا، وتحـاول ايجـاد نوع من الاحتفاظ بالشخصية ويكون ذلك فى الناحية الدينية غالبا مع ابقاء الأمور الاقتصادية تحت سيطرتها توجهها كيف شاء لها الهوى. وليس من شك فى أن هذه السياسة أكثر تضليلا ، على أن الأهالى قد يقاومون أو قد يرضخون .

٤ — الحروب

للحروب أثر كبير فى احتكاك الحضارات ، إذ أن كلا من الفريقين يستفيد من صاحبه . وقد أدت حروب الاسكندر الأكبر إلى وقوع احتكاك بين التيارين الثقافيين فى الشرق والغرب . وكانت خطة الاسكندر هى إقامة وحدة حضارية عالية قائمة على الحضارة اليونانية ، والسبيل إلى ذلك إنشاء مراكز ثقافة تدرس فيها علوم اليونان وتحكم بنظمها، فكانت الاسكندرية من أعظم المراكز الثقافية التى يشع منها نور الحضارة الاغريقية .

ويختلف الكتاب فى مدى احتكاك المغلوبين والغالبين :

فيرى ابن خلدون (١) أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحله وسائر أحواله ، ذلك لأن المغلوب يعتقد الكمال فيمن غلبه ، فالغالب انتحل من العوائد والمذاهب ما أوصله إلى الكمال ، فمكنه ذلك من الغلب ، فإذا اقتدى المغلوب بالغالب فإنه يبلغ درجة الكمال التى مكنته من أن يغلب الذى غلبه . ولكن قد يحدث أن يحتفظ الغالب بمظاهر حضارته ويأنف من الاختلاط بالمغلوب كما فعل العرب فى مصر أول الأمر لكنما هذه العزلة لا تستمر طويلا . أو أن يحتفظ المغلوب بمقومات حضارته كراهية منه للغالب كما فعل المصريون مع الهكسوس والفرس .

ويرى الأستاذ ريفرز (٢) Rivers أنه كلما كانت حضارة المغلوبين راقية كان التأثير عليهم بطيئا بسيطا . والفرق عظيم بين تأثير الأوربيين فى الهند والصين وبين تأثيرهم على العناصر البدائية التى تتأثر بسرعة لأنها أسلس قيادا وأكثر طواعية .

وترى مس سمبل (٣) Semple أنه إذا كان الغزاة أسمى حضارة — حتى ولو كان عددهم قليلا — فإن الغزو يتمخض عن اندماج المغلوبين تدريجا مع الغزاة : فى النظم الاقتصادية ومختلف نواحى الحياة ، مع التسليم بتأخر الاندماج فى النواحى الروحيـة . فقد استطاع الاغريق أن يصبغوا شرق البحر الأبيض المتوسط بالصبغة الاغريقية ، وتمكن العرب من نشر الثقافة الاسلامية فى سواحل شرق افريقيا حتى موزنبيق ـ مع قلة عددهم هناك ، وذلك لارتفاع مستوى حضارتهم وسموها .

وقد استفاد الشرق والغرب استفادة عظيمة من الحروب الصليبية (١) إذ عرف الصليبيون صنائع أرق من صنائعهم ، وحبب إليهم تسامح المسلمين الهجرة والترحال فربطوا صلات تجارية مع الشرق . وارتفع عن أذهان الغربيين ما كان دســه رؤساؤهم الدينيون عن الاسلام حتى عاد بعضهم بشرح المعتقدات الاسلامية بضبط ودقة ، كما استفاد المسلمون كثيرا من ذلك .

البقية فى العدد القادم

محمد محمد على

ليسانسيه فى الآداب

1, ibid. P. 170

٢) محاضرات الدكتور عباس عمار فى الجغرافيا الجنسية بقسم الجغرافيا عام ـ ٦٤ ـ ١٩٤٧

١) مقدمة بن خلدون بيروت ١٩٠٠ ص ١٩٤٧

١) فى كتابه : Ipsychology x Ethnology, p 300

٢) فى كتابها fuluences of geographic enVironment 1937 pp 83,74

١) راجع تفصيل ذلك فى كتاب الأستاذ كرد على : الأسلام والحضارة العربية : جـ ١ ص ٢٧٦ ـ ٢٩٤

اتين سانت هيلير

من علماء الحملة الفرنسية

للكاتب الفرنسي رنيه سموا

طفولة عالم

فى يوم قائظ من سنة ١٧٨٤ شوهد فتى فى الثانية عشرة من عمره، منهمكا فى البحث عن النباتات والحشرات. كان يتأبط حقيبة يضع فيها باعتناء ونظام الازهار والاوراق التى يقع اختياره عليهـا، وكان معه علبة لصون الحشرات التى تستحق العنـــاية.

ولما انتهى عمله من جمع النبات والحشرات من نوع الخنافس جلس فى ظل سنديانة، وجعل يدرس مجموعته الجديدة بنظارة خاصة ثم كان يدون ملاحظاته فى دفتر صغير وكان مستغرقا فى درسه حتى انه لم ينتبه لوجود الشيخ الذى كان راقب حركاته باهتمام واعجاب رفع بصره لسماعه تحطيم غصن يابس، وجعل الشاب يلتفت الى مصدر الصوت فبادر الى أخذ لوازمه واستعد للرحيل لانه رأى شيخا واقفا بالقرب منه « قال له ذلك الشيخ لاضير عليك يابنى » لاتقطع عملك لانه يهمنى كثيرا، وانى لسعيد فى نزهتى هذه لانها دفعتنى الى التعرف بك. وادركت تماما بانك مشغوف بالتاريخ الطبيعى، لانى كرست معظم حياتى لتعلم وتدريس هذا العلم. فاجابه الشاب: « نعم ياسيدى — لانه آنس نكلماته المشجعة — انى احب النبات والحشرات المختلفة كثيرا باشكالها والوانها. على انه ليس لدى سوى معلومات اولية من التاريخ الطبيعى. وعليه فانى اغتنم العطلة الكبرى لأكون مجموعة من نباتات هذا البلد ومن حشراته. » قال له الشيخ « هل لك ان تريني نتيجة ابحاثك ؟ — فاجابه الفتى: سمعا وطاعة، ياسيدى، أرجوك أن تنفرلى قصورى لانى مستجد فى هذا العلم! »

فأخذ الشيخ المجموعة والدفتر، وأخذ يتأمل باعجاب دراسة هذا الحدث ثم قال. « يابنى انك متواضع جدا لانك تطلب منى الصفح عن قصورك، بيد انى ارى هنا طريقة البحث واضحة ومعلومات وملاحظات هى فوق سنك. كل هذا حسن؛ ولكن قل لى اين تعلمت المبادىء الاولية للتاريخ الطبيعى ؟ قال له الحدث: اعطانى ابى الدروس الاولى واكملت دروسى فى كلية (ايتمب).

— فاستغرب الشيخ قائلا: وهل تسكن عائلتك هذه المدينة ؟ فاجابه الحدث بقوله. نعم ياسيدى، ان والدى هو نائب عام هذه المدينة —

— ما اسمك يابنى ؟

— اسمى جوفروا سانت هيلير

— قال الشيخ، لاعجب بان تكون ذا ميل شديد للعلوم الطبيعية. لان ثلاثة من هذه الاسرة يدعون بجوفروا سانت هيلير كانوا اعضاء فى المجمع العلمى فرع العلوم، وكان الاخير يسمى باسمك: اتين سانت هيلير وكان احد الاساتذة الممتازين لحدائق النبات (حديقة الملك)

قال الفتى. — أراك ياسيدى واقفا على تاريخ اسرتى، مع أنى لم أشاهدك قط فى بيتنا! فاضاف الشيخ قائلا: صدقت ياولدى ولكن اعلم بانى مطلع على تاريخ العلماء النابهين فى العلوم لانى استاذ فى حديقة النباتات وفى كوليج ده فرانس.

فاضطرب الفتى من هذه المصادفة حتى انه ما تجرأ ان يسأل الشيخ عن اسمه.

ولما عاد الى البيت قص على ابيه ماتوقع له، فتبسم ابوه وقال ان من صادفت هو العالم « دوبنتون الذى طبق اسمه اوروبا كلها. انى مسرور منك لاهتمامك بالعلوم. ولكن لاتنس ان رغبتى ورغبة امك هى ان تستعد لتعلم امور الدين كى تصبح يوما من حزب الاكليروس »

مولده

ولد اتين جوفروا سانت هيلير، فى (اتيمب) فى ١٥ نيسان سنة ١٧٧٢ من والدين عريقين فى الشرف، متوسطى الحال مثقفين ثقافة عالية، جدير بان ينتسب لهذه الاسرة الكريمة التى انجبت علمـــاء فى العلوم الطبيعية والفيزيائية فى غضون القرن

الثامن عشر .

فاعتنى الوالد بثقافة ولده ، ولا سيما جدته التي كانت ترى فيه مخائل الذكاء فقد كانت له خير موجه ومدرس اذ شرحت له منذ نعومة اظفاره كتب أعاظم رجال اليونان والرومان وكذلك ما ألف في عصر لويس الرابع عشر . حتى انه تفهم تاريخ اعاظم الرجال للمؤرخ (بلوتارك) على يديها في سن الحادية عشرة من عمره . نعم لقد ظهرت آثار هذه الثقافة فيه واكسبت نفسه قوة وشجاعة شديدة المراس .

حدث له إذ كان في العاشرة من عمره انه بينما كان يتنزه مع رفاقه في ضواحي المدينة سمع صوت اعوال وصراخ من اناس كانوا يطلبون الفرار فاسرع « انيين » الى المكان ، فشاهد ويا لهول ما شاهد ! . نظر فتاة قد هاجمها كلب والمسكينة جامدة مكانها لا حول لها ولا طول الا البكاء فاسرع صاحبنا الى كرمة واخذ من تحتها شعبا وارتمى على الكلب ضاربا اياه بشدة حتى ولى الحيوان الادبار وتوارى في الاجمة القريبة .

وبعد ان اتم دراسته المنزلية على ابويه وفي مدرسة مدينة ايتمب ، نال كرسيا مجانيا في كلية نافا في باريس ، وتابع دراسته الادبية بسهولة وتقوى بالعلوم تحت ارشاد اساتذة علماء وهنا محا من فكره كل انتساب للاكليروس . واقدم بقواه جميعها على استقاء العلوم المحببة اليه . فتسجل طالبا في حديقة النباتات وفي كوليج ده فرانس ، حيث التقى ثانية بصديقه القديم دوبنتون وتتبع دروسه بكل رغبة ونشاط .

أما الدور الذي مثله انيين اثناء سنوات الارهاب في الثورة الفرنسية فقد كان في آخر سنة ١٧٩٢ وعمره اذ ذاك عشرون سنة . وكان مستغرقا في دروسه حين قطع عليه الارهاب سلسلة دراسته ، على أنه لم يقطع اطيب الصلات واقواها مع اساتذته في كلية نافار ، وخاصة مع هاوي العالم في المعادن ولا هومون النحوي الشهير وعدد كبير من العلماء .

وكل هؤلاء الاعلام قد اوقفوا وزجوا في غياهب السجون لانهم كانوا متهمين بميلهم للملكية .

فسعى غاية جهده ولم يدخر وسيلة لانقاذهم من هذا المأزق باذلا النفس والنفيس حتى تكللت جهوده بالنجاح .

وعهدت اليه حكومة الكونفنسيون « بتدريس مادة العلوم الطبيعية بناء على اقتراح صديقه » دوبنتون فصار زميلا لهؤلاء الاعلام . « امثال لاسبيد — وبرنارد ده سان بيير — وكوفيه ، وكلهم اكبر سنا منه

وكانت حديقة الحيوانات . قد تلاشت في الثورة المشهورة . واخذ العالم الجديدة « انيين » يجدد هذه الحديقة فقام بوظيفته خير قيام وعلى اكمل وجه .

انيين والشرق

ولما تسلمت حكومة الادارة الامور عهدت الى الجنرال نابليون بونابرت غزو مصر سنة ١٧٩٨ لقهر انكلترا التي لا يمكن مهاجمتها في جزيرتها الصخرية = ، بعد ان اتخذ قائد الحملة عدته قرر ان يستعين ببعثة من العلماء امثال « مونج - وبرتوله — ودونون » فقام برتوله وعرض على العالم الشاب انيين باسم بونابرت وعلى زميله كوفيه ليكونا من اعضاء البعثة .

ولما تم احتلال مصر شرع « أنيين » وأعماله في التاريخ الطبيعي لجمع مجموعة طيور من ذوات الريش العجيب . وكتب في مذكراته « في هذا الفردوس الأرضي ينسى المرء نفسه بأنه ينبغي عليه أن يسكن المساكن لمفقرة وأن يسعى وراء قوته مثل الحيوانات التي يدرسها . فكان يقوم كل منا بدوره بوظيفة الطاهي . ولكن عندما يكون دوري يضطر الرفاق إلى تناول المجففات » .

بيد أن الأمر لم يطل كثيرا لأن الأوامر صدرت من كليبير وده سيكس بضرورة الجلاء عن أرض الكنانة ؛ ولكن « إتيين » على رغم قرب الاحتلال الانجليزي وفشل حملة بونابرت لم ينفك عن العمل في مخبره كأن الأمر كان طبيعيا إذ لم يوقفه لحظة واحدة انفجار القنابل وأزيز الرصاص . كما كان ارخميدس في حصار سيراكوك ! .

دخل مخبره يوما زميله العالم فوريه وقال له . « يا صديقي انقطع عن العمل لأن الجنرال « منو » وقع على وثيقة التسليم ، وستعود بعثتنا إلى فرنسا . — فاجابه حمدا لله ! أن مجموعاتي

الشعر المصرى فى مائة عام

على ابو النصر

... — ١٨٨٠

للاستاذ محمد سيد كيلانى

ولد السيد على ابو النصر بمدينة منفلوط فى تاريخ لا نعرفه . ورحل إلى القاهرة والتحق بالأزهر . ويقرن اسمه عادة باسم زميله الليثى ، فقد كانا نديمين للخديو اسماعيل غير أنه كان أسبق من صاحبه فى الظهور فى ميدان الشعر وفى الاتصال بالحكام . فقد روى أن محمد على باشا أرسله ضمن بعثة إلى الأستانة لحضور فرح أقامه السلطان عبد المجيد . ثم اتصل بسعيد ومدحه ورثى ابنه طوسون بقصيدة طويلة . ثم اتصل باسماعيل وأصبح من ندمائه المقربين إليه . وقد قيل إنه [1] كان طيب المفاكهة والمجالسة ، لطيف المسامرة والمؤانسة ، حاضر الذهن لا يغالبه فى المناظرة من حاده . وكان له مطايبات مشحونة بالنكت الأدبية مع الحشمة والحذر مما تأباه النفوس الأدبية وقد صحب الخديو اسماعيل فى بعض رحلاته إلى دار الخلافة . ومات فى أوائل حكم توفيق .

وله ديوان شعر مطبوع منه بعض نسخ بدار الكتب المصرية

* * *

امتاز ابو النصر على الليثى بولعه المظيم بالمحسنات اللفظية من تورية وجناس وطباق . وكان أمتن أسلوبا من صاحبه إلا أنه كان يشبهه من حيث الإفلاس فى المعانى والمفردات اللغوية . ومن قوله يمدح سعيدا :

أشرقت أنوار إقبال السعيد ... فازدهى روض التهانى بالصعيد

وابتهاج الأنس أضحى شاهدا ... بانتظام الشمل فى عز مديد

والليالى بالأمانى أقبلت ... باسمات الثغر عن در نضيد

ويلاحظ هنا أن الشاعر ذكر « الروض » و « الأنس » و « الليالى الباسمات » و « لأمانى » . وهو بهذا يذكرنا بصاحبه الليثى فى قصيدته التى يقول فيها :

أنعم بطيب ليال لحن كالغرر ... فى جبهة الدهر تسمو عن سنا القمر

بها تزف الأمانى فى مواكبها ... لكل راج ويرعاها أخو السمر

إلا أن أبا النصر كما ترى أجود قولا من صاحبه . والصورة الشعرية التى فى قوله :

[1] أنظر مقدمة ديوانه

جاهزة سأعطى الأوامر لشحنها ، ان حملتنا لم تذهب سدى لأن العلم يملك النتائج الطيبة فحسب . ـ فقاطعه قائلا . بكل أسف أن أعمالنا سيستولى عليها الانكليز وبذلك تذهب جهودنا عبثا .

فاجابه « اثيين » من فوره : كلا ، سنقابل القائد الانكليزى وسوف نقنعه بأنه مخطىء فى تنفيذ فكرته وفعلا ذهب وقابل هو والعلماء القائد الانكليزى وبسط له فكرته بشأن المادة السادسة عشرة القاضية بتسليم الجيش الفرنسى كل معداته . ـ فرد عليه « أتيين » بقوله ليس هذا عملا حربيا ، انما هذه أعمال قام بها العلماء خدمة للعلم . فاجابه « هوتشنسون » لقد وقع على المادة السادسة عشرة وليس فى إمكانى عدم تنفيذها .

فاجابه أتيين : مادام الأمر كذلك فاننا نرفض ان نسلمكم ثمرة جهودنا . وسنتلف كل هذه الثروة التى جمعناها قبل أن يدخل جيشكم هذه المدينة . ولدى مجيئكم لا تجدون سوى رماد هذه الكنوز . فأيد أعضاء البعثة قول « أتيين » قائلين سنتكاتف كل ما لدينا .

وزاد (اتيين قائلا ـ ستعلم أوروبا كل شىء . لقد احرقت فيما مضى مكتبة الاسكندرية؛ وتعبث انكلترا اليوم باعمال العلماء الرائعة المجيدة فى ميدان العلوم فلن تنسى عملها الأجيال .

فاثرت بلاغة هذا العالم الشاب فى القائد الانكليزى وألغى المادة السادسة عشرة ورجع العلماء بكنوزهم إلى فرنسا . ورافق بعدئذ نابليون فى حملة البورتغال واسبانيا وزاد فى ثروة العلم بما عمله من اكتشافات فى ميدان التاريخ الطبيعى .

ومات سنة ١٨٤٤ بين اسرته مأسوفا عليه من أبناء وطنه ومكرما من كل أوروبا .

ترجمة

وديع شجيد

أستاذ اللغة العربية فى مدرسة التجارة الثانوية بدمشق

والليـالى بالأمانى أقبلت   باسمات الثغر عن در نضيد

خير بكثير من الصورة التى فى قول الليثى :

بها تزف الأمانى فى مواكبها   لكل راج ويرعاها أخو السمر

ولم يقف أبو النصر عند المدح طويلا ، بل اكتفى بهذه الأبيات الثلاثة . ثم انتقل إلى ذكر الجيوش السعيدية . وقد أجاد فى الانتقال . فبعد أن ذكر الليالى المقبلة بالأمانى ، قال :

معربات عن جيوش تزدرى   بالآلى وهى فى العقد الفريد
سادة إذ شيدوا بيت العـلا   لم يزل مدحى لهم بيت القصيد
إن بدت أعلامهم فى موكب   جاءت البشرى على خيل البريد
أو تبدى طيفهم يوم الوغى   مزقت منه العدى خوف الوعيد

والذى يظهر لى من هذه الأبيات أن الشاعر وضع نصب عينيه عبارات « العقد الفريد » و « بيت القصيد » و « خيل البريد » ثم شرع ينظم كل بيت بحيث يتفق مع إحدى هذه العبارات . ولذلك كانت معانيه تافهة . وما قيمة خيل البريد هذه بجانب الأسلاك البرقية وقد عرفت فى مصر منذ عهد محمد على ؟ ووصف الجيوش بأنها تزرى باللآلىء غير جيد لأنه جعل هذه الجيوش أداة للزينة تفوق اللآلىء فى الحسن والجمال . ولكن عبارة « العقد الفريد » قد استهوته وسيطرت على تفكيره فساقته إلى هذا الوصف وكذلك قوله :

سادة إذ شيدوا بيت العلا ... الخ فلم يذكر بيت العلا إلا ليقول بيت القصيد. ثم استطرد فى وصف هذه الجيوش فى أبيات ذكرناها عند الكلام عن عصر سعيد .

وقد لاحظنا أن الليثى كان يبدأ المدح بذكر الليالى والأمانى والأنس ويأتى بصور الرياض والأزهار والطيور والجداول وغير ذلك . أما أبو النصر فكان يبدأ فى الغالب بغزل طويل متكلف ممل ، ثم ينتقل إلى المدح الذى لا يستغرق فيه سوى أبيات قليلة قد تصل إلى أربعة أبيات أو خمسة . ومن قوله يمدح اسماعيل :

إليك خديوى مصر تصبو المحامد   ومنك ترجى للأنام الفوائد
وعنك حديث المجد يروى صحيحه   وفيك لآيات الفخار شواهد
وأنت أخو العليا وانت أبو الفدا   وأنت لكف الدهر كف وساعد
وجودك للأوطان عز ونعمة   وجودو بحر فيه تحلو الموارد
إلى ملك الدنيـا تود انتسابها   لما علمت فى الكون أنك واحد
وما مصر فى الأقطار إلا كجنة   وذكرك فيها بالمكارم خالد
وعدلك فى كل الممالك ثابت   فكل مليك شاكر لك حامد

وليس فى هذه الأبيات سوى مدح الخديو بالكرم والتفرد بالمجد ونشر العدل . وقد بالغ فى هذا مبالغة ظاهرة ؛ فجعل الدنيا تود أن تنتسب إلى الممدوح لما لم تجد له شبيها . وجعل عدل الخديو مشهورا فى جميع ممالك الأرض حتى أن ملوك العالم قد شكروه وأثنوا عليه لما سمعوا بإنصافه وهذا عبث وهراء اضطره إليه ضيق المجال .

وقال :

تعودت عن أقطار ملكك رحلة   بها سارت الركبان والسعد قائد
وسرت فطاف النصر حولك ساعيا   وغيرك من درك المآرب قاعد

والمعنى تافه كما ترى . والطواف والسعى يكونان حول شىء ثابت . والصورة المنتزعة منها لا تتفق مع الصورة التى توحى بها كلمة « سرت » ولو قال « وسرت فسار النصر فوقك ساعيا » لكان موفقا . والظاهر أنه كره أن يكرر الفعل ثلاث مرات فى بيتين متتاليين. فإن صح هذا فقد كان بوسعه أن يقول « وسرت فكان النصر حولك ساعيا . »

ثم قال :

وصلت إلى دار الخلافة زائرا   مليكا له بالمكرمات عوائد
مليك حباك الود فى غاية الصفا   وشاطرك الآرا ونعم المقاصد

والمعنى فى منتهى الضعف . وقوله « فى غاية الصفا » من عبارات الدهماء . وقوله « وشاطرك الآرا ونعم المقاصد » خلو من المعنى . وقال :

هنالك شاهدت المحاسن كلها   ولا زلت للصنع الجميل تشاهد

ومعناه قد بلغ الغاية فى التفاهة .

وقال :

ولكن إلى مرآك مصر تشوفت   ومنها إليها صادر الشوق وارد
نأيت فكاد النيل يبخل بالوفا   وعدت فوافى جبره وهو زائد

وقوله «ومنها إليها» من ردىء التراكيب . وليس فى البيتين من المعنى ما يستحق الذكر . ويلاحظ أنه يكثر من تشبيه جود الممدوح بالبحر وقال من قصيدة أخرى :

فهو المليك الذى علا مآثره   وفائض الجود من جدواه امداد
الفرد العلم الأسمى علا شرفا   وفاض بحرا فكم ترجوه وراد
كالغيث جادبها يغنى الأنام بلا   من لجدواه إنجاز وإيجاد

وليس فى هذه الأبيات سوى مدح الخديو بالكرام

للـكلام بقية

محمد سيد كيلانى

الربيـــع

للشاعرة الانجليزية آن وومرزلى

ها قد صح الآن مقدم الربيع ، يا من لعلك تذكريننى الآن مثل ذكراى لك ، فخلع على كل واد لوناً ؛ وأقام عند كل شعب محراباً من محاريب الجمال ؛ ونفخ فى كل خلية روحاً ؛ وأوحى إلى الطير بأغاريد الفجر الجديد والفصل الضاحك ؛ فاستخف بذلك كله أهل الحى الذين خفوا يلتمسون آثار هذه المباهج، وطفقوا يستبيحون لذائذ هـــذه الحياة فى موسم انتعاشها وانبعاثها وازدهارها . .

ها هى ، يا من يأبى عليك القدر الصارم إلا أن تتناسينى ، كل مفاتن هذه الطبيعة ومباهج هذا الربيع ، خليقة أن تضىء النفس بأقباس الهناءة ، وخليقة أن تصل القلب بأسباب السعادة . .

ها هى ذى كلها قد استحال عليها أن تجعل منى أحد أولئك السعداء ... وأنت يا حبيبتى بعيدة عنى . . !

***

فى الجو ، هنا ، عصفور غرد فرح ، يروح ويغدو ، فوق رأسى ، وفوق الشجر . .

وهناك ، عند أقصى الحديقة ، تطل حمامة مطرقة برأسها الجميل ، من بين السياج ، وهى ترسل من حين إلى آخر هديل قلبها الصغير بحب فراخها ، يتردد رقيقاً صافياً مع النسائم الندية . .

وهنا لك ، فى الناحية المقابلة ، تلك العرائش الخضر المذهبة ، ذات الحواشى البيض ، التى تعرفينها جيداً ، والتى طالما انطلقنا عندها خفيفين نمرح على سجيتنا ، فى براءة الأطفال ، وطهارة المحبين . .

إنها جميعاً ترد إلى ذهنى ذكريات حبنا العتيد . وما كان أجلها وأحفلها ذكريات !

وهى فى الحق ، إنما تحيط وحدتى بشىء من أنس وإشراق ، وتجعلها أقل إيحاشاً وترويعاً — حين لا تكونين بقربى ، أنت أيتها الحبيبة !

***

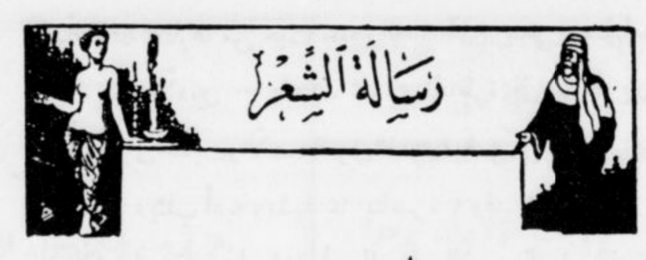
أجل ، هى كذلك ، ولـكن الحب موهبــة الطبيعة لأبناء الحياة ، وهو بهذه الصفة حق طبيعى لـكل مخلوق ، وملك خالص لـكل حى . .

ألم ترى — مرة — إلى زوجين من الطير يتباثان أشواقهما الغريرة ، وإلى زوجين من الناس يتطارحان رغباتهما البريئة ... ؟ أم قد غاب عنك كيف يسعى كل حيوان ، وكيف يحاول كل إنسان ، أن يعالن قرينه بحبه ويكاشفه بلواعجه . . فى أيام الربيع هذه . . ؟

وفى أيام الربيع هذه . . كنت أن أتوقع أن يهىء لى حظى من حبى نعيم نجو الحبيبة ، ونعمى قبلاتك الحلوة ، ولـكنك لست هنا ، أيتها الحبيبة !

فأنى لى أن أتشوف إلى السعادة ؟ ولم أحتفل بالربيع وشيه ، وألوانه ما دام ذلك القدر الصارم قد حرم على تلك السعادة ؟!

(دمشق) محمد الأرناؤوط



هتاف روح

« في ليلة دافئة من ليالي كاليفورنيا »

للأستاذ سيد قطب

في الجو يا مصر دفء يدني إلى خيالك
وتستجيش حنيني إلى الليالي هنا لك
للأمسيات السكارى نشوى ترف خيالك
ونسمة فيك تسري ريانة من جمالك
نجواك ملء فؤادي ترى خطرت ببالك

النيل والموج سار يقبل الشطئان
والبدر والنور ساه كحالم وسنان
وفي الجواء حنين مجنح حيران
ومن هنالك لحن يهفو إلى الآذان
صداه ناء عميق في ناي هذا الزمان

في النفس يا مصر شوق لخطرة في رباك
لضمة من ثراك لنفحة من جواك
لومضة من سماك لهاتف من رؤاك
لليلة فيك أخرى مع الرفاق هناك
ظمآن تهتف روحي متى تراني أراك ؟

سان فرانسسكو — سيد قطب

يا حياتي !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

ألا يا حياتي مللت الشبابا   وهلا طويت الشباب اقتضابا
وعفت خداع الأماني الكذاب   فردي إليك الأماني الكذابا
وهاتي المشيب ، لعلي به   أبدد من عالمي الاضطرابا
فيغمر نفسي هدوء رحيب   وينساب في خلجاتي انسيابا
ويذهب عني نزوع عجيب   إلى كل سر دعاني وغابا
وشوق إلى عالم ذي حجاب   أريد لأكشف عنه الحجابا
حلمت به في ليالي السهاد   رؤى باهرات ، وفنا وعجابا
فلما انتبهت ، وبي نشوة   من الحلم ، طابت لقلبي وطابا
وأبت إلى عالم مقته   تمنيت أني عدمت الإيابا
وحب ظمئت إلى ورده   ليسقيني ، فسقاني السرابا !
ومر طواني ، ولم أطوه   وعذبني ، فاحتملت العذابا
شربت المرارة من كأسه   فيا للمرارة صارت شرابا !
ومرت به في رحاب الحياة   غريبا ، فضاقت حياتي رحابا
يؤرق ليلي بأشجانه   ويسدل فوق نهاري السحابا
ويحرق روحي لظى عاتيا   ويمتد في أفق عمري ضبابا
أحدث نفسي به خاليا   وأكتمه حين ألقى الصحابا
رماني به قدر صارم   فيا ليته إذ رمى ما أصابا
وكنت ولي رغبة في الحياة   فلما رماني ... ثكلت الرغابا !
وكانت لقلبي منى حلوة   فذابت دموعا بقلبي ، وذابا
وهأنذا قد ألفت البكاء   فأرسلت قلبي دمعا مذابا
بكيت حياتي وغنيتها   وبعض الغناء يكون انتحابا
وكل يترجم عما به   ويكشف عما لديه النقابا
ولو كنت أملك سر الغناء   لأرسلته نغما مستطابا
ولكنما ملكتني الشجون   فأرسلنني شجنا واكتئابا
نصيبي الذي أطلقته الحياة   تحوم في أفق عمري غرابا
زرعت بعمري ورود المنى   فلما جنيت ... جنيت اليبابا !
وأسأل نفسي السؤال الرهيب   وإني لأعرف عنه الجوابا
أقول لها : كيف أجني العقاب   ولم أجن ذنبا ، وما قلت عابا ؟
لعلك أذنبت في عالم   بعيد ، فهلا احتملت العقابا ؟
إذن سوف أحمل ما تكرهين   وأرضى بما تنكرين ... احتسابا
وأجعل عمري أسى كله   وأملؤه وحشة واغترابا
وأنثر في الأرض زهر المنى   فأشعر أني نثرت الشبابا
وأجني من العمر شوك الضنى   كأني زرعت بعمري الصعابا
وأمضي بلا رغبة في الحياة   أرود الوهاد ، وأطوي الهضابا
على الشوك أمشي ولا أشتكي   وفوق الرمال تشع التهابا !
لعلي أرى الموت مستعلنا   بقربي ، فأزداد منه اقترابا
أناديه : حتى متى الارتقاب ؟   أما ضاع فيك الشباب ارتقابا؟
طلبتك إذ عذبتني الحياة   لحسبي عذابا ، وحسبي طلابا
حياتي قشور ، وأنت اللباب   ويا موت إني أريد اللبابا
فأسمع صوتا كرجع الصدى   يقول — وما قال إلا صوابا :—
لقد آن ياموت أن يستريح   وفي دينه ، واقتضينا الحسابا
وكل إلى أصله صائر   فقل «للتراب» : ستغدو ترابا

ابراهيم محمد نجا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

مناظرة بين الأدب العربي والأدب الغربي :

جرت يوم الأحد الماضي مناظرة فى قاعة المحاضرات بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، كان موضوعها « يجب أن يستلهم الأدب العربى الحديث الأدب الغربى الحديث أكثر مما يستلهم الأدب العربى القديم » أيد الرأى الدكتور محمد القصاص والأستاذ عبد الرحمن الخميسى والطالب غايت لطف الله والآنسة كليوباترة خليل ، وعارضه الأستاذ عمر الدسوقى والأستاذ حامد داود والطالب محمود مكى والآنسة بشرى جنينة .

والموضوع - كما ترى - يقتضى أن يستلهم الأدب العربى الحديث كلا من الأدبين العربى القديم والغربى الحديث ، ولكن الخلاف على الكمية ... فطبيعة الموضوع تفرض على كل من المتناظرين أن يقر فائدة الأدبين وحسن أثرهما فى أدبنا الحديث ، وليس له إلا أن يقول بالاكثار من هذا والاقلال من ذاك ، فالمسألة بهذا الوضع مسألة بدهية من حيث انه ينبغى الأخذ والاستفادة من هذا وذاك ، فاذا يدعو إلى المناظرة والجدل فيها ؟ ألنقول بزيادة نسبة هذا على ذاك ، فنستلهم مثلا الأدب الغربى بنسبة واحد وخمسين فى المائة ، والأدب العربى القديم بنسبة تسعة وأربعين فى المائة ، أو العكس ، أو ننقص هذه النسبة أو نزيد تلك ؟

ولكن حماس المتناظرين ورغبتهم فى الصيال والجولان وميل كل فريق إلى أن يظفر بتأييد رأيه ، كل ذلك جعلهم يتعدون تلك الحدود الضيقة المقيم ... وكأنهم أدركوا تفاهة المسألة وقلة خطرها من حيث تعيين القدر الذى ينبغى استلهامه من كل من الأدبين ... وبذلك تحولت المناظرة إلى مقاتلة بين الأدب الغربى الحديث والأدب العربى القديم ، فحمل كل من الجبهتين على الآخر ، يثلب أدبه ويشيد بما يناصره ، وقد يمتد الرشاش إلى الأشخاص ، فهذا جاهل لم يطلع على الأدب العربى القديم وهذا رجعى متأخر ... الخ

وعلى ذلك راح مؤيدو الرأى يشنون الغارة على الأدب العربى القديم ، يقولون إنه أدب بعيد عن حياتنا الحاضرة وهو أدب أجوف يعتمد على فخامة اللفظ والتركيب وأدباؤه فرديون ، ولم تكن فيه وحدة القصيدة . وقالت الآنسة إنه صعب خشن لا يلائم حياتنا الناعمة .. واستشهدت بأبيات لعنترة يتغزل فيها بعبلة على أن الشعر العربى شعر حسى لأن عنترة لم يعجبه فى حبيبته إلا جمالها وصفاتها الحسية ولم يهتم بروحها .. وقال الأستاذ عبد الرحمن الخميسى إنه أدب جهـــارة ! وجعلت درجة الحرارة فى خطبة الدكتور القصاص تميل إلى الصعود تدريجيا .. فسفه تفكير العرب ووصف أدبهم بالعقم وقارن بينه وبين آراء العلماء والفلاسفة الغربيين ... وارتفعت درجة الحرارة فجأة إلى أقصى حد إذ قال إن الأدب العربى جزء من التاريخ الميت ويجب أن نبحث له عن متحف من متاحف الآثار الميتة ! !

وعلى ذلك أيضا طفق معارضو الرأى يكيلون للادب الغربى قدحا بقدح ، يقولون إنه أدب منحل لا يناسب بيئاتنا الشرقية وإنه إنما يصور حالات فى تلك الأمم تختلف عن حالاتنا ، وقد نشأت فيه مذاهب بظروف خاصة نتيجة لاضطراب الخواطر وقلق النفوس من أثر الحروب وغيرها ، وهى مذاهب معقدة ملتوية كالرمزية والسريالية ، وقد أفاض فى ذلك الأستاذ عمر الدسوقى ، وعرج على شعراء العرب المحدثين الذين قلدوا تلك المذاهب ، وأتى بأمثلة من أشعارهم وكان لقصيدة « الشاطىء الحافل » للدكتور بشر فارس مكان فى هذا المجال . وجمل يبين ما فى بعض هذه الأشعار من خلط وما فى بعضها من سخف ، كما أفاض الأستاذ الدسوقى أيضا فى عرض كثير من القصص الغربية التى رأى أنها تدافع عن النقائص والرذائل . وارتفعت

درجة حماسه ضاربا على وتر الفضيلة والقومية حتى دوى له التصفيق فى أرجاء المكان .

ولم يفت هؤلاء أن يردوا طعنات أولئك ، التى وجهوها إلى الأدب العربى ، وكذلك صنع الأولون بما وجه إلى الأدب الغربي . وكان الدكتور القصاص قد استهل كلمته بالإشارة إلى ما حدث بفرنسا على أثر هزيمتها فى الحرب الماضية، إذ جعل القوم يفكرون فى أسباب هزيمتهم ، فلم يرجعوها إلى خطأ فى السياسة أو فى خطة الحرب ، بل قال قائلهم إن التبعة فيما أصاب فرنسا على أساتذة السربون والأدباء الذين لم يحسنوا توجيه الجيل ، واستطرق الدكتور من هذا إلى القول بأن أدب العرب لا يصلح للتوجيه فى هذا الزمن فيجب أن نتجه نحو أدب الغرب ونغترف من علومه وثقافاته .

فلما تكلم الأستاذ الدسوقى قال معقبا على ذلك : كيف نستلهم الأدب الفرنسى وهو الذى أدى إلى هزيمة فرنسا ؟

ودافع الدسوقي عن الأدب العربى وأتى بروائع منه واستشهد بأقوال فيه لبعض المستشرقين ، ومما قاله أن وحدة القصيدة كانت موجودة فى كثير من القصائد فى الجاهلية والإسلام على أن لكل أمة طابعها الخاص فى أدبها . وقد عقب الحميسى على ما قاله الدسوقى فى أدب الانحلال الأوربى فدافع عن القصص التى ذكرها الدسوقى بأنها تصور الدوافع الانسانية وأن الأخلاق شىء آخر غير الفن .

ومما يلاحظ أن أكثر المتناظرين لم يكن نطقهم العربى سليما وخاصة الطلبة ؛ وكانت الآنسة المؤيدة مثالا فى ذلك ، وهى – نعم – من القسم الانجليزى ، ولكن ألم تسمع مرة من أحد الأساتذة أو غيرهم اسم « أبى نواس » الذى نطقته كما ينطقه العوام « أبو النواس » ؟ وأعتقد أن هناك قدرا من تقويم الألسنة فى اللغة القومية ينبغى أن يأخذ به كل متعلم مهما كان نوع تعليمه . وقد خرج الأستاذ عبد الرحمن الحميسى من هذا المأزق باللغة العامية الخالصة .

وقد طلب إلى الحاضرين – بعد انتهاء المناظرة – أن يقف منهم من يؤيد الرأى فوقفت أقليـــة ، ولما طلب وقوف

كشكول الأسبوع

□ فرغت لجان جوائز فؤاد الأول من عملها فى فحص الانتاج المرشح لنيلها واقتراح ما تراه حقيقا بها من الكتب المقدمة، واللجان ثلاث ، لجنة الآداب ، ولجنة القانون ، ولجنة العلوم الرياضية والفلكية، والجائزة المقررة لكل من أصحاب الكتب الفائزة فى النواحى الثلاث مقدارها ألف جنيه . وقد اجتمعت اللجنة الدائمة للجوائز برياسة معالى وزير المعارف يوم الثلاثاء الماضى ونظرت فى قرارات اللجان الفرعية ووضعت القرار النهائى فأجلت : جائزتى الآداب والقانون الى العام المقبل ووافقت على تقسيم جائزة العلوم بين اثنين. وستعلن النتيجة فى الاحتفال بذكرى المغفور له الملك فؤاد الأول يوم ٢٨ ابريل الحالى.

□ كتب الأستاذ توفيق الحكيم فى العدد الأخير من « أخبار اليوم » يقول إن الروح المسيطر الآن على الحياة المصرية هو التهريج ، وقد اتسمت حياتنا بهذا الروح إلى حد نرى فيه الصفوة من العلماء والمثقفين وأساتذة الجامعات وطلابها إذا أرادوا إحياء حفلاتهم السنوية لجأوا أيضا إلى المبتذلين من المغنين والمضحكين والراقصات . إلى أن قال : إن العالم يعيش فى عصر الذرة ، ومصر تعيش فى عصر « شكوكو » ...

□ كتب الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى فى « المصرى » يقول بأن ابن سينا كان طبيبا أكثر منه فيلسوفا ، وبنى ذلك على اعتراف أوربا اللاتينية بمنزلته فى الطب ، وأخذ أهل المغرب والأندلس بطبه دون فلسفته ، وأنه نظم فن الطب وبوبه وابتكر ضروبا من المعالجات يمتاز بها عن القدماء، على حين لم يكن فى الفلسفة صاحب رأى جديد إلا فى النادر.

□ إذا ظهر كتاب للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى فاعلم أن الأستاذ محمد عبد الغنى حسن سيكتب عنه ، والعكس صحيح .

□ « وزارة المعارف العمومية » هكذا تسمى الوزارة المشرفة على التعليم والتثقيف، وأستطيع أن أوكد أن ليس فى مصر وزارة معارف خصوصية ... ووزيرها يقال له وزير المعارف العمومية ، وقد كان يتسامح فى ذلك من قبل، ولكن الآن قد أصبحت هذه « العمومية » غير مستساغة والوزير طه حسين

□ من المسائل التى يبحثها مجلس الإذاعة الأعلى تنظيم إصدار وتحرير مجلة الإذاعة بحيث تكون فى حالة تساعد على رواجها.

□ تلقت وزارة الخارجية من بعض البلاد الأجنبية أنها ترغب فى الحصول على أفلام مصرية تصلح للدعاية لمصر فى الخارج ولكن مصر – مع الأسف – لم تجب هذا الطلب لأنها لم تجد لديها أفلاما يتحقق فيها هذا الغرض .

□ قدم الأستاذ يوسف وهبي بك استقالته من الفرقة المصرية.

المعارضين وقف أكثر الحاضرين وكان حماس الدسوقي في الدفاع عن الفضيلة والقومية لا يزال سائداً عليهم إذ كان أخذ الرأى عقب كلمته . ولم أفهم أنا مع المؤيدين ولا مع المعارضين لأنى أرى أن نأخذ من هذا كما نأخذ من ذاك . . ولست أدرى لماذا أهملوا هذا الجانب ! ولعل عذرهم فى ذلك أنهم لم يجعلوه طرفا فى فى المناظرة . ولكن لماذا ما دامت المسألة مسألة تحديد القدر ؟ أليس من حق مثلا ، وقد يكون لى أمثال فى الحاضرين ، أن نجعل النسبة ٥٠ فى المائة لكل من الأدبين !!

ثم لماذا قصر الأمر على الأدب العربى القديم والأدب الغربى الحديث ؟ لماذا لا نأخذ ونستفيد من الأدب الغربى القديم ، ومن الأدب الهندى ومن الأدب الصينى ومن كل أدب فى هذه الدنيا قديماً وحديثاً ؟ أنا لا أعرف للثقافة والمعرفة حداً ، والأديب المصرى يجب أن يأخذ من كل شىء أحسنه ، ولا يقف عقله على جديد لأنه جديد ولا يغلقه دون القديم لأنه قديم .

ومما يلاحظ أن المناظرة لم يكن لها نتيجة ، وهذا من طبيعة الموضوع ، فهى أشبه بما كانوا يقولونه قديما فى السيف والقلم وما يهيئه معلمو الانشاء فى المدارس من الصراع « الفكرى » بين الطيارة والسيارة ، ولا شك أن كلا من السيف والقلم والطيارة والسيارة لازم مطلوب فى موضعه ، وكذلك الأدب العربى القديم والأدب الغربى الحديث . فلم يكن يليق بالجامعيين أن يستهلكوا جهدهم على ذلك النحو مضحين بما عرف عنهم من البحث « المنهجى » عن حقائق الأشياء .

مسرحية « أصدقاؤنا الألداء »

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الثانى على مسرح الأوبرا الملكية بهذه المسرحية ، بعد انتهاء الموسم الأجنبى بهذا المسرح . كتبها الأستاذ ممدوح نشاطى ويقال إنه اقتبسها ، وتبدو آثار الأصل بها من حيث دلالة الحوادث على البيئة الغربية ، كما سأبين بعد . وأخرجها الأستاذ زكى طليمات ، وقام بأهم الأدوار فيها الأساتذة حسين رياض وأحمد علام وعمر الحريرى وفؤاد شفيق والسيدة زينب صدقى وروحية خالد ونعيمة وصفى .

والقصة تتلخص فى أن صالح بك برهوم (حسين رياض) رجل سماح يعيش فى ضيعته بعشهر ، يشغل وقته برعاية مزارعه وحديقة قصره ، واستقبال ضيوفه من الأصدقاء الذين يكثر منهم ويغتبط بوفودهم عليه ويسرف فى إكرامهم والإغداق عليهم ، وهم أنماط مختلفة ، فهذا زميل الدراسة أتى وزوجته إلى ضيافة رفيق الصبا ، وهذا صديق عزيز جاء هو وولده كذلك ، وذاك ضيف من طرابلس ينزل على الرحب والسعة دون سابق معرفة . الخ

وفى البيت امرأتان هما فوزية (زينب صدقى) زوجة صالح بك ، وفاتن (روحيه خالد) ابنته من زوجة متوفاة ، وفيه أيضا الشاب خورشيد (عمر الحريرى) ابن عم الزوجة ، وهو شاب وسيم فاسد الخلق ، يستغل كرم الزوج وطيبته ويحاول استمالة الزوجة وإغراءها ، وهو يتمارض ليطيل إقامته ، ويستدعى الدكتور عزمى (احمد علام) لعلاجه ، فيظهر أن بينهما معرفة قديمة ، وتتعلق الفتاة فاتن بالدكتور عزمى . وتقع حوادث يعمل فيها الأصدقاء الضيوف على تنغيص حياة صديقهم المضيف وتكدير صفوه بمختلف الوسائل ، ويرقب الدكتور الحالة وهو ساخط عليهم ، كما يرقب العلاقة بين الزوجة وابن عمها ، ويتخذ من التدبير ما يفسد به أمرهم جميعا وينقذ الزوجة من نوايا الشاب الأثيم ، ويكشف رياء الأصدقاء ، فيثبت لصالح بك أن ما يدعيه أولئك « الأصدقاء الألداء » من الاخلاص والود والوفاء لا حقيقة له ، وأن الدكتور عزمى الذى لا يكاد يذكر كلمة الصداقة هو الصديق الخالص حقا الجدير بأن يزوجه ابنته .

وتمتاز القصة بأنها محبوكة ومتسلسلة فى منطق مستقيم وتكاد تكون عديمة الفجوات . وهى كما ترى قصة اجتماعية ، تعالج هذا الموضوع ، موضوع الصداقة والأصدقاء ، من حيث كثرة المرائين وقلة المخلصين بل ندرتهم ، ولكنك تشعر وأنت تشاهدها أن الموضوع يتطلب علاجا أروع مما بذل فيه ، كما تشعر فى عرض التفصيلات بالجدب فى الالتفاتات الجزئية التى تعتبر مثل هذه الرواية مجالا خصبا لها ، وذلك ناشىء — فيما يبدو لى — من أن الكاتب غير منفعل بالبيئة التى عرض لها ، وهو وإن أظهر لنا بعض الشخصيات ذات الملامح المصرية المعروفة إلا أن الصورة الأصلية ، وهى صورة صالح بك وأسرته المنقطعين إلى الريف المحبين له السعداء فيه ، أقرب إلى صور الريف فى أوربا



مدارس علم النفس المعاصرة

تأليف العلامة: روبرت وودورث

ترجمة: الأستاذ كمال دسوقي

نشرته: دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٠

الكتاب الذي أقدمه اليوم لقراء العربية من وضع العلامة روبرت ودورث Robert Wodworth الذي ولد في بلخرتون من أعمال ماساتشوستس Massachusetts بأمريكا في ١٧ أكتوبر سنة ١٨٦٩ . وهو يحتوى على طائفة من المحاضرات ألقاهـا المؤلف سنوات عدة، إبان اشتغاله بالتدريس في جامعة كولومبيا عنوانها « نظرة في علم النفس المعاصر » ونشرت بنيويورك لأول مرة سنة ١٩٣١ تحت هـذا العنوان « مدارس علم النفس المعاصرة ».

ويحاول المؤلف في مستهل كتابه أن يحدد موضوعه وأن يرسم خططه الرئيسية، فيقول في مقدمته « ويحاول هذا الكتاب أن يلقي نظرة موضوعية على علم النفس المعاصر، بالقدر الذي يتعلق بمدارسه، وما تفيء به للانسانية من أنظار. وهو لا يريد أن يقدم آراء المؤلف الخاصة في أية صورة مذهبية، وإن لم يمتنع عن شروح شخصية هنا وهناك. ثم هو لا يهدف إلى نقد شامل المدارس المختلفة، ولا إلى تقدير هام حتى يتأدى بالقارئ إلى واحدة منها ويبعد به عن الأخرى، وإنما غرضه أن يقدم صورة لهذه المدارس لا محاباة فيها، حتى يتهيأ للقارئ أن يقف على المعالم الرئيسية لكل منها في غير توسع مربك، ولكن بالقدر من التجسيم الذي يعطى لونا لهذه الصورة. »

وهذه المدارس المعاصرة التي تتوزع ميدان علم النفس فيما بينها، إن دلت على شيء، فعلى حداثة هذا العلم، وعلى أن موضوعه لم يتعين، ومنهجه لم يتضح، وغايته لم تتحدد بعد. ولابد أن تمر عشرات السنين قبل أن يتأدى الصراع القائم بينها إلى موضوع لعلم النفس محدود، ومنهج واضح، وغاية معلومة،

والمسرحية فكاهية، وهي كذلك بجهود الممثلين وحركاتهم أكثر مما هي بالحوار، فأنت تحس في المواقف المختلفة بالمادة « الخام » التي لم يصنع منها ما تصلح له من الفكاهة، فالحوار ضعيف فاتر من هذه الناحية وإن كان الممثلون يبثون فيه شيئا من الحرارة، وكان يخيل إلى أن الممثل الظريف فؤاد شفيق يعاني ضيق الحيز الذي وضع فيه فيحاول أن يوسعه ولكنه يطبق عليه.

أما إخراج الرواية فهو الذي كسا عظمها لحما وجعل لها روحا، من حيث تنسيق المناظر وتوزيع الأضواء وتحريك الممثلين والممثلات، فقد بدت المناظر موافقة رائعة معبرة، فالشاهد يرسل بصره إلى المسرح في المشهد الأول حيث بهو الاستقبال في القصر ومن ورائه حديقة غناء، فلا يخالجه شك في حقيقتها وما هي بطبيعة الحال إلا رسوم وأضواء، ومن المناظر العجيبة منظر الشرفة تبدو منها حمرة الشفق تارة ويرسل إليها القمر أشعته تارة أخرى، والابداع الفني في تهيئة المنظر للموقف وملاءمته لأحوال من يتحركون فيه والاستعانة به على التعبير وإبراز المقصود منه. وللأستاذ زكي طليمات طريقة لطيفة في تقديم شخصيات ثانوية صغيرة ينعكس عليها جو الرواية، فالجو هنا كله رياء ونفاق، وهـذا الغلام (رضوان) الذي يقول أبوه إنه ملاك طاهر والذي ينفض ويطرق أمام السيدات، هو أيضا يسير في ركاب الرياء، بل بجسمه، إذ هو لا يلبث أن يسطو على الخادمة اللعوب ويهرب معها.

وقد أدى الممثلون والممثلات أدوارهم بجد وإخلاص، ووفق أكثرهم، فكان حسين رياض بارعا في تصوير الشخصية التي تدور عليها المسرحية وقد اندمج فيها كل الاندماج. وكان أحمد علام موفقا في تمثيل الرجل الحازم الحذر كما كان ظريفا في إشاراته ونبرات صوته ذات المعنى الذي يلوح إليه، ولكنه كان فاترا أمام الفتاة التي تحبه ويحبها. أما عمر الحريري، وهو من خريجي معهد التمثيل، فقد أثبت أنه دم جديد نابض. وكانت زينب صدقي طبيعية مجيدة في تمثيلها وإن كان الدور غير ملائم لها، وهو دور امرأة تغري شابا وتدفعه إلى محاولة اقتناصها، وقد أمكن أن تبدو رشيقة خفيفة الحركة ولكن الصوت وظلال الشخصية كانت بعيدة عما يتطلبه الدور من بعض الصبا والشباب.

عباس خضر

يتفرغ العلماء بعد الوقوف عليها إلى تناول موضوعات جزئية لها صبغة موضوعية داخل هذا الاطار الذى تكون معالمه قد وتحت كما هى الحال فى العلوم الطبيعية .

والكتاب يقع فى سبعة فصول :

الأول : ما وراء خلافاتنا الجارية

الثانى : سيكلوجيا الاستبطان والمدرسة الوجودية .

الثالث : السلوكية .

الرابع : سيكلوجيا الجشطات أو الشكلية :

الخامس : التحليل النفسى والمدارس الملحقة .

السادس : مذهب القصد أو علم النفس الهورمي .

السابع . وسط الطريق

ويستهل المؤلف كتابه بالحديث عما يسميه « النظام القائم » Established order الذى كان يسمى وقت انتشاره وذيوعه ، علم النفس الحديث ، عميزا له عن سيكلوجيا العصور الوسطى وسيكلوجيا ديكارت وهوبز وليبنتس وغيرهم . وهذا « النظام القائم » ارتباطى فى أساسه . والارتباطيون فى علم النفس هم الذين حاولوا فى القرن الثامن عشر ، ومستهل القرن التاسع عشر أن يردوا جميع العمليات العقلية إلى عملية الارتباط Associatio أو التداعى وحدها ، بدلا من ردها إلى أساس عام من الحركة كما عمل هوبز مثلا ، حيثما فسر هذه العمليات تفسيراً « جعلها فى صف واحد مع العمليات الفيزيقية ... فالحركة الخارجية تقع على أعضاء الحس فتتصل بالأعصاب والمخ والقلب ؛ والحركة الداخلية — عند ما تبدأ — تستمر بحكم القصور الذاتى inertia على هيئة ذكريات وأفكار » ص ٥١

ويعرض المؤلف لما كان لعلمى الكيمياء ، والفيزيولوجيا من تأثير كبير على مناهج علم النفس فى القرن التاسع عشر ، بعد أن عرض علينا ما كان لعلم الطبيعة من أثر واضح عليها . فالكيمياء أوحت بفكرة « كيمياء العقل » mental shimistry ، التى تحلل مركبات العقل ، كما تحلل الكيمياء المادة إلى عناصرها الأولية ويعد إرهاصاً لما سمى بالتحليل النفسى فيما بعد . أما الفيزيولوجيا فقد أوحت بفكرة « التجريب » فى علم النفس ، فكان ميلاد أول معمل لعلم النفس التجريبى ، أنشأه فنت فى ليبتسك سنة ١٨٧٩ وكانت ثورة السيكلوجيا التجريبية على النفس السابق عليها من حيث منهجه ومستواه العلمى أكثر منها على نظريته . فبينما قنع عالم النفس السابق بأن يستعين على البرهنة بالذاكرة وخبرته الشخصية العامة مع ما فيها من عدم الثقة ، إذا بعلم النفس الجديد يصر على أن تقوم حقائقه على ملاحظات مسجلة ومحددة » .

ويتابع المؤلف حديثه عن المؤثرات الخارجية المختلفة ، التى استهدف لها علمنا الناشىء . فيعرض لكل من البيولوجيا العامة — وعلى الخصوص نظرية التطور Theory of EVolution — وما كان لها من ثورة على علم النفس القديم ؛ ولعلم الطب العقلى psychiatry وما كان من انقسام اطبائه إلى معسكرين : نفسيين psychists يبحثون عن أسباب المرض فى العقل ، وجسميين somatists يرجعونها إلى اضطرابات فى المخ . ثم يبين ما كان من جانب علماء النفس من محاولات جدية — كرد فعل لهذه المؤثرات الخارجية — لفصل هذا العلم عن الفلسفة ، وعن غيره من العلوم التى لها به صلة قريبة أو بعيدة .

وقد كان علماء النفس فى أواخر هذا القرن يعرفون علمهم بأنه علم الشعور Science of consiousness ، وبالتالى كانوا يتخذون الاستبطان منهجاً لهم . ثم جاء القرن العشرون الذى حاول المشتغلين فيه ءاثر علم النفس أن يثوروا على هذا « النظام القائم » فى القرن الماضى متلمسين ما فيه من مثالب وهنات ؛ « فتمزقت بينهم إرباً سيكلوجيا القرن التاسع عشر القديمة المسكينة تمزقاً لطيفا ، ونشأت مدارس تعارضت مع بعضها البعض تماماً كما تعارضت مع علم النفس القديم » ونجم عن ذلك فترة نشيطة جداً ذات نظام لم يقرر بعد » ص ٥٧ وحاولت كل من هذه المدارس أن تحدد موضوع علم النفس ، وأن تتخذ لنفسها منهجاً خاصاً يتأدى بها إلى نتائج حقيقية حاسمة . وهى قد أجمعت — وإن اختلفت فى الوسيلة — على إعلان الثورة على هذا « النظام القائم » الذى يصور علم النفس باعتباره « دراسة للشعور » متخذاً « الاستبطان » منهجاً يستخدمه فى دراسة الانسان .

فعلم النفس كما يراه السلوكى مثلا « هو شعبة تجريبية موضوعية خالصة من العلم الطبيعى . وهدفه النظرى هو تنبؤ السلوك وضبطه . وليس الاستبطان جزءاً رئيسياً من مناهجه ، ولا القيمة العلمية لحقائقه تقوم على استعدادها لأن تعبر عن نفسها بألفاظ الشعور ...

ولعله لا بد قد حان الوقت الذى يطرح فيه علم النفس كل إشارة إلى الشعور . إذ لم تعد به حاجة بعد إلى أن يخدع نفسه فى حسبان أنه يجعل الحالات العقلية موضوعاً لملاحظته » ص ١٤٠

وبينما السلوكيون يحاولون إبعاد الشعور عن ميدان علم النفس ويقصرون دراستهم على السلوك وحده ، نرى فريقاً آخر من العلماء ، لم تنشأ مدرستهم عن علم النفس ذاته ، وإنما نشأت عن ابحاث الطب العقلى psychiatry ؛ تلك هى مدرسة التحليل النفسى ، وعلى رأسها العلامة فرويد ، التى اطرحت الشعور جانباً واتخذت ما يجرى فى اللاشعور ، من ذكريات وأحلام ، موضوعاً لدراستها بوسائلها الخاصة .

ولقد حاولت مدرسة أخرى جديدة هى مدرسة القصد purposiVist School وعلى رأسها مكدوجل ، أن تتخذ لعلم النفس موضوعاً من الدوافع الانسانية – من غرائز وعادات وانفعالات وأفعال منعكسة ثائرة بذلك على النزعة العقلية التى كانت تسيطر على هذا العلم وعلى الايمان بأن منهج الاستبطان هو وحده المنهج الصحيح فى علم النفس .

وليس معنى هذا أن علماء النفس القائلين بالشعور موضوعاً وبالاستبطان منهجاً لعلم النفس ، قد قنعوا بالثورات المختلفة المتلاحقة من جانب هذه المدارس على مذهبهم ، وإنما يعدلون فيه بالقدر الذى يظهرهم وسط الميدان وكأنهم أصحاب مدرسة جديدة ؛ فالى جانب ايمانهم بالاستبطان قالوا بأن علم النفس هو علم خبرة الفرد the science of IndIdiduals experence مهمته » وصف هذه الخبرات وتحليلها ، ومقارنتها ، وتصنيفها ، وترتيبها فى نظام دقيق . فكانت الخبرات تدرس وكأنها موجودات Existences وبعبارة أخرى ، أن علم النفس الوجودى كان يجد متعة فى الفرد كصاحب EXpereincer ، وليس كقائم الفعل performer » ص ٧٧

وثمت مدرسة أخرى هى مدرسة الجشطلت Gestott أو مدرسة الصيغة Confeguration التى ثارت على المذهب الارتباطى من حيث عنايته ، على الخصوص ، بالجانب العقلى من الحياة ، ومن حيث أنه « أخذ بالاحساسات البسيطة على أنها العمليات الأولية ، التى منها تتركب الخبرات والأفكار المركبة » ص ١٧٤ . كما أن هذه المدرسة – على العكس من السلوكية التى نادت بتحليل السلوك لا الخبرة – قد اطرحت على الاطلاق ، منهج التحليل ، سواء منه ما اختص بالسلوك أو الخبرة . وقد رفضت هذه المدرسة كذلك فكرة المعانى باعتبارها فكرة مضللة ، كما رفضت الاحساسات ، وعلى الأقل الأولية منها على أنها عناصر للخبرة التى سبق لها أن رفضتها هى الأخرى .

* * *

تلك هى الخطوط الرئيسية لمدارس علم النفس المعاصرة ، التى عرض لها وودورث فى كتابه الذى لم يشأ مؤلفه أن يقف به عندها ، دون أن يعرض علينا شذرات من مذاهب لعلماء مبرزين فى ميدان علم النفس ، ولكنهم مع ذلك لا ينتمون إلى هذه المدرسة أو تلك .

ففى بريطانيا : نجد الأستاذ سبيرمن بجامعة لندن الذى ولد سنة ١٨٦٣ ، والذى احتدم الجدل بينه وبين ثورانديك حول طبيعة الذكاء . كما نجد الدكتور . ش . ص . مايرز بلندن وكان مديراً لأول معمل سيكلوجى فى بريطانيا – معمل كمبردج ثم عين مديراً لمعهد علم النفس الصناعى القومى .

وفى المانيا : نجد الأستاذ فليكس كريجر Filix Kreuger » ولد سنة ١٨٧٤ » ، الذى يعارض الجشطلت « فيبين أن الشكل الذى ندركه فى أية لحظة هو ذاته متضمن فى شعور كلى ؛ فالشعور عنده حقيقة أكثر جوهرية من الصورة الخلفية » . كما نجد الأستاذ ا . اشبرانجر ESpranger بجامعة برلين (ولد سنة ١٨٨٢) . ومن تلاميذ ميلر Muller اثنان هما فينش E R jaensch الأستاذ فى ماربورج ، ودافيد كاتس DaVid Katz الأستاذ فى رستوك . كما يذكر المؤلف الاستاذ وليم استرن wStern تلميذ ابنجهاوس .

وفى سويسرا : نجد الأستاذ كلابارد Claparéde الذى أنشأ معهد روسو لدراسة الأطفال .

وفى ايطاليا نجد Benussi الأستاذ السابق بجامعة بادو . كما نجد الأستاذ S de sanctis المشهور بتخصصه فى الأمراض العصبية والنفسية ! والأستاذ كيوا الذى كان تلميذا ، قديما لفنت . والأستاذ Fikesow المعروف بقياسه للمجهود وبدراساته للتعب .

٣٥ ، ٣٤



قلب كبير

« إلى صديقي الأستاذ أنور المداوى
إعجابا بقلبه الكبير »

للاستاذ شاكر خصباك

من كان يتصور هـذا ؟! من كان يتصور أن ذلك القلب الصغير يتسع لـكل تلك العواطف الـكبيرة الزاخرة بأسمى مشاعر الحب والوفاء ؟! أجل ، من كان يتصور هـذا ؟! ومع ذلك فقد جرى كل شيء في بساطة مدهشة .

كان المنزل الذى اتخذته مقرا لى فى القاهرة يعج بالمغريات ، وكنت أحاول إقناع نفسي باستكشاف حياة جديدة خالية من عنصر النساء ـ بعد أن جر على متاعب جمة ـ فانطلقت أنقب عن أسرة صغيرة أشاركها العيش عانى أسكن إلى حياة رزينة . وهكذا عرفت تلك الأسرة الفرنسية الطيبة . وكان قوامها زوجين فى العقد الرابع من عمرهما وصبية فى ربيعها الثالث عشر ذات حظ موفور من الحسن بشعرها الأصفر الذهبى وعينيها الزرقاوين الواسعتين وملامحها الدقيقة الساذجة .

وانطويت على نفسي فى الأيام الأولى، فلم أتبادل مع الأسرة سوى أحاديث قصيرة على مائدة الطعام . وفيما عدا ذلك كنت أعتكف فى غرفتى منصرفاً إلى القراءة والدرس . لـكننى ما لبثت

وفى فرنسا : نجد الأستـــاذ هنرى بييرون المولود فى سنة ١٨٨١ . كما نجد الأستاذ جورج ديماس george Dumas المعروف بأبحاثه الخاصة بالانفعالات .

وفى روسيا : نجد تيارا جديدا ينادى بدراسة الفرد « كعضو فى طبقة اقتصادية أو مهنية » ويتزعم هذا التيار علما نذكر منهم الأستـــاذ كورنيلوف المولود فى سنة ١٨٧٩ ، ومدير علم النفس النفس التجريبى فى جامعة ولاية موسكو .

ونحب هنا أن نشير إلى أن مؤلف هذا الـكتاب ، هو نفسه من بين علماء وسط الطريق أو أن هؤلاء العلماء لا يقفون من المدارس المعاصرة فى علم النفس موقف المتفرج ، بل إنهم يقومون بمهمة التوفيق حينـــا ، وحينا آخر يقومون باختيار ما هو أحسن ، وأقرب إلى الصواب عند كل من هذه المدارس ، ليسيروا به قدما ، تاركين المدارس فى تنازعها وتضاربها . فعلى يدى علماء وسط الطريق يجب أن نتوقع من الكشف والاستقلال فى الموضوعات والمناهج على السواء أكثر مما نتوقع من المدارس .

* * *

وبعد فهذا رسم تخطيطى للـكتاب الفذ الذى اضطلع بمهمة ترجمته إلى العربية الأستاذ الشاب « كمال دسوقى » بما عرف عنه من حماس للعلم منقطع النظير . ولا يفوتنى هنا أن أشكر لصديقى الاستاذ هذا المجهود الجبار الذى بذله ، من يوم بدأ يترجم كتابه طالبا بالسنة النهائية من قسم الفلسفة بكلية الآداب . وتتجلى آثار هذا المجهود فى مقدمته التى يلخص فيها أهم التيارات التى تجاذبت علم النفس ، والتى يورد فيها ترجمة وافية دقيقة لمؤلف الـكتاب وثبتا لمؤلفاته ، كما يتجلى فى التعليقات المسهبة التى يعقب بها المترجم على كل فصل من فصول الـكتاب » وهذه ميزة لا نعرف أن المؤلف قد سبق إليها من قبل . وفى ثبت المراجع الذى ذيل به الـكتاب فضلا عن المراجع التى أوردها المؤلف ، كما تتجلى كذلك فى أمانة النقل ، ودقته ، مع ما فى أسلوب الـكتاب من التواء وغموض .

وختاما أرجو لعلم النفس على الخصوص ، وللفلسفة بوجه عام ، خيرا كثيرا على يدى المترجم وغيره من الشبان المشتغلين بهذه الدراسات فى مصر والشرق العربى ، عن طريق الترجمة والتأليف على السواء .

المنصورة

مصطفى أحمد فوده
ليسانسيه فى الفلسفة
ومدرس بالمدارس الأميرية بالمنصورة

أن استشعرت الوحشة فى هذه الحياة الرتيبة ، وحننت إلى دنيا اللهو والمرح . وخشيت أن يفلت الزمام منى فمفقدت العزم على الاندماج فى الأسرة لو أد هذا الحنين . وقد شجعنى ما لمسته فى الزوجين من طيبة ونبل على المضى فى قرارى قدر الامكان .

وشرعنا ننتظم كل مساء فى جلسة هادئة لنتحدث فى شتى شئون الحياة . وكنت أنصرف إلى الزوجين أثناء تلك الجلسات غير معنى بتوجيه الحديث الى فلورا . وأحسب أننى لست ملوما على ذلك السلوك ، فقد كانت هى عوناً لى على تجاهلها بما كانت تبديه من جمود أقرب إلى النفور . وكان يحدث لى أحياناً أن ألتفت نحوها عفواً فأراها معلقة الأنظار بوجهى وهى سارحة الفكر ، وتلتقى عيناى بعينيها وسرعان ما تغض طرفها فى ارتباك وتعلو وجنتيها حمرة خفيفة .

وضقت بجمودها ذرعاً فسألت والديها عما يدعوها إلى النفور منى ، فأكدا لى أنها شديدة الخجل وأنها فى حاجة إلى مدة كافية ريثما تألف صحبتى . فحفزنى هذا الكلام على انتهاج خطة جديدة للتقرب إليها ، وبدأت أوليها نصيباً كبيراً من عنايتى . وسرعان ما أخذت فلورا تتحرر من جمودها شيئاً فشيئاً وإن لم يزايلها خجلها الشديد .

« إن فلورا طفلة عجيبة » . تلك هى الفكرة التى نبتت فى أعماق وتسربت إلى جوارحى رويداً رويداً حتى تشبع بها كيانى . إنها عجيبة بوجهها البرىء وخجلها الساذج وسلوكها المثير . وكلما ازددت بها معرفة اشتدت محبتى لها . شىء معين فيها كان يضرم حبى . أهى تلك النظرة الوادعة التى تطل من عينيها دوماً ؟! أم تلك الحمرة الوردية التى تصبغ وجنتيها أبداً بصبغة الحياء ؟! أم تلك الملامح المذبة التى تعبر أدق التعبير عن طهارة الطفولة وجمالها السامى ؟! لا أدرى بالضبط ، ولعل تلك الأسباب مجتمعة كانت تحببها إلى . وحمدت الله حين بدا لى أن نفورها القديم منى قد اختفى تماماً . وعجبت كيف ألفت صحبتى بتلك السرعة المدهشة حين غمرتها باهتمامى . وأصبح من الواضح أنها تحمل لى بين جنبيها مودة عميقة . لكن هدوءها المتناهى وخجلها الشديد كانا يطبعان حركاتها بطابع التزمت . ولعل الشىء الوحيد الذى كان يعلن عن تلك المحبة هو عيناها ... عيناها المنطويتان على بحر جياش بالعواطف المضطرمة . ومع أنها كانت تحب أن تجلس إلى دوماً ، إلا أنها لم تكن تقتحم على غرفتى أبداً ، بل كانت تنتظر فى لهفة أن أسألها ذلك بنفسى . واعتدت بدورى أن أستدعيها إلى غرفتى عصر كل يوم حين تعود من المدرسة ، لتقص على ما مر بها من حوادث النهار . وقد يصادف أن يضيق وقتى عن الاستماع إليها بعض الأحيان ، فأضطر إلى القراءة والتظاهر بالاستماع ، فكانت تكف عن الكلام وتركن إلى الصمت رغم احتجاجى . وتتجمع على نفسها فى مقعدها ، ويصبح كل وجهها عينين .. عينين حنونتين تتعلقان بوجهى فى شرود ! لكنها رغم كل شىء كانت تحرص على قضاء العصر معى ، فتتعمد المرور أمام باب غرفتى — ساعة رجوعها إلى المدرسة — وتخاطب أمها بصوت عال ليبلغ مسامعى ، حتى أدعوها إلى .

والواقع أننى لم أستشعر الضيق من إقبالها على صحبتى بهذا الحماس العظيم ، بل كنت أشجعها على ذلك غاية التشجيع ، حتى أننى قبلت حين سألتنى ذات يوم فى إلحاح أن أدرسها اللغة العربية فى فرصى السانحة . فقد كنت آمل أن تصرفنى صحبتها عن الصديقات اللاهيات . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كنت أحس نحوها بحب صادق ومودة عميقة ، وحملنى ذلك على ملازمتها دوماً ، بل دفعنى إلى استصحابها فى نزهاتى خارج الدار ، حتى صار من المألوف أن تكون فلورا برفقتى كلما رغبت فى نزهة أو قصدت إلى سينما . وكم كانت تحس بالغبطة والسرور لتلك النزهات ، فكأن شعلة سحرية من السعادة تتوهج فى أعماقها فيفيض وجهها بشراً وهناءة ! غير أننى فى الحقيقة لم أكن دائم الرضى عن هذه الحياة ، بل كانت تتملكنى أحياناً مشاعر أسى ويرمضنى حنين ملح إلى حياتى اللاهية . لكننى كنت أسارع إلى الافلات من شراك تلك المشاعر فيعاودنى الاطمئنان وهدوء البال .

وذات أمسية كنت أتنزه مع فلورا فى شارع فاروق المحاذى للنيل فالتقيت بصديقى حمدى ، وكنت لم أره من مدة بعيدة ، فهتف فى دهشة ممزوجة بالفرح : ماذا جرى لك يا سامى ؟! لم يعد بوسع أحد أن يراك .

فأجبته معتذراً : إنها ظروف الحياة لعنها الله .. حقا إننى

مشتاق لرؤيتك .

فصاح مازحاً وهو يرمى فلورا بنظرة استغراب : لعلك مشغول بهذه الطفلة .. ولكننى لا أرتضى لك هذا المصير الأليم بعد مغامراتك الرائعة مع الغيد الحسان .

وربت على كتفى مداعباً وانصرف مع رفاقه ضاحكاً . وتابعت التنزه مع فلورا وعباراته الساخرة تموج فى أعماقى .. لعلك مشغول بهذه الطفلة .. لعلك مشغول بهذه الطفلة .. أنا مشغول بهذه الطفلة .. كل وقتى وقف على هذه الطفلة .. لم أعد أعرف معنى المرأة الناضجة . فلورا تسرق شبابى . فلورا تسرق شبابى .. فلورا تسرق شبابى ..!

مرت أيام وأنا مرهق الذهن بتلك الأفكار الثائرة . وعادت صور الماضى المغرية تراود مخيلتى فى إلحاح . وضجت أعماقى بالسخرية المرة .. ما أتفه عقلى وأسخف سلوكى ! كيف بددت وقتى طيلة هذه الأسابيع برفقة طفلة صغيرة نابذاً الفتيات الناضجات اللواتى يقدمن لى كل ما تتوق إليه نفسى ؟!

ثم تحطمت القيود التى كبلت بها رغباتى منذ أن هبطت على دار الأسرة الفرنسية، وجددت الصلة بنفر من صديقاتى القديمات وتبعاً لذلك تغير منهج حياتى . لم يتبق لى هناك وقت للانضمام إلى أفراد الأسرة فى جلستهم اليومية بعد العشاء . ولم يعد بإمكانى أيضاً أن أرى فلورا عصراً، إذ طفقت أغادر الدار قبل أن تؤوب من المدرسة. وبدأت أحاول أن أقتصد في الوقت الذى أقضيه فى المنزل فأقصره على القراءة والدرس . واقتضانى ذلك أن أتجنب الاجتماع بفلورا جهد إمكانى .

لم يعبأ الزوجان بالانقلاب الذى طرأ على حياتى كثيراً ، أما فلورا فانقلبت حياتها تبعاً لانقلابى . وطبيعى أننى لم أعد أراها كثيراً فى عهدى الجديد لأعرف الشىء الكثير عن حياتها ، لكننى أستطيع أن أعلن ذلك الحكم وأنا مطمئن إلى حقيقته . فقد أدركت كل شىء من عينيها .. ذلك الكتاب المفتوح الذى كانت صحائفه تعكس صدى عواطفها فى صراحة وصدق . تعكر البحر الصافى العميق الأغوار بنظرة حزينة ، وامتزجت العذوبة الفياضة فى الوجه البرىء بمسحة كدرة . كان يكفى أى شخص أن يلقى عليها نظرة عابرة ليوقن أنها طفلة معذبة . وأحسب أن عواطفى قد تحجرت تلك الآونة فلم يثرنى عذابها كثيراً . أو لعل اندفاعى فى تيار اللهو كان يستغرق كل اهتمامى . فلورا .. تلك الطفلة المعذبة .. أية قسوة كان ينطوى عليها قلبى لأندفع فى إيلام مشاعرها دون أدنى اكتراث ؟! كان لا بد لها أن ترانى وإن لم أعد أدعوها. وبدأت تتسلل إلى غرفتى فى خطوات مضطربة وتقف أمامى وهى خافضة النظر . وأرفع رأسى وأنظر إليها فى شىء من الضيق ، فتبادرنى قائلة بلسان متلعثم : ألا يمكننى أن أحدثك عن المدرسة قليلا ؟ !

فأرد عليها فى لهجة مبرمة : من فضلك يا فلورا .. فى وقت آخر .

فيتعكر صفاء وجهها بتقطيبة اكتئاب وتلتوى شفتاها ، ثم تنسحب بهدوء وفى عينيها نظرة كبيرة . أما الدرس العربى فقد باعدت بين مواعيده حتى أصبح فى حكم المنعدم . لكننى لم أكن دائم القسوة معها ، بل كنت أجيبها إلى سؤالها أحياناً ، فأصحبها فى نزهة أو إلى السينما ، وأن اعتذرت عن طلبها فى غالب الأحيان وحملتها من عذاب الخجل مالا تستطيع حمله .

وذات أمسية غادرنا دار السينما بعد مشاهدة فلم غرامى ، وسلكنا شارع سليمان باشا عائدين إلى المنزل . وكانت فلورا تسير إلى جانبى والسرور ينير وجهها ، وهى صامتة تائهة كأنها تحت سلطان قوة خفية ! وفجأة التفتت إلى فى تردد وسألتنى بصوت راعش والدم يندفع إلى وجهها لاهباً : ماذا يعنى وقوع المرأة فى غرام الرجل يا سامى ؟

فنظرت إليها دهشاً ، ثم أدركت على الفور أن عنف العواطف فى « الفلم » قد أثار فضولها . فقلت بلهجة متلطفة : لا تتعجلى الأمور يا عزيزتى فلورا .. هذه عاطفة يصعب على الصغار فهمها ، وستدركين معناها — عندما تكبرين — من تلقاء نفسك .

فقاطعتنى بلهجة احتجاج: ولكننى أستطيع فهمها الآن فأنا فتاة كبيرة. أنت لا تعرف عمرى الحقيقى .. إن لى خمسة عشر عاما .

فأجبتها مازحاً: حقا ؟! لقد كنت أعتقد أنك فى الثالثة عشرة من عمرك . انت تبدين أصغر من سنك كثيراً ..!

فصاحت فرحة : هذا صحيح .. إننى أبدو أصغر من سنى كثيراً ، وفى وسعى أن أفهم كما تفهم الفتيات الكبيرات .

فقلت لها فى لهجة جدية : إسمعى يا فلورا دعى السؤال عن

مثل هذه الأمور حتى تكبرى ، فأنت الآن طفلة صغيرة لا يصح أن تلقى هذه الأسئلة على الآخرين .

وما كدت أفرغ من قولى حتى سمعت صوتاً يهتف فى حرارة: «هالو سامى! » . والتفت ، وإذا بى أمام صديقتى «سوسو» التى كنت قد أخلفت موعدى معها قبل أيام ، وراحت «سوسو» تفهن فى عتابى متهمة إياى بتفضيـل صديقاتى الأخريات بينما انطلقت فلورا ترقبها فى غيظ واشمئزاز. واستطعت أن أتخلص من عتابها أخيراً بالاتفاق على موعد آخر ، فانصرفت وهى تحذرنى من إخلاف الموعد مرة أخرى . وتابعت السير مع فلورا فى صمت ، وعبثا حاولت وصل الحديث بيننا ، إذ تمسكت فلورا بصمتها وقد ارتسم على وجهها شتيت من عواطف الخيبة والمرارة والغيظ .

* * *

تغير سلوك فلورا تجاهى منذ تلك الليلة تغيرا عجيبا ولم تعد تحتفظ لى بعودتها القديمة . فقد صادف فى اليوم التالى أن كان ميعاد درسها العربى ، فاستدعيتها إلى غرفتى لتستمع إلى الدرس. ولشد ما دهشت حين قرأت على صفحة وجهها دلائل قسوة وعنف ولمحت فى عينيها نظرة صارمة يمتزج فيها الغضب بالنفور بالأسى. وانتصبت أمامى شامخة الأنف مقطبة الوجه ، فنظرت إليها متعجباً وقلت باستغراب : اجلسى يا فلورا ... ألست مستعدة لدرسك العربى ؟!

فأجابتنى بلهجة جامدة : كلا ..

فسألتها فى دهشة : لماذا يا فلورا ؟! يجب أن أعرف فالأمر يهمنى

فانفجرت صائحة فى غضب : انت تخدعنى فالأمر لا يهمك إننى لم أعد أحب هذه اللغة . . لا أحبها . لا أحبها . . ولن أستمع إلى درس عربى آخر .

وروعتنى ثورتها فلبثت أرقبها صامتاً مشدوهاً . وقبل أن أستفيق من ذهولى هرعت إلى غرفتها وأوصدت وراءها الباب. وقصدت إليها من فورى واستويت إزاء الباب بعد أن نقرت عليه فى رفق . هى ... هى ... ماذا ؟! أفتبكين يا فلورا ؟! إساد الصمت برهة ، ثم تناهى إلى سمعى صوت مرتعش يهمس: «أرجوك ... اذهب» فقفلت راجعاً إلى غرفتى تتنازعنى مشاعر الألم والاشفاق .

انطوت فلورا على نفسها ، وباتت تحتجب عن عينى دوماً . ولم أعد أراها إلا على مائدة العشاء وهى مقبلة على طعامها موردة الخدين خافضة النظر . وحين تلتقى أنظارنا عرضاً يحمر وجهها وتلتمع عيناها ويزوغ بصرها عن وجهى فى قلق وارتباك . وأيقنت أنها عادت إلى نفورها القديم منى ، فقد أصبحت كل حركة من حركاتها وكل لفتة من لفتاتها تعبر عن هـذا النفور ، ولـكن عينيهـا ظلتا مشحونتين بأسى عميق ووجهها مغلفاً بكآبة قاسية .

ومضت الأيام وأنا مشغول بصديقاتى اللاهيات غير عابئ بأمر فلورا . وظلت هى تحرص على الابتعاد عنى فتؤازرنى فى إهمالها، إلى أن حل ذلك المساء. ورجعت إلى المنزل على غير ميعادى، وما كدت أفتح باب غرفتى حتى ألفيتنى وجهاً لوجه أمام فلورا.! ألم يحدث لك أن فاجأت لصاً يهم بمغادرة المكان بعد أن سرق أعز محتوياته ؟! تلك هى حالتها بالضبط حينما باغتها بدخولى . تقلصت ملامحها واكفهر وجهها واشتملت عواطف الخوف والحيرة والخجل فى عينيها القلقتين. ماذا بك يا فلورا ؟! ما الذى يروعك؟! خطوت نحوها فى بشاشة فاندفعت صوب الباب بلهفة طائر سجين فُتح له القفص سهواً ... كلا ، لن أدعك تخرجين . وقبضت على ذراعها وأنا أقول فى لطف : مرحباً بك يا فلورا ... لماذا تسرعين ؟!

فانطلقت تناضـــل لتخليص ذراعها من قبضتى وهى تردد بصوت مخنوق : دعنى أذهب ... أرجوك ، دعنى أذهب .

لـكننى أجلستها على أحد المقاعد عنوة وأنا أقول فى رقة : مهلا يا عزيزتى فلورا ... لا داعى للعجلة..

فصاحت فى لهجة غاضبة وهى تتململ فى مقعدها : أنا لست عزيزتك ... دعنى أذهب .

فواصلت كلامى ضاحكاً : لا تثورى يا فلورا ، فأنا أعلم أنك غاضبة عليّ . والآن أنبئينى ؛ أجئت لتزورينى أم لتستردى كراسة اللغة العربية ؟!

فرمقتنى لحظة بنظرات متأملة ، ثم غمغمت بلهجة متعثرة : أعطنى دفتر اللغة العربية .

فاتجهت إلى المكتب صامتاً ومضيت أقلب الكتب والدفاتر وهي ترمقني بنظراتها المبهمة . وحين قدمت إليها الكراسة حدقت في وجهي ملياً ثم قفزت على قدميها ثائرة وانهالت على الكراسة تمزقها بأسنانها وهي تصرخ في لهجة معذبة : إنني أكرهك ... أكرهك ... أكرهك .

وألقت القصاصات على الأرض في عنف ومرقت من الباب ! وتهافت على المقعد مذهولا وصراخها يدوي في أذني ... تكرهني ؟! لماذا ؟! وأي دافع ساقها إلى غرفتي إذن ؟ ! ولماذا امتلكها الفزع ساعة رؤيتي ؟ !

وبدأ ســــلوكها الغريب يثير في رأسي عشرات الأسئلة ، وطفقت أحسب له ألف حساب . والظاهر أنني إنسان من طراز خاص يشذ عن الانسان العادي. فمع أنني أفلحت في التخلص من صحبتها ، ومع أنها غابت عن أفق حياتي ، كما شاءت رغبتي ، إلا أنني بدأت أحس إثر تلك الليلة بالضيق والحنق من تصرفاتها الغريبة . واكتسبت حاسة جديدة لنقد سلوكها تجاهي . لماذا تهرب من لقائي؟! ولماذا تحاول أن تنأى عني ؟! أتكرهني حقاً كما أعلنت ذلك ؟ يالها من طفلة مزعجة . كأن المرء لا عمل له في الحياة سوى العناية بها ، فان لم يفعل، فعليه أن يتلقى كراهيتها. طفلة شاذة تثير الأعصاب بتصرفاتها السخيفة . إذا التقيت بها في ردهة المنزل فرت من أمامي كما يفر الحمل من الذئب . وإن جلست إلى والديها اعتكفت في غرفتها ولم تبارحها إلا بعد أن أخلي المكان . لماذا ؟! أانقلبت وحشاً مفترساً ؟! أين تلك المودة التي كانت تغمرني بها ؟! إن الحياة لا تطاق في هذا المسكن .. لا تطاق. ماالذي يشدني إليه ؟! أخلت القاهرة من منازل مريحة؟! يجب إن أتركه . يجب أن أغادره إلى نزل آخر .

انتهيت إلى ذلك القرار أخيراً لكنني لم أدرك دوافعه الحقيقية حتى الآن . لماذا ضايقني ابتعاد فلورا عني مع أنني كنت راغباً فيه ؟! وماذا يضيرني أن تحتجب عن عيني طفلة لا شأن لي معها؟! بل لماذا دفعني ذلك إلى اعتزام الخروج مع أنني سعيت لابعادها بنفسي ؟ ! لا أدري بالضبط ـ والذي حدث بعد ذلك أن رغبتي تحققت عقب أيام قليلة ، فتركت المسكن ، ولكن لا إلى مسكن آخر ، بل إلى إحدى المستشفيات الخاصة حيث سقطت صريع المرض .

***

انقضت بضعة أيام في المستشفى لا أكاد أصحو حتى أفقد وعيي وكنت أرى ـ كلما فتحت عيني ـ فلورا وأبويها إلى جانب سريري. وفي خلال أيام اشتداد المرض مررت بفترة قاتمة لا أكاد أتذكر منها سوى أخيلة باهتة يغلفها ضباب كثيف . ومن بين ذلك الضباب المتكاثف يبرز وجه فلورا قوياً واضحاً بلون شاحب وعينين قلقتين وقسمات تتفجر غماً وأسى ولا أذكر متى حدث ذلك وفي أية ساعة من النهار أو الليل ، ولكن الذي أتذكره أنني صحوت على صوت بكاء عنيف ، وفتحت عيني في صعوبة فطالعتني صور أشخاص ملتفين حول سريري. لم أستطع بادىء الأمر أن أميز أحداً منهم ، إذ بدوا أمام عيني كالأطياف . ثم تركزت ملامحهم شيئاً فشيئاً حتى تبينت فيهم الطبيب وفلورا وأبويها. لكن عيني تعلقتا بوجه واحد من وجوههم هو وجه فلورا . كانت الدموع تنحدر على خديها في غزارة وصوت نحيبها يثير في القلب أعمق الشجن . وهالني أن أراها شعلة ملتهبة من الحزن والألم ، فابتسمت لها . وحينئذ حدث مالا يمكن أن يبرح ذاكرتي مدى الحياة . انطلقت تضحك في فرح جنوني وهي تحدق في وجهي كالمخبولة والدموع تنهمر من عينيها مدراراً . وتناهى إلى صياحها كأنه آت من بعيد وهي تهتف بصوت متهدج : « إنه لن يموت ... لن يموت ... ألم ترونه كيف فتح عينيه وابتسم ؟! لن يأخـــذه الله ... إنه ليس شريراً ... سيشفى بعد أيام قليلة وسأراه كل يوم ... أليس كذلك ياماما ؟! لن يموت ياربي ... لن يموت » . ثم ابتعد الصــوت المتحشرج عن مسامعي وبهتت صورة وجه فلورا الماثلة أمامي حتى لم أعد أتبين أو أسمع شيئاً .

وتلك هي الذكرى الوحيدة التي ظلت واضحة في خيالي أيام الغيبوبة . ثم انقضت تلك الأيام وبدأت أثوب إلى رشدي ، وما كان أسعدني بالنجاة حينما أنبأني الطبيب أنه يئس من حياتي حتى حملة ذلك اليأس على مصارحة الأسرة الفرنسية بنهايتي الحتمية . وأنه سعيد جداً إذ خاب ظنه أخيراً .

وانتظرت فى لهفة زيارة فلورا وأبويها ، فطال انتظارى حتى استبد بي القلق. فرجوت الممرضة سميرة - التى تشرف على تمريضي - أن تقوم باستجلاء الأمر . ولشد ماذهلت حين أعلنت لى فى اليوم التالى أنهم اعتذروا عن زيارتى بكثرة المشاغل! واستولى على شعور بالاستياء . والقلق ولبثت أياماً عدة أتوقع زيارتهم فى شوق متدفق وأنا ألقى على نفسي عشرات الأسئلة الحائرة دون أن أبتكر لأحدها جواباً معقولا . ثم أخذ اكتراثي للأمر يتضاءل يوماً عن يوم إثر العلاقة الغرامية التى نشأت بيني وبين سميرة واستغرقت كل اهتمامى .

مرت الأيام بطاء كسالى وانزاحت عني سمات المرض تجاه بشائر الصحة . وكنت قد عقدت النية على مبارحة المستشفى فى صباح اليوم التالى حين أقبل على رسول من صاحب المنزل ينبئنى برحيل الأسرة الفرنسية إلى فرنسا ويطلب إلى اخلاء الدار من متاعى . وللمرة الثانية اجتاحني الذهول والاستغراب ، وانطلقت أسائل نفسى عن سبب هذا التصرف فى حيرة وغضب .

وفى صباح اليوم التالى قصدت المنزل لأنقل متاعى إلى أحد الفنادق ريثما أعثر على مسكن آخر . صعدت إلى الدار بصحبة البواب ليساعدنى فى حزم الحقائب . وما كدت أجتاز الباب حتى هاجمتني وحشـــة قاتمة وطفت على مشاعرى أحاسيس تفيض بالشـوق والأسى . دخلت غرفتى وأنا أجيل النظر حولى حزيناً آسفاً . وبينما انصرف البواب إلى ترتيب كتبي وملابسى فى الحقائب وقفت مشلول الحركة استعرض مشاهد حياتى منذ أن دخلت الدار حتى غادرتها إلى المستشفى . وفجأة وجدتنى ألتفت إلى البواب وأسأله بلهجة مرة: لماذا رحلوا ياعبده؟!

فتوقف البواب عن العمل ، ونظر إلى فى حزن وأجابنى بلهجة كئيبة : أفلا تعلم يا أستاذ سامى ؟ ! لقد ماتت فلورا فكره أبواها المعيشة من بعدها فى مصر ... ماتت ميتة اليمة تحت عجلات « المترو » بينما كانت تستقله صباح أحد الأيام إلى المدرسة .

وصمت لحظة ثم أردف يقول بلهجة ارتياب : لقد سمعت من البعض أنها انتحرت من أجل شاب أصيب بمرض خطير أفقد الأطباء كل أمل فى انقاذ حياته وأنها لم تسقط من العربة قضاء وقدرا ... ولكنها مجرد إشاعة كاذبة ولا شك .

وأصبت بذهول أدنى إلى التحجر وأنا استمع إلى البواب ، وتبلد ذهنى حتى تعذر على أن أتابع ما يقوله . وطفقت أهمس فى لهجة تائهة : فلورا ماتت .. فلورا ماتت .. فلورا ماتت ...!

ثم لاحت منى التفاتة إلى زاوية الغرفة فلمحت الهدايا التى كنت قد قدمتها إليها فى شتى المناسبات . اقتربت منها بخطى ذاهلة ، وجعلت أقلبها بين يدى وخيال فلورا ماثل أمامى وسمعى يتجاوب بتلك العبارة التائهة . واصطدمت يدى بصورة فوتوغرافية صغيرة ، فنظرت إليها فى إهمال ، وإذا بى أمام صورتى لى كنت قد فقدتها من أمد بعيد ... !

وداهمنى خور غريب وأنا أحدق فى الصورة مشدوها ، ومرى ضعف شديد فى ساقى فلم يعد بوسعهما حملى ، واحتبس الهواء فى صدرى حتى شعرت بالاختناق . وفجأة تهافت على الأرض وعيناى تمتلان بالدموع !

القاهرة شاكر خصباك

ســـــكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

النشر في محطات ومطبوعات المصلحة

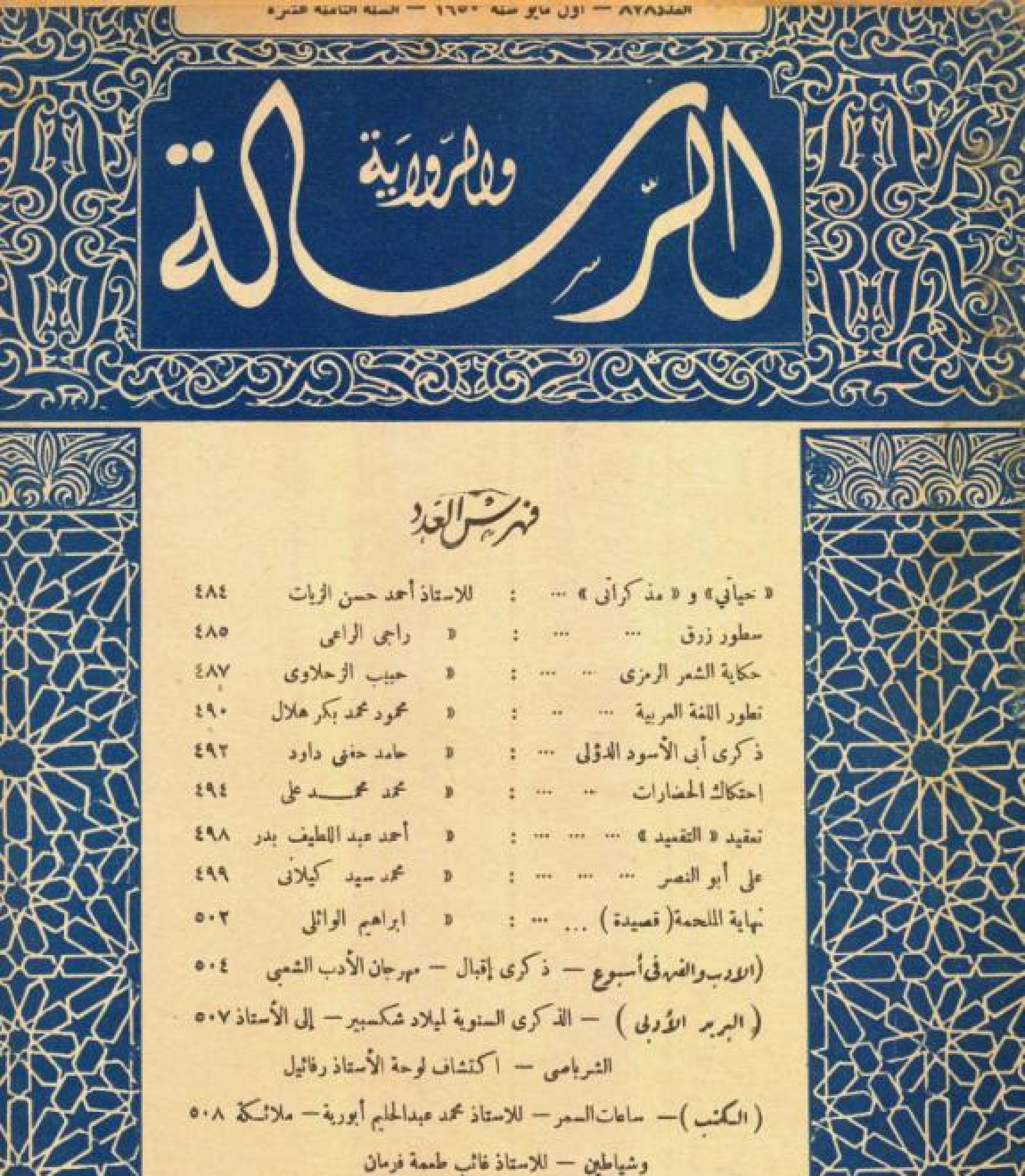
لقد نجحت المصلحة فى ابتكار أحدث الوسائل وانتقاء أبرز الأماكن المعدة للنشر فأولت اهتماما خاصا بمحطاتها فنسقتها وغرست حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حدا إلى إقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الاعلان فيها بأسعار غاية فى الاعتدال .

هذا فضلا عن المطبوعات والنشرات المختلفة التى تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل وخارج القطر ولا يخفى أن الاعلان فى تلك المطبوعات لايقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته

ولزيادة الاستعلام خابروا — قسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

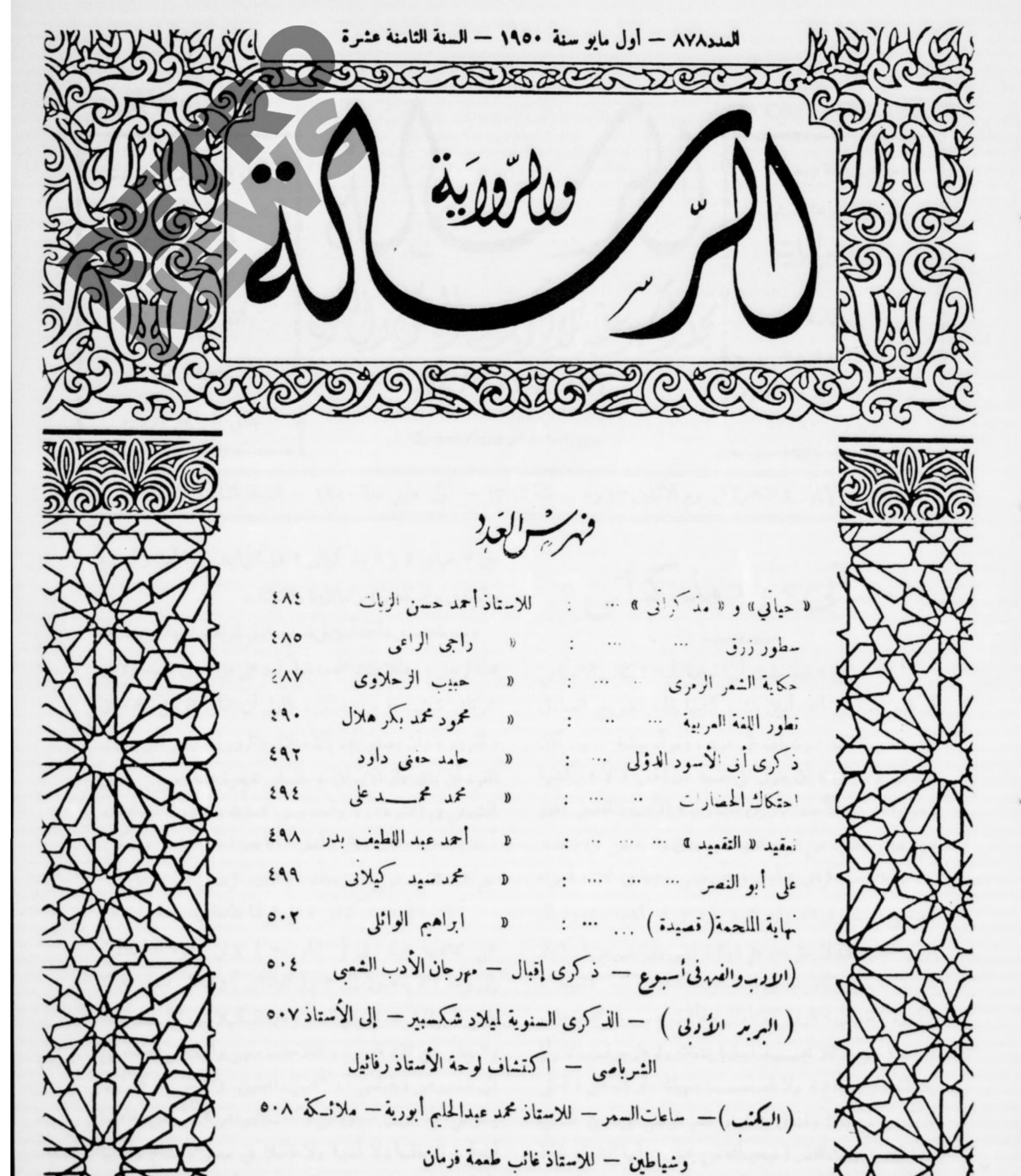
العدد ٨٧٨ — أول مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٨٧٨ — أول مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



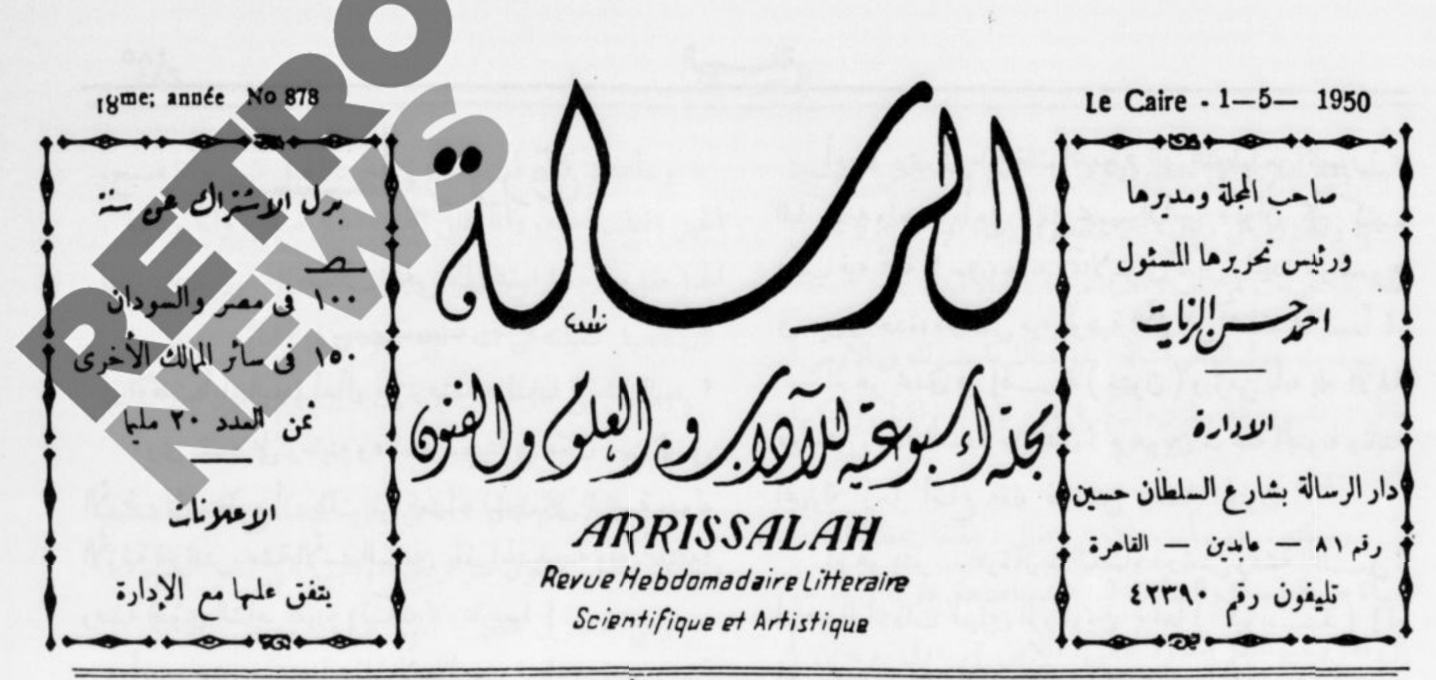
فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



18me; année No 878

Le Caire - 1—5— 1950



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٨ « القاهرة في يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٣٦٩ — أول مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

« حياتي » و « مذكراتي »

أما « حياتي » فقد علمت أنها ترجمة لحياة الكاتب الاجتماعي الكبير الدكتور أحمد أمين بك، كتبها بقلمه الصريح الصادق فجاءت صورة لقلبه، وشهادة على غيبه، ومرآة لبيئته. وما كان لكاتب « حياتي » أن يقول على نفسه غير الحق، لأنه كتبها وهو واحد من الآحاد البارزين الممتازين في الأدب والفضل؛ فهو غني بجمال حاضره عن تمويه ماضيه، وبصدق واقعه عن تزوير حقه

وأما « مذكراتي » أو مزوراتي فهي ترجمة في ثلاثة أجزاء للصحفي السوري المعروف محمد كرد علي؛ كتبها حين رد إلى ارذل العمر وعاد لا يعلم بعد علم شيئا؛ فهي رواسب من أكدار السنين التسعين تقاطرت على قلبه سوداء كالحقد، نتنة كالغيبة، كدرة كالغضب، فارغة كالاخفاق، فألفت هذه الصفحات المئات، تقرأها فلا تجد أسلوبا يمتعك ولو بالزخرف، ولا رأيا يقنعك ولو بالخداع، ولا قصصا يلهيك ولو بالباطل، فتلقى الكتاب من يدك وتسأل: لماذا نشر الرجل على أعين الناس هذا الغسيل الرث القذر؟ فيجيبك من يجيب: إنها الشيخوخة!

ذكرت « الأيام » حين قرأت « حياتي »، لأن بين الكتابين جهتين جامعتين: هما الاتحاد في صدق الموضوع، والتضايف في جمال العرض وذكرت كتاب كرد علي حين قرأت كتاب أحمد أمين، لأن بين الكتابين جهة جامعة ثالثة هي التضاد. فالترابط بين « حياتي » و « مذكراتي » هو الترابط بين الحياة والموت، والصدق والكذب، والطلاوة والغثاثة.

وجد طه حسين وأحمد أمين في نفسيهما وفي تاريخيهما رجلا ومجدا، فحلا هذا الرجل، وعليا ذلك المجد؛ أما كرد علي فلم يجد في نفسه ولا في تاريخه شيئا من هذين، فحاول أن يخلق الرجل بالدعوى والغرور، وأن يصنع المجد بالاختلاق والزور. ومن قبل حاول القرد أن يقلد علو الانسان، فتسلق شجرة غيناء من شجر المشمش في (الغوطة)، وأخذ يرمي السابلة بالنوى؛ فان التفت أحد إليه نب وشب وقال: أنظر! أنا هنا! أنا فوق! ولكن حركات القرد تلهي وتضحك، وكلمات كرد على تغثي وتعل!

كل ما في « مذكراتي » على طولها تفاهة وسفاهة وادعاء. فمن تفاهتها قوله في (الحورعة) وهي دعوة الحصادين إلى وليمة: « يذهبون إلى حمام (القيشاني) وهناك كنت أفرك ظهور أجرائنا ... » وقوله: « وكان الكهلات والشابات والعجائز من تلك النسوة، الفلاحات منهن والبلديات، يضممنني إلى صدورهن ويقبلنني، وأضمهن وأقبلهن. وأحسن ما كان يشوقني الجلوس في حجورهن والعبث بنهودهن »[1] ومن سفاهتها أنه لم يترك عالما ولا أديبا ولا فاضلا في مصر والشام وتركيا إلا أخذه بلسانه، وتناوله بهتانه. وكان من نصيبي أنه شتمني ونزني بالفلاحة والتجارة والعقوق، لأني لم أنوه بفضله في مقالة، ولم أبادل مجمع دمشق بالرسالة. ومن ادعائها أن يزعم أنه قطب الرحا في

(١) الجزء الأول ص ١٣، ١٤

سطور زرق

للاستاذ راجى الراعى

وقفت أمام البحر أسأل عن رعشته.. لماذا يرتمش البحر؟

أيرى نفسه على رحابته وعظمته سجيناً فى مكان رسم له فى الأرض لا يستطيع أن يفلت من قضبانه ليهجم على اليابسة عدوته الأزلية فيرتمش رعشة الأسد السجين يقف الحديد بينه وبين أطماعه؛ رعشة القوى الشاعر بقوته ولكنه لا يمارسها؟

أم هو يرى جريمته فى بقايا الأبطال من غرقاه فيرتمش رعشة الخاطىء الذى حالف الموت فأعطاه مكانا باقى فيه بعض الخلائق التى حصدتها مناجله وضاقت بها الأضرحة؟

أم هو يضن بدرره المستقرة فى قلبه ويخشى عليها من حيتانه فيرتمش رعشة الغنى أمام الأيدى الجريئة التى تمتد حول خزائنه؟

أم هو يرى يومه الأخير الذى يسدل فيه على روايته ستارها الأزرق ويعود إلى اليابسة فيرتمش رعشة الحى المتشبث بيومه الخائف من غده؟ لماذا يرتمش البحر؟

أهو شاعر عبقرى روحانى نورانى خاق ليعيش فى عالمه بين أفكاره وأحلامه وعواطفه بعيداً عن الانسان والانسانية قريباً من نفسه ومن خالقه، وليكون جزيرة بارزة مستقلة عن أبناء التراب فى بحر الوجود، يرى نفسه ملكاً لسواه، وساحة عامة يطأها العابرون، وصدراً مفتوح الرئتين، القلب والضلوع تشقه السفن والدارعات والطرادات والنسافات على مختلف أسمائها وألوانها، وتنفث فيه دخانها وتصيح صيحاتها وتلقى مراسيها فيرتمش رعشة العبقرية التى أقامت لنفسها الهيا كل العاجية فاستبيح حماها واسود عاجها، رعشة الشاعرية التى سدلت الستار على آلهتها فرقتها الأيدى القاسية الأثيمة؟

أم هو يرى فى مائه تلك الدموع التى التقطها من العيون الباكية، وأنه من أجل ذلك يجسم اليأس، وأن كل كئيب يصب فيه ثمالة كأسه، وأنه الثمالات فى كأس واحدة، والدموع فى عين واحدة، فيرتمش فيه ألوهية الألم التى اتخذته لها معبداً؟

أم هو يحدق فى إلهه (نبتون) ويؤمن بأنه إله الآلهة فيرتمش رعشة العبادة والايمان؟ أم هو بين موجته المجنونة وغايته المجهولة رجل أضاع عقله فارتمش رعشة المجنون؟

أم هو يشرب خمرة الزبد البيضاء فيرتمش رعشة الثمل؟

أم هو المرأة ذات العينين الزرقاوين يراها (كيوبيد) إله الحب منتهى حبه وإطار خياله، ويمسح بثوبها الأزرق دم كل سهم من سهامه التى رمى بها العشاق فترتمش الرعشة الكبرى، رعشة الرعشات؟

لا أدرى لماذا يرتمش البحر ولا هو يدرى. هو البحر ومع ذلك لا يعرف نفسه، ولعله لا يعرفها لأنه البحر..

وأرهفت أذنى للموجة الزرقاء فسمعت أصواتاً تقول لى: أنظر كيف تشق عبابى السفينة، ويلعب باحشائى الغواص، وكن مثلى رحب الصدر صبورا - صارع صخورك كموجانى وكن وثاباً، وإذا استرحت فلتسكن راحتك تأهباً لوثبة الغد - أنا مع عظمتى أسير تقيده الشواطىء فاذكر دائماً أنك مهما علوت وشمخت وحملت الصوالجة وركبت العروش لا تستطيع أن تكون حراً؛ وأن الحياة جهاد للتملص من ربقة الشاطىء الذى يقف فى طريق النفس الهائجة فيمنعها من أن تتجلى بكل ما فيها من أنوار ونيران لتحقق أحلامها وتسكب خمورها - أنا وادع ثائر عاقل مجنون، فكن مثلى حكيما وفرق بين سيفك ونداك..

وسمعت صوتاً صارخاً يقول: أيها المشرف على عالمنا المتفرس فى حياتنا البحرية، أنظر إلى أنا السمكة الصغيرة تبتلعنى السمكة الكبيرة لأنها القوة ولأنى الضعف! وإليك أشكوها أيها الانسان؛ فهل لك أن تحول بطشها عنى وتضع فى قلبها شيئا من الرحمة والحنان؟ فقلت لها: أيتها المستجيرة بى، بنا على الشاطىء مابك فى الماء، نحن أسماك الأرض يأكل كبيرنا صغيرنا، ويقتل قوينا ضعيفنا فسيف القوة مصلت فى البر والبحر؛ وكأن الأقوياء فيهما يؤلفون عصبة واحدة ويتنادون؛ فكلما ربح الظلم فريسة فى بطن

السياسة؛ فتركيا تستشيره وتعرض عليه المجد، وفرنسا تستنصره وتلوح له بالذهب؛ ولكن كرد على الزاهد العابد يرد على تركيا الشرف والإمارة، ويرفض من فرنسا المال والوزارة!! لا أدرى لماذا خطر ببالى الساعة ابن زيدون وابن عبدوس والرسالة الهزلية؟!

احمد حسن الزيات

الماء ربح أخرى على سطح الأرض . الظلم يا سمكتي الصغيرة قديم، والظلم في كل مكان. فلا تستجيري بأبناء الأرض، ولا تحسبي انك إذا خرجت من الماء أفلت من قبضة الأقوياء ..

ودرت حول البحر أسأله : هل هناك ما يشبهك في الأرض؟ فقال : تشبهني الصحاري ولكنها بحور جامدة، والليالي ولكنها بحور سود ..

وسألته : كيف أنت والأفق ؟ فقال : شقيقان لفظتنا احشاء امرأة هي الطبيعة؛ والصلات التي تجمعنا عديدة. فلوننا واحد هو الزرقة، وجيوشنا لا تمد ولا تحصى؛ فللأفق نجومه ولي موجاتي ؛ وكلانا رمز العظمة واللانهاية؛ ولكل منا وجهه الغضوب. فللأفق صاعقته التي يبطش بها أنفه ، ولي بركاني الثائر، وفي قلبينا تستقر الدرر ..

وسألته : كيف أنت والصياد ؟ فقال بلهجة الفائز : انني آخذ أكثر مما أعطي . إن غرقاي الذين أغنمهم أوفر عدداً من الأسماك التي يغنمونها مني..

وسألته : هل أنت عصامي أيها البحر ؟ فحنى رأسه وقال : ان عيبي الوحيد هو أنني استعير مجدي وقوتي من سواي ؛ فلولا تلك الينابيع والأنهار والجداول لم أكن . انها تموت في لأحيا، وتصب في كنوزها لأصبح ثرياً ... انها تعطيني جنينها لأتجبر ؛ وتضع في صدري الملايين من القلوب ليظل نابضاً إلى الأبد . . أنا كالقمر يستمد نوره من الشمس ولولاها لم يكن القمر . أنا البحر ولكني رجل مدين لا يستطيع أن ينطح السحاب بأنفه الجبار .

وسألته عن البخار الذي ينفثه ، فبدت على وجهه الرحمة وقال: أنفثه لتسكب الغمامة ماءها فتحيي الشجرة ، ابن الحنان أنا جاءني به ذلك الينبوع الذي وهبني قلبه ...

وسألته : هل للشعر مكان فيك ؟ فأجاب : شاعريتي في رعشتي، وصور خيالي المتوالية المتعاقبة في هذه الموجات ...

وسألته عن البراكين فأجاب: عندما أغضب الغضبة الكبرى وتعجز الموجة عن أن تسمها ، أطلق بركاني ، ومن عجائبي انني أخرج النار من مائي ..

وسألته : كيف أنت والجبل؟ فقال : الجبل ضيق وأنا فسيح. الجبل مقطب الجبين وأنا طلق المحيا . الجبل صخرة وانا رعشة . الجبل عقل صارم وإرادة باطشة، وأنا قلب خفاق وشعور صارخ، وإذا كان للجبل عقبانه على قمته، فلي كنوزي في أعماقي.

وسألته عن الغزاة الفاتحين فقال : إن لهم بحورهم ولكنها من دماء . .

وعن الفلاسفة فقال : أنا في كل كرة من كرات شكهم ويقينهم . انهم يموتون صرعى بين أمواجهم التي تغمر كيانهم ..

وعن المنتحرين فقال : انهم يؤثرون موجتي المائجة على التراب البليد الصامت ..

وسألته : كيف أنت والخيانات ؟ فقال : اني أعرفها . فكم من عقيدة طرحها في صاحبها ولم يسأل عن غده..

وسألته : من هم أعداؤك الألداء؟ فقال : القناعة والتشاؤم والبخل والعقم ..

وسألته عن الامجاد فقال : انها موجات في بحر الخلود ..

وسألت وسألت حتى خشيت أن يشهوبني البحر . وقبل أن تركت الشاطىء وعدت إلى صلابة الأرض سجدت أمام (نبتون) وصليت صلاتي الزرقاء فقلت :

يارب السماء !

ضع من قلبك في قلبي فتتسع دائرته ويغزر دمه . واضرب بموجاتك الصخور القائمة في طريق خيالي وأحلامي ..

غذ ارادتي لأحطم كآبتي وضعفي، وارفعني إلى مستواك لأبسط كتابي في العالمين ..

افتح عيني لتسمك وأذني لتسمعك ..

جملني بالعظمة والصبر، واجعل صدري رحباً ليسع الناس ولؤمهم والأقدار وظلمها ..

أغرق في الوجه القبيح من انسانيتي ،وأبق لي وجهها الجميل وزده جمالا ..

أغرق صحراء اني واجعلني بحرا وخذني أنت لاسواك في يومي الأخير ،وأرحني من وطأة ذلك الحجر البارد الثقيل اللئيم أيها الكريم الرحيم ..

راجي الراعي

حكاية الشعر الرمزى

للأستاذ حبيب الزحلاوى

نشر الأستاذ عادل الغضبان فى المجلة التى يتولى رئاسة تحريرها ، مقطوعة رمزية من قلم الدكتور بشر فارس .

ليس إيراد الخبر على هذا الوضع بالأمر الغريب ، وإنما الغرابة فى أن الأستاذ عادل لا يؤمن بالشعر الرمزى ، وله فيه رأى لا يرضى الرمزيين ولا مطاياهم . وهو برغم هذا يفتح صدر مجلته لمقطوعة الدكتور بشر فارس ، ويعلق عليها ، ويدع الدكتور يعلق على تعليقه ، ثم ينشر مقالا فى ذات العدد بقلم الأستاذ ابراهيم الابيارى يدافع به عن المذهب الرمزى .

هنا وجه الغرابة ، بل هنا مجال الشك والتساؤل .

كان من المنتظر — لولا هذا الوضع المستغرب — أن تسلك المقطوعة الرمزية الجديدة السبيل الذى سلكته أخواتها من قبل ، لتصل إلى ذات القبر الذى دفن فيه ، أما الأثر المفروض حدوثه وهى طريقها بين المهد واللحد ، فهو معروف عند جميع الأدباء ، فكاهة تفسح مجالا للتندر والسخرية . إشفاق على جهود تهدر فى الالتواء والمرض ، وعياذ من انتقال وباء الرمزية إلى أدبنا ، أو هروب الشاعر إلى بلاد الله الواسعة ، يلعن أدباء مصر فى الشام ، ويسفه أدب الشام فى العراق ، ويوقع فى لبنان بين المسيحيين والمسلمين ، ويزدرى الشرقيين فى بلاد الغربيين .

كان هذا المرتقب وقوعه بالقياس على الوقائع الماضية ، ولكن لباقة الأستاذ عادل الغضبان محت هذه الظنون ، ونأت بهذه الاستنتاجات بعيداً ، بموقفه من الدكتور بشر فارس إذ يقول له : سواء كانت هذه المقطوعة من عالم الشعر أم من عالم النثر فليس هذا موضوع الخلاف ، وإنما هو فيما تضمنته من رموز خشينا معها أن تند عن عمود الشعر العربى » ويستطرد وهو الرزين المتمكن : « إن الشعر ، معنى وشعور وموسيقى ، يتعاون اللفظ والأسلوب والوزن والقافية على إخراج ذلك المثلث ، فمن شاء من الشعراء فصل لها من النصوع والوضوح ، ومن شاء ألقى على هيكلها وشاحاً رقيقا من الابهام ، ومن شاء رمز وكنى » وبعد أن ضرب الأمثال وأنهض الأدلة قال : « إن هذه المقطوعة لا تنحدر إلى القلب إلا بعد عنت ، ومتى انحدرت إليه ملأته بالحيرة والاعجاب (؟!!) ولعلها لا تثير فيه هزة الطرب والانفعال » .

كلام مقبول موزون لا مرية فيه ، ولكن أنى لداعية الرمزية المنادى بنفسه إماماً لها ورسولا أن ينصت إلى معلمه ، وقد كان تلميذا له فيما غبر من الأعوام ؟ أنى للتلميذ الذى سبق معلمه بمراحل أن يقبل ما هو مقرر من قواعد الشعر وهى معروفة ثابتة من مئات السنين ؟ لذلك يقف الدكتور بشر فارس وهو يبتسم ابتسامة المشفق على معلمه المتخلف عن ركب الحياة ويقول له « إن تعريفك للشعر إنما هو التعريف المتقادم الضيق ، المحصور فى الشكل وحده ، وأن العمود الشعرى الذى أكبرتموه وقدستموه فإنى مستطيع إبعادكم عنه » ولم يكتف بما قال بل راح يدل كمادته ، على ما قال وكتب ونشر فى الصحف السيارة ويهدى إلى فهارس وأسانيد تثبت خطل تعريف الشعر العربى القديم ، ويدعى أن تعريفه الحديث « هو إبراز المضمر ، واستنباط ماوراء الحس من المحسوس ، وتدوين اللوامع والبدائه » .

ضحكت من هذا التعريف المصرى ، والضحك مفتاح الغضب ، ولكنى تمهلت ريثما اطلع قراء « الرسالة » على « المقطوعة » مثار الموضوع ، لعلى أنا الذى عييت عن فهم الرمزية ؛ وعنوانها « إلى زائرة » تلك التى وقف منها الأستاذ الزيات فى كتابه « دفاع عن البلاغة » موقفا سأعود إليه . أقول تمهلت لعلى أدرك المغلق من الرموز ، وأحل عقد الطلاسم والأحاجى . وإلى القارىء المقطوعة « البشرية » أو القصيدة « الفارسية » وعنوانها « الشاطىء الحافل » .

« أنا السيد الأعلى للشاطىء الحافل ، إليه من مواغل الأرض تقبل الضمائر ذوات الرغبات الحساس ، عاجزات ، حيارى ، فتموت .

« فى اللجة يمتد سلطانى . فراشى رجراج بالمآسى ، فيه يقترن الفكر بالغوص . ولا مناص لأحدهما عن الآخر ، هنا الحياة .

« حياة وعبث رشيق بالموت الحقير ، شاعر أزلى ذو أنامل ماهرة ، يبغى التلهى عن غصة الزخارة ، فيلعب لعب المشعوذ بأوعية ذهب ، ترقد فيها إلى غير إفاقة ، ضمائر لا عظمة عندها .

« يا للعلم اللانهاية ! سبر لأقصى اللطف الشارد » فى زرقة الفضاء ، ذات الحدقات الصوافى ، تنور الشاطىء الحافل برفات

الرغبات » ماتت فى ركن موقوف للقوافى الخوالد ، قواف نسل فى ساعات الاستجمام ، فى ضمائر لا عظمة فيها ولا فور »

القاهرة ٣ فبراير ١٩٤٥ بشر فارس

هل أنعمت النظر أيها القارىء فى هذه الخريدة التى فجرها ذهن الشاعر القلق الدكتور بشر فارس ؟ هلا استغنيت عن المعنى والشعور والموسيقى بعد أن قام الشاعر الرمزى القلق « بإبراز المضمر ، واستنباط ما وراء الحس من المحسوس ، وكيف يكون تدوين اللوامع والبواده » ؟ أما أنا فأعترف لك صراحة بأنى عصرت يا فوخي ؛ وكددت ذهنى ، واجتهدت فى تحميل اللفظة والكلمة والجملة والشطرة الواحدة وعلامات الاستفهام أو التعجب وكل حركة وردت فى هذه « القطوعة » ما تحمل وما لا تحمل من المعانى بغية الاهتداء إلى « مالا يحتاج إلى شرح » كما قال أحد مطايا الرامز » ؛ ولكن أقسم أنى لم أفهم ، وهل ألام على جهلى حل الألغاز ، وأى تثريب على من لا يفقه الطلاسم والأحاجى ؟

لا يهولنك أيها القارىء أن تكون غبيا مثلى ، اعلم بأن صديقالى — يحفظه الله — هالته بلاهتى ، فراح يربت كتفى ، ويطيب خاطرى ، ويشرح لى « المقطوعة » بغير ماعناء أو تكلف كأنه يقرأ المتنبى أو البحترى أو ابن الرومى ولكنه قطع أربع ساعات فقط فى هذا الشرح والتفسير والتخمين والاستنتاج . وإليك الشرح كما وعته ذاكرتى .

« أنا السيد الأعلى لشاطىء هذه الحياة التى تعج فيها الضمائر والرغباب الخسيسة ، العاجزة الفيرة الميتة .

« أنا السيد يعتد سلطانى على لجج النهر الحافلة بالمآسى التى لا مناص من وجودها فى الحياة لأنها تقترن بفكرى .

« أنا شاعر أزلى أعبث عبثا رشيقا بالحياة وبالموت الحقير ، وأتلهى بقصص الناس ، وألعب لعب الشموذ بهؤلاء الناس العظماء بالمال فقط ، بيد أن ضمائرهم ليست عظيمة ، وهم النيام أبداً وقد لا يفيقون .

ثم يتوجه بالخطاب إلى الملم فيقول « يا للملم ! باللانهاية أين أنت ؟ ها أنا الشاعر ، أسير الحكمة الشاردة فى الفضاء فأرى بعينى الباصرة وببصيرتى الصافية ، رفات ورمم أصحاب الرغبات الخسيسة ملقاة فى ركن عند حافة شاطىء الحياة ، وقد اتخذت منها ، أنا الشاعر الأزلى ، فى ساعات استجمامى موضوعا لبعض قصائدى الخالدة »

هل انبثق النور الرمزى من كوى هذا الشرح ؟ هل تسللت خيوط شمس المعرفة إلى ذهنى فأنارت ما فيه من الظلام ؟ قلت للشارح المجتهد وهو صديق كريم أحبه وأجله وأعتز بصداقته ، لا عليك فى الاجتهاد فى التفسير والتأويل بشرط ألا تحملنى على الاعتراف بطيب مذاق عصير العسيخ .

قال : أول واجبات الناقد تلمس نفائس المنقود لا نقائصه . أليس نفيسا تشبيه اللجة بفراش رجراج ؟ أليس جميلا عبث الشاعر بالحياة بأنامل ماهرة عبثا رشيقا بالموت الحقير ؟ ألم تره يلعب لعب المشموذ ليستل القوافى الخوالد ؟ ثم لا يغرب عنك أن القصيدة إنما هى صرخة وجع وألم ، وإذا عدت معى نستعرض حياة الدكتور بشر فارس من خلال الأعوام الماضية نجد أنها لقيت من الصدمات ما لا يحتملها سوى شاعر جبار كبشر ، ولا يصمد لمثلها إلا من قدت أعصابه من صخرة صوانة . ألم تر كيف حورب فى أدبه ، وكيف أقصى عن المقعد فى الكلية ، وكيف دفع عن المجمع اللغوى ، وكيف أبعد عن تحرير المقتطف ؟ إذا عرفت هذا وقدرت احساسه وشعوره قدرت ولاشك معنى هذه الصرخة المكبوتة والقصة المخنوقة ، ولكنت قرأت وفهمت ما قرأته أنا وفهمته ! !

أقف من صديقى وقفة المشدوه حيال هذا الاجتهاد فى التخريج ، والتعسف فى التأويل ، أو أنى تارك تعليل صديقى لفطانة القارىء لعله يقتنع بما لم أقتنع به بعد ، وإنى حبا بصديقى الكريم وتطمينا لباله أقول إنه ما من أديب واحد ممن تصدوا لأدب الدكتور بشر فارس ، أو حاربوه أو سخروا منه ، أحس أن فى هذه المقطوعة المختنقة ، ما يمسه من قريب أو من بعيد ، لأن الضمائر المستترة أو المدفونة فى صدر الشاعر إنما هى حشرات تدب فى رمة ، ولا تنس أن القصيدة نظمت سنة ١٩٤٥ .

قيل لنا إن الشعر بيان يكشف لنا أقنعة المعانى ، وأن مدار غاية الشاعر الفهم والافهام ، والافهام لا يكون إلا بالبيان »

أما الشاعر بشر فيرى أن الشعر « طيرة مرتجلة بأجنحة من نور رفاف » فأى القولين هو السليم المدرك ؛ قول الأساتذة القدامى أم قول الدكتور ؟ !

قال الأستاذ ابراهيم الابيارى يعرف الشعر الرمزى وينافح عن الشاعر الرمزى «لايهولنك أن يمنى فكرك» ويكد خيالك ، ويجد عقلك ، فلهذا كله خلقت الرمزية » ويقول « إذا عرفت اللغز وحياته عرفت الرمزية فى الصورة » ويقول لافض فوه « المراد بالرمز أن يمضى بك الرامز إلى آخر المطاف تاركا امقلك أن يلتمس السبيل إلى مراده كاداً جاهداً » بيد أن الناقد جول لمتر يقول « الصورة الرمزية لا تصبح برهانا على الشاعرية إلا حينما يكيفها هوى سائد أو أفكار أو صور بعثها ذلك الهوى » وحينما ينقل إليها الشاعر من روحه الخاصة حياة إنسانية وذهنية » فهل رمز بشر فارس يرمى إلى إجهادنا وكدنا وارهاقنا أم يروم به أن ينقل إلينا من روحه الخاصة حياة انسانية وذهنية فخاب فى هذه المحاولة؟

الشعر كما عرفنا تعبير عاطفى يضرمه خيال الشاعر « قال الناقد هزلت : الشعر لغة الخيال بالمعنى الدقيق ، والخيال هو تلك القوة التى تمثل الأشياء لا كما هى فى نفسها ولكن كما تكيفها أفكار ومشاعر أخرى . إلى تنوعات من الهيئات وامتزاجات من القوى لا نهاية لها ، وليست هذه اللغة قليلة الأمانة للطبيعة لأنها باطلة من ناحية الواقع ، ولكنها تكون أقرب إلى الطبيعة وأكثر أمانة إذا نقلت التأثير الذى يتركه فى العقل الشىء الواقع تحت سيطرة الهوى » .

هل فى مقطوعة «الشاطىء الحافل» أو فى لغتها أمانة للطبيعة انتقل تأثيرها إلى عقل القارىء فحملته على الاتصال بالنفس الانسانية فجعلت القارىء يسر بها ويفرح ؟

هل الرمز فن ؛ وهل يصلح الرمز أن يكون أداة للتعبير عن الفن ؟

مالى أسأل الشاعر الرمزى عما نحاه فى طريقه ومحاه من معجم ما سموه الشعر لأن الشاعر الرمزى كما يقول الدكتور بشر «إنما يعمل فى الظلمة ، ظلمة الخلجات ، فهو يبين بقدر ما يخلص النور إلى زواياها ، ثم إنه لقاط أوهام تشغل الناس ولا يستوضحونها ، فهو يرسم خيالات ملامحها لبصائرهم لا لأبصارهم »

مالى أرى الدكتور بشر السهى فيرينى القمر ؟ مالى أدعوه إلى السير فى النور فيأبى إلا التخبط فى الدياجير الحالكة ، يتطلب من الشوك عنبا ومن العوسج تيناً » كما قال السيد المسيح » وهو يتوخى أن يعكس التهاويل على أخيلته سحباً شفافة تنقشع عن جبريل عصرى ينقل إلى الدكتور بشر فارس « الوحى » العبقرى من ينابيعه السماوية ؟ ما باله يتعامى عن الطبيعة وعن الحياة الانسانية ويأبى الا رسم «ظلمات» الخلجات التى تمتلج فى صدره ؟

يحسن بى الانتقال من موقف التخصيص إلى موقف التعميم لأسأل : ما هو الارث الأدبى الخالد ، وما هو الأثر الذى تركه الشعر الرمزى فى تاريخ الأدب ؟

حكى أن شاعرا اسطوانة من أساطين الرمزية أنفق ستة أعوام من عمره فى نظم قصيدة واحدة ، وأن مطية من مطايا الشعراء الرمزيين كرس تسعة أشهر لحل طلاسم تلك الملقة ، وقد استطاع ذلك الشارح — يرحمه الله — أن يفسر الماء بعد الجهد بالماء .

بودى لو أطيل الكلام وأسوق الأدلة ، وأستشهد بأقوال كبار النقاد الغربيين فى فساد المدرسة الرمزية ، ولكن لا يسعنى إلا لفت نظر الأدباء إلى فصل رائع فى الرمزية ورد فى كتاب « دفاع عن البلاغة » للأستاذ الزيات صاحب « الرسالة » جاء فى ختامه: «الرمز نوع من الحذلقة والأغراب يصيب بعض النفوس الماجنة فيجدون لذتهم وفكاهتهم فى أن يغربوا على عقول السذج بهذه الألفاظ الفارغة والجمل الجوف ، وأن يروهم يحملقون فى الفواصل وفى الأبيات كما يحملق الأطفال فى الغرفة المظلمة أو فى البئر المعطلة . وسواء أكان منشأ الرمزية عندنا هذا الأمر أو ذاك ، فقد اقتبسوا مذهبها حين أصبح ضرباً من المعاياة يجوز أن يقصد به أى شىء ما عدا الافهام والابانة . وسأضع أمام عينيك مثالين من هذه الرمزية الغربية أحدهما قصيدة للدكتور بشر فارس عنوانها «إلى زائرة» ، والآخر مقال للأستاذ البير أديب عنوانه «حياتنا»؛ وسأدع لك الوقت لتمتحن صبرك على كشف هذه الرموز وحل هذه الأحاجى . ولن أسألك عما فهمت ، فإنك إن أجبت فان جوابك لن يزيد على جوابى ، وان أخطأت فان خطأك لن يختلف عن صوابى»

ليس هذا إلا بعض ما أريد قوله فى المذهب الرمزى ، وفى مطايا الرمزيين الذين يؤجرون أقلامهم وضمائرهم لخدمة الباطل فى الأدب ، وسأعود إلى الكلام مرة ثانية .

حبيب الزحلاوى

تطور اللغة العـــربية

للأستاذ محمود محمد بكر هلال

جاءنى مبهور الأنفاس، مسجور الحماس، كأنه خارج لتوه من معركة حامية الوطيس، ثم قال لى:

لقد حذفتها بالقلم الأحمر، وطمست حروفها فلن تظهر!

فقلت له: ماذا حذفت، ومن هى التى طمست على قلبها؟؟

قال: كلمة «زهور»! فلقد كتبها التلميذ فى موضوع الإنشاء، ولكننى فتشت عنها كثيراً، ونقبت عنها طويلا، فلم أعثر لها على أثر!!

فقلت له: هون عليك يا صديقى؛ فالأمر أهون كثيراً مما تظن! ولست أغـير على اللغة العربية من فقيد اللغة العربية؛ الأستاذ المرحوم مصطفى صادق الرافعى! ولست أكثر حفاظا عليها من أستاذنا الكاتب البليغ، أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة، وعضو المجمع اللغوى الملكى؟

قال: ماله الرافعى؟ قلت: لقد قال رحمه الله: عرض لى يوما أحد اللغويين فانتقد فى المقطم قصيدة من القصائد التى رفعتها إلى جلالة الملك فؤاد، وعمل فى نقده، ودلل ببعض ما نقله من كتب اللغة، فكان فيما تكلم فيه «لفظا الأزاهر والورود» فقال: إنهما ليسا من اللغة، ولم يجريا فى كتبها. وكان من ردى عليه أن قلت له: إن العرب جمعوا الجمل ستة جموع، وجمعوا الناقة سبعة؛ لأنها أكرم عليهم منه. وإن لكل حياة صورها الدائرة فى ألفاظها؛ فالزهر والورد عند المولدين والمحدثين، أكرم من الجمل والناقة عند العرب، أو هذان كهذين. ثم هما من خاص الألفاظ المولدة؛ فلنا أن نجمعهما على كل صور الجمع التى يسوغها القياس؛ لأن ههنا العلة الموجبة التى لم تكن مع العرب فيهما فمن الصحيح أن نقول: زهور وأزهار وأزاهر وأزاهير إلخ ... فلما لقيت الدكتور يعقوب صروف، بعد نشر هذا الرد هنأنى به، ثم قال فيما قال: يحسبون أن العرب هم الجمل والناقة، وليس غيرها استجمل وما استنوق ...! أما هذا الدهر الطويل العريض، فليس عندهم شيئا! وهم يستطيعون أن ينكروا على المولدين ألف كلمة ولكن هل فى استطاعتهم أن ينكروا على التاريخ ألف سنة؟ فذكرت له الأصل الذى قرره أبو على الفارسى، فى العربى الصحيح نفسه: من أنه ليس كل ما يجوز فى القياس يجب أن يخرج به سماع؛ فإذا أخذ إنسان على طريقة العرب، وأم مذهبهم؛ فلا يسأل: ما دليله، وماسماعه، وما روايته؟ ولا يجب عليه من ذلك شىء.

حتى قال أبو على: لو شاء شاعر أو متسع أن يبنى بإلحاق اللام «زيادة حرف من جنس لام الكلمة وإلحاقه بها» اسما وفعلا وصفة؛ لجاز له ولكان ذلك من كلام العرب؛ وذلك نحو قولك: خرجج أكثر من دخلل، وضربب زيد عمراً، ومررت برجل ضربب وكرمم ونحو ذلك! قال تلميذه ابن جنى: فقلت له: أترتجل اللغة ارتجالا؟ قال:

ليس بارتجال، لكنه مقيس على كلامهم، فهو إذن من كلامهم!

ومن أثر هذه الطريقة التى لا تتحجر، ولا تمنع القياس فى اللغة، وتلحق ما وضعه المتأخرون بما سمع من العرب، ما جاء فى ص ٢٣٥ من شرح أدب الكاتب لابن قتيبة وهو باب لم يستوفه غيره، ولا تجده إلا فى كتابه! وهذه عبارته: قولهم: يدى من ذلك فعلة: المسموع منهم فى ذلك ألفاظ قليلة، وقد قاس قوم من أهل اللغة على ذلك فقالوا: يدى من الإهالة سنخة، ومن البيض زهمة، ومن التراب تربة، ومن التين والعنب والفواكه كتنة وكدة ولزجة، ومن العشب كتنة أيضا، ومن الجبن نسمة، ومن الجص شهرة، ومن الحديد والشبه والصفر والرصاص سهكة وصدئة أيضا، ومن الحمأة ردغة وروغة، ومن الخضاب ردعة، ومن الحنطة والعجين والخبز نسغة، ومن الخل والنبيذ خمطة ومن الدبس والعسل دبقة ولزقة أيضا، ومن الدم شحطة وشرقة، ومن الدهن زنخة، ومن الرياحين ذكية، ومن الزهر زهرة،

ومن الزيت قنمة ، ومن السمك سهكة وضمرة ، ومن السمن دسمة ونسمة وغسة ، ومن الشهد والطين لثقة ، ومن المطر عطرة ، ومن الغالية عبقة ، ومن الفسلة والقدر وحرة ، ومن الفرصاد قنئة ، ومن اللبن وضرة ، ومن اللحم والمرق غمرة ، ومن الماء بللة ، وسبرة ، ومن المسك ذفرة وعبقة ، ومن النتن قنمة ، ومن النفط جمدة .

فأنت ترى أن المسموع من هذه الألفاظ ، لا يتجاوز سبعة ، والباقى كله أجراه علماء اللغة ، وأهل الأدب على القياس ، فأبدع القياس أربعا وثلاثين كلمة ! فدل ذلك على اتساع اللغة تبعا لتعدد الأغراض ، وتطورها تمشيا مع تطور الحياة !!

قال صاحبى : وما رأى صاحب الرسالة الأستاذ الزيات ؟

قلت : لقد تقدم إلى المجمع اللغوى باقتراح يشتمل على ؛ فتح باب الوضع على مصراعيه بوسائله المعروفة من الارتجال والاشتقاق والتجوز ؛ وإطلاق القياس فى الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه ، فان توقف القياس على السماع يبطل معناه ، وإطلاق السماع من قيود الزمان والمكان ؛ ليشمل ما يسمع من جميع طوائف المجتمع !

ورأى صاحب الرسالة أن فى إقرار هذا الاقتراح دفعا لمعرة العقم عن اللغة العربية الكريمة التى وصفت فى القرن الخامس ناقة طرفة ، عضوا عضوا ، ونمتت أوضاعها وضما وضما، فى أربعة وثلاثين بيتا من معلقته! ثم نراها فى القرن العشرين ، تقف أمام سيارة «فورد» بكماء بلهاء ، تشير ولا تسمى ، وتجمجم ولا تبين !!

ويقول صاحب الرسالة أيضا : إن اللغة ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، والأغراض لا تنتهى ، والمعانى لا تنفد ، والناس لا يستطيعون أن يعيشوا خرسا وهم يرون الأغراض تتجدد ، والمعانى تتولد ، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع ، والعلوم تطالبهم كل حين بمصطلح ، ولا علة لهذا الخرس إلا أن البدو المحصورين فى حدود الزمان والمكان ، لم يتنبأوا بحدوث هذه الأشياء ، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء !!

ويرى الأستاذ الزيات – ورأيه سديد – أن المجمع وحده السلطة التشريعية العليا للغة العربية ، يستطيع فى حدود قواعدها الموضوعة ، وقوالبها الموروثة ، أن يزيد عليها وينقص فيها، ولكنه يعطل مختارا هذه القدرة التى لم يؤتها غيره ، باستشارة القدماء فى كل إصلاح لغوى يقترحه ، وفى كل قرار نحوى يقرره ! واستشارة الماضين فى شئون الباقين ، مع تبدل الأحوال ، وتغير الأوضاع ، وتقدم العلوم ، وتفاوت العقول ، واختلاف المقاييس ، تكون فى أكثر الأحيان معطلة أو مضللة !

ولقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أن منافقا نال من عروبة سلمان الفارسى ؛ فدخل المسجد مغضبا وقال: أيها الناس: إن الرب واحد والأب واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى !

وما إن وصلت إلى هذا القدر من الآراء الحقة الجريئة ، والأفكار المشرقة الوضيئة ، من اقتراح الأستاذ الكبير صاحب الرسالة ، حتى فغر الزميل فاه ، وقال : ولكن حضرات المفتشين يضيقون علينا الخناق ، ويحاسبوننا على هذه الكلمات، ويفرضون علينا بعض الأساليب والعبارات ! حتى لقد حدا الخوف ببعض أساتذة اللغة العربية ، فى المدارس الثانوية ، إلى أن يغيروا ويبدلوا فى قصيدة الأستاذ محمد الأسمر « فرحة الشرق » بعد أن سمعها الناس مسجلة فى الشرق والغرب آلاف المرات ، فجاء مطلعها فى مذكرة النصوص للسنة الأولى الثانوية هكذا :

زهر الربيع يرى أم سادة نجب وروضة أينعت أم محفل عجب ؟

واستبدلوا كلمة حفلة بكلمة محفل ؛ لأن بعض المفتشين لا يقر كلمة « حفلة » لعدم ورودها فى معاجم اللغة العربية !

فقلت له : وهل يتسع وقت حضرات المفتشين لغير المحاسبة على النقط والهمزات ، وترك الأسنان وزيادة الألفات ؟!

محمود محمد بكر هلال
المدرس بمدرسة سوهاج الأميرية
القديمة للبنين

ذكرى أبي الأسود

للأستاذ حامد حفني داود

إن ذكرى وفاة أبي الأسود الدؤلي تبعث إلى الذاكرة فكرة خطيرة هي تدوين «علم النحو» وهو أول ما دون من علوم العربية . ولا أكون مبالغاً إن قلت أول ما دون من العلوم قاطبة في الإسلام .

وهي بهذا القدر ذكرى عزيزة علينا تحرك النفس وتجدد الأمل إلى دراسة « تاريخ علوم اللغة » التي طالما نادينا بتحقيق دراستها ، ولاسيما وأن المستشرقين أنفسهم — بعد أن رسموا بعض المناهج في دراسة — «تاريخ الآداب العربية» عجزوا عن تأريخ علوم اللغة ، وفي مقدمتها تأريخ علم النحو . ولعل ذلك راجع إلى ما بين تاريخ هذا العلم ونفسية العربي الخالص من صلبة قوية فلا يتم تأريخه بدون تحقيقها . أريد أن أقول: إنه لا يستطيع تأريخ هذا العلم الاعربي عارف بأسرار اللغة وقواعدها المتشعبة دارس لها دراسة المحص المدقق ، ملم بكل ما وصل إلى أيدينا من تراث الأقدمين وذلك ما دفعني إلى إحياء ذكرى ابي الأسود علنا من ذكراه نستلهم درات تاريخ العلوم العربية (١)

* * *

في سنة ٦٩ هـ منذ الف وثلاثمائة سنة توفي أبو الأسود الدؤلي وقد كان علما من أعلام العربية ورجلا من رجالاتها السابقين الذين وضعوا الأسس ودونوا المسائل . وقد كان تلميذاً للامام علي بن أبي طالب ، وعنه تلقى كثيرا من المسائل الدينية والعربيه قبل أن تصبح علوماً مبوبة على النحو المصطلح عليه عندنا .

وبعد وفاة الإمام على سنة ٤٠ هـ مكث أبو الأسود في العراق وكان من أوائل المتصدرين لدراسة علوم العربية والبحث في مسائلها . ولكنه اشتهر بوضع « علم النحو » وإليه نسب وضعه .

* * *

وحول أبي الأسود دارت خلافات كثيرة من حيث وضع علم النحو وطريقة وضعه .

فقد شك بعض العلماء في نسبة وضع النحو إليه . فمن قائل إنه أول واضع له ، ومن قائل إن واضعه نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ هـ ، ومن قائل أنه الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٠ هـ . وذهب علماء الشيعة إلى أن الإمام علي هو الواضع لعلم النحو .

وتخبط بعض المحدثين في تعيين الواضع الأول متأثراً بما ذكره ريكندورف Reckendorf في دائرة المعارف الإسلامية حيث نفى ذلك بقوله « وليس حقاً ما يقال إنه واضع أصول النحو العربي » (٢) وظن هؤلاء أن واضعه الخليل بن أحمد . وهو قول مردود بالأدلة العقلية والنقلية .

الدليل العقلي : أن المنهج العلمي ينص على « أن الأدلة العلمية لا توصف بالبطلان مالم تقم الأدلة القطعية على بطلانها . » فتحقيق المسائل العلمية في نظر المنهج العلمي هو البناء لا الهدم. بينما يأخذ أمثال هؤلاء المتخبطين بالقوانين الهدامة التي ابتدعها فرنسيس بيكون Francis Bacon واحتذاها المستشرقون من بعده . فأنت ترى أن شعار هؤلاء بطلان كل شيء ما لم يقم الدليل التجريبي على صحة البطل (٣) بينما شعار المنهج العلمي الذي وضعنا أسسه التصديق بالقضايا العلمية المروية عن القدماء مالم يقم الدليل المادي على بطلانها (٤) . وشتان ما بين المذهبين . فالفرق بينهما — كما ترى — كالفرق بين من يبني ومن يهدم .

---

(١) لصاحب هذا المقال مؤلفات مفردة في تاريخ العربية منها :

١ — المنهج العلمي في تاريخ العلوم العربية . تاريخ البديع من القرن الثاني إلى أواخر القرن الرابع عشر .

(١) وقيل سنة ٦٧ هـ وقيل سنة ٦٨ هـ والراجح ما ذكرناه .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٣٠٨ س٦

(٣) وهو قانون خطأ لأن التجربة غير ميسورة في كل وقت .

(٤) سواء بالنص المعارض أو بمحض عدم تقبل العقل النصف لها .

والدليل النقلي : تواتر الرواية القديمة على نسبة الوضع إلى أبي الأسود وليس هناك أحد من القدماء والمتأخرين من أنكرها. وليس بعد قصة أبي الأسود مع علي ، وقصته مع زياد بن أبيه ، وحديث إبنه أبي حرب من دليل نقلي . وقد قال الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ « أبو الأسود معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلها مقدم مأثور عنه الفضل في جميعها، كان معدودا في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين ... »

ولم يبق هناك من خلاف بين القدماء إلا فيما إذا كان أبو الأسود تلقى هـذه الأصول من الإمام علي أم اعتمد فيها على دراسته الخاصة — لدوافع مختلفة سنتحدث عنها في فرصة أخرى — ولعل ذلك لا ينفي أن يكون أبو الأسود واضع علم النحو بارشاد الإمام دفع إليه ورقة فيها أصول ذلك العلم ثم قال له : انح هـذا النحو فسمي ما وضعه نحواً.

وإلى مثل هذا ذهب الشيخ خالد الأزهري المتوفى سنة ٩٠٥ هـ « وقد تضافرت الروايات على أن أول من وضع علم النحو أبو الأسود وأنه أخذه أولا من علي بن أبي طالب رضي الله عنه »[1]

وقال الشيخ عبد القادر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ « وهو واضع علم النحو بتعليم علي رضي الله عنه »[2]

فكأن أبا الأسود وضع هذا العلم مستنيرا بالأصول التي دفعها إليه الإمام . ومن هنا ترى أن الخلاف بين آراء الشيعة وآراء غيرهم شكلي محض لا يمس الجوهر . فنسبة النحو إلى علي نسبة الموجه والمرشد، ونسبته إلى أبي الأسود نسبة المدون والواضع .

والخلاف الثاني : ما هي الأصول الأولى التي نسج أبو الأسود على غرارها وما هي المسائل التي عالجها في كتابه الأول، وما طريقة ذلك ؟

ظن كثير من العلماء أن أبا الأسود كان يجيد السريانية ، وكان يخالط السريان والكلدان في أرض العراق، وقد كان للسريان نحو قريب الشبه من نحونا وقواعد تشبه قواعد العربية ، وكلاهما من اللغات السامية . هذه ظنون جالت بأدمغة المفكرين ممن حاولوا التفكير في تاريخ علوم اللغة . فقالوا : إن أبا الأسود درس اللغة السريانية واستنبط قواعدها وطبقها على اللغة العربية . ويدعم هذا الرأي عذرهم أن قواعد اللغة السريانية وضعت في القرن الخامس حين وضع يعقوب الرهاوي المتوفى سنة ٦٦٠ م كتابا في قواعد السريانية ، بينما وضعت قواعد اللغة العربية في القرن السابع . وإذا كان أبو الأسود قد توفى سنة ٦٨٩ هـ تقريباً عرفنا أن محاولة تدوين قواعد العربية كانب بعـد أكثر من قرنين من المحاولة الأولى التي أجريت على السريانية .

والراجح في نظر المنهج العلمي أن أبا الأسود لم يتأثر بالسريانية ولم ينقل شيئاً من قواعدها إلى العربية ؛ وأن التشابه بين اللغتين مردود إلى ما بين طبيعة العربية وطبيعة السريانية من صـلة وانتمائهما إلى أصل واحد هو اللغة السامية . ويعزز هـذا الرأي الذي ذهبت إليه نماء النحو في اللغة العربية وجموده وانكماشه في اللغة السريانية وغيرها من الفصائل السامية الأخرى . كما أنه ليس هناك من دليل مادي يؤيد دعوة المخالفين وهي دعوة ظنية لا يعتد بها المنهج العلمي .

فنحن لا ننكر نسبة وضع النحو إلى أبي الأسود لأنه ليس هناك من دليل مادي يرد هذا النقل ، ونرفض كل الرفض تأثره بالسريانية لأنه ليس هناك دليل مادي يؤيد هذا الظن .

هذه ذكرى أبي الأسود — وقد مضى على وفاته ثلاثة عشر قرنا. وإني لأرجو أن تثير في نفوس المفكرين الحمية إلى دراسة علوم اللغة دراسة تاريخية تفصيلية . وإني لأرجو أن أعيد هـذه المحاولة في « تاريخ النحو » وقد بدأت مثيلتها بالأمس القريب في « تاريخ البديع » .

حامد حفني داود الجرجاوي

دبلوم معهد الدراسات العليا

١ — التصريح للشيخ خالد ج ١ ص ٦

٢ — خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٥٦

احتكاك الحضارات

للأستاذ محمد محمد على

بقية ما نشر فى العدد الماضى

الطرق غير المنظمة

تنتشر الحضارات بين الجماعات البدائية بطريق الاحتكاك الابتدائى أو الأساسى ، ولكنها تنتشر بين المتحضرين بطريق الاحتكاك الثانوى والأساسى أيضا (١)

الاحتكاك الأساسى : ويتمثل فى حركات السياح والرحالة والمهاجرين والجوالين .

١ — السياح

وهم يعبرون عما أطلق عليه تومس الرغبة فى تجديد التجربة ، لا أنهم من طبقة عليا — وتتلخص أعمالهم فى زيارة الأماكن ذات الشهرة الواسعة ولا سيما الآثار المصرية القديمة . ويتحدثون إلى الناس ويتعرفون على أحوالهم ويدرسون حياتهم فى مختلف نواحيها الاجتماعية والاقتصادية والسياسة والدينية ، ثم يعودون إلى أوطانهم بنظرة إلى الحياة جديدة وأفكار حديثة فيؤثر ذلك فى التقاليد والنظم المختلفة . وقد كان للسياح أثر عظيم فى احتكاك الحضارات وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

٢ — الرحالة

هناك حركة من جزء إلى آخر فى نفس الإقليم ، كحركة الفلاح الأمريكى من شرق الولايات المتحدة إلى غربها ، وهى تحدث أزمة فى الحياة الشخصية إذ تولد رغبة فى تغيير النظم والعادات . وهناك تنقلات من الريف إلى المدن وهذه آخذة فى الزيادة حتى أن أكثر من نصف سكان الولايات المتحدة يعيشون فى المدن ، وكذلك الحال فى كثير من البلدان الصناعية . فالمدينة عبارة عن بوتقة تنصهر فيها الآراء وتختلط العناصر .

(١) Duncan, p.p. 176, 177.

٣ — المهاجرون

إن اكتشاف العالم الجديد وتقدم الملاحة البحرية قد زاد من الهجرات وضاعف المهاجرين . وتتميز الهجرة عما سواها من الحركات بأنها سلمية ، وهى استجابة لدافع الرغبة فى تحسين الأحوال الاقتصادية (١) والظروف الاجتماعية ، وغالباً ما يكون للأقليم الجديد « جاذبية » اقتصادية واجتماعية . وكلما عظمت درجة التشابه والاندماج زاد الميل إلى التزاوج الداخلى . ويخلق المهاجرون فى مهجرهم مشكلات اقتصادية وسياسية ودينية ، الأمر الذى دعا الولايات المتحدة الأمريكية إلى تقييد قوانين الهجرة فقسمت المهاجرين إلى ثلاث طبقات : المرغوب فيهم بلا قيد ولا شرط مثل سكان غرب أوربا ، والمرغوب فيهم بشروط مثل سكان بقية أوربا ، وغير المرغوب فيهم وهم العناصر الصفراء ، كما حددت لكل دولة عدداً سنويا من المهاجرين . ولا ينبغى أن ننكر ما للمهاجرين من فوائد (٢) . فقد نقل المهاجرون إلى أمريكا — مع ما نقلوا — الأفكار الديمقراطية والتسامح الدينى وحب الحرية ، فكانوا عوامل فعالة فى النزاع بين المستعمرات ثم فى الكفاح انشر فلسفة الثورة الأمريكية بين الطبقات (٣) وكما ينقل المهاجرون معهم محاسنهم كذلك ينقلون مساوئهم .

واللبنانيون أكثر أهل الشرق حبا للهجرة ورغبة فى المغامرة ، ولهم جاليات نشيطة فى الأمريكتين ، ولعل للظروف الجغرافية أثراً فى ذلك . ويحدث أحيانا أن يعيش المهاجرون فى عزلة عن السكان الأصليين فيقوى عندهم الميل إلى الاحتفاظ باللغة والدين والتقاليد ، ويرفضون التزاوج مع السكان . وهذا بطبيعة الحال يضعف من احتكاك الحضارات (٤) . ولكن بعد مرور فترة من الزمن نرى المهاجرين يجنحون إلى الاختلاط وينبذون حياة العزلة .

الاحتكاك الثانوى :

لا شك أن لسهولة المواصلات والمخترعات الحديثة أثرا كبيرا فى احتكاك الحضارات . فقد نتج عن ذلك مثلا إمكان « التعليم

1. Davie : World Immigation, 1936, p. 5.
2. Duncan, p. p. 184-186.
3. Davie : p 40
4. Ibid p 39

بالمراسلة » الذى ظهر حديثا . كما لعبت الصحافة والإذاعة دوراً عظيما فى هذا المضمار . وللأدب أهميـة كبيرة ، إذ أن الانسان لا يتعلم لغة قوم إلا إذا أخذ فـكرة عن حضارة هؤلاء القوم (١) وفى العصور الوسطى أثرت الآداب العربيـة فى عقول أهل أوربا وأفـكارهم ، فـكان لذلك أكبر الأثر فى نهضة أوربا الحديثة .

واللغة الانجليزية أكثر اللغات انتشارا . فقد قدر أحـــد العلماء فى عام ١٩١٠ عدد المتكلمين بالانجليزية بنحو ٢٧٪ من سكان هذا الـكوكب (٢)، وأكثر من نصف جرائد العالم تطبع بها .

ولما اخترعت أوربا البخار سهل السفر فى قطارات البر وسفن البحر وزاد اختلاط الفرنج بالشرق . ولا تقتصر فوائد المخترعات على المنطقة التى اخترعت فيها بل إنها تعم بقاع العـالم : ومن أهم ما استفادت منه الانسانية المـكتشفات الحـديثة فى الطب . وكم أفضل الغرب على النـاس أجمعين بمطعوم الجدرى وكان يهلك به أطفال كثيرون (٣) . وكم من خدود جميلة بثوره تشوهت .

نتائج الاحتكاك

ينتج عن احتكاك الحضارات نوع من التفاعل، فليست المسألة استعارة ، بل هنالك ظاهرة ديناميكية .. غليان ثورة ...! فحينما ينتقل تيـار حضارى إلى مجتمع من المجتمعات ، فلا بد من أن يواجه مقاومة فى أول الأمر . وتعتمد هذه المقاومة اعتماداً كبيراً على عاملين (٤) : طبيعة المجتمع ، ومظاهر الحضارة الجديدة . فبقدر رقى المجتمع تكون مقاومته للمؤثرات الجديدة ، وهى قليلة فى المجتمعات البدائية . ويلاحظ أن النواحى الروحية من الحضارة تلاقى مقاومة أكثر من النواحى المـادية . لأن الإنسان سريع فى اقتباس وتقليد النواحى المادية (٥) . على أن المظاهر الجـديدة يسهل اقتباسها إذا كان هنالك ما يستدعى الاقتباس وتغيير العادات ويمكن تلخيص نتائج احتكاك الحضارات فيما يأتى : (٦)

١ — اختـــلاط وامتزاج بين الحضارة الأصلية والحضارة الجديدة ونشوء حضارة حديثة . مثال ذلك ما كان يحدث فى مصر بعد الغزوات المختلفة التى كانت مصر مسرحها فى عصورها . وما حدث فى أمريكا فى العصور الحديثة .

٢ — تلاشى الحضارة الأصلية وذلك فى المجتمعات البدائية بسبب الانقلابات التى يحدثها المتحضرون .

٣ — أن تقتبس الحضارة الأصلية من الحضارة الجـديدة ما يلائمها وهذا خير المواقف فى احتكاك الحضارات . وحبـذا لو كانت مصر فعلت ذلك إزاء احتكاكها بالحضارة الغربية . ولـكن هل فى استطاعة الأمة أن تقوم بذلك ؟

٤ — المقاومة : وهذه قد تكون إيجابية أى ثورة على الجديد . أو سلبية وفى ذلك إبقاء على مقومات الحضارة الأصلية ، مثال ذلك ما فعله المصريون بعد غزوة الهـكسوس وغزوة الفرس ، إذ أنهم أنفوا من تقليد الغزاة . ويحدث هذا بسبب العداء بين الطرفين أو فى حالة الفرض بالقوة . لكن مصر لم تستطع أن تصمد أمام القوة بعد الفتح التركى فى القرن السادس عشر ، ففرضت عليهم الحضارة الجـــديدة ، وضاعت بذلك شخصية مصر حتى ظهر محمد على الكبير .

أمثلة : الحضارة الإسلامية (١)

ضرب الإسلام بجرانه وانتشر المسلمون فى بقاع الأرض ، ودخل الإسلام أمم كثيرة من أجناس مختلفة وعناصر متباينة . فكانت ساحة الامبراطورية الإسلامية فى العصر العباسى الأول وعاء تصهر فيه العناصر وتتفاعل فيه الأجسام . هذه الأمم تختلف فى الصفات الجثمانية وفى الأهواء السياسية والميول الاجتماعية . وكما يحدث تزاوج واختلاط بين الأجناس ، كذلك يحدث امتزاج بين الثقافات واحتكاك بين الحضارات ، فنمت الحضارة الإسلامية على أساس العلم الواسع بكافة شئون الحيـاة من طب وهندسة وجغرافية ونظام حكم وأدب لغة .. كانت هنالك أربع حضارات : الفارسية والهندية والإغريقية والعربية . وكانت كل ثقافة فى أول

---

١ — هذا رأى الأستاذ دكن . ويمكن القول بوجه عام إن الإنسان بتعلمه لغة قوم يستطيع أن يعرف شيئا عن حضارتهم أى أن اللغة مفتاح لمعرفة شىء عن الحضارة . وإن الأطفال يتعلمون اللغة الأجنبية ولا يعرفون شيئا عن حضارتها

2 Durean p 186

٣ — كرد على : صفحة ٣٥٣ — ٣٥٠

4 D Forde: Hibitat Economy and Society 1942 p 46

5 Notes and queries on Anthropology 1929 p 36

« منشورات الجمعية البريطانية لتقدم العلوم

Man6 magasine 1935 No 162 p 140

١ — دكتور احمد أمين بك : ضحى الإسـلام : الجزء الأول (١٩٣٨) ص ١٦٩ و١٧١ و٢٤٠ و٣٩٤

الأمرتشق لنفسها جدولا خاصا له طعمه ولونه ثم لم تلبث أن التقت جميعا وكونت نهراً عظيما . وقد التقت فى هـذا الميدان الرحيب الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام . واختلف الناس فمنهم من يرد جدولا معيناً ومنهم من ينهل من أكثر من جدول. وقد تمثل امتزاج الثقافات بأجلى معانيه فى ثلاثة أعلام : الجاحظ، وابن قتيبة وأبو حنيفة الدينورى . كان للحضارة الفارسية الفضل فى إنشاء منصب الوزارة وكان غالبا يسند إلى الفرس ، ولم يكن معروفا قبل العباسيين . وتغلغلت العادات الفارسية فى النفوس مثل عيد النيروز ولبس القلنسوة ومجالس اللهـــو والغناء . وقد لاحظ ابن خلدون أن حملة العلم فى الدولة الإسلامية كان أكثرهم من العجم لأن العلوم من الصناعات وهى من خصائص الحضر . ومن هؤلاء سيبويه وأبو حنيفة النعمان وبشار بن برد والكسائى والفراء وغيرهم. أما تأثير الحضارة الهندية فكان فى شيوع الإلهيات (المقالات الدينية) والرياضيات والنجوم والقصص والحكم . ويذهب كثير من الباحثين إلى أن الهنود هم واضعو الشطرنج ومنهم أخذ المسلمون وانتشر فى العالم . أما عن الحضارة اليونانية فقد كانت هناك مدارس ومراكز ثقافية أشهرها فى الأسكندرية وحران. وقد نقل الكثير من فلسفة اليونان وعلومهم فى الفلسفة والطب والمنطق. ولعل أهم ما نتج عن احتكاك الحضارات ما أخذه الخلفاء من مظاهر الأبهة ودلائل النعيم فى قصورهم ، فكان الخليفة لا يقل عظمة من قيصر الروم أو ملك الفرس .

الإسكيمو[1]

حدث الاحتكاك بين الأوربيين والإسكيمو فى شمال أمريكا الشمالية عن طريق صيادى الحيوانات ذات الفراء . وأقبل التجار ، فباعوا للأهالى أسلحة حديثة أحسن من تلك القـديمة فأدى ذلك إلى نقص فى الكاريبو فى جرينلند ودلتا نهر ماكنزى لكثرة الصيد مما أثر فى غذاء الأهالى . وقد أتى الأوربيون بالكماليات مثل الشاى والسكر والطباق والصابون — فضلا عن الأسلحة . ولكى يحصل الأهالى على هذه الأشياء . أصبح لزاما عليهم أن يبيعوا الجلود اللازمة لهم فى حياتهم وأصبحت الحاجة ماسة إلى الخيام والملابس . وفى أثناء الحرب العظمى الأولى امتنعت الموارد الأوربية فلم يجد الأهالى مندوحة عن الرجوع إلى الأساليب الأولى فى حياتهم. وقد لاقوا صعوبات من جراء نسيانهم عاداتهم . ومن أسوأ نتائج الاحتكاك بين الأوربيين والاسكيمو : انتشار الأمراض والأوبئة ففى منتصف القرن الثامن عشر هلك من الجدرى عدد كبير ، هذا فضلا عن انتشار مرض السل . وليس أدل على فداحة خطر الأوربيين من النقص المريع فى عدد السكان . ولقد شعر الأوربيون بخطرهم ، فأسرعت الداعرك إلى غلق موانى جرينلند فى وجه البواخر الأوربية لسنوات معدودات . إذن فاحتكاك الاسكيمو بالأوربيين لم يكن فى صالحهم ولقد قال جرينفول إن إسكيمو لبرادور فى طريق الفناء . وقد بدأت حكومة كندا تولى الأهالى هناك عناية واهتماما إلا أنه يشك فى تعمير الاسكيمو إلى زمن طويل .

زنوج البانتو بجنوب أفريقيا[1]

كان للمبشرين كبير الفضل فى الاحتكاك بين الأوربيين وزنوج جنوب إفريقيا ، إذ عملوا على إدخال المسيحية على أساس القضاء على الوثنية ، وتبع المبشرين التجار وأصحاب الحرف . وقد انقسم الأهالى حيال الحضارة الأوربية إلى ثلاثة أقسام : فريق بقى على حالته الأولى فى مستوى الحضارة الأصلية ، وفريق آخر غالى فى الاقتباس والتقليد. وبينهما فريق ثالث آثر أن يعيش وسطا يأخذ من كل ما يشاء . وتتلخص نتائج الاحتكاك فيما يلى :

النتائج الاقتصادية

١ — تحسنت الأحوال وارتفع مستوى معيشة الفرد .

٢ — سهلت عملية الصيد بسبب وجود البنادق التى جلبها التجار.

٣ — حدوث التبادل بين الأهالى والتجار . يأتى التجار بالبضائع الأوربية ويبيع الأهالى منتجاتهم التى درت عليهم رزقا كريما .

٤ — ظهور صناعات جديدة ، فانتشرت ماكينات الخياطة تعمل عليها النساء فى المنازل .

---

(١) تلخيص للفصل الثانى من :

Schapera Western cixilization and the natixes of southAfrica 1934

2 Browu ' The polar Regions, 1927' pp 154-156

٦ – أخذ الأهالى طرقا جديدة فى المحافظة على حيواناتهم والعناية بها وأصبح الحقن واجبا .

النتائج الاجتماعية

١ – انتشرت اللغة الانجليزية وذلك عن طريق التعليم .

٢ – تفككت روابط الأسرة بسبب تنقل الأهالى وراء الصناعة ، وكثيرا ما كانت الزوجة تسأم طول انتظار زوجها فتتخذ لها خليلا .

٣ – استنشق الشبان نسيم الحرية مما أودى بالسلطة الأبوية فانغمسوا فى اللهو وركبوا خيل المجون ، وتأنقوا لجذب أنظار العذارى اللائى يقعن فى شباك الإغراء غالبا .

٤ – تغير موقف القبيلة إزاء الفتيات إذ كانت العذراء التى تحمل تلاقى عقوبات شديدة وتذوق ألوان الاضطهاد ، وكان الأطفال غير الشرعيين يقتلون . أما الآن فإن هؤلاء العذارى (اللائى يحملن) توجه إليهن عناية ؛ وكذلك أطفالهن لهم الحق فى الحياة الطبيعية ولو أن لداتهم يعيرونهم . وأصبحت هذه الأمور تقع كأنها أمور عادية لا غرابة فيها !

٥ – لم يعد هناك احترام للتقاليد ، وأصبح للشباب من الجنسين حرية الاختيار فى الزواج .

الشرق والغرب (١)

كان للاسكندر الأكبر وحروبه فضل كبير فى اختلاط الشرق والغرب . وعندما انتقلت الآداب العربية إلى أوربا فى العصور الوسطى أثرت فى نهضة الآداب والفنون خصوصا بعد أن وصل المسلمون إلى جبال البرانس. أى أن الغربيين أخذوا من الشرقيين ما نفعهم يوم نهضتهم . وزاد الاختلاط شدة سهولة المواصلات وانتشار المخترعات وهجرات الشرقيين خصوصا أهل الشام إلى العالم الجديد . وقد استفاد الشرق كثيرا من الغرب فى العصور الحديثة إذ تعلم الشرقيون : معنى الوطن والوطنية وحب الجنس والقومية ، ونقلوا بعض الأوضاع الاجتماعية والسياسية. وأخذوا أصول الصحافة التى كان لها أثر عظيم فى إدخال الأفكار الجديدة وتبديلها من النظم القديمة . وتجلى أثر ذلك واضحا فى تنوير أذهان الشرقيين وثورتهم على الاستعمار فى السنين الأخيرة وذلك لانتشار الآراء الثورية .

وكان احتكاك المصريين بالفرنسيين فى القرن الثامن عشر أول احتكاك علمى مع الفرنجة . وممن كانوا فى طليعة المستفيدين مؤرخ مصر فى ذلك الحين الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ، وشيخ الأزهر حينئذ الشيخ حسن العطار ؛ إذ علموا بعض علماء الحملة الفرنسية اللغة العربية وتعلموا منهم ما لم يكن لهم به عهد من العلوم المادية . وقد أبدع الجبرتى – فى تاريخه – فى التعبير عن شعور الشرقيين تجاه هذه العلوم ، وقام فريق من علماء الحملة بدراسة مصر من كافة نواحيها . ويعتبر كتاب «وصف مصر» أوفى دراسة وأحسن مرجع للحياة المصرية فى ذلك الحين . ولما تولى محمد على الكبير حكم مصر أوحى إليه ذكاؤه أن الانعزال مبعث التأخر فأبقى على التعليم فى الأزهر وأدخل التعليم الحديث وأرسل فى استدعاء الأساتذة والأطباء ، بيد أنه رغب فى الاستغناء عن الأجانب والأخذ عن الغرب مباشرة فأوفد البعثات العلمية إلى إيطاليا ثم فرنسا وانجلترا وألمانيا وغيرها . وقد نهج محمد على خطة حميدة وهي الأخذ بمحاسن الغرب مع الإبقاء على تراث الشرق بل إحيائه . على أن احتكاك الشرق بالغرب قد جلب الكثير من المساوىء منها انتشار المسكرات وفتح أبواب الفجور والاستخفاف بأمور الدين .

خاتمة :

بعد دراسة احتكاك الحضارات وعرض أمثلة له ، يمكن القول بوجه عام إنه ليس فى مقدور أمة أن تعيش بمعزل عن سائر الأمم فلا بد من التأثير والتأثر . ومما هو جدير بالذكر أن للاحتكاك مساوئه ومحاسنه إلا أن الأمة الحريصة هى التى تستفيد من تجارب غيرها ، وتعمل على أن تتخلص مما طرأ عليها من أضرار وشرور نتيجة احتكاك الحضارات .

وقد نتج عن ذلك – نتيجة ما اتصف به الانسان من الهجرة والتقليد كما ذكرنا فى بداية هذا البحث – أنه لم تعد هناك حدود فاصلة بين الأجناس البشرية ، لذا قيل بحق: إن الجغرافيا الجنسية لا تعرف الحدود . ويظهر ذلك بجلاء فى اختلاط العناصر وامتزاج الدماء فى ربوع وادى النيل .

محمد محمد على
(ليسانسيه فى الآداب)

---

١ – تلخيص من كتاب الأستاذ محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية : الجزء الأول .

حول دراسة العربية

تعقيد « التقعيد » ..!

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

قرأت ما دار حول تدريس العربية فى الأزهر ، ولقد أثرت هذا الموضوع فى جريدة المقطم فى ٢٦ - ٨ - ١٩٣٧ ، فلم يبد أحد رأياً حوله ، لوقوف الاتجاهات الفكرية ، وعدم الخروج عن دائرة التزمت العلمى ، لكن الأيام تغير الأفكار ، وتلاين الصلابة الفكرية ، فيعاد تساؤلنا الذى بسطناه حينئذ : « هل تلك التواليف المتعددة .. على تباينها - قدحصرت القواعدحصرا يمكن الأخذ بها ؟ ، أو أنها تناثرت واضطربت وكانت عقبة يتعذر بها على متشوف العلم التفهم والاستقلال فى التعرف ؟ ! ...

« إن التصانيف الموضوعة فى هذه العلوم على ركاكة أسلوبها ، وتنافر بحوثها غير مجدية فى باب الانتاج العلمى ، والمدارسة فى مجموعها سائرة على غرارها ، ويكاد الآخذون يرددون ألفاظها من دون أن يجعلوا للابتكار والتفنن فى التعابير وظيفة يعتمدون عليها فى إيضاح الطريق وكشف الأسرار عن المعميات الملغزة بالأغاز ومناقشات جوفاء لا تمت إلى البحث العلمى بأدنى صلة ، ثم « التقعيد » بتعابير موضوعة كالقوانين التى لا يتصرف فيها أقل تصرف ، فغدت القواعد تحاكى « الاسطوانات » المكرورة - وبقيت اللغة محرومة من المقايسة المعقولة وحددها المصنفون الأعاجم ذوو البيان الملتوى ، والمنطق الأبكم تحديدا وضعها فى الأغلال ، ولم ينظر إليها المحدثون نظر البصير بل إزدادوا فى عجلاتهم والعصر يتطلب السهولة ، والبراعة ، والسرعة وطلاقة الفكر ، والتجديد ، ومراوضة العقول على كيفية التعقيل ... »

« إن الحياة تتطلب ألوانا من التفكير تابعة لألوان الأيام . وإذا كان الكاتبون فى علوم البلاغة ، والنحو ، والصرف ، قد انتحوا إلى الناحية اللفظية وخلطوا ، واضطربوا ، فليس لنا أن نأخذ منهم طريقتهم ، لأن عصرنا يخالف عصرهم والأفكار تتمشى بطبعها مع العصور ...

برمت العقول بما تحدثه « الحواشى » وأشباهها من الافتراضات البعيدة الذاهبة بحقيقة العلوم إلى ما وراء الخيال ، ووقفت الإفادة إلى حد المناقشة فى أسلوب التعاريف البلاغية والنحوية ونقد حدودها بأسلوب يحتاج إلى النقد ، ويدهى أن طالب الاستفادة لا يشغله غير ما يدله على موطن استفادته ، أما الأوهام التى يدل عليها قولهم : « فإن قيل » ، فليس لها مدخل فى الصميم فمتى تشذب هذه التواليف وتؤخذ الزبدة حتى تكون سائغة مقبولة ؟

« إن الأعراب كانوا ينطقون بالسليقة والفطرة ، فلم يعرفوا التنافر وضعف التأليف ، والحركة الظاهرة والمقدرة ، والإظهار ، والاضمار ، والاتصال ، والانفصال - بل كانوا يرسلون القول إرسالا » .

« إن معرفة الآراء واجبة ، لكن التكليف والارغام ، والموافقة والاستسلام ، لا يجب أن تكون حاجزا بين المناقشة وطرد مالا تستسيغه العقول فليس واجبا حصر العقول فى خلافات سيبويه والكسائى والفراء وابن خروف وابن جنى ، أو متابعة أقوال السكاكى والزمخشرى والقزوينى - لأن بحوثهم استطرادية » ...

« الطريقة المثلى التى يجب أن تدرس بها علوم اللغة تكون فى الاقتصار على الاستشهاد من أقوال العرب الخالصين بالقواعد التى وضعها الأقدمون ثم الإشارة إلى المواضع التى اختلفت فيها الأقوال » .

« يجب أن يقوم بعض المضطلعين بعلوم اللغة ، الواقفين على أسرارها بوضع كتب علمية خالصة تحمل القواعد فى أسلوب بعيد عن التلوى والتأويل ، والتجوز ، والمحاورة » .

وقلت فى جريدة « الجهاد » : إن لغة التأليف فى كتب الأزهر تقوم على التلوى والمداورة ، والتأويل ، والتحوير ، والإلغاز والتعمية - واللغة العربية هينة لينة بعيدة عن التكلف والغموض بل هى أحفل اللغات فى التوسع والتجوز ، وحفلت ألفاظها بالمترادفات ، وكثرت التعابير المجازية والكنائية فى سلاسة وقرب مأخذ .

لكن السادة المؤلفين - رحمهم الله ! - كانوا يرون البراعة

الشعر المصرى فى مائة عام

على ابو النصر

.... — ١٨٨٠

للاستاذ محمد سيد كيلانى

بقية مانشر فى العدد الماضى

ومدح الخديو توفيق بقصيدة مطلعها

روض الأمانى تغنينا سواجمه فكل راج لها تصفى مسامعه
وكيف يرتاب من لاح اليقين له فى جبهة الدهر أو من يخادعه

لم يبدأ الشاعر هذا المدح بالغزل كعادته . وإنما بدأه بذكر الأمانى والآمال التى كانت تدور بخلد النـاس حينما تولى الخديو الجديد . والبيت الأول جيد المعنى والعبارة . أما البيت الثانى ففيه رد على اليائسين من الاصلاح ومعناه جيد . وقال :

وهل على من سعى يوما إلى غرض لوم إذا منحت منه موانعه

يقول إن من شمر العزم لتحقيق بعض الأهداف وفشل فى ذلك فلا لوم عليه ولا تثريب . وهو بهذا يرد على المرتابين . والبيت جيد المعنى والتركيب . وفيه حجة مفحمة . وقال :

نحن الألى سلقتنا ألسن نطقت فى عتبنا بعـــلام عم شائعه
قالت لقد عصفت فيكم رياح هوى أمالكم عن سماع النصح ذائعه
تبنون من غير أس فى تصرفكم ويحكم الأمر فاتتكم مواضعه
أضغاث أحلامكم كادت تؤولها آمالـكم بحديث ضل رافعه
حيث الخواطر والأفكار خامرها منَ الحوادث ما عمت فظائعه
وجندت جندها الأيام عادية وجردت سيف غدر صال قاطعه

هذه القصيدة هى من أجود ما نظم أبو النصر . فلم يكن الرجل فيها متكلفا ولا متصنعا، ولا كاذبا ولا متملقا ، ولا مرائيا ولا منافقا . وإنما كان وطنيا مخلصا يعبر عن شعور داخلى كامن فى نفسه ويترجم عن احساس دفين بين جوانحه . وقد نسى الشاعر نفسه وتجاهل مصالحه الخاصة والنعم الكثيرة التى اغدقت عليه فى أيام اسماعيل ، ونظر إلى الأمور نظرة المشفق على ما فيـه خير الأمة ، المتألم لما أصاب البلاد من الكوارث والخطوب . وقد أطلق للسانه العنان فنطق فى غير خوف ولا وجـل ، وانتقد فى جرأة عجيبة . والأبيات جيدة المعانى والتراكيب .

وقال :

وكل من رام تدبيرا ولاح له جند الحرائد هـالته طلائعه

هذا البيت مأخوذ من الواقع . وربما كان فيه إشـارة إلى الصحف الأوربية التى أكثرت من مهاجمة الخديو اسمـاعيل فى أواخر أيامه . والمعنى جيد غير أنه كرر صورة واحدة فى بيتين وهى صورة الجيوش فى قوله « جندت جندها الأيام » وفى قوله « جند الحرائد » كما أنه كرر كلمة « جند» فى بيتين متتاليين. وهذا غير جيد . وقال :

وما أجبتم سؤال المحدقين بكم كأنما القطر لا تغنى وقائعه
كم زهتكم رباه فى مراتعها فأصبحت وهى للرائى بلاقعه
أكرمتم الغرباء النازلين بكم لـكن فلا حكم ضاقت مزارعه

هذه أبيات جميلة لأنها صادرة عن شعور فياض بالحزن على ما أصاب البلاد . وفيها موازنة بين الرخاء الذى كان فى زمن سعيد وأوائل عهد اسماعيل وبين الضنك والبؤس الذى خيم على البلاد فى أواخر حكم اسماعيل . وفيها إشارة إلى الضرائب الباهظة التى أثقل بها كاهل الفلاح فاضطرته إلى الاستدانة من المرابين

من حيث الإعراب ويمدون الدقة فى فصل العبارات بعضها عن بعض وتقديم الصفة على الموصوف والمتعلق على ما تعلق به ، وعود الضمير على المتأخر فى اللفظ والرتبة ، والاستطراد ، والإشارة البعيدة ، والرمز الخفى ، إلى غير هذه الأمور « المصطنعة » فى التأليف العلمى .

هذا وكان الوقوف عند القديم وتمسك القائمين على التعليم فى الأزهر « بالعبارة العلمية » المقصود بها « الحفظ الأعمى لا الفهم المبصر » .

مما سبب عدم العناية بتلك التواليف الجامعة بين الورود والأشواك !! وبعد ؛ فالحياة قد تغيرت ، والعقول تفتحت ، والمواهب تعددت ؛ وليس عسيرا على أصحاب الوعى من علماء الأزهر تكوين هيئة تبرز العلم الصحيح فى أسلوب واضح، سلس، شائق .

بور سعيد أحمد عبد اللطيف بدر

أو إلى الفرار وترك الأرض قفرا لا زرع فيها ولا ضرع . وفى البيت الأخير بكاء شديد على ما أصاب الفلاح المسكين . وقد أجاد الشاعر فى المقابلة بين الأجانب الذين نعموا بكل خيرات البلاد وبين الفلاحين الذين كانوا محرومين من ضروريات الحياة . والأبيات الثلاثة جيده المعنى والأسلوب . وقد أسبغ عليها الحزن روعة وأكسبها جلالا . ومن قرأ البيت الأخير لا يسعه إلا أن ينحنى إكبارا لأبى النصر الذى كان أول شاعر فى العصر الحديث يعبر عن آلام الفلاح ويتعرض لذكر ما يعانيه من ضيق وفقر . وكان أبو النصر كثير الاختلاط بالفلاحين فرأى من آلامهم ومتاعبهم ما ظهر أثره فى هذه القصيدة فوقف فيها كما نرى موقف المدافع عن هؤلاء القوم ، المناضل عنهم ، رافعا عقيرته بطلب الاصلاح . وقال :

فن لكم أن تروا عدلا أخاهم يسركم بقدوم العدل طالعه

وهذا البيت تمهيد للانتقال من وصف الأحوال المحزنة التى أشرنا إليها إلى التنويه بالفرج المرتقب على يدى توفيق . وهذا التخلص جيد إلا أن أسلوب البيت ضعيف .

ثم قال :

فقلت مهلا فكم من أزمة فرجت وأعقب الليل صبح ضاء لامعه
وإنما اليسر بعد العسر منتظر وأحسن الصبر ما ترجى منافعه
دعوا الأراجيف فالأوهام ليس ترى إلا خيال سراب فاض ناقعه
ولا يغرنكم منا الفتور فقد يسابق الركب فى الفيفاء ظالعه

فى هذه الأبيات يرد على المرتابين فى الاصلاح واليائسين من الفرج . وقد حاول أن يقنعهم بأن الفرج آت لا محالة . وقد أجاد إذ سلك طريق الحوار لعرض آرائه وبسط آماله وأمانيه . ففى الأبيات الأولى أجرى الحديث على ألسنة المرتابين فى الاصلاح، وعظم من شأن ما كانت تئن منه البلاد . وفى الأبيات الأخيرة أجرى الحديث على لسانه فأعرب عن رجائه فى اليسر بعد العسر ، وفى الفرج بعد الشدة . ثم انتقل من هذا الى مدح الخديو وخاطبه بهذه الأبيات :

نرجوه إنجاز إصلاح الشؤون عسى يصفو به الملك دانيه وشاسعه
فإن آمالنا أمتعه جارية بأنها لا ترى شهما يضارعه
فكن مجيبا أبا العباس دعوتها فباب عطفك يلقى البشر قارعه
ووال فضلك ياخير الولاة لمن وإلى لأمرك يشقى من يراجعه
واستنتج الرأى اصلاحا فقد حجبت شمس الهدى بسحاب فاض هامعه
وطهر الملك من عات ومنهم تقوده للقضا جهلا مطامعه

هكذا وقف أبو النصر من الخديو توفيق موقف الناصح الأمين والمرشد المخلص . ووقف كذلك موقف الوطنى الغيور على مصلحة أمته فطالب برفع المظالم وتطهير الأداة الحكومية من اللصوص والمرتشين . وهذه الأبيات من أصدق الشعر الذى قيل فى ذلك الوقت . ففيها تعبير عن رغبة شديدة كمنت فى النفوس ، وتطلعت إلى تحقيقها القلوب . وكان أبو النصر ممن ترجموا عن هذه الرغبات الكامنة ونطق بما ترجوه الأمة من الاصلاح ورفع المظالم . وختم الشاعر قصيدته الرائعة بقوله :

فإن رعيت وراعيت الحقوق فما أولاك بالمدح يتلو الحمد بارعه

وفى هذا البيت تظهر جرأة الشاعر فى مخاطبة سيد البلاد . فهو يقول له إنك لن تكون أهلا للمدح والثناء إلا إذا قمت بما تتطلبه البلاد من الاصلاح ونشر العدل . ولا ريب فى أن الشاعر قد وفق وأجاد حينما ختم قصيدته بهذا البيت المؤثر . وهذه القصيدة وإن قيل إنها نظمت فى مدح الخديو الجديد إلا أن ظاهرة المدح فيها لا تكاد تذكر . وطغت عليها ظاهرة الالحاح فى طلب الاصلاح . وهى أروع ما نظم أبو النصر ، بل من ؛ أروع ما نظم فى ذلك الدور على الاطلاق .

وهكذا اشترك أبو النصر فى التمهيد للحركة العرابية التى ظهرت بعد وفاته .

وللشاعر طريقة خاصة فى الرثاء . فهو يبدأ بالتحدث عن الموت فيذكر أنه غاية كل حى ، وأنه السبيل الذى يسلكه كل مخلوق . ويشير إلى إستحالة الخلود . ثم يتعرض لذكر الأصاغر والأكابر الذين ماتوا . ثم ينوه بالخطوب التى تصيب الناس بفقد العظماء . ويتخلص من ذلك إلى القول بأن أجل خطب فى عصره هو وفاة فلان . ثم يشرع فى التنويه بمناقب الفقيد . فلما رثى السيد مصطفى العروسى أورد الديباجة التى أشرنا إليها ثم تخلص منها بقوله :

وأجل خطب غصت الدنيا به فى عصرنا فقد العروسى مصطفى

ورثى أحد العلماء فسلك الطريقة عينها وتخلص بقوله :

وأجل خطب ساء أرباب النهى فقدان من تزهو به وتفاخر

وفعل مثل هذا فى رثائه لعالم آخر وتخلص بقوله :

وأجل خطب هالنا وأهمنا — أن غاب عنا ذو الفضائل أحمد

ونهج هذا النهج فى رثائه للشيخ على القوصى ، فقال :

وأجل خطب غصت الدنيا به — موت الإمام السيد القوصى على
وهو ابن عبدالحق من حاز العلا — شرفا وعلما وهو أستاذ ولى

فالرثاء عند أبى النصر صورة معادة وتكرار لبعض المعانى فى عبارات تكاد تكون متشابهة . وليس فى هذه المراثى ما يستحق أن نقف أمامه إذ أنها متكلفة مصطنعة . فكلما رثى شخصا ادعى أن موته كان أجل خطب أصيبت به الدنيا . ولذلك لن نخسر شيئا إذا تركنا هذا الباب من شعره .

ولأبى النصر قصائد قليلة يظهر فيها صدق الشعور والتهاب الاحساس واتقاد العاطفة . ومثال ذلك قوله وهو بالأستانة يتشوق إلى مصر :

أبدا تشوقنى لمصر ظلالها — ويطوف بى مهما رحلت خيالها
ولنيلها أصبو وعذرى واضح — عذبت مناهلها وراق زلالها
هى منتهى أملى وأقصى بغيتى — هى قبلتى والواجب استقبالها
ولطالما سرحت فيها ناظرى — وحلت إلى سهولها وجبالها
وجمعت بين رياضها وحياضها — وسرت إلى جنوبها وشمالها
أرض المستفيد عوارفا — تسدى النوال يمينها وشمالها
بلد بها وطنى فلا أبغى بها — بدلا ولو بعدت وعز وصالها
لكن رأيت عزيزها طلب السرى — منها إلى بلد يروق جمالها
ونظرت فى شأن البدور وإنها — لولا تنقلها لفات كمالها
وكذا اللآلى لو ثوت فى كنزها — مالاح فى تاج العروس هلالها
فرغبت فى الترحال وهى بخاطرى — مطبوعة منظومة أشكالها
ودعتها وفمى يقبل ثغرها — ومدامعى يحكى الحيا استرسالها

هذه أبيات نقرأها فنعجب بها ونقف أمامها متأثرين بما فيها من روعة وجمال . فلم يكن الشاعر متكلفا ولا صانعا للشعر ولا ناظما جل همه البحث عن المحسنات اللفظية . وإنما كان ناطقا بما فى أعماق نفسه وقرارة فؤاده ، معبرا عن شوقه لبلاده ، مترجما عن مبلغ تعلقه بوطنه تعلقا جعله يتخذه قبلة يولى وجهه إليها أينما سار . ولم تلهه عن بلاده مظاهر الجمال والروعة التى يشاهدها كل من رحل إلى الأستانة ؛ بل إن شوقه لبلاده وما فيها من رياض وحياض وسهول وجبال ونسيم عليل قد سيطر على ذهنه وطغى على كل شىء أمامه فلم يعد يرى غير مصر إليها يصبو ويحن ، فهى كما قال منتهى أمله وأقصى بغيته . وفى كل بيت من هذه الأبيات نلمس قوة فى التعبير . ومثال ذلك قوله : — أبدا — تشوقنى لمصر ظلالها ، ويطوف بى — مهما — رحلت خيالها ، هى — منتهى — أملى ، — وأقصى — غايتى ، هى — قبلتى — ، — فلا أبغى بها بدلا ولو بعدت — . وأنظر إلى البيت الأخير وهو :

ودعتها وفمى يقبل ثغرها — ومدامعى يحكى الحيا استرسالها

فإنك لا شك متأثر بما فيه من روعة ، تتخيل الشاعر وقد هوى على أرض الاسكندرية يقبلها ويبكى بكاء شديدا لهذا الفراق فتعطف عليه وتبكى لبكائه .

وكان أبو النصر مغرما ببعض أنواع البديع يحشدها فى قصائده حشدا . ومثال ذلك قوله :

لى فى ربا الشوق اتهام وانجاد — إلى الأحبة إن ضنوا وإن جادوا

وفيه طباق بين « اتهام » و « انجاد » وبين « ضنوا » و « جادوا » وفيه جناس بين « انجاد » و « جادوا » .

ومن تلاعبه بالألفاظ قوله وهو بحضرة شيخ الاسلام فى تركيا :

وكنا نرى مصر السعيدة جنة — ونحسبها دون البلاد هى العليا
فلما رأت دار الخلافة عيننا — علمنا يقينا انها لهى الدنيا

ففى كلمة « الدنيا » تورية لطيفة تدل على البراعة والاقتدار فى الصنعة .

وللرجل شعر ينحط فى أسلوبه إلى العامية . ومثال ذلك قوله .

سده واجب أكيد وإنى — أبتغى فى مسافة الشهر سده

وقوله :

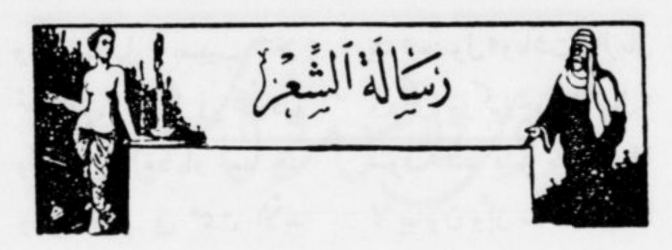
ومنى عليكم كل يوم تحية — وسائر أحبابى الكرام ذوى المجد
كذا جملة الاخوان شرقا ومغربا — متى سألوا عنى ولو أخلفوا ودى

وهذا كله من تعابير الدهماء .

وحاول صاحبنا أن ينظم فى باب الحكم . وله قصيدة قلد فيها صالح بن عبد القدوس فأخفق إخفاقا تاما . ومن هذه القصيدة قوله :

حسن الخليفة للخليفة يوجب — حسن الرضا عنهم ونعم الموجب
والعلم يرفع قدر من عملوا به — والعاملون بغير علم كذبوا
والمدعى ماليس فيه جهالة — لا شك عند الامتحان يكذب

وهذا كلام خلو من المعنى . وفضلا عن ذلك فإن عبارة البيت الأول فى منتهى الضعف وقد كرر القافية فى قوله



نهاية الملحمة

للاستاذ ابراهيم الوائلى

يا شعوبا نسيت أمجادها واحتواها عالم الوهم القديم
إسألى القبة من ذا شادها فأضاءت حلك الليل البهيم ؟

قد تعثرت وما جزت الشعاب وتلكأت وقد غص الطريق
وتنابذت ، وقطعان الذئاب تتلاقى فى ذرى البيت العتيق
فاذا كل مساعيك ضباب مزقته الريح فى الوادى السحيق
لا تقولى : أين يا فجر الحياه كيف نلقاك وفى أى مجال ؟
بعد ما تهت بأجواز الفلاه وتناثرت على شوك الرمال

يا شعوبا صيرتها مزقا أمة ما عرفت غير الفساد
عبرت والنجم يطوى الغسقا وأفاقت فاذا النار رماد
دعم الظلم لها ما لفقا عصبة تحلم فى «أرض المعاد»
وتراجعت وقد قيل انذر حلم «اسرائيل» فى الوادى الأمين
فاذا أنت فلول وزمر تتحداها وحوش الطامعين !

يا شعوبا كم أرتنا عجبا سيرا شتى وعهداً لا يطاق !
صيرتها المآسى ملعبا أرؤس تحيا على غير وفاق
آن يا تاريخ ألا نكذبا فلقد طال بنا عصر النفاق
إن أقوامى قد ضلوا الطريق واستجابوا لأباطيل الخصام
وتناسوا ذمم المهد الوثيق يوم ثار الدم فى أرض السلام

هذه الطعنة فى القلب الجريح سوف تبقى رمز ذل الصاغرين
وضحايا الغدر فى مهد المسيح شارة الخزى على كل جبين
والمصابات على الوادى الذبيح قهقهات تتحدى الحاكين
يا شعوبا قوضت منها الهمم واستحالت مسرحاً للدخلاء
اعبدى الوهم وطوفى بالرمم ثم قولى : إن ذا حكم القضاء !

يا شعوبا كان ماضيها العتيد شعلة تشرق فى دنيا الظلام
تستسيغ الموت فى ظل الحديد وتناجى الحب فى ظل السلام
أنت أصبحت طعاماً للعبيد وستبقين لمن شاء الطعام
فخذيها من خرافات العصور ضحكة تبقى على ثغر السنين
وألفى الصمت فايجدى الغرور أمة تسعى وراء الفاتحين !

يا شعوبا أسست وحدتها لغة عظمى ودين ودم
ودعاها باعثا نهضتها من بنى العرب يتيم معدم
كيف أغضيت فأحيت «سبتها» فئة هانت لديها الذمم
ثم ناديت بمن لا يستجيب وترافعت لأوهى «مجلس»
فاستعدى إن فى الآتى القريب قصة أخرى عن الأندلس

علمتنى الحقد - والحقد مشين أمم تسعى لتهويد العرب
فتنفست عن الحقد الدفين ثورة تذكو بأنفاس اللهب
وسأبقى ثائرا فى كل حين كلما أبصرت عباد الذهب
والمصابات بوادى «أورشليم» تتغنى بأناشيد الظفر
وحواليها من الغرب الأثيم بشر يشكر تاريخ البشر
يا شعوبا سجلت خذلانها وتناست ثورة الأمس القريب !

«كذبوا» و «يكذب» وهما من فعل واحد .

وحاول أن ينظم فى باب الحماسة فجاء شعره متكلفاً مكذوبا .

ومثال ذلك قوله :

بليت بلا الهبا إن لم أصابر ولو يابى على ظهرى ثبير
فكم جبت المفاوز للمعالى على قدمى وقد ند البعير
ووسدت الصفا شرقا وغربا وعافتنى النمارق والسرير

وهذا افتراء عظيم . وليس فى تاريخ الرجل ما يدل على أنه قطع مفازة واحدة أو ركب بعيرا .

ومما عبته عليه قوله فى الخديو اسماعيل

وإذا تشوف من يراك النعمة تهدى إليه سوى رضاك فقد كفر

ففيه تكلف ومغالاة تخرج به إلى حد الكذب الصريح .

ولا شك فى أن الرجل كان ضئيل الحظ من الاطلاع على آثار الفحول . ومعظم شعره فى المدح . وحسبنا أن نقف فى حديثنا عنه عند هذا الحد .

محمد سيد كيلانى

قد أطاعت فى الدجى ربانها   وهو بين الموج يطفو ويغيب!
أى صبح فتحت أجفانها   «بنت اسرائيل» فى «تل أبيب»؟
وأفقنا فاذا بالحائرين   فى صحارى البيد فى دنيا القفار
إيه يا من سيروا هذى السفن   انتم أولى بأمواج البحار

روعت «حيفا» بأشتات الطغام   فانحنى يبكى عليها (الكرمل)
وانطوت «يافا» على الداء الحسام   فشكا القدس وناح «المجدل»
وعلى «الرملة» و«اللد» السلام   يا شعوبا خاب فيها الأمل
لا ورب ما لهاتيك الشعوب   أى ذنب لا ولا ثم عتاب
انما يعرف أسرار الذنوب   مازج العلقم بالشهد المذاب

ألف وعد لم يف الخصم به   ولبلفور بوعد قد وفى
فتقاضينا ولم نغتبه   لشباك نصبت طى الخفا!
يا بلادا لم نجد من مشبه   لك فى ظل ركاب الحلفا
أنت آمنت بمن لم يؤمنوا   بسوى الغدر و«فرق تسد»
فاذا دنياك ليل أدكن   ليس للفجر به من موعد؟

نبعة قد غرست فى «لندن»   وتلقت من «نيويورك» الظلال
وسقتها بصبيب نتن   يد «جنبول» وعاشت فى الرمال
ثم ألقت ظلها فى الأردن   وترامى شوكها حول «القنال»
وأراها فى غد أو بعد غد   سوف تمتد بشر مستطير!!
وبنو قومى فى صمت الأبد   لا يبالون وإن ساء المصير!

ألأبناء القصور العاليه   جيلنا الراسف فى أغلاله؟
أم لشذاذ البحار النائيه   عالم يقضى على آماله؟
أم لهاتيك الوحوش الضاريه   ربع حتى الطفل فى أسماله؟
أم لمن يا رب تلك الصرخات   تملأ الآفاق آنا بعد آن؟
فابعث الرحمة فى الأرض الموات   أو فأحرقها بنار ودخان

يا رفاق الثورة الأولى احذروا   فتنة الدس وكيد الخائنين
فلقد بان الصباح المسفر   عن خبيء وتجلى عن كمين
هوم الركب فلا تنتظروا   غير أن يزحف ركب الثائرين
وابعثوها صيحة تحتدم   فى فضاء الله فى عرش السماء
فلقد آن لكم أن تختموا   هذه القصة لكن بالدماء

ابراهيم الوائلى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

ذكرى اقبال :

دعت السفارة الباكستانية إلى الاحتفال بذكرى الشاعر الفيلسوف المغفور له الدكتور محمد إقبال ، فى القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية يوم الجمعة الماضى . ولم يكن هذا الاحتفال قاصرا على اخواننا الباكستانيين فى مصر ، بل كان فى أغلبه احتفال مصر بالشاعر الاسلامى الكبير ، على أنه كان أوسع من ذلك إذ اشترك فيه أحد المستشرقين وهو الأستاذ داود كاون الذى قال إن إقبال لم يكن شخصية إسلامية كبيرة فحسب بل كان شخصية عالية ..

افتتح الحفل — بعد تلاوة من القرآن الكريم — سعادة السيد عبد الستار سيت سفير الباكستان فرحب بالحاضرين والمشتركين فى الاحتفال وأشاد بصاحب الذكرى وفضله فى العمل على قيام دولة الباكستان . وأعقبه سعادة الأستاذ ابراهيم دسوق أباظة باشا بكلمة طيبة قال فيها إن الباكستان ولدت بفتة على يدى بطل من أبطال الإسلام هو شاعرنا العبقرى محمد إقبال ، وقد ولدت هذه الدولة كبيرة بفضل رجالها الذين جاهدوا فى سبيل إنشائها وعلى رأسهم إقبال ، ونحن إذ نكرمه فإنما نفعل قياما بالواجب نحونا ، إذ أننا حين نكرم هذا الرجل العظيم فإنما نقدمه للشبان أسوة حسنة ، فقد كان ذا هدف شريف وهو العمل على رفعة الإسلام .

وألقى الأستاذ مظهر سعيد كلمة عن فلسفة إقبال قال فيها إن هذه الفلسفة مزيج من الفلسفة الغربية والفلسفة الإسلامية وأنها ترمى إلى الخير والكمال فى ظل الاسلام . وألقى الدكتور ابراهيم ناجى قصيدة جيدة مطلعها :

حيا وميتا قلدوك النارا ما أروع الأيام والتذكارا

وتوالى بعد ذلك خطباء وشعراء منهم الشيخ الصاوى شعلان الذى ترجم كثيرا من شعر إقبال من الأردية والفارسية إلى العربية ، وكان فضله فى ذلك ظاهرا ، إذ كان كل ما استشهد به الخطباء مما ترجمه هو والأستاذ محمد حسن الأعظمى . واختتم الاحتفال بكلمة الدكتور حسين الهمدانى الذى قال إن الشكر على المشاركة فى إحياء هذه الذكرى ليس لى فقد سمعتم من الخطباء والشعراء أن شاعرنا الفيلسوف لم يكن شخصية محلية ، لقد كان جزءا من التراث الذى قدمه المسلمون للعالم .

وقد أصدر قسم الصحافة بالسفارة الباكستانية عددا خاصا بالشاعر محمد إقبال من مجلة « رسالة الباكستان » التى تصدر بالقاهرة . وأذاع راديو كراتشى برنامجا خاصا بهذه الذكرى . وقد استطعنا مما نشر وأذيع عن إقبال وما ترجم من أشعاره إلى العربية أن نقف على كثير من حياته واتجاهه الفكرى ونستمتع بنفحات شاعريته ، ومما يذكر أيضا أن الأستاذين الشيخ الصاوى والأعظمى قد أنجزا كتابا عنوانه « فلسفة إقبال » نقلا فيه إلى العربية ديوان إقبال ، والكتاب على وشك الظهور . ولاشك أن هذه الجهود كلها تضيف إلى الأدب والثقافة والمكتبة العربية الحديثة أقباسا منيرة من ذلك الأفق المشرق .

ولد محمد إقبال سنة ١٨٧٣ فى أسرة براهمية بقرية لوهار بكشمير ، وقد اعتنق أحد أسلافه الدين الإسلامى وأصبحت الأسرة بعد ذلك أسرة إسلامية وتعلم إقبال فى المكاتب والمدارس الهندية حتى أتم دراسته بكلية الحكومة بلاهور ، واتصل فيها بالمستشرق توماس أرنولد أحد أساتذتها إذ ذاك . ثم رحل إلى أوربا سنة ١٩٠٥ قاصدا كمبردج ثم هيدلبرج بألمانيا ثم ميونخ حيث حصل على الدكتوراه برسالة موضوعها « تطور الفكرة العقلية فى إيران » وعاد إلى وطنه فى سنة ١٩٠٨ . ولم يلتحق بخدمة الحكومة لضعف بصره ، فوجه جهوده إلى الانتاج الفكرى الحر ، حتى توفى سنة ١٩٣٨ .

كان إقبال شاعرا وفيلسوفا ، ولكنه لم يكن من أصحاب الأبراج العاجية ، بل كان شاعرا بآلام قومه وآمالهم ، وكان فيلسوفا ينظر فى أحوال أمته ويعالج شؤونها ويختط لها طريق المستقبل الزاهر ، يجمع شعره بين الأهداف السياسية والاجتماعية

وبين المتعة الفنية والغناء الشعرى كان يتغنى بمآثر الإسلام وأمجاد المسلمين فيطرب الأسماع ويذكى الحمية ويشعل نار الهمم ، وكان يقرع الأعداء بمضب قوله فاذا أغراضهم فى إذلال البلاد الاسلامية تنكشف وتتهاوى ، وإنما تبعث الأمم المغلوبة على أمرها بالتنوير والتنبيه والتحذير فى أول الأمر ، وبعد ذلك يفعل الرأى الحازم المستنير كل شىء .

نظر إقبال فرأى الأوربيين يعيشون فى صراع وتتكالب على المادة ، ونظر أيضا فرأى تواكل المسلمين وجمودهم ، ولاحظ مع ذلك اتجاه هؤلاء إلى الثقافة الأوربية ، فلم يجد فى ذلك ما يخشاه إلا أن يؤخذ بالظاهر البراق دون النفوذ إلى الجوهر الصحيح — نظر إلى ذلك ثم ناشد المسلمين أن يرجعوا إلى دينهم ليتأملوه من جديد فى ضوء الفكر الحديث كى يقيموا حياتهم على أسسه الروحية العملية

ومن أسرار عظمة إقبال أنه اغترف من الثقافة الغربية ما انتفع به فى تعزيز مقوماته الأصلية ، ولم يجر وراء الغربيين يأخذ عنهم كل شىء ويزدرى قومه كما يصنع كثير مما رأيناهم فتنوا ببدلك السراب ، وإنما رجع إلى قومه بما يفيدهم من تلك المدنية والثقافة على أن يبعثوا من إمكانياتهم الكامنة ما يوجههم وجهة أجدى على الحياة الإنسانية مما يشاهد فى الغرب من اندفاع نحو الأنانية والصراع المادى .

وهاك شيئا من نفحات تلك الشاعرية فى هذه القطعة التى قالها فى فلسفة الألم وهى من الترجمة المنظومة التى قام بها الشيخ الصاوى شعلان :

إن الذى لم يدر أنات المساء
ولم يسامر عينيه نجم السما
ولم يحطم جام قلبه الأسى
ولم ينر ظلام ليله البكاء
والسادر اللاعب طول عمره
لم يستمع إلا إلى عذب الغناء
والعاشق المحروم فى غرامه
من لوعة الذكرى وحسرة الجفاء
ويجتنى الزهر الذى لم تختضب
يداه فى الشوك بحمرة الدماء
جميع هؤلاء مهما سعدوا
من نعم الحياة بأمن ورخاء
فان أسرار الحياة تختفى
عنهم وهم عنها دواما فى اختفاء

كشكول الأسبوع

□ أبحر يوم السبت الماضى من الاسكندرية ، معالى الدكتور طه حسين بك وزير المعارف ، قاصدا إلى فرنسا وإيطاليا فى رحلته الثقافية التى سيبدؤها بافتتاح محاضرات كرسى « محمد على باشا الكبير » بمعهد البحر الأبيض المتوسط فى مدينة نيس بفرنسا . وسيرأس معاليه وفد مصر فى مؤتمر اليونسكو الذى سيعقد فى مدينة فلورنسا بإيطاليا فى ٢٢ مايو القادم .

□ أعد معالى وزير المعارف مذكرة لمجلس الوزراء بطلب رفع مكافآت أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية من ١٠ إلى ٢٠ جنيها فى الشهر .

□ استقبل معالى وزير المعارف سعادة حسن فائق باشا وكيل الوزارة السابق ، فى اجتماع عقد لتنظيم الجوائز التى رأى كبار رجال التعليم تخصيصها للطلبة الممتازين باسم فائق باشا تكريما له وتقديرا للجهود التى بذلها للتعليم ورجاله . والجوائز تحصل من ريع أسهم اشتريت وخصصت لهذا الغرض بدلا من إقامة حفلة تكريم .

□ كان قد وضع برنامج فى إدارة النشاط الاجتماعى والرياضى بوزارة المعارف ، يقضى بتنظيم رحلة من الطلبة لزيارة بعض البلاد العربية للأغراض الاجتماعية والثقافية التى تتوخى من مثل هذه الرحلة . ولكن مراقب الإدارة الجديد كتب مذكرة اقترح فيها أن تكون الرحلة إلى اسكنديناوة ... لأن الطلبة المصريين قد شبعوا من البلاد العربية ! ولما عرض ذلك على معالى الوزير استنكره وسأل المراقب : من هم الذين شبعوا من البلاد العربية؟ وإذا كان هناك من شبعوا فلماذا لا يسافر غيرهم ؟ ولماذا اخترت اسكنديناوة ؟ ومن عندك يريد أن يسافر إليها ؟ إلى آخر هذه الأسئلة التى غرق فيها المراقب ولم يستطع لها جوابا .

□ أهدت أسرة المغفور له الأستاذ على محمود طه مكتبة الفقيد إلى دار الكتب الفاروقية بالمنصورة ، وقد قرر مجلس بلدية المنصوره المشرف على دار الكتب شكر الأسرة ، وكتب بهذا الشكر إلى شقيق الفقيد ، كما قرر المجلس اطلاق اسم الشاعر على شارع القصاوى بالمنصوره ، وهو الشارع ولد فيه .

□ صدر فى العراق أخيرا ديوان « ملائكة وشياطين » للاستاذ عبد الوهاب البياتى ، وهو يغنى فيه بألحان صادرة من أعماق نفسه ، فيطرب ويعجب .

□ أشرنا فى الأسبوع الماضى إلى استقالة يوسف وهبى بك من الفرقة المصرية . ونذكر الآن أن هذه الاستقالة جاءت على أثر إبداء الرغبة فيها من جانب أولى الأمر ، وذلك لتعديل الفرقة وتكوينها على أسس جديده تكفل قيامها بالرسالة الفنية الخالصة المرجوة من فرقة ترعاها الحكومة وتعمل على مسرح الأوبرا الملكية .

مهرجان الأدب الشعبى

أقامت الجامعة الشعبية يوم الأحد الماضى مهرجانا ثانيا سمته « مهرجان الأدب الشعبى » ولعل القراء يذكرون ما كتبت عن مهرجانها الأول ، وكان مما لاحظته فيه أن بعض الخطباء

تناولوا موضوعات داروا فيها حول الروح الشعبي والديمقراطية في الأدب ، وقلت إنه كان ينبغي أن يكون للمهرجان موضوع أو فكرة يدور حولها . وفي هذه المرة أسجل المشرف على الدراسات الأدبية في الجامعة الشعبية وهو الأستاذ على الجبلاطي فضله ، من حيث أثبت أنه ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، فقد جعل لهذا المهرجان محورا هو «الشعبية» وأضافه إلى الأدب الشعبي . وقد قال الأستاذ في افتتاح المهرجان إن روح الاتجاه إلى الشعب قد أصبحت تسود الآداب في العالم الحديث ، وإن الأدب لحقيق بذلك ، فإن كان للخواص عقول تدرك فإن للعامة قلوباً تحس . ثم قال إن هذا البرنامج يقدم أدبا عاميا . وقبل أن أناقش موضوع المهرجان ننظر في البرنامج .

كان من المقرر أن يبدأ البرنامج بموضوع للدكتور أحمد أمين بك عنوانه «في الأدب الشعبي بلاغة» ولكنا أسفنا لمرض الدكتور وتخلفه عن الحضور ، شفاه الله وعافاه . وقد ألقى الأستاذ كامل كيلاني كلمة بعنوان « الفكاهة في الأدب الشعبي » تناول فيها شخصية جحا وفكاهاته أو فلسفته الفكاهية وساق بعض نوادره ، وجحا — كما حقق الأستاذ الكيلاني — شخصية ذات سمات خاصة ، وهي مكررة في كثير من الأمم ، فجحا العرب هو أبو الغصن دجين بن ثابت ، نشأ بالكوفة وعاصر أبا مسلم الخرساني ، وقد علم بأمره أبو مسلم فاستدعاه ، فأراد جحا أن يتباله أمامه لينجو من أذاه ، وكان مع أبي مسلم رجل اسمه يقطين ، فنظر إليهما جحا وقال : أيكما أبو مسلم يا يقطين ؟ أما جحا إيرلندا فقد كتب إلى صاحبته يقول لها : إنني سيء الظن بالبريد فلست واثقا من وصول كتابي هذا إليك ، فإن لم يصلك أرجو الإفادة ! وأما جحا انجلترا فهو جورج الذي عزم على أن يقلع عن شرب الخمر فامتنع عنها أربعة أيام ، ثم جعل يتمشى حتى كان أمام خمارة ، فوقف يخاطب نفسه : مرحى ياجورج ! لقد أمضيت أربعة أيام دون أن تذوق خمرا ، إنك تستحق كأسا مكافأة لك ! ثم داف إلى الخمارة !

وتحدث الدكتور عبد الحميد يونس عن « ملاحمنا الشعبية » فقال إن النقاد ومؤرخي الأدب درجوا على القول بأن الأدب العربي خال من الملاحم والقصص التمثيلية ، إذ قال المستشرقون ومن تابعهم من العرب : إنه أدب غنائي كله ، والواقع أن في هذا القول خطأ جاءه من أنهم لم ينظروا إلى الأدب العربي نظرة تشمل اللهجة الشعبية التي أنشئت بها قصة « سيف بن ذي يزن » و « عنترة » وسيرة بني هلال ، وغيرها ، وقد نشأ هذا اللون من الأدب عندما شعرت الأمة بتغلب العناصر الأجنبية عليها ، فلجأت إلى البطولة المستمدة من تاريخها لتشبع اعتزازها وكرامتها . وقد بين الدكتور عبد الحميد خصائص هذه الملاحم وفن المنشد الذي يسمى (الشاعر) في التعبير عن معانيها ، وخلص من هذا البحث القيم إلى أنه يجب الرجوع إلى هذه الملاحم ليتخذ منها — بعد التعديل والتهذيب — فن تمثيلي مستمد من البيئة قائم على تلك المثل . وأعقبه المنشد الشعبي سيد فرج السيد فأنشد على الربابة موقعة من مواقع أبي زيد الهلالي مع الزناتي خليفة ، وقد أطرب ونال الاعجاب بتعبيره القائم على تنغيم الصوت في مواضعه ورفعه وتشديده عند الحديث عن الشجاعة ومعاني العزة . والواقع أن هذا فن جدير بالاحياء «والتطوير» فهو من الفنون الجميلة المعبرة ، ولو أنه جاءنا من أوربا لكان له شأن آخر !

وكانت بقية البرنامج أزجال ، وهي طبعا أدب عامي ، ولكن بحث الدكتور عبد الحميد يونس وموضوع الأستاذ كامل كيلاني ، ليسا من الأدب العامي ، وإنما تحدثا عن ألوان شعبية حديثا أدبيا فصيحا — وقد عقب الأستاذ مظهر سعيد في نهاية المهرجان بأن المؤسسة (الجامعة الشعبية) قامت في هذا المهرجان بحق الأدب الشعبي كما قامت في المهرجان السابق بحق الأدب العربي الفصيح ، ونعت الأول بأنه أدب الأمة ، والثاني بأنه أدب الخواص ...

وبعد فهل الأدب الفصيح لا يعبر عن الأمة ؟ وهل اتجاه الأدب إلى الشعبية معناه اتخاذ العامية لسانا له ؟ إنني لا أنكر بدائع الأدب الشعبي العامي ، ونحن نقبلها على أنها نوع من القول المعبر لا بأس به ، ولاشك أن فيها كثيرا مما يعجب ويمتع ولكن ليس معنى هذا أن الاتجاه الشعبي في الأدب طريقه العامية وليس الأدب الفصيح قاصرا عن التعبير عن الأمة . وإلا ففيم هذه الجهود التي تبذل بالتعليم وبالتأليف وبالصحافة وغيرها لتعميم اللغة العربية بين أفراد الشعب ، تلك الجهود التي لا تخفى ثمراتها . فنحن إذن نتجه إلى هدف لغوي هو اتخاذ اللغة العربية الفصيحة لسانا معبرا عن الأمة ، وقد يسرناها بالوسائل الحديثة حتى صارت «شعبية» محبوبة ، ومن هنا يجب أن تكون الشعبية غير العامية ، كما أنها — ولابد — غيرها في تسمية « الجامعة الشعبية » أو « مؤسسة الثقافة الشعبية » .

عباس خضر

البريد الأدبي

الذكرى السنوية لميلاد شكسبير

احتفلت بريطانيا فى يوم ٢٣ أبريل الحالى بمرور ٣٨٦ عاما على ميلاد الكاتب الروائى الخالد شكسبير . وقد شاركتها فى هذا الاحتفال معظم أمم العالم التى ساهمت هذا فى التكريم بأن نشرت أعلامها فى وقت واحد على امتداد الشارع الرئيسى الذى يوجد فيه المنزل الذى ولد فيه هذا العبقرى فى مدينة ستراتفورد أون آفون . ويبلغ عدد الأمم التى اشتركت فى تكريم ذكرى شكسبير ٨٠ أمة . وكانت أعلامها ترفرف فى منظر خلاب على ضوء شمس الربيع الساطعة .

وقد اشترك فى الحفلة التى أقيمت بهذه المناسبة ١٦ سفيرا ممن يمثلون الدول الأجنبية وعدد كبير من الدبلوماسيين . وقد اقترح المستر لويس دوجلاس السفير الأميركى شرب نخب هذه الذكرى الخالدة كما تقضى بذلك التقاليد فى أثناء حفلة الغداء التى أقامها عمدة مدينة ستراتفورد اون آفون. ثم أزاح السفير الأميركى بعد ذلك الستار عن اللوحة التذكارية المصنوعة من البرنز التى وضعت على جدار مسرح شكسبير التذكارى على ضفة نهر آفون.

وقد سجلت على هذه اللوحة عبارات التمجيد والاطراء للمساعدة الأميركية التى قدمت لاعادة بناء هذا المسرح المشهور ، كما أنها تشيد بكثرة عدد الزيارات التى قام بها الرجال والسيدات الذين حضروا من الولايات المتحدة إلى بريطانيا خلال سنوات الحرب الماضية . وقد تحدث المستر دجلاس عن المنح العظيمة التى قدمها هذا الشاعر للعالم فقال « إذا كان أبناء بلدى من رجال ونساء قد ساهموا فى اعادة بناء هذا المسرح كدليل منهم على تقديرهم لذكرى وبليام شكسبير فما ذلك إلا لأنهم يعرفون حق المعرفة أنه ليس فى الامكان تقديم أى مقابل لتلك المنح الجليلة التى قدمها ذلك الشاعر للجنس البشرى .

الى الأستاذ الشرباصى ...

قرأت ما كتبته فى الرسالة الزهراء بعنوان (الأزهر فى مفترق الطرق) ... ولقد كان لمقالك أثر كبير فى نفسى ، وشعور ممزوج بالثناء والتقدير ، مشوب بالعتاب واللوم ... لأنى أنظر إليك وإلى أمثالك فى المحيط الأزهرى . نظرة التائه فى الصحراء إلى الواحة ، تتعلق بكم الآمال ، وتتحقق على يديكم الأحلام ، لأنكم أنتم الفئة التى جابهت روح العصر ، وسايرت ركب الحضارة ، وتابعت قافلة الزمن ، ففهمتم القديم ، ونهلتم من الحديث ، فجمعتم الأمرين ونلتم الحسنيين ... وأعتب عليك يا أستاذى على ما ورد فى مقالك (وظهرت فى الأزهر كتب جديدة لها قيمتها العلمية أنشأها رجال فى الأزهر لهم مكانتهم وثقافتهم) ثم ذكرت منهم عبد الحميد والصعيدى . . وفى الحق أيها الأستاذ الفاضل أننا ننظر إلى مؤلفات عبد الحميد مثل التوضيح لابن هشام فى النحو وكتاب السعد فى البلاغة ، والخبيصى فى المنطق للصعيدى ، فلم نجد فيها ما يجلو الصدأ ، ويمحو التعقيد . فإذا كان نقل الكتب من ورق أصفر إلى أبيض هو التأليف والتجديد .. فيا لضيعة التأليف والتجديد فى الأزهر .. لأنه لم يحدث فيها ما ينقلها من طور إلى طور ومن قديم إلى جديد . وللاستاذ الشرباصى تحية إعجاب وتقدير .

محمد القاضى خليل

بمعهد فاروق الثانوى بقنا

اكتشاف لوحة قيمة للأستاذ رفائيل

توجد فى «وروبا كاستل» بانجلترا مجموعة من أندر اللوحات الزيتية فى العالم . وقد اكتشف بينها أخيرا لوحة « العذراء » التى رسمها « بيترو بيروجينو » — أستاذ رفائيل — فى النصف الأخير من القرن الخامس عشر .

وقد ظلت هذه اللوحة فى القصر ١٥٠ عاما ؛ ويرجع اكتشافها إلى المصادفة المحضة . فقد كان الفنان البريطانى الشهير «هنرى هاب» يعمل فى تجديد مجموعة اللوحات القيمة الموجودة بالقصر عند ما لاحظ وجود لوحة قديمة انطمست معالمها نظرا لطول العهد الذى مر بها .

وعندئذ بدأ المستر «هاب» فى إزالة الغبار عنها بكل دقة وعناية — لدرجة أنه كان يخشى فى بعض الأحيان أن يعمل أكثر من ساعة واحدة فى اليوم — إلى أن تم له أخيرا كشف هذه الدرة الغالية لاستاذ رفائيل .



ساعات السحر

للدكتور أحمد زكي بك

هذا نموذج ناضج لأدب المقالة الدسمة ذات الموضوع الخصب. فليست هذه المقالات من هذا الطراز الذى كل هدفه إظهار المحصول اللغوى ولا شىء وراء هذا لضآلة موضوعها وفجاجته، ولا هى من هذا النمط المتهافت الأسلوب العامى الأداء.

ولكن ماهى السمات التى تطبع أدب الدكتور زكى بك ؟ فالمقالة قد تتحد فى جودة الأسلوب، ودسامة الموضوع، ثم هى تختلف فى لباب الفكرة؛ وتتباين فى جوهر الموضوع، فهناك المقالة العاطفية التى تستمد فيضها من شاعرية الوجدان؛ وهناك المقالة التى تأخذ سندها من الدراسات النفسية أو الاجتماعية؛ والمقالة التى تتخذ المنطق وسيلتها؛ والمقالة التى تستوحى روح العلم وتسير بوحى من هداه. ومن هذا الطراز مقالات هذا الكتاب. والذى أعنيه بروح العلم هو استشفاف روحه؛ واصطناع أساليبه فى البحث؛ فهو لا يسبح بك فى تلك الأجواء الزيج من النور والظلام، أجواء الصوفية الوجدانية، ولا بلح الحاح أصحاب المنطق وعشاق التفلسف، بل أنت معه فى ضوء العلم ووضوحه، واتآده ورزانته. وليس معنى هذا أنه يدخل بك فى ميدان العلم وجفاف موضوعيتـــــه؛ كلا، بل هو يستوعب ويتشرب روح الموضوع عن طريق فكرة، ثم يأخذ فى التفنن والابداع الفنى فى تصوير معانيه وتجسيدها وابرازها واشاعة الحياة فى كل ما يعرض؛ فإذا هى قطع فنية من حيث العرض والتصوير علمية من حيث اعتمادها على دعائم الفكر. فإذا قيل أن بعض الكتاب يؤدب الفلسفة، وبعضهم يفلسف الأدب فالدكتور زكى بك يعلم الأدب ويؤدب العلم؛ لأنه قد وفق فى تطعيم الأدب بروح العلم، أو فى عرض العلم بحيوية الفن وجاذبيته. هذه هى السمات التى تطبع تلك المقالات التى جمعها الدكتور زكى فى كتابه الأخير (ساعات السحر) فأنظر كيف يتناول موضوع الشباب فيلم به من جميع أطرافه فى مقاله (يعجبنى الشباب إذا) فيقول: «يعجبنى الشباب إذا هو تأنق وترقق فى غير أنوثة. فيعجبنى فيه الوجه الطليق النظيف والشعر الممشوط، فتلك زينة خليقة بابن آدم. ومع هذا فهو عند العمل يخلع التأنق وينبو عن الترقق، فإن كان العمل زيتا أو فحما انغمس فى الفحم والزيت ولم يشح بوجهه عن الأعفرة»

ويصور دور الشباب فى تحمل المسؤولية الانسانية فيقول: «يعجبنى الشباب إذا أدرك أن الصبا عهد متعة وكذلك عهد تحصيل. أما المتعة فلأن الشباب أقدر على متعه وأحس للذته، وكل لذة عنده جديدة، وعمره بعد ذلك كعمر الورد قصير. وأما الدرس فلأن الدرس متعة الانسان انفسه، وعلى عمده يقيم بناء مستقبله، ومستقبله إذا ساء بكى عليه، وبكي وحده، وبكى حين لا ينفع بكاء. ثم لأن الدرس حصة الانسان فى مواصلة المدنية ووفاء بمسؤولية للقبيل وللامة والجيل» وعلى هذا النسق من اتزان الفكر وعمقه وطلاوة العرض ودقته يقدم مقالاته عامة ومقالات هذا الكتاب خاصة.

محمد عبد الحليم أبو زيد

ملائكة وشياطين

للشاعر عبد الوهاب البياتى

ظل الشعر فى العراق أقرب فنون الأدب إلى العراقيين... ذلك لأنه قريب من ذلك المزاج العربى الأصيل الذى حفل بالشعر وجعله معبرا عن عواطفه واحساسه.

وجاءت دوافع السياسة، وبواعث الحرية والاستقلال فى أوائل القرن العشرين فأصبح الشعر معبراً عن آلام الملايين وأحلامهم، موقظاً الحماس، راسماً لهم الطريق السوى للانتصار

في معركة الحرية، فرأينا موجة الشعر السياسي التي درمها صديق الاستاذ ابراهيم الوائلي ، ممثلة الثلاثة لأعلام من الشعراء العراقيين الكاظمي ، والرصافي، والزهاوي .. فطغى على سائر أغراض الشعر

وظل الشعر السياسي في المقام الأول بعد الثورة العراقية ، وإنشاء الحكومة الوطنية ، ذلك لأن العراقيين الطامحين إلى حكومة مستقلة تمام الاستقلال ، لم يرضوا بحكم تسيره يد خفية وتوجهه وفق مصالحها وأهدافها الخاصة ، فضج الشعراء بالشكوى وناضلوا ضد طغيان الحكومات وتدخل الدخلاء ، واضطراب الحياة الدستورية .. وما زال بين الشعراء العراقيين من يترصد الحوادث على مسرح الحياة السياسية ليعبر عن رأيه شعرا !

ولا تظنن أن العراق إتصل بالثقافة الغربية ، والحضارة الأوربية منذ أمد بعيد ؛ فالظاهر أن حوادث السياسة ، وتناحر الناس ، ونضالهم لتأسيس نظام حكومي متقن صرفهم عن التطلع إلى تلك الآفاق البعيدة في محيط الغرب . غير أن الحرب العالمية الثانية اضطرتهم إضطرارا إلى الوقوف على تلك العوالم الجديدة في الفكر والثقافة وأمور الحياة . ففتح الجيل الحاضر عينيه على بيئة قاسية على نفسه ، بيئة يتراكم في أرجائها تراث عظيم من التقاليد الشرقية المحافظة . وهو بعد ذلك يسمع ويقرأ مما عبر إليه من أحاديث الغرب وأدبه فأيقظ في نفسه ذلك الهيام العاطفي إلى الآفاق الرحبة ، والآماد البعيدة ، وثارت نفسه على تلك البيئة التي لم تحترم هواه ، ولم تنفس عن أماني نفسه .

فنشأ عندنا الشعر المنطلق في تعبيره ، المنطلق في إحساسه. وهو بعد أثر من آثار الكبت العاطفي ، والحرمان الطويل . . ولا يكلفك التنقيب عن ذلك مشقة . فسأحدثك عن شاعر شاب يمثل تلك الفئة وهو الشاعر الشاب عبد الوهاب البياتي .

وأول ما يبهجني أن ديوان الشاعر يعطيك صورة واضحة لنفسه .. صورة تكون لك الشخصية الفنية في أروع صورة ، وادق ملامح ، وأرهف تعبيراً .

فالشاعر المنعزل لاتفوتك صورته وهو في محراب العزلة حاملاً على عاتقه رفات أحلامه ، وأوراقاً يابسة من آماله وأمانيه :

يا قلب ماذا ! ... كل لحن مات في قيثارتي
اليأس والأوهام والحلم الوجيع ودمعتي
حتى خيالات الجنون تنفست في عزلتي
ولهاثها المسنون أمطار تسيل بظلمتي

هذا اليأس المرير ، والنغم الباكي يلاحظان في كل قصيدة من قصائد الديوان .

وفي كل قصيدة من قصائده نجد هذه العناصر مجتمعة : أسى ومرارة وحرمانا وظمأ ولهفة روحية وضيقاً بالواقع ، وخيالا تخلقه تلك النفس التواقة إلى الحرية.. حتى حبه الذي يطالعنا به الديوان خيال، وحبيبته فكرة بلورتها تلك اللهفة الظامئة انظر إليه كيف يصور محبوبته في قصيدة بعنوان « إليها »

فكرة أنت جسمت أشواقي ... وأضاءت بنورها أعماقي
واستحمت من قبل ميلان فكري ... في خيال الطبيعة الخلاق
صورة أنت من قديم الزمان ... رسمتها مدامع الحرمان
وشعاع الخلود أضفى عليها ... رائعات الظلال والألوان

فالحب عنده تلك اللهفة الى المجهول ، وذلك الشوق الهائم إلى الصدر الحنون والقلب الرءوم، والنفس الحادبة التي تفيض ظلالها العذبة على الشباب المحزون . والديوان كله لا يعطيك صورة لامرأة بعينها بحيث تحس بكيانها المميز ، وشخصيتها الواضحة . بل هي فكرة من الفكر .. أو عاطفة من عواطف الشاعر الظامئ إلى صورة مثالية تتكون ملامحها من الرقة العذبة ، والحنان الوريف . تنبت كالواحة الوارقة الظلال في صحراء مجدبة من الحنان والحب !!

فهذا الحرمان الواضح في الديوان مد الشاعر بقوة على الخلق الفني الممتاز ، وأرهف حسه ، وجعله يهيم في عوالم من خياله ، وانسراح عاطفته ! ... وفي الديوان رحلات جميلة في عالم الشعور... رحلات الحالم المنزوي بصومعة من أحلامه :

وما ذلك الحالم المنزوي ... بصومعة الفكر إلا خيال
يحس بصوت الحياة البغيض ... يناديه في قسوة أن تعال
فيمعن في حلمه ساخراً ... بأطيافها الشاحبات الثقال
بمهزلة قيل عنها : الشروق ... بأفكوهة قيل عنها: الزوال!

وأغلب قصائد الديوان صور وهياكل لصور بعضها موفق أعظم التوفيق لنقل الاحساس إليك . ولا تنتظر مني أن أنقل



دموع من الماضى

للاستاذ احمد شفيق حلمى

وهرعت إليك ياسيدى العمدة ، لأنفض بين يديك جل أمرى ، من همومى وأتراحى ... وأنا حطيم القلب كسير الخاطر . وأنت تعرف كيف يقتل القلب الحزن المضنى والبكاء الأسيف ! وكيف يعصر الروح أنين الثكالى والنواح الحزين !

« فرج الله » ولدى الوحيد يا سيدى العمدة . « فرج الله » ربيبى فى الخريف العابس ! أظنك تعرفه جيداً ! لقد حدثتك عنه ودموع الفرح تتراقص فى عينى ... بل أنت نفسك قد ساهمت فى وجوده ! لقد ولد بمالك المبارك ، فأرسلت للقابلة أن تأتى ، وزوجتى « فطومة » تعانى آلام المخاض ، وتتلوى كالثعبان ! أرسلت فى طلبها من أجلى أنا الأجير المسكين . فما كتحلت عينا طفلى بالنور على يديها الباركتين الصالحتين ... واندفعت وقتذاك نحوها بفرح ألح عليها أن تأخذ بطة سمينة ، وثلاثة أقداح من الذرة ، وهى كل ما أملكه حينذاك ! كدت أذوب خجلا وأنا أتقدم إليها بالهدية المتواضعة . ولكن ما العمل وضنك العيش يدفع بنا إلى الفاقة !؟

وأظنك تذكر ذلك الفرح العظيم الذى أقمناه ، وقد أتم « فرج الله » سبعة أيام من عمره ... جاءت المولدة فى الصباح ومعها من البخور أصناف شتى من المسك والكافور ، وبعض أنواع النباتات الخضر . وأقبلت نحو فطومة ، وقبلتها فى وجهها ، ثم جعلت تتمتم بدعاء خاص ... وهى تهز شيئاً تحمله فوق رأسها ، ثم أنهضت فطومة ، فأطلق البخور ... ولفت حوله سبع مرات والأطفال تتصايح فى مرح ، وراحت المولدة تطوف فى أرجاء الدار ، والطفل بين راحتيها ، والنسوة من حولها يلقين الملح على الرءوس ، ويهللن بالأفراح !

وتقدمت أنا والبست الطفل حجاباً يحفظه من الأرواح

إلك بعض تلك الصور لأننى أود أن تطالعها هناك فى الديوان لتطلع على ناحية مشرقة فى الشعر العراقى الحديث ...

إلى هنا أقف مع الشاعر الشاب لا نفذ إلى بعض المآخذ فى الديوان !

وأهم تلك المآخذ ذلك الاضطراب الذى تلاحظه فى بعض القصائد ، وهو راجع إلى تلك الصور المبهمة التى يخلقها الشاعر ، وإلى ذلك الانطلاق فى التعبير ، والانسياق مع عاطفة غامضة ، أو شعور يحسه ولا يبينه .. وأحسن صورة لذلك الاضطراب « حانة الشيطان » فهى قصيدة « سانحة ! » لا ترتبط مقاطعها برابطة ، ولا تنتظم بوحدة من فكر أو شعور .. تقرأها فسرعان ما تحس بتواكب الصور التى تدفعك فى إتجاهات مختلفة ، وتنقلك من محل إلى آخر وأنت لا تعرف على أى نظام تسير !

فى بداية القصيدة تصوير بعينين « أطلق جفنها السهر » — يقصد جفنيها ! — و « فم على الأقداح يحتضر ! » .. ويختتم المقطع الأول بأن جراح الكأس نكأت فارتعشت « آه » يقص جناحها الضجر ! وفى المقطع الثانى يصف هذه الـ « آه » كأنها المصباح فى الحان ، أو كأنها عينان من حجرا — ولا نعرف الصلة بين المشبه والمشبه به !! — وعلى مثل هذه الرابطة تمضى القصيدة ... وليس هذا كل ما يلاحظ فى الديوان . فهناك تشابيه متضاربة لشىء واحد مثل قوله :

عيناك عاصفة هبت وما تركت	على صباى سوى طيف من السقم
عيناك مقبرة فى صمتها نسجت	عناكب اليأس أكفانا من الظلم

ولك أن توفق بين العاصفة والمقبرة الصامتة !!

وفى الديوان كثير من التعابير لم أستسغها من نوع « النجم فيه ضحكة سوداء أيبسها الأوام » و « حيث الأزاهير لا تضيق إلا على همس الطريق » وآه « كأنها عينان من حجر أهدابها أنفاس سكران » !! ومثل هذه التعابير .

ولكن هذه المآخذ القليلة لا تمنعنا من أن نقول : إنه شاعر موهوب .

غائب طعمة فرمان

الشريرة ، وأخبرتني بعض النسوة أن أحمل مني ليلة الجمعة الميمونة ملابس الطفل إلى ضريح الشيخ الأربي ، وهناك أغمسها في الماء المبارك الذي غسل به المقام الطاهر كي يطيل الله في عمره ، ولكني في غمرة الفرح بطفلي نسيت أن أفعل وأسفاه .

— ٢ —

وكانت فرحة لم تتم ، وبشر ذاب في موجات الأسى والحزن.

إني أذكر يا سيدي العمدة ، ما قالت القابلة وقتذاك ... ؟ فانتزعنا فرج الله من بين أحضان أمه الحبيبة، وهي من الأسى ترسل الدموع سخينة حارة من أجل فرج الله ، وقد ضرب بينها وبينه بحجاب ، فهي لا تراه وهو لا ينعم بها . وما العمل وقد فرق المرض اللعين بين أم ووليدها !

وطفق الصغير يبكي في لوعة ، وأنينه اللهيف إلى أحضان أمه الحبيبة لا تنقطع أسبابه أبداً ... لا تسألني وهو الوليد منذ ليال كيف يبكي ؟ كيف يفهم أن هذه المرأة هي أمه ؟ بربك لا تعجب ! فهذه صلة الأرحام ، وحكمة عالم الغيوب !

كان فمه الدقيق كفم الثعلب ينفرج في بطء، ويداه اللدنتان كريان البرسيم تضربان الهواء بعنف ، وقدماه العاريتان تحاولان الخلاص من الغطاء السميك ، وقد أحكم حول جسده خوف الزمهرير ...

كان يبكي من أجل الرضاع ، من أجل ثدي أمه الرءوم ، وقد انتزع منه انتزاعاً ! فعلت المستحيل لأسكن من بكائه الدائم ، فطرت إلى الغيط جزعاً ملهوفاً ، وعدت فرحاً بقدر مملوء باللبن الحليب . وتقدمت نحوه بقلب واجف ، وخطى خفيفة ، ولساني يلوك الدعاء لولي بلدنا الصالح الشيخ الأربي . إني أخشى أن يصرخ . إني أخشى من كل شيء أن يمسه بسوء ، وحملته بحنان بين راحتي ، وتحسست الحجاب الملتف حول عنقه الصغير، وأنا أبتهل للأولياء الصالحين ألا يبكي فيمزقني ألماً وحسرة . واحتضنته بناظري متوسلا مشفقاً ، واقتربت أصابعي بالزجاجة من فمه الصغير . لم يبك فملأني الفرح ، ولبستني الشجاعة ، وانسابت قطرات اللبن في فمه الصغير ... آه يا قلبي ! لقد صرخ ، وضرب بيديه الهواء بعنف ، فانفلتت الزجاجة من بين أصابعي ، وسال اللبن على الحصير القذر ، فوسدت ولدي الفراش ، وتركته يائساً

وأنا ملتاع النفس حزين !

— ٣ —

خرجت إلى الطريق ، وقلبي أشبه بقلب كل أب ، رقيق كالغصن الأخضر ، صاف كعين الديك ، حنانه يحاكي حنان الأم ! خرجت أتعثر في الحارات ، أضرب أخماساً في أسداس ، وأنا أسير تحت كابوس مفزع ثقيل الوطأة ... رأسي أشبه بساقية تصر في نواح كئيب ، قدماي من فرط الضني تنوءان بحملي ... وجملت أخبط كالأعمى في مماشي الحقول، وقد نبت فيها السريس والجلوين . رأيت جماعة من الفلاحين في ظلال وارفة تنبسط تحت شجرة جميز ضخمة ، والبشر باد على محياهم ، والسلام ران على قلوبهم ... رأيتهم يأكلون مشاً وبصلا وحزمة جلوين ! ولمحت إلى جانبهم ثوراً وجاموسة يلتهمان عيدان ذرة . لشد ما أتلهف اليوم إلى ذلك السلام العجيب ، وقد لفع القرية بوشاح المحبة والأمن والخير ... وأنفاس الريف الهادئة تنفث في سكانها الحياة ! الشمس ساطعة ، والحقول الخضر منبسطة أمامي على مدى الطرف ... والديكة تنبش الأرض وتصيح ... والأوز يعوم في القنوات المعشوشبة ، وأبو قردان يحط في أسرابه البيضاء على هام النخيل ، يرقب عن كثب ثوراً يحرث الأرض ، وصاحبه يحثه على العمل وهو صبور يغني ... يا الله! الكل فرح راض بما قسمت له يا رب ، أما أنا الحزين المهتاج فقد كدت أسقط في جدول ينساب في حقل باشا عظيم !

وأخيراً وصلت إلى امرأة عجوز صالحة ، ونفضت بين يديها ما ناء بحمله قلبي . قالت لي : لا تحزن يا بني ، وإني لأعجب كيف يعصر اليأس قلبك ، وبركة الشيخ الأربي تعم القرية ، وتفيض على شاطئيها » ! !

ثم استطردت تقول : أتعرف أم عمروس جارتنا الصالحة المؤمنة ؟ اذهب إليها فهي طيبة القلب ، ويداها مملوءتان بالبركة ، عليها تعود معك فتشفي طفلك السقيم ، وخذ معك لها من « الدوار » فطيراً وبلحاً » ...

— ٤ —

وبقلب طيب خاو إلا من رحمة الله ، اتخذت طريقي إلى مقام الشيخ الأربي . وهناك توضأت من الميضأة النظيفة ، وصليت لله

ثم تلوت بعض الأوراد ، ولم أنس أن أقبل قضبان الضريح ، وأن أطوف حوله سبع مرات ، وأنا أهمس بكلمات من ذوب قلبي

ثم خرجت من المقام ، وأنا أحس بالريف الحبيب ! حقوله الخضر فسيحة كالأمل .. يمرح فيه المساكين ! هواؤه المنعش ، ندى كحبات الطل ، يهمس للزهور فى غمرة الخريف ! الدنيا كلها ترقص فرحة مرحة طروبة

ووصلت إلى كوخ مسقوف بالبوص تسكنه « أم عمروش » المرأة الورعة المتواضعة . أخبرتها بما حدث ، ثم ناولتها فطيراً مندى باللبن الرائب ، وتوسلت إليها أن تعود معى إلى الطفل المسكين ، فسألت « كم أجرى ؟ وأين مسكنك ؟ » فقلت : أما المسكن فهو قريب من هنا ، وأما النقود فأنا مفلس منها ! ! أرجومنك يا ام عمروس أن تنقذى ولدى، استحلفك بيوم الحصاد وهو قريب ، أن تمودى معى ، وهنا قد يأتى الفرج فأعطيك ما سوف أستدين !

وطالت المساومة ، واحتدم الجدال ، وهى لا تلين ولا تستجيب لرجائى. .فهممت أن أرجع يائساً مسلماً أمرى لخالقى حلال المشكلات !

ولما ابتعدت عنها نادت بصوت مرتفع : انتظر يا عم مخلوف سأذهب معك ، والله يفك كربتى كما أنا أفك كربة الناس! وطرنا إلى البيت أنا فرحان مطمئن ، وهى لا هثة تحت الخطى ورائى

— ٥ —

طفلى الحبيب يطعم بعد جوع ، ويسمن بعد هزال !؟ لك الله ياطفلى ، وقد نادت أيامك السبع بالأتراح .. وأنت تخطو وئيداً على أبواب دنياك ! وما ذنبك أيها الحبيب الغالى والدنيا شرور وآثام ! ؟ أمك وأبوك يمضهما الفقر ويمصرهما الحرمان .. أبوك يا « فرج الله » فلاح مسكين يروى الحقل بعرقه ويحصد الهشيم آخر السنة ! صاحب الحقل يلح فى طلب الأجر، ومالك الماشية يقصدنا مع الهلال العربى كأنهما على ميعاد ! .. ولدائنون النهمون يزمجرون فى غضب ، ويتوعدون بحقد مرير وليس للفرار منهم من سبيل ! كم يبقى له بعد ذلك إلا الحزن يضنيه . والأمى يعصره .. وهموم العيش ترمى به فى أحضان الحرمان !!

ولكن (فرج الله) سيجعل ظلامى فجراً باسماً .. سوف يأتى الرغد يحث الخطى خلف صفحته المضيئة .. تكثر الأمواه فى الترعة ، ويزدهر الحقل ، ويجنى الثمر فيكون خيراً عظيماً .

... وأفقت ياسيدى العمدة على عتبة دارى، والنحيب الحرق يطرق مسمعى بقســـوة ، وزوجتى «فطومة» تصرخ وتصيح: « ولدى ! ولدى » ! والنادبات من حولهـــا يلطمن الخدود ، ويضربن على الصدور ، ويتمايلن كالمجنونات !

ورفعت رأسى الأشيب لأشهد ما جرى ، ثم أطرقت إلى الأرض ، وتحدرت على وجهى الشاحب دموع سخينة ..

وساد المكان صمت كئيب ثم استطرد يقول :

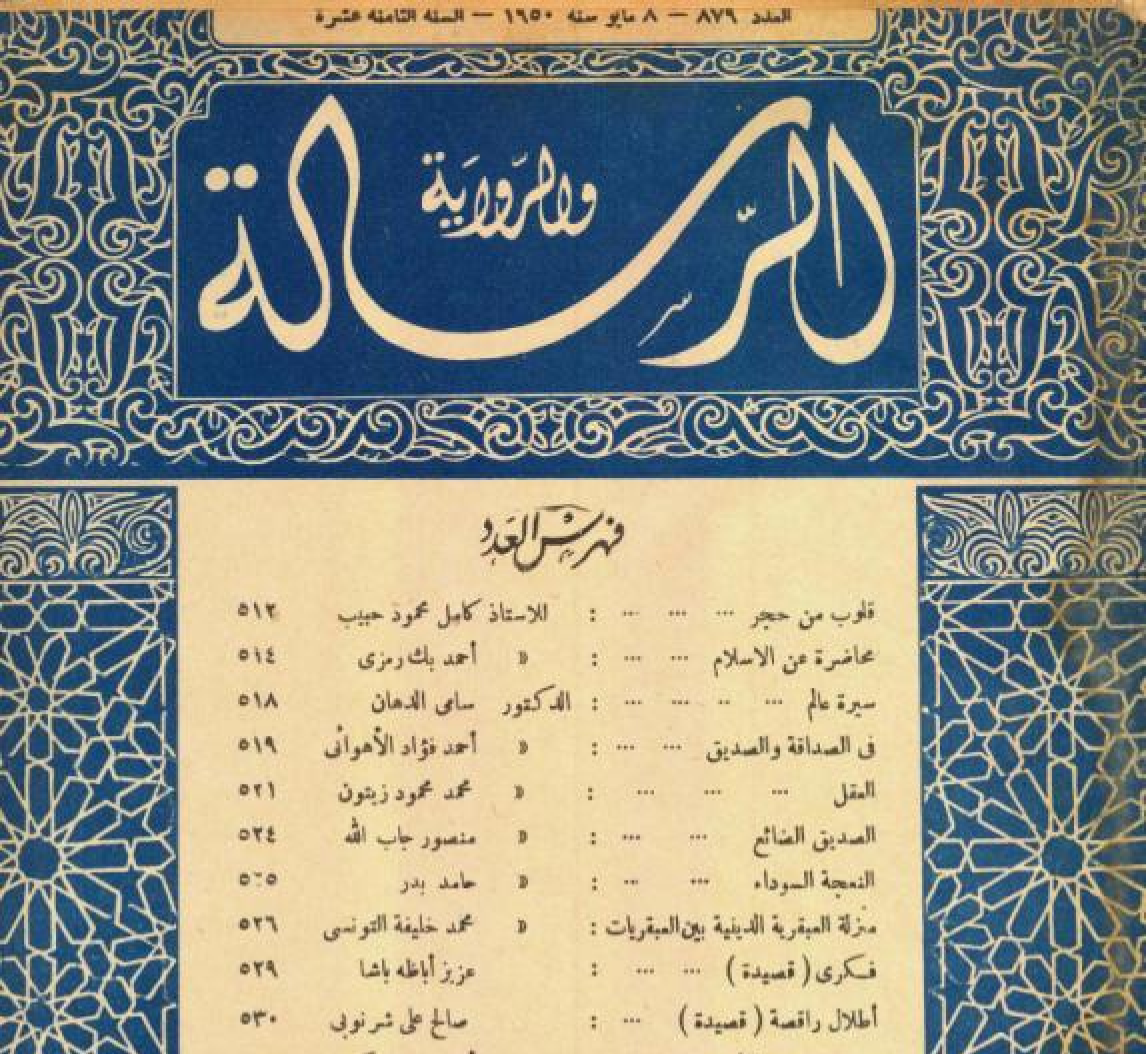
« أعرفت ماذا جرى أيها العمدة ؟ أفهمت ماذا أعنى ! ؟ »

ثم أشرقت عيناه بالدموع ... وهو يتشبث بخيط رفيع من الماضى يقص منه مأساة دنياه :

« وهناك فى الحقل لحنى الناس أخبط فى طريق ، إلى أين ؟ لست أدرى ! وعلى الأعشاب الخضر فى مماشى الحقول كنت أحث الخطى كأنما تقودنى أنفاس خفية ! إلى هناك ...؟ وبعد هنيهات تسللت قدماى إلى مقام الشيخ الأترى ، وغمر السكون حين ذاك تسابيح عطرة ، تنساب مع سكون الريف إلى أعماق الناس ! تدعو لمبدع السكون بالصلاة .

أحمد شفيق حلمى

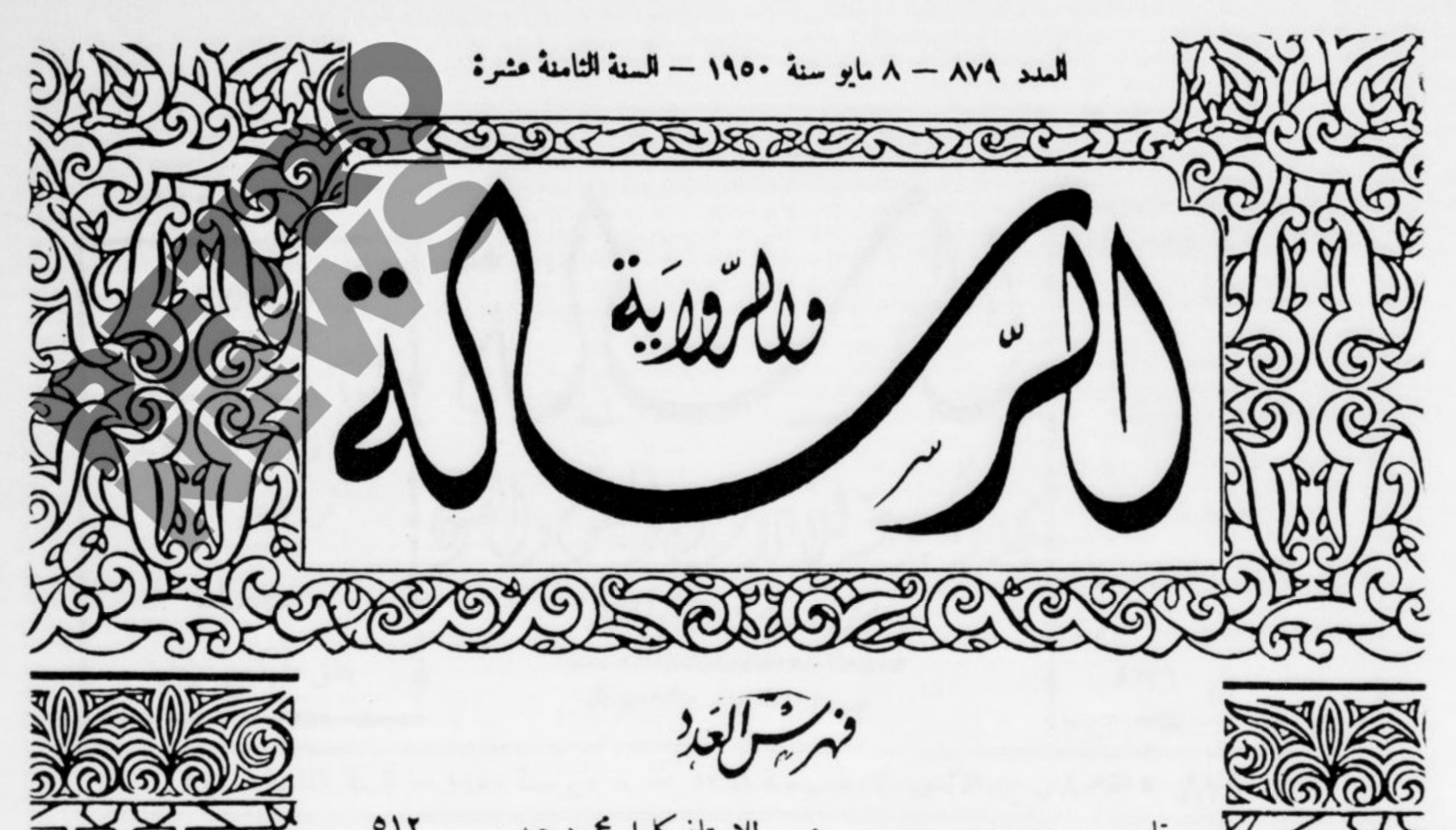
العدد ٨٧٩ — ٨ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

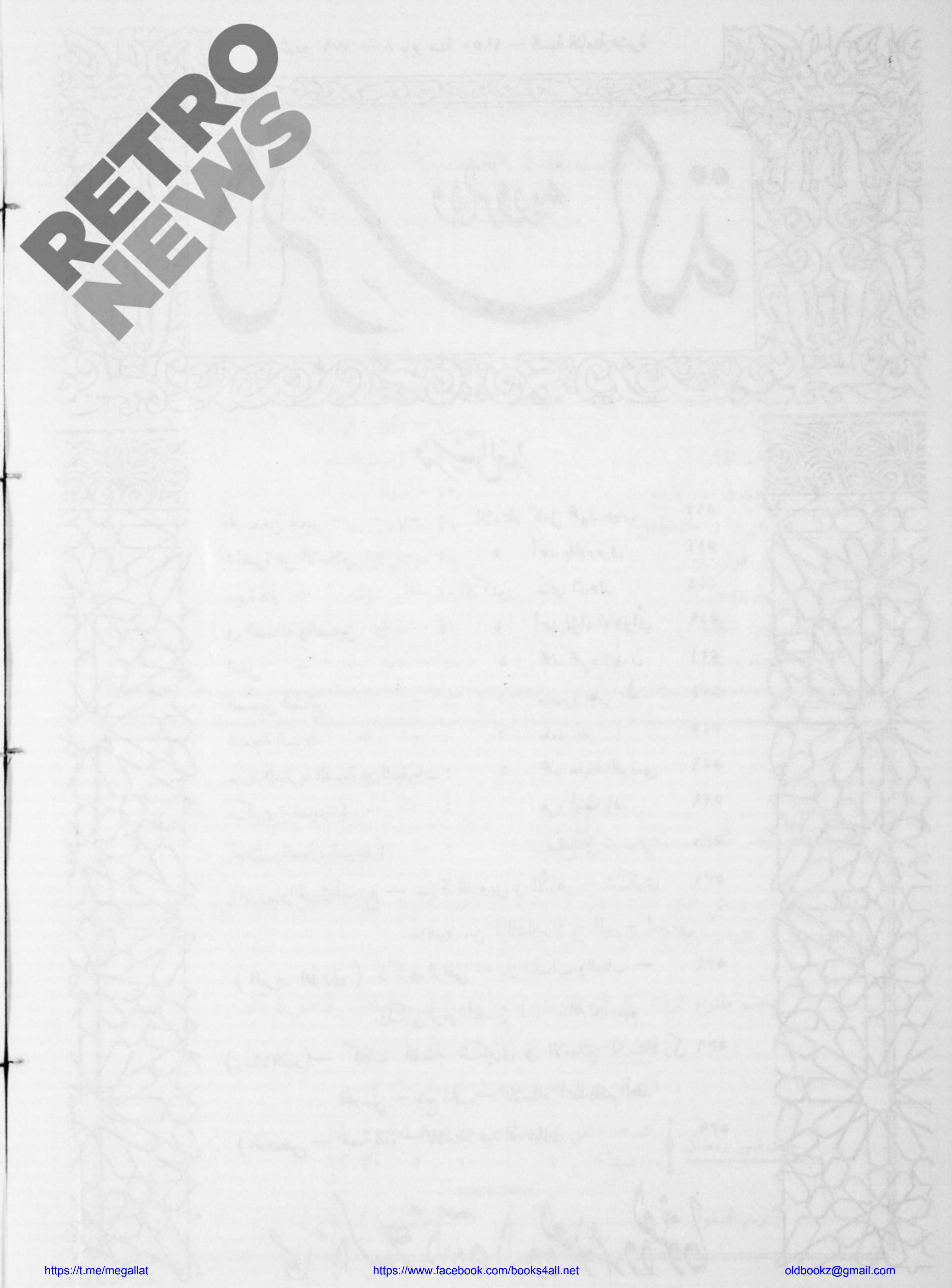
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٨٧٩ — ٨ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



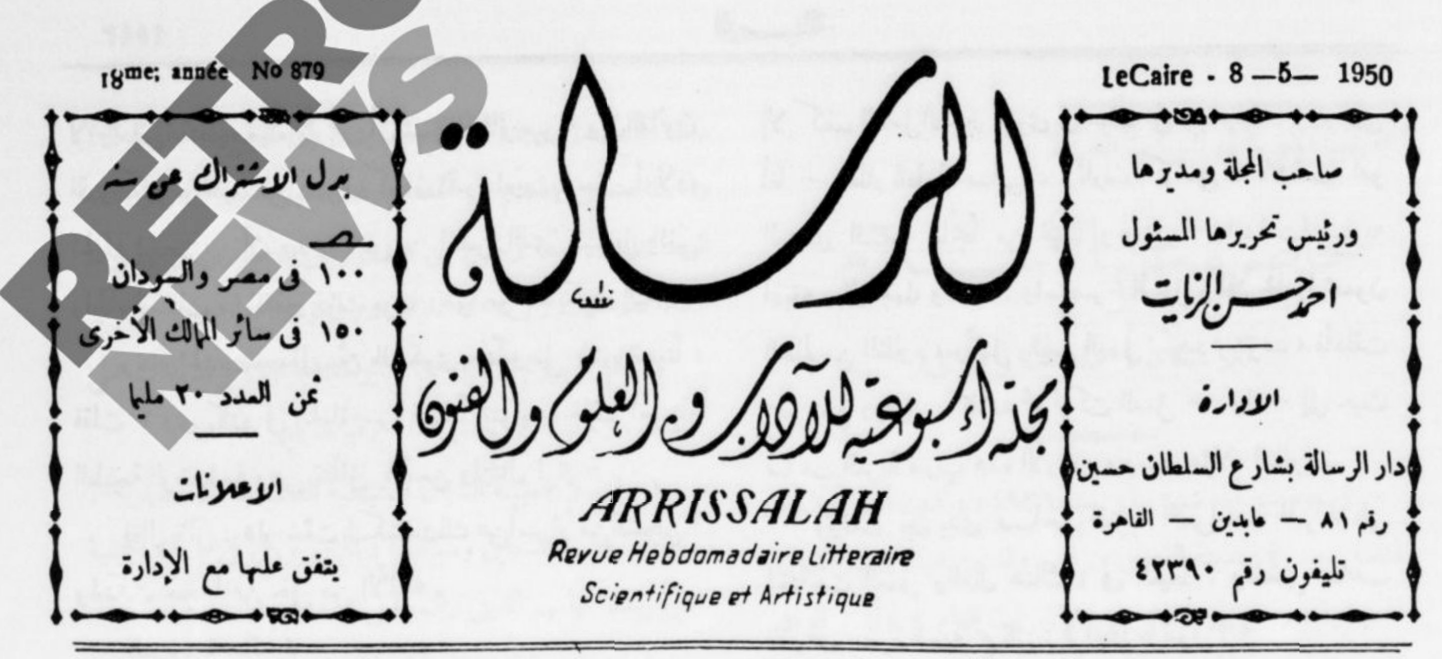
فهرس العدد

مجلات الموسوعة الشاملة إدارة العلوم والفنون



18me; année No 879

LeCaire - 8 —5— 1950



العدد ٨٧٩ « القاهرة فى يوم الأثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٦٩ — ٨ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

٤ — صور من الحياة :

قلوب من حجـــر

للاستاذ كامل محمود حبيب

... وسمعت حديث الفلاح الذى حطمته رزايا الحياة وطحنته بلوى الزمن ، فأحس مرارة العيش حين مكر به الطبيب فاستنبه من قوت عياله ومساك روحه ليذر ابنه بين يدى الإهمال يتهاوى تحت صفعات المرض القاسية حتى لفظ نفسه الأخير ؛ وحين قساعليه سعادة البك فامتص زهرة شبابه وغضارة عمره ثم ضن عليه بفضلة من المال كان يترجاها عسى أن تشبع شره الطبيب فيحنو على ابنه المريض المعنى ؛ وحين طرده رب العزبة من رحمته فقذف به إلى عرض الشارع وحبس عنه صبابة من رزق تقيم الأود وترد غائلة الجوع ... سمعت حديثه فتدفق فى قلبى أنات نفس آدها الحزن وأمضها الأسى ، فران على المجلس — مثلما ران على — صمت فيه روح الرثاء ، وشمله سكون فيه معنى العزاء ، ورأى الشيخ فى حديثه كأنما يوقع ألحان روحه على وتر أصابه الوهن والبلى فهو يوشك أن ينقد من طول ما عانى لولا بقية من عزم وإيمان ، وأحس كل واحد من رفاق بتاريخ نفسه المكلومة يهتز فيهب من غفوة ويصحو من سبات ، وهفت الأنفس إلى أن تنفض شكاتها على عينى وإن لكل واحد قصة يتوثب الظلم من خلالها ويفور الجشع من أضعافها ثم تظفر ثورة القوة باستخذاء الضعف وتصرع كبرياء الثراء ذل المسكنة ، ولكننى أطرقت فى صمت كأنى أستروح من تعب وأتنفس من ضيق .

يا عجبا ! هذه النفوس التى كانت — منذ ساعة — تتألق بالبهجة وتهتز بالمرح ، قد استحالت — فى لمحة واحدة — إلى زفرات حرى تفعم الجو بالشجا والشجون لأن الماضى المقيم قد صحا فيها فنسفها نسفاً !

وآذانى أن أجلس فى هذا المكان الجميل ، فى مهرجان الربيع ، بين الصمت والإطراق أسمع أنات صامتة وأحس شكوى مكتومة ، فقلت « ما بالكم قد سيطر عليكم الأسى وغمركم الوجوم كأنكم كنتم تجهلون ؟

فقال قائل « آه — ياسيدى — إن الضلوع هنا لتنضم على حسرات مرمضة لو زفرت على هذا الربيع الأخضر لاستحال — دفعة واحدة ... إلى هشيم تذروه الرياح ، وإن النفوس لتكتم أشجانا لو اندلعت لاضطرمت الدنيا بجحيم يتلهب أوارها ، ولكن الصبر ... الصبر والإيمان ، ياسيدى ! »

وقال آخر « عزيز علينا أن ننشر عليك من خبث الحياة ما يزعجك فيفقدك متعة كنت تتمناها هنا » .

وقال ثالث « إن اليد التى تلوثها الجريمة مرة واحدة هى آثمة

لا ترحض تستطيع مياه الأرض أن تغسل عنها الرجس ، وإن القانون الذى يكبل بالحديد من يسرق كيزان الذرة ليرد بها سغب أولاده الجياع ليعجز عن أن يردع اللص ... اللص الذى يتسربل بالغنى والجاه فيستلب من الفقير قوت يومه وهو أحوج ما يكون إليه ! »

وتناثر الحديث حوالى يمُن بالشكوى حيناً ويغلى بالثورة حيناً ، فقلت « وى كأن فى الحياة سراً قبيحاً يتوارى خلف أستار الطبيعة الوضاحة وهى تتألق بالحسن والجمال ! »

فقال قائل : « لو شئت لكشفت لك عن أسرار من الشجن ، ولهتكت حجاباً عن خفى من الألم » .

فقلت : « هاته »

قال : أما قصتى فهى قصة الغلظة التى لا تعرف الرحمة ، قصة القسوة التى لا تؤمن بالشفقة .

لقد غبرت زماناً أعيش فى عزبة رجل من ذوى الثراء والجاه أقنع بالكفاف وأرضى بالشظف ، أغدو إلى الحقل لأنزف قوة الشباب وفراهة الفتوة ، وأروح إلى الدار لأسكن إلى عطف الزوجة وحنان الولد ، لا أجد إلا أجريومى وإلا غلة قراريط تافهة أستر بها عورة الأهل ، وأردبها شماتة العدو . وأنا - إذ ذاك - فتى فى فورة النشاط وذروة الصحة ، لا أنكص عن عمل ولا أنكل عن جهد . وتناهى خبرى إلى صاحب العزبة فشملنى بعطفه وغمرنى بفضله فأحسست بالرخاء والخفض ، ولمست الهدوء والراحة .

وغاظ رئيس العمال أن أفوز بحظوة رب هذه الأرض وأنا عامل حقير ، فى رأيه ؛ وخشى أن أستلبه مكانته أو أن أنتزعه من مركزه فانطلق ينفث سمومه حولى ويدس لى السم فى الدسم ، وأنا فى لهو عن نوازع نفسه الشريرة ، وفى غفلة عن دوافع روحه الوضيعة .

وذهبت جهود الرجل هباء حين أعجزه أن يسول لصاحب العزبة برأى ، أو يوسوس له بأمر ، فانطوى على هم يتنزى فى صدره فيسلبه القرار والسكينة ، وهبت روح الشر فى نفسه جياشة تدفعه إلى غاية ، فراح يرهقنى بالعمل ويضنينى بالجهد ويتمهدنى بالإهانة ، وأنا أحمل النفس على الصبر وأكرهها على الصمت .

وضاقت حيلة الرجل فركب رأسه فدس لى رجلا من العمال يتحرش بى - أثناء العمل - فى قسوة ، ويثير كوامن نفسى فى سفاهة ، فلما حاولت أن أرد الكيد نحر صاحبه لم يرعنى إلا كف العامل الأجير تهوى فى عنف على وجه رفيقه ... وجهى أنا ... فطار للطمة حلمى ، وثارت كرامتى ، فاندفعت نحو المعتدى السفيه هائجاً من غيظ وحنق ... اندفعت صوبه أذيقه وبال جهله وغفلته . واستصرخ الرجل رفاقى فجاءوا يحمون الظالم من المظلوم ، وأقبل رئيس العمل يتهدد ويتوعد ، فأعلقت سمعى من دون كلامه ثم تركت العمل - توا - إلى حيث صاحب العزبة ، رب هذه الأرض ، وسيد هؤلاء الناس .

ووقفت بين يدى صاحب العزبة أقص قصة المعركة التى اجتاحت العمل والعمال هناك ، فى الغيط . ونفضنى صاحب الأرض بنظرة قاسية ثم قال : « أحقاً ما تقول ؟ »

قلت « إى وربى ! »

قال « سنرى »

ثم تزاحم الناس فى صحن الدار ، وجاء العمال - رفاقى - يزورون حديثاً يبتغون به مرضاة الرئيس ، ووقفت مرتبكا أنظر حوالى فى ذهول ، أفتش عن الحقيقة وهى تتوارى خلف سجف من الزور والبهتان ، فما وجدت فى هذا الجمع رجل صدق وإيمان ، وأسقط فى يدى فأمسكت عن الحديث واستسلمت .

وحدجنى صاحب الأرض بنظرات عابسة يتوثب الغيظ من خلالها ثم قال « والآن ماذا ترى ؟ » فقلت « لا شىء » ثم أمسكت عن الحديث واستسلمت.

فقال فى ثورة « إذن حكمنا عليك بكذا وكذا من الجنيهات تدفع بعضها عاجلا والباقى آجلا ، وموعدنا محصول القمح » .

فقلت فى توسل « وأنى لى - ياسيدى - بهذا المبلغ الكبير وأنا رجل فقير ؟ » فقال فى كبر : « لست أقبل مراوغة ولا مماطلة ولا دفاعا » قلت « ولمن يكون هذا المبلغ الجسيم ؟ » قال « ومالك أنت ولهذا ؟ ألا تعلم ؟ إنه لصاحب الأرض التى امتهنت كرامتها واستبحت حرمتها وعبثت بحماها ، لصاحب العمل الذى ضيعته وبذرت فيه الفوضى ، لى ... » وعجبت لحديث هذا الثرى الشره فأردت أن أقذف فى وجهه كلمة عنيفة جاسية ، فقلت « أوترضى - ياسيدى - أن تنتزع منى قوت عيالى ومساك روحى غصباً ؟ » فقال فى ترفع « هذا كلام رجل خلو من الأدب خلو من الحياء ، أخرج فأنت مطرود منذ الساعة » .

صحائف مطوية فى السياسة العربية

محاضرة عن الاسلام (١)

للاستاذ أحمد بك رمزى

في يوم من أيام شهر يناير سنة ١٩٣٦ ، وكنت أشغل وظيفة قنصل مصر فى مدينة القدس ، زارنى وفد من هيئة جمعية الشبان المسيحية ، وقدم إلى برنامجا عن محاضرات العام ، وأشار الوفد إلى دعوة حضرة الأستاذ أحمد أمين بك لالقاء محاضرة عن الاسلام فى دار الجمعية .

وذكر لى أن العادة جرت عند تشريف أستاذ مصرى ذى مكانة خاصة ، أن يرأس الاجتماع قنصل مصر لتقديمه ، ولذلك عرض الوفد أن يكون الاجتماع برئاستى ، فاذا قبلت هذا وجهت الدعوة مع ذكر اسمى عليها ، وقد تمهلت فى القبول ؛ فلما لمس الوفد ترددى ، أطلعنى على نماذج من بطاقات الدعوات السابقة فقرأت عليها أسماء من تقدمونى فى هذا المنصب . هنا لم أجد ما يدعو إلى رفض هذه الرئاسة ، وهى بطبيعتها شرفية أو قل ذات طابع صورى ، وليس فيها ما يدعو إلى تحضير كلمة مطولة ؛ وانما يقتصر التقديم على القاء عبارات معينة معروفة ، فوعدت الوفد بتلبية دعوته وخرج من عندى وقد اقتنعت من جهتى بأن المسألة قد انتهت ولم يعد هناك ما يبرر العودة اليها .

ولكن فى يوم الاثنين ٢٠ يناير سنة ١٩٣٦ وقد بدأت عملى كالعادة ، وجدت على مكتبى عدة برقيات فيها ما يأتى :

« ترؤسكم جمعية الشبان المسيحية التبشيرية الاستعمارية ، اساءة إلى عرب فلسطين ومسلميها ، الذين يرون فى هذه الجمعية خطراً يهدد كيانهم الدينى والسياسى » .

وقرأت فى برقية بامضاء الأستاذ عجاج نويهض ما يأتى :

« عرب فلسطين مقاطعون جمعية الشبان المسيحية منذ الاحتلال ، لكونها رائداً مقنعاً للاستعمار وللآن لم يقف خطيب عربى مسلم على منبرها ؛ فخطبة الأستاذ أحمد أمين تحت رئاستكم ، جارح لكرامة مليون عربى ؛ فأحرار شباب العرب باسم الكرامة القومية يرجونكم العدول » .

ولم أكد أقرأ هذه البرقيات وما يحتويه بريد الصباح ، حتى جاء وقت المقابلات والزيارات ، فاذا فى مقدمة الحاضرين وفد عربى ، يتقدمه حضرة نبيه بك العظمة والأستاذ الصديق سامى السراج ، ولما انتظم المجلس ، بدأ الحديث عن المعرض الزراعى الصناعى الذى كانت تقيمه الجمعية الزراعية الملكية فى ربيع سنة ١٩٣٦ ، وعن رغبة أهل فلسطين العرب فى زيارته ، لما له

١ — ألقيت فى جمعية الشبان المسيحية بالقدس عام ١٩٣٦ حين كان الكاتب الفاضل قنصلا لمصر بفلسطين وشرق الأردن من ١٩٣٥ — ١٩٣٧ .

وخرجت من لدن صاحب الثراء المريض أجرر أذيال الخيبة والفشل وأحس مس الفاقة والضياع .

وجذبنى الأمل إلى رفاق سيدى وإلى ذوى قرابته ، أستعينهم واستعطفهم ، عل واحداً يشفع لى لديه فيخفف من حكمه ويرد على عملى ، ولكننى وجدت قلوباً صماء لا تلين ، وعقولاً مغلقة لا تنفتح ، وأبواباً موصدة بأقفال من الكبرياء والترفع ، فرجعت إلى أهلى أحمل فى نفسى همين . هم التعطل وهم الجوع .

وانطوت الأيام تنضج قمحى وفى النفس أمل وفى البطن شهوة ، فما راعنى إلا عمال صاحب العزبة يبكرون إلى حقلى — على حين غرة منى — يحصدون القمح ويحملونه إلى حيث يكون بيدراً صغيراً بين بيادر كبيرة . ووقفت أنظر ومالى بهم من يد فأدفع الظلم أو أظفر — عنوة — ببعض قمحى وهو جهد السنة وأمنية القلب .

ونظرت حولى فاذا الناس يهتزون من فرحة أيام الحصاد ويستمتعون بلذة الجنى ، إلا أنا ... فيا لقسوة الحرمان ! ويا لمرارة الضيق !

ولا عجب — يابنى — فان الانسانية حين تتهاوى تسفل فتتضع فتنحط إلى أوضع مراتب الحيوانية !

كامل محمود حبيب

من أهمية خاصة فى توطيد علاقتهم مع مصر الشقيقة الكبرى ، ثم انتقل الحديث وكأن لا صلة بين الموضوعين إلى المحاضرة ، التى أزمع الأستاذ أحمد أمين بك على القائها بجمعية الشبان المسيحية ، فكان من رأى الوفد المبادرة إلى الاعتذار عنها . أما أنا فقد أكدت للوفد أننى سأمكن أكبر عدد من أهل فلسطين من زيارة المعرض المصرى ، والتعرف إلى احوالهم المصريين . أما فيما يخص الاعتذار عن القاء المحاضرة ، فقد أبنت لهم بوضوح أننى قد وضعت كلمة لتقديم المحاضر ، أننى قد ارتبطت مع هيئة الجمعية وسأقوم بالقائها على كل حال سواء حضر المحاضر أم اعتذر عن القاء محاضرته ، وكان مما قلته لحضراتهم وهم يذكرون ذلك جيداً « من أين تأتون لى بفرصة أخرى نتكلم عن الاسلام فى قاعة جمعية مسيحية ؟ أوجدوا لى هــــذه الفرصة فى مكان الجمعية كما تقولون أو أى مكان آخر ينطبق وصفها عليه من ناحية التبشير والاستعمار كما تقولون ، وأنا مستعد للتراجع وجمل الالقاء فى هذا المكان الذى تختارونه . اننى لا أنظر إلى المسألة من هذه الوجهة بالذات وإنما أقول ان فلسطين فى حاجة ماسة إلى جمع كل القوى التى يمكن أن تلتئم مع عمل القائمين بنهضة العرب وكفاحهم . ولا أشعر بأن هذه الجمعية ضدنا بل هى أمام تيار الصهيونية الجارف من مصلحتها أن تقف فى صف العرب، ومن مصلحتنا أيضاً أن نجعلها فى صفنا ؛ وان لم تقف معنا الآن فسيجرفها التيار حتما ويقتلع جذورها معنا » .

وفى صباح يوم ٢٢ يناير قابلت المستر فرنس وكان يشغل وظيفة مدير المطبوعات لحكومة فلسطين ـ التقيت به فى ردهة فندق الملك داود فاخبرنى بانه أطلع على جرائد الصباح العربية وقال « انها قد خصصت جزءاً كبيراً من أعمدتها للاحتجاج عليك وعلى الأستاذ أحمد أمين بك ، فماذا سيكون موقفكما أمام هـذه الحركة ؟ » . قلت « اننى قد أعددت كلمة لتقديم الأستاذ وسأحضر لالقائها فى الموعد المحدد كما اتفقنا ، والآن لا أعلم عن مجىء الأستاذ شيئاً . »

ولما ذهبت إلى دار القنصلية المصرية وجلست لمم لى أعطيت لى مكالمة تليفونية مع حضرة الأستاذ أحمد أمين بك وكنت لم أتشرف بمعرفته بعد ، فقال لى « أنه حضر إلى القدس وهو يسعده أن يقابلنى » فلما سألته أين ينزل حتى أقوم بزيارته أولا ، لم يشأ أن يعلمنى بالمكان الذى نزل فيه وانما اخبرنى انه سيحضر لزيارتى فى الساعة الثالثة. ولما حضر فى الموعد قال لى « أعذرنى لما سببته لك من متاعب » .

قلت له . « لا محل للاعتذار اذ اننى لم أتعب نفسى لشىء بعد »

وهنا التفت إلى وقال أنه مستعد لالقاء المحاضرة إذا كان الاستمرار فى مواجهة الحالة القائمة قد يسبب متاعب لى .

قلت له : « اننا غير مسئولين عمـا تأتى به الأقدار ، ولقد وضعنا فى هذا الموقف فعلينا أن نقبل به ونسلم ، وأن نواجه المتعنتين بالمنطق الذى يتفق مع الموقف » .

وهنا قلت له : « ترى لو دعى مبشر للخطابة عن المسيحية فى مسجد اسلامى ، أتظن أنه يترك هـذه الفرصة تفلت من بين يديه ؟ أقول هذا وقد اطلعت على ما نشر عن بعض المبشرين الذين أقحموا أنفسهم ومن غير دعوة سابقة ، فتقدموا للخطابة وسط الجماهير الاسلامية عند انتهائهم من صلاة الجمعة، فكانوا فى موقفهم هذا دعاة يدعون إلى دينهم بطريقة لا يستسيغها العقل . ومع ذلك فنحن مدعوون ، فكيف نعتذر عن انتهاز فرصة مثل هــــذه؟ أما من ناحيتى فقد عزمت على تقديمك بكلمة وسألقيها على كل حال » . فالتفت إلى وقال « نعم ليس من الرجولة فى شىء أن نعتذر الآن » قلت « اننى لن أتردد فى تقديمك ولكنى أن أعلمك بأن تقديمى سيأتى فى كلمة أطول من المعتاد . حتى أرد على هذه الحملة القائمة والتى أعتبرها هامة جداً فى نظرى بحيث إذا لم أوفق فى الرد عليها فلن أستطيع أن أقوم بأى عمل انشائى فى هذا الحقل العربى هنا » .

وافترقنا بعد أن أعلمنى أنه سيلقى كلمة فى نادى مدرســـة روضة المعارف الاسلامية (لا جمعية المقاصد الاسلامية كما ذكرها عزته فى الصفحة ٢٤٧ من كتاب « حياتى » فان جمعية المقاصد الاسلامية هى فى بيروت وليست بالقدس) وستقدمه هناك لجمهور المستمعين المسلمين حضرة الأستاذ حسن أبو رحاب .

***

وجاء موعد المحاضرة فى دار جمعية الشبان المسيحية ، وهى دار فخمة متسقة الأرجاء ـ أرجو أن يكون للمركز العام للشبان المسلمين مثل هذه الدار فى مدينة القاهرة ـ وقد خصص لالقاء

المحاضرة البناء الذى يشغله المسرح ، فامتلأت مقاعده بالحاضرين وتقدمت بالقاء كلة لا أجد غضاضة فى نفسى من نشر بعض مقتطفات منها . وقد حدث فعلا أن الجرائد العربية التى وجهت اللوم الينا نشرت فى اعدادها الصادرة فى يوم الجمعة ٢٤ يناير وفى مقدمتها جريدة اللواء وجريدة الدفاع كلة التقديم وأشارت اليها وإلى أهميتها كما نشرت بقية الجرائد العربية مقتطفات من هذه الكلمة . ومن تلك اللحظة شعرت بان صلاتى مع الجرائد العربية فى فلسطين قد دخلت عهداً جديداً من الثقة والتفاهم والتعاون . وأحاطنى الكثير من أهل الرأى بتشجيعهم وعطفهم.

وانى أنقل للقارى بعض ما جاء فى مقدمة هذه الكلمة لأنها من أثمن ما اعتز به فى حياتى :

قلت : لقد جاء الاسلام بدعوة عالمية ، نشرت بين الناس دينا وتعاليم وأفكارا ، جاء بدعوة نفخت فيهم روحا جديدة ، جعلتهم يلتمسون صلاح آخرتهم باصلاح دنياهم ، حينما أخذوا يتطلعون إلى حياة أرقى مما كانوا فيها ، حياة يطمئن اليها العقل ويرتاح اليها الايمان .

ولم تمض غير سنوات قليلة على أتباع هذه الدعوة وأنصارها، حتى أصبحوا قوة هائلة أخذت تفرض نفسها على جزء كبير من العالم المعروف وقتئذ .

فأثرت فى حركته وسيره وتطوره ، وبرزت قوة الاسلام فى تاريخ الانسانية واضحة ظاهرة لا يمكن اخفاؤها أو التقليل من شأنها .

ومنذ ذلك التاريخ لفتت هذه الدعوة الانظار، وأخذ الباحثون ينقبون عن منشأ هذه الحركة ، ويتعرفون أسباب نجاحها وانتشارها ومدى أثرها وسر بقائها إلى اليوم .

« والاسلام ككل حركة عالمية ، انقسم الناس فى الحكم عليه إلى فريقين : فريق يشمل أصدقاءه وأتباعه وأنصاره ومن أراد انصافه من غير أهله . والفريق الآخر يجمع الخصوم و لأعداء أو الذين لم يجدوا فى أنفسهم ، ما يدفعهم إلى التعرف على محاسنه أو الاقرار بمزاياه » .

« فمن أولى البديهيات أن نعمل على أن يتعرف غير المسلمين حقيقة هذه الدعوة ومراميها وأهدافها وما أحدثته هذه الرسالة من نتائج » .

« ومن أحق من أهله أن يحدث الناس عنه ؟ وأن يظهروا محاسنه ؟ وأن يزيلوا ما علق خطأ باذهان الناس عنه ؟ نتيجة دعاية الافتراء عليه والتسليم بعدم انصافه .

لهذا كله لبيت هذه الدعوة ، وكان أمامي ثلاثة دوافع لو جاء واحد منها على انفراد لكان وحده كافيا للتشجيع إلى اجابتها من غير تردد أو توقف :

أولها - واجب الرجل المؤمن الذى لا يخشى إلا الله فى عمله وتصرفاته .

ثانيها - مكانة الأستاذ المحاضر ومقامه العلمى وثقتنا فيه.

ثالثها - ما أظهرته الجمعية بدعوتها لنا من التقدير للاسلام كدين من الأديان الكبرى ، فضربت لنا كما قلت مثلا لحرية الفكر وأظهرت نية طيبة ، ان أوسعت لنا صدرها لانصاف الاسلام فى دارها فيجب علينا أن نقابل هذه النية وأن نلبيها »

وأظن انى قد عرضت بهذه المقدمة إلى أهم ما يدور بخلد كل فرد مسلم منصف ، وهنا رأيت ألا أتأخر بعد حديثى عن الاسلام أن أشير إلى تأكيد الملافة القائمة بين مصر والأقطار العربية وفلسطين بصفة خاصة فأوضحت ما يجول بخاطرى بالكلمة الآتية :

لست بحاجة إلى تقديم الأستاذ إليكم ، فهو رجل معروف بعلمه وثقافته فى الأقطار العربية ؛ إذ هو فى طليعة المجاهدين فى خدمة الأدب العربى وبعثه . ولقد سبقته شهرته إلى هذه البلاد ككاتب ومؤلف وأستاذ فهو ليس إذن بحاجة إلى التعريف والتقديم »

« بل أقول أكثر من هذا : انى لا أشك لحظة واحدة بأن فى هذا الجمع كثيرين فى استطاعتهم أن يحدثونا عن علم الأستاذ وأثره ومؤلفاته بأسلوب وبيان أعجز عنهما » .

« ومع هذا فانى نظرت إلى هذا الحفل فاذا هو مكون من خيرة أفاضل الناس فى قطر عربى عزيز على قلب كل مصرى ، لأن أهله باختلاف نزعاتهم وأديانهم تربطهم بنا روابط لا انفصام لهـــا ولكن أعلاها وأبقاها مع الزمن وحدة اللغة والتفكير والثقافة . لهذا شعرت بأننى لن أكون غريبا هنا . بل أننى سأجد بينكم ما يشجعنى على إلقاء هذه الكلمة وأنا واثق من أن شعوركم

منى وانه سيشفع لديكم إذا اختصرت فى ناحية أو تلعثم لسانى أمامكم مرة ومرتين . فالأستاذ أحمد أمين لا أقدمه كأستاذ مصرى فأعده ملكا للكنانة وحدها ، بل أقدمه إليكم كأديب عربى أدبه وعلمه من حق الناطقين بالعربية كافة . وأقول لكم إن ما أحرزه من نجاح وتوفيق نعده نحن معاشر المصريين نجاحا وتوفيقا للأدب العربى ونصراً للثقافة التى تجمعنا بكم وللفكر العربى الذى نشترك فيه وننحدر منه ونمتز به ، وفى هذا أيها السادة ما يثبت أقدامى أمامكم ويجعلنى مطمئنا من أن الأستاذ المحاضر سيلقى من ترحيبكم ومودتكم فى القدس ما سبق أن أحيط به من ترحيب ومودة فى كل قاعة ألقى محاضرة فيها » .

ولقد كان بوسعى أن أقف عند هذه الخاتمة لولا اننى أردت أن أشير إلى مكانة فلسطين وما كنت أنتظره لها من مستقبل وما كانت تحيط بنا من غيوم متلبدة وقتئذ ، فأردت أن أتحدث عما يجول بأنفسنا من رغبة فى دفع موجة التشاؤم التى كانت سائدة وقلت ما يأتى :

« فى هذه البلاد المضيافة ، وعلى أرضها المقدسة للأديان المنزلة جميعاً : هنا حيث استلم الشرق هداية العالم يوما ما حينما ظهرت إلى العالم تعاليم معلم الناصرة عيسى بن مريم منذ ألفى عام؛ هنا حيث ينظر أتباع الديانات الكبرى إلى قدسية هذا المكان، هنا يحدثنا الأستاذ بحرية تامة عن الاسلام وأثره فى وقت كثر فيه عدد المتشائمين الذين يشكون فى عظمة هذا الشرق ومستقبله — أولئك الذين لم يلمسوا إلا آثار الجمود والتسليم ومظاهر الضعف والفقر البادية فى كل مكان فكأنهم لم يروا إلا ظلمات بعضها فوق بعض » .

« اننا نقول لهم كذلك كانت السنوات والعصور التى سبقت دعوة الاسلام كانت لياليها ظلماء لا أثر لنور الأمل فيها ، وكانت عوامل الفناء والتفكك تعمل فى كل مكان ، حتى لقد كان يخيل إلى من عاشوا فى القرن السادس الميلادى أن الشعوب الشرقية التى ورثت مدنيات مصر وقرطاجنة وآشور وبابل وفينيقيا ، قد شاخت وهرمت وفقدت شخصيتها وميزاتها وقوتها الدافعة فاصبحت فريسة مدنيات أقوى منها من صنع روما وبيزنطة ، ولكن هذه الشعوب نفسها التى غلبت على أمرها زاها وقد استحالت مرة واحدة أمماً فتية فكأنها بعثت بعثاً ونشرت نشراً. والفضل فى نهضتها لتعاليم الاسلام حين تحرر الشرق من جبروت روما وخرج للعالم بشخصيته واستقلاله الفكرى للعمل مرة أخرى كقوة عظيمة تزحف على العالم وتؤثر فى حركته وتاريخه وسيره وتطوره » .

« وها نحن اليوم نعانى نفس ماعاناه أسلافنا ، فهل لنا أن ننظر إلى ماضينا ، وإلى تلقى دروسه لنتخذ من ذلك دعامة للمستقبل ولنتعرف القوى الكامنة فينا ليكتب لها الانطلاق والخلود؟ »

« على أى أساس اخترنا نهضتنا سواء كان ذلك فى نطاق القومية أو العالمية فاننا فى حاجة إلى بعث جديد وقوة معنوية تحركنا للعمل للوصول إلى حياة أعلى وأكمل وأعظم شأنا من ظروف الحياة التى نعيشها فى الوقت الحاضر » .

« اننا إذا أكتشفنا هذه القوى الكامنة فينا وعملنا على تركيزها وتنظيمها نكون جديرين بحمل الأمانة التى حملها الشرق من قبل وتسلم رسالته الخالدة ، ويصبح الشرق جزءاً هاماً واعياً مكملاً للانسانية المنتبهة المتيقظة العاملة فى بناء صرح مستقبل هذا العالم » .

هذه بعض فقرات من حديث تلك الليلة وهو حديث — كما قلت — تفضل رجال الفكر فى فلسطين بالترحيب به ، ونشرته أغلب الجرائد وأشارت إليه . ولقد كنت أود أن يشير حضرة صاحب العزة الأستاذ أحمد أمين بك إلى اشتراك القنصلية الملكية المصرية العامة فى القدس معه فى هذا الموقف الذى قال عنه « أنه كان عجيبا حقاً مربكا حقاً » . فقد قرأت كتابه المنون باسم « حياتى » ولفت نظرى صديق عزيز على هو الأستاذ محمد عبد الغنى حسن إلى حادث القدس وكيف أفرد له الأستاذ ثلاث صفحات من كتابه فلم يذكر كلمة واحدة عن الذين شاركوه فى هذا الموقف الذى كان فيه من العناء الشىء الكثير على حسب تعبيره . ولذا رأيت من واجبى أن أنشر هذه الصفحة المطوية ولا أجد ما أقوله سوى اننى وغيرى ممن ألقى عليهم واجب تمثيل مصر فى تلك الفترة لقوا فى أثناء قيامهم بواجباتهم الكثير من هذه المواقف : أذكر واحدا منها حينما أقمت حفلة للاستاذ اسد رستم بمناسبة اخراجه أول مجلد من كتاب « وثائق الشام » وكيف حملت بعض الجرائد على حملة مثل هذه فكان للقنصلية الملكية المصرية العامة ببيروت موقفا يشبه موقف فى القدس .

أحمد رمزى

مراقب عام مصلحة التسويق التجارى
والملكية الصناعية

سيرة عالم

للدكتور سامي الدهان

كان عامة الجمهور فى « حلب » يعجبون لهذا الرجل الغريب، يجدونه عند كل حجر عتيق من أحجار المدينة ، يتسلق الصخر، ويعلو الجدران القديمة ، والأسوار المتهدمة ، وبيده ورقة وقلم ، يخط سطوراً ويمحو سطوراً، لايبالى بالهامس حين يمر أو الساخر حين يتحدث ، فالناس عندنا لم يألفوا من يصاحب الصخر يومه، ويتحدث إليه ساعات من نهار ، يستنطقه عن الماضى القديم ، ويستخبره عن الأجيال السالفة .

وكان منظر الرجل يثير كذلك دعابة حينا ودهشة حيناً آخر، فقد أرسل لحيته ، ولبس البسيط من الثياب ، وجلس جلسة ابن البلد إلى الحجر والتراب ، يقتلع العشب عن الحجر ، ويمسح عنه الغبار ، كأنه شحيح يفتش فى ثناياه عن كنز مدفون وثروة مخبوءة. على أن الناس يمرون بهذا الصخر والحجر عشرات المرات لا يبالون ولا يأبهون ، فقد ألفوا أن يروا فى سبيلهم كتابات عريضة لم يحاولوا أن يقرءوها ، وتواريخ مسطورة لم يجربوا أن يفهموها ، ومالنا ولهذا الجنون الأوربى إذ يكلف بالغريب ويعكف على العجيب ؟

وكان الرجل على ذلك كله ماضياً فى عمله لا يهمه تهامس الناس حوله، ولا تثنيه نظراتهم المريبة وشكهم الملح، فهم يرمونه بالجهل إذ يضيع أيامه بما لا ينفع الحياة ولا يجلب المال .

وطل على ذلك سنين انتهى بعدها إلى كتاب صغير نشره بالفرنسية صور فيه الأبنية الأثرية ، ورسم مصوراً لهذه الأبنية ، وخلص إلى نظرية جديدة هزت المستشرقين طربا ، فقد وقفوا على صورة « حلب » كما كانت قبل ألف عام ، أو تزيد ، وحدد أماكن الجدران والأسوار من هذا الصور . وبين مواقع المساجد والجوامع والتكايا ، وكأنه قد بنى المدينة على الورق من جديد ، ولم يبق إلا أن يرسم هؤلاء الذين عاشوا بين جدرانها تتقلب عليهم الحروب ، وتهزم الغزوات ، وأن يعين أماكنهم وحاراتهم .

وعرف المؤرخون الغربيون عن حلب ما لم يكونوا يعلمون؛ فقد رسم لهم المستشرق « جان سوفاجه » مواقع المعارك التى دارت خلف الأسوار ، وصور لهم بلاط الحمدانيين والمرداسيين والأيوبيين والأتراك .

واشتركت مصر فى تعريف هذا الجهد ! فنشرت للرجل فى مجموعاتها ما عثر عليه من كتابات ، ونشرت إلى جانبها الترجمة الفرنسية والتعليقات العلمية . وتنبه المؤرخون كذلك إلى ماتحويه حلب فى حاضرها من بناء قديم يرى المستشرق أنه أقدم ما بقى فى سورية من الآثار ، حتى انه اكتشف على أحد جدران المبانى كتابة هيروغليفية يعود تاريخها إلى ألفى سنة سلفت .

ولم يقف عند هذا حتى كتب رسالة للدكتوراه درس فيها تطور البناء فى حلب على مدى الأجيال . فعرض للمدينة فى عهد اليونان والرومان والعرب ؛ وتوجت هذه الرسالة بكثير من الثناء ، وهتف المستشرقون للدارس الباحث ، وقد قضى شطراً من عمره فى بلاد الشام يتقرب إلى تاريخه ، ويتفهم ماضيه العمرانى . ونشرت الرسالة فى جزءين كبيرين أولهما فى دراسة هذه المدينة والثانى فى المصورات والصور التى تتحدث – على عادة الغربيين – عن ماض قديم قربه الرجل أوفر ما يستطيع عالم أن يفعل .

ولما سكن سوفاجه دمشق كتب كذلك عن ابنيتها وحاول أن يصنع لها ما يصنع لشقيقتها حلب ، ونشر بحثاً وبحوثاً عن الأبنية فى دمشق على عهد الأيوبيين .

وتابع دراساته ، وواصل نشر كتبه حتى بلغت العشرين ، فنقل من الربوع التى أحبها ، وعاش بين جدرانها ، إلى باريس وعين أستاذاً فى « الكوليج دفرانس » وهى مرتبة لا يبلغها إلا الصابرون المجاهدون من العلماء فى فرنسة وعين كذلك مديراً للدراسات العليا فى التاريخ الإسلامى بالسوربون . ولم تحبسه محاضراته وواجباته الجامعية عن متابعة التأليف والترجمة، فنشر كتابا بالفرنسية يعد أقوى مرجع فى التعرف إلى « مصادر

في الصداقة والصديق

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

وقع الخضر في كشكوله من (الرساله) يقول إنه لاحظ أنني كلما أخرجت كتابا كتب عنه الأستاذ عبد الغني حسن، وأن العكس صحيح، يريد أنه كلما أخرج كتابا أو ديوانا كتبت عنه. والتوقيع على إيجازه وإن كان صحيحا يحمل معنى التعجب، أو هو خبر ينطوي على استفهام، وإشارة تحتاج إلى تفسير وبيان.

وبيان هذا التبادل أنه دليل على الصداقة أو هو آية الأخوة.

ولكاتب التوقيع أن يعجب في زمن أصبحت فيه الصداقة أندر من الكبريت الأحمر، فإذا رأى أحد شخصين قد ائتلف قلباهما على المحبة، وقامت العلاقة بينهما على المودة، لفت ذلك نظره لغرابته وشذوذه، وبعده عن المألوف، وانفراده من التعارف الشائع المعروف. ولقد حكى القدماء من الحكماء أن المستحيلات ثلاثة: الغول والعنقاء والخل الوفي. فإذا كان الخلان الأوفياء قد عز وجودهم في قديم الزمان، فوجودهم أعز اليوم وأندر، مع فساد الزمان، وانتشار موجة المادية، والتمسك بأسباب الدنيا ومتاعها وزينتها ومنافعها.

فإذا عثر الإنسان على الصديق كان كالذي اهتدى إلى المستحيل وعثر على كنز ثمين. وقد قوموا الناس بالمال، فوزنوا مهراجا الهند، وقدموا المهور إلى الحسان، ولكن الصديق الحق إذا أخلص وبرئ عن المصلحة، كان أثمن من الذهب فلا يقومه مال ولو عد بالملايين. وللعامة من الناس تشبيه مادي طريف، قالوا: الناس أجناس، ذهب وفضة ونحاس، أما الإنسان الذي كالذهب فكلما عبر سنوات الزمان زاد جوهره ولم تنقص نفاسته ولم يذهب بريقه أو ينطفيء رونقه. وأما الإنسان الذي كالنحاس فإنه يخدعك بمنظره وهو المعدن الخسيس تطليه فلا يلبث أن يصدأ، وتجلوه فيأبى الجلاء ويعود إلى الانطفاء، فإذا اتخذت من هذا الصنف صديقا خدعك ببريقه وغشك بمنظره. باطنه على خلاف ظاهره، وباطنه هو الذي يدفع إلى الانطفاء والصدأ، وهذا هو جوهره لا يستطيع عنه حولا، أو نحيزته لا يستطيع لها تبديلا. ولذلك كان العثور على الصديق الصادق عسير المنال لقلة الذهب وكثرة النحاس، والناس كذلك منهم النفيس ومنهم الخسيس.

والصديق الذي كالذهب تعتز بصحبته، وينفعك في محنتك، ويقبل عليك في وقت شدتك، ثم تأمن إلى جانبه وتركن إلى معونته، وتفضي إليه بجملة نفسك وأنت مطمئن إلى حفظ السر وحمل الأمانة، فإذا برئت النفوس من المنافع، وتخلصت من

التاريخ الإسلامي» ذكر فيه الكتب العربية والغربية المخطوطة والمطبوعة التي تبحث في تاريخ الاسلام. ثم نشر كتاباً عن أخبار الصين والهند بالعربية وترجمه إلى الفرنسية. وأرسل إلى المطبعة منذ شهور ترجمة لأحد مؤرخي حلب في القديم. والكتاب ما يزال في سبيله إلى النور، بينما كان مترجمه يقاسي غصص الموت ويتوجه إلى الخلود.

وكأني بالعالم المؤرخ – وهو يبلغ الخمسين من عمره – قد أنهكه الدرس وحطمه الجهد، وأخذت منه المؤلفات ما أخذت من عباقرة الباحثين فنال منه المرض، ولم يثنه نصح الأطباء ورفق الأصدقاء حتى اختطفه الموت وهو يترجم ويصحح كتبه عن الشام والمسلمين، فقضى «وملازم الطبعة» بين يديه وترجمة التاريخ الاسلامي تحت وسادته، وأغمض عينيه على مصور الشام الذي صنع يزين غرفته وهو أشد ما يكون اطمئناناً إلى أنه مات بعد أن قضى للربوع التي أحب ما وجب، وللتاريخ الذي عشق ما استطاع.

فبكاه أصدقاؤه الذين عرفوا فيه التسامح والاخلاص، وبكاه طلابه الذين رأوا فيه دماثة الخلق وتواضع العلم وتفاني الأستاذ. ولاشك في أن حلب الشهباء ستجزيه أجر ما عمل، وتفيد من درسه، وتقتبس من بحثه، فتكمل ما لم يكمل من نص، وتنشر ما لم يتم من مخطوط. ولاشك في أن المؤرخين والباحثين عندنا سيجدون في سيرته سيرة تحتذى وأسلوباً يقتفى وطريقة تتبع.

القاهرة الدكتور سامي الدهان

الأطماع وتجردت عن الأهواء ثم آثرت الإيثار ، اتصلت النفوس وائتلفت الأرواح ، وهذه هي الصداقة في أعلى مراتبها ، وأفضل صورها ، وما ينبغي أن تكون عليه .

والصداقة فضيلة تأمر بها الأخلاق وتحث على توثيقها . وأفضل الأخلاق ما طلب صاحبها الفضائل لذاتها ، ولأنها واجبة في نفسها كما ذهب إلى ذلك كانط الفيلسوف الألماني . فنحن نعمل الفضائل طلبا للمنفعة أو اللذة أو السعادة ، وبذلك تخضع الفضيلة لغاية أخرى فينصرف المرء إلى تحقيق هذه الغاية ولو امتطى ظهر الرذائل وصورها في صور الفضائل. لذلك ينبغي أن تطلب الصداقة لذاتها، وحينئذ يحس المرء بلذتها .

والصداقة من أقوى الروابط التي يقوم عليها دعامة المجتمع ، فإذا شاعت في أمة تماسكت ، ثم قويت لتماسكها ، ثم علا شأنها لقوتها ، فتصدرت سائر الأمم لعلو شأنها والاعتراف بمنزلتها . وكان هذا هو حال الأمة الإسلامية في بدء نشأتها . وأنت تعلم أن الدعوة الإسلامية قامت على اثنين من الرجال ، النبي عليه السلام ، وأبي بكر ، الذي سمي لصدق صداقته وفرط تصديقه بالصديق دلالة على المبالغة، فقالوا أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه. وإذا أطلعت على سير الرجال من أهل الإسلام في عزه وعنفوانه ، وفي أوجه وعلمه وسلطانه ، يوم أن كانت أوربا تعيش على علوم الشرق وتقترف من عمرانه ، رأيت أن الروابط بينهم قامت على الصداقة ، وعلى التفاني والوفاء ، وعلى الإخلاص والإيثار، والإيثار أعلى مراتب الصداقة . حكت كتب القدماء أن عشرة من المسلمين وقعوا جرحى في قتال في إحدى الغزوات ، وكانت مع أحدهم شربة ماء لا تكفي إلا واحداً تهبه الحياة ، فآثر بها صاحبه ومات ، وآثر بها الثاني صاحبه ومات ، وهكذا حتى مات الجميع .

ونحن نرى أن الجماعة تحتاج إلى رابط يربط ما بين أفرادها، وليست هذه الروابط مادية يمكن أن ترى ، فليس هناك حبل يربط بين فلان وفلان ، ولو كانت الروابط حبالا لتقطعت وبقيت الصداقات الصادقة لأنها أوثق، ثم لا تبلى مع مرور الزمان بل تقوى على الأيام .

ومن المشاهد أن الشرق منحل الأواصر ، كثير التنابذ ، يشيع الحسد بين الناس ، وتشتد العداوات الشخصية حتى لتشغل أوقات الناس وتصرفهم عن المصالح العامة . وهذه هي أخلاق الجاهلية الأولى التي جاء الإسلام ليحل محلها المودة والسلام

والصداقة والعداوة مما ينشأ مع الطفولة ، ويبث بالتربية ، ويعالج بالتهذيب والصداقة التي ترتفع إلى منزلة الأخوة تظهر في الأسرة بين الأشقاء ، وتظهر في المدرسة بين الأنداد ، ولكننا في مصر قد أهملنا التربية فتركنا الحبل على الغارب ، أو سلمنا الأمر لله ، مع أن الله قد أودع فينا العقل للتمييز . وقد أثبت مذهب التحليل النفساني أن الأحوال النفسية التي تصاحب الناس في كبرهم تمتد جذورها إلى زمن الطفولة الأولى . والصغار في بيوتنا في شقاء لجهل الآباء والأمهات بأصول التربية وأسرار النفس ، فهم يمنعون الطفل من اللعب ، ويحسبونه في البيت ، ويكثرون من ضربه وإيذائه وانتهاره فينشأ على الحقد والبغضاء ، ثم يغرون الأخ بأخيه ، ويفضلون الشقيق على شقيقه فيظهر في أنفسهم الحسد وهو شر ما يبلى به الإنسان ، وهو آفة الصداقة

المدرسة المصرية دار تحضر الطالب للامتحان والحصول على الشهادة وليست المجتمع المثالي الصالح الذي يؤلف بين القلوب ، ويقوم فيه التعليم على المشاركة والتعاون بين التلاميذ . وقد سمعنا عن طلبة يأبون إعطاء مذكراتهم لزملائهم نفاسة وحسدا وانفراداً بالامتياز، فكيف ترتقب من المدرسة أن تنشىء جيلا من الأصدقاء وهذه حالتها ؛ وكيف نزعم أن الروابط بين أفراد الشعب وثيقة مع انعدام الصداقات ؟

أحمد فؤاد الأهواني

العقل . . .

للأستاذ محمد محمود زيتون

ما أكثر ما يعرف الإنسان ! ولكن ما أقل ما يعرف عن نفسه . ولعل حكمة سقراط «اعرف نفسك بنفسك» لم تتغلغل فى الأجيال المتصاعدة كما كان ينبغى لها . ولئن صح أن معرفة الإنسان تبدأ بما حوله ، ثم تنتهى به إلى نفسه ، فمعنى ذلك أن الإنسان لما يفرغ بعد من معرفته الخارجية حتى يخلص لمعرفته الداخلية . فالحياة تنمو وتتسع ، وتستطيل وتستعرض، وما يزال هو هو المتعجب من أحوالها . ومهما يكن من تقلبات الحياة ، فإنه لابد له من أن يعرف نفسه ليتابع سير القوافل الإنسانية تخب فى صحراء الزمان متعبة كايلة . . إذن ليعرف الإنسان نفسه بنفسه .

حقا لقد شغلت الإنسان حياته ، فعرف منها ما عرف ، وأبقى ما لم يكن يعرف حتى آن له أن يعرف ، وظل مرتبطا بهذه الحياة ينمو معها وتنمومعه ، تعلمه وتعمل له ، وهو بدوره يعلمها ويعمل لها ، غير أنها كانت قبله شيئا آخر غير ما صارت إليه ، بعد أن ملكته عليها طوعا أو كرها ، فقد كانت فوضى لا تجاوب ولا انسجام . غابات ودياج ، صواعق وجبال ، أمواج وأمطار ، كلها رهيب ، وكلها غريب . وهل حياة مع الغربة والرهبة؟ وهل حياة مع الوحشة والفوضى ؟ لابد إذن من « عقل » يؤلف بين هذه الكائنات أحياء وأمواتا . لابد من عقل يتفهم غايتها ورسالتها . لابد من عقل للحياة . لابد من « إنسان » .

شرف الإنسان يوم أصبح عقل الحياة ، وازداد شرفا يوم صار عقلا لنفسه ، وإذن فقد مر بتاريخ طويل عريض ، وتاريخ الحياة جزء من الحياة . مرت الإنسانية فى نظر « كونت Conte » بمراحل ثلاث : اللاهوتية ، والميتافيزيقية ، والعلمية . وهذا التطور — وإن كان غير صحيح إلا أنه غير باطل ، لأن اللاهوتية والميتافيزيقية والعلمية مظاهر تبدى فيها العقل الإنسانى حينا وأحيانا ، ومظاهر الإنسانية لا تحصى ، إذ لم يكن العقل من زجاج حتى يحطمه التفكير المنيف ، بل لم نعهد فيه الوقوف إزاء الحواجز والموانع صاغرا راهبا . وإنما اعتد بنفسه ، وكان لابد له من هذا الاعتداد ليكون عقلا . ولكن تفاوتت درجة الاعتداد بالذات فهبط إلى حد التواضع والتوقف عن العمل والعلم فى ثوبى التصوف والشك وبلغ هذا الاعتداد حد الاعتداء على الذات كما عند نيتشه . وابتغى العقل أحيانا طريقا وسطا بين هذين الطرفين .

فلنحاول الوقوف على شتى أنظار الإنسان إلى العقل ، ومدى ما وصلت إليه الدوائر الفكرية من تحديد نطاقه . . سواء فى ذلك الفلاسفة والمناطقة ، ورجال الدين والمتصوفة ، والأخلاقيون ورجال الاجتماع والسياسة ، وعلماء النفس والحياة ، وأصحاب الرياضة والطبيعة وأهل الفن .

أما الفلاسفة فقد تناولوا أعمال العقل ، وتأملوا الإحساس كأول مظاهر لهذه الأعمال يقول هرقليطس : « الحمار يفضل العلف على الذهب . والكلب ينبح كل ما لا يعرفه » فما سبب هذا؟ السبب هو أن الحواس شهود غير عدول حينما تعمل فى النفوس غير العاقلة ، فلا يستطيع الحيوان أن يميز بين المحسوس والمعقول لأنه ليس مزودا بما به يستطيع ذلك .

والإنسان — فى بدء حياته — لم يكن يستطيع هذا التمييز ، لأنه امتزج بالحياة امتزاجا كليا انتهى به إلى التوحيد بين الوجود والفكر توحيدا تاما . فهو صورة للحياة ، والحياة صورة له . أو كما يقول « فردريك رتزل Fredrich Ratzel الإنسان روح فى الطبيعة ، والطبيعة روح فى الإنسان : « Man is a spirit in nature and nature is a spirit in man » .

وأنبا ذو قليس يفسر الإحساس بأنه تقابل الأشباه ، وإدراك الشبيه للشبيه . ويقول إن مركز الفكر هو القلب ، وقد سبقه ألقميون زعيم مدرسة أقروطونا الطبية فى صقلية بأن المخ مركز الفكر .

وعلى العموم فإن أنبادوقليس وديمقريطس وأنكاغوراس كانت عندهم المعرفة العقلية هى الحسية ، وهم إن ميزوا بين العقل والحس فإنما كان هذا من حيث محتوياب كل منهما إذ كلاهما وظيفة عضوية وكانت تلك أول خطوة نقدية خطاها اللاهوتيون والطبيعيون القدامى نحو المعرفة العقلية أعقبتها موجة السفطائيين الذين أدوا للعقل أكبر خدمة كان سقراط أول وارث لها .

اتجه سقراط نحو العقل فى ذاته بقصد الكشف عن شرائط المعرفة الحقيقية : دعا إلى أن يعرف الإنسان نفسه بنفسه ، بأن يكتشف من معرفته بنفسه جهله بهما ، ذلك الجهل الحافز على الفكر والذى ينتهى إلى العلم بخصائص العقل الرئيسية التى هى التعريف والاستقراء . ولما كان الحق هو الخير وكلاهما فى العقل أو هما العقل فإن العلم فضيلة ، والجهل رذيلة .

وتبنى أفلاطون نظرية أستاذه فى فطرية المعرفة ، وقال بوجود معرفة لأهل الكهف كانت لهم قبل أن تغشى عيونهم بنور الشمس رمز الحق والخير والجمال . ولن تزكو النفس إلا بتذكر ماضيها المجيـــد ، ولن تبلغ سموها بالعلوم التجريبية البالية وإنما بالحساب والموسيقى والهندسة والفلك تتيقظ على عالم المثل الباقية الخالدة والتى هى أسباب المعرفة والوجود جميعا ، والتى تذكرها علم ، ونسيانها جهل . ويقول فى « فيدروس Phédre » وعندما تعجز النفس عن طلب الحق وتفشل فى الحصول عليه ، يسقط منها الجناحان ، وتهوى إلى الأرض . أما النفس التى لم تر الحق قبلا فلن تأخذ الصورة البشرية ، لأنه لابد للانسان من معرفة بالكليات وقدرة على الانتقال من الجزئيات الحسية إلى المعنى العقلى ، وذلك هو استجماع هذه الأشياء التى كانت النفس قد رأتها من قبل فى سبيلها إلى الله عندما رفعت رأسها لتستشرف الوجود الحق» .

لم يستطع أفلاطون أن يتعرف خصائص العقل فى ذاته ، فولى وجهه شطر مصدره الأسمى وهو الله مثال المثل . وإن كان فى طريق النفس إلى المثل صاعدة ومنها نازلة قد رسم أفلاطون سبيل الخلاص بالتزكية النفسية وهو سبيل إن كان حظ الحقيقة فيه أقل من حظ المثال إلا أن المثال نفسه من خلق العقل وابتكاره .

أما أرسطو فقد نظر إلى العقل من عدة جوانب ، وقل أن يخلو كتاب له من نظرة فى العقل . فعنده العقل المنطقى فى «البرهان» ، والعقل الأخلاقى فى « الأخلاق » والعقل الاجتماعى فى « السياسة » والعقل السيكولوجى فى « النفس » ، والعقل من حيث هو عقل فى « الميتافيزيقيا » حيث قسمه إلى أربعة : عقل بالقوة ، عقل بالفعل ، عقل مستفاد ، عقل فعال . وسار بنظرية العقل حتى وصل بها إلى الله « عقل العقل » الذى يتأمل ذاته لأنها أشرف ذات . وشرف العقل إنما جاء من شرف موضوع لعقله ، والموجودات تنزع إلى كمالها بالاشتياق إلى الله . وبذلك تفادى أرسطو مشكلة ، كيف يتصل اللاحسى بالحسى ؟

وبهذا المجهود المنيف كان أرسطو جديرا بأن يخلع عليه لقب « العقل » أو « عقل المدرسة » . ويكفى فى هذا المقام أن نشير إلى تطور فكرة العقل الأرسططاليسى عند تلاميذ أرسطو وشراحه وأنصاره وخصومه من المسلمين وغيرهم فى القديم والوسيط والحديث . وذلك لاختلاف الأنظار فى فهم عقل أرسطو اختلافا لم نشهد له مثيلا فى تاريخ المسائل الفلسفية .

ولقد اطرد التيار الأرسططاليسى الواقعى ، وإلى جانبه التيار الأفلاطونى المثالى ، وتراوح المفكرون بينهما ، فمن جانب أفلاطون انحاز إلى أرسطو ، ومن جانب أرسطو انحاز إلى أفلاطون .

وتبلبلت الأفكار فى عصر السقارطة الصغار كرد فعل للحياة ومستلزماتها حتى اقدخلط إقليدس الميغارى بين الله والعناية والعقل وكلها أسماء للخير عنده . وظهر العقل عند الرواقية فى ثوب أخلاقى : إذ العقل هو أكمل الطرق لتحقيق أسمى الغايات ، وبالعقل يدرك الحكيم أنه جزء من الطبيعة الكلية ، والله عندهم هو « العقل » منبثا فى العالم ، هو روحه المادية اللطيفة ، وعليه تتوقف الغاية والضرورة المطلقة وقوانين الواجب .

أما الأبيقوريون فقد تحرروا من كل عقل ، وانهمكوا فى الملذات دون وعى بواجب أو قانون ، وانحدرت المثالية الواقعية جنبا إلى جنب نحو الأفلاطونية الحديثة ، وفيها لم يخف ما لأفلاطون وما لأرسطو . فالعقل والمعقول شىء واحد ، والعقل هو التفكير صار فعلا محضا ، وكما ينطوى العقل على عدد من المثل كذلك « النفس الكلية » تنطوى على عدد من النفوس الفردية تهبط إلى الأجسام « كما لو كان صوت مناد يناديها » ولكنها فى هبوطها قد تذكر مرورها فى حال أصلها ، ناسية أباها الذى فى السماء ، وهى إن خرجت من الجسد لتعود إلى الله لا تفصلها قط عن النفس الكلية ، مقامها دائما فى العقل ، ولترجع النفس إلى الله يلزمها أن تخرج عن نفسها بالزكاة النفسية والتأمل فى المثل أولا وأخيرا .

وإدمان النظر فى الحياة ، واضطراب ماجرياتها فى الوجدان أدى إلى الشك ؛ فالحواس خادعة ، وليس لدى العقل ضمان للحقيقة واليقين فتوقف الشكاك عن السلب والايجاب وآثروا تعليق

الحكم ، واستمرأوا الخيدة فى السلوك[١] .

وانطوى القديس أوغسطين على نفسه حين أراد أن يعرف ربه ، لا بالميزيقيا الحقيرة ، وإنما بالوجدان والعلم الباطنى ، فتى عرف العقل الإنسانى أنه متغير، وفى الوقت نفسه لو عرف أن لديه فكرة عن الحق الثابت الباقى ، فليس على العقل إلا أن يسمو على نفسه ليرقى إلى منبع كل نور وأصل كل خير ، إلى العقل الذى ينير نا إلى الله ، وهو المبدأ الباقى لكل التقاويم التى يظهر فيها خلقه[٢] .

ولابد من الإشارة إلى الجدال العريض الذى دار حول أسبقية الكليات بين الواقعيين والاسميين من فلاسفة المسيحية فى القرون الوسطى . قال « القديس أنسلم » وهو من الواقعيين الأفلاطونيين « الكليات أسبق من الموجودات » UniVersalta anterem وقال « كما أن الفكر هو الواصل بين المرء نفسه ، فكذلك المثل هى الواصلة بين الله وذاته » الله مصدر كل معرفة هو الحق الأسمى الذى يخلق كل حق ، وهو الطيب الذى يمنح كل طيب ، والمطلق الذى منه وحده ندرك النسبى الذى لابد لنا من نماذج سابقة عليه نتمثلها حتى نوازن أو نحكم . وهكذا بإدراك النسبى اتخذ أنسلم برهانا مباشرا على المطلق وهو الله .

وعارض هذه النزعة جماعة لواقعيين الأرسطاليين من أشهرهم « ألبرت الأكبر » و « توماس الأكوينى » و « دنز سكوتس » وقالوا بأن ليس للكليات وجود جوهرى خارج الأشياء ، بل هى — كما يقول أرسطو — لا توجد قبل الأشياء وإنما فى الأشياء Non ante rem, sed inre وبذا لا ينهار القول بالمثال . والقديس « توماس الأكوينى » يميز العقل Ratio والنفس Inteltectus التى هى الملكة العليا للمعرفة والحدس ، وإن كان أصلهما فى طبيعة النفس واحدا .

أما الأسميون Nominalistes فقد رفضوا المعانى العامة ، وقالوا بأن العقل ما دام بالقوة فلا يمكن أن يفضى إلى الإيمان . منهم « وليام الأخامى » William of Occam الانجليزى (القرن ١٤) ، وعنده أن العالم فى العقل لا فى الأشياء ، وأن ليس للمعانى وجود فى عقل الله ، ولا سبيل إلى المعرفة إلا الحدس بنوعيه الحسى والوجدانى . ولما كان الحق نسبيا وقائما على الحدس الشخصى فليس للعقل إذن وجود مطلقا .

ولقد اهتم فلاسفة الإسلام بنظرية العقل متأخرين ، فتح الباب لهم « الكندى » فى رسالة « معنى العقل عند الأقدمين » وتبعه « الفارابى » فى « مقالة فى معانى العقل » وعالجها « ابن سينا » فى نظرية الصدور أو الفيض ، وكذلك « الغزالى » فى معظم كتبه وأهمها فى هذا الباب « معارج القدس فى معرفة مدارج النفس » وكذلك « ابن رشد » فى « مناهج الأدلة » . وهؤلاء جميعا حاولوا عقل أرسطو إلى عقل إسلامى ، جانبه الفلسفى معروف ، أما جانبه الإسلامى فأصله الحديث المروى « أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، فقال : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أعز إلى منك ، بك أعز وبك أذل ، وبك أعطى وبك أمنع » . وقد ذكر الشهرستانى أن الحايطية — أصحاب أحمد بن حايط المعتزلى — أولت حديث رؤية الله يوم القيامة بأنه العقل الفعال أو العقل الأول الذى يعنيه الحديث .

(للكلام بقية) محمد محمود زيتون

(١) راجع الرسالة : مقالى ٢ و ٣ مارس «فيرون» أبريل سنة ١٩٥٠
(٢) الاعترافات .

من الحياة

الصـــديق الضائع

للأستاذ منصور جاب الله

كان لي صاحب ما شهدت له نديداً فيما رأيت من الصحاب. كان أكبر الناس في عيني، وكان رأس ما أكبره في عيني أني ما عرفت عنه غميزة تميل به إلى جانب الغرور، على ما به من مزايا فاضلة، وعلى ما كانت تفيض به جوانب نفسه من البصر بفنه والعلم القائم على أساس وطيد، وعلى ما كان يتدافع في شرايينه من دم الشباب النضير. وفي كل أولئك حوافز للذهاب بالنفس والتكاثر بالسطوة إلى مدى بعيد.

وكان في عقدي أن من رأى هذا الصديق نظرة أجله، ومن خالطه معرفة أحبه. وجدت فيه ما افتقدت في سائر الصدقان: تواضع على علم، وحياء في ورع، وسذاجة من غير تكلف، وبساطة تنأى عن التعقيد. وكل أولئك محبب إلى النفس، وكل أولئك شيء عزيز المنال.

ولازمت خدني هذا ملازمة شديدة، توثقت عناصرها على الأيام، حتى حسب الناس أن لا فكاك لازدواجنا، وأن أحدنا لا غناء له عن رفيقه، وكذلك كنا لا نفترق إلا على موعد من لقاء قريب، في الإصباح والإمساء، وإذ كنا متجاورين في السكنى. لم تفرق بيننا إلا المضاجع، وما أثقل الساعات التي تتجرم على بعادنا، وما أطول اللحظات التي تنقضي دون لقائنا.

هنالك بين ربوع الاسكندرية الناعمة، كنا نساحل على شاطىء البحر الجميل في أخريات الربيع وفي ذرور الصيف ومطالع الخريف، وكانت لنا ثم ملاعب ومرابع، لا يرنق صفاءنا اعتكار، ولا ينال من عشرتنا لسان، إذ كان قوامها الإخلاص المتبادل، وعمادها المودة المشتركة، ومن ثم كانت أحاديثنا ومسامراتنا لا تنصرف إلا لما يتغشى الناس من أحداث، وما يتوسمه العالم من حدثان. وكانت آراؤنا في الحياة — على سذاجتها وسطحيتها — مطبوعة بطابع من الهدوء والبعد عن الاعتساف.

وإذا كنا على سفر، تواعدنا على اللقاء في القطار، ثم تجمعنا الصحبة في المنزل، وقد نتقاسم الغرفة الواحدة في بعض الأحيان، ونشارك في الطعام والشراب، ويمضي مني لشأني، كما أصحبه لقضاء ما يريد.

* * *

كانت تلك حالنا إلى أن فرقت بيننا تصاريف الزمان، فانحدر صاحبي إلى الجنوب في عمل له، وبقيت أنا أتماور المقام بين القاهرة والاسكندرية. بيد أننا لم نفترق إلا بالجسم فقد اتصل قلبانا وروحانا، فكنا نتناجى بلغة الأرواح كما كنا نتنادى بلسان البريد، ثم نتصل وننفصل والأيام لا تزيد علائقنا إلا توثقاً واتصالا.

* * *

وإذ قامت علاقتنا على الصدق والإخلاص، كان لي أن أزجي النصح إلى صديقي، إذا تجانف لإثم أوخيل إلى أنه كذلك، وأي الناس ترضى سجاياه كلها، ولقد كان يتقبل مني النصح المبذول لعلمه أن مصدره الإخلاص، وتلك حالي معه.

وفي إحدى زوراته المتباعدة لي توجهت إليه باستصلاح ما أنكرت منه، فشهدت منه بوادر الامتعاض على بساطة المؤاخذة مع داعي الإخلاص، وتظاهر بالقبول بل تظاهر بالرضى والاقتناع.

وكانت تلك هي المرة الأولى رأيت فيها صديقي يظهر غير ما يبطن، فلم يحاول بعد ذلك أن يلقاني، وإن كنت سعيت إليه — علم الله — مراراً، إذ عز علي أن تهدر صداقتنا بمثل هذه السهولة، وقد عملت في تكوينها السنون الطوال، ورواها الإخلاص وسقتها النزاهة. وكاتبته مراراً آبى أن يتنزل إلى الاجابة علي، فعلمت أنه يروم قطيعتي والازورار عني، فأمكنته مما يريد وفي النفس موجدة حرى، وفي القلب أسى لا يطاق.

* * *

وبالأمس كنت أسير في بعض الطريق فلمحت على مبعدة مني رجلاً عرفته غير أني أنكرته، عرفت فيه شيئاً وأنكرت منه

أشياء، عرفت فيه وجهه الذى لا أنساه، فقد كان وجه صديقى الضائع، وأنكرت منه طرفا من سلوكه مع الناس ومعاملته لمن كان فى صحبته من الرصفاء، حتى لقد هممت أن أعانقه وأقبله وأقول له: لقد كان لى صديق وجهه يحاكى وجهك، ولباسه يشبه لباسك، وكلامه مثل كلامك، ولكنه يخالف عنك يا صاحبى فيما عدا ذلك. فمن تكون؟

ولكننى جبنت دون ذلك ولم أفعل، وبصرت به يرامقنى شزراً من بعيد، فبادلته النظرة وانصرفت لطيتى مترحما على ماضى الصديق الضائع!

بعد هذا بسنين، تلقيت منعاة هذا الصديق، فما أحسبنى تفجعت كما تفجعت لفقده؛ ولا بكيت مثل ما بكيت لموته. لقد فقدته مرتين: مرة يوم قاطعنى، ومرة يوم مات عنى، فكأنه مات ميتتين. سقى الله جدثه وتداركه برحمانه.

منصور جاب الله

خواطر مرسلة

النعجة السوداء

للأستاذ حامد بدر

(تلك قصة قصيرة، سمعتها من رجل قروى فلخصتها فى هذه السطور)

فى مكان ناء عن العمران، حيث السكون سائد لا يشوبه ضجيج، والهواء طلق لا يعوقه بناء، والفضاء رحب لا يحد من سعته شىء، والقبة الزرقاء تتحدى كل القباب بروعتها وجلالها، وتفيض على الأرض من خيرها وبرها، ونورها وظلها .. وفى إغفاءة يقظى، تنيم النفس أمنا، وتوقظها إيمانا، وفى هدأة خالصة مخلصة يرجع فيها من خلق إلى من خلق، ويستجم العقل المكدود المحدود ... كان أحد الملوك مصطحبا وزيره ابتغاء النزهة الهادئة الطليقة، المجردة من مظاهر السلطان والجاه. وبينما هما سائران إذا براع يرعى غنما، وقد افترش من الأرض مكانا خشنا، مستظلا بصفصافة حانية، فى جوار قناة جارية، وبين يديه لقيمات يابسات، يتناولها فى رضا واطمئنان، ثم يميل على المعين الجارى، فيروى ظمأه ويحمد الله. وبعد قليل يخرج من جيبه قصبة تشبه الناى، ويطلق صفيره فى الفضاء، فيقطع السكون السائد بلحن حلو طروب، له فى كل ناحية صدى، وكأنه يملك الدنيا بأمرها!

تعجب الملك ووزيره لهذا القانع الراضى، الذى لم يعكر صفوه شىء من أكدار الحياة، فناداه الملك وسأله: كيف حالك؟ فقال: كما ترى يا سيدى، أحمد الله على ما أعطانى من نعمة، وما وهبنى من عافية. قال الملك: ما أحسن ايمانك، وما أجمل شكرانك! ولكن أما يزعجك فى حياتك الهادئة شىء؟ قال: لا شىء سوى هذه النعجة السوداء، فكثيرا ما تشذ عن زميلاتها، وتستعمل قرنيها فى الأذى، فتقطع غنائى، وتكدر صفوى ...! ففكر الملك قليلا ثم قال: طابت حياتك أيها الرجل لولا النعجة السوداء،

وبعد أن ابتعد عن الراعى رأى الوزير الملك مفكراً، كأن أمراً شغله، فقال: أعزك الله يا مولاى، وجعل السعادة ظلا للملك العزيز، ليت شعرى ما يشغل بال الملك؟ أرجو ان يكون خيراً فأومأ الملك شاكرا، وظل فى تفكيره برهة ثم قال: ماذا تركت فى نفسك هذه النزهة من أثر؟ وهل رأيت فيها شيئا من الغرابة؟ قال الوزير: لا غرابة - يامولاى - فى جمال النزهة وترويحها وهدوئها، ولكن الغرابة فى قصة الراعى. لقد دلت الأرض التى افترشها، واللقيمات التى طعمها، على الخشونة والشظف. ودل الغناء والصفير على السعادة والسرور، ودلت النعجة الشاردة على أن السعادة لا تصل إلى حد الكمال! فعقب الملك على جواب الوزير قائلا: اعلم أيها الوزير ان المال والجاه والقصور والحدائق والخزائن والملك كل هذا لا يثنى النفس عن استسلامها لشاغل ما، ولا يحول بينها وبين هم يشوب سرورها، أو يطغى عليه، فلكل أمرىء - وان علا - نعجة سوداء!

حامد بدر

منزلة العبقرية الدينية بين العبقريات

للأستاذ محمد خليفة التونسى

يقول الحكيم الهندى رابندرانات تاجور « إن كل طفل يولد دليل على أن الله لم ييأس من الانسانية بعد » .

ولا علينا أن نزيد : « وكل عبقرى ينبغ دليل ماثل يكشف حكمة الله فى عدم يأسه من الإنسانية » .

وما جدوى الانسانية من البقاء ، بل ما جدوى الحياة والطبيعة كلها إذا كان بقاؤنا فى ضيقه ورتابته وانحطاطه كبقاء الأرضات فى سراديب الأرض المظلمة أو مملكة الظلام كما قال موريس مترلنك الشاعر البلجيكى ؟

وماذا فى ميلاد طفل ؟

إنه دليل على تمسك الله بالانسانية ، إذ لم ييأس منها ، وعلى أنها لا تزال أهلا لأن يرفعها باستعدادها لقبول نعمه ، ولكن الحكمة فى عدم يأسه منها خافية ، والدليل على استعدادها عنا مستور .

وماذا فى نبوغ عبقرى ؟

إنه دليل على ذلك كله ، وعلى شىء فوق ذلك كله .

دليل على تمسك الله بالانسانية ، واستعدادها لتقبل ما يفيض عليها من نعمه ، وصلاحها لأن يرفعها إلى أفق أرفع من أفقها الذى هى فيه عن رضا وطواعية ، ودليل أيضا على قبولها نعمه فعلا وتحقق صعودها إلى أفق أعلى راضية طيعة . فحكمة الله فى عدم يأسه من الانسانية هنا بينة ، ، وحجته لنا ظاهرة .

إذا كان ميلاد طفل دليلا على استعداد خفى فى الانسانية لنعم الله ، وعلى حكمة خفية علينا فى استمساكه بها ، فان نبوغ عبقرى دليل على بروز نعمه وحكمته من عالم الأمر إلى عالم الخلق ، أو من عالم الغيب إلى عالم الشهادة بلغة القرآن الكريم ، أو من عالم المثال إلى عالم الحس بلغة أفلاطون ، أو من عالم القوة إلى عالم الفعل بلغة أرسطو ، أو من عالم الفكرة إلى عالم الارادة بلغة شوبنهادر . (١)

وشتان فى وجودنا المحدود بين الشىء أملا لم يتحقق ، والشىء نفسه حقيقة قائمة ، ومهما يتساويا فى قدرة القادر ، وإبداع المبدع بل فى علم العالم أزلا فليسا سواء فى وجودنا الزمانى الناقص ، وهذا هو ما يعنينا نحن أبناء الزمان الفانين .

نبوغ عبقرى دليل على تحقيق بعض الآمال التى ناطها الله بالانسانية ، ورفعه إياها من أفق إلى أفق أعلى وأرحب وأجمل ، ونسخها من شكل إلى شكل أصفى وأصدق تمثيلا لقدرته وإبداعه ، وأفصح تعبيرا عن حكمته ، وأشد تحقيقا للقوى الكامنة التى بثها فيها ، وأدنى إلى الغايات التى يجذبها إليها خلال سيرها نحو الكمال المقدور للمخلوقات الفانية فى شوقها الى الله .

إن الخلق هو أعظم النعم ولاريب كيفما كان .

ولكن تمام هذه النعمة لا يتحقق إلا بالامتيازات التى يسبغها الله على من يصطفيهم من مخلوقاته على مقتضى حكمته ، وهو يخلق ما يشاء ويختار . فإذا هؤلاء الممتازون أنس الحياة وجمالها ومسوغها ، وحجة الخالق التى يمتحن بها المنكرون ، ويزداد بها المؤمنون إيمانا ويقينا واطمئنانا .

لا يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات والنور .

ولا يستوى الذى لا يعلمون والذين يعلمون .

ولا يستوى الأموات والأحياء

ولا تستوى الانسانية ضالة ضائعة قبل نبوغ العبقرى فيها ، والانسانية رشيدة شاعرة بمكانها بعد نبوغ العبقرى .

---

(١) من مقال الكاتب هذه السطور نشر فى احدى الصحف اليومية منذ شهور .

وإذا استجابت الانسانية إلى دعوة العبقرى طهرت أرواحها من أكدارها ، وانكسرت عن قواها أغلالها ، وزالت عن أبصارها عشاواتها ، وانسلخت عن قلوبها أركنتها ، فشعرت بالصلات الوثيقة التى تربط كل شىء فيها بكل شىء ، والصلات الوثيقة التى تربطها كلها بالوجود كله من وراء تلك الصلات أو من خلالها ؛ وانطلقت بهدى العبقرية نشيطة فى حياتها ،مندفعة نحو الغاية التى أريدت لها ، عاملة بكل القوى التى بثها الله فيها . وإنها لتعمل وسعها ولو لم تعرف الغاية الصحيحة من وراء عملها لأنها مدفوعة إلى العمل بقوى جبارة تنفجر من أغوار النفس البعيدة فلا سلطان لها عليها ، ولأنها تجد فى العمل لذة اللعب أو الرياضة وجمالها ، وحسبها ذلك من غاية لأعمالها ، ولتكن عندها من وراء ذلك أو لا تكن غاية ظاهرة أو خفية .

تاريخ الانسانية هو تاريخ عباقرتها وآثارهم فيها ، فلو انتزعوا من تاريخها لم يبق لها تاريخ .

تاريخ الانسانية عمل فنى ، عنصر الفن الأصيل فيه وينبوعه هو العبقرية ، ولذلك لا يحسن كتابة تاريخها إلا فنان .

تاريخها صور العبقريات المشرقة ، وانعكاساتها من نفوس الناس .

وتاريخها عزف لأصوات العبقريات وأصدائها فى نفوس الناس .

وما لم يكن نور فلا انعكاس ، وما لم يكن صوت فلا صدى .

ومن لم يشعر بالتاريخ شعورالفنان لم يع من التاريخ حرفاً ، ولو استوعب الزمان والمكان من البدء إلى النهاية . ومن لم يعبر عنه كما يعبر الفنان عن شعوره بما يجيش فى نفسه لا يكتب منه حرفا ، ولو أن ما فى الأرض من شجر وغيره أقلام ، ومياه البحور مداد ، والأرضين والسماوات صحائف يسود وجوهها بجهله وغبائه .

لا يستجيش فى نفس الايمان الكامل الخالص شىء فى الانسانية إلا العبقرية .

ولا يستحوذ على ايمانى كاملا خالصا أحد من الناس إلا العباقرة .

وما ساورنى شك فى أنه لا توجد نفس إنسانية أبدا تخلو كل الخلو من نور العبقرية أصيلا فيها ، وكل الفرق بين العبقرية الشامخة والعبقرية المطموسة هو الفرق بين نور قوى عظيم يتدفق فى النفس فيجرف السدود والحدود ؛ ويفيض على الجوانب فيظهر ويبهر ، ونور ضعيف ضئيل يبض قطيرة فقطيرة فى غور سحيق من وراء سدوده وحدوده المطبقة عليه اطباقا ، فلا تراه عين ، ولا تسمع بخبره أذن حتى يتلاشى فى التراب . وبين هاتين المرتبتين مراتب لا يحيط بها إلاعلم الله ، تظهر أو لا تظهر حسب قوتها والظروف المهيئة لها .

إن العبقرية أهل للتقديس على اختلاف مشارقها : كيفما أشرقت ، وأينما أشرقت ، ومتى ما أشرقت .

لا يختلف فى تقديس عبقرى عن عبقرى باختلاف ميدانه ولا مكانه ولا زمانه ولا آثاره ، ولكن بحظه من العبقرية .

وإذا قيل : إنما ينعم الله بالعبقرية لمصلحة الناس ، فاتخذنا آثارها التى هى من شأنها سواء اظهرت أم لم تظهر فعلا مقياسا لتمييزها ـ لوجب أن نقدم من بين رجالها عباقرة العقائد الذين يؤمنون ويعلمون الناس بالايمان ، أو يثيرون فى نفوسهم الايمان .

عبقرية العقيدة من شأن صوتها أن يكون صداه أوسع انتشارا بين النفوس ، وأن يكون أثره فى النفس القابلة لترديده أقوى وأعمق وأشمل تأثيرا فيها من كل صدى سواه .

١ — فعبقرى العقيدة ـ حين يعلم الناس عقيدته ـ يفجر فى نفوسهم بواعث الايمان ، فتتفجر فيها فى وقت واحد بواعث الحياة ، وبواعث الفضيلة ، وبواعث الشعور ، وبواعث الفكر ، وسائر البواعث الكامنة فى بنيتها ، ومن ثم يكون أثر العقيدة فى النفس أقوى وأعمق وأشمل من سائر الآثار .

٢ — ليس لزاما فى المستجيبين للعقيدة أن تكون لهم ملكات إنسانية ممتازة ، ولقد تكون الملكات العقلية الممتازة حائلا دون الاستجابة للعقيدة ، وبخاصة إذا لم تقابلها ملكات نفسية تكافئها وتحفظ للنفس أريحيتها كى تستجيب للواجب إذا دعاها وتحبب إليها أو تهون عليها البذل والفداء .

وحسب الناس أن تكون لهم ملكات نفسية عادية قابلة للتفجر أو الاستجابة حتى يكون لعبقرى العقيدة أثره فى نفوسهم ، كى يفجر فيها بواعث الايمان تلبية لعقيدته ، فتتفجر معها شتى البواعث الكامنة فى بنيتها فى فترة واحدة ، كما تتفجر كل الذرات فى القنبلة الذرية بتفجير ذرة واحدة فيها .

والملكات النفسية العادية — وهى كل ما يلزم لتقبل العقيدة — موفورة لكثير من الناس العاديين ، وما كانوا عاديين إلا لأن ملكاتهم عادية ، ومن ثم كان صوت عبقرية العقيدة أوسع انتشارا فى الناس من صوت غيرها .

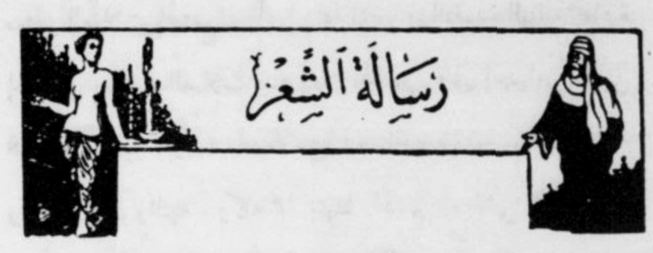
٣ — وإذ أن الدخول فى العقيدة لا يستلزم من الانسان مواهب ممتازة ، بل حسب الانسان فيه تسليم وسلوك بسيطان — فإن اعتناق العقيدة يخول صاحبه فيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الناس امتيازا يرضى كبرياءه ، ويشبع غروره ، ويمد له فى الطموح والرجاء ، ويجعله هو ومن هم أسمى منه مكانة بأى سبب من الأسباب متساوين فى التعصب للعقيدة والغيرة عليها والتمتع بحقوقها وحمل مسئولياتها ، من غير أن يكلفه ذلك أن يكون مستحوذا على مواهب سامية كقواهم ، أو كفاية عظيمة ككفاياتهم ، بل قد لا يكلفه ذلك إلا مجرد التعصب لها ، وحسبه ذلك الامتياز من جزاء عاجل فى الدنيا فضلا عن الجزاء الموعود فى الدنيا أو الاخرى أو الاثنتين معا مادام معتصما بعقيدته وما أسخى العقائد بالوعود العاجلة والآجلة التى تمد فى الرجاء ، وتغرى بالطموح ، وتدعو إلى الصبر والمثابرة والعزاء .

٤ — معتنق العقيدة لا يشعر ولا يفكر ولا يعمل فى معزل عن الجماعة ، ولو كان خاليا بنفسه ، بل هو يشعر ويفكر ويعمل كعضو فى بنية الجماعة ، وذلك كفيل بأن يثير فيه كل كفاياته الفردية والاجتماعية معا ويشعره على الدوام بصلات قوية تربطه بالمجتمع ، فيكون أشد شجاعة وصلابة فى آرائه ومذاهبه ، وأعظم استعدادا للبذل والمفاداة ، وأدق معرفة بما يأخذ وما يدع من الانسان الذى يحيا بغير عقيدة ، والانسان يحيا بعقيدة بالية قد فترت وباخت فى نفسه ، وذو العقيدة يشعر كذلك بالاطمئنان والأنس والعزاء أعظم مما يشعر غير ذى العقيدة إذ يحس نفسه مبتور الصلات بالمجتمع ، وأعظم مما يشعر ذو العقيدة البالية الفاترة إذ يحس بتهافت الصلات بينه وبين المجتمع . وفى إحساس هذين النوعين ما فيه ، ومعه ما معه من احساس باللمنة والبلبلة والاضطراب والتيه ، وكله مما يثبط الهمم ، ويغشى البصائر ، ويغرى بالجبن والحرص والانكماش . فالانسان هو — وهو يحس بالمجتمع ، ويستجيب لدواعيه — أقوى وأبصر وأشجع منه وهو محروم الإحساس به مصروف عن تلبية دواعيه . إذ لا قوة ولا بصر ولا شجاعة إلا بإيمان .

هذا إلى أن العقيدة تربط الجماعة أقوى مما تربطها رابطة اجتماعية أخرى أساسها الاشتراك فى رأى ، أو عمل ، أو مهنة ، أو مكان ، أو نحو ذلك مما يشعر الجماعة بوجود مصلحة مشتركة بين أفرادها لا غنى لهم عن التعاون عليها ؛ فالعقيدة تثير كل القوى وتستوعبها ، وتحدد الغاية والوسيلة ، وتتسع حتى تشمل الحياة وقد تمتد إلى ما وراء الحياة ، ولا تدانيها فى ذلك رابطة اجتماعية أخرى ولا باعث حيوى آخر .

٥ — وعبقرى العقيدة يعى من خفايا النفوس الانسانية بداهة أوضح وأكثر مما يعيه غيره بالتفكير الطويل بالغا ما بلغ من الذكاء والدربة والصبر ، لأن نفس العبقرى صورة شاملة للنفس الإنسانية على اختلاف قواها وأحوالها ونزعاتها واحتمالاتها ، ومن ثم يعى هذا العبقرى كل صغير فى الناس وكبير ، ويعى حقه وواجبه الذى ينبغى له . وطريقه الذى يصلح له ويغنى فيه ، وما يحس معه أو بسوء من السياسات ، فيسوس كل نفس بسياستها الخاصة ، ويشرع لها شريعتها الملائمة بلا بخس ولا محاباة .

٦ — وشخصية عبقرى العقيدة وسيرته مثل حى مجسم لعقيدته ، فهو لا يقول إلا ما يفعل ، ولا يفعل إلا على هدى من عقيدته ، ولا يدعو إلى ما دعا نفسه إليه فأجابته ، ولا يكلف نفسا إلا ما كلف نفسه مثله أو أشق منه ، وهو فى طاقة المستجيب بعد أن أمدته بواعث الايمان بكل ما فى نفسه من استجابة تكفل السمع ، وتكفل الطاعة ، ومن ثم تكون شخصية عبقرى العقيدة وسيرته وأقواله مصدر حياة وإيمان وتشريع ، وذلك



فكرى

لسعادة عزيز أباظه باشا

« قصيدة عائلية ألقيت عن سعادته في الحفل الخاص الذي أقامته العائلة الأباظية تكريماً لسعادة فكرى باشا »

قبلوا الباشا وضموه أشد الضم عنى
واسكبوا في أذنيه هذه الهمسة منى
ليست الرتبة شيئاً وهى حلم المتمنى
إنه المعنى الذى تحمل بجزيك فيغنى

لم تنلها في حمى مال ولا جاه وسن
لا ولا بالحسب الممتد من بطن لبطن
لا ولا بين زحام الناس قرنا فوق قرن
انك الواحد لا أظلم نفسى فأثنى
واحد الكتاب في لونك تبكي فتغنى

تبدع الفن الذى يقصر عنه كل فن
قلم من سرحة الخلد مفذ متأنى
رف واستلى فان سوى بفنى ويعنى

سال كالطل إذا انهل على اكمام غصن
قاطعا في غير طمن مبرئا في غير من
قاسيا في غير فدح ، لينا في غير وهن
مرمى الفكرة والرأى على أمتن ركن

وخطيب أيقظ الأمة بالصوت المرن
أو حدى اللحن ترجيه فيشأو كل لحن
تنشد الحق وتسمو عن حزازات وضغن
يكبر المنبر ما أوتيت من سحر ووزن
ود لو يسعف بالنطق فيثنى ثم يثنى

يا لداتى وضأ الله لكم جنات عدن
كل غصن جفف الموت نداه إثر غصن
قلب الدهر علينا بعدكم ظهر المجن
ثم والى بعد حيف وارعوى بعد تجن
سبحوا في رفرف الخلد بقلب مطمئن
أكرمت مصر أخاكم وحبت في غير ضن

إيه يا فكرى ومن يعرفه أكثر منى
كنت لى خدنا إذا ضيع عهدى كل خدن
ما تهجنت ودادى ، لا ولا أخلفت ظنى
انت إشراقة روحى ، أنت إغفاءة جفنى
ماثل في حبة القلب وفي انسان عينى
إن أهنىء فبمن أبداً ؟ بالله أعنى
انت نفسى يا أخا العمر فنفسى من أهنى

عزيز أباظه

كفيل باستمرار حياة عقيدته في المستجيبين إليه ، وبتنقلها في طبقة إلى طبقة ، وفي جيل إلى جيل .

وتتمثل عبقرية العقيدة في الدعاة إلى العقائد الدينية كالأنبياء، والدعاة إلى العقائد الوطنية أو السياسة أو العنصرية كالزعماء ، والدعاة إلى العقائد الفنية أو الفلسفية أو الصوفية كأصحاب المذاهب النظرية ذات النزعات وكل منهم صاحب عقيدة لها مقاييسها الخاصة ، وكل منهم مؤمن بعقيدته معتصم بها يدعو الناس إلى الايمان بها والتزامها في مضمار من مضامير الحياة ، وهم جميعاً معتقدون ، ومعلمون لما يعتقدون .

للكلام بقية — محمد خليفه التونسى

أطلال راقصة ..

للشاعر صالح علي شرنوبي

« إليها ... إلى المسكينة التي نبذتها الحياة » « وما زالت تعيش على ذكرياتها ... »

طرق ... أطرق، فقدضمك الليـــل ... وألقى عليك ثوب ظلامه
اطرقي ... فالحياة في قلبك المظـــلم ماتت ... موءودة في حطامه
يا ابنة القفر ... مزقتك سوافيـــه .. فلا تذكرى أسى أيامه
واقبعى في غياهب الليل.. حتى يشرق الفجر من وراء غمامه

اقبعى ها هنا ... ولا تغفرى فا ك بقول ... مستحدث ... أو معاد
اودعى الليل مثلما جاء يمضى والبسى من دجاه ... ثوب حداد
ودعينى أصغى إلى همسة الحا ئر ... بين الآزال ... والآباد !
لا تضجى ... ولا تضيق بصمتى فهو زادى وعدتى وعتادى

دونك الكأس .. فاشربيها .. وذوقى
لذة الموت ... في ثنايا الرحيق
اشربيها ... فأنت قصة دنيـــا ها ... ونامي في حضنها. واستفيقى
واسأليها ... فعنـدها علم أيا مك ... منذ التقيتما في الطريق !
اسأليها ... ولا تكفى بكاء فوق أطلال جرحك المشنوق

قصة الكأس... أنت مثلها يو ماً فقد كنت مثلها . للجميع !!
يوم كان الزمان فيـك ربيعا عبقريا ... وكنت روح الربيع
دفنت عطرك الأعاصير يابلهـــاء.. فابكى... واستمتعى بالدموع
وإذا شئت أن تعيشى على الوهـــم. ففنى ... قبل انطفاء الشموع

لا تثورى على الحياة... فقد جفـــت... زهور الحياة . في راحتيك
كنت... والحسن والشباب. فأصبحت... وما من أولاء شيء لديك
فاعذرى الناس إن مضوا عنك لا يلوون ... فالنور مات في عينيك !
ودعى الذكريات . . تقتات ما أبقت أفاعى الظلام ... في شفتيك

لم يعد فيك ما يسر العيونا فاعذرى العابثات ... والعابثينا
نسلت ريشك المنايا... وأبقت جسدا هالكا ... وروحا حزينا
وبقايا قلب ... وأشلاء نفس وشعاعا – تحت الرماد – سجينا
وحطاما قد عضعضته الرزايا يتنزى مدامعـــا ... وأنينـــا
فإذا ما أعياك خبث الغوانى فاغمرى كيدهن صفحا ولينا
وإذا أيقظت شجونك حورا . وأغرت بقبحك الشامتينا
فاسخرى من جمالها .. وصباها واحقريها بكثرة العاشقينا !
أو.. عظيها.. فرب شيطانة منكن قالت فأبكت الواعظينا

حدثيها عن الهوى ... والرفاق والليالى ، والخمر ، والعشاق
وجسوم أشقيتها بالتفانى وجسوم أسعدتها بالتلاق
حدثيها عن كل شيء سوى الحـ ب ... فما عندكن غير النفاق
حدثيها عن الفتى الناعم المـ راح ، أعمى العواطف ، الأفاق
كيف أغراك ذات ليل ... وولى هاربا من عفافك المهراق
تاركا ثوبك الممزق للنا ر .. وعصف الرياح والأشواق
حدثيها.. مادام في كوكب المـ ر .. شعاع ممدد بالمحاق
ثم غيبى عن زحمة الموكب الأعـ مى . وعيشى للحزن . والإطراق

صالح على شرنوبى

كلمـــا ..

كلما أسمع لحنـــاً عبقرى النغمات
أو أرى الأنداء تحبو الزهر عذب القبلات
أو أجيل الطرف يا نجواى بين الصفحات
أتمنى لو تكونين معى في خلواتى
فهنا أشـــعر حقاً بخبايا الكلمات
ومعانى النغمات ، وغـرام الزهرات
أنت لو تدرين قد أمسيت مقياس حياتى
فبك الكون يولى ، وبك الكون يؤاتى
أنت.. من أنت؟ وهل في قدرتى أعرف ذاتى؟!

محمد محمود عماد المحامى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

معركة القزويني في الأزهر :

هي معركة طريفة بين أستاذين من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، هما الشيخ عبد المتعال الصعيدي والشيخ محمد عبد المنعم خفاجي ، وتدور رحا المعركة على كتاب «الإيضاح» في علوم البلاغة للخطيب القزويني. وذلك أن للأستاذ الصعيدي شرحا لهذا الكتاب يتداوله الطلاب منذ سنين ، فجاء الأستاذ خفاجي ووضع له شرحا آخر أخذ طريقه أيضا إلى أيدي الطلاب، فأصدر الشارح الأول كتابا اسمه «تنوير الطلاب» نقد فيه مسلك الشارح الثاني في وإخراج الكتاب تعليقاته عليه ، وقال: إنه عني بنقل عبارات الحواشي ومماحكاتها اللفظية بأسلوبها الذي لا يليق بعصرنا.. فهب الشارح الثاني يدفع الغارة بمثلها ، فأصدر نشرات تحمل عناوين مثل « بيني وبين الناقد العالمي البروفسير الأستاذ الصعيدي » و « بيني وبين زعيم المجددين في البلاغة » وقد ذهب في هذه النشرات إلى أن الأستاذ الصعيدي خشي من منافسة شرحه الذي كان الميدان خاليا له من قبل.. ومما قاله : «والطريف حقا أن ناقدنا الكبير يرى أن الإيضاح ملك له وأنه كان حجراً محجوراً على سواه أن يتناوله بالشرح والتعليق ، لأن عمل الناقد فيه معجزة الأجيال ولأنه قد فرضه على الطلاب المساكين فرضا وحمله إليهم في حقيبته صباح مساء »

وتوالت النشرات والحملات بين الأستاذين الجليلين، بعضها في التجريح الشخصي ، وبعضها في مسائل « العــلم » من نحو إسناد بيت من الشواهد إلى غير قائله أو تحريف فيه أو توجيه لقول « المصنف » ومما اختلفا عليه : هل مقدمة « الايضاح » مقدمة كتاب أو مقدمة علم ! وكم في ذلك من نظر !

ويقول الأستاذ الصعيدي : « ويا ويل الأزهر في عصر الذرة إذا علم الناس أنه لا يزال يبحث في متعلقات الفعل ، ألامها مكسورة أم مفتوحة » فماذا يقول الناس إذن إذا علموا أن أساتذة الأزهر — في عصر الذرة — لا يزالون يستنفدون جهودهم في العراك على إيضاح القزويني؟ وليت الأستاذين الفاضلين بذلا هذه الجهود في تأليف بلاغة أخرى غير بلاغة الايضاح ، تجدي على الطلاب في تنمية ملكاتهم الأدبية على النحو الموافق للعصر ، والأستاذ الصعيدي نفسه يرى أن تلك البحوث التي يحويها الايضاح وأمثاله مماحكات لفظية وأنها لا تليق بعصر الذرة ، فلم إذن يشغل نفسه بشرحها والتعليق عليها والعراك من أجلها ؟

والعجيب أن يصنع الأستاذ ذلك وله نشاط معروف في الكتابة والتأليف ؛ ولكن يظهر أن المسئولين عن مناهج الدراسة في الأزهر هم المسئولون عن ذلك ، فإن التمسك بتلك الكتب جعل الأساتذة — حتى المنتج منهم — يدورون حولها ثم يتنازعون عليها ، وكان الأولى أن تصرف هذه الجهود في العمل المنشود لإحياء التأليف الملائم للعصر بالأزهر .

ويبدو لي أن تلك المعركة لا يفضها إلا أحد أمرين ، الأول أن تلغى دراسة الإيضاح من الكلية ، فيرفع « اللحاف » من بين المتنازعين عليه ، وبهذا تخلص العقول الجديدة من تنافره وتعقيده . الأمر الثاني أن تبلغ مجلتنا « الرسالة » إلى « قزوين » حيث يعلم بالأمر أحد أحفاد الخطيب القزويني.. فيطالب بحقه في «الإيضاح» الذي ألفه جده الكبير ...

شكوى شاعرين من « الشاعر »

شكا إلى شاعران من مجلة « الشاعر » التي يصدرها الزميل الكريم الأستاذ محمد مصطفى المنفلوطي ، وهما الشاعر العراقي الأستاذ ابراهيم الوائلي والشاعر السوداني أبو القاسم عثمان . يقول الأول : « جاءني ذات يوم صديق شاعر وطلب مني أن أسهم في عدد خاص من مجلة اسمها « الشاعر » وقال لي : إن العدد الخاص سيكون عن الربيع ، فاستجبت لرغبة الصديق بقطعة عنوانها (ربيع النيل) . وجاءني العدد الخاص فإذا القصيدة قد حذف أجل

ما فيها ، فتمزقت وحدتها .

وقال لى صاحبي : إن صاحب المجلة فعل ذلك لأن نصف الصفحة الذى خصص للقصيدة لم يتسع لها ، فكان الحذف والبتر »

ويشكو الثاني نفس الشكوى فيقول : إن قصيدته كانت ثلاثين بيتا أسقط منها أربعة ، لأن الصفحة لم تتسع لأكثر من ستة وعشرين ، ويقول : « ولما لم يكن هناك عذر فى عدم نشر القصيدة كلها إلا ضيق المقام فإن ذلك عجيب من مجلة تحمل اسم (الشاعر) ذلك الاسم العظيم الذى لا يعرف الحدود ولا القيود »

وظاهر من كلام الصديقين الشاعرين أن المجلة عمدت إلى ذلك التصرف محافظة على نظام الصفحات .. ولا شك أن وقوع ذلك من مجلة خاصة بالشعر غريب ، فإن أعز ما يتمسك به الشاعر المصرى هو تسلسل معانيه وارتباطها ، وإذا اقتضى بعض التنظيم الصحفى تحيف الموضوعات لتظاهر الصفحات على نسق معين ، فإن ذلك لا ينبغى أن يكون فى المجلات الأدبية التى يراعى فيها الموضوع قبل الشكل ولا إخال الأستاذ المنفلوطى — وهو الشاعر صاحب « الشاعر » — إلا ملاقيا عتاب زميليه الشاعرين وتعقيبنا بقبول حسن .

على أننى مع ذلك لا أخفى شماتتى بالشاعرين فيما جرى لشعرهما الذى قالاه فى هذا الربيع المزعوم فى مصر . ولو لم تكن قصيدة الوائلى عنوانها « ربيع النيل » لفهمت أنه يعبر عن إحساسه بجمال الربيع فى العراق ؛ أما أبو القاسم فلا أدرى أين شاهد الربيع ، وليس فى السودان ربيع غير الشتاء الدافىء ، فهناك الآن الحر اللافح ، كما أن هنا الآن فى مصر تقلب الجو الذى حيرنا بين التخفيف والتثقيل ، ونالنا من شره قذى فى العيون وبرد فى الأجسام مختلف الألوان . وعلى رغم كل ذلك لا يزال إخواننا الشعراء فى مصر مصرين على التغنى بالربيع !

المسرح المدرسى :

أتيح لى فى هذا العام أن أكون على مقربة من النشاط المسرحى فى المدارس الثانوية بالقاهرة ، وأن أشهد الحفلات التى أقيمت لنيل كأس وزارة المعارف فى المباراة المسرحية . وقد رأيت فرق المدارس تبذل غاية وسعها فى هذا السبيل ، كما لمست الجهد البارز الذى تبذله مراقبة المسرح فى الإشراف على هذا النشاط وتوجيهه ، وهو

كشكول الأسبوع

□ احتفل يوم الجمعة الماضى فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الأول ، بتوزيع جوائز فؤاد الأول لسنة ١٩٥٠ ، وقد تحدث معالى وزير المعارف بالنيابة عن هذه الجوائز فقال إنها تمنح كل عام لصاحب أحسن انتاج فى العلم والأدب والقانون فى مدى خمس سنوات ، وأشار إلى أن جهود الباحثين والأدباء فى مصر تزداد عاما بعد عام ، ثم أعلن قرار لجنة الجوائز الذى يقضى بتأجيل جائزتى الآداب والقانون إلى العام القادم ومنح الدكتور عبد السميع مصطفى والدكتور محمود الشيشينى بك جائزة العلوم مناصفة بينهما .

□ جاء من باريس أن معالى الدكتور طه حسين بك افتتح كرسى محمد على باشا الذى انشأته مصر فى معهد الدراسات الثقافية لبلاد البحر الأبيض المتوسط فى مدينة نيس بفرنسا فألقى محاضرة عن العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا منذ عهد محمد على الكبير ، قال فيها إن محمد على هو الذى انشأ لأول مرة هذه العلاقات ، ولذلك أطلق اسمه على هذا الكرسى .

□ نشرت مكتبة النهضة المصرية أخيرا « تلخيص كتاب النفس » لابن رشد ، وقد ألحق به أربع رسائل هى رسالة الاتصال لابن الصايغ وكتاب النفس لابن حنين ورسالة الاتصال لأبن رشد ورسالة العقل ليعقوب الكندى . حققها جميعا الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، وكتب مقدمة وافية مهد بها لفهم كتاب النفس لابن رشد الملخص عن أرسطو . والكتاب حلقة من السلسلة العلمية القيمة التى يخرجها الدكتور الأهوانى .

□ تنشر الأهرام فى بعض الأيام كلمات بعنوان « حديث أختاه » وتوقيع « أختاه » أولا يعلم الكاتب أو الكاتبة أن « أختاه » لفظ منادى مثل « يا أختى » ؟ !

□ لم تستطع اللجنة المؤلفة فى الاذاعة للشئون الثقافية ، أن تبت فى أى شأن من هذه الشئون لعدم وجود أى موظف مسئول عن « الثقافة » فى الاذاعة . وقد لوحظ أن المتحدثين لم تصل إليهم مكافآتهم عن الأحاديث التى أذاعوها منذ أكثر من شهر .

□ تقرر أن تعقد الدورة القادمة لحلقة الدراسات الاجتماعية للبلاد العربية بمصر فى شهر نوفمبر القادم . وقد تلقت وزارة الشئون الاجتماعية مجموعة المحاضرات والتعليقات والبحوث التى ألقيت فى دورة الحلقة الماضية ببيروت ، وستقوم بطبعها وتوزيعها على الدول العربية التى اشتركت فى الحلقة وغيرها من الدول المعنية بتتبع تطورات الحركة الاجتماعية فى مصر .

□ « الجاسوسة الحسناء » يقرأ لها الناس فى « المصور » منذ أكثر من عشرين سنة ، فلا بد أنها قد أصبحت الآن « جاسوسة شمطاء »

جهد مثمر ولكنه محدود وقليل الوسائل .

وقد اختير للمباراة فى هذا العام مسرحية « عزة بنت الخليفة » للمرحوم ابراهيم بك رمزى ، وهى رواية تاريخية تقع حادثتها بمصر فى عهد الخليفة الحافظ من الخلفاء الفاطميين ، ولا يقصد منها وقائع ولا حقائق تاريخية وإنما هى قصة تحليلية إنسانية تدور حول عزة بنت الخليفة التى فقدت بصرها وهى صغيرة ، ويحبها أمير من الشام إذ يرى جمالها ونبالة نفسها ، ولا يغض من حبه أن يعلم أنها ضريرة ، وفى القصة أيضا عاطفة الأب الذى يحنو على ابنته ويبتئس لفقد بصرها ويعمل جاهدا على إرجاعه إلى عينيها. وقد لاحظت أن الطلبة لم يبلغوا الشأو المطلوب فى المسرحية لأنه يحتاج إلى أكثر من شباب يتمرن ، كما لاحظت أنهم — على وجه العموم — لا يجيدون فى الروايات التاريخية مثلما يجيدون فى الروايات المصرية ، فقد قدمت الفرق المدرسية إلى جانب تلك الرواية مسرحيات أخرى مختلفة . وذلك يرجع فيما أرى إلى ضعف التحصيل التاريخى مما يصعب عليهم معه الاندماج فى بيئة الرواية ويرجع كذلك إلى ضعفهم أيضا فى النطق العربى وقلة مرانهم على الإلقاء الفصيح .

وكثير من نظار المدارس يتخذون من هذه الحفلات مجالا للاعلان عن أنفسهم، فيزحمون البرنامج بالخطب ، فإما أن يخطب الناظر معددا مفاخره .. فى إدارة نواحى النشاط بالمدرسة ، وإما أن يشيد أحد المدرسين بهمة حضرة صاحب العزة ناظر المدرسة ! وقد عمدت إحدى المدارس إلى « إخراج فلم » يصور الناظر يستعرض (الطوابير) أو يتفقد المطعم ويفحص (الحلل ...) وهكذا ترى عين عزته على كل شىء فى المدرسة ... كما قال المدرس الذى كان يصاحب العرض بصوته .

ومهما يكن من شىء فهناك حقيقة مهمة ، وهى التربية المسرحية الفنية فى بيئات المدارس ، وهى الغاية التى يتجه إليها الأستاذ زكى طليمات مراقب المسرح فى وزارة المعارف ، فإننا نجد الطلبة مقبلين على هذا الفن بشوق ونشاط ، سواء فى ذلك المشتركون فى التمثيل والمشاهدون . وذلك يدل على طواعية هذا الجمهور الناشىء وصلاحيته للاستفادة من المسرح الذى هو مجمع للفنون المختلفة من أدب وتمثيل وتصوير وموسيقى وما تنقله هذه الفنون من توجيه اجتماعى وثقافى وتربية وطنية وخلقية . ولا أحسب وزارة المعارف إلا مقتنعة بهذه الفوائد ، وخاصة فى عهد وزيرها الحالى الأديب الفنان . ولكن يبقى بعد ذلك أن نلاحظ أن ما تبذله من العناية فى هذا السبيل لا يساوى ولا يدانى ما ينشد من غايته ، وهو لذلك يقصر دونها ، فقد رأينا الفرق المدرسية يعوزها المدربون الفنيون الأكفاء ، وهذا العدد القليل من خريجى معهد التمثيل لا يكفى ، على أنهم يعاملون بالمكافأة المادية القليلة ، وهم يعملون على هامش النظام المدرسى ، فليسوا موظفين دائمين ، بل تصرف لهم المدرسة مكافآتهم الزهيدة من مال النشاط المدرسى. فإهمال الدولة لهؤلاء الشبان الفنيين جزء من عدم عنايتها بالمسرح على وجه العموم . على أن كل ذلك الجهود المحدود قليل الوسائل إنما هو فى مدارس القاهرة ، أما بقية مدارس القطر فإن الاشراف الفنى على النشاط المسرحى يكاد يكون معدوما فيها وهذه الظاهرة المسرحية المدرسية توازى الظاهرة المسرحية العامة فليس فى مصر فرق تمثيلية يعتد بها فى غير القاهرة .

إننى أعتقد أن وزارة المعارف هى التى تستطيع أن تغذى أو تبعث النهضة المسرحية فى هذه البلاد، وذلك بتربية الجيل الناشىء على تذوق الفن المسرحى وحبه ، وبإعداد المشتغلين بالفن من الشباب المتعلمين ، ولكنا نراها مع الأسف تسير فى ذلك سير السلحفاة ، والمظهر الجدى الوحيد لاهتمام الوزارة بالتمثيل هو معهد التمثيل العالى . أما مراقبة المسرح فهى مدمجة فى إدارة عامة أنشئت حديثا اسمها إدارة النشاط الاجتماعى والرياضى ، فكأن الوزارة بهذا الوضع تعتبر فن التمثيل أحد أنواع هذا النشاط الذى لم نر منه إلى الآن إلا رحلة فى الصيف إلى الاسكندرية ورحلة فى الشتاء إلى الأقصر ... وهذه الإدارة جديدة لا يزال موظفوها يكتبون المذكرات ويضعون الخطط ، ونحن نرجو لها التوفيق فى خدمة الشباب ، ولكن هذا كله غير فن التمثيل الذى توضحت معالمه وأرسى القائمون به قواعده .

عباس خضر

البريد الأدبي

ذكرى الرافعي

في هـذه الأيام تظلنا الذكرى الثالثة عشرة لفقيد العروبة والبيان العربي المغفور له السيد مصطفى صادق الرافعي ، فقد لقي وجه الله في اليوم العاشر من مايو عام ١٩٣٧ .

ولقد كنت أهم بإعداد مقال مسهب عن هـــذه الذكرى العاطرة ، بيد أني حين رجعت إلى كتاب « حيـــاة الرافعي » وجدت أن أديبنا المتمكن الأستاذ محمد سعيد العريان لم يترك زيادة لمستزيد ، وبخاصة أن جزءاً كبيراً من كتابه نشر منجما في « الرسالة » سنة مات الرافعي .

واليوم إذ تنطوي الأحقاب على ذكرى أديب العروبة الكبير نفتقد مكانه في الأدباء فنجده شاغرا ، ولا نجد في أدباء الشباب من يسير على غراره ويقتفي أثره ، فقد كان الرافعي – رحمه الله – يدعو للغة العربية « السلمة » ، ويتعصب « للعبارة القرآنية » وكان إذا هم بالكتابة فزع إلى تراث الأقدمين ، فيطالع صفحة أو صفحات من كتاب عربي مبين ليقوم أسلوبه ويجريه على سنن الفصحى .

ولقد أشاد مصطفى صادق الرافعي بأمجاد العروبة ، وحلق في الآفاق بتراث الشرق فبز المتأخرين وما قصر دون المتقدمين .

واقد كانت بيني وبين الكاتب الكبير جيرة في رمل الاسكندرية يوم كان يصطاف سنوات متوالية ، فحمدنا الجوار ، وشكرنا الصحبة ، وفيما نحن نرتقب الأوبة إذا بالنعى الأليم يطالعنا مصبحين !

ولقد أرسلت هذه الكلمات تحية لذكرى الكاتب والصديق العظيم ، والمرض الوجيع يعرقني والحمى تعاودني حينا بعد حين ، فعفوا – أبا سامي – ووالله ما نؤدي كفاء حقك علينا ولا على العروبة ، وإنما لك عند الله حسن الجزاء .

٣٤٠٣٩ **منصور جاب الله**

بين الحساب والعتاب

طالعتني من روضة الرسالة الفيحاء كلمة الأديب الأزهري المتوثب محمد القاضي خليل الموجهة إلى شخصي ، وفيها الثناء الكريم والشكر المحمود والظن الجميل ؛ ومع تقديري للدافع النبيل الذي دفع بالأديب إلى هذا الشكران والتعليق ، أهمس في أذنه بأنه استخلص من حديثي ما لم أرده ، وحمل عبارتي من المؤلفات الأزهرية ما لا تحتمله ، إذ ظن أنني أعتبر هذه المؤلفات الجديدة هي غاية القصـد والمراد من شيوخنا الأجلاء ، وأعلام نهضتنا الأزهرية المرموقة ، مع أن ذلك لم أرده ولم أقله ؛ فعنوان المقال : « الأزهر في مفترق الطرق » يدل على أن الأزهر لم يبلغ بعد ما يريد وإن كان يسير ، ولهجة المقال كله تنادي بالقول بأن الأزهر حائر مضطرب مزلزل الخطا ، لا تزال في دور الانتقال ، ولا يزال يتعرض لمحنة الذبذبة بين القديم والجديد . وقد أقمت من الشواهد على ذلك ما أقمت ، ثم عرضت لموضوع الكتب الأزهرية عرضا سريعا موجزا ، ذكرت فيـه أن كتبا جديدة قد ألفت بأقلام أزهرية ، وأن هذه الكتب فيها ملامح التهيؤ والاستعداد لنهضة علمية مأمولة ، نستولي فيها بعد قليل على الأمد ، ويطيب عندها قطف الثمر والاستمتاع بالحصاد ؛ ولعله من العسير – إن لم يكن من المستحيل – أن تطالب إلى أسير ظل مقيدا أجيالا طويلة أن يفك قيوده في سرعة وعجلة ، ثم ينطلق عقيب فكها مباشرة في عدو وجري متتابع ! ليس هذا من سنن الحياة أو الأحياء في شيء !

وإذن فلنعتبر – كما حاولت أن يفهم القارىء من كلامي السابق – هؤلاء السابقين من المؤلفين روادا يكشفون لنا الطريق، ولا يعيبهم أبدا أن تكون لهم عثرات أو هفوات ، أو تؤخـذ عليهم ملاحظات ، أولا يتسم عملهم التأليفي بالكمال والتمام ، فإنهم جنود الطليعة ، وهم بلا شك يتعرضـون لمعاطب الطريق وفجاءات السبيل .

والمهم هنا أيها الشبل المتوثب الثائر أن يتصل سبب الانتاج والاخراج والتحسين والمضي إلى الأمام ، وحينئذ تنتهي فترة الانتقال والاضطراب ، وتبدأ مرحلة الاستقرار والبناء !

إن الأزهر من دعائم دين الله فى أرضه ، ولعله اليوم أقواها وأعلاها ، فلنحطه بالرعاية والعناية وحسن التوجيه ، بله أن نتطاول عليه بصريح الهجوم وعنيف التحطيم ، وكان الله للأزهر !

أحمد الشرباصى

المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

على أننى لا أنكر أن الأزهر فى حاجة إلى عناية القائمين عليه ، وقد بينها أستاذنا الزيات فى مقالاته فى الرسالة الزاهرة ، وصورها بصورة تقر العين وتشرح الصدر .

حيا الله الأزهر وأبقى ذكره فى الخالدين .

شطانوف محمد منصور خضر

ولكن لوموا أنفسكم ...!

لقد أحزننى وحز فى نفسى ، أن أرى تلك المنارة الشامخة التى تهدى الناس على مر العصور إلى طريق الحق ، تصبح بين آونة وأخرى غرضا لسهام أناس لم يعرفوا للأزهر جلاله ، ولم يفطنوا إلى أن للنقد اللين الرقيق من الأثر مالا يحتاج إلى برهان ! فضلا عن أنه من العوامل الهامة فى الإصلاح المنشود .

وأبكانى — ولست أزهريا — أن يأتى النقد على صور مفزعة تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ومن تلك الصور من يأتى بنتف أبواب فى أصول الفقه قد قرأها ولم يستسغها — وكأنه يريد أن يكون مشرعاً — فبنى عليه رأيه ، وثار تلك الثورة التى لا يكون من ورائها إلا بلبلة الأفكار وزلزلة العقيدة ، فياليت شعرى ، كيف يصبح عالما ذلك الذى يريد أن يحذف من أبواب الفقه مالا نحتاج إليه فى حياتنا ؟ وهل كل ما نحتاج إليه ندرسه ، أو كل ما ندرسه نحتاج إليه ؟ وما كان الجديد إلا من صميم القديم .

ما ضركم يا طلاب الأزهر أن تدرسوا وتتفقهوا وتطهروا قلوبكم من تلك الاعتراضات الزائفة والتى تظهر عوار الكسول والتى لا يكون من ورائها إلا البعد عن العلم وآدابه وقد قالوا : « ان العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك » . فمن أعطى العلم حقه من اليقظة والمثابرة والأدب حاز الفلاح والنجاح .

لا لوم على الأزهر وعلوم الأزهر ، وإنما يقع اللوم على تلك النفوس التى تتمسك بالقشور وتترك اللباب ، وقد ركنت إلى الكسل ولم تتطهر وتتأدب بآداب الدين .

فمن للدين — يا إخوانى — إن كنتم كذلك ، ومن لحمايته — وأنتم حماته — إن كنتم من عوامل هدمه .

فى اللغة : — ساهم — وأسهم

يرى بعض الباحثين فى اللغة أن الفعل (ساهم) لا يؤدى إلا معنى المقارعة ، ويستدلون على ذلك بالآية (فساهم فكان من المدحضين) ويرون إنه لا يؤدى معنى الاشتراك ، وعلى ذلك يخطئون لفظة (المساهمة) فى قول القائلين مثلاً « شركة مساهمة » ويصوبونها بقولهم « شركة مسهمة » من أسهم بمعنى اشترك ... وحجتهم فى ذلك أن كلمة (ساهم) لم ترد فى القواميس العربية إلا بمعنى المقارعة ... ولما كانت هذه القواميس تحتج لصحة الكلمات التى توردها وتورد اشتقاقها بكلام العرب شعرا ونثرا فى عصور قوة الفصحى وقبل تسرب الدخيل إليها ، كالعصر الجاهلى وعصر صدر الإسلام والعصر الأموى ؛ فإننى أرى أن كلمة ساهم تؤدى معنى الاشتراك ، ولا غبار علينا إذا استعملناها فى هذا المعنى ؛ فلقد عثرت على استعمالها فى هذا المعنى (والاشتراك) فى شعر اسلامى أموى للشاعر الحكم بن معمر الخضرى إذ يقول فى وصف أمرأة : —

تساهم ثوباها ففى الدرع غادة وفى المرط لفاوان ردفهما عبل

ولا يمكن أن يكون معنى (تساهم) هنا إلا الاشتراك فى الاقتسام . فلعل الأقلام الحر بعد ذلك ترحم هذه الكلمة وتهبها حريتها لتعيش فى أمن وسلام ، فهى صحيحة فى معنى الاشتراك كأختها (أسهم) وإن لم توردها القواميس ؛ ولعلها تزيد على كلمة (أسهم) أنها أخف منها وضعا ، وأكثر استعمالا وقد دربت عليها الألسنة وتقبلتها الأسماع ...

عبد الجواد سليمان

المدرس بمعلمات سوهاج



القضايا الـكبرى فى الاسلام

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

للدكتور زكى المحاسنى

سألت وأنا أجول فى صحن الجـــامع الأزهر عن الشيخ الصعيدى . قلت لعلى أجده تحت رواق من الأروقة التى علت ، فأظلت . فدللت على مكانه البعيد ، لا فى الصعيد . ولـكن فى كلية اللغة العربية . وكنت أذكر أن أحد عشاق الأسفار من الغربيين كان يقول : من زار باريس فليكتف منها بأن يرى برج إيفل والمسيو أندريه تارديو . وقد مر بالخاطر هذا القول وأنا أبحث فى مصر عن الأزهرى الذى رأيته كثيراً قبل أن أراه .

كنت وأنا أجوس خلال الصحن أتمثل حلقات الدرس التى لم يبق منها إلا الفلول ، فلقد انتقل التعليم من فنـاء الأزهر فوق الحصير إلى أبنية شيدت بحديد يجلس فيها التلاميـذ أهل العمائم والجبب على مقاعد مرصوفة كالتى فى المعاهد المتحضرة . ثم لا ضير عليهم أن يبدأوا علم الأزهر مع حفظ الـكافية والأجرومية بشىء من الفرنسية والانـكليزية ، وأن يؤلفوا بين الفقه والأصــــول بضرب من الـكيمياء والـكهرباء .

وقد لقيت الشيخ بعد لأى فى دار من دور الطباعة فأذكرنى لقاؤه بموعظة نطق بها ابن المقفع وهي قوله : لا يجمل بالمرء أن يرى إلا مع النساك متعبداً أو مع العلماء جاهداً . وقد لقيت هذا العالم الأزهرى العظيم حيث يجمل أن يكون اللقاء بمثله .

بدا طوالا عريض المنـكبين متسق الوجه . ولو أن للمعرفة أشعة لحسبتها تتلألأ فى عينيه . واليوم وأنا أتحدث عن كتاب من أجل كتبه وهو القضايا الـكبرى فى الإسلام أعيد للبال سمته الجليل ومنظره الـكريم خافقاً بعمامة وجبـة يسـتدير عنقه فوق جلباب نقى سابغ .

والقضايا الـكبرى اسم مر على أسـلات الأقلام المعاصرة ، فألف فى بابه الأستاذ محمد عبد الله عنان كتاباً اسمه قضايا التاريخ الـكبرى ، جمع فيه كبريات من الحوادث فى الشرق والغرب . وكلا المصريين نال لما صنع المؤلفون الغربيون فقد ألف نقيب المحامين الفرنسيين الغابر « هنرى روبير » كتاباً بهذا الاسم . وفى فرنسة مكتبة حقوقية أصـدرت مجموعة سنوية كبرى تسمى قضايا العالم الـكبرى Les grands procés de l'année

أما كتاب القضايا الـكبرى فى الاسلام الذى أنا بسبيله فى هذا الحديث فهو للاستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى . ويمتاز هذا العلامة من زملائه الأعلام الأزهريين بأنه يجمع العـلم الدينى إلى الأدب الإنسانى . فقد أذكر أن له رسالة قديمة كتبها فى أبى العتاهية الشاعر العالمى درس فيها حياته وشعره ، كما نشر ديوان الهاشميات لشاعر العصر المروانى الكميت بن زيد الأسدى بتحقيق دقيق ، ورأى رصين .

وكتابه عن القضايا الـكبرى فى الإسلام يبدأ بعصر الرسول فيصور مؤمرات المنافقين ، وقذف عائشة ، وطلاق زينب ، ويتحدث عن مجرى الحرب فى فتح مكة . وإذا هزنى حديث الإفك فجعلت أتململ على مثل النار لما اعترى عائشة من الحزن يوم ذاك ، فإنى ليهزنى ذكر الخوارج الصـلاب الشـداد ، وقد وقفوا يوم التحكيم مثل أسود لا تخدعها الثعالب ، فراحو يهتفون : لا حكم إلا لله . حتى إذا انحدرت فى قراءة هـذا الـكتاب إلى عصر بنى أمية والروانيين راعنى مقتل سعيد بن جبير . إذ يعرضه الأستاذ المؤلف فى صورة مسرحية رائعة . وقبل أن أقرأ كتاب الأستاذ الصعيدى أذهب مذهباً يخالفه فى أمر سعيد بن جبير ، فإن قلق الحجاج كان لا يزال يعاود خيالى فأتصوره وقد قتل أزهد عالم فى الإسلام ، وأورع فقيه من التابعين لعلوم الدين . ثم أتصـور هبوبه من نومه فزعاً مرتاعاً يصيح فى خدمه وحشمه فى قطع من الليل منبهر الأنفاس ، يخيف الحراس فيقول صائحا :

– لقد رأيت فى المنام ابن جبير يقول لى : كيف قتلتنى يا حجاج وكأنه كان يأخذ بعنقى ليخنقنى .

لـكن المؤلف مد بيانه ، وبرهانه ، إلى رأيى فبدل ما كنت أذهب إليه من مذاهب فى شأن ابن جبير ، فلقد أفسدت السياسة علم هذا الحنيف . كان والياً على عطاء الجند سنة ثمانين من الهجرة فى جيش جهزه الحجاج لغزو رتبيل ملك الترك مما وراء النهر بعد فارس . وولى عليه عبد الرحمن بن الأشعث الـكندى . فلما توغل

عبد الرحمن فى البلاد وطاع له العباد اجترأ على الحجاج فخلع طاعته وظاهره على ذلك ابن جبير ، وكان ابن الأشعث الكندى خوانا حين ارتد على المسلمين يقاتلهم ويشد عضد أعدائهم يوم الفتح .
وقد جرت حروب بين ابن الأشعث والحجاج أزهقت من المسلمين نفوساً كثيرة لو صرفها أصحابها إلى الفتوح لأوغلوا فى البلاد . وانتهت هذه الحروب بظفر الحجاج ، فأمكنه الله من سعيد بن جبير بعد أن نقض العهد وبايع ابن الأشعث ، فقتله بعد أن حاكمه ، وكان خصمه وحكمه .

ويختم المؤلف على العصر الأموى بخاتم البحث ، ليفتح باب العصر العباسى على مصراعيه كما يفتح باب المحكمة عن بهوها الكبير وحكامها الجبابرة ، فأدخل متفرجاً على القضايا العباسية الكبرى .

وكنت أوثر الأدب ، فيجتذبنى بشار بن برد إلى قضيته ، فأشهد محاكمته مع الزنادقة فى عهد الخليفة المهدى .

وقد كان المؤلف أشبه عندى بالمدعى العام ، يصور للمحكمة جرم المتهمين حسب رأيه ووفق نظريته ، ثم يحملهم على غوارب الحكم حملا . وهنا لم يجتذبنى المؤلف ولم يغير من رأيى فى مقتل بشار فلقد راح يجمع النصوص من شعر بشار ، وأخبار الزنادقة وشرطة الملحدين الذين كانوا مكلفين بالتتبع يحملون أخبار العقول والألسنة إلى الخليفة ، وقد صنع المؤلف كل ذلك ليبرر الحكم على الشاعر بأنه قتل من أجل هجائه وفحشه أو بسبب زندقته وإلحاده . والصحيح عندى أن الذى قتل بشاراً السياسة . فقد استبد الوزير يعقوب بن داود بالحكم دون المهدى . وكان بشار من الأحرار لم يستعبده أدبه فما تملق الخلافة ولا ذل للسلطان وكان شعبياً يؤثر أن ينفخ فى الأمة بوق الثورة من أجل حياة أسمى . فكان من قوله :

بنى أمية هبوا طال نومكم ... إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزق والعود

كذلك أخطأ التاريخ ، وظن المؤرخون ووهموا . فقتل عندهم بشار بن برد من أجل الزندقة والفحشاء . وقتل عندى من أجل السياسة والثورة . لقد كان طيب الفؤاد فلم يهج غير من استحق الهجاء . ظلمه مجتمعه فنقم لنفسه من ذلك المجتمع الظالم ومن مس العقرب لسمته إبرتها . بذلك نفى الحق بين الأنام . لقد وجد ناس فى أسقاط بشار بعد موته هذه الكلمة النبيلة :

ـ إنى أردت هجاء آل سليمان بن على لبخلهم ، فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسكت إجلالا له . على أنه فرط منه هجاء لآل سليمان ـ والظاهر أنه كان فيه مترفقاً بهم من أجل تلك القرابة فقال فيهم .

دينار آل سليمان ودرهمهم ... كالبابليين حفا بالعفاريت
لا يبصران ولا يرجى لقاؤهما ... كما سمعت بهاروت وماروت

ومن القضايا الكبرى فى هذا الكتاب قضية خلق القرآن وما جرت من الفتن وضرب الرقاب ، وفتنة الحلاج وكنت أبحث فى كتابه عن قضية سيبويه والكسائى فلم أجده قد ذكرها . وكانت منه أملوحة لو أضافها فى كتابه وجلاها فى تصويره الفنى .

ثم مضى المؤلف فى ذكر القضايا من كبريات الحدثان فى الأندلس وعهد الدولة العثمانية حتى إذا بلغ عصرنا الحديث حط الرحال على كتاب الدكتور طه حسين فى الشعر الجاهلى يوم قامت قيامة القوم على عبقرى الشرق الذى أخرج الأدب من صحن الأزهر إلى مقاعد الجامعة .

* * *

كذلك طوفت فى قصر العدالة الاسلامية الذى بناه الشيخ عبد المتعال الصعيدى الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف وصوره فى كتابه . فتنقلت فيه من حجرة إلى حجرة أشهد المحاكمات ، وأسمع المرافعات فأحن إلى ماض أفل عنى وكنت فيه من المحامين ، ذاكراً طلعة الأزهرى الحكيم الذى زانه العلم ، وجمله الأدب ، وحلاه التواضع .

زكى المحاسنى

بائع الحب

كتاب للاستاذ عبد القدوس
للاستاذ أحمد قاسم أحمد

قرأت الكتاب الأول ـ صانع الحب ـ للأستاذ إحسان عبد القدوس وقضيت فى قراءته وقتا لم أرد أن أقضيه فى جد ...

وما كنت أعتقد حينذاك بأنه كتب للأدب ... ! لقد قرأته على أنه صور - كما يجب أن يسمى إنتاجه - تستطيع أن تسمها بما تريد ... إلا بالأدب ... ووقع بين يدى كتابه الثانى - بائع الحب - وأجلت نظرى فى مقدمته فاستوقفنى دهشا حائرا قول الكاتب: « وقد سبق أن أصدرت مجموعة من هذه الصور بعنوان « صانع الحب » فأثارت ضجة أدبية على صفحات الصحف، وهى ضجة تقوم كلما حاول الأدب العربى أن يخطو خطوة إلى الأمام ... » إذن فالأستاذ إحسان قد أخرج كتابيه لا كإنتاج أدبى رفيع فحسب، بل كخطوة يخطوها الأدب إلى الأمام ... وما كنا نعلم أن نهضة الأدب تكون على راح تلك الصور الواهية المبتذلة، التى لا تجيد إلا وصف الشفاه الداعية فى نهم، والنهود البارزة فى ثورة، والأجسام المغرية فى إلحاح ... ! فإن أصر الأستاذ على ادعائه فإنا نقول له . إنك فى ذلك مسبوق لا سابق، والذى سبقك هو ذلك الشاعر الذى تهكمت به وبشعره فى مقدمة « صورك » هو امرؤ القيس فإنك لم تزد على أن شرحت قوله :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم محول

وقوله :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل

خرجت بها أمشى تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل

بطريقتك الخاصة فى القرن العشرين ... !

و « بائع الحب » لا ينتقد ! لأن النقد يرتفع فى حالتين :

الأولى : أن يتسنم الأدب ذروة الروعة والكمال، فيتقاصر دونه النقد..

والثانية : أن يهبط إلى مهاو عميقة من السخف والتبذل، فيتعفف النقد أن يلاحقه فى أغواره ... !

ويستطيع القارىء - طبعا - أن يعرف لماذا لا ينتقد « بائع الحب » المسكين ... !

وأحب أن أقول للكاتب الفاضل إن الأدب متعة الروح، لا متعة الجسد، وغذاء الألباب الناضجة، لا الحيوانية المنحطة، وإن مصير صوره كمصير غانياته اللائى يلقى بهن إلى عرض الطريق بعد أن يقضى منهن وطرا . فإن القارىء لن يعود إلى قراءة صورة منها لأن المتعة الخالدة معدومة فيها، ولأن جدتها قد بليت، وخمدت أنفاسها إلى الأبد، بل تطايرت فى الهواء مع نفثات لفافات قارئيها ... !!

وأحب أن أقول له أيضا : إن الصحافة أجدى عليه من الأدب، وإنه ليس أشقى من الأدب، وعزاؤه أنه يعمل لوجه الفن الخالد

ويذكر الأستاذ فى إحدى صوره أنه انهال على صاحبته لطما وضربا ولعن آباءها وأجدادها باللغة العربية ... وإنى لأرجو أن يذكر أنه - بكتابيه - قد مثل نفس الدور مع الأدب العربى.. وأن يذكر أيضا أننا نستطيع أن نعتبره صحفيا ناجحا ولا نستطيع أن نعتبره أديبا ولو تابت صاحبته الصهيونية ... !)

أحمد قاسم أحمد



قصة لقاء..

للأستاذ عبد الله نيازى

هذه قصة لقاء بين جميل بن معمر العذرى وحبيبته بثينة ... وهى صورة صادقة من صور الحب فى البادية - ولون من ألوان الغزل البرىء ... فى الوقت الذى يقطع فيه العاشق المتيم المسافات البعيدة ، ويتجشم المخاطر والصعاب - ليرى من شغفته حباً . وملأته هوى ، لا يطمع منها بغير النظر اليها - أو التمتع بالحديث منها ساعة أو بضع ساعات ، ثم يرجع وهو من النشوة يكاد أن يطير ، لماذا ؟ لأنه تحدث إلى حبيبته - وتحدثت إليه - وبثها لواعجه بألطف لفظ وأعفه . وشاركته نجواه بأرق لفظ وأعذبه علها تجد طريقها إلى شباب هذا العصر الذى رق عندهم الحب وأصبح المفهوم من هذا اللفظ - هو رشف الثغور ، وشم النهود ، وإرضاء الغرائز

قال معبد المغنى المشهور وقد ذهب إلى الغريض ليسمع عنه ، فقرع الباب إلا أن أحداً لم يكلمه - فسأل بعض الجيران فقالوا : هو فى الدار ، فرجع وغنى لحنافى شعر جميل :

علقت الهوى منها وليداً فلم لايزل إلى اليوم ينمى حبها ويزيد

فما شعر إلا بصائح يصيح : يا معبد المغنى - افهم وتلق عنى شعر جميل الذى تغنى فيه يا شقى النجفه - وغنى - وحين أراد معبد الانصراف إلى المدينة ، سمع بصائح يصيح يا معبد - انتظر أكلك - فدخل وسلم - ثم جلس - وتحدثنا قليلا - وخرج معبد من عنده - ورجع إلى المدينة - فتحدث بحديثه - وعجب من فطنته وقيافته ! قال معبد وذكرت جميلا وبثينة فقلت : ليتنى عرفت انساناً يحدثنى بقصة جميل وخبر الشعر فأكون أخذت بفضلة الأمر كله فى الغناء والشعر ، فسألت عن ذلك فاذا الحديث مشهور، وقيل لى: ان أردت أن تخبر عشاهدته فأت بنى حنظلة، فان فيهم شيخاً منهم يقال له فلان يخبرك الخبر ، فأتيت الشيخ فسألته فقال : نعم ، بينا أنا فى أبلى فى الربيع إذا برجل منطو على رحله كأنه جان فسلم على ثم قال : ممن أنت يا عبد الله ؟ فقلت أحد بنى حنظلة ؛ قال: فانتسب ؛ فانتسبت حتى بلغت إلى الفخذ الذى أنا منه ؛ ثم سألنى عن بنى عذرة أين نزلوا ؛ فقلت له : هل ترى ذاك السفح ؛ فانهم نزلوا من ورائه ؛ قال يا أخا بنى حنظلة، هل لك فى خير تصطنعه إلى ؟ فو الله ما أعطيتنى ما أصبحت تسوق من هذا الأبل ما كنت بأشكر منى عليه به . فقلت نعم ، ومن أنت أولا ؟ قال : لا تسألنى من أنا ولا أخبرك ؛ غير انى رجل بينى وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بنى العم - فإن رأيت ان تأتيهم فانك تجد القوم فى مجلسهم تنشدهم بكرة أدماء تجر خفيها غفلا من السمة، فان ذكروا لك شيئاً فذاك ، وإلا استأذنتهم فى البيوت وقلت : إن المرأة والصبى قد يريان مالا يرى الرجال ، فتنشدهم ولا تدع أحداً تصيبه عينك ولا بيتاً من بيوتهم إلا نشدتها فيه ، فأتيت القوم فاذا هم على جزور يقتسمونها ، فسلمت وانتسبت لهم ونشدتهم ضالتى . فلم يذكروا لى شيئاً ، فاستأذنتهم فى البيوت وقلت : إن الصبى والمرأة يريان مالا ترى الرجال ، فأذنوا ، فأتيت أقصاها بيتاً ثم استقرفيها بيتاً بيتاً أنشدهم فلا يذكرون شيئاً، حتى إذا انتصف النهار وآذانى حر الشمس وعطشت وفرغت من البيوت وذهبت لأنصرف، حانت منى التفاتة فاذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم ، ثم قلت لنفسى : سوءة ! وثق بى رجل وزعم أن حاجته تعدل مالى ثم آتيه وأقول : عجزت عن ثلاثة أبيات ! فانصرفت عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فاذا هو قد أرخى مؤخره ومقدمه ، فسلمت فرد على السلام ، وذكرت ضالتى ، فقالت جارية منهم : يا عبدالله . قد أصبت ضالتك، وما أظنك إلا قد اشتد عليك الحر واشتهيت الشراب . قلت أجل ؛ قالت : أدخل ، فدخلت فأتتنى بصحفة فيها تمر من تمر هجر ، وقدح فيه لبن ، والصحفة مصرية مفضضة والقدح مفضض لم أر إناء قط أحسن منه ؛ فقالت : دونك ؛ فتجممت وشربت من اللبن حتى رويت ، ثم قلت : يا أمة الله ، والله ما أتيت اليوم أكرم منك ولا أحق بالفضل فهل ذكرت من ضالتى شيئاً ؟ فقالت : هل ترى هذه الشجرة فوق الشرف ؟ قلت نعم ، قالت فإن الشمس غربت أمس وهى تطيف حولها ثم حال الليل بينى وبينها ؛ فقمت وجزيتها الخير وقلت : والله لقد تغديت ورويت !

فخرجت حتى أتيت الشجرة فأطفت بها، فوالله ما رأيت من أثر. فأتيت صاحبى فاذا هو متشح فى الأيل بكسائه ورافع عقيرته يغنى؛ قلت: السلام عليك؛ قال: وعليك السلام ما وراءك؟ قلت؛ ما ورائى من شىء. قال: لا عليك! فأخـبرنى بما فعلت، فاقتصصت عليه القصة حتى انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرته بالذى صنعت؛ فقال: قد أصبت طلبتك؛ فعجبت من قوله وأنا لم أجد شيئاً. ثم سألنى عن صفة الأناءين: الصحفة والقدح، فوصفتهما له فتنفس الصعداء وقال: قد أصبت طلبتك ويحك! ثم ذكرت له الشجرة وأنها رأتها تطيف بها، فقال: حسبك! فمكثت حتى إذا أوت إبلى إلى مباركها دعوته إلى العشاء فلم يدن منه، وجلس منى بمزجر الـكلب، فلما ظن انى قد نمت رمقته فقام إلى عيبة(1) له فاستخرج منهـا بردين، فأتزر باحدهما وتردى بالآخر، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة. واستبطنت الوادى فجعلت أخفى نفسى حتى إذا خفت أن يرانى انبطحت، فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجرات قريب من تلك الشجرة بحيث أسمع كلامهما فاستترت بهن، وإذا صاحبته عند الشجرة، فأقبل حتى كان منها غير بعيد، فقالت: اجلس؛ فوالله لـكأنه لصق بالأرض، فسلم عليها وسألها عن حالها أكرم سؤال سمعت به قط وأبعده من كل ريبة. وسألته مثل مسألته، ثم أمرت جارية معها فقربت إليه طعاماً. فلما أكل وفرغ، قالت أنشدنى ما قلت: فأنشدها:

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل ... إلى اليوم ينمى حبها ويزيد

فلم يزالا يتحدثان، ما يقولان فحشاً ولا هجرا، حتى التفتت النفاقة فنظرت إلى الصبح، فودع كل واحد منهما صاحبه أحسن وداع ما سمعت به قط ثم انصرفا. فقمت فمضيت إلى ابلى فاضطجعت وكل واحد منهما يمشى خطوة ثم يلتفت إلى صاحبه. فجاء بعدما أصبحنا فرفع برديه ثم قال: يا أخا بنى تميم. حتى متى تنـام؟ فقمت وتوضأت وصليت وحلبت إبلى وأعاننى عليها وهـو أظهر الناس سروراً، ثم دعوته إلى الغـداء فتغدى، ثم قام إلى عيبة فافتتحها فاذا فيها سلاح وبردان مما كسته الملوك، فأعطانى أحدهما وقال: أما والله لو كان معى شىء ماذخرته عنك. وحدثنى حديثه وانتسب لى، فاذا هو جميل بن معمر والمرأة بثينة، وقال لى: إنى قد قلت أبياتاً فى منصرفى من عندها، فهل لك إن رأيتها أن ننشدها؟ قلت: نعم! فانشدنى:

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها ... وقد قربت نفسى أمصر تريد

ثم ودعنى وانصرف، فمكثت حتى أخذت الإبل مراتعها، ثم عمـدت إلى دهن كان معى فدهنت به رأسى، ثم ارتديت البرد وأتيت المرأة فقلت: السلام عليـكم، إنى جئت أمس طالباً واليوم زائراً، أفتأذنون؟ قالت: نعم، فسمعت جويرية تقول لها: يا بثينة عليه والله برد جميل، فجعلت أثنى على ضيفى وأذكر فضله. وقلت: إنه ذكرك فأحسن الذكر، فهل أنت بارزة حتى أنظر إليك؟ قالت: نعم، فلبست ثيابها ثم برزت ودعت لى بطرف. ثم قالت: يا أخا بنى تميم، والله ما ثوباك هـذا بمشتبهين، ودعت بعيبتها فأخـرجت لى ملحفة (1) مروية مشبعة من العصفر، ثم قالت: أقسمت عليك لتقومن إلى كسر البيت ولتخلعن مدرعتك (2) ثم لتأتزرن بهذه الملحفة فهى أشبه ببردك. ففعلت ذلك وأخذت مدرعتى بيدى فجعلتها إلى جانبى. وأنشدتها الأبيـات فدمعت عيناها، وتحدثنا طويلا من النهار، ثم انصرفت إلى إبلى بملحفة بثينة وبرد جميـل ونظرة من بثينة.. قال معبد: فجزيت الشيخ خيراً وانصرفت من عنده وأنا والله أحسن الناس حالا بنظرة من الغريض واستماع لغنائه، وعلم بحـديث جميل وبثينة فيما غنيت به وفيما غنى به الغريض على حق ذلك وصدقه، فما رأيت ولا سمعت بزوجين قط أحسن من جميل وبثينة، ومن الغريض ومنى..

وهذه أبيات من القصيدة التى قالها جميل..

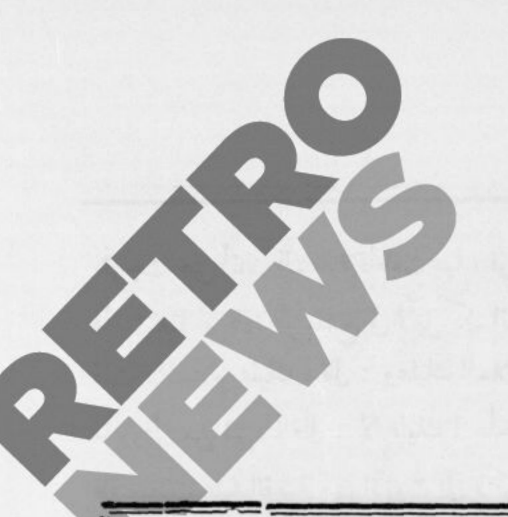
علقت الهوى منها وليداً فلم يزل ... إلى اليوم ينمى حبها ويزيد
وأفنيت عمرى فى انتظارى نوالها ... وأفنت بذاك الدهر وهو جديد
فلا أنا مردود بما جئت طالبا ... ولا حبها فيما يبيـد يبيد
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها ... وقد قربت نضوى أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التى ترى ... لزرتك فاعذرنى فدتك جدود
إذا قلت مابى يا بثينـة قاتلى ... من الحب قالت ثابت ويزيد
وإن قلت ردى بعض عقلى أعش به ... تولت وقالت ذاك منك بعيد

بغداد — **عبد الله نيازى**

(1) العيبة وعاء من أدم يكون فيه المتاع

(1) الملحفة (بالكسر) اللباس فوق اللباس من دثار ونحوه ومروية نسبة إلى «مرو» بلدة بفارس

(2) المدرعة: ضرب من الثياب، ولا تكون إلا من الصوف

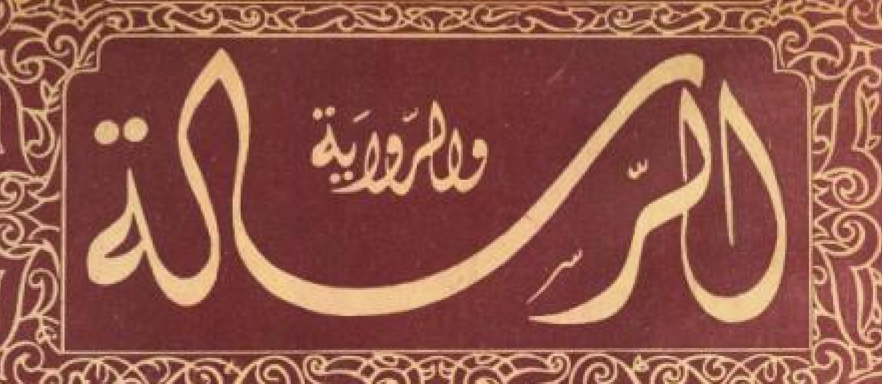


سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات فصل الصيف سنة ١٩٥٠

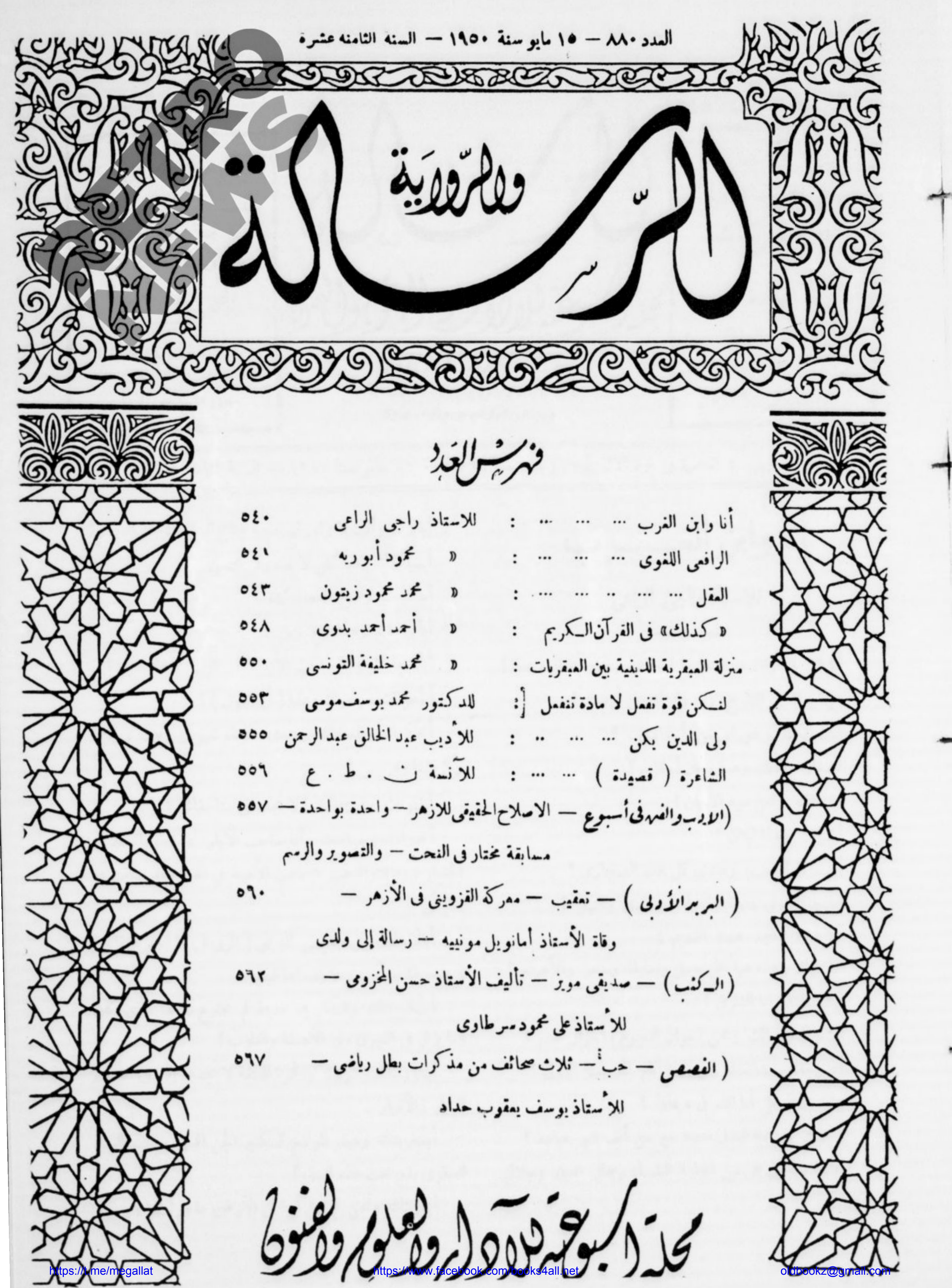
يتشرف المدير العام باعلان الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف الحالى قد صدرت الآن مشتملة على التغيرات الهامة التى أدخلت على مواعيد سير القطارات .

وتطلب هذه الجداول من شبابيك المحطات وكذا مع الباعة المرخص لهم ببيعها مقابل عشرين مليما للنسخة الواحدة .



فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

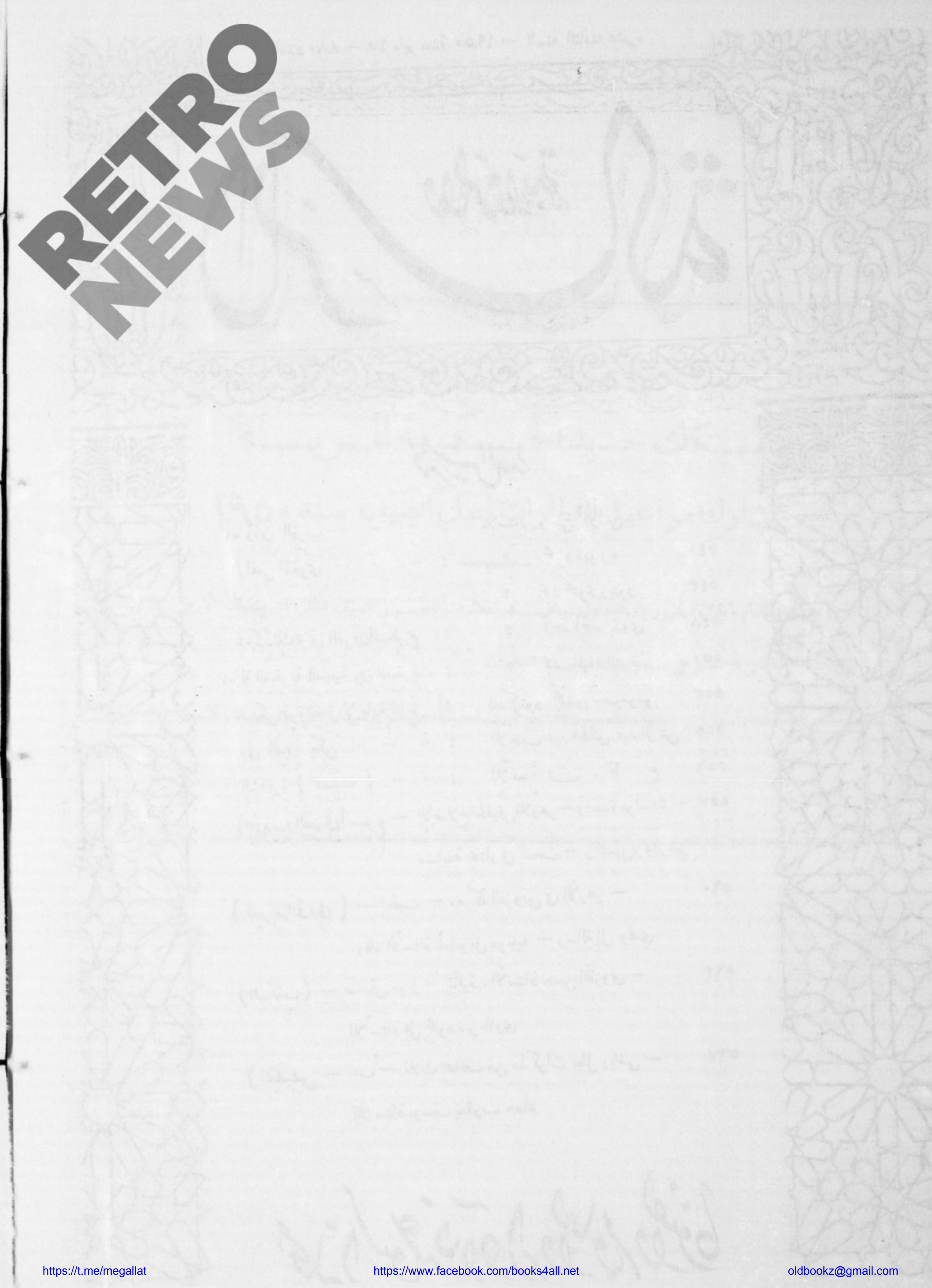


العدد ٨٨٠ — ١٥ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

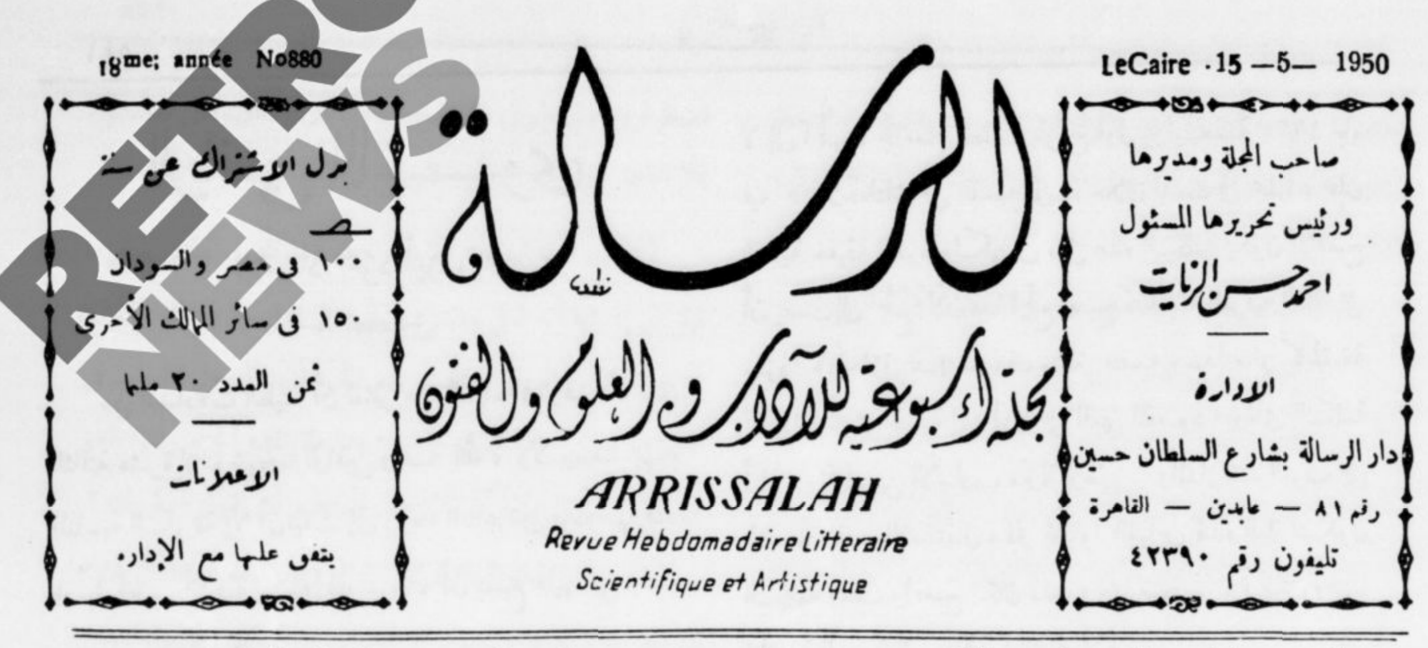
الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



18me: année No880 — LeCaire ·15 —5— 1950



العدد ٨٨٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٦٩ — ١٥ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

أنا وابن الغرب

للاستاذ راجى الراعى

أنا الشرق أراك تختال على يا ابن الغرب فبماذا تختال، بماذا؟

أبينابيعك فى التاريخ وقد ولد آدم فى أرضنا ؟

أبشرائعك وحورابى من أجدادى . ؟

أبدخان معاملك وهذا دخان أحلامى ؟

أبإيمانك ونحن مهد الأديان ؟

أبجبالك وهذا لبنان ؟

أبصدرك الرحب وعندى كل هذه الصحارى ؟

أبأنهارك ولى دجلة والفرات وبردى والنيل ؟

أبأمجادك والمجد مجدنا القديم ؟

أبآثارك وهذه هياكل جبيل وبعلبك وتدمر والأهرام ؟

أبشمسك وأنا الشرق ؟

أبشعرك وخيالك ونحن اخوان النجوم وأخوال القمر ؟

أبمروجك وحدائقك وفى بلادنا أقام الله جنته الأولى ؟

بماذا تختال على أنا الشرق ، بماذا ؟

أبعدلك وساعة العدل عندنا خير من ألف شهر عبادة ؟

أبلغتك وأين هى من فخامة الضاد وجمال العين وجلال الطاء ؟

أبقمرك وأنت لا تراه وقد حجبه عنك البناء الشاهق الضخم؟

أبهيا كلك وهيا كلى لا تعد ولا تحصى ؟

أبدهائك ونحن الدهاء كله ؟

أبأبراجك وهذا برج بابل ؟

أبأشجارك وأنا صاحب الأرز ، أرز الرب ، والنخيل ؟

أبأهوالك وتهاويلك وهذا (أبوالهول) ؟

أبحكمتك وفلسفتك وعندى كونفوشيوس وبوذا وبراهما وكريشنا وهرمس ؟

أبفنونك وفى سمائنا ما لا تجده فى متاحفك ؟

أبخيراتك وخزائنك وأنا صاحب الآبار ، آبار النفط فى الحجاز ؛ ومالك الذهب ، ذهب الأقبية فى الهند وقد ضاقت به الخزائن .

أبالاخلاق وفى معجمى كلمة هى (المروءة) لا أجد مايقابلها فى معجمك ويأتى بسرها ومعناها البعيد.

أبكهربائك والكهرباء قديمة لم تخترع سرها الذى كان وما يزال فى العيون وفى الأدمغة والقلوب ؟

أبكؤوسك وخمورك والخمرة المعتقة لا تجدها إلا فى هذه الديار والأديار .

أبعبقريتك وعبقر الموضع الكثير الجن الذى ينسب إليه العبقرى يقع تحت هذه السماء؟

أبعيرانك ونحن لم تبق أمة فى الأرض ما ورثناها ؟

الرافعى اللغـــوى

للاستاذ محمود أبو ريه

من المصادفات الطيبة أن تنشر هذه الكلمة فى وقت الذكرى الثالثة عشرة لوفاة شيخنا الرافعى رحمه الله ، ولا يسعنا بهذه المناسبة الكريمة إلا أن نبعث إلى روحه الطاهرة فى فردوسها عند بارئها بأطيب التحية سائلين الله سبحانه أن يسبغ عليها من رحمته ورضوانه أنه سميع مجيب

نشرت مجلة الرسالة الغراء كلمة للأستاذ محمود محمد بكر هلال بعنوان (تطور اللغة العربية) نقل فيها كلاماً لشيخنا الرافعى رحمه الله يشير فيه إلى مذهبه فى الاجتهاد اللغوى ، وقد رأينا أن نعزز هذا الكلام بأقوال أخرى لهذا الحجة الكبير تزيد مذهبه وضوحاً .

كان الرافعى رحمه الله اماما فى اللغة كما كان اماماً فى الأدب. وقد وصل بهذه الامامة إلى درجة الاجتهاد فى اللغة لا يقلد أحدا ولا يتابع انساناً .

قرأت له فى أحد كتبه أنه نسب إلى (الاخلاق) فكتبت اليه أن النسبة — كما تقضى قواعد النحو — إنما تكون للمفرد لا إلى الجميع ، فجاء منه خطاب مؤرخ أول يونيه سنة ١٩٢٧ جاء فيه « ملاحظتك على النسبة إلى الاخلاق ليست فى محلها ، فإن النسبة حقيقة للمفرد ولكن فى مثل هذه الكلمة يكون الأفصح أن ينسب إلى الجمع ؛ لأن هذا الجمع أصبح كالحقيقة العرفية الدالة على مفرد ؛ فالأخلاق علم معروف متميز بنفسه وبهذا صار كالحقيقة المفردة وكانت النسبة إليه أدل على المعنى المقصود ، وتأتى الكلمة أبلغ ، وتنزل من الأسلوب منزلة ترضى . والمدار عند العرب على الاستخفاف والاستثقال ، فلو خالفوا القياس لهذه العلة لتكون الكلمة أخف وأفصح لكان ذلك وجها صحيحا ، فكيف وههنا الحقيقة العرفية التى ذكرتها لك » (١)

واستعمل فى كتاب أوراق الورد كلمة (أوحى لها) فكتبت إليه أن الأفصح كما جاء فى القرآن الكريم أن فعل (أوحى) يتعدى (بالى) فجاء منه خطاب مؤرخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٢ (٢) قال فيه « أما — أوحى لها — فهي بنصها كلمة شاعر أوراق الورد فى مقالة له ، فربما كان سبب وضعها هو تذكره (٣) وهى فى موضعها أفصح من (إليها) كما يظهر لك من نطق الجملة من أولها مرة (بلها) ومرة (بإليها) وأنا عادة أراعى موقع الحرف فى الأسلوب فإن كانت (اللام) أقوى استعملتها، وقد أراعى اعتبارات أخـــرى »

ولما ترجم لشوقى بك رحمه الله فى المقتطف انتقد هذا البيت من شعر شوقى :

إن رأتنى تميل عنى كأن لم ... تك بينى وبينها أشياء

وكان نقده أن شوقى رفع جواب الشرط وأن صواب (تميل) (تمل) فرد عليه الأستاذ العقاد وقال، ان كتب النحو قد أجازت ذلك . ولما اطلع الرافعى رحمة الله على هـذا الرد بعث إلى بخطاب مؤرخ ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٢ قال فيه (٤) :

« العقاد انتقد فى المقتطف كلمة كنت خطأت فيها شوقى ،

أبرياحينك وهذا عبير الشرق يضمخ السماء والأرض . ؟
أبعددك وأمامك الهند والسند والصين ؟
بماذا تختال على أنا الشرق ، يا ابن الغرب ؟
لك نظرتك فى الحياة ولى نظرتى ...
لك تاريخك ولى تاريخى .
لك صفحتك من الكتاب ولى صفحتى ...
أنت الغرب وأنا الشرق فليس لأحدنا أن يشمخ على الآخر ولا مجال بيننا للتيه والغطرسة .
إن الله لا يؤيد بغير الحق، ولا يحب غير الوادعين المنصفين ...

راجى الراعى

---

(١) ص ١٣٦ من كتاب (رسائل الرافعى) التى يطبع الآن
(٢) سيظهر هذان الخطابان ان شاء الله قريباً فى كتاب (رسائل الرافعى) التى يضم أكثر من مئتى رسالة لشيخنا الرافعى رحمه الله
٣) تذكرة لحبيته . .

وهى : جواب الشرط حين يكون فعل الشرط ماضياً ، والنحاة جميعاً أجازوا هذا فانتهزها المقاد ، ولكن النحاة فى رأيى مخطئون ، وقد كتبت رداً طويلا ... »

وقد جاء فى هذا الرد الذى نشر فى المقتطف [1] ما يلى :

« يشير الكاتب إلى القاعدة المذكورة فى كل كتب النحومن أن الجواب يرفع أو يجزم إذا كان الشرط ماضياً لفظاً أو معنى، والجزم هو المختار عند قوم والرفع جائز، وعند قوم العكس وعند آخرين يجب الرفع . ولم يقل أحد من النحويين إنهما « على السواء »

ولكن مع ورود هذه القاعدة فى كل كتب النحو لا يزال بيت شوقى عندنا غلطاً لأننا لسنا من « الذين يعرفون النحو » معرفة النقل فى الكتب والتقيد بالرأى خطأ وصواباً ، ولا هذا مذهبنا فى الأدب ولا فى اللغة، ولا نقلد أحداً ولا نتابع أحدا بل لأن يمر ما فى الكتب من هذا الرأس بدياً فيجىء بجيئه الأول من ناحية أهله ، ثم بجيئه الثانى من ناحيتنا ، وسنعرض هنا كل أقوال النحاة فى رفع جواب الشرط على نسق من القضايا ونعترضها بالنقد

(١) لا يمكن أن يجعل رفع الشرط فى تلك الصورة قاعدة يقتاس بها إلا إذا سمع فى الكلام المنثور دون المنظوم، إذ النظم محل الضرورة فى أشياء كثيرة معروفة ، أما النثر فهو على السعة ولا يجوز فيه إلا الجائز . فا هى الأمثلة التى نقلها النحاة عن العرب لتلك القاعدة ، وعن أى القبائل سمعت ؟ وهل هو السماع الذى يعضده القياس أم السماع الضعيف ؟

(٢) لم يزيدوا فى كتبهم على أن قالوا إن ذلك مسموع ولم يزد سيبويه فى كتابه على هذه العبارة » وفيه تقول (تأمل) إن أتيتنى آتيك أى آتيك ان أتيتنى قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالى ولا حرم

فأنت ترى أن سيبويه يضع مثالا ويأتى بالشاهد عليه من الشعر والشعر محل الضرائر يجوز فيه مالا يجوز فى الكلام ولا اضطرار فى بيت شوقى ، إذ يستطيع أن يقول : ان رأتنى تصدعى. فلا شاهد فى كلام سيبويه على رفع الجواب

(٣) إن أداة الشرط تجزم فعلين ، فاذا كان الجواب مرفوعاً قيل فى إعرابه أنه فعل مضارع مرفوع فى محل جزم ، فاذا لم تكن ثم ضرورة من الوزن فما الذى يمنع الجزم أن يظهر على الجواب فى كلام هو من لغة النهار والليل، وما علة تقدير الجزم ولماذا يقدر فى مثل : إن زرتنى أكرمك وانت تستطيع أن تقول أكرمك ؟

(٤) من أجل هذه العلة يقول سيبويه ومن تبعه ان «أكرمك» فى مثل هذه الصورة ليست هى الجواب بل الكلام على نية التقديم أى الأصل « أكرمك إن زرتنى » فالجواب محذوف . وفى هذا الرأى (وهو أقوى الآراء وأسدها) لا يقال ان جواب الشرط مرفوع . ثم إن فرقاً فى البلاغة بين قولك أكرمك ان زرتنى وقولك ان زرتنى أكرمك فلماذا يقلب سيبويه احدى العبارتين إلى الأخرى على حين قائلها لم يرد إلا وجهاً بعينه . وما هى ضرورة التقديم ما دام الكلام على السعة ؟

ومن أجل هذه العلة أيضا يقول الكوفيون والمبرد من البصريين أن (أكرمك) ليست هى الجواب والكلمة على تقدير الفاء؛ فالأصل إن زرتنى فأكرمك؛ وبهذا يكون الجواب جملة اسمية. ولكن ماهى ضرورة حذف الفاء وتقديرها فى وقت معاً والكلام ليس موزونا يختل معه الوزن إن ذكرت الفاء ، وقائلها لو أرادها لذكرها لأن الجملة من الكلام المبتذل الذى لا يراد منه شاهد فى البلاغة ؟ وهم قاسوا ذلك على مثل قوله تعالى : ومن كفر فأمتعه قليلا . ومن عاد فينتقم الله منه . ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً . ولكنهم غفلوا عن سر هذه الفاء فقاسوا عليها ذلك أمثال المبتذل

(٦) ويقول بعض من ذهبوا إلى أن سبب رفع الجواب تقدير الفاء إن هذه الفاء تقوم فى إفادة الربط مقام الجواب .... فيصح رفعه وترك جزمه استغناء عنه بالفاء ... وهذا كما ترى من الخلط

(٧) قال قوم من النحاة أن الكلام ليس على نية التقديم ،

---

١) ص ٢٢٩ — ٢٣١ ج ٢٨

العقـــــل ...

للأستاذ محمد محمود زيتون

بقية ما نشر فى العدد الماضى

امتاز القرن السادس عشر بنزعة التحليل ، ولعل « فرنسيس بيكون » كان حامل لوائها ، فهو فى القسم النقدى من « المنطق الجديد » Novum organum يصف ما يسميه « أصنام العقل » Idols of raison وهى أغاليط تنتاب العقل وتحول بينه وبين الصواب ويسميها بيكون : أصنام الكهف ، وأصنام السوق ، وأصنام القبيلة . وأصنام المسرح . ولكى يكون العقل منتجا لابد من هدم هذه الأصنام .

وجاءت فلسفة ديكارت ثمرة طيبة لثورة بيكون ، تأمل ديكارت فى نفسه وفيما حوله ، فشك فى كل شىء طائما مختارا حتى اهتدى إلى أول حقيقة هى « أنا أشك وأنا موجود » Cogito ergo sum . وعرف عن خاصية نفسه أنه « شىء يفكر » Res cogitens .

ورأى أن الناس سواء فى « العقل » Bon sens الذى هو أعدل الأشياء توزعا بين الناس ، ولكنهم متفاوتون فى الوصول إلى الحقيقة لاختلاف مناهجهم ، فاختط لنفسه « منهجا لإحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة فى العلوم » ولئن لم يصرح ديكارت بأن منهجه إنما قصد به القضاء على المنطق المدرسى العقيم إلا أنه ينم عن هذه النزعة الثائرة ، واستفاد حقا من المنطق المدرسى ومنطق بيكون والتحليل الهندسى جميعا .

وعلى كل حال فإن منطق أرسطو ، وأرجانوم بيكون ومنهج ديكارت كلها آلات تعصم مراعاتها من الوقوع فى الخطأ والزلل . وهذا اتجاه فكرى له أصالته فى تاريخ العقل من غير شك .

وما كان ديكارت — وهو المفكر الجرىء — بقادر على أن يهدم التراث الفكرى دفعة واحدة ، فقد اصطلحت عليه العوامل الدينية والواجبات المدنية والتكاليف الاجتماعية فلم يقدر على دحضها ، وإن كان قد مسها مسا هينا لينا . وبحسب العقل عنده

ولا على تقدير الفاء ولكن لما لم يظهر لأداة الشرط تأثير فى فعل الشرط لكونه ماضيا ضعف عن العمل فى الجواب . وهذا على مذهب أن فعل الشرط هو الذى يجزم الجواب وهو غير الرأى الذى عليه التحقيق إذ يلزم أن يكون الجواب معمولا لأداة الشرط لفظاً ولا تقديراً . والجزم وليس قوة ميكانيكية ... يبطل تأثيرها إذا انتهى إلى فاصل لا يتأثر بها فلا تتعدى إلى ما وراء هذا الفاصل . ثم أن فعل الشرط إذا كان مضارعا مبنيا كان كالماضى فى عدم ظهور الجزم فيه ومع ذلك لا يرفع الجواب بعده . فبطل هذا الرأى كله .

(٨) إن القرآن الكريم وهو أفصح الكلام لم يأت فى رفع الجواب مطلقا بل جاء بالعكس فى قوله تعالى : من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها . وقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها

فيخلص من كل هذا أن أقوال النحاة ساقطة كلها وأن الأساس الذى بنيت عليه من السماع مجهول لم يأت به أحد وأنه لم يفرق لأحد منهم عن علة مقنعة فى زعمهم رفع الجواب بل عارض بعضهم بعضا ، ومتى تعارضت الأقوال تساقطت . وأن الأصل الصحيح الذى بين أيدينا وهو القرآن الكريم ينكر هذه القاعدة فلم يأت بها ولا مرة واحدة وأتى بخلافها مراراً ، فكيف يكون التأويل بعد هذا وما هو الوجه الصحيح وكيف يدفع السماع الذى نصوا عليه وكيف يكون الدفاع عن هؤلاء النحاة وهم قد عجزوا عن البرهان القاطع ؟ » اه

هذا قليل من كثير من آراء شيخنا الرافعى رحمه الله فى الاجتهاد اللغوى نجتزىء به اليوم ولعل الله يعيننا على أن نأتى يوماً بكل آرائه وأن نحصى كل ما وصل إليه باجتهاده .

المنصورة محمود ابو ريه

أن يكون قوة الحكم الصحيح[1] أى القدرة على التمييز بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والجميل والقبيح بشعور داخلى تلقائى مباشر . وأيا ما كان من سلوك ديكارت فإنه فوض كل تفسير إلى الله ، وترجم بذلك عن روح مسيحى خالص .

ولقد سار على هذا النحو « بوسويه » Bossuet فهو يقول : « الفهم léntendement من حيث يبدع ويتداخل يسمى روحا esprit، ومن حيث يحكم ويوجه نحو الحق والخير والجمال يسمى عقلا raison أو jugement ، ثم إن العقل raison من حيث يجنبنا شر الإنسان الذى هو الخطيئة يسمى الضمير conscience »[2]

ويقول فى نفس الكتاب « العقل هو الذى أعطانيه الله لهدايتى » وموضوع هذا العقل الحقائق الباقيـة ، وهى فى الله بل هى الله ذاته ، ويذكر من هذه الحقائق الباقية : حقائق الرياضة وقوانين الحركة والأصول الأخلاقية . ويقول : إن هناك صلة وثيقة بين القانون والعقل ولا يمكن أن يوجد نظام بين الأشياء مالم يكن فى العقل هذا النظام الذى نستطيع أن نفهمه بالعقل فقط ، وما القانون إلا سبيل العقل وموضوعه المباشر » .

ويقول أيضا « نحن نتلقى توا وعلى الدوام عقلا هو أسمى منا كما نستنشق الهواء الذى هو غريب عنا » ويستطرد قائلا « كل منا يحس فى نفسه عقلا محـدودا ومتغيرا ، وهو لا يصحح خطأه إلا إذا اتصل بعقل أسمى كلى لا يتغير . أين هذا العقل السامى ؟ هو الله الذى أبحث عنه ، هو ذلك الموجود الكامل كمالا لا نهائيا يتمثل فى نفسى مباشرة عندما أدركه ، وذاته هى الفـكرة التى لدى عنه »[3]

وقد تأثر « فينيلون » Fénelon بكتاب « بوسويه » عن « وجود الله » وصبغ نظريته صبغة صوفية مثالية ، وبوسويه وفينيلون وملبرانش متفقون على أن كل صلة بين العقل والحق الخالد هى صلة مباشرة بين العقل الإنسانى والله . وليس يهمنا هنا ما كان بينهم من تفاوت تفريعى غير أن ملبرانش أنكر كل ما سوى الله ، وكأنه يقول بلسان عربى قويم « ألا كل شىء ما خلا الله باطل » ، فالله وحده هو الذى ندركه مباشرة وهو مصدر الحقيقة ، ومحل المعانى ، وحينما نفكر بوضوح وجلاء أو بلغة ملبرانش حينما « نصلى صلاة طبيعية » نكون فى الله ونراه . فيه انطوى العالم المعقول .

ويقسم « سبينوزا » Spinoza المعرفة إلى أنواع أربعة : سمعية ، وتجريبية ، وحدسية ، وعقلية . والمعرفة العقلية هى المعرفة الحقة لأنها لا تعتمد على الأفكار العامة، وإنما تعتمد على خواص مشتركة يمكن تجريدها من كل تجربة حسية كالامتداد والشكل والحركة . ووظيفة العقل هى أن يعمل على ربط الأشياء بهذه العناصر المعقولة ، والعقل قابل passive إن كان تحت تأثير الحس والتخيل ، وفاعل active إن كان يولد حركة الطبيعة من الفـكر الإلهى الذى عنه يصدر كل شىء .

وحين يعترف « ليبنتز » Leibnitz بالمبادىء الفطرية يستلزم التجربة قبل أن يصل ما لدينا بالقوة إلى الفعل ، أى بأسبقية التجربة الحسية على التعقل .

أما « لوك » Locke فقد عارض مذهب المعانى الفطرية ، وانعكس على نفسه ، وبالقياس التمثيلى انتهى إلى فـكرة عقل خالق ، وبتوسيع معانى القوة ، والدوام والعلم والقدرة إلى مالا نهاية ننتهى إلى تـكوين فـكرة عن الله . العقل عنـده هو ملـكة التجريد التى نيست للحيوان . وأوضح ما نستدل به على معنى العقل عند « لوك » قوله « إن القوة التى تـكتشف الوسائل وتطبقها على صواب لكى تكتشف الحقيقة فى إحداها ، والاحتمال فى الأخرى ، تلك القوة هى مايسمى : العقل Raison »[1]

ويضع للعقل أربع درجات :

الدرجة الأولى وهى أرقاها : اكتشاف الحقائق .

الدرجة الثانية : الميل إلى ترتيب هذه الحقائق ترتيبا منهجيا لتحقيق قوتها والصلة فيما بينها وإدراكها فى وضوح ويسر .

الدرجة الثالثة : إدراك هذه الصلة .

الدرجة الرابعة : عمل النتيجة الصحيحة .

وهذه الدرجات كما يقول « لوك » يمـكن مشاهدتها فى البرهان الرياضى ، ثم هو يجعل الأشياء بالنسبة للعقل ثلاثة : —

١ — أشياء وفق العقل : كالقضايا التى نكتشف صدقها

1. La mèthode
2. Traité de la connaissance de Dieu et soi-mème
3. Traité de l'existence de Dieu.

1. Essay concerning the human understanding.

باختيارها وبتتبع الأفكار التى لدينا عن الحس والتفكير ، وبالاستدلال الطبيعى تكون إما حقيقية أو محتملة .

٢ — أشياء فوق العقل : وهى القضايا التى صدقها أو إمكانها لا نستطيع استنتاجه من هذه المبادىء .

٣ — أشياء ضد العقل : وهي القضايا التى تتنافى مع أفكارنا الواضحة . وعليه يكون وجود إله وفق العقل ، ووجود أكثر من إله ضد العقل ، وبعث الموتى فوق العقل .

وقد عنى «هيوم» D. hume بالمعرفة الإنسانية ، وعالج الشك واليقين ، وأنكر العلية التى ليست فى نظره غير عادة عقلية ، وبذلك تبنى الحركة الإلحادية بطريق فلسفى سيكولوجى .

أما « كانت » Kant الذى أيقظه « هيوم » من سباته ، فكان أول ناقد منظم للعقل ، يقول « أقصد بالعقل كل ملكة سامية للمعرفة . »[1] والعقل النظرى والعملى عنده هو « صورة العمومية » أما الفهم l'entendement فإنه ينتج عن الأول باتصال هذه الصورة بالمكان والزمان والحدس الحسى .

وللعقل خاصية اللانهائى ، وللحدس خاصية النهائى ، وبذا يميز بين العقل والفهم تفرقة هى عمود المذهب العقلى عند كل من « كانت » و « هيجل » .

وكما أن العقل هو القوة السامية التى تؤلف بين المدركات الذهنية ، كذلك الفهم يؤلف بين العناصر الحسية ، وهو يعرف العقل فى مواضع مختلفة من « نقد العقل النظرى » بأنه القدرة على التفكير وبأنه القدرة على الحكم . العقل إذن هو قوة المطلق الذى لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا إنسان ولا فلك . أما صلة العقل بالأشياء فليست إلا اننا نبحث عن سبب قوانين الأشياء فى العقل ، ولا نبحث فى الأشياء عن قوانين العقل .

ولقد وجد كل من فخت Ficht وشلنج Shelling وهيجل hegel من نقد « كانت » وفلسفته إلى القول بالأنا المطلق Absolute ego حين أنكروا الأشياء ما داموا لا يعرفون عنها شيئا . الأنا المطلق هذا هو مصدر اليقين ، والعقل بالتجريد يحصل على الشعور بالأنا المطلق باعتباره الحقيقة الوحيدة ومبدأ المبادىء . وزاد « شلنج » بألا فرق بين الشىء والشخص ولابد بين المعرفة والوجود ، كل شىء متضمن فى العقل متحد بالمطلق ذاته ، ومنه يستنبط كل شىء ، وظيفة العقل هى العلم المطلق ، وقال « التفلسف فى الطبيعة هو خلق الطبيعة » .

ويقول « هيجل » بأن مقولات الفهم تتناقض إذا ما أريد تسويتها بالعقل ، فإذا تغير الفهم كان للعقل أن يحدد اتجاه هذه التغيرات كما يحدد التغيرات التى فى قواعد الأخلاق ، ثم هو لا فرق عنده بين الميتافيزيقا والمنطق ، بين الواقع والمعقول .

ويقول « فيكتور كوزان » V.Cousan فى كتابه « الحق والجمال والخير » ما يأتى « نحن نتوصل إلى حكم خلو من أى استدلال وإلى بداهة مباشرة هى البنت الشرعية لقوة الفكر الفطرية كإلهام الشاعر ، وبراعة البطل ... وما الاستدلال إلا مسرح المعارك يسببها العقل بالشك والسفسطة والخطأ ... ولكن فوق التفكير علم من النور والسلام ، فيه يدرك العقل الحقيقة من غير أن يدور حول نفسه ، وبهذا وحده تكون الحقيقة حقيقة ، وذلك لأن الله قد خلق العقل لندرك به كما خلق العين للنظر ، والأذن للسمع » . والعقل عنده تلقائى وغير شخصى ، وإذا كان قوة فردية كان حرا كالارادة ، أو متغيرا ونسبيا كالحواس ، وما العقل التلقائى إلا الإلهام .

أما « رافيسون » Rovisson فقد وحد بين العقل والشعور ، بين مبادىء المعرفة ومبادىء الوجود ، وجعل للشعور قوة ميتافيزيقية بينما سبقه « مير دى بيران » Maire de Beran إلى أن الشعور يعطينا معنى السبب الذى يصير مبدأ للسببية .

ويعرف « كوليردج » Coleridge العقل بأنه « قوة اليقينيات الكلية الضرورية ، ومصدر وجوهر الحقائق التى هى أسمى من الحس بعد حصولها على الجلاء فيما بينها » .

أما « برجسون » Bergson فقد ميز بين العقل والغريزة وافترض تشابها بين الغريزة والحدس ، هذا الحدس غريزة مفكرة إذ يقول : « ان الحدس يقودنا إلى صميم الحياة نفسها ، وأقصد بذلك أن الغريزة وقد أصبحت مفكرة ومنفعلة قادرة على الانعكاس على موضوعه وتوسيعه إلى غير حد » [1]

---

1. Critiqu dee la raison puer

1. GVolution creatrice

وبرجسون فى معالجة السيكولوجية للجهد العقلى قد فتح بابا جديدا لمعرفة خصائص العقل عن طريق الكشف عن وظائفه .

وثمت مدرسة الأمريكان أصحاب « البرجماتزم الذين رفضوا العقل كوسيلة للحقائق ، وكأداة للمعرفة ، رفض « هربرت سبنسر H.spencer » كل فكرة ليس لها صورة حسية فأنكر الحرية والاختيار كمان عقلية ، وجاء « برس Ch. Pieree » ورفض كل فكرة غير صالحة للعمل ، وما الفكرة عنده إلا مشروع لعمل وليست فى ذاتها حقيقة ، ثم زاد عليه « وليم جيمس W. James » بأن كل عقيدة تؤدى إلى نتيجة مرضية فهى مقبولة وتوسع فى دائرة النتيجة الحسنة فاتخذ من العقل وسيلة للمحافظة على الحياة أولا ، وتنميتها واطرادها ثانيا وإذا بالانجليزى « شيلر » يتخذ من الإنسانية مقياسا لصحة الفكرة .

هذه لمحة خاطفة طرقنا بها أبواب المدارس الفلسفية ، ومنها تبين لنا أن صرخة سقراط لم تذهب مع الريح ، بل وجدت أصداءها بين الفلاسفة فى شتى العصور ، ولكل وجهة هوموليها

أما رجال الدين ، فالعقل عندهم وسيلة لمعرفة الله ، التى « بالعقل تحصل وبالسمع تجب » . وما كان رجال الدين ليرفعوا من قيمة العقل حتى يطغى على الوحى الذى هو مصدر العلم اللدنى. ومعنى العقل بوجه عام هو مجموع الملكات الروحية من فكر وعاطفة وارادة ، فنى القرآن الكريم : العقل والقلب مترادفان ، وقد ورد فى الإسلام أن العقل حجة الله على عباده ، ودل القرآن على أن هذا العقل أمانة عرضها الله سبحانه على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا . هذه الأمانة هى العقل ، وكل أمانة لاشك عبء لا يتحملها إلا كل نبيل ، وإن كان فى تحملها ظلم لنفسه ، وجهل بما قدر له خلف الحجاب ...

ولا قيمة للعقل عند المتصوفين عامة ، لأنه وسيلة العوام ، أما خير وسيلة فهى الحدس والكشف ، فلا بد من رياضة النفس وأخذها بالمجاهدة والتجرد حتى تتصل بالمنبع الأصلى وهو الله .

سئل « ذو النون المصرى » كيف عرفت ربك ؟ فقال « عرفت ربى بربى ، ولولاربى ماعرفت ربى» وقال « أبوالحارث المحاسبى » فى كتابه المخطوط « مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه » ما نصه « إن العقل عند الله تعالى لا غاية له لأنه لا غاية لله عز وجل عند العاقل بالتحديد بالإحاطة بالعلم بحقائق صفاته ولا بعظيم بقدر ثوابه ولا عقابه»

وثمت جانب هام فى التصوف هو اعتبار النفس الانسانية سرا وكل سر لا سبيل إلى معرفته أوالتعريف به إلا باللغز ، ومن هنا كانت الكتب الرمزية مثل «حى بن يقظان » لابن طفيل و «سلمان وأبساله» التى ترجمها فن اليونانية «حنين بن إسحاق» ورسالتا « الطير » لابن سينا والغزالى ، و « غربة الغربية » للسهروردى ، ولقد امتزج فى هذه الرمزيات العقل والروح والعمل والوحد .

والأخلاقيون اعتمدوا على معرفة النفس وقواها فى كسب الفضيلة وهجر الرذيلة ، واتخذوا من العقل مقياسا للأحكام الخلقية ، ورتبوا عليها الأوامر والنواهى . ويعتبر « كانت » أول عالم أخلاقي صميم فى تمييزه بين الأحكام المعللة ، والأحكام المطلقة التى لا تتعلق بقوالب الزمان والمكان ، وإنما هى من شأن العقل المطلق ، ولا شك فى أن هذه نزعة مثالية إلى أبعد حد مردها الأخير إلى العقل لأنه وسيلة الحكم على السلوك بالخير والشر والقبح والجمال .

ورجال الاجتماع فطنوا إلى وجود روح هى نتيجة تفاعل الأفراد والجماعات ؛ وهذه الروح خاصيتها أنها ملكة التقويم الاجتماعى وتسمى فى عرفهم « العقل الجماعى

وزعيم هذه الفكرة « دوركيم » صاحب المدرسة الاجتماعية الفرنسية الحديثة .

ورجال السياسة نظروا إلى الحاكم نظرتين مختلفتين: الذكاء والدهاء . فافترض بعضهم فى الحاكم أن يكون ذكى القلب حسن التدبير ، بصيرا بالأمور النظرية والعملية وافترض البعض الآخر أن يكون الحاكم داهية مراوغا مصانعا غير عابىء بالأوضاع المرسومة إذ الغاية تبرر الواسطة ، هذه هى السياسة الميكافيلية المعروفة فى كتابه « الأمير »

٣٤٥٤٠

ومن فلاسفة الاجتماع السياسى « منتسكيو » الذى كاد يتفق مع ابن خلدون على وجوب اشتقاق القوانين من « روح القوانين » (١) وهو ما قال به أيضاً « جوستاف ليبون » .

وثمت مدرسة تعاونت على تفهم العقل كاسكة إنسانية لها قيمتها . فاستعانوا بالتشريح على هذه الغاية فعرف البيولوجيون الجهاز العصبى فى نشوئه وارتقائه ، ووقفوا على تكامله الداخلى والخارجى ، وتتبعوا الأمخاخ فى كل الفصائل الحيوانية حتى عرفوا مراكز المخ ، وبذلك ساعدوا رجال علم النفس على رد أنواع السلوك إلى مراكز كانت من قبل وهماً وضرباً من التخمين. غير أن علماء النفس لم يهتموا بالعقل إلا على أنه ملكة الإدراك العام، ودرسوه باسم Intelligence

أما الفيزيقيون فقد استقرأوا الظواهر وتوصلوا إلى قوانين ضرورية ثابتة هى غاية مايطمح إليه العقل البشرى ، وهم بوسائلهم المعروفة فى النظر والتجريد والاستدلال أعانوا على كشف الحياة والسيطرة عليها ؛ غير أنهم لا ينكرون الفكرة السعيدة التى تأتى الواحد منهم فى ساعة التجلى والتجرد فيلهم الجواب على المشكلة التى طالما عصر من أجلها ذهنه ، كما أتاحت لنيوتون فرصة كشف قوانين الجاذبية ، وكما اكتشف أرشميدس قانون الضغط إذ هو فى الحمام .

أما أهل الفن فقد نظروا إلى الناحية الوجدانية من النفس الانسانية دون الجوانب الأخرى فعبروا عن أصداء الحياة فى النفس تعبيرات شتى بالتصوير والنحت والنقش والموسيقى والغناء والشعر . وكل واحد يتمنى لو طار بجناحين إلى ذلك الوادى الذى يومض إليه من حين إلى آخر بومضات ينفذ إليها الخيال مسترقاً ما يستطيع من روائع الفن وآيات الجمال .

وبعد : فهل للعقل وجود حقيق ؟ لا شك أنى موجود ، ولا شك أيضاً فى أنى أعرف أنى موجود . وهل معرفة من غير عقل ؟ قد يقال إن الحيوان يعرف أنه موجود ، فهل معنى ذلك أنه ذو عقل ؟ نقول : لو ظل الإنسان كالحيوان فى مجرد معرفته الواهمة — كما يقول ابن سينا — لما زاد عليه شيئاً . وإنما الإنسان يعرف ويعرف أنه يعرف ، ولا كذلك الحيوان .

(١) راجع فى الرسالة مقالنا: القوانين والمجتمع فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩

ولكن إذ نحاول معرفة هذا العقل نحن نرجع إلى العقل . أليس فى ذلك دور كما يقول المناطقة : نريد أن نعرف ما لا نعرف بهذا الذى لا نعرف . نحن إذن واهمون فى هذه الحياة ، وكل ما لدينا من معرفة هو أننا واثقون من هذا الذى نحن فيه واهمون .

ومع هذا فإن العقل يدعى معرفة الحياة وماوراءها ويدعى الحرية والطلاقة ، أليس فى هذا مرة أخرى دليل على أن العقل كلما ازداد وثوقاً بنفسه ازداد وهماً لو كان لدينا محك للنظر لاستطعنا التخلص من هذا الوهم ، ولكن شاء العقل أن يتوهم من نفسه مقياساً على نفسه . ولو أن الغزالى عرف سبب حيرته ما بقى فى حيرة كما يقول فى « المنقذ من الضلال » ، ولكن يجب على العقل أن يعرف حدود نطاقه فلا يتعداها ، وما أشبه العقل — كما يقول ابن خلدون — بميزان الذهب فى دقته ، فهل من العقل أن يتخذ هذا الميزان المرهف الحساس فى وزن الجبال ؟ كذلك يجب ألا يتطاول العقل على الآفاق الألاهية فيدعى معرفتها ويقتحمها فى ادعاء صارخ .

اصطحب موسى الخضر فعلمه ثلاثاً هى فى حدود العقل مرذولة ولكنها فى علم الله غير ذلك ، وحسب الإنسان « رضية فكرية » تطمئنه فى مجاج الحياة ، فلئن هفا إلى ما فوق الحياة فلن يكون كموسى عليه السلام إذ تجلى ربه للجبل فخر موسى صعقاً .

محمد محمود زيتون

«كذلك» فى القرآن الكريم

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

وردت «كذلك» فى القرآن الكريم ، فى أكثر من مائة موضع . ولوجود الكاف ، وهى للتشبيه ، فيها ظن كثير من العلماء أنها لا تكون إلا للتشبيه ومضى فى كل آية وردفيها هذا التعبير ، يبين التشبيه فى الجملة ، وفى كثير من الأحيان لا يبدو معنى التشبيه واضحا ، فيتلمس مقوماته ، ويتكلف تفسيره تكلفا . يوحى بضآلة هذا التشبيه ، وأنه لم يزد المعنى جلاء ، وهو الغرض الأول من التشبيه .

وقد تتبعت هذه العبارة فيما وردت فيه من الآيات ، فوجدتها أكثر ما تأتى لمعان ثلاثة :

أولها التشبيه ، وذلك عندما يراد عقد الصلة بين أمرين ولمح ما بينهما من ارتباط ، وهنا يؤدى التشبيه رسالته فى إيضاح المعنى وتوطيده فى النفس ، نجد ذلك فى قوله تعالى : «وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت ، فأنزلنا به الماء ، فأخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون» ؛ فالصلة وثيقة بين بعث الحياة فى الموتى ، وبين بعث الحياة فى الأرض الميتة ، فتنبت من كل الثمرات . وإن فيما نراه بأعيننا من هذه الظاهرة الطبيعية التى نشاهدها فى كل حين ، إذ نرى أرضا ميتة لا حياة فيها ، ثم لا يلبث السحاب الثقال أن يفرغ عليها مطره ، فلا تلبث أن تزدهر ، وتخرج من كل زوج بهيج — إن فى ذلك لما يبعث فى النفس الاطمئنان إلى فكرة البعث ، والايمان بها ، فلا جرم انعقد التشبيه بين البعثين ، وزاد التشبيه الفكرة جلاء .

واقرأ قوله تعالى : «إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ، إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك ، فأصبحت كالصريم ، فتنادوا مصبحين ، أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين ، فانطلقوا وهم يتخافتون ، ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ، وغدوا على حرد قادرين ، فلما رأوها قالوا : إنا لضالون ، بل نحن محرومون ، قال أوسطهم : ألم أقل لكم لولا تسبحون ، قالوا : سبحان ربنا ، إنا كنا ظالمين ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين ، عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ، كذلك العذاب ، ولعذاب الآخرة أكبر ، لو كانوا يعلمون» ، أرأيت أصحاب هذه الجنة وقد أقسموا أن يستأثروا بثمر جنتهم ، وأن يجنوا ثمارها مبكرين فى الصباح ، ولم يدر بخلدهم الاستعانة بالله فى عملهم ، وبينما هم يستعجلون قدوم الصباح ، ويحلمون بالثروة التى ستدرها عليهم حديقتهم ، طاف على تلك الجنة طائف أباد ثمرها وهم نائمون ، وفى بكرة الصباح أسرع بعضهم ينادى بعضا أن الخير فى البكور ، فانطلقوا لا تكاد تسمع لأقدامهم وقعا ، يتهامسون وهم يتحدثون ، كى لا يسمع مسكين صوتهم فيتبعهم ، ولقد وصلوا إلى حديقتهم ، واطمأنوا إلى أنهم سيقدرون على إحراز غلتهم . ومنع المساكين منها ، فراعهم إلا أن وجدوا أشجارهم بلا ثمار ، وجنتهم جرداء مقفرة ؛ هنالك ملأ الندم قلوبهم ، وأخذ بعضهم يلوم بعضا ، يتحسرون على أمل قد ضاع ، وعلى ما اقترفوه من ظلم وطغيان . أرأيت هذا العذاب الذى صار إليه هؤلاء القوم ، عذاب من فقد أمله ، وقد كان قريبا من يده ، وعذاب من يؤنبه ضميره على جرم اقترفه ، وقد رأى جزاءه أمام عينيه . ألا ترى أن هذا العذاب النفسى الأليم جدير بأن يكون مثلا ينذر به الله كل من يتصرف تصرف أصحاب هذه الجنة .

وهى أيضا للتشبيه فى قوله سبحانه : «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ؛ تبتغون عرض الحياة الدنيا ، كذلك كنتم من قبل ، فمن الله عليكم ، فتبينوا» ، وقوله تعالى : قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون» وما على نسق هذه الآيات ، مما تنعقد فيه الكاف صلة بين أمرين .

وتأتى كاف «كذلك» فى كثير من الآيات بمعنى مثل ، فى قولك : مثلك لا يكذب ، تريد : أنت لا تكذب ، وفائدة مجىء مثل الاشارة إلى أن من له صفاتك لا يليق به أن يكذب . نجد ذلك فى مثل قوله تعالى : «ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتا من أنفسهم ، كمثل جنة بربوة ، أصابها وابل ، فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير ، أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ، تجرى من تحتها الأنهار ، وله فيها من كل الثمرات ، وأصابه الكبر ، وله ذرية ضعفاء ، فأصابها إعصار فيه نار ، فاحترقت ؛ كذلك يبين الله لكم الآيات ، لعلكم تتفكرون» ،

فالمعنى على أن الله يبين الآيات ، ذلك البيان الجلي الواضح المؤثر ، لعله يثمر ثمرته ، فيدعو سامعيه إلى التفكير والتدبير ، ذلك هو ما أفهمه من هذا التعبير ، ولا أفهم أنه يريد أن يبين آيات غير هذه الآيات ، بيانا يشبه بيان الآيات السالفة ، وإذا أنت حاولت عقد التشبيه على حقيقته ، رأيت فيه تفاهة وقلة غناء . وخذ قوله تعالى : « إن الذين كذبوا بآياتنا ، واستكبروا عنها ، لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وكذلك نجزي المجرمين » ، فليس المراد - على ما يظهر لي - أن المجرمين يجزون جزاء يشبه الجزاء الموصوف في الآية الكريمة ، وإنما يجزون هذا الجزاء نفسه ، من غلق أبواب السماء في وجوههم وأنهم لا يدخلون الجنة أبدا . واقرأ قوله تعالى : « تلك القرى نقص عليك من أنبائها ، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » ، تر المراد أن الله يطبع على قلوب الكافرين ، ذلك الطبع الذي يحول بينهم وبين الايمان بما كذبوا من قبل . وإذا أنت حاولت عقد تشبيه ، لم تجد فيه كبير غناء ، إذ يصير المعنى ، يطبع الله على قلوب الكافرين طبعا يشبه طبعه على قلوب الكافرين وفي ذلك ما فيه من ضياع قيمة التشبيه .

فمن هذا يبدو أن التشبيه في هذه الآيات وأمثالها غير ملحوظ ، وإنما يراد توجيه النظر إلى ما سبق هذه الأداة فحسب ، وتأتي الكاف حينئذ إشارة إلى أن ما ذكر في الآيات وأشير إليه ، قد بلغ من الكمال مبلغا عظيما لدرجة أنه صار نموذجا كاملا ، يمكن أن يتخذ مثالا ، يشبه به سواه ، فقد أفادت الكاف بلوغ المعنى تمامه .

وتأتي « كذلك » أيضا لتحقيق المعنى وتثبيته ، ولا يبدو فيها التشبيه ، كما تجد ذلك في قوله تعالى : « قالت : أنى يكون لي غلام ، ولم يمسسني بشر ، ولم أك بغيا ، قال : كذلك ، قال ربك هو علي هين ، ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا » .

ومحاولة خلق تشبيه من هذه العبارة لا يؤدي إلا إلى التكلف والتفاهة معا . ويقدر بعض العلماء في مثل هذا التركيب أن كذلك خبر لمبتدأ محذوف تقديره الأمر كذلك ، ونحن نوافق على هذا التقدير وليس في كذلك تشبيه هنا ، وإنما المراد : الأمر هو ما أخبرت به لا ريب فيه ، ومن « كذلك » هذه التي للتحقيق والتوكيد ، تولدت كلمة « كده » في اللغة العامية للدلالة على التحقيق أيضا ، ونحن نستخدمها في ذلك المعنى عند ما نقول : الحق كذلك ، تريد الحق والصواب هو ذلك ، ولعل السر في المجيء بكاف التشبيه هنا هو بيان تمام المطابقة بين الحقيقة الخارجية والحقيقة الكلامية ، أي أن ما يكون في الواقع يطابق ما دل عليه الكلام .

تفيد « كذلك » التحقيق إذا كونت هي ومبتدؤها جملة مستقلة كما في الآيتين السالفتين وما على شاكلتهما . وتفيد التحقيق وتأكيد الجملة في غير هذا الموضع أيضا ، ويكثر ذلك عند ما يليها فعل ماض ، كما في قوله تعالى : أو من كان ميتا فأحييناه ، وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ، وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ، ليمكروا فيها ؛ وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون » ؛ فلا تجد للتشبيه موضعا في هذه الآية ، وإذا أنت حاولته وجدته لا يغني في التصوير شيئا ، « وكذلك » هنا تؤدي معنى « قد » ولها أمثلة كثيرة في القرآن ، كقوله تعالى : فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون . كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » ، وقوله تعالى : ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين » ، « وقوله تعالى : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ، كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك » ، وربما جاءت افادتها للتحقيق من كثرة مجيئها لبيان التطابق فتنوسي ذلك التطابق ، واستعملت في لازم معناها الأصلي الذي تنوسي .

واستعمال « كذلك » للتحقيق والتوكيد ، لا يقل عن استخدامها في التشبيه ، وكثير من المفسرين يتكلف جعلها في تلك المواضع أيضا للتشبيه ، فيتمحل ، ويمضي في تأويلات لا نصيب لها من البلاغة ، وقوة الفن .

ومما ذكرناه يبدو أن تلك العبارة لا تقف عند حد التشبيه ، بل لها هذه المعاني الثلاثة التي شرحناها .

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم

منزلة العبقرية الدينية بين العبقريات

للاستاذ محمد خليفة التونسى

— ٢ —

وإذا مضينا فى اتخاذ المقياس السابق : وهو تمييز العبقرية بآثارها التى من شأنها أن تؤثرها فى الناس سواء أظهرت هذه الآثار أم لم تظهر فعلا — لكى نميز بين عباقرة العقائد — لوجب أن نضع فى الصف الأول عباقرة العقائد الدينية وهم الأنبياء ، لأن آثارهم فى المجتمع وصلاتهم به من الوجوه الستة التى فصلناها قبل أوضح وأعمق واشيع مما هى عند غيرهم من عباقرة العقائد . وفوق ذلك فإن وضع امتيازهم يختلف عن وضع غيرهم من العباقرة :

١ — فالنبى حين يعلم الناس عقيدته الدينية ، ويفجر فى نفوسهم بواعث الإيمان بالروابط التى تربطهم بالكون وما وراءه ، فتتفجر معها كل البواعث فى بنية النفس الإنسانية — يبدو كأنه روح جبار تجسد لتخليص أرواح الناس من ضعف البشرية المطبق عليهم ، ويظهرون هم بإيمانهم كأنهم مردة ولدوا ولادة جديدة ، وهذا التغير الشامل لا تحققه إلا العقيدة الدينية .

٢ — والملكات اللازمة للدخول فى العقيدة الدينية هى الملكات النفسية المفرطة فى العادية ، وليست كذلك الملكات اللازمة مثلا لقبول العقائد الفنية أو الفلسفية أو الصوفية ونحوها ، ومن ثم كان من شأن العقيدة الدينية أن تلقى من الرواج بين النفوس أكثر مما يلقى غيرها ، وكانت العقائد الدينية موجهة إلى الكافة لا إلى طبقة ولا فئة خاصة ، لأنها فى مداخلها البسيطة إنما هى دعوة إلى تسليم وسلوك بسيطين ، لا عويص فيهما على العقول ، ولا مشقة فيهما على النفوس ، وبخاصة إن كانت الدعوة إليها فى بدء أمرها على يد عبقريها الأول الذى جاء بها ، فهو يملك من أمرها ويملك من صياغتها فى الصورة المناسبة للطبائع والقوى والأموال مالا يملك القائمون بها بعده ، كما أنه يفهم الطبائع والقوى والأموال خيراً مما يفهمها القائمون بها بعده . فهذه فروق ثلاثة بين حال المؤسس وحال التابعين ينبغى الإلتفات إليها هنا .

ولكن ليس معنى أن مداخلها بسيطة ، وأنها دعوة إلى تسليم وسلوك بسيطين ، وأنه لا عويص فى فهمها ولا إحساس بثقل فى حمل تبعاتها ، وأنها موجهة إلى الكافة — أنها لا تصلح للممتازين ، فإن من وراء مداخلها البسيطة آفاقاً سامية من الشعور والذوق والفكر لا يعيها إلا الممتازون ، وفيها لهم شاغل ورضا .

٣ — والداخل فى العقيدة الدينية يرى نفسه صورة مصغرة من النبى له كل حقوقه وعليه كل واجباته ، غير دعوى النبوة ، وخليفة الله فى أرضه بين عباده ينطق لهم بلسانه ويبلغهم رسالاته وفى ذلك ما فيه من عزاء لنفسه مهما تكن مواهبه تافهة ، وإرضاء لكبريائه ، واشباع لغروره ورضاء عن نفسه ، فهو يشعر بأنه ندفيها وفى امتيازاتها والتعصب لها والغيرة عليها ، والدعوة إليها لأعظم المنتسبين إليها حتى النبى ، وله بعد ذلك مكافآتها فى الدنيا ، وثوابها فى الأخرى ، وليس ثواب أعظم من الثواب الموعود به فى العقائد الدينية ولا سيما الثواب الأخروى .

٤ — وإذا كان صاحب العقيدة بعامة لا يشعر ولا يفكر ولا يعمل فى معزل عن الجماعة ، ولو كان خاليا بنفسه ، وفى ذلك ما فيه مما وضحناه قبل ، فصاحب العقيدة الدينية بخاصة إنما يشعر ويفكر ويعمل وهو على أوثق الصلات بالجماعة وبالكون كله وبما وراء الكون أيضا ، فالداخل فى العقيدة الدينية يشعر ويفكر ويعمل وهو مستند إلى الله ، مراقب له ، مطمئن إليه ، منفذ لأمره ، مهتد بهديه ، مستغرق فى حبه ، فان فيه . هذا إلى صلاته القوية بالمجتمع الذى يظهر فيه ، ونظرته إليه نظرة شاملة ، وإحساسه به إحساسا عاما . والعقيدة الدينية تربط الجماعة أقوى مما تربطها عقيدة أخرى ، وتشعر الإنسان بروابط أقوى وأكثر مما تشعره عقيدة أخرى ، ومن ثم كان صاحب العقيدة الدينية أشد شجاعة واطمئنانا وأعظم استعدادا للبذل والمفاداة ، وأصبر على احتمال المشقات ، وأدق فهما لغايته منهجه من كل من عداه ولو كان من المعتنقين لعقيدة أخرى وطنية أو عنصرية أو سياسية ونحوها . فهو لا يحس بالوحشة ولا القلق ولا الضعف ولو تبرأ منه جسمه الذى يلبسه ، أو قدم روحه فداء لعقيدته ، فهو يستشهد وعلى فمه ابتسامة النصر ، وفى قلبه فرحته .

٥ – والنبي في وعيه البديهي للنفس الإنسانية خوافيها وظواهرها، وتقديره لكل شيء فيها قدره يبدو كأنه روح سرمدي وعى إبداع لله إياها، وتقديره أقدارها، ووعى إبداع الله الحياة كلها، وتقديره لكل شيء فيها قدره، فلا تخفى عليه خافية من جانب ولا وظيفة لجزء في النفس ولا الحياة، فلا جهل بشيء، ولا جهل بطاقته ولا بوسائل استثارته، ولا خطأ في تقدير حق ولا في التشريع له، ولا تضارب بين التقديرات والتشريعات المختلفة أشد الاختلاف. فالنبي – يشرع للنساء والأطفال وهو رجل، وللمستعبدين وهو حر، وللضعفاء وهو قوي، وللقاصرين وهو رشيد، ولكل الطوائف والمراتب الذين ليسوا من طائفته ولا مرتبته كأحسن ما يمكن أن يشرع هؤلاء المختلفون عنه لأنفسهم لو وكل إليهم التشريع لأنفسهم والتزموا ما يلزم من الحزم والعزم والعدل والضبط والتوفيق بين وجهات النظر المختلفة لشتى الطوائف في شتى الدرجات. فهو إنسان كامل له أن يحس بكل ما يحس به كل إنسان وأن يفكر فيما يفكر فيه كل إنسان مهما اختلف عنه في خلقه وتفكيره وشعوره وطاقته على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

٦ – والنبي – في شخصيته القوية الشاملة وسيرته العالية وأقواله النابغة يبدو كأنه روح جبار تجسد ليطبع الناس على صورته طبعا لا فكاك لهم منه، ويظل ماثلا للناس حتى بعد موته كأنه خالد لا يموت، وكأن كل إنسان من أتباعه صورة مصغرة ناقصة له فيما يأخذ به نفسه في شخصيته وسيرته وأقواله وهو يحتذي نبيه سواء أكان بين الناس أم كان خاليا بنفسه، وكأنما النبي رقيب عليه ملازم له يحصي كل أعماله وأقواله ونياته.

وكأنما النبي فيما يكشف للناس بشخصيته وسيرته يكشف لهم من ناحيتين متقابلتين أوسع وأسمى ما يمكن أن تمتد إليه الإنسانية حتى تتصل بالسماء، وأضيق وأدنى ما يمكن أن تنكمش إليه حتى تتصل بالأرض، وفيه تنكشف لهم الصلة كلها من أقصى طرفيها بين السماء والأرض، أو بين الله والإنسان وأمثاله من الأحياء. وبانكشاف هذين الجانبين ينداح الأمل من جانب أمام أصاغر الناس حتى لا يفقدوا ثقتهم بأنفسهم ولا ييأسوا من روح الله، كما يتقاصر الغرور والكبرياء من جانب أمام أعاظم الناس حتى لا تبلغ بهم الثقة بأنفسهم حد التأله وعدوان الحدود البشرية، والاستعلاء على غيرهم من البشر فيخسروا بذلك أنفسهم ويخسرهم المجتمع. فالنبي يحمي كل صغير من السقوط إلى حيث يتحطم، ويحمي كل عظيم من التحليق إلى حيث يضيع ويتبدد، كما تحفظ جاذبية كل كوكب ما عليه من أجسام.

٧ – والامتياز مثار الحسد والحقد، ولا سيما الامتياز الذي يكون مرجعه اختلاف عنصر الممتاز عن غيره، فهو امتياز لا أمل في مثله مهما أسرف طالبه في الجد والمثابرة، لأن الامتياز لاختلاف العنصر موجب للغربة والبعد بين الممتاز وغيره فيما لا حيلة لهما فيه من الطبائع والأمزجة والمشاعر وغيرها مما لا يقبل التغيير.

وإذا كان امتياز الأنبياء من هـــذا القبيل الذي يستلزم بطبيعته إثارة أشد الحسد والحقد إلا أن وضع النبي يختلف عن وضع غيره من العباقرة

فالعباقرة مشغولون غالبا بإخراج آثار عبقرياتهم عن مزاحمة الناس على مناعم الحيـاة ولذائذ الدنيا. وما من عبقري يشغله ما يشغل غير العباقرة وزين له كما زين لهم « حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث » لأن له في تحقيق رسالته المستمدة من عبقريته شاغلا يستغرق كل اهتمامه أو يكاد، عن كل هذه المطامع العارة التي تستغرق كل اهتمام من لم توكل إليهم رسالة من رسالة الغيب، وقد تذهل العبقري رسالته عن أموره الخاصة، فيزهد في كل ما في أيدي الناس مما لا يعنيهم غيره. وفي هـذا الزهد ما يخفف حسد الناس وحقدهم على العباقرة، بما يتركون لهم من التفوق عليهم في الأمور التي تعنيهم، وعدم منازعتهم إياهم في ميادينهم التي تستلفت كل اهتمام، ولا حيلة لهم ولا مطمع في التبريز إلا فيها كجمع الأموال واقتناء العقار والقبول عند النساء وترف المعيشة وتحصيل العلوم ونحو ذلك مما يخرج عن نطاق الرسالة وليس ركنا فيها ولا شرطا من شروطها، وقد ينزلون عن أملاكهم وسلطانهم، وفيهم من كان ملكا فعدل عن أن يسوس رعيته سياسة الملوك، وساسهم سياسة الأب أبناءه أو الأخ إخوته

فى تواضع وزهد ومحبة ، وعسك بنشر عقيدته كما يؤمن بها معرضا بذلك ملكه ونفوذه الدنيوى للضياع فداء عقيدته .

ووضع النبي يختلف أمام الناس عن وضع غيره من العباقرة ولو كانوا من دعاة العقيدة من حيث حسد الناس أياه على ما يتمتع به من امتيـاز ، لأن امتيازه بالنبوة — كما يفهم هو ويفهم من حوله ليس إلا منحة من الله لا فضل له فيها ، وهو فى غيرها — كما يفهم هو ويفهم الناس حوله — ليس إلا إنسانا مثلهم لا يميزه منهم فضل « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى » وفى ذلك مافيه مما يهون أو يمحق حسد الناس إياه وحقدهم عليه فى فضله عليهم بالنبوة .

هذا إلى أن النبى أزهد من كل من عداه من العباقرة فى تلك المطامع التى أشرنا إليها قبل ، فهو يعيش عيشة الزهاد المتقشفين فى طعامه ولباسه ومركبه وأدائه وسائر حاجات حياته اليومية ، ويلزم أهل قرابته معيشة كمعيشته ، مما لا يصبر عليه إلا « أولو العزم » ولو نشأوا على الترف والبذخ فى قصور السيادة والإمارة .

وهو فى سعة أفقه الروحى ، ومعرفته البدهية للناس أكثر من معرفتهم أنفسهم ، وعلمه بما ينطوون عليه من ضعف وسخافة وقصور ، وحرصه الخاص على منفعتهم — إنما ينظر إليهم نظر الأب الكريم إلى أطفاله القاصرين لا إلى أنداده الراشدين ، ويعاملهم كما يعامل الأب أطفاله لا أنداده ، فيتواضع لهم ، ويرحمهم فى ضعفهم وغرورهم ، ويتصاغر لهم وهو يشرف عليهم من عل دون أن يشعرهم إلا بأنه طفل مثلهم أو دونهم ، ويفسح لهم إلى جانبه أوسع ما يمكن أن يفسح تشجيعاً لمواهبهم على الحرية والعمل ، بينما هو يأخذ نفسه ـ إذا ضيق عليهم أو شدد ـ بأضيق وأشد مما يأخذهم به ، بل هو يضيق على نفسه ويوسع عليهم ، ويحمل نفسه عبئه وعبئهم ، ويكون لهم ملجأ وسكنا فى كل محنة ، فيرون أنفسهم أكثر منه مغانم وأقل مغارم ، وأنعم حالا وأهدأ بالا مهما غلوا وأسرفوا على انفسهم فى التحنث والتعفف وفى ذلك ما يلطف نيران الحقد ويسكت شياطين الحسد والوجدة عليه فيما يمتاز به عليهم مهما يبلغ امتيازه من السمو والجلال .

وأقرب العباقرة إلى الأنبياء أشبههم بهم فى هذه المزايا العالية التى تستغرق الإنسانية والحياة وتتطلع إلى ما وراء العالم المشهود طبيعة وعملا .

ولا شىء يفجر فى النفس الإيمان الكامل الخالص إلا العبقرية لا سيما الدينية ، ولا أحد يغدق عليه هذا الإيمان إلا العباقرة ولا سيما الدينيين .

الإنسانية بعباقرتها عالم سماوى جميـــل شريف خير حقيق بالحب والتقديس .

والإنسانية بغير عباقرتها عالم طينى كريه حقير لا يستحق إلا المقت والاحتقار .

ومزاولتنا الحياة فى رعاية العبقرية لعب طليق تتفتح له الرغبات وتنشط به القوى ، فيشتهى ويستزاد .

ومزاولتنا الحياة فى غير رعايتها كدح ذليل فى الأغلال يميت الرغبات ، ويشل القوى ، فيعاف ويستعجل الخلاص بالموت منه قبل الأوان .

محمد خليفة التونسى

لكن قوة تفعل لا مادة تنفعل

للدكتور محمد يوسف موسى

من الظواهر الاجتماعية التي تراها في كل عصر وبيئة . ظاهرة الفعل والانفعال ، أو التأثير والتأثر ، أو بكلمة واحدة ظاهرة التقليد ، فانفعال الطفل بأبويه واخوته ، وانفعال التلميذ بمعلمه ، وانفعال المريد بشيخه ؛ كل ذلك ، وما منه بسبيل ، مشاهد غير منكور

وإذا كان لكل ظاهرة سبب أو مجموعة أسباب ، تظهر بظهورها وتذهب بذهابها ، فإن سبب هذه الظاهرة مزيج من القوة أو التفوق من جانب ، وضعف الإرادة أو الشخصية من جانب آخر وقد يضاف إلى هذا وذاك كسل العقل الذي يمنع من التفكير والاستقلال في الرأي .

على أنه قد يكون الشخص الواحد منفعلاً أو متأثراً في بعض ما يذهب إليه بآبائه والعلية من قومه المعاصرين له ، وإن اعتقد مع هذا أنه من المستقلين في الفكر والرأي ، ومن المحافظين على هذا الاستقلال والمتزين به ، وذلك واضح لا يحتاج لضرب الأمثال .

ومع هذا لا عاب في التأثر بالغير في فكرة من الفكر ، أو مذهب من المذاهب ، أو طريقة من طرائق الحياة . بل إن هذا قد يكون ضرورة أحياناً كثيرة ، في حياة الفرد أو الجماعة ، ضرورة يطلبها الواقع وتفرضها الطبيعة .

يتأثر الطفل بأبويه ، ثم يتأثر بلداته ، ثم يتأثر – متى صار تلميذاً – بمعلميه ويتخذ منهم مثله العليا . وهذا الضرب من الانفعال بالغير على هذا النحو ، أمر لا بد منه ولا حيلة فيه . إنه ضروري ليصل الصغير إلى معرفة كثير من الأمور ، ثم لينفذ من ذلك إلى تكميل نفسه فيما بعد ؛ بمعرفة أن له شخصية يجب أن تتكون وأن تكون مستقلة على قدر ما يمكن أن يكون هذا الاستقلال ؛ وبمعرفة أن له عقلا يجب أن يفكر به ليصل إلى إدراك أن هذا العمل شر وقبيح وإن أجمع عليه أبواه ومعلموه والناس جميعاً ، وإن ذاك خير وجيل وإن كان قليل الأنصار . والنتيجة لهذا أن ينأى عن التأثر بالغير إلى درجة التقليد ، وأن يأخذ في الاستقلال في التفكير والرأي والعمل .

ومن الواضح ، بعد هذا ، أن الانفعال بالغير في هذه المرحلة من الحياة بصفة خاصة سنة من سنن الطبيعة لا بد أن تنزل على حكمها . ثم علينا متى تقدمت بنا السن ونضج العقل ، أن نحد منها ، وبمقدار ما نحد منها تتكون الشخصية ويظهر الاستقلال .

والانفعال بالغير كما نراه على أشده في المراحل الأولى من حياة الفرد الذي لا يزال في دور تكوين الشخصية ، نراه في حياة الجماعات في أول أمرها ، وفي حياة الأمة التي تحس ضعفها إزاء غيرها من الأمم . وفي هذا كله ، قد يكون التمثل بالغير في الخير ، كما قد يكون في غير الخير . وإلينا بعض المثل .

كان الأزهر إلى مفتتح هذا القرن العشرين شخصية خاصة به تتمثل ، فيما تتمثل فيه ، في طابعه الخاص في دراساته وامتحاناته ينتسب إليه من يريد غير مقيد بكثير من القيود التي نعرفها اليوم ، ويتلقى فيه العلم الذي يريد على من يحب من الشيوخ ، ثم متى أحس أنه وصل من المعرفة والعلم إلى ما يجيز له أن يكون من علمائه تقدم للامتحان . شأنه في ذلك ، إلى حد كبير ، شأن « السوربون » أو كلية الآداب بجامعة باريس هذه الأيام !

ثم أرادت الحكومة إصلاحه (أو إفساده لا أدري !) ، متأثرة بثورات الطلاب ومطالبهم ، فأدخلت عليه – في الانتساب والدراسة وشئون الامتحانات – الكثير من القيود شيئاً فشيئاً متمثلة بذلك وزارة المعارف في معاهدها ودور التعليم بها ، حتى أصبحنا في هذه الأيام نجده يحتذيها في كل شيء تقريباً : مثل عدد سني الدراسة ونظمها ونظم الامتحانات ، وبهذا – في رأيي

فقد الأزهر الكثير من شخصيته وطابعه وأصالته .

أما انفعال الأمة كلها بالغير في كثير من أمورنا العامة ، والخطيرة ، فأوضح من أن نحتاج لأن ندل عليه . ومع هذا ، فإني أشير إشارة عابرة إلى أثر ذلك في التعليم والدستور والقوانين ونظم القضاء . وليس ببعيد منا ما كان من فرض قانون مدنى جديد قدمه واضعه بعد أن صاغه من مزق مختلفة من قوانين أمم مختلفة من أمم أوربا . متناسيا أن ما تصلح به أمة في الغرب قد لا تصلح به أمة أخرى في الشرق ، لاختلاف الدين والتقاليد وإن كان في هذا قدر كبير من الإثم على الأزهر ، إذلم ييسر كتب الشريعة الإسلامية للراغبين في معرفتها ، والمعنيين بدراستها ، من غير الأزهريين .

على أنه من الضروري أن تنتفع الأمم بعضها ببعض في الفكر ونظم الحياة ، ولكن الخطر أن يكون التأثر من طرف واحد دائما .

إن الانفعال أو التأثر بالغير بإفراط يضيع استقلال من منى به فردا أو جماعة ، ويذهب باستقلال الفكر وأصالة الرأى والعمل . ذلك بأن من يتطلع دائما إلى غيره ويسأله ماذا يرى وماذا يعمل ، يجعل من نفسه مادة يصورها ذلك الآخر كما يريد ، ويجعل نفسه في رتبة البهيمة يصرفها الحدث من الغلمان على ما يشاء ويهوى . إنه بذلك يلغى ما وهبه الله له من عقل يستطيع به ، إن أراد ، أن يجعل له حياة خاصة وفكرا مستقلا به ولكنه رضى لنفسه أن يفكر له الآخرون ، وأن يخط له هؤلاء الآخرون مجرى حياته التي تضطرب فيه . إن هؤلاء الذين يتبعون دائما الأغيار ، يجعلون من أجسامهم مقابر لنفوسهم التي أماتتها التربية السيئة والتقليد المقيت ، بدل أن تكون هيا كل لنفوس إنسانية لها حريتها واستقلالها . والجناية في هذه واضحة ، وإنها جناية على الفرد والجماعة والدين نفسه .

ذلك ، بأننا نجمع على أن الإسلام دين كل زمان ومكان ، دين صالح لكل عصر وبيئة . ومع هذا فقد منعنا اتباع الماضين ، والجمود على ما كتبوا عن الإسلام لعصور غير هذا العصر الذى نعيش فيه ، من أن نحاول عرض الإسلام كما يجب : عقيدة وتشريعا وأخلاقا واجتماعا واقتصادا وأقول : « واقتصادا » عامدا ؛ لأن الإسلام ، وهو تشريع عام شامل ، ما كان يستطيع أن يهمل هذه الناحية الخطيرة التي تعتبر بحق مشكلة أمس واليوم والغد في العالم كله .

إن علينا أن نكتب كتبا جديدة نعرض فيها الإسلام من تلك النواحى ، ونبين فيها كيف يجب أن نعمل لتحقيق العدالة الاجتماعية ؛ فإنه لا تزول هـــذه الفوضى ، ولا تتقى الشيوعية إلا بالقضاء على سبيلها الوحيد وهو الظلم الاجتماعى . تلك سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

بذلك ، وبذلك وحده ، تكون قد أدينا واجبا كبيرا للأمة والإنسانية كلها ، وبذلك نكون صالحين للتعاون مع ممثــلى المسيحية في تكوين جبهة لمحاربة الإلحاد والمبادىء الهدامة . أما بالعكوف على القديم باعتباره وحده الحق ، وبالتقليد في كل شىء حتى في التفكير ومناهج الدرس ، فإننا لن نستطيع أن نصل إلى خير ، ونكون جناة على أمتنا وأبنائنا ، وتلك جناية يثقل علينا حملها ووزرها . نعم ، إنها جناية نكراء أن نجمد على ما ورثناه من تراث ، فلا نتناوله بالتوسعة والتعديل بما يناسب حاجات هذا العصر الذى نعيش فيه . وهل فعل أئمة التشريع من المسلمين ، الواحد بعد الآخر ، غير هذا ؟ إن هؤلاء الأئمة رضوان الله عليهم لو كانوا متبعين جامدين على ما ورثوا مقلدين لمن سبقهم ، لما كان لنا الآن إلا مذهب واحد في التشريع ، بينما صار لنا من ذلك بفضل استقلالهم واجتهادهم في الرأى مذاهب عديدة ، مذاهب رجوا أن تتجدد وتزيد حتى نجد فيها توسعة وتلبيـــة لحاجات الزمن في العالم الاسلامى كله .

وهنا أجد من الواجب أن نرفع الصوت عاليا بأن كل من تقدمنا في الحياة ، ما عدا الأنبياء والمرسلين ، فيما أرسلوا من أجله ، يخطئون ويصيبون . لا معنى إذاً للتأثر والاتباع في كل شىء ، ولعل بعضنا يكون أفهم للأمر وأقرب للحق وأهدى إلى الصواب من كثير من هؤلاء السابقين . ومن أجل ذلك يكون فرضا على كل منا أن يعنى باستعمال عقله وأن يطلب لنفسه الاستقلال في الرأى الذى يتبعه الاستقلال في الشخصية ، وإلا كان مقصرا في طلب الكمال الذى جعل الله وسائله .

للكلام بقية

محمد يوسف موسى

ولي الدين يكن

للاديب عبد الخالق عبد الرحمن

هنالك صحائف مطوية لشعراء عاشوا فى العصر الأخير لم يذكر لنا الكتاب عن سيرتهم ما يروى الغلة وقد آثرت أن أجمع بعض الأشتات فأكون مقالة عن الشاعر الأديب المرحوم ولى الدين يكن. فهو شاعر فى كلا الفنيين المنظوم والمنثور يصوغ كلامه المرسل كأنه شعر موزون ويسبك الشعر كأنه النثر سهولة وطلاقة وطبيعة وانقياد قواف، حتى لو حللت نظمه ما جئت بأسهل منه، فأنت بين هذا النثر الأنيق وذلك الشعر الطلى لا تدرى أولى الدين أشعر فى هذا أم فى ذاك، لازمه لأنه لم يجر قلمه إلا بما خفق به قلبه . وهو فى كلا الفنين ذو القلب المتألم مما حوله ولمن حوله. ولأنه قلب حساس شريف تخدمه مخيلة ترى ما لا يراه الغير حتى أصبح كما قال هو عن نفسه

قلبي يحس وهذه عيني ترى ما حيلتى فيما يحس وما يرى

كان ولى الدين شاعراً فى قصـــائده العصماء يحلق فى عالمه العلوى بجناحى الخيال والشعور، وينظم فى سلك بيانه الابتسامات والدموع درراً اين منها الجواهر التى تزين النحور .

كان شاعراً فى (معلومه ومجهوله) وقد ضمنه مذكراته عن منفاه فظهر كأنه المغلوب الغالب والمقهور القاهر .

كان شاعراً فى (صحائفه السود) وهو يئن من الظلم الذى انتابه، والحيف الذى لحقه، والجهالة التى سدت عليه منافذ الحرية، فكان فى أنينه دوى التهديد، وفى شكواه رعد الوعيد .

كان شاعراً فى (تجاريبه) وما استفاد تجربة — ككل مجرب — إلا وقد امتلكها بشىء يخسره من الأمل حتى جاءت كما يقول وكما هى (آلام مصوره وشكاوى متجسدة)

كان شاعراً ملء روحه الشاعرية وملء قلمه الفصاحة ، يستهوى النفس بسلاسة ألفاظه ورقة قوافيه وعذوبة أسلوبه ، ويملك القلب بلطف معانيه التى يصورها تصويراً كله سلامة فى الذوق ونزاهة فى الفن وجزالة فى التعبير الرائع ، وقوة فى التركيب الفنى وموسيقية الألفاظ المنتقاة فتراه يسترضى القارىء ساعة حتى ليملأ قلبه سروراً وصفاء . ويستبكيه حين يبكى ويتألم حتى ليجعله يلمس دموعه لمس اليد ويحس بناره تتأجج من خلال ألفاظه .

لقد مازجت شاعرية ولى الدين يكن نفساً عزيزة حساسة وقلباً شريفاً رقيقاً فكان إذا تأثرت نفسه وخفق فؤاده قال الشعر فيرسله دون إتعاب فكر ولا اجهاد قريحة. وقد ظهرت خصائص هـذه الشاعرية فى امتداد نفس القول لديه امتداداً لم يدرك فيه عاطفته المندفعة ضعف ولا فتور، وفى استقصاء الموضوع استقصاء يشمل جميع نواحيه فى روعة الأسلوب الذى يهز المشاعر هزاً عنيفاً ويترك فى النفوس أثراً عميقا .

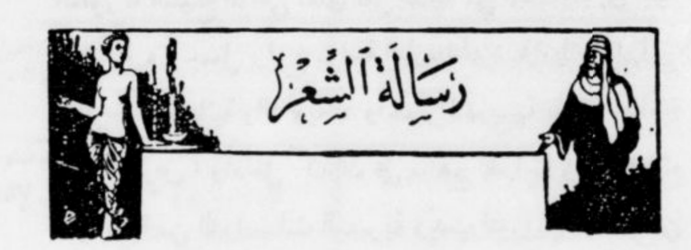
هذا قليل من كثير وغيض من فيض عن ولى الدين الشاعر الكبير . أما ولى الدين الحر الشريف المخلص بين أشرف الأحرار فلا تقل منزلته عن منزلة ذاك

كان حراً فى تفكيره وأقواله . كان فى طليعة أحرار الشرق متعطشاً إلى الحرية والاستقلال والانعتاق من القيود التى ثقلت عليه فقد صهر أغلال التقيد فكسرها ورفع فوقها علم الاستقلال الفكرى عالياً خفاقاً فكان لا يقول إلا مايوحيه إليه يقينه ووجدانه حتى كان كالشاعر الملك الضليل أمرىء القيس لا يقول الشعر رهبة ولا رغبة فأمكنه أن يباهى فيقول .

إذم فلا أخشى عقاباً يصيبنى وامدح لا أرجو بذاك ثواباً

وهكذا كان شأنه فى كل ما كتب ونظم وهذا ما كان يريد أن يكون لسان حال الغير قال (لا أبالى الثناء ولا أبالى الهجاء وانما أبالى ان يصدق فى أحدهما) ولطالما أضرت حريته هذه بمصلحته بين قومه بل وبين عشيرته كما يعرف ذلك معاصروه . ولو شاء ولى الدين أن يضحى ولو بالقليل من حرية رأيه واستقلاله الفكرى لكان له شأن كبير فى تركيا أولاً وفى مصر ثانياً ؛ ولكنه أثر على كل ذلك أن يعيش حراً طليقاً فيقول :

وأعتلى كرسى مستكبرا كالملك فوق العرش إذ يعتلى



الشاعرة

للآنسة الفاضله ن. ط. ع

تقص هذه الشاعرة قصة الهوى تنزع إلى سماء الأدب، وتطمح إلى مجد القريض؛ ولكن عزلتها التقاليد جعلتها تسير فى فلكها الضيق لغير مستقر، وتطير فى جوها المحصور إلى غير مدى. وفى هذه القصيدة التى كتبتها وهى تكابد سام النفس القاتل، وألم الجمم المبرح ما يعبر عن هذه الحال.

إلى أين مسراك ياشاعره ... متى تهتدى روحك الحائره
إلام انجذابك نحو السماء ... وتنفضين عن نفسك الثائره
وما المجد إلا خداع الأمانى ... ألم تسأمى النظرة الساخره

رأيتك مذ كان فجر الشباب ... تهيمين بالمثـــل العاليه
وفى زورق حالم تبحرين ... ونفسك واثقة راضيـــة

وأنت تخالين وادى الكمال ... قريبا وأثماره دانيـــه

وقلنا سلاحك، هل من سلاح؟ ... لديك به تقهرين الصعاب
طريقك أخناه وعر طويل ... وسوف تلاقين شتى الصعاب
فقلت سلاحى صدق الوفاء ... وهذا الطموح وهذا الشباب

وفى زورقى مابروق النفوس ... ويبعث فيها الرضا والسرور
مجاريه مكفولة بالهدى ... مراسيه موكولة للضمير
يرف عليه لواء القريض ... فيدنو له كل قاص عسير

وسار الشراع بأثقاله ... وقلب يضيق بهذا العذاب
يجوب الحياة فتمضى السنون ... وتذوى الأمانى ويبلى الأهاب
ومامن شعاع ينير السبيـل ... ويهدى النفوس خلال الضباب

وصاح الفؤاد ضللنا الطريق ... دعينى أسير هذا الشراع
وأمضى به نحو شط النجاة ... وأعفيك من هول هذا الصراع
فأنت تسيرين ضد الرياح ... بهذا اليفاع وهذى البقاع

أأنت على موعد صادق ... تجيلين فى العابرين النظر
ألم تيأسى من خداع الليالى ... ألم تسأمى مجدك المنتظر
ألم تسمعى وقع خطو الزمان ... ألم تفزعى من نداء الحفر

لقد مال الشمس نحو المغيب ... إلى أين مسراك يا فانيه
فما زال شعرك رهن القيود ... وكانت مجاديفك الواهية
فلا نلت بالشعر ما تنشدين ... ولا عشت هانئة راضية

نشدت الخلود مع الخالدين ... ولكن أسأت اختيار السبيل
فهيهات بالشعر أن تدركى ... من الدهر غير العناء الطويل
فلو كنت فى زمرة الراقصات ... لأثنوا عليك الثناء الجميل

وأطنب فى مدحك المادحون ... ونجمك أمسى حليف الصعود
وقالوا إلهة شتى الفنون ... وأعجوبة فى سجل الخلود
وذلل فنك كل الصعاب ... وهون شقوة هذا الوجود

ن. ط. ع

فكان جزاؤه على ضفاف البسفور النفى سبع سنوات؛ وكان جزاؤه على ضفاف النيل أن يستكن فى داره منسيا أحيانا من أقرب الناس إليه ولكنه لم يطأطىء رأسا ولم يحن ظهرا ولم يحد قيد شعرة عن مبدئه وسنته

وقلما تخلو قصيدة من روائعه أو صفحة من كتاباته عن مثل هذا الإباء الجسم وتلك الأنفة العالية. والحقيقة أنه كان حرا فى سياسته كما كان حرا فى كتابته.

(بغداد) عبد الخالق عبد الرحمن

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

الإصلاح الحقيقي للأزهر :

نشرت الأهرام منذ خمسين سنة ما يلي : « ارتأى فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده ، بعد أن درس (بروغرامات) تعليم الأزهر وغيرها من (بروغرامات) الدروس ، إدخال تعديلات كثيرة على (بروغرام) الأزهر ، فقدم تقريرا بذلك ، وضمنه (البروغرام) الواجب التدريس بمقتضاه ، ومن أحكامه إدخال جميع العلوم ، من كيمياء وفلسفة وهندسة وغيرها ، ورفع هذا التقرير إلى السدة الخديوية ، فأحالته إلى لجنة العلماء المؤلفة من ثلاثين إماما من أئمة الأزهر الأفاضل ، فاجتمعت هذه اللجنة برياسة حضرة المفتي ، لأن سماحة العلامة المفضال شيخ الأزهر الرئيس الشرعي لهذه اللجنة ترك رياسة هذه الجلسة لفضيلة الشيخ محمد عبده ، ليكون أطلق يدا في تأييد مبادئه الجديدة المعارض لها شيخ الأزهر »

كان ذلك منذ خمسين سنة ، وكانت تلك أول خطوة نحو إخراج الأزهر من عزلته ليساير ثقافة العصر الحديث . أدخلت العلوم الحديثة إلى الأزهر منذ ذلك الحين ، وقد تحايل المصلحون إذ ذاك على جذب الطلبة إليها بمختلف الوسائل ، فألفوا فيها ودرسوها على الطريقة الأزهرية القديمة ، فكانوا مثلا يعرفون مصطلحات علم الحساب كالجمع والطرح ويخرجون محترزات التعريف فالجمع هو ضم عددين أو أكثر من جنس واحد لينتج ناتج يسمى حاصل الجمع ، و « الأس » هو عدد صغير يوضع فوق عدد آخر للدلالة على حاصل ضربه في نفسه مرة أو أكثر ... وهكذا . وقد نظم بعض الطلبة مسائل الجغرافيا ليسهل عليه حفظها كما يحفظ المتون المنظومة ، ومن ذلك قول الناظم :

إفريقيا يا عالما بالحال ... محد بالبحر من الشمال

وتعاقب أساتذة العلوم الحديثة في الأزهر ، حتى كان عهد المغفور له الشيخ المراغي الذي نقل الطلبة من المساجد إلى أبنية مدرسية ، وجعل برامج دراسة العلوم الحديثة مطابقة لبرامج المدارس الابتدائية والثانوية ، وأحضر لتدريسها نفس أساتذة هذه المدارس ، وأدخل كذلك على مناهج الدراسة في الكليات ما يناسبها من الدراسات المصرية وندب لتدريسها أساتذة من الجامعة وبعض المدارس العالية .

وصار الأزهر — كما نراه الآن — يدرس العلوم الحديثة بفضل ذينك المصلحين العظيمين ، وقد خطا كل منهما الخطوة « الممكنة » في زمنه . ولكن هل هذا هو الإصلاح الحقيقي المنشود للأزهر ؟

قلت فيما مضى إن العلوم الحديثة في الأزهر « روافد » ثقافية ، وأقصد بذلك أنها تمد المجرى الأصيل وهو علوم الشريعة الإسلامية ، ولن يكون الأزهر حديثا ومسايراً لركب الزمن ومحققا لما يطلب من جامعة إسلامية في القرن العشرين ، إلا إذا عرض هذه العلوم بأسلوب حديث وطبق أصولها على مسائل العصر الحديث . وهذا هو ما أعنيه بالإصلاح الحقيقي للأزهر ، وهو يتطلب مصلحا « ثالثا » يخطو الخطوة « الثالثة » وهي الخطوة التي ستكون في الصميم .

إن الأزهري الحديث يشعر بأنه ذو شخصية مزدوجة : من قديم ومن حديث ، فهو يشارك الناس في المجتمع المصري كثيرا من ألوان النشاط المصري ، على اختلاف حظوظ الأشخاص من ذلك ، ويسايرهم فيها ، ويجيد في بعضها . ولكنه مع كل ذلك يشعر بشخصية ثقافية قديمة لا يكاد يبديها لأنها لا تلائم العقلية التي تحيط به . ولو أنه تلقى ثقافته الإسلامية بطريقة عصرية ، وبتطبيق عصري ، لما أحس بهذا الحاجز القائم في عقله بين ثقافتين مختلفين .

وأريد أن أقول لأولئك الذين كتبوا كلمة هنا وكليمة هناك : إن الأزهر ليس مقصورا على من ينتسبون إليه ويحملون شهاداته ، بل هو للجميع باعتباره منبع المعرفة الإسلامية ، ولم أقصد فيما أوردته من رسائل الطلبة وما عقبت به إلا الصالح العام عن طريق تكوين جيل إسلامي جديد يعرض الثقافة الإسلامية عرضا جديدا ويلائم بينها وبين مقتضيات العصر .

وقد قصدت فى كتابتى السابقة أن أشرك الطلبة وأفسح لهم كى يعبروا عن مشاعرهم ويبدوا أفكارهم ، واتبعت الطريقة « الاستنتاجية » فاستنبطت منهم عناصر الموضوع حتى بدا تناوله جديدا وإن كانت الأقلام تعاورته من قبل ، وقد قصدت بذلك أن أستحث الجيل القائم من علماء الأزهر على أن يخرج كنوزه للناس ، فقد قضوا أشطارا من أعمارهم فى دراسة تلك الكتب وإدراك مراميها ، وهؤلاء العلماء هم الذخيرة الحية الباقية والطلبة فى هذا العصر تؤودهم المناهج المزدحمة وقد أصبحوا لا يسيغون أساليب التأليف القديم وصارت نفوسهم منصرفة عنها فلن يقبلوا عليها مثل أسلافهم ، فواجب أولئك العلماء أن يؤدوا الأمانة التى تلقوها عمن قبلهم بطريقة تناسب العقلية الجديدة عقلية من يراد منهم أن يتسلموها ، ولا ينبغى أن نيأس من قعود الأساتذة عن هذا الغرض ، فإنا وإياهم ننتظر المصلح الثالث الذى قد يكون شيخ الأزهر ، وقد يكون رجلا آخر من رجال الأزهر يفسح له الشيخ الأكبر ، وإن كان يعارضه ، ليكون أطلق يدا ...

كشكول الأسبوع

□ جاء من باريس أن الدكتور طه حسين بك سيسافر إلى روما يوم ١٣ مايو الحالى لإلقاء محاضرة فى جامعتها عن الأدب العربى القديم .

وقال معاليه لمراسل الأهرام إنه سيعنى عناية خاصة بمسألة الطلبة الذين يرغبون الحضور إلى فرنسا ، وخاصة أنه بعد إنشاء جامعة ثالثة فى أسيوط أصبحت الحاجة تدعو إلى زيادة عدد البعثات إلى الخارج ولا سيما إلى فرنسا ، فلا بد من اتخاذ التدابير اللازمة تمهيداً لحضور هؤلاء الجامعيين من الشبان المصريين الذين سنعتمد عليهم فى تكوين هيئة التدريس بالجامعة الجديدة .

□ يخلف معالى الدكتور حامد زكى معالى الدكتور طه حسين بك فى رياسة وفد مصر بمؤتمر اليونسكو بعد عودة الثانى .

□ قرر معالى وزير المعارف تأليف لجنة لاختيار كتب المطالعة الإضافية ومطالعة الصيفية للمدارس الثانوية ، برياسة المستشار الفنى للوزارة وعضوية المراقبين العامين للغة العربية والأستاذ احمد حسن الزيات والأستاذ ابراهيم مصطفى بك .

□ رأى معهد القاهرة للثقافة الشعبية أن يستمر فى الصيف على تيسير بعض وسائل التثقيف ، فاعد برنامجا للسينما الثقافية وبرنامجا لندوات أدبية يدور البحث فيها حول كتاب أو فصل من كتاب ، ويتجه رأى المعهد أيضا إلى فتح مكتبته طوال العطلة الصيفية للراغبين فى القراءة والاطلاع .

□ أذاعت وكالة الأنباء العربية من « حيدراباد » أن العميد المساعد لجامعة اللغة العربية فى السند ، رحب باقتراح الأستاذ زاهد حسين محافظ بنك الدولة الخاص باستخدام اللغة العربية بدلا من الانجليزية فى المكاتبات الرسمية ، وقال إن العالم الاسلامى فى حاجة ماسة إلى لغة دولية ، وإن العربية هى خير اللغات وأصلحها لهذا الغرض

□ نقرأ أحيانا فى الصحف أن فلانا سيلقى محاضرة تحت رياسة فلان ! ولست أدرى ما ينقص المحاضرة بدون هذه الرياسة ؟ والأغرب من ذلك ما قرأته أخيراً وهو أن مراقبا فى منطقة تعليم سيلقى محاضرة تحت رعاية وزير المعارف ورياسة المراقب العام للمنطقة !!

□ يجرى العمل الآن فى إنشاء مسرح صيفى فى حديقة الأزبكية بالقاهرة . وسيفتتح قريبا ، حيث تقدم الفرقة المصرية جزءا من برنامجها الصيفى من أول شهر رمضان القادم حتى نهاية أيام العيد .

— تنظر الآن لجنة العدل بمجلس الشيوخ اقتراحا بمشروع قانون فى حقوق النشر والتأليف .

واحدة بواحدة :

تتجه وزارة المعارف الآن إلى العمل على نشر الثقافة الفرنسية فى مصر ، وذلك بجعل اللغة الفرنسية اللغة الأجنبية الأولى فى بعض المدارس إلى جانب اعتبار الانجليزية اللغة الأجنبية الأولى فى البعض الآخر وبالإكثار من البعوث العلمية إلى فرنسا وخاصة بعد التوسع فى إنشاء الجامعات المصرية وما يقتضيه من الحاجة إلى الأساتذة ، وبمساعدة المدارس والهيئات الثقافية الفرنسية الموجودة فى مصر على تأدية رسالتها .

والتمكين للمصريين من الانتفاع بالثقافات الأجنبية المختلفة وعدم الاقتصار على بعضها هو رأى معالى وزير المعارف الدكتور طه حسين بك ، ومن الطبيعى أن يعمل على تنفيذه وتحقيقه فى النطاق الرسمى وهو على رأس وزارة المعارف ، كما دأب على العمل به فى الميدان الأدبى العام .

هذا جميل ومفيد ، ولكن هناك شيئا آخر يعرفه معاليه ولا أحسبه إلا يوليه اهتمامه . ذلك أن السلطات الفرنسية فى شمال افريقية تمنع وصول الثقافة المصرية والعربية إلى هناك

وقد طلبت بعض البلاد المغربية أخيرا من وزارة المعارف المصرية أن تنشىء فيها مدارس تسير على المناهج المصرية ، وأن تمدهم بطائفة من الكتب الأدبية والعلمية والفنية لتكون نواة لمكتبات عامة يتردد عليها أبناء تلك البلاد . ولكن السلطات الفرنسية عارضت — كدأبها — فى إجابة هذه المطالب ، وجرت اتصالات بين الوزارة وبين تلك السلطات الفرنسية فى هــذا الشأن لم تنته إلى حل .

وقد استطاع معالى الوزير الأديب أن يحل مسألة مراقب التعليم المصرى فى السودان على وجه أرضى الكرامة المصرية ، فسافر المراقب إلى السودان بعد ما وقف الانجليز فى سبيل دخوله إليه . وهذا المثل يجعلنا آملين فى أن يستغل معاليه مركز الثقافة الفرنسية بمصر فى حمل الفرنسيين على التعقل وعدم الوقوف فى وجه الثقافة المصرية المتجهة إلى شمال إفريقية ، تلك البلاد التى تجمعنا بها روابط لا انفصام لها .

مسابقة مختار فى النحت والتصوير والرسم

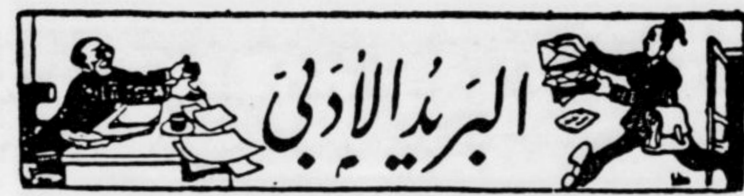
احتفل يوم الثلاثاء الماضى بافتتاح معرض الأعمال الفنية التى قدمت إلى مسابقة مختار فى النحت والتصوير والرسم ، وهى المسابقة السادسة عشرة التى أقيمت لتخليد ذكرى مثال مصر الأول ، وذلك فى متحف الفن الحديث بشارع قصر النيل بالقاهرة . وقد استقبلتنا فى مدخل المتحف بالحديقة تماثيل مختار نفسه معبرة موحية ، كأن الفنان العظيم هو الذى يستقبلنا فى الاحتفال بذكراه ..

والمعرض يحتوى على ثلاث مسابقات ، الأولى فى النحت وموضوعها « اللاجئون العرب » والثانية فى التصوير الزيتى وموضوعها « الطفولة المتشردة » والثالثة فى الرسم ، ولم يحدد لها موضوع ، ولكن رسومها تتجه أيضا نحو الطبقات المعذبة ، وقد فاز بالجائزة الأولى فيها رسم يمثل فرقة من الشحاذين يشاركها فى طعامها التافه كلب على طوار بجوار مسجد ، فالمعرض كله يصور البؤس والألم فهو جدير بأن يسمى معرض البؤساء وأعمال هذا المعرض متوسطة ، وبعضها جيد ، وهى وإن كانت خالية من روائع الفنية الممتازة التى تستوقف المشاهد وتستحوذ على مجابه ، إلا أنها ذات أصالة ، لمراقة موضوعاتها فى بيئاتنا الزاخرة بهذه الصور ، فليس فيها محاكاة أو اقتباس ، وهى من هذه الناحية تدل على شخصيات أصحابها وعلى مواهبهم التى تبشر بالخير .

والذى أعجبنى فى المعرض الصورة التى فازت بالجائزة الأولى فى التصوير الزيتى ، وهى تمثل أخوين : أخ يدفن وجهه بين ذراعيه المشتبكتين وشعره الأشعث الأغبر ينطق بالبؤس والحرمان وأخت جلست إلى جانبه موزعة بين العطف على أخيها والإحساس بالألم . وأعجبتنى كذلك الصورة رقم ٤ ، وفيها طائفة من الأطفال المشردين يسوقهم شرطى وقد ربطهم بحبل كما يساق قطيع من السائمة إلى المذبح ... وأمسك المخبر بأسمال أحدهم فبدت سوأته فى شكل مؤثر ، وهى حركة معبرة بارعة .

أما التمثال الذى فاز بالجائزة الأولى فى مسابقة النحت فهو يمثل أسرة من المهاجرين راحلة ، وهو تمثال لا بأس به ، ولكن أعجبنى هناك تمثال (رقم ٢٤) لم يفز بجائزة ... وهو الذى يمثل أسرة من زوجين وطفلين أضناهما السير والتعب ، فحطوا رحالهم إلى جذع نخلة قد بتر رأسها ، وفى ذلك إيحاء بانقطاع الخير حتى مما لجئوا إليه ...

عباس خضر



تعقيب

كتب صاحب العزة أحمد رمزى بك مقالا فى العدد الماضى من الرسالة بعنوان « محاضرة عن الاسلام » وهى المحاضرة التى كتبت عنها قليلا فى كتاب « حياتى »

وقد فصلها الأستاذ تفصيلا دقيقا وافيا وصحح لى اسم المدرسة الاسلامية التى ألقيت فيها محاضرتى الأولى، وعتب على أنى لم أذكر ما قامت به القنصلية المصرية فى القدس من مجهود مشكور .

وإنى أبادر — أولا — بشكره على تنبيهى إلى خطئى، وثانيا قبول عتبه واعلانى شكره على مابذل من مجهود لانجاح هذه المحاضرة .

وإنى أؤكد لحضرته أنه لم يحملنى على هذا التقصير إلا النسيان وبعد العهد واعتمادى على ما بقى من الحادث فى ذاكرتى . بينما اعتمد حضرته — على مايظهر — على مذكرات يومية دونها، وأخيرا أقدم لحضرته شكرى ومعذرتى وسلامى .

أحمد أمين

معركة القزوينى فى الأزهر :

لا أوافق صديقى الأستاذ عباس خضر على تصوير مادار بينى وبين الأستاذ الشيخ محمد خفاجى بأنه معركة حول كتاب الايضاح يفضها أحد أمرين : أن تلغى دراسته من كلية اللغة ، فيرفع اللحاف بين المتنازعين عليه ، أو يرجع به إلى أحد أحفاد صاحبه بقزوين لأنه أحق به منهما . فالمعركة ليست بهذا التصوير ، وإنما هى معركة بين عمل متواضع فى الإصلاح قمت به فى شرح الإيضاح ، وعمل لا يؤمن بحاجة الأزهر إلى إصلاح فى علوم البلاغة أو غيرها ، ويقول صاحبه إنه جد فخور بحشوه بمماحكات الحواشى اللفظية ، ويصفها بأنها بحوث علمية خصبة فى رأى كل دارس للبلاغة وباحث فيها ، وصديقى الأستاذ عباس خضر يرى كما أرى أن هذه الحواشى ومماحكاتها هى التى أفسدت البلاغة .

وإذا كان فى الإيضاح بعض المماحكات فإنه مع هذا خير ما ألف فى البلاغة بعد كتابى عبد القاهر — دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة — لأنه يجرى غالبا فى طريقهما . وإن كان متأثرا بطريق السكاكى فى تبويب علوم البلاغة وتقسيمها ، وقد عنيت فى شرحى له بمجاراته فى طريق عبد القاهر ، واختيار ماهو من صميم البلاغة فى تلك الحواشى ، واهمال مماحكاتها اللفظية ، مع التنبيه على ما فى الايضاح من هذه المماحكات . وقد قصدت من هذا الشرح أن أمهد الطريق لعمل يكون أتم فى الإصلاح ، ولا يرجع بنا القهقرى إلى مماحكات الحواشى ، وهذا كله قليل من كثير ذكرته فى كتابى — دراسة كتاب فى البلاغة — وسأرسل لصديقى الأستاذ عباس نسخة منه فى إدارة الرسالة الغراء ، وله شكرى على قبول هذا الإهداء .

عبد المتعال الصعيدى

وفاة الأستاذ أمانويل مونييه E'Monier

أصيب الأدب الفرنسى ولا نبالغ إن قلنا الأدب العالمى بوفاة أحد كبار الكتاب المصريين بفرنسا وواضع مذهب الذاتية le personnalisme وهو الأستاذ أمانويل مونييه

ولد هذا الفكر المشرق الوضاح بمدينة جرونويل سنة ١٩٠٥ وما عتم أن عين مدرسا للفلسفة وظهرت على حداثة سنه شخصيته الحرة القومية الجذابة .

وقد تمكنت هذه الشخصية القوية من جمع نخبة من الكتاب حولها فأبرزت مجلة « الفكر » الذائعة الصيت

وذهب مونييه يذيع فى مجلته أفكاره وآراءه فى مشاكل العصر الحاضر واضعا أسس مذهبه العامة الذى أسماه « بمذهب الذاتية » وان لم يكن راضيا عن هذا اللفظ مضطرا لاتخاذه تعبيراً أقرب من كل عبارة أخرى للدلالة على جوهر مذهبه الفلسفى العام .

وهذا المذهب الفلسفى الجديد الذى أثر وما زال يؤثر تأثيراً بعيداً فى اتجاه الشباب المثقف فى فرنسا وخارج فرنسا يعتمد فى جوهره على اعتبار الانسان فى ذاته وشخصيته أولا وقبل كل اعتبار آخر؛ فالانسان فى نظر مونييه محور كل شىء فى هذه الحياة؛ وهذا الانسان فى نظره ذات personne أو شخصية personnalité قبل أن

يكون فردا individn وقبل أن يكون جزءا من أجزاء المجتمع

فمذهب مونييه غير مذهب الفردية individuaiesme ومذهبه أيضا غير مذهب الشيوعية المطلقة التي تعتبر — في نظره — الانسان جزءا من المجتمع لا شخصية لها مميزاتها تعيش في المجتمع .

وعلى هـذه القاعدة يخالف مونييه ويقاوم الرأسمالية نتيجة الفردية المبالغة ويخالف أيضا مذهب ماركس . وعلى هذه القاعدة قضى مونييه جل حياته في تفكير عميق واجتهاد متصل محاولا أن يضع حسب تعبيره أسس مذهب خاص به يوفق بين وجود الانسان وجودا شخصيا وحياة نفس هذا الانسان في مجتمع لا بد له من الامتثال لسننه وقوانينه .

وقد وفق مونييه إلى حد بعيد إذا ما اعتبرنا أنه أولا نجح في وضع الأصول الكبرى لمذهبه ، وثانيا في نشر مذهبه وتكوين أنصار له من الكتاب في فرنسا وخارج فرنسا قادرين على المسير بمذهبه في طريق الاكتمال بفضل مجلة (الفكر) .

رسالة الى ولدي

ها أنت ذا تبلغ العام الأول يا بني : عاما ككل الأعوام التي تمر من حياة النـاس مليئة بالاصطخاب والتنافس والتنازع ، طافحة بالشهوات والنزعات والرغبات

عاما من أعوام هـــذا العصر الحاضر المشبع بأوضار المادة والمفعم بسموم النزاع : ومنذ اللحظة الأولى التي تفتحت فيها عيناك على النور ذهل البيت الآمن الوادع : وتغيرت في الحال منه وجهة الطريق ، فانقلب النظام وتغير الجو وتبدلت الغايات .

كان يشق طريقه يابني في عتمة الأزل لا يهتدي إلى غايته المتوخاة : ويدرج في دروب الحياة لا يرى الساحل الأمان ، وينتظم في صفوف القافلة لا يحس نهاية الغاية ، حتى أتيته يا بني وولدت فيه وانتظمت في أسرته فإذا به غناء وشعر وطفولة ، وإذا به رسالة وجهاد وأبوة

لقد كشفت للبيت السبيل يا بني فهديته إلى غايته في لحظة ، وأرت للبيت الطريق فوجهته في سهولة ، وبعثت فيه الحياة والحماس والفتوة فاندفع كالسهم المراش عضى ويمضى نفاذا لا يلوى على شيء .

لقد رطبت طفولتك يا ولداه جو البيت فلان بعد قسوة ، وتلطف بعد تحجر ، واستندى بعد يبس : وهذه الطفولة السحرية العجيبة غيرت وجه التاريخ من دون عناء ، وبدلت لون الكون من غير تعب ، واستبدلت بقلوب الآباء والأمهات قلوبا أخرى تنبض بالحب بعد ما كانت تنبض بالدم ، وتجيش بالعطف بعدما كانت تجيش بالرضى والغضب ، وتقبل على الوجود بالتضحية والفداء والايثار بعدما كانت تقبل عليه ملأى بالحرص مغمورة بالأثرة والمنفعة وحب الذات ؟!

لقد بدلت يابني لون هذا العام الذي مر من حياتك وحياتي فهو عام كغيره محشو بالأيام كما تحشى سنابل القمح بحباتها ، ولكن لون أيامه تغير وشكل لياليه تبدل فلم يعد هذا الصخب الذي مر ذكره يصل إلى مسامع البيت ، ولم تعد هذه المادية تكبله بسلاسلها القاسية وتضرب حول فنائه ألف نطاق

فقد طهرته طفولتك ياولداه وسكبت عليه من إكسيرها بلسما يعطى منه السقيم فيبرأ ويداوى به العليل فيشفى

لقد أوضحت لي يا بني كثيرا من معاني الحياة ، وكشفت لي جوانب من أسرارها فاستوضحتها بعد ابهام ، وتبينتها بعد لبس ، فلم تعد الوطنية معاني معقدة الفهم ضعيفة المدلول كما كانت في فجر الحياة ، ولم تعد الحيـاة ملهاة قليلة الشأن بسيطة القيمة كما كانت في مطلع الشباب ، ولم يعد المستقبل غموضاً وضرباً من الخيال والوهم كما كان في ابان الطفولة .

لقد علمتني يا بني كثيراً والقيت على دروساً ذات قيمة كما انك هذبت نفسي وقلبي وصقلتهما صقلا جيلا مصقولا ! ! ترتسم عليهما الصور بسهولة . ولولاك يا بني لبقي العقل ضالا جاهلا قدسية الاسرار العليا ؛ ولبقى القلب حجراً قاسياً ما أكثر ما يحتاج إلى تهذيب .

لقد أصبح قلبي وهو مهدك خزاناً يعج بأسمى العواطف ، وبركاناً يجيش بأقدس النزعات . لقد طهرته من الرجس وأزلت عن جنباته أدران الصدأ . لقد علمته أنشودة الأبوة الرقيقة الحواشي البديعة النغمات فغدا صباحه شعرا وأمسى مساؤه موسيقى .

ولو أدركت يابني كم في نظراتك الطاهرة وحركاتك البارعة من سمو إلهام لقلبي وارتياح لخاطري ونشوة لنفسي لنطقت قبل أوان ، ولعقلت قبل رشد ولأحسست قبل احساس

لو أدركت يا بني وعلمت ما يخامر الآباء من حب وعطف وحنان حيال أطفالهم الصغار لتمنيت أول ما تتمنى ولطلبت أول ما تطلب وعياً ومعرفة ورشداً لتذوق طعم السعادة التي يسمى الى تذوقها الضالون ويهيم في طلابها المدلجون

إن طفولتك يا بني شعر ، بل هي أسمى من الشعر إنها عروس من عرائس الخيال للشاعرين يندفعون في الدنو منها محاولين



صديقى موبز

تأليف الأستاذ حسن المخزومى

للأستاذ على محمد سرطاوى

هذا كتاب وضعه الأستاذ العالم حسن المخزومى بالفرنسية ووزع فى باريس حينما كانت هيئة الأمم المتحدة تنظر القضية الفلسطينية فى مرحلتها الأخيرة . وقد نقله إلى العربية وطبع فى بيروت فى مطامع الكشاف عام ١٩٤٨ .

يقول الأستاذ عبد الله مشنوق فى الكلمة التى قدم بها الكتاب لقراء العربية : « هذه فصول قيمة موجزة كتبها صديقى حسن المخزومى عن الصهيونية منذ نشأتها حتى اليوم ، على لسان صديقه اليهودى موبز ، بأسلوب قصصى ممتع ، يمتاز بوضوحه وسهولته كما يمتاز برصانته العلمية ونقده اللاذع الساخر. ضمنه خلاصة وافية عن الصهيونية وأحلامها ومزاعمها ، مستندا إلى الوثائق والمراجع التاريخية ومفندا هذه المزاعم — على لسان اليهودى دائما — بانصاف واتزان يبرز فيهما للقارىء حسن المخزومى العالم الرياضى والمهندس المدقق لا يسرف ولا يغلو ، ولا تنقلب فيه العاطفة على العقل » .

ويقول فى مكان آخر : « لقد صدر متأخراً عن موعده ربع قرن على الأقل ، ولو أنه صدر فى موعده الصحيح لتغير وجه التاريخ ... ولو أن كل عربى عرف مرامى الصهيونية وأغراضها منذ ربع قرن لما أخذ العرب على حين غرة ... ولما ظهروا بذلك المظهر الارتجالى فى ميادين السياسة والقتال ... »

والكتاب لا يزيد فى صفحاته على الستين فى حساب الحجم ، ولكنه فى حساب الحقائق خلاصة مركزة لعشرات المجلدات التى تحدثت عن قصة تاريخ الإنسان فى عشرات القرون . والكتاب فى مجموعه لمحات عابرة فى رأى صائب ، واتزان عميق ، وبيان مشرق، وفى إشراق الفكرة المركزة بتراءى الجهد المضنى الذى يبذله الغواص فى أعماق اليم وفى تبسيط المعقد من مشاكل التاريخ تبدو الطاقة المبذولة فى تحويل أطنان من الأتربة والحجارة إلى ذرات صغيرة من الذهب الوهاج .

وفى الكتاب لفتات ذهنية بارعة ، ومفاتيح لغرف نفسية لشعوب انطوت على أنفسها -- على حد تعبير الأستاذ الفنان المعداوى — ، ونتائج يكاد ينفرد بالوصول إليها ، ومشاهد من صور يعبد التاريخ نفسه فيها .

وقلائل جدا ، هم الذين نصدوا لكتابة التاريخ وحلق بهم الفكر النير على أجنحة الفهم العميق والأدراك المتزن إلى الآفاق التى توحد فيها حقائق الأرواح الخالدة ، وقلائل جداً هم الذين لم تفح من أثارهم روائح القبور، ولم تبد وراء كلماتهم جثث الموتى وعظام الغابرين .

وثقافة الأستاذ المخزومى العلمية، واطلاعه العميق على مصادر التاريخ فى أكثر من أربع لغات أجنبية يتقنها ، إلى جانب ما يتحلى به من ذوق مترف ، وحس ملهم فى الأدب والفن، كل ذلك يطل عليك من وراء كلمات الكتاب النابضة بالحياة ، فيخيل إليك أنك لا تقرأ كتابا ، وإنما تسمع حديثا مبسطا عن المشاكل المعقدة فى العلم والفن ، فى سخرية لاذعة واتزان عميق .

تبتدىء المسرحية الصهيونية التى ذهب ضحية فصلها الأول

الوصف، ويحترقون فى الاقتراب منها معالجين القريض، فإذا بهم يتخبطون ويحترقون كما تحترق الفراشات المتواثبة حول النور !

لست أدرى يا بنى لم تتزاحم الصور والمعانى أمام خاطرى حينما أنظر إليك ، ولست أدرى لم هذا النهم كله فى حبك ، ذلك أن فيضك يا ولدى وسع آفاق قلبى كثيرا وبسط جوانب نفسى كثيرا وزودنى بأعماق بعيدة الغور لا يدرك لها مدى ولا تحدها حدود ! !

لو عرفت يا بنى كيف يدفع التعب ، وكيف تهون المشقات، وكيف يسهل الصعب ، وكيف تقرب الغاية لعلمت أنك دواء من الله لم تحتوه صيدلية ولا ركبه العلم ، يعين به الله الهمة المجهدة ويرشد به الله البصيرة الضالة ! ويحل به العزيمة محل الخور والأمل بعد اليأس والرجاء بعد القنوط .

ثم ها أنت ذا يا بنى تدلف إلى عامك الثانى تسرع الخطى وعندما تضحى على أعتابه يا بنى سيكون لى معك حديث وأى حديث.

بنت جبيل — لبنان حسن محمد عبد الله شرارة

٣٤٠٤١

مليون ونصف من العرب الآمنين ، التي سيذهب اليهود مجتمعين في فلسطين ضحية الفصل الثاني منها حينما ترخى يدالزمن أطراف الستار ، في مكانين متباعدين في الشرق والغرب .

وقف على طرف المسرح الغربي في بريطانيا لويد جورج وزملاؤه ، يعاونهم بلفور وشركاؤه على الايقاع باليهود عن طريق وعد بلفور الغاشم ؛ ووقف على طرف المسرح الشرقي مكماهون ولورنس يحاولان الايقاع بالشريف حسين عن طريق استقلال العرب ...

وفي الوقت الذي كان فيه مكماهون يقطع الوعود المعسولة للشريف حسين ، كان جورج بيكو الفرنسي ، ومارك سايكس الانجليزي قد أتما تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بينهما ، ولم يتركا للعرب غير الصحراء — الصحراء فقط — لأنهم خرجوا منها وإليها يرجعون ...

ويقول المؤرخ الانجليزي هـ . ر . تامبرلي : « كانت ثقة العرب في بريطانيا العظمى من القوة بحيث لم يفلح افشاء بعض البنود من المعاهدات السرية في افساد العلاقات الحسنة بين الطرفين ... »

آمن ابراهيم وهو في العراق بفكرة التوحيد ، وتبنى اليهود من بعده هذه الفكرة وتعالوا بها عن سائر الشعوب التي تحيط بهم وانطووا على أنفسهم فكرهتهم الشعوب وا كتوى ابراهيم نفسه بنار هذه الفكرة التي آمن بها فكانت وبالا عليه واضطر أن يفر من الصحراء إلى فلسطين . كان محبوبا فأعلن كثير من الأقوام أنه جدهم كالأبدوميين ، والأموريين ، والاسماعيليين . أما اليهود فيبدأون من يعقوب أو إسرائيل الذي اضطرته المجاعة إلى الهجرة إلى مصر ، وهناك ابتدأ الاضطهاد الأول في التاريخ لليهود . وهنا نتساءل : أكان الخطأ عند اليهود أم كان عند المصريين ؟

واضطر اليهود إلى الهرب من مصر ، وقد انضم إليهم من كان من غير اليهود ، ولعل موسى من هؤلاء . وقد أضاف إلى عقيدة التوحيد وصايا أخلاقية عشرا لم يتبعها اليهود ، بل شاكسوا الأنبياء ، وأشركوا بالتوحيد ؛ فقدموا القرابين لأرباب آسيا ، وعبدوا عشتاروت وبعل ومولوخ والعجل الذهبي ، ووضعوا أولادهم في أفران مولوخ ، وسلموا نساءهم للبغاء المقدس على الروابي والتلال .

لقد رأى موسى أن بقاءهم في تيه صحراء سينا ، قد يقوم المعوج من أخلاقهم ، ويثير رجولة الشجاعة في نفوسهم ، ولكن ذلك البقاء في التيه لم يفلح إلا في إجاعتهم ... وتسللوا إلى فلسطين أفراداً وجماعات تسللا بطيئا ، ولم يكن صحيحا أنهم أخذوها بالقتال لأنها كانت معمورة بجبابرة من الكنعانيين والأشمونيين والجابوسيين ، كانوا أصلب منهم مراسا وأقوى عودا ، وأمتن أخلاقا ...

وللمرة الأولى في التاريخ أصبحت لهم مدينة ، زمن داود وسليمان ، ولكن الذي يلفت النظر أنهم لم يستطيعوا الاتيان بعمل فني ، فاستعانوا بجيرانهم على بناء الهيكل . وإذا استثنينا المزامير خرج اليهود من حساب التراث الفني خاسرين ...

واليهود كالنار ، تأكل بعضها ان لم تجد شيئا تأكله ، وحينما لم يجدوا بينهم شعوبا يدبرون لها الشر ، ويبيتون لها المكر ، دبروا ذلك لأنفسهم ، فانقسموا إلى شماليين في السامرة ، وجنوبيين في أورشليم ، وقضى سرجون ملك نينوى على الشماليين عام ٧٢٢ ق . م ، ونبوخذ نصر على الجنوبيين عام ٥٨٦ ق . م ، ونفاهم إلى بابل ، وبذلك أزاحت يد التاريخ عن مسرح الدنيا تمثيلية لم يصلح الممثلون لأداء أدوارها ، ولم يرتح النظارة لمشاهدتها . ونتساءل مرة ثانية : أكان الخطأ عند اليهود أم عند البابليين والأشوريين ؟

يبتدىء تاريخ اليهود الحقيقي بسبي بابل ، وحينما فتحها كورش الكبير وقضى على امجادها عام ٥٣٩ أصدر أوامره باعادة اليهود إلى فلسطين (وها هو التاريخ يعيد نفسه بنزوح يهود العراق إلى فلسطين عن طريق إيران) . لقد رفض عدد كبير منهم العودة رغم مساعدة كورش العظيم لهم ، ورغم تبرع الذين لا يريدون العودة بنفقات الراجعين ... والذي يلفت النظر فيها ان فلسطين لم تتأثر بنفيهم إلى بابل . كانت الحياة فيها هادئة ومزدهرة بعدهم .

وبرجوع اليهود من السبي البابلي تحققت نبوءة دانيال . وهذه النبوءة لا تعني رجوع اليهود مرة أخرى ، لأنه لم يبعث

إليهم نبي بعد أن شتتهم تيطوس فى السنة السبعين من الميلاد .

عاد اليهود إلى فلسطين من العراق فابتدأت المتاعب لهم ولجيرانهم وللرومانيين. لقد عاشوا عيشة الضنك والفساد والشغب والفوضى ، ورأت روما وهى سيدة الدنيا وجبارة التاريخ ان تضع حداً لهذا العبث والاستهتار، فداف إليهم تيطوس بجيوشه وشتتهم فى العام السبعين من ميلاد المسيح . وهنا نتساءل مرة ثالثة : لقد قضت روما على قرطاجنة لأنها كانت تهدد حياتها ، أما اليهود — اليهود المستضعفون — فلماذا قضت عليهم روما ؟ وكان الخطأ عند اليهود أم عند الرومان ؟

ظهر المسيح يبشر بكلمة الله فضيع اليهود الفرصة الذهبية التى أتاحها لهم القديس بولس فى الطمأنينة ونشر عقيدة ابراهيم وشريعة موسى ، وتعاليم يسوع السامية بين الشعوب بدلا من وقفها عليهم . ضيع اليهود هذه الفرصة بدافع من تعصبهم الضيق المغرور ، وكبريائهم العنصرى .

وهكذا تم الفراق والتباعد بين اليهودية والمسيحية ، ونشأ الكره بين الطائفتين لأن الله لم يخلق العالم ليجعل منه عبيداً لأبناء يعقوب . وبنبذهم النصرانية عاشوا منبوذين مكروهين فى العالم ، واضطروا النصارى إلى مقابلتهم بالاضطهاد والعذاب بدلا من اظهار العرفان بالجميل ...

فى هذه الفترة من الاضطهاد اضطر اليهود إلى العيش مجتمعين فنفروا من الزراعة وحرموا من الوظائف العامة والجيش ، وانصرفوا بكليتهم إلى التجارة والربا الذى يحرمه دينهم عليهم ، فجمعوا المال وكدسوه غير ملتفتين إلى مايحيق بهم من عذاب واضطهاد .

وأقبلت الثورة الفرنسية تلتهم الأخضر واليابس ، وتدمر معالم الحياة ، وأطلت البورجوازية ، وحل المال محل سائر القيم الروحية والاجتماعية والأخلاقية ، فوجد اليهودى نفســـه فجأة فوق قمة المجتمع الأنسانى بما لديه من مال ، وانفتح أمامه مستقبل لم يحلم به أبداً .

وفى هــذه المرة كان بامكان اليهود النجاة بانفسهم والعيش هادئين ، ولــكن الغرور سول لهم أن يفرضوا أنفسهم على الدنيا وأن يستعبدوا العالم بأمره .

وظهر رد الفعل شديداً فى أسبانيا ، وذاق اليهود من الكنيسة ألواناً من العذاب فهاموا على وجوههم ، ووجدوا فى العالم العربى الصدر الرحب الذى لا يضيق ، والتسامح الدينى الذى يفرض على المسلم احترام أهل الكتاب ، والقلب الرحيم الذى يضع البلسم على الجرح الدامى ، وحذت البلاد النصرانية حذو اسبانيا فوقع اليهود أمام اضطهاد منظم رهيب . كان اليهود على الدوام يلقون اللوم على مضطهديهم ، ولم يدر بخاطرهم أن يوجهوا بعضاً من التقريع إلى أنفسهم .

وهنا تبتدىء مرحلة جديدة أمام اليهود فى التاريخ ، تلك هى مرحلة التردد بين الاندماج والتكتل .

ان الاضطهاد المنظم ، والمال الوافر ، حملهم يفكرون فى موطن أو دولة وخرجوا من التفكير الطويل فرأوا أنفسهم أمام حلين لمشكلتهم :

الحل الأول : أن يندمجوا بسكان البلدان التى يعيشون فيها وتختفى مع الزمان العلامة الفارقة التى تميزهم عن الناس .

الحل الثانى: أن يبقوا منعزلين انتظاراً للوقت الذى يفتشون فيه عن وطن لا ينازعهم فى ملكيته أحد . وفى الحيرة بين هذين الحلين بقى اليهودى هائماً فى الظلام يتخبط فى تيار الزمن متردداً .

وإذا عدنا إلى الماضى البعيد ، منذ ألفى سنة ، نرى فيلسوف الاسكندرية اليهودى فيلون ينتصر لفكرة اندماج اليهود بالشعوب التى يعيشون بينها حين يقول : « لم يعد اليهود بسبب عددهم قادرين على أن يعيشوا فى بلد واحد . ثم انهم يعيشون الآن فى أغنى البلدان من أوربا وآسيا فينبغى أن ينظر اليهود إلى أورشليم اليوم وغداً على أنها مقر أصله الخلقى وانها مكان مقدس ، على حين أن البلد الذى يسكنه هو وطنه الذى يعيش فيه كما عاش أبوه وجده من قبله » . وقد تحققت مخاوف فيلون وأدت إلى خراب اليهود فى معظم البلدان التى عاشوا فيها .

وحينما صدر وعد بلفور الذى يمنح اليهود فى الظاهر وطناً روحياً ، وفى الباطن دولة يهودية ، احتج عقلاء اليهود عليه ، ولــكن احتجاجهم ذهب صرخة فى واد ، واعتبر المحايدون ذلك الوعد افدح ضربة وجهت إلى اليهود فى التاريخ . والذى يرجع

إلى المذكرات التي كتبها هربرت صموئيل أول مندوب سام على فلسطين بجدصورة واضحة المعالم فيها من أعماق قلب يهودي شديد الاتزان ، بعيد النظر .

وأقبل القرن الرابع الميلادي وأصبحت المسيحية دين الدولة الرومانية ، وأصر اليهودي المتعصب على القطيعة وبقي على معتقده القديم ، ولم يحاول اليهود العودة إلى فلسطين بعد عام ١٣٥م حتى لم يذهب إليها حاج واحد ولم يأتوا إلا بعد اضطهاد الأسبان لهم ، وجاءوا لاجئين لا حجاجا .

وعلى أثر اضطهاد اليهود وطردهم من انجلترا عام ١٢٩٠ وفرنسا عام ١٣٠٦ ، واسبانيا عام ١٤٩٢ ، فتح ملوك ألبانيا أبواب بلادهم لهم ، ولكن اليهودي العتيد بقي نفس ذلك اليهودي المطرود بكل ما فيه من تعصب لجنسه ، يعيش منفصلا عن الأمة البولونية ويمتص دماءها وأموالها ، فنشأ البغض هناك وأطل الاضطهاد برأسه . ونتساءل دائما لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا يضطهد اليهودي ويبغض ، ألخطأ عند الناس أم لخطأ في طبيعته ؟

وتحسنت أحوال اليهود بعد القرن الثامن عشر بسبب الهجرة إلى أمريكا ، ولكن المهاجرين اليهود حملوا إلى الدنيا الجديدة معهم بذور الأضطهاد فنبتت حولهم هناك .

ونشأت فكرة الدولة اليهودية من الخوف من تكاثر عدد اليهود المنصهرين في الشعوب ، ثم لأيواء اليهود المضطهدين . تلك هي التربة التي نمت فيها بذور الحركة الصهيونية .

يحدثنا التاريخ أن نابليون بونابرت في العام السابع من الثورة الفرنسية قد دعا يهود آسيا وافريقيا للانضواء تحت لوائه لاسترجاع أورشليم .

وبجنس عام ١٨٤٠ اليهودي الايطالي موبيز حايم مونتفيوري بالجنسية الانجليزية ومنح لقب سير وهو صاحب فكرة اقناع الانجليز بحماية اليهود في الدولة العثمانية ، ولكن انجلترا في ذلك الوقت لم تجد مصلحتها في جانبه فلم تساعده ، وحاول ايقاف هجرة اليهود إلى أمريكا وتحويلها إلى فلسطين ، ولكنه لم يفلح .

وتأسست عام ١٨٨٠ في الاستانة جمعية صهيونية روسية سمت نفسها (بيلو) قالت في بياناتها : « يا اسرائيل ماذا ضمت منذ ألفي سنة ، لقد نمت نوما عميقا وحلمت برؤيا الاندماج الفارغة . إن مستقبلك في الغرب لا أمل فيه ولا رجاء ـ هناك مستقبلك في الشرق حيث يلمع نجمك في السماء .. »

وكان الدكتور بانسكو الروسي اليهودي من دعاة الاندماج ، ولكنه غير رأيه بعد اغتيال اسكندر الثالث وعودة الاضطهاد ، ورجع ينادي بالدولة اليهودية ، ولكنه حذر قومه من الاتجاه شطر الأرض المقدسة . ومن أقواله : « لقد قاسينا من الويلات على هذه الأرض المقدسة ما فيه الكفاية . ولنا فيها من الذكريات الأليمة ما يصرفنا عن التفكير في سكناها والتعرض لأخطار الطرد منها كما حدث في الماضي . »

وقام في نفس الوقت البارون هيرش الألماني يدعو إلى الدولة اليهودية ولكن في بلاد الارجنتين تحت شعار العودة إلى الزراعة ، لكن هذه الفكرة ماتت بمعارضة المتطرفين ومات مشروع البارون .

ثم ظهر على المسرح موبيزهس الألماني . كان هذا شديد الاعجاب بالثورة الفرنسية فدعا إلى اتحاد فرنسي يهودي للسيطرة على الشرق الأدنى وطريق الهند ومحاربة الانجليز ، لكن قضية دريفوس الشهيرة جملته يغير رأيه .

وفي هذه البلبلة ظهر هرتسل ، وهو يهودي نمساوي . كان صحفيا ومؤلفا مسرحيا . أصدر عام ١٨٩١ كراسا عنوانه الدولة اليهودية) أحدث ضجة كبرى .

جرب هرتشل ان يوحد المذهبين المسيحي واليهودي عن طريق تنصير اليهود ووضع حد لسلكهم الشاذ في المجتمع البشري ولكن أصدقاءه صرفوه عن هذا الرأي لاستحالة قبول اليهودية .

وازاء هذا الفشل خطرت له فكرة تأليف شركة يهودية للاستعمار في أرض يستطيع أن يمتلكها اليهود وأن تنظم إليها الهجرة تنظيما كثيفا . ومن المحقق ان أرض الميعاد لم تخطر لهرتسل على بال . لكن المتطرفين قلبوا فكرته وحملوه على تقديم مشروع على أساس الهجرة إلى فلسطين . فحاول الحصول على فلسطين من السلطان عبد الحميد ، لكنه باء بالفشل وكان جواب السلطان لوسيطه : (قل للدكتور أن يعدل عن الاصرار على هذا الأمر فأنا لا أستطيع التنازل عن شبر واحد من أرض السلطنة لأن

هذه الأرض هى ملك لشعبى لا ملكا لى ، وقد أهرق هذا الشعب دمه للاستيلاء عليها فليحتفظ اليهود بملايينهم ، ولعلهم يتمكنون من الفوز بفلسطين بدون مقابل متى قطعت أوصال السلطنة . أما أن أقبل طوعا بان تنزع منها أحد أجزائها فلا ...

« اننى لا أستطيع أن أرضى بتشريحها وهى لا تزال على قيد الحياة ... »

لكن هرتسل استعمل الأساليب الملتوية رغم هذا الجواب الصريح وخرج على مبادىء الهجرة الكثيفة ... وكان فى الوقت الذى يدعو فيه إلى اتحاد يهودى اسلامى للتفوق على المسيحيين، كان يفاوض امبراطور المانيا ويحاول اقناعه بالفوائد التى تجنيها المانيا من ايجاد فلسطين ، إذ لا بد أن تمهر بطابع من الثقافة الألمانية ، ومع ذلك فلم يكتب له التوفيق ، ففشل مع غليوم وعبد الحميد ، لكنه لم ييأس وأدار وجهه إلى انجلترا ، وكانت تعانى من كثرة تدفق المهاجرين اليهود عليها ، فرحبت بالفكرة لأن فيها الحيلولة بينها وبين السيل الجارف من المهاجرين ـ ولكن انجلترا لم ترد أغضاب السلطان ، فاقترح هرتسل جزيرة قبرص أو العريش لكن جوزيف شمبرلين وزير المستعمرات اقترح عليه « اليوغندا » لتكون موطنا يهوديا ... ولما تألفت لجنة لدرس هذا المشروع كان هرتسل قد مات فقضى على الفكرة نهائيا ورفضها مؤتمر ١٩٠٥ رفضا باتا .

وهنا ظهرت أقلية يهودية أسمت نفسها منظمة الأراضى وأسلوبها شراء الأرض واقامة المستعمرات والمدارس والهجرة بأسلوب خفى تقوم الدولة اليهودية ويطرد العرب من فلسطين وهكذا لعب اليهود بالنار التى احترقت وستحترق فى لهيبها أرواح بريئة من بنى الانسان ففازوخداعا بالجولة الأولى ،واستقروا على فوهة بركان من حقد أربعين مليونا من أمة أحسنت لليهود فى أوقات المحن التى مروا بها ؛ تغلى فى أعماق ذلك البركان حمم رهيبة من الثأر وويل للظالم من المظلوم ...

وهذه جولة خاطفة فى رياض هذا الكتاب النفيس ، طفنا بالقارىء فيها حول وروده ورياحينه ، ومررنا بتلك اللفتات الذهنية البارعة . يقص المؤلف كل ذلك على لسان اليهودى موبيز صديقه الخيالى .

وهنا لك إشارات عابرة فى الكتاب إلى تلك الحركات الفكرية الهدامة التى كان ولا يزال اليهود يقومون بها فى عصور التاريخ ، لهدم القيم الاخلاقية والمثل الانسانية التى ترفع أعين البشر إلى النور .

وتعاليم التلمود توجب على اليهودى كره كل من كان من غير بنى جنسه ... وأن يكون قاسيا حقودا .

وأما قصة (برونو كولات شيوخ صهيون العلماء) فقد جلاها مترجمة لقراء الرسالة الأستاذ محمد خليفه التونسى فى اعداد الرسالة الغراء اعتبارا من العدد « ٨٥٠ » ، ومنها عرف القراء اليهود عارين بعد أن نزعت عنهم تلك الوجوه المستعارة .

ونرى أن ننوه فى نهاية هذا الحديث إلى المقال الرائع الذى كتبه الأستاذ عدنان الكيالى ونشر فى عدد الرسالة (٨٦٠) ففيه تفصيل لبعض المشاكل التى أشرنا اليها اشارة ونرى أن نقتبس القسم الأخير من المقال المذكور .

قال الأستاذ الكيالى : « وانى أعتقد أن العالم لن يصيب الراحة والهدوء ولن يسوده السلم والاستقرار مادام اليهود عنصرا فعالا فيه ، وما دام بين الناس من لا يزالون ينخدعون بهم وينظرون اليهم نظرتهم لسائر أبناء البشر الآخرين . ولا مفر للبشر من اتباع أحد وجهين لاثالث لهما لوضع حد لمفاسد اليهود وشرورهم، فاما أن ينبذوهم نبذا تاما ويقصوهم عن مراكز العمران فى العالم ويحصروهم فى بقاع نائية حصرا لا مجال لهم معه إلى بث سمومهم فى الناس . واما أن يصدقوا النية فى تغيير عقلية اليهود ومعتقداتهم بأخذ الأجيال الناشئة منهم وتربيتها تربية بعيدة كل البعد عن معتقدات آبائهم وأجدادهم بحيث يهدون إلى دين جديد كالاسلام أو المسيحية أو البوذية أو الكونفوشية أو أية عقيدة أخرى يهذبون ويوجهون توجيها جديدا يتفق مع الخلق الكريم والمثل الانسانية العليا لتصبح نفوسهم مثل نفوس سائر البشر »

وبعد فلك ياصديقى المخزومى شكر العربية على كتابك النفيس ونرجو أن لا تحول أعمالك الهندسية الواسعة بينك وبين التفرغ لمشكلة أخرى من مشاكل الأمة العربية فتدرسها درسا عميقا فيه الرأى الصائب والتسديد والتوجيه ...

علي محمد سرطاوي

بغداد ـ دار المعلمين الريفية



حب!..

ثلاث صحائف من مذكرات رجل رياضي

مختصرة عن Guy de Maupassant

كانت تلك الليلة شديدة البرد، حالكة الظلام، فجلسنا للعشاء في غرفة فسيحة، بدت لي كمعرض من معارض الحيوانات، فقد كان ابن عمي حريصاً على تعليق كل طير جميل يصطاده على جدران هذه الغرفة بالذات، أو بدليه بالحبال من سقفها! ... حتى ابن عمي بدا لي تلك الليلة، في هيئة غريبة هو الآخر! ... كان يرتدي معطفاً « جلديا » سميكا بدا لي به كواحد من تلك الحيوانات التي تعيش في المناطق المتجمدة الشمالية!

كان ابن عمي — كارل دي روضي — قددعاني إلى الصيد معه. فلما جلسنا حول المائدة راح يحدثني عن كل الترتيبات والاستعدادات التي دبرها أو اتخذها لهذه الرحلة ... فعلينا أن نبدأ الرحلة في ساعة مبكرة في فجر اليوم التالي ... وعلى مسيرة ساعة من هنا أقام ابن عمي كوخاً من قطع الجليد الكبيرة، وأعده لنحتمي به من شدة الزمهرير!

فرك ابن عمي راحتيه، وقال — آه ... لم أر طول حياتي مثل هذا الجو البارد! ثم استأذنته، ودلفت إلى فراشي مبكراً، وما كدت أستقر بين أحضان الفراش الدافئة، حتى نمت نوماً عميقاً هادئاً ولم أستيقظ إلا على يد ابن عمي ووجهه الأحمر، والفجر لما يطلع بعد.

وسرنا أنا وابن عمي وكلابه، نتبع رجلا استأجره ابن عمي لحمل الصيد وما كدنا نخرج من البيت حتى شعرت بالرياح تلطم وجهي بشدة، وأحسست بالبرد يسري في أوصالي. وكانت الطيور الصغيرة تتهاوى إلى الأرض، وهي جثث هامدة جامدة!

كنا نسير، أنا وابن عمي جنباً إلى جنب وقد انحنى ظهرانا، ولاذت بالجيوب أيدينا ... وكنا قد تأبطنا بنادقنا وسرنا في صمت وسكون. حتى وقع أقدامنا لم يكن يسمع قط، فقد عمدنا إلى لف أقدامنا بالصوف خشية الانزلاق على الجليد. وكنت أتلهى بالنظر إلى مياه النهر المتجمدة، وإلى البخار الكثيف المتصاعد من أنوف الكلاب.

ووصلنا غابة كثيفة اختارها ابن عمي للصيد، وأوغلنا بين أشجارها المتعانقة، وأحراشها المتكاثفة، فكان إذا ما مس جسد أحدنا غصناً من الأغصان انحطم محدثاً صوتاً مدوياً يبعث الرعب إلى قلبي ... يا للسكون، انني أحس الآن في أعماق نفسي احساسات غريبة لم يسبق لي أن أحسست بمثلها من قبل. إن هذه الإحساسات التي تملأ نفسي لن تبرح ذاكرتي طوال أيام حياتي.

ولاح لعيني ذلك الكوخ الجليدي الذي أقامه ابن عمي لنحتمي به من شدة البرد. وكان وصولنا إليه مبكراً، فدخلناه لنسترجع أنفاسنا ونرتاح قليلا، وانتهزت هذه الفرصة فتدثرت بغطاء سميك من الصوف، واستلقيت على الأرض محاولا التماس الدفء، ولكن جدران الكوخ الشفافة ما كانت قادرة على صد هجمات الرياح الباردة، فبرد جسدي، وانتابتني نوبة من السعال أثارت اهتمام ابن عمي، فقال مداعباً ليس من الضروري أن نصطاد كثيراً اليوم ... انني أخشى عليك من الزكام! ... دعنا نشعل ناراً لعلك تدفأ!

وارتفع لهيب النار، ومس جدران الكوخ الشفافة كالبلور الصافي، فأخذت قطرات الماء تنهمر علينا كالمطر. وكان كارل خارج الكوخ حين ناداني في لهفة — تعال ... تعال وانظر! فعدوت إلى الخارج مسرعاً، وسرعان ماوقفت مدهوشاً ذاهلا ... يا للروعة! ...

كان كوخنا الجليدي ذو الجدران الشفافة، والنار تتأجج فيه، يبدو كالجوهرة التي وقع عليها الضوء الساطع. فراحت تشع وتتلألأ!

وبينما كنا مسحورين بهذا المنظر الأخاذ، وكل

شيء ساكن من حولنا ، إذا بنا نسمع دوياً هائلا ينبعث سريعاً خاطفاً من فوق رؤوسنا فيتبدد ذلك السكون الثقيل الذى كان يخيم على الحياة من حولنا !

ورفعنا أعيننا إلى السماء ، فاستطعنا أن نرى سرباً كبيراً من الطيور يحلق غير بعيد عن رؤوسنا . ولمع فى ظلام الفجر سيف من النور .. لقد أطلق كارل بندقيته ، وهرولت كلابنا نحو الغابة ثم تناوبنا إطلاق النار كلما لاح لنا سرب من أسراب الطيور المهاجرة وكانت كلابنا تلهث من شدة التعب .. إلا أنها كانت مسرورة لممارستها هذه الرياضة المسلية . وكانت تحضر لنا الطيور المضرجة بدمها الحار ، تلك الجريحة التى كانت ترمقنا دائما بنظرات كلها أسى ويأس وعتاب !

وأشرقت الشمس ، وبدأت ترتفع فى الأفق بتثاقل ، وكنا نهم بالعودة حين لاح لنا فى الجو الصافى ، طائران يطيران على مهل وقد اشرأبت منهما الأعناق ، وانفردت الاجنحة .. وكان قد مرقا من فوقنا ، حين أطلقت النار من بندقيتى ، فسقط أحدهما على مقربة منى ، وكان جثة هامدة قد مزقها الرصاص !

كان صدر الطير فضيا لا معا ، وحين رفعته بيدى انفحصه فى اعجاب ، سمعت صوتا يتردد من فوق رأسى فى نغمات قصيرة ذات وتيرة واحدة استطعت أن أحس بالحزن ظاهرا فيها بكل وضوح .. وقد بقي هذا الطير المحزون يحوم حولنا ويرمق زميله المضرج فى دمه فى ألم قاتل وهم مرير .

كان كارل راكعا على احدى ركبتيه ، مسددا فوهة بندقيته نحو الطير المحلق فوق رؤوسنا . قال كارل ـ لقد قتلت الأنثى... وبقى الذكر يحوم حولنا ولا أظنه سيترككنا .

والحقيقة ان الطائر لم يذهب بعيدا عنا ، ولم ينقطع نواحه الذى أحزننى كثيرا واشعرنى بالندم على ما فعلت !

وابتعد عنا قليلا فخيل إلى أنه قد ركن إلى الفرار بعد أن أدركه اليأس من أنثاه ، ولكنه سرعان ما عاد إلينا وقد تجدد عزمه ، واستأنف البحث عن إلفه والنواح على انثاه ، كأن هذا الفراق قد عز عليه ، ولم يحتمله !

قال كارل ـ اتركها على الأرض ، فهو حين يراها سيقترب منها وفعلا ، ما كدت اتركها حتى اقترب منها غير مبال بالخطر المحدق به .. فقد أعماه حبه لانثاه عن رؤية البندقية المفتوحة الفم وأطلق كارل بندقيته ، فهوى الطير كالحجر !

ووضعت الاثنين فى كيس واحد ... كانا باردين كالثلج وقد خمدت منهما الأنفاس ... وشعرت بالأسى يغمر قلبى .. فلم أطق رؤيتهما .

وعدت فى المساء إلى باريس !

البصرة : العراق — يوسف يعقوب حداد
ص . ب . رقم ١٥

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف الحالى قد أعدت للتوزيع ويعمل بها ابتداء من أول مايو سنة ١٩٥٠ وقد راعت المصلحة عند اعدادها تحقيق رغبات الجمهور كما يتبين من التحسينات المبينة بعد : —

١) اعادة الخدمة السريعة بين مصر ودمياط .

٢) التبكير فى مواعيد قيام ووصول القطارات الصباحية .

٣) تنسيق ساعات قيام قطارات الاكسبريسات على الخطوط الرئيسية بحيث تقوم من مصر إلى الاسكندرية فى أنصاف الساعات وتقوم من الاسكندرية فى تمامها ومن مصر إلى بور سعيد وبالعكس فى أرباع الساعات ومن مصر إلى الأقصر والشلال فى تمام الساعات .

٤) تسيير قطار ركاب بين اسكندرية وطنطا وبالعكس ليؤدى خدمة صباحية ومسائية لهذه المنطقة .

٥) استبدال القطار المختلط (ركاب وبضاعة) بقطار ركاب خط الواسطى والفيوم وأبو كساه .

٦) تقرير اعادة تسيير القطارات السريعة بين مصر والاسكندرية ومصر والأقصر فى موعد سيحدد قريبا .

٧) يشتمل الجدول على خريطة إيضاحية تبين خطوط السكك الحديدية ومحطاتها وتطلب هذه الجداول من شبابيك تذاكر المحطات وكذا من الباعة المرخص لهم ببيعها مقابل عشرين مليما للنسخة الواحدة .

مطبعة الرسالة

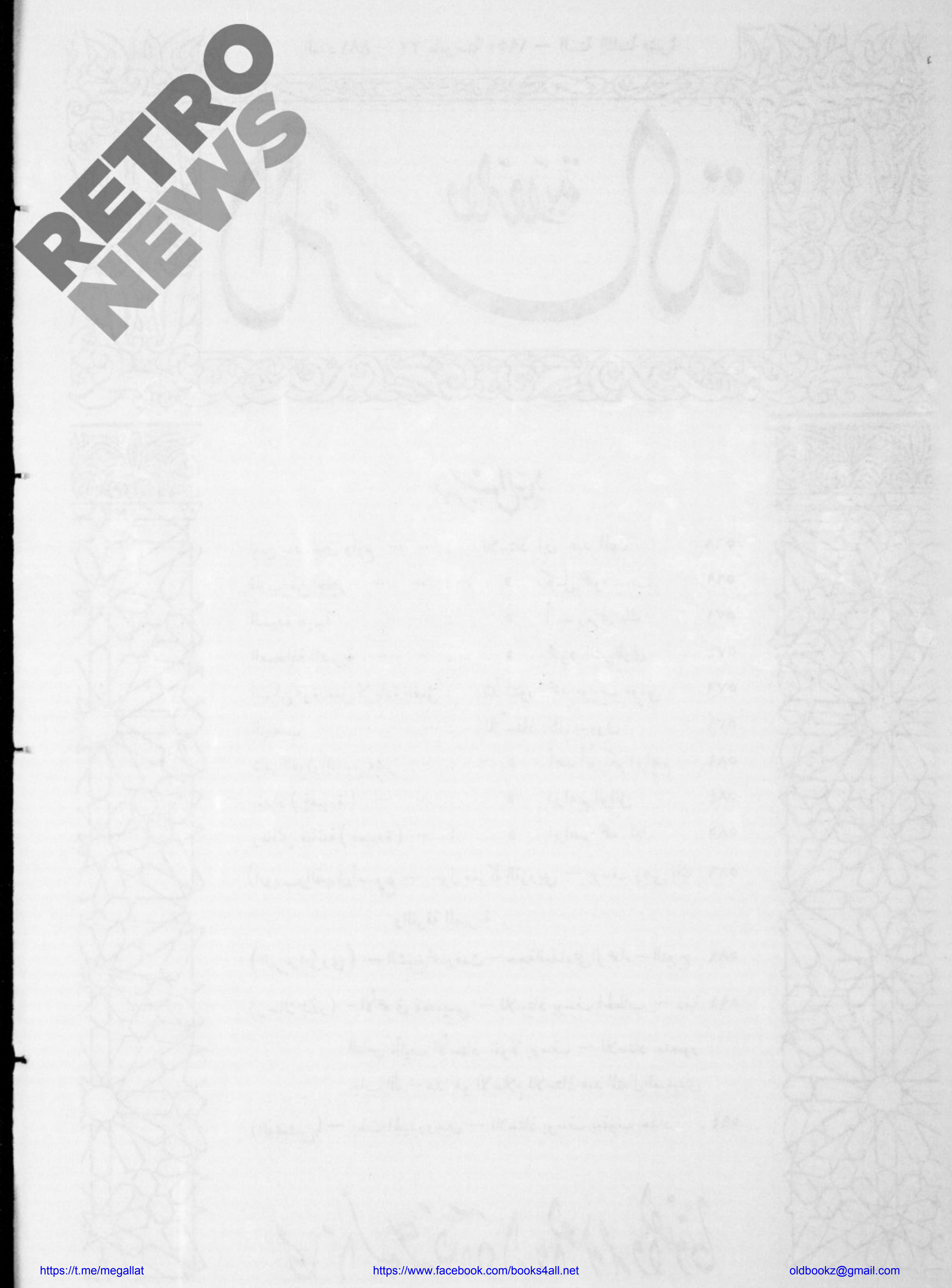


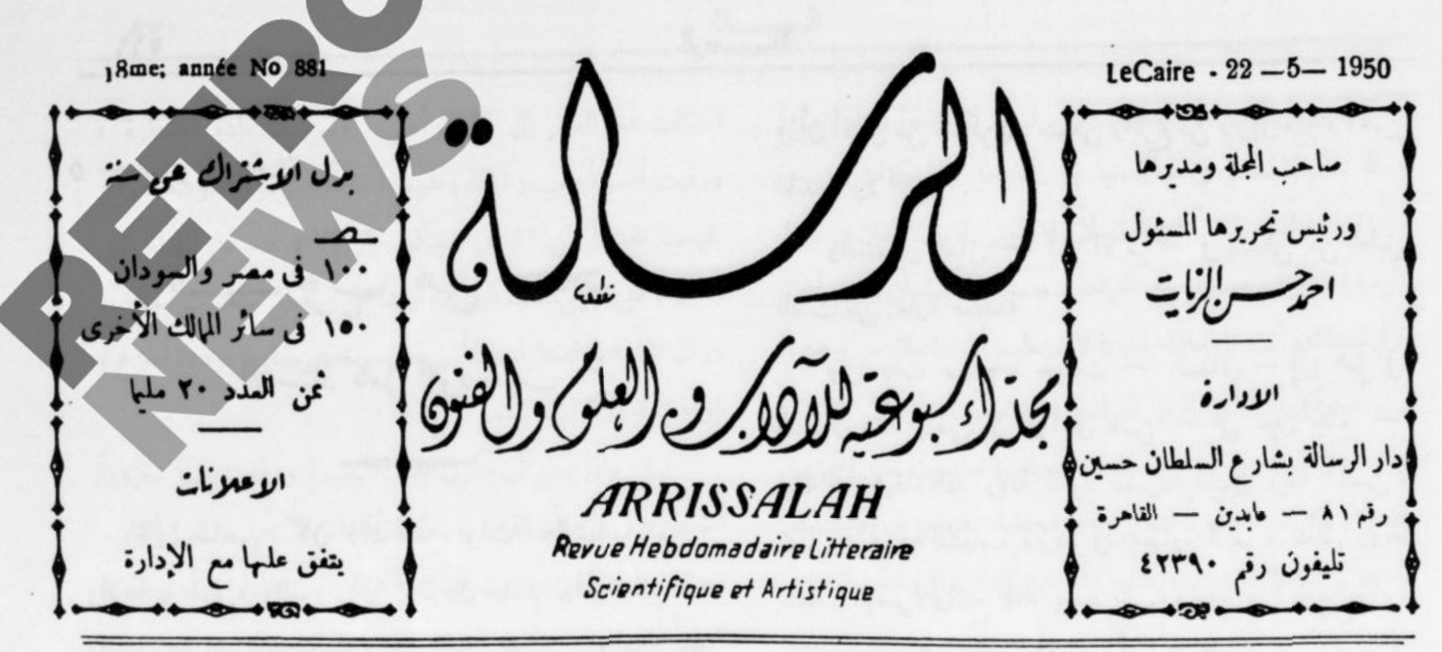
العدد ٨٨١ — ٢٢ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS


18me; année No 881 — LeCaire - 22 — 5 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٨١ « القاهرة في يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٦٩ — ٢٢ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

ليس بعد الدين وازع

كان كتاب التراجيدية من الإغريق وأتباعهم من أمثال كورني وراسين وشكسبير لا يتخيرون أبطال مآسيهم إلا من أصحاب القصور. وحكمتهم في ذلك أن وجيعة النفس لمصائب الملوك أقوى من وجيعتها لمصائب السوقة، فالاعتبار بهم يكون أبلغ، والتأثر لهم يكون أشد. والناس يومئذ لم يكونوا يظنون أن سلائل الآلهة هم كذلك أغراض لسهام القدر؛ فإذا رأوا أن المرء مهما يعظم قدره ويضخم أمره لا يعظم على النوائب، ولا يكبر على الأحداث، خفت عليهم أحكام القضاء، وساغت لديهم غصص الحياة.

والحق أن ما يصيب العامة كل يوم من قواجع العيش ومواجع القلب لا يقع من النفوس موقع ما يصيب الخاصة كل حين من بعض ذلك؛ لأن أولئك مظنة الخطأ والتبذل والاستهتار، فالعجب أن يسلموا! وهؤلاء مظنة الصواب والتصون والحفاظ، فالعجب أن يصابوا ولعلك لا تعدم كل صباح أو مساء خبراً عن فتاة خرجت على أسرتها فأضلها الشيطان، كما لا يعدم الرعاة كل ضحوة أو عشية خبراً عن نعجة شردت عن قطيعها فأكلها الذئب. ولكن هذه الأخبار أصبحت من مألوف الآذان لكثرة ما في سواد المجتمع من ضعاف البصيرة والعقيدة والإرادة. أما الذي لم يؤلف ولن يؤلف فهو خروج الفتاة على دينها لشهوة متغلبة أو نزوة متحكمة.

وهذه الظاهرة على ندرتها قلما نجدها في الطبقتين الدنيا والوسطى، وكثر ما نجدها في الطبقة العليا؛ فإذا عددت واحدة أو اثنتين من غواني الدن تزوجتا من غير المسلمين، عددت سبع أميرات في العراق وإيران ومصر قد تزوجن من مسيحيين وهن يعلمن أن دينهن لا يجيز هذا الزواج ولا يرتب عليه حقا من حقوق الأسرة. وعلة الكثرة هنا والقلة هناك ضعف الوازع الديني في نفوس هؤلاء، وقوته في نفوس أولئك.

واستشعار الخوف من الله طبيعة في الشعب غرسها فيه افتقاره الدائم إليه، واعتماده المطلق عليه، ورجاؤه المتصل فيه. أما السراة فهم حريون لغناهم عنه بالسراوة والثراء ألا يخشوه ولا يرجوه إلا إذا حملوا منذ النشأة حملا على تقواه بالتربية الدينية والثقافة الروحية والأسوة الحسنة.

والسنن الإسلامية التي ربت عائشة وأسماء، وسكينة ونفيسة، وزبيدة وشجرة الدر، لا تزال قادرة على أن تربى مثلهن إذا أقيم على قواعدها السماوية نظام البيت ومنهاج المدرسة وشريعة الوطن.

إن المسلم الحق قد ينزل عن طبقته فيشكر، وقد يخرج من جنسيته فيعذر، ولكنه أبداً لا يفسق عن أمر ربه وفي قلبه نور وفي ضميره حياة

ابن عبد الملك

٥ — صور من الحياة

قـــلوب من حجر

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال لي صاحبي : كان ذلك منذ سنوات ، والشباب نضير ، والإهاب غض ، والعود ريان ، والزمان مبتسم ، والحياة مشرقة ؛ والقلب — إذ ذاك — معطل من نزوات الطيش . والفؤاد خلو من نزعات الحنق ، والروح عارية من دفعات النزق ، وأنا — حينذاك — أب وزوج . ولا عجب فلقد عشت عمراً من عمري قنوعاً أرى الدنيا حوالى تموج بالهوى والغرام ، وأنا على حيد الطريق أنظر إلى الركب فلا أستطيع أن أمد يداً ولا لساناً لأني رجل ريفي النشأة قروي المربى ، طبعتني روح الريف بسمات الخجل والانزواء ، وموهت تعاليم الدين الحياة في ناظري فصبغتها بأفانين من الألوان القاتمة كبلتني بقيود زائفة ورثتها غصباً فدمغتني بالتزمت والانطواء ، ثم اختار لي أبي الزوجة على نسق حرمني حق الاختيار والرأي ، في حين أني كنت موظفاً في الحكومة أبدو رجلا بين رجال ، فعشت إلى جانبها لا أشعر نحوها إلا بالسيادة والسيطرة ، ولا تحس هي نحوي إلا بالخضوع والاستسلام ، وانطوت الأيام .

وشعرت بأنني أعيش هنا — في القاهرة — غريباً لا أجد أهلي ، وهم في القرية ، ولا أستطيع أن أغتمر في خضم المدنية ، وأنا ريفي الروح ، ولا أن أعاور زملائي في الديوان أسباب المتعة واللهو ، وأنا أنكمش على نفسي وعلى ديني ، فرحت أهيء السلوى والعزاء في الدار ، وأداري نقصي باللباس الأنيق والمسكن الجميل وعندي الخفض والسعة فلا تعوزني المادة ولا ينقصني المال

هذه الحياة الرتيبة كانت بغيضة إلى نفسي لأنها تبعث في الملل والضيق ، وتنفث في الفراغ والدعة ؛ فلا أجني اللذة في معترك الحياة ، ولا أرشف السعادة من تقلبات العيش ؛ فركد ذهني وانحطت خواطري ووهى عقلي ، ولكني لم أجد عنها مصرفاً إلا في أن أتنقل من مسكن إلى مسكن وأفزع من دار إلى دار لا أحس الهدوء ولا القرار .

واستقربي القلق — آخر الأمر — في مسكن من الطبق الثالث من عمارة ضخمة

وفي ذات صباح ، خرجت — كدأبي — إلى عملي في الديوان ، فما راعني إلا أن أرى نفسي — على حين فجأة — قبالة فتاة هيفاء القد ريانة العود مشرقة الجبين ربقة الحسن ، تختال في روعة الشباب وتزهو في غضارة العمر ، تتألق رونقاً يخطف البصر ، وتشع جمالا يسحر اللب ، وتنفح عطراً يلفح الفؤاد ؛ فوقفت — برغمي — لحظة ... وأحست هي بي فــلم تعرني اهتماما — بادىء ذي بدء — ثم رأت نظراتي تغمرها بالنهم والرغبة فاندفعت صوب مسكن جاري تغلق الباب من دوني في هدوء .

وانطلقت أنا إلى عملي في حيرة وذهول أسائل نفسي وقد انطبعت صورتها في ذهني ، وما في خاطري سوى فكرة واحدة تزحمه : يا لقلبي ! إنها تفور شباباً وفتنة ، شباباً يعصف العقل وفتنة تزلزل القلب فمن عسى أن تكون ؟ لعلها ربة الدار !

وشغلتني الفتاة الجميلة عن عملي فما أنصرف عنها ولا يبرح طيفها خيالي . وانا أحس اللذة والسعادة كلما تراءت لي من خلال تصوراتي تبسم في رضا ورغبة ، وأشعر بالضيق والملل كلما بدا لي أنها تدفعني عنها في غير هوادة ولا لين لأنها أغلقت من دوني الباب

وترادفت الأيام وأنا أحتال للأمر فانفتح أمامي الباب وتبسطت أسارير وجه الفتاة وخف جماحها ، ثم سكنت نفس إلى نفس واطمأن قلب إلى قلب وارتبط سبب بسبب . واستبشرت روحي فبدت على سمات الزينة والأناقة خيفة أن تقع عين الفتاة مني على ما يبعث فيها النفور والاشمئزاز ... ورحت أتزين كل صباح فأسرفت في الزينة وأتأنق فأفرط في الأناقة ، لا أعبأ بنظرات الريبة والشك تنطق بهما عينا زوجتي الريفية المسكينة ، وهي تنضم على أسى عاصف يوشك أن يقد قلبها ... قلب الأنثى الضعيفة المستكينة ... ولكنها لا تستطيع أن تكشف لي عن خبيئة نفسها خوفاً مني وفرقاً .

مسكين أنت يا من تطوى عمر الشباب في زاوية من الدار

تعكف على خيالات من الفضيلة والشرف ، تتعبد لها فى خضوع وذلة ، ثم لا تغتمر فى لجة الدنيا بقلب الرجل ولا تكافح أعاصير الحياة بقوة العزم ! مسكين أنت لأنك تعيش عمرك طفلا فى دنيا المردة وضاويا ، فى جيل من العمالقة ! مسكين لأنك لا تدرى أيان تزل قدمك وأنت على حافة الهاوية لا تستطيع أن تتماسك من وهن .

مسكين أنت أيها الريفى الساذج حين تجمح بك نزوات الطيش وقد اكتملت رجولتك واستوى عودك وتجاوزت سن الحق ، فتسول لك نفسك أمراً فتطاوع أهواء قلبك فتطير فى إثر فتاة المدينة ... فتاة الشارع ، فتصرفك عن الدار والزوجة والولد ، وتسلبك هدوء النفس وراحة الضمير !

وجذبتنى ابتسامة الفتاة فانطلقت على آثارها أسلس وأنقاد ، فسيطرت على قلبى وعقلى معاً ، فما استطعت أن ارتدع عن غى ، ولا أن أرعوى عن شطط ، يوم أن علمت أنهـا زوجة جارى الذى لا أعرفه .

وتلاقينا على ميعاد فى منأى عن الرقيب ، نرشف معاً رضاب الهوى المحض على حين غفلة من زوجى ومن زوجها ، لا أحس الضعة ولا الخسة ، ولا تستشعر هى سفالة الخيانة والسقوط ... تلاقينا معاً فى كنف الشيطان وقد مات فينا الضمير والشرف والكرامة جميعاً .

وغبرنا زماناً أخاتل زوجتى وتخدع هى زوجها . ولمست فيها الرقة والظرف فوجدت إلى جانبها السعادة التى افتقدت منذ زمان . وخيل إلى أن فى حديثها رنات لحن موسيقى تهتز له أوتار قلبى فى شدة وعنف ، وأن فى عينيها شعاعاً آسراً يجذبنى إليها بأمراس ، وأن فى دلالها معانى من أسوار السجن تلفنى فى ثناياها فتحجبنى عما عداها ؛ فاستسلمت فى رضا ولذة . على حين قد استحالت دارى إلى مكان بغيض ، واستحالت زوجتى إلى فتاة كريهة ، وباء ابنى منى بالاهمال والهوان .

وتواعدنا — ذات مرة — أن نتلاقى أصيل يوم معلوم من أيام الربيع ، وكنا إذا تواعدنا لا نختلف فى الميعاد ، وجاء اليوم الموعود فخف قلبى للقيا الحبيبة، وهفا فؤادى نحو الحديث الساحر واشتاقت نفسى إلى اللذة الحرام، فقضيت ساعات الضحى خفيف الحركة مشرق الوجه طلق المحيا ، يهزنى الخيال وتطربنى الفكرة . ثم انطلقت عند الظهر إلى دارى أهيىء نفسى للسعادة المنتظرة ، ورقيت السلم أتوثب رشاقة وطرباً ، فما أفزعنى إلا صوت صراخ ينبعث مختنقاً من أعماق مسكن جارى ... مسكن الفتاة التى أحب ، فدق قلبى دقات الرعب ، وبدا على وجهى شحوب الخوف ، وران على ذهنى اضطراب الأسى ، وسرت فى مفاصلى رعدة الجزع ؛ فوقفت لدى الباب أتسمع .

ترى ماذا عسى أن يكون خلف الباب ؟ ووقفت حيناً متردداً أنتفض وفى رأيى أن القدر يصنع حادثة ذات بال من وراء الجدار . وسولت لى مخافتى فدفعت الباب فاندفع . . . فإذا أنا أمام الفتاة التى أحب ، وإذا الخادم الصغيرة تلقى بنفسها بين يدى مستجيرة وهى تصرخ صراخاً يفتت الكبد ويصم الأذن ، وإذا بالفتاة الجميلة تندفع صوبى هائجة تهدر ، تلطمنى بكلتا يديها فى غيظ ، وتدعنى خارج الدار فى عنف ، وتقذفنى بأقذع الشتيمة وأحط السباب .

وفزعت من أمام الفتاة الثائرة ، وبين يدى الخادم المسكينة تتشبث بى وتتضرع

وقالت لى الخادم بعد أن أفرخ روعها وهدأ خوفها : «أرأيت يا سيدى السجان وهو يقسو على السجين فى غلظة وفظاظة لا تأخذه به رأفة أبداً ؟ أما أنا فلقد دأبت سيدتى الجميلة على أن تقضى صدر النهار فى الشارع وطرفاً من الليل فى اللهو ، لا تسكن إلى الدار إلا ريثما تطرى نفسها وتستكمل زينتها ، ثم تنطلق إلى هدف أو إلى غير هدف ؛ وسيدى رجل عمل لا يستقر فى البيت إلا ساعة يطير بعدها إلى عمله ؛ أما أنا فقد عشت بينهما زماناً ضحية الجوع والعرى والوحدة . وضاقت نفسى بالحياة فى هذا السجن الوضيع وأنا ريفية طويت عمرى فى الحقل أنعم بالعمل والحركة وأنشق نسمات الحرية ، لا أومن بالقيد ولا أطمئن إلى غل ؛ فطلبت إلى سيدتى فى خضوع أن ترسلنى فأسافر إلى أهلى فى القرية ، فرفضت . وألححت فرفضت . وحين وجدت من العناد والإصرار خشيت أن أفر من الدار فيعجزها أن تجد خادماً غيرى ، فغلقت الأبواب وانفلتت هى إلى غايتها . وبلغ منى اليأس غاية نفد عندها الصبر فثرت فى وجهها ، ورأت فى ثورتى معانى التبجح وسوء الأدب فأمسكتنى بيد من حديد وراحت تكوينى بحديدة محماة وإن عينيها لتضطرمان بنار القسوة والفظاظة ، وأنا

أتلوى وأبكي وأتضرع ولـكن انسانيتها كانت قد غابت فبدت فيها حيوانية جارفة تفترس بالناب والظفر ثم لا تهدأ إلا أن تلغ فى الدم » .

قالت الخادم كلماتها من خلال عبرات تتدفق أسى وبأساً ، ثم كشفت عن ذراع مزقتها كيات النار التى لا تعرف الرحمة ، أوحى بها قلب خلا من الرحمة والشفقة والانسانية جميعاً .

وعجبت أن يكون هذا الجمال الفتان ستاراً يوارى خلفه قلباً لا ينبض بالرأفة ، وروحاً لا تخفق بالحنان ، ونفساً لا تنضم إلا على الوحشية والافتراس .

ولـكن ، لا عجب — يا صاحبي — فإن الانسانية حين تتهاوى تسفل فتتضع فتنحط إلى أوضع مراتب الحيوانية !

كامل محمود حبيب

السيدة نفيســة

مقامها ومنزلتها

للاستاذ أحمد رمزى بك

« يا أبا اسحاق لا تعارض أهل مصر فى نفيسة فان الرحمة تنزل عليهم ببركتها »
رؤيا المؤتمن

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات
قفا نسأل الدار التى خف أهلها متى عهدها بالصوم والصلوات

للحديث عن السيدة نفيسة رضى الله عنها (روعة خاصة) اذ هى ذات المنزلة الرفيعة العالية فى قلوب أهل مصر ، تهتز القلوب حين تنطق باسمهـا ، وتعلو نفسك ومشاعرك حين تؤم مشهدها وتزور مقامها وتصلى بمسجدها .

ولقد شــاءت إرادة الله ، وماخطه تعالى فى سجل رحمته وعنايته لمصر وأهلها ، أن تـكون هذه البقعة التى ترقد فيها السيدة الطاهرة ، بقعة مباركة تفيض على الوجدان آيات الشعور والاخلاص ، ومظاهر الخضوع والشمول .

فأنت إذا دخلت مسجدها ورأيت مقصورتها استقبلتك الآية الـكريمة :

« قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى »

وقليل من الناس مهما قست قلوبهم وتحجرت مشاعرهم من يتمالك عبراته أمام قدسية هذا المشهد ، شعر بذلك كل من زارها فى الأعصر القديمة ، وكل من دخل مقامها فى العصور الحديثة ، وتحدث كل واحد منهم بما شعر به من النفحات التى تغمر نفس الانسان ، فتجعلها تتذوق حلاوة الايمان ، وتلمس عن قرب عظمة تراث ومجد هذه العزة النبوية، التى جاءت أرض مصر فى مستهل عصور الهجرة ، فاتخذت بلادنا لها مقاماً ومنزلا، فشرفتها ورفعت من قدرها وأعلت مقامها فوق كل مقام ، ومن وقتها عرفت مصر بأنها من منازل آل البيت الـكرام صلاة الله وسلامه ورضوانه عليهم .

وأنا ممن يعرف اختلاف المفسرين فى تفسـير الآية الـكريمة التى أشرت اليها وفى تأويلها ، وهم قد يذهبون فى آرائهم شيماً ومذاهب ، ولـكننى أحملها على ظاهرها وآخذها على النمط الذى أختاره وأرتاح اليه لتستقر الآية فى نفسى . فأقول إننى حينما أقف أمام المقام وأرتل الآية الـكريمة ، أؤدى واجب المودة لقربى هـذا النبى العربى الـكريم ، معجزة الأجيال السابقة واللاحقة والقادمة ، الذى بفضله ذقت حلاوة الايمان وبهديه اهتديت وعلى سنته سلـكت ، فأصبحت فى زمرة أتباعه ، وأتباع آله وأنصاره وأصحابه اؤلئك جميعاً الذى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

***

ها نحن أولاء فى أوائل القرن الثـالث الهجرى وقد ختمت المائة الثانية ، فاذا فى سماء مصر العربية ذات الفتوح ، يلوح اسمان كنجمين لامعين يشقان أضواء الهداية على هذه الأرض الطيبة، هما السيدة نفيسة رضى الله عنها والامام الشافعى رحمه الله . عاشا فى مدينة الفسطاط العربية ، وحضر الامام مجلس السيدة العظيمة القدر من وراء ستار ، فتناولا بالبحث والمدارسة والمناقشة أمور الدين والدنيا .

وكان الشافعى يؤم صفوف الناس فى الصلاة بالمسجد العتيق، وكانت تأتى هى فى شهر رمضـان فتحضر صلاته ، وتقف وراء

الصفوف تصلى وراء الامام الذى أصبح مفخرة مصر ومعجزة من معجزات الاسلام فى القرن الثانى الهجرى بعلمه وفقهه وبيانه .

ومرت الأيام وجاءت سنة ٢٠٤ هجرية فات الشافعى ، بعد أن ترك فى العالم دوياً وأضاء فى أرض الكنانة شعلة ، تسلمها تلاميذه من بعده ثم أتباعه فتلاميذ أتباعه وحملوها إلى يومنا هذا، تشع منها أنوار الهداية لمذهب باق على الأرض ، ما بقيت الأرض؛ فهم إذن سدنة وحفظة ركن من أركان هذا التراث الخالد من مصر العربية الاسلامية حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

انتقل الشافعى لجوار ربه فحزنت مصر بأسرها عليه وسارت جنازته من المسجد العتيق ، مسجد سيدنا عمرو بن العاص، فمرت بالمنزل الذى كانت تقيم به السيدة نفيسة ، فصلت عليه ثم سارت جنازته إلى المكان الذى دفن فيه ، وقالت رضى الله عنها كلمتها المعروفة « رحمه الله! انه كان يحسن الوضوء» .

***

ومن مظاهر القرن العشرين وعبقرية رجاله ، أن تشغل السيدة نفيسة أهل مصر أكثر من أحد عشر قرنا من الزمن ، بكراماتها ومنزلتها وعلمها وسؤددها فيكتب الناس عنها[1] الكتب ويزور مشهدها الملوك والسلاطين والأمراء والقواد والعلماء، ومن كانت تهتز الدنيا بعزائمهم وقوتهم وثباتهم ، ثم أسمع منذ مدة ان بعض الكتاب تعرض إلى تحقيق تاريخى يخلط فيه بين السيدة نفيسة صاحبة المقام العالى ، والسيدة نفيسة الألفية التى عاشت فى عهد الحملة الفرنسية . أما السيدة نفيسة الأولى المعروفة النسب الثابتة الأصول فكان أبوها الحسن بن زيد، وأمها أم ولد. وأخوتها ومحمد القاسم وعلى وابراهيم وزيد وعبد الله ويحيى واسماعيل واسحق وأم كلثوم، وزوجها اسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب. فهى شريفة حسنية وزوجها شريف حسينى .

وكان لهما ولدان : القاسم وأم كلثوم لم يعقبا ولكن لزوجها اسحاق عقب من غيرها. ذكر المقريزى أن لزوجها عقبا من غيرها عرف فى زمانه بمصر بنو الرقى ، وبحلب بنو زهرة .

وقد دخلت السيدة نفيسة الديار المصرية مع زوجها المؤتمن ، فأقامت بها وكانت ذات مال وجاه ، فاخذت تواسى الناس وتشملهم ببرها وخيرها وكانت عابدة زاهدة . ذكر المؤرخون كيف استقبلت عند مقدمها وأكثروا من الكلام على مآثرها وكراماتها وزهدها فى الدنيا .

ولما توفاها الله سنة ٢٠٨ هجرية عزم زوجها أن يدفنها بالمدينة فتقدم أهل مصر وسألوه أن يدفنها عندهم فدفنت بالدار التى كانت تقيم فيها . ومن يومها اعتز أهل مصر بها وبمقامها بعد أن أضاءت أرض مصر فى أيام حياتها بأنوار هدايتها وصلاحها .

واليك بعض ما ذكره القدماء عن السيدة نفيسة ومنزلتها ومقامها ومشهدها .

يقول شمس الدين محمد الزيات بكتاب الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة بالقرافتين الكبرى والصغرى « هى السيدة الطاهرة العالية القدر الرئيسة ابنة الامام الحسن الأنور بن زيد الأبلج ابن الأمام حسن السبط » وهناك اجماع على انها ولدت بمكة ونشأت بالمدينة وكانت لها صحبة بكثير من النساء اللاتى عشن مع الصحابيات أو سمعن عنهن وتلقين العلم عن طريقهن . وكانت السيدة نفيسة ممن قد أشبع قلبها بالعبادة فكانت لا تفارق حرم النبى صلى الله عليه وسلم. وقيل انها حجت ثلاثين حجة أكثرها ماشية على أقدامها من المدينة إلى مكة . فكانت إذا دخلت البيت العتيق تعلقت بأستار الكعبة وأخذت تبكى بكاء شديدا وتقول « الهى متعنى برضاك عنى ، فلا تسبب لى سببا به عنك تحجبنى» وقالت زينب بنت يحيى المتوج « خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار. كانت عمتى تحفظ القرآن وتفسيره » .

* * *

ولا شك فى أن الأثر الذى تركته السيدة نفيسة من يوم دخلت مصر إلى أن دفنت فيها كان بالغا وأن أهل مصر تعلقوا

(١) ورد فى كتب القدماء اسم كتاب « الروضة الأنيسة بفضل السيدة نفيسة » فلمن يدل الكاتب عليه عظيم الشكر .

منذ القدم بها وبآل البيت ولذلك أحلوا مقامها المقام الذى يتفق مع قدسية هذا البيت وعظمته فى تاريخ الاسلام وأصبحت البقعة التى دفنت فيها بقعة يحيطها الناس بمظاهر الاحترام؛ فهى بقعة تحوى مشهد السيدة نفيسة بنت الحسن، والسيدة نفيسة بنت زيد، وتحوى مشاهد الخلفاء العباسيين والسادة المالكية وكثيرين غيرهم مما ذكرهم السخاوى فى كتابه صفحة ١٢٥ وما جاء فى خطط المقريزى جزء ٤.. وذكر ابن جبير الرحالة الأندلسى صفحة ١٥ قال :

« بتنا بالجبانة المعروفة بالقرافة وهى إحدى عجائب الدنيا لما تحتوى عليه من مشاهد أهل البيت رضوان الله عليهم والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد الأولياء والأولياء ذات الكرامات الشهيرة والأنباء الغريبة . ومشاهد أهل البيت أربع عشر من الرجال وخمس من النساء » انتهى كلام ابن جبير .

وذكر ابن بطوطة فى رحلته صفحة ٢١ ما يأتى :

« ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن على عليهما السلام، وتربة السيدة نفيسة بنت الحسن وكانت مجابة الدعوة مجتهدة فى العبادة وهذه التربة مشرقة الضياء عليها رباط منثور » انتهى كلام ابن بطوطة

وذكر ابن دقاق صفحه ١٢٠ جزء ٤ « أن العمارة كانت متصلة فى زمانه بين هذا الجامع والفسطاط والقاهرة، وحدد أماكن العمارة فقال : كانت إلى حدرة ابن قميحة وإلى الصليبة وإلى سوق الجمال بالرميله وإلى القبة التى سماها بالصفراء » وقال « إن الجامع أو المسجد الذى أنشىء بالمشهد النفيسى ـ هو الذى لا تزال قبته فوق الضريح قائمة ـ أنشأه السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبو المعالى محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحى وكان ذلك سنة ٧١٤ وتولى الخطابة فيه القاضى علاء الدين أبو عبد الله محمد بن القاضى زين الدين نصر الله شاهد الخزانة السلطانية . وأول خطبة خطبها فيه كانت فى يوم الجمعة ٨ صفر سنة ٧١٤ وحضر الجمعة بالمسجد الخليفة العباسى أمير المؤمنين المستكفى بالله أبو الربيع سليمان وولداه وابن عمه والكركى ناظر المشهد النفيسى والأمير سيف الدين كراوش شاد العمائر السلطانية وهما اللذان توليا عمارة هذا المسجد وأشرفا على بناء أروقته والفسقية المستجدة — رحم الله الناصر ورجاله وعصره .

***

إذن فاعلم أن هذه البقعة الخالدة الطاهرة قدسية النفحات، بل هى بين الأماكن المباركة من هذه العاصمة الاسلامية الكبرى، والمصر الأكبر قاهرة المعز لدين الله الفاطمى وماذا أقول عنها، وقد كان أول ما وعيت فى حياتى، اننى حملت يوما إلى مقام السيدة نفيسة فكانت هذه الزيارة أول شىء وعيته، وأول ما علق بذاكرتى من أمور الدنيا فى أيام الطفولة التى تبدأ بالخروج من المهد، حيثما كنت لا أفرق بين اللون واللون ولا أعرف مظاهر الأشياء، فكان ان بدأت الذاكرة تحفظ ما انطبع عليها، فاذا زيارة هذه البقعة الطاهرة والعودة منها إلى المنزل الذى كنا نقيم فيه هى أول ما وعيت فى الدنيا .

ولذلك نشأت وبين هذه البقعة الخالدة ونفسى صلة روحية لا تنقطع ما دمت حيا، فقد قطعت العالم شرقا ومغربا واتخذت مقامى ببلاد الغرب أكثر من ربع قرن، وتعرفت إلى مذاهب الملاحدة والفلاسفة وعشت بين أنصار الفلسفة المادية وأتباع المذهب الشيوعى ـ ولكنى إذا جئت مصر زائرا ولو لمدة أسبوع واحد أركب خصيصا لهذا المقام وأزوره خاشعا لأحيى صاحبته وأقرأ الفاتحة لها، وأتقرب إلى الرسول بتقربى إليها، وأتوجه إلى الله تعالى أحمده وأشكره أن منحنى الصحة والعافية والتوفيق واعادنى إلى مسقط رأسى لأقف هذا الموقف .

ولما أقمت بعاصمة الديار المصرية، وبعد استقرارى بها جعلت من واجبى التيمن بالزيارة كل شهر مرة وأحيانا أرانى مدفوعا بقوة لا تغالب تدعونى إلى زيارة هذه البقعة الطاهرة وان أتوجه فيها بالدعاء ليقينى بأن الدعاء فيها مستجاب وأن المنازل لله جميعا ولكن هذه البقعة من المنازل التى أراد الله تكريمها .

وقد تطول بى الغربة بالشرق والغرب فأناجى بلادى وتتمثل لى مصر بأجمل مظاهرها وأهل مصر وشمها وتاريخها فى هذا المشهد النفيسى وهذه البقعة المباركة ! وأود لو أتيت طائرا إليها فأحيى الزائرين والواقفين، وكل سائل ومحروم وكل ملح فى السؤل ممن تقابلهم على بابها . إنهم جميعا قطعة من هذه البقعة

الصحافة المصرية

هل الصحف مرآة معبرة .. أم موجهة مؤثرة .. ؟

للأستاذ محمود الشرقاوى

قامت فى الأشهر الماضية غضبة من جهات ومن هيئات لها نفوذ ولرأيها وزن فيما اصطلح على تسميته « بالصور الخليعة » التى أسرفت صحف معينة فى نشرها ، حتى أمر وزير الداخلية بتذكير الصحف بما يمنع نشر هذه الصور من القوانين ، وتذكيرها واجبها فى رعاية الأخلاق والتقاليد وعدم الانسياق وراء المنافسة أو الربح أو التقليد ونسيان ما تجب رعايته من الملابسات والاعتبارات الخاصة . وما يزال أثر من هذه القضية قائما عند بعض هذه الجهات وفيما ينشره بعض الكتاب والعلماء فى ذلك .

ومع شعورى بشىء من الحرج إذ أعالج هذا الموضوع ، فقد تملكتنى الرغبة الغالبة فى أن أكتب فيه ، وإن كنت سأتناوله من ناحية أخرى لا تقل فى نظرى أثرا عن موضوع هذه الصور الغير المرغوب فيها .

* * *

الذين لا يرون بأساً ولا خطرا من نشر ما يجرى فى جميع نواحى الحياة المصرية والعالمية من ألوان النشاط الاجتماعى يقولون إن الصحافة مرآة لهذه الحياة بألوان نشاطها جميعا ، وكما تحرص الصحف على أن تنقل لقرائها صورة « صادقة » من ألوان النشاط المصرى والعالمى فى السياسة والاختراع والعلم والاقتصاد والأدب مثلا ، فمن تمام واجباتها أن تنقل إليهم هذه الصورة الصادقة من ألوان النشاط الاجتماعى .

فإذا كانت هذه الصورة الصادقة من ألوان النشاط الاجتماعى لا ترضى جهة من الجهات أو جماعة أو هيئة لها مقاييس خاصة وفهم خاص ومنهج للحياة خاص أيضا ، فليس الذنب فى ذلك واقعا على الصحافة التى نقلت الصورة ، فإنما هى تسجل ما يقع ويحدث .

ومما يقال فى ذلك إن هذا اللون من الحياة الاجتماعية يكاد أن يكون مشتركا ومتماثلا فى حيوات جميع الطبقات العليا فى الأمم الراقية ، وقد يؤخذ دليلا على تقدمها ومقدار ما بلغته من حضارة ورفاهية . وما دمنا نقول إن مصر قطعة من أوربا أو يجب أن تكون قطعة منها ، فان هذا اللون من الحياة هو مما تصعب مقاومته ؛ ومن الأفضل أن تتجه فيه الجهود إلى التهذيب وترقية الذوق العام وترفيه النفوس ، بدلا من القسر والقهر والأعنات والمنع بقوة القانون لما لا يمكن أن يخضع لقانون .

لست فى هذا الذى أقوله مدافعاً عن وجهة نظر معينة ، ولكنى مقرر لهذه الوجهة من النظر ملخص لها لأستخدمها فيما أريد أن أصل إليه فيما يلى :—

***

الصحافة المصرية على وجه العموم ناجحة إلى حد كبير وصادقة فى التعبير عن الحياة المصرية والأمانى المصرية ، كما هى ناجحة وصادقة ومستوفاة عندما تعطى صورة عن التيارات العالمية

الطاهرة ، وهذه البقعة قطعة من صميم مصر الخالدة . فلا تؤاخذنى أيها القارىء ولا تحرجنى فى موقفى وثباتى ولا تحاسبنى على خطواتى واشاراتى ، فما أنا إلا بشر تشبع نفسه حوادث التاريخ وآثار القرون الماضية وأرى الجمال فى كل شىء ، وأراه ممثلا فى هذه البقعة بالذات . ولست أبالى بما أوصلك إليه عقلك وفكرك وعلمك من أشياء فأنت تقطع نفسك وتتجه الاتجاه الذى يرضيك ويرضى انقطاعك عن ماضيك وتنكره لحاضرك ، أما أنا فأعرف نفسى وأعرف الخواطر التى تجول فى قلبى فأعبر عنها بهذا الكلام وأضع كل ذلك تحية لصاحبة هذا المقام التى قال عنها القدماء نفيسة العلم السيدة الطاهرة العالية القدر الرئيسة ...

هم أهل ميراث النبى إذا اعتزوا   وهم خير قادات وخير حماة

ملامك فى أهل النبى فانهم   احباى ما عاشوا واهل ثقاتى

أحمد رمزى

مراقب عام مصلحة التشريع التجارى وللملكية الصناعية

٣٤ ٥ ٤٢

والاتجاهات الواضحة والغامضة للسياسة الدولية ، بل جميع ما يتفاعل فى هذا العالم المضطرب المتقلقل من المؤثرات والعوامل المختلفة والمتباينة بل المتناقضة .

ولكن هناك ناحية فى الصحافة المصرية تشغل بالى وأعتقد أنها كذلك تشغل بال كثيرين من المفكرين الذين يريدون أن تشغل أذهان الناس بالنافع والمفيد على الدوام وليس بما يسليهم فقط ويزجى فراغهم .

وقد كتبت أن هذا يشغل البال ، ولكنى أريد أنه يقلق البال ولا يشغله فقط . ولست أريد أن أحدد مسؤولية ذلك ، أهى واقعة على بعض الصحف ، أم على بعض الكتاب ، أم على الجمهور القارىء ، أم هى موزعة مشتركة بينهم جميعا أو بين هذه الصحف وهؤلاء الكتاب فقط ، لا أحدد مسؤولية ولكنى أنبه إلى ظاهرة .

والصحف المصرية على كثرتها وابتكارها وجمال رونقها يشغل بعضها صفحات منه بأشياء من المعلومات والمقالات والصور قد تكون شيقة وقد تكون جذابة وقد تكون مبتكرة بارعة ، ولكنها يمكن أن توصف فى كثير منها بعدم التعمق والبعد عن الجدية . وأنا أتكلم عن ناحية الأدب والفكر فقط .

وبينما الصراع الفكرى والسياسى والاقتصادى والمذهبى يكاد يقتحم على جميع الناس بيوتها وأمورها وخاصة حياتها ويستولى على عقولها ، نجد كتابا فى مصر يلجؤون إلى قصص مترجمة أو موضوعة مما يلبى الرغبات السهلة العاجلة أو يتملق الغرائز عند الشباب من النوعين ، وآخرين يفتشون فى بطون الكتب للبحث عن كلمة أو نقل « طرائف » لا تحرك الذهن ولا تشغله بالتفكير فى هذا العالم وما فيه . ولا بالتفكير فى حياتنا المصرية هذه وما فيها ، وهو كثير .

ولا أنكر أن هذا لون لابد منه من ألوان النشاط الأدبى ، ولكنى أكاد لا أجد الآن من يشتغل بسواه أو بما يماثله فى القيمة من الكتاب — إلا من ندر —

وقد نشرت فى « الأهرام » منذ شهرين مقالا أعتقد أن فيه تفكيرا وآراء تعرض للبحث والافادة ، ولكن رجلا ، مفروض أنه من خاصة المثقفين ، يبادر فيسألنى — لا عن رأى أو فكرة — ولكن ليسألنى عن كلمة « نضوج » هل بحثت عنها فى القاموس لأعرف أنها واردة فيه أم لا ... ؟

وهذا هو الفراغ ، فراغ الذهن .

هذه الأمور الجدية التى تشغل — أو يجب أن تشغل — المفكرين فى مصر من الأدب والفن والإصلاح ، أحد كثيرين من الخاصة والمثقفين يتحدثون فيها ويشغلون نفوسهم وعقولهم بها ولكنى أجد أثر ذلك فى الصحف المصرية قليلا ، وبعض الصحف يراعى الكثرة الغالبة — مع رأى خاص فيها — فهى فى اعتقادى ليست معبرة تمام التعبير عن هذه الناحية من نواحى النشاط والتفكير المصرى ، وليست « مرآة » واضحة لها . وكثيرون من المفكرين والمشتغلين بالجد من الأمور يتحرجون من الكتابة لبعض الصحف اعتقادا منهم بأنها تتقبل أو تنشر لمستوى خاص ، وتمنى بالمظهر دون الجوهر ، وتبحث عن الكم لا عن الكيف .

وبقى أن نقول : هل الصحف تكتفى بأن تكون « مرآة » ناقلة معبرة فقط ! أم هى دافعة موجهة مؤثرة ... ؟

وربما كان قصور هذه الظاهرة على الناحية الأدبية والاجتماعية والفكرية سببه اتصال هذه النواحى خاصة بتفكير الجماعة وما يلابس حياتنا من التقاليد وبعض الأمور الأخرى .

أمامى وأنا أكتب هذه الكلمة صحف ومجلات فيها مقالات لكتاب لهم اسم لامع ولهم ألقاب كبيرة ولكنها تتناول مواضيع وأمورا مما يقال إنه يقرأ عادة عقب الغداء أو قبل النوم للتسلية و « قتل الوقت » . وبين يدى وأنا أكتب هذه الكلمات مجموعة أعتز بها من جريدة « السياسة الأسبوعية » من بدء صدورها (سنة ١٩٢٦) إذا قلبت صفحة من صفحاتها لابد أن تجد بحثا جديا مدروسا فى الأدب « أدب الفكرة » لا أدب ، الفراغ أو فى الإصلاح أو الاجتماع يستفيد منه قارئه فائدة لذهنه وعقله وتفكيره وثقافته . ولدى مجلات أخرى كانت تصدر لخدمة الفكر والإصلاح والتقدم ثم توقفت لأنها لم تساير التيار الجارف المكتسح من الصحافة التافهة الرخيصة ، وما تحول منها إلى أداة لهو وسخف ظل منتظم الصدور دائم « التقدم »

وعندما نقارن بين صحف كهذه كانت تصدر منذ ربع قرن

لكن قوة تفعل لا مادة تنفعل

للدكتور محمد يوسف موسى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

وإذا كانت هذه بعض الآثار السيئة للتأثر بالغير إلى درجة التقليد الذليل ، وإذا كان التقليد لا بد منه ، مع ذلك ، فى كثير من الأحيان والأحوال ، فإن على الأب أو المعلم أو ما كان من ذلك بسبيل واجبا من جهتين :

ا — أن يعنى بأن يكون كاملا فى خلقه حتى يكون قدوة طيبة لمن يتأثر به . ومن هنا نرى تشدد الزعماء والمصلحين فى أن يجعلوا أنفسهم بمنجاة من المآخذ أو المغامز ، وإلا كان عليهم وزرها يعملون ووزر من يتخذون منهم مثلا عليا .

ب — أن ينشىء فى أنفس من هم بسبيل اتباعه فى بعض ما يعمل روح الاستقلال . إنه ليس من الخير فى شىء أن يحاول المعلم تنشئة تلميذه على غراره ، أو الأب ابنه على شاكلته ، بل ذلك شر كله . يستطيع المربى أن يذكر لمن وكل إليه أمره رأيه فى هذه المسألة أو تلك ، ومذهبه فى أمور السياسة أو الاجتماع ، وطريقته فى الحياة بصفة عامة . ولكن على أن يعنى بتفهيمه بأن ذلك رأى أو مذهب له قد يكون صوابا كما قد يكون خطأ ؛ وإذاً من الضرورى وزنه بتفكيره الخاص ، ثم له بعد هذا أن يقبل منه ما يقبل وأن يرفض منه ما يرفض .

بهذين الأمرين يستطيع الأب ، والمعلم والمربى بصفة عامة ، أن يصل إلى تربية إنسان يقبل ما يقبل من الرأى عن بينة ، ويرفض ما يرفض من ذلك عن بينة ؛ ولا يأبى أن يقبل بعض ما لدى الآخرين من خير عن اقتناع لا عن تقليد . ولا يكون مادة تنفعل ، بل عقلا يفكر ونفسا لها شخصيتها وإرادتها الخاصة .

ثم ، عندما ينتهى المرء من التعليم ، ويبدأ التعرف للحياة العملية ، يجد نفسه قد صار عضوا فى بيئة جديدة ، وأصبح عليه أن يجتمع بأناس مختلفين هنا وهناك كلما اضطر بسبب عمله للانتقال من بلد إلى آخر . وهو مع هذا كله يستبدل دائماً زملاء بزملاء وأصدقاء بأصدقاء ورئيسا برئيس . هنا ، فى هذه الفترة

وبين ما كانت تعنى به وتنشره ، وما ينشر الآن فى بعض الصحف لوجدنا تفاوتاً بيناً ليس مما يرضى عنه من يرى أن التفكير الأدبى والثقافى يجب أن يساير التقدم العام .

فى تاريخنا الأدبى لهذه الفترة — قبل أن تتجه بعض الصحف المصرية هذا الاتجاه الأخير ويشاركها فيه كثير من الكتاب أو ينساقون معها إليه — فى تاريخنا الأدبى هذا نجد عشرات الكتب لمؤلفين من الطبقة الأولى جمعت وكانت معيناً للنهضة الأدبية والثقافية فى مصر والشرق ، وهى فى الأصل بحوث نشرت فى الصحف وكانت فى وقتها أيضا من الدوافع المحركة لهذه النهضة . فكم نجد الآن بين ما ينشر فى بعض الصحف المصرية مما يمكن أن يجمع فى كتاب يقرؤه ويفيد منه مثقف ممتاز الثقافة أو متوسطها ... ؟

ومن الأنصاف أن أذكر بعض الصحف القليلة — كالرسالة والثقافة — بقيت على عهدها لم تنحرف ولم تساير وظلت محافظة على رعاية ما أنشئت له من العناية بالأدب الخالص على طريقتها الخاصة ، ومنهجها الذى لم تتحول عنه يوما .

إنى — كما ذكرت — أشعر بالحرج حين أكتب هذا الذى أكتبه ، فانى أحترم حق الزمالة ، ولكنى من ناحية أخرى أريد أن يحترم حق الفكر .

وناحية أخرى من نواحى الحرج أشعر بها فيما أكتب ، فانى إذا قلت إن صحيفة واحدة ، هى الأهرام ، ظلت — وأكاد أقول وحدها — لم تشارك فى الاتجاه الذى ذكرناه ، وبقيت كما كانت يجد فيها قارئها كثيرا مما يشغل الذهن بالتفكير والعقل بالتأمل والأفادة ، ومما يفيد الذوق بالترفيه والإحساس بالتهذيب والبهجة ، ولم تنحرف إلى ناحية التسلية و « قتل الوقت » وتملق الغرائز ، إذا قلت إن «الأهرام» بقيت هكذا فقد يقال إنى أجامل وأمدح ، والله ما إلى هذا قصدت ، بل قصدت أن أضرب مثلا .

وماذا يضرنى بعد ذلك لو أنى مدحت من أعتقد أنى أنا صادق فى مدحه ... ؟

محمود الشرقاوى

وبسبب هذه العوامل ، تظهر مسألة الانفصال أو الاستقلال فى الفكر عام الظهور ، وتكون عاملا قويا فى زوال الشخصية أو تكوينها وتقويتها ، ومن ثم تكون عاملا قويا أيضا فى رجولة الإنسان وسعادته أو ميوعته وشقائه . والأمر للانسان ، من قبل ومن بعد ، فى حياته يصوغها كما يشاء ، وفى شخصيته يكونها كما يريد .

من الناس من لا يرى أن يعمل عقله ويجهد فكره فى المسائل ذوات الطابع الخلافى ، أى فى المسائل التى لا يبين فيها وجه الحق فهى لهذا قابلة للنقاش والأخذ والرد . إن هذا الصنف من الناس يرى حينئذ أن من الأيسر له أن ينحاز لهذا الرأى أو ذاك لأن فلانا الذى يقول به معروف بسمة العقل وجودة التفكير ، أو لأن فلانا له اسمه الذائع ومركزه المرموق . وهذا نموذج لكثير من الناس ، وهو نموذج ردىء كما نرى .

ومن الناس ، وهم القليل ، من يرى رأيه فى هذا الضرب من المسائل ، ولا يكتفى برأى غيره إلا إذا رضى به عقله واطمأن له قلبه . وهذا ، كما نرى ، مثال طيب ، لما فيه من أعمال العقل والتفكير ، وعدم الاكتفاء بأن يرى الناس له الرأى الذى يرون .

على أن هناك مسائل كثيرة يجب فيها الاتباع . لأنها تقوم على حقائق ثبت منذ طويل صحتها فلا تقبل من يعد جدلا ، وذلك مثل حقائق العلوم المختلفة . ولوراح امرؤ يبرهن بعقله على صحة كل حقيقة من هذه الحقائق ، لأنفق عبثا جهدا كبيراً من وقته ومقداراً ملحوظا من طاقته العقلية . وليس فى هذا شىء من العقل أوالحزم ، لأنه لا أحد يفكر فى إعادة إنشاء العلوم من جديد

إن الذى نعيبه من الاتباع أوالانفصال برأى الغير ، هو ما كان ناشئا عن كسل عقلى ورغبة فى أن يرى المرء بعقل غيره ، وما كان فى المسائل القابلة للنقاش وأوجه الرأى المختلفة . ومن ذلك مثلا مشكلة اختلاط الفتى والفتاة فى مرحلة التعليم العالى ، ومشكلة إعطاء المرأة حق الانتخاب ، ومشكلة حل أو حرمة التعامل مع البنوك للحاجة الماسة لذلك مع تعامل البنوك بالربا .

فى هذه المسائل ، وأمثالها كثير ، وهى فيما بينها تتفاضل أهمية وخطرا ، يكون القادر على تكوين رأى خاص فيها بتفكيره الخاص ، ثم لا يفعل ويكتفى بالتأثر برأى الغير وتقليده ، قد آثر الكسل العقلى ، ورضى أن يكون إمعة تابعا لهذا اليوم ولذلك غدا ، وما ذلك من الرجولة فى شىء .

وهناك بعد هذا كله ضرب آخر من الانفصال أسوء عاقبة وأشد أثرا ، نعنى به انفعال الأمة بأمة أخرى فى كثير من مقومات حياتها والهام من أمورها . وقد أفرد ابن خلدون هذه الناحية بفصل من مقدمته ، هذه المقدمة التى يجب أن نقرأ مرارا ومراراً بالتفات وفهم عميقين :

لقد ذكر مؤسس علم الاجتماع سببين لهذا الداء يرجع ثانيهما للأول ، وكلاهما مرده سوء ظن المغلوب بنفسه ، وحسن ظنه بالغالب فى كل أموره .

وهذا الذى يراه فيلسوف علم الاجتماع صحيح فى جملته وتفصيله ، صحيح اليوم كما كان صحيحا فى الماضى . على أنى أبادر فأقول بأن الغرب قد أخذ عنا الكثير فى العصور الوسطى من الفلسفة والعلوم ، فلا تثريب علينا أن نأخذ عن أمة أخرى بعض مظاهر حضارتها . ولكن العيب كل العيب أن تفنى شخصية الأمة ، أو تكاد ، فى أمة أخرى بما تقلدها فى أمور وأوضاع هامة خطيرة وبما تطرح من مقوماتها الأصلية فى سبيل ما تصطنع من ذلك عن الأمم الأخرى . وكل ذلك لا لشىء إلا لأنها تحس ضعفها وقوة تلك الأمم فتعتقد فيهم كمال الجنس والتقاليد ، متناسية أن الله يداول فى الأيام بين الناس ، وأن من الممكن الأخذ عن الغير دون الفناء فيه .

إن أول مقوم للأمة من الأمم دينها ، وديننا وهو الإسلام هو كما تعرف عقيدة وشريعة ، وقد اشتمل على ما يمكن أن تحتاج إليه دولة من نظم وتشاريع . وقد نسى أولو الأمر فينا هذه الحقيقة البديهية فراحوا منذ زمن بعيد يلتمسون لدى الغرب كثيراً من نظمه وتشاريعه ؛ مع أن كثيرا من هذه النظم والتشريعات ثبت إفلاسه ، ومع أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عما إذا كان الإسلام يحتوى خيراً منها أم لا .

إن هذا الصنيع ، أى الأخذ عن الغرب واتباعه فى كثير من الأمر لم يقف فى حدود ما هو ضرورى مثل الصناعات والأمور

الفنية ، ولكن نمدى إلى العادات والتقاليد التى ترجع فى أسسها إلى الدين، كما نمدى إلى الشرائع والقانون كما أشرنا إليه من قبل.

حقا ، لقد فشا عندنا منذ زمن بعيد عادات وتقاليد ليست فى شيء من الإسلام أومن تقاليدنا المستمدة من التاريخ، وهى آخذة فى الانتشار والذيوع من طبقة إلى أخرى ، وكل هذا ليس من شأنه إلا أن يحط منا كأمة لها دينها وتاريخها وتقاليدها الخاصة بها. ولست أرانى فى حاجة إلى بيان هذه التقاليد الأجنبية والضارة التى استشرت فينا ، ويكفى الإشارة إلى الحفلات الراقصة ، والخمر تقدم فى كثير من المناسبات فى أوساط إسلامية معروفة .

وفى خارج مصر نجد الأمر يزيد شناعة وخطرا ، نجد التشبه بالغرب إلى حد الاعياء فيه يكاد يكون التقليد لوحيد لممثلينا هناك، وذلك أمر تحققناه بأنفسنا فى تلك البلاد . حقا أن أكثر ممثلى مصر بأوربا لا يكاد يشعر الواحد منهم بأنه يمثل أمة إسلامية شرقية لها تقاليدها الطيبة التى يجب أن نحرص عليها. كما تحرص كل أمة أخرى على الطيب من تقاليدها ، والتى بدونها لا تكون لها شخصية أو تكون شخصيتها مذبذبة لا لون لها ، وليس بهذا نستوجب احترام الأمم الأخرى التى نعيش فيها ممثلين لمصر الشرقية الإسلامية !

هذا ، وإذا كان لا بد لكل حديث من نهاية ، ولكل بحث من غاية ، فإنى أحب أن أجمل هذه الغاية فى كلمات :

ا — لو لم يكن من غرائز الإنسان أومن طبيعته التأثر بالغير وتقليده ، لكان عسيرا كل العسر ، إن لم نقل لكان متعذرا فى كثير من الحالات ، أن يصل الانسان وهو يجتاز مراحل حياته واحدة بعد أخرى إلى كثير من المعارف وإتقان كثير من الأعمال . ولولا هذه الغريزة الطبيعية ، أو الظاهرة الاجتماعية ، لعز على المربى أن يبلغ بطفله أو تلميذه إلى ما يريد له من كمال .

ب — ولكن ينبغى أن نحذر فى الإفادة من هذه الغريزة ، فلا نسرف فى الانفعال بالغير والتأثر به إلى حد تقليده بلا تفكير أو اقتناع . ذلك إثمه أكبر من نفعه ، وحسبنا أنه ينتهى بمحو شخصية المقلد وصيرورته تابعا لغيره فى تفكيره وطرائق حياته الاجتماعية على الأقل .

وليس لأحد منا أن يتعلل بما يذكره بعض الأخلاقيين من أن سعادة الانسان هى أن يحسن التكيف بما تكون عليه بيئته ، أى فى القدرة على هذا التكيف وإحسانه فى غير عنت أو مشقة . إنه لا ينبغى لنا هذا ، لأنه فرق كبير بين رعاية الوسط الاجتماعى فيما هو خير ، وبين الانفعال بهذا الوسط خير وشره كما هو ملحوظ فى حالات كثيرة هذه الأيام. إن هناك من الناس من يغير الواحد منهم رأيه فى هذه المسألة أو تلك ، بعدد ما يغير من جلسائه مع غيره .

ح — وأخيرا ، من الواجب ، ونحن فى نهضة وطنية واجتماعية ، ألا يكون الواحد منا مادة تنفعل بغيره وبما يكون من ذلك الغير من أحداث . بل يجب أن يكون فى نفسه قوة تفعل ، قوة لها أثرها الطيب المحمود هنا وهناك .

إن عامة الغربيين يرون فينا ، معشر الشرقيين جماعات لم يعد لها كيان مستقل ولا شخصية خاصة ، ما دام الكل يرى فى الغرب مثله الأعلى ، يقلده فى كثير من أوضاع الاجتماع وطرائق الحياة . أما الخاصة من رجال الغرب ، أعنى العلماء الذين لهم بصر يتجاوز ظواهر الأمور إلى حقائقها واللباب منها ؛ فيرون أن هذا الاتباع من الشرق للغرب اتباع ظاهرى ، ولكن للشرق وراء هذا روحه الخاصة به ، هذه الروح التى لا تلبث أن تظهر من جديد ناصعة قوية يفيد منها الشرق والغرب معا ، بعد أن صار هذا الأخير — وقد أنهكت قواه الحضارة المادية بحاجة إلى بعث جديد يقوم على روح ومبادىء جديدة يلتمسها لدى الشرق والإسلام .

فلنبين إذاً لعامة الغربيين خطأ ما يعتقدون من أن الشرق أضاع روحه وشخصيته فى اتباع الغرب وتقليده، ولنحقق للخاصة منهم، وهم العلماء الذين لهم بصر نافذ وبصيرة ألمعية ، ما يلتمسونه لدينا من خصائص فى الطابع والشخصية والروح ! خصائص لا قوام للشرق بدونها ، ولا غنى للغرب عن الإفادة منها .

بهذا، يعود من الممكن لنا أن نحتفظ بما لنا من كيان خاص ، وأن نساعد العالم على اجتياز الأزمة أو المحنة التى تطحنه طحنا هذه الأيام . وبهذا نكون قد ساهمنا فى تقدم العالم وسعادته ، والله ولى التوفيق

محمد يوسف موسى

من عبث النحاة

التعجب

للاستاذ كمال بسيونى

(مهداة إلى صاحب إحياء النحو الأستاذ الصديق ابراهيم بك مصطفى عميد كلية دار العلوم)

فى الحق أن النحاة يكلفون أنفسهم شططا ويرهقونها عسرا حينما يريدون أن يحللوا كل شىء ، فلا ينتهى بهم التحليل والتعليل إلى التعريف والتقريب ، وإنما ينتهى بهم إلى التجهيل والتضليل .

ولم أر النحاة قد ضلوا فى باب من أبواب النحو ضلالهم فى باب التعجب . وأكون مقررا للواقع حين أقول : إن واحدا منهم لم يفهم من قريب أو بعيد صيغتى التعجب ، ولم يتصل بهما بسبب ظاهر أو خفى . وليس ذلك لأن صيغتى التعجب صيغتان عميقتان تدقان على الأفهام ، أو تستعصيان على العقول ، وإنما لأن هاتين الصيغتين لم تخضعا للقواعد التى أثبتها النحاة وقرروها ، والنحاة لا يطيقون أن يروا شيئا فى اللغة العربية لا يخضع لقواعدهم وقوانينهم ، لأنهم لم يضعوا قواعدهم وقوانينهم لتهمل وتنبذ ، وإنما وضعوها لتطبق وتنفذ ، وإذن فليخترقوا كل طريق ، وليشقوا كل سبيل ، حتى يخضعوا الجامح ويذللوا النافر ، فان جاءوا بعد هذا كله بما يحزن طورا ، ويضحك طورا آخر ، فليس الذنب ذنبك أنت لأنك لم تفهم ماقالوا ، أو لأنك لم تؤت هذه القريحة النفاذة التى تستطيع بها أن تستسيغ هذا الغثاء ، وأن تفهم هذا الهراء .

رأى النحاة هاتين الصيغتين فى اللغة العربية « ما أجمل الورد ، وأجمل بالورد » ولا أريد بادىء ذى بدء أن أفزعك بما قال النحاة فيها ، وإنما أريد أن أسألك أنت عما تفهم إذا قلت لك — ونحن سائران فى الحديقة — « ما أجمل الورد » أو قلت لك « أجمل بالورد » ستفهم من غير شك أنى أريد أن أقول لك : إن الورد جميل جداً ، وستلمح من كلامى أنى معجب بجمال الورد ، لا متعجب من جماله ، فجمال الورد لا يثير تعجبى لأنه ليس أمرا غريبــا ، وإنما يثير اعجابى ، لأنه فاتن خلاب .

ولا تظن أنى أريد من هــذا أن أسمى باب التعجب باب الاعجاب ، وإلا فماذا تقول إذا قلت ما أقبح الشر ، أو أقبح بالشر ؟ أتظن أنى معجب بقبح الشر أو متعجب من قبحه ؟ كلا ، فما أنا معجب ولا أنا متعجب لأن قبح الشر لا يثير عجبا ولا تعجبا ، وإنما هو أمر طبيعى ؛ ولكنك ستفهم من غير ما شك أنى أريد أن أقول إن الشر قبيح جــداً ، وستلمح من كلامى أنى ساخط عليه مشمئز منه .

ولا تقل : إن الأمر لا يخلو من إعجاب أو اشمئزاز ، فلا مناص لك من أن تسمى باب التعجب باب الاعجاب والاشمئزاز ، وإلا فماذا تقول فى قولى لك : ما أكثر الورد فى الربيع وما أعظم النزهة فى الحدائق ، وأنا لم أقصد إلى إعجاب ولا اشمئزاز . ولم أقصد فى الوقت نفسه إلى تعجب ، وإنما أقصد إلى أن الورد فى الربيع كثير جدا ، وأن النزهة فى الحدائق عظيمة جدا .

وأظنك قد لمحت من هذا كله أن هاتين الصيغتين إنما تدلان على الكثرة والمبالغة ، فالورد جميل جدا ، والشر قبيح جدا ، والورد فى الربيع كثير جدا ، والنزهة فى الحدائق عظيمة جدا ، وعلى هذا النحو . وأظن أنى وفقت فى هذا الكلام إلى أن أنبهك إلى أن تسمية هذا الباب بباب التعجب تسمية غير سديدة ، وأظنك أيضا قد لمحت من هذا الكلام معنى هاتين الصيغتين .

واسمع بعد هــذا ما يقول النحاة فى معناهما ، وتمالك نفسك أن تقهقه ، واكظم الضحك فى قلبك أن ينفجر .

لم يتفق النحاة على معنى « ما أجمل الورد » والعجب أنهم بعد اختلافهم هذا لم يفهموا معنى هذه الجملة ، ولم يمنعهم من فهمها إلا أنهم أرادوا أن يطبقوا عليها القواعد النحوية التى وضعوها .

لقد اتفقوا على اسمية « ما » وابتدائيتها ، ثم اختلفوا : فقال الفريق الأول إن « ما » فى ما أجمل الورد نكرة تامة بمعنى شىء والجملة بعدها خبر ، والتقدير شىء أجمل الورد أى جعله جميلا . وقال الفريق الثانى : إن « ما » استفهامية مشوبة بتعجب ، وما بعدها خبر أيضا ، والتقدير أى شىء أجمل الورد ؟ وقال الفريق الثالث : « ما » معرفة ناقصة أى اسم موصول بمعنى الذى

والجملة بمدها صلة والخبر محذوف» والتقدير الذى أجمل الورد شىء عظيم . وقال الفريق الرابع : «ما» نكرة ناقصة والجملة بمدها صفة والخبر محذوف أيضا والتقدير شىء أجمل الورد عظيم ، هذا ولم أتجاوز «ما» إلى «أجمل الورد» .

واختلفوا أيضا فى «أجمل الورد» فقال بعضهم : إن «أجمل» فعل للزومه مع ياء المتكلم نون الوقاية نحو ما أفقرنى إلى عفو الله ، ففتحته فتحة بناء كالفتحة فى نحو على أكرم محمدا ، «والورد» مفعول به . وقال الفريق الآخر إن «أجمل اسم لمجيئه مصغرا فى نحو قول الشاعر «يا ما أميلح غزلانا شدن لنا» ففتحته فتحة إعراب كالفتحة فى نحو «على عندك» «والورد» مشبه بالمفعول به لوقوعه بعد ما يشبه الفعل فى الصورة .

هذا ما قاله النحاة فى «ما أجمل الورد» فإذا كنت قد فهمت من هذا الكلام كله معنى هذه الجملة فأنت موفق سعيد ، أما أنا فلم أفهم من هذا الكلام إلا أنه لغو من القول يجب أن تنزه عنه الأسماع والعقول تنزيها .

أما ما قاله النحاة فى «أجمل بالورد» فقد اتفقوا على فعلية أجمل ، ثم اختلفوا فقال بعضهم لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر ، وهو فى الأصل فعل ماض على صيغة أفعل بمعنى صار ذا كذا ، فأصل «أجمل بالورد» أجمل الورد أى صار ذا جمال ثم نقل إلى إنشاء التعجب فغيرت الصيغة من الماضى إلى الأمر ليكون بصورة الإنشاء ، ثم زيدت الباء فى الفاعل ، وعلى هذا فأجمل مبنى على فتحة مقدرة منع من ظهورها مجيئه على صورة الأمر ، وقال البعض الآخر «أجمل» لفظه ومعناه الأمر ، وفيه ضمير مستتر مرفوع على الفاعلية والباء للتعدية داخلة على المفعول به ، ثم اختلفوا فى مرجع الضمير المستتر فقيل الضمير للجمال المدلول عليه بأجمل ، وقيل الضمير للمخاطب .

أرأيت إلى أنى لم أكن مخطئا حين خفت عليك أن تضحك أو أن تقهقه حين تسمع هذا الكلام — أستغفر الله — وكنت خليقا أن تحزن وأن تتألم حين تعلم أن شيوخ النحو فى مصر ما زالوا يلوكون هذه السخافات ، وما زالوا يخدعون الطلاب بهذا الدجل العلمى ، وما زالوا يفسدون العقول والأذواق ، ويميمون الملكات الأدبية فى نفوس الشباب ، وما أسرع ما ينخدع الشباب بهذا التخريف ، فيظن حين يملك هذه الألفاظ أنه قد فهم قواعد العربية ، وهو لم يفهم إلا قواعد الجهل إن كان للجهل قواعد يتسنى للمرء أن يفهمها .

إن من يريد أن يدرس قواعد اللغة العربية يجب أن يستلهم الذوق العربى والبيان العربى حين يدرس هذه القواعد ، لا أن يستلهم القواعد ويحكمها فى الذوق والبيان العربيين . ومن ذا يستطيع أن يقول إن معنى «ما أجمل الورد» شىء أجمل الورد أو أى شىء أجمل الورد ؟ أو الذى أجمل الورد شىء عظيم أو شىء أجمل الورد عظيم — من ذا يستطيع أن يقول هذا ؟ ماضر هؤلاء القوم لو فهموا الأساليب العربية أولا ثم حاولوا على ضوء هذا الفهم أن يطبقوا ما شاءوا من القواعد بشرط أن تكون هذه القواعد موضحة للمعنى المقصود لا مخفية له ، فأنا لا أفهم إلا أن «الورد» فى كل من المثالين السابقين مسند إليه ، وكل من «ما أجمل» فى المثال الأول وأجمل فى المثال الثانى بمعنى جميل جدا مسند ، أما كيف نعرب «ما» وهل أجمل اسم أو فعل ، وهل فتحتها فتحة إعراب أو بناء ، وبماذا انتصبت كلمة «الورد» فى المثال الأول وهل «أجمل» فى المثال الثانى فعل ماض جاء على صيغة الأمر أو فعل أمر صيغة ومعنى ، وهل الباء داخلة على الفاعل أو الفاعل محذوف والباء للتعدية داخلة على المفعول — كل هذا لا يعنينى أن أعرفه بل لعل من الجهل أن أعرفه إن صح أن تسمى المعرفة جهلا .

إن المقصود من علم النحو إنما هو تقويم اللسان والتحرز من اللحن والخطأ ، وأنا ما دمت أنطق هذه الجملة «ما أجمل الورد» صحيحة هكذا ، وأعرف معناها سليما أيضا هكذا فماذا على بعد ذلك ؟

وبعد : فهذا نقد سريع لبعض ما قاله النحاة فى هذا الباب الذى سموه باب التعجب وهو فى الوقت نفسه نوع جديد من البحث العلمى الصحيح لو تأثره القائمون بأمر النحو فى مصر لكان ذلك إيذانا بانبثاق فجر جديد لقواعد العربية ، ولكانت نهضه نحوية مباركة كهذه النهضة الأدبية المباركة التى تعم مصر الآن .

كمال بسيونى

شعر القرن التاسع عشر

بين التجديد والتقليد

للاستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

عهد زاخر بالأحداث ، وأيام تتلاحق بالأعاجيب ، وشئون يجرفها الزمن فيدركها الذبول ، وأخرى تشرق فى صفحة الحياة فيقبل عليها الناس ، وصراع عنيف بين القديم والحديث لا يلبث أن ينتصر فيه ثانيهما بعد شىء من التهذيب . وعناء يحسه من عاشوا فى ظل الماضى قانعين بما فيه من خير أو شر ، ونشاط للمجددين يحاولون به دفع الناس إلى الأمام ليدركوا قافلة الزمان

هذا هو حال الشرق خلال القرن التاسع عشر ، بعد أن وصلته الأحداث بالغرب ودفعته فى تياره ، على فرق ما بينهما فى العادات والأخلاق والعلوم ، والتجارب والسياسة وظروف الحياة

ونحن نكلف الأشياء ضد طباعها ، إذا تطلبنا من الشرق أن يقف موقف الجمود ، والحياة من حوله صاخبة تأتى بكل عجيب ، كما لا نحسن الحكم إذا رجونا منه الإسراف فى التغير والانقلاب، فالعادات والتقاليد والقديم المألوف فى شتى صوره ومظاهره ، أمور محببة إلى النفس وصور عالقة بالفؤاد ، لا يهجرها الانسان إلا مرغما أو مقتنعا وكثيراً ما يغلق عقله دون الإقتناع ، وإن وضح الدليل وسطع البرهان .

ولا نود أن نشق عليك — أيها القارىء الكريم — فنعرض هذا السفر الحافل بموضوعات التغير فى التقاليد والدين والسياسة والاجتماع ، ولكننا نلم بها فى عجالة علها تفيد فى شرح ما نحن بصدده من التغير الذى طرأ على الشعر خلال هذا القرن .

أرأيت إلى الشرق وكيف وقف عند تقاليده وحافظ على عاداته قرونا عدة ، لا يحاول أن يريم عنها أو يرجو بها بديلا ؟ فلما تهيأ له أن يتصل بالغرب ، ورأى ما رأى من عادات القوم وأساليبهم وقف المتحرجون المتزمتون فى سبيل هذه العادات والتقاليد ، وهتف بضرورتها المجددون ، والتقى الفريقان فى صراع عنيف دام عهداً طويلا ، ورأينا كتبا تؤيد وأخرى تندد ، بل ما زال أثر هذا الصراع قائما إلى الآن ونرى أثره فى ظهور المرأة على مسرح الحياة ومحاولتها الوثوب إلى كثير من الحقوق .

فإذا انتقلنا إلى ميدان العلم ، وجدنا صراعا مثل هذا الصراع بين القانعين بعلوم الأزهر وتراث الأجيال السابقة ، والمتطلعين إلى الغرب وعلوم المادية التى فتنت قلوبهم ، وهزت نفوسهم ، وينتهى أمر هذا الاختلاف إلى مدارس دينية وأخرى مدنية ، ولا تزال قائمة إلى وقتنا هذا .

والدين نفسه لم يسلم من آثار هذا العهد ، فقد نادى المنادون بضرورة التجديد، واستمسك القدامى بمبادئهم، فظهر على مسرح الحياة رجل الاصلاح جمال الدين ينادى بمبادئه التى تجعل الدين صالحا لكل زمان ومكان . خشية أن يتقول المتقولون : إنه قد مضت أيامه وانتهى برهانه . وقد حدث مثل هذا فى السياسة والحضارة وقد نجد تصويره فيما كتب على مبارك ومحمد المويلحى . وخليق بنا أن نذكر أن الوعى الاجتماعى والقومى قدبدت مظاهره واضحة جلية فى النصف الثانى من هذا القرن فقد شعر الناس بمطالب المجتمع وأدركوا واجباته فهبوا يصلحون من أمره ويقومون من معوجه : فها هى ذى الأندية العلمية والأدبية ، وها هى ذى جماعات الطباعة تلبى مآرب الناس بإبراز التراث العربى القديم ونشر العلم الحديث ، وها هى ذى الشعوب تنادى باشتراكها فى الحكم وإدارة البلاد ، حتى لقد تحقق لهم بعض ما أرادوا فى فترات من الزمان على يد « مدحت باشا » فى الشام والعراق ، وعلى يد « اسماعيل باشا » فى مصر .

والأدب فى جميع أحواله مرآة تعكس الأحداث ، وصحيفة تسجل مواكب الحياة ، إذا منح أهله الصدق فيما يقولون، ويسرت لهم المطالب التى تهيء لهم القدرة على التصوير والتسجيل ، بل هو خفقات النفس وخلجات الفؤاد ومشاعر المجتمع وآماله يذيع بها الموهوبون وينطق بها الأدباء المحسنون .

فهل — يا ترى — تضطرب الحياة ولا يضطرب ؟ وتسير الأمور ويجمد ؟ إن من يستقصى الأحداث فى أعصار الزمن ويتتبع حياة الأدب فى هذه الأحداث، يجد ارتباطا وثيقا بينهما . وهكذا وجدنا أحوال الناس فى القرن التاسع عشر تنعكس على مرآة الأدب فيبدو فيه التقليد والتجديد ، والجمود والتوثب ؛ حتى هيىء له آخر الأمر أن يشب وتثبته المرونة ، فلم ينته هذا القرن إلا وهو فى ثوب جديد يختلف عن ثوبه القديم كل الاختلاف .

وقد مر على الشعراء قبل القرن التاسع عشر قرون أصيبوا فيها بتبلد الذهن وجدب العاطفة ، ونضوب القرائح لأمور كثيرة يرجع بعضها إلى تضاؤل الشخصية وكم الحرية وانحسار العلم واستبداد السلطان وكساد الأدب وغلبة الأعاجم ، فصار الشعر بمامة لا يصور أمل النفس وحياة الجماعة ولا ينتشى لمظاهر الجمال ولا يهتف بالعاطفة الصادقة والإحساس الدقيق . وقد ظل الشعراء أمداً طويلا فى دائرة ضيقة من التقليد الضعيف لضعفاء الشعراء الذين سبقوهم ، وانتقل الشعر إلى ضرب من العبث ، لا يثير عاطفة ولا ينبه إحساسا ، وصار إلى رياضة لفظية كثرت زينتها وفسد طبعها ، فأصبح جسدا بلا روح وكلاما خاليا من المعانى إلا فى القليل الذى يجود به الزمن فى أقصى أيامه وأشق أحواله .

ولكى يتسنى لنا تمييز شعر التقليد من شعر العاطفة ، يجب أن نوضح الشعر بمعناه الصحيح كما يرتضيه ويرتضيه نقدة الكلام فهو تصوير لعاطفة حساسة ، ووحى لوجدان مرهف ، وحديث قلب خفاق يدرك من دقائق الأشياء مالا يدرك غيره من القلوب ، وإبراز لهذه الأحاسيس فى صور من اللفظ والخيال البديع ، حتى ليخيل إليك وأنت تسمعه أن نفس الشاعر تسيل فى ألفاظه ، وتتدفق فى بيانه فلا تلبث أن تؤاخى هذه النفس ، بل لا تلبث أن تسيل معها فى هذه النفحات ، وتصبح وترا من الأوتار يردد هذه الأحاسيس ، فتتجاوب نفسك ونفس الشاعر ، وتحلقان مما فى جو من الخيال البديع : تعيشان تارة بين الخمائل النضر والرياض الأريضة ، تبتهجان للحياة وتريان فيها المسرة والإيناس ، وقد يجذبك إلى جو من التشاؤم والضيق بالناس ، فتضيق ، وتتمنى أن لو عشت فريدا وحيدا .

هذا هو الشعر كما يجب أن يكون ، فإذا بعد عن هذا الأفق وزل عن هذه المكانة ، كان تكلفا وتقليدا لا غناء فيه ، واستبان الناظر فيه فساد السليقة وفتور العاطفة . ونحن نعرض هنا مثلا من شعر التقليد فى القرن التاسع عشر ، وستدرك فيها انحدارا عن المستوى الرفيع وتجافيا للمنهج المستقيم .

طلب أحدهم من الشيخ شهاب الدين أن يكتب له أبياتا لينقشها على مائدة الطعام ، فقال أبياتا منها :

أيها السيد الكريم تكرم ... وتناول ما شئت أكلا شهيا
وتفضل بجبر خاطر من هم ... أتقنوا صنعه وخذ منه شيا

وبديهى أن يأتى هذا الكلام (ولا أسميه شعرا) فاترا باردا لا يحمل خيالا كريماً ، ولا معنى لطيفا ، إذ لم يتجاوز القلم واللسان إلى ما وراءهما من العاطفة والشعور ، ولا يزيد قائلهما إحساسا بهما عن إحساس الكتبة الذين يقتعدون منافذ المحاكم ، ومكاتب البريد : إنما هى كلمات مرصوصة ، وصور باهتة محفوظة ، تحبر فى الورق بريشة جف دهانها وحركتها يد مسخرة مأجورة ، فجاءت لا تحمل من شخصية الفنان قليلا ولا كثيرا .

وأطرف من هذا قصة شاعر آخر هو عبد الجليل البصرى المتوفى سنة ١٨٤٤ فقد طلب منه أحد الشحاذين أبياتا يتكفف بها الناس ، وينال بإنشادها إحسانهم فكتب له :

يا ماجدسادعن فضل وعن كرم ... وهمة بلغت هام السماك علا
يامن إذا قصد الراجى مكارمه ... نال الأمانى وبرأ وافرا عجلا
إنا قصدناك والآمال واثقة ... بأن جودك ينفى فقر من نزلا
جئنا ظماء وحسن الظن أوردنا ... إلى معاليك لا نبغى بها بدلا
لقد أضر بنا جور المداة وما ... أودى بنا الدهر يابؤس الذى فعلا
عسر وغربة دار ثم مسكنة ... وذلة وفراق قاتل وبلا

إلى آخر ما قال فى ذلك .

ولست أرى فى هذه الأبيات إلا ما يثير العجب ، ويدعو إلى الاشفاق على الشاعر الذى أضاع وقته فيما لا يجدى ولا يفيد . وإنه ليخيل إلى أن الشاعر حينما أراد أن ينظمها كان يضع كلة بجانب كلة ، ويتصيد الكلمات الأخرى ليتم الوزن ، ولعلنا نحس هذا فى الشطر الثانى من كل بيت .

والشاعر لا يجيد، ولا يتيسر له أن يجيد، إذا حمل على الشعر حملا، وطلب إليه أن يقول فى غرض لم تهتف به نفسه، ولم تستجب له عواطفه؛ وإنما يحسن ويصيب إذا انطلق على سجيته ولبى رغبة نفسه فيكون مثله عندئذ مثل الطائر يغرد إذا شاء ويتوقف إذا أراد، أو كالزهرة تعبق إذا ما اجتمعت فيها عناصر الشذا وتفتحت عنها الأكمام.

هذا وقد طغى على هذا العصر لون من الشعر شغل الناس عن كثير مما عداه؛ ذلك اللون إنما هو المدح، ولهذا أطلق على هذا القرن قرن المديح. نعم، إن هذا الغرض كان قد فتن الناس به منذ العصر العباسى الثانى ولكنهم تركوه إلا قليلا فى عهد المماليك والعثمانيين، يوم كسدت سوقه وبارت بضاعته. ثم عادوا فهدوه مرة أخرى فى العصر الحديث للوصول إلى المال وأسفوا فيه حتى أزجوه لمن يستحق ومن لا يستحق ومن الحديث المعاد أن نذكر أن فى شعر المديح إلا قليلا تكلفا ورياء يبعدان به عن منهاج الشعر، فاذا انضم إلى هذا ضآلة فى الثقافة وضعف فى اللغة جاء ضعيفا هزيلا. ومن الخير أن نسوق هنا كلاما ترجمه المنفلوطى فى رواية الشاعر يستبين منه القارىء، كيف يعرض الشاعر المطبوع عن المدح، وكيف يقبل عليه بغير قلبه فلا يوفق فيه:

« أريد أن أحمل نفسى على عاتقى كما يحمل الدلال سلعته، وأدور بها فى الأسواق مناديا عليها. من منكم أيها الأغنياء والأثرياء والوزراء والعظماء وأصحاب الجاه والسلطان يبتاع نفسا بذمتها وضميرها وعواطفها ومشاعرها بلقمة عيش وجرعة ماء. أريد أن تستحيل قامتى إلى قوس من كثرة الانحناء، وأن تتهدل أجفانى من كثرة الإطراق والإغضاء، وأن تجتمع فوق ركبتى طبقة سميكة من كثرة السجود والجثو بين أيدى العظماء أريد أن يكون لى لسانان لسان كاذب أمدح به ذلك الذى صنعنى واجتبانى، ولسان أعدد عيوبه وسيئاته، وأن يكون لى وجهان: وجه راض عنه لأنه يذود عنى ويحمينى، ووجه ساخط عليه لأنه يستعبدنى ويسترقنى؟ ذلك مالا يكون »

إذا علمت هذا فاقرأ معى مديحا لعبد الرحمن الزيانى لتدرك فيه مقدار التكلف فى اللفظ والمعنى على السواء:

بلغت مقاما لم تنله الأوائل ... وحزت كما لا تبتغيه الأفاضل
ولست وراء غير فضلك يرتجى ... لكل ملم فيه تدمى الصياقل
ولولاك لم تدر العلوم بأنها ... تجل وأن قد بان منك دلائل

يطول لسان الفخر فى فضلك الذى ... بنيت له ركنا ليرجع ثاكل

وليس فى هذا الكلام شىء إلا أنه كلام، لا يحمل من المعانى إلا ما يقع للعامة ولا من الخيال والألفاظ إلا ما يضحك كما فى قوله « يطول لسان الفخر. وأقبح من هذا خيال الشاعر عبد الحميد الموصلى يمدح ناصيف اليازجى:

كبش الكتائب والكتاب وإنه ... بالنحو ينطح هامة ابن خروف
متوقد الأفكار يوشك فى الدجى ... يبدو له المستور كالمكشوف
فطن تمنطق بالفصاحة وارتدى ... جلباب علم النحو والتصريف

وهذه الأخيلة من مثل قوله « بالنحو ينطح هامة ابن خروف » « وارتدى جلباب علم النحو » وإن كانت تؤدى معانى إلا أنها عارية عن الذوق، خالية من مراعاة المقام.

للكلام بقية — أحمد أبو بكر ابراهيم



بغـــداد

للأستاذ ابراهيم الوائلى

بغداد إن طال الفراق وشفنى ... ظمأ فحسب تملتى ذكـراك
أنا ان بعدت فلى خيال هائم ... عبر الفضاء يطوف فى مغناك
وجوانح لم تحو فى أعماقها ... ما يستجيب له الهوى إلاك
روح تهيم على شواطىء دجلة ... وتحوم فوق جمالها الضحاك
وتعود يحملها الجوى خفاقة ... لتصيخ منى للنشيد الباكى

بغداد اشتاق النسيم متى سرى ... حـلو المهب معطرا بشذاك
وإذ أطل الفجر يمسح ناظرى ... مترفقا أبصرت فيه رؤاك
أو طاف ما بين الخمائل صادح ... أحسست فى شفتيه رجع صداك
بغداد ما أحلى المساء ودجلة ... تنساب كالنسمات بين رباك
فى كل ضاحية فتون طافح ... ملء الفضاء يشيمه مرآك
وعلى الشواطىء من دجاك مناظر ... لم تتشـح إلا بسحر دجاك
نشرت على الأفق الرحيب ظلالها ... ومشت خطاها تلتقى بخطاك
وتناثرت عن جانبيك مواكب ... تستقبل الأحلام فى دنياك
فهنا مشاهد للجمال طليقة ... جلت روائعها عن الادراك
وهناك سرب من مهاك وليت لى ... كبدا تذوب على خدود مهاك
أنا من سفكت على الصخور مآربى ... ونثرت آمالى على الأشواك
ومضيت كالطير الجريح مروعا ... فى القفر بين مخالب وشباك
أطوى الدجى يقظان ملء جوانحى ... حرق وفى ثغرى صداها الحاكى

بغداد ما أحلاك باسمـة المنى ... للسامر النشوان. ما أحلاك
تلقاك بالمرح النفوس ولم تـكن ... لولا المبـاهج والمنى تلقاك
وعلى الضفاف الحالمات موائد ... قد نضدتها فى الدجى كفاك
رق النخيل لها وفاض مدامعا ... كالفجر يلمع فى متون فضاك
وحنا عليها الـكرم يسفح لبه ... فيهـا ويخضب بالدماء ثراك
فلـكم خيـال كالنسيم يروقه ... ألا يسامر غـير شهب سماك
يختال فى الأفق الرحيب محلقا ... بجناح طـير أو جناح ملاك

بغداد يا طيف الهـوم ان دجا ... ليل ويا ألق الشعور الذاكى
كم فى صباحك قد بعثت خواطرى ... شعرا ورحت ابثـه لسماك
وكم احتوتنى والليالى سمحة ... لحظات صفو لم ترق لولاك
متع نهزت بها انتهازة عابر ... وصحبتها ذكـــرى معى لأراك
وهبى نسيت من الصبا أحلامه ... أفهين فى الحب أن أنساك
أنا من يقيم على العهود ولم أجد ... أولى بحفظ العهد غـير هواك
مرت يداك على شغافى خلسة ... يوم الوداع وتمتمت شفتاك
ثم انثنيت مـودعا فاذا على ... قلبى تطل مع الدجى سيماك
وعوج فى شفتى نغمة حائر ... يطوى الظـلام مرددا نجواك

بغداد والألم الدفين يهزنى ... فاذا شـكوت فلست أول شاكى
لى مثـل ما للشاعرين تعتب ... لو تستجيب لعـاتب أذناك
أتبيت دنياك الضحوك مدلة ... وعلى مآسيها تبيت قـــراك
فتذكرى الريف الحزين ومن به ... والقـاطنين صوامـع النساك
الحاصدين من السهول رمالها ... والناعـين على الطوى الفتـاك
واللابسين من الشتاء عراءه ... فى حين طاب لسامر مشتاك
والزارعين ودون ما جهدوا به ... رصد يبث لهم من الأشراك
ريف لو ادكرت حياتك أنها ... ضيف عليـه لساءها مجراك
يشقى ليحرس منك ليلا باسما ... ويعيش فى غلس لـكى يرعاك

بغداد هذا اللحن نجوى شاعر ... - ماجه فى الذكريات سواك
أنات قلب ان أثارك شجوها ... أو لم يثرك فانهـا ذكراك

ابراهيم الوائلى

رســـائل ضائعة !

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

— ١ —

وكنت وإياها على البعد تلتقي رسائل حب ليس يخبو أوارها
فكنت كأني — وهي مني بعيدة أرى وصلها يدنو ، ويدنو مزارها
فلما انتهت تلك الرسائل أصبحت إذا رمت لقياها تناءت ديارها
وصارت رسالاتي إليها مدامعا أرى ليلها يبكي ، ويبكي نهارها
فياقلب دعها ! ليس لي من وسيلة إليها فألقاها ، ولا أنا جارها
ويا حبها ... هب لي سلوا أريقه على كبدي الحرى ، فتبرد نارها

— ٢ —

وقيدني حبي لهـــا واسترقني فصرت لها عبدا وقد كنت سيدا
وكانت على قلبي نشيدا مرنما فصارت على قلبي نشيجا مرددا
وكانت لقلبي فرحـــة أبدية فصارت لهذا القلب حزنا مخلدا
وكنت سعيدا حين كانت مقيمة على عهدها ... ترعى الفؤاد المقيدا
فلما أضاعت عهدها وتغيرت تغير قلبي في الهوى وتمردا
وقالت لها إن كنت أشركت في الهوى فشيمة حبي أن يكون موحدا
وإن كان شيء قد بدا لك فانطوت أمانيك في حبي ، فأنت وما بدا
ظلمت الهوى ! ما أنت أهل لناره ونار الهوى أسمى من النور محتدا
وأسرفت في لومي وربما ، وإنمـا أحق بهذا اللوم من جار واعتدى
وأنت التي غني فؤادي بحبهـا وناح ... فلم تحفل بما ناح أوشدا !
وأنت التي أغريت بي السهد والأسى فها أنذا أحيـا حزينا مسهدا
وأشقيت أحلامي ، وكانت سعيدة وحيرت أيامي ، وكانت على هدى
وجئت إلى زهر الهوى وهو ناضر فأذويته بالهجر حتى تبـــددا
وكانت حياتي في يديك وديعة عنيتها تبقى ، فضيعتها سدى
فيا محنتي ! يا سر يأسي وغربتي عن الناس إيا حزنا بقلبي توقدا !
ويا ألما كم رعتـــه بتجلدي فما زال بي حتى عدمت التجلدا !
لقد آن أن أحيا كطير مرفرف يرى بهجة الدنيا ، فيمضي مغردا
سأوليك مهما عشت هجرا وسلوة وقد كنت لا أوليك إلا تعبدا
غدا ينتهي الحب الذي كان بيننا فليس له ظل بقلبي ولا صدى
فلا تعجلي أن تصبحي اليوم فتنة لغيري ، وصبرا .. إن موعدنا غدا
وأقسم إني أوثر الموت طائعا إذا كان لا ينسيني هواك سوى الردى

— ٣ —

غدا سوف أنساك فيمن نسيت وأطوي غرامك فيما انطوى
غدا سوف أنسى عذاب البعاد وشجو السهاد ، ونار الجوى
وأنسى الهوى كله صارخا كفاني عـــذابا بهذا الهوى !
غدا ... غير أن غدا طائر هنالك في وكره قـــد ثوى
سيبعثه الغيب من وكــــره ويرجعه بعد طول النـوى
فياليتني حين يأتي غـــــد أكون انتهيت ... كغصن ذوى !

ابراهيم محمد نجا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حول معركة القزويني

قرأت كلمة صديقي الأكبر الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي التي عقب بها على ما كتبته بعنوان « معركة القزويني في الأزهر » وهي المعركة التي دارت ولا تزال دائرة بينه وبين الأستاذ الشيخ محمد خفاجي على كتاب « الايضاح » في علوم البلاغة . وقد صورت المعركة على أنها منافسة بينهما بناء على ماتبادلاه في مناقشاتهما المطبوعة من عبارات تدل على أن كلا منهما - في رأي الآخر فرض شرحه على الطلاب وحارب شرح الآخر بغية الاستئثار بالكسب المادي . وطبيعي أن يهتم الأستاذ عبد المتعال بنفي ذلك عن نفسه ، ويقرر مايليق به من أنه لا يبغي إلا طريقة يختطها في الإصلاح العلمي ، وقد تلقيت كتابه «دراسة كتاب في البلاغة» شاكرا له تفضله باهدائه ، وتصفحت الكتاب فرأيت به نقدا لشرح الشيخ خفاجي ، وهو يشير في خلاله إلى تفضيل شرحه على شرح زميله بأنه جرى فيه على طريقة موضوعية تجانب المماحكات اللفظية ، على خلاف زميله الذي عني بنقل عبارات الحواشي والخلافات اللفظية . أما الشيخ خفاجي فإنه يقر بأنه فعل ذلك بل يفخر به ، وأما الشيخ عبد المتعال فليس جديدا علينا أن نعلم أنه عالم مطلق الفكر وكاتب صاحب رأي ، وأنا لم أر شرحه للايضاح وأعتقد مع ذلك أنه سلك فيه المسلك الذي وصف . ولكني رأيته في كتاب «دراسة كتاب في البلاغة» يعني بالمماحكات اللفظية بينه وبين زميله ، كما يعني زميله بها أيضا ، فمن الأمور التي اختلفا عليها الفرق بين كون الموصوف بالفصاحة والبلاغة الكلام و كون الموصوف بهما المتكلم ، وهل الإيضاح في « علم » المعاني والبيان أو في «علمي» المعاني والبيان ، وهل كتاب الأطول للسيد أو للعصام ، وذكر الأستاذ عبد المتعال غلطات نحوية وإملائية وقع فيهازميله . وهكذا نرى الأستاذين متأثرين بمماحكات الخطيب والسكاكي وقبيلهما . والمؤسف أن هذه المطبوعات التي يتبادلها الأستاذان يتداولها الطلاب بل هم قراؤها المقصودون، وما أظنها ذات اثر حسن في نفوسهم ولا في عقولهم. أريد بعد ذلك أن أخرج من هذه الدائرة الضيقة ، دائرة المعركة الأزهرية إلى مجال أوسع يشمل دراسة البلاغة على وجه عام وهي خواطر أثارها في نفسي قول الصديق الأكبر: «وصديق الأستاذ عباس خضر يرى كما أرى أن هذه الحواشي ومماحكاتها هي التي أفسدت البلاغة . وإذا كان في الإيضاح بعض المماحكات فإنه مع هذا خير ما ألف في البلاغة بعد كتابي عبد القاهر - دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة - لأنه يجري غالبا في طريقها ، وإن كان متأثرا بطريق السكاكي في تبويب علوم البلاغة وتقسيمها ، وقد عنيت في شرحي له بجاراته في طريق عبد القاهر ، واختيار ماهو من صميم البلاغة في تلك الحواشي ، وإهمال مماحكاتها اللفظية ، مع التنبيه على مافي الإيضاح من هذه المماحكات »

وأنا وإن كنت أشارك الأستاذ في هذا القدر الضئيل من الرأي إلا أنني أذهب إلى أبعد كثيرا مما يرى . . فأنا أعرف الإيضاح وأعرف أن مؤلفه صاحب «التلخيص» بؤرة إفساد البلاغة العربية بشروحه وحواشيه، وأعرف جناية هذه الكتب - سواء مماحكاتها اللفظية وما يسميه الأستاذ صميم البلاغة - على الملكة البيانية العربية ، وليكن الإيضاح جاريا في طريق دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة في الغالب أو في غير الغالب ، فهل نتخذ بلاغة عبد القاهر نبراسا يضيء زيته في عصر الكهرباء ؟ إني أعلم أن أنوفا نرعد من هذا الكلام . . ولكن مهلا. لقد كان لعبد القاهر فضله التاريخي الذي لا يجحد . كان أول مؤلف مزج النقد الأدبي بالقواعد العلمية وكان صاحب ذوق ادبي في علمه. فجاء مؤلفون من بعده مجردون من ذلك الذوق ، فجعلوا البلاغة علما جافا ومجالا لإفساد الملكة الأدبية بالجدل العقيم والفكر المعقد السقيم . ولا نزال إلى الآن نعاني أعباء هذه التركة وان كان الأزهر يحمل اقدح اثقالها، لأن رجال التعليم بوزارة المعارف خففوا منها بالتأليف المصري أولا ثم بتعديل مناهجها إلى نواحي أشبه بالنقد والدراسة الأدبية ، ولأن بعض أساتذة الجامعة أو هو أستاذ واحد (الأستاذ أمين الخولي) توجه بها إلى وجهة أدبية نفسية تطابق الدراسات الحديثة.

ولعل الأستاذ عبد المتعـــال الصعيدي يشـير إلى هـذه الاتجاهات بقوله في مقدمة كتاب « دراسة كتاب في البلاغة » يصف صنيع الشيخ خفاجي « بل خرج على تقليد عصرنا الذي أحياد لائل الإعجاز وأسرار البلاغة بعد أن أماتتها الطريقـــة التقريرية ، وكان لإحيائهما أثر صالح في تهذيب دراسة علوم البلاغة ، ظهر أولا في غير بيئتنا الأزهرية ، ثم أخذ يغزو بيئتنا ويوجهها إلى الإصلاح شيئا فشيئا »

وعلى ذلك ترى أننا نعود إلى طريقة عبد القاهر بأن « نؤدب » علوم البلاغة ، أي نصفها بالصبغة الأدبية . وقد كان من سوء الحظ أن يخلف عبد القاهر أولئك المؤلفون الذين جففوا البلاغة فتبخر منها ماء الأدب ، ولو كانوا من ذوي الملكة الأدبية لنقوها وصقلوها وحملوها نقدا أدبيا صرفا ونحن الآن نلف لفة طويلة لنصل إلى هذا الغرض الذي لم نبلغه بعد إذ أننا الآن عند عبد القاهر فقط !! كأننا نريد أن نثبت أن البلاغة كروية .. ينتهي المسير فيها إلى حيث نقطة البدء ...

سيقول أذكياء يدركون من ذلك ما أرمي إليه : إذن فأنت تدعو إلى نبذ علوم البلاغة جملة واحدة . أقول : ولم لا مادمنا نهدف إلى الملكة اللغوية الأدبية التي تقتدر بها على الكتابة والقراءة والنطق بلسان عربي أدبي جميل ؟ انظروا إلى المعاصرين من كتابنا « البلغاء » الذين لم يشغلوا أنفسهم بتلك العلوم فمنهم من مر بها ومنهم من لم يكن سيره عن طريقها - كم من أولئك الذين عكفوا على دراسة علوم البلاغة وعنوا ببعض الخلافات والمنازعات بين الخطيب والسكاكي والجرجاني - يستطيع أن يجاري كتابنا في « بلاغتهم » التي تكون هذا الأدب العربي الحديث ؟

أقول ذلك مادامت الوجهة هي الملكة اللغوية الأدبيـة ، أما دراسة التاريخ والوقوف على تطورات الحركات العقلية فشيء آخر ، ولكن يجب الالتفات إلى أن هذه الدراسة لا تتطلب الانصراف الكلي إلى الجزئيات والتفصيلات ، وهي وإن كانت ملامحها العامة مطلوبة في المعاهد العاليـة إلا أنها في المدارس العامة عبث أي عبث .

يوسف وهبي والفرقة المصرية

قامت في الأسابيع الأخيرة . ولا تزال ، ضجة حول استقالة

كشكول الأسبوع

▫ كان المرحوم الأستاذ محمد شريف بك قد أخرج جزءين من تحقيقه لديوان ابن الرومي وقد نمي إلى اللجنة المؤلفة لإخراج هذا الديوان بوزارة المعارف أن صاحب مكتبة بإحدى مدن الشام لديه أصول الجزء الثالث التي كان شريف بك أعدها للطبع . وقد انتقلت هذه الأصول ضمن مكتبة الفقيد التي اشتراها صاحب المكتبة . وتتجه النية إلى شراء هذه الأصول لطبعها أو الانتفاع بها في إخراج الديوان

▫ تنتهي الدورة السادسة عشرة لمجمع فؤاد الأول للغة العربية في آخر مايو الحالي ، وتستمر عطلته الصيفية أربعة أشهر ، ثم يستأنف انعقاده في ١ أكتوبر القادم ، ويعقد المؤتمر السنوي في يناير سنة ١٩٥١

▫ ذكرنا قبلا أن معالي الدكتور حامد زكي سيخلف معالي الدكتور طه حسين بك في رياسة وفد مصر بمؤتمر اليونسكو. ونذكر الآن أن معالي وزير المعـارف سيبقى في المؤتمر إلى يوم ٢٦ مايو ثم يعود إلى مصر ويحل محله وزير الدولة . وقد تحدث معاليه إلى مندوب الأهرام فقال إن نية وفد مصر معقودة على إثارة مسألة هامة في المؤتمر ، وهي مسألة جعل تعليم اللغة العربية إجباريا في بلاد إفريقية الشمالية .

▫ من المسائل التي بحثها مؤتمر اليونسكو في دورته الحالية ، تبادل الأساتذة بين الدول الأعضاء لتدعيم التعاون الثقافي بينها وسد النقص الموجود في بعض هيئات التدريس الجامعي في بعض الدول ، ومشروع ترجمة أمهات الكتب من لغة إلى أخرى ، وقد ذكرت مصر في تقريرها أنها بدأت فعلا بترجمة بعض الكتب من اللغات الأجنبية إلى العربية والعكس، ومن هذه المسائل أيضا النهوض بشئون الاذاعة والصحافة والمسرح والسينما والموسيقى والمتاحف والمكتبات، باعتبارها وسائل للتثقيف العام .

▫ اجتمع يوم الأحد الماضي مجلس كلية دار العلوم لإجراء عملية انتخاب عميد الكلية ، وقد أسفرت النتيجة عن حصول حضرات الأساتذة ابراهيم مصطفى بك وحامد عبد القادر وابراهيم اللبان على أكثر الأصوات . وسيختار معالي وزير المعارف واحدا منهم طبقا لقانون الجامعة .

▫ يعرض على مجمع فؤاد الأول للغة العربية في جلسته القادمة نموذج من « معجم فيشر » يمثل طريقة هذا المعجم وفكرته ، وذلك للموافقة على الشروع في طبع الجزء الذي كان قد أعده الدكتور فيشر من هذا المعجم .

الأستاذ يوسف وهبي بك من الفرقة المصرية ، تلك الاستقالة التي أريد عليها ، إذ أبلغه أولو الأمر رغبتهم فيها . وقد تكاثفت في جو هذه الضجة عجاجات أثارتها الحملات المتبادلة في الصحف والمجلات بين الأستاذين زكي طليمات ويوسف وهبي . وليس عجيبا أن يختصم هذان الأستاذان ، وإنما العجب أن يتفقا ولئن تجمعهما فرقة واحدة ، فلكل منهما في الفن المسرحي مذهب وأسلوب يختلفان عن مذهب الآخر وأسلوبه ؛ فهما ضدان من الهدوء والصخب ، والتحليل والتهويش ، والخاصية والعامية ؛ وهل يجتمع الضدان؟

وقد تعرض بعض الصحف للأسباب التي دعت إلى إخراج يوسف وهبي من الفرقة المصرية ، أو التي يظن أنها أسباب . ويجمع الكلام في هذه النقطة عند الرحلة التي قامت بها الفرقة أخيرا في بلاد المغرب ، فذكر أن يوسف وهبي خطب في تونس فخلع مصريته وانتسب إلى تونس ، وأنه تدخل في الأسماء التي منحت أوسمة تونسية ، فغير فيها وبدل حتى طلب أوسمة لبعض المتعهدين من اليهود وأهمل بعض ممثلي الفرقة ، وأنه تعمد إطالة الرحلة ليكسب من رواياته التي ينال فيها ٢٥ ٪ من مجموع الدخل ومن بدل السفر الذي يمنح له خمسة جنيهات في اليوم الواحد ، وأنه أرسلت إليه برقية من مصر للعودة فتباطأ ... الخ

وقد يكون ذلك الذي ذكر أو غيره ، أمورا مباشرة استند إليها لإبعاد يوسف وهبي عن الفرقة المصرية ، ولكن السبب الحقيقي أعمق من كل ذلك وأبعد ، فليس ذلك المسلك وليست تلك التصرفات جديدة من الأستاذ يوسف وهبي بك ، فإن كان قد قام برحلة شهور إلى شمال إفريقية ، فقد قام من قبل برحلة أطول منها في مصر ... صنع فيها ما صنع في الرحلة المغربية بل أكثر ! إذ استغرقت الرحلة المصرية عامين قدم فيهما رواياته القديمة ، وهي نفس الروايات التي أخذها معه إلى بلاد المغرب ، وهي أيضـــا نفس الروايات التي يختص فيها بخمسة وعشرين في المائة من دخل « شباك التذاكر » ودأب في الرحلة المصرية كما فعل في الرحلة المغربية على إبراز نفسه واختصاصها بأكبر نصيب من الإعلان والدعاية إلى جانب النصيب المادي الأكبر الذي يستولي عليه من مرتبه الكبير وربع الدخل العام ، وطغى في كل ذلك على زملائه من ممثلي الفرقة وممثلاتها ، وفيهم أعلام ونبغاء في فن التمثيل ، وهم جميعا مغبونون في أرزاقهم لا يتقاضون من الفرقة ما يقوم بحاجتهم ويحفظ كرامتهم ، بل طغى الأستاذ يوسف وهبي بك على الفرقة كهيئة معنوية فجعل نفسه الفرقة ومديرها العام !

وكان يمكن التغاضي عن ذلك لو أن يوسف وهبي قدم عملا فنيا يضاف إلى الانتاج المسرحي ويعمل على احياء فن التمثيل وتقدمه ، ولكن الذي حدث أنه جعل يكرر المجهود الذي قام به منذ ثلاثين سنة على مسرح رمسيس ، ذلك المجهود الذي يقوم على تملق جماهير العامة بإثارة العواطف على طريقة وعظية أو « مأعية » بعيدة عن هدف الفن الخالص ، وأقل ما فيها من مجافاة الفن البعد عن الصدق ، فكلنا يعرف النغمة التي ظل يضرب عليها يوسف وهبي في مسرحياته وأيضا سينمائياته ، وهي إيجاد مفارقات بين الأغنياء والفقراء ، وتصوير الأولين ظالمين مستبدين والآخرين ملائكة بررة على طول الخط ، كما في قصص أبي زيد الهلالي من حيث إنه رجل مثالي لا يخطىء ولا ينهزم على خلاف خصمه الزناتي خليفة الذي تسند إليه كل نقيصة لأنه خصم أبي زيد !

ويوسف وهبي ليس من الفقراء ، لا أصلا ولا فصلا ، وإنما هو يعشق الجمهور ، فهو يخلع أرستقراطيته طلبا لعطف الجمهور في مصر كما خلع مصريته أمام الجمهور في تونس ، بل هو يخلع الفن الرفيع ويصدم أذواق المثقفين لاجتذاب طبقات أخرى من المتفرجين . وهو يعتبر مقياس النجاح — كما قال في مقالاته أخيرا — إقبال هؤلاء المتفرجين وكثرتهم ، فهو عندما يذكر آثاره في الفرقة يجمل في مقدمتها أن الإقبال على مشاهدة الروايات كثر في عهده فزاد دخل الفرقة .

ظل يوسف وهبي يقدم في الفرقة المصرية ذلك المجهود ، ولكن الفرقة المصرية لم تكن لمثل ذلك ، فالغرض الأساسي منها ترقية التمثيل العربي ، وليس ذلك من ترقيته في شيء ، ولو أن مدار الأمر على الرواج وكثرة الرواد لكان في مثل « شكوكو » غناء وجدوى أكثر من الأستاذ يوسف وهبي بك . ووزارة المعارف — مثلا — تترجم إلى اللغة العربية أمهات الكتب العالمية التي لا يقبل الجمهور العادي على قراءتها ، ولو أنها أرادت



الشيخ محمد رفعت

حدثني رجل ذو مكانة أنه بصر بالمغفور له الشيخ محمد رفعت يتقاضى أكبر أجر تقاضاه مرتل للقرآن الكريم، فقد دفع له أحد أعيان الصعيد خمسمائة جنيه لقاء إحياء ليلة واحدة في أسيوط. وهذا المبلغ — فيما نحسب — أكبر مبلغ حصل عليه أحد مرتلي القرآن.

ولم يكن الشيخ رفعت يعنى بالمال عنايته بالحفاظ على كرامته؛ فخلافاته الكثيرة مع إدارة الإذاعة الحكومية إنما كان مردها أن الإذاعة تفضل عليه فلانا أو فلانا في المكافأة أو في عدد مرات الإذاعة، فكان الرجل ينسحب محتجاً في سكون، وتقوم من خلفه قيامة الرأي العام، فتضطر الإذاعة إلى استدعائه من جديد!

وكانت الإذاعة تضيف الى اسم الشيخ محمد رفعت لقب « الأستاذ » ثم حذفته، ولما قيل لها في ذلك أجابت بأن بقية المرتلين في الإذاعة طالبوا بمثل هذا اللقب، فلم تجد بداً من حذفه من إمام القراء.

ولم ينتكس الشيخ رفعت إلا يوم أحس بالفواق يحبس صوته الندى الحنان في تلك الحنجرة الذهبية فلا يعود إلى الانطلاق، ولم يشعر أحد بمحنة الرجل العظيم إلا في صيف العام الماضي، وكل ما استطاع الناس أن يفعلوه أن جمعوا له مبلغاً قارب ألفاً من الجنيهات، رده اليهم لم يمسسه سوء. وما كان الرجل — علم الله — على خصاصة موارده في حاجة إلى المال، وكل حاجته أن يعود صوته الندى إلى الانطلاق، وهذا ما عجز عنه الناس!

وبعد، فسوف نرتقب طويلا حتى يجود علينا الزمان « بمحمد رفعت » جديد، فقد كان — أجزل الله مثوبته — من الأفذاذ الذين لا يجود بهم الدهر إلا على رءوس الأحقاب، فياطول حزننا على رجل أدخل إلى القلوب حلاوة الايمان، وجعل من تلاوة كتاب الله فنا من الفنون التي يتطاول إليها الإنسان!

منصور جاب الله

صيحة العلماء على الزعماء

جاءتنا هذه البرقية من صاحب الفضيلة الأستاذ حبيب العبيدى مفتي الموصل ننشرها بنصها:

أيها المسئولون عن شرف العروبة والاسلام وعن فشلها ازاء أشد اعدائهما اليهود أوذل الأمم وأنذل الأقوام انما يغسلون عار الفشل بالاتحاد. ونبذ الأنانيـة والأحقاد، وبازاحة الستار عن الأسرار بين بريطانيا وأمريكا منذ تمزقت أمبراطورية الوعود والعهود إلى دويلات وصار بأسنا بيننا ولا فرق بين أبطال الرواية لويد جورج وتشرشل وآتلى البريطانيين وروزفلت وترومان الأمريكيين. اقرأوا كتاب التجربة والخطأ لحايم وايزمان قطب الصهيونية ومذكرات بطرس الناسك أعنى الحاج عبد الله فيلبى سمسار الصهيونية لتعرفوا الدسائس والمؤامرات التي مزقت شمل العرب وكانت احدى ضحاياها فلسطين منذ بضع وعشرين سنة. مصر كنانة الله والعراق تراث الخلافة العباسية، وفي الحديث الشريف اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا وفيه أيضا ملحمة فلسطين

إقبال هذا الجمهور لكان في روايات أرسين لوبين وشرلوك هولمز ما يحقق المقصود.

إذن فالسبب الحقيقي لإخراج يوسف وهبي بك من الفرقة المصرية، هو انضمامه إلى الفرقة المصرية ... فقد أتى به إليها ولم يكن لها ولم تكن له، فلم يكن بد من تنحيته عنها لما تهيأت الظروف واتجهت الرغبة إلى تصحيح الأوضاع. والرجل له طابعه وله جمهوره ويمكن أن يؤدى مجهودا في مجاله، والمسرح الآن لا يستطيع أن يعيش بدون الرعاية الحكومية، فمن الإنصاف أن يمكن يوسف وهبي من العمل على رأس فرقة تؤلفها أو تعينها الحكومة، ليقدم ما عرف به لمن يطلبه، أما الفرقة المصرية فتحتاج إلى تكوين جديد لتؤدى أغراضا أخرى.

عباس خضر

بين اليهود والمسلمين فاعتصموا بحبل الله جميعا واحفظوا جامعتكم من كيد الخادعين والخائنين الدين النصيحة وبرقيتى هذه اليكم هى حجة العلماء على الأمراء أمام الله والتاريخ اللهم أشهد .

المفتى العبيرى

التبرج

عثرنا على قصيدة عصماء من شعر نابغة الأدب مصطفى صادق الرافعى رحمه الله وصف فيها تبرج النساء وصفاً بليغاً لاذعاً وقد أخرجها على هذا الروى اللين الناعم الظريف حتى يكون خطابه للجنس اللطيف فى أسلوب رقيق يوافق مزاجهن ورقتهن وهي من القصائد التى لم تنشر فى ديوانه . محمود أبو رية

دلالك فى التبرج من ضلالك ... وماعاب الدلال سوى دلالك
كملت تبرجاً فكملت حسناً ... ولكن جاء نقصك من كمالك
لمن تتبرجين وذى سبيل ... وما هى أفق شمسك أو هلالك
أما تخشين أنك فى طريق ... يرف بها الحرام على حلالك
وأن ذئاب هذا الحسن عشى ... مسمرة اللحاظ على غزالك
وأن الناس قد شهدوا نساء ... سواقط كلهن على مثالك
عرضت لكى ترى فلقد رأينا ... هناك الحسن الا فى فعالك
أهذى مشية الخفرات أم قد ... فدا الشرف المفدى فى فعالك
كأنك لست بنت أب وإلا ... فما لأبيك لم يخطر ببالك
أأخت أنت أم زوج وأم ... فما منهن واحدة كذلك
وحالك للأبوة كل عار ... وعار للبنوة كل حالك
« برزت » لفتل ذاك أم لهذا ... فاهذا وذلك « من رجالك »(١)
وماذا فى اختيالك من معان ... بصورها شبابك فى اختبالك
أيثبت ذا الحياء على أساس ... وقد ملكته زلزلة أخبتالك
قبيح أن تسير فى اعوجاج ... على أن المدالة كاعتدالك
نقاب ذاك أم لون رقيق (٢) ... نراه بين ألوان احتيالك
كأنك إذ صبغت الوجه روضاً ... جعلت لنا نقابك من ظلالك
وما هذا (الدهان) لناظريه ... سوى روح التلون فى خلالك
ألا إن الغبار أذى فمن ذا ... يظن « غبار وجهك » من جمالك
عليك حجاب دينك فالزميه ... فانك فى الحيـاة حياة آلك
وقار أب وعرض أخ وزوج ... ومرآة السجايا فى « عيالك »
وانت اذا هفوت فكل مجد ... لهم طرا يؤول إلى مآلك
ولم يحجبك دين الله الا ... ليحجب كل سوء عن جلالك
فان الناس ناس حيث كانوا ... وأعينهم وألسنهم مهالك
ومالك تسألين الحق منا ... وخلقتك الجواب على سؤالك
يريد الله منك الأم اما ... سواء فى رضاك وفى ملالك
وخصك فى الطبيعة بالمزايا ... تمين كل ما هو فى احتمالك
فلا تتعلقى بمحال أمر ... سيذهب ممكنانك فى محالك
سهول الخصب انت لذا سهول ... ألا فدعى التخشن فى جبالك
أغرك فتية هم عار قوم ... إذا قيسوا بفتيان الممالك
حبالهمو مهيأة لكيد ... فكيف إذا التففن على حبالك
تراهم ههنا وهناك دعوى ... وهم ليسوا هناك ولا هنالك
وكل قائل فالقول حى ... وكل عاجز فالفعل هالك
وظنوا الدين قد أمسى (طريقا) ... فكل (شارع) فى الدين « سالك »
وفقه (الشافعى) بلا شفيع ... ولا نعمى (لنعمان)(٣) بذلك
أهم أحرار هذا الدين فينا ... وما بلغوا عبيدا عند (مالك)
أأعمى ثم يفتى فى طريق ... بفتوى (عن يمينك عن شمالك)
بربك يا مهندس ان حمدنا ... حسابك وافتتانك فى مجالك
وقبل الدين ضاق بسالكيه ... فلا تقل افتحوا فيه مسالك

مصطفى صادق الرافعى

---

(١) يقال ليس فلان من رجالك إذ لم يكن من أكفائك فى القتال، ورجال المرأة زوجها وأهلها؛ فالتورية ظاهرة وكذلك « برزت » فان العرب يسمون المرأة المسفرة التي تتحدث إلى الناس (برزة) وهى كلمة أثقل من معناها

(٢) قال ذلك منذ ثلاثين سنة يوم ان كان للنساء نقاب رقيق شفاف ولو نظر إليهن اليوم وهن شبه عاريات لكان له رأى غير هذا الرأى ونظم غير هذا النظم !

(٣) هو الامام ابو حنيفة

٣٤ ٥ ٤٣



الأعماق للخميسى

للاستاذ يوسف الخطاب

لانريد إن نقول أن فن القصة القصيرة الذى ولدته ظروف معينة مرت بأوربا فن مستحدث فى أدبنا كشكل لون فنى جاءنا ضمن ألوان الثقافة الغربية ، ولكننا نريد أن نسجل ظاهرة غريبة هى أنه رغم الأزمة التى يعانيها هذا الفن هناك ، فإنا نجده هنا يلاقى انتعاشا كبيراعند أدبائنا الشيوخ والشبان على السواء . وليس لهذه الظاهرة من تعليل سوى أن هؤلاء الأدباء يمرون بالحالة التى ولدت هذا اللون من الفن بأوربا .

نسوق هـذا الكلام بمناسبة كتاب (الأعماق) — آخر مجموعة من القصص القصير ظهرت لعبد الرحمن الخميسى وذلك حتى تتبين دوافعه إلى كتابة القصة وطريقته فى كتابتها وأسلوبه فيها وتحقيقه لها .

وكل من يقرأ هذه المجموعة يدرك أنها سجل تجارب مؤلفها فى الفن . فالقصة الأولى قصة شاعرة وتتلوها قصة مؤلف موسيقى وقصة ممثل . ولا أدرى لماذا وقف الكاتب عند هذه الفنون ولم يتناول بقية الفنون الأخرى! أهو ارتباطها بالجو القصصى ؟ أم أن المؤلف لايريد إلا أن يصور التجارب التى مرت به والفنون التى عالجها ؟ .

ولعل مما يؤكد الرأى الأخير العنوان الذى اختاره لكتابه ليدل به على محاولته فى الاستبطان (Introspection) والوقوف عند تصوير الحالات النفسية للشخصيات التى يعرضها . وسنناقش هذه المسألة بعد أن نقول إنه لايقف عند رجال الفن ويترك سواهم من رجال المجتمع بل إنه ليتناولهم ومجتمعهم من خلال نظرته إلى الفن والفنانين .

أما الاستبطان فيحتاج إلى وقفة كبيرة يحسن أن نترك ضيحها للمؤلف الذى يرى أن القصة جولة نفسية لاتتحقق الا إذا استحضر القصاص إلى خياله حالة شعورية لبطل القصة ينزلها الى وجدانه ويديرها فى أعصابه وذهنه . حتى لينقلب الكاتب الى شخص آخر .. وأن عليه بعد أن يخرج من ذاته . أن يصبح شخصين . ولا يستطيع الناقد الا أن يقف عند هذا التعريف لأن المؤلف ينقد نفسه ويحدد اتجاهه ، وهو اتجاه طيب اذا نظرنا إلى سيل القصص الذى أخذت المكتبة العربية تغص به ، لأن أصحابه لم يتحددوا بعد ولم يقفوا جـــديا عند اللون الفنى الذى يتفق وامكانياتهم .

أما (الخميسى) فله شأن آخر : فهو حين بدأ حياته الفنية كان يصوغ تجاربه النفسية قصائد شعرية ، ولم يتزحزح عن موقفه فى كل ما كتب حتى اننا نستطيع أن نقول دون تحرز أن قصصه ذات طابع شعرى ، وأن القصاص فيه امتداد للشاعر القديم مع تغير الشكل الفنى ـ هذا الشكل الذى أمده به الأدب الأوربى الحديث والذى يبدو وعى المؤلف به واضحا حتى أنه حين يؤرخ المجموعة فى مقدمة الكاتب يروى هـذا التاريخ بشكل قصصى بديع ، بل إنه فى أكثر قصصه يمهد لجو القصة بخلق راو لهـــا يكسبها طابع الحكاية الفنية . ثم لايقف عند هذا بل انه يبدأ القصة من قمتها حتى يثير شوق القارىء إلى متابعته فى روايتها ، ويظل فى إثارته للقارىء بأن يملأ القصة بالمواقف والعقد حتى ليقطع بالقارىء شوطا طويلا تنبهر فيه أنفاسه ـ ان لم تتقطع . ولكنه رغم ذلك يظل محتفظا بالقـارىء إلى آخر الرواية دون أن يدعه يفلت من يده حتى يشهد له بأنه كامل السيطرة على طريقة أدائه للقصة . وهو إذ يصنع كل هذا لايصطنع الرواية كالكتاب الذين يفتعلون جو القصة حين يسيرون حسب قواعد البناء القصصى المحبوك ، بل لأن القصة تعيش فى نفسه وتمسك به دون هوادة إلى حـد يدفعه إلى أن يظهر نفسه بأن يكتبها ويرويها لغيره. ولهذا تراه يبدأ الكثير من قصصه من النهاية حتى يعيش القارىء التجربة معايشته الزمنية لها فى اللحظة الصادقة التى يكتبها فيها . ولانريد أن نقول إن هذا أسلوب العصر الذى

نعيش فيه ونستشهد بالقصة السينمائية ـ آخر أشكال القصة الفنية، ولكنا نقول ان هذه هي الرواية وهذا هو فن الراوي الصحيح .

ويحق لنا وقد أبدينا اعجابنا ببدايات قصصه أن نتناول بالتحليل طريقة انهائه لها . وهنا نجده يجمل تلك النهايات في بعض القصص نهايات حاسمة ليس فيها فرجة يستطيع القارىء أن ينفذ خلالها . وهذه طريقة يخرج عليها في بعض القصص الأخرى ولا يسعنا إلا أن نشير عليه بضرورة استمراره في الطريقة السليمة التي تجعل القصة مفتوحة أمام القارىء بما تحمله من عناصر الرمز والإيحاء .

ونخلص من الشكل الفني للقصص إلى الجانب الموضوعي فيها فنجد أنه يخشى أن يفوت القارىء مايرمي إليه القصة من فكرة، ولذا نجد عنصر الفكر واضحا في قصصه حتى إنه يقول في المقدمة « كل ما أرجو هو أن اكون قريبا من جوهر الفن . من حقيقة الفكر .. وعندئذ تهون كل قرابين الحياة » ورغم أننا لانستطيع أن ننفي أن الأدب فيه جانب فكري فإن المؤلف لاينكر أن القصة موضوعها الحياة، والحياة أرحب من أن تضغطها فكرة .

وندع هذا كله لننتقل إلى مضمون القصص نفسه، ومعظمه يدور حول اليأس والانتحار والموت : فهذه « رسالة المنتحرة » و « رأيت بعد موتي » و « ليتني ما كنت » و « الموتى يتحكمون في الأحياء » الخ ... وهذا تشاؤم أملاه التزامه لجانب الفكر وطلبه لأعماق المجتمع الذي تتحرك فيه شخصياته . ومن هنا تراه يهتم بالواقع النفسي لهذا المجتمع ليصور من خلاله واقع الناس. وعالم الأعماق مهما كان الكاتب موضوعيــا في تصويره فإنه لايستطيع إلا أن يقدم نماذج من الشخصيات القريبة الى نفسه، ولايستطيع إلا ان يلونها بألوان هذه النفس . ولكن المؤلف استطاع أن يخرج مع كل ذلك بأن ابتعد عن الرموز والغوامض التي تهوم في عالم الأعماق السحيق .

ويأتي بعد ذلك الأسلوب وهو أسلوب مشرق يغلب فيه ضمير المتكلم بحكم أن عالم الأعماق لغته الأنا ولابدمعه من تقديم المونولوج الداخلي الذي تمتلىء به نفوس الشخصيات ونجد الا مندوحة لها عن الافضاء إلينا به . وهنا نجد المؤلف يصل إلى القمة التي يهدف إليها من تقديم هذا اللون النفسي من القصص .

وعبد الرحمن الخميسي الذي لم يقفز إلى عالم القصة طفرة كما قفز سواه ـ بل دخله دخولا طبيعيا : بعد أن عالج الشعر وأعاد صياغة بعض قصص الف ليلة، قـد حقق بهذه المجموعة القصة الفنية كاحسن ماتكون القصة في المادة والشكل .

يوسف الخطاب

دنيا النــــاس

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

الأستاذ منصور جاب الله

حرص الأستاذ نقولا يوسف أن يثبت في ذيل كتابه « دنيا الناس » هذه العبارة التي نوردها بنصها وهي : « كل ما ورد في هذا الكتاب من أسماء الأماكن والأشخاص خيالي ولا يصف شخصية معينة بالذات . فنرجو المعذرة إذا وقع تشابه غير مقصود بين الأسماء أو الصفات أو الحوادث » .

وكان لا بدمن هـذه اللفتة من المؤلف، فقد جاء في المقدمة التي وضعها الأستاذ محمود تيموربك لهذا الكتاب قوله « لا نرى صاحبنا — أي المؤلف — في كتابه هـذا يتابع لنا مناجياته العاطفية التي ألفناها من قبل في شعره المنثور ... فقد نزل إلى الشارع، وخالط خلق الله، وعاد إلينا في « دنيا الناس » يسجل استجابته النفسية لما رأى وما سمع، فتجلت مهارته في التقاط الصور، وانتزاع المشاهد، والتفطن إلى المواطن الاجتماعية التي تلين للغمز واللمز .

فالطابع الواقعي هو الذي يغلب على أقاصيص دنيا الناس، بل هو الذي يرين عليها جميعا، من قصته « شوكت الشال » إلى قصة « الباشا الأديب » وحسنا فعل الأستاذ نقولا يوسف بتوجيهه ذهن القارىء إلى أن الأسماء والأماكن كلها خيالية، وإلا لتركه في تيه يخبط خبط عشواء وهو يبحث عن الأستاذ بهلول الأديب

« النائب » أو عنبر افندي الذي أفنى حياته فى التدريس أو الاستاذ رمزى الشمرور !

وأكبر الظن أن الذى أعان الأستاذ نقولا يوسف على النجاح فى أقاصيصه أمران : فهو مدرس استطاع أن يخالط شكولا من الناس وأعاطاً من الخلائق ، أما الأمر الآخر فإنه تنقل بين طائفة من الأقاليم فى مصر ، فقد ولد فى دمياط ودرج فى المنصورة ثم دلف إلى الصعيد الأعلى والقاهرة ، وأخيراً استقر به النوى فى الاسكندرية . فهذه الرحلات المتقاربة صقلت مواهبه ، وبصرته بالطبائع ، وعرفته غرائز الناس ومواطن القوة والضعف فيهم .

فالمؤلف حين يصف جلسة تحضير الأرواح فى منزل « الأستاذ الدقدوسى » يتكلم عن علم ويشرح مشاهد رآها بنفسه ، وكذلك حين يصف « بابا خميس » إنما يصف رجالا نعرفهم بذواتهم ، يجمعون المال فى مصر ثم ينفقونه على نزواتهم فى أوربا

ولم يوفق الأستاذ المؤلف فى سبك القصص فحسب وإنما تجلت براعته فى الأسماء التى يضفيها على أبطاله إذ يتحدث عن « حسين الكشكى » السباك و « عبد النبى البحرة » الحلاق صاحب « صالون البرنسات » و « فجلة » ، « مكوجى الفنون الجميلة » وغير ذلك من الأسماء المتداولة فى الأحياء ذات الطابع « البلدى » ...

ولقد وصف تيمور بك المؤلف بأنه كان « رفيقا بالكثير من شخصياته ، لا يدعها سادرة تشرب كأسها حتى الثمالة ، وإنما تدركه بها رحمة فيوقظ ضميرها . ويردها إلى صوابها ، حتى يسدل عليها الستار وقد رضى عنها المجتمع الموقر ، وأنست بها مراسم الأخلاق ! »

ويا ليت الأستاذ نقولا فعل هذا فى كل أقاصيصه ، إذن لأرضى المثل العالى الذى يستهدفه ، بيد أننا نستميحه عذراً إذا زعمنا أنه أطلق لقلمه العنان فى بعض الصور التى نشرها على الناس ، فانزلق انزلاقا يسيراً كما فى قصة « الغارة الجوية » . ولكن مؤلفنا رجل حصيف رزين ، فلا يكاد قارئه يأخذه البهر ، ويحتقن وجهه خوفا على « البطل » حتى يرده إلى سواء السبيل ، ويأخذ بيده من هوة كاد يتردى فيها ، فإذا هو فى طريق الأمان .

وإذ غضضنا الطرف عن هفوات يسيرة فى « دنيا الناس » كان لنا أن نقول مع تيمور بك « مصرية هذه الأقاصيص بموضوعاتها مصرية بشخصياتها ، مصرية بما تناولت من التعبير عن أهواء النفوس ، وما أبانت عنه من مزاولة تجارب الحياة ... ولكن المصرية فى هذه الأقاصيص تتمثل على أرفى ما تكون فى تلك الروح المرحة النقادة التى تبرأ من التكلف والتعقيد ، وفى ذلك الحديث الفكه الذى يحسنه ظرفاء المصريين فى مجالس السمر ، يبتغون المؤانسة والإمتاع » .

منصور جاب الله

هذا هو الاسلام

تأليف الأستاذ محمد عبد القادر العماوى

للاستاذ عبد المتعال الصعيدى

الكاتب الأديب الأستاذ محمد عبد القادر العماوى من شبابنا المثقف ثقافة ممتازة . وقد اتجه فى كتابه هذا اتجاهات جديدة فبعد أن قدم لنا كتابه (أيامى وفلسفة الحياة) . (ومحاكمة الزمن أو طه حسين) (وهل أفلست حضارة أوربا) (ولا أومن بالعقل) . (والبعث أو مذهب السلام) وكتاب سادس آخر هو (مع عقلاء الإنس ومجانين الجن) بعد كل هذه الكتب التى اعتزت بها المكتبة العربية أخرج لنا هذا الكتاب بعد غيبة طويلة وأتى فيه بنظريات دينية جديدة . فاستعرض أولا الثورات الفكرية ولماذا كانت توجه ضد الدين ، ثم حمل رجال الدين المسئولية فى ذلك فقال (إن الذى يتحمل المسئولية وتنصب عليه كل التبعات فى الانقلاب على الدين ومحاولة محوه من الوجود ووصفه بكل هذه الصفات كما رأيت ، إنما هم رجال الدين أنفسهم لأنهم لم يحاولوا أن يفسروا الدين بعقلية حرة تجديدية وعلى ضوء نظام التطور والارتقاء) . ثم يلى ذلك فصل آخر هو (هل الدين لازم للبشر) وفيه تأريخ لتطور العقيدة الإلهية ، نشأتها وبواعثها عند الإنسان الأول والمؤثرات التى أثرت فيها ثم تكلم عن



بنات الهدروجين..!

عن المجلة القصصية Lucky Star

بقلم الأستاذ يوسف يعقوب حداد

تزوجت — جاك هرسن — كما تتزوج الفتيات في عصر الذرة والهيدروجين !... أي اننا، أنا وجاك، تزوجنا في مكتب من مكاتب الزواج المنبثة في الشوارع، كأنها دكاكين الفاكهة، أو بيع السلع القديمة !!

لم يكن ذلك الزواج كما تخيلته في ساعة من الساعات التي تستلقي فيها العذارى على مضاجعهن، ويطلقن لأفكارهن العنان تصور لهن مستقبلهن كما تشاء رغباتهن الساذجة، وعقولهن التي لم تهذبها الحياة بعد !

لا شك انكم تعرفون ان أسعد أيام المرأة هو ذلك اليوم الذي ترتدي فيه ثوبها الحريري الناصع البياض، ومن حولها ضيوفها، يشاركونها نشوتها ويتمنون لها سعادة كاملة، وحياة طيبة !... مع ذلك، حين خرجنا من مكتب الزواج، واحتوتنا السيارة وصرنا وحدنا، شعرت أنني سعيدة كل السعادة، وأحسست بالنشوة تتمشى في جسدي، حين راح جاك يهمس في أذني بكلمات الحب — مرحبا بزوجة — جاك — الجميلة ... انها تستحق أن يسجد لها هذا العالم، وتنثر على قدميها ما فيه من زهور ورياحين !

وأقلتنا السيارة تواً إلى لندن، حيث أجر جاك شقة (صغيرة) لنقضي فيها شهر العسل القصير الأجل !

قال لي جاك، إنه أحد رؤساء شركة كبيرة للاعلان، وانه سينقل عن قريب إلى الجنوب ليترأس فرعاً من فروع الشركة... هنالك ستستقر بنا الحياة، أو نعمل على ترويض الحياة، ليلين قيادها، ونكيفها كما نشاء، ونجعلها لنا أمة ذليلة، لا أن

حالة الانسانية قبل الإسلام. وأتى بنظرية أن التطور في الديانات يسير جنبا إلى جنب مع التطور البشري. وتكلم عن مكانة الاسلام بين الديانات. بعد دراسة طويلة منطقية للديانتين السماويتين (اليهودية والمسيحية) وما جاءتا تنشدان تحقيقه من غايات تختلف عن الغايات التي جاء يحققها الاسلام. ثم ختم هذا الفصل بقوله (والخلاصة التي نستطيع أن نخرج بها من موضوع دراستنا لمكانة الاسلام بين الديانات أنه الدين الذي جاء متمشيا مع العقل في تطوره ونهضاته. وأنه الدين الذي جاء يقرر الأخلاق الانسانية، ويعمل للكرامة البشرية التي تلزمها الحضارات. والمدنيات الكبرى)

ونحن وان كنا لانوافقه على كل تلك الآراء والنظريات التي استنتجها وأتى بها، والتي جعلها محوراً لتفكيره في هذا الكتاب لايمكن أن نخفي اعجابنا من هذه الاتجاهات التجديدية التي اتجه اليها الأديب الشاب

وكنا نود ألا يغلو الاستاذ العماوي عند بحثه في فصل (لماذا تأخر المسلمون في أمر عثمان بن عفان) كما غلا غيره من المؤلفين الذين تناولوا تاريخه في عصرنا ونسوا أنه في خلافته يبين لنا مافي الاسلام من استعداد لمظاهر المدنية. اذ تمت الفتوح في عصره. وانتقلت ثروة الأكاسرة والقياصرة إلى أيدي المسلمين. فلم يعد يليق بهم حياة التقشف، ولم يعد يليق بهم مظاهر البداوة. وقد كان عثمان أجدر بإنصافنا له في مظاهر المدنية الحديثة، وأن نكون خيراً له من أولئك البدو المتقشفين الذين ثاروا عليه ظلما باسم الدين، ولم يقدروا ظروف خلافته ولم يعرفوا أنها كانت غير ظروف خلافة أبي بكر وعمر. وعلى كل حال فهذا الكتاب يدل على عظيم اخلاص هذا الاستاذ لدينه كما يدل على دراسة واسعة لأحوال هذا الدين، وعناية عظيمة بالبحث عن أسباب نهوضه وانحطاطه، ليتوصل بهذا إلى الطريق الذي يعيد له مجده، وينهض به في هذا العصر.

عبد المتعال الصعيدي

نكون لما إماء أذلاء !

هكذا تزوجنا ، وهكذا استقر بنا المقام زوجين سعيدين. وتبخر الوقت كما تتبخر الأحلام من الرؤوس ! . . . لقد عاملني — جاك — كما تعامل الملكات السعيدات ، ذهبنا إلى كل مكان جميل يسره أن يحتضن عاشقين ، وتمتعنا بكل منظر يسر العشاق أن يتبادلوا الحب بين أحضانه !. . ولم يكن أمر المال أو العمل يعنينا كثيراً ، فقد شئنا أن نستغل الوقت المتمة ، بعيداً عن ضجة الأعمال ، حتى كان ذلك اليوم الذي تلقى فيه ـ جاك ـ رسالة قصيرة . تلاها بسرعة ، ثم دسها في جيبه ، وجاء إلى ، وجلس على حافة المقعد الذي كنت غارقة فيه ، وطوق خصري بذراعه القوية ، وهمس في أذني ـ ايف ... يا حياتي ... أريدك أن تساعديني هذا الصباح . يجب أن أذهب لأرى محاميا عجوزا وسأصحبك معي ... المسألة مسألة فلوس ، فقد شاء والدي . وقد رآني لا أعير الزواج شيئاً من اهتمامي ، أن لا أصيب شيئاً من ثروته إلا إذا استقرت بي الحياة إلى جانب زوجة ، لهذا أريد أن أصحبك معي إلى المحامي لتكوني دليـــلا ناطقا على استحقاقي !... سيريدونك أن توقعي على أوراق كثيرة ، ولكن لا تقلقي ... آه ، لشد ما كرهت أن أتزوج من أجل الحصول على المال ! . . . أتدرين أنني في وقت ما كنت قد قررت أن أفرط في هذه الثروة الطائلة لرغبتي الشديدة عن الزواج بواحدة من النساء! ... ولكن أنت ، أنت وحدك يا ايف العزيزة ، استطعت أن تهدمي ما شيدت من رغبات ، وما بنيت من مستقبل ، ابتسامة واحدة من شفتيك استطاعت أن تقلب الأمور رأساً على عقب ... أوه! يالأسلحة النساء !

وسألته في سذاجة ـ ولكن كم تبلغ هذه الثروة ، وماذا سنفعل بها ؟

أجابني ـ أظنها عشرة آلاف جنيه ، وحتى حصلنا عليها وأصبحت في قبضتنا ، فسنرحل بعيداً ، إلى بلادجيلة ، فنقضي شهر عسل حقيقي !... ألا يروقك هذا ؟

فألقيت برأسي على صدره ، وقلت له ـ أوه يا عزيزي ، لا يهمني أن نرحل أو نبقى هنـا ... ان كل مكان أكون معك وتكون فيه معي لهو الجنة التي وعدنا بها !

وفي طريقنا إلى المحامي ، أصدر إلى تعليمات جديدة :

ـ عزيزتي ، ان الأعمال الرسمية شديدة التعقيد عادة ، ويلوح لي أن والدي من هواة التعقيد في جميع أعماله ... ولاشك أنهم سيطالبون شهادة الزواج ، فهل لك أن تتركيها معي ؟ ... لم لا تتركين كل شيء لي ؟

فسألته ـ أتمنى حتى حين يوجهون إلى بعض الأسئلة ؟

فقال ـ نعم ، سأرد على أسئلتهم السخيفة بدلاً عنك !

وجرت المعاملات بسهولة ، وحين انتهينا منها ، قال لنا المحامي ـ ستستلمون المال عن طريق المصرف ، وسيصلكم دفتر الشيكات بعد يوم أو يومين !

وهتفت في دهشة ـ دفتر شيكات ؟!!

ولكن ـ جاك ـ عاجلني بنظرة محذرة ، وقال ـ نعم ، يا عزيزتي ... فأنا أريدك أن تكوني كالمليونيرات ، تشترين حاجة ثم تكتبين للبائع شيكا !!

ولكن دفتر الشيكات المزعوم لم يصلني ، لا بعد يوم ولا بعد يومين ، وإنما حمل إلى جاك المزيد من الأوراق لتوقيعها ! . . . لم يكن قد مضى على زواجنا أكثر من أسابيع معدودة . وكنت غارقة في الحب حتى أذني . . . لو سألني جاك أن أوقع على ورقة اعدامي ، لفعلت

ومضت أيام أخرى ، وذات يوم أعطاني جاك بضعة جنيهات وسألني أن أشترى بها ما أشتهى ثم ألتقى به في احد المطاعم التي اعتدنا تناول الطعام فيها .

لقد قضيت وقتاً طويلاً انتقل من مخزن إلى مخزن ، ألصق أنفي بزجاجها ، وأحملق بعيني في معروضاتها .. لقد وقع اختياري على أشياء كثيرة ، أقسمت أن أشتريها بعد أن نستلم الثروة مباشرة ، واشتريت جملة أشياء لم تكن بينها حاجة واحدة ضرورية ، اللهم إلا الهدية التي اشتريتها لجاك !

وذهبت إلى المطعم ، واتخذت مجلسي في الركن الذي اعتدنا الجلوس فيه ، وانحنى لي الخادم الفرنسي وعلى شفتيه ابتسامة طويلة ، وقال بلغة انكليزية تشوبها اللهجة الفرنسية الساحرة ـ

لست أرى المسيو معك هذا اليوم ؟ . . هل تأمرنى سيدتى بشىء ؟

فابتسمت له ، وقلت ـ سأنتظر قليلا ربما يحضر زوجى !

ولكن ساعة مضت ، وتلتها أخرى، ولم يظهر أى أثر لجاك، والخادم الفرنسى لا ينفك عن النظر إلى . وعندئذ أشرت إليه وأمرته أن يقدم إلى الطعام ، فقد كان الجوع قد استفحل أمره ، ولكنى مع شدة رغبتى فى الطعام ، لم أجد شهية له ، لم أجد له طعماً فى فى . كنت أشعر ان سحابة من الانقباض قد خيمت على صدرى ... رباه ، ما الذى أخر جاك عن الحضور ؟

وقفـــزت من مكانى كالمذعورة ، حتى كدت أقلب المائدة بما تحمل ، وأسرعت إلى التليفون أطلب مكتب الاعلانات الذى يشتغل فيه زوجى، ولكن عاملة التليفون أجابتنى بأنها لا تعرف مكتباً للاعلانات بهذا الاسم الذى قدمته اليها !.. سألتها فى توسل أن تجرب الرقم مرة أخرى ، ولكن جوابها الثانى لم يختلف عن سابقه !

وكدت أنفجر باكية ، واسرعت أريد الخروج للبحث عن جاك ، ولكن خادم المطعم استوقفنى عند الباب ، وسألنى ان أدفع له الحساب !.. ولكنى لم أكن أحمل نقوداً معى ، ورجوته أن يتركه لفرصة أخرى !

وبسحر ساحر ظهر المدير أمامى ، فأسر إليه الخادم بشىء التفت إلى على أثره ، وقال لى ـ لا شك أن للمدام حاجة تتركها هنا ... ان الناس لا يؤمن جانبهم فى هذه الأيام ... لا ، لست أنت ، ولكن الأخضر يذهب بسعر اليابس !

ورأيتـه يوجه نظراته إلى يدى ... إلى أناملى ، فتذكرت عندئذ أن جاك لم يشترلى خاتماً يوم زفافنا، فقد ادعى ان دكاكين الصاغة لا تضم خاتماً يليق أن يزين يد امرأة مثلى !!

قلت لمدير المطعم ـ ولكن زوجى زبون دائم يتردد كثيراً هنا ؟!

فابتسم المدير ابتسامة ساخرة ، وقال ـ والسيد جاك يأتينا بنساء كثيرات . . كلهن ادعين انهن زوجاته ! !

واضطررت إلى أن أترك ما كنت أحمله معى من حاجات ، وخرجت إلى الشارع كالعاصفة المزمجرة ، وذهبت توا إلى (شقتنا) حيث يمكن أن أجد جاك ، ولكن مفاجأة مدهشـــة كانت تنتظرنى هناك !

استقبلتنى صاحبة الشقة بوجه مقطب ، وسألتنى بقحة أن أعيد إليها مفاتيح الشقة ـ هل لسيدتى أن تعيد إلى مفاتيح الشقة لأعيد لها حقائبها التى تركها هنا السيد جاك قبيل رحيله ؟

فصحت فيها كالمجنونة ـ هل رحل جاك من هنا ؟!

فابتسمت المرأة ، وأجابتنى ـ انها عادته يا سيدتى ... لقد خدع نساء كثيرات من قبلك ...

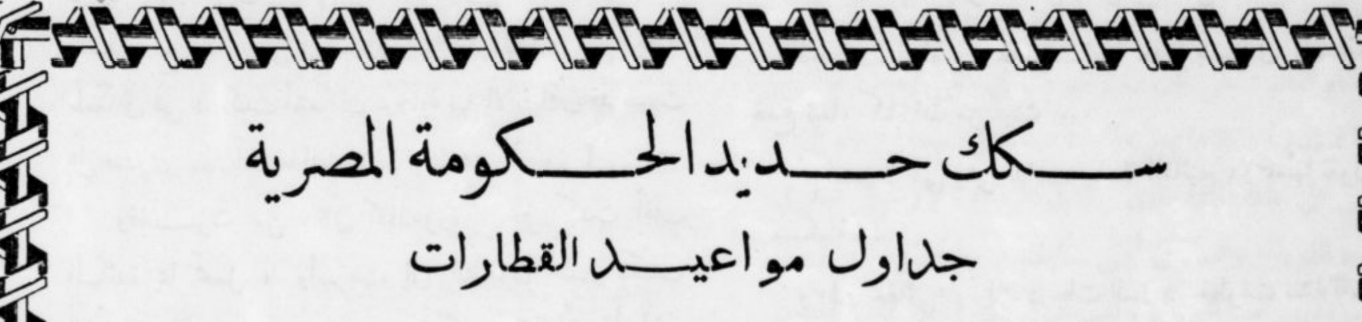
ثم ابتعدت عنى وهى تداعب سلسلة المفاتيح ، وسمعتها تقول ـ مسكينة ! !

وحملت حقائبى، ونزلت درجات السلم فى خطوات مشلولة.. كل درجة كنت أنزلها . كنت أحس اننى أفقد معها سنة من شبابى !

وما كدت أرتمى بين أحضان الشارع ، حتى كان المذياع يذيع شيئا عن عصر الهيدروجين .

وسمعت أحد المارة يعلق على ذلك ، قائلا :ـ لم يعد فى الدنيا شئ عجيب !

البصرة عراق **يوسف يعقوب حداد**



سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف الحالى قد أعدت للتوزيع ويعمل بها ابتداء من أول مايو سنة ١٩٥٠ وقد راعت المصلحة عنداعدادها تحقيق رغبات الجمهور كما يتبين من التحسينات المبينة بعد : —

١) اعادة الخدمة السريعة بين مصر ودمياط .

٢) التبكير فى مواعيد قيام ووصول القطارات الصباحية .

٣) تنسيق ساعات قيام قطارات الاكسبريسات على الخطوط الرئيسية بحيث تقوم من مصر إلى الاسكندرية فى أنصاف الساعات وتقوم من الاسكندرية فى تمامها ومن مصر إلى بور سعيد وبالعكس فى أرباع الساعات ومن مصر إلى الأقصر والشلال فى تمام الساعات .

٤) تسيير قطار ركاب بين اسكندرية وطنطا وبالعكس ليؤدى خدمة صباحية ومسائية لهذه المنطقة .

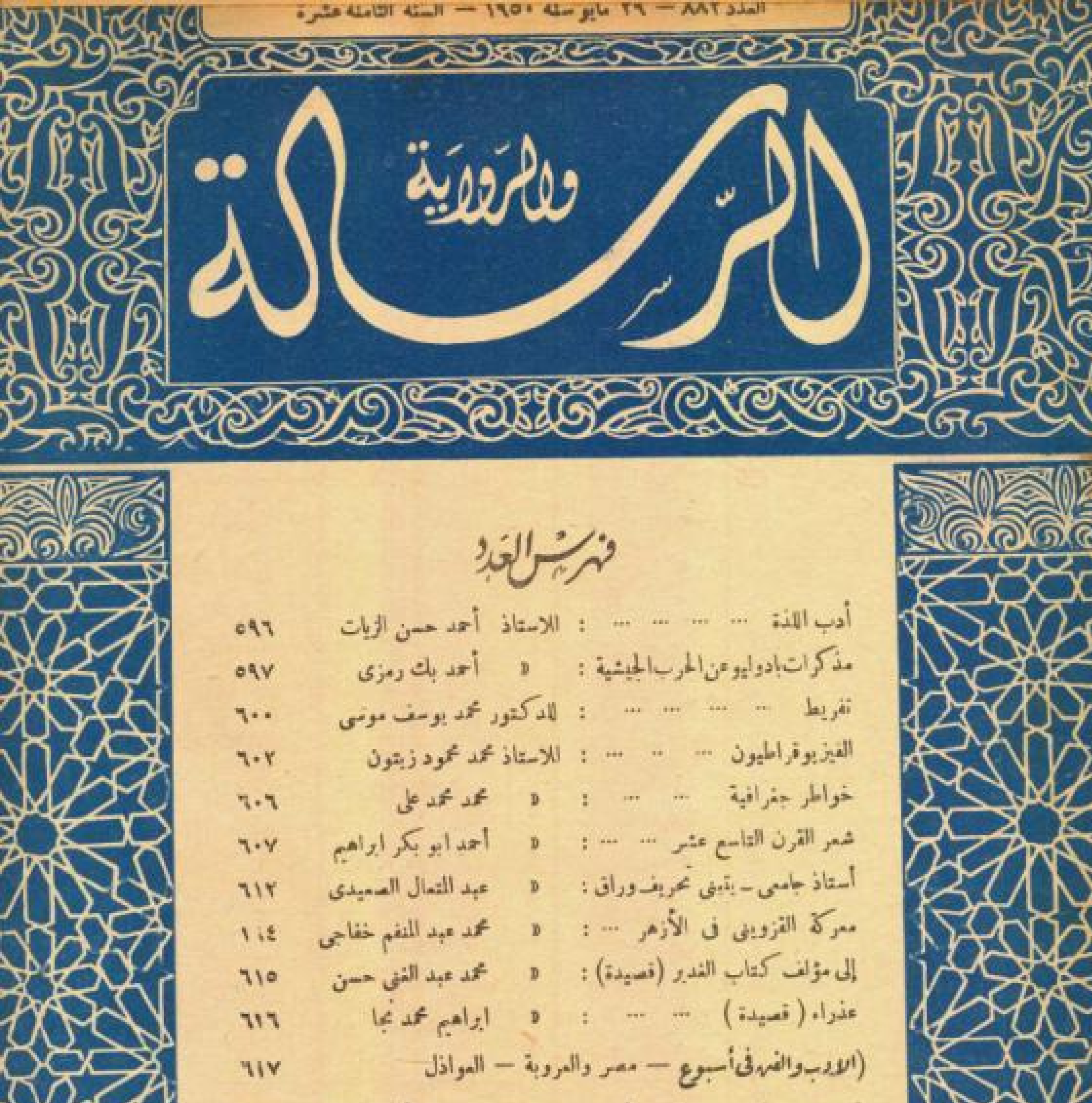
٥) استبدال القطار المختلط (ركاب وبضاعة) بقطار ركاب خط الواسطى والفيوم وأبو كساه .

٦) تقرير اعادة تسيير القطارات السريعة بين مصر والاسكندرية ومصر والأقصر فى موعد سيحدد قريبا .

٧) يشتمل الجدول على خريطة إيضاحية تبين خطوط السكك الحديدية ومحطاتها وتطلب هذه الجداول من شبابيك تذاكر المحطات وكذا من الباعة المرخص لهم ببيعها مقابل عشرين مليا للنسخة الواحدة .

مطبعة الرسالة

العدد ٨٨٢ — ٢٩ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٨٨٢ — ٢٩ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

اعلان عن جوائز فاروق الأول

سنة ١٩٥١

تعلن وزارة المعارف العمومية أن الموضوعات التى سيمنح المصريون عن الانتاج فيها جوائز فاروق الاول لسنة ١٩٥١ هى .

١) علوم الحياة ويدخل فيها بنوع خاص النبات والحيوان والفسيولوجيا والطفيليات والتشريح البشرى والحيوانى والطب وفروعه والاحياء المائية

٢) ا — العلوم الكيميائية ، مثل الكيمياء العضوية ، وغير العضوية ، والكيمياء الحيوية ، والتغذية .

ب — العلوم الجيولوجية ، مثل الجيولوجية ، وعلم الطبيعيات الارضية (الجيوفيزيقا) والتعدين .

٣) العلوم الاجتماعية .

ا — علم الاجتماع ، وعلم التربية ، وما يتصل بذلك من العلوم .

ب — الفلسفة وعلم النفس ومايتصل بذلك من العلوم .

ج — التاريخ

د — الجغرافيا

ه — الآثار .

ويشترط فى الانتاج الذى يقدم لنيل الجوائز .

١) أن يكون ذا قيمة علمية او فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة الى مايفيد مصر والانتاج القومى ، وتقدم العلوم .

٢) ان يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لاول مرة اكثر من خمس سنوات من تاريخ الاعلان .

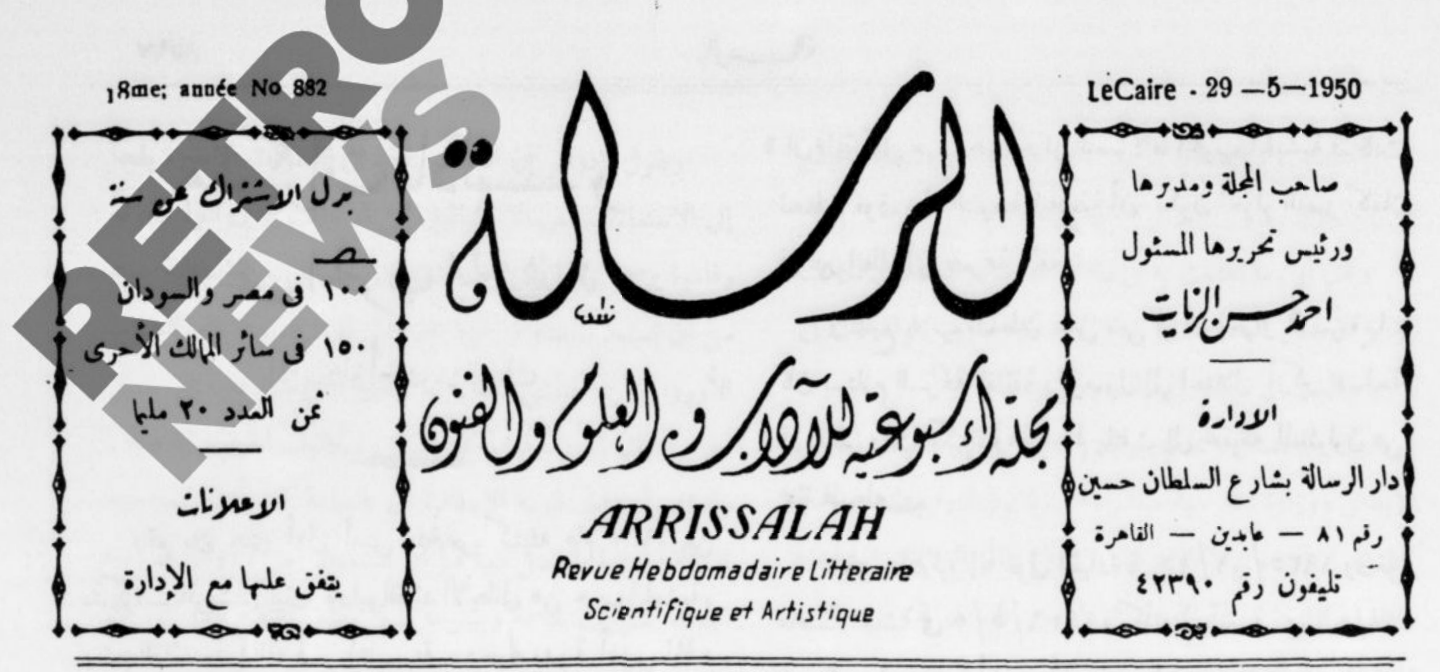
٣) ان يكون باللغة العربية الفصحى .

ويرسل الانتاج من اربع نسخ الى الادارة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٥٠ . ولا تسترد النسخ المرسلة فى أية حالة .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الثلاث ١٠٠٠ جنيه ، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ١١ فبراير سنة ١٩٥١ لمناسبة عيد الميلاد الملكى السعيد ٤٩٥٨ .

اعلان

تعلن الادارة العامة لمؤسسة الثقافة الشعبية (٧ شارع الشيخ بركات بجاردن سيتى بالقاهرة تليفون رقم ٧٦٧١٢) عن حاجتها الى استئجار مبنى لمعهد القاهرة الثقافى بجهة الدواوين أو عابدين أو أى مكان آخر وسط المدينة يكون مكونا من عشرين غرفة على الأقل عـدا الصالات ودورات المياه ويفضل أن يكون محاطا بحديقة أو فناء فسيح ، فعلى راغبي التأجير التقدم الى الادارة العامة لمؤسسة الثقافة الشعبية بالعنوان سالف الذكر بمواصفات المبنى وقيمة الايجار الشهرى ٤٩٣٠


18me année No 882 — LeCaire - 29 — 5 — 1950

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٨٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٦٩ — ٢٩ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

أدب اللذة ...

أســـأل ويسأل معي كل قارىء يشفق على حاضر الأدب ومستقبل الثقافة : إلى أى طريق يدفع بنا أدب اللذة ؟ والمراد بأدب اللذة ما يسميه الفرنسيون اليوم : La délectation litteraire

وهو الأدب الذى يلذ ولا يفيد ، ويسوغ ولا يغذى ، ويشغل ولا ينبه ، كالذى تقرأه فى أكثر الصحف وفى بعض الكتب من غرائب الأخبار، وطرائف النوادر، وتوافه المعارف، مما يجذبك عرضه ويلذك تصويره ويلهيك موضوعه ، فإذا فرغت من قراءته وصحوت من خدره ، لا تجد له أثرا فى نفسك ولا حاصلا فى ذهنك

طغى هذا الأدب على أوربا من بعد الحرب، فهزم الكتاب النافع ونفى البحث المفيد ، فثارت ثائرة أقطاب الكتاب ، وأنحوا بالنكر على معالجيه ومروجيه، وحاولوا أن يفتحوا أعين الناس على أخطاره بما نشروا وأذاعوا ؛ ولكن العلة كانت أفدح مما ظنوا ؛ فإن الأعصاب التى أوهنتها الحرب بفظائعها وفواجعها لم تعد قادرة على معاناة الجد واحتمال التقصى ، فرجعوا يتحاورون ويتشاورون ويطلب بعضهم إلى بعض أن يدسوا الفائدة فى اللذة ، ويدوفوا المرارة بالحـــلاوة ، تهوينا على الأعصاب المنهكة ، وتسكينا للنفوس القلقة

ذلك هناك ، أما هنا فالأمر مختلف . لا أعصابنا موهونة من حرب ، ولا نفوسنا قلقة من ضيق؛ إنما هو الثقافة الخاوية، والأمية الفاشية، والتربية المهملة، والصبر الفارغ، والطبع السؤوم، والهوى المتنقل، والوقت المضيع ، والحياة الهازلة ! خير ما فى المدرسة الألعاب ، وخير ما فى المجلس النكت ، وخير ما فى الكتاب الأفاكيه، وخير ما فى الصحيفة الصور ، وخير ما فى النزهة التهريج !

فإذا كان الناس فى أوربا قد انصرفوا بعد الحرب إلى أدب اللذة ، فإن ذلك وإن طال عرض سيزول ، وحال ستحول ؛ لأن ثقافة النفس فى الغرب أصيلة ، وحب المعرفة فى أهله طبيعة .

أما القراء فى مصر فإنهم إنما يعكفون على هذا النوع من الأدب البهرج لأنه رضا السطحية الغالبة ، وهوى العامية العريقة . وعلاج هذه الحال لا يكون بالتنبيه والتوجيه ، وإنما يكون بتغيير العقلية وإصلاح التعليم وإعداد المعلم وتعميق الدرس وتعويد القراءة وتنشئة النفوس على استجلاء الغامض واستكشاف المجهـــول واستدناء القصى واستشراف الكامل ؛ وهو علاج يراودنا اليأس من قرب حصوله ، فلا بعضه فى اليد ، ولا كله فى الأمل !

إن أدب اللذة عندنا هو الأصل ، وما جاء على أصله لا يسأل عن علته ولا يتعجب من وجوده . وإن أدب النفعة عندهم هو الأصل ، وما خرج عن أصله تناصرت كل القوى على كف ضلاله وكبح شروده .

احمد حسن الزيات

مذكرات بادليـــو
عن الحرب الحبشية

للأستاذ أحمد رمزى بك

وقع بين يدى أول أمس ملخص كتبته عام ١٩٣٧ عن مذكرات المريشال بيترو بادليو القائد الايطالى عن حرب الحبشية. وضع القائد مذكراته فى كتاب عقب دخوله مدينة أديس ابابا، وقدمه إلى الزعيم موسولينى، وكان هذا كافياً أن يثير رغبتى فى الاطلاع عليه بعد أن قضيت الشهور فى قراءة خطب موسولينى ومقالاته. ويعترف صاحب الكتاب بأن ما كتبه لا يعد تاريخاً رسميا للحرب لأن هـذا التاريخ يتطلب مجهوداً طويلا وجمع معلومات متفرقة، ولا ينتظر الفراغ منه قبـل سنوات عديدة. ولـكن الـكتاب مقتصر على مجرد سرد لحوادث القتال فى اثيوبيا، كما كانت تبدو لبادليو القائد العام الايطالى، وهو ينظر للحوادث من قمة عالية، فهو يعرضها بطريقة اجمالية عامة كما يراها بنظرته الشخصية كانسان، فيشرح الحـرب وأدوارها كما كان يراها فى مركز قيادته، وهو لا يتأخر أن يكشف عما كان يجول بخاطره: من إقدام وتردد، ويعرض علينا بصراحة طريقة تفكيره، وتطور هذا التفـكير ثم مسايرته للحوادث. وقال إن الفـكرة الأولى التى أوجدها وألزم نفسه بها هى إحراز النصر على أى وجه يكون، فـكانت هذه الفـكرة راسخة لديه رسوخ العقيدة التى تسلطت على لبه، وكان يستمد منها دوافع العمل والتصميم والأخذ بالقرارات الحاسمة السريعة، فلم تفارقه هذه العقيدة فى أشـد الأوقات والأزمات، وانتهى بها إلى قيادة القوات التي وضعت تحت إمرته بالنصر والظفر إلى النهاية.

ويقول بادليو فى كتابه: « لعل أعظم ما واجه المسئولين عن قيادة الحرب الحبشية، هو ضرورة الحصول على نصر سريع حاسم بأقصى سرعة ممكنة، لأن عامل الوقت كان يعمل ضد ايطاليا » وقد كتب موسولينى فى مقدمة الـكتاب ما يأتى:

« ان غاية كل حرب هو أحراز النصر، أما الحرب الحبشية فـكانت تستلزم فوق هذه النتيجة الحتمية أن يكون أحراز النصر كاملا فى غير ابطاء أى بسرعة فائقة ».

والمتتبع لحرب فلسطين يتفق معى فى أن إحراز النصر فيها، كان يستلزم السرعة الفائقة والوصول إلى احتلال أكبر مساحة فى أقصر وقت ممكن، وهذا ما لم يلتفت إلى تحقيقه المسئولون عن حملة فلسطين.

ويقول بادوليو إنه تولى القيادة فى ١٥/ ١١/ ١٩٣٥ ودخل عاصمة الحبشة فى ٥/ ٥/ ١٩٣٦ فـكأنه لم يأخـذ فى العمليات التى قام بها سوى ٤ أشهر وأيام معدودات.

وللوصول إلى نتيجة مثل هـذه حشدت ايطاليا أكبر قوة عسكرية فى القارة الافريقية إذ جمعت ٣٠٠ ألف مقاتل ايطالى و ١٠٠ ألف عامل وقوة من الطائرات عمادها ٤٠٠ طائرة كما جمعت أكثر من ١٠٠ ألف من الجنود الافريقية الملونة (السمر والسود) — وكانت العمليات الحربية التى قامت بها تمثل فى اتساعها وتفرعها أكبر حرب للاستعمار رأتها القارة السوداء حتى ذلك التاريخ. فاذا أضفنا وسائل الفن الحـديث للقتال وسوق الجيوش وتعبئتها ونقل المؤن وانشاء الطرق جاءت هـذه الحرب بمثابة فتح جديد للحروب الافريقية.

ولهذا فأن الدراسات التى قامت على معارك حرب الحبشة كانت ذات أهمية خاصة. ولا أتهم بالمبالغة إذا قلت أن قواد الحلفاء الذين خاضوا غمار الحرب العالمية الثانية استفادوا كثيرا من دروسها، ثم أقول أنه من دروس الحرب العالمية الثانية ومعاركها فى القارة الافريقية ما يدعو أيضا إلى الاستفادة من ناحية الاستعداد للحرب ووضع خططها فى المستقبل: لأن عمل كل فئة استفاد منه من جاء بعدها وهلم جرا ...

ولقد تبين لى من الاطلاع على ما كتبه بادوليو أن ايطاليا كانت تضع الخطط منـذ سنوات طويلة للحصول على النصر فى الحبشة فى حالة اشتباكها بالحرب معها — ولقد أخـذت أهبتها منذ سنة ١٩٢٥ فبدأت تعيد النظر فى أنظمة الجيش وتهيئة قواتها العسكرية بالمستعمرات.

واختارت لاتمام هذا العمل الانشائى نخبة من ضباط الجيش الذين يعملون بهدوء وصمت : ومداومة وعناد .

وكان أول ما اهتمت به فى نظامها الانشائى العسكرى تكليف وزارة الأشغال العامة بانشاء شبكات محكمة لطرق المواصلات فى ارتريا والصومال توصل إلى الحدود الحبشية . [1]

وكان الاتصال دائما بين رئيس هيئة أركان حرب الجيش الايطالى ووزارة الخارجية مباشرة -- ولماتولى بادوليو هذه الرئاسة كان يخول إليه حق الاطلاع باستمرار على دقائق العلاقات السياسية وتطورها بل يؤخذ رأيه فى أهم ما يدور البحث فيه بين بلاده وامبراطورية النجاشى .

وكان من واجبه أن يرقب بانتباه وعناية تامة كل حركة يقوم بها النجاشى لتنظيم بلاده سياسيا أو محاولاته تركيز السلطة فى يده ، وكان من أهم ما تخشاه ايطاليا هو أن تنجح الحبشة فى مشروعها الذى يرمى لايجاد جيش منظم على الأساليب الأوروبية ومزود بالأسلحة الحديثة ، فينتهى النجاشى أن يوفق فى الاستفادة من مزايا وصفات قومه الحربية وطبيعة أرض بلاده .

وكانت الحبشة خالية تماما من تلك الطبقة الممتازة من الضباط الوطنيين الذين يفكرون بتفكير الأوروبيين أو يعرفون طرق الحرب الحديثة وخاصياتها وما تتطلبه من فن ومقدرة ، وما تستلزمه من نظرة نافذة واعية ، حتى يتمكن أصحاب هذه المهنة من وضع الخطط الحربية وتنفيذها .

ويذكرنى هذا بما قرأته عن كلام مصطفى كمال الزعيم التركى الذى أسند أسباب نهضة تركيا الحديثة إلى تلك النخبة من الضباط العظام الذين لولا نظرتهم الايجابية لضاعت بلادهم كما ضاع من قبل استقلال بخارى ومراكش وتونس ومصر : فهذه النخبة من الضباط الذين يجمعون بين العلم والفن العسكرى الأوروبى ، والجرأة المستمدة من الشعور القومى هى التى كان بوسعها انقاذ البلاد ، وهى التى اطمأنت ايطاليا من عدم وجودها ولم يكن هناك من يحل مكانها الآن ادراك الساسة الامور محدود ، ونظرتهم قاصرة وكل هذا يبعدهم عن فهم الحقائق وضرورات العصر الحالى فكانوا يحضرون انفسهم للهزيمة والابادة .

ويقول بادوليو إن النجاشى أخذ فى السنوات الأخيرة يلجأ إلى الاستعانة ببعض الاخصائيين من الأجانب الذين لبوا دعوته وقاموا يرسمون له الخطط ، فاشتد قلق السلطات الايطالية خوفا من أن تستعد الحبشة عسكريا تحت اشراف هؤلاء الضباط الأوروبيين — فتنشىء لها جيشا وطنيا قد يقف عقبة فى سبيل اطماع ايطاليا أو يزيد مشاكل الفتح وتكاليف الحرب القادمة . ولذلك رأت الحكومة الايطالية أن الساعة قد أزفت لمواجهة المسألة الحبشية بالفصل فيها قبل أن يستفحل أمرها : وأن تضرب الحبشة ضربات حاسمة وبسرعة لكى تضمن تصفية هذه المملكة تصفية نهائية وبطريقة لا تمكنها من القيام مرة أخرى .

ويستمر بادوليو يحدثنا عن الحبشة فلا يستهين بها وانما يقرر أن المعلومات كانت تصل إلى ايطاليا باستمرار من أنحاء البلاد المختلفة عن كل صغيرة وكبيرة فيها وقد أدى جمع هذه المعلومات وتصفيتها بيد الخبراء إلى أن اثيوبيا بوسعها أن تجند قوة محاربة تتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ ألف مقاتل وأن تحشدها فى الجبهة الشمالية وأن تسوق قوة أخرى تتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ ألف مقاتل لجبهة الصومال الايطالى وفى طاقة البلاد تكوين احتياطى من القوات المقاتلة لشد أزر الجيشين : أما من ناحية التسليح فقد أتت الأخبار الموثوق بها تقرر أن القوات مزودة بأسلحة حديثة خفيفة ولكنها من عيارات وطرز مختلفة مما يسهل وقوع الاخطاء فى استعمال الذخيرة : (يلاحظ أن الدول الغربية كثيرا ما تلجأ إلى هذه الوسيلة بالذات لعرقلة القوة المقاتلة لدى الأمم الشرقية وهى : ناحية تعدد أصناف الذخيرة وتعدد أنواع الأسلحة المختلفة العيارات لما يلازم هذا التنوع من اخطاء فى توزيع الذخائر على الوحدات المقاتلة)

وجاءت إلى رئاسة أركان حرب الجيش الايطالى معلومات دقيقة عن كافة أنواع الأسلحة التى شحنت فى السنوات السابقة للحرب من مدافع وبندقيات رشاشة وأسلحة المشاة ، وعدد الطائرات والسيارات المدرعة وما جاء للمدفعية من مدافع ميدان ومدافع مضاده للطائرات — مما أمكن أن يعطى فكرة عن محاولة انشاء قوة من المشاة على الأقل منظمة على الأسس الأوروبية .

ولكن المطلعين على الشئون العسكرية كانوا على ثقة تامة

[1] سبق لى تنبيه السلطات المصرية بتقرير مفصل عن ذلك

من عجز الحبشة عجزا تاما وعدم قدرتها على توجيه أية حملة كاملة الأهبة والاستعداد لاكتساح إحدى المستعمرتين الايطاليتين. وذكر بادوليو تبريراً لهذا العجز سببين أساسيين: الأول مادى راجع إلى طبيعة الأراضى وخلوها من طرق المواصلات التى تسهل الحشد وتمكن من سوق الجيوش وحشدها فى أماكن التجمع اللازمة لها

الثانى أنه إذا وجدت هذه المواصلات فالبلاد مفككة داخليا وظروفها السياسية والاجتماعية لا تمكنها ، من أخذ هذا العبء عليها. وأخيراً فهى خالية من كل الـوسائل المادية والأدبية التى تجعل تجهيز هذه الحملة موضع تفكير.

إذن فهو مطمئن إلى أنه صاحب اليد الأولى فى توجيه الحرب الوجهة التى يريدها وهى بطبيعة الحال ستكون هجومية من جانبه ، دفاعية من الجانب الآخر .

ولن تكون حربا ثابتة وراء الأكمات والحصون والخنادق بل ستكون حرب حركة فى أعلى مظاهرها فهى ، فى حاجة إلى إحكام التدبير والخطط وستحتم احتلال أماكن بعيدة والتوسع فى الزحف بشكل غير معهود فى السابق بل تفرض اشغال العدو وإحكام المباغتة والاستعداد لأخذ القرارات السريعة الحاسمة وما يستلزم ذلك من الجرأة والثقة فى النفس حتى يضمن القائد سرعة التقدم وضمان الوصول إلى الهدف المعين فى الوقت الذى تحـــدده القيادة العامة .

لهذا كله يشير بادوليو فى القسم الأخير من كتابه إلى أن أول أمر تستلزمه حرب الحركة والاكتساح هو ايجاد قواد أكفاء ذوى شجاعة للاضطلاع بالمسئوليات الكبرى وليس من السهل العثور على هذه الفئة الممتازة فى أى جيش أوروبى إذا لم يدرب أفرادها من المبدأ لهذا الغرض وتعطى لهم حرية واسعة للعمل وقت التدريب. وأن يكون الاختيار منصباً أولا على الكفاءة والاستعداد الشخصى فليس كل ضابط يصلح لهذا الاختيار وليس كل قائد لديه الاستعداد الشخصى لمثل هذه الأعمال :

وقد نجح فى إيجاد قوة من الضباط الأكفاء من الناحية الفنية أى فى القيادة ، وفى وضع الخطط للتعبئة وسوق الجيوش، وقد أشرف بنفسه على امتحان معلوماتهم ، وعرف عن كثب مدى ادراكهم للأمور ، ولذلك مهد لهم طرق الاشتراك فى الحرب الحبشية مشيرا إلى أنها الفرصة الوحيدة التى سنحت لهم لاظهار صفاتهم العسكرية الممتازة ومقدار ما وصلوا إليه من معلومات وما أتقنوه من فن عسكرى .

وأشار إلى ما لازم ايطاليا من توفيق فى تكوين جيشها (بكادر) أى مجموعة هائلة من ضباط الصف الذين لهم دراية خاصة ومقدرة على فهم التنظيم والعمل بوحيه وروحه وهى صفات تستلزم المران الطويل ويخلقها ويبرزها التدريب الفنى والتربية العسكرية المبنية على أداء الواجب: وقال ان هذا الكادر هو عدة الجيوش المحاربة.

وهكذا استمر المرشال الايطالى يحدثنا بأسلوبه الشيق ويقول إن الحرب الحبشية كانت تجربة ولكن قاسية دخلتها دولته وخرجت منها منتصرة بفضل العناية التى بذلت فى رفع مستوى الجنود والضباط على السواء . وقال أنها كانت فى وجهة نظره مواجهة المجهول والتغلب على أشياء غير منتظرة ، ولا مفروض وقوعها. وكان كقائد واقعاً تحت تأثير الزمن كعامل فعال فكان يطلب إليه اتمام عمل معين بأقصى ما يتطلب من السرعة وفى أقصر وقت؛ وكان يضع خططه ويجهز نفسه لسوق وحدات بقصد احتلال مراكز معينة ، فتصدر إليه أوامر من روما بتغيير الخطة والسير بغير أمهال لناحية أخرى، فكان يلبى هذا الأمر ولكنه يسير بوحى نفسه فلا يغير خطته الأولى متحملا المسئولية إلى النهاية.

قال إن أكبر عوامل النجاح هو التنظيم الذى مكنه من عمل المستحيل والذى بدأ بتفريغ ونقل ملايين الأطنان من الذخائر والمؤن فى بلاد لم تستعد لتلقى هذه الكميات الهائلة من العتاد ، ثم سار فى التغلب على الطبيعة بانشاء الموانى والأرصفة والطرق والكبارى وتحريك نصف مليون رجل ودفع ملايين من الدواب وآلاف السيارات . كانت الحرب آلة محكمة الوضع ، ولذلك تغلبت على العقبات وأخضعت الطبيعة. وتلمح من ثنايا كلماته: إن أرادته تغلبت فى النهاية على أوامر روما وما تحمله من متناقضات وجهل بشئون الميدان ، وقرر أن مثل هذه المصاعب أولى مظاهر المشاكل والمتاعب التى تواجه القائد فى الحروب، والتغلب عليها أول مظهر لصفات القيادة الحاسمة الجريئة التى إذا وضعت الأقدار بين يديها مقدرات المعارك والحروب فعليها أن تستفيد

تفريط

للدكتور محمد يوسف موسى

تفريط تحس به حيث تكون، وتحس به حيث تلتفت حواليك. تفريط من كل طبقة وفريق: طبقة الطلاب، وطبقة الشيوخ والأساتذة، وطبقة السادة رجال الإدارة والرياسة. تفريط من كل هؤلاء وأولئك، إلا من عصم الله وهم قليل نادر. ولولا ذلك، لصار الأزهر منذ أزمان وأزمان تارتخامن التاريخ، ولصار يتحدث عنه كما يتحدث عن كائن طالت به الحياة، وأثر فيها وتأثر بها، ثم صار أثراً بعد عين وعظة فى الحاضر والمستقبل!

نعم! ذلك حال الأزهر اليوم، وقد نشأ أول أمره مقراً للدعاية لمذهب ودولة، ثم — لفرط حيويته — تمرد على ما أريد به وله، فصار منارة عامة ترسل أشعتها هنا وهناك فى أرجاء العالم الإسلامي ثم تقدم به الزمن فصار، فترة طويلة من التاريخ، المعين الوحيد للمعرفة والعلم، وصاحب الأثر الكبير فى تصريف شؤون البلد والقول الفصل فى المشاكل التى تجد. وكان من رجالاته من عرف التاريخ لهم فضلهم، إذ عرفوا لأنفسهم كرامتهم وللعلم حقه، حتى كان منهم من رفض أن يمد يده لصاحب السلطان، بعد أن لم ير حرجاً فى أن يمد بحضرته رجله! ثم مرت أزمان، وجاءت أزمان، وإذا بالأزهر لا يلتمس رأيه فيما يجب أن يكون له الرأى فيه، حتى لقد غدا كما يقول الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ... ولا يستأذنون وهم شهود

وأحب قبل الكلام الجاد فيما أنا بسبيله، أن أسارع فأطمئن المشفقين من الأبناء الأوفياء والزملاء الأفاضل، هؤلاء وأولئك الذين يخافون على عقبى صراحتى فى زمن يتهم فيه كل صريح، أننى، علم الله، لا أقصد بحديثى هـذا رجال عهد معين قريب أو بعيد، إنما أعنى الأزهر ورجاله فى هذا العهد الذى نعيش فيه منذ سنوات وسنوات. ولست بالذى ينقص إجلاله لفضيلة الأستاذ الأكبر عن أشد الناس حباً له واتصالا به. غير أنى صريح بحكم منبتى وطبيعتى، وحديث عهد ببلاد تصدع بالحق متى عدبت له، وأشعر فى قوة بما على وعلى أمثالى من تبعات للأزهر فى حاضره ومستقبله، تبعات لا يفتأ الإخوان يذكروننا بها فى كل مناسبة.

فليهدأ، إذاً، بال الأبناء والإخوان المشفقون، فالله متم أمره، ولن يقف حذر دون قدر. ولست بما أقول، اليوم أو بعد اليوم، إلا فى مقام الناصح الأمين. وليس مثلى — وقد جاوز مثلى الخمسين — بأقل من أن ينصح بما يراه حقا، وليس إنسان مهما علا قدره بأكبر من أن يتقبل الرأى الحق يتقدم به ناصح أمين.

* * *

١ — لطلاب الأزهر فى الكليات والمعاهد مطالب يضربون من أجلها عن الدروس فترة طويلة كل عام، ويلحون فى سبيل تحقيقها ملتمسين كل مايرون من سبل ووسائل. وهم جميعاً لا يكلف أحدهم نفسه النظر فيما يطلبون: أحق كله؟ أو يلتبس فيه الحق بالباطل؟ وهل رائدهم الإخلاص فيما يرجون؟ أو هى أصابع الفتنة تدفع بهم فى غير الطريق السوى؟

ويحاول هؤلاء الطلاب المساكين التماس عون أساتذتهم وشيوخهم فلا يجدون منهم إلا ازورارا وإعراضا، لأنهم يخافون التهمة بتحريك الطلاب، أو لأنهم لا يعرفون كيف يوجهونهم سواء السبيل. والمشيخة من ذلك فى شيء من الحيرة والكرب؛ لا تقدم إلا إذا اشتد الخطب، ولا تقرر إلا تحت الضغط.

ولو كانت الأمور تجرى عندنا فى الأزهر على استقامة، لكان يسيرا كل اليسر على أولى الشأن فى الكليات تعرف ما فيه الخير للطلاب فى ثقافتهم ومستقبلهم، والأهداف التى يجب أن يعدوا

منها وإلى النهاية.

أن الأقدار تأتى بها مرة واحدة فى حياة الشعوب والقادة ولن تتكرر مرة أخرى فمن العبث التردد والوقوف والتراجع إزاءها لأنها تخضع للمثل اللاتينى القائل.

Audaces Fortuna juvat

ان الحظ يبتسم دائما لأصحاب القلوب الجريئة والعزائم الصادقة

أحمد رمزى

مراقب عام مصلحة التشريع التجارى
والملكية الصناعية

الإعداد الطيب لبلوغها ، ووسائل تحقيق هذه الأهداف. وحينئذ لا يكون الطلاب ما يشكون منه ، وما يضربون عن دروسهم من أجله .

ولو كانت الأمور تجرى عندنا فى الأزهر على استقامة ، من الطلاب والأساتذة وأولى الأمر ، لكان للكليات « اتحاد » كاتحاد الكليات فى الجامعة ، ولكان هذا الاتحاد وسيط خير بين الطلاب والمشيخة ، ولكان وسيلة يمرن بها الطلاب على المشاركة فى إدارة شئونهم ، وعلى المسئولية والاضطلاع بها . ولكن كيف السبيل إلى تكوين مثل هذا « الاتحاد » ، ومن إليهم الأمر يظنون كل صيحة عليهم ، ويرون فى تكوين هذا « الاتحاد » بدء ثورة وانقلاب ؟! ثم كيف السبيل إلى مثل هذا « الاتحاد » ، ومن الشيوخ من يستحل اتخاذ الطلاب الأبرياء وسيلة لقضاء حاجة أو حاجات فى نفوسهم ! ومن أجل هذا يزور المدرسون عن الطلاب ، فلا يرى الطلاب — وقد حرموا التوجيه الصالح — إلا أن يصدروا عن عقولهم التى تنقصها الإحاطة بالأمور ، وعن خبرتهم وتجاربهم وهى ناقصة ، وعن مطالبهم الخاصة دون رعاية للحق أو للصالح العام فى نفسه .

٢ — وبعد الطلاب ، الذين شغلتهم الامتحانات والاستعداد لها عن مطالبهم ، جاء بكل أسف دور المدرسين والأساتذة .

نعم ! ها هى ذى المعركة حامية الوطيس بين فريق المدرسين فى المعاهد والكليات ، المعركة التى استعمل فيها كل سلاح وإن رغم الحق ! المعركة التى وصل أمرها للصحف والديوان الملكى وللبرلمان أخيرا كل فريق يدافع — على طريقته — عن حقه وكيانه ومستقبله ، ويرى كل الوسائل مشروعة ما دامت تحقق الغاية أو تدنى منها. وفيما بين هؤلاء وأولئك تضيع كرامة الأزهر ، وتتزلزل سمعته فى مصر والعالم الإسلامى كله .

ولو كانت الأمور تجرى فى الأزهر على ما ينبغى من عدل واستقامة لصدر منذ طويل « كادر التدريس » حين صدر القانون بإنشاء الكليات . وإذاً ، لعرف كل من أعضاء هيئة التدريس حقه ، ولوضع فى موضعه الذى تؤهله له دراسته وكفايته ، ولما كان من الممكن أن تقوم هذه الخصومة العنيفة بين الإخوة الزملاء أبناء المعهد الواحد ، ولشغل الكل بالبحث والإنتاج العلمى الذى تخلفنا فيه حتى صرنا ساقة بعد أن كنا القادة .

ذلك ما كان يجب أن يكون ، لولا اشتغال الرؤساء بالحاضر ، يصرفون مسائله فى ارتجال، عن المستقبل — حتى القريب منه — يعدون له ما لابد منه من عــدة ووسائل . ولله الأمر من قبل ومن بعد !

٣ — وفى الأزهر اضطراب شديد أيضا فيما يتصل بعدم تركز السلطان وتصريف الأمور فى المسئولين وحدهم بحكم مناصبهم ، بل صار نصيب كبير من هذا إلى غير هؤلاء المسئولين ، فعظمت البلوى وعمت الشكوى .

ولو كانت الأمور تجرى عندنا على استقامة ، لأنشىء منذ زمن طويل مكتب فنى بالرياسة يكون لأعضائه من الثقافة والكفاية والروح الأزهرية والحب للصالح العام ، ما يجعلهم أهلا بحق لاقتراح المشروعات التى تفيد الأزهر، ولبحث ما يحال إليهم من مشاكل ، ولتقديم المشورة الطيبة فيما يجد من أمور.

ولو كانت الأمور تسير عندنا على ما ينبغى ، لوضعت منذ طويل قواعد عامة للنقل للكليات ، ولكان من هذه القواعد ألا ينقل مدرس — مهما كانت درجته العلمية — من الثانوى لكلية من الكليات إلا إذا شهد له بالعلم والبحث مؤلفات منشورة

ولكن ؛ منع من هذا وذاك فيما مضى ، وربما يمنع منه أيضا هذه الأيام وفى المستقبل ، ما ركب فى النفس من حب الاستئثار بالبت فى كل أمر وبالاعطاء والمنع . ولعل الله ينظر للأزهر نظرة رحمة فيغير من هذا كله .

٤ — وقد نظر الله للأزهر فى بعض ما مر به من عهود ، فألهم القائم بأمره حين ذاك — وهو المغفور له الأستاذ الشيخ المراغى — أن يرسل بعوثا لأوربا يقبسون من علم الغربيين وطرائقهم فى البحث والدرس ! ومضى الزمن ، وعادت البعوث من فرنسا وألمانيا وانجلترا ، وانتظر الناس أن ينتقل الأزهر خطوة إلى الأمام؛ وحق لهم أن ينتظروا فى ثقة واطمئنان. ولكن، ها هو الزمن يمر ، وها هو الأزهر فى جملته يسير نفس سيرته قبل أن يكون له أعضاء بعثات جمعوا بين ثقافة الشرق والغرب . نعم ! ها هو الأزهر لا يزال كما نعهد من قبل فى مناهجه وطرائق التدريس فيه وعدم غنائه فى علوم الدنيا والدين .

الفيزيوقراطيون..

Les phyiocrates

للاستاذ محمد محمود زيتون

سادت فرنسا فى القرن الثامن عشر موجة فكرية تدعو إلى الطبيعة Nature واشتدت هذه الموجة بفضل ما كتبه أدباء فرنسا ومفكروها سواء صدروا فى كتاباتهم عن الإنجليز المعاصرين أمثال لوك Locke ، أو تأثروا بحالة بلادهم فتمثلوها وترجموا عنها أدبا وفلسفة واقتصادا وسياسة إلى غير ذلك من نواحى النشاط الإنسانى .

ترددت تلك الدعوة إلى الطبيعة على كل لسان وقلم ، وامتزجت بها كل وحدة من وحدات المجتمع الفرنسى . وكان من بين تلك الدوائر جماعة الطبيعيين « الفيزيوقراطيين » الذين كانوا خير من تبنوا هذه الدعوة وأنموها وأوصلوها إلى نتائج وقفت الحضارة الفكرية عندها طويلا ، لأن هذه الجماعة سوغت لنفسها أن تتخذ « العلم العام المجتمع » مذهبا لها .

نشأت هذه الجماعة فى فرنسا حوالى سنة ١٧٥٠ م وكان مؤسسها « كيسنى Quesnay » الذى ساهم فى قيامها بكتبه التى تحوى جميع العناصر الرئيسية للمذهب ، من ذلك : مبدأ الحق الطبيعى ، ونظرية الإنتاج الزراعى الخالص ، ونظرية الشركة العادلة بين الملاك والمنتجين ، ونظرية الاستبدال الطليق ، ونظرية الحكومة الاستبدادية المستنيرة . وقد انتشرت هذه التعاليم بحذافيرها حينا ، ومعدلة حينا ، ومغيرة حينا فى خارج

ولماذا ؟ لأن المشيخة لم تحب ، ولا تحب ، أن ينتفع الأزهر بمبعوثيه ، لأنها لم تحب ، ولا تحب ، أن تستعين بهم — كما تفعل الجامعة ووزارة المعارف — فى التوجيه الصحيح فى المعاهد والكليات ؛ لأنها لم تحب ، ولا تحب ، أن تجعل لهم الإشراف على ما يواجه الأزهر هذه الأيام من الاتصال الشديد بالعالم الإسلامى والعالم العربى فى أوربا وغير أوربا .

وبهذا ، صار للأزهر شكل الجامعة ، دون أن يكون له حقيقتها ، ما دام لا يسير على نظم الجامعات ! وصار له أعضاء بعثات حازوا أكبر الدرجات العلمية من الأزهر ومن أوربا ، ولكن لا يحاول أن يفيد منهم ! وأصبح من العبث إرسال بعثات أخرى ، نكلف أعضاءها كثيراً من الجهد وتنفق عليهم كثيرا من المال ، حتى إذا عادوا تركوا دون الإفادة منهم كإخوان لهم من قبل !

* * *

إن الأزهر لا يسير منذ سنين طويلة فى الطريق الصحيح ؛ وتلك حقيقة تعرفها الأمة وقادة الرأى فيها ، كما يعرفها الأزهريون أنفسهم . وإن من دلائل ذلك ما نراه من تخلف الأزهر فى ميدان الإنتاج العلمى ، حتى حين يتصل بالتراث الإسلامى . وإن من دلائل ذلك عدم القدرة حتى الآن على عرض الإسلام عرضا سليما واضحا يجد فيه العقل رضى والقلب هدى ، ونتعرف منه الرأى الحق فى المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التى تنوعت كثيراً هذه الأيام .

وإن من دلائل ذلك ما حدثنى به جمع من تلاميذى ، من أنهم لا يحسون الأمة تضعهم فى المنزلة التى تضع فيها طلاب الجامعة . ذلك بأن الأزهر ، كما قلت أول الحديث ، تسوده روح التفريط : تفريط من الطلاب فى الإخلاص للعلم ، وتفريط من الأساتذة فى مديد العون لهم وتوجيههم الطريق السوى ، وتفريط من الرؤساء — إلا من عصم الله وهم قليل نادر — فى طلب الرأى ممن يراه وفى الاستماع للنصح حين يتقدم به الثقة الأمين .

ولعل الله يعرفنا الباطل باطلا فنجتنبه ، ويرينا الحق حقا فنتبعه . وأدعو الله لأستاذنا الأكبر شيخ الأزهر ، قابسا من دعاء للدكتور طه حسين بك لرفعة سرى باشا حين كان رئيسا للوزراء فأقول :

رزقك الله سداد الرأى ، وألهمك صواب القول ، وكتب لك التوفيق فى العمل ، وجعل سيرتك عزاء عن سيرة من كان قبلك ، ورضا لمن عاش معك ، وقدوة لمن جاء بعدك

محمد يوسف موسى

دكتوراه الدولة فى الفلسفة من السوربون
وأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر

فرنسا بل فى داخلها . وكل ما كتب بصددها فى المرحلة التالية للفيزيوقراطيين مباشرة إنما كان مستمدا من مؤلفات « كيسنى » وقائما على الأصول التى وضعها .

نعم سبقه كثير من الماديين ، وسار على نهجهم واعتنق بعض مذاهبهم ، وحقا إن « لوك » وغيره من الانجليز كانوا أسبق من « كيسنى » فى ذهب إليه ، فلوك هو القائل بنظرية الحق الطبيعى ، والمدافع عن حرية التجارة ، ولـكن هذه الآراء وإن تسربت كلها أو بعضها إلى فرنسا إلا أنها لم تعمل على خصوبة الفـكر الفرنسى ، ولم تـكن هى الباعث على قيام هذه المدرسـة وتعاليمها ، وذلك لأن مركز فرنسا المـادى حينذاك كان منحلا لمـا كانت تمانيه من فساد النظام التجارى ، فضلا عن انحطاط الحالة الزراعية والصناعية جميعا .

ففى مثل هذه الحالة ، يتجه الاهتمام أول ما يتجه نحو « حقوق الانسان » التى تربطه بالمجتمع ، تلك الحقوق الطبيعية التى لا مصدر لها غير الطبيعة وحدها . ومن الواضح أن طبيعة الإنسان لها الحق فى كل شىء يتعلق بوجوده وسلوكه ، حتى إذا قام للمجتمع كيان ، عانى هذا الحق تحديدا لا بد منه وقد يصبح هـذا التحديد خطيرا ما لم تفسره صيغة الحق droit ، والصيغة الوحيدة لهذا التحديد المطابقة للعدالة والعقل مما هى حق كل فرد فى نصيب من الخيرات التى يستطيع أن يمارسها عن طريق العمل والخدمات العامة .

وبتحليل هـذا الحق الطبيعى ينتهى إلى عنصرية : الحرية المطلقة ، والملـكية المطلقة ، ولـكن هـذه الحقوق من غير شك تفترض تبادل الواجبات . واجب العمل ، وواجب احترام الغير ، وواجب العمل على خير الغير . وعلى ذلك ينبغى أن يكون القانون الوضعى تفسيرا لهذين الجانبين من الحق الطبيعى . وهكذا تنتظم الروابط بين الأفراد بعضهم بعضا ، ولـكن يبقى تحديد موقفهم من المجتمع ليـكون الحق العام متمشيا مع الحق الطبيعى غير متعارض معه ، وهذا يتطلب تنظيما .

عالج الفيزيوقراطيون هذا التنظيم ، فى الاقتصاد « ترتيب طبيعى » Ordre Naturel هو موضوع البحث فى المجتمع . وفى الاقتصاد قوانين طبيعية ، معرفتها أمر ضرورى ، وكافٍ لإقامة نظرية الإنتاج ، ونظرية الاستهلاك ، وهما النصفان اللذان يتألف منهما الاقتصاد .

ولم يكن « شارل جيد Ch Gide » حين قال « أداء الواجبات ، واستغلال الحقوق ، وإرضاء الرغبات ، تلك هى الأغراض الثلاثة المختلفة للنشاط الانسانى، والأخير منها موضوع علم الاقتصاد ، ولذا نستطيع القول بأن الاقتصاد السياسى له أن يعالج الروابط بين الناس العائشين فى مجتمع من حيث تعمل هذه الروابط على إرضاء رغبات الحياة المتعلقة بالجهود العاملة على تزويد الجميع بالثروة المـادية » .

والأرض هى أساس الاقتصاد ، والقاعدة التى عليها يرتكز، وحسب الفيزيوقراطيين أن يشاهدوا الطبيعة وأن يستمعوا لها ، فهى وحدها التى تفسر توزيع الدخل ، ودورة الثروة ، وقوانين المحصول الصافى وغير ذلك . ومن كل هذا استنبطوا نتائجهم ، وإن كانوا فيما بعد قد ظنوا أن القوانين التى يجب أن يتوجهوا إليها ، واضحة وضوح القوانين الطبيعية .

لقد تردد ذكر « الطبيعة » طوال القرن الثامن عشر . فعلى أى وجه ردده الفيزيوقراطيون ؟ إنهم اعتبروا فى الطبيعة جانبا ماديا ، وأرادوا أن يربطوا القوانين الأخلاقية والقضائية بقوانين فيزيقية ربطا مباشرا . يقول « ميرابوا Mirebeau » لقد عولج الحق الطبيعى باعتباره حقا عقليا دون التفكير فى خضوع قوانين النفس لقوانين فيزيقية متصلة بها اتصال الجسم بالروح »

وهنا تختلف وجهة نظر الاقتصادى ، عن وجهة نظر الأخلاق ، فهنا يريد « ميرابو » الانتقال مما هو مادىّ إلى ما هو أخلاق ، وذهب إلى القول بأن « الناس تحكمهم الأشياء » C'est par les choses que les hommes sont gouvernés هذه الأشياء عند « ميرابو » هى « الحبوب » les grains إذ يقول « وكما أن حبـة القمح مرآة تتحدث عن حكمة الخير الإلهى وعظمته ولطفـه ، فـكذلك هى مرآة تتحدث عن الكوا كب والعوالم إلى ما ينتهى ، فينبغى كشف عظمة القوانين الإلهية بفخامة القوانين المـادية » .

وهذه النزعة — وإن بدت مادية — إلا أنها فـكرة فلسفية قال بها من الفلاسفة من قال بالعناية الإلهية ، وكذلك من اعتبر

دورة الثروة circulation de la richesse كالدورة الدموية ، من حيث لها قوانينها الطبيعية فى الحياة الانسانية .

وهنا نتساءل : لماذا اهتم الفيزيوقراطيون بالطبيعة والقول بالعناية الالهية ! الجواب سهل يسير ، ذلك أنهم رأوا فى الطبيعة قوة أسمى من قوة الانسان ، لأن عمل الانسان تافه ، أما الطبيعة فذات قوى منتجة هى عمل إلهى ، ونوع من المنحة والنعمة .

وجد الفيزيوقراطيون إذن فى القوانين المادية قوانين إلهية ، واستطاعوا فى جرأة وإقدام أن يربطوا بين النظام الأخلاقى والنظام الفيزيقى ، لأن فى نفوسهم استحسانا له مفعوله فيها ، ويفسر « كسنى » ذلك بقوله : « المقصود بالنظام الفيزيقى هو المجرى العام لجميع الأشياء الفيزيقية ، أى هو النظام الطبيعى الأكثر نفعا للجنس البشرى . وبهذا القول نكون قد وقفنا على جوهر المذهب الفيزيوقراطى ، إذ القاعدة العامة لكل عمل إنسانى تنطبق على أنفع نظام فيزيقى للانسان وهذه القواعد كلها تكون قانونا طبيعيا ، واضعه الله ، وهذه القوانين ثابتة دائمة ، وهى أحسن ما يمكن أن يكون .

بفضل هذا الاستحسان استطاع الفيزيوقراطيون أن يقربوا بين القوانين الطبيعية naturlles الضرورية وبين القوانين الفيزيقية physiques ، وأفهمونا بذلك الحقوق الطبيعية .

وكان مذهب الأحرار Libéralisme منطويا فى مبدئهم العام والخاص على وجوب ترك القوانين الاقتصادية حرة طليقة ، وعلى ترك الباب مفتوحا للتجارة الحرة ، فاشتهر فى الأوساط الاقتصادية مبدؤهم المشهور Laissez aire laissez passer ، أى « دع القوانين تعمل ، ودع التجارة تمر » وكان أيضا داعيا إلى القوانين الطبيعية ، والحقوق الطبيعية ، ومستتبعا لنظريتهم فى الطبقات théorie des classes

ولقد جاء الفيزيوقراطيون بفكرتين جديدتين هما :

١ — سمو الزراعة على التجارة والصناعة .

٢ — إيجاد « نظام طبيعى أساسى للمجتمعات الانسانية » كما يدل على ذلك نص عنوان كتاب للفيزيوقراطي الشهير « مرسييه دى لارفيير Mercier de la Riviere »

أما الزراعة فقد أعطاها الفيزيوقراطيون من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها ، لأن الزراعة فى نظرهم ليست مصدر الغلة الصافية فقط ، بل هى المصدر الوحيد للثروة ، وما عداها عقيم Sterile والانتاج الزراعى أجل من غيره من الانتاجات لأن الأرض تحتوى على جميع أسرار سعادة الانسان .

والزراعة أولا وبالذات هى التى تخلق الثروة ، أما الصناعة والتجارة وسائر الحرف فكل عملها أن تحول الثروة ، وشتان بين الخلق Créer والتحويل Transformer ، ثم إن العمل الزراعى — دون سواه — يعالج المواد من أجل الثروة .

والتعدين والقنص والسماكة كل ذلك تابع للعمل الزراعى ويندرج تحت اسم « استخدام الطبيعة » ولو أمكن استخدام الهواء والسماء لحسبهما الفيزيوقراطيون أيضا من هذا العمل .

وضع الفيزيوقراطيون لهذه الأعمال جداول ، ووضعوا لها قواعدها وشروطها ووسائلها ، أما التجارة فإنها لا تزيد من قيمة المنتجات بتحويلها ، فقالوا : « إنك حين تنصرف عن الحراث لتكون تاجرا ، فإن التجارة لن تجعلك تنتج قمحا » وأما الصناعة فهى كالتجارة تحول ولا تخلق .

ولنا أن نقول هنا إن ما يسميه الفيزيوقراطيون نظرية لا يعدو أن يكون مجرد رغبة أو رأى ، حفزهم إليه النزوع الأدبى قبل كل شىء ، وليس أدل على ذلك من كتابات « روسو » الأديب السياسى معا ، وقد سارت السياسة والأدب فى عصره جنبا إلى جنب .

والنفس بطبيعتها تنزع إلى الطبيعة بما فيها من وداعة واطمئنان بعد الشعور بالمادية الطاغية وعند النفور من لجب المدينة وضوضائها . على أن القول بأن الزراعة تخلق الثروة غير صحيح ، لأن الفلاح لا يخلق شيئا ، وإنما هو يحول فى المواد إلى التربة والهواء ويؤلف بينهما ، فهو يستنتج القمح من الماء والبوتاسيوم والسليكون والفوسفات والنتروجين ، شأنه فى ذلك شأن الصبان يصنع الصابون من المواد الدهنية والبوتاسا . وإذن

لا فضل للزراعة على غيرها من هـــذا الاعتبار . ولذا لم يتردد « آدم سمث A Smith » وغيره فى اعتبار الصناعة عملا منتجا ، بل أول عمل منتج ، وأكثر من ذلك فإن الخدمات حتى الفنية منها لم يتردد الاقتصاديون فى اعتبارها أعمالا منتجة .

وإذا كان رأيهم فى الزراعة – على النحو الذى بينا – يمثل المظهر الاقتصادى لمذهبهم ، فثمت مظهر اجتماعى له ، يمثله رأيهم فى طبقات المجتمع ، وهو نتيجة محتومة للنظرة الاقتصادية .

فكما أن ما عدا الزراعة – فى نظرهم – عمل عقيم ، فكذلك كل طبقة ماعدا الزراع طبقة عقيمة . ولما كان الفلاح هو المساعد المباشر للقدرة الإلهية ، ومموِن الأمة جميعها ، فهو وحده الذى يستحق أن يندرج فى قائمة المنتجين . يقول « ميرابو » فى هذا « إن الرجل الذى يجهد فى استخراج محاصيل الأرض هو الرجل الأول فى المجتمع ، فكيف يستطيع الملك والقواد والوزراء أن يعيشوا من غير الفلاح ، وإن كان الفلاح يستطيع أن يعيش بدونهم ؟ »

كل الطبقات – مهما علت أو سفلت – عالة على الفلاح ، وليس الفلاح عالة عليهم ، وهذا ما سيقرره فيما بعد أنصار مذهب Tiers - Etat مثل « سيس Seyes » وأنصار الصناعة مثل « سان سيمون S. Simon » الذى قرر « أن فرنسا إذا فقدت الملك والوزراء فإنها لا تفقد شيئا ذا بال ، أما إذا فقدت النجارين والنساجين والعمال عامة تعطلت الحياة ، وفقدت كل شىء » . وهكذا يكون قد تابع « كنى » و « ميرابو » على نحو آخر .

ماعدا الزراع فى الطبقات عقيم ، لأنهم لا يأتون – كالزراع – بإنتاج جديد ، إذ العامل والعاطل عندهم سيان ، وبذا ظل الفلاحون وحدهم المنتجين بمعنى الكلمة .

أما الملاك فلم يلق الفيزيوقراطيون بهم فى سلة الطبقات المهملة لأنهم حين أرادوا النهوض بالزراعة ، احتاجوا إلى رؤوس الأموال فوجدوها عند الملاك ، وبذلك كان مذهبهم مناهضا للاشتراكية Anti Socialiste ، وهم – إذا حرموا العمال شرف الإنتاج فى الطبقات المنتجة – كانوا ضد العمالية Anti Ouvrieriste وهم – حين أرادوا التقرب إلى الفلاحين واستغلال منتجاتهم – فتحوا الباب لمنح الامتيازات لهم ، بعدم دفع الضرائب ، والإقرار بأن الفلاحة من الحرف ذات الامتيازات .

وإذا كان من الواجب على الاقتصادى أن يحقق التضامن الاجتماعى بالقضاء على الفردية المهمة من جهة ، والطائفية الغالبة من جهة أخرى ، فإذا بالفيزيوقراطيين – وهم الساعون إلى الحقوق الطبيعية والمنادون بالحرية – يعملون على انحلال اجتماعى خطير ، بإقامتهم حواجز وفواصل بين الطبقات لا تعاون بينها ولا تضامن .

تطور المذهب الفيزيوقراطى – شأن كل مذهب – إلى لون سياسى اقتصادى فى آن واحد ، يناهض الاشتراكية ، وتوارثته الأفكار حتى انحدر إلى أتون الثورة الفرنسية ، وأجج نيرانها وعارض فلاسفة القانون .

قال « منتسكيو » بالسلطات الثلاث ، وألحقها « روسو » بالإرادة العامة ، وحقا استنكر الفيزيوقراطيون الحكم الاستبدادى غير أنهم التمسوا العذر لأمبراطور الصين المستبد لأنه فى ساعة معينة من السنة يضع المحراث بنفسه فى الأرض يحرثها .

ومهما يكن من شىء ، فقد كانت هذه الأنظار الفيزيوقراطية إرهاصا بمجهود فكرى مجيد ، احتمله فلاسفة الاصلاح ، وعلى رأسهم (روسو) و (هوبز) و (منتسكيو) وقد أفادوا من المذهب الفيزيوقراطى أصوله السياسية كالحقوق الطبيعية ، وأصوله القانونية والاجتماعية كالإرادة العامة ، وساروا بها شوطا بعيدا حتى جاء (دوركيم) زعيم المدرسة الاجتماعية الفرنسية الحديثة ، فعمل على تجريد البحث الاجتماعى من الجانب النفسى ، وضم البحث الاقتصادى إلى فروع علم الاجتماع البحت ، واكتشاف القوانين الصارمة ، ورسم البرامج لذلك كله .

محمد محمود زيتون

خواطر جغرافيـــة

للأستاذ محمد محمد على

إن اعتماد الناس فى ممارسة الحرف على ظروف كثيرة . ظاهرة ملحوظة ؛ ففى بعض الاقاليم نجد مجال اختيار الحرف محدوداً وفى أقاليم أخرى نجده كبيرا . وفى أغلب مناطق أمريكا الجنوبية حيث يسكن بقايا من الهنود لا يزالون صيادين ، ويضيعون وقتهم فى تحقيق رغبات بدائية ، وهم لا يستغلون كل موارد الثروة فى بلادهم . وواضح أن الفرق عظيم بين هذه الحياة البدائية البسيطة والحياة الحديثة فى نيويورك مثلا . وتتميز هذه الحياة بوجود ترابط بين مختلف الحرف ، وهذا الترابط ونمو رغبة الانسان المتزايدة وقدرته على استغلال الموارد الطبيعية .

كان الناس فى الأزمنة الغابرة يعيشون فى أراضيهم ، ويتبادلون مع جيرانهم بما يزيد عن حاجاتهم ، أى كان اعتمادهم على الأرض التى يقطنونها . فيمكن القول بوجه عام إن النشاط التجارى ليس بجديد . فالحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية والبابلية فى العالم القديم ، وحضارة الأزت والمايا والانكا فى العالم الجديد ، أقامت نظما فى التبادل مختلفة . وبانتقال الحضارات من غرب آسيا إلى البحر المتوسط وشمال غرب أوربا حدثت تغييرات ملحوظة فى النظم الاقتصادية . ولقد كان الفينيقيون والإغريق والقرطاجيون والرومان يتاجرون فى العطور والأحجار الكريمة ومنتجات الغابات ، ووصلوا إلى الشواطىء الغـــربية والشمالية للبحر الأسود فضلا عن قيامهم بدور الوسيط بين تجارة الشرق والغرب . فلما كسدت التجارة القديمة فى البحر المتوسط جاء الصليبيون فى أوائل العصور الوسطى واشتغلوا بالتجارة ، ثم قامت جنوة والبندقية وأصبح لهما أهميـــة تجارية عظمى ، وكانت أساطيلهم تمخر عباب كل أجزاء البحر المتوسط . ومع أن سكان أوربا قد عرفوا كثيرا من المنتجات التى كانت مجهولة لديهم من قبل ، فان التجارة لم تكن نشيطة إذا قورنت بما حدث فى عصر الاستكشاف ، والانقلاب الصناعى . وفى أوائل القرن الخامس عشر واجهت مجموعات المدن التجارية صعوبات متزايدة فى الحصول على منتجات الشرق ، إذ أن استيلاء الترك على مصر والقلاقل السياسية سببت ركودا فى التجارة . فولى تجار أوربا وجوههم شطر الاطلنطى لعله يؤدى إلى طريق مضمون لتجارة الشرق . وأول من فعـــل ذلك الاسبان والبرتغال ثم الانجليز والفرنسيون والهولنديون . وعلى الرغم من الحروب فقد فاضت خزائن الأوربيين بالذهب والفضة . ثم كانت بذور النهضة الصناعية فترك الصناع اليدويون منازلهم إلى المصانع ، وبعد أن كانت الريح والمجارى المائية مصدر الطاقة أصبح الفحم هو المصدر ثم الكهرباء . وقد أدى الانقـــلاب الصناعى إلى التخصص والتركز ، وأدت التغييرات التى صحبته إلى زيادة السكان فى العالم من ٥٠٠ مليون نسمة سنة ١٧٠٠ إلى أكثر من بليونين فى الوقت الحاضر . ولا شك أن أساس الزيادة هو التقدم والارتقاء من جراء التبادل والاحتكاك .

***

اكتشف الانسان الموارد الطبيعية واستطاع أن يستغلها ؛ ولم تتغير فقط نواحى نشاطه ، بل إن البيئة الطبيعية اعتراها التغيير ؛ فمثلا تستجيب الحياة النباتية والحيوانية لذبذبات المناخ والاختلافات الجوية . ويمكن للانسان أن يتغلب على الصعوبات الطبيعية ، فهو يجفف البرك ويروى الصحارى ويخصب التربة المجـــدبة ، بل ويستنبت النباتات فى البيوت الزجاجية ويشق القنوات ويفتح الممرات ويطير فى الهواء ! . ولئن كان هذا يكشف عن قدرة الانسان على تغلبه على البيئة فان من الضرورى أن يكيف نفسه مع ظروفها . فالمناطق المدارية والتندرا لا تزال كما هى بالرغم من كل ما أمكن الانسان أن يفعل . إذ يستحيل استنبات الموز فى مناطق التندرا (الصحارى الجليدية) أو رعى الرنة فى الغابة الاستوائية . وإذ يعتبر الاسكيمو نفسه سعيد الحظ إذا حصل على غذاء كاف ومأوى دفىء ، فان ساكن المناطق المدارية يكافح ليحمى نفسه من الوحوش الضارية والحشرات المؤذية والحرارة المرتفعة والرطوبة العظمى .

إن قدرة الانسان على الاستفادة من الموارد الطبيعية فى تغير ؛ ففى الأيام الخالية كانت المجارى المائية مورد الغذاء لكنها كانت تعوق حركات السكان ، ثم أصبحت طرقا هامة فمصادر للرى

شعر القرن التاسع عشر
بين التجديد والتقليد

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

بقية ما نشر في العدد الماضي

لقد كان هؤلاء الشعراء مقلدين لمن سبقوهم من ضعاف الشعراء في عصور الانحطاط ، بعد أن فترت هممهم عن التحليق في سماء التجديد وذابت شخصياتهم ، فلم يعد لهم قدرة على الخلق والابتكار ، بل وضعوا أنفسهم في مقام التابعين للضعفاء، والمرء حيث يضع نفسه. وليس أدل على التقليد وفتور القريحة ، من اتخاذ شعر الأقدمين مجالا للتشطير والتخميس وما شابه ذلك

فاستمع إلى حسين بيهم المتوفى سنة ١٨٨١ يقول :

وإذا المناية لاحظتك عيونها وحباكها من فضله الرحمن
ناداك طائر يمنها وسعودها نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبالة وأملك بها الغبراء فهي سنان
وأصعد بها العلياء فهي معارج واقتد بها الجوزاء فهي عنان

والشاعر في مثل هذا متقيد بمنهج غيره ، ملزم باحساس شاعر آخر مجاراله فيما يقول ، فهو يضع شطرا مقابل شطر، فأين في مثل هذا تصوير العاطفة والاحساس .

وقد يلجأ الشاعر إلى طريقة أخرى ؛ فهو يقلد من سبقه في معانيه ووزنه وقافيته ، ولا يزال يلح في التقليد حتى ينقل إليك من كلام السابقين ما حلاله ، ومن ذلك قول « فارس الشدياق» فيما سماه « دمعة على طفل »

والطاقة وهناك مثل حي للدور الذي تلعبه البيئة في الاقتصاد ؛ فمنذ أقل من قرن كانت اليابان أمة أبناؤها ٣٠ مليون نسمة . كان معظمهم يكفي نفسه بنفسه . واليوم يقطن اليابان الأصلية أكثر من ٧٥ مليون نسمة بالاضافة إلى ثمانية وعشرين في امبراطوريتها الاستعمارية . باستثناء منشوريا وما أخذ من الصين (وهذا طبعا كان قبل الحرب العظمى الثانية) ومع أن البيئة المحلية هي كما كانت منذ قرن فانها مع تطور التجارة تلعب دورا خطيراً ، لأن اليابانيين ربطوا اقتصادهم بالبيئة العالمية . وقد استغلوا أنهارهم القصيرة في توليد الكهرباء للصناعات ، وهذا مع رخص الأجور وضع أساس النهضة الصناعية . فكان المستورد من الصوف والقطن والمعادن يصنع ويصدر ثانية . كل ذلك جعل من اليابان القوة الوحيدة في الشرق الأقصى .

***

والجغرافيا الاقتصادية من أهم فروع الجغرافيا ، فهي تدرس الحرف المختلفة وتحاول أن تشرح سبب تفوق مناطق خاصة في انتاج وتصدير مختلف السلع ، في حين تتفوق أقاليم أخرى في الاستهلاك والاستيراد . ومن البديهي أن هناك أسبابا طبيعية لنشاط الانسان في حصوله على حاجياته الرئيسية : الغذاء والكساء والمأوى والوقود . فلن يبحث الصائد عن الدب القطبي في مناطق السفانا المدارية ، أو السباع في أقاليم التندرا . ولا تنمو الحبوب في الصحراء المجدبة، إنما يبحث الانسان عن المياه الضحلة قرب الارصفة القارية من أجل السمك ، وعن حقول الفحم وآبار الزيت وعن الغابات الدفيئة وعن السهول الخصبة المستوية للزراعة . وإذا عرفنا أثر العوامل الطبيعية فلا يمكن أن نتجاهل العوامل البشرية ، فالمؤثرات الجنسية والتقاليد الموروثة تؤثر في مختلف نواحي نشاط الانسان ، فالمواهب الفنية للفرنسي ، وصبر العامل الصيني ، وعادات الفراغ في أمريكا اللاتينية ... هي تؤثر في الزراعة والصناعة والتجارة، ولا يمكن أن تكون أقل أهمية من العوامل الطبيعية .

إذن يمكن القول بوجه عام إن الصلة بين عوامل البيئة الطبيعية والأحوال الاقتصادية من جهة ، وبين الحرف المنتجة وتوزيع إنتاجها من جهة أخرى ، هذه الصلة هي موضوع دراسة الجغرافيا الاقتصادية . ثم إن الناس اليوم في كل مكان لا يتأثرون ببيئاتهم المحلية فحسب بل يتأثرون أيضا بالبيئات الأخرى وبالأحوال الاقتصادية في شتى بقاع العالم .

محمد محمد علي

الدمع بعدك ما ذكرتك جارى والذكر ما وراك ترب وار
يا راحلا عن مهجة غادرتها تصلى من الحسرات كل أوار
خطأ وهمت فأين بعدك مهجتى ما فى حشاى سوى لهيب النار
رمقا أقل الجسم منى فادحا فكأنه وقر من الأوقار
ما بعد فقدك رائى أو رائق شىء من الظلمات والأنوار
أبنى ما يجدى التصبر قولهم : حكم المنية فى البرية جار
كلا ولا بى قر بعدك من حمى ما هـــذه الدنيا بدار قرار

وهكذا يمضى الشاعر مقلدا مرة وناقلا مرة أخرى إلى آخر القصيدة . ومن التأثر بشعر الأقدمين قول السيد على الدرويش يذم بلدة منفلوط وكان قد زارها فلم يلاق فيها ترحيبا ولا برا :

وردنا منفلوط فلا سقاها وردناها فأظمأنا الورود
فالى قد بعثت لقوم عاد كأنى صالح وهم ثمود
أراهم ينظرون إلى شزرا كعيسى حين تنظره اليهود

ومن الألوان التى أسرفوا فيها ، وبعدوا فيها عن منهاج الشعر الصحيح ما سموه « بالتاريخ الشعرى » ومن أمثلة هذا قول أحدهم يؤرخ تولى الخليفة للخلافة :

تولى التخت سلطان البرايا وأيده الاله بعزتـــاه
فصاح الكون لما أرخوه نظام الملك « محمود » بهاه

فتأمل كيف يضيع الشاعر وقته ، وينفق مجهوده فى وضع حرف مكان حرف ، وكلمة مكان أخرى حتى يخرج مجموع الحروف فى قوله : « نظام الملك محمود بهاه » « ١٢٢٣ » وأية ناحية من نواحى الجمال فى مثل هذين البيتين .

وراح الشعراء لنضوب الأذهان من المعانى الجليلة يطرزون اللفظ والمعنى بشتى ألوان المحسنات ، فكان بعضهم يوفق فى اصطياد المحسنات فتأتى سهلة لا يشق وقعها على السمع ، ولا تنبو عن الذوق . من مثل الاقتباس فى قول البربر حينما هجا تاجرا سها عن الآخرة :

يا تاجـرا لا يزال يرجو ربحا ويخشى الخســارة
عبـادة الله كل حين خير من اللهو والتجارة

وكان يخطئهم التوفيق أحيانا فيسمجون. فتأمل قول الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوى فى وصف دار للجبرتى :

سما فى سماء الكون فابتهج الملا برفعتـه وازداد سرا سروره
ومن مجـــد بانيه تزايد بهجة وقلد من دار المعالى نحوره
ودام به سعد المعـالى مؤرخا حمى العز بالولى الجبرتى نوره

وقول على الدرويش فى وصف قصر أيضا :

وقصر كالسماء به نجوم مطالعه السعادة والبدور
على أقطاره تبكى عيون إذا ابتسمت لوارده زهور
فليس بوافـد وافاه نهر وقد نضدت لمدحته البحور
لئن أضحى لمبناه متون فقد شرحت لرونقه الصدور

ولقـد كان هؤلاء الشعراء أنفسهم ومن فى طبقتهم إذا تجاوزوا هذه الموضوعات إلى موضوعات أخرى فيها حديث النفس وتصوير العواطف ؛ أصابوا بعض التوفيق فتأمل قول السيد عمر اليافى وكان من المتصوفين :

أنا بالله اعتصـــامى لا أرى فى ذاك شـكا
موقنا أن لا سواه كاشف ضرا وضنكا
راجيا فيـــه نوالا ورشادا ليس يحـكى
لم أزل لله عبـدا وبهـــذا أتزكى

ولعلك واجد فى هـذه الأبيات طبعا وانسجاما وسهولة لا تحسها فى الأشعار السابقة .

ولا بأس من أن نعرض هنا صورا من استجابة هؤلاء الشعراء إلى عواطفهم ؛ فى موضوعات الفكاهة والدعابة ووصف الطبيعة وشكوى الزمان ، ففيها على أى حال طلاقة وإحساس ، وقوة ملامح الشاعر التى تميزه عن غيره من الشعراء . ونحن لا ننكر أننا سنجد فى هذا كله سذاجة فى بعض المعانى ، وسنقع على بعض الضعف فى الأسلوب ، ولكننا مع هذا سنستجيب لاحساس الشاعر وسنقبل عليه متأثرين بكثير مما قال — وتتضح لنا شخصيته التى كانت تختفى فى الأغراض السابقة وراء حجب كثيفة من التقليد . ستتضح لنا بين الحين والحين ويختفى ضعفه وفتوره ، كما تختفى علة المريض أحيانا فى ومضات من عودة الصحة وسلامة العافية . قال الشيخ صالح التميمى ينعى على أرض أقام فيها فلم يطب له فيها المقام :

ما إن تحركت الغصون بأرضها إلا تحرك فى الجسوم أذاها
أشجارها خضر وأوجه أهلها صفر محا كسف السقام بهاها

لولا قضاء الله حتم واجب أبت المروءة أن أدوس ثراها

وقال أحدهم يشكو الدهر :

رمت قلبي نبال الدهر حتى رأيت دمي يسيل من العيون
فلو كان الزمان يصاغ جسما لكنت أذيقه كأس المنون

وقال الشيخ يحيى الروزى الهادى العراقى :

على ثياب لو يباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تباع بمثلها نفوس الورى كانت أعز وأكبرا

ومن ذلك قول الحاج عمر الأنسى البيروتى المولود سنة ١٨٢٢ فى وصف ثقيل اشتكى من كثرة الذنوب :

شكا ثقل الذنوب لنا ثقيل فقلت له استمع لبديع قيلى
ثلاث بالتناسب فيك خصت فلم توجد بغيرك من مثيل
ذنوبك مثل روحك ضمن جسم ثقيل فى ثقيل فى ثقيل

ولعلك تدرك شيئا من ضعف الأسلوب فى هذه الأبيات .

وفى الأبيات التى سنعرضها عليك فيما يلى ، خفة روح ، وتصوير فكه وهى لنيقولا الترك يتحدث عن سرواله وعمامته .

وسروال شكا عتقا وأمسى يراودنى التناق فما عتقت
وكم قد قال لى : بالله قلنى وهبنى كنت عبدا وانطلقت
أما تدرى بأنى صرت هرما وزاد على انى قد فتقت
فدعنى حيث قل النفع منى وعاد من المحال ولو رتقت
ولا تعبأ بتقلبى لأنى بعمر أبيك نوح قد لحقت
ولم يبرح يجدد كل يوم على النعى حتى قد قلقت
وقلت له : عتقت اليوم منى لأنى فى سواك قد اعتلقت
وأشعرت العمامة فى مقالى له فاستحسنت ما قد نطقت
فراحت وهى تشدو فوق رأسى لى البشرى إذا وأنا عتقت

نعم فى هذه الأبيات مرح وإحساس ، ولكن فيها بجانب ذلك عسرا فى القافية ، واضطرابا فى الأسلوب ؛ لأن الصياغة لم تسلس بعد للشاعر ، ولم يمرن على الأسلوب السهل الرصين . ومن أمثلة وصف الطبيعة الجميل فى هذا المهد — وإن تعمد فيه الشاعر المحسنات — قول أمين بن خالد الجندى :

يا حبذا الربوة من دمشق بالفضل حازت قصبات السبق
كم أطلعت بها يد الربيع من كل معنى زائد بديع
وفتح الورد الكفيف إذ دعا داعى الصباح للها ورجعا
وفككت أنامل النسيم أزرار زهر الرند والشميم
وسقطت خواتم الأزهار من فنن الأغصان كالدرارى
والتف سيف البرق فى أوراق مذ شام خيل الريح فى سباق
ما بكت السماء بالغمام إلا وصار الزهر فى ابتسام

ونحن إذا ما تتبعنا الشعر خلال هذا القرن ، وبخاصة بعد أن انقضى عهد منه ؛ لحظنا فيه بذورا من بوادر النهضة توشك أن تظهر فى وضوح وجلاء مع توالى الأيام . فما الذى أحدث هذا يا ترى ؟ ! وما البواعث التى جعلت الشعراء يعزفون عن التقليد شيئا فشيئا ، ويقبلون على ألوان جديدة من الشعر ، توشك أن تحمل مميزات الشعر وصفات التجديد ؟

نحن لا نشك فى أن العلم الذى قطرته البعثات ، ومهدته الترجمة قد وجد طريقه إلى الشعر ففزرت معانيه ، ودقت ورقت أخيلته ، وسمت وتمددت آفاقه ، فخاض فى ألوان جديدة ، وطرق معانى لم يكن يطرقها من قبل . وعندئذ التفت الشعراء إلى ثقافة الماضى فوجدوها آلية ، قد تقيم اللسان ، ولكنها لا تقدر على البيان ، وقد تدرب على الصرف والعروض ، ولكنها لا تجلو لعينى الشاعر أسرار الحياة ، ولا تمده بالخيال الخصيب والمعانى البديعة ، ولهذا عابوا على النحو والنحويين ، وانتقدوا العروض والعروضيين . فاستمع إلى الشيخ الأسير يعيب على شعراء اللفظ :

خليلى كم قد جد فى الناس شاعر وليس له بيت من الشعر عامر

واستمع إلى إلياس صالح وهو يتهكم على المبالغة فى النحو :

ماذا الذى يهمنى إن قام زيد أو قعد ؟
أو إن ذهبت ماشيا أو راكبا نحو البلد ؟
أو كان زيد مبتدا أو فاعلا سد المسد ؟
أو إن يكن ذا الاسم يبـ ـنى أو يكن هذا يهد !
تصالح الفعلان أو تنازعا طول الأبد
فى النحو لا تقهرنى إلا تفاصيل العدد
وأفعل التفضيل كم قد شذ فيه وشرد
وغير هذى عقد تبا لها تبك العقد
ترى بها قواعدا بدون معنى وزبد

مختومــــة جميعهـا بقس عليه ما ورد

وهذا ولا شك إعلان للحرب على القديم، حيث كان الناس يعدون من لا يبالغ فى دراسة النحو والصرف والعروض لا يحق له أن يغامر فى ميدان الشعر . وقد آمن كثير من الأدباء ومنهم الأستاذ العقاد [1] والدكتور هيكل باشـا بأن أول من جمع بين الطريقتين ولفق بين الاتجاهين الساعاتى الشاعر ؛ فقد كان وسطا بين الناسجين على طريقة القدامى ، والناقدين لمذاهبهم فى المبالغة لدراسة النحو والعروض فهو القائل :

فدعنى من قول النحاة فإنهم   تعمدوا لصرف النطق من غير لازم
إذا أنا أحكمت المعانى خفضتهم   وأرفعها قهــــراً بقوة جازم
وما أنا إلا شاعر ذو طبيعة   ولست بسراق كبعض الأعاجم

ومن بواعث التجديد فى النصف الثانى من هذا القرن ، أن الناس قد استروحوا شيئا من نسيم الحرية الشخصية ، بعد أن كمت الأفواه وغلت الأقلام قرونا طوالا ، فوجد الشعراء فى خلال هـذه الحرية منفذا إلى تصوير العواطف والانطلاق على السجية ؛ فعبروا عن النفس فى انقباضها وبسطها ، وهتفوا بالمعانى الكريمة التى تصور المـآرب والآمال . وأنا أعنى بهذه الحرية ماعناه الشاعر وترجمه المنفلوطى حيث قال : « أريد أن أعيش حراً طليقا أضحك كما أشاء ، وأبكى كما أريد ، واحتفظ بنظرى سليما ، وصوتى رنانا ، وخطواتى منتظمة ، ورأسى مرفوعا ، وقولى صريحـا ، أنظم الشعر فى الساعة التى أختارها ، وفى الشأن الذى أريده ، فان أعجبنى ما ورد منه فذاك ، وإلا تركته غير آسف عليه ، وأخذت فى نظم غيره ، بدلا من أن أتوسـل إلى الطابعين أن ينشروه ، والأدباء أن يقرظوه ، والممثلين أن يمثلوه ، والعظماء أن ينوهوا به ، ويرفعوا من شأنه .

أريد أن أعيش حراً طليقا أناضل من أشـاء ، وأجادل من أشاء ، وأنتقد من أشاء ، وأن أقول كلمتى الخير والشر للأخيار والأشرار فى وجوههم ، لا متملقا أولئك ، ولا خاشيا هؤلاء .. »

وقد يكون مصدر هذه الحرية الشخصية التى أدركها الناس فيما يقولون وما يتركون ؛ راجعا إلى الحرية السياسية التى أصاب الناس بصيصا منها على يد الحـكام ، بعد أن انتقصها السابقون وجار عليها السـادة الغابرون ، فقد عرف إسماعيل باشا أنه مسئول عن رق الأمة المصرية ، فعمل على إحياء ما يبعث الأمل فى قلوبهم ويقوى الرغبة فى نفوسهم ، فمنحهم بعض الحقوق الدستورية ، وقد حدث ما يشبه هذا فى الشام والعراق ، على يد مدحت حينما طالب النـاس بالدستور ، ولـكن ذلك كله لم يطل أمره ، فقد تغيرت الأحوال وتبدلت الشئون .

وقد يكون مصدر هذه الحرية العلم الذى انتشر وذاع وعلا . الناس : فالعالم أحرص الناس على كرامـــة نفسه ، والاعتزاز بمكانتها ، ولهذا أنف الشعراء بعد هذا أن تسد فى وجوههم طرق الصراحة والتماس الحق ، والتغنى بالجمال حيث كان .

وقد ساعد على نمو هذه الحرية ، رخاء العيش فى ذلك الزمان كما أدركوا إعجـــابا وتشجيعا من الجمهور ، فطبعوا ما أنتجته قرائحهم ، ووجدوا من يقدر هذا الانتاج ، ويقبل عليه ، فحصلوا على المال دون إراقة لماء الوجوه .

ومن أسباب رقى الشعر فى هذا العهد ، أن الناس قد شعروا بشيء من الـكرامة والعزة ، فانتبهوا إلى ماضيهم المجيد يقلبون صفحاته ، وينقبون عن صفاته ، فوجدوا الفخر كل الفخر فى مجد آبائهم العرب ، فالتمسوه فى أخبارهم وأشعارهم وكتبهم ؛ وساعدهم على هذا الاتجاه المطبعة التى صارت تقذف اليهم كل يوم بذخائر السابقين وكنوزهم - فعلموا بعد هذا — أنهم أضاعوا المجد وعبثوا بالتراث ، وأنه من الخير لهم أن يقووا أنفـهم عن طريق التعصب للقومية العربية ، فهى خير القوميات وأكرمها ، فـكان هذا التعصب من أسباب قوة الشعر ونهضته وما هتف هاتف قبل الشيخ ابراهيم اليازجى بمثل قوله :

وما العرب الـكرام سوى نصال   لها فى أجفن العليا مقـام
لعمرك نحن مصدر كل فضل   وعن آثارنا أخــــذ الأنام
ونحن أولو المـآثر من قديم   وإن جحدت مآثرنا اللئام
فقد علم العراق لنا قديمـا   أيادى ليس تنـكرها الشآم
وفى أرض الحجاز لنا فيوض   يسيل لها إلى اليمن انسجام
وفوق الأندلوس لنـا بنود   لهامات النجوم بها اعتصام

(1) شعراء مصر للعقاد، ومقدمة ديوان البارودى لهيـكل

وسل فى الغرب عن آثار نخر لهـا فى جبهة الزمن ارتسام
ولسنا القانعين بذكر هذا وليس لنـا بعروته اعتصام
ولـكنا سنجرى فى المعـالى إلى أن يستقيم لها قوام

والالتفات إلى مجد العرب لفتهم إلى مجد قومى آخر يتصل بالماضى القديم ، وكان هـذا أكثر ظهورا فى مصر ؛ لما لها من مجد عريق ، فها هو ذا السيد الدرويش يحاول أن يتحدث عن الهرمين وخلودهما ولـكن الأسلوب لا يسعفه فيقول :

أنظر إلى الهرمين واعلم أننى فيما أراه منهما مبهـوت
رسخا على صدر الزمان وقلبه لم يهضا حتى الزمان يموت

وها هو ذا الشيخ نجيب الحداد يتحدث عن مجد مصر فيقول :

أرض إذا لم يعل فى أرجائها علم فان كرامها لمعـلام
لبست من المجد التليد مطارفا ولها من المجد الطريف وسام
وتمانقت والفخر من قدم كما قد عانقت ألف الـكتابة لام
مجد به هرم الزمان ولم يزل غضا وقد شهدت به الأهرام

ومن حقك الآن أن تسأل : إذا صح أن الالتفات إلى القومية والاعتزاز بالـكرامة ، قد جعلا الشاعر يخوض فى أغراض غير التى ألفها الشعراء من قبل ، ويتناول من المعانى ما غاب عن السابقين، وند عن الغابرين، فكيف نفسر قوة الأسلوب الطارئة، والعزوف عن المحسنات البديعية التى فتنت الناس عهودا طوالا ؟!
وأنا أجيب بأن الاتجاه إلى الأمور الجدية يصرف المرء دائما عن الصغائر ، ويبعده عن العبث الذى لا طائل تحته ، فما قيمة مراعاة الجناس والطباق والتورية فيما يتطلبه صاحب الهمة من الاصلاح، وما قيمة مراعاة النظير وحسن التعليل لراغب فى تصوير عواطفه والانبعاث على سجيته . لقد كبرت آمال الشعراء ونفوسهم فترفعوا عن كل صغير تافه ، والتمسوا تحقيق المـآرب من أقرب المسالك فأزالوا ما يعترضهم من عقبات ، وألبسوا معانيهم الأسلوب السهل الجميل ، وهو لا يحملهم عناء ، ولا يصرف وقتهم فى التماس الزينة ، واصطياد الزخارف . على أنهم وجدوا طلبتهم فيما بعثت به المطبعة من أشعار الفطاحل فى عصور العربية الزاهرة : فقد وجدوا جريراً والفرزدق والأخطل والـكميت وقطرى بن الفجاءة وأضرابهم إذا ما عالجوا الشعر ، دفعوا إلى المعانى فى أسلوب قوى رصين لا يشوه من جماله ، ولا يحد من بلاغته تلك الزخارف الـكثيرة التى مسخت طبيعته بعدهم نحو ألف من الزمان ، وحالت دون تحليقه فى كل سماء ، واندفاعه إلى كل غاية

وبعد فانه لا يختلف اثنان فى أن البارودى بما أنتج من شعر رصين كان بداية عهد جديد للشعر حط عنه قيوده وأغلاله ، وبعث فيه الحياة فجال فى كل فن، واستبق إلى كل غاية ، فلم يقصر دون اللحاق بالفحول السابقين، ولم يدركه ما أدرك شعراء زمانه من فتور القريحة وركود الذهن .

بل لا يختلف اثنان ، فى أنه أول شاعر أحس قيمة الشعر وقيمة النفس ؛ فترفع بهما عن سفساف المطالب ، وزرى المقال وتغنى كما يتغنى صادح الأيك على سجيته : فبكى وابتهج واشتكى وافتخر وعاتب وحن إلى الديار ، وصور الجمال ولم يمدح إلا عن يقين ، أو لرد جميل سلفت أياديه عليه ؛ فـكان بهذا نسيج وحده فى القرن التاسع عشر . وإن لم يطلب بشعره كل ما نريده من الشعر فى وقتنا الحاضر ، ويكفيه أنه رائد الركب إلى الغايات الـكريمة ، ولا نذكر هنا من شعره المثل أو المثالين ؛ إلا لنعرض فى هـذا المقام لونا جديدا من شعر جديد ، لم يشنف الأذن فى الـكلمة شبهه ، ولم يطرق القلب نظيره ، والحق أن كل شعره فان خلاب ، يحمل المتخير على الحيرة فيما يأخذ وما يدع

ومن الأمثلة التى تدل على تيقظه السياسى قوله يخاطب الخديو :

سن المشورة وهى أكرم خطة يجرى عليها كل راع مرشد
فن استعان بها تأيد ملـكه ومن استهان بأمرها لم يرشد
أمران ما اجتمعا لقائد أمة إلا جنى بهما ثمار السؤدد
جمع يكون الأمر فيما بينهم شورى وجند للعدو بمرصد
فالسيف لا يمضى بدون روية والرأى لا يمضى بغير مهند

ومن قوله من قصيدة يتشوق إلى وطنه :

هل من طبيب لداء الحب أو راق يشفى عليلا أخا حزن وإيراق ؟!
قد كان أبقى الهوى من مهجتى رمقا حتى جرى البين فاستولى على الباق
حزن براني وأشواق رعت كبدى يا ويح نفسى من حزن وأشواق
أكلف النفس صبرا وهى جازعة والصبر فى الحب أعيا كل مشتاق
لا فى سرنديب لى خل ألوذ به ولا أنيس سوى همى وإطراق
أبيت أرعى نجوم الليل مرتفقا فى قنة عز مرقاها على الراق

بهذا الروح القوى ، والأسلوب الجزل الرصين ، يمضى شاعر القرن التاسع عشر فى قصائده ؛ فلا تحس قلقا ولا ترى

أستاذ جامعي

ينبني تحريف وراق

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

كان الشيخ فرج الله زكي الكردي طالب علم بالأزهر ، وقد بدا له أن يجمع إلى هذا الاشتغال بطبع الكتب الازهرية ونشرها فابتدع في ذلك بدعة جديدة : أن يجمع في نسخة واحدة عددا من الشروح والحواشي الموضوعة على المتن الأزهري ، ليسهل على الأزهريين الإلمام بجميع المماحكات اللفظية في تلك الشروح والحواشي ، ويزيدوا في هذا على من سبقهم في عصر المطبعة وانتشار الكتب ، وسهولة اقتنائها على طلاب العلم

وقد بدا له في سنة ١٣١٧ هـ — ١٨٩٩ م أن يفعل هذا في متن التلخيص ، فجمع في نسخة واحدة عددا من شروحه وحواشيه ، وهو الذي يعرف في البيئة الازهرية بشروح التلخيص فوضع في صلبها شرح المختصر على متن التلخيص للسعد التفتازاني ، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب ، وعروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ، وهي على هذا الترتيب في الصلب ، ثم وضع بالهامش الايضاح لتلخيص المفتاح ، وهو لصاحب متن التلخيص ، وقد جعله في أعلى الهامش ووضع حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني في أسفله ، وقد ميز بين هذه الشروح والحواشي بفواصل أفقية ، وعني رحمه تعالى بتصحيح هذه المجموعة ، وبوضع هذه الفواصل في كل صفحة منها ، في الطبعة الاولى ، واختار لها الطبعة الاميرية ببولاق زيادة في الاعتناء

فلما نفدت هذه الطبعة من هذه المجموعة أعيد طبعها بعد هذا في مطبعة السعادة الموجودة بجوار محافظة القاهرة ، ولكن الطبعة الجديدة لم تكن جيدة التصحيح كالطبعة الاولى ، فوقع بعض تحريفات فيها ونسي وضع الفواصل الأفقية بين شروحها وحواشيها في بعض صفحاتها ، وكان هذا سببا في التحريف الذي وقع في كتاب الايضاح ، وفيما له من هذه القصة الظريفة التي يتبنى فيها استاذ جامعي ذلك التحريف ، فقد قررت دار العلوم وكلية الآداب وكلية اللغة العربية دراسة كتاب الايضاح في علم البلاغة ، فرأى حضرة محمد صبيح أفندي أن يقوم بطبعه منفصلا عن تلك المجموعة ، لأن تلك المعاهد تريد دراسته وحده ، وتريد أن تبعد طلابها عن شروح التلخيص وحواشيه ، ليتخلصوا في دراستهم العالية للبلاغة عن مماحكاتها اللفظية ، ويتربى فيهم شيء من الذوق والنقد البلاغي بعلو على هذه المماحكات ، وهذا الوراق الفاضل من أشهر المشتغلين بنشر الكتب في مصر لكنه يتساهل أحياناً فيختار لتصحيح ما ينشره من غير ذوي الدراية في التصحيح . فلما قام بطبع كتاب الايضاح اعتمد مصححه على النسخة الموجودة بأعلى هامش تلك المجموعة في طبعة مطبعة السعادة ، فلم يرجع في ذلك إلى نسخة خطية من الايضاح ، ولم يرجع إلى الطبعة الأولى لتلك المجموعة ، فلما وصل إلى آخر الكلام على وصف المسند اليه من الايضاح لم يجد فاصلا أفقيا بين الايضاح وحاشية الدسوقي ، وكان ما تحت الايضاح من هذه الحاشية في تلك الصفحة تتمة لتعليقة في الصفحة السابقة على شرح السعد فأضافها ذلك المصحح إلى كتاب الايضاح ، مع أن سياقه ينبو عنها ومع أنها تتصل بكلام في شرح السعد ، فلا تكون إلا من الحاشية الموضوعة عليه ، وقد تمت هذه الطبعة من الايضاح سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٣ م ، وتناولها الطلاب والمدرسون فأثار هذا التحريف من المشاكل بينهم ما أثار ، حتى إني رأيت واحدا منهم يرجع إلى نسخة خطية من الايضاح في دار الكتب الملكية فلا يجد فيها هذه الزيادة الموجودة في الايضاح المطبوع ، فيضع

ضعفاء ، ومن الحديث المعاد أن نطيل في إطرائه والثناء على مكانته ، ولكنا لا ننسى على أي حال أنه كان كثير التقليد لفحول النابغين . وآمل أن أوفق — أو يوفق غيري — إلى إيضاح التقليد والتجديد والتجديد في الشعر الحديث من لدن البارودي إلى وقتنا الحاضر ، لندرك ما أصابه من القوة ، وما بعد به عن الغاية المرجوة . والله وحده المسئول أن يأخذ بيد الشعر إلى أقوم طريق .

(واد مدني) **أحمد أبو بكر ابراهيم**
المدرس الأول بجنتوب

عليها تعليقا بخطه مرجحا فيه أن الزيادة التي فى طبعة محمد صبيح أفندى من حاشية الدسوقى .

ولما كانت ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٥ م قمت بوضع شرح على الايضاح ، وكان بين يدى من نسخه طبعة الكردى الأولى فى أعلى هامش مجموعته ، وطبعة صبيح أفندى ، فلما وصلت إلى التحريف علمت أمره ، وحذفته من الايضاح فى شرحى عليه ، وتوالى طبعه ثلاث مرات وأنا أحذف منه هذه الزيادة فى ذلك الموضع ، وقد أعاد صبيح أفندى طبع الايضاح بعد أن نفدت طبعته الأولى ، فاعتمد على نسختى ، وحذف منه تلك الزيادة فى موضعها ، إلى تحريفات كثيرة كانت فى طبعته الأولى .

وأخيرا قام بعض مدرسى كلية اللغة العربية فى هذا العام بوضع شرح على الايضاح ، فلما وصل إلى ذلك الموضع منه وقع أيضا فى ذلك التحريف ، وهنا موضع الطرافة فى هذه القصة ، لأن صاحب هذا التحريف وهو صبيح أفندى رجل وراق ، وليس مدرسا فى كلية ، فلم يرشيئا فى أن يقع فى ذلك الخطأ ، ولا فى أن يرجع عنه بسهولة ، فيصححه فى طبعته الجديدة ، أما مقلده فى ذلك التحريف فأستاذ مدرس فى كلية ، لا فى معهد ابتدائى أو ثانوى ، فلا يصح أن يسجل على نفسه مثل ذلك الخطأ ، ولا يصح أن يرجع عنه بالسهولة التى رجع بها ذلك الوراق ، بل يجب أن يتبناه لنفسه ، وأن يدافع عنه بما يليق بأستاذ جامعى .

والحقيقة أنى استكثرت فى أول الأمر مثل هذا على ذلك الأستاذ ، واعترانى الشك فى خلو نسختى من هذه الزيادة التى تبلغ نحو سبعة أسطر ، وكنت قد نسيت بطول الزمن وقوع ذلك فى طبعة صبيح أفندى القديمة ، فأعدت بحث ذلك من الناحية العلمية ، فوجدت سياق حاشية الدسوقى يحتم أنها منها . ولم اكتف بهذا بل أخذت أبحث فى نسخة أخرى من شروح التلخيص غير نسختى ، فوجدت تلك النسخة التى لم تضع فاصلا فى ذلك الموضع بين الايضاح وحاشية الدسوقى بمكتبة كلية اللغة العربية . ووجدت بعض من طالعها قام بوضع ذلك الفاصل فى موضعه ، فعلمت من أين وقع ذلك الاستاذ فى ذلك التحريف ، ونبهت على ذلك فى كتابى — دراسة كتاب فى البلاغة — ولكن فاتنى أن أرجع أيضا إلى طبعة صبيح أفندى القديمة ، لتنتقل القصة من هذه الطرافة إلى طرافة أعجب منها ، وبعلم من بقى من زمننا القديم كيف يكون الاصرار على الخطأ فى هذا الزمن الجديد .

فكان نسيانى وقوع ذلك التحريف فى طبعة صبيح القديمة فرصة سانحة لذلك الاستاذ ، ولا يصح أن يترك انتهازها وهو مدرس فى كلية ، فطلب منى أن أطلع على تلك الزيادة فيها فى ذلك الوضع ، وإن كان قد جعله فى باب التعريف باللام لا فى باب الوصف ، ولكنه يعرف أن طبعة صبيح ليست حجة فى ذلك ولا سيما بعد رجوعه عنه فى طبعته الجديدة ، فلا بد أن يضيف إلى ذلك نسخة خطية للايضاح فى دار الكتب الملكية ، من غير أن يعين رقمها ، وهو ممن يعنى بتعيين أرقام المراجع ، لأنه يعرف غفلة الناس فى هذا الزمن ، وسرعة تصديقهم لكل دعوى حتى صار العلم بيننا غريبا ذليلا لا يجد من يغار عليه ، أو يهمه تحقيق مثل هذا فيه ، ولكن كان على الاستاذ أن يعرف مع هذا أنه لا يزال فى الناس من لم يصل فى الغفلة إلى ذلك الحد . ومن يبعث الشك فى نفسه عدم تعيين رقم تلك النسخة الخطية للايضاح فى دار الكتب الملكية ، إذا لم يأخذ منه بيقين أنه لا يوجد فيها تلك النسخة .

وقد رجعت فعلا إلى نسخ الايضاح الخطية بدار الكتب الملكية ، فلم أجد فيها ذلك التحريف الذى أدعى وجوده فيها ذلك الاستاذ ، ولا يمكن أن توجد نسخة خطية للايضاح فيها ذلك التحريف ، لأن مصدره معروف وهو طبعة صبيح القديمة ، وسبب وقوعه فيها معروف وهو عدم وجود ذلك الفاصل بين الايضاح وحاشية الدسوقى فى نسخة مطبعة السعادة من شروح التلخيص .

ولينظر بعد هذا صديق الاستاذ عباس خضر فى كتابى — دراسة كتاب فى البلاغة — فسيجد بين ما فيه من مماحكات لفظية كنت مضطرا اليها كثيرا من مثل تلك القصة الطريفة وسيجد فيه مجالا لدعاباته العلمية البريئة ، كما يجد أن معركة القزوينى لا تخلو من فوائد ، أقلها حمل بعض الناس على التدقيق فى التأليف وتصحيح الكتب وإن كان لها مضار بين الطلاب من جهة ما وقع فيها من الاسفاف ، ولو كنت متصلا بالرسالة فى

معركة القزويني في الأزهر

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

نشر الأستاذ الكاتب الوهوب عباس خضر رأيه في هذه المعركة ؛ وقد تفضل أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، فنشر فى الرسالة تعقيبا على كلمته . ويبدو أن أستاذنا الجليل يريد أن ينقل المعركة إلى ميدان الرسـالة الغراء ، إذ بدأ فنشر واتهم . وإنى إنصافاً للحقيقة أضع أمام القراء الحقائق الآتية :

١ — ليس شرح الأستاذ الصعيدى للإيضاح مقرراً فى الكلية ، ولا شرحى أيضا .

٢ — لكثير من كبار الأساتذة فى كلية اللغة كتب متعددة فى علم واحد ومقرر سنة واحدة ، فلم يؤد ذلك إلى أن يهاجم السابق اللاحق ولا العكس ؛ بل إنى أثنيت فى شرحى على الأستاذ الصعيدى ومجهوده فى شرح الإيضاح .

٣ — وأساتذتنا فى الكلية يحرصون على إباحة حرية البحث والتأليف لطلابهم ، فكيف يحجر أستاذ على زميله أن يؤلف فى البلاغة لأن له كتابا فيها ؟

٤ — وعندما ظهر الجزء الأول من شرحى بدأنى الأستاذ الجليل بالخصومة ، وطاف على الطلبة فى الفصول ينبههم إلى أن كتابه هو المعتمد للدراسـة وكتابى مملوء بالأخطاء ثم نشر بيانا للطلبة سماه « تنوير لطلبة كليـة اللغة » يندد فيه بأخطاء مزعومة فى الجزء الأول من شرحى .

٥ — وقال له كثير من الأساتذة : إنه يهتم فى نقده مهما كان ، لأن هذا النقد لا يحمل على شىء أكثر من أنه دفاع عن كتاب .

٦ — ورأى أنه لا يصح أن يلحق بغباره أحد ، لأن له عشرين مؤلفا . والطريف أن أحد الأساتذة الأجلاء ذكر له أن هذا ليس موضعا للفخر ، لأن للذى ينقده — خفاجي — أكثر من عشرين كتابا بعضها مراجع ومصادر ، مع أنه أستاذ ناشىء .

٧ — وليت شعرى بعد ذلك كله كيف انقلبت هذه المعركة العلمية إلى خصومة شخصية عند أستاذنا الجليل الشيخ الصعيدى ، فامتنع عن مصافحتى كلما مددت له يدا ، بل امتنع عن رد السلام كلما ألقيت عليه السلام ؛ ونشرت بحثا فى الرسالة عنوانه : « موازنة أدبية » فنشر ردا عليه باسم مستعار لطالب زعم أنه من كلية الآداب ؛ ونشر أخيرا كتابا مطولا سماه « دراسة لكتاب فى البلاغة » ، ظن أنه بهذا الكتاب يهدم زميلا له ، فكان حجة عليه لا له .

٨ — وإنى أعيذ القارىء من أن أطيل عليه ، وأكتفى ببعض ملاحظات صغيرة أنشرها توضيحا لمذهب أستاذنا الجليل فى إصلاح البلاغة :

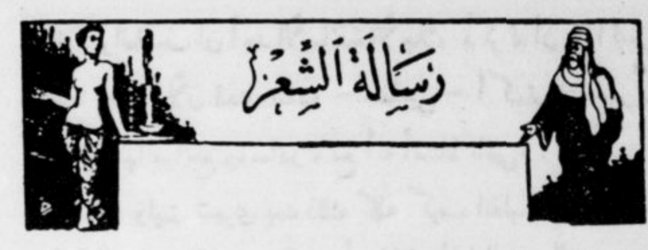
١ — ذكر أستاذنا الجليل الجاحظ فى شرحه ، فعرفه بأنه عمرو بن بحر الأصفهانى !! ونسب فيه بيت حافظ المشهور : « الأم مدرسـة إذا أعددتها » لشوقى ؛ ورأى أن جميع الآراء والمذاهب البلاغية مماحكات لفظية ساقطة ؛ وأن الخلاف بين عبد القاهر والسكاكى فى التقديم والتأخير مثلا جدل ممل ، إذ ليس بينهما نزاع حقيقى فى التقديم وإفادته التخصيص أو التقوى ؛ وعبد القاهر عند أستاذنا الجليل اضطرب كلامه فى البلاغة ، وكذلك أبو هلال . فإذا ما ذكرت الآراء والمذاهب البلاغية ووازنت بينها فى شرحى كان ذلك عملا يستحق النقد من أستاذنا الجليل ؛ وكذلك إذا كتبت بعض بحوث جديدة عن نشأة البلاغة وعلمائها ومصادرها كان ذلك خطأ كبيرا منى لأنه يهدم مذهب أستاذنا الجليل فى إصلاح البلاغة ، وإذا ما حققت الكلام على متعلقات الفعل ألامها مكسورة أم مفتوحة كان ذلك عملا لا داعى إليه فى عصر الذرة ، وإذا ورد ذكر الكناية مثلا فى علم المعانى فشرحت معناها فى شرحى كان ذلك ذكرا للشىء فى غير موضعه ، والبيت :

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه

صدره زيادة زدتها أنا على الايضاح كما يرى أستاذنا الجليل والطريف أن البيت موجود كما هو أيضا فى شرحه هو على الايضاح

ذلك الوقت لدار فيها ذلك النقـد فضت المعركة القزوينية بريشة بفضل حكمة صاحبها ، وضنه بصفحاتها على غير النقد البرىء .

عبد المتعال الصعيدى



إلى مؤلف كتاب الغدير

للاستاذ محمد عبد الغنى حسن

أقامت الرابطة العلمية الأدبية فى العراق حفل تكريم للاستاذ العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينى بمناسبة موسوعته الضخمة المسماة بالغدير وقد ألقيت القصيدة التالية فى ذلك الحفل للأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن ، وفيها يحيى جهد العالم المؤلف ، ويشير إلى وجوب اتفاق المسلمين على إعلاء شأن الإسلام مهما اختلفت مذاهبهم وفرقهم.

حى الأمينى الجليل وقل له ... أحسنت عن آل النبى دفاعا
أرهفت للدفع الكريم مناصلا ... وشهرت للحق المضيم يراعا
وجمعت من طول السنين وعرضها ... حججاً كآيات الصباح نصاعا
وأذبت من عينيك كل شعاعة ... كالنور ومضاً، والشموس شعاعا
وطويت من ميمون عمرك حقبة ... تسع الزمان رحابة وذراعا
ونزلت ميدان البيان مناضلاً ... وشأوت أبطال الكلام شجاعا
ما ضقت يوما بالدليل ولم تكن ... بالحجة الغراء أقصر باعا

لله من قلم لديك موثق ... كالسيل يجرى صاخبا دفاعا
يجلو الحقيقة فى ثياب بلاغة ... ويزيح عن وجه الكلام قناعا
يشتد فى سبب الخصومة لهجة ... لكن يرق خليقة وطباعا
وكذلك العلماء فى أخلاقهم ... يتباعدون ويلتقون سراعا
فى الحق يختلفون إلا أنهم ... لا يبتغون إلى الحقوق ضياعا

يأيها الثقة الأمين تحية ... تجتاز نحوك بالعراق بقاعا
تطوى إليك من الكنانة أربعا ... ومن العروبة أدؤرا ورباعا
إنا لتجمعنا العقيدة أمة ... ويضمنا دين الهدى أتباعا
ويؤلف الإسلام بين قلوبنا ... مهما ذهبنا فى الهوى أشياعا

ب — ومن مذهب أستاذنا الجليل فى إصلاح البلاغة أن ينشر إيضاح القزوينى ويكتب على الكتاب مانصه : « تأليف عبد المتعال الصعيدى المدرس فى كلية اللغة العربية » وأن يفصل بين كلام صاحب الإيضاح بعناوين وتطبيقات دون أن ينبه على أن ذلك مزيد على الكتاب .

حـ — ويذكر أستاذنا الجليل فى شرحه هذا البيت

ظلمنوا فكان بكاى حولا كاملا ... ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

وقال إن فيه تعقيدا معنويا، فلفت نظره إلى أنه ليس فيه شيء من التعقيد ، فخطأنى وقال إنه ليس هو الذى يقول بذلك وحده ، ولكن صاحب الصناعتين صرح بذلك، فرجعت إلى كلام صاحب الصناعتين ، فوجدته ذكر البيت ، ووصله ببيت ثان هو :

أجدر بجمرة لوعة إطفاؤها ... بالدمع أن تزداد طول وقود

وقال أبو هلال : هذا خلاف ما يعرفه الناس لأنهم قد أجمعوا على أن البكاء يطفىء الغليل الخ ، والمتذوق للأدب يفهم أن كلام صاحب الصناعتين إنما هو عن البيت الثانى « أجدر الخ » ولكن أستاذنا الجليل صرف كلامه إلى البيت الأول « ظعنوا الخ » فذكره وحده وحذف موضع الشاهد . وبدل كلام صاحب الصناعتين فنسب إليه القول بأن فى البيت تعقيدا معنويا ، وأبو هلال لا يعنى أكثر من أنه معنى جديد مبتدع .

وذكر أستاذنا الجليل أن بيت الحطيئة « أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا الخ » قد نسبه السبكى لابن الرومى، فلفت نظره إلى أن السبكى ينسبه المتنبى لا لابن الرومى فرد على بأنه نقل ذلك عن السبكى لوجود ابن الرومى فيه بجوار المتنبى !!!

وقال أستاذنا إنه كان يريد أن يؤاخذنى فى تكرار التعليق على بيت أبى نواس « وصيرنى هواك الخ » وإن كان قلمه قد سبق إلى بيت آخر بجواره !!!

أليس فى ذلك وغيره مما لم أذكره يا سيدى القارىء ما يصلح أن يكون دعامة مذهب جديد فى إصلاح البلاغة ، ويجب أن ننسبه إلى أستاذنا الجليل، ولا يصح أن يؤلف فيها أحد بعده لأنه صاحب مذهب جديد فيها .

محمد عبد المنعم خفاجى
مدرس فى كلية اللغة العربيه

عـــذراء ...

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

عـــذراء فى عمر الزهور فى روحها ألق البدور
أحـــلامها متع الهوى وشبابها ... عطر ونور
مرت عـلى قلبى ، وفى نظراتهـا وله مثـــير
فرنا إليهـا ، ثم حن وكاد من صدرى يطير

من أنت يا عـذراء ، يا سر الملاحـة والجمال ؟
يا زهـرة لـــا تزل نورا تعانقه الظـــلال
يا من أتيت وللهوى شغف بقلبك وابتهـال
وبمقلتيك ضراعـــة مما لديك من الـــلال

لا تطلبى حبى ، فكم أخشى عليك من العذاب
ما زلت فى فجر الربيـ ع ، وفى بواكير الشباب
وسـلى المذارى عن هوا ى ، ودمعهن هو الجواب
جربنـــه فشربنـــه خمرا من اللهب المذاب

أخشى على الجسد الرشيـ ق توقد اللهب الدفين
أخشى على القلب الرقيـ ق توهج الوله الحزين
أخشى على عينيك من دمع الصـبابة والأنين
وأخاف من سهد يطو ل إذا استبد بك الحنين

والفكر ... ما أقساه ! نا ر فى الدماء ، ولا دخان !
والغـيرة الحـيرى إذا أبصرتنى أمل الحسان
ورأيت أنى لا أخصــك بالحنين وبالحنان
قلبى تملكه الجمـــا ل ، فكيف تملكه يدان ؟!

وأخاف يا عذراء من ليـل من القلق الرهيب
ومن الرحيـل إذا دعا نى صـوته عمـا قريب
لا تسألينى عن حيـــا تى ، إنهـا رؤيا غريب
إنى كشمس فى السما ء ، تسير لكن ... للمغيب !

وأخاف حين يمسنى برد المـــلالة والسأم
فأطير عنك مخلفـا لك فى الهوى نار الألم
أهوى إلى الوادى السحيـ ق ، وأرتقى نحو القمم
بحثا عن السر العميـ ق ، ولا أبالى بالعدم

لا تمزجى أيامك النشـ وى ، بأيامى الحزينـه
ودعى حيـاتك تلتقى فيهـا المسرة بالسكينه
إنى أعيش كأننى وهج لنيران دفينـه
وكأننى وله عـــلى كبد مولهة طعينه

هذى حياتى : لهفـة حيرى ، ووجد وانطلاق
ومدامع مســجورة فى القلب ، لكن لا تراق
خوفا عليك من الهوى لم يبق لى إلا الفراق
أما أنا فقد احترقـ ت ، وما الهوى إلا احتراق

فدعى الهوى ... إن الهوى سر التعاســة والعناء
ولقد ننـال به السعا دة ، ثم يغمرنا الشقاء
يا ليتنى ما ذقتـــه وسلمت من سحر النساء
واليوم — وأسـفاه — لا يجدى التمنى والرجاء !

تبـكين ممـا قلتـه ؟ هل قلت شيئا محزنا ؟
وتؤكدين بأن جسـ مك شف من فرط الضنى
وبأن قلبك كان يكـ تم حبه ، فاستعلنا
وبأن روحك إنمـا يحيـا على نور المنى
وبأن عمـرك زهرة والحب وضاح السنا
وندى ترقرقه الحيـا ة على زهور شبابنا
وبأنك اخترت الحبيـ ب ، ولم يكن غيرى أنا
ما دمت قد جربت أشـ جان الهوى ... هيا بنا !

ابراهيم محمد نجا

ونحب أهل البيت حبا خالصا نطوى القلوب عليه والأضلاعا
يجزيك بالأحسان ربك مثلما أحسنت عن يوم الغدير دفاعا

محمد عبد الغنى حسن

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

مصر والعروبة

نشرت صحيفة « المصرى » يوم السبت من الأسبوع الماضى مقالين عن مكان مصر من سائر البلاد العربية ، لأستاذين كبيرين هما المفكر العربى ساطع الحصرى بك ، والأديب المصرى الدكتور أحمد زكى بك ؛ والمقالان يمثلان وجهتى النظر المختلفتين فى هذا الموضوع ، الأول يقول بالقومية العربية وبأن مصر هى زعيمة هذه القومية ، والثانى يقول كما ينطق عنوان مقاله « ما العرب وما الفراعنة ، إنما نحن قوم مصريون » ولا أدرى هل قصدت الصحيفة أن تملأ الكفتين فى عدد واحد أو هو مجرد اتفاق ، والمحقق أن كلا من الكاتبين كتب مقاله وهو لا يعلم شيئاً عن مقال الآخر .

وقد ثنى الأستاذ الحصرى موضوعه بمقال آخر نشرته الصحيفة يوم السبت من هذا الأسبوع . فى المقال الأول أعرب عن إيمانه بأن مصر تعتنق الفكرة العربية وأن الطبيعة زودتها بكل الصفات والمزايا التى تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة فى إنهاض القومية العربية . وقال إنه لم يقنط من انتشار فكرة القومية العربية فى مصر يوما من الأيام ، وإن إحجام مصر عن الاشتراك فى الثورة العربية التى قامت ضد السياسة العثمانية إنما كان لظروف سياسية وعوامل تاريخية ، وهى ظروف وعوامل عارضة كان طبيعيا أن تتغير بعد مدة ، كما كان طبيعياً أن يتبدل موقف مصر والمصريين من حركات القومية العربية تبدلا ظاهراً تبعا لتغير تلك الظروف ، وأخذ الشعور بالعروبة فى مصر يغمر نفوس المصريين شيئاً فشيئاً ، حتى اشتد خلال الحرب العالمية الثانية ، وبلغ حده الأقصى بعد تأسيس جامعة الدول العربية وعند بدء الحركات السياسية والحربية لإنقاذ فلسطين من براثن الصهيونية . ولكن الإخفاق الذى منيت به هذه الحركات أثر فى هذا التيار الفكرى تأثيراً سيئاً وعرض فكرة العروبة لنكسة أليمة جداً . إلى أن قال : إنى أقدر مرارة الآلام التى شعر بها المصريون بحق من جراء سير الوقائع الحربية فى فلسطين ولا سيما صفحتها الأخيرة . ولكنى أعرف أن جميع المؤمنين بالقومية العربية شاركوا المصريين فى هذه الآلام ، وإن المثل العليا القومية لا يمكن أن تتحقق فى حملة واحدة . ثم أرجع الأستاذ عدم تقدير هذه الحقيقة — فى أهم أسبابها — إلى اختلاط مفهوم « الفكرة العربية » بأعمال « جامعة الدول العربية » فى أذهان الكثيرين من الخاصة والعامة . وبعد ذلك أوضح الفرق بين جامعة الدول العـــربية » التى تأسست سنة ١٩٤٥ بموجب الميثاق المعلوم ، وبين « الجامعة العربية » التى لا تزال فكرة تعيش فى أذهان الذين يؤمنون بوحدة الأمة العربية إيمانا صحيحاً ، قائلا بأن كل من يتهجم على فكرة الجامعة العربية من جراء أعمال جامعة الدول العربية ، يكون قد ارتكب ظلما فادحاً

وأذكر بهذا رأى الأستاذ الحصرى أن القوميات إنما تقوم على اتحاد اللغة قبل كل شيء ، وقد فصل هذا الرأى وطبقه على نشوء ، القوميات بأوربا فى المحاضرات التى ألقاها بدار الجمعية الجغرافية الملكية من نحو سنتين ، وقد اتخذ من القوميات الأوربية أمثلة خلص منها إلى فكرة القومية العربية التى تقوم على لغة الضاد فى جميع بلاد العروبة .

وكان المقال الثانى للأستاذ الذى نشر يوم السبت الماضى تطبيقا لفكرته فى أساس القوميات إذ رد به على حديث لسعادة الأستاذ لطفى السيد باشا أدلى به إلى مجلة « المصور » أيد فيه مصرية المصريين مستشهداً باليونان فى تمسكهم بقوميتهم وتحقيق استقلالهم عن الأتراك .

قال الأستاذ الحصرى : إن اليونان لم يندمجوا فى الأتراك بسبب اختلافهم عنهم فى اللغة وفى الدين ، وقد تعرضت اليونان بعد انفصالها عن الدولة العثمانية لخطر الاندماج فى الشعوب السلافية فى أوروبا التى يجمعها بها المذهب الأرثوذكسى ، ولكنها تغلبت على الاعتبارات الدينية واستجابت لنداء اللغة والوطن ، فاليونانيون

مدينون بكيانهم السياسي الراهن - قبل كل شيء، وأكثر من كل شيء - إلى تمسكهم بلغتهم القومية. وقال: ألا يدل ذلك على أن سعادة لطفي السيد باشا قد حاد عن جادة الصواب عندما استصغر وتجاهل شأن اللغة فساوى بين العروبة وبين التركية خلال دعوته إلى المصرية على أن هناك ماهو أهم من ذلك، فبلاد اليونان لم تستقل كلها دفعة واحدة، فقد استقل سنة ١٨٣٠ أقل من خمس بلاد اليونان الحالية، وظل الباقي ولايات عثمانية ثم أصبحت من الدولة اليونانية فيما بعد، ومع ذلك فان المفكرين وزعماء اليونان ومفكريهم لم يحصروا مفهوم الوطن الياباني داخل الحدود التي خطتها السياسة الدولية، ولم يقولوا: فلنحصر جهودنا داخل هذا الوطن الذي يرفرف عليه علمنا الرسمي، ولم يتنكروا لهذه الأقطار المختلفة فيخرجوها من نطاق جهودهم الثقافية ومن حدود أهدافهم السياسية. بل ظلوا يحلمون بالوطن الأكبر الذي يضم جميع المتكلمين باليونانية، حتى تكللت جهودهم بالنجاح التام. ألا يظهر من ذلك كله أن تاريخ اليونان الحديث لا يؤكد الرأي الذي أبداه سعادة لطفي السيد باشا، بل إنه - على عكس ذلك - يشهد شهادة صريحة ضد ذلك الرأي ويفنده تفنيداً قاطعاً.

أما مقال الدكتور أحمد زكي بك فقد اشتمل على العناصر الآتية:

١ - تفنيد القول بأصول الأمم وأن الفكر الحديث قد اطرح هذه الأصول، واستدل بأمة الولايات المتحدة التي تكونت من أمم مختلفة، ولم يمنعها اختلاف الأصول أن تكون أمة مرتبطة مشتركة الأحساس، يتسابق أفرادها في الذود عنها.

٢ - الجماعات الانسانية تأخذ بالوراثة القليل الأقل من الآباء، وتأخذ بالمران الكثير الأكثر من البيئات: الجغرافية والانسانية والثقافية والتاريخية الزمانية فأثر البيئة يغلب على أثر الوراثة حتى لا يكاد الثاني يبين.

٣ - المصريون لا تصلهم بقدمائهم صلة، فالقبط الذين يقال إنهم أخلص أنساباً لا يتفق بياضهم وخضرة عيونهم مع ما عرف عن القدماء، وليس بينهم وبين المسلمين فروق بينة وقد هضم الوادي كل من دخله

٤ - العربية عنصرية لا ترتكز على حقيقة، فقد اختلطت الأنساب في كل بلادها

كشكول الأسبوع

◻ منحت جامعة روما معالي الدكتور طه حسين بك، درجة الدكتوراه الفخرية. وقد ألقى معاليه فيها محاضرة عنوانها «ماهو الأدب الكلاسيكي»

◻ تحدث معالي الدكتور طه حسين بك إلى مكاتب «المصري» في روما، فقال إنه يأمل أن يزداد عدد البعثات المصرية التي ترسل إلى إيطاليا لدراسة الآداب والثقافة واللغة الإيطالية وللتخصص في الفنون، لأن مصر لاتستطيع أن تهمل دراسة فنون وآداب راقية مثل فنون إيطاليا وآدابها.

◻ كتب أحمد صفوت باشا في الأهرام يدعو إلى الاهتمام باللغة العربية الفصحى لتكون لغة الكلام بين الخاصة ثم تنتقل منهم إلى سائر الناس. وقال إن ذلك لازم لرقي المجتمع ورفع أسلوب حديثه على العامية القاصرة عن تأدية المعاني الدقيقة والمشاعر الراقية، ولتقوية الربط بين الشعوب العربية التي تختلف لهجاتها العامية اختلافاً يجعل بعضها غير مفهوم لبعض.

◻ سمعت في هذا الأسبوع «ندوة أدبية» مذاعة من محطة الشرق الأدنى موضوعها «الأدب والصحافة»، وكانت الندوة مكونة من الأدباء اللبنانيين الأساتذة عبد الله المشنوق وقسطنطين زريق وسعيد تقي الدين، وكان الأخير يتحدث بالعامية: لغة الجبل! فهل كانت الإذاعة خاصة بأهل الجبل؟ وقد كان الأستاذ تقي الدين يرى أن الصحافة تجني على الأدب ولكنا رأينا أن الجانية عليه هي العامية في حديثه.

◻ ورد على ألسنة متحدثي الندوة السابقة تعبير لطيف له مدلول في واقع الحياة الأدبية الراهنة، هو «الإجهاض الأدبي»

◻ ذكر الأستاذ جمال الدين الرمادي في مقال بالبلاغ. أن أحد المستشرقين، وهو البروفسور باول كاوني، كشف تمثيليات عربية مثلت في القرن الثالث عشر الميلادي، وضعها محمد بن دانيال الموصلي أيام الظاهر بيبرس، وهي ثلاث مسرحيات: «طيف الخيال» و«عجيب غريب» و«المتيم» ولا شك أن هذا كشف أدبي هام، لأنه ينقض ماقرره مؤرخو الأدب من أن الأدب العربي خال من التمثيليات في ماقبل العصر الحديث

◻ نظر مجمع فؤاد الأول للغة العربية نموذج معجم فيشر المعروض عليه. كان قد قرر تأليف لجنة من الأساتذة العقاد وابراهيم مصطفى بك والعوامري بك، لبحث الخزانات ومحتويات الصناديق التي أعدها فيشر، لتقرير مدى فائدتها ووجه الانتفاع بها. فكتبت اللجنة تقريرها وهو موضع النظر

◻ وافقت لجنة القراءة بالفرقة المصرية على تمثيل المسرحية الشعرية «شجرة الدر» التي ألفها الأستاذ عزيز أباظه باشا، وسيقوم الاستاذ زكي طليمات بإخراجها للموسم القادم.

والاسلام رفض الأنساب ورفض الأحساب .

والخلاصة التي انتهى إليها الدكتور زكى بك أن مصر أمة بالذى فيها اليوم من أهل ، كانت أصولهم ما كانت ، مسا كها روابط مما يربط الأمم الحديثة ، وأكبر هذه الروابط رغبة أهلها فى أن يكونوا أمة واحدة ويداً واحدة على الخير وعلى الشر ، ومن هذه الروابط شركة فى أسلوب الحياة الواحدة والتفكير الواحد ، ومن وراء التفكير الواحد الثقافة الواحدة ، ومن وراء العواطف الواحدة التاريخ القريب الواحد »

والواقع أن هذه العناصر التى تحدث فيها الدكتور احمد زكى بك لاتنفى عنا القومية العربية ولا تقتضى انعزالنا مصريين خالصين من العروبة والعرب ، فالفكر العربى الحديث لايقيم القومية العربية الحديثة على الأصول والأنساب ، فإذا قلنا إننا عرب فليس يلزم لصحة ذلك أن نكون منحدرين من أصلاب القحطانية أو المدنانية . ويظهر من ابتداء المقالة أن الدكتور بنى كلامه على تصريح « الملك الهاشمى » القائل : إن المصريين قوم افريقيون ، فهم لايفهمون العرب ، وليسوا أهلا لتزعم العرب. ولكن الملك الهاشمى إذ يقول ذلك يعزب عن باله مفهوم القومية العربية الحديثة ، وهو الوحدة المبنية على اللغة الواحدة والثقافة الواحدة المستندة إلى التاريخ الواحد . والعربى الحديث ليس هو فقط الذى يستطيع أن يثبت نسبه إلى إحدى القبائل العربية ، وإنما هو الذى يتكلم العربية ويشارك قومه العرب فى كل أمة عربية مشاعرهم ويرتبط بروابطهم ، والمثل الذى أتى به الدكتور زكى بك ، وهو الولايات المتحدة الامريكية التى تكونت من أمم مختلفة الأصول ، ذلك المثل الذى ضيقه بالتطبيق على مصر التى تكونت من عناصر مختلفة ، ينطبق فى اتساعه وحجمه على قد الأمة العربية التى يرجى أن تتكون من أمم مختلفة الأصول ، والبيئات « الجغرافية والإنسانية والثقافة والتاريخية الزمانية » تمطيها الوحدة والتماسك ، إلى جانب عامل الوراثة الذى يتمثل فى اللغة والثقافة ، ولا أقول فى الدم والعصب ، فالقومية العربية تتوافر لهــا البيئة والوراثة جميعا ؟ وقد نفى الدكتور صلة المصريين بقدمائهم ، وهذا حق لأن حاضرنا فى كل النواحى بعيد عن ذلك الماضى كل البعد ، وإن كنا أحيانا نتكلف الاتصال به مجاراة للغربيين الذين يصرون على تمجيد قدمائنــا الفراعنة ، لانهم لايحبون كلمتى « العروبة والاسلام » ولم يتعرض الدكتور بشىء من هذا القبيل بالنسبة لصلتنا بالعرب ، وما كان ينبغى له أن يفعل ، لأن الدكتور زكى نفسه بلغته التى كتب بهـــا المقال وأسلوبه الأدبى العربى ، حقيقة ماثلة شاهدة على تلك الصلة الخالدة ..

ولو لم يكن عنوان مقال الدكتور احمد زكى بك « ما العرب وما الفراعنة ، إنما نحن قوم مصريون » لصلح المقال لتأييد القومية العربية ودخول المصريين فيها . وذلك بتعديل يسير فى بعض الأجزاء مثل إبدال « العرب » بكلمة « مصر » فى الخلاصة التى انتهى إليها . فالعرب أمة بالذى فيها اليوم من أهل الخ ، فعناصر الخلاصة كلها تنطبق على العرب بما فيها من « رغبة أهلها فى أن يكونوا أمة واحدة ويدا واحدة على الخير وعلى الشر » وأبرز هذه الفقرة بالذات لأقول إن هذه الرغبة موجودة يستطيع رؤيتها من ينفذ بصره إلى الحقيقة خلال غبار الأحداث الأخيرة ، الذى أثاره « حـكام » بحوافز مطامعهم ورغباتهم الشخصية .

العوازل :

وكتب الدكتور حسين مؤنس بأهرام يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضى ، كلمة بعنوان « أهل الهوى » عـذل فيها من يهوون العروبة من المصريين ، فاتبع طريقـة « العواذل » المعروفة ، فى تقبيح الحبيبة والتنفير منها ، والدعوى أنها لاتبادل محبها هواه ، وإظهار الشماتة لما ينال المحب من بعض الأذى فى سبيل التمسك بمحبوبه ، وتصوير المحب فى صورة المتهالك على حبيب يعرض عنه ويزدريه ، ويلتمسون بذلك الحبة ليجعلوا منها قبة ، وقد اتخذ دكتورنا من قولة « الملك الهاشمى » : إننــا إفريقيون — مادة لعذله ، كأن هذا الملك هو سادن العروبة الأوحد ، وكأن كلمته هى الفيصل فى أمر العرب ...

وطالما عذل العاذلون ولاموا ، وأهل الهوى ثابتون على هواهم ، لايزيدهم العذل واللوم إلا إمعانا فى الحب وتملقا بالحبيب. ولم يخل حب من عاذل ، فليعذل العاذلون فى هوى العروبة ، وليثلبوا الحبيبة ، وليصفوا فتاها بما يمليه الوهم عليهم ، وليفتنوا فى ذلك ماشاءوا ، فإن الفتى لن يحيد عن هواه ، ولن يثنيه عن عزمه مايلاقيه من المـكاره ، ولا يفزعه من عذل العاذلين إلا أنه يسر الأعداء .

عباس خضر



بسمارك

تأليف اميل لودوج

ترجمة الأستاذ عادل زعيتر

لا يكاد الشتاء يأزف حتى يشخص إلى القاهرة الأديب العالم الأستاذ عادل زعيتر ، ولا يكاد يهبط مصر حتى يتساءل المفكرون والأدباء عما يحمل الأستاذ فى وطابه ، وكانت رحلة الشتاء هذا العام مباركة ، فقد أتحف الأستاذ زعيتر مكتبتنا العربية بكتب خمسة ذات قيمة ، وفيها نفع جليل ، وهى حصيلة عام واحد قضاه فى جهد موصول ودأب غير مقطوع ؛ إنها « بسمارك » و « الحياة والحب » لأميل لودج ، و « السنن النفشية لتطور الأمم » و « روح الجماعات » و « اليهود فى تاريخ الحضارات للفيلسوف الفرنسى غوستاف لوبون .

لقد قرأت « بسمارك » وهو سفر ضخم ، طبع فى مطبعة المعارف ، وتبلغ صفحاته ٧٨٧ صفحة لم أكد أقرأ أولى فصوله حتى رأيتنى مسوقا إلى الانكباب على مطالعته ، وإذا حدث ان اضطررت إلى التوقف فما أسرع ما يعاودنى الشوق إلى استئناف القراءة . وأشهد أنى أسفت حين أوفيت على نهاية الكتاب وودت لو استطالت بى المتعة .

يعرف القارىء اميل لودوج كاتب عالمى شهير، امتاز بأسلوبه الشائق فى كتابته سير العظماء ، ومن حق القارىء أن يعرف كذلك أن لودوج ، حين يعرض سيرة العظيم ، يحرص على أن يصل بين حياته الخاصة وحياته العامة وصلا محكما ، فهو ينقل القارىء إلى صميم بيئة العظيم فى غير اصطناع أو تكلف حتى ليحسبن القارىء نفسه صديقا للبطل أو هو من ذوى قرباه ، ويكون تجاوب بين القارىء والعظيم ، فيحاوره ويبين ما يرتسم على وجهه ويسبر ما ينطبع فى ذهنه !

ولقد رأيتنى ألمس فى الكتاب هواجس بسمارك طفلا ، وأرافقه سفيراً ، واجلس على رحلته المدرسية وأزامله رياضياً وأراقبه موظفا ، وأرى ما أرى من تعاليه و كبريائه باقما ، وأحار فى تراوح الرجل بين الالحاد والتقوى ، وبين الشك واليقين ، ورأيتنى أمعن الفكر فى التناقض الذى يتجلى فى طبيعة بسمارك .. تلك الطبيعة التى لا يرضيها أى مقام . . ثم رأيت بسمارك فى اللندتاغ وسمعته خطيبا ، تتبعت حبله . وكان يرمضنى أن ألحظ فى مطلع حياته مناوأته للاحرار ، ونزعته البروسية الافليمية ، وكدت أنحاز إلى خصومه لولا ما كان يجذبنى إليه من إعجاب بشجاعته وإقدامه ، ولولا تلك المتعة التى كنت أظفر بها حين أقرأ رسائله التى اتسمت بالبيان المشرق والقول الساحر ووصفه البليغ تلك المحن النفسية التى كان يعانيها حين يختلف والملك والملكة وولى العهد والشعب والضباط .. ثم قدرته سياسيا بارعا حين غدا سفيراً لبلاده فى بطرسبرج فباريس، وأعجبت أى اعجاب بدوره فى قضية شلزويغ وهولشتاين وما كان من أمره فى حرب النمسا ؛ وأ كبرته حين قال قولته المشهورة : « أعرف أننى ممقوت ولكن الحظ متقلب تقلب رأى الناس ، وأجازف برأسى ، وألعب لعبتى وإن أسفرت عن سوق إلى المشنقة، ولن تبقى بروسية ولا ألمانية كما كانتا ولا بد لهما من سلوك تلك السبيل وصولا إلى ما يجب أن تكونا عليه ، ولا تجد سوى هذه السبيل ! » .

وجاء نصر الله فى سادوا ووثبت الوحدة الألمانية أشواطاً ، ورأينا عبقرية بسمارك فى حرصه على تجنب ما ينكأ قروح النمسا من الذكريات الجارحة ، وأخذه النمسا المغلوبة بالرفق والهوادة ، ليحول دون توثيق صلاتها بفرنسة ، ذلك لأنه أبصر فى الأفق حرباً أخرى سيحمل عليها طوعاً أو كرهاً ... ورأى التاريخ فى أعقاب ذلك من شجاعة بسمارك وصموده لتهديدات المجلس وريب الملك ومعارضة الملكة وأركان القصر ودسائس السفراء ووسوسات الشاتلين ما دون معه أن هذا العظيم رجل يخضع خياله لواقعيته فيزن كلامه ويهيىء أفعاله ، ويؤثر عظائم الأمور على الصور ، مستعداً للعمل مع أية أمة وأية دولة إذا ما لاءم هذا

هدفه ورأى بسمارك بعد سادوا أن ألمانيا لن تظفر بوحدة أوسع نطاقاً بغير العنف أو بغير خطر مشترك يثير غضب الألمان كلهم، فأعد العدة لحرب السبعين ... ثم كان الفتح المبين في سيدان وتوج في باريس قيصر بروسيا أمبراطوراً لألمانيا الموحدة في احتفال وصفه لودوج وصفاً أثار فيه الألم لما لقيه بسمارك فيه من جحود سيده . . ومن هو بسمارك المجحود المشكور إنه « الرجل الذي يلاعب الدول العظمى في أوروبا ملاعبة الحاوي الساهر » إنه الرجل الذي رأيناه حديدياً في الشؤون الداخلية وامرن الدبلوميين كافة في الصلات الخارجية . وكان لودوج يحلل خلال ذلك نفسية العظيم وآراءه في الكنيسة والبيت والطبيعة والتاريخ وولعه بالغابات والكلاب ، وسيأخذ القارىء العجب من تنبؤات بسمارك واستنتاجاته حول المستقبل حتى ليظن انه كان يرى بنور الغيب حين قال عن روسـيا : « فالثورة والجمهورية أمران قد يلمان بروسية في أقرب وقت ، وفي روسيا أناس كثيرون يعلقون آمالهم على كارثة حربية تصاب بها تخلصا من النظام القيصري » .

والقارىء يخرج من مطالعة الكتاب قانعاً أن ألمانيا لو أخذت بآراء بسمارك وسلكت ، بعده ، سياسته لما أصيبت بما أصيبت به في الحربين العالميتين الكبيرتين ... ويقتنع القارىء كذلك ، أن من واجب قادة الحركة القومية ، وحملة الفكرة العربية ، ودعاة الوحدة العربية أن يقرأوا كتاب بسمارك باني الوحدة الألمانية، ففيه دروس وعبر . وأحب أن أنصف الأستاذ المعرب ، فأشيد بالجهد العظيم الذي بذله في نقل هذا السفر الضخم إلى لغة الضاد في بلاغة ورواء وفتنة ، وأن أنوه باشتقاقاته اللغوية الموفقة وبقدرته على اكتشاف اللفظ الذي يغني عن الجملة ، وأن أشير إلى أنه أول من قال دبلمي بدلاً من دبلوماسي أو دبلوماتي ، وكلاسي بدلاً من كلاسيكي ، والبلطي بدلاً من البلطيكي ، فأرجع كل كلمة إلى أصلها واجتنب تكرر النسبة هذا التكرر الذي لا يتنزه عنه كبار الكتاب .

وإذا كان لنا ما نأخذه عليه فهو إغراب في كلمات قليلة في الكتاب لها مايماثلها في العربية معنى وما يفوقها سلاسة . وبعد فإننا نعتقد ان الأستاذ الجليل عادل زعيتر قد خدم العربية وزود — وحده — مكتبتها بما تنوء بمثله عصبة من الأدباء والفضلاء ذلك لأنه يترجم عن الكتب مالا نجد لها مثيلات في اللغة العربية، ومالا ننتظر أن يؤلف مثلها كتاب العربية ، وفي لغة انلم تكن في مستواها أعلى من الأصلية فليست دونها في حال ... فمن حقه إذن أن نهنئه بما أصابه من توفيق عظيم . ومن حقنا أن نتطلع دائما إلى المزيد من ثمرات جهده الفذ في إعجاب وتقدير .

« عربي »

تلخيص كتاب النفس

للفيلسوف ابن رشد

نشره وحققه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني
مطبعة مصر ــ القاهرة ١٩٥٠

للاستاذ محمد عبد الغني حسن

لاانكر أن نشر أثر عربي قديم يحمل من المعنى اللغوي لكلمة النشر مايحمله البعث بعد الموت من معان وما أحوجنا اليوم إلى الانبعاث من جديد ... وما أحوج ميراثنا العربي العتيق إلى أن تزاح عنه الأكفان ، وينفض غبار السنين من فوقه ، فأن العروبة اليوم تقف في ساحة النشور .

وقد كتبت عن هذا الكتاب الجديد للصديق الدكتور الأهواني كتابة باعدتها عن محيط الصداقة ، وأدخلتها في دائرة الصدق ، خشية أن يضيع شيء منهما على حساب صاحبه . وما أظن في الذي فعلت إخلالا بحق الصداقة ، أو إغفالا لأمر المودة . وما أظن الدكتور الأهواني إلا راضيا بما صنعت ، فقد عودنا دائما أنه يحب سقراط ولكنه يحب الحق أكثر منه .

وفي الكتاب جوانب ما كان يتسع لها مقام محدود في مقال واحد ، فأن هذا الكتاب هو في الحق خمسة كتب في كتاب واحـد ، وما ظنك أيها القارىء الكريم بخمسة مخطوطات في الفلسفة الإسلامية أتيح لها أن ترى النور دفعة واحدة في كتاب

واحد ؟! أليس من حق هذه الكتب علينا - وهي لأربعة من كبار فلاسفة الإسلام - أن نقف معها ونطيل الوقوف ولا نجد في ذلك الوقوف بأسا ؟ فإن الشعراء كانوا يقفون على الأربع الأدراس ولا يجدون في أنفسهم حرجا مما يصنعون ، ولا بأسا فيما يفعلون. ونحن هنا - أمام هذه المخطوطات العربية الخمسة - نقف على أطلال من الفلسفة الإسلامية أعادها النشر شيئا جديداً ، ورد لها الحياة التي زايلتها حينا من الدهر ، وعمّر على تلك الدبار الخمسة وقد نضر التحقيق شبابها ، وأعاد لها رحابها ، فنقبل ذا الجدار وذا الجدار ، لا حبا في المكان ، ولكن شغفا بالسكان ... وما السكان هنا ! إلا تلك المعاني الفلسفية التي تعبر عن تصور فلاسفة المسلمين للنفس والعقل ، وكيف اتصلت العقول بالأجسام .

وأول هذه الرسائل تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، وليس التلخيص للدكتور الأهواني ولكنه لأبي الوليد محمد بن رشد نفسه ! ومعنى هذا أن وراء هذا الملخص مطولا ، وأن خلف هذا الموجز محيطاً ، ويدل عليه قوله . (وهذا كله قد بينته في شرحي لكتاب أرسطو في النفس ، فمن أحب أن يقف على حقيقة رأيي في هذه المسألة فعليه بذلك الكتاب) . ونبحث نحن عن هذا الكتاب ، ونمنى النفس أن نجد فيه من البسط للرأي والبيان في الشرح ما تحل به طلاسم التلخيص فاذا الدكتور الأهواني ييئسنا من هذه الغاية ويقطع منها مناط الآمال ويقول (ولم نعثر على هذا الكتاب في العربية) . فاذا قام بخاطرك هذا التساؤل الآتي : ولماذا لا نترجم هذا الكتاب المطول في النفس عن اللاتينية ؟ وجدت جواب الدكتور الأهواني يرد على هذا التساؤل بقوله : (والرجوع إليه في الترجمة اللاتينية لا يخلو من التضليل ، لأن التراجم اللاتينية كثيرا ما ابتعدت عن الأصل ولم تكن أمينة في النقل) . وهذه التهمة الخطيرة للتراجم اللاتينية لا أجرؤ على التسليم بها ولا أدعي لنفسي الدفاع عنها ، لأنها مما لا يصل اليه جهلي المطبق باللاتينية .

ولست والحمد لله لاتينيا ، ولا أمت إلى اللاتين بعرق ، فكل ما يجري في دمي عربي صميم . ولكنني أكره الاتهام الجزاف لغيري تقية أن أكون أنا نفسي موضعا للاتهام ! ولا زلت أذكر أن كثيرا من التراجم العربية للفلسفة اليونانية كان كثير الفساد والقلق والغموض ، حتى لقد باعد ذلك بين التراجم العربية وبين أصولها اليونانية ، وحتى أصبحت هذه التراجم بعيدة عن الناس غريبة عليهم ، وحتى ذكر أحد تلامذة ابن رشد عن أستاذه أنه قال : (استدعاني أبو بكر بن طفيل يوما فقال لي : سمعت اليوم أمير المؤمنين يتشكى من قلق عبارة أرسطاطاليس أو عبارة المترجمين عنه ، ويذكر غموض أغراضه ، ويقول : لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهما جيدا لقرب مأخذها على الناس ، فان كان فيك فضل قوة لذلك فافعل . وإني لأرجو أن تفي به ، لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك ، وقوة نزوعك إلى الصناعة . وما يمنعني من ذلك إلا ما تعلمه من كبر سني ، واشتغالي بالخدمة ، وصرف عنايتي إلى ما هو أهم عندي منه . قال ابن رشد : فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم أرسطاطاليس)

فابن طفيل يشكو بلسان أمير المؤمنين من قلق التراجم العربية لأرسطو وغموضها ، وابن رشد يقر اقرارا ضمنيا بالشكوى بدليل اقدامه على تلخيص ما لخص من كتب المعلم الأول . ولعل شيئاً - قليلا أو كثيرا - من الاعتداد بالنفس هو الذي حمله هذا المحمل من التلخيص حتى يكون له فضل تقريب الفلسفة من الأفهام بعد أن باعد الغموض بينها وبين الناس . ولكني أخشى أن ابن رشد كان في التلخيص أكثر غموضا مما كان غيره في التطويل . ! ولعله نسي قول ابن طفيل له : « يقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهما جيدا » وآفة ابن رشد في هذا الغموض إما أن يكون مأتاها من ناحية فهمه أو من ناحية مقدرته على التفهيم ! وأخشى أن يكون ذلك آفة الفلاسفة جميعـــاً .

إلا أن الدكتور الأهواني صنع في الحق شيئا لم يصنعه ابن رشد في التلخيص الغامض ! فقد جعل للتلخيص تلخيصاً في المقدمة التفسيرية التي قدم بها بين يدي الكتاب . وهي مقدمة نفيسة وقد زاد في نفاستها أن صديقنا الأهواني استعان فيها بآراء طائفة من كبار المشتغلين بالفلسفة ، مثل « جوبتيه » و « تيري » و « سلمون » و « والاس » و « بريهييه » و « دوهيم » .

ولعلك تلاحظ أيها القارىء الكريم أعجمية هذه الخفنة



قصة من الحياة

قلوب من حجر

للأستاذ يوسف يعقوب حداد

كان اسمه (محمود[1]) ولكن الناس ينادونه (أبو شوارب)! ولعل الناس على حق؛ فهم لا يدعونه بمحمود لأنه في الحقيقة لم يكن محمود الصفات. وكانوا ينادونه (أبو شوارب) لأن خمسة عشر سنتمتراً من الشعر الأسود الكثيف كانت تغطى أعلى شفتيه!

ولو أردت نموذجاً، صادق التعبير، لصورة مجرم خطر، لما ترددت في أن أقدم إليك محموداً، فهو بعينيه الواسعتين، وشاربيه الطويلين، وأنفه الذي يشبه منقار الديك، وشعر رأسه الكث، الطويل، ليبدو لك كما يبدو المجرم الخطر في فيلم من الأفلام المصرية

وفوق ذلك كان يشتغل بالتهريب. وهو عريق في مهنته، يعرف كيف يضلل رجال الكمارك ويفلت من شباكهم، فكان ربحه كثيراً، ولكن مال الحرام للحرام — كما يقولون — فبقدر ما كان (أبو شوارب) يربح من طريق الحرام، كان ينفق من ربحه على الحرام أيضاً، حتى لم تبق في المدينة راقصة أو بائعة جسد الا ذاقت لذة دنانيره الدسمة!

والمصيبة أنه كان متزوجاً، وله من زوجه ثلاثة أولاداً كبرهم في العاشرة، وأصغرهم في ربيعه الأول ... ولكنه والله لم يكن يدرى انه زوج لامرأة، وأب لثلاثة أولاد، اللهم إلا ساعة واحدة في كل أربع وعشرين ساعة!.. فهو في النهار يمارس مهنته في الخارج. وربما في خارج البلد، وفي المساء يقصد الملاهي والحانات ينشد المتعة بين كؤوس الخمر وأحضان الراقصات، فاذا عاد إلى بيته في ساعة متأخرة من الليل، عاد ثملاً، فاقد الوعي. فيرمي بجسده المتهالك على فراشه وكأنه خرقة بالية... وقد لا يعود إليه رشده، إلا قبيل الشروق، ساعة يلتف حوله أولاده الصغار، يوقظونه ليتناول فطوره، لا هناه الله بفطور!

وزوجه المسكينة قد أذاقها صنوف العذاب، وجرعها كؤوس العلقم، حتى باتت المفجوعة تبتهل إلى الله في كل ساعة

(١) ملحوظة: الأسماء المحصورة بأقواس غير خاضعة لقواعد اللغة.

من الأعلام التي أخذ عنها الاهواني. فتجزع أن كتابا في الفلسفة الاسلامية يفيض بهذه الأسماء، وتسأل نفسك: أليس بين هذه الأعلام علم عربي واحد في ميدان هو في الحق حلية للتراث الفكري عند المسلمين. ولكن الجزع لا يطول بك: لأنك تصادف من مراجع البحث في القدمة الجليلة للدكتور الأهواني مرجعا ثمينا باللغة الفرنسية للدكتور ابراهيم بيومي مدكور. طبع في باريس سنة ١٩٣٤. وعنوانه مترجما. (مكان الفارابي في المدرسة الفلسفية الاسلامية).

هذه كلمة حق أخرى في تلخيص كتاب النفس لابن رشد الذي أخرجه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني مع كتب أربعة أخرى تتصل بالنفس والعقل والاتصال والمعرفة. ومن حق كتبنا القديمة أن لا نستكثر عليها كلة أو كلمتين في مجلة أو مجلتين. أو أن نمن على محققيها بأن نتهم من الصديق عباس خضر بأننا نتبادل الثناء ونتقارض الإهداء، ونتقايض التعريف بآثارنا الأدبية.. ولو اطلع «العباس» على كتابي «بين السطور» لرآني محاولا قدر جهدي أن انتصف للحق ممن أعرفهم ومن لا أعرفهم من الأدباء والباحثين، الذين أتشرف بعرض أفكارهم ونقد آثارهم. وكدت لا أذكر هنا صداقة وعداوة، لأن مراد النفوس الكبيرة أكبر من أن نتمادى فيه أو أن ننفص فيه القلوب، بذكر بغيض وحبيب ...

محمد عبد الغني حسن

من ساعات يومها ، وتطلب منه ، اما أن يعيد زوجها إلى صوابه، وإما أن يميتها فينتهى فى الأرض عذابها !.. ودموعها ، ما كانت تجف لحظة من مآقيها !.. كيف لا تبكي ، وهذا زوجها لا يكاد يلتفت إليها أو يحسب حسابا لبيته ولأولاده ؟

كانت تخافه وتخشاه لما عرفت فيه من خشونة وقسوة ، ولكنها كثيراً ما كانت تضيق ذرعاً بأساها ، وينفذ معين صبرها فتروح تعاتبه ، أو تلومه ، فتتلقى من يده الفولاذية عشرات اللكمات ، وينزل على أم رأسها آلاف اللعنات ! . . ولولا أنها كانت تنتهز فرصة سكره ، واستغراقه فى النوم ، فتمد يدها إلى جيوبه ، تبحث فى زواياها عما أفلت من يد الراقصات أو المومسات ، لما كانت تلقى ما تنفقه على أولادها وبيتها !

كانت الزوجة المسكينة تعانى كثيراً من العذاب والألم والمرارة ، ولشدة ما كانت تعانى جف اللبن فى ثدييها وطفلها الثالث لا يزال رضيعاً ، فاضطرت إلى الاسراع فى فطامه وظل فى حاجة إلى اللبن ، وكان غذاؤه بسيطا يعوزه الكثير من العناصر التى تساعد على النمو ، فهزل جسده ، وذبل عوده ، ثم ما ابث أن لحقه السقام ، ولم يعد يكف عن الأنين والتوجع ... وكان كبد أمه يتفتت ، ونياط قلبها يتمزق،حين تسمع أنين ولدها وتعجز عن تخفيف الألم عنه ، وابعاد الأذى عن جسده النحيل وأبوه القاسى القلب ، لا يريد أن يعرف أن ولده يكاد يموت ، وأنه فى حاجة إلى الطبيب ؛ لأن ذلك يكلفه مالا ! فراحت المسكينة تحمل ولدها من عجوز إلى عجوز ، تطلب عندهن الدواء الرخيص والشفاء الكاذب !

وذات يوم كنت فى مقصورة جانبية فى أحد الملاهى ، فرأيته يدخل الملهى مع اثنين من زملائه الأشرار ، واتخذوا مجلسهم فى مقصورة مجاورة لى ، فكنت أسمعهم يتحدثون ، وأراهم يشربون ويعبثون ، حتى قفزت إلى المسرح راقصة فارسية راحت تبدى من فنها الرخيص ما يلهب الحواس وفى جسدها المكشوف ما يثير الشهوات ، فاذا صاحبنا كله عيون وكله آذان ، وإذا هو يبدى إعجابه بالراقصة ويعلن لزميليه رغبته فى مجالستها ، وفعلا ما كادت الفارسية تنتهى فى اداء (نمرتها) حتى أشار اليها أحد الصديقين اشارة فهمت معناها ، فاقبلت ضاحكة لاهية ، وجلست على ركبتى صاحبنا (أبو شوارب) فاذا هو يفرط نشوته ، يأمر بزجاجة كاملة من (الويسكى) يشهد الله أن سعرها لم يكن يقل يومئذ عن العشرين دينارا ان لم يزد !

قلت لنفسى وأنا أرقبها من بعيد : « يالها من خبيرة ! انها تعرف دخائل النفوس ، وتجيد قراءة الوجوه . لقد رأت رغبة الرجل ، وأحست بالنار المتأججة فيه ، فعرفت كيف ترضيه ، وكيف تسلبه محفظته المنتفخة بالدنانير .

كنت أرقبها خلسة ، فرأيتها تضع رأسها وشعرها وتدفن عطرها ودلالها فى صدر الرجل ، وتداعب بأناملها اللطيفة وجهه وتمرك بلطف أذنيه ، وسمعتها تتحدث اليه بالفارسية وقد رسمت على وجهها صورة صادقة التعبير لغرام عنيف وحب عظيم ،وسمعت أحد الصديقين يفسر (لأبو شوارب) كلمات المرأة الفارسية على أنها غزل وغرام عاصف به ، فانتشى (أبو شوارب) وانتفخت أوداجه ، وتراقصت على شفتيه شواربه ، وما كان منه إلا أن دس بين نهديها بورقة مالية ذات مائة دينار !

وفجأة . . رأيت صبياً صغيرا . اقترب من المقاصير وراح يتفرس فى وجوه الجالسين ، فلما وقعت عيناه على (أبو شوارب) اسرع اليه يصيح -- بابا ... بابا ... اسرع بربك ... إن أمى لفى حاجة اليك .

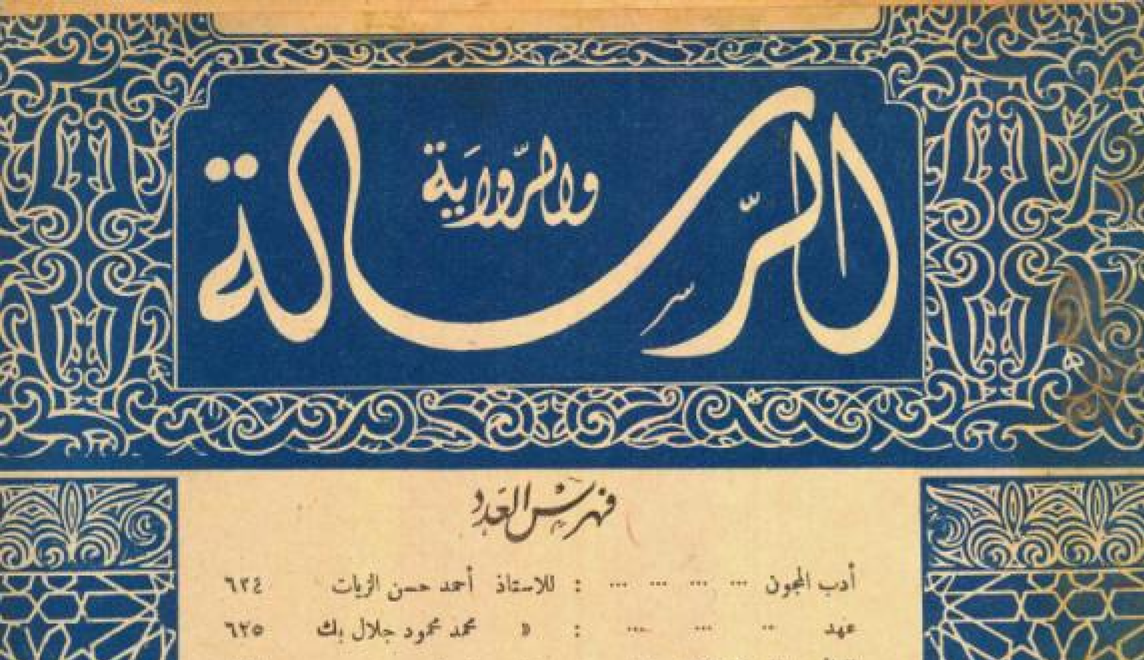
ولكن بابا ساعتئذ كان فى عالم آخر ... قد أفقدته الخمرة شعوره ، وسلبته الفارسية وقاره ، فأخذها من يدها ومضى بها إلى مقصورة جانبية ليتم معها السهرة ، ولما سمع صوت ولده وهو يبكي ويولى هارباً لفظ من فمه كلمة سباب ثقيلة استأنست بها الراقصة الفارسية -- فأطلقت هى الأخرى كلمة مقابلة اتبعتها بضحكة فاجرة وسارت مع صيدها الثمين .

ومع خبوط الفجر الحمراء ... عاد (أبو شوارب) إلى داره ولكنه ما كاد يقترب منه بضع خطوات ، حتى ألفى الناس متجمهرين على بابه ، وسمع صراخ النسوة يتعالى من داخله ... فاطلق ضحكة طويلة ، وقال : مات ؟ ... الحمد لله..؟

وتابع سيره من غير أن يدخل الدار !

البصرة • عراق **يوسف يعقوب حداد**

مطبعة الرسالة



فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



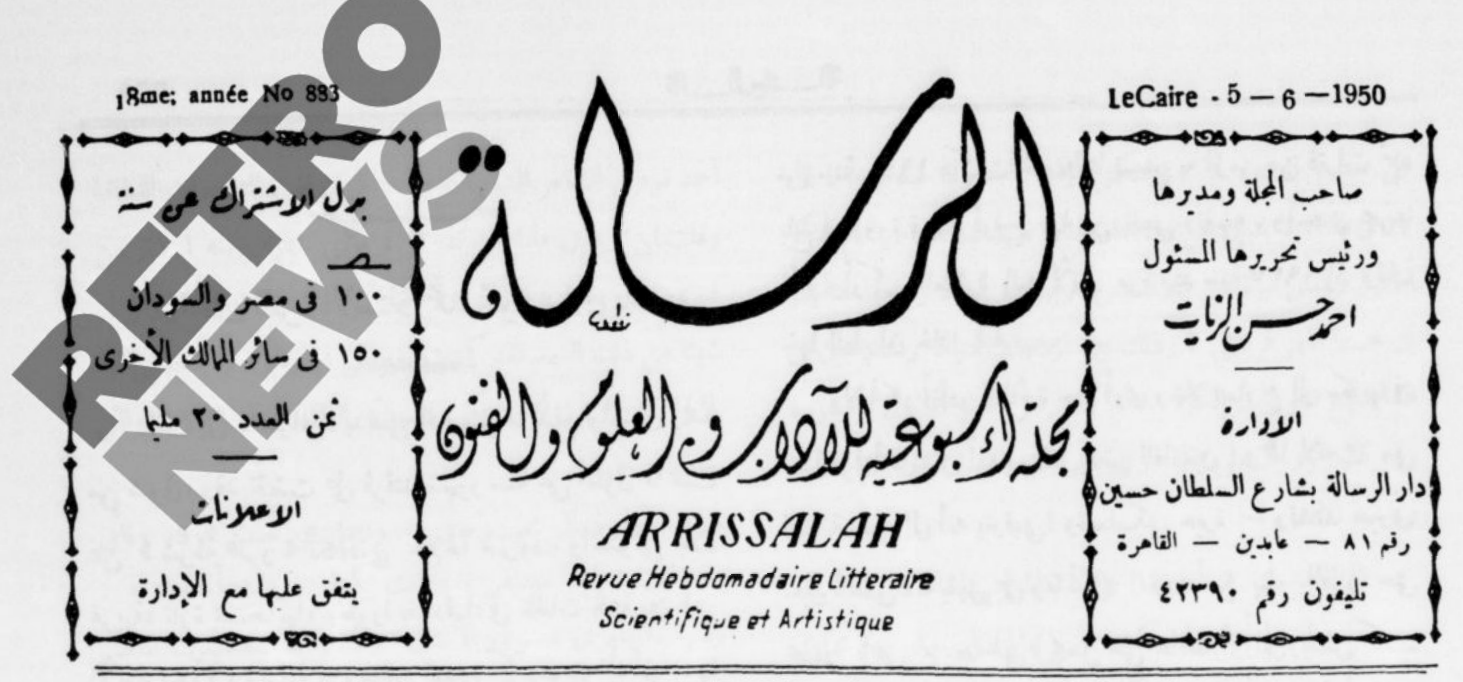
العدد ٨٨٣ — ٥ يونيه سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشر

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS



18me année No 883 — LeCaire - 5 — 6 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٨٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٦٩ — ٥ يونية سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

أدب المجـــون..

أدب المجون يختلف عن أدب اللذة فى الدواعى التى تدعو إليه، وفى الدواهى التى تنجم عنه. فن دواعى أدب اللذة عامية الذهن، أو سطحية الفكر، أو سآمة الجد؛ وهى أعراض طارئة مصيرها إلى الزوال، وانحراف عن الطبيعة مآله إلى الاعتدال. ومن دواهيه أنه يلفظ أهله على ساحل الحياة فلا يخوضون العباب ولا يغوصون على الجوهر، ويدفعهم إلى هامش الوجود فلا يكون لهم فى متنه مكان يرمق ولا شأن يذكر.

ولكن دواعى أدب المجون التنفيس عن رغبة مكظومة، أو التعبير عن عاطفة جائشة، والتحرر من التزامات مقيدة، وهى خواص فى طبع الانسان، تلزم لزوم البكاء والضحك له، وتدوم دوام الجد والهزل فيه. وأقل دواهيه أن تزول الحدود بين المعروف والمنكر، فلا يكون فارق بين حلال وحرام، ولا بين نظام وفوضى، ولا بين انسان وحيوان.

أدب المجون إذن خاصة تلزم لا عرض ينفك. وذلك أن حياة الانسان من لوازمها الحياء والوقاحة، والعفة والفجور، والاحتشام والتبسط، والتصون والتبذل؛ والأدب صورة لهذه المتناقضات جميعا. فالفنان الشاعر أو الكاتب أو المصور لا بد أن يعبر بطريقته الخاصة عن كل ما يجول فى نفسه أو يقع تحت حسه، وكلما كان هذا التعبير صادقا كان أدخل فى باب الفن، وأوغل فى طريق الكمال. من أجل ذلك كان أدب المجون ثابت الوجود فى أدب العالم كله. وهو فى الأدب العربى عريق الأصل، ظهر منذ قال العرب الشعر ورووا منه لامية امرىء القيس، ودالية النابغة، ورائية بشار، وغزوات ابن أبى ربيعة، وفواحش أبى نواس، ومندبات ابن اياس، ومخازى ابن سكرة، وأحماض ابن حجاج. وظل الأدباء فى كل زمان ومكان ينظمون المجون وينثرونه. ولا تزال ذواكر المعاصرين تعى ما تلقفته الأفواه من مجون حافظ والرصافى والهراوى مما لم تسجله صحيفة أو يدونه كتاب.

على أن هؤلاء جميعا كانوا ينشئونه لأنفسهم لا للناس، ويتناقلونه فى السر لا فى العلانية، ويتفكهون به فى المجالس الخاصة لا فى المجامع العامة. ولو كان لهم ما لنا اليوم من طباعة تنشر، وصحافة تذيع، وجمهور يقرأ، لتحرجوا من أكثر ما قالوه؛ فان الناس منذ بث الله فى أبويهم آدم وحواء فضيلة الحياء فخصفا على جسديهما العاريين من ورق الجنة، شعروا أن للجسم عورات لا يجوز أن تظهر. ولما هذبهم الدين وثقفهم العلم وصقلهم التحضر، شعروا كذلك أن للفكر عورات لا يليق أن تنشر. فهم بحكم الحرية والاستقلال والانطلاق يقولون ويفعلون فى خلواتهم ومباذلهم ما شاءوا؛ ولكنهم بحكم الدين والقانون والعرف يسترون سوءاتهم ونزواتهم ما استطاعوا؛ فلا يقولون كل حق، ولا يصورون كل حالة، ولا يظهرون كل مضمر، مراعاة لشعور الجماعة، ومحافظة على كرامة الانسان...

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

عهد

لصاحب العزة الاستاذ محمد محمود جلال بك

دلفت إلى « حراء » يدفعني إليه مثل ما يدفع الوالد إلى ولده من شوق، وقد تقضت على فرقتنا شهور ستة هى أطول ما غبت عن « شرفة عمرو » تكاءدتني خلالها صروف واحتوتني بلاد غريبة، تارة بصحائها، وطورا بفنادقها، فى ظلمات قاعة بين باهر الأنوار، وآلام مضنية بين مظاهر النعيم. كم دعوت الله أن يجنبها صديقاً وعدواً على السواء !

و « حراء » أشبه بالصومعة منه بالغرفة ، يختبىء تواضعا فى ظل السلم الصاعد إلى الدور العلوى — صغير المساحة كبير السمة بما حوى من ذكريات ، وما زين جدرانه وما حواليها من آثار وطنية وعائلية وخاصة ... يتصدرها أول مكتب جلست إليه صغيرا، وأول ما حمل فى الدنيا من ذكريات دراستى. صنعه «المعلم أحمد» من أمهر صناع الأثاث بالقاهرة لذلك العهد وأهداه إلى أبى. وإلى الدار الآخرة تولى الصانع ومن أهدى ، أغدق الله عليهما رضوانه . وعلى هذا المكتب نلت أول ما اصطلح عليه المجتمع من مقاييس السير فى إحدى طرائق الحياة : « الشهادة الابتدائية »

وما كدت ألقى النظرة الأولى على المكتب حتى استوقف نظرى كتاب ذو جلد أخضر أنيق ليس عليه عنوان ، ولكنه يحمل فى أسفله اسمى ؛ وماادرى لم استحوذ على اهتمامى كله؟ وكيف طوى ما بينى وبين عديد الأشياء التى تملأ فراغه ولكل واحد منها تاريخه وعبرته، ولكثير منها روعة من الفن !

مددت يمينى إلى الكتاب وقلبت صفحاته فى عجلة ثم أقفلته، وقد أيقنت بما سمعت من الأستاذ الشيخ محمد عبد السميع : — « إن لله خواص فى الأزمنة والأمكنة والأشخاص » فاعتبرت ثم أدكرت عهداً !

فى سنة ١٩٤٤ كان صديقى « ر.ز » يعمل رئيسا للنيابة فى بور سعيد . وهى بلد أحبه وأفضله على غيره . ويعرف الصديق فى هذا الايثار فيعجب كيف صبرت فلم أزل ذلك البلد الحبيب من سنة ١٩٤٠ وكنت أختصه بما يسمح به الزمن من فترات ثم، بلح فى زورة قريبة أروح بها عن نفسى ونفسه . وأجدنى محرجا فأهم وأركب الطائرة إليه لأول مرة منذ سنة ١٩٣٧ إذ وقف خط الطيران خلال الحرب .

ولا أكاد أغادر الطائرة حتى أرى رجلا يسارع إلى مكانها فى جذل ولم أشك فى أنه يستقبل بعض القادمين ؛ وكلما لاحت منى التفاتة خيل إلى أنه يترقبنى؛ وتتملكني حيرة ... وتشتد حيرتى حين أتحقق أنه يقبل على وما أكاد اقترب من بناء المطار حتى يحيينى باسمى ثم يصافحنى ويحمل عنى حافظة أوراق وبعض كتب وصحف !! إنه على صاحب بوفيه المطار وهو لم يرنى منذ ثمانى سنين وما زال يذكرنى كأنما هى أيام .

وعندهذا، تلقى الوفاء وأمثاله فقلوبهم تتلقى الجميل الصغير بمجهر فيرفعه إلى صنيع عظيم يثبت فى مرآتها وتمكسه على قدر هذه الصورة جزاء عليه . وهذا هو عنوان للشعب الكريم كما صاغه الرحمن فى الوادى المبارك. وما يتطرق الخلل إلى الأخلاق إلا من حيث تأتى المثل السيئة من المسيطرين والظاهرين فتعود إلى الفساد تدريجا ثم يتفاعل فى أحضان الزمن فيصبح تهلكة . فمند هؤلاء تجد العزاء بقدر ما تجد البرهان الذى يردك إلى أناتك فلا تفزع . إن الخير باق وهو على المستقبل ظاهر .

وفى الصباح الباكر رافقنى صديق قديم إلى الشاطىء الجميل . وهو أجمل شاطىء رأيت فيما زرت من بلاد الدنيا ! بل قل إنه اجتذبنا واقتادنا. ورحم الله شوقى إذ يقول : —

ألين إذا قاد الجمال أعنتى وأعنو إذا اقتاد الجميل عنانى

وجلسنا نستمتع بالهواء وبالمنظر وبالذكريات . فعين إلى الحاضر وأخرى إلى الماضى ، لا نذهب فى هذا الأخير خببا بل مترفقين . ومتى هدأت أعصاب المرء شمله الرفق ، والرفق يولد النظام . وأول ما يتحكم فى هذا اتساق داخل المرء من قلب وفكر ، وبهما تتناسق أمواج الحياة .

كان الوقت باكرا ، والموسم لم يبدأ بعد ، فلم يكن بالشاطىء إلا قليل من مرتاديه ، وجلهم من أهل البلد . وبينما نتناول القهوة إذا بالرفيق يقول : « أنظر ! أتعرف من القادم ؟ » والقادم

على بعد . قلت : لا ، ولكني أراها « هرولة صديق » ! قال يا أخى إنك لا تتبين من ملامحه شيئا ؟ قلت لمله القياس. ألم يذكر أناتول فرانس مرة عن البرنسيس تريبوف قولها لزوجها « أنظر إن هـذا ظهر فرنسى » وذلك بين ازدحام الهواة والمتفرجين فى قاعة لبيع اللوحات الفنية . ثم كان هو ظهر أناتول فرانس ، وقد كان الزوجان من خلفه وعلى بعد ليس باليسير ؟ وكانت الأمير فرنسية الأصل .

قال الصديق « أما زلت على شغفك بهذا الكاتب ؟ لقد مضت سنوات لم أسمع ما تكشف من ثنايا عباراته ، وما تحاول جمعه مما يذثر بين كتاب وآخر ! » قلت لندع فرانس اليوم ولأقل لك إن للبصـــيرة كما للبصر مدى » ولم يطل الحوار ، فقد حسن ختامه بيد عقد سلاما ووجه يشرق بشرا ! هذا زميل فى الدراسة الثانوية يشغل اليوم عملا ذا خطر ، وقد جاء يقضى أياما فى هذا البلد الكريم ، وله برفيقى سابقة معرفة ، وهو من القلائل الذين يحفظون الوداد ، ويحرصون على صلات الماضى.

شاركنا القهوة ، وعددنا هذا اللقاء غنما كبيرا . وقلنا إنه الشاطىء الذى أحببنا ، يسارع بالجزاء فيضيف إلى ارفاده رفدا ، بل هو يضع لهذه الزورة القصيرة طابعا وتاريخا .

وللصديق أ . ز . غرام بالشعر صاحبه منذ حداثته ، يتخير جيده ويحرص على جمعه وحفظه ، كأنما يرى فى هذا برا بالماضى ، كالذى يرى فى صون عشرته وزمالته، وتمهده رفاق الدراســـة بالسؤال عنهم والتقصى ! والأدب مروءة ، والمروءة لباب الأدب .

وكذلك لم يكن بد من تطور الحديث إلى هـذه الناحية ، وكأنما هى الصورة الجامعة لثلاثتنا وهى أقرب الصور إلى ماحولنا، فزرقة البحر ودقة الرمال ورقة الهواء وهذا اللقاء قصيدة عصماء . ولقد صدق المرحوم عبد الرحمن حامد بك الشاعر التركى حين قال إن الطبيعة هى أول كتاب أو أول قصيدة .

وسارعت الساعات إلى انطواء بسحر هذا الحديث ، وإذا « بالصديق المهرول » يفاجئنى متسائلا : هل نفذت العهد ؟ دهشت وقلت : ذكرنى يا صديقى أى عهد ؟ قال عهد صديقك أحمد توفيق الشاعر الشاب الذى ... فاستوقفت التعريفات الدافقة وقلت لن تزيدنى علما بمن تذكر ، فإننى أعرف عنه أكثر من غيرى ، وتربطنى به وبأسرته أكثر من وشيجة ، ولكن قل لى شيئا عن ذلك العهد فقد كدت تفجعنى فى وفائى كما فجعتنى فيه المنايا !! قال : ألا تذكر قصيدته إليك سنة ١٩١٦ والتى خاطبك فيها .

ضاع الرجاء فكن بحيث رجائى واحمل على حسن الوفاء وفائى

قلت : بلى يا صديقى ، وكانت كتابا ما زلت أحتفظ به . وفيها ما يسرى مسرى الأمثال ، وكثيرا ما استشهدت ببعض أبياتها .

قال انه نفض إليك فيها بذات نفسـه ، ووضع بين يديك تراثه النادر من خلق وفن . وقد رجعت إلى ذكريات الدراسـة وإلى ذكريات الألفة التى كانت بيننا فعرفت أنه يتجه بكل ثقته إليك حيا وميتا فتنشر ذكره ، وانه كان فى تشاؤمه يحس دنو أجله ، ويعلم أن الذى سيطوبه يوما قد يطوى آثاره إلا أن تقوم عليها.

للكلام بقية

محمد محمود جلال

آراء عن الغرب

العالم بعد خمسة وثلاثين عاما

بقلم الأستاذ فرحان سعيد

أصدر الكاتب الانجليزى جورج أوروِل قبل أشهر قليلة كتابا فيما بعنوان « عالم ١٩٨٤ » يصف فيه الحياة العالمية اليومية التى يتخيلها سائدة آنئذ . وقد أثار هذا الكتاب عاصفة من الاهتمام والدهشة فى الأوساط الأنجليزية والأمريكية على السواء ، وتناوله عدد كبير من الصحف بالعرض والنقد والتحليل. وقد تعرضت له مجلة (ريدرزدايجسب) فى أحد أعدادها الأخيرة فلخصت القسم الأول من أقسامه الثلاثة .

والقسم الأول من الكتاب وصف للحياة اليومية فى أوسيانيا كما يتخيلها المؤلف فى عام ١٩٨٤ . وأوسيانيا هذه تؤلف أجزاء العالم الغربى الذى نعرفه اليوم ، شاملا على الأخص الجزر البريطانية وجزر الاطلنطيق والأمريكتين وافريقيا الجنوبية وقسما كبيرا من استراليا .

ونظراً لما له من الأهمية وما فيه من الطرافة والفائدة ، فقد رأيت أن أقدم إلى القراء الكرام بمراجعة عجلى له :

ونستون سميث رجل ضعيف البنية ، يناهز التاسعة والثلاثين من العمر ، يلتجىء فى يوم عاصف من ايام نيسان الباردة عام ١٩٨٤ الى المنازل المعروفة (بمنازل النصر) . وعندما دخل القاعة استرعى نظره صورة كبيرة ملونة معلقة على الحائط ، تمثل وجها كبيرا جدا ، وجه رجل يقارب الخامسة والاربعين من العمر ، له شاربان اسودان كبيران وملامح جذابة ، وقد كتب تحتها ، الأخ الكبير يراقبك ! ، فهى اذن صورة الزعيم الذى يدير دفة الحكم فى اوسيانيا .

وفى أحد الطوابق كان ينبعث صوت عذب يقرأ لائحة هامة حول انتاج الحديد الخام لقد كان الصوت ينبعث من قطعة معدنية مستطيلة ، تعرف بالتلسكرين . وأدار ونستون مفتاحها ، فخفت صوتها ، ولشد ما كان يتوق الى إسكاتها تماما لو كان ذلك فى استطاعته ، ولكن الحكومة أعدتها بحيث تظل دائما مسموعة مفهومة واضحة وقد كانت هذه الآلة الغريبة تلتقط كل ما يخرج حولها من الأصوات وما يجرى من الحركات . فكان فى استطاعة « شرطة الفكر » ان يراقبوا جميع الناس من ورائها . وعلى الانسان أن يعيش وهو موقن أن أى صوت يخرجه أو حركة يأتيها ستكشفها الشرطة ما فى ذلك ريب .

ويذكر المؤلف ان العالم قد انقسم بعد الثورات والانقلابات الخطيرة التى حدثت فى اربع الثالث من القرن العشرين الى ثلاث قارات كبيرة وهى : — أوربة الاسيوية ، وآسية الشرقية ، وأوسيانيا . وقد كانت الحرب بينها سجالا ، فما كانت تنتهى يوما الا لتندلع نارها من جديد .

وعلى بعد كيلو متر كانت تبين أمام سميث العمارة الشاهقة التى تشغلها وزارة الصدق حيث مكان عمله . وتشغل هذه الوزارة عمارة ضخمة على شكل الأهرام ، وقد كتبت على جوانبها المبادىء الثلاثة لحزب الأخ الكبير ، وهى تنص على مايلى . — الحرب سلم ، والحرية عبودية ، والجهل قوة . وفى هذه المبادىء تتلخص فلسفة الأخ الكبير ونظرته السقيمة الى الحياة . فلقد كان يعتقد ، ويعتقد معه حزبه ، أن الحرب إحدى السبل الطبيعية للحياة ، ولذا كانت أحسن حالا من السلم . ويرى الحرية عبودية لان حرية الانسان تضطره الى الاهتمام بشؤونه الخاصة وهذه هى العبودية عينها؛ ويرى فى الجهل قوة ، لأن الانسان إذا تعلم كثيرا ضعفت قواه الجسمية والعقلية . وتضم وزارة الصدق ثلاثة آلاف غرفة علوية ، ومثلها سفلية ، وليس فى لندن كلها سوى ثلاث عمارات تضاهيها شكلا ومنظرا . وفى هذه البنايات الأربع تتركز جميع أجهزة الحكومة وهى: — وزارة الصدق التى تهتم بالاخبار والعلوم والفنون واذاعة البرامج على التلسكرين ؛ ووزارة السلم وهى التى تعنى بالشئون الحربية ؛ ووزارة الحب وهى التى تسن الأنظمة والقوانين ، وتبث التلسكرينات فى كل بيت ، وتحرم على الناس الحب وتحتم عليهم أن يستغلوا جميع عواطفهم لمصالح الدولة ؛ ثم وزارة الكثرة وهى التى تعنى بالشؤون الاقتصادية .

وتوجه ونستون الى بيته ، وانتحى ناحية منه ، ثم تناول دفترا

ذا غلاف احمر وعزم على تدوين مذكراته . واما الدفتر المذكور فيدل منظره على ان له من العمر اربعين عاما ، ولقد وقع عليه بصره فى احد الحوانيت فى بلدة تسكنها « الطبقة الكادحة » التى كان محظورا على المنتمين لحزب الاخ الكبير ان يختلطوا بها أو يدخلوا حوانيتها . وقد استولت على بونستون رغبة عنيفة جارفة لشراء الدفتر ، ففعل ولكن بعد ان اخذ الحيطة اللازمة لئلا يكشف امره والا كان عقابه الموت او السجن فى معتقلات الأعمال الشاقة ٢٥ عاما على الاقل .

وشرع ونستون يدون مذكراته بحروف غامضة ، ولكنه سرعان ماانقطع عن ذلك عندما راوده الفكر أن شيئا أهم من كل مادونه قد حدث فى الوزارة صباح ذلك اليوم . فقد انبعث من التلسكرين الجاثم فى احدى الزوايا بقاعة الوزارة ضجة صاخبة تعلن ابتداء برنامج البغض ومدته دقيقتان . فظهرت على شاشة التلسكرين صورة وجه عمانوئيل جولد شتاين ، عدو الشعب المارق الذى كان فيما مضى أحد زعماء الحكومة البارزين ولكنه انغمس فى اعمال عدوانية ضد الدولة فحكم عليه من جرائها بالاعدام . ولقد كان هذا البرنامج يتنوع يوما بعد يوم ، ولكن جولد شتاين هو هو بطله فى كل الأوقات ، فاليه تنسب جميع الخيانات والمؤامرات . فيشاهد على الشاشة وهو مندفع فى القاء خطاب عنيف موجه للأخ الكبير منددا بدكتاتوريته ومحقرا شخصيته . وما إن توشك الدقيقتان على الانتهاء حتى تثور ثائرة الجمهور الذى يحاول إسكات ذلك الهذر الجنونى الصادر عن التلسكرين ، وتخالط نفسيته موجة من الذعر والانتقام والتعطش الى القتل والتعذيب ، ويتحول كل شخص مجنونا ثائرا يملأ المكان عويلا وصراخا . ولكن الأخ الكبير لاتطول عليهم غيبته ، فاذا به يظهر على الشاشة وينظر اليهم نظرات يهدىء بها ثائرتهم ويعيد الثقة والطمأنينة الى نفوسهم .

تذكر ونستون كل هذا ثم عاد الى مذكراته يراجعها ، فألفى نفسه قد كتب وسط ذلك البحران والتفكير الشارد جملة واحدة بخط كبير مرات مرات « ليسقط الاخ الكبير ! »

وتستبد به رعدة من الذعر لأن كتابة هذه الكلمات أو مجرد التفكير بها لهو إجرامى ، وجريمة الفكر ليست من الامور التى يطول كتمانها اذ لا تلبث ان تكشف يوما ما ، فما يشعر مقترفها الا وقد امتدت اليه فى ساعة من ساعات الظلمة الحالكة يد قاسية عاتية تهز كتفيه بعنف وشدة ، وتسومه من العذاب ألوانا ثم تسوقه الى الاعدام . ولقد كان التجسس أمرا شائعا ؛ فالأولاد الصغار يتجسسون على آبائهم وأمهاتهم ويراقبونهم مراقبة شديدة؛ وكثيرا ما يشكونهم لشرطة الافكار ، وكانت الجرائد تروى الكثير من نوادرهم بعد أن تشيد ببطولتهم واخلاصهم ، وتلقبهم حين تتحدث عنهم « بالصبية الأبطال » وانبعث من التلسكرين صوت صفارة يصم الآذان ، يعلن وقت النهوض لموظفى المكاتب . وينهض ونستون ويقف أمام التلسكرين ليقوم بالتمرينات الرياضية الاجبارية التى تذيعها الوزارة ولا مفر من القيام بها على أحسن وجه .

اما مكتب عمله فقد كان كغيره من المكاتب مجهزا بجميع ما يحتاج اليه . فأمامه الآلة المسجلة للكلام وبجانبه شقوق فى الحائط ترمى فيها الأوراق المعدة للاتلاف فتحمل آليا إلى مواقد كبيرة تلتهمها فيها ألسنة النيران وتأتى عليها . واذا ما احتاج الى بعض السجلات الرسمية فما عليه إلا أن يدير أرقاما فى قرص أمامه ، فيأتيه طلبه فى أسرع من طرفة عين . وقد كان العمل الأساسى لدائرته أن تنقح جميع الجرائد والكتب والنشرات والإعلانات والافلام والصور وما اليها من السجلات بحيث تظل دائما ملائمة لمقاصد الحكومة ودعايتها ، فتحفظ فى اللفات . واما النسخ الأصلية القديمة فيحكم عليها بالإتلاف . ودائرة السجلات هذه أحد فروع وزارة الصدق التى من شأنها أن تعيد بناء الماضى وتزود سكان أوسيانيا بالمجلات والكتب والأفلام والبرامج وما اليها ، وتقدم لأعضاء الحزب جميع حاجاتهم على اختلاف أنواعها .

واما الجماهير المؤلفة من الطبقة الكادحة التى تكون ٨٥ فى المئة من مجموع سكان اوسيانيا ، فلم تكن خاضعة فى الكثير من

مظاهر حياتهـا لدعاية الحزب ، لان الحزب لم ير ضرورة لذلك بعد ان كان يجعلهم يزجون أكثر أوقاتهم فى الأشغال التى لاتبقى لديهم من الوقت مايسمح لهم بالتحفز ضد الحكومة . كما أن الدوائر المختصة بها كانت تكيف عقليتها على النحو الذى تشاؤه فلا تقدم لهـا من الأدب والموسيقى واللهو والتمثيل الا بضـاعة رخيصة غثة لا تتعدى إثارة العواطف الجنسية والأفكار المنحطة، بحيث لا تفسح لها المجال فى التفكير الراقى فى ما يختص بتحسين الحياة وطرق العيش .

ويلتقى ونستون بصديقه سايم فى أحد الحوانيت النموذجية التى يتناول فيها أفراد الحرب وجبات طعامهم ، وهما يستفيض الحديث فيتطرق سايم إلى الكلام على المعجم الذى يؤلفه فى اللسان الحديث — وهو اللغة المنتشرة فى أوسيانيا — ، فيقول : ـ لقد شرعنا نلغى مئات الكلمات القديمة كل يوم لأن الغاية من اللسان الحديث تضييق آفاق الفكر بحيث تجعل جريمة الفكر أمرا مستحيلا ، وذلك بإعدام ما يعبر عنها من المفردات ... وينصت ونستون إلى التلسكرين وهو يتلو رسالة من وزارة الكثرة تتحدث عن ازدياد الانتاج فى هذا العام عن العام السابق زيادة فى الطعام والملابس والمنازل والأثاث وغيرها . ولكنه يستغرب كل هـذا ويستهجنه ، إذ لايذكر أنه حصل طوال حياته على ما يكفيه من مأكل وملبس ، ولا يذكر كذلك أن أثاثه كان متهافتا وبيته كان متداعيا . ولكن أنى للانسان أن يظهر أمارات السخط أو الشك لأن ذلك هو الجريمة بعينها . وراح ونستون يتجول فى أحياء الطبقة الكادحة حتى وصل أخيرا إلى الحانوت الذى اشترى منه فيما مضى الدفتر ذا الغلاف الأحمر . وأراه هنا صاحب الحانوت قطعة من الزجاج ركب فى جوفها فص من المرجان ، ويرجع تاريخها إلى مائة سنة خلت . ويملك بونستون إعجابه بها، لا لأنها جميلة فحسب ، بل لأنها تنتمى إلى عصر غير العصر البغيض الذى يعيش فيه . ثم قاده صاحب الحانوت إلى غرفة مريحة فى طابق علوى فتمنى ونستون لو كان يستطيع أن يستأجرها منه ، ويعيش فيها هادئا مستريحا بعيداً عن صوت التلسكرين المقيت ، ولكن أين منه ذلك والرقابة منتشرة فى البلاد طولا وعرضا !

هذا وصف موجز للحياة اليومية كما يتخيلها المؤلف سائدة عام ١٩٨٤ . وأما أفكاره هذه فيختلف وقعها على القراء بحسب بيئاتهم . فقد تبدو للأمير كيين مجرد وهم وخيال لأنه يشق عليهم أن يؤمنوا بدكتاتور كالأخ الكبير يتعطش للسلطة ، وبحكومة يسارية فظيعة ماداموا قد تعودوا استطابة العيش فى ظلال الحرية . اما خارج امبركا فقد تكون رسالة المؤلف أعمق أثرا وأبلغ فهما ، فالايطاليون الذين عاصروا موسوليني وهو يلقن الأولاد الصغار دروسا فى القسوة الوحشية لن يدهشهم أن يروا الصبية الذين لا تتجاوز اعمارهم السابعة يمارسون التجسس على يد الاخ الكبير . واذاتسنى لهذا الكتاب أن يتجاوز الحدود إلى ماوراء الستار الحديدى فلن يبدو فيه هذا العالم الرهيب غريبـا وخياليا ، لان الصورة التى رسمها المؤلف له مبنية على الدرس الدقيق لمستقبل الاشترا كية اذا اطرد سيرها على منواله الحالى .

أما أهمية الكتاب فليست فى تخيلاته وطرافته ، وإنما هى فى منطقة المر القاسى، لأن المؤلف يحذر فيه الناس من القوى المهددة لعالمنا اذا نشطت هذه القوى حتى تبلغ بنا الى النهاية المحتومة . ولربما تحمل هذه الأفكار بعض الناس على الظن أن المؤلف قصد أن يقول : - «إن الناس أشرار بطبعهم ، وليس هناك من أمل يرجى فى صلاح البشرية مادامت على هذه الحال »وما هذا بصحيح لأن الناس اذا ما واصلوا سعيهم لإسعاف البشرية ، واحترام روح الحق ، واعتنقوا الصدق فى السعى وراء المعرفة الكبرى ، فلن يقودهم سعيهم هذا الى الاستعباد الرهيب . واذا تآزروا جميعا على محاربة روح التفرقة ؛ ودعوا الى الحرية فى عبادة الله ، والحض على حب النساء وتقديرهن ، والعناية بالأطفال ومساعدة المرضى، والجهاد من أجل الإبقاء على قيمة الإنسان وإنماء الروح الإنسانية فيه ، والحرص على حريته ، فإن هذا العالم الرهيب الشرير ، عالم ١٩٨٤ ، المفعم رعباً وهولا لن يقدر له فى يوم من الأيام أن يصبح حقيقة ماثلة للعيان .

ماجد فرحان سعيد
مدرسه الفرندز للبنين
رام الله

اللغة والفكر ...

للاستاذ محمد محمود زيتون

جرت العادة فى تعريف الإنسان على أنه حيوان ناطق ، وهذا النطق الذى امتاز به الانسان عن الحيوان معناه التفكير والتعبير معا . والتفكير عملية تجرى فى عالم الداخل تترجم نتائجها ونزعاتها لعالم الخارج ، بإشارات إرادية مسموعة أو مقروءة هى اللغة .

اللغة لا تتحقق من دون فكر . وقد يكون فكر من غير لغة ، لأن الفكر إما نفسانى أو لسانى ، والأول منهما أقرب إلى الوجود من الآخر . لأن الوجود هو موضوع الفكر ومجال نشاطه . والفكر بدوره يصبح موضوع اللغة ودعامتها الأولى . ثم هو موجود ما دام الوجود ، وحيث لا وجود فلا فكر ، وليس يصح فى الأذهان أن شخصا يفكر فى لا شىء ، أو أنه لا يفكر فى شىء . والتفكير أدل على الوجود من التعبير : فإن كل المفكرين أحياء ، وليس كل الأحياء مفكرين ، ولذا قال ديكارت قالته المشهورة «أنا أفكر ، فأنا موجود»

ونحن بذلك نخالف «لويس دى بونالد» فى قوله بأن لا فكر بدون لغة ، ذلك بأن الفكر هو عالم المعانى النفسانية ، واللغة عالم الألفاظ اللسانية . واللغة كال الفكر . ولا عكس ، لأنها تستوعبه ، وهو لا بد له منها ، وهى لا بد لها منه ، ولما كانت صورة التمثال دليلا على مادته ، والثوب دليلا على لابسه ، فهل اللفظ دليل على معناه ؟ وعلى أى وجه تكون دلالة اللفظ على المعنى ؟ وبعبارة أخرى ما النسبة بين اللغة والفكر ؟

البارعون قليل ، وكم يتمنى الناس على كثرتهم أن يكونوا أمثال هؤلاء البارعين على قلتهم ، وهذا ما نراه فى ازدحام الناس على سماع فنان يغنى ، ونحن جميعا نأكل اللحم أصنافا وألوانا ، ولكن يندر منا من يعرف كيف يتخير اللحم عند القصاب . وكلنا نفكر ولكن أقلنا من يفكر تفكيراً صحيحا سليما .

فإذا كان الغناء براعة ، ومعرفة أصناف اللحوم براعة ، فلا عجب أن يكون الفكر نشاطا إنسانيا بارعا ، وإن كان عند ديكارت أعدل الأشياء توزعا بين الناس . والتفكير أضيق نطاقا من التعبير ، فهو كالقوة الكهربائية لها طاقة تدير الآلات وتدبر أمور الحياة .

ويكون التفكير صحيحا إذا روعى فيه شرائط أربع :

أولا : استيضاح موضوع التفكير بالألمام بشتى خصائصه .

ثانيا : امتحان الوسائل الممكنة لإتيانه قولا أو عملا أو معرفة أو اعتقادا .

ثالثا : اختيار أقرب المسالك وأقوم السبل .

رابعا : الربط بين هذه الشرائط جميعا .

والواقع أن تلك هى خطوات التفكير العام عند المهندس والكيميائى والفيلسوف جميعا حينما يزاول أحدهم فنه ، بل هو منهج السلوك الانسانى فى هذه الحياة . ونحن إذ نفكر نزداد قدرة على التفكير يتسع معها مجاله ، وبراعة التفكير تستلزم التعمق والتوسع معا ، كما هو الشأن فى تخصص العلماء فى أدق الأمور .

التفكير إذن تفاعل بين القوة المفكرة ومظاهر الوجود ، واللغة نتيجة هذا التفاعل . ولما كان الناطق هو المفكر المعبر معا ، فإن للغة إذن مكانتها من الانسانية . إذ الانسان مفطور على الاجتماع ببنى جنسه اجتماعا إنسانيا أى بكلا شطرى إنسانيته . أما الشطر الأول — وهو التفكير — فلا يكفى وحده لتحقيق هذا الترابط ، وكذلك الشطر الثانى — وهو التعبير — لا يكفى وحده لتحقيق ذلك . فكان من اللازم أن تتحالف اللغة والفكر ما دامت الانسانية وما دام الوجود .

ولما كانت اللغة تستوعب الفكر ، فقد أصبحت العنصر الأول والدائم فى التقدم والعمران . فالناس يترابطون باللغة ويتعاملون بها ، وكلما يسرت اللغة بين الناس ، خطوا نحو الحضارة بأوسع الخطوات ، وما طرق المواصلات على اختلافها إلا لغات بين الأفراد والقبائل والشعوب . والانسان بطموحه المعهود لا يكتفى بما لديه من مواصلات ، ولا يقف نشاطه على عوالم يعرفها ويتعامل معها ، لذلك عمل على التعرف بأبناء الكواكب ، والتحدث إليهم فى شجون وفنون ، وأعانه على ذلك تطور المواصلات من التعقيد

إلى التبسيط ، ومن البطىء إلى السريع : من رجليه إلى أحدث ما عرف وسيعرف من وسائل؛ تدرجت من الدواب إلى المجلات، من السيارة إلى الطيارة ، إلى الصاروخ الأوتوماتيكى ، ومن التليفون إلى التلغراف ، ومن الطرق البرية والبحرية والجوية إلى اللاسلكية ، ومن التلفيزيون إلى التلبرنتر، وما تزال الليالى حبالى يلدن كل عجيبة ، وذلك اتجاه لا ننكره على العقل الانسانى الذى لا يطيق الفوضى ، ولا يحتمل الكثرة ، ولا يرضى بحمل الأثقال: فقديما لم يعرف الإنسان العدد ، وقديما أخرج (باقل) لسانه ليكمل بأصابعه العشر ثمن جدى اشتراه ، وما زال العقل يختزل حتى عرف خصائص العدد فأغنته عن المعدود ، وترقى من الأرقام الحسابية إلى الرموز الجبرية ، ومن الأشكال الهندسية إلى التحليل الهندسى، فاستحالت النظريات الهندسية من ألفاظ تنطق وأشكال ترسم إلى معادلات .

واللغة مكتوبة أو منطوقة هى إشارات لا تمت إلى ما تشير إليه بصلة من قريب أو بعيد ، فليس ثمة شبه ولو قليلا بين كلمة « كلب » أو صوتها أو شكل كتابتها ، وبين الحيوان المشار إليه بها لا شكلا ولا لونا ولا طعما ولا أى شىء آخر . بل يروى أن سبب تسمية حيوان «الكنجارو» هوأن الانجليز عند استعمارهم استراليا، سألوا أحد السكان عن اسم هذا الحيوان فقال « كنجارو » أى « لا أدرى » فظن الإنجليز أن هذا الحيوان اسمه « لا أدرى» فصار اسما ملازما . والواقع أن الانجليزى والاسترالى وغيرهما يعرفون الحيوان ويدركون صورته ، ولكنهم — وإن اتفقوا على تسميته باسم « الكنجارو » — لا يدرون من سبب لتسميته .

والحق أننا نجارى السابقين فيما تواضعوا عليه من أسماء ، وأن اللاحقين يجاروننا فيما توارثناه عن السابقين من غير معارضة ولا مناقشة ، ومن غير ما سبب أو ضرورة .

ومما هو جدير بالذكر أننا بالاتفاق والاصطلاح نجمع على المشار إليه أولا ثم على ما نشير به إليه ، وبذلك يكون العقد اللغوى صحيحا . فالشىء واحد واسمه واحد . ولكن هل أفكارنا عن المسمى واحدة ؟

الواقع أنها ليست واحدة ، ولن تكون كذلك : لأن مشاعرنا وميولنا — فضلا عن مدى معارفنا — كلها تحدد أفكارنا تقديرا وتقريرا . فمدلول اللفظ واحد عند كل الناس ، ولكن معناه يختلف فى الكيف والكم عند كل واحد منهم على حدة . وعلى ذلك يكون لدينا : اسم ومسمى وفكرة . وغالبا ما يتحد الاسم ، وغالبا ما يتحد المسمى ، ولكن من المحال أن تتساوى الفكرة لأنها أشبه بدوائر الماء ألقى فيه بحجر، فهى تتسع وتتسع إلى ما لا نهاية له من الأمواج .

والفرق واضح بين الاسم والفكرة لأن الاسم هو الدلالة على المعنى الاصطلاحى الذى يفهم من اللفظ عند إطلاقه ، والذى من أجله أطلق الاسم على مسماه دون غيره ، أما الفكرة فهى مفهوم الشىء من غير قيد ولا شرط . ولا بأس من التعرض للخلاف الفلسفى الدقيق الذى دار بين J.S. Mil (جون استيوارت مل) و (جيفونز) ، فالأول يعتبر المعنى اصطلاحا وصالحا للتعامل لأنه عام ، ويسميه Connotation والآخر يعتبره فكرة خاصة بصاحبها ويسميه Conprehension أو Subjective Intentiou فهو خاص أو أخص الخاص ، وذلك أدعى إلى النفرة والخلاف ، بسبب اختلاف الناس فى مدى تجاربهم عن الحياة ، ولعدم وجود رابط للتوفيق بينهم ، ما دام السلوك الانسانى شخصيا ، والسلوك الحيوانى فرديا. إذ الانسان -- كما يرى علماء البيولوجيا — (شخص) Person بينما الحيوان (فرد) Indyidnial

ومع ذلك لو تركنا للفكر حبله على غاربه لذهب بنا إلى وديان ومتاهات لا نهاية لها ، ولا متنع — مع هذا التيه والبعاد — ما هو مرجو من الفكر ، لتحقيق أغراض اللغة كأول رابطة تعاونية بين الانسان والإنسان .

لهذا تنازل الناس إلى بعضهم بعضا عن الحقوق المحفوظة فى الخواطر والمشاعر والأنظار ، وهداهم الأمر إلى الاتفاق على مسمى الاسم وهو القاسم المشترك الأعظم بين أفكار الناس من مفاهيم الألفاظ .

ومما يقوى تركيز الأفكار ويمنع تشتتها استغراق المشاعر والميول فى النظر إلى الأشياء . فكلما اتحدت مشارب الناس وتوافقت طباعهم وعوائدهم قل الخلاف على معانى الأشياء اختياراً واستعمالا . وعلى العكس من ذلك إذا تنافرت الطباع وتناكرت

الأرواح بعد ما بين الناس ، وصعب التوفيق ، وصار صرخة فى واد . أو نفخة فى رماد .

ففى الهند ٢٢٢ لغة يصعب معها تفاهم القادم من (بمباى) مع المقيم فى (مدراس) ، وليس ذلك إلا مظهرا للخلافات والفوارق الاجتماعية . فلا عجب إذا قلنا إن الانحلال الاجتماعى يتبعه دائما انحلال لغوى ، إذ تعود الأفهام إلى الفوضى الذهنية الأولى فتتخطى الاتفاقات والمعاهدات وتضرب بهـا عرض الحائط .

وهكذا تـكون اللغة مرآة تنعكس على صفحتها مجرى الحياة القومية لشعب من الشعوب ، فقد طغت الموجة السفسطائية على الحياة اليونانية ردحا من الزمن فتشتت الشمل ، وساد الانحلال الخلق ، واستبدت بالشباب نزعة الاستعلاء بالباطل ، والتمويه والتزويق ، وكادت الروح اليونانية تلقى مصرعها النهائى لولا أن أتاح الله للفكر الإنسانى سقراط الحكيم الذى وجه كل كتائبه الأولى نحو تحديد الألفاظ ، فقطع على السفسطائين أفاعيلهم ورد إلى الإنسانية كرامتها الفكرية .

والانجليز يسودهم (المادية) حتى فى مجال الحياة المعنوية ، فهم يقولون Pay a viait زر ويقولون Pay Attention انتبه وهكذا يجعلون الزيارة والانتباه كالمال يدفع

كما أن الفرنسيين يهتمون بالمبالغة والمغالاة ، لهذا تعددت فى لغتهم مرادفات كلمة (جدا) فيقولون : trés, trop, si, assez, bren, Complètement, entièrement, tout, à fait, beaucoup, parfeitament, rigoreusement, absoluement,

وهكذا تكون اللغة مقياسا دقيقا للروح القومية فى خصائصها العامة من جهة ، وفى التضامن الاجتماعى أو التفكك والانحلال من جهة أخرى .

والسر الخفى فى هـــذا المقياس يرجع إلى النسبة بين اللفظ والمعنى ، لهذا يجب أن نعرف أن دلالة اللفظ على المعنى تـكون بإحدى ثلاث :—

أولا : « المطابقة » أى يكون اللفظ عين المعنى وليس غيره كما نطلق لفظ الإنسان على الحيوان الناطق ، ولفظ البيت على مجموع الجدران والسقوف .

ثانيا : « التضمن » أى يكون اللفظ دالا على جزء من أجزاء المعنى المطابق كما نطلق لفظ الانسان على الحيوان وحده ، ولفظ البيت على الجدران فقط .

ثالثا : « الالتزام » أى يكون اللفظ مطابقا للمعنى الذى يلزمه أمر آخر ليس جزءا منه ولـكن مصاحبا وملازما ومستتبعا . كما نطلق لفظ المخلوق على الخالق ولفظ البيت على الـكوخ .

ودلالة الالتزام ليست فى الحقيقة دلالة لفظية ، بل هى انتقال الذهن من المعنى الذى دل عليه اللفظ بالوضع إلى معنى آخر ملاصق له أو قريب منه . فاللفظ يدل على المعنى كله أو جزئه أو شىء آخر خارج عنه ملازم له .

والعلوم إنما تستعمل الألفاظ المطابقة على معانيها حتى لا يختلف فى الأمر اثنان أو على الأقل يكون الخلاف أقل من أى خلاف آخر توجده الدلالتان الأخريان . فدلالة التضمن ودلالة الالتزام هما سبب شطحات الخيال ، ونزوات السفسطة . ودلالة المطابقة لا تكون إلا بالاتفاق والاصطلاح . وحرصا على التركيز العلمى ، عمدت كل طائفة من العلماء إلى معاجم اتفقوا على وضع مصطلحاتها ، ولهذه المعاجم القول الفصل فى كل خلاف . من ذلك ما صرح به المستر تشرشل إبان الحرب الأخيرة إذ قال Egypt which is under our protection ، فما كان من ساسة مصر النابهين إلا أن فطنوا إلى التورية الانجليزية واللغة اللولبية التى اشتهرت بها ، فطلبت حكومة مصر إيضاحا لهذه الـكلمة التى ربما انطوت على معنى « الحماية » التى جاهدنا بأموالنا ودمائنا فى سبيل فك أغلالها عنا ، ونزع كابوسها ، فما لبث تشرشل أن فسر قصده بأننا علينا أن نحميها Protct it وفق المعاهدة وبذلك انحسم النزاع ، وأغمدت الدماء فى القلوب .

ولا شك فى أن دلالة المضمون تعنى الأديب اللغوى فى بحثه عن البيان والمجاز من إرادة الكل وإطلاق الجزء ، كما أن دلالة الالتزام لا تعنى المنطقى ولا اللغوى وإنمـا تعنى أهل الفن فى تخييلاتهم ، وتصوراتهم ، فالشاعر يتخيل ويتصور ، ويخلع على الموجودات والمعانى من شخصه روحا وجسدا ، والمثال يبرز المعانى ويجسمها

المسرحية بين الكتابة والخلق (١)

للأستاذ يوسف الحطاب

من الظواهر التي كاد القرن العشرون يألفها: صدور المسرحية عن المطبعة لا خروجها من المسرح. وهذه الظاهرة إذا انتشر ما انطوت عليه رأينا فيها مراوغا لاشكال خطير غفل عنه كثير من النقاد، لأنه يجعل المسرحية أدخل في باب الأدب من ناحية القصة والحوار، مع أنها أقرب إلى الفن بحكم طبيعتها.

ونحن نعرف أن التاريخ الحقيقي للفن المسرحي لم يبدأ بكتابة المسرحية بل ببناء المسرح، أي أن المسرحية لم توجد إلا بعد أن توفر الاطار المادي الذي برزت من خلاله. وليس هذا البناء جزءا من فن العمارة، بل هو التحقيق الكامل لوجود الفن المسرحي. والمسرحية المكتوبة باعتبارها شيئا صادرا عنه تتأكد صلتها به حين تراعي طبيعته الفنية، وتنفصم هذه الصلة إذا تجاهلت هذا الأمر، وبذلك تستحيل إلى قطعة من الأدب الخالص

وإذا قيل إن المسرحية المكتوبة جوهر المسرح، فان الوجود يسبق الجوهر. ووجود المسرح يؤكد نفسه في الموضوع الذي يتناوله حين يصوره من خلاله فيكسبه شكله ويحيله إلى كائن له مشخصاته ويتنهي بنا إلى أن المسرحية من المسرح تشاهد، لا من الكتاب تقرأ.

هذه هي الحقيقة التي رأيت أن نتفق عليها قبل تناول الأزمة الفنية التي يمر بها مسرح القرن العشرين — الأزمة التي تتمثل في كتابة المسرحية في كتاب أو كراسات لا لابتداعها فوق خشبة المسرح واتخاذ وحدات المسرح موضوعا لها. وهو أمر نريد دفع فناني المسرح إليه.

ونقصد « بفناني المسرح » الفنانين الخلاقين لا ذلك النفر الذي جرى وراء بدعة تمزين الفن وتقسيمه إلى أقسام: قسم يشتغل بالتأليف، وآخر بالإخراج، وثالث بالتمثيل. فادام المسرح يمثل وجها من أوجه الحياة فلا بد أن تتوفر له عضويتها ووحدتها. أما بدعة التقسيم هذه فرجعها إلى طبيعة العصر الذي وجد به التقسيم وفكرة التخصص القائمة على التفرقة بين الأنواع.

والامر المقطوع به أن طبيعة الكتاب ستظهر حتما في المسرحية مهما حاول المؤلف إخفاءها. ومن هنا نرى غلبة عنصر الحوار في مسرحيات القرن العشرين على العناصر الفنية الأخرى حتى لكأن شخصياتها عند التمثيل تقرأ بصوت عال كتابا استظهرته. ولا أذكر أني شاهدت مسرحية بالغ الممثلون في إتقان أدائها حتى أدركت أنهم يحاولون بعث الحياة في شيء غريب عنهم وتعويض هذا الشيء ما يفقده من طبيعة.

والمؤلف حين يشغل نفسه باختيار فكرة للمسرحية — كما يفعل في الكتابة العادية — يحيل المسرح إلى منصة خطابة يدعو لفكرته فوقها. ثم هو حين يعمد مرة ثانية إلى التوفر على تعقيد هذه الفكرة يفعل ذلك ليجبر المشاهد على تتبع المسرحية بفكرتها وحله لها — وهذا تحايل على الفن لا ينطلي على من ينعم النظر في بناء المسرحية الحوارية.

وهذه ظاهرة لابد لها من تعليل عند هؤلاء الكتاب. والذي لاشك فيه أنهم يختفون وراء موهبتهم في التأليف الأدبي مع شيء من دراسة للمسرح والمران على كتابة المسرحية؛ ولكن

(١) بمناسبة صدور الترجمة الفرنسية لمسرحية « مفرق الطريق » تأليف الدكتور بشر فارس التي سننقدها في الاسبوع القادم.

ما شاءت له معداته ومواهبه ونوازعه، وعلى ذلك تكون المطابقة من هم أهل العلم، والالتزام يخص أهل الفن، والتضمن يشغل المهتمين بأدب اللغة أو لغة الأدب على الأصح.

واللفظ أحيانا يكون له معنى واحد، وأحيانا أخرى يكون ذا معان كثيرة: فالاسم العلم مثل: القاهرة، فاروق، والاسم الكلي مثل: شجرة والجمال؛ وهذان الاسمان يدلان على معنى واحد. اما الاسم المشترك كالعين، والاسم المنقول كالصلاة والأسد والقطار، فكلاهما يدل على أكثر من معنى.

للكلام بقية

محمد محمود زيتونه

يفوتهم أنهم يمارسون هنا نفس الأسلوب الأدبي الذي عرفوا به ويكررون نفس الأخطاء في كل مسرحية يكتبونها لأن المسرحية لا تكتب بالكلمات ولكنها تصور بالمشاهد والمواقف ذات طابع العرض.

ويسوقنا الحديث عن موهبة التأليف إلى القول بأن التأليف للمسرح لا يحتاج إلى الموهبة والاستعداد الكاملين فحسب بل إلى الدراسة والمران حتى يكتمل نمو الملكة المسرحية إلى النهاية، وحتى يصبح رجل المسرح كالطبيب والمحامي والمدرس الجامع بين الاستعداد والدراسة.

تأتي بعد ذلك مسألة الأداء ومن الذي يقوم به: ومن المعروف أن الطبيب يعالج مرضاه بيده ولا يدع أمرهم إلى غيره وإلا كان متناقضا مع قواعد المهنة. أما رجال المسرح فتراهم يتناقضون مع أنفسهم وقواعد مهنتهم حين ينقسمون إلى مؤلف ومخرج وممثل، وحين ينفرد كل بجانب واحد من جوانب المسرحية يكاد ينفصل عن بقية الجوانب. فالمؤلف ينتهي دوره من كتابة الكلمات، والمخرج لا يبذل جهدا بعد إعطاء التعليمات؛ أما الممثلون الذين يحققون العمل الفني ويقومون بمهمة الأداء فلا يستطيعون أن ينكروا أنهم يؤدون شيئا ليس لهم. وهذا هو السبب في سرعة ما يلحقهم من تعب وإرهاق. بل هذا هو السبب الحقيقي في فشل بعض المسرحيات أو النجاح المفتعل للبعض الآخر.

والذين يفرقون بين التأليف والأداء يستشهدون على ذلك بفن الموسيقى وأن بيتهوفن ارتفع بالتأليف الموسيقي إلى أسمى الدرجات دون أن يقوم بعزف مقطوعاته بنفسه. ولهؤلاء نقول إن الفرق كبير بين الفنيين وأن المسرح يحتاج إلى توفر استعداد طبيعي، بل إن المختصين يذهبون إلى أنه غريزة من الغرائز التي تدخل في تركيب الانسان، وإن الاداء تنفيس عن هذه الغريزة واشباع لها. ومن هنا حق لنا أما أن نقف الذين يتسترون الامور ويكتفون بأجزاء الاشياء دون كلياتها. فما دامت المسألة أشباع حاجة طبيعية فان هذا الاشباع لابد أن يأخذ شكله التام في المجال الطبيعي له — وهو المسرح: وما دام المخرجون والمؤلفون يبتعدون عن خشبته فانهم يعبرون بذلك عن بعدهم الحقيقي عن هذا المجال وانهم إضافات زائدة يحسن إقصاؤها بعيدا عن العناصر الحقيقية.

وقد يعترض أصحاب فكرة المؤلف الواحد والمخرج الواحد بأن كل ممثل لا يستطيع أن يكون مؤلفا أو مخرجا وانه إذا استطاع فسيختلط الأمر ويصير الأداء إلى فوضى شاملة. ونحب أن نطمئن هؤلاء بأن الأنباء حملت الينا في العام الماضي نجاح محاولة أحد فصول المعاهد المسرحية بلندن في الاشتراك في كتابة مسرحية جماعية وهي المحاولة التي نريد تعميقها في المسارح الفنية والدراسة والمران كفيلان بتحقيقها لها.

وليست هذه المحاولة حدثا جديدا بل لها سند من التاريخ وأسلوب الفن. فنحن نعرف أن المسرحية بدأت عند اليونان بالارتجال فكان مؤلفوها يستمدون موضوعاتها من الأساطير التي خلقها الشعب وكانت واقعا يعيشه. حتى أنهم كانوا يثورون إذا خرج المسرحي على نص الأسطورة. وهكذا نرى أنهم كانوا يشتركون في التأليف كما كان الممثلون يختارون منهم ويخضعون اخراج المسرحية لتقاليد متفق عليها منهم.

ولم تشذ المسرحية في العصور الوسطى عن هذا الأمر حين كان الكهنة يرتجلون تمثيل حياة القديسين، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك بحرصهم على إعطاء أدوار التمثيليات إلى أشخاص يقومون بنفس الادوار في الحياة.

وأظهر حركة طبيعية في تاريخ الفن المسرحي بدت في المسرحية الفنية (كوميديا دلارتي) التي كانت تعتمد على ممثلين حذقوا فن ارتجال التأليف والتمثيل وخلفوا وراءهم تراثا كبيرا في تصوير الشخصيات والاخراج. كما قامت في ألمانيا في أوائل الربع الثاني من هذا القرن حركة ترمي إلى اشتراك الجمهور في أحداث المسرحية.

وليس في هذا خروج على التيار العام للفن، فاننا نعلم أنه حينما اقتربت دراسات علم النفس من الفن وانتشرت نظريات العقل الباطن رأينا الفنانين يخرجون على طرق الأداء التقليدية ويتبعون نهج التلقائيين automatim وخاصة في الرسم.

وليس تعدد طرق الاخراج والتأليف فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن وترددها بين الواقعية والرمزية إلا دليل قلق رجال المسرح على المسرحية الحوارية من ظهور الأوبرا والباليه والسينما : أما الأولى فقد رأت أن تقترن الموسيقى بالحوار حتى غطت الموسيقى على الحوار وكادت أن تقضى عليه ، حتى جاءت الباليه التى لم تر فى الموسيقي علاجا لطغيان الحوار فألغته الغاء تاما واستغنت عنه بالحركة المصورة التى اتخذتها وسيلتها فى الأداء أما السينما فقد أرادت أن تقف فى مفرق الطريق فجمعت بين عناصر هذه الفنون داخل الصور المعبرة التى تقدمها .

هذا ما جره تمسك المسرح بالحوار والمسرحيات الحوارية المكتوبة التي يخلقها له أديب غير ممثل ويخرجها مخرج يشرف على المسرح من بعد ولا يضع يديه فى العمل .

وإذا بقى المسرح على هذا الحال فلن يمر نصف قرن عليه حتى يكون قد استهلك كل امكانياته وملّه الناس ولم يعد أمامه إلا أن يفسح الطريق لفن جديد لا علاقة له به ، أو أن يسير فى الطريق الطبيعى الذى رسمناه له . وما زال علاج المسرح فى المسرح نفسه وفى الرجال الذين يعملون به

يوسف الخطاب

مجـــال العبقرية

للاستاذ محمد خليفة التونسى

مجال العبقرية هو السريرة الإنسانية حيث أرادت الإصلاح، ومتى أرادته ...

فهو المجال الذى منه تبزغ وفيـــه تعمل ، وعليه تعتمد فى الإصلاح ، وبه تناط معجزاتها الأدبية ، فالعبقرية حين تتصدى لإصلاح البشر إنما تعمد إلى تغيير سرائرهم فتتغير إحساسهم وتفكيرهم ونظرات بعضهم بعضا لبعض ، ونحو الحياة عامة ، والوجود بصورة أعم ، فإذا أفرغت العبقرية قواها فى السرائر الإنسانية التى تتصل بها غيرتها ، فتغيرت طوعا لذلك حياتها الاجتماعية وكل ما فيها من نظم .

وبهذا القياس وحده يقاس أثر العبقرية ، وعلى هذا النحو ينبغى أن يمتحن إعجازها الأدبى ، إذ أن مناط هذا الإعجاز ما فى العبقرية من قوة دافعة إذا مست السرائر الانسانية جاشت فيها بواعث الحياة وبواعث الواجب وبواعث الشعور وبواعث التفكير وكل ما ركب فى البنية الإنسانية من قوى الوعى والحركة .

ومن طلب الإعجاز من العبقرية فى غير هذا المجال فهو جاهل بمعنى الايجاز ، وممنى العبقرية ، وممنى الحياة الانسانية ، وحدود الطاقة البشرية ومكان الانسان فى الوجود . وهو كمن لا يبحث عن الماء إلا فى السراب ، فإذا لم يظفر به — وما هو بظافر — كفر بالماء والسراب جميعا . ولو تدبر الأمر لعرف أنه هو الذى دفع بنفسه فى مهاوى الضلال بسوء افتراضه ومنهجه وحكمه ، ولو فطن إلى أنه يكلف الأشياء ضد طباعها لما زاغ رأيه وما طغى .

ومن هنا يتبين الفرق بين منهاج العباقرة ومنهاج غيرهم فى إصلاح البشر .

فالعبقرى يلجأ أولا إلى إصلاح السرائر الانسانية ، فإذا صلحت صلح بصلاحها ما يشكو منه المجتمع من أدواء ، أو هان على الأقل إصلاح هذه الأدواء أو تخفيف وقعها على النفوس .

وغير العبقرى يلجأ إلى إصلاح ما يحيط بالناس ، ويحاول أن يوجد توازناً بين القوى المختلفة فى المجتمع حتى لا تثقل بعض جوانبه ويطيش بعضها فيتزعزع بنيانه وتنحل ضوابطه .

العبقرى يبدأ الاصلاح من الداخل فيندفع إلى الخارج ، وغير العبقرى يبدأ الإصلاح من الخارج ليحاول أن يجد له طريقا إلى الداخل وقد يصل إلى السريرة أو لا يصل .

ومن ثم كان إصلاح العبقرى أشبه بالطفرة المفاجئة، وإصلاح غيره أشبه بالدبيب الهادىء الوئيد وكأن المجتمع يخلق حيث نبغ العبقرى خلقا جديدا ، وكأنه على يد غيره يرمم ويقوم بعدة عمليات جراحية خفيفة بطيئة على التوالى طالما هو يحيا ، وطالما

بنيته محتاجة إلى هذه العمليات ، وقادرة على تحملها ، ثم يكتب له السلامة من أخطارها .

العبقرى دائما صاحب رسالة ، وعمله تبليغها إلى الناس ، وهو لا يبلغها حتى يكون مثلا حيا مجسدا ، وحتى يكون مثلا مغريا ليحمل الناس على التأسى به فيها ، وهو لن يغرى النـاس بتقليده والايمان به حتى تـكون شخصيته محببة جذابة ، وسيرته رضية وممثلة لرسالته ، فيجبرهم بجمال شخصيته وسيرته على الاعجاب به والاطمئنان إليه ، ثم التسليم برسالته؛ ولن يتاح ذلك ضرورة إلا بأن يصحبهم ويصحبوه .

فالصـلة الشخصية بين العبقرى ومن حوله هى الوصل الجيد السريع الذى تنتقل خلاله شخصيته بكل ما حفلت ، ومبادئه كأبسط وأظهر ما تـكون فى تسربها من سريرته إلى سرائرهم ، ولا صلة غير الصلة الشخصية التى تهيأ فيها الألفة ويتجمع الشتات وتعرض الأمور بسيطة بارزة قادرة على نقل صـورته ومبادئه — منه إليهم ، وبغيرها يتعذر أو يتعسر التأثير .

وهم لا ينتظرون منه آية على صدق رسالته وكرمها — سواء وعوا ذلك أم لم يعوه — إلا أن يكون هو مثلا محببا إلى نفوسهم فى تصويرها وتوضيحها لهم ، ولا آية تقنع المستعدين للاقتناع بصدق رسالته وكرمها إلا بجسدها فاتنة محببة لهم فى شخصـه وسيرته .

وعلى هـذا النحو الذى انتقلت به الرسالة من سريرته الى سرائر أصحابه تنتقل من سرائرهم إلى سرائر من وراءهم فى الزمان والمكان ، وبأشخاصهم وسيرتهم الممثلة لهذه الرسالة كما تظهر خلال صلاتهم الشخصية المباشرة بالناس يستحوذون على إعجابهم وثقتهم وإيمانهم، فالعملة التى يتعامل بها الناس فى حياتهم هى الأشخاص والأعمال الصالحة المنظورة التى تمثل المبادىء والأفكار الصالحة فى صورة حسية جذابة ، وليست هى المبادىء والأفكار المجردة مهما تـكن صالحة ، ومن هنا تظهر خطورة الصحبة التى تتسلط فيها شخصية على شخصية ، ولا سيما الشخصية العبقرية التى هى بحكم طبيعتها طاغية غامرة .

نعم ، ليست الصلة الشخصية بين العبقرى وغيره صلة ذهن بذهن ، ولا استمتاع عين بمنظر انسان عجيب، بل امتزاج تتسلط فيه شخصية مغناطيسية بكل ما فيها من قوى طاغية على شخصية قابلة الانجذاب إليها ، متفتحة لتقبل ما تفيض به عليها .

هنا فيض شخصية فى شخصية لا يسهل حصر حدوده ولا طرقه ، لا نقل معلومات من ذهن يملها إلى ذهن يجهلها ، يتم فيه تشبع الشخصية التابعة بالشخصية المتبوعة الى درجـة الامتلاء ، وذوبان عناصرها فيها حتى تستحيل شخصية أخرى تصدر عنها أفعالها وأقوالها كما يصدر العسل عن النحلة ، وتسير فى حياتها على هدى هـــذه الرسالة كأنها تهتدى بوحى غرائزها الفطرية دون تفـكير ولا تردد ولا اختيار .

فإذا تحدثت الشخصية التابعة سمعت منها حديث المنوم مغناطيسيا تحت تأثير منومه ، وتظهر كلماتها مطبوعة بطابع الرسالة التى تلقتها ، ولو لم يكن الموضوع الذى تتحدث به من الموضوعات التى تعرضت لها الرسالة ببيان . ومن الأمثلة التى توضح لنا ذلك أحاديث حواريى المسيح برسالته من بعده الى الناس ، وما كان هؤلاء الحواريون الا طائفة من صيادى السمك وأشباههم لا يزيدون فى ثقافتهم على العوام، ولـكنهم ثبتوا فى الجدل الكلامى لأساطين كهنة اليهود وأحبارهم الذين كانوا فقهوا حتى الفقه صفوة الثقافات الدينية والعلمية والفلسفية التى كانت معروفة فى عهدهم ، وانتصروا عليهم حتى فى تفسير الشريعة الموسوية التى هم كهنتها وأحبارها . وكانوا اذا خطبوا أو تحدثوا — وهم العوام — نطقوا بالبيان الساحر الذى يزلزل القلوب ويهز العقول فلا تملك حيال بلاغته العارمة ما يدفعها ، فإما أن تؤمن بها وإما أن تنحرف عن طريق سيلها الغامر .

وكانوا اذا تنبهوا إلى أن ما يقولون هو فوق مستوى أفقهم تعجبوا من أنفسهم ودهشوا كيف يأتون بمثله وهم العوام، وتأولوا ذلك بأنه من آثار تجلى الروح القدس عليهم وامتلائهم به . ونحن لا نملك إلا أن نعجب كما عجبوا وندهش كما دهشوا كيف يأتون بما أتوا به مما لا يحسن مثله فحول البلغاء الذين قضوا سنين عاكفين يتدربون على تجويد القول والتفنن فيه . هذا إلى ما يمتاز به كلام أولئك الحواريين من بساطة معجزة فى التفكير والتعبير .

ونحن أخيرا لا نملك إلا أن نسجل هذه الظاهرة ونصفها ، فإذا

حاولنا تعليلها « بعبقرية الإيمان » فى تلك السرائر التى « تشبعت وامتلأت وذابت عناصرها فى فيض عبقرية المسيح » لم يكن هذا التعليل بأقوى من تعليلهم هذه الظاهرة بتجلى الروح القدس عليهم وامتلاء نفوسهم به ، والمسألة لا تعدو حد الوصف .

ومن هذه الأمثلة ما نقل عن بعض صحابة النبى الأقربين من أقوال وأعمال وسير ، وفيهم التاجر الصغير والحداد والجزار وبارى النبال والعبد المسخر المستضعف ، فنحن نعجب كيف نهضوا بأعباء الفقه والحكم والنصيحة للخلفاء وغيرهم ورتق الفتوق التى انفتحت عليهم من أقطارها ، فشرعوا وحكموا ونصحوا وأصلحوا كأنهم ما يستطيعه.من قضوا أعمارهم فى دراسة الشرائع وسياسة الممالك والمشورة على الملوك والرعية ، والاحاطة بتواريخ الأمم والوسائل الناجعة التى عالج بها أبطال الساســـة المشكلات أيام السلام والهزاهز . ولقد بلغوا فى هذه الأمور حدا يندر أن يطاول حتى كثير من طائفة العبيد المسخرين المستضعفين فيهم قد كان لكل منهم مشاركة فى هذه العظمة يعز أن تظفر بمثله بين أبطال التاريخ فى أى مكان أو زمان خلال قرون .

ومن العجب المعجز أن تظفر بكل هؤلاء وبكثير منهم فى فترة واحدة على يد رجل واحد . فكيف استطاع محمد فى حقله الضيق فى سنوات معدودات أن ينبت هذه المئات من أشجار البطولة التى تنوعت سيقانها وفروعها وأوراقها وأزهارها وثمارها كأوسع ما يكون التنوع ، وهى تقوم فى تربة واحدة وتسقى بماء واحد . ولا يخفف من عجبنا شيئا أن هذا الرجل الذى تخرجوا به نبى ، وأن هذا النبى محمد ، ما لم نكن ممن يمشى أبصارهم تلألأ الكلمات فيقفون عند حدودها ولا ينفذون إلى العوالم الفساح المتراميات وراءها ، ولو فعلنا ذلك لم نعرف الدرس الأول الذى تعلمنا إياه صحبة العباقرة ، وهذا الدرس الأول الذى يمثل « أبجدية العبقرية » هو عدم الوقوف عند الكلمات التى تواضع عليها الناس ولو كانوا من الحكمة فى أرفع مكان .

ومن أهم ما يلفت النظر فيهم قولا وعملا وسيرة ظاهرة « الاجتهاد » مع أنهم متأثرون أقوى الأثر وأعمقه بشخصية النبى ومن العجيب أننا لا نجد تعليلا لهذه الظاهرة إلا ما نستدركه بعد ملاحظتنا هذه الظاهرة ، وهذا التعليل هو أنهم متأثرون أقوى الأثر وأعمقه بشخصية النبى ، فتحت هـذا التأثر القوى العميق يقولون ويعملون ويسيرون فى حياتهم كأنهم « أنبياء صغار » وكأن « الاجتهاد » الذى يصاحب « النبوة » الكبيرة « غريزة » من أقوى غرائزهم الفطرية غرزها فيهم النبى لتصاحبهم وتوجههم غريزيا ، وتلهمهم إلهاما مايقولون وما يعملون ومايسيرون كما ينبغى أن يكون القول والعمل والسيرة والشخصية « للنبى الصغير » فى غيبة « النبى الكريم » . فهم ينظرون إلى أنفسهم وما حولهم ومن حولهم نظرة فيها من الأصالة والاستقلال والحرية ما لا يتوفر إلا لعظماء « المجتهدين » .

وهؤلاء لا يظهرون كأنهم « أنبياء صغار » إلا عند مقابلتهم « بالنبى الكبير » وإلا فإنهم إلى جانب كثير غيره من المشهود لهم بالإلهام يظهرون كأنهم قمم لا تطاول .

إن الوجود بكل ما فيه ليبدو لهؤلاء — كما يبدو لكل عبقرى — طازجا غضا كأنه لم يخرج من يد الله الا فى اللحظة التى رآه فيها . إنه ليبدو فى عينيه وجودا « جديدا » لم يكشفه أحد من قبله ، ولم يبد فيـــه رأيه ، ولم يسم شيئا فيه باسمه . وآية ذلك أن وعيه لا يقف بداهة عند حد الأسماء التى سماه الناس وسموا محتوياته بها ، ولا يعترف بداهة بالمواضعات التى تواضعوا عليها فى معرفته ، ولا بالأحكام التى قضوا بها فى مشكلاته مهما يكن سداد هذه الأحكام ، ومهما تـكن قداستها ، فكل أمر تقع عليه عيناه قضية لم تحقق ، ولم يصدر عليها حكم ، ولا تزال تنتظر منه نظره وحكمه ، ولا بد أن يكون نظره فيها ثم حكمه عليها جديدا مستقلا أصيلا حرا جريئا لا يأبه كيف اعتبر الناس قبله هذا الأمر مهما كانوا من الحكمة والقداسة .

ومن بناء هؤلاء وتعودهم على النظر المستقل فيما هو من صميم المكلفين به نرى لهم نظرات أريبة أصيلة مستقلة حتى فيما جاوز عملهم ، كما نرى استغراق نشاطهم فى تأمل هـذا الوجود لا سيما البشرية ذاهلين عن مآربهم المعيشية؛ فهذا الوجود ولا سيما البشرية — وهو الذى تبدو مشكلاته لأبصار العاديين أمورا مفروغا منها — يبدو لأبصار هؤلاء كأن مشكلاته لم يتناول شىء منها بالدرس ، ولم يقل فى شىء منها كلمة واحدة ، بل لم يسم شىء

نفى العبث عن النحاة

فى التعجب

للاستاذ عبد الحميد عنتر

مهداة إلى من يعترف بالفضل لأهله

إنى لأعجب أشد العجب ممن يعمد إلى هدم البناء النافع المتين ، بدون أن يبنى على أنقاضه بناء نافعا أو أنفع منه او يطول عجبى أكثر إذا كان الهادم نفسه ممن تقدم بهذا البناء النافع ، واستفاد منه فى حياته أيما فائدة !

هذه قواعد النحو العربى — ومنها التعجب — تدرس وتبحث منذ ثلاثة عشر قرنا هجريا (من سنة ٦٧ — ١٣٦٩ هـ) وقد تلقاها العلماء بالقبول ، وجعلوها نبراسا يستشفون به أساليب القرآن ، وأحاديث الرسول، ومنثور العرب ومنظومهم، ويحكمونها فيما ينشأ من كلام المستعربين والمحدثين من النثر والنظم ، حفاظا على اللغة من أن تضيع ، أو تلعب بها الأهواء .

ألا تعجب معى أيها القارىء إذا أنى بعد ذلك من يرمى النحاة بالعبث والتضليل والتجهيل ، ويصف كلامهم بأنه غثاء أو هراء ، ويتهكم عليهم بأنواع الزراية والسخرية اللاذعة !

استمع إلى الأستاذ « كمال بسيونى » يقول فى عدد الرسالة (٨٨١) : فى الحق أن النحاة يكلفون أنفسهم شططا ، ويرهقونها عسرا حينما يريدون أن يملأوا كل شىء ، فلا ينتهى بهم التعليل والتحليل ، إلا إلى التجهيل والتضليل ، ولم أر النحاة ضلوا فى باب من أبواب النحو ضلالهم فى باب التعجب ، وأكون مقررا للواقع حين أقول : إن واحدا منهم لم يفهم من قريب أو بعيد صيغتى التعجب . إلى أن قال ... أو لأنك لم تؤت القريحة النفاذة التى تستطيع بها أن تستسيغ هذا الغثاء ، وأن تفهم هذا الهراء ، ثم أخذ يحلل الصيغتين بتحليل يزعم أنه من عنده ، وأنه بحث علمى جديد يحسن بالقائمين بأمر النحو فى مصر أن يتأروه ، وأنهم لو فعلوا ذلك لكان إيذانا بانبثاق فجر جديد لقواعد العربية . هذا كلامه . وأقول : لكى لا أشق على القارىء بالتطويل فى الرد أجمل الكلام فى النقاط الآتية :

قاعدة التعجب عند النحاة . فساد هذه التسمية فى نظر الكاتب والرد عليه الكاتب يأخذ رأيه من كلام النحاة ويزعم

منها باسمه . إن كل واحد منهم يبدو كأنه آدم الإنسان الأول الذى لم يشاهد الوجود إنسان قبله . وكأن قصته قصة آدم اللهم مع الملائكة على وصف القرآن الكريم « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العزيز الحكيم . قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم : إنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » .

إن كل عبقرى آدم ، وكل من انتفع فى جو عبقرى خلال صحبته حتى تشبع برسالته هو آدم .

نعم ، آدم « النبى الساذج الطازج » الذى « علمه الله أسماء الأشياء » ولم يتعلمها من أحد غيره ، وألهمه الله إياها ولم يدرسها حتى على « الملائكة » الذين خلقهم الله من نور ، وليس وكدهم فى حياتهم إلا تسبيح الله وتقديسه ، وليس بينهم وبين الاطلاع على شىء حجاب من الحجب التى تثقل آدم الذى خلقه الله من « طين » فغلبهم فى ميدانهم ، وعرف « الملائكة » أنهم لا يعلمون إلا ما علموا ، وأن خزائن الله « العزيز الحكيم » حافلة بالآيات التى لا علك أمامها المخلوقات ولو كانوا « ملائكة » إلا العجز والتسليم .

ومن هنا يظهر جانب من إعجاز العبقرية وتأثيرها فى السرائر الإنسانية المتفتحة لقبول الفيض الغامر الخالق من الشخصية العبقرية فى « صحبتها » المباشرة . كما يظهر هذا الجانب الاعجازى فى إنهاض البشرية ودفعها نحو الجمال والكمال عن طريق الصلات الشخصية المتوالية ، وخصوصا أن العبقريات بين البشر نادرة ، وذوات الرسالات الكبرى بين العبقريات أندر .

(جدة) محمد خليفة التونسى

أنه رأى جديد له ! حملته على شيوخ النحو فى مصر .

١ — قاعدة التعجب عند النحاة : يسلم الكاتب الفاضل أن القاعدة التى وضعها النحاة لما يسمونه التعجب سليمة لا غبار عليها ، وقد طبقت على جزئياتها القياسية المختلفة ، وعاد ذلك على اللغة بالخير الكثير ، ويسلم أيضا أن هذا هو المقصود من وضع القواعد ، وأعتقد أنه لم يخالف فى هذا أحد من النحاة القدامى أو المحدثين ، حتى من أهديت إليه هذه المقالة ، وهو الأستاذ الكبير إبراهيم بك مصطفى عميد كلية دار العلوم . ولكنه يصب جام غضبه المضرى على شىء واحد لا دخل له فى قواعد النحو فى قليل أو كثير . ذلك الشىء هو تحليلهم صيغتى التعجب وإعرابهما وتسمية هذا الباب بباب التعجب !

لنفرض جدلا أن النحاة أخطئوا أشنع الخطأ فى هذا التحليل وذلك الإعراب مع سلامة قاعدتهم التى بنوا عليها الأحكام النحوية . فهل هذا يستوجب من الكاتب هذه الغارة الشعواء وتلك الحملة المنكرة ؟! إنى أترك الجواب للقارىء المنصف .

٢ — إذا قلنا : ما أحسن العلم وأحسن به ، وما أقبح الجهل وأقبح به ، أو قلنا ما أجمل الورد وأجمل به ، وما أقبح الشر وأقبح به . فان الكاتب يزعم أن ليس فى هذه الصيغ تعجب البتة ، وإنما تفيد الكثرة والمبالغة ، ويدعي أن المعنى الأدبى لهذه الصيغ هكذا : العلم حسن جدا ، والجهل قبيح جدا ، والورد جميل جدا ، والشر قبيح جدا . وظاهر أن هذا ليس بتعجب . « فتسمية هذا الباب بباب التعجب تسمية غير سديدة » .

الرد — لم يوفق الأستاذ الكاتب لفهم معنى التعجب الذى يمنيه النحاة الأدباء — وكان النحاة فى أول عهد النحو علماء بقواعد العربية وباللغة والأدب — ومعناه عندهم كما قال ابن يعيش (ص ١٤٢ جـ ٧) معنى يحصل عند المتعجب عند مشاهدة ما يجهل سببه . وذلك المعنى كالدهش والحيرة » .

ونحن إذا حللنا الأمثلة التى منع الكاتب أن تكون للتعجب وجدنا فيها كلها هذا المعنى التعجبى الذى شرحه العلماء .

فمعنى (ما أحسن العلم وأحسن به) أتعجب من حسن العلم لخفاء السبب الذى به حسن .

ومعنى (ما أقبح الجهل وأقبح به) أتعجب من قبح الجهل، فقد غاب عنى السبب الذى من أجله قبح .

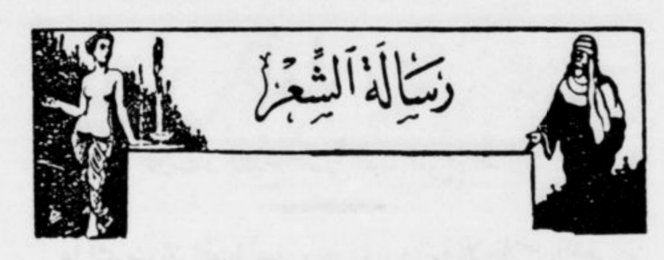
ويلزم هذا المعنى الذى شرحته معنى آخر وهو المدح فى المثال الثانى بطريق المبالغة ، ويقاس عليهما ما أجمل الورد ، وما أقبح الشر . فالمعنى التعجبى كما قلت أولا ، والصيغ بهذا المعنى أو بمعنى المدح والذم خبرية لفظا إنشائية معنى ، لأن التعجب والمدح والذم من وادى الإنشاء غير الطلبى ، كما تقرر فى علم المعانى . والمعنى اللازمى يفيد المبالغة فى المدح أو الذم أو غير ذلك بحسب مواد التعجب . مثل أن تقول : العلم حسن جدا ، والجهل فى غاية القبح ، والورد فى نهاية الجمال ، والشر قبيح جدا . فالمقصود الأصلى للعربى من صيغ التعجب هو الدلالة على التعجب ، ودلالتها على المبالغة فى المدح أو الذم أو غيرهما تابع للمقصود ، والذى قلته هنا قال مثله النحاة . ينظر الصبان على الأشمونى فى أول باب التعجب . وبذا تبين أن النحاة فهموا معنى التعجب تماما ، وأنهم لم يهملوا المعنى الذى يدعى الكاتب أنه من عنده ، وأنه لم يأت بجديد يتأثره القائمون بأمر النحو فى مصر :

بقى أن رأيه الجديد بأن معمول فعل التعجب المنصوب أو المجرور بالباء الزائدة فى نحو قولنا : ما أجمل الورد وأجمل به مسندا اليه هذا الرأى الجديد مأخوذ من شرح ابن يعيش على مفصل الزمخشرى (ص ١٤٨ جـ ٧) !! ولا أطيل بذكر النص لئلا يمل القارىء . فليرجع إليه إن شاء .

٣ — حملته على شيوخ النحو فى مصر :

عنى النحاة على طريقتهم فى البحث والتمحيص بفهم المعنى من صيغتى التعجب أولا ، ثم باعرابهما ثانيا .

ولا زلنا ندرس النحو على هذه الطريقة . وما الذى يضير إذا أعربنا (ما) بأنها تعجبية مبتدأ ، و (أجمل) بأنه فعل ماض ، وفيه ضمير مستكن وجوبا يعود على (ما) . والورد منصوب على التشبيه بالمفعول ، وقلنا فى إعراب (أجمل به) أجمل فعل ماض ، جاء على صورة الأمر للتعجب . والباء زائدة زيادتها فى « وكفى بالله شهيدا » وضمير الورد فاعل فى المعنى ، لأنه الموصوف بالجمال الزائد . ماذا يضير لو وجهنا هاتين الصيغتين بهذا التوجيه الإعرابى أو بغيره من التوجيهات التى ذكرها النحاة بدون أن نتعرض لأساس القاعدة ؟ اللهم إن انتقاد هذا الأمر الهين هروب



بين بغداد وباريس

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

أنا مالى أضعت حتى رشادى   أقليـل على هجر بلادى
يا بلادى التى أراها بعينى   منهلا سائغاً إلى الوراد
الثلاثون عشتها فى مغانيك   كطير فى مكمن الصياد
حاملا فى يدى جراح الليالى   وعلى منكبي عبء الجهاد
وعلى جبهتى الدماة تابوت   حيـاة وشـيكة الميعاد
متعباً أقطع الحياة غريباً   غربة الحق فى حمى الاضطهاد
الطريق المملوالشوك والصخر ،   ووقع السياط والأصفاد
والأفاعى تفح حولى ، وفوق   أحمر الحد ، خنجر الجلاد
أنا وحدى وليس لى من سمير   غير شعر به أذبت فؤادى
فاذا ما ظمئت فالدمع ربى   وإذا جعت فالأمانى زادى

الثلاثون ، بالتلهف والحرمان ضاعت ، وبالأسى والحداد
وهى صفو الشباب ، وريحانة العمر ، وعطر من الصبى المياد
أفليس الرحيل عن موطن الظلم   سبيلا يقود للاسعاد
شر مافى الديار أن يزهق الفكر   وأن تخنق القلوب الشوادى
ويذل الأحرار من مصلح فذ   ومن حامل سراج الرشاد
كى تظل الجموع محنية الظهر   لتمـلو مقاصر الأوغاد
وصلاح البلاد لا يتأتى   باضطهاد الكتاب والنقاد

يا لهول الفراق أى جحيم   أتلظى به وكيف ابترادى
قيل «باريس» قلت أشهى لروحى   باسقات النخيل فى «بغداد»
أين منى إذا وقفت على « السين »   وأرسلت نظرة لبلادى
وتذكرت « دجلة » وهى تنساب   كما انساب أرقم فى الوهاد
وعلى صدرها الزوارق تهفو   كنسيم هفا على الأوراد
والليالى القمراء ، والوتر الشادى ،   وأصداء قينة أوحادى

من العلم ، ورضى بالدعة وخمول القريحة .

ثم أمن أجل هذه التوجيهات السديدة تقوم القيامة ، وتشن الغارة على النحو والنحاة ؟!

وهاك أيها القارىء ما قال الكاتب المصلح بالنص . « أرأيت إلى أنى لم أكن مخطئا حين خفت عليك أن تضحك أو أن تقهقه حين تسمع هذا الكلام — استغفر الله — وكنت خليقا أن تحزن وأن تتألم حين تعلم أن شيوخ النحو فى مصر ما زالوا يلوكون هذه السخافات ، وما زالوا يخدعون الطلاب بهذا الدجل العلمى ، وما زالوا يفسدون العقول والأذواق ، ويميتون الملكات الأدبية فى نفوس الشباب ، وما أسرع ما ينخدع الشباب بهذا التخريف ! ويظن حين يملك هذه الألفاظ أنه قد فهم قواعد العربية . وهو لم يفهم إلا قواعد الجهل إن كان للجهل قواعد يتسنى للمرء أن يفهمها » أخشى أن أكون ثقلت على القارىء بإيراد هذه العبارات السمجة ، التى لو ألقيت على جبل لحولته إلى تل من القاذورات ! وإنى لأنزه قلمى أن يخوض فى مثل هـذه الحمأة المنتنة . ولعلى لا أكون مخطئا إذا اعتقدت أن هـذا الكلام لا يراد به خدمة العلم ، ولا تقويم المعوج ...

نعم — لو قال الكاتب : إن النحو بحاله الراهنة يفتقر إلى التهذيب : بحذف الخلافات التى لا طائل من ورائها ، والاقتصار على الصالح المثمر النافع ، ودعم القواعد بالإكثار من التطبيق ، وجعل المقام الأول للنصوص العربية التى تستبق منها القواعد ، لو قال ذلك أو مثله لدلل على اخلاصه للعلم وحبه للاطلاع ولكنا بما دعا إليه أول المؤمنين .

وبعد فليهدىء الكاتب المفضال أعصابه ، وليطمئن ، وليعلم بأن فى مصر الآن « نهضة نحوية مباركة » لكن لا على الوجه الذى يريده من الهدم والتشهير والتجريح ! بل على وجه التجديد المفيد الذى يجمع بين الجديد والقديم ، والذى يراعى فيه حال البيئات العلمية المختلفة : من أولية ، وابتدائية ، وثانوية وعالية

وهذه النهضة يحمل لواءها الآن كلية اللغة العربية بالأزهر وكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول ، وكليتا الآداب بالجامعتين هذه عجالة عابرة . « وإن عدتم عدنا » .

عبد الحميد عنتر
الأستاذ بكلية اللغة العربية

والفراشات . والربيع إذا نم — على عرسه — المزار الشادى
والرياض الفيناء ، والأفق الطاق ، وصحو السماء بعد رقاد
واخضرار الغصون بعد ذبول وانطلاق الطيوب من كل واد
ووميض البروق فى الليلة الدهماء ، والسكون صاخب الأرعاد
وبكاء الشتاء بالمدمع المسفوح ، والنهر هائج الأزباد
وافترار الظلام عن بسمة النور على ثغر كوكب وقاد
واحتضار الشعاع ، والشفق الحائر فى موكب الغروب الهادى
ورنين الكئوس فى مجلس الشرب على نخب فتية امجاد
والقوام المشوق من كل حسناء تصون الجمال بالأبراد
وهى تختال « بالعباءة » — كالغصن — دلالا فى خطوها المتهادى
واحنينى لسمرة الجسد الرخص وإن لف سحره فى سواد
وإلى تلكم الوجوه الحبيبات ، وإن برقعت ، فهن مرادى

أين منى إذا نزحت عن الدار وحال المباب دون المعاد
وتلفت سائلا عن نجى أشتكى غربتى له وبعادى
وتذكرت جانب « الكرخ » و« الجسر » وسحر الحديث من « شهرزاد »
وليالى « أبى نواس » إذ الصيف فتون لمجتلى الرواد[1]
صور سمحة الخيال أثارت ذكرياتى ورققت أنشادى
نشرت كالشراع أطياف أحلامى وأخفت فى لجها آبادى
لم أزل بلبلا يغرد للحب على شرفة الغمام وسادى

يا « هنائى » وما أزال مشوقا والهوى مالك على قيادى
أنا لولاك ما تغرب ركبى عن بلادى ولا هجرت مهادى
وهى محراب صبوتى ، إذ سقتنى عاطفات الهوى من الميلاد

لا تقولى نعمت ، يومى مناحات ، وليلى طويله فى سهاد
أنت عندى النعيم ، والأمل البكر ، وسلواى من هموى الشداد
بعدك العيد كالدجى مدلهم وبلقياك تزدهى أعيادى
فالكآبات طوقتنى فآلت جرانى من الأسى لرماد
فيبكنى رعشة ، ويعيينى أبتهال السقيم للعواد
ويجنى آهة خنقتها غائلات من الزمان المعادى

يا فؤادى حملت عبئا ثقيلا مذ تذوقت حبها يا فؤادى
فتصبر إلى غد سوف تلقا ها ، « بباريس » جنة المرتاد
وتنعم وهل تلذ حياة لمحب دامى الحشاشة صادى ؟

باريس — الحى اللاتينى عبد القادر رشيد الناصرى

(١) شارع أبى نواس ببغداد يقع على شاطىء دجلة وهو نزهة الرواد فى ليالى الصيف . وفى البيت يتشوق الشاعر لمرآه .

أماه !!

للأستاذ الشيخ حسن عبد العزيز الدالى

عليك رضوان الله يا أصل وجودى، وبقية الاخلاص المحض من آبائى وجدودى. يا من رأيت النور فى ظلام حملها وأنا جنين ، وذقت شهد الحياة من ثديها وأنا رضيع ، وأحسست دفء الحنان على صدرها وأنا صبى ، ورشفت معسول الأمانى من ثغرها وأنا يافع ، ونقلت حرارة الايمان من قلبها وأنا شاب ، واقتبست نور الهدى من عقلها وأنا رجل . الآن غاض الحنان ، وذوت الأمانى ، وخشن المضجع ، واكتأب الوجود ، وتكدر الاخلاص ، وكذب الدليل . نعم كل ذلك زال وا أسفاه يا أماه حين لفظت أنفاسك الأخيرة فى الهزيع الأخير من الليل وأنا بجوارك ملتاع القلب مسعور الحشا وقد سقطت دموعى على جبينك الناصع فمسحتها بشفتى ، وكانت هى قبلة الوداع الذى لا لقاء بعده يا أماه !

لقد شيعنا إلى عالم البقاء جثمانك الطاهر فى عصر يوم الاثنين الثامن من شهر مايو ، وفى هذا الشهر يورق الشجر السليب ؛ وتتيقظ البراعم الغافية ، وتصدح الأطيار الصامتة ، ولكن الأقدار واحسرتاه قد عودتنى فى هذا الشهر من كل عام أن أكون غرضا لرسيات قاتلة وصدمات جبارة وآلام قاسية .

فنى مايو مات أبى ، وفى مايو مانت زوجتى ، وفى مايو ماتت أختى ، وفى مايو كذلك تموتين يا أماه ! فتتجدد فى هذا الشهر المشئوم لواعج نفسى ، ومصائب يومى وأمسى .

كما يكون اليتم للصغير حين يفقد أمه وهو مبتدىء ، يكون اليتم للكبير حين يفقد أمه وهو منتهى ؛ لأن الطفل لا يجد من يسدد خطاه الأولى غير أمه ؛ ولأن الرجل بعد تجارب السنين لا يجد من يسند خطاه الأخيرة مثل أمه . وقول الناس إن العز بعد الوالدين قليل ، يصدق على كل شخص فى كل سن وفى كل طبقة ؛ لأن القوة الروحية التى تمسك الانسان فى عرك الخطوب واضطراب الأمور ، إنما تنبع من معين الايمان والحب ، ولن يوجد الايمان كاملا شاملا إلا فى الدين ، ولن يوجد الحب صادقا خالصا إلا عند الوالدين . فاذا غاض الحب غاض الايمان، وإذا ذهب الوالدان بقى الله !

كفر دميرة القديم حسن عبد العزيز الدالى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

اليونسكو والسياسة

اليونسكو هيئة ثقافية دولية ، أنشئت للتقريب بين أمم العالم فى أهداف العلم والثقافة وتكوين عقلية إنسانية جديدة غير صالحة لبذور الشقاق والنزاع والمنافسة على السيطرة ، ولكن مما يؤسف له أن اجتماعاتها ومؤتمراتها تسودها دائما الاعتبارات السياسية وهذا أمر طبيعى — على رغم الأهداف الموضوعة — ما دامت تتكون من مندوبين ووفود رسمية تمثل حكومات العالم التى عرف الجميع اختلافاتها وتعارض أغراضها . فلو فرضنا أن هؤلاء المندوبين جميعا من ذوى الثقافة وأهل الفكر فلا ينبغى أن نغفل عن تقيدهم بآراء حكوماتهم وما تمليه عليهم من الخطط السياسية .

هذا هو مؤتمرها المنعقد الآن فى فلورنسا ، يبدأ بالنظر فى اقتراح وفدى تشيكسلوفاكيا والمجر الذى يتضمن عدم الاعتراف بوفد الصين الوطنية ، وقد هدد الوفدان بالانسحاب إذا لم يستبعد وفد الصين . والمؤتمر ينظر أيضا فى اقتراح آخر لتشيكسلوفاكيا يقضى باعتبار الدولة التى تسبق غيرها فى استخدام القنبلة الذرية « مجرمة حرب » ويطالب وضع هذا السلاح تحت الرقابة الدولية وأن يتعاون الجميع للدفاع عن السلام .

وقد وقف مندوبو الدول العربية من الاقتراح الأول موقفا يتفق مع أغراض اليونسكو ، إذ رأوا أن ليس من اختصاصها أن تهتم بالمسائل السياسية وأنه يكفى التحقق من صحة أوراق اعتماد الوفود المختلفة . وعقب الدكتور طه حسين بك رئيس وفد مصر على الاقتراح الثانى بقوله : ربما كنت من الذين يؤمنون بالخرافات فأنا لا أحب أن أستمع إلى الحديث عن الحرب وعن السلام ، وأوثر عليه الحديث عن العلم والثقافة وأود ألا نستخدم كلمتى الحرب والسلام ، إذ أخشى أن تؤدى كثرة الحديث عن السلام إلى تنفير السلام منا .

ولكن يظهر أننا — أيضا — لم نسلم من إقحام السياسة فى أعمال اليونسكو ، فقد امتنع وفد مصر عن الاقتراع على قبول الأردن عضوا فى هيئة اليونسكو ، بناء على تعليمات تلقاها الوفد من القاهرة ، ولا أريد أعترض على أن يجرى وفد مصر وفق هذا التيار العالمى ، بل أقول بوجوب ذلك ، لأنه من العبث أن نلتزم المثالية بين هؤلاء الذين يلعبون على المسرح العالمى بالبيضة والحجر ، كما تقول فى أمثالنا ... وإنما مسألة «وفد الأردن» مسألة أخرى بينها رئيس الوفد اللبنانى فى المؤتمر بقوله : ان ماحدث فى صفوف الجامعة العربية لا يعدو أن يكون خلافا مؤقتا ، اذ ليس فى حياة الشعوب ما له صفة الدوام ، وليس فى وسع العرب أن يضحوا باستبعاد دولة عربية جديدة عن اليونسكو بسبب خلافات فى نطاق جامعة الدول العربية .

وهناك مسائل أخرى نظرت فيها اليونسكو ، وهى أيضا ذات صبغة سياسية ، ولم تتضمن الأنباء الواردة من اجتماعات المؤتمر إلى الآن ، أنه بحث موضوعا ثقافيا أو تعليميا مما يتصل بأغراضه الأساسية ، ويدل هذا كما تدل دورات المؤتمر السابقة على أن هذه الهيئة ميؤوس من وصولها إلى غاياتها التى لم تقطع إليها خطوة جدية إلى الآن . وأنا مقتنع بفائدة اشتراكنا فيه على أنه مظهر ودعاية ، فنحن نمد تقارير وبيانات عن جهود مصر فى التعليم ونشر الثقافة والتعاون العلمى لتلقى هناك ، وفى هذا العام ظفرنا بموقف الدكتور طه حسين بك فى المؤتمر وخطاباته التى أعجب بها مندوبو الدول الذين هنأوه واعتبروا من حسن حظهم أن استمعوا إليه . هذا كله مظهر عظيم يشرف مصر ويرفع رأسها . وهو حسبنا من المشاركة فى هذه « المهيصة » العالمية ...

وعلى ذلك يجب ألا نأخذ الأمر جدا كله ، وأن نفهم أن ادعاء الأهداف الإنسانية الموحدة كلام فارغ . لأنه على الأقل ادعاء ممن يعملون على خلافه ، على أنه يجب أن نكون آخر من يعمل لهذه الأهداف إزاء الدول الكبيرة الطامعة فينا ، وليحاربوا عوامل

الحرب فى نفوسهم أولا ، وسيجدوننا بعد ذلك كما نحن الآن وادعين مسالمين.

الأعماق

هذه مجموعة قصصية للاستاذ عبد الرحمن الخميسى اسمها « الأعماق » ، وكلها قصص ، حتى المقدمة التى تحدث فيها عن كاتب قصصى ، هو هو ، صوره لنا يقطع الليل كله مكبا على كتابة قصة لم يبق منها غير ما يحتاج إلى جولة نفسية واحدة يستحضر فيها حالة شعورية لبطل القصة ويقسم نفسه قسمين ، قسما يعيش عيشة البطل ويحس إحساسه وينفعل انفعاله ، والقسم الثانى يراقب الأول ويعبر عنه . وفى هذه الفترة التى يتلبث فيها ليجمع طاقته . يناجى نفسه ويستحضر الأحداث الكبيرة التى أثرت فى حياته ، وهى أحداث ثلاثة صهرته فى بوتقة الألم . وإذا نحن نخرج من ذلك بقصة حياة الكاتب نفسه ، وطريقته فى كتابة القصة ، التى تتمثل فى كلمتين « التجريد » و « الاندماج » وهى طريقة كل فنان مخلص يصدر عن طبع أصيل .

وشخصية الأستاذ عبد الرحمن تظهر فى هذه القصص ، كما

كشكول الأسبوع

□ ينعقد المؤتمر الثقافى العربى الثانى بالأسكندرية يوم ٢٢ أغسطس القادم . وسيناقش اتجاهات التربية فى وزارة معارف كل قطر عربى ، كما يتناول بالنظر سياسة التوسع في التعليم الثانوى والعالى وإعداد الطلبة لمواجهة الحياة العملية .

□ أوفدت جامعة الدول العربية الدكتور حسين مؤنس إلى فلورنسا لتمثيلها فى مؤتمر اليونسكو ، والدكتور هو كاتب مقال « أهل الهوى » الذى أشرنا اليه فى الأسبوع الماضى ، فكيف يتفق هذا الاختيار مع عذل المصريين على تمسكهم بالوحدة العربية ؟!

□ سأل مراسل « أخبار اليوم سمو الأميرة فائقة ، وهى بمدريد فى طريقها إلى مصر : وماهى أخبار أشعارك ؟ قالت : ألا تزالون تذكرون أشعارى ؟ إننى ما زلت أنظم الشعر وأرجو أن أستطيع قريبا نشر بعضه . ولا شك أننا نود الاطلاع على شعر أميرة الشاعرات ، ونرجو أن ينشر قريبا كما قالت سموها .

□ أعدت لجنة الادب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية مسابقة سنة ١٩٥١ — ٥٢ لتشجيع الانتاج الأدبى فى الشعر والقصة والبحوث وإحياء الآثار الأدبية . وستعلن شروط المسابقة فى أول أكتوبر القادم .

□ كان المتوقع أن يكتب الأستاذ محمد عبد الغنى حسنى عن كتاب الدكتور الأهواني الأخير ، مقالا واحدا كالمعتاد ولكنه كتب عنه مقالين أحدهما فى « الثقافة » والآخر فى « الرسالة » وذلك خلاف ما قد يستجد فى مجلة « الكتاب » وقد عرفنا مما كتبه الصديقان تعقيبا على ملاحظتنا السابقة أن المسألة فى نظر الأهوانى صداقة .. وفى نظر عبد الغنى نقد متقارض .. وأنا أسجل ولم أعلل .

□ كان الشاعر التركى ناظم حكمت ، قد اتهم بالترويج للشيوعية فى شعره ، فحكم عليه بالسجن ٢٨ سنة قضى نصفها الآن وقد اعتل وأصبح فى حالة سيئة . وقد تأثرت الهيئات الأدبية والعلمية فى تركيا وفى خارجها لما وصلت إليه حال الشاعر ، فبذلت مساعي للافراج عنه دون جدوى ، وكان الشاعر قد أضرب عن الطعام ، ولكنه عدل أخيرا عن هذا الاضراب بعد ظهور نتيجة الانتخابات التركية الأخيرة التى فاز فيها الحزب الديمقراطى بالكثرة المطلقة ، أملا فى أن يستجيب رجال الحكم من هذا الحزب لدواعى الانسانية والرحمة فيفرجوا عنه .

□ اتفق الرأى على إنشاء مكتبة مصرية عامة فى الخرطوم يتردد عليها الجمهور هناك للمطالعة ، على أن تقام فى مبنى إدارة الخبير الاقتصادى . ومما يذكر بهذه المناسبة أن العاصمة السودانية ليس بها مكتبة عامة

أجملها ولأن « قصة المقدمة » أعنى بذلك ظهور حيواته الشخصية فى الحديث عن أبطال القصة ، فهذا وإن كان موجودا فى بعض القصص إلا أن الأهم منه هو نظرته إلى الأمور وإلى الأشخاص وطريقة انفعاله وتفكيره وتصويره . هو كاتب صادق يستمد وجدانا أنضجته نيران الألم التى تحولت فى القصص إلى نور يشع فيها هادئا فى قلق ، ترى هدوءه فى التحليل ، وقلقه فى مشاركة الأبطال آلامهم ، تلك المشاركة التى تعدى القارىء فتنقله إلى الجو . وهو فى قصصه ، كما عرفناه فى حياته ، دقيق الاحساس مستوفز الشعور ومع ذلك له قدرة على ضبط احساساته ومشاعره وتوجيهها ، فهو فوار وهادىء .. ولذلك تراه يسيطر على جو القصة منسابا إلى الدخائل والدقائق حتى يبلغ بك ما يريد وينقل إليك انفعاله دون حماس أو جلبة ، وإذا أنت قد وصلت معه فى طريق لاغبار فيه ولا ترام ولا سيارات ...

والمؤلف يتخذ موضوعاته وأشخاصه من واقع الحياة التى اضطرب فيها ، ويستطيع من يعرفه فى الحياة أن يلمح شخصيته فى بعض القصص كقصة « آه يا أسمر اللون »

حياة فى القصة ، ويدفعه ذلك أحيانا إلى افتعال الخواتم التى تفسد المرض الجيل ، فقد جعل « دهب » تحلم حلما تتحرك فيه وتصمد الى حاجز الشرفة لينهى القصة بسقوطها مهشمة فى الطريق ... وكذلك فعل فى قصة « الأبله يحب » اذ جعل البطل يندفع الى الشرفة ويسقط منها الى الأرض كأنه حصان يقفز فوق الحواجز فى سباق

وأنا أراه فى هذه القصص التى يعتد فيها ظله يعطف على نفسه بعض الشىء ، وأراه أكثر صدقا فى غير ذلك ، لقدرته على الاندماج ، ففيه طبيعة الممثل التى اتخذت الكتابة أداة للتعبير ، ويبلغ اندماجه أقصاه وأروعه فى قصتى « دهب بنت عبد الباسط » و « الحنة يا الحنة » فقد اتبع فيهما طريقة المناجاة أو حديث النفس ، فجعلنا نسمع كلا من « دهب » و « حسنية » تفكر فى صوت مسموع يروى لنا ما يقع لها ، وهاتان القصتان من قصص المجموعة التى تبين اتجاه الكاتب إلى « القطع » الآدمية المهدرة فى حياتنا الواقعة ، وقد بلغ قمة الانسيانية فى قصة « دهب بنت عبد الباسط » وقد يكون حكمى عليها مشوبا بمشاركتى الوجدانية فى حادثتها التى تتكرر أمام أعيننا كثيرا فى صورة هؤلاء البنات الصغيرات اللائى يجلبن من القرى للخدمة فى البيوت بالمدن ، ففى القصة بنات ينتزع عن أبوهن أطفالا من حضن أمهن ليوزعن على سادته من (البكوات) كما توزع أجراء الكلابة على الأصدقاء والمعارف . ويبدو لى أن الكاتب حريص على أن يصور حياة كاملة أو جزءا كاملا من وافتعال الخواتم هذا ، لا يتفق مع الواقعية التى يسير الأستاذ الخميسى على منهجها الواضح ، والواقعية هى أظهر خصائص هذه القصص ، وهى واقعية يضيف إليها الكاتب من ذاته ما يرفعها عن مجرد الملاحظة والتدوين ، فهى واقعية قيمة تستحق الغيرة عليها مما يمسها ، وقد رأيت هذا المساس – فيما عدا تلك الخواتم – فى بعض القصص ، ففى قصة « رسالة المنتحرة » طالبة فى الجامعة يسكن أهلها « زقاقا » قذرا فى القاهرة ، وأبوها وأخوها من العمال ، ولم يوضح لنا الظروف التى جعلتها المتعلمة الجامعية الوحيدة فى هذه البيئة الجاهلة التى تؤثر تعليم البنين على البنات ، وقد علمنا أن أخاها عاملا فظا غليظ الكف ، فكيف

□ كتب الاستاذ راشد رستم الخبير الفنى بالاذاعة ورئيس القسم الأوربى بها ، تقريرا وافيا عن أغراض الاذاعة وما يجب لاصلاحها وجعلها أداة نافعة . وتدل المعلومات والبيانات التى أتى بها مع التقرير عن البرنامج الأوربى على النقلة الكبيرة التى تمت فى هذا البرنامج على يدى الأستاذ راشد رستم ، فقد أصبح أداة تعريف بمصر وابراز لجهودها فى النواحى المختلفة ، بعد أن كان مجرد تسلية للاجانب .

□ جاءت أنباء من تونس عن إضراب طلبة جامع الزيتونة وتضامن المدرسين معهم ، احتجاجا على إهمال التعليم وتركه عقيما متأخرا ، ويقولون إن الخطة الاستعمارية ترمى إلى بقاء حالة التعليم فى جامع الزيتونة على ما هى عليه من التأخر .

□ وضع ممثلو البلاد العربية فى كراتشى – بناء على رغبة وزارة المعارف الباكستانية – مذكرة ضمنوها ما يرونه من الوسائل التى يتطلبها نشر اللغة العربية بين الشعب الباكستانى ، وتتلخص هذه الوسائل فى إنشاء معهد عربى تدرس فيه اللغة والعلوم الاسلامية ، وفتح فصول ليلية فى المدارس لتعليم العربية ، وإنشاء مجلس ثقافى عربى لنشر الثقافة العربية ، وإمداد المكتبات بالكتب العربية ، ومطالبة دور النشر فى البلاد العربية بافتتاح فروع لها فى الباكستان .

□ قدمت إلى مصر من سويسرا بعثة من « جماعة التسلح الخلقى » لتعمل على نشر أغراضها التى تقوم على أساس إنكار الذات فى سبيل إصلاح المجتمع . ولا شك أن مصر من أحوج البلاد إلى ذلك .

□ وافقت وزارة المعارف على تقرير طائفة من الكتب للمطالعة الاضافية التى تدرس فى أثناء العام الدراسى بالمدارس الثانوية ، وللمسابقة التى سيمتحن فيها التلاميذ بعد انتهاء العطلة الصيفية القادمة ، لنيل الجوائز المالية المقررة ، وهى كما يلى :

للسنة الأولى كتاب شجرة الدر للدراسة ورحلة الربيع للمسابقة ، وللسنة الثانية كتاب ابن جبير فى مصر والحجاز للدراسة وكريم الدين البغدادى للمسابقة ، وللسنة الثالثة كتاب الوعد الحق للدراسة والشاعر الطموح للمسابقة ، وللسنة الرابعة (بنات) حواء الخالدة للدراسة وفى سبيل التاج للمسابقة ، وللرابعة (بنين) كتاب المنتخبات للمسابقة وللسنة الخامسة (بنات) كتاب المختار الجزء الأول للمسابقة.



كتاب الرافعي في البلاغة

إن « معركة القزويني » البلاغية التي يروى نبأها الصديق المحقق عباس خضر ، قد فتحت أمامنا آفاقا من التفكير ، فنحن نريد أن ندرس علم البلاغة في عصر الذرة دراسة تختلف عن دراسات القزويني وأبي هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني وأبي حيان التوحيدي وغيرهم من أولئك الأعلام الذين أحسنوا إلينا مدى الأجيال ونسينا ذكراهم على الأيام .

على أن « معركة القزويني » صرفت تفكيري إلى أستاذ البلاغة السيد مصطفى صادق الرافعي، فقد حرص — عليه رضوان الله — أن يبين أن له رأيا في البلاغة سبق به المتقدمين، إذ يقول في كتاب « إعجاز القرآن » : (نسأل الله تعالى أن يوفقنا لطبع الكتاب الذي نكمل به كتابنا هذا فنبسط فيه من أسرار الآي وإعجازها ما تطلع به الشمس لمن أبصر ولمن عمى فيحسها) — ص ٨٢ .

وقال رحمه الله في كتاب وحي القلم « لنا كلام طويل في فلسفة الأسلوب البياني سنذكره إن شاء الله في كتابنا الجديد (أسرار الإعجاز) » — ص ٢٨٤ ج ٣

ولما تناول الكاتب المحقق الأستاذ محمد سعيد العريان حياة الرافعي تحدث عن كتاب الرافعي المجهول في شيء من التفصيل، وإلى القارىء بعض ما أورده الأستاذ سعيد العريان في وصف هذا الكتاب :

« ا — يتحدث — يعني الرافعي — في صدر الكتاب عن البلاغة العربية فيردها إلى أصول غير الأصول التي اصطلح عليها علماؤها منذ كانت ، ويضع لها قواعد جديدة وأصولا أخرى.

« ب — ويتحدث في الفصل الثاني عن بلاغة القرآن وأسرار إعجازه ، مسترشداً في ذلك بما قدم في الفصل السابق من قواعد .

وصلت هي إلى العاصمة وقعد أخوها يرفع في جهله « بالزقاق» ؟ وفي هذه القصة تصوير رائع لأخلاق النسوة في هذه البيئة.

وفي قصة « آه يا أسمر اللون » يرافق البطل المغنية بعد انتهاء الحفلة إلى المنزل الذي تنام فيه. وقد رأيناه في الحفلة مرتبطا بجماعة من رفاقه ، فكيف تركوه يذهب معها ؟ ومن حيث إن الحادثة في قرية كيف يحدث ذلك دون أن يلفت الأنظار؟ ويشبه هذا موقفه في قصة « الموتى يتحكمون في الاحياء » من الفتاة القروية التي منحها البطل جنيها لتأتي إليه طائعة ، ويحبها وتحبه ويفكر في زواجها ، ليس هذا التصوير وملابسه مما يتفق مع طبائع القرويين ، وفي هذه القصة يخبر أبو البطل بأمور غيبية. ولم يفسر الكاتب هذا أي تفسير ، بل جعلها « كرامات » مسلمة! وأمعن في ذلك فجعل البطل المتعلم يتقيد بها!

وفي ختام قصة « من يوميات الرجل الذئب » يقول إنه وجد هذه اليوميات في كراسة تحتوي اعترافات الرجل الذئب ، ثم يقول بعد ذلك مباشرة إن بطل اليوميات إنسان عرفه الكاتب واستخلص نموذجه النفسي ، وليس من إحكام السبك أن يجمع بين هذين الأمرين : العثور على الاعترافات في كراسة ، واستخلاص النموذج النفسي الذي لا يكون إلا بكتابة هذه الاعترافات .

وفي قصة « اللحن الأخير » قدم موسيقيا يعزف قصة حبه أمام حبيبته في تسلسل أخاذ ، وهو يرسم في القصة مثلا للموسيقي المعبرة ذات الموضوع ، ولكنه لجأ أخيرا إلى طريقته في افتعال الخاتمة، فجعل البطل يموت وهو يطلق آخر نغمة من كمانه وحبيبته تلحق به جثة هامدة في مكانها .. وأنا لا أحب للصديق الكريم أن يدأب على قتل أبطاله في آخر القصص ، فهذا غير لائق بفنان متزن مثله ؛ وخير له وللفن الواقعي وللأبطال أنفسهم ، أن يدعهم أحياء ، فلا يضحي بهم في سبيل « الفرقعة » بآخر القصة

عباس خضر

« ج — ويتناول فى الفصل الأخير من الكتاب آيات من القرآن على أسلوب من التفسير يبين سر إعجازها فى اللفظ والمعنى والفكرة العامة ، ويعتبر هذا الفصل الأخير هو صلب الكتاب وأساسه . وقد أتم الكتابة — إلى آخر يوم كنت معه — عن بضع وثمانين آية على هذا النسق » — راجع ص ٣٨٩ من « حياة الرافعى » .

ثم يقول الأستاذ سعيد فى موضع آخر من كتابه الفريد « نحسن الظن كثيرا إذا زعمنا أن هذا الكتاب — كتاب الرافعى الذى لم يطبع بعد — الفريد فى موضوعه وفى تأليفه سيلقى من عناية أدباء العربية ما يحملهم على محاولة طبعه فى يوم قريب ... » — ص ١٧٣ من كتاب حياة الرافعى .

وقد انطوى اليوم على موت الرافعى أكثر من ثلاثة عشر عاما وكتابه فى البلاغة لم ير النور ، وأكبر الظن أن أدباء العربية ما برحوا يرجون أن يقوم عنهم بواجب إخراجه صاحب « حياة الرافعى » وإلا فما هذا التباطؤ ؟

إن الذى يقف على طبع كتاب الرافعى لا يخدم ذكرى هذا الرجل العظيم بقدر ما يخدم البلاغة العربية ويضع حداً لهذه المعركة الأدبية الناشبة حول البلاغة العربية فى أزهى عصورها .

ولا مشاحة فى أن للاستاذ سعيد العريان من أشاغيله فى الوقت الراهن ما يصرفه عن طبع هذا الكتاب ، وقد فعل الرجل أكثر مما يجب نحو ذكرى عالم معاصر ، ومن ثم فإننا نرجو أن يقدم أبناء الرافعى — حفظهم الله — بشىء لا يخدم ذكرى والدهم فحسب ، وإنما يحفظ لبلاغة العرب رونقها ، فإن عجزوا دون طبع هذا الكتاب ، وأكبر الظن أنهم سوف يعجزون ، فإننا نتوجه إلى الوزير الأديب العالم معالى الدكتور طه حسين بك وقد عاد من سفره ميمون النقيبة مبارك الغدوة والروحة ، نتقدم إليه أن يطبع هذا الكتاب على نفقة وزارة المعارف حتى يتم به النفع وتتم الفائدة المرجوة إن شاء الله .

منصور جاب الله

من رسائل الرافعى — التضمين ليس سماعيا

طنطا فى ٢٧ مايو سنة ١٩٣٠

يا أبا رية

كلمة الشيخ : العليم ماعلمك ما أنت ممن معك . استعمل ما لأنها الأوسع فى الدلالة إذ لو قال من لانحصر الامر فى الشخصية، فكأنه يقول ما علمك شخصك فى الاشخاص الذين معك ، أى من انت منهم إن كنت دونهم أو مساويهم أو أعلى الخ وهذا تحديد ناقص للعلم ، ولكنه حين يقول : ماعلمك ما أنت منهم فقد اراه ماهيته وحقيقته وشخصيته وموضعه وكل مايتعلق به باعتباره قطعة من الوجود ، فيكون بذلك دارسا كل حقيقة من سياسية وأدبية وعلمية ومالية الخ ، وهذاهو العلم فى اوسع وادق معانيه على اعتبار أنه دراسة لنواميس الوجود فى تلك القطعة من الوجود التى عبر عنها الشيخ بما ...

واليك اجوبة خرفشتك العجيبة ! فان مثل (أوراق الورد) لو اتفق فيه عشرون غلطة نحوية ولغوية لاتقبل التأويل فان ذلك لا يؤثر فيه لأن صفحة واحدة من هذه المعانى هى ذخيرة للغة العربية

الأفعال تضمن بعضها معانى بعض، فاذا ضمن فعل معنى فعل آخر استعمل استعماله فيتعدى بعن أو على الخ - فتمتاز على الشمس - أى تفضل - وانى أستعمل التضمين كثيراً وأنمده، لأنه يجمع بلاغتين. وكان صادق عنبر كلمنى فى ذلك وقال : إن التضمين سماعى فقلت له ، إن الشواهد الموجودة منه تعد بالألوف .

---

(١) كنت قرأت نص هذه العبارة فى أحد الكتب منسوبة إلى الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله قبل أن أقرأها فى تاريخه فسألت شيخنا الرافعى رحمه الله عن سر استعمال هذا الحكيم البليغ (ما) وعدوله عن استعمال (من) وكذلك سألته عن بعض اغلاط نحوية ولغوية عثرت عليها فى كتاب اوراق الورد ولم يكن ذلك عن نقد وانما لابعث فيه الهمة والنشاط كما عرفت فى عادته

وبذلك يخرج عن أن يكون سماعيا ويجوز لنا استعماله للتوسع في اللغــة

ومجيء الواو بعد إلا وارد في القرآن ، فليس هناك أفصح وفصيح إلا في الاسلوب ، فإن كانت الواو تجمل العبارة أجملوضعت وإن كان حذفها حذفت؛ ولذلك تراني استعملها على الوجهين فمرة أثبتها ومرة احذفها .

ولفظة (المادية) صحيحة لأنها منسوبة إلى المادة وهي هنا فقط. وقد تنبهت لها عند كتابتها وحذفتها في مواضع أخرى واستعملت مكانها الفاظا غيرها؛ ولكني رأيتها طريفة في عبارة القطامة البشرية المادية فتركتها ، لأن الغرض تحقير القطمة واعتبارها غير ذات شأن (1) إذ كانت مما تجري به المادة فليس فيها ما تنفرد به أو تقع موقعاً غريباً ، ومع ذلك تنقلب (خارقة للمادة)فخرقها للمادة يقتضي ذلك التعبير. (واكتشف) صحيحة وأنا استعملها كثيرا وإن لم توجد في المعاجم ، لأن شأننا شأن العرب مادمنا نضع على طريقتهم ، ولا قيمة لكاتب لا يضع في اللغة أوضاعاً جديدة .

وقوله، وقامت عذاراها للقياك كناية عن الأشجار والغصون، أي متى جاء النسيم استقبلته عذارى الروض وأخذت تتيه وتتمايل. وتسمية الأشجار بعذارى الروض كناية جميلة لأن في الأشجار روحا نسائية حقيقية كما تجد في فصل الشجرات . وأفهمت يا أبا رية ؟ هذه أجوبة الخرفشة وقد كان من حظك أني نشطت أمس . ألا ترى أثر هذا النشاط؟ وهل تدري من أين جاء النشاط ؟ جاءبه الشيطان من إيطاليا ... والسلام عليكم

مصطفى صادق الرافعي

(1) ص ١٧٣ — ١٧٥ من رسائل الرافعي

الى صديقي الدكتور محمد يوسف موسى

تعودت أن أقرأ « الرسالة » من آخرها : أبدأ بالأزهريات ثم الأدب والفن في أسبوع ، لولدنا الشاث « المجبوز » عباس خضر، الذي أحسده على ضبط أعصابه وحسن تأنيه ؛ ثم أستسلم لهواي فيما بقي من عنوانات .

وجريا على العادة ، بدأت قراءة العدد الأخير من الرسالة ، بمعركة « القزويني » التي كان لنا — ولا فخر — شرف شهودها في ميدانها الأول ، منذ أول شرارة ، ثم ما زلنا نتجرع كأسها القذرة المريرة في غيره من الميادين ! ! فشعرت بأن « كابوسا » من الهم الثقيل جثم على صدري ، فاختنقت ، وشعرت بذلة وهوان ، لا يحتملهما إنسان ...

وكان مقالك — يا دكتور — « إسعافا » وجدت به روحا رد روحي ، وأشعرني واردا من الاطمئنان إلى أن الأزهر لما يزل بخير !

ليت شعري — يا صديقي الدكتور — وحال الأزهر مشهور متعالم ، ما معنى المقام على هذه الحال ؟

ألسنا في أمة تعتز بماضيها وحاضرها ، وتتطلع إلى مستقبلها ؟ !

أولسنا في عهد أكرم ملوك مصر على مصر ، وأبعدهم مدى همة ، وأطولهم يدا في نواحي الاصلاح والعمارة ؟!

أولسنا في عهد حكومة شعبية حريصة على أن تعمل لغدها ، أكثر مما تعمل ليومها ، في عناية وإخلاص ؟!

بلى ... فما بال هذا العبث الصارخ إذاً في هذا الزمن الجاد؟!

لا جرم أن بقاء الأزهر على حاله الحاضرة عبث أي عبث ، فاما أن يصلح ، وإما أن يغلق . وحسبه ما سجله تاريخه الطويل من مجد ، ومن إجلال ، ومن آثار .

أما بعد ، فاكتب — يا دكتوري العظيم — ثم اكتب ؛ وضع إسمي المتواضع ، قبل اسمك الكريم ، شريكا ، مسئولا ،



من نبـع الحياة

للاستاذ احمد فؤاد الاهوانى

ديوان شعر من نظم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن أهداه إلى صديقه أحمد فؤاد الاهوانى فقبله شاكرا وقرأه ساهرا فنقله إلى آفاق من خالص الأدب وعوالم من المعانى والفكر، امتزجت فيها المشاعر بالخواطر والعبر

ظهرت فى مصر نغمة جـديدة تدعو إلى دراسة الأدب والنظر فى الشعر بوجه خاص بغير إقليمية، وزعموا أن الكتاب والشعراء مع أنهم كتبوا جميعا بلغة واحدة هى العربية الفصيحة، وهى لغة لم تتطور من حيث بنائها وهيئتها لأنها لغة القرآن لامبدل لكلماته، إلا أنك تستطيع أن تميز شاعرا عن شاعر، وتفضل كاتبا على آخر، بما يمتاز به إقليم عن إقليم، وتختلف به أمة عن أمة، وتتفاضل دولة عن دولة. فهـذا عراقى وذاك حجازى، وهذا شامى وذاك مصرى.

وهذا الاتجاه فى دراسة الأدب جدير بالاعتبار.

لأنه يدفع إلى ملاحظة الفوارق فيدعو إلى معرفة الخصائص.

ولأنه يصل بين الشاعر وبيئته فينكشف السر عن شاعريته.

ولأنه يطلعك على سيرته ويجمل دراسته قطعة من الحياة.

فلا غرابة أن يـكون عنوان الديوان «من نبع الحياة»، فالديوان حقا من العنوان. ولصاحب الديوان براعة ملحوظة فى ابتداع العنوان الطريف الأخاذ. فانظر إلى عين النبع كيف تندى برذاذها ماصحبها من ألف وباء.

وهـذه صناعة لايحسنها إلا صـــاغة الكلام، والشعر

غير خاذل، ولا متستر.

والرسالة الغراء، التى فسحت فى أطوائها لأولاد الكتاتيب الأزهرية، لن تضيق صدرا بما يكتب رجلان يمدان - بحق أو بغير حق - من هيئة التدريس العالى فى كليات الأزهر، إن صح أن فى الأزهر كليات ...

ليس بى أن أحبر مقالا، بمد مقالك الحاسم، الجدير بأن يسمع كل ذى أذنين؛ وإنما أردت أن أكون أول من يزكيك، ويثنى عليك، ومن أثنى، فقد جزى.

ولك تحيات محسوبك.

عبد الجواد رمضان

المؤتمر الثقافى العربى الثانى

فى الأسكندرية — صيف هذا العام

فى ٢٣ أغسطس ١٩٥٠

يحضره مندوبو دول الجامعة العربية والجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية. ويشترك فيه من يرغب من الأساتذة والعلماء والأدباء، وغيرهم ممن يشتغلون بشؤون التربية رجالا ونساء.

وسيتناول هذا المؤتمر مناقشة:

١ — سياسة التوسع فى التعليم الثانوى والعالى.

٢ — إعداد الطلبة لمواجهة الحياة العملية.

وفضلا عن هذا سيستعرض المؤتمر اتجاهات التربية السائدة فى وزارة معارف كل قطر عربى وسيناقش موضوع تنفيذ قرارات المؤتمر الثقافى العربى الأول.

امتيازات للاعضاء المشتركين

تخفيضات فى أجور السفر ذهابا وإيابا — سكنى مجانية — مطعم خاص بأسعار مخفضة.

يرجى من الراغبين فى الاشتراك بهذا المؤتمر والمقيمين فى القطر المصرى مراجعة الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية — (١٠٢ شارع فاروق الاول بالمجوزة)

ملاحظة: قيمة الاشتراك جنيه واحد فى مصر.

أعلى فنون البيان. ولذلك كانت القصيدة أخلد من المقالة ، والبيت أروع من العبارة . وكانت الإلياذة عنوان الأدب فى اليونان ، والرباعيات أسمى ما نظم فى إيران .

غير أن الصورة الشعرية فى الأدب العربى تختلف عن صورتها فى اليونان ، وعنها فى الآداب الحديثة . ونعنى بهذه الصورة البحر والقافية مما يلتزمه الشاعر من مطلع القصيدة إلى آخرها . ونحن لا نعيب على الشعر العربى خلوه من الموسيقى ، فلا شعر بغير موسيقى ، بل الشعر موسيقى ، ولكننا نعيب عليه أنه أشبه بالموسيقى البدائية التى تنظر إلى الإيقاع المنتظم ، مع تكرار المقطع الواحد ، ولذلك قيل عن الشعر إنه « نظم » . أما الموسيقى الراقية ، فإنها لاتكتفى بتكرار نغمة واحدة ، بل تجمع بين عدة نغمات قد تكون كل واحدة منها غير مشجية ولكن يخرج من ائتلافها موسيقى فيها حلاوة وسمو . وهذا عيب الموسيقى الشرقية على الأطلاق ، وهو عيب الشعر العربى كذلك. ولذلك لم تظهر فى الشعر العربى « الملحمة » الطويلة التى تمثل الحيـــاة كالإلياذة والأودسا . ولذلك أيضا يمل القارىء والسامع إذا طالت القصيدة لأنها من بحر واحد.

ولما كان الشعر أعلى صور البيان ، فينبغى أن يصان فلا ينزل إلى معترك الحياة العادية المألوفة ، وإلا كان الشعر نظمًا لمعان لا ترتفع إلى مقام الخلود . ولذلك كان من الغريب أن يسخر عبد الغنى موهبته الشعرية فى وصف كل مناسبة ، ولم يكن الحال كذلك بالنسبة لأمراء الشعر فى الجاهلية. فقد قيل إن زهيرا كان ينظم القصيدة فى عام ، ولذلك سميت بعض قصائده بالحوليات . وقد رأيت هذا المذهب الجديد ، أعنى نظم كل معنى يخطر بالبال ، عند «أبو شادى» الذى هجر مصر إلى أمريكا ، ولم يلق مذهبه مايريد من نجاح .

****

وأنت ترى فى هذا الديوان عدة قصائد فى الفتاة المصرية ، أولها نظمت للسيدة درية شفيق حينما أحرزت ليسانس الدولة فى الآداب من جامعة باريس سنة ١٩٣٢ استهلها بقوله

أديبة قد نجحت فى الأدب وبلغت فى العلم أعلى الرتب
واتصلت فيه بأقوى سبب وغامرت وشمرت فى الطلب
بين الدراسات وبين الكتب وحازت السبق فيا للعجب .

إلى أن قال فى نفس القصيدة

مصرية تطير فوق السحب تشق متن الريح يا للعجب

فانظر كيف تعجب مرتين فى قصيدة واحدة !

وجاء فى قصيدة له عن السيدة زينب كامل وهى أول معيدة بالجامعة المصرية نشرها عام ١٩٣٠

عجبت لنيلك تلك العلوم وصبرك فى نيلها أعجب

ومن قصيدة للسيدة فاطمة فتحى بمناسبة نجاحها فى شهادة علم النبات من جامعة انجلترا

ومن عجب نباتك كان لجا وحزت السبق فى علم النبات

وقد خلت قصيدته التى نشرها تحية للسيدة هدى شعراوى من هذا العجب وهى التى جاء فى مطلعها

أعليت فى صرح البلاد بناء بلغ السماء وطاول الجوزاء
دار الزمان وأصبحت فتياتنا يطلبن كالرجل الحياة سواء

مهما يكن من شىء فأنت لاتستطيع أن تخطىء أن الشاعر مصرى لأنه يتحدث عن ظواهر جديدة وقعت فى مصر وعاصرها ودار فيها مع الزمان . وهذا من جملة مايتميز به درس الأدب من الناحية الإقليمية

ومما تنفرد به مصر عن غيرها من الشعوب كثرة الحريق فى قراها ، وقد سجل عبد الغنى قصيدتين ، إحداهما سنة ١٩٣٢ عن حريق قرية ميت معاند جاء فيها

كم أقفرت بعد الحريق منازل وتخربت بعد الحريق مبانى
وتفرقت أسر وأصبح شملها متفرق الخرزات والعيدان

ثم وصف حريق بلدة الراهبين سنة ١٩٣٨ فى قصيدة مطلعها

صار للنـار طعمة ووقودا بلد كان بالغداة سعيدا

إلى قوله

قلقت مضجعا وساءت مآلا وهوت منزلا ومالت عمودا
بعثرت شملهم قبيلا قبيلا وطوت جمعهم عديدا عديدا

وهو نفس المعنى الذى صاغه فى القصيدة السابقة . وأكبر الظن أن الشاعر لم يعرف ميت معاند ولم يتصل بها فلم تؤثر فى نفسه إلا أثر من يقرأ الخبر فى الأهرام ، نعنى الصحيفة اليومية ولا نحسب أن الوصف صادق لأنه يصدق على كل حريق .

ونظم فى اليتيم مجموعة من القصائد سماها « فى ظلام الحرمان » جاء فى إحداها

فى مصر قوم كفهم طائية ... يرجى الندى من كفهم ويؤمل
الفضل فى ساحاتهم متجمع ... والخير فى أشخاصهم متمثل

وقال فى قصيدة أخرى

فى مصر قوم يحرصون على ... أن لا يمسك بينهم ضر

وذلك فى القصيدة التى مطلعها

قل لليتيم تبدل الأمر ... والعسر أصبح بعده اليسر
مصر التى فيها لكل ندى ... ولكل يوم فى الندى ذكر
مصر التى فى كل ناحية ... المكرمات بسوقها سمر
مصر التى لقديم نهضتها ... يعزى النجار وينتهى الفخر
مصر التى دامت مطالعها ... حسبى وحسبك أنها مصر.
المهرجان بمصر قد طربت ... وتمايلت أعلامه الخضر
والأزبكية فى خمائلها ... شعر وبين رياضها سحر

ولا نود أن ننبه إلى المصرية الواضحة فى هذا الشعر، والأزبكية شاهد على ذلك، مما يدل على تميز الشاعر عن غيره من شعراء العرب، ولكننا نحب أن نذكر أصادق هو فى إحساسه أم لا، أحقا أن فى مصر قوما يحرصون على راحة اليتيم ؟ فاذا أراد أن يمارى فى هذه الحقيقة، فلينظر إلى طرقات القاهرة وشوارعها ليرى الأطفال العراة الحفاة قد شردتهم الأيام وعصف بهم الزمان حتى ليندى الجبين خجلا من مشاهدتهم فأين رجال مصر وأغنياؤها، وكيف تبدل الأمر فأصبح من بعد عسر يسرا ؟.

لكنه الشعر، وقد صدق الله تعالى حين قال فى محكم التنزيل « والشعراء يتبعهم الغاوون » فالشعر يؤثر فى القلب بما فيه من موسيقى وخيال، ولكنه يبتعد عن الواقع، ولذلك أضاف القدماء كتاب الشعر إلى المنطق وعدوه من جملة السفسطة. ونحسب أن النظرة الحديثة إلى الشعر قد تغيرت، على الأقل فى أوربا، وينبغى أن تتغير فى مصر، وهذا واجب الشعراء.

أما باب الرثاء فقد جمع بين دفتيه قطرات من الدموع سكبها الشاعر على كثيرين من أعلام مصر فى هذه الحقبة الأخيرة. بدأها بقصيدة فى رثاء الأمير كمال الدين حسين استهلها بقوله.

يعز على المروءة أن تصابا ... وأن نلقى على يدك المصابا

وهو مطلع بارع، وقد برع عبد الغنى فى الاستهلال، ولكنه مطلع يصلح فى رثاء أى إنسان، ولا يختص به الأمير وحده.

ومن براعة الاستهلال قوله فى رثاء حسن صبرى باشا رئيس وزراء مصر توفى فى البرلمان وهو يلقى خطاب العرش.

أودى بك الجدام ألوى بك القدر ... لا بد من سفر إن أقبل السفر

وهو أيضا من قبيل المطلع السابق.

وهناك مطالع أخرى لا تستطيع أن تنقلها إلى رثاء شخص آخر، لأنها تدل على مناسبة خاصة. وذلك من مثل قوله فى رثاء طالب قتل بالرصاص فى مدينة المنصورة فى عيد الدستور.

كغنوة فى الزهر والثغر باسم ... أمل فى التراب غفلان نائم

وكذلك قوله فى رثاء الاستاذ محمد عبد المطلب

جزع الشعر عليه والأدب ... يوم قالوا مات عبد المطلب
خلت الروضة من طائرها ... بمديبس الروض هل يغنى الخطب

وقد صاغ هذا المعنى بنفسه فى رثاء شوقى.

ركن من الأدب الصحيح تهدما ... وفم على الأيام لن يتبسما
طير ترنم فى الخمائل ساعة ... وأراه بعد اليوم لن يترنما

فذاك طير فى الروضة، وهذا طائر فى الخميلة. ولقد تصحفت على عينى لفظة الصحيح فى البيت فقرأتها « الفصيح » ولعلها أليق وأفصح.

ومن المعانى التى تكررت فى الرثاء قوله فى رثاء أحمد ماهر

ما الذى ضر لو تأخرت حينا ... والمنايا إلى رداك عوابر

وفى رثاء حسن صبرى.

يأيها الراحل المزجى مطيته ... ما ضرها لحظة لو كنت تنتظر

* * *

ومن أروع قصائد عبد الغنى، وأعظمها دلالة على مصريته، قصيدتان فى وفاء النيل إحداهما.

فاضت بوجهك أوجه النعماء ... أعيون تبر أم مسايل ماء

والأخرى.

طرب النيل فى البلاد وغنى ... فثنينا الأعناق لما تثنى

وقد لحظ فى الأولى معنى الخصب والنماء، وفى الثانية لحن العذوبة والغناء، فلم تتكرر المعانى فيهما.

قال فى الأولى.

تلقى النماء على جوانب أرضها ... والخصب فى تلك الربى الجرداء
سبحان من جعل البلاد رخية ... فى راحتيك كثيرة الآلاء
هى فيض نعمتك التى أوليتها ... وصنيعك الباقى لغير فناء

وجدير بهذه القصيدة أن تنفى من أمواج الإذاعة بدلا من



«طاهر أفندى»

للأديب محمد أبو المعاطى أبو النجا

كان السائر فى طرقات القرية يسترعى انتباهه ذلك الحديث الهامس بين الجالسين على المصاطب وبين السائرين فى الطريق ! !

ذلك الحديث الذى يدور حول طاهر أفندى. وما كان من عادة أهل القرية أن يتحدثوا عنه بذلك الاهتمام لولا ما حدث اليوم فى منزله؛ ففى الصباح الباكر حضر لديه طباخ من المدينة القريبة وما زال منهمكا فى إعداد طعام خاص ... وطاهر أفندى نفسه دائب الحركة فى أنحاء الدار ينظم المقاعد هنا وهناك وصوته المتقطع المرتعش يرتفع كل حين آمراً أبناءه أن يعيدوا تنظيم ذلك المكان أو يغيروا ذاك المقعد حتى أضحى بيته وهو أوفر ما يكون أناقة ورواء ... وها هو ذا العمدة وبعض الأعيان قد يمموا داره منذ حين !! ... ماذا هناك يا ترى ؟ أتكون وليمة ؟ كل المظاهر تنبىء عن ذلك!

ولكن الشىء الذى يقف بين هذه الفكرة وبين عقول الناس، أو بعبارة أوضح الشىء الذى أثار تساؤل الناس وحيرتهم ... هو أن طاهر أفندى شخصية معروفة بالبخل والكزازة ! لقد كان الزائر الذى يظفر فى بيته بكوب من الشاى أو وجبة من الطعام يعتبر محظوظا فكيف يقيم وليمة ، وينفق فيها بسخاء ؟ ولمن يا ترى تلك الوليمة؟ أتكون للعمدة ؟ ولكن العمدة وطاهر افندى يقيمان فى القرية منذ عشرات السنين فلماذا لم يفكر فى استضافته إلا اليوم فقط ؟ وراء هذه الأسئلة كان يختفى الصمت ليقطع

تلك الأغنيات السخيفة التى يصف فيها الحبيب ذله لحبيبته

وله فى الأحداث السياسية عدة قصائد يذكى فيها روح الشباب ويطلب العزة لمصر عن طريق الكفاح . قال فى قصيدة بعنوان « ما سمعنا بمصر إلا صياحا »

سبب العيش عـــدة وكفاح ... لا يصون الحقوق إلا السلاح
ما سمعنا بمصر إلا صيـــاحا ... آه يا مصر ما كفاك الصياح

وهذه أبيات تصلح أن تقال اليوم كما قيلت بالأمس .

وجاء فى قصيدة له ألقيت فى محطة الإذاعة عام ١٩٤٨

ولم تكن مصر فى أغلال آسرها ... مأسورة الروح بل مأسورة البدن
ما أهون الروح فى الأوطان نرخصها ... لـكنها لسوى الأوطان لم تهن

وبعد لقد أطلت عليك أيها القارىء ولما أفرغ بعد من الاشارة إلى سائر القصائد التى وردت فى هذا الديوان . فعليك به ، فهو دليل على هذه الروح المصرية التى يريد أصحاب مذهب الاقليمية فى الأدب تطبيقها . فيه الحوادث الكبرى والصغرى مما وقع بمصر خلال عشرين عاما ؛ وفيه نفسية الشاعر التى انفعلت بهذه الأحداث وتأثرت بها فصاغتها هذا الشعر العذب ؛ وبذلك تكون الروح المصرية التى تسم الشاعر بطابع خاص هى فى حقيقة الأمر البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها ، لا مجرد البيئة الجغرافية، أو البيئة الجامدة التى خلفتها آثار الأقدمين . ويكون من الخطأ التماس هذه الروح فى الشاعر الذى يتحدث عن الأهرام أو النيل أو الصحراء وما إلى ذلك ، بل الشاعر الحق هو الذى يسير فى موكب الحياة ، والحياة لا تعرف ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا لأنها كالنهر تنساب فى جريان ، ولكن اللحظة الحاضرة هى أشد اللحظات أثرا فى حياة صاحبها .

فاذا طبقت هذا الميزان على الشاعر محمد عبد الغنى حسن رأيت أنه الشاعر المصرى الذى يمثل الروح المصرية أصدق تمثيل. أثرت فيه أحداث الحياة فتغنى بكل ذلك شعراً أودعه أحاسيسه وخواطره فنظم فى مدح الرسول تعظيما للدين ، وفى

مولاى شرف باسمك الصحراء ... واركز لمصر فى الرمال لواء

تحية للفاروق بمناسبة رحلة جلالته إلى الصحراء الغربية .

وفى ذكرى محمد على باشا

يا مالئا صفحات السهل والجبل ... ذكراك باقية فى صفحة الأزل

وفى الوطن والعروبة . وفى تحية الاصدقاء ، ورثاء الاحباء ، وفى الحث على البر والاصلاح ، وفى الحث على الهمة والاعتزاز بالكرامة بما يمثل العصر أصدق تمثيل ، فلا عجب أن يكون الشاعر صورة للمجتمع الذى يعيش فيه .

أحمد فؤاد الأهوانى

حبل الحديث بين الجالسين على المصاطب وبين السائرين فى الطريق!

والواقع أن الجواب لن نظفر به إلا من طاهر أفندى نفسه. لنذهب إذن إلى تلك الدار التى تموج بالحركة وتفيض بالناس هنالك فى أقصى القرية!!

ولا مانع من أن أرسم صورة تقريبية لطاهر أفندى حتى يتسنى لك أن تتعرف عليه وسط المدعوين. إن قامته المتوسطة التى تميل إلى الأمام قليلا، ونظارته العتيقة التى تجثم على عينيه تؤكدان لك أنه لا بد يشغل إحدى الوظائف الكتابية ... أما وجهه الذى ملأته التجاعيد حتى صار أشبه ما يكون بثوب لم يعرف يوما طريق «الكواء» فيؤكد لك بدوره أنه ليس فى عمر الزهور ... وأما بذلته التى تنافس طوابع البريد فى القدم فإنها تقنعك بأن حديث الناس عن بخله ليس للاشاعات فيه نصيب!!

من السهل عليك إذن أن تتعرف عليه وسط الناس، ولكن ليس من السهل أن تتعرف على أفكاره التى تضطرب فى خاطره تماما كما يضطرب هو فى أنحاء الدار ...

إنه يرمق أنواع الطعام التى تمد، وأصناف الفاكهة التى تهيأ، فيشعر بانقباض حين يذكر تكاليف ذلك كله؛ ولكنه سرعان ما يسرى عن نفسه حين يتذكر أن ضيفه هو مفتش المنطقة التى يعمل بها!

وتعود به الذكريات إلى ذلك اليوم الذى جلس فيه إلى أحد زملائه فى العمل وجعل يشكو إليه على عادته بؤس الحياة وعنت الوظيفة وإهمال الحكومة ... ويذكر جيدا أن زميله هتف به قائلا: أنت رجل طيب لا تعرف الكثير عن أساليب العيش. تستطيع أن تجبر الحكومة على إنصافك حين تتودد إلى الرؤساء فتدعوهم إلى دارك وتقيم لهم الولائم وتظهر لهم ...

ويذكر أيضا أنه لم يستسغ هذه الفكرة إلا بعد أن أكد له زميله أنها مجربة!

إن الذى يطمئن طاهر افندى الآن هو أن أمواله التى ينفقها سخيا على هذه المأدبة ستعود إليه ذات يوم، وستكون بصحبة زميلات لها! أجل ستعود حين يرقى الى الدرجة السادسة بمساعدة المفتش الكبير ...

ويتنبه طاهر أفندى من أفكاره حين يقبل أكبر أبنائه ليتحدث اليه فى بعض الشئون بلهجة ظهر فيها الضيق والغيظ ولا يكاد ينصرف حتى ترتسم على شفتى طاهر أفندى بسمة ساخرة فيها كثير من الرثاء، الرثاء لابنه الأحمق الذى لا يفهم الحياة كما يفهمها والده!

إنه يعرف جيدا سبب هذا الضيق الذى يبديه ولده فى كلامه، ذلك أنه طلب إليه فى مبدأ العام الدراسى أن يشترى له بذلة جديدة، ولكنه أفهمه أن ذلك مما يرهق ميزانية الأسرة. لا شك أنه يتساءل الآن لماذا لا ترهق هذه الوليمة ميزانية الأسرة؟! ولكن غدا سيعرف هذا الغر الأبله أنه يفكر فى دائرة أضيق من التى يفكر فيها أبوه ... ثم أخذ يتمتم ماذا لو ترك الآباء أبناءهم يتصرفون بكامل حريتهم، فلا يفسدون عليهم أمورهم بآرائهم الفطيرة!

وبعد قليل ينظر طاهر افندى فى ساعته فيرى عقربيها يشيران إلى الثالثة بعد الظهر. لم تبق إذن سوى ساعة على حضور المفتش الكبير!

وهنا فقط تقفز إلى ذهنه فكرة جديدة. إن سعادة المفتش يحب دائما أن يقرأ جريدة «... ...» المسائية، ولا شك أنه لن يتمكن من شرائها اليوم لأنه قضى الليلة الماضية فى العزبة المجاورة عند شقيقه

ليرسل إذن من يحضرها على جناح السرعة من المدينة القريبة، فإن العربة المسافرة إليها توشك أن تتحرك لتعود بعد نصف ساعة تقريبا

كم ستكون مفاجأة سارة للمفتش الكبير حين يجد جريدته المفضلة فى الانتظار!

وبعد نصف ساعة كانت العربة قد رجعت وفيها أحد أبناء طاهر أفندى ومعه الجريدة؛ ولم يكد يأخذها من ولده ليضعها فوق المنضدة المقابلة لكرسى المفتش حتى يطوف بذهنه هذا الخاطر ... لا شك أن الزائر الكريم سوف يأخذ الجريدة معه حين خروجه، فلماذا لا يتصفحها أولا؟ وبينا كانت نظاراته الضعيفة تتساءل بين السطور إذا بها تسمر فجأة أمام خبر مؤداه أن المفتش الكبير قد انتقل إلى أقصى الصعيد ...!!

محمد أبو المعاطى أبو النجا

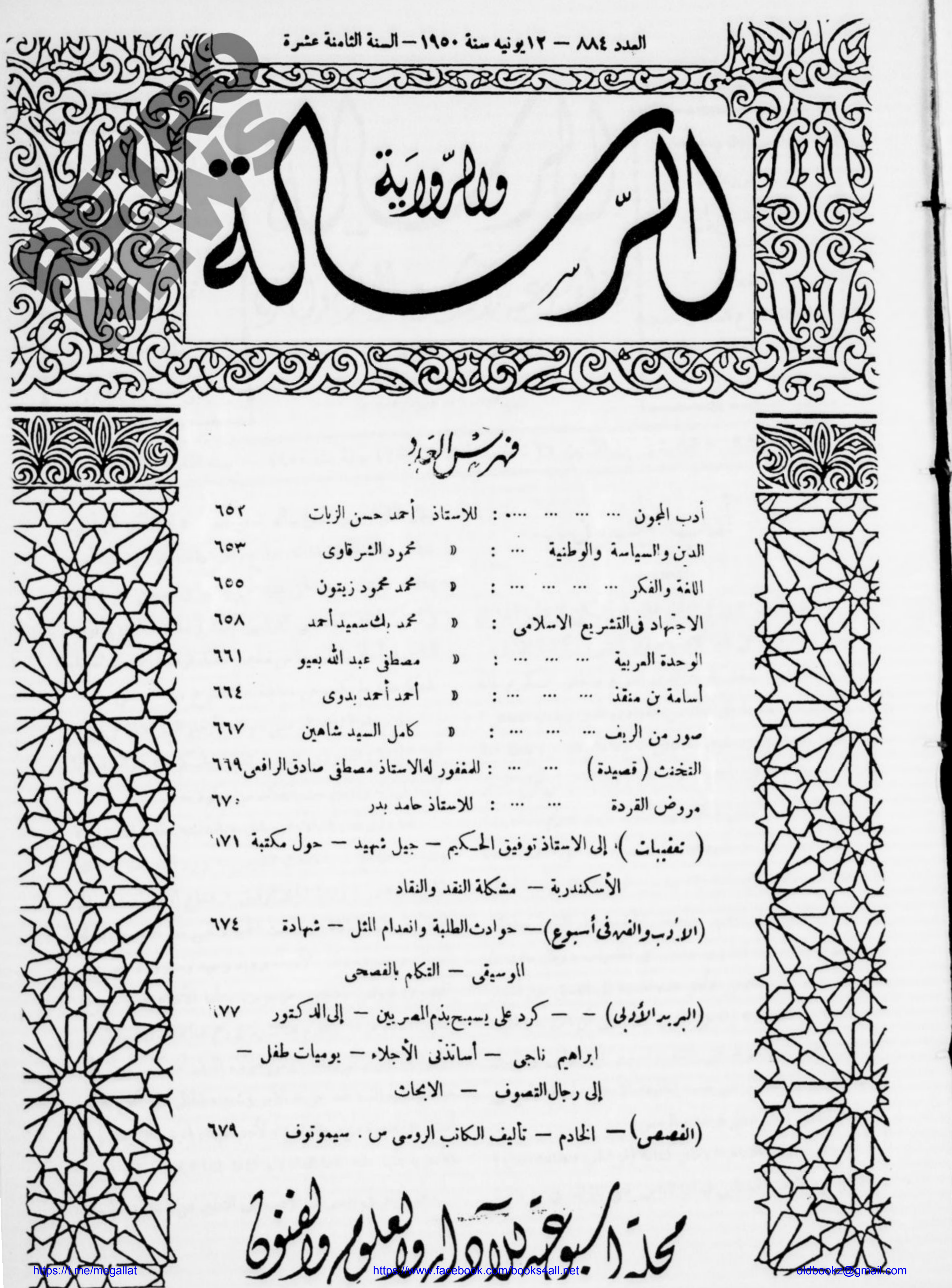


مطبعة الرسالة



فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

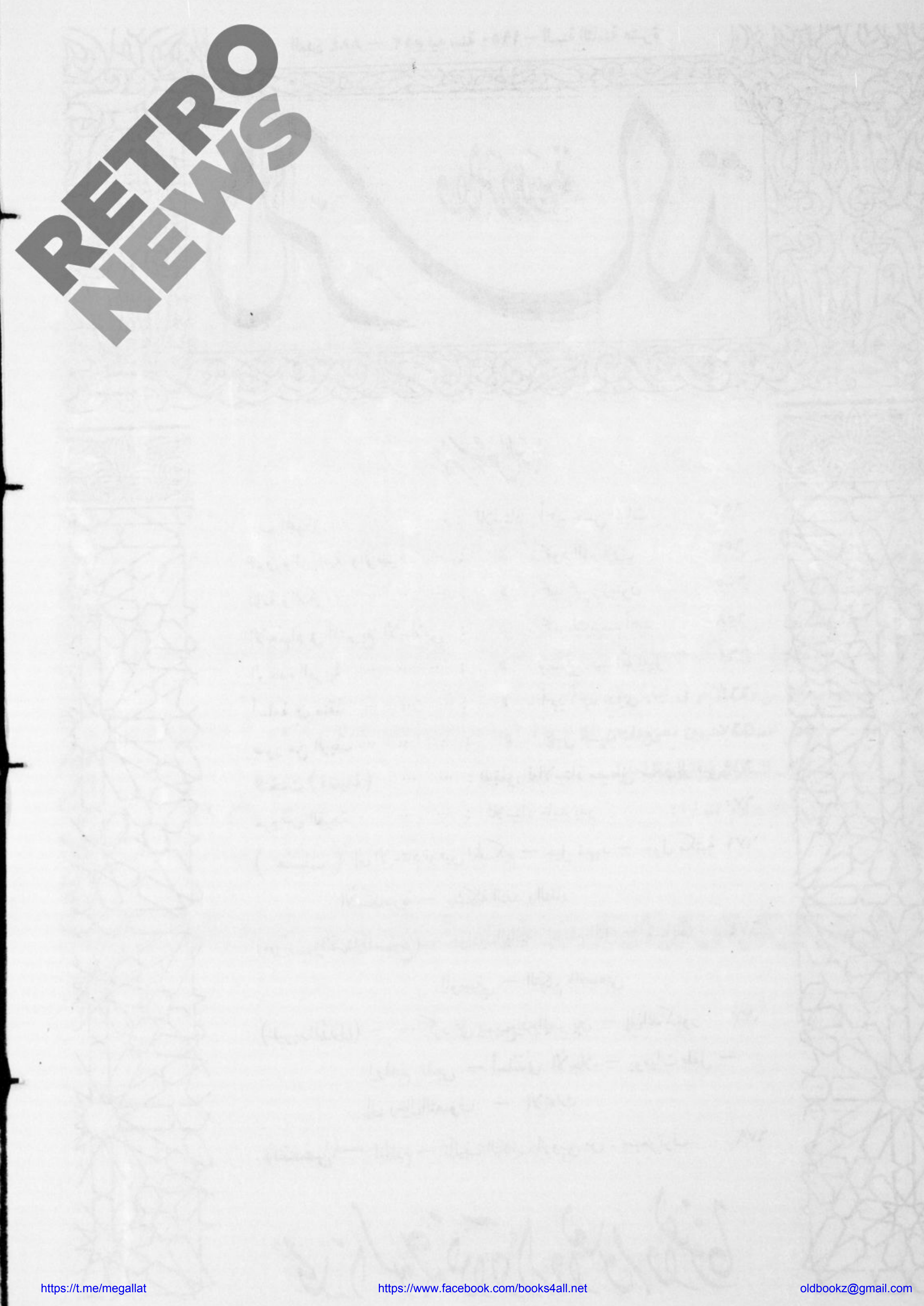


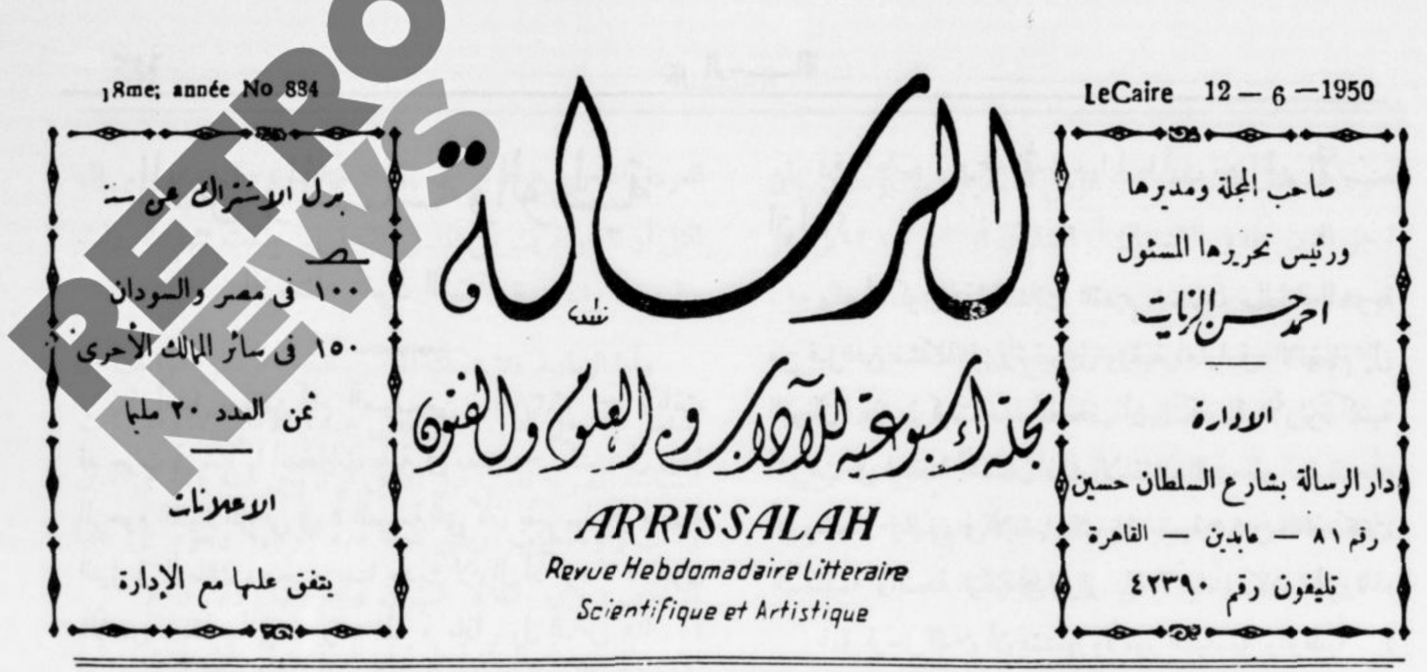
العدد ٨٨٤ — ١٢ يونيه سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون




18me; année No 884 — LeCaire 12 — 6 — 1950

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٨٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ شعبان سنة ١٣٦٩ — ١٢ يونية سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

٢ - أدب المجون...

أدب المجون يجوز إذن أن يقال ، ولكن لا يجوز أبدا أن يعلن . والرقيب على هذا الأدب ضمير المنشئ وكرامة القارئ . فما دام للمنشئ ضمير يحييه الدين القويم والخلق الكريم فإنه يتكرم عن الهبوط إلى حضيض القوادين الذين يزينون الفحش والطاردين الذين يروجون الحشيش . وما دام للقارئ كرامة يقويها الحس اللطيف والطبع الشريف ، فإنه يتنزه عن سماع الهجر ورؤية المنكر . والناس في الشرق والغرب ، وفي القديم والحديث، كانوا كذلك قبل أن تقوم قيامة الحرب العالمية التي أهلكت فيما أهلكت تراث الإنسانية والمدنية من كريم الشمائل وحر الخلال

هتك بشار في بعض شعره ستر الحشمة فنقم الناس منه ذلك وتمنوا موته صونا للعذارى وغيرة على المخدرات ، وقال مالك بن دينار : « ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى الملحد » وانتهى المجون ببشار إلى أن أمر به الخليفة المهدي فضرب بالسوط حتى هلك. واستهتر أبو نواس في الغزل واسترسل في الفجور حتى حبسه الخليفة الأمين، ولم يكد يخرج من ظلام الحبس ، حتى دخل في ظلام الرمس

وألف أوفيد الشاعر الروماني كتابه (فن الحب L'art d,aimer) فرأى فيه القيصر أغسطس فسادا للناس فنفى المؤلف في سرماسيا وقال لطيباريوس حين سأله العفو عنه : « لا أنكر أن أوفيد شاعر ميزته الآلهة بالذكاء البارع والقريحة النافذة ، ولكنه أفسد بكتابه شباب روما فحق عليه أن يموت في سجن سرماسيا »

وكتب فلوبير القصصي الفرنسي قصته (مدام بوفاري) فوجد الناس في أسلوبها خروجا عن مذهب الحياء فرفعوا أمره إلى القضاء فحكم عليه بالكف عن معالجة هذا النوع من القصص .

ونظم بودلير الشاعر الفرنسي ديوانه (أزهار الشر) فثار على جرأته أهل الحفاظ والنخوة وساقوه إلى القضاء فحكم عليه بغرامة قدرها ثلثمائة فرنك وإعدام ست قصائد من مطولاته

فلما زلزل الله أركان الأرض بالحربين العالميتين انقلبت الأوضاع ، وتغيرت الطباع ، واختلفت المقاييس ، وبرد الدم الحار ، وبلد الحس المرهف ، وغلظ الجلد الرقيق ، فشاع الافضاء ، وساغ البذاء ، وقلت المبالاة ، وسكنت الحمية ، حتى صار الفجور دينا له أنبياؤه ومبشروه ؛ فمن الأنبياء فرويد وجيد وسارتر ، ومن المبشرين لورنس وفكتور مرجريت . أما الأتباع فهم مسوخ الحرب ومشوهوها والقوم هناك ومقلدوهم هنا مخلصون جميعا للدين الجديد الا من رحم ربك . ومن هؤلاء الذين أدركتهم رحمة الله فرنسوا مورياك ؛ فقد حز به الأمر وشجنه الحال حتى ألقى ثلاثة أسئلة على صفوة من رجال العلم والأدب في أوربا يرجو أن يجد في الأجوبة عنها طبا لهذا الداء ، وكشفا لهذا البلاء . قال :

هل تجد في انصراف الأدب إلى التعبير عن شهوات الجسد

العارمة خطرا على الفرد وعلى الجماعة وعلى الأدب نفسه ؟

من هم الأدباء الذين تقع عليهم التبعة فى انحطاط الأدب الحديث ؟ وأى المذاهب قد ساعد على هذا الانحطاط ؟

فاذا فرضنا أن هذه الأسئلة ألقيت علينا كما ألقيت عليهم فبماذا نجيب عنها ؟

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

الدين والسياسة والوطنية

للأستاذ محمود الشرقاوى

في أصيل يوم من أيام الصيف من سنة ١٩٣٨ — وكانت قد جرت فى شتائها انتخابات عامة فى مصر — كنت فى زيارة المرحوم الشيخ المراغي فى « العوامة التى كان يقيم بها على صفحة النيل فى الزمالك ، وجرى بيننا حديث لاأزال أذكره كأنه جرى بالأمس . فقد سألنى ، يرحمه الله ، ماذا يقول الناس عنا . . ؟ قلت : يقولون إن الأزهر انصرف شيئاً ما عن مهمته إلى السياسة ، ويخشى الناس أن يجرفه تيارها فقال وماذاك ؟ إن رجل الأزهر ليس يضره شيء أن يشتغل بالسياسة بل يجب عليه أن يشتغل بها ككل مواطن ، والدين لا يمنعه من ذلك بل يحضه عليه . فقلت : نعم يامولاى ، إن الدين لا ينهى بل هو يحض على الاشتغال بأمور الناس وبالشؤون العامة والعمل لخير الجميع فى كل ميدان ، وقد اشتغل علماء المسلمين وكثير من أئمتهم بسياسة عصرهم واقى بعضهم العذاب والسجن فى هذا السبيل ، كما جرى لابن حنبل من المعتصم حين سجن فى فتنة « خلق القرآن » . فقد كان الرأى دينياً ولكن ملابسات الأمر كله كانت ملابسات سياسية ، وكما سجن وأوذى أبو حنيفة وابن تيمية لاشتغالهما بسياسة عصريهما . فأنا معك فى كل ما تقول مع فارق واحد دقيق ولكنه كبير ، فما على رجل الدين من بأس إذ يشتغل بالسياسة ، ولكن البأس والحرج والايذاء له ولمكانته ورسالته أن يشتغل بالحزبية ، وقد أردت أن أتلطف فيما يقوله الناس ، فوضعت كلمة « السياسة » حينما كنت أريد أن أقول « الحزبية »

وقد أجاب ، يرحمه الله ، جواباً ما أرى من الخير الآن أن أذكره .

وقد أذكرنى هذا الحديث القديم ما نشرته صحفنا المصرية من قبل عن مشكلة جزيرة قبرص ورغبة أهلها فى الانضمام إلى اليونان ، فقد ذكرت هذه الصحف أن الكنيسة الأرثوذكسية أشرفت على استفتاء السكان ذلك الاستفتاء الذى ظهر من نتيجته أن وضحت رغبتهم فى الانضمام لليونان بنسبة ٩٥ فى المائة وكانت الكنيسة واضحة الرغبة فى إبراز هذا الاتجاه لسكان الجزيرة .

فهل لرجل الدين أن يشتغل بالأمور السياسية والوطنية . . ؟ ويحسن بى هنا أن أوضح ماذا أريد بالوطنية . وهل السياسة شيء والوطنية شيء آخر . . ؟

الوطنية التى أقصدها فى هذه الكلمة هى الاشتغال بأمور الوطن ، أو ما نسميه « بالصالح العام » بما ينطوى تحت هذا من الصوالح السياسية والثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وما دمنا شعباً لم يستطع بعد أن ينال جميع حقوقه الوطنية ، فأن شواغلنا من هذه الناحية ستكون دائما فى المحل الأول .

وأما السياسة فهى ، عندى ، ماهو أعم من ذلك وأشمل ، هى ما يتعلق بسياسة الوطن الأصغر الذى هو مصر والوطن الأكبر الذى هو العالم ، وتدخل فى ذلك طبعا نظم الحكم ومحاسبة أصحاب السلطة الذين أخضعتهم القوانين العامة للمحاسبة ،

فهل لرجل الدين ، إذن ، أن يشتغل بالأمور السياسية والوطنية . .؟

أما نحن ، فى مصر والشرق ، فالفهم السائد بين كثير من الناس ومن رجال الدين أنفسهم أن رجل الدين لا شأن له ، أو يجب ألا يكون له شأن بذلك ، ولكنى أعتقد أن هذا الفهم بقية من بقايا الظروف والملابسات التى سيطرت على الشرق أزمنة طويلة وجعلت الابن ، فى بعض الأوقات يقتل أباه والأخ أخاه فى سبيل الملك أو السيادة . تلك الملابسات التى جعلت الناس يؤمنون ويتوارثون الايمان بأن النجاة فى السلامة والانكفاف عن المشاركة وقالوا وتواصوا : أنج سعد فقد هلك سعيد . وكانوا على حق . وجعلت — هذه الملابسات — من جهة

أخرى أصحاب السلطان ، فى الزمن القديم ، لا يؤمنون بأن لرجل الدين حقا فى الاشتراك أو المشاركة أو التوجيه ، بل هو يوجه العامة إلى ما يقصد ويراد . وكلاهما ، الموجه والموجه ، لا « حق » له فيما سوى ذلك ، لو صح أن ذلك « حق »

ولكن أحوال الناس وظروف الحياة قد تغيرت تغيرا كبيرا ، وأصبحت السياسة والاشتغال بها حقا مشاعاً لكل مواطن ، وليست خاصة أو محصورة فى طبقة معينة من الناس يسيرون مقادير الشعوب وأمورهم من وراء الحجرات .

• •

رجل الدين له رسالة خاصة ، لا شك فى ذلك ، وهى رسالة لو أديت على وجهها الصحيح لكانت من أهم الأسس التى يقوم عليها نظام المجتمع الشرقى وهدوؤه وانسجامه ، وكانت سبباً أو عاملا فى انعدام أو نقصان كثير من عوامل الشر والجريمة والتقلقل فى هذا المجتمع .

ولكن هذه الرسالة الخاصة ليست مانعاً من اشتغال رجل الدين بالأمور العامة ، بل قد تكون داخلة فى ضمن رسالته تلك ومما يساعده على النجاح وقوة الأثر فى هذه الرسالة نفسها . ولكن هناك شرط واحد لاشتغال ، أو لجدوى اشتغال ، رجل الدين بالسياسة ، هذا الشرط هو « التجرد »

التجرد من العامل الشخصى والتجرد من التحزب لفرد أو لجماعة خاصة أو حزب خاص مهما يكن أثر هذا الفرد ووضعه ، ومهما كانت الجماعة أو الحزب من العمل - حتى العمل الوطنى - أو من الحكم .

رجل الدين يجب أن يكون وضعه بالنسبة للامور السياسية فى موضع الفيصل والحكم والميزان . يذكر الناس إذا انحرفوا فى اتجاههم السياسى أو انحرفوا فى الحكم ، ويدعوهم للاستقامة والخير والتجرد كما يتجرد هو - أو كما هو المفروض أن يتجرد هو - من الغايات والرغبات . كما يدعو الناس إلى دعوة الله من البر والخير والمودة إذا انحرفت بهم نزوات النفس أو مالت بهم إلى الخروج أو البعد عن الغايات المثالية التى اصطفى الله رجل الدين الحق لرعايتها وتوجيه الناس لها .

رسالته فى السياسة ، كما هى رسالته فى الدين والمجتمع ، هى المودة بالناس من الانحراف إلى الاستقامة ، والرجوع بهم إلى المثل أو ما هو قريب من المثل العليا إذا بعدت بهم النزوات والرغبات والخصومات عنها .

وأما الوطنية فلا شك أنه من الخير أو من الواجب أن يشتغل بها رجل الدين ، على نفس هذه الأسس ، وقد كانت السياسة المصرية نفسها قبل ثلاثين أو أربعين سنة قائمة على الدين وكانت دعوة الحزب الوطنى تتجه هذه الوجهة وتقوم على هذا الأساس ، وإن كنا لا نحب أن نرجع إليها ، ولن نرجع .

والمفهوم من الوطنية طبعا هو الدفاع عن الحق الذى سلب من أهله ، والعمل على رد هذا الحق لأصحابه .

وماذا يكون رجل الدين إذن وماذا تكون رسالته إذا لم يدافع عن الحق ويعمل على نصرة أهله ..؟ فكيف إذا كان أصحاب هذا الحق بينهم وبينه ما بين أصحاب الوطن الواحد من الوشائج ، والصوالح أيضاً . ؟

محمود الشرقاوى

اللغة والفكر ...

للأستاذ محمد محمود زيتون

بقية ما نشر فى العدد الماضى

الأصل فى النسبة بين اللفظ والمعنى أن تكون المطابقة التامة أو التكافؤ بمعنى التساوى، أى أن لفظ كذا يساوى معنى كذا . ولكن التقدم الإنسانى وتعقد الأمور استوجبا صعوبة اشتقاق ألفاظ جديدة لمعان جديدة فأطلق لفظ واحد على عدة معان كقولنا (العين) اسما على عضو الإبصار ، والماء الجارى ، والسيد فى قومه ، والشىء المتحقق فى الوجود ! وغير ذلك من المعانى التى تطلق عليها كلمة عين .

غير أن هذا التعقيد فى الحياة أدى إلى نتيجة عكس الأولى ، فقد أصبح المعنى الواحد يحمله عدة ألفاظ كقول العرب على الأسد : سبع ، ليث ، ضرغام ، غضنفر ، هزبر ، ضيغم .

ولا ندرى مع ذلك إن كان تكثير اللفظ هكذا دليلا على عهود الفوضى الاجتماعية ، أو على الثروة اللغوية أو على تعدد القبائل الناطقة بلغة ما ، وإن كنا نعلم أن البدوى فى الحجاز الذى رأى السيارة لأول مرة فأطلق عليها فورا وهو يشير إليها كلمة « الراكضة » بينما نقول « السيارة » وكما نقلنا لفظ « القطار » من المطر إلى القافلة إلى ذلك الذى يجرى بعجلاته على قضبان الحديد

ومن الواضح أن الاسم المنقول فى انتقاله من معنى إلى آخر إنما يحمل معه ذكرى الحياة السابقة عليه ، ولكنه مع ذلك يثير مشكلة كان الأجدر به أن يخمدها وقد يكون الاجماع القوى من السلطان والنفوذ بحيث يقضى على هذه المشكلة هى الخلط بين المعانى المرادة . فاللفظ (كفر) كان فى الأصل بمعنى (غطى) ثم انتقل إلى معنى جديد يفهمه الآن كل الناس فى لغتهم الدينية فيقولون : فلان كافر بنعمة لله . أو كافر فقط . وحتى هذه المرحلة لا يزال اللفظ مخلصا لتراثه القديم وأصله الأول ، ولو أردنا إحياء هذا الأصل — وهو مشروع — صادفتنا هجمات لا نقوى على احتمالها . فإذا قالت الأم لابنتها : يا بنت اكفرى أخاك . بمعنى : غطى — وهو صحيح — لا تلبث البنت أن تعجب وتنفر من كلمات أمها وربما داخلها الشك فى عقليتها .

والحد — فى عرف المناطقة — ما يصلح لأن يخبر به وحده ، أو يخبر عنه وحده ، وهو العنصر الأساسى للقضية أو الحكم . هذا الحد المنطقى الذى تتكون منه القضية يخالف العنصر الذى تتألف منه الجملة عند اللغوى وهو اللفظ أو الكلمة . فالمنطق يطلق على كل واحد من الأسماء الآتية حدودا : العميد ، عميد الكلية ، عميد كلية الآداب ، عميد كلية الآداب سنة ١٩٥٠ ، عميد كلية الآداب سنة ١٩٥٠ لجامعة فؤاد الأول . أما اللغوى فلا يقول بهذا بل هو لا يعترف بعنصر الجملة إلا للفظ « العميد » فقط ، الذى هو الحد الأول من الحدود المذكورة . وللمنطق وجهة نظره ، وللغوى وجهة نظره .

والإنصاف يقتضينا الفصل بينهما : فاللغوى أوفر نصيبا من الحق ، لأن اللغوى هنا وضع اللفظ على قدر المعنى ، فالمعنى ثابت واللفظ تابع ، واقتضاه المعنى ، وليس من البراعة فى شىء أن ندل بجملة إشارات على شىء واحد إلا أن يكون عجزا . وخير الكلام ما قل فى اللفظ ودل فى المعنى . قال ثعلب :

نسر الهوى إلا إشارة حاجب   هناك وإلا ما تشير الأصابع

بل يزيد شوقى فى التعبير الرمزى دون اللفظى إذ يقول :

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت   عينى فى لغة الهوى عيناك

أما إن كنا نعبر عن المعنى الواحد بألفاظ شتى فليس مما يتمشى مع طبيعة اللغة من حيث هى إشارات إلى المعانى حسب العرف والاصطلاح . ولهذا كلما كان الاختزال فى اللغة متبعا دل ذلك على رقى اللغة وأهلها . فاللغة العربية تضاهي اللغه اللاتينية فى هذا المجال خصوصا فى التعبير عن الفعل والفاعل والزمان فى لفظ واحد هو fecit أى فعل ولا كذلك الانجليزية ولا الفرنسية .

وإنه لنصر كبير للانسانية يوم تزدحم ألفاظ اللغة بأكبر عدد ممكن من المعانى وليت الحاجة التى دعت إلى الإيجاز التلغرافى تعن لنا فنوجز اللفظ حتى يزخر بالمعانى فنتخلص أفرادا وجماعات من الثرثرة والتشدق والتفيهق

والخلاصة أن النسبة بين اللفظ والمعنى تبدو فى إحدى ثلاث :

١ – أن يتكثر المعنى ويتحد اللفظ .

٢ – أن يتكثر اللفظ ويتحد المعنى .

٣ – أن يتكثر اللفظ والمعنى معا .

ومن هنا بدأ الخلاف يدب بين المنطق واللغة ، ولهـذا الخلاف مظاهر :

أولا : من حيث الموضوع .

المنطق يتناول المعانى ، وإن كان لا يجوز له الإخلال بالألفاظ المطلقة عليها ؛ واللغة تتناول الألفاظ ، وإن كان لا يسوغ لها الإخلال بالمعانى المعبر عنها . واللغوى أشبه بالصحافى يترقب الأخبار ويتوخاها ، فاللغة عبد الفكر تخضع لحركاته وسكناته وصحوه ويقظته ، وهى تحقق المعنى بالعقل . وقد يزول اللفظ إلى اللفظ ، والمعنى ثابت لا يزول . وقد يحـول اللفظ إلى اللفظ والمعنى لا يحول . أما المعنى فإنه إذا حال زال ، ولم يعد له حال .

ثانيا : من حيث الغاية :

لاشك في أن الحاجة إلى المنطق تلت الحاجة إلى اللغة ، لسبق اللفظ على المعنى بالطبع ، ولأن الطبع أسبق من أحكام العقل . ففى أوائل حياتنا نحن نتكلم وننطق كلاما منطوقا قاصرا على صاحبه ، أما فى انتقاله من شخص إلى آخر فهو فى حاجة إلى أسس وقواعد يرسمها المنطق لذلك . وأية إشارة أو صرخة أو حركة من الطفل يعتبرها اللغوى لغة ذات معنى مفهوم ، وذلك مالا يعترف به المنطقى بحال ، وإن كان الإفهام والتفاهم غاية كل من المنطقى واللغوى .

ثالثا : من حيث المنهج :

اللغة ترتب اللفظ ترتيبا خاصا يؤدى إلى مألوف القول والعادة؛ أما المنطق فإنه يرتب المعنى ترتيبا يؤدى إلى الحق المعترف به من غير عادة سابقة . ترتيب اللغة هو النحو والصرف ، وترتيب المنطق هو الاستدلال . اللغوى لا يهمه من لغات الناس بقدر ما يهمه من لغته هو . أما المنطقى فله لغة عالية ذات أجرومية دولية ، نحاة اللغات يختلفون ولـكن الناطقة على وفاق وإن اختلفت أجناسهم ودياناتهم وميولهم الانجليزى يقدم الفعل على الفاعل ، والعربى يجيز الأمرين ، والمنطق يفترض شيئا واحدا فقط هو وجود فعل وفاعل بركبان بهيئة يتفق عليها النحاة لتؤدى معنى ، والمنطق يفترض عقلا واحدا سليما مجردا هو العقل الإنسانى ، أما اللغة فتخضع للظروف والأحوال . وعلى ذلك فالمنطق مطلق واللغة نسبية .

رابعا : من حيث القوانين :

ينتهى اللغوى من بحوثه فى الألفاظ إلى ضوابط عامة لها ، إذا لم تراع سمى لحنا ، والمرجع فيه إلى العرف ، أما المنطق فإنه ينتهى إلى قوانين أساسية عامة مطلقة غير استثنائية إذا لم تراع سمى الخطأ فيها إحالة أو تناقضا بمعنى عام ، والمرجع فيه إلى العقل وحده . قوانين الفكر مطلقة عامة لـكل الناس ، أما قوانين اللغة فهى نسبية تخضع لظروفها وتتأثر بها مضطرة راغمة .

خامسا : من حيث التدخل :

اللغة تتدخل فى شئون المنطق لترتب له ممدانه الأولى وهى « التصورات » وعند ذلك تنتهى مهمتها ولا تزيد . والمنطق له الحق فى الاشراف على اللغة ليحقق لها أغراضها الأساسية. ولذلك فنحن نستطيع أن نفهم معنى واضحا من لغة لا نحو لها ، ولـكن لغة لا منطق لها تموت صراخا وضوضاء . فحاجة اللغوى إلى المنطق أشد وأنفع من حاجة المنطق إلى اللغة . نتكلم ما استطعت من لغات ، ولـكن المنطق فيها جميعا واحد هو هو المنطق ، فى مجتمعات ما قبل المنطق prélogique يجوز أن يكون الشيء كذا ولا كذا فى آن واحد ، وليس كذلك الحال فى أى لغة متحضرة ذات منطق كريم .

يقول متى بن يونس القنائى المنطقى لأبى سعيد السيرافى النحوى وهو يحاوره « لا حاجة بالمنطقى إلى النحو ، وبالنحوى حاجة إلى المنطق ، لأن المنطق يبحث عن المعنى ، والنحو يبحث عن اللفظ ؛ فان مر المنطقى باللفظ فبالعرض . وإن مر النحوى بالمعنى فبالعرض، والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضع من المعنى » (١)

والمنطق أحيانا يضرب بالقاعدة النحوية عرض الحائط ، فاذ يفرق النحوى بين الظرف الذى لما يستقبل من الزمان ، وبين حرف الامتناع لامتناع ، وبين حرف الامتناع لوجود ، وبين حرف الشرط الجازم . . نرى المنطقى يعتبر : إن وإذا ولو ولولا ،

---

١) المقابسات : أبو حيان التوحيدى

ولو ما كلها أداة شرط وحسبه هذا .

وأحياناً يقول النحوى إن الخبر يطابق المبتدأ إفراداً وتثنية وجمعا وجنسا ، ولكن المنطق لا يحد من نطاق الحمل ، ولا يقيده كالنحوى ، فالمنطق يقول : العالم عالمان ، ومصر فخر الجيل ، والولد فلذة أبيه . المبتدأ والخبر عند اللغوى اسمان ، أو أحدهما أو كلاهما جملة فى محل المبتدأ أو الخبر ، ولكن الموضوع والمحمول عند المنطق حدان .

ومن أجل التفاهم يعنى المنطقى بالفكر من حيث الكيفية ، أما اللغوى فيعنى به من حيث الكمية . وإذا كانت اللغة أداة التعبير، فإن المنطق أداة التفكير، ولابد للتعبير من الاستناد إلى التفكير .

واللغوى يعمل عالة على المنطقى، وينشط على حساب اكتشافاته وإلا لم يكن ثمت داع لإنشاء المجامع اللغوية ، والمؤتمرات الدولية للاتفاق على المصطلحات العلمية والفنيه المستحدثة فى ضروب العلم والعرفان .

الفكر شرط فى اللغة ، لأن لغة من غير فكر صراخ وعويل ، والجملة هى وحدة اللغة ، هكذا يرى Vendryés و Bosanquet

واللغة شرط فى الفكر لأن الفكر كلام صامت فى الباطن؛ هكذا يرى « لويس دى بونالد » إذ يقول « إن الانسان يفكر كلامه قبل أن يتكلم فكره »

ونعترض عليه بأمرين :

١ — لا حاجة إلى اللغة فى التذكر والتصور والتخيل للمعانى

٢ — قد توجد معان ذهنية لا ألفاظ لها فى الوجود كالغول والعنقاء والخل الوفى ، والأقمار والشموس مجموعة .

فاذا استغنى الفكر عن اللغة أحيانا فهو غالبا ما يحتاج إليها بحيث يصح قول (دى بونالد) من أن الفكر كلام باطنى ، وكل تفكير هادىء هو حديث النفس تتابع فيه الجمل بألفاظ أصواتها خافتة . فاللغة شرط للفكر الواضح الجلى ، وإلى هذه الفكرة سبق الأخطل إذ يقول :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ويتمثل العقل الإنسانى فى المنهج العربى القائل « العاقل من يجعل لسانه وراء عقله ، والأحمق من يجعل عقله وراء لسانه » .

ولا شك فى أن المعرفة سعة وإحاطة وإلمام بأمور الكون ، والبحث عن أوسع العوالم المعانية ، وذلك هدف الفكر ، واللفظ عامل مساعد فى تنمية المعرفة من حيث الدراسة اللفظية : بكثرة تحصيل الألفاظ، ودراسة مشتقاتها ومصادرها الفيلولوجية وأصولها وجذورها مما يزيدنا خبرة ومعرفة ، فالقواميس والمعاجم ذخيرة حافلة بالمعرفة . ولكن لا يخفى أن المعرفة الآتية عن طريق الفكر تحتاج إلى العرف لتعميمها ، ولا تحتاجه من حيث قصرها على صاحبها ، ولكن المعرفة مشاركة وتبادل فهى تشترط اللغة . أما المعرفة الآتية من اللفظ فيجب فيها مراعاة أطوارها ، وبذلك يكون التفاعل بين اللغة والفكر قائما على قدم وساق .

والإنسان عارف ، لا لأنه متكلم ، ولكن لأنه مفكر ، فنحن نتفاهم مع الأخرس بالفكر لا بالكلام ، ونعمة الكلام أوفر من نعمة التفكير . ولو قد أنعم الله علينا بالفكر أكثر مما أنعم به علينا من الكلام لتبدلت الأرض غير الأرض والسماوات ، ولكنا من السعداء الذين يتفاهمون بمجرد السوانح والخواطر ونسلك فى هذه الحياة عن قوة الأفكار التى لا تعدلها قوة . ومن يدرى لعل الله يستجيب لرأى « الفريد فوييه » فى نظرية « الفكرة قوة » فننعم فى الدنيا بالفردوس الموعود، ونحظى بأقرب وسائل التفاهم وهى « التلباثى » فى غير عسر ، يوم تتحد الرغبة والتنفيذ فى جنة الخلد « لهم فيها ما تشتهى أنفسهم ولهم فيها ما يدعون » وما ذلك على الله بعزيز .

محمد محمود زيتونه

الاجتهاد فى التشريع الاسلامي

للاستاذ محمد بك سعيد أحمد

الاجتهاد هو الأصل الثالث للاسلام — ولفظ اجتهاد مشتق من جهدومعناه لغة : جد وتعب .

وقد كان للعقل واستعمال الفكر والتدبر شأن هام فى أمور الفقه والدين كما اثبت القرآن أهميتها فى كثير من الآيات الكريمة . والقرآن يرد الناس إلى العقل داعيا ويهيب بهم ان يستعملوه فى تصريف أمور دينهم ودنياهم فى مثل قوله تعالى « أفلا يتدبرون » « أفلا يعقلون » « لهم عقول يفقهون بها » « ان فى ذلك لآيات لقوم يتدبرون » وهكذا. لقد شبه القرآن هؤلاء الذين لا يستعملون عقولهم بالانعام وقال عنهم انهم صم وبكم وعمى قال تعالى « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون» وقال تعالى « لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل . ٧ ـ ١٧٩ وقال تعالى « ان شر الدواب عند الله الصم البكم العمى الذين لا يعقلون » ٨ ـ ٢٢ وقال تعالى: « أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا » ٢٥ ـ ٤٤

وبينما لا يرضى القرآن عن هؤلاء الذين لا يستعملون عقولهم ويصفهم بالوصف الذى ذكر فى الآيات السابقة ، اذ يمتدح الذين يتفكرون ويتدبرون ويستعملون جوهرة العقل الثمينة فيما وضعت له. قال تعالى « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض، ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ٣ـ١٨٩ـ١٩٠

ويرشد القرآن الى ان الله سبحانه وتعالى يلهم الانسان أصول العلم والمعرفة ويكلفه باستعمال عقله لفهمها وتدبرها ـ ويرشده كذلك إلى ضرورة الاجتهاد فى الرأى للوصول إلى أى حكم من الأحكام . قال تعالى : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردوه الى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » ٤ ـ ٨٣ وكلمة « يستنبطون » مشتقة من نبط البئر يعنى « حفرها ليخرج منها الماء » واستنباط القاضى معناه اظهار الشىء الخفى ، وبعبارة أخرى « الاجتهاد فى الأمر » ومثل ذلك استخراج القاضى ومعناه « الحكم بالقياس » ـ وعلى ذلك فهذه الآية تشير إلى مبدأ الاستنباط الذى يجب الأخذ به والذى لم يخرج عن كونه الاجتهاد الذى نحن بصدده .

ويعترف الحديث بالاجتهاد كأصل من أصول الدين عند افتقاد النص على الحكم فى الكتاب او السنة ؛ فقد حدث لما أرسل رسول الله (ص) معاذ بن جبل إلى اليمن أن قال له: بم تحكم فيهم؟ فقال بكتاب الله ، فقال فان لم تجد؟ قال : بسنة رسوله . فقال : فان لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي . فقال النبى أصبت يا معاذ » ويدل هذا الحديث على ان النبى (ص) قد أقر مبدأ الاجتهاد، وان الصحابة كانوا يعرفون عنه ذلك، وان هذا المبدأ كان يطبق عند الحاجة اليه لضرورة فى حياة الرسول .

ومن الخطأ أن نعتقد أن الاجتهاد فى الرأى انما ظهر مع ظهور الأئمة الأربعة المعترف بهم فى العالم الاسلامى ، فالاجتهاد قد ظهر فى عهد الرسول إذ كان من العسير الرجوع إليه فى كل أمر من الأمور . ثم ازداد ظهورا وانتشارا باتساع الأرض الاسلامية وزيادة عدد المسلمين مع مالازم ذلك من الاحتياج إلى التوسع فى الأحكام الخاصة بأمور دينهم ودنياهم . كما أن الخلفاء وأمراء المؤمنين لم يحتفظوا بالسلطة كلها فى أيديهم فقد كانت لهم مجالس للحكم فى أمهات المسائل وكانت تؤخذ الآراء وتصدر الأحكام بأغلبية الأصوات ويقرها الخلفاء

ويقبلها الرأى العام الاسلامي – وفى ذلك قال السيوطى فى كتابه « تاريخ الخلفاء » من أبى بكر نقلا عن أبى القاسم اللغوى عن ميمون بن مهران .

كان أبو بكر يرجع إلى كتاب الله فى كل مسألة تعرض عليه ويحكم بما جاء به، فان لم يجد كان يرجع إلى السنة ويحكم بما جاء بها، – فان لم يجد كان يجمع المسلمين ويسألهم عله يجد من بينهم من يذكر أنه سمع رسول الله فى مسألة مماثلة فكان كل واحد منهم يقول ما سمعه عن الرسول. ويقول أبو بكر الحمد لله الذى أوجد بيننا من يذكر كلام الرسول – فان لم يجد فى السنة جوابا للمسألة كان يجمع علية القوم فى مجلس ويستشيرهم فاذا ما اتفقوا على رأى بأغلبية الأصوات أقره وأمر باتباعه.

وواضح أن هذا المجلس لم يكن مجلسا تشريعيا بالمعنى الحديث إلا أنه يحمل معناه وطريقته فقد كان يتخذ قرارات فى كل المسائل الهامة ، وكان يضع القوانين عند الضرورة، وكان المرجع الأعلى فى كل المسائل الدينية والزمنية وظل الحال كذلك فى عهد عمر بن الخطاب – الذى كان يرجع إلى الصحابة المشهود لهم بالعلم والمعرفة فيمدونه بآرائهم فيما يعرضه عليهم من المسائل – فاذا اختلفت آراؤهم فى أمر من الأمور أخذ برأى أغلبيته . وإلى جانب هذا المجلس كان يوجد نخبة من العلماء الأجلاء اللامعة آراؤهم امثال السيدة عائشة وابن عباس وابن عمر وغيرهم من مجتهدى ذلك العصر وكان الخليفة يعتمد على هذه الآراء ويأمر بالعمل بها على شريطة أن لا تكون مخالفة للقرآن أو للسنة . وقد قدر قضاة الشريعة اللاحقون آراء أسلافهم وحكموا بها بما لم يخالف كتاب الله وسنة رسوله .

وقد ظهر فى القرن الثانى للهجرة أئمة وضعوا من القوانين ما يلائم حاجات الناس فى ذلك الوقت وعلى رأس هؤلاء الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت المولود بالبصرة عام ٨٠ هـ (٦٩٩ م) وهو من أصل فارسى – ويتبع مذهبه كثرة من مسلمى العالم . وكان مركز نشاطه بالكوفة وتوفى عام ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) وكان القرآن رائده فى الأحكام وأساس قياسه . ولم يأخذ من الحديث الا ما كان مقتنعا تمام الاقتناع بأنه صحيح – وكان فى ذلك الوقت لم يكن قد بدىء العمل فى جمع الحديث ونقده وتدوينه، ولم تكن الكوفة بالمركز الثقافى الهام لدراسة الحديث فكان من الطبيعى أن يكون اجتهاد أبى حنيفة قاصرا على القرآن ولم يأخذ من الحديث إلا النذر اليسير . ولما تم جمع الحديث وتدوينه وأصبح فى متناول المسلمين أدخل أتباع أبى حنيفة على مذهبه كثيرا من الأحكام المأخوذة من الحديث، وأشهر هؤلاء الامام محمد والامام أبو يوسف ولآرائهما المكانة الأولى فى المذهب .

وكان أبو حنيفة مستقل الفكر لا يعمل إلا بوحى ضميره. – ولقد آثر فى أواخر أيامه السجن والجلد على السير فى ركاب الحكومة مخافة أن يؤثر ذلك على استقلال فكره وحرية ضميره – كما أبى أن يلى القضاء وقد جلد أحد عشر يوما متتابعة فى كل يوم عشر جلدات على أن يلين فأبى إلا حرية الفكر – ومذهب أبى حنيفة أول المذاهب المعروفة وأوسعها انتشارا ويدين به أغلب المسلمين. وإن آراءه وأحكامه يصح أن تكون دعامة لصرح تشريعى اسلامى متين ينتفع به العالم الاسلامى لو أن المسلمين فى مختلف العصور نهجوا نهجه وسلكوا سبيله فى الاجتهاد والتشريع. وكان أبو حنيفة أول من أشاد بفضل القياس فى الأحكام ووضع للأمة مبدأ الاستحسان والاستصلاح فاستطاع به وضع أحكام جديدة موافقة للعدالة لمواجهة حاجات الناس المتزايدة وبذلك أمكن استبعاد كل حكم بعيد عن العدالة غير ملائم للبيئة والجماعة . وهو أول من أقر الأخذ بالعرف والعادة . وكان فى كل ذلك كما قدمنا مستقل الرأى حر الفكر غير متأثر بغيره مما دعا أتباع المذاهب الأخرى حينذاك أن يصفوه هو وتلاميذه بأنهم « أهل الرأى »

وتبعه الامام مالك بن أنس الذى ولد بالمدينة عام ٩٣ هجرية (٧١٣ ميلادية) وعاش ومات بها وسنه ٨٢ سنة – وقد أقام نفسه لدراسة الحديث وفق ما كان ساريا بالمدينة وجاريا بين أهلها

فكان أساسا لمذهبه - وكان الامام مالك حريصا أشد الحرص فى أحكامه؛ فإذا تشكك فى صحة أمر من الأمور قال «لا أدرى». وكتابه الموطأ فريد فى بابه وهو من أوثق الكتب فى الحديث وان كانت مجموعته صغيرة وقاصرة على الأحاديث المتداولة بين أهل المدينة .

ثم قفاه الامام الشافعى وهو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى ثالث الأئمة ولد بفلسطين عام ١٥٠ هجرية (٧٦٧ ميلادية) وقد قضى أيام شبابه بمكة وعاش أغلب أيامه بمصر وتوفى بها عام ٢٠٤ هجرية . وكان الامام الشافعى واحد عصره فى علوم القرآن وأجهد نفسه فى دراسة السنة وتحمل المشاق متنقلا بين مختلف البلدان باحثا وراءها . وكان يحفظ المذهب الحنفى والمذهب المالكى - ويختلف المذهب الحنفى عن المذهب الشافعى بأن الأول كان يستند دائما إلى القرآن ولم يركن إلى الحديث إلا قليلا ؛ والثانى كان جل سنده الحديث والسنة . ويمتاز الشافعى من مالك بأن مجموعة الحديث التى استند اليها كبيرة ومجموعة من نواح متعددة بخلاف مالك الذى اكتفى من الأحاديث بما وجده بالمدينة وحدها .

وتلاه الامام أحمد بن حنبل وهو آخر الأئمة الأربعة ؛ ولد ببغداد عام ١٦٤ هـ وتوفى بها عام ٢٤١هـ. وللامام أحمد دراسات واسعة فى علم الحديث كما هو ظاهر من كتابه الشهير «مسند أحمد بن حنبل» الجامع لثلاثين ألف حديث - وكان جهد الامام فى جمع الحديث أساسا للمجموعة القيمة التى قام بها ولده عبد الله . وقد رتبت الأحاديث فى المسند بحسب اسم الصحابى الذى يرجع إليه الحديث لا بحسب موضوعات الأحاديث نفسها وغير ذلك فان الأحاديث الواردة فيه لم يراع فى جمعها الدقة التى توخاها البخارى ومسلم فى صحيحيهما . والواقع أن ترتيب الأحاديث بحسب موضوعاتها يكشف للباحث عن مواطن الضعف ويسهل تعرف أوجه النقد . وهذا أمر غير ميسور إذا كانت المواضيع مبعثرة فى مختلف صفحات المجموعة المرتبة أحاديثها بحسب ترتيب أسانيدها؛ وهذا ماجرى عليه أحمد فى مسنده فكان بذلك غير موثوق به بالنسبة لمجموعات المحدثين الآخرين - وظاهر من مجهود أحمد وطريقته أنه جعل كل اهتمامه فى جمع الحديث ، ونتج عن ذلك أنه أخذ بأحاديث ضعيفة - فاذا قارنا أبا حنيفة الذى جعل القرآن رائده الأول واجتهد فى الرأى مستضيئا بنوره ومستنبطا أحكامه من آياته بابن حنبل الذى لم يجتهد فى الرأى الا قليلا، وجدنا أن هناك فتورا فى الاجتهاد الذى هو أصل من أصول الاسلام بين أول الأئمة وآخرهم - هذا فضلا عن أن أتباع مذهب أبى حنيفة من قضاة الشريعة الاسلامية لم يترسموا خطى أمامهم فى الاجتهاد والاستنباط فأقفل بذلك باب الاجتهاد ووجدت حالة جمود فى التشريع الاسلامى .

وسنتحدث ان شاء الله فى مقالنا التالى عن طريق التشريع المختلفة فى الاجتهاد .

محمد سعيد أحمد

الأسس الجغرافية والتاريخية للوحدة اللوبية

الاستاذ مصطفى عبد الله بعيو

احتلت القضية اللوبية فى الاعوام الأخيرة مكانة دولية هامة استرعت انظار العالم مما ترتب عليه انصراف عـدد كبير من المختصين إلى دراسة شئونها كل فيما يختص فيه؛ وخرجت إلينا المطابع الافرنجيـة بابحاث شتى بخصوصها كان أهمها بالنسبة لموضوع اليوم مايتعلق بتاريخهـا وجغرافيتها (١) . على أن أهم مايلفت النظر فى هـذه المؤلفات العلمية الحديثة اتجاهها اتجاهاً خاصاً فى دراسة البلاد . هـذا الاتجاه قائم على الدراسة المؤدية لأقسام البلاد الثلاثة بحيث أن كل قسم منها قائم بذاته وله خصائصه التى ينفرد بها. وليس التخصص أو الخوف من تضخم الـكتب هو الذى دفع معظمهم إلى هـذا النهج ولـكن هى الروح الانفصالية والتمهيد لذلك عن طريق العلم حتى تنتشر الفـكرة وتعم فتـكون نواة صالحة لتسهيل تنفيـذ الاغراض السياسة وهكذا وجدنا الحقائق تلوى ليأً وتطمس طمساً فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية . وهكذا وجدنا رجال السياسة يتخذون من هذه الحقائق على حالتها هذه عماداً لتأييد نظريتهم الراميـة لتقسيم البلاد حتى يفوز كل منهم بنصيبه من هـذه الفريسـة التى وضحت أهميتها للعيان بعد الحرب العالمية الأخيرة

كانت أهم النقط التى استند عليهـا بعضهم فى التفريق بين برقة وطرابلس مثلا أن الأولى خضعت للأغريق بينما الثانية خضعت للفينيقيين، فقرطاجة وأن الأولى كانت تكون ولاية رومانية احياناً مع مصر واحياناً مع جزيرة كريت فى الوقت الذى كانت فيه طرابلس تلحق بافريقية ؛ وأن عرب الأولى معظمهم من قبائل سليم ومعظم عرب الثانية من بنى هـلال ؛ وأن سكان الاجزاء الشمالية من لوبيا يرجعون الى جنس البحر الابيض ، أما سكان فزان فيرجعون إلى السلالة الاثيوبية . وهكذا من الأدلة التاريخية المبعثرة التى يمكن أن يأخذ بها الانسان اذا قرأها قراءة سريعة دون فحص او تحليل .

وعلى العموم ان مثل هذه الأدلة وغيرها وإن صحت حقيقتها لاتصلح ان تـكون مؤيداً لهـذه النظرية الانفصالية ، لأنها تمثل الحالات الشاذة التى مرت بها البلاد ، والتى لايخلو منها تاريخ أى بلد. وماذا يكون الأمر اذا ثبت عكسها وأتت الأدلة بنقيضها ؟

فنحن إذا نظرنا إلى خريطة لوبيا الطبيعية لانجد من المظاهر الطبيعية كالبحار والانهار والجبال مايصلح لأن يكون حداً طبيعياً بين هذه الأجزاء الثلاثة هذا الاتصال الطبيعى هو الذى جعل بعد الجزافيين المؤرخين القدامى يختلفون فى تحـديد كل اقليم ويخلطون بينه وبين الآخر؛ فهذا المؤرخ Sallust عندما يؤرخ للنزاع بين قورينا وقرطاجة يقول : « كان هناك سهل رملى على الحدود فيما بين البلدين ذو سطح متشابه خال من المعالم . ليس به جبل أو نهر حتى يمكن بواسطته تحديد حدود هاتين المملـكتين ... وهذا ياقوت الحموى فى معجم البلدان عندما يتكلم عن طرابلس يقول بأنها مدينة فى آخر أرض برقة وأول أرض افريقية وهكذا يجعل برقة تمتد غرباً حتى مدينة طرابلس ، ويذهب بالوحدة بينهما إلى حد بعيد، حتى أنه أطلق برقة على معظم اقليم طرابلس. وهذا ابن وسته فى كتابه الاعلاق النفيسـة عند كلامه عن سرت يعتبر توزعة حد برقة الغربى . وهذا أبو الفدا فى كتابه تقويم البلدان يتخذ من قصر أحمد ميناء مدينة مسراتة حداً غربياً لبرقة . وهذا ليون الافريقى يصف المنطقة الممتدة من مسراته إلى الاسكندرية تحت عنوان برقه؛ فكانه يجعل من مسراته حداً غربيا لها. الرحالة

(١) من بين هذه الـكتب على سبيل المثال لا الحصر مايأتى :

ا — سلسلة « Hand Book on Tyrenaica » وقد صدرت فى عدة اجزاء تحت اشراف البريجادير كنج رئيس الادارة البريطانية ببرقه سابقاً واشترك فى تاليفها استاذان من جامعه فاروق الأول هما الاستاذ الن ويس الذى الف الجزء الثالث والاستـاذ عزيز سوريال عطية الذي الف الجزء الرابع . أما الدكتور اتين دريتون مدير مصلحه الآثار المصريه فقد اشترك فى تاليف الجزء الثاني من هذه السلسلة .

ب مؤلفات الاستاذ Evaus Pitchard الاستاذ بجامعه اكسفورد

المستر بتشي واخوه اللذان قاما برحلة علمية جغرافية من طرابلس إلى درنة في أيام يوسف باشا القره مانلي يشاركان الرحالة ليون الافريقي في هذا التحديد .

اختلفت هؤلاء المؤرخون والرحالة في تعيين الحدود بين هذين الاقليمين، ولهم الحق في هذا الاختلاف لأن الطبيعة وحدت بينهما وجعلت من الصعب الجزم بأي حد بينهما. وساعد على الربط خليج سرت الكبير بشكله المعروف. فنحن اذا نظرنا إلى خريطة لوبيا لاحظنا خلوها من الخلجان الفرعية والثنيات التي تصلح أن تكون اساساً لاتخاذها نقطة للفصل بين ساحلي الاقليمين، بل أن خليج سرت بشكله القوس المستقيم يربط بين مسراته وبنغازي بنهايتيه .

ومن المسلم به بين علماء الأجناس ان الاساس الجنسي لكل من برقة وطرابلس يقوم على سلالة البحر . الابيض المتوسط. وكان من المعتقد قديماً أن قبائل الجرامنت صاحبة الحضارة الراقية والتي كانت تسكن في فزان في العصور القديمة ترجع في أصولها للسلالة الاثيوبية؛ ولكن النتائج الأخيرة التي وصلت إليها احدى البعثات الايطالية لدراسة الناحية الجيولوجية والبشرية لمنطقة فزان اثبتت عدم صحة هذا الرأي بعد زيارة وادي الاجال بقران وفحص مقابره العديدة، وارجعت اصولها الجنسية إلى سلالة البحر الابيض مستدلة على ذلك بالحضارة الراقية التي كانت عليها القبائل الجرمنتية والتي لابد أنها قد وصلت مع أهلها من الشمال . وهكذا كانت هذه لوحدة الجنسية في اساسها صالحة فيما بعد لأن تكون منسجمة امام ماجد من تطور في الجغرافية البشرية لهذه البلاد وعدم اختلال التوازن الجنسي بين سكان هذه الاقاليم لما جد من فتوح وغزوات كان لها اثرها الطبيعي في تكوين الشعب اللوبي بصفة عامة .

يرى الذين يؤيدون فصل لوبيا الغربية عن لوبيا الشرقية أن هذا الفصل شيء طبيعي كانت له سابقة في التاريخ القديم تصلح أن تكون اساساً لهذه النظرية؛ فبينما خضعت برقة للاغريق انفرد الفينيقيون فالقرطاجنيون بطرابلس . وهذا التأييد التاريخي لحركة الانفصال صحيح اذا اخذنا به على علاته دون بحث أو تحقيق. ولكن اذا حللنا الاسباب التي دعت هذا إلى الفصل تبين لنا عدم صحة هذا الاساس الذي بني عليه هذا التقسيم .

فمن المعلوم أن الفينيقيين قد اضطروا لهجر الجزء الشرقي من حوض البحر الابيض المتوسط امام نشاط الاغريق وتحفزهم ولجأوا الى الحوض الغربي وكان من حظهم أن اتوا الى طرابلس . ولا شك أنهم فكروا في الساحل البرقي قبل أن يصلوا إلى الساحل الطرابلسي بحكم قربه إلى موطنهم الأصلي؛ ولكنهم رأوا في النزوح إلى الساحل البرقي مايعرضهم لخطر الاغريق بشكل افظع نظرا لمواجهة برقة لبلاد اليونان مباشرة وهم الذين تركوا لهم شرق البحر الابيض حتى لايواجهوا الاغريق؛ ولهذا اضطروا إلى التخلي عن برقة والاكتفاء بساحل طرابلس. وليس معنى هذا التخلي التسليم بالتقسيم، ولكن الظروف هي التي اجبرت الفينيقيين على أنه إذا كان الأمر كذلك بالنسبة للفينيقيين فإن الاغريق بعد أن استوطنوا برقة حاولوا ضم طرابلس إلى برقة والتوحيد بينهما. فالتاريخ يحدثنا أن دوريوس الاسبرطي قد نزل بفريق من اتباعه عند مصب وادي كنام إلى الغرب من بلدة ظليتن ، وهناك اسس مستعمرة اغريقية عرفت باسم Tynips قدر لها أن تعيش فترة من الزمن كانت كافية لأن تكون نواة لزحف الاغريق إلى طرابلس والتوحيد بينها وبين برقة. ولكن قرطاجة وهي التي هجر مؤسسوها شرق البحر الابيض امام الخطر الاغريقي لم تقف ساكنة أمام هذا الخطر الزاحف بل عملت على طرد الاغريق من هذا الجزء والقضاء على مستعمرتهم الناشئة .

هذه ولا شك محاولة ايجابية قام بها الاغريق للتوحيد بين الاقليمين وإن كان النجاح لم يكن حليفاً لها، فعلى العموم تصلح أن تكون نواة لحركة اخرى أقوى وأكثر وضوحاً فيما بعد . يتبين لنا ذلك عندما نرى البطالسة ملوك مصر وقد بسطوا اسيادتهم على برقة اخذوا يزحزحون حدودها الى الغرب حتى أوصلوها إلى سرت ، ثم يقوم حاكم قوروينا المسمى افلاس Ephellas بحركة جريئة كان الغرض منها ضم طرابلس إلى برقة عندما تعهد بمساعدة اجاثوكليس الاغريقي طاغية سيراكوز بصقلية في حربه مع قرطاجة على أن تطلق يده في لوبيا الغربية في حالة النجاح . وبدأ افلاس فعلا في تنفيذ خطته وسار بجيشه عبر الساحل الطرابلسي الى تونس وان كانت هذه المحاولة الجريئة التي قام بها اغريق برقة

لضم طرابلس لم تنجح هذه المرة كذلك؛ فإن ذلك لاينفى هـذه المحاولة الرامية لتوحيد الاقليمين باخضاعهما لسلطة واحـدة ، اذ أن عدم التمسك بتحقيق شروط هـذه الاتفاقية وروح الخيانة بين الحليفين هى التى وقفت دون تحقيقها .

وبعد أن فشلت محاولات التوحيد التى قام بهـا الاغريق واستقر كل فريق فى الجزء الخاص به رأينا المنازعات والمشاكل تقوم بين البلدين على الحدود لعدم وضوحها ووجود مايصلح أن يكون حداً فاصلا بين الاقليمين. وسرعان ما اتخذت هذه المنازعات شكل الحروب المنظمة . فالتاريخ يحدثنا أن الحرب قامت بين قوربنا وقرطاجة من أجل هذه الحدود عندما كانت قوربنا تتزعم المدن الخمس باقليم برقة، وعندما كانت قرطاجة تبسط سيادتها على طرابلس. وهـكذا كان فى شطر هذه البلاد فى ذلك الوقت مدعاة للحرب والمنازعات. ويحدثنا أيضا كيف انتهت هذه الحرب بين الطرفين وبقصة التحكيم وتضحية الاخوين فليانى من اهالى قرطاجة واقامة مشهد تذكارى لهما فى المكان المعروف الآن «بالقوس» ولا شك أن الرضى بهذا الحد الصناعى لم يكن كذلك إلا خوفا من تجديد الحرب بينهما وافناء قوتهما وتعريضهما للفناء أمام خصم جـديد اخذ يظهر للوجود متمثلا فى روما وقوتها، وإلا ما كانت هذه الحدود الصناعية تصلح أن تكون حدوداً وافيـة بالغرض الذى اقيمت من أجله ولا أدل على ذلك من نشاط تجارة التهريب بين الاقليمين عندما فصلا عن بعضهما بعد هذه الاتفاقية وكيف قامت مدينة (كاراكس) المعروفة الآن (بسلطان) كنتيجة لهـذه التجارة و كيف نشطت هذه الحركة خصوصاً فيما يختص بتجارة نبات السلفيوم الذى كانت تنتجه برقة وعصير العنب الذى كانت تنتجه طرابلس . ولا شك أن فى اقامة مثل هذه الحدود الصناعيه اعادة لحركة التهريب هذه على أشد مايكون. ولنا فيما رأيناه فى الاعوام الاخيرة مايثبت ذلك، فكيف يكون الحال اذا اقيمت حدود معينة يصعب تخطيها إلا بأذن خاص . لا شك أن الحيـاة الاقتصادية ستصاب فى نشاطها كما اصيبت فى السابق ولـكن وجه الخطورة اشد فى العصر الحديث .

وما لنا نذهب بعيداً؟ فلنترك العهد الاغريقى والفنيقى جانبا لنرى البلاد وقد جاءها العرب فاتحين مبشرين بالدين الإسلامي سنة ٢٢هـ.

جاءت الجيوش العربية ففتحت برقة وتقدمت منها الى طرابلس فاستولت عليها وفى اثناء ذلك كان بعض الجند يتوغلون جنوباً الى زويلة وفزان ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أن عمرو بن العاص قد استأذن الخليفة فى فتح طرابلس وفزان بعد استيلائه على برقة، ولـكنها تذكر لنا وتؤكد أن عمرو بن العاص اراد أن يتـابع فتوحاته غرباً بعد طرابلس بالاستيلاء على افريقية لولا معارضة الخليفة لذلك على اثر مادار بينهما من مكاتبة فى هـذا الخصوص. ومعنى هـذا أن عمرو بن العاص فى فتحه لطرابلس وفزان بعد الاستيلاء على برقة لم يفعل اكثر من اتمام فتح هذه البلاد التى بدت له وحدتها منذ ذلك التاريخ ، حتى اذا ما أتم فتحها واراد الانتقال لغيرها شعر بضرورة الاستئذان قبل الاقدام على هـذا العمل . وهكذا كان هذا التوحيد فى الفتح نتيجة لوحـدة البلاد الطبيعية التى ادركها القائد العربى منذ ذلك التاريخ مقدمة لأحداث اخرى متتابعة ربطت بين الاقاليم الثلاثة وجعلتها اقرب ما تـكون لبعضها من البلاد المجاورة .

للكلام صلة

مصطفى عبد الله بعيو
خريج جامعه فاروق ومعهد التربيه العالى
عضو الجمعية التاريخيه لخريجى كليه الاداب
مدير مدرسه النهضه الثانويه
بالزاويه بطرابلس الغرب

اسامة بن منقـــذ وشــعره*

للاستاذ أحمد أحمد بدوى

— ١ —

فى يوم الأحد السابع والعشرين من جادى الآخرة سنة ٤٨٨ هـ (يولية سنة ١٠٩٥ م) ولد أسامة بن منقذ فى أسرة توارثت إمارة « شيزر » وهى مدينة فى الشمال الغربى لحماة ، تبعد عنها خمسة عشر ميلا ، وتقع على هضبته يحيط بها نهر العاصى من جهات ثلاث ، وتنهض فيها قلعة شامخة حصينه ، وكان لهذه القلعة قيمتها فى عصر الحروب الصليبية ، لمركزها الحربى الحصين ، ومكانها بين الولايات السورية ، فكانت مطمح الطامعين من أمراء المسلمين والصليبيين .

ولد أسامة لأب صالح ، يقضى وقته بين تلاوة القرآن ، والصيد فى النهار ، ونسخ كتاب الله فى الليل ، ووالدة شهرت بالشجاعة ، والنخوة ، والأقدام ، وقد تركه والده منذ صغره يقتحم الأخطار ، ويركب الصعب من الأمور ، فلا ينهاه عن أن يمضى إلى حية يحز رأسها ، ويلق بها فى الدار ميتة ، وهو ثابت رابط الجأش ، ولا يحول بينه وبين مصارعة الأسود بشيزر ، وقتل ما يصرعه منها ، وهكذا شب جريئا لا يهاب . ومما ساعده على ذلك أنه كان يشترك مع أبيه فى رياضته المفضلة عنده وهى الصيد .

إلى جانب هذه النشأة التى تمد للحرب والنضال ، تلقى أسامة الثقافة التى كان يتلقاها الأمراء فى ذلك العصر ، فدرس الحديث والأدب ، والفقه ، والنحو ، واللغة ، وحفظ الكثير من الشعر ، وأخذ من ذلك بنصيب واف ، يشهد له به كتبه ، وما ضمنت من أحاديث كثيرة ، متنوعة الأغراض ، ومن مأثور كلام البلغاء من المتقدمين ، وما استشهد به من شعر ومنثور ، وما أورده فى شعره من ألفاظ لغوية استعملت فى معانيها الدقيقة مما لم يكن يجرى الا على أقلام كبار البلغاء ، أخذ ذلك عن كبار الأساتذة ، كما كانت البيئة التى عاش فيها بيئة أدبية ممتازة ، فقد كان الأمراء من بنى منقذ ممن يقصدهم الشعراء والأدباء ، كما أنهم كانوا علماء شعراء ، وتحتفظ الأدب بكثير من أشعار أبيه وأعمامه وأجداده .

كان أسامة أثيرا لدى عمه أبى العساكر سلطان حاكم « شيزر » ولما لم يكن له عقب اتخذ أسامة ابناله ، وكان يرى فيه الأمير المستقبل لشيزر ، ووارث الملك من بعده ، فكان يكله من الأمور ما يتطلب شجاعة وجرأة . واشترك أسامة فى المعارك التى دارت بين أسرته وبين الصليبيين دفاعا عن مدينتهم شيزر. وعاش أسامة فى تلك المدينة بين حب والده وعطف عمه ، غير أن هذا لم يلبث بعد أن رزق أولادا فى آخر أمره ، أن دب الوهن والفتور إلى العلاقة التى تربطه بأسامة ، وبدلا من حبه وعطفه عليه ، بدأ الحسد والحقد يأخذان مكانهما من قلبه ، خوفا على أولاده من مكانة أسامة ، وحذرا أن يئول الملك إليه دونهم ، فمضى أسامة إلى الموصل لدى عماد الدين زنكى الذى صار أكبر أبطال الحروب الصليبية فى وقته ، وأول خطر حقيقى داهم للصليبيين ، فانتظم أسامة فى جنده ، وحارب تحت قيادته فى عدة معارك ، ولكنه لم ينس وطنه الأول شيزر، عندما هاجمه الفرنج والروم سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) ، فقد مضى إليه ، وأبلى بلاء حسنا فى الدفاع عنه . وربما كان قد عزم على البقاء فى شيزر بين أهله الذين فقدوا والده سنة ٥٣١ هـ ، غير أن عمه أبا العساكر لم يرض عن مقام أسامة بشيزر ، فقد أيقن أنه أصبح خطرا على ملكه ، وأن ليس لأبنائه سلامة إذا ظل أسامة فى شيزر ، فأمره وإخوته بالرحيل ، فتشتتوا فى البلاد ، وكان فى ذلك الخير لهم ، فإنهم نجوا من الزلازل التى هدمت شيزر، وقضت على بنى منقذ بأسرهم وذهبت بملكهم سنة ٥٥٢ هـ .

مضى أسامة يوم أخرج من شيزر إلى دمشق ، واتصل بحاكمها معين الدين أنر، واعتمد هذا الحاكم على أسامة فى تصريف

* من مقدمه ديوانه الذى ينشر قريبا .

الشئون السياسية ، وقد نجح أسامة فى ذلك نجاحا رفع مكانته فى دمشق ، واستطاع فى تلك الحقبة أن يتصل بالفرنج عن قرب وأن يعرف الكثير من عاداتهم وأخلاقهم، ولكن المقام لم يصف لأسامة بدمشق . ويظهر من القصيدة التى أرسلها إلى معين الدين أنر يعاتبه فيها — أن السر فى نبو المقام بأسامة يعود إلى وشايات حملها الساعون إلى معين الدين فصدقها ، فانحرف قلبه عنه ، يدلنا على ذلك قول أسامة :

بلغ أميرى معين الدين مألكة ... من نازح الدار ، لكن وده أمم
هل فى القضية يا من فضل دولته ... وعدل سيرته بين الورى علم
تضييع واجب حقى بعد ماشهرت ... به النصيحة والأخلاص والخدم
وما ظننتك تنسى حق معرفتى ... «إن المعارف فى أهل النهى ذمم»
ولا اعتقدت الذى بينى وبينك من ... ود ، وإن أجلب الأعداء ينصرم
لكن تقاتك مازالو بنشهم ... حتى استوت عندك الأنوار والظلم
والله ما نصحوا لما استشرتهم ... وكلهم ذو هوى فى الرأى متهم
كم حرفوا من مقال فى سفارتهم ... وكم سعوا بفساد ضل سعيهم

ويبدو من تلك القصيدة ، وما فيها من حياة وحرارة وقوة ، أن أسامة كان يضمر فى قلبه فيضا من الحب لمعين الدين ، وقد ختم قصيدته بعد عتاب طويل بقوله :

فاسلم ، فما عشت لى فالدهـــر طوع يدى
وكل ما نالنى من بؤسه نعم

ترك أسامة دمشق ، وسافر إلى القاهرة ، فوصل إليها فى جمادى الثانية سنة ٥٣٩ هـ (نوفمبر سنة ١١٤٤ م) فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله ، وكان معه والدته وزوجه وأخوه محمد نجم الدولة، فأكرمه الخليفة أيما إكرام ، وأقطعه إقطاعا عاش به فى رغد من الحياة ، وخفض عيش . ولم يشأ أسامة فى أول الأمر أن يزج بنفسه فى الأحداث السياسية المصرية ، حتى إذا ولى الظافر ألقى بنفسه فى خضم هذه الأحداث ، حتى ليروى المؤرخون أنه اشترك فى المؤامرات التى انتهت بقتل الوزير ابن السلار ، والخليفة الظافر ، ورأى أسامة أن يعود بعد هذه الخطوب والحوادث إلى دمشق ، برغم أن الصلة كانت وثيقة بينه وبين الوزير المصرى الجديد : طلائع بين رزيك .

عاد أسامة إلى دمشق سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ومضت عشيرته لتلحق به ، ولكن السفينة التى كانت تحملهم أصابها عطب عند عكا التى كانت فى يد الصليبيين ، فنهب الفرنج ما معهم من المتاع ، وساموهم سوء العذاب ، حتى إذا وصلوا إلى دمشق ، كانوا قد فقدوا كل ما حملوه معهم من مصر ، وكان لذلك أكبر الأثر الأليم فى نفس أسامة .

واتصل أسامة فى دمشق بحاكمها نور الدين محمود ، أكبر أبطال الحروب الصليبية فى عصره ، وكثيرا ما أرسل إليه الوزير المصرى طلائع قصائد يحثه بها على أن يتوسط لدى نور الدين ، حتى تجتمع كلمة سوريا ومصر على جهاد العدو المشترك ، ولكن هذه القصائد لم تثمر ثمرتها . ويظهر أن كبر سن أسامة قد حال بينه وبين الاشتراك فى الوقائع الحربية التى شنها نور الدين ! وإن كان قد ساهم فى بعضها، فقد حدثنا أبو شامة فى كتابه الروضتين عما أبداه أسامة من ضروب البسالة فى حصار قلعة حارم .

ويظهر أنه وجد بعد زهاء عشر سنين قضاها فى دمشق ، أنه فى حاجة إلى الراحة والبعد عن تكاليف السلطان وخدمة الملوك ، فمضى إلى حصن كيفا ، وهناك عكف على البحث والدرس والتأليف. وربما اختار أسامة هذا المكان لما كان فيه من مكتبات ضخمة غنية . ولكن هـــذه العزلة التى ارتضاها أسامة قطعها عودة صلاح الدين إلى دمشق ، وقد رأى فيه أسامة البطل المنقذ للبلاد ، فمضى إليه ، واستقبله صلاح الدين استقبالا حسنا ، فقد كانت تربطه به صلات وثيقة عند ما كانا معا فى بلاط نور الدين محمود ، فأعطاه صلاح الدين داراً وإقطاعا دارة ، وجالسه وآنسه وذاكره فى الأدب ، وكان يستشيره فيما يلم به ، وإذا مضى إلى الغزو كاتبه ، وأخبره بوقائعه ، وكان صلاح الدين معجبا بشعر أسامة ، مشغوفا بقراءة ديوانه ، وتأمل خواطره ، واستحسان روائع قصائده ، وكان ولده مرهف جليس صلاح الدين ، وصاحبه فى الحل والترحال .

عاش أسامة فى دمشق يشكو الكبر ، وقد ثقلت عليه الحياة ، لطول عمره، حتى إذا كان الثالث والعشرون من رمضان سنة ٥٨٤هـ

(نوفبر سنة ١١٨٨ م م) توفى أسامة بعد أن أربى على التسعين ، ودفن فى سفح جبل قاسيون ، بدمشق .

— ٢ —

ترك أسامة عدة كتب عرفنا منها :

١ — كتاب الاعتبار الذى نشره المستشرق الفرنسى هرتويغ درنبورج ، وقد سجل فيه أسامة ذكرياته ، ومشاهداته ، من معارك حربية ، وأحداث سياسية ، فى مصر والشام ، ويصور الوقائع التى دارت بينه وبين الفرنج فى صدق واخلاص ، ويعلق على ما يرى ، ويشيد بالبطولة ، سواء أكانت من المسلمين أم من الصليبيين ، ويدون ما يراه من أعمال الأبطال ، ولو كانوا من صغار الجنـد ، ويقيد الحوادث الفردية والغريبة ، وينقل إلينا ضوضاء المعارك ، ويصف صلة المسلمين يومئذ بالفرنج، فى السلم والحرب، ويصور طبائع الفرنج وأخلاقهم وعقائدهم ، ويحوى تأملات لأسامة بشأن طول العمر ، وألحق بالكتاب قصصا ونوادر شاهد بعضها ، وسمع بعضها من ثقة ، وقيمة الكتاب فى أن ما رواه من حوادث تاريخية ومعارك ، سجلها بعد أن رآها ، فكان فيها شاهد عيان ، ولذا كان من أهم ينابيع التاريخ لتلك الحقبة من عصر الحروب الصليبية ، وقد كتبه أسامة وهو ابن تسعين سنة .

٢ — كتات لباب الآداب، نشره الأستاذ أحمد محمد شاكر، وقد رتبه مؤلفه على سبعة كتب : الأول فى الوصايا ، والثانى فى السياسة ، والثالث فى الكرم ، والرابع فى الشجاعة ، والخامس فى الأدب بمعنى كرم الخلق ، وقسمه خمسة عشر فصلا ، وهو يورد فى هذه الكتب ما يتعلق بها، مما جاء فى القرآن الكريم ، ثم ما ورد من أحاديث تتصل به ، ثم يورد المأثور من أقوال الحكماء . والكتاب السادس فى البلاغة ، تحدث فيه عن إعجاز القرآن ، وأوردجوامع كلم الرسـول ، ونماذج من كلام البلغاء ، وجاء بكثير من محاسن الشعر الموجز البليغ الدال على مكارم الأخلاق، وقطعا لأغراض مختلفة من الشعر . والكتاب السابع فى الحكمة نهج فيه نهج سلفه من الأبواب ، والكتاب يدل على اطلاع واسع ، وذوق دقيق فى الاختيار .

٣ — كتاب العصا ، وقد أورد فيه شواهد نثرية وشعرية تتحدث عن العصا التى عرفت فى التاريخ، وأثبت فيه أيضا كثيرا من شعره .

٤ — كتاب البديع، وقد جمع فيه ما تفرق فى كتب العلماء المتقدمين ، المصنفة فى نقد الشعر ، وذكر محاسنه وعيوبه ، وقد انتقد هذا الكتاب ابن أبى الإصبع فى كتاب بدائع القرآن ، ومن الكتاب نسخة خطية بدار الكتب .

٥ — كتاب المنازل والديار ، قالت عنه دائرة المعارف الإسلامية ، إنه ترجمة كتبها عن نفسه عام ٥٦٨ هـ (١١٧٢م) فى أثناء إقامته فى حصن كيفا ، والدافع له على كتابته زلزال أغسطس سنة ١١٥٧ م ، وهو يتضمن شواهد شعرية كثيرة عن المنازل والديار والأطلال والربع والدمن والرسم وغيرها، وبالمتحف الأسيوى بلننغراد نسخة منه .

٦ — مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزى

٧ — مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى أيضا . والكتابان مخطوطان بدار الكتب .

٨ — تاريخ القلاع والحصون .

٩ — أخبار النساء

١٠ — التاريخ البدرى ، وقد جمع فيه أسماء من شهد بدرا من الفريقين .

١١ — التجائر المربحة والمساعى المنجحة .

١٢ — النوم والأحلام .

١٣ — الشيب والشباب .

١٤ — التأسى والتسلى .

١٥ — ذيل يتيمة الدهر .

١٦ — أخبار النساء .

١٧ — نصيحة الرعاة .

وهذه الكتب العشرة قد نسبها إليه مؤرخوه ، أو أشار إليها فى كتبه التى بين أيدينا .

(يتبع) أحمد أحمد بدوى

صـــــورة من الريف

للاستاذ كامل السيد شاهين

الشيخ محمود المليمى من فقهاء قريتنا، يحفظ القرآن الكريم لا تشتبه عليه آية ، ولا يؤخذ عليه لحن . ويروى فقه أبى حنيفة، لا يغيب عنه حكم ، ولا تلتوى عليه فتوى . لم يختلف بعد الكتاب إلى معهد من معاهد العلم ، فكان أستاذ نفسه فى النحو، تنخل كتبه ونفضها. نفضا. أستاذ نفسه فى الأدب ، وأستاذ نفسه فى الكلام والجدل والتفسير والحديث ؛ لكنه كان مع ذلك — مستصغرا محتقرا ، أسلمه إلى هذا الهوان جنايات تعالت عليه ، من الفقر وإرهاف الحس والحدة الرعناء!

كنت أستفتيء إلى ظل السابعة ، وكان هو مشرفا على الثلاثين . وكانت معرفتى له آنذاك معرفة الحدثان بالشذاذ ، فهم مغرمون بعنتا بهم والتصفيق وراءهم والتندر بهم . كنت لأراه أنا وأترابى حتى نشتد وراءه عدوا ، فاذا انقلب إلينا راجعا ، تهاربنا تهارب الفيران ، ولاذ كل منا بزقاق أو دار أو مسجد .

وكان الشيخ محمود أعمى أو شبه أعمى ، لا يفتأ يحدث نفسه وكثيرا ما تظهر انفعالاته فى رفع يديه إلى صدره تفرك إحداهما الأخرى زهوا وإعجابا ، أو غيظا وتحرقا.

فتن الشيخ محمود بسعد زغلول ، وكان سعد عنده أرفع من أن يمدح بالشعر المنظوم أو الخطب المرسلة ، ولم يكن يليق به إلا سورة على نهج القرآن ، تسير بها الركبان ، ويتلوها الناس على مر الزمان .

وأصبح أهل القرية ذات يوم ، فاذا الشيخ محمود عند باب المسجد جالسا متربعا وقد تنحنح ثم سعل ، ثم بصق عن يمين وشمال ، ثم رفع عقيرته يتلو ويرتم هذه السورة الجديدة . « ع . د ، إنك لمن المنصورين ، إنا شددنا عزمك المتين ، وآزرناك بمكرم المبين ، واصطفينا لك النحاس الأمين ، وباركنا عليك فى الآخرين ، سلام على سعد فى العالمين ، إنه من عبادنا المجاهدين . »

ولو رأيته وهو يتلو ويتمايل ، ويؤتى المدحقه والغنة حقها، ويمدل النحاس مرة ، ويميله مرة ، ويحقق همزة الأمين تارة ، ويخففها تارة ؛ ولو رأيته واضعا يده على صدغه ، مد خلا سبابته فى أذنه ، وصدره يعلو ويهبط ، وعروق رقبته تبرز وتختفى ، لهالك هذا الجلال، ولأخذ بمجامع قلبك أخذا. فلما فرغ من سورته قال : « صدق محمود الحكيم » فتناوله الناس بما خف وما ثقل من عصا أو سوط أو حذاء أو حجر ، فمن لم يجد فصفعة بكف ، أو ركلة بقدم. فمن لم يستطع فبصقة من فم ، أو مخطة من أنف . وكان أمره هذا أحدوثة الموسم . ولكن الشيخ محمودا استوحش فلم يعد يأنس لأحد ولم يعد يأنس إليه أحد .

وشببت عن الطوق ، وشدوت شيئا فى المعرفة ، واتصلت بالشيخ محمود ، إذ كان يختلف إلى أبى ليوضح له مشكلا ، أو يستعير منه كتابا ، أو يقرأ عليه مقالا ، فأكبرت الرجل وعرفت له حقه. وجاء يوما وقد دس صحيفة فى كمه ، ثم نشرها وقال : اقرأ ، فاذا هو مديح للنحاس وللوفد ، جاء فيه :

أستنصر الله للنحاس مأوانا	نصر النبي الذى بالدين آوانا
وأسأل الله تأييدا لصحبته	من أصبحوا تحت ظل الوفد اخوانا
لو خير الناس يوم الحشر مسكنهم	لاخترت بيتك يانحاس ديوانا

فلما بلغت هذا المكان من القصيدة قال : أكفف ! ، فكففت، ثم قال : أتظن النحاس باشا يعلم أن كلمة « ديوان » منقولة من الفارسية ، وأن أصلها « دوان » قلبت الواو الأولى ياء شذوذا؟ فأردت أن أمكر به ، فقلت : إنا لله ! إذا لم يعرف هذه فكيف يصح أن يكون رئيس الوفد ، وخليفة سعد ؟ ففرك يديه ، وجال بعينيه ، ثم قال : فى الحق أننى أحترم النحاس باشا ، ولكنى أحب عبد الحميد عبد الحق ، وفرق بين الاحترام والحبّ ، فعبد الحميد صفى روحى ، وإن كنت لم أوه ولم يرنى ، وقد عتبت عليه ببيتين فقلت :

عبد الحميد كفى ! فلست بعالم	ماذا يثور اليوم فى وجدانى
والله ماهز الفؤاد وشفه	إلاك - يا عفريت - من إنسان!

قلت : أو أرسلت بهما إليه ؟ قال : سأبلغهما له بنفسى وعلى طريقتى . سوف استحضره الليلة قبل نومى ، فاذا عن لى فى الحلم ، أنشدته إياهما ، فيصبح وقد نقشا على قلبه نقشا .

وكان الشيخ قد مال إلى دراسة الانجليزية ، فلقيته على فترة من السنين ، فقلت له : ما أحدثت ؟ قال : أحدثت جللا ! ، قلت

ذلك هو العهد بك والأمل فيك . قال : نعم ، وجدت صغارنا يتعبون فى حفظ الانجليزية ، فرأيت أن أضمنها أبياتى ، حتى تسهل وتهون . قلت : حسنا فعلت ، فلله أنت ! ، ثم اتخذنا سبيلنا إلى بائع « البقلاوة » وكان ابنه منكفئا على كتاب يستظهره وإلى جوار الدكان بائع « جزر » على حمار ، فالتفت الشيخ وقال :

فما الامتحان « ببقلاوة »   كمثل التى عند « يور فذر » !

وما يستوى النابغ العبقرى ومن كان - يابنى - يبيع «الجزر»!

قلت : الله أكبر ! ، هذا هو النبوغ العبقرى لو كان يجد من يقدره ، فز فر وقال : آه يا كامل :

لو كان خالى الهـــلالى   أو طاهـــة بن حسين

ما « شخلعتنى » الليـــالى   وشفت ظهــــر المجن !

وتضاحكنا ، وخبط الأرض برجله مرتين ، وأصغينا إلى المذياع ، فاذا عبد الوهاب يغنى :

أما رأيت حبيبى   فى حسنه كالغزال

يطوف بالحب قلبى   فراشة لا تبالى !

فطرب الشيخ محمود - وكان طروبا - وأخذ ينشد ويمطط ، ويتأوه ويهز عطفه راقصا ، ويعارض فى الأصوات كما يعارض بالأبيات ويقول :

بلى رأيت حبيبى   فى « تخنه » كالشوال

إن قلت «ولعت» قلبى   يقول لى : « وناماالى » !

ومضت أعوام ثلاثة لم ألق فيها وجهه الكريم ، وعدت إلى البلد بعدها ، فلم يخف للقائى ، ولم يستبشر بوجودى ، ولم يعبأ بما كنت أخفض له من جانبى ، وكأنه زهد فيما كنت أفيضه عليه من ثناء وأتحفه به من إقبال ، وأكرمه به من تحية ، فسألت عنه حين لم يسأل هو عنى ، فجاء متثاقلا بطيئا ، وألقى تحيته فى تعاظم وتكلف ، وجلس فى اعتزاز واستعلاء ، وبدرت فى عينه حمرة الشر ، فلما استوى به المجلس ، بدأت الكلام خائفا أترقب وصحت بالخادم : هات شراب ليمون مشعشعا بالثلج ! ، فقال : ياهذا ، ما زلت تذهب إلى مصر وتعود ، وأنت فى ضلالك القديم ، لا ينفتق عقلك عن جديد ، وأنا ههنا قابع فى عقر « كفر عليم » ومع ذلك أثب كل يوم وثبات فأحك بيافوخى السماء . قلت : لاجرم إذا انحرفت فقومنى ، قال بلى ، إذا طلبت ماء بليمون فلا تقل هات شراب الليمون ، وإلا كنت ساقطا تافها ركيكا كهذا الذى يقول :

أكلت « بطاطة » وشربت ماء   كأنى ما شربت ولا أكلت

ثم يزعم أنه شاعر . ولكن قل هات الماء المليمن ، وليمن الماء يافتى ! ، وإذا خلط الماء بعصير البرتقال فهو مبرتق ، والغلام يبرتق الماء . أما سمعتهم يقولون « الرز المفلفل » والسمك المملح ؟» فلماذا ندعهم يشتقون من الفلفل والملح ، ولا نشتق نحن من الليمون والبرتقال ؟ قلت : أفادك الله ، فما زلت راشدا مرشدا. قال : ليس هذا بشىء وإنما الشىء ما أسوقه إليك ، فقد هدانى النظر الفاحص إلى ضرب من الشعر يفهمه العربى الذى لا يعرف الانجليزية ، والانجليزى الذى لا يفهم العربية ، واستوى لى ذلك وأنا أنظر فى ديوان شعراء الجاهلية ، قلنا : وكيف كان ذلك ؟ ، قال : نظرت فوجدتنى أقرأ البيت فأجد فيه الكلمة والكلمتين لا أعرفهما ، ولم يسبق لى الوقوف عليهما ، ثم أعيد النظر وأفحص الكلام ، وأتشمم فحواه ، فأهتدى إلى معنى الكلمتين غير راجع إلى القواميس والمعاجم . فقلت فى نفسى لو جعلنا الكلمة العربية ، وإلى جوارها الانجليزية ، فأنشدنا عربيا وانجليزيا بيتا على هذا النسق لفهما جميعا ، اسمعوا إلى قول الشاعر :

لها جسم برغوث وساقا بعوضة   ووجه كوجه القرد بل هو أقبح

فلو أنى نظمته هكذا :

لها (بودى) برغوث (لجز) بعوضة

(وفيس) كوجـــه (المنكى) بل هو أقبح

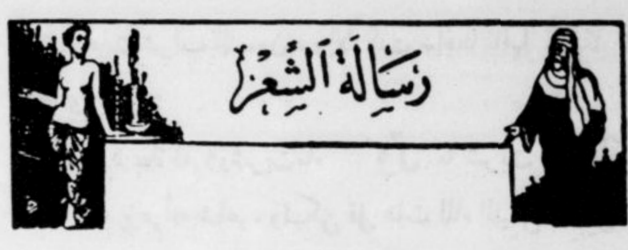
لفهم الانجليزى والعربى جميعا ، قال قائل : بل اضل الانجليزى والعربى جميعا ، واستغرقنا ضاحكين ، فتحسس العكاز وتلمس الباب ، وخبط الأرض بقدمه ، وانطلق فما نسمع إلا همهمته (حمير ، جهال ، سفلة) . ونظرنا فلم نر أثرا .

وفى هذا العام سعيت إليه ، ولم يسع إلى ، فقد كان رهين جدثه ومثواه الأخير ، ووقفت على قبره أنشد :

لا يبعد الله إخوانا لنا ذهبوا   أفناهم حدثان الدهر والأبد

نمدهم كل يوم من بقيتنا   ولا يؤوب إلينا منهم أحد

كامل السيد شاهين
مبعوث الأزهر بالسودان



التخنث

للمغفور له الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وهذه قصيدة أخرى لنابغة الأدب السيد مصطفى صادق الرافعى رحمه الله لم تنشر فى ديوانه نتحف بها قراء الرسالة الغراء
أبو رية

أفى الشبان قد مسخ الشباب ... أم الدنيا اعتراها الانقلاب

غصون فى رياض العلم تنمو ... وتثمر بعد ذاك بما يعاب

فلا يغررك شكل العود وانظر ... فإن لناره صنع الثقاب

أمـا علموا أن يستميتوا ... على كسل ودنيانا اكتساب

أمـا علموا أن يستكينوا ... لدهرهم ودهرهم غلاب

أمـا علموا أن يستهينوا ... بما قد أخطأوا وبما أصابوا

لنا دين يقوم به كتاب ... وفيهم كل ذى رأى كتاب

وقد جمعوا العلوم وقد اجيزوا ... وقد زاروا مواطنها وآبوا

ومنهم من أتانا مستضيئاً ... كما يهوى ليحترق الشهاب

« شهادات » ولا عمل يزكى ... كأن حضور حاضرهم غياب

وإن خبرتهم الأعمال يوماً ... رأينا السيف تكسره الرقاب

أرى قفلا على باب كبير ... ولكن خلفه أرض خراب

فما علم الحساب وهم قعود ... وما للوقت عندهم « حساب »

وما علم اللغات وهم بلاء ... على اللغة الكريمة بل مصاب

وما نفع اليقين بما علمنا ... وفى الآداب شك وارتياب

وأفضل من علوم المرء خلق ... يحب به الفضيلة أو تهاب

بأى مبلغ فى الطير هذا ... حمام يستمز وذا غراب

بنفسك لا بملك أنت منا ... وأنت لنا ثواب أو عقاب

الا إن الشراب له إناء ... فإن دنسته دنس الشراب

وألين ما يكون زمان قوم ... إذا احتملته أخلاق صلاب

لكان الليث أسهل ماركبنا ... إذا لم يحمه ظفر وناب

الا يا قوم للفتيان فينا ... وزينتهم وما حمدوا وعابوا

رأيت لبعضهم أمراً عجابا ... وليس كشأنه أمر عجاب

يسيل تخنثا ويذوب لطفا ... فهل فى أرضنا رجل مذاب

(ولان) كأنه فينا اعتذار ... تقدمه حوادثنا الصعاب

(وهذبه) الزمان لمصر شعراً ... رقيقا منه بينهما عتاب

على خديه للمرآة نور ... فهل فى الحسن بينهما انتساب

ويحملها المخنث أين يمشى ... وبين الشكل والشكل اصطحاب

ويطرح وجهه فيها سؤالا ... ليأتيه « على الوجه » الجواب

وفيه من الذكورة نوع حسن ... يتم به أنوثتها الكعاب

ومطمحه الذى يرنو اليه ... من « العلياء » نافذة وباب ...

وهمته الثياب فليس يمشى ... إذا ماسار بل تمشى الثياب . .

ملونة مصبغة لوجه ... له فى لونه منها اقتراب

ولا عجب فذا قمر المعالى . . . ... « تسفل » والثياب له سحاب

يسائلنى أتم الزى حسناً ... وظرفاً قلت بل نقص النقاب . .

كأن بلادنا قفر فمنهم ... ومن أثوابهم فيها سراب

كأن لخار مصر عاد أنثى ... قعيدة بيتها ولها حجاب

فأسودهم . . وأحرهم جمال ... فذا كحل لمصر وذا خضاب

وما يمشى الفتى المغرور منهم ... لأمر فى عواقبه ثواب

تراهم تابعين لكل أنثى ... وبين الشبه والشبه انجذاب ...

إذا طلعت طلوع الصبح فيهم ... بدا من برد أوجههم ضباب

ومدوا فى « حلاوتها » لحاظاً ... أخف طبيعة منها الذباب

وفى أفواههم لفظ خبيث ... وهل أفعى وليس لها لعاب

إذا كان التراب قذى لعينى ... فبعض القول فى أذنى تراب

أذى أفعال من ولدته أم ... وهل أخطى وفى بيتى الصواب

أما فى هذه الدنيا أمور ... سوى الشهوات تحرزها الطلاب

أما فى هذه الدنيا أسود ... كما فى هذه الدنيا كلاب

أما خافوا الطبيعة فى صغار ... ستورثها الطبيعة ما استعابوا

وكم طفل يعاقب عن ذويه ... ولم ينفعه أن ذويه تابوا

كما خبثت أصول واستطابت ... كذاك فروعهم خبثوا وطابوا

وأية ذئبة ولدت خرافا ... ومن أى النعاج أتت ذئاب

رويدا يا بنى مصر رويدا ... وكونوا خير من شبوا وشابوا

متى ذهب الشباب سدى أقامت ... معائبه فليس لها ذهاب

طفولتكم لمصركم ديون ... وعهد وفائها هذا الشباب

مصطفى صادق الرافعى

خواطر مرسلة

مروض القردة

للأستاذ حامد بدر

من الشعراء النظامين شاعر أسميه (مروض القردة) ووجه الشبه بين كل منهما أن هذا يكره الالفاظ والمعانى على الخضوع ، وقد تألبت عليه ، فيأخذها مرة بالحيلة ، ومرة بالعنف ، حتى يتمكن من استخدامها راضية أو غاضبة ، طائعة أو كارهة ؛ وذاك يكره القرود على الخضوع كذلك ، وقد تشق عصا الطاعة ، وتخرج على إرادته ، ولكنه يروضها أيضا ، تارة بالحيلة ، وأخرى بالعنف ، حتى يتمكن من استخدامها ، راضية أو غاضبة ، طائعة او كارهة ، وكلتا الطريقتين صنعة لا تمت الى الفن الخالص بصلة .

فإذا آمنت بأن هذا الشاعر - ان صح اعتباره شاعراً - قادر على النظم من كل بحر ، ومن كل قافية ، وفى كل مناسبة ، وفى كل غرض ، حسبما تقتضيه المنفعة ، كمدح من يمنح ، وهجاء من يمنع .. فلست مؤمنا بأنه يحس حين ينظم ، وإن أحس فإنما هو إحساس بينه وبين نظمه تباين تام !

وإن آمنت بأن الانسان يخضع القرود ويستخدمها ويروضها على ألعاب وحركات عجيبة ، فلست مؤمنا أبدا بأن القرد يحب من يروضه ، ولا بأن العلاقة بينهما طيبة ، بل إننى أخشى على هذا الانسان الجرىء ، من غدر ذلك القرد المسكين الذى حكم عليه الزمان ، ووقع فى حكم بنى آدم ! ولا أشك فى أن الوحشية كامنة فى دمائه ، وإن خدع انسانا محدود التفكير بأنه يشبهه شكلا ولا يختلف عنه إلا قليلا !

ومروض قرود الألفاظ والمعانى ظلم نفسه ، إذ حشرها فى زمرة الشعراء ، وغش نفسه والناس بما يقدمه إليهم على أنه شعر ، وما هو من الشعر إلا فى أنه كلام موزون مقفى !

وكثيرا ما أرثى له إذا رأيتـــه ، وقد أكد العزم على نظم قصيدة عاجلة مستعجلة ، محدودة الموضوع والزمان والمكان ... بتكاليف لا ينقذ من التكلف ، ولا يعفى من قول نعم ...

وقد يكون الشاعر فى هـذا الظرف معكر المزاج لسبب ما ، والأسباب ما أكثرها ! ولـكن ما للناس وهذه الأسرار التى قد يحرص على إخفائها ، ويضن بالبوح بها ...

ان المزاج غير رائق ، ومرآة الذهن ليست صافية ، هذا هو الأمر الواقع . ولـكن لا بد من نظم القصيدة المطلوبة ، أليس صاحبنا شاعرا قديرا ، وخالقا عبقريا ! أليس مالكا لزمام البيان ! فلماذا يترك هذا الزمام يفلت من يده لحظة واحدة ؟ !

انه لن يأتي بما لم تأت به الأوائل ، ولـكنه سيحاول أن يأتى بكل ما أتى به الأوائل . وها هو الآن يتأهب للنظم ، وبينما يفكر فى المطلع إذا بأحدهم يطرق الباب فيستقبله :

— أهلا وسهلا .. تفضل ..

— شكرا — هل فرغت من نظم القصيدة ؟

— أكاد ..

— كم بيتا باقيا لتكون القصيدة كاملة ؟

— شىء يسير !

وينظر الزائر فى الأوراق التى أمام صاحبنا ثم يقول :

— أنت لم تكتب شيئا مطلقا ! فالك تزعم أنك موشك على التمام ! ؟

— ان القصيدة كلها شىء يسير

— اذا كنت تعنى أن نظم القصيدة شىء يسير عليك فلتكن قصيدة عصماء !

— وهل يأتى مثلى بغير العصماوات ؟ !

وابتدأ ينظم كالآلة ، وهو مقطب الوجه ، متصبب العرق . . وأقسم وأنا واثق من صدق يمينى أن أول خاطر جال بفكره هو الخاطر : « نرى ماذا تكون النتيجة لو لم أفرغ من نظم القصيدة

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

الى الأستاذ توفيق الحكيم

اليوم ، وأنا أعود بالقلم إلى هذا المكان الحبيب من الرسالة ، أرى لزاما على أن أذكرك .. وإذا كنت قد عدت ، فانما هى استجابة لصدق محبتك ولطف مودتك ، وما لمسته فيك من جمال الوفاء . وكل تلك القيم النادرة فى عالم الصداقة كان لها أعمق الأثر فى نفسى ، حتى لقد دفعتنى دفعا إلى أن أحمل قلمى وأعود ...

من حقك على إذن أن أذكرك ، لأنك مافتئت تذكرنى طيلة هذه القطيعة بينى وبين الرسالة ... تذكرنى بقلبك حين اقتصر غيرك على أن يذكرنى بلسانه ، وما أبعد الفارق بين لغة القلب ولغة اللسان ! صدقنى لقد كانت هذه القطيعة امتحاناً قاسياً لصداقة الأصدقاء وخصومة الخصوم ، وما أكثر الذين « سقطوا » فى الامتحان من كلا الفريقين ... وصدقنى إنه لا يهمنى كثيرا أمر هؤلاء « الساقطين » ، ولكن الذى يهمنى هو أن أحيى الأصدقاء الأوفياء والخصوم الشرفاء ، وحسبك أنك كنت فى الطليعة من الفريق الأول !

أنت إنسان مخلص لصداقتك إخلاصك لفنك .. وأنا من الذين يربطون بين الوفاء للصداقة والوفاء للفن ، لأنهما لازمتان من لوازم الحكم الصادق على طبائع النفوس . إن جمال الصداقة لا يقل أبدا عن جمال الفن ، والحق أن كليهما ياصديقى فن جميل ... وكل فن جميل قطعة من النفس الشاعرة بخلود بعض الحقائق فى كون كل مافيه منته إلى زوال .

أتذكر هؤلاء الذين صادقتهم يوما ثم انقطع ما بينك وبينهم من أواصر الود وأسباب الصفاء ؟ لقد اتهموك بأنك تنكرت للصداقة ، وتخلفت عن الركب ، وطمست بيديك سطور الذكريات ... ولو أنصفوا الحقيقة والضمير لما اتهموك : لقد أغلقوا قلوبهم فى وجهك فأغلقت قلبك ، وكفوا ألسنتهم عن ذكرك فكففت لسانك ، ومضوا فى طريقهم لا يعرجون قضيت فى طريقك ... وكأن الوفاء فى رأيهم أن تلقاهم بعطر الزهور حين يلقونك بوخزات الشوك ، وأن تحملهم إلى أرض الظلال وليس فى أرضهم غير سفى الرمال، وأن تعترف بالماضى الأثير ولو دفنوه تحت أكوام التراب !

أتذكر هذا الذى كان؟ إننى أسجله هنا ليصحح بعض الناس موقفهم منك وماضيهم معك ، على ضوء موقفك من صاحب هذا القلم وحاضرك معه ... لقد كان آخر لقاء بيننا هو ذلك الذى لم تشأ أن تودعنى فيه إلا بعد أن وعدتك بأن أعود إلى الرسالة . ولقد كان الأمر يهمك حتى لكأن القلم الذى انقطع عن الكتابة هو قلمك ، وكأن القراء الذين انصرفت عن لقائهم هم قراؤك .. وحسبى أن أقف فى التدليل على وفائك عند هذا المعنى ولا أزيد !

أما الزيات الصديق فأنت أعلم الناس بما بينى وبينه من قرابة الروح وأصالة المودة .. ولولا هذه الأصالة وتلك القرابة لترتبت على اختلافك الآراء فرقة الوجوه والقلوب ، ولكن هذه الفرقة لم تخطر لأحدنا فى بال ، لأن اختلاف الرأى كما يقول شوقى العظيم - لا يفسد للود قضية !

ولقد كنت أود أن أذكر بعض الخصوم الشرفاء فى معرض التقدير

المنتظرة فى لوقت المحدد - يالخجل ... ياللورطة - لعنة الله على الشعر ! »

هذا الكلام هو الذى جال حقيقة براس الشاعر القرودى ، وأما الكذب فهو ما عالج نظمه . . . وأخيرا فرغ من منظومته فى الميعاد المحدد وتنفس الصعداء !

وصفق له الحفل تصفيقا طويلا .. وصفعه الفن صفعة واحدة تلاشى فى صداها صدى التصفيق الطويل

حامد بدر

ومجال التحية ، ولكنني آثرت أن أمسك القلم عن ذكرهم خشية أن يتهمهم بعض الناس ... بعض الناس الذين لا يقدرون شرف اليد التي تمتد اليك لتصافحك — أنت الخصم القديم — وقد جردت يداك من السلاح ! أشهد لقد صافحني بعضهم وأنا مجرد من سلاحي ، وهو قلمي . وبذلك انتقلوا من صحراء الخصومة إلى دوحة الصداقة ؛ وضمخها بأرج العاطفة هذا القلب الذي بذ كرك وبذ كرهم ، ويحمل لك ولهم أصدق الشكر وأخلص التحية .

جيل شهيد :

بالأمس أطلق طالب في كلية الطب رصاص مسدسه على أستاذه لينهي حياة تريد أن تهب له الحياة ... إن دل هـــذا الحادث على شيء فانما يدل على أن أخلاق هذا الجيل من الشباب الجامعيين لا تبشر بالخير ! ولست أجد في وصف هذا الجيل الجامعي أصدق ولا أبلغ من أنه جيل شهيد .. ولو لم يكن جيلا شهيدا لما أقدم أحد أبنائه على مهاجمة رجل ما كان أجدره بأن يحني له الرأس حياء من فضله وإجلالا لأستاذيته !

أية جامعة تلك وأي شباب ؟ أقسم لقد كدت أنفض يدي من الجامعة وما تهدف إليه من رسالة ، ومن الشباب وما يبتغون من مثل . . إن رسالة الجامعة كما أفهمهـــا هي أن تقيم دعائم الأخلاق لتنهض عليها صروح العلم وإن مثل الشباب كما أعلمها هي أن يستضيئوا بنور من هنا ونور من هناك ، وعلى هذين يتوقف تقدير القيم وتقرير المصير !

ولا بد من سؤال يجيش في الخواطر لتجهر به الشفاه : من المسئول عن هذا الأهمال في تكوين مثل عليا من الأخلاق في نفوس الشباب الجامعيين ؟ سيقول أناس إنهم الآباء .. هذا حق ولكنه ليس كل الحق ، لأن هناك رجالا يتحملون من تلك المسئولية أوفى نصيب ، ونعني بهم الأساتذة الذين وكلت اليهم مهمة الاشراف الثقافي على هؤلاء الشباب . يدخل الواحد منهم إلى قاعة المحاضرات وليس في جعبته غير شيء واحد ، هو أن يلقي على الطلاب درسا في الطب أو درسا في الأدب أو درسا في الاقتصاد أو القانون ؛ وتلك في رأيهم هي الأمانة العلميـــة ، ولكن أين الأمانة الجامعية ؟ الأمانة التي تصرخ في وجوههم بأن الجامعة ليست تثقيفا بالعلم وإنما هي إلى جانب ذلك تهذيب بالأخلاق ؟ !

إن الجامعة هي مرحلة الاخراج إلى الحياة ، مرحلة الاعداد للمستقبل ، مرحلة التهيئة لخلق جيل يفهم ماله من حقوق ويؤدي ما عليه من واجبات ، وتلك أمور لا يجدي فيها التلقين الذي ينشيء بناء العقول ثم لم يقترن بالتوجيه الذي يصقل معادن النفوس !

لو أدرك الأستاذ الجامعي أي أمانة في عنقه نحـــو الشباب الجامعيين ، لما اقتصر على أن يدفع إلى رؤوسهم بدروس الأدب والعلم والفن ، وهم محتاجون إلى من يبث في نفوسهم معاني الحق والخير والجمال ... إن علما بغير خلق لهو سلاح مفلول في معركة المصير ، وأسلوب منبوذ في لقاء الناس ، وسراب مضلل في صحراء الحياة ، وهذه هي الحقائق السافرة التي يجب أن يعلمها شباب الجامعة في هذه الأيام !!

حول مكتبة الاسكندرية :

في العدد (٨٥٣) من الرسالة ، وجه إلى الاستاذ الفاضل كمال السيد درويش المدرس بالرمل الثانوية كلمة حـــول مكتبة الاسكندرية ، ثم بقيت الكلمة حتى الآن في انتظار التعقيب ولعل الاستاذ صاحب الكلمة قد أدرك الظروف التي نشرت فيها كلمته وحالت بيني وبين الرد عليها في ذلك الحين ، وهي الظروف التي أحاطت بوفاة الشاعر الصديق علي محمود طه ، وفرضت على تلك الدراسة المطولة لشعره قياما بواجب الوفاء .

وأعود اليوم إلى لفتة الأستاذ درويش ، لأن موضوعها ليس موضوع الأمس حتى تنتهي بانتهائه ، ولكنه موضوع الأمس واليوم والغد جميعا ولا جدال .

« أردت النظر في ميثاق جامعة الأمم العربية وفي ميثاق هيئة الأمم ، وقراءة بعض ما كتب من تعليق عليهما فتوجهت بطبيعة الحال إلى مكتبة الاسكندرية . فهل وجدت من ذلك شيئا ؟

كلا ! بل خرجت منها وأنا أتساءل فيما بيني وبين نفسي : أيتجشم الانسان مشقة الانتقال وضياع الوقت فى الذهاب إلى المكتبة العامة ليقرأ رواية « اللص الظريف » أو « المرأة الغادرة » ؟ وأين إذن أستطيع قراءة الوثائق والكتب العلمية إن لم أجدها فى المكتبة العامة ؟ ولم أطلب شيئا عسيرا بل شيئاً مشهورا لا تخلو من الحديث عنه صفحات الجرائد كل يوم . ثم دعانى داعى الانصاف إلى الاعتذار عن المكتبة بعدم ظهور كتب تتناول نشر الميثاقين أو الحديث عن الهيئتين . وأردت التأكد بنفسى فما هى إلا جولة حتى خرجت من عند بائع الكتب وأنا أتأبط كتابين ، ولشدة حاجتى للالمام بالموضوع دفعت فيهما ما يقرب من جنيهين .

وتساءلت مرة أخرى ألا يتمكن الفرد من معرفة ما يعرض له أثناء البحث — على كثرة ما يعرض له — إلا إذا كان يملك الوسيلة إلى الشراء ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فالى أى حد تتحمل مالية الانسان مهما عظمت تكاليف الكتب مع تعددها وارتفاع أسعارها ! ؟

وإذا كانت وزارة المعارف — سامحها الله — قد ألجأتنا باقفار مكتباتها المدرسية إلى المكاتب العامة ، فلا أقل من أن نجد لدى الأخيرة بغيتنا . وإلا فنحن نزود المبتدئين بالحجة التى لا تدفع عنهم لوم اللائمين ثم لنسلكهم بعد حين فى عداد الجاهلين حقاً إنه لموضوع يستحق من قلم صاحب « التعقيبات » تعقيباً يكون له عند المسئولين صداه ، وعسى أن تستأنف المكاتب العامة سيرها فى ركب الحياة »

هذه المشكلة التى يعرضها علينا الاستاذ درويش ، هى كما قلت لك مشكلة الأمس واليوم والغد ، وكل ما علكه هو أن نعرضها بدورنا على من بيدهم أمر المكتبة العامة بالاسكندرية عسى أن يترفقوا بحبوب الراغبين فى العلم والساعين إلى المعرفة ، أولئك الذين تحن رءوسهم إلى المعلومات وتفتقر جيوبهم إلى الجنيهات ... الجنيهات التى لا يستطاع بغيرها الحصول على الكتب فى هذه الأيام !

أما فيما يختص بأمر المكتبات المدرسية فان نقص الكتب النافعة فيها ليدعو حقاً إلى الأسى والأسف ... ترى هل يستجيب معالى الدكتور طه حسين باشا لرجائنا فيخص تلك المكتبات بشىء من رعايته ؟ إننا نخاطب فيه شخص الأديب قبل شخص الوزير ، وفى يد الشخصيتين مزية التقدير والتنفيذ على كل حال !

مشكلة النقد والنقاد

الدكتور أحمد فؤاد الإهوانى صديق عزيز ، ولكننى لن أجامله كما يجامل بعض أصدقائه فيسرف فى المجاملة ... أقول هذا بعد أن قرأت له مقالين فى نقد ديوان من الشعر ، ظهر أحدهما فى الثقافة وظهر الآخر فى الرسالة . ولا ضير فى رأيى من أن يكتب الأصدقاء عن كتب الأصدقاء ، ولا ضير أيضا من الكتابة هنا والكتابة هناك ، لأن لكل مجلة قراءها الذين قد يقتصرون عليها دون غيرها من المجلات . لا ضير من هذا كله ما دام النقد الأدبى نقدا سليما من الوجهة الفنية ، أعنى أن يكون رائده إبراز القيم التعبيرية فى الأثر المنقود إبرازا لا يتسم بالتجنى ولا يتصف بالمغالاة !

ترى هل حقق الدكتور الصديق شيئا من هذا الذى أشرت اليه ؟ كلا .. بل اندفع وراء عاطفته يسجل المحاسن حتى لقد بدا الديوان وكأن لم يكن به مأخذ من تلك المآخذ التى يقف عندها النقاد ! وليته قد رد تلك المحاسن إلى مصادرها من القواعد الذهبية فى نقد الشعر ، إذن لحمدنا له هذا الاتجاه وشكرناه .. ولكنه قد ردها إلى الطريقة « الإنشائية » فى النقد ، تلك الطريقة التى تذكرنا بنقاد العرب القدامى عندما كانوا يقولون : أشعر الناس الذى يقول .. ثم لا يذكرون لنا لماذا كان صاحبنا أشعر الناس !!

أريد أن أقول للدكتور الإهوانى — وأرجو أن يتسع صدره لما أقول — إننى قد أحتمل المجاملة ما دام النقد قائما على أصول فنية ، وإننى قد أحتمل المهاجمة ما دام النقد مرتكزا على دراسة مذهبية ، وبغير هذا لا أستطيع أن أحتمل ، ولا أستطيع أن أتقبل هذا الذى يكتب من حين إلى حين ! وقد يعتذر الدكتور الصديق بأنه رجل قد وجهت ملكاته إلى الاشتغال بالفلسفة وعلم النفس وما يدور فى محيطهما من دراسات نقدية . إذا اعتذر بهذا فلا عليه إذا ترك ميدان النقد الأدبى لمن يحسنون الخوض فيه .. أما إذا خطر له أن يناقش هذه الكلمة ليثبت لنا أنه يحسن الخوض فى نقد الآثار الأدبية ، فنحن على استعداد لمناقشته ، وبيننا وبينه موازين النقد وهذا الذى كتب .. وديوان الأستاذ محمد عبد الغنى حسن !! .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

حوادث الطلبة وانعدام المثل :

وقعت فى موسم الامتحانات الحالى حوادث من بعض الطلبة، كان بعضها داميا وكانت كلها داعية إلى الأسى والأسف، فقد أطلق طالب بكليــة الطب الرصاص على لجنــة الامتحان ، واعتدى طالب بكلية الآداب على أستاذ منعه من الغش ، وهجم طلبة كلية التجارة على لجنة الامتحان ليختطفوا أوراق الإجابة وضبط طالب « كبير » فى كلية الحقوق — وهو موظف فى الدرجة الأولى بإحدى الوزارات — وهو ينقل الاجابة من كراسة كان يخفيها .

وقد كانت هذه الحوادث موضع أحاديث المجالس ، كما كانت أنباؤها من مواد الصحف الهامة فى هذا الأسبوع ، وقد ذهب المعلقون عليها مذاهب شتى ، فمنهم من يمصمص شفتيه أسفا على ما وصلت إليه أخلاق الجيل الجديد ، ومنهم من ينحى باللائمة على مناهج التعليم المزدحمة بما لا تساوى فائدته ما يتجشمه الطلاب فى تحصيله وحفظه بلا وعى ، ومنهم من يذكر مضار الإفراط فى تناول القهوة والشاى والأقراص المنبهة التى تنهك القوى وترهك الأعصاب .

وكل ذلك صحيح ، ولكنها أعراض ظاهرة وأمور مباشرة يستطيع المتأمل أن يلمح وراءها روحا عاما قلقا ، فتلك الحوادث تجتمع كلها عند الرغبة فى الأخذ الهين دون بذل الجهد الذى يقتضيه النجاح ، وليست هذه الروح فى جو الطلبة فقط ، بل تجدها فى مختلف الطوائف والطبقات ، أنظر إلى هذا الموظف الطالب « الكبير » لم تكفه الدرجات التى نالها حتى وصل إلى الدرجة الأولى ، بل « سمت همته » إلى الحصول على مؤهل عال بطريقة هينة لينة لعله يقفز إلى وكيل وزارة مثلا أو غير ذلك مما تداعبه به أحلامه ...

فما منبعث هذه الظاهرة ؟ ومن أين جاءت تلك الروح ؟ وهل هى تنزل على نفوس الطلبة مثلا من السماء أو هى تتسرب إلى نفوسهم من الجو المحيط بهم على سطح الأرض ؟ ممن يتلقى الشباب مثلهم فى مطلع حياتهم؟ أليس ذلك من الآباء والأساتذة والزعماء والحاكمين ؟ أليست عيونهم تتفتح على الوساطات فى دخول المدارس والجامعات وفى الإعفاء من المصروفات بل فى النجاح فى الامتحانات؟ أليسوا يسمعون عن حظوظ من سبقوهم فى التخرج من الوظائف والترقيات ، لا لجهودهم أو كفاياتهم بل للقرابات والمصاهرات وغير ذلك من وسائل «التنطيط» فى مختلف المهود ؟

والأســاتذة — وهم الأدنون من الطلبة — شملهم الروح العام ، فأصبحوا يبتغون الوسائل عن غير طريق البحث والانتاج والابتكار ، وقد يكون لهم عذر فى ذلك لأن البحث والانتاج والابتكار لا تظفر بتشجيع ولا تقدير .

والنتيجة المحتومة التى تدعو إلى الأسف أن تعى نفوس الشباب ذلك أكثر مما تعى مواد الدراسة ، فيبعث فى نفوسهم القلق ، وهو فى الحقيقة المفسد الأصيل لأعصابهم لا القهوة ولا الشاى ولا الأقراص المنبهة .

إن الشباب يقرؤون ويسمعون ما ينشر وما يقال عن مجرى الحياة فى الغرب وتقدير القيم هناك بما يبعث الطمأنينة على الحقوق والمصائر وينشر العدالة و التماسك فى المجتمع ، ويقرؤون فى تاريخ الاسلام ويسمعون من الأساتذة عن الأبطال وأعمالهم وتضحياتهم فى سبيل المجموع . ثم يقارنون بين هذا وذاك وبين ما يقع تحت أبصارهم ، فتهولهم الهوة الواسعة وتصدمهم الحقائق الراهنة المؤلمة إذ نحن لسنا من أولئك ولا من هؤلاء فى شىء .

الداء كله فى فقد الأســوة الحسنة وانعدام المثل الطيبة التى يحتذيها الشباب .

شهادة الموسيقى

تقدم أحد الموسيقيين للشهادة فى قضية أمام إحـدى المحاكم الشرعية فرد القاضى شهادته ، لأنه موسيقى — محتجا بالنص

٣٤ ٥ ٤٩

الفقهى القائل: «الزمار والطبال وكل من يشتغل فى اللهو لا يصح أن تسمع شهادته »

دهش الرجل الموسيقى ، ودارت بينه وبين القاضى مناقشة ، قال له فيها : إن الموسيقى فنان له اعتباره فى المجتمع والدولة تعترف به وتقدره . فلما أورد له القاضى ذلك النص ؛ قال الموسيقى : إذن فالمحكمة لا تقبل شهادة عبد الوهاب أو أم كلثوم ... قال القاضى: نعم ، وإننى معجب بأم كلثوم وأحب أن أسمع غناءها فى قصائد شوقى ، ولكن هذا كله لا يغير النص !

ونحن نرى أن موقف القاضى سليم من حيث تمسكه بحرفية النص ، ولكن ما هذا النص ؟ وما سنده ؟ وهل يلائم حياتنا المصرية ؟ إنه ولا شك من اجتهاد الفقهاء ، ولا بد أنهم قالوا به بعد أن نظروا فى أحوال عصورهم ، والأصل فى ذلك ألا تقبل الشهادة إلا ممن يدل ظاهر حاله على أنه عدل ، وقد رأوا أن حالة الطبالين والزمارين ومن إليهم من أهل اللهو فى زمنهم لا تدل على العدالة .

والآن أين نحن من ذلك ؟ إن الموسيقى والغناء والتمثيل فنون رفيعة ، والموسيقيين والمغنين والممثلين لهم فى المجتمع بحق مكانة ملحوظة ، ومنهم أعلام ذوو أقدار كبيرة ، فكيف ترفض شهادتهم لا لشىء إلا لأنهم موسيقيون أو مغنون أو ممثلون ؟ نعم إن فى بيئة المشتغلين بهذه الفنون بعض ذوى السلوك المنحرف ، ولكنهم كغيرهم ممن لم ينص على عدم قبول شهاداتهم ، والعبرة بحال الفرد لا الطائفة .

لقد دهش ذلك الموسيقى حينما رفض القاضى قبول شهادته ، بل لا بد أنه شعر بألم عميق فى نفسه ، لأنه وهو يشعر بقدره وسمو فنه يرى أن القضاء لا يرفعه إلى منزلة أى رجل عادى جاهل من ذوى الحرف والمهن تقبل المحكمة شهادته ! فكيف يستطيع فنان محترم أن يوفق فى عقله وفى شعوره بين منزلته الفنيــة والاجتماعية وبين تحقيره بعدم قبول شهادته فى المحاكم الشرعية ؟

هذا مثل لما وضع لزمن غير زماننا ، وأصبح لا يوافق زماننا ، ولا تمنع أصول الدين ، بل تقتضى، أن نغيره إلى ما يوافقنا ، بمقتضى إنزال الناس منازلهم وتحقيق الكرامة لذوى نفوس

كشكول الأسبوع

□ قرر مجلس جامعة فؤاد الأول ندب معالى الدكتور طه حسين بك لإلقاء محاضرات فى الأدب العربى بكلية الآداب . وقد وافق على هذا القرار معالى عبد الفتاح الطويل باشا وزير المعارف بالنيابة . ومما يذكر أن مسألة ندب الدكتور للجامعة كان قد اقترحها بعض الأساتذة فى السنوات السابقة فكان كثيرون من صنائع الدكتور نفسه يحاربون هذه الفكرة ، ومن العجيب أنهم الآن أصحابها بعد أن أصبح الدكتور طه وزير المعارف .

□ أشرنا من قبل إلى نتيجة انتخاب عميد لكلية دار العلوم وفوز ثلاثة من الأساتذة بأكثرية الأصوات من بينهم الأستاذ ابراهيم مصطفى بك ، ونذكر الآن أن الأستاذ كان أكثر المرشحين أصواتا ، وقد وافق معالى وزير المعارف على انتخابه عميدا للكلية .

□ جاء على لسان الأستاذ الذى اعتدى عليه فى حادث كلية الطب ، أن الطالب المتهم كان يؤلف فى الكلية جمعية من « أبناء الأشراف » أى الأغنياء وكبار الموظفين . وقد ذكرت « الأهرام » بعد ذلك أن نظام الأسر ، ومن بينها « أسرة الأشراف » معمول به فى معاهد التعليم من زمن بعيد ، وأن اتحاد كلية الطب هو الذى ينشىء هذه الأسر فى الكلية . وأقول : إنه إذا كان الأمر كذلك فانه يجب ألا يكون كذلك .. وإذا كان ذلك النظام متبعا فى الزمن البعيد فانه فى هذا الزمن عيب !

□ تعتزم اليونسكو إصدار كتاب عن القصص الفرنسى أو تريه دى بلزاك ، وسيشترك فى وضعه الأستاذ محمود تيمور بك نائبا عن بلدان الشرق الأدنى .

□ صدر أخيرا ديوان « الحانى » للشاعر الحجازى الأستاذ إبراهيم فلالى ، وقد نشرته دار المعارف بمصر ، وهو ديوان حافل بقصائد فى أغراض مختلفة من واقع الحياة المحيطة بالشاعر ، ويدل شعره على نفس شاعرية صادقة واقتدار على النسج الجميل والأداء السلم .

□ وقع فى العدد الماضى بالموضوع المكتوب عن كتاب « الأعماق » للاستاذ عبد الرحمن الخميسى ــ اضطراب مطبعى ، إذ انتقلت فقرة من مكانها إلى مكان آخر وهى فى مكانها هكذا : « ويبدو لى أن الكاتب حريص على أن يصور حياة كاملة أو جزءا كاملا من حياة فى القصة ، ويدفعه ذلك إلى افتعال الخواتم التى تفسد العرض الجميل » وجاء فى الموضوع أيضا « وقعد أخوها يرفع فى جهله » والصواب « يرتم » بالتاء .

ومشاعر كريمة . وهو مثل نسوقه إلى علماء الدين ، وفيهم من يحيون حياة عصرية يسمعون فيها الغناء والموسيقى ويشهدون التمثيل ، ومنهم معجبون بأهل هذه الفنون ، كذلك القاضي الفاضل ، وقد سمعت مرة عالما جليلا يقول في مجلس يتحدث عن المغنين والمغنيات : نحن عشاق أم كلثوم ... إلى آخر كلامه ، وهو يقصد أنه ممن يعشقون فن أم كلثوم في الغناء ، وهؤلاء العلماء يخالفون في ذلك — بحق — نصوصا فقهية تحكم بتحريم الغناء ، وأذكر ما كنت قد قرأته في كتاب من كتب الفقه من « قول » لأحد الفقهاء مضمونه أن مجرد السماع حرام أما التلذذ بالنغمة فهو كفر !

ولاشك أنني لا أرى في مسلك علمائنا المصريين الذين يستمتعون بتلك الفنون ويعجبون بأهلها — أي حرج ، ولكن الذي آخذه عليهم أنهم يزاولون حياة « علمية » غير الحياة العملية

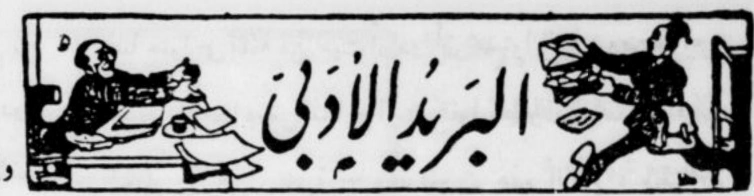
التكلم بالفصحى :

تناول بعض الكاتبين هذا الموضوع أخيرا على صفحات الصحف ، وكان قد أثاره في « الأهرام » الأستاذ عمر عبد العال يوسف ، إذ دعا إلى اتخاذ اللغة العربية السليمة لسانا للخطاب وللتعليم في المدارس ، وعالج الموضوع علاجا تربويا منطقيا حسنا . وقد ردد الدعوة بعده آخرون ، وكتب الأستاذ علي الجندي ذاهبا إلى أن اتخاذ الفصحى أداة للخطاب بين الناس غير ممكن .

وأحب أن أحصر الكلام هنا في نقطة أراها هامة في هذا الموضوع عرض لها الأستاذان الآنفان ، إذ ندد الأول بالسخرية ممن يتحدث باللغة العربية الفصيحة ولاسيما المعلمون في المدارس ، واتخذ الثاني هذه السخرية سببا لما رآه من أن هذه المحاولة مخفقة ، واستدل بأمثلة مأثورة عن بعض من التزموا التكلم بالفصحى كالشيخ حمزه فتح الله، فسخر منهم الناس . والواقع أن الناس كانوا محقين في هذه السخرية ، لأن أولئك المتفصحين كانوا ينطقون ألفاظا غريبة تدعو إلى الضحك والسخرية حقا ، ومن هنا جنوا على اللغة من حيث أرادوا أن يحسنوا إليها ، ومن دواعي السخرية أيضا بعض المشايخ الذين كانوا ينطقون القاف من أقصى الحلق في كلمات عامية ... وقد تغيرت هذه الروح ، بانقراض هذه الصور ، وبانتشار التعليم ووسائل الاتصال بالجمهور ، التي تتخذ الفصحى أداة للتعبير . فصار التحدث ببعض العبارات الفصيحة من المظاهر الدالة على الثقافة والأناقة اللسانية .

وإذا كنا نتحدث باللغات الأجنبية في بعض المواطن فإن مما يؤسف له أن الحديث الكامل باللغة العربية لا يوجد في مجلس من المجالس ، حتى مجالس المثقفين والأدباء ، بل إن كثيرا من هؤلاء يخطبون ويحاضرون بخليط من العامية والعربية ، وأهم أسباب ذلك ، التهاون ، لا العجز ؛ ولو أننا اهتممنا بأن نتخاطب ولو في بعض الأحيان بهذه اللغة التي نقرؤها ونكتبها لجرى عليها اللسان واستمد بها وإن تعثر في أول الأمر .

عباس خضر



كرد علي يسيء بذم المصريين

تلقينا من دمشق كتابا لأستاذ فاضل ينقل فيه بعض مايقيئه كرد على فى ذم مصر والمصريين نذكره بنصه ...

«إنى الآن فى دمشق وفى هذه الأثناء زرت المجمع العلمى فوجدت السيد كرد على وحوله بعض الناس ، فسألنى عن مصر وكنت قد علمت النقمة عليه هناك فأخبرته بها فثارت ثائرته . واشتد الحوار بينى وبينه ، أنا أنتصر للمصريين وهو يحمل عليهم حتى خرجت غضبان أسفا .

وأرى أن هذه الثورة بلسانه البذىء فى هذه المجالس لاينبغى أن تترك سدى ، إذ أرى ان فى ذلك ما يزيد بذاءته ونحن فى أمس الحاجة أن لا يشيع مثل هذا التحامل ثم لا يسمع الناس تأديب من يشيعه فى المجتمع . وعلينا أن يفهم المجمع وأعضاؤه سوء ما يأتيه رئيسه وأن هنالك من قومه وممن هم قريبون منه من لا يقره على قوله البذىء .

ولقد تطرف وتمادى فى بذاءته حتى لم يتورع عن قوله بالنص: «ان هؤلاء المصريين الذين يحاولون السيادة فى عالمى العلم والأدب لم يخرجوا عن كونهم كلابا خلقت للتهويش » .

ذلك بعض مارواه الكاتب الفاضل؛ وقد ثارت بى الحمية واندفعت وانبته كثيرا فى المجلس ثم خرجت ..»

وقد تلقينا كثيرا من الكتب فى هذا المعنى طلب مرسلوها الأفاضل أن يتسع لهم صدر الرسالة لرد مفترياته وصد هجماته . والرسالة تشكر لهم هذا الفضل وتعدهم أن تنشر مايكتبون إزهاقا للباطل وإحقاقا للحق .

دمشق باب البريد السيد جواد الزيات
ثم للحوماني

الى الدكتور ابراهيم ناجى

قرأت كتابك الجديد « أدركنى يا دكتور» فى شغف وإعجاب ، فتبين لى بحق أن « ناجى » الشاعر الموهوب قد برهن على أنه كاتب مصور بارع ، وباحث اجتماعى موفق ، ومحلل نفسى حصيف . كما أثبت عمليا « أن الأطباء لو كتبوا أجادوا ، ولو أذاعوا ما علموا لأحدثوا رجة فى الأدب ، وتغييرا فى أساليب الحياة ... » .

غير أنى لاحظت بوضوح أن قصتك « ميلاد عبقرى » هى نفسها قصة « ميلاد فنان » والأخيرة إحدى طرف القصصى الفرنسى الفذ « أندره موروا » مع شىء قليل من التغيير والتحريف فهل من إيضاح ؟؟

هذا ، وأكرر إعجابى بسفرك القيم الممتع ،راجيا ألا تغضبك الصراحة التى يزدريها العصر المودرن !! ثم السلام عليك من المشوق إليك .

محمد سلام مصطفى

أساتذتى الأجلاء

قرأت ما نشر فى مجلة الرسالة الغراء وأعجبنى لأنه من هذا الطريق وحده نصل إلى الحقائق ويتضح الصواب ، وخاصة لو كان نقاشا حول تصحيح خطأ وقع فى مسائل علمية، والمتناقشون من أساتذة ذلك الفن ضربوا فيه بسهم وافر وتتلمذ على أيديهم طوائف متعددة . ولكن يؤلمنى كثيرا أن ينتقل الجدل بعد هذا إلى أمور شخصية؛ فمثلا يذكر الأستاذ خفاجى أن الأستاذ عبد المتعال الصعيدى يأبى أن يرد عليه سلامه، أو أن يمد إليه يده ؛ ثم يذكر بعد هذا أنه فعل ذلك لا غيرة على العلم ولا ضنا به بل لأن الأستاذ الناشىء خفاجى خرج على الكلية بكتاب فى البلاغة فآلم ذلك الأستاذ عبد المتعال الصعيدى لأن له كتابا آخر يتناوله الطلاب ومر على حجرات الدراسة محذرا الطلاب من الكتاب الجديد. أقرأ ذلك متألما فأحد المتخاصمين أستاذ جليل تعلمت العلم على يديه

وأشهد الله أنى ما رأيت منه إلا كل خير وما تعلمت منه إلا الخلق العظيم والأدب الكريم . وأما الأستاذ خفاجى فزميلى عاشرته فى معهد الزقازيق فلم أر منه إلا كل خير ولم أعرف عنه إلا كل ما يزين أساتذتى ما بال هذا وأنتم الأمة وضمنا كم فى البرج العاجى ثم اتخذناكم مثلا تحتذى ونورا يستضاء به .

محمود ابراهيم موافى

يوميات طفل

قرأت بهلال شهر يونيو الصادر فى أول هذا الشهر قصة « يوميات طفل » للكاتب الهنغارى « جوزيف بارد » وقد دهشت لزعم المجلة أن هذه القصة تقع فى كتاب لخصه لها تحت عنوان « كتاب الشهر » الأستاذ حلمى مراد بينما ورد سهواً فى التعريف بالكاتب — وهو تعريف مترجم عن الأصل المنقول عنه القصة — أن قصة « يوميات طفل » هى أروع قصص الكاتب القصار — وهذه هى الحقيقة .. فان « يوميات طفل » ليست سوى قصة قصيرة بعنوان The Tale of A Child « قصة طفل » كتبها جوزيف بارد باللغة الانجليزية وهى تقع نحو خمس عشرة صفحة من الحجم الكبير فهى أذن أقصوصة وليست قصة طويلة تستغرق كتاباً بأكمله كما زعمت المجلة المذكورة .

وبقى أن نعرف هل هذا الذى زعمته المجلة خطأ غير مقصود أم أنه خطأ متعمد فإن كان الأولى فقد وجب على المجلة أن تبادر باستدراكه فى العدد القادم وإن كانت الثانية فهى سقطة شنيعة لا يحمل أن تصدر عن مجلة من مجلات الخاصة « كالهلال » لأنها توحى بخداع القارى والتغرير به ... وهذا مالا أحب أن يوحم به « الهلال » بحال من الأحوال .

كمال رستم

الى رجال التصوف

هل أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريرى الصوفى الزاهد المشهور من أصل عربى ؟؟ وإذا كان عربيا فهل هو من سلالة الأشراف ؟

عبد الرؤوف الشريف

« الأبحاث »

مجلة تصدر عن الجامعة الأمريكية فى بيروت أربع مرات فى السنة يحررها أساتذة الجامعة الأمريكية وغيرهم . وهى منبر حر للمفكرين فى جميع الأقطار العربية .

اشتراكها السنوى فى لبنان وسوريا ٨ ليرات لبنانية أوسورية وفى الخارج جنيه استرلينى واحد .

تطلب من سكرتير التحرير — الجامعة الأميركية فى بيروت لبنان .



الخـــــادم

للكاتب الروسى س . سيمونوف

للاستاذ جمال الدين الحجازى

عاد جيرسيم إلى موسكو فى زمن كانت فيه البطالة منتشرة فى البلاد ، وكان يأمل أن يجد عملا ، إلا انه مكث يبحث ثلاثة أسابيع دون جدوى ! وقد آلمه أن يبقى عاطلا عن العمل وهو لا يزال فى عنفوان شبابه وكامل صحته ، فمكث مع بعض أقاربه القرويين مدة وجيزة عله يجد عملا . كان جيرسيم قد قضى حداثته خادماً فى أحد البيوتات ، ثم اشتغل خادماً لأحد التجار إلا أن الخدمة العسكرية أجبرته على ترك عمله، ولما انتهى تدريبه عاد إلى موسكو ، فآلمه أن يجد عمله منتهياً ، وكانت كل ساعة تمر عليه يحس بها كيوم ، إذ أن شوارع المدينة كانت قد أسأمته لكثرة تجواله فيها عبثاً ، وكان يستوقف الناس فى الشوارع ويسألهم عن ايجاد عمل له ولكن دون جدوى . وأخيرا شعر بأن أقاربه قد سئموا منه وشعر بأنهم يستثقلون ظله لكثرة التردد عليهم ، فآثر الابتعاد عنهم ، مفضلا الجوع والارتعاء فى الشوارع

التقى جيرسيم فى احد الأيام بأحد أصدقائه وكان يسكن فى ضواحي موسكو قرب سو كولنك ويعمل حوذيا لتاجر غنى يدعى شاروف منذ مدة طويلة كان فيها مثال الرجل المخلص الأمين فى عمله ، فأحبه شاروف وأولاه ثقته التامة لاخلاصه وتفانيه فى العمل وجعله مسئولا عن جميع خدمه ولما وقعت عيناه على صاحبه حياه بحرارة ورجا منه أن يجد له عملا فقد مكث مدة طويلة عاطلا فسأل « ياجور » صديقه وهل رجعت إلى التاجر لذى كنت تعمل عنده ليعيدك إلى العمل ؟

— أجل لقد رجعت إليه ولكنه كان قد أحضر شخصاً آخر بدلا منى !

— وهكذا أنتم أيها الشباب لا تخلصون فى أعمالكم وتكون عاقبتكم وخيمة وكان من الخير لكم أن تخلصوا فى عملكم تكسبوا محبة رؤسائكم .

— نعم القول ما تقوله يا صديقى ، ولكنك تعلم ان الانسان ليس معصوما من الخطأ وأنه ليس ملاكا ، فدعنا من هذا اللوم الذى لا يجدى نفعا ، وقد عهدتك الصديق المحب للخير ، فأرجو أن تجد لى أى عمل فأكون لك من الشاكرين ! فابتسم ياجور من هذا الثناء وشكره على ذلك وطلب منه الانتظار قليلا ... رجع ياجور وأخبر صديقه بأن سيده سيسافر إلى بلدته بعد نصف ساعة وأنه أعد الخيول لذلك وقال له :

— أترغب فى أن تعمل خادما معى عند شاروف ؟

— وهل يريد السيد شاروف خادما ؟

— أجل ان خادمه السابق قد بلغ من الكبر عتيا وهو لا يقوى على أداء عمله .

أكون شاكرا لو تمكنت من ايجاد عمل لى إذ لا أستطيع أن أبقى طويلا عاطلا عن العمل .

— حسن ! سأتحدث مع شاروف فى هذا الموضوع فاذهب الآن وعد غدا لأخبرك بما تم . فشكره على ذلك وسار فى طريقه ... أعد ياجور الخيل وارتدى ملابس الحوذية المعتادة وساق العربة إلى الخارج ، وكان شاروف جالسا فى العربة يسرح الطرف فى مزارعه الواسعة وأمارات الغبطة مرتسمة على محياه ، ولما رآه ياجور على هذه الحالة وجد الفرصة سانحة ليحدثه عن صديقه فقال له :

— ان لى صديقا فى مقتبل العمر يا سيدى ، وهو يرجو أن تجد له عملا فقد مكث ردحا من الزمن عاطلا .

— حسن ، ولكنك تعلم أنه لا عمل عندى

— ان صديقى يجيد جميع الأعمال التى يقوم بها « بولكرنتش » الذى أصبح مسنا لا يقوى على العمل !

— لا أستطيع ذلك فقد مكث خادمنا مدة طويلة وأفنى زهرة شبابه وهو يعمل عندنا ويقوم بخدمتنا خير قيام وليس من العدل أن أطرده من عمله دون ذنب جناه

— إنه ولا ريب قد ادخر بعض النقود التي يمكنه أن يعيش بها الأيام الباقية من حياته .

— لا . إنه لم يدخر شيئا . إذ أن راتبه لا يكفيه ، وإن له زوجة تقاسمه العيش .

— اعتقد يا سيدى أنه من الخــير الاستغناء عنه ، إذ أنه لا يجيد عمله ، وقد شوهد مرات وهو يشرب الشاى مع محبه ، تاركا عمله وراء ظهره . أليس من العبث أن نقدم له راتبه وهو لا يعمل شيئا !

— لا أوافقك على ذلك ابداً — فليس من الحق ولا العدل أن نستغنى عن خدمات هذا العجوز بعد أن مكث فى خدمتنا خمسة عشر عاما . إن الاستغناء عنه وهو فى هذه السن جريمة لا تغتفر !

فألح ياجور على سيده بأن يجد لصديقه أى عمل كان ، ولم يسع شاروف أخيرا إلا القبول وطلب منــــه أن يبعث إليه لمقابلته ، فشكره على ذلك وأعلمه بأنه سيجده مثال الخادم النشيط .

وفى الغد عاد جيرسيم إلى صديقه كما وعده وتناولا الشاى معاً ، وبعد ذلك سارا إلى سيده شاروف ، ولما وصلا سأل شاروف جيرسيم عن العمل الذى يجيده فأخبره بأنه يستطيع القيام بأى عمل يطلب منه ، فطلب شاروف منه أن يأتى فى الغد ليتسلم عمله الجديد .

فرح جيرسيم فرحاً شديدا . وأوصى ياجور صديقه بأن يقوم بعمله خير قيام حتى يكسب ثقة سيده فوعده خيراً .

خرج جيرسيم ليهيىء بعض مايحتاج اليه ، ولما سار بضع خطوات وجد بيت « بولكرتش » وقد غطاه الثلج فلم يلق بالا اليــــه وواصل سيره ، ولكنه سمع صوتا من الداخل يقول . « وما العمل الآن يا بولكرتش ؟ وماذا سيكون مصيرنا ؟ اننا فقراء لا نملك شروى نقير . لقد عملنا طويلا وكان جزاءنا بعد هــذه الأعوام الطويلة التى قضيناها غير شريف ! » فاجابها زوجها بأن شاروف لا ينظر إلا لمصلحته الخاصة شأن غيره من الناس ؛ وهو لا يختلف عن غيره من القوم الذين ينظرون إلى الطبقات الفقيرة نظرة السيد لعبده ؛ فمادام العبد قويا يستطيعون حلبه كالنعاج فهو بخير ، وإذا ما ضعف أو تقدمت به السن قليلا شعروا بثقله عليهم وجعلوا يتحينون له الفرص للتخلص منه ! فقالت زوجه ، وكانت الدموع تبلل وجنتيها ، إن ياجور قد سبب لنا كل هذا الضر — ولكنى سأقوم بدورى فى ابعاد هذا الشاب من الخدمة واتهامه بسرقة الشعير والكلأ وبيعه فنتمكن بذلك من التخلص منه ومن صديقه الذى أراد بنا سوءا !

سمع جارسيم كل ذلك فحزن حُزناً شديدا إذ سبب لهذه العائلة الوادعة هذا الضيق وابدلها من بعد أمنها وسعادتها خوفا وشقاء ؛ فمكث مدة وجيزة شارد الذهن ثم سار حتى وجد نفسه إلا فى بيت صديقه ياجور ، فقال له وهو مطرق الرأس : « اشكرك ياصديقى على مابذلته لى من خدمات — ولكننى لا أستطيع أن أعمل هنا ... أجل لا أستطيع أن أعمل وسأبحث بنفسى عن عمل آخر فى غير هذا المكان ! » فغضب ياجور غضباً شديدا وطلب منه الخروج من غرفته حالا .

فلما خرج جيرسيم من الغرفة شعر بفرح وسرور عظيمين .

جمال الدين الحجازى



مطبعة الرسالة



فهرس العدد

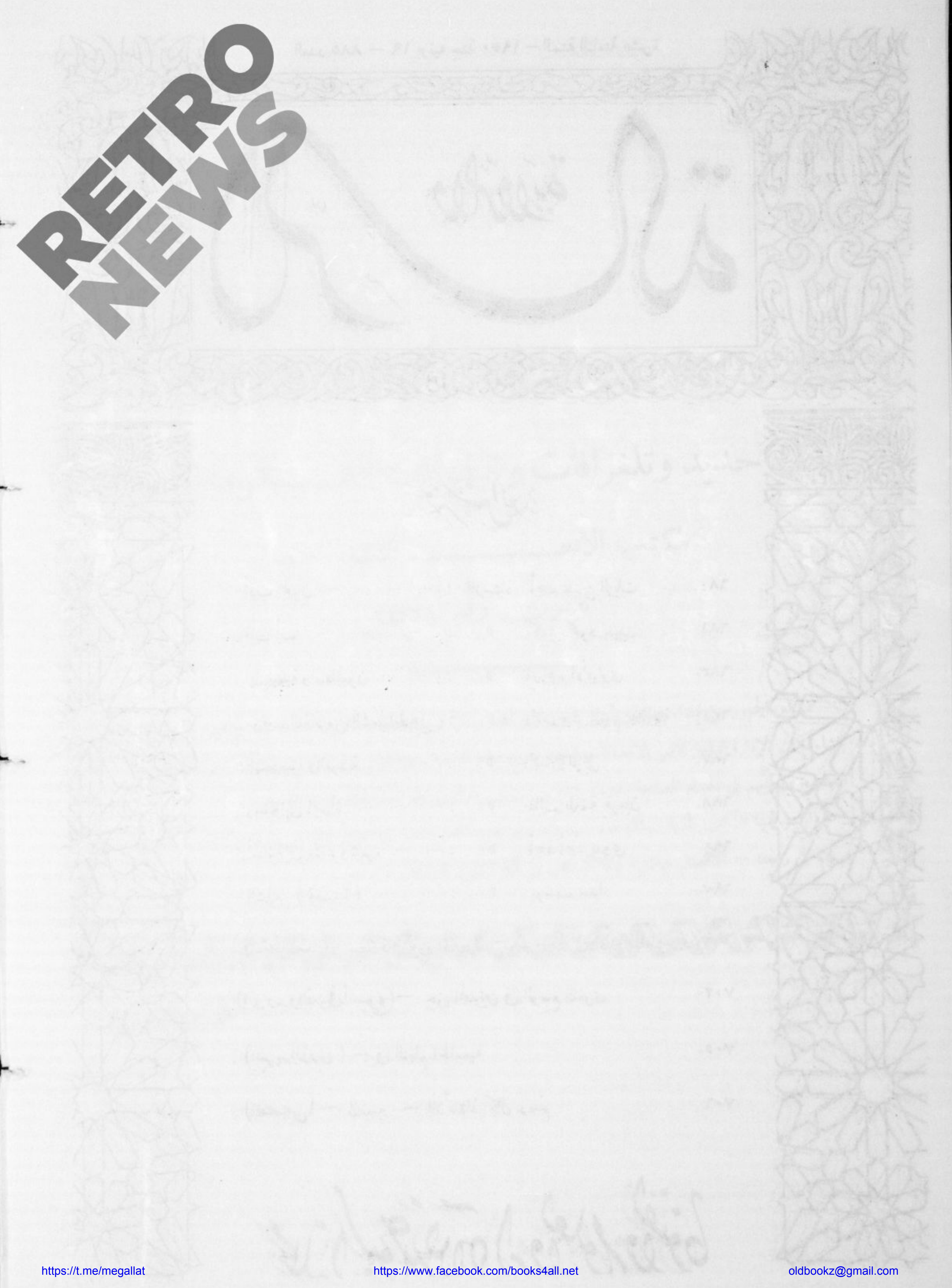
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

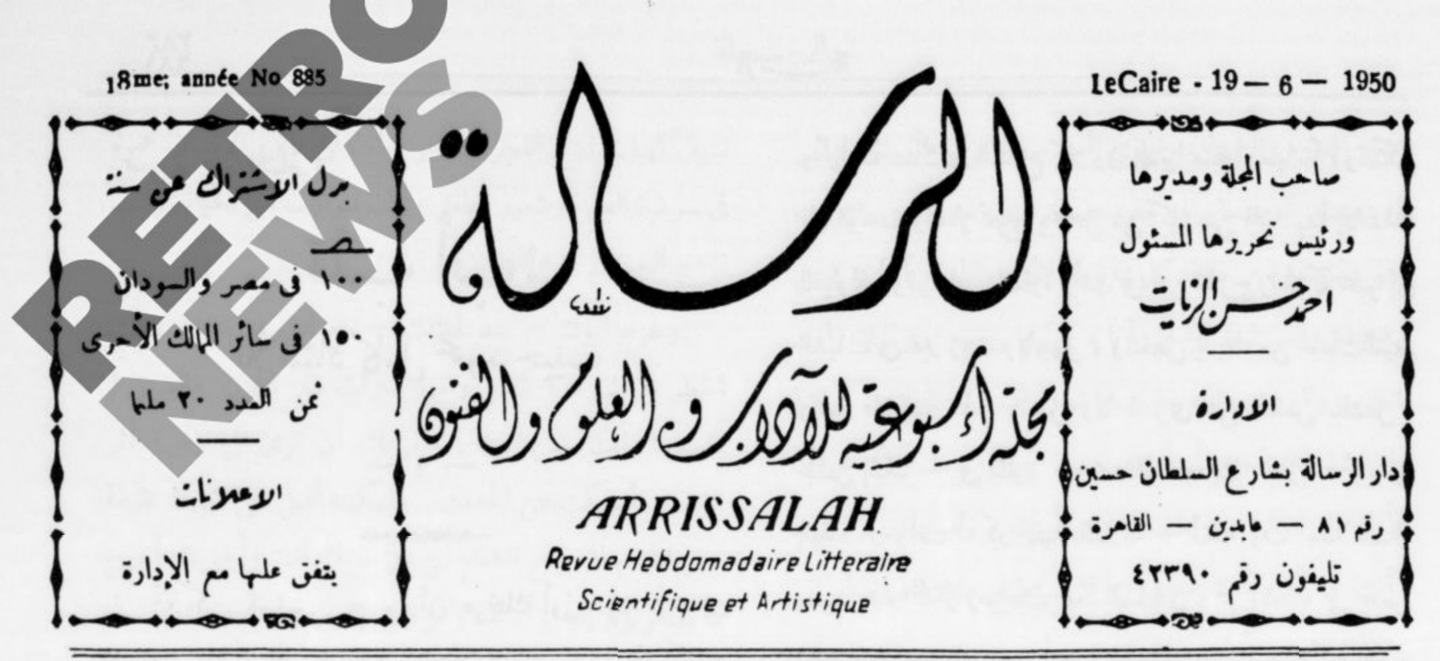
العدد ٨٨٥ — ١٩ يونيه سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٨٨٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ رمضان سنة ١٣٦٩ — ١٩ يونية سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

٣ - أدب المجـــون

يسأل نرنسوا موررياك ثلاثة أسئلة عن أدب المجون ، أولها عن نتائجه ، وثانيها وثالثها عن أسبابه . فأما سؤاله عن نتائجه فما أظن جوابنا عنه يختلف عن جواب زملائنا الأوربيين فى شيء ؛ لأن خطر الأدب الماجن على الفرد والجماعة وعلى الأدب نفسه لا يمارى أحد فيه لا منا ولا منهم . وهل يمارى أحـد فى أن البهيم الذى يساكن الانسان فى جسد واحد إنما يروضه ويكبحه الأدب القائم على العقل والدين والعلم ، تارة بالفطام واللجام ، وتارة بالسياسة والملاينة ، فاذا فسدت طبيعة هـذا الأدب ، فانقلب القيد سوطا يلهب ، والشكيمة مهمازاً يحث ، أفلت البهيم من ربقته فافترس الانسان الذى يعيش معه ، وحطم المجتمع الذى يضطرب فيه . والأدب الذى أطلق هذا البهيم بتمليق غرائزه وتحريض شهواته سينتهى أمره لا محالة إلى أن يصير آفة تتقى وجرثومة تحارب ؛ لأن فى ابن آدم محكمة داخلية تسميها الضمير ، إذا تعطلت حينا فلن تتعطل أبد الدهر

وأما سـؤالاه عن أسبابه ، فالأمر بيننا وبينهم فى جوابيهما جد مختلف . ليس فى أدبائنا أديب تلقى عليه التبعة فى انحطاط الأدب الحديث كسارتر ، وليس فى أدبنا مذهب يساعد على هذا الانحطاط كالوجودية ؛ إنما هى العدوى انتقلت إلى مصر من مكان الوباء فصارفيها المرضى وحملة المرض . ولا أقصد بالعدوى عدوى حدوث المجون ، فان المجون كما قلت أصيل فى كل نفس ، عريق فى كل أدب ؛ إنما أقصد بالعدوى عدوى نشره فى الصحف والكتب والتمثيل بنوعيه المحقق والمصور .

ليس على المرء من حرج أن يماجن صحبه الأدنين فى مجلسه الخاص ؛ وليس عليه من حرج أن يعرى فى غرفة نومه أو فى حمام بيته ؛ وإنما الحرج كله أن يماجن فى ملأ أو يعرى فى شارع . والذين يسمعونه مفحشا ولا يعترضون ، أو يرونه عاريا ولا يعرضون ، لا يقلون مجونا ولا جنونا عنه

فالمسألة فى أدب المجون مسألة ضمير فى الكاتب والناشر ، وكرامة فى القارىء والناظر . فى وجودهما عدمه ، وفى عدمهما وجوده.

كنا قبل أن نعرف أوربا نتحرج أن نرى المرأة فى نافذة أو نماشيها فى طريق ، فأصبحنا نقبل أن نواجهها فى دكان وأن نجالسها فى حان ! وكنا قبل أن نقلد أوربا نذوب خجلا إذا سقط قناع المرأة عن استحياء ، أو انحسرت ذراعها عن غفلة ، فأصبحنا نتحرق شوقا إذا كشفت ظهرها فى مرقص ، أو خلعت ثوبها على شاطىء !

ومن أعجب العجب أن نرضى رضا الغبطة واللذة إذا رأينا الأمهات والزوجات والبنات عاريات على (البلاج) ، ثم ننفض غضب التقى والورع إذا رأينا الراقصات والممثلات والمومسات عاريات على الورق ! لماذا نقبل ما يفعل فى الشواطىء والحفلات ، ولا نقبل ما يقال فى الصحف والمجلات ؟!

إن الطبيعة موضوع الفن ؛ ولكن الحياة مادة الأدب . والفنان الحق يصور بحق ، والأديب الصادق يعبر بصدق . فاذا شئتم أن يطهر أدبكم من المجون والبذاء ، فطهروا مجتمعكم من الفجور والرياء . إن الأدب صورة ، جمالها من جمال الأصل ، وقبحها من قبحه !

احمد حسن الزيات

صورة من الحياة :

قلب أب!

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ١ —

أتذكر – ياصاحبي – يوم أن عرفتك أول مرة فحن لك قلبي ، وصبت إليك نفسي ، ورقت مشاعري ، يوم أن كنت عند مشرق الحياة صبياً ضاوى الجسم ناحل العود معروق العظم ، تهاوى من ضعف ومن هزال ، وتساقط من ضنى ومن حزن ، فلا تجد اليد الرفيقة التي تمسح على أشجانك ، ولا القلب الرحيم الذي يعطف على أسقامك ، لأنك كنت قد فقدت أمك فما استطاع أبوك أن يصبر على الوحدة ، وإنه ليحس التشعث والضياع ، ويستشعر الضيق والملل ، والدار من بين يديه خاوية تصفر ، والخادم من أمامه لا ترعوى عن تراخ ولا عن إهمال ، والدنيا في ناظريه تضطرب في حيرة وقلق ، وقلبه يخفق بالأمل والرغبة وهو شاب في ميعة الصبا ووفرة المال ، تتدفق في عروقه ثورة الشباب وتتألق في أعصابه دواعي الفتوة ... وضاقت به الحيلة ، فانطلق يتلمس الخلاص في فتاة من ذوى قرابته يبوئها عرش داره وقلبه معاً لتملأ فراغاً خلفته أمك منذ شهور وشهور . وجاءت الزوجة الجديدة فأحسست كأنها تزحمك بالمنكب وتدفعك بالقوة وتغلبك بالحيلة ، لتستلبك من دارك ومن أبيك في وقت معاً ، فحملت لها بغضاً ؛ ثم انطويت على خواطر مضطرمة يتأجج لظاها في ذهنك .

واستحالت خفة الصبا فيك إلى رزانة كرزانة الشيخ عركته الخطوب وصقلته الحوادث ، وتعكر صفو الطفولة في نفسك فمثل هم الرجل ينوء كاهله تحت عبء السنين المجاف ؛ فانزويت تكتم أشجاناً غمرت حياتك على حين غفلة منك ، وأنت ما تزال عند مطلع العمر .

وأفزع أباك أن يرى حالك تتغير ، فتركن إلى الصمت وأترابك هناك في الشارع يملأون الدنيا ضجة وصياحاً ، وتسكن إلى الوحدة والدار تموج بالأهل من كل سن فلا تهدأ إلا ساعة القيلولة ، وتستطيب الخلوة وأنت في سن المرح والحركة تحبو إلى الشباب في غير ريث ولا مهل ، وتنفض يديك من حاجات البيت والدار فلا تسلى الهم بالعمل ولا تسرى عن النفس بالشغل . فجلس إليك – في خلوة – يحدثك حديث تجاربه ، ويوحي إليك – وأنت أكبر بنيه الثلاثة – أنك رب هذا المال وسيد هذه الدار وصاحب هذا السلطان ، ثم أقامك على بعض شأنه لترضى ، فانفرجت أسارير نفسك وهدأت جائشة قلبك وانجابت عنك غمة أوشكت أن تعصف بك في غير رحمة ولا شفقة .

ورحت أنت تبسط سلطانك على شئون الدار في شطط لا يعرف الاعتدال ، وتصرف الأمر في حمق لا يعرف العقل ، وتاق الرأى في طفولة لا تعرف الحصافة ، غير أن أباك كان من ورائك يهدهد من غلوائك في رفق ، ويكبح من جماح أهوائك في لين .

لقد كانت زوجة أبيك – ولا ريب – تطمع أن تكون سيدة الدار وصاحبة السلطان ، وهي ترى الدار تفهق بالنعمة وتشرق بالثراء ، ولكنك كنت تسد أمامها المنفذ في قسوة ، وتغل يدها في غلظة ، فما تنال من مال أبيك إلا بقدر لا يشبع النهم ولا يشفي الغلة ، فراحت ترقبك في غيظ يحمل في ثناياه مقتاً وكراهية . وأبت أنوثتها أن تستسلم أو تخضع فهبت تحتال للأمر في مكر وخديعة ، واندفعت تنفث سمومها في قلب أبيك في هوادة وفي رقة ؛ وأبوك يلقى السمع حيناً ويغضى عن الحديث حيناً ، والشيطانة لا تهدأ ولا تستكين ، وأنت في لهو يشغلك الغرور وتمميك الغواية .

واستطاعت الزوجة أن تجذب إليها الرجل رويداً رويداً ليناى عنك رويداً رويداً ، وأنت في لهو يشغلك الغرور وتمميك الغواية .

وسرت في أضعاف الدار ثورة مكفوفة توشك أن تنفجر

فتبعثر الهدوء والراحة ، وتذرى السلام والأمن : فأبوك يجلس إلى زوجته كل مساء فى خلوة يستمع إلى حديثها فى صمت ، وهو يستشف من خلال كلماتها روح الختل والخداع آناً ، ويلمس فيه سمات الصراحة والحق آناً ، فيتهم زوجه ويرميك أنت بالطيش والنزق . والزوجة تلبس ثوب الثعلب فتلقاك فى بشاشة واستبشار على حين أنها تنشر من حواليك شباكاً محبوكة الأطراف لتعكر صفو مابينك وبين أبيك ، وهو يسلس وينقاد . وأنت ... أنت أيها الصبى ... لا يستطيع عقلك الصغير أن ينحط إلى بعض ما يدور حولك مما ينسجه عقل شيطان حصيف مرن على المداهنة والمكر ، فلا ترى ولا تسمع ، غير أنك تتشبث بسلطانك فى الدار مثلما يتشبث الطفل بلعبة عزيزة على نفسه يخشى أن يستلها مارد جبار من بين يديه الصغيرتين .

وسافر أبوك — ذات مرة — إلى المدينة لبعض شأنه ، فجلست أنت فى مكانه من الدار وقد صورت لك أخيلتك الطائشة أنك قد لبست ثوب الرجل الذى فيه ، فاندفعت تأمر فى كبرياء وجفوة ، والفتاة تبسم فى عبث ساخرة من نزواتك الطفلية ولكنها لم تمتنع على رغبتك خشية أن تندلع من حماقتك نار حامية يلتهم أوارها سعادة تترجاها فى هذه الدار ، فخضعت وهى تسر فى نفسها أمراً . وجاءك الغداء — بعد ساعة — ينضم على أطايب الطعام : على البيض والسمن والزبدة والجبين والعسل و ... مما يتحلب له الريق وتثور له شهوة البطن ... وجاءت إلى الطعام ، بين أخويك ، تريد أن تشبع النهم والكبرياء فى وقت معاً .

ورأيت أباك يدلف إلى الدار — فى هذه اللحظة — فقلت لأخويك ، « انتظرا حتى يأتى أبى فينعم معنا بهذا الطعام الشهى ، فهو — ولا شك — فى حاجة إليه بعد هذا الضنى والنصب . إنه لا يلبث أن يحضر بعد أن ينفى عنه وعثاء الطريق وعناء السفر » فأمسكا عن الطعام وأمسكت

ياعجبا ! هذه هى نوازع الصبية ؟ صافية كالجوهر الخالص ، نقية كالسلسبيل الطاهر ، لطيفة كالظل الوارف ساعة الهاجرة ، ندية كهبات نسيم الفجر الساحر ، آه ، لو عاش الانسان عمره فى سريرة الصبى وشعور الطفل ، إذن لتوارت من الحياة شوائب تزعج النفس وتفزع القلب !

وخرج أبوك — بعد لحظات — من لدن زوجته يستحث الخطو نحوك وقد اكتسى وجهه بغبرات من الحزن والضيق لم تشهدها وأنت تهش للقياه . وأفزعك أن ترى على وجهه أثر الغضب فأمسكت عن الحديث . ولكنه أقبل فى ثورة عارمة يأمر الخادم أن يرفع الطعام من بين يديك أنت وأخويك أحوج ما تكونون إليه . آه لقد وسوست الشيطانة ، وأذهلتك المفاجأة فشرقت بريقك ، وماتت الكلمات على شفتيك ، ودارت الدنيا بك من شدة الصدمة فسقطت متهالكاً على كرسى بجوارك ، وآذاك أن يبدو ضعفك بين يدى أخويك الصغيرين وأنت — كرأيك — رب المال وسيد الدار وصاحب السلطان ، فتماسكت تماسكت لترى أباك والطعام يتواريان فى طرفة عين ، فنظرت إلى أخويك من عبرات حرى تتدفق على خديك تنطق بالأسى واللوعة واليأس جميعاً .

وبكى أخواك الصغيران ، فاحتضنتهما فى عطف وحنان لتشعرهما بأنك أنت أمهما حين ماتت الأم ، وأنك أنت أبوهما حين قسا الأب . واختلطت عبرة بعبرة ، وخفق قلب لقلب ، وتعانقت زفرة وزفرة ، واجتمع الرأى على أمر ، ثم اندفع الركب يسير وبدالك — ياصاحبى — إذذاك ، أن أباك كان يختلك عن نفسك ، وأن زوجته كانت تسخر من طفولتك ، وأنت لست شيئاً فى هذه الدار .

وتبعتكم — ياصاحبى — بعبراتى ، وأنا — إذذاك — صبى مغلول اليد واللسان ، فرأيت أطفالا ثلاثة شردتهم القسوة ففزعوا عن دار أبيهم فى ذلة وانكسار ، وقد هدهم الأسى وأضناهم الحزن وأرهقهم الجوع ، على حين قد ترفعوا عن الشكوى فأبوا على وسموا على الخسف وتبعتكم بعبراتى ، ولكن إلى أين — ياصاحبى — إلى أين ؟

كامل محمود حبيب

ابن تيمية والمنطقيون

للأستاذ ابراهيم الابيارى

أنعرف الشيخ المحجاج المفلب حجة الحنابلة غير مدافع أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. يعرفه الشوكانى محمد بن على فيقول: أنا لا أعلم بعد ابن حزم[1] مثله، وما أظن الزمان سمح ما بين عصرى الرجلين بمن شابهما أو يقاربهما.

ويسبقه ابن حجر أحمد بن على فيقول فيه: وفاق الأقران وصار عجباً فى سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع فى المنقول والمعقول.

ومن قبله يقول الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد الذهبى. واللفظ يكاد يكون لى: كان آية من آيات الله، السنة نصب عينيه، لم ير أشد منه استحضارا للمتون، ولا أقدر فى مسائل الخلاف.

وقريب من هذا ما قاله ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ثم ابن رجب الحنبلى عبد الرحمن بن أحمد.

وغير هذا فقد أفرد له غير واحد كتابا، فخصه المقدسى محمد ابن أحمد بالعقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وصفى الدين البخارى بالقول الجلى فى ترجمة شيخ الإســلام ابن تيمية الحنبلى، والكرمى مرعى بن يوسف بالكواكب الدرية فى مناقب الإمام ابن تيمية.

وتقرأ للمستشرقين عنه ما كتبه « غولد زيهر » فى دائرة المعارف. ثم تلك الدراسة الممتعة الجامعة للأستاذ الكبير « هنرى لاوست ».

وإن لم تغن فاليك جملة مما ألف الرجل تنبيك عن همة لا تفتر وقلم لم يجف وعمر حافل معمور الأيام والليالى. ذكروا أنها تزيد على أربعة آلاف كراسة، كما ذكروا أنها بلغت ثلثمائة مجلد. أسمى منها. الجوامع فى السياسة الإلهية أو الفتاوى، والإيمان. والجمع بين النقل والعقل، ومنهاج السنة، والفرقان فى أولياء الله وأولياء الشيطان. والواسطة بين الحق والخلق، ومجموع رسائله، وقد أحصيت فيه تسعا وعشرين رسالة. ثم كتابه الذى هو قطعة من عقله وفكره « الرد على المنطقيين ».

ابن تيمية من هؤلاء النفر الذين أكدتهم عقولهم وعاشوا لما يدينون به ينفحون عنه ويجأرون به، يستمرئون ما يعافه الوادعون، ويحلو لهم ما يمر على مذاق الخانعين، يصمدون للأحن لا يهنون، وللنكبات لا يريمون، ثم إذا هم بأخرة قد اجتمع الناس لهم على الرأى الذى كالحوا له وغالبوا.

وكذلك كانت حياة ابن تيمية، سعى به بيبرس الجاشنكير، فضمه السجن أعواما فما استكان، وكأنه ما خرج منه إلا ليعود إليه ثانية وثالثة، وهو هو إلى أن مات رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ وإذا الألسن كلها ثناء، وإذا ما كتب وألف متعة الأعين، وإذا ما رأى حديث المجالس.

جلست إلى ابن تيمية وهو آخذ بخناق المنطقيين فى كتابه « الرد على المنطقيين » يجادلهم بالرأى رأيا، وبالحجة حجة، فأنست بالرجل فى عقله وتفكيره، وما كنت أعرف قبل ذلك أن ابن تيمية يقوى لأرسطو فيوهن من مقاييسه ويضعف من أدلته.

وأنت إذا استمعت إلى ابن النديم فى الفهرست حفظت عنه كتب أرسطو الثمانية فى المنطق وهى، المقولات، والعبارة، وتحليل القياس، والبرهان، والجدل، والمغالطون، والخطابة، والشعر. ثم إذا جريت معه قليلا عرفت من ترجم هذه الكتب إلى العربية ومتى نقلت.

وتعجب حين ترى جمهرة من المفسرين والمحدثين والفقهاء تلقى كتاب المنطق لأرسطو فى حذر، وكادوا ينسبون من نظر فيه إلى الزندقة. ولن تنسى رسالة السيوطى جلال الدين فى تحريم علم المنطق، ثم لا تنس تلك الحرب الصاخبة التى حمى أوارها بين المنقوليين والمعقوليين والتى خرج منها علماء المعقول زنادقة ملحدين.

(١) هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى. عالم الأندلس فى عصره. وفيه يقول ابن العريف. كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين. وكانت وفاته سنة ٤٥٦ هـ

دراسات أدبية :

موقف النقـــاد من الشعر الجاهلي

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجة

١ — الشعر الجاهلي الذى اتخذه الشعراء فى مختلف العصور أصلا يحتذون حذوه ، وينهجون منهجه ، ويبنون عليه ويقلدونه فى مناحيه الفنية والأدبية تقليدا كبيرا ، هذا الشعر هو الذى نريد أن نتحدث عن موقف النقاد منه وآرائهم فيه ، ومذاهبهم حياله ، حديثاً يجمع مع الايجاز أطراف هذا الموضوع المتشعب الدقيق .

٢ — وأول ما نذكره فى هذا البحث آراء الجاهليين أنفسهم فى الشعر الجاهلى ونقده ، وهذه الآراء كثيرة متعددة ، طائفة منها تتحدث عن منزلة بعض الشعراء الأدبية فى الشعر ، وطائفة أخرى فيها نقد لبعض الشعراء .

فأنت تعلم أن كل قبيلة فى الجاهلية كانت ترفع منزلة شاعرها على الشعراء ، وتذهب إلى أنه إمامهم وأولهم فى دولة الشعر ، فكان اليمنيون يذهبون إلى أن امرأ القيس هو إمام الشعراء ، وكان بنو أسد يذهبون إلى تقديم عبيد ، وتغلب تقدم مهلهلا ، وبكر تقدم المرقش الأكبر ، وإياد ترفع من شأن أبى دؤاد وهكذا . وكان أهل الحجاز والبادية يقدمون زهيرا والنابغة ، وأهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحدا ، وأهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحدا ، وكان العباس بن عبد المطلب يقول عن امرىء القيس هو سابق الشعراء ، ورأى لبيد أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفة ثم نفسه .

كما تعلم أن الجاهليين أنفسهم كانت لهم آراء كثيرة فى نقد الشعراء . فكان النابغة تضرب له قبة حمراء فى سوق عكاظ .

وعز على صفوة من المفكرين أن ينتهى الخلاف بين النقليين والعقليين عند هذا فشمروا للتوفيق بين الرأيين . مؤولين ما استطاعوا إلى التأويل سبيلا، متخففين من أقوال الحكماء ما لا يجد دليله من كتاب أو سنة ، فمهم من أبعد ومنهم من قارب . وقد كانت محاولات أدلى فيها بالدلو إخوان الصفا ومن لف لفهم كالباطنية والإسماعيلية . وإذا ذكرنا الإسماعيلية ذكرنا ابن سينا الذى ربى فى حجورهم وغذوه بتعاليمهم وكان له جولة فى هـذا الميدان كان فيها كالظل لأرسطو .

وتمخضت الأيام عن شيخ من شيوخ الإسلام نشأ والباطنية فى عنفوانها فجال فى هذا الميدان جولات على نهج من التوفيق والجمع بين الرأيين ، أسلم مغبة وأقرب إلى إنصاف أهل السنة وإرضاء المتدينين ، وكان هذا الشيخ الحجة أبا حامد الغزالى .

ويمضى الغزالى عام خمس بعد الخمسمائة والعالم الإسلامى فى لهفة الى مفكر يقف لأرسطو فى منطقه موقفا أكثر إرضـاء وأقوى إشباعا ، فقد انطوت النفوس على شىء لم تملك برهانا يغلبه وحجة تزلزله ، ومضت مع راسخ ما تؤمن به وتعتقد تغالب ما يوسوس به الفكر ويهمس ، وهى لا تجد بين يديها مفكرا يواجه أرسطو ويقف له .

وفى عام واحد وستين وستمائة من الهجرة ظفرت « حران » بمولود اسمه أحمد ، لم يكن العالم يقدر أن فيه المنية المنشودة ، ولكنه ما شب وترعرع وبدهت بوادهه حتى علقت به الآمال فى ذلك المصال ، ولم يكن غير ابن تيمية .

ومن قبل ابن تيمية كان أبو البركات البغدادى يحاجة أرسطو فى منطقه وصال معه صولات . وتكاد تظفر بأول فرسان هذا الباب، وكتابه المعتبر فيه الكثير من هذه المواقف[1] .

إلا أن ابن تيمية ، وان جاء لاحقا، يكاد يكون المحجاج المعول عليه والند المكافىء ، وبودى أن أشرك القارىء معى فيما أفدت ، ولكنى لن أجد فى صفحات الرسالة ما يسعف ، وحسبى من ذكره ما يحفز كل مفيد أن يرجع إليه ، ليعرف عن ابن تيمية ما عرف لأرسطو .

ابرهيم الابيارى

(١) هذا الكتاب طبعته دائرة المعارف العثمانية.

فتأتيه الشعراء وتنشده أشعارها ، أتاه الأعشى يوما فأنشده ، ثم أتاه حسان فأنشده ، فقال : لولا أن أبا بصير — أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الجن والأنس ، فقال : حسان : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك وجدك ؛ فقبض النابغة على يده وقال: يا بن أخي أنت لا تحسن أن تقول :

فانك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم أنشدته الخنساء :

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

فلما بلغت قولها :

وإن صخـــرا لتأتم الهداة به كأنه علـــم فى رأسه نار

قال : مارأيت امرأة أشعر منك ، قالت ولا رجلا

وحكومة أم جندب الطائية بين امرىء القيس وعلقمة الفحل الشاعرين ، وتفضيلها علقمة على زوجها امرىء القيس ، مشهورة ولا داعى لذكرها ، فلها حديث آخر إن شاء الله .

ومر امرؤ القيس بكعب وأخويه الغضبان والقعقاع ، فانشدوه فقال إنى لأعجب كيف لا تمتلىء عليكم نارا جودة شعركم ، فسموا بنى النار .

وروى المرزبانى فى كتابه « الموشح » إن الزبرقان وعمرو بن الأهتم وعبدة بن الطبيب والمخبل السعدى تحاكموا إلى ربيعة بن حذار الأسدى الشاعر فى الشعر، أيهم أشعر، فقال للزبرقان : أما أنت فشعرك كلحم أسخن ؛ لا هو أنضج فأكل ، ولا ترك نيئا فينتفع به . وأما أنت ياعمرو فان شعرك كبرود حبر يتلألأ فيها البصر ، فكلما أعيد فيها النظر ، نقص البصر . وما أنت يا مخبل فان شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم . وأما أنت يا عبدة فان شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر .

كما روى أيضا أن هؤلاء الشعـــراء اجتمعوا فى موضع ، فتناشدوا أشعارهم ؛ فقال لهم عبدة ! والله لو أن قوما طاروا من جودة الشعر لطرتم ، فاما أن تخبرونى عن أشعاركم وإما أن أخبركم ؛ قالوا : أخبرنا ، قال : فانى أبدأ بنفسى: أما شعرى فمثل سقاء شديد وغيره من الأسقية أوسع منه ، وأما أنت يازبرقان فانك مررت بجزور منحورة فأخذت من أطايبها وأخابثها

إلى غير ذلك من مواقف النقد والنقاد للشعر فى العصر الجاهلى ؛ والتى لا تخرج عن الاستحسان أو الاستهجان للشعر والشعراء .

٣ — وجاء الأسلام فكان له ولرسوله الكريم موقف جليل من الشعر الجاهلى ، أنكره بعضا وعرف بعضا ؛ أنكر هذا الشعر الذى ينافى الأخلاق الكريمة والمثل العليا ، من الغزل الفاحش ، والمجون الخليع ، والهجاء الكاذب، والمدح المغرق ، والفخر الممعن فى الغلو والمبالغة ؛ وعرف هـذا الشعر الذى يدعو إلى الفضائل والأخلاق والدين ، ويحث على الأدب والطموح وأداء الواجب وحب الجماعة والتضحية فى سبيل الأمة والأنسانية ؛ فكان هذا الموقف الخالد للاسلام ونبيه العظيم توجيها جليلا لرسالة الشعر ، وتهذيبا نبيلا للشعراء ليسموا بفنهم الرفيع إلى مجال الطهر والخير ، ومجال الحق والعدل والحرية والنور ، وكان نقداً عميقاً للشعر والشعراء الجاهليين ، وإنكاراً لاتخاذ الشعر وسيلة للكسب وظهر أثر الاسلام والقرآن فى تهذيب أسلوب الشعر وألفاظه ، وفى البعد به عن الحوشية والغرابة وطبعه بطابع القوة والجلالة والروعة مع الحلاوة والبلاغة والسلاسة . كما ظهر أثر القرآن والحياة الجديدة فى عقلية الشعراء وتفكيرهم ومعانيهم وخيالاتهم

٤ — وفى عصر دولة بنى أمية انتشرت العصبيات، وكثرت الخلافات السياسية والدينية ، وتغير نهج حياة العرب وتفكيرهم ، فعادوا إلى مذاهب الجاهليين فى الشعر ، واتخذوه أداة للدفاع عن الرأى والعقيدة ، ولسانا لإذاعة محامدهم ومفاخرهم ، وشجعوا الرواة على رواية الشعر الجاهلى ، والشباب على درسه وتعلمه والتأدب بأدبه ، ووضعت فى هذا العصر أصول النحو العربى ، فأخذ العلماء ينقدون الشعر الجاهلى نقدا يتصل بالأعراب ، « كان ابن أبى اسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليهم، وكان عيسى يقول: أساء النابغة فى قوله :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

ويقول موضعه : ناقعا» (١)

٥ — ومن أشهر رواة الشعر الجاهلى ونقاده فى القرن الثانى

---

(١) ٤١ الموشح للمرزبانى و ١١ و ١٢ ابن سلام

الهجرى . أبو عمرو بن العلاء البصرى م ١٥٤هـ ، وحماد « الراوية الكوفى (٧٥ — ١٥٦هـ) ، وخلف « الأحمر البصرى م ١٨٠ هـ ، ويونس البصرى م ١٨٢ هـ ، والمفضل الضبى م١٨٩ هـ وهو أقدم من جميع المختار من شعر العرب فى كتاب « المفضليات » وأول من فسر الشعر بيتا بيتا . ويقال إنه أول من جمع أشعار الجاهليين وإن كان الراجح أن حماد اسبقه فى هذا الميدان. ومنهم ابن الكلبى م ٢٠٤ ، وأبو زيد الأنصارى صاحب كتاب الجمهرة م ٢١٥ هـ ، وأبو عبيدة البصرى م ٢٠٩ هـ صاحب « النقائض » و« مجاز القرآن » ، والأصمعى البصرى م ٢١٦ هـ (٢)

كان أبو عمرو بن العلاء أشـــد الناس إكبارا للجاهليين وتعظيما لشأنهم ، جلس إليه الأصمعى عشر سنين فما سمعه يحتج ببيت إسلامى . ويروى عنه : لو أدرك الأخطل يوما واحـدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً . وكان لا يعد الشعر إلا للجاهليين ، وكان كما يقول ابن سلام فى طبقات الشعراء : أشد الناس تسليما لهم وكان المأمون على رغم ثقافته الواسعة يتعصب للأوائل من الشعراء ، ويقول : انقضى الشعر مع ملك بنى أمية

وكان الأصمعى مع تحامله على المحـدثين وشعرهم معتدلا فى عصبيته للشعر الجاهلى ، كان يحب الجيـد منه ، وينقد الردىء ، عاب امرأ القيس فى قوله فى وصف الفرس :

وأركب فى الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر

والخيفانة فى الأصل هى الجرادة وتشبه بها الفرس فى الخفة ، قال الأصمعى : شبه شعر الناصية بسعف النخلة ، والشعر إذا غطى العين لم يكن الفرس كريما ، كما عاب غير امرىء القيس من الشعراء . وكان يقول : ختم الشعر بالرماح ، وهو شاعر أموى مشهور

٦— وفى القرن الثالث الهجرى نجد النقاد فى موقفهم من الشعر الجاهلى طائفتين :

فطائفة تعجب بالجاهليين وشعرهم إعجابا شديدا ، ولا ترى الشعر إلا لهم ، ومن هؤلاء ابن الأعرابى م ٢٣١ هـ، وكان يزرى بأشعار المحدثين ويشيد بشعر القدماء . وكان يعيب شعر أبى نواس وأبى تمام ، ويقول : ختم الشعر بابن هرمة . وقال فى بشار : والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير من الشعراء . ومنهم أيضا إسحاق الموصلى م ٢٤٠ هـ ، وكان فى كل أحواله ينصر الأوائل ، وكان شديد العصبية لهم ، وكان لا يعتد ببشار. ولم يكن موقفه قاصراً على الشعر وحده ، بل كان كذلك فى الغناء ، كان يتعصب للغناء القديم ، وينكر تغييره ويعظم الأقدام عليه . ومثل ذلك التعصب للقديم موجود فى الآداب الأوربية ، فقد كان هوراس الشاعر الرومانى يرى أن شعراء اليونان هم النماذج التى يجب أن تدرس ليلا ونهاراً ، فان الشعر ينبغى أن ينظم كما كانوا ينظمونه . واعتذر الباقلانى عنهم بأنهم إنما كانوا يميلون إلى الذى يجمع الغريب والمعانى . واعتذر ابن رشيق عنهم بحاجتهم إلى الشاهد والمثل وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون . ولكن الجرجانى فى الوساطة يذكر أن ذلك أثر لتعصب علماء اللغة ورواتها للشعر القديم ، وإنكارهم لفضل المحدثين وشعرهم . (٤٩ و ٥٠ وساطة ط بيروت)

وطائفة أخرى من النقاد حكموا الذوق الأدبى والطبع وحده فى الشعر ، وحكموا بالفضل لمن يستحقه جاهليا كان أو إسلاميا أو محدثا ، فلم يفضلوا الجاهليين لسبقهم فى الزمن ، ولم يغضوا من شأن المحدثين لتأخر عصرهم . ومن هؤلاء : الجاحظ م ٢٥٥ هـ وابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ والمبرد م ٢٨٥ هـ وابن المعتز م ٢٩٦ هـ

يقول ابن قتيبة فى أول كتابه الشعر والشعراء : « ولا نظرت إلى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين ، وأعطيت كلا حقه ، ووفرت عليه حظه ؛ فانى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب عنده إلا أنه قيل فى زمانه ، ورأى قائله ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده وجعل كل قديم منهم حديثا فى عصره ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل يعدون

(٢) كان لهؤلاء الرواة أثر كبير فى الشعر الجاهلى، فقد وضعوا الجاهليين فى طبقات ، ولم يتركوا شاعرا مشهورا من الجاهليين إلا رأوا فيه رأيا ، واهتموا فوق ذلك بجمع الشعر وروايته وتدوينه

الشخصية والفردية

للأستاذ محمد محمد على

كلمتان كثيرا ما يخلط بينهما ، فتستعمل إحداها فى موضع الأخرى ، وفى الوقع أن هناك اختلافا بينهما .

فلقد زعم الأقدمون أن الشخصية personality قوة غامضة ، لا يمكن إدراك كنهها أو تحليلها . إنما هى مجموع صفات الفرد ، الموروثة والمكتسبة ، فتشتمل على شكله الظاهرى ودرجة ذكائه وثقافته واستعداداته ومواهبه ، والمثل الذى يستهدف اليها ، والمبادىء التي يعتنقها ، والعادات التى يكتسبها ، كل تلك العناصر والمقومات تؤلف الشخصية [1]. وأحدث تعريف للشخصية هو أنها نظام متكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والادراكية ، التى تعين هوية الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد تميزا بينا . وللشخصية جانبان · جانب ذاتى يعبر عنه بالانية le moi أى شعور الشخص بذاته ، وهذا الشعور يتطور من الشعور بالذات الجسمية فالنفسية والاجتماعية . والجانب الآخر موضوعى ، ويعرف بالخلق character وهو نظام متكامل من السمات والميول النزوعية تتيح للفرد أن يسلك — إزاء المواقف الخلقية وأوضاع العرف — سلوكا متفقا مع ذاته ، على الرغم مما يواجهه من عقبات [2] .

ومن دلائل النضج العقلى تكامل الشخصية ، وهو عبارة عن تضامن مقوماتها المختلفة وتوافقها وتضافرها وانتظامها ، حتى يكون سلوك الفرد ثابتا متزنا لا تنافر بين مظاهره ، الأمر الذى يجعل الفرد يتكيف مع أفراد المجتمع الذى يعيش فيه . ويساعد على تكامل الشخصية [3] ؛ التربية الرشيدة مع التوجيه السديد فى بيئة منظمة تكفل حياة هادئة . وليس أضر بتكامل الشخصية من التربية الغاشمة القاسية حينا ، والمتسامحة أحيانا ، مما يميت فى الطفل قوة الاعتماد على نفسه ، فى بيت محطم انعدم الانسجام بين أفراده .

وليس من شك فى أن الشخصية خير مقياس لنمو الفرد ، ومكانته فى المجتمع .

أما الفردية indidoality فهى صفة أو ميزة للفرد ، وهى أن يسلك الفرد سلوكا يختلف عن سلوك غيره . فلا يتأثر بالغير إلا قليلا ، وقلما يطيع العادات أو ينقاد إلى التقاليد . ذلك أن تأثره بالبيئة يكون مبنيا على فهم وتبصر بالغرض من سلوكه . وحتى لو اتبع أمرا اتبعه غيره ، فانما يفعل ذلك عن عقيدة ودراسة وليس طاعة أو تقليدا أعمى . ولا شك أن الحياة البدائية تعوق الفردية بتقاليدها الموروثة الجامدة التى تتبع النظام الطوطمى Toremism (والطوطم مجموعة أشياء مادية ينظر اليها البدائى نظرة الاجلال والاحترام يتخذها رمزا للأب أو الجد الأعلى وتحميه من الاخطار) واللاماسات tapoo ، وهى تحريمات وقيود تفرض بازاء إنسان

(١) دكتور أحمد عزت راجح : مشاكل الشباب النفسية (١٩٤٥) . ص ١٦ .

(٢) القاموس الملحق بكتاب الدكتور يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام . (١٩٤٨) .

(٣) مجلة علم النفس : مجلد ٣ عدد ١ (يونية ١٩٤٧) ص ١٠٨

محدثين ، وكان أبو عمرو يقول : لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته [1]

قال المبرد : ليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كلاما يستحقه [2]

وأنكر ابن المعتز عصبية هؤلاء النقاد للشعر القديم وذمهم لشعر المحدثين ، وقال إنها عيب قبيح ، ومن فعل ذلك فانما غض من نفسه وجعل هذا ناشئا عن جهل بنقد الشعر وتمييزه . [3]

وكان الجاحظ هو السابق إلى إقامة نقد الشعر على أسس فنية خالصة ، وحارب هذا التعصب المقوت للقديم لقدمه ، وآراؤه فى ذلك كثيرة فى « البيان والتبيين » و « الحيوان » وسواهما ، ففى «الحيوان» ينكر الجاحظ على المتعصبين للقديم فعلهم ويقول: ولو كان لهم بصر لعرفوا موضع الجيد ممن كان وفى أى زمان

محمد عبد المنعم خفاجة

(للكلام بقية)

١) ٧ و ٨ الشعر والشعراء

٢) ١٨ /١ كامل المبرد (٣) ١٧٥ و ٧٦ : أخبار أبى تمام للصولى

صورة رمزية

رسالة إلى امرأة!

للأستاذ غائب طعمه فرمان

« الصراع بين الواقع والخيال صراع خالد .. فكثيرا ما يهرب المرء من واقعه المرير مع أحلامه إلى عالم الخيال الرحيب .. ولكن .. لا يستقر فيه قليلا حتى يرى الحياة فى رحابه الفسيحة قاسية !! .. فيرجع إلى أحضان واقعه ليراه أشد مرارة من قبل ! .. »

ها أنذا جالسا لوحدى والدجى يرسم أمام ناظرى عالما رهيبا ...

ها أنذا صامتا كأننى أنتظر ساعة مفزعة ، أو أرتقب حكما قاسيا ، والسكون من حولى أخرس سكران بخمرة السكينة ، والهواء البارد يلفح وجهى ، ويبث القشعريرة فى كيانى ، فأحس من أعماق نفسى بهمسة حائرة مضطربة ، وتضطرب فى نفسى لواعج وأشجان ، وتختلج فى رأسى أفكار وصور قاتمة !

ها أنذا جالسا على صخرة تعرفنى ، حبيبة إلى ، عزيزة على نفسى .. وقد صرخت من أعماق روحى قوة تدفعنى إلى أن أقبلها وأبلل جسمها البارد بدموعى ، وأركع تحت قدميها أستجدى الذكريات !

والنهر أمامى يتهادى بسكون كأنه فى موكب عزاء ، وعلى سطحه لألاء مرتجف كأنه مآل اليائس ، وقد شعرت برهبة وخشية ، فكأننى واقف على شاطىء مسحور . مجهول .. مبهم .. تلفه الأسرار ، وتوغل فى أرجائه أصداء مبهمة كأنها أرواح ضائعة تنشد أجسادها بين الرمم ، أو كأنها أسئلة ليس لها ردود!

وعلى يسارى تلك الشجرة الأمينة كقلب أبيض ، تصلى معى بخشوع وضراعة فى محراب الوحدة المقدس ، وقد سجدت أغصانها على النهر تقبله ، وقد داعبها نسمة حنون ، فراحت تميل بطراوة !

كل ما حولى عميق لأنه يطوى تاريخ قلبين فرقهما الدهر ، فتاها فى متاهات الحياة حائرين يبحثان عن مأمن رحيم ... كل ما حولى حزن كأنه يبكى على مأساتنا ، ويندب حظنا العاثر ، ويبعث إلى قلبين ضالين سلوة وعزاء ، وكل شىء يمر على ذاكرتى واضح المعالم ، مؤثرا ، مرهفا ، عميقا ، ويتجسم فى هذا الفضاء اللانهائى لى شبح الماضى الجميل الكئيب ! ، وتبرز لى ذكريات الأيام الماضية ، تلك التى طمرها القلب ، وأخرجها الاحساس المتوثب ، وصرخ بها الضمير المغصوب !

يالها من ذكرى .. تلك التى انطوت على شواظ من نار ،

أو شىء أو عمل [1] .

ولولا الفردية لما كان هناك تقدم ولا مدنية . فلو أن الناس كانوا يفكرون تفكيرا متشابها ، ويسلكون سلوكا متشابها ويعتقدون فى أشياء خاصة ولهم أغراض وغايات واحدة ، دون أن يتساءلوا عن صحتها أو يجتهدوا فى تغييرها ، لما كان هناك أمل فى التطور والرقى . والفردية هى التى تدفع إلى التجربة والمخاطرة ، والاختراع والابتكار . ولعل خير مقياس لرقى المجتمع هو مدى ما يعطيه للافراد من فرص لظهور فردياتهم المختلفة . وكثيرا ما يحدث صراع بين التقاليد والفردية فتحدث اضطرابات نفسية خطيرة [2] ، وذلك حين تقف التقاليد حائلا دون ظهور الفردية .

على أن للفردية بجانب هذه المنافع — أضرارا ، فقد كان لانتشار فكرة الفردية — وخاصة فى أوائل القرن الماضى — أثر فى تفكك أواصر الأسرة التى تسودها سيادة الأب ـ رجعية (مودة قديمة) وأن من الممكن أن ينكث الزوجان أو أحدهما العهود المقطوعة حيال الزواج .

ثم إن التمادى فى الفردية يجعل الفرد ينظر إلى الأمور بالنسبة إلى آرائه وملذاته ـ مما يؤدى إلى الاستخفاف بنظام الأسرة . وهذه الروح المستهترة كان لها أثرها فى زعزعة النظم الاجتماعية وعدم استقرارها .

محمد محمد على

---

(١) فى موضوع الطوطمية والتابو — راجع كتاب سيجموند فرويد المشهور .

(٢) مذكرات الدكتور حسن الساعاتى فى علم الاجتماع لطلبة قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد ٤٧ — ١٩٤٨

ولفت ربقا من العمر كان القلب ، والعاطفة ، والضمير قضاته العادلون !

إننى لأذكره .. وأنا وحدى أحييه ، وأبثه من أعماق قلبى على القرطاس ، وأحاول أن أبث فيه من حياتى . روحاً ، ومن جوانحى قبساً ، ومن اضطراب فكرى حركة !

وأنت أيتها المرأة التى أخاطبك — أعتقلك جالسة وحدك على الشاطىء .. شاطىء العالم المهجور ، كأنك تنتظرين غريبا يؤوب إلى وطنه ، أو أملا يولد مع موج الأحلام المسحور ! ... أعتقلك غارقة فى الظلمة كأنك تناجين الأطياف ، وأعتقلك ساهمة كأنك تصلين ، وأعتقلك غارقة فى لجج الصمت الذاهل !

أتذكرين ذلك اليوم الكئيب الجميل ، القاتم المنير ، الباكى المبتسم ؟! .. عندما تقدمت اليك مدفوعا برهبة وخشوع عظيمين ، مدفوعا برغبة وشوق آسرين ، كأننى مدفوع إلى عالم المستقبل المكنون !!

جئت إليك ، وقد نفضت يدى من العالم ، ومن كل رغبة من رغبات الحياة ، ومن كل خفقة من خفقات الأمل ، ومن كل شوق من أشواق النفس فى الخوض فى غمار الحياة !

وكنا قد تواعدنا على قدر ، واتفقنا على موعد ! وقد هربت من جحيم حياتى ، وإسار رقبتى .. إليك .. وأنت تعرفين أن الماضى الذى أتكلم عنه شىء قاس مؤلم .

تقدمت اليك بقلب واجف .. كأننى فى حضرة من ملك حياتى ، فرأيتك جالسة غريقة فى بحر لجى من الهواجس والظنون ويدك ممتدة إلى الظلمة ، أو إلى شمرك الفاحم !

وخيل إلى أننى أمام امرأة ساحرة تلفها الأسرار ، كأننى لم أعرفك ، ولم تتواشج الأواصر الروحية بينى وبينك .. وسمعتك تتمتمين كأنك تقرئين تعويذة لطرد الأشباح المحيطة بك كأنها الاقدار .. وسمعتك أخيرا تقولين :

— أهذا أنت ؟!

فأجبتك : — نعم .. أنا الوحيد الذى قطع كل صلة له بالعالم! فنظرت إلى كأنك تنظرين إلى شىء غريب .. بليد .. مبهم لا يعرف أمرا من أمور الحياة وقلت :

— هل ارتكبت الحماقة؟! .. هل اشترتك ممالك الشيطان ؟!

— نعم ! .. لقد فعلتها وأنا لست بنادم ولا خزيان .. نعم لقد فعلتها بكل إرادتى .. فاننى لا أحبها ، ولا أشعر بميل نحوها بل أنا أمقتها كما أمقت الشيطان!

وساد الصمت ، وكلانا لا يعرف ما يقول .. كأن السكينة ألقت أسارها علينا .. ومشينا على الشاطىء .. ونحن مطرقان .. قلت :

— ولكنها زوجتك .. أم أولادك .. إن ضميرى ليعذبنى !!

— وليكن .. فأنا لا أقبل منطق الحياة الأعوج ، فأنا أكره زوجتى أشد الكره

— ليتنى ما عرفتك !!

— أتريدين الحق ؟! إننى يئست من حياتى لولاك .. ومن بدرى ! . لولاك لفارقت الحياة منذ زمن بعيد !

يالك من امرأة غريبة كالحياة ، غامضة كالموت . إننى لم أشعر بالاهانة والضعة مثل شعورى بهما فى تلك اللحظة .. لقد حملتنى الجريمة وحدى ، وهربت أنت لائذة بالعفة والطهارة .. وليس هناك جريمة فى الوجود يشترك فيها شخص واحد .. حتى السارق فى جنح الظلام يشترك معه المجتمع فى سرقته !

قلت لك : — لا تثيرى الماضى .. فالذى تلفه الأكفان لا تستقر فيه الحياة مرة أخرى . إننى ضحيت بكل شىء من أجلك .. أنت ياصورة أحلامى ولحن هواى . ضحيت بامرأتى وهى مخلوقة يائسة ضعيفة .. وضحيت بأولادى وهم محتاجون إلى من يأخذ بأيديهم ... وضحيت بكل شىء لأجلك .. فقد ضقت ذرعاً بحياتى الرتيبة ، ودنياى الكثيرة الأوحال .. لقد ضقت ذرعاً بهذا الواقع الملىء بالمتناقضات .. هذا العمر الذى يذبل بذلة .. واشتقت إلى عالم ثان أكثر بهجة وأنضر وجها .. وأنت جناحى الذى أحلق به فى الأجواء السامقة وأرتفع به عما ينخر فى جسمى ويستبد فى فؤادى .. فتعالى معى ولا تثيرى شجنى لنتسلق هذا التل لعله يفضى بنا إلى العالم الجديد !

وعندما تسلقنا المرتفع لنبلغ المدينة كنت تستندين إلى ذراعى وقد أيقظت حرارتك فى روحى نشوة نائمة ، وخيل إلى أن هذا الطريق الطويل .. هو طريق حياتنا .. وأنا أساعدك على السير فتغلبنى العزة برجولتى ، وأستجيب لدواعى نفسى ، وأنصت إلى

ذلك الايقاعى الروحى ... إلى صوت قلبينا !

ونزلنا من الجهة الثانية ونحن صامتان .. وبدت لنا المدينة كبيت مهجور مخيف تسكنه الأفاعى والوحوش !

أيمكن أن ندخل هذه المدينة ؟ ! إن الناس سيعرفوننا ، وسيقولون هذا رجل لا ضمير له ، فقد ترك زوجته ليعيش حياة مخجلة .. وتلك فتاة لاحياء لها فقد هربت مع رجل متزوج ! .. أما نحن فنصمت أمام تلك الأقوال الجائرة .. لأننا لا نملك القوة على مجابهة المجتمع والحرية فى التعبير عن عواطفنا .. غير أننا يجب أن نصرخ فى وجوه هؤلاء : إن الحياة أرفع من أن تماش مع الملل ، وأسمى من أن تذبل فى صمت .. الحياة سر مقدس لا يكون فى الأوحال ، ولا يجدر أن ترهق تحت أعباء من أوضارنا..

أنا رجل شقى يمرش حياتى الملل ، ويستبد بى ضجر عميق. إن عينى ترى دائماً أشباح السآمة ، وطيوف الضيق المهيمن على روحى ... فماذا لو حاولت أن أمسح عن روحى الملل ، وأنقذ حياتى من دنيا الطيوف والأشباح ؟! .. ماذا لو هربت بذلك السر المقدس إلى ملكوت من الصفاء والحرية ؟! ماذا لو صرخت فى عنصر الفناء صرخة الجريح المستغيث ؟ !

غير أن الناس جروا على عادة سخيفة كأنهم شعروا بتفاهة أنفسهم فحاولوا أن يقنعوا أنفسهم بأن الحياة تافهة لا تستحق أية تضحية ، ولا تستأهل أى إقدام !

وأخيراً دخلنا المدينة ، فراحت عيون الناس تلتهمنا ، وتصعد فينا ، كمجرمين هربا من السجن ، وعليهما شارته ، وفى سيمائهما بريق الذل ، وفى نظراتهما افتقار النفس إلى عزة !

وقد تحيرنا إلى أين نذهب ؟ .. ونحن لا نملك الوقود الذى نحرقه قرباناً للمجتمع ! ..

لقد حاولنا أن نعيش ، وأن نتكىء على العاطفة التى أسرتنا ، وأن نجعل الحب نبراساً يضىء لنا الطريق ..لقد حاولنا أن نعيش فى أجوائنا السامقة دهراً ، وأن ننسى الماضى والناس جميعاً ، وأن نتغذى بالعاطفة المضطربة ، ونسترشد بالاحساس المشترك ، ونقيس الأشياء بمقاييسنا نحن .. تلك المقاييس التى صغناها من رحيق نفوسنا .. غير أن الهوة كانت سحيقة ظلت تصرخ فينا : مجرمون . مجرمون !

وحاولت أن تتشبث بأسباب الحب .. غير أن حبل الحب قد رث ولم تبق أمامنا إلا حياة مظلمة .. وإذا الحب عملة زائفة فى سوق المراوغة والخداع !

ونحن ــ دائماً ــ نركض وراء الحب . ذلك المعبود الوهمى .. حتى يضنينا التعب ، وينال منا الجهد .. حتى إذا ظفرنا به فى النهاية .. رأيناه قائماً على منطق أعوج ، وأدركنا أننا ارتكبنا فى سبيله حماقة صارمة .

ولما لم نستطع الحياة معاً حين بلغ بنا اليأس مبلغاً بعيداً .. تنصلت منى ، وتنصلت منك .. وتركنا الحب كأثر من آثار الجريمة !

ولم نملك حتى كلمات الوداع . فكأننا شعرنا بأن عاطفتنا أصبحت من التفاهة بحيث لا تقيم جملة من جمل الوداع !

وهكذا انفصلنا . ورجعت إلى نفسى أحاسبها بعد رحلتى الطويلة ..وأخذت أستعرض الماضى بكل ما فيه من أشجان وآلام .. ورأيتنى أمام صور اختلطت ألوانها ، وتشابكت خطوطها .. وأصبحت لا تعبر إلا عن الخيبة !

أتذكرين عندما التقينا لأول مرة ؟! .. لقد خيل إلى فى ذلك الحين أننى سأضع حداً لاضطرابى وواقعى المر ، وأبنى حياة أكثر بهجة وائتلافاً .. وهكذا أنا أتمنى كل يوم أن أحيا حياة جديدة . إن عمرى ملىء بالأخطاء حتى لأتمنى دائماً أن تكون لى القوة على نسيان الماضى جميعه ، وتغيير مجرى عمرى ! .. فعندما رأيتك حطمت بكل جبروتى ماضى كله ، ونسيت بما أملك من قسوة واقعى جميعه .. فلم أشعر بالدنس لأننى متزوج ، ولأن لى أولاداً .. ولكننى شعرت بالغبطة تطفح على وجهى ، وأنت تترائين لى أينما قلبت ناظرى .. وكنت أعلى طيفك كأننى أرتشف روح السكينة !

عندما عرفتك انقلب بيتى إلى جحيم ، وصارت امرأتى فى عينى شيطاناً مريداً ، وران التذمر على روحى ، وضج الضجر فى كيانى .

إننى عندما أسترجع الماضى يهز نفسى ما تضمنه من خيبة جارحة أورثتنى عدم الثقة فى نفسى ، وزرعت فى بذور السخط الطائش !

كنت أقول دائما إن قلبا من غير حب كهف يرن فى أرجائه فراغ أبله .. ولكن متى ما يملق الحب فى قلب يصبح كالطائر الجريح يخفق فى جناحيه كأنه ينعم بالغبطة وكأنه لا يعرف أن قواه الخائرة ستهبط به من حالق!

وهكذا أنا .. عندما علق حبك فى قلبى لم أكن أشعر إلا بوجودك .. وطفقت أسعى لكى أدبر شيئا فى سبيل سعادتى ولو على حساب الآخرين! .. وكنت أنت تشجعننى وتذكرينى بالأسار الذى يطوق عنقى

ومرة رجعت إلى بيتى بعد لقاء معك .. وكانت عندى فكرة ظالمة، فقد نويت أن أصرخ فى وجه زوجتى: إننى لا أحبك بل أمقتك أشد المقت!!

صدقينى لم تكن لى رغبة فى مثل هذه الحياة، ولا فى مثل هذه الزوجة. لقد كنت أتوق إلى حياة أرفع من هذه الحياة المليئة بالمتناقضات .. لقد كنت دائما أحلم بالحوريات، وأغرق فى نشوة حلمى .. لقد كنت دائما أتصور تصورات زاهية مزهرة .. وأبنى القصور فى مخيلتى. غير أن حلمى لم يتحقق، فقد جاء أبى بجبروته يمسخ حلمى، ويهدم تصوراتى .. فزوجنى بامرأة بلهاء لا أحس نحوها بأية عاطفة!

دخلت بيتى .. العالم الذى أمقته أشد المقت .. لكم هو كريه إلى نفسى ثقيل على قلبى ملىء بالأشباح!!

وكنت أنت يا من تصورتك حورية من حوريات أحلامى تزيدين. كراهيتى لبيتى، ونفورى منه، وسخطى عليه .. وكنت أنا الهائم الذى لا يستقر على قرار. أمنيك، وأبعث فى نفسى الحرارة والقوة لكى أهدم حياة أسرتى الآمنة. فى سبيلك أنت يا من تركتنى وحيداً منبوذاً فى نهاية الأمر!

كان دخان الجريمة يملأ صدرى بعد أن عرف الناس حبنا، وأصبحت حياتى فى البيت لا تطاق!

وجئت زوجتى مرة فرأيت المنكودة تبكى على الحب الذى لم يخلق، ورأيتها تصرخ معولة:

— طلقنى .. يا ظالم. يا حقود. إننى لا أستطيع أن أتحمل كلام الناس!

وفى تلك اللحظة وقف خيالك كالشيطان يدبر لى أمراً ..

فقلت تلك الكلمة القاسية وخيل إلى أنها ستصنع لى جناحين لأطير بهما إلى عالمى السامى .. وخيل إلى كذلك أنها الكلمة السحرية التى ستنقلنى إلى دنيا الحرية والأحلام!

وخرجت من البيت إلى غير رجعة.. وهربت من الجحيم إليك!!

وكان لقاؤنا فى عشنا الأول .. على شاطىء النهر.. وقد ابتدرتنى قائلة:

— أهذا أنت؟!

— نعم! .. أنا الوحيد الذى قطع كل صلة له بالعالم

وكانت آمالنا كباراً فى أن نحيا حياة جديدة .. ولكننا لم نستطع.. وحاولنا أن ننسى الماضى ومرارته ولكن الماضى ظل يلاحقنا وينغص علينا حياتنا

وبعد رحلة طويلة مضنية فى عالم الأوهام انفصلت عنى، وانفصلت عنك، وإذا أنا وحدى أهيم فى عالم غريب عنى .. فقيرا إلى الرحمة والحنان الطاهر فقيراً، إلى الأمن والطمأنينة الجميلة، فقيراً إلى الراحة واستقرار الضمير!

ولم تكن لى وجهة اتجه إليها، مادمت قد قطعت كل صلة لى بالعالم.

يا ويحى! .. أهذا الحطام يستطيع أن ينهض بى من الهوة التى أردى بها؟!

يا ويحى! أتلك الخطيئة تمحوها كفارة من حيرتى وعذابى؟!

وأخيراً. دخلت مدينتى. وانجهت إلى بيتى الذى هدمته بيدى لأشهد حطام حياتى الماضية، ورأيت البيت يخيم عليه السكون!

زوجتى.. زوجتى.. شريكة حياتى، ضحية جبروتى.. أيتها المرأة المحطمة ها هو الجلاد.. جاء إليك. ولكن من غير سيف.. فقد حطمت الحياة سيفه... لقد جئت إليك أحاول بناء حياتى من جديد.. انظرى.. انظرى..

ولكننى لم أسمع جواباً. لأن زوجتى تركت بيتها!!

فتسللت من الباب كاللص بعد أن زودت ناظرى بمناظر المأساة وجئت إلى الشاطىء.. لا لأنى أحبه.. ولا لأننى مشتاق إليه.. ولكننى لا أملك ملجأ غيره

وها أنذا جالسا وحدى والدجى يرسم أمام ناظرى عالما رهيباً

(القاهرة) غائب طعمة فرمان

أسامة بن منقذ وشعره

للاستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٣ —

لم يكن معروفا من شعر أسامة سوى ما تفرق فى كتبه، الاعتبار والعصا، ولباب الآداب، وما تفرق فى كتب مؤرخيه كخريدة القصر، والروضتين، فى أخبار الدولتين، وتاريخ الاسلام للذهبى، وشذرات الذهب، وجمهرة الاسلام، ذات النثر والنظام، ولكن أسامة كان له ديوان جمعه بنفسه، وعنى به من بعده ابنه مرهف، وكان صلاح الدين مشغوفا به كما ذكرنا، وقد رآه ابن خلكان، وذكر أنه بأيدى الناس، وقد عثرت دار الكتب على نسخة خطية من هذا الديوان.

وقد رتب أسامة ديوانه على حسب الأغراض، فباب للغزل وآخر لشكوى الفراق، وغيرهما للوصف، إلى غير ذلك من أغراض الشعر الغنائى ولكن ديوانه قد خلا من الهجاء، ويظهر أنه قد أصر على ألا يكون فى شعره هذا اللون برغم الدوافع التى كانت تسوقه إلى أن يهجو، حتى لقد قال:

ظلمت شعرى، وليس الظلم من شيمى
بطيعنى حين أدعوه، وأعصيه
بهم أن يذكر القوم اللئام بما
فيهم، فأزجره عنهم، وأثنيه
وليس من خلق ثلب الغنى وإن
جنى، ولا ذكر ذى نقص بما فيه

وفى ذلك مسحة من ترفع الامارة، التى تحول بينه وبين النزول إلى مستوى التشاتم والمهاترة.

ولما اختار أسامة أن يرتب ديوانه على الأغراض، كان يجزىء القصيدة الواحدة، فيضع غزلها مثلا فى باب الغزل، ومديحها أو فخرها فى باب المديح أو الفخر، وكان هو يشير إلى ذلك حين يعرض قصائده، ولهذا النظام فائدته فى تتبع الدراسة الفنية لكل فن من فنون الشاعر على حدة، وإن كانت الحاجة تدعو، عند دراسة بناء القصيدة، إلى دراسة أجزائها كلها، لمعرفة الجو الذى توحى به، وإدراك مدى الصلة التى تربط بين عناصرها.

ويبدو لأول ما تقرأ الديوان أن أسامة لم يدون كل ما قاله من الشعر، لأنه لم يرض عن كل ما صدر منه، فحذف منه ما لم يرقه، حيث يقول:

كلما رددت فى شعرى النظر	بان ضعف العى فيه، وظهر
ليس يرضينى، ولا يمكننى	جحد ما قد شاع منه، واشتهر
فأجيل الفكر فى تقليله	فاذا قل اختصرت المختصر
وبه فقر إلى ذى كرم	إن رأى ما فيه من عيب ستر

وذلك يدل على تطلع أسامة إلى مثل أعلى، كان يبغى أن يصل إليه مستوى شعره، ولابد أن كان لذلك أثره، وأخذه إياه بالتقويم والتنقيح، حتى ظهر شعره فى هذا الثوب من القوة والجزالة، مما يذكرنا بشعر الفحول الذين سموا بفنهم عن أن يكون مظهر التلاعب بالألفاظ، أو الجرى وراء محسن لفظى، من غير أن يكون فى البيت معنى جليل، أو خاطر سام، أو شعور صادق، أما أسامة فلديه ما يقوله، فى أسلوب قوى، وعبارة رصينة.

وتتدفق خواطر أسامة فى قصيدته، ويرتبط بعضها ببعض، حتى يصبح البيت لبنته، فى بناء ملتحم مؤتلف، خذ مثلا قوله:

لا تجز عن الخطب	فكل دهرك خطب
وحادثات الليالى	ممللة، ما تغب
تروح سلما وتغدو	على الفتى وهى حرب
ولا تضق باصطبار	ذرعا إذا اشتد كرب
فصبر يومك مر	وفى غد هو عذب
كم صابر الدهر قوم	فأدركوا ما أحبوا
وكل نار حريق	يخشى لظاها ستخبو

ترى فيه التحام الخواطر وتسلسلها ، ولا تجد ذلك فى مقطوعاته القصيرة فحسب ، بل فى قصائده الطويلة أيضا ، حتى ليخيل إليك أحيانا أنك تقرأ قطعة منثورة ، لا قصيدة منظومة ؛ ويطول نفس أسامة أحيانا حتى تبلغ القصيدة تسعين بيتا ، كتلك التى كتبها على لسان نور الدين ، يمدد فيها وقائعه مع الفرنج .

وينهج أسامة فى كثير من الأحيان المنهج التقليدى ، فيبدأ قصائده بالغزل ، حين يفتخر ، أو يمدح ، أو يشكو ، وحينا يبدأ موضوعه من غير مقدمة غزلية ، كهذه القصيدة التى بعث بها إلى معين الدين أنر ، وقد لقى الفرنج ، وهزمهم ، فقال أسامة :

كل يوم فتح مبين ونصر واعتلاء على الأعادى وقهر

ومضى فى قصيدته :

ولكثرة ما اطلع أسامة على الشعر القديم ، كان يضمنه بعض قصائده ، حتى قد اتهمه بعض سامعى شعره بالسرقة من غيره ، وليس فيما فعل أسامة سوى التضمين الذى تراه فى قوله يخاطب معين الدين أنر :

وأنت أعدل من يشكى له ، وله شكية أنت فيها الخصم والحكم
وما ظننتك تنسى حق معرفتى إن المعارف فى أهل النهى ذمم
لكن ثقاتك ما زالوا بغشهم حتى استوت عندك الأنوار والظلم

وفى هذه الأبيات تضمين من قصيدة المتنبى : « وأحر قلباه ممن قلبه شبم » . أما قصيدة أسامة التى مطلعها :

أطاع الهوى من بعدهم وعصى الصبر
فليس له نهى عليه ولا أمر

فقد ضمنها من شعر أبى فراس ، كهذا البيت ، ومن شعر المتنبى ، وأبى صخر الهذلى ، وغيرهم ، وليس التضمين بكثير من شعر أسامة ، وأكثره ما جاء فى هاتين القصيدتين .

تلمس فى شعر أسامة الجلال والوقار ، فلا هزل فيه ، ولا مزاح ، إلا قليلا نادرا ، وليس فى باب الملح الذى عقده ، فضلا عن قصره ، سوى قليل من الفكاهة ، ولعل من أرقها قوله ، وقد كان له جار من الأمراء ، يعرف بابن طليب ، وقعت فى داره نار فاحترقت ، فقال أسامة :

انظر إلى الأيام ، كيف تقودنا
قسرا إلى الإقرار بالأقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره
نارا ، وكان هلاكها بالنار

— ٤ —

وجدت الأحداث الكبرى التى مرت بأسامة صداها فى شعره ، وصورت آثارها فى نفسه تصويرا قويا ، ولعل من أقوى هذه الآثار فى نفسه ، اضطراره إلى أن يفارق وطنه الأول « شيزر » الذى شهد مدارج طفولته ، وملاعب صباه ، وملاهى شبيبته ، وقد وجد أسامة البقاء فى هذا الوطن شقاء لا يطيقه ، بعد أن جفاه عمه ، وقلب له ظهر المجن ، فكتب إلى أبيه قصيدة يحدثه فيها عما يعتلج فى صدره من الهم ، ويشكو إليه ما كدر صفاء عيشه ، من الغدر ، وما ناله من سوء العقوق ، ويقول له :

أشكو إلى علياك هما ضاق عن كتمانه صدرى ، وما هو ضيق
وطوارقا للهم أقربها الكرى وتلظ بى صبحا ، فما تتفرق

وينبئه بأنه قد صمم على فراق دار الهون ، مادام الحقد عليه قد وجد سبيله إلى قلوب ذوى قرباه ، فيقول له :

دعنى وقطع الأرض دون معاشر كل على لغير جرم محنق
تغلى على صدورهم من غيظهم فتكاد من غيظ على تحرق
أعيا على رضاهم ، فيئست من إدراكه ، ما النجم شىء يلحق
قد أفسدوا عيشى على وعيشهم فأنا الشقى بهم ، وبى أيضا شقوا
فضل الأقارب برهم وحنوهم فإذا جفونى فالأباعد أرفق

وكان أسامة راضيا عن نفسه بهذا الارتحال ، الذى نأى به عن الضيم ، وبعد به عن أن يسام الخسف والهوان ، واستقبل بعده عن وطنه ، راضيا به ، مادام ذلك فى سبيل احتفاظه بأنفته وعزة نفسه :

ألسام خسفا ، ثم لا آبى ، فلست إذاً أسامه
هيهات ، لا ترضى المعالى صاحبا يرضى اهتضامه

وألقى أسامة نفسه فى المعارك تحت لواء عماد الدين زنكى ،

ولم ينفص عليه مقامه يومئذ سوى وشاة أو هروا صدر أبيه عليه، فاضطر أسامة إلى أن يرسل إلى أبيه استعطافا، يزيل به من نفسه أثر هذه الوقيعة التي لم يحدثنا التاريخ عنها شيئا، فكتب أسامة إليه :

يا ويح قلبي من شوق يقلقله ... إلى لقائك ماذا من نواك لقي
وناظر قرحت أجفانه أسفا ... عليك في لجة من دمعه غرق
وبعد مابي، فاشفاق يهددني ... بشوب رأيك بالتكدير والرنق
وأن قلبك قد رانت عليه من السـ ... ـواشين بي جفوة بيهماء كالغسق
أما كفاهم نوى داري وبعدك عن ... عيني، وفرقة إخوان الصبا الصدق
وأنني كل يوم قطب معركة ... درية السمر والهندية الذلق
أغشى الوغى مفردا من أسرتي وهم ... هم إذا الخيل خاضت لجة العلق
وموضعي منك لا تسمو الوشاة له ... ولا يغيره كيسى، ولا حمقي

وكان موقفه من دمشق حين نبت به، كموقفه من وطنه الأول، فارقها غير راض باحتمال الهوان، برغم ما ألمسه في شعره من حب لمعين الدين، يقول له :

ولست آسى على الترحال من بلد ... شهب البزاة سواء فيه والرخم
تعلقت بحبال الشمس منه يدي ... ثم انثنت وهي صفر ملؤها ندم

أما حياته بمصر، فقد مر عليه بها من تقلبات الزمان، وعبر الأيام، وتنقل الملك والسلطان، ماصح أن يقول معه :

خمسون من عمري مضت لم أنتفظ
فيها، كأني كنت عنها غائبا
وأنت على بمصر عشر بعدها
كانت عظاة كلها وتجاربا
شاهدت من لعب الزمان بأهله
وتقلب الدنيا الرقوب عجائبا

ولعل الأزمات السياسية التي مرت به في مصر، كانت تملأ صدره بالهم حينا، والنقمة على الزمن الذي دفع به إلى مصر، فيقول :

يا مصر، مادرت في وهمي ولا خلدي
ولا أجالتك خلواتي بأفكاري
ما أنت أول أرض مس تربتها
جسمي، ولا فيك أوطاني وأوطاري

لكن إذا حت الأقدار كان لها
قوى تؤلف بين الماء والنار

ولكن أسامة برغم هذه الأزمات التي كانت تدفعه حينا إلى الثورة، والتي لابد أن تلم بمن يخوض لجة السياسة — وجد في مصر ما كان يصبو إليه من مال وجد، كان شديد الأسف عليه، حين أفلت من يده، نحس بذلك في قوله :

نلت في مصر كل ما يرتجى الآمل من رفعة، ومال، وجاه
فاستردت ما خولتني، وما أسرع نقص الأمور عند التناهي
كنت فيه كأنني في منام ... زال منه ما سر عند انتباهي

فلا جرم، كان شديد الحنين إلى مصر، بعد أن فارقها، وكان يتمنى أن يلبي دعوات الملك الصالح التي وجهها إليه مرة بعد أخرى يدعوه فيها إلى المودة والعيش معه. وهنا يحسن بي أن أقف قليلا أبين رأى الملك الصالح فيما اتهم به أسامة من المشاركة في قتل الظافر، فالصالح يبرىء أسامة براءة تامة من هذا الإثم، ويراه نقي الصفحة، طاهر اليدين، وهاهو ذا يرسل إلى أسامة، يدعوه إلى مصر، ويحدثه عن الوزير عباس الذي قتل ابنه نصر الخليفة الظافر :

على أنه قد نال بالغدر من بني ... نبي الهدى مالم ينله بنو حرب
وهل نال منهم آل حرب وغيرهم ... من الناس فوق القتل والسبي والنهب
فدا والغا كالكلب ظلما وحزبه ... دماءهم لاحاطه الله من حزب
وياليته لو كان فيه من الوفا ... لمالكه بعض الذي هو في الكلب
وحاشاكم ما خنتم العهد مثله ... ولا لكم فيما جرى منه من ذنب
ومن مثل ماقد نالكم من دنوه ... يحاذر أن تدنو الصحاح من الجرب

كان لكثرة الترحال أثر في شعر أسامة، فكثيرا ما شكا الفرقة والاغتراب، وكثرة جوبه البلاد، ونحس في هذا الشعر لوعة الحرمان، وألم الشوق إلى الوطن المفارق، والآل النائبين،

فتسمعه يقول :

أهكذا أنا باق العمر مغـترب
ناء عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقر جيادى فى معرسها
حتى أروعها بالشـد والطعن

ويقـول :

أين السرور من المروع بالنوى أبدا ، فلا وطن ، ولا خلان
عيـد البرية موسم لعويله وسرورهم فيـه له أحزان
وإذا رأى الشمل الجميع تزاحمت فى قلبه الأمواه والنيران

فكان هذا الرحيل الدائم ، مصدر ألم لأسامة ، يؤرق حياته ، وينغص عليه عيشه ، وكان له أثر فى مسح شعره بمسحة من الحزن والأسى ، وكثرة حديثه عن الوداع والفراق .

كما كان لتبدد ثروته ، ونهب بعضها عقب الحوادث التى جرت بعد مقتل الحافظ وغرق بعضها فى البحر ، عند خروج أسرته من مصر — أثره البالغ من نفسه ، وأثره القوى فى شعره ، شكا ذلك إلى الملك الصالح ، وطلب منه المعونة ، فقال له :

أنا أشكو إليك دهرا لحاعو دى، وأعراه، فهو يبس سليب
وخطوبا رمى بها حادث الدهـر سوادى ، كلهن مصيب
أذهبت تالدى ، وطار فى الطـارى،فضاع الموروث والمكسوب
فهو شطران بين مصر وبحر ذا غريق فى ، وذا منهوب

ويظهر أن الفقر قد عضه بنابه حينا من الدهر ، حتى رأيناه يصف نفسه بأنه لا يفترق فى حقيقة الأمر عن سائليه الذين يهرعون إليه ، ظانين فيه الغنى واليسار .

ولكن مستورى كظاهر حالهم فما حيلتى،والحظ حرب الفضائل

وكان أكبر ما يؤلمه فى حالة العسرة التى ألمت به ، هو أن شمت به أعداؤه ، فأخذ يطمئن نفسه بأن سوف يستعيد مع الأيام ماله المفقود ، وحينا يقول لهم :

متى رآنى الشامتون ضرعا لنكبة تعرقنى عرق المدى
هل رزنى الخطب سوى وفرى الذى كان مباحا للنوال والندى

فاذا نزلت كارثة زلزال شيزر ، فذهبت بملك أهله وبأهله ، أخذ يبكيهم ، ويندب حظهم ، ويرثى منازلهم ، ويسأل الزمن عن ماضى مجدهم ، ويتألم لبقائه من بعدهم ، ويمدح ما اتصفوا به من سامى الخلال ، وطيب الفعال ، وبرغم ما كان بينه وبينهم من إحن وبغضاء ، عز عليه فقدهم ، وتمنى أن لو استمرت الحياة، واستمر ما بينه وبينهم من فرقة ونفور ، فقد كانوا برغم ذلك مصدر فخاره ، وينبوعا لقوته واعتزازه ؛ قال أسامة من قصيدة طويلة يصف فيها هذا الخطب ، كيف كان له شديد الوقع فى نفسه ، فهو يتطلب الأسى ، فلا يجد أسوة يقتدى بها :

قالوا : تأس ، وما قالوا بمن ، وإذا
أفردت بالرزء ، ما أنفك أسوانا
ما استدرج الموت قومى فى هلاكهم
ولا تخرمهم مثـنى ووحـدانا
فكنت أصـبر عنهم صبر محتسب
وأحمـل الخطب فيهم عز أوهانا
وأقتدى بالورى قبلى ، فكم فقدوا
أخا ، وكم فارقوا أهلا وجيرانا

ويدفع عن نفسه أن يظن به ظان وقوفه من هذه الكارثة وقوف من لا يعنى بها ، ولا يأبه لها ، فيقول :

لعل من يعرف الأمر الذى بعدت بعد التصاقب من جراه دارانا
يقول بالظن إذ لم يدرسا خلق ولا محافظى من حان أوبانا :
أسامة لم يسؤه فقد معشره
كم أوغروا صدره غيظا وأضغانا
ومادرى أن فى قلبى لفقـدهم
نارا تلظى ، وفى الأجفان طوفانا
بنو أبى ، وبنو عمى ، دمى دمهم
وإن أرونى مناواة وشنآنا
كانوا سيوفى إذا نازلت حادثة
وجنتى حين ألقى الخطب عريانا

وختم تلك القصيدة الباكية بالدعاء لهم ، فقال :

سـقى ثرى أودعوه رحمة ملأت
مثوى قبـورهم روحا وريحانا
وألبس الله هاتيك العظام وإن
بلين تحت الثرى عفـوا وغفرانا

ولما علت سن أسامة ، ووهن منه العظم ، أخذ يشكو طول العمر ، وثقل الحياة عليه ، فحينا يجد فى الموت أعظم راحة تنقذه من ضعفه ، وحينا تنهال عليه ذكريات شبابه وصباه ، ويوازن بين ضعفه اليوم ، وقوته في عهده السالف ، فقد كانت كفه مألفا للسيف والرمح ، فصارت تحمل العصا ، يمشى بها كما يمشى الأسير مثقلا بالكبل ، وحينا يأسف على أنه لم ينل فى شبيبته من التمتع والملاذ ، ما كان جديرا أن يظفر به فى عصر الشباب ، إذ يقول :

وما ساءنى أن أحال الزما ... ن ليلى نهارا ، وجهلى وقارا
ولكن يقولون: عصر الشبا ... ب يكون لكل سرور قرارا
فوجـــدى أنى فارقته ... ولم أبل ما يزعمون اختبارا

ومن أكبر ما أثر فيه يومئذ أنه رزق ابنة ، بعد أن تجاوز أربعا وسبعين سنة ، فوجد اليتم ينتظرها ، وكان تفكيره فى يتمها وضعفها مجلبة لحزنه وبكائه :

رزقت فروة ، والسبعون تخبرها ... أن سوف تيتم عن قرب وتنعانى
وهى الضعيفة ، ماتنفك كاسفة ... ذليلة تمترى دمعى وأحزانى

وصور لنا أسامة نفسه محنيا على عصاه ، قد تقوس ظهره ، وصارت العصا وترا لهذا القوس ، يمشى مشى الحسير ، قد آده ثقل السنين ، فهو يمشى كالمقيد بعثاره ، أو كالأسير فى قيده ، فلا جرم كان شديد الضيق والبرم ، حين يرى نفسه عاجزا عن تلبيته داعى الحرب إذا دعاه :

رجلاى والسبعون قد أوهنا ... قواى عن سعيى إلى الحرب
وكنت إن ثوب داعى الوغى ... لبيته بالطعن والضرب

وكان شديد الضيق والبرم أيضا حين يرى نفسه وحيدا ، قد مضت لداته وأترابه ، فعاش غريبا فى جيل غريب عنه ، فكان يتأوه قائلا :

ناء عن الأهلـــين والأو ... طان ، والأتراب ماتوا
ولبئس عيش المرء فا ... رقه الأحبة واللدات
فالام أشـــقى بالبقا ... ء ، وكم تعذبنى الحيـــاة

للكلام بقيـــة **أحمد أحمد بدوى**

خواطر فى كتاب الله

تربية الأمم فى القرآن

للاستاذ محمد عبد الله السمان

الواقع أننا لسنا فى حاجة إلى مسلمين يحملون كتاب الله فى جيوبهم ، ولا إلى مسلمين يعلقونه فوق صدور أبنائهم ، ولا إلى مسلمين يتلونه تلاوة لا تتجاوز حناجرهم . ولا إلى مسلمين يتخذون منه الأحجبة والتماويذ والأدعية - ولكننا فى حاجة إلى مسلمين ينفذون مبادئه ، ويحققون مطالبه ، ويتفهمون معانيه ، وتشرب نفوسهم ما استوعبه من تربية راقية عالية .

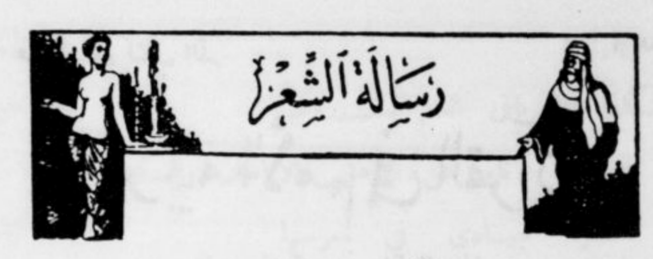
وحاجة الأمم إلى التربية لا تقل عن حاجتها إلى المال والقوة والعدة - ذلك لأن الأمة لا يمكنها أن تشق طريقها إلى المجد ، وتسلك سبيلها إلى العلاء ، إلا إذا نالت نصيبا وافرا وقسطا كبيرا من التربية السليمة ، ولذلك كان اهتمام القرآن الكريم بتربية أمته اهتماما بالغا يسددها فى خطواتها ويقومها فى أعمالها .

اهتم القرآن بتربيتها على الأخوة المؤسسة على الاتحاد والتعاون والصفاء والإيثار : « إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم - وأصلحوا ذات بينكم - وتعاونوا على البر والتقوى - ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم -- واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » .

وسما بها عن المواقف التى تجر إلى النزاع ، وتزرع فى قلوب أبنائها الشقاق :

« اجتنبوا كثيرا من الظن - ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - لا يسخر قوم من قوم - ولا تلمزوا أنفسكم - ولا تنابزوا بالألقاب »

واهتم بتربيتها على العزة والحرية والنفور من الذلة والعبودية: « إن الذين توفيهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟



الشاعر

للاستاذ يوسف حداد

اقترحت زميلتنا «العصبة الأندلسية» على الشعراء أن ينظموا فى موضوع «الشاعر» وأرصدت للاقتراح جائزتين ماليتين للفائزين الأول والثاني، فجاءها تسع عشرة قصيدة تخيرت منها لجنة التحكيم ثلاثا جعلت الجائزة الأولى لإثنتين مناصفة وهما للشاعرين يوسف حداد وشبلى ملاط، والجائزة الثانية للقصيدة الثالثة كاملة وهى للشاعر أنور العطار، وهذه هى القصيدة الأولى

قبل أن أسكن الثرى كنت فى كوكب أقيم
مثلما ينبث الكرى مثلما ينبع النسيم
مدن الله لى قرى قابض الروح لى نديم
زاد عينى حصى الذرى ماء قلبي لظى الجحيم
يوم أرنو ولا أرى خلف خط الضحى الوسيم
ظل صب من الورى فى صحارى الدجى يهيم

قبل أن أتحف الزمان بالدواوين والرسوم
كنت أرعى وعول جان عند حورية النجوم
ونماجا من الدخان وخيولا من الغيوم
فى سراديب كل حان ضل عنها هدى الكروم
و «بمامورة» جنان لقطيمى وفى «صدوم»
والعصا جسم افعوان وجرابى عشوش بوم

أوفدتنى إلى الأنام جنة السحر «عبقر»
فى مهماتها الجسام يا لشىء يحير
كيف فيها الفتى ينام وهو يمشى وينظر
وبلاد الثرى بعام مثلما الفصل يعبر

قالوا: كنا مستضعفين فى الأرض. قالوا: ألم تكن أرض الله وسعة فتهاجروا فيها ...؟»

وحثها على الاستعداد، وظهورها بمظهر القوة حتى لا تمس حريتها أو تخدش عزتها.

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم».

وحذرها مواطأة العدو، والتودد إليه، ففى هذا تمهيد لوقوعها فى هوة الذلة والاستعباد:

«لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا - لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون أليهم بالمودة»

واهتم بتربيتها على المغامرة لأنها من عوامل إنهاضها:

«يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة - ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة»

واهتم بتربيتها على العدل حتى لا يصيبها الاضطراب فى شئونها:

«كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى - وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل - اتقوا الله وقولوا قولا سديدا»

وحذرها عاقبة البغى والعدوان:

«ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين - فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم - ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير».

كما حذرها البطر حتى لا تتسبب فى زوال نعمتها:

«ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس»

وكما رباها على العدل رباها على مكافحة الظلم لاستتباب حالها:

«واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار»

محمد عبد الله السمان
مدرس بمدرسة علم الدين الابتدائية للبنات
بالسيدة زينب

ولدن ظل الغمام والضباب المنكسر
قفف الريش والعظام رحت بالظل أعثر

ويحهم من سواى من جاء من سرحة الخلود ؟! ...
يحمل التاج والكفن للفراشات والورود
قبل أن يهزأ الزمن بالتوابيت والمهود
فنزا عرسه القدر وجنازاته الصرود
فهو إن رنم حالفين يطلب الشمس للسجود
وإذا أعول الجن عبد الغيم ظل دود ...

إن نوحي بكل بر شرب الغيم من صداه
هل ترى الرعد ما انفجر لو فمي لم يجد بآه ؟!
أبعدوني عن البشر قربوني من الإله
في يدى بيعة الصور في فمي مطهر الجباه
فلمن أكحل البصر ولمن أغسل الشفاه
واذبحوا بيننا القدر فهنا غور منتهاه

كل ما يشبع النظر قات مني ذرى الجفون
ان جوعي كوى الحجر ظمأى جفف العيون
نفسي رمد الشجر بصرى قوض السجون
غرسوا في يدى الإبر فجنوا زهر زيزفون
كم طوى الكوكب الأغر لى رواقاً من السكون
أنت لولاى يا قمر لم تكن غير شطرنون ...

حينما أزرع النفس ينبت الصفح والندم
وحمى كل من غرس يضرب الرأس بالقدم
قل لمن قصرهم درس وطوى شمسه العدم
ان قلبي الذى أحس بخطاياه من قدم
ان جفني الذى عبس بالسلاطين والخدم
ويراعي الذى لمس ليس رفشى الذى هدم

قل لدنيا المظلة والجناح الذى يطير
لا تباهى بقلة توجتها يد الأثير
نفضوا خيط حلتى فاكتسى النبع والغدير
هبه من غزل شلة لفه العث ، حبل نير
غمزوا ضلع فلتى فرمى فيها العبير
هبه من زهر تلة شق عين الندى الضرير

من جلوسى على انفراد فوق تل المشية
وانحدارى على الوهاد بالرؤى المخملية
نشأ الوحي فى المباد كرجاء المنية
ويك لولا غنى الوداد بكنوزى الخفية
حيث يلتف بالرماد موسم العبقرية
ما حلا للسميح زاد من يد المجد لية ...

رب بيت نظمته بات تاريخ كل دين
رب سيف ثلمته لف جيل الوغى بحين
رب زهر شممته ناب عن غلة السنين
رب صدر لثمته شق أضلاعه الحنين
رب ثغر ظلمته بالمناجاة والأنين
حمل العدل صمته من عرين إلى عرين

أى شيء صفا وطاب لفؤادى وناظرى
ومضى دون ما إياب لم ينتف محاجرى ؟!..
لا بظفر ولا بناب بل بشوك الخواطر
عند لمس الهوى المصاب هان نهش الكواسر
هكذا يلجم العباب في دمع المهاجر
إرم عينيك يا سحاب إن بكى قلب شاعر

أنا أشقى ليسعدا لى وراء الأنام جار
وأغنى ليزهدا بهتاف الضحى الهزار
وأهز المهندا كي تلف القنا بغار
وأرش اللظى ندى على ريق الامي يغار
ضاء شمعى ورمدا في ليالى الهوى القصار
كي يطيل البلى غدا شوق عظمى إلى النهار

إن طوى القبر أضلعى جنة التوت والكرز
ادفنوا غلتى معى كتب الشعر والرجز
ذخر قلبي ومدمعى خير ما ذوقني كنز
إن يكن كل مقطع ميل التحنى وهز
لحمام الودع والثكالى من الإوز

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

مشكلة الفن والقيود :

... ... ،

« لا يحيا الفن بغير القيود » ، مثل مشهور تبناه فريق من أدباء فرنسا وشايعهم فيه أنصار من مختلف بقاع الأرض . وأرى أنه ينطوي على شيء كثير من الخطأ والضلال ، لأن إخضاع الفن للقيود يعني تقنينه وربطه بقواعد وأصول ، وهذا ينافي طبع الجمال الذي هو غاية الفن وطابعه الرئيسي . ولو طبقنا المثل نفسه على الشعر العربي مثلا لا نعكست الآية وانقلب المفهوم رأساً على عقب فما لا شك فيه أن القافية كثيرا ما تسوق الشاعر مرغما إلى معنى لا يرتضيه ولكن ارتضته القافية ، ومعنى هذا أن القافية تنطق الشاعر كلاما لم يقصد إليه ولم يهدف إلى معناه ، وما لا يقصده الشاعر ولا يهدف إليه يكون حتما دخيلا عليه فلا يرتضيه ولا يطمئن إليه ، وفي هذا قال شاعرنا العربي عبارته الخالدة « ما أرضاه من شعري لا يأتيني وما يأتيني منه لا أرضاه »

حقا إن القافية تبتكر معنى جديدا لم يخطر ببال الشاعر ، ولكن العبرة ليست في تغيير المعاني وتزاحمها وإنما في قوتها وروعتها وجمالها ، وكلها صفات لا تجتمع للمعنى الذي تبتكره القافية ، إلا عن طريق الصدفة ، والتعويل على الصدفة عند تكوين حكم عام عن الفن ، أمر ينافي الحكمة ويجافي المنطق ... ألا ترى معي بعد هذا بأنه ليس من المتصور أن تحيى القيود الفنون مادام القيد ينزع بطبعه إلى التحكم ؟

هذا ما وددت أن أعرف رأيك فيه ... ولك مني خالص الشكر والتحية .

فؤاد الونداوي المحامي

« بغداد — العراق »

يريد الاستاذ الفاضل فؤاد الونداوي أن يعرف رأينا في هذه المشكلة الفنية التي يعرض لها في رسالته ، ونعني بها مشكلة الفن والقيود . ويبادر هو فيحكم على المثل الذي ينادي بألا حياة للفن إلا في ظل القيود . يبادر فيحكم عليه بأنه ينطوي على شيء كثير من الخطأ والضلال ، لأن إخضاع الفن للقيود في رأيه يعني تقنينه وربطه بقواعد وأصول ، وهذا ينافي عنصر الجمال الذي هو غاية الفن وطابعه .

هذا هو رأي الأستاذ الونداوي . وخلاصته أنه يريد أن يحرر الفن من كل قيد وأن يعفيه من كل قانون ، ليصل من وراء هذا كله إلى تحقيق ذلك العنصر الرئيسي في الفن ، ونعني به عنصر الجمال...ومن هذا الرأي الذي يجهر به الاستاذ الونداوي نخرج بأن مضمون نظرته وجوهر دعوته يلتقيان حول معنى واحد : هو أن الجمال في الفن عماده الحرية

نود أن نقول للاستاذ الونداوي إن إطلاق حكم عام على مشكلة من مشكلات الفن يتطلب شيئا من التريث وأشياء من المراجعة . ولو تريث الاستاذ في دراسة المشكلة وراجع نفسه

ان مخطوط أسمى ليس من أسامي أعزا .

اخفضوا الصوت يا حداة حينما مدفني يكون
فلقد يقلق الرفات من صدى رنة الحمون
كيف لو ضج بالبنات هودج الزهو والفتون
وحدا الظمن للمتاة وهي ليست مع الظمون
وهي قيثارة الحياة وهي عكازة المنون
فوعى الصخر والنبات قيمة الصمت والسكون؟

منشد الظمن والكثيب هل خطى النوق تفهم؟
أنت بين الورى غريب لوح نجواك طلسم
مثل أمنية الرقيب وأمي الطير مبهم
كل أرض بدون طيب لك فيها مخيم
كل جنية تشيب من مجاريك تنقم
كل ما صور المغيب بعض ما أنت ترسم ...

يوسف حداد

عند إصدار حكمه ، لأدرك أن تحرير الفن من كل قيد معناه الحرية المطلقة ، وأن الحرية المطلقة ليست هي الجمال الذي يتطلع اليه ! إننا حين نفرض القيود على الفن فانما نفرضها بغية أن نبث فيه روح النظام . وما هو الجمال في الفن إذا لم يكن هو النظام على التحقيق ؟ وحين نرفض الحرية المطلقة في الفن فانما نرفضها خشية أن نبث فيه روح الفوضى . وما هو القبح في الفن إذا لم يكن هو الفوضى بلا جدال ؟ لابد إذن من قواعد وأصول حين نحتاج في « تنظيم » الفن إلى تلك القواعد والأصول ، ولا بد إذن من القيود التي تقررها المقاييس النقدية لتحديد القيم الجمالية . ومع ذلك فنحن لا ننكر الحرية التي تتيح للفن أن يتنفس ليكون فنا ، ولكنها الحرية المعقولة غير المطلقة ، تلك التي تعمل في مجالها الطبيعي حيث قدر لها أن تكون ! هناك إذن قيود مفروضة وقيود مرفوضة . أما تلك القيود المفروضة فقد حددناها في مذهب (الأداء النفسي) ، وهو مذهبنا في نقد الفنون عامة وفي نقد الشعر على الأخص ، ولا بأس من أن نعيد اليوم بعض ماقلناه بالأمس ، مادام الأستاذ الونداوي يريد أن يعرف رأينا في مشكلة الفن والقيود .

في القصيدة الشعرية ، وفي اللوحة التصويرية ، وفي القطعة الموسيقية ، وفي كل عمل يمت إلى الفن بسبب من الأسباب ، يحسن بالفنان ، بل يجب عليه ، أن يكون له هدف.. هذا الهدف لا بد له من تصميم ، ولا بد له من خط سير ، ولا بد له من خطوات تتبع خط السير وتعمل في حدود التصميم . ذلك لأن الفن في كل صورة من صوره يجب أن يعتمد أول ما يعتمد على تلك الملكة التي نسميها « ملكة التنظيم » ، وكل فن يخلو من عمل هذه الملكة التي تربط بين الظواهر ، وتوفق بين الخواطر ، وتنسق المشاهد ذلك التنسيق الذي يضع كل شيء في مكانه ؛ كل فن يخلو من عمل هذه الملكة لا يعدفنا ، بل هو «فوضى فكرية» أساسها وجدان مضطرب ، وذهن مهوش ، ومقاييس معقدة أو مزلزلة . وأبلغ دليل على تلك الفوضى الفكرية في بعض ما نشاهده من آثار تنسب ظلما إلى الفن ، هو تلك الحركة السريالية التي هبطت إلى ميدان الشعر كما هبطت إلى ميدان النحت والتصوير والقصة ، فعبثت بكل الأنظمة والمقاييس التي تطبع الفن بطابع التسلسل والوضوح والدقة والوحدة والنظام ... مثل هذه الحركة في الفن ليس لها هدف ولا تصميم ولا خط سير ، وإنما هي أخلاط من الصور وأشتات من الأحاسيس لا يربط بينها رابط ولا تحدها حدود ! وشبيه بتلك الحركة في جنايتها على معايير الذوق وموازين الجمال كل حركة أخرى تمضي بالفن إلى غير غاية ، هناك حيث تفتقر بعض الأذهان إلى تلك « الملكة التنظيمية » التي تلائم بين الجزئيات وتوائم بين الكليات ، وتفصل ثوب التخيل على جسم الفكرة بحيث لا ينقص منه طرف من الأطراف ولا يزيد .

نريد من الفنان سواء أكان شاعرا أم مصورا أم موسيقيا أن يخلق نموذجه الفني على هدى تصميم يرسم «أصوله وقواعده» قبل أن يبدأ عمله وقبل أن يمضي فيه وقبل أن ينتهي منه . نريد أن يكون بين يديه هذا التصميم الفني الذي يأمره بالوقوف عند هذا المشهد، وبالتقاط الصورة من هذه الزاوية ، وبتركيز الانفعال في هذا الوطن من مواطن الإثارة . عندئذ نوجد « نظاما » ، وإذا ما أوجدنا النظام فقد خلقنا الجمال ، وإذا ما خلقنا الجمال فقد تمما بناء الفن . هذا التصميم الذي ندعو إليه ينظم هيكله العام أصول الأداء النفسي في الشعر والتصوير والموسيقى . هناك حيث تتوقف قيمة الفنان على مدى خبرته بتلوين الألفاظ . الأجواء في الميدان الأول ، وتوزيع الظلال والأضواء في الميدان الثاني ، وتوجيه الأنغام والأصوات في الميدان الأخير . ولابد للأداء النفسي في الشعر من هذا « التصميم الداخلي » . لا بد من جمع أدوات العمل الفني وترتيبها في ذلك المستودع العميق ، مستودع النفس ، قبل أن ندفع بها إلى الوجود كائنا حيا مكتمل الخلقة متناسق الأعضاء .. إننا ننكر ذلك الشعر الذي تكون فيه القصيدة أشبه بتيه تنطمس فيه معالم الطرق وتنمحي الجهات ، أو أشبه بمولود خرج إلى الحياة قبل موعده فخرج وهو ناقص النمو مشوه القسمات !

هذه يا صديقي هي القيود المفروضة التي تتيح للفن كل معاني الحياة .. أما تلك القيود الأخرى التي لا نرتضيها للفن لأنها تحد من حريته الطبيعية وحقه المشروع ، فهي تلك الصيحات التي تنطلق من بعض الأفواه منادية بربط الفن إلى عجلة المجتمع أو مزجه ، بأصول علم الأخلاق . وأصحاب المذهب الأول مفرقون

فى الخطأ أو مسرفون فى الوهم ، لأنهم يتخيلون أن المجتمع هو الحياة حين يتحدثون عن الصلة بين الفن والحياة ! إن مصدر الخطأ هنا هو أن الحياة فى مدلولها اللفظى وواقعها المادى ، أوسع مدى وأشمل معنى من المجتمع الذى يريدون للفن ألا ينشر جناحيه بعيداً عن حماه .. إن المجتمع جزء من الحياه وليس هو كل الحياة ، ونضرب لذلك مثلا قصيدة من الشعر يصور بها الشاعر مجلى من مجالى الطبيعة أو نزعة « فردية » من نزعات النفس أو دفقة « ذاتية » من دفقات الشعور . أليس كل جانب من هذه الجوانب التى تخرج عن دائرة المجتمع ، تعبيراً عن الحياة فى وضع من أوضاعها الخاصة التى تفيض بالنبض وتزخر بالخفوق؟ إننا نستطيع أن نلتمس الحياة فى شعر يتحدث عن الصحراء ، وفى قصة تدور حول معالم الذات ، وفى أدب معروف هو أدب الاعترافات ... وكل هذه الألوان الفنية لا تدخل فى نطاق المجتمع الكبير ومع ذلك فهى تؤدى رسالة النقل عن الحياة كأصدق ما يكون الأداء !!

هذا عن أصحاب المذهب الأول ، أما عن أصحاب المذهب الأخلاقى فى الفن فقد رددنا عليهم فى مناسبة سابقة بكلمات للفيلسوف الإيطالى بندتو كروتشه ، وهى كلمات نؤمن بها كل الإيمان لأن فيها الحجة المقنعة والمنطق السليم .. وخلاصة رأى الفيلسوف الإيطالى فى نقد المذهب الأخلاقى فى الفن ، هو أن الفنان لا يمكن أن يوصم من الناحية الأخلاقية بأنه مذنب ، ولا من الناحية الفلسفية بأنه مخطىء ، حتى ولو كانت مادة فنه أخلاقا هابطة ! فهو - كفنان - لا يعمل ولا يفكر ، ولكنه يعبر . . . إن فنا يتعلق بالأخلاق أو اللذة أو المنفعة ، هو أخلاق أو لذة أو منفعة ولن يكون فنا أبدا !! ولئن كانت الارادة قوام الإنسان الخير فهى ليست قوام الإنسان الفنان ، ومتى كان الفن غير ناشىء عن الإرادة فهو فى حل كذلك من كل تمييز أخلاق .

بقى أن نقول للاستاذ الونداوى فى مجال الرد على ما أورده حول قيود القافية فى فن الشعر ، إن هذه القيود كما عرض لها حق لا شك فيه ، من ناحية أنها تفرض على الشاعر لونا من التعبير قد لا يرتضيه . ولكن الأستاذ قد نسى أن تلك القيود لازمة من لوازم الشعر ليكون شعرا ، له ذلك القالب الفنى الذى يميزه عن قالب النثر ويشير إلى ما بين القالبين من فروق !

موسوعة عن الأدباء المعاصرين

... ...

أتشرف باطلاعك على كونى أقصد أن أطبع فى أقرب وقت كتاب « المختارات » ، فى ستة مجلدات ضخمة ، تحتوى قطعا نثرية وشعرية منتخبة لنحو ثلاثمائة من أشهر الأدباء المعاصرين ، فى كل أقطار العالم العربى .

أرجو أن تتحفنى بشىء من مؤلفاتك لإدراجه فى كتابى ، مع صورتك الشمسية واضحة كل الوضوح ، وملخص سيرتك الأدبية ، أعنى تاريخ ومكان ولادتك ، المدارس التى تهذبت بها ، جدول مؤلفاتك وأهم حوادث حياتك الأدبية .

أشكرك سلفا ، مع إهدائى لك فائق اعتبارى ودمت .

رفائيل نخلة

« دير اليسوعيين - حلب - سورية »

ليس من شك فى أن هذا العمل الذى يزمع أن يقوم به الأستاذ الفاضل رفائيل نخلة ، وهو إخراج موسوعة ضخمة عن أشهر الأدباء المعاصرين فى العربية ، ليس من شك فى أنه عمل يستحق الإعجاب من ناحية جدواه .. ذلك لأن جدوى الموسوعات الأدبية هى أنها تضع بين أيدينا خلاصة وافية لحياة من تعرض لهم من الأدباء ، مما يتيح للدارسين شيئا من العون حين ينشدون دراسة الانتاج الأدبى على ضوء تلك الحياة . أما تلك المتعة الأخرى التى يمكن أن يستثمرها القارىء وهو يتنقل بين قطع مختارة من الشعر والنثر ، فهى متعة تفسح مجالا لا بأس به لجمهرة المتذوقين والنقاد .

هذا هو رأينا فى الموسوعات الأدبية بمناسبة هذه الرسالة التى تلقيناها من الأستاذ الفاضل .. ولكننا نحب أن نلفت نظره إلى حقيقة ليس إلى إنكارها من سبيل ، وهو أن الأستاذ مسرف فى التفاؤل حين يتصور أن فى الأقطار العربية ثلاثمائة من الأدباء ! لا يا سيدى ، إننا يجب أن نقيم الميزان للاديب الحق لا لكل أديب حمل قلما وكتب ... ومن هو الأديب الحق ؟ هو صاحب « المذهب » المعروف لا صاحب الإسم المعروف ، هو - فى كلمة جامعة مانعة - صاحب الأصالة المبدعة لا المحاكاة الناقلة ... إذا نظرنا إلى الأدباء بهذا المنظار فلا مفر من أن يهبط الرقم الذى

الأدب والفن في أسبوع

من المحدثين في الوضع اللغوى :

يذكر قراء « الرسالة » المحاضرة القيمة ألقاها الأستاذ أحمد حسن الزيات فى مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية عن الوضع اللغوى وحق المحدثين فيــه ، والتى انتهى فيها إلى مقترحات أحيلت إلى لجنة الأصول بالمجمع لدراستها فى ضوء المناقشة التى جرت بشأنها . وأذكر الآن أن هذه اللجنة تقدمت إلى مجلس المجمع برأيها فى تلك المقترحات ،وينحصر هذا الرأى فى مقترحين اثنين :

الأول ناقشه المجلس وعدله ثم أقره على الوجه الآتى : تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس ، على أن يراعى فى هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ولم يعرف لها مرادف عربى سابق صالح للاستعمال .

والثانى : قبول السماع بشرط أن يكون هذا السماع من كاتب أو شاعر ، أسلوبه العربى موضع الاطمئنان والثقة بعربيته مثل جيل بمعنى طبقة من الناس ، وزهور جمع زهر

ولما جرت المناقشة فى هذا المقترح أدلى الأستاذ الزيات بالبيان التالى نصه : « يظهر أن بعد المسافة بين إلقاء المحاضرة وبحث المقترحات قد ألقى عليها ظلا من الغموض ، فإن بعض الأعضاء لم يلحظ الفرق بين الوضع والسماع فأراد أن يجعلهما واحدا ، والمراد بالوضع إطلاق لفظ على معنى ابتداء ، وقد يكون الوضع بالارتجال كالأب والأم والبحر والأرض والجبل ، وقد يكون بالاشتقاق ككاتب وشاعر ومنشار ومفتاح وملعب ، وقد يكون بالتجوز كاطلاق السماء على المطر والغيث على النبات والقهوة على المكان الذى تشرب فيه ، وهذا الوضع بطرقه المختلفة كان يجرى على قوانين مطردة نشأت من طبيعة اللغة وسليقة العرب وهذه القوانين هى ما نسميها بالقواعد والقياس ، ولكن المتكلمين لأسباب طبيعية أيضا يخالفون أحيانا هذه القواعد أو هذا القياس ، وهذه المخالفة هى ما سميت بالسماع ، والغرض منه مخالفة القياس فى الاشتقاق أو النسب أو الجمع مثلا ، كقولهم يافع من أيفع والقياس موفع ، وأموى بالفتح فى النسبة إلى أمية وأهلون وأرضون وستون وعشرون وبابه فى جمعها جمعا مذكرا سالما . وقد كان هذا السماع كالوضع من حق العرب الأولين والمراد الآن إعطاء هذا الحق للمحدثين فنقبل منهم ماخالفوا القياس فى لفظه أو خالفوا المعاجم فى مدلوله ، كقولهم مثلا من النوع الأول : « متحف » بالفتح والقياس الضم ، و « مقهى » بالفتح والقياس الضم ، و « ثلاجة » بدلا من مثلجة ، و « زهور » جمع زهر ، و « نوادى » جمع ناد والقياس أندية ، و « أحفاد » جمع حفيد والقياس حفدة ، و « طبيعى » فى النسب إلى طبيعة والقياس طبعي ، و « بديهى » فى النسب إلى بديهة والقياس بدهى ، و « طنطاوى » و « طهطاوى » فى النسب إلى طنطا وطهطا والقياس طنطى أو طنطوى . و « قهاوى » فى النسب إلى قها والقياس قهوى . وكقولهم من النوع الآخر « جيل » لطبقة من الناس واللغة جنس من الناس ، و « فشل » للاخفاق واللغة الضعف ، و « السمك » و « السميك » للتخين واللغة : السمك بالفتح الرفع وطول الجدار من الأرض إلى السقف وكم

تتصوره من ثلاثمائة أديب إلى عدد لا يتجاوز أصابع اليدين !!

معذرة يا سيدى فهذه هى الحقيقة ، وكم نود أن تقنع موسوعتك بهذه الحقيقة لتظفر بما أشرنا إليه من جدوى الموسوعات الأدبية .

وعندما يوفق الأستاذ نخلة إلى اختيار هذا العدد الضئيل من الأدباء فلا بأس من أن يكتب إليهم من جــديد ... وللاستاذ خالص الشكر على كريم تقديره .

رسائل أخرى من حقيبة البريد

لم تخل حقيبة البريد من عدد من الرسائل يدور موضوعها حول أمور شخصية ، وهذا اللون من الرسائل يؤسفنا ألا نستطيع التعقيب عليه ، لأننا نهدف من وراء التعقيب إلى الإجابة عن مشكلات الأدب والفن، تلك التى تهم أكبر عدد من القراء .. فإلى أصحاب تلك الرسائل نعتذر ، راجين أن يقصروا أسئلتهم على المشكلات الأدبية لا الذاتية !

أنور المعداوى

يرد منه سميك ، و « صدفة » بمعنى مصادفة، و« عائلة » « بمعنى أسرة » .

وكان المجلس قدرد المقترح الثانى إلى اللجنة لإعادة بحثه . فنظرت اللجنة فى الموضوع وفى ذلك البيان ، ثم جملت الاقتراح كما يلى : « ترى اللجنة قبول السماع من المحدثين بشرط أن تدرس كل كلمة على حدتها قبل إقرارها »

ولما عرض ذلك على مجلس المجمع وافق عليه .

تعقيب

نرى أن النتيجة التى أخذبها المجمع فى هذا الموضوع تنحصر فى المادتين اللتين أقرهما، الأولى تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس ، على أن يراعى فى هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ولم يعرف لها مرادف عربى سابق صالح للاستعمال » والثانية : قبول السماع من المحدثين بشرط أن تدرس كل كلمة على حدتها قبل إقرارها » والمتأمل فى العبارتين يرى مؤداهما واحداً ، وهو أن الكلمات التى يستعملها المحدثون يقبلها المجمع بعد دراستها ، وهذه « الدراسة » تحفظ يشبه التحفظات التى ترد فى التصريحات والمعاهدات التى تفرضها الدول الكبيرة على الأمم الصغيرة .

فهى كلمة مطاطة ، يمكن استغلالها عند بحث كل كلمة ، فيقال مثلا إنها تخالف القياس أو إنها على غير معناها فى المعاجم ، وقد أبدى ذلك صراحة فى أثناء المناقشة الأستاذ ابراهيم مصطفى بك ، إذ قال « كان لى اعتراض على قبول كل سماع خالف القياس ولكن مادامت اللجنة قد قررت أن كل كلمة ستبحث على حدتها فإنى موافق على ذلك »

ويمكن أن يقال إن « السماع من المحدثين » هو كما فسره الأستاذ الزيات مخالفة القياس فى اللفظ والمعاجم فى المدلول ، ولكن هذا القيد أهمل فى القرار إهمالا اطمأن إليه الأستاذ ابراهيم مصطفى !

ويماثل الأمم الصغيرة فى ذلك « التحفظ » هذه الصيحات التى ترمى إلى تحرير اللغة وتطويعها لمقتضيات العصر ، على أساس أنها لغتنا التى ورثناها عن الأسلاف ولنا حق التصرف فيها بما ينميها ويجعلها تساير الحياة ، وليست « عينا موقوفة » يلتزم فيها شرط الواقف . وخدمة اللغة لا تكون بالتشدد فيها والوقوف بها عند الحدود الجامدة ، وإنما تكون بتسهيلها

كشكول الأسبوع

▫ وافق مجلس المجمع اللغوى على ما رأته لجنة الأدب به فى تنظيم المسابقات الأدبية لسنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ ، وهو كما يلى :

تخصص مائتا جنيه لكل من المسابقات الأربع الآتيه :

١ ـ ديوان شعر وصفى أو قصصى ، لا يقل عن ألف بيت

٢ ـ قصة تتعرض لمشكلة اجتماعية شرقية تكتب بلغة أدبية فصيحة فى نحو ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط .

٣ ـ ترجمة مستفيضة لواحد من اثنين : « ا » أحمد فارس الشدياق وأثره فى اللغة والأدب والمصطلحات . « ب » حسين المرصفى صاحب الوسيلة الأدبية والكلم الثمان وأثره فى اللغة والأدب .

٤ ـ اختيار كتاب قديم قيم لغوى أو أدبى لم ينشر من قبل ، يعد للنشر على النمط العلمى الحديث ، فيصحح ويضبط ويقدم له بتقدمة تبين قيمته وأثره وطريقة تصحيحه والمصادر التى عول عليها فيه .

على أن تكون المسابقة الثانية عامة لمن يشاء أن يدخل فيها ، وأما سائر المسابقات فخاصة بمصر وسودانها .

▫ اقترح معالى الدكتور طه حسين بك رئيس وفد مصر فى مؤتمر اليونسكو ، أن تعين هيئة اليونسكو مندوبا يمثلها لدى وزارة المعارف فى كل دولة من الدول الأعضاء ، وقد أيد مدير اليونسكو هذا الاقتراح ولكنه أعرب عن أسفه لأن ميزانية اليونسكو لا تسمح فى الظروف الحاضرة باتخاذ مثل هذا الاجراء .

▫ جاء من مراسل الأهرام فى فلورنسا ـ حيث يجتمع مؤتمر اليونسكو ـ أن الوفود العربية مهتمة بمسألة نشر الكتب العربية فى أفريقية الشمالية . وقد أفضى معالى الدكتور طه حسين بك بحديث إلى المراسل قال فيه : فى اعتقادى أننا سنصل إلى تسوية هذه المسألة ، وكنت قبل مغادرتى مصر قد تحادثت مع سفير فرنسا فى هذا الصدد على أثر ما طلب إلى من مساعدة رسول من تونس فى شراء كتب عربية ، وقد سهلت لهذا الرسول مهمته ومهدت له زيارة مدارسنا وأهديت إلى تونس مجموعة من كتب وزارة المعارف ، وقد تحدثت فى أثناء زيارتى باريس مع المسئولين فى هذا الشأن ، وأعتقد أننا فى سبيل الوصول إلى ما يحقق غايتنا ، وانا إذا كنا نفتح أبواب بلادنا للكتب الفرنسية فمن الطبيعي أن نطالب بتيسير إصدار الكتب المصرية إلى فرنسا والجزائر وتونس ومراكش .

▫ ظهر فى انجلترا أخيرا كتاب جديد بعنوان « الشعر العربى الحديث » يضم طائفة من القصائد لشعراء من مهاجرى العرب بأمريكا ، مترجمة إلى الانجليزية . وقد علق أحد النقاد

وتوسيع آفاقها ، لتكون لغة مرنة محبوبة . والتجارب تدلنا على أن التشدد لم يجد نفعا إزاء الاندفاع الذى يخضع للقوانين الطبيعية ، فكم نبه المنبهون وكم صحح المصححون دون أن يلتفت إليهم أحد ، فالمتحف لا ينطق إلا بالفتح ، ولم تتجنب الألسنة والأقلام الزهور والنوادى والأحفاد والفشل ... الخ ، فماذا يضير اللغة لو أقررنا هذه الكلمات وأمثالها مما شاع جريانه على الأقلام واكتسب حق الحياة بكثرة الاستعمال ؟ على أننا رأينا مدلول الكلمة الواحدة قد تغير وتطور فى العصور المختلفة ، فماذا لو أضفنا إليها مدلولا جديدا ؟

وهذا المجمع يعنى نفسه بالمصطلحات الطبية والعلمية وغيرها منذ سنوات، وقد وضع من ذلك كثيرا ، أكثره غريب ثقيل ليس من المنتظر أن تستعمله الجامعات والهيئات العلمية ، ولست أدرى لماذا لا تظل هذه المصطلحات بأسمائها كما وضعها أصحابها ؟ ولماذا لا نسهل على كلية الطب مثلا بإقرار هذه المصطلحات كأعلام للاشياء التى وضعت لها على أن تكون الدراسة فيها باللغة العربية من حيث التعبير والتركيب المكون من الجمل العربية مع الاحتفاظ بالأسماء كما هى ؟

وأنا لا أستطيع — بعقلى البحت — أن أفهم لماذا نغير الأسماء وقد وضعها أصحابها عند ولادة مسمياتها فصارت أعلاما عليها . أليس من حق الوالد أن يسمى ولده بما شاء ؟ فكذلك الصانع والمخترع ، إننا لا نغير أسماء الأجانب الذين يأتون إلى بلادنا فلماذا نغير أسماء الأشياء التى ترد إلينا من الخارج ؟

وتبرز لنا هنا كلمة «التعريب» التى قالوا بأنها الملجأ الأخير لإدخال الكلمة الأجنبية فى فى اللغة العربية ، جريا على ما فعله العرب فى العصور المتقدمة . أريد أن أسأل : لماذا عرب العرب الكلمة المعربة ولم ينطقوها كما هى فى لغتها ألم يكن ذلك ضرورة لسانية لعدم قدرتهم أو اهتمامهم بصحة النطق الأعجمى ؟ وقد كانوا يفعلون ذلك بأسماء الناس والبلدان وسائر الأشياء . أما نحن فإننا نهتم بنطق اللغات الأجنبية ونجتهد فى إجادتها ، فلماذا إذن نعرب الكلمة الأجنبية ؟ وما هى الضرورة الداعية إلى ذلك؟ ولماذا نقصر التعريب إذا كان له وجه على أسماء الأشياء دون أسماء الرجال والنساء والبلدان التى ننطقها

الصحفيين الانجليز على الكتاب بقوله : إن هذا الكتاب يظهر بوضوح كيف أن اللغة العربية أصبحت لغة عالمية واسعة الانتشار .

□ كتب صديقنا الأستاذ كامل منصورفى « المصرى » يرد على أحمد صفوت باشا فى قوله إن اللغة العامية لغة بسيطة لاتعبر عن المعانى والصور الأدبية الدقيقة ولا عن المشاعر الرفيعة الراقية ، ذاهبا إلى عكس ذلك ، قائلا بأنها قدتفوق الفصحى فى كثير من الأحيان . وقدناقشته فى ذلك وتحديته أن يعبر عن رأيه هذا فى عامية خالصة ، فلم يستطع أن يخلص كلامه من العبارات الفصيحة .. وما زلت أتحداه وأتحدى من يذهب مذهبه أن يكتب دفاعه عن العامية بالعامية .

□ الأستاذ عمر النص شاعر سورى مجيد ، وقد أصدر أخيرا ديوانه « كانت لنا أيام » والأيام التى كانت هى أيام الهوى والشباب ، وهو يردد ذكرياتها وخلجات نفسه نحو « ليلى » ترديدا شجيا يمتع القارىء بأحاسيسه وموسيقاه، وإن كان يرى أن الديوان مقصور على الشاعر وليلاه وعهد حبهما المولى . .

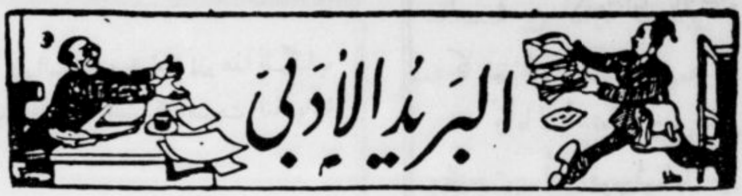
□ رأيت فى باب « سألونى » بمجلة المصور ، سؤالا من « مستأدب » بالمملكة العربية السعودية عن دار نشر بمصر تطبع كتابا ألفه ، فنصحته محررة الباب السيدة أمينة السعيد بأن يعرض الكتاب على ناقد مصرى ليبدى رأيه فيه ، حتى لا يصدم برفض من دار النشر . وهى فكرة لطيفة تتيح للنقاد المصريين الكسب من فحص الكتب المعدة للطبع .. وما على الواحد منهم إلا أن يفتح مكتبا لذلك يكتب عليه « ناقد مصرى ! »

□ اعتقلت الشرطة اللبنانية الشاعر الشعبي اللبنانى الأستاذ عمر الزعنى بدعوى أنه وجه انتقادا فى بعض أغانيه إلى السلطات اللبنانية .

□ من أنباء أمريكا أن المرأة هناك بدأت تستخدم الكحل فى تجميل عينيها ، وأنه قد ظهرت هناك أيضا طريقة جديدة تسهل على الأم حمل طفلها فى أثناء قيامها بعملها ، وذلك بربطه إلى ظهرها ، وهذه الطريقة متبعة فى السودان . فهل جاء دور الغرب فى تقليد الشرق !

□ لم تستنفد الاذاعة المبلغ المعتمد للبرنامج فى ميزانية العام الماضى ، وذلك خشية تحسين البرنامج !

□ ارتكب أحد « الشعراء » ديوانا جديدا !



فى النظم الجامعية

يحسب الناس — كما كنت أحسب مثلهم من قبل — أن أمر التعليم الجامعى الذى هو أرقى درجات التعليم المصرى فى بلادنا يسير على منهاج قويم لا عوج فيه لا من حيث المناهج والبرامج ، فهذا ما ليس من حديثنا اليوم ، ولكن من حيث النظم الادارية ، ولكن من يدنو من كليات الجامعة ويذوق مرارة أعمالها يجد أنها تسير على نظم عقيمة لا تتفق مع الروح الجامعية فى شىء . ويستيقن أنها وقد انقضى عشرات السنين على انشائها لا تبرح تتبع فى النظام ما يتبع فى المدارس الابتدائية !

فهذا طالب ينطق تاريخه الدراسى باجتهاده ونبوغه ، لم يقبل بالطب البشرى بالاسكندرية من أجل نصف درجة ! فى علم لا يتصل بالدراسة الطبية فى شىء ، فشق عليه ذلك ، وما كاد يعلم ان الدراسة الاعدادية بكلية طب قصر العينى عامة للبشرى والأسنان معاً ، وأن توزيع الطلبة فيها سيجرى حسب ترتيب النجاح فى امتحان هذه الدراسة حتى سارع إلى التحول إليها ، ليزاحم بمنكب الجد طلابها ، ولم يقنع فى امتحان هذه الدراسة بأقل من درجة (جيد جدا) وهى درجة لم ينلها معه الاقليل ، ومن ثم أيقن أنه بهذا التفوق قد أصبح له الحق كاملا فى دراسة الطب البشرى .

ولكن ما كان أشد دهشته لما وجد أن هذه الكلية تحول بينه وبين هذه الدراسة ، وهاله أن يراها وهى تصده — على تفوقه - عن هذه الدراسة قد أتاحتها للمتخلفين وراءه فى النجاح من زملائه حتى الذين لم يستطيعوا أن ينالوا الأدرجة مقبول ... وما كان هذا الظلم والعنت لا لأنه كان بزعمها مقيداً بالاسكندرية على طب الأسنان — أى قبل أن يحول إليها ! كأن حسن اسلامه وصالح أعماله لم يضما عنه وزر الجاهلية ولا اغلالها !! وتلقاء هذا العنت والظلم لم يجد ملاذا يفزع إليه الا أن يلجأ إلى مجلس الدولة لكى ينصفه فى هذا الظلم المبين .

وهؤلاء طلاب من مختلف الكليات يبلغ عددهم مئة أو يزيدون تمنعهم كلياتهم من أداء امتحانهم بحجة عدم حصولهم على نسبة الحضور التى جعلتها نظمها شرطاً لأداء الامتحان كأنهم لا زالون أطفالا لا يختلفون إلى دروسهم إلا بعد أن ينتظموا طوابير فى دخولهم وخروجهم !

هذه أمثلة من النظم الادارية التى تتبع فى كليات جامعتنا المصرية فى القرن العشرين ! وكأن الله لم يرد أن يذر أمر هذه الجامعة الكبيرة على ما هى عليه من تلك النظم العتيقة والقيود البالية فقيض لها أخيرا رجلا أوفى على الغاية فى فقه العلوم القانونية وبلغ درجة عالية من الثقافة الذاتية ذلك هو الدكتور محمد كامل مرسى باشا فانه ما كاد يتولى أمرها حتى انشأ يعمل بعقله الراجح وفكره الثاقب على صلاح نظمها وتقويم ما أعوج من لوائحها لكى تتبوأ مكانها الذى تستحقه بين جامعات الأمم .

فتراه مثلا ما كاد يعلم بأمر هذا الطالب الذى ذكرنا أمره حتى عز عليه أن ينظر أحد غيره فى شأن من شئون الجامعة أو يفصل فى أمر من أمورها وأسرع فأقام نفسه مقام مجلس الدولة فى الفصل فى قضيته وبخاصة فانه قد كان من قبل رئيسا لهذا المجلس ، ولما

كما هى ولم يفكر أحد أو لم ير أحد موجبا لتغييرها بتعريب أو غيره ؟

إن حياة اللغة فى تراكيبها وجملها ، وليس يضيرها ، بل يفيدها أن ننطق ونكتب الأسماء والأعلام والمصطلحات الأجنبية كما وضعها أصحابها ، فاذا قلت سمعت الراديو ، أو تحدثت بالتليفون ، أو قدم المستر سميث : من لندن ، فانك تتكلم كلاما عربيا فصيحا لا شك فى ذلك . ومن الصور العجيبة والمضحكة لذلك التشدد فى اللغة ، أن معلم الانشاء فى المدارس لا يقبل من التلميذ أن يكتب الراديو والتليفون والسينما ، فاذا وجدها فى الموضوع بدل بها المذياع والمسرة والخيالة . ووزير المعارف الحالى معالى الدكتور طه حسين يكتب الراديو والتليفون والسينما ، فهل يخطىء التلميذ إذا كتب مثل وزير المعارف ؟

عباس خضر



الضمير . . .

للأستاذ كامل رستم

كانت له فى كل يوم معركة مع ضميره . وقد ألف أن يخرج منها وهو مثخن بالجراح . انه كان يحرص دائما على أن يظل عامرا ما بينه وبين الله ، وعلى أن يظل عامرا ما بينه وبين ضميره . وهل الضمير إلا الرقيب الإلهى فى الانسان ؟ كل يوم كلما خلا إلى نفسه كان يقف خاشعا بين يدى هذا الرقيب كأنه فى صلاة ويجلد لحسابه المسير الشاق ويترضا . ولكم سكب فى سجدة التقى والورع من الدموع يغسل بها قلبه ويطهره مما علق به من الآثام والأوضار . وما كان يبكى بعينيه حسب ، بل ألف قلبه أن يبكى أيضا . وكان قانعا فى عزلة روحه المؤمنة بعيدا عن ضباب الشهوات . ولكنه لم يكن سعيدا . ومتى أدت القناعة مفهوم السعادة ؟

ولكن الصلة التى بينه وبين الله تعرضت آخر الأمر لامتحان رهيب . إنه منذ نزل على ارادة أمه ، وبنى بالزوجة التى تخيرتها له ، وهو يجتر الألم ، ويحتضن الأفكار السود ! بدا له أنه ودع حياة السعادة والأمل إلى غير رجعة ؛ وأنه تناول بيده الراعشة الكأس التى مزاجها علقم وصاب ؛ وأفرغها فى جوفه ! وأحس بعد خدرها أن بينه وبين الله بعيد بعد ما بين السماء والأرض . ولم يعد يجد فى وحدته الشاعرة فردوسه المفقود . بل رأى بعينيه ريح الشهوات وهى تكاد تعصف بفرسة إيمانه . وأخرجت الذاكرة أحزانها كلها ونثرتها بين يديه ! ذكر أنه لم يستشعر لزوجه أضعف الحب ؛ وذكر أنه حاول أن يروض نفسه على حبها ويرضى بنصيبه المقدور . ولكن ذهبت محاولاته كلها قبض الريح ! فإن زوجته لم تكن حتى على الجانب اليسير من الجمال .

وإنه لذلك ثبات يضبط فى كل دقيقة نظراته المنهومة ؛ متلبسة بجريمة اشتهاء وتطلع . أو ليس إنسانا قبل كل شىء ؟ لقد حاول منذ تزوج أن يقتل الانسان فيه ليظهر الملك ! وأن يقطع صلته بالأرض ليصل بالسماء . ولكم يعاوده الجهد من جراء ذلك ولم يبلغ أربا .

وكل ما ناله أنه لم يعد فى الناس واحدا منهم ، ولم يرق إلى السماء ليصبح من أهلها . وآذاه أن يعيش هكذا حائرا بين المنزلتين ونازع نفسه التحرر من هذا الرقيب وأن يقضى فى نفسه وطرا .

فتعب عيناه من جلال هـذا الجمال الماضى ويقبس

درس هذه القضية وتبين له حق هذا الطالب واضحا قدم أمره إلى مجلس الجامعة الأعلى فأقر بالاجماع هذا الحق وبذلك حفظ مستقبل هذا الطالب المتفوق ، ولو أن غير هذا العالم الجليل فى منصب مدير الجامعة لسكت عن قضية هذا الطالب واسوغ سكوته أن الأمر قد أصبح بين يدى القضاء .

أما هؤلاء المئة من الطلاب فقد رأى هذا العالم الجليل أن من الظلم أن يضيع عليهم ما حصلوه من علم لأمور شكلية وقضى بحكمته أن يؤدوا امتحانهم أسوة بسائر زملائهم .

وقد جرى بينى وبين هذا العالم الحجة حديث فى أمر هذا الطالب خاصة وأمر هؤلاء الطلبة عامة فكان من كلامه أن من الظلم المبين أن يحرم طالب متفوق مثله ثمرة جده واجتهاده ، وما شأنه بالاسكندرية وقد انقطعت صلته بها فدرس بالقاهرة مناهج غير مناهجها على نظم مغايرة لنظمها ؟ ولو نحن هضمنا حقه لقضينا على مستقبله ولعقدنا عقدة نفسية عنده تظل طوال حياته تعتاده

هؤلاء الطلبة كيف نمنعهم من أداء امتحانهم وقد أذنا للمعتدين من اخوانهم أن يؤدوا امتحانهم تحت حراسة الجلاوزة ؟

هذا بعض ما سمعته من حديثه القيم وإنا بعد ذلك لنرجو مخلصين أن يوفق الله هذا العالم الجليل فى كل ما يبتغيه من صلاح لهذه الجامعة فى نظمها وعلومها حتى تبلغ المكانة اللائقة بها

اعتذار

وقع فى البريد الأدبى بالعدد الماضى خطأ واضطراب حتى أقحم فيه ما ليس منه وبخاصة فى الكلمة التى نشرت عن كرد على فنعتذر منه ونرجو ألا يتكرر .

محمود أبو ريه

و منه قبسا ... وكان يجد نفسه فى غير وعى ولا إدراك يقابل بين زوجه وبين ما يصادفنه من النساء الجميلات ويخرج من المقابلة وقد أيقن أنه إنما يعيش على هامش الحياة ... وكانت نظراته الراغبة تبدأ من الشعر المقصوص ولا تزال تنحدر على الجسد البلورى حتى تفنى مع القدمين الجادتين فى السير ! ويعود من رحلة بصره وقد أحس رسيس الحرمان ومضاضة الألم ، ويكاد يكفر بالقيم الخلقية التى يحرس بها نفسه... ويخيل إليه أن السبيل الوحيدة إلى التخفف من آلامه الممضة أن يلقى بنفسه بين ذراعى امرأة !

ولكنه لم يفعل ذلك فإن الحارس الضمير كان لا يغفل أبدا . كان يرصد سيئاته ويحاسبه على النظرة النهمة حتى ترتد منيبة مكفرة ...

... حتى كان ذلك اليوم الذى شعر فيه أن الحواء الذى رافق حياته قد صاحبه عقم زوجه ! لقد كان وكده أن يكون أبا ... وأن تعزيه الأقدار عن حياته المنقبضة إلى جانب زوجه بطفل يؤنس وحشة روحه ! ويسكب فى حبه له عصارة الحنان الأبوى الذى لم تتدفق منه قطرة !

ولكن هذه الأمنية لم تشأ الأقدار كذلك أن تهادنه فيها . ويا لها من سخرية ـ قوضت حياته وأطلعته على الجدب الذى يمرغ فيه ! ويا لمنطق الضمير حين يتكلم فيه معتذرا عن زوجه بأن عقلها إن هو الا ارادة عادلة وحكمة كبرى ليس للعابد القانت أن يناقش فيها أو يجادل . ولكنه كفر لأول مرة بمنطق الضمير . وراح يتلمس السبيل إلى الثورة المجنونة التى لا تبقى ولا تذر! لقد منى بزوجة عاطل من الجمال ، وكأنما لا يكفى هذا ! أبت الأقدار الا أن تصيب الزوجة كذلك بالعقم والجفاف لتكمل مصيبته ! .. ولكن الله أورثه الفرج من الضيق . وحرك بفيض كرمه الجنين فى أحشاء الزوجة . .

وها هو ذا ... ينتظر بين دقيقة وأخرى أن تصافح عيناه وجه طفله الأول . لقد أطل على زوجته منذ لحظات . واستملى من وجهها نظرة عابرة وهى راقدة فى الفراش محرورة الجسد ، منهوكة القوى ... مهدومة !.. ورآها وهى تجالد آلام الوضع المبرحة ... وغمم وهو لا يقوى على أن يصعد إليها بصره :

— يا لها من بطلة !

وتزاحمت الصور فى رأسه ، وبرزت من بينها صورتها منذ تحلل بها المرض ولزمت الفراش . لقد ألف أن يراها تعانى فى صمت ... لا تشكو ولا تألم . فقد كان يرى فى عينيها الجهد حكاية الألم كلها مختصرة فى نظرة ! . ولشد ما قاسى وقتئذ من وخز الضمير ... حتى ود لو يستطيع أن يهرب من نفسه وينزوى عن هذا الضمير فى مكان بعيد ..

.. وأخرجه من تأملاته الطرقة صوت الخادم تنبئه بأن زوجه بعثت بها فى طلبه .. ومضى إلى غرفتها وهو يتعثر فى خطواته ؛ وسمعها تقول فى صوت كأنه من فرط الأعياء همس :

— إنى أتألم . .

... وأجابها وهو يتلمس صوته :

— تشجعى ... سأحضر الطبيب !

وارتد عنها إلى غرفته وارتدى ملابسه وخرج !

وصحبته أفكاره طول الطريق ... وقفزت زوجته إلى رأسه ... واستعرض على ناظريه حياته الشقية معها ... ذكر أنه لم يكن يحيا معها إلا بجسده فقط، فإن روحه كانت تعانق أشباح أحلامه! وآخته حيرة مضنية حينما فطن إلى ما هو بسبيل أن يفعله ... أو ليس هو فى طريقه إلى الطبيب ليسهل لزوجه وضع طفل يربط حياته بها إلى الأبد ؟

— الطفل !

أولم يكن وكده أن ينجب طفلا يؤنس وحدته ؟ فما باله لا يهتز الآن لمقدمه ولا يطرب ؟ وأحس بكل شىء يتثاءب من حوله . حتى خطاه تثاقلت عن الأخرى وتقاربت حتى كأنه لا يمشى وغافلته خاطرة فذة إندست بين خواطره لها همس حبيب

— لو أن زوجه تموت فى هذه اللحظة !

... وعبثا جاهد فى أن يتحرر من هذه الخاطرة الجديدة التى سكنت راسه! ورأى نفسه بعدها وقد استسلم لشعور وافد حبيب ...

— نعم لو أنها تموت! ... إذن لتزوجت بعدها من فتاة سابية الحسن أسرة الجمال !

.. وكان قد بلغ منزل الطبيب فرد عنه أفكاره ... وعاد به إلى البيت

وتقدم الطبيب من فراش المريضة ووقف هو على رجع البصر منها يثنى إليها نظره ... رآها كما تركها راقدة فى الفراش لا تقوى على حركة، فى وجهها الألم، وفى عينيها أثر السهاد والأرق، وفى شفتيها زرقة رهيبة ... وكانت تتنفس بصعوبة حتى خيل إليه أنها عدمت النفس ... وشاءت أن تتكلم، الا أن الكلمات ماتت: شفتيها وتمتم على ترى ماذا تريد أن تقول؟ وأحس كما لو كانت نظراتها أغلالا تطوق عنقه ... وأن جو الغرفة لم يعد صالحا لتنفسه فتسلل هاربا إلى غرفته! ووقف وراء النافذة ! وكان الهواء ساكنا فلم يرعش أوراق الأشجار القائمة على حفاف الطريق ... والقمر فى مستقره السماوى يبعث إليه أرسالا من النور ... واشعل دخينة راح ينفث دخانها ... وقد بدا له كل شىء الآن فى إطراقه الصمت والسكون ... حتى تفكيره كان هادئا ساكنا فلم تبرق فيه فكرة ، وأخرجه من هذا الصمت الذى أن على المكان صوت الطبيب يدعوه فمضى إليه ، وتهادى إلى أذنيه صوته وهو يقول :

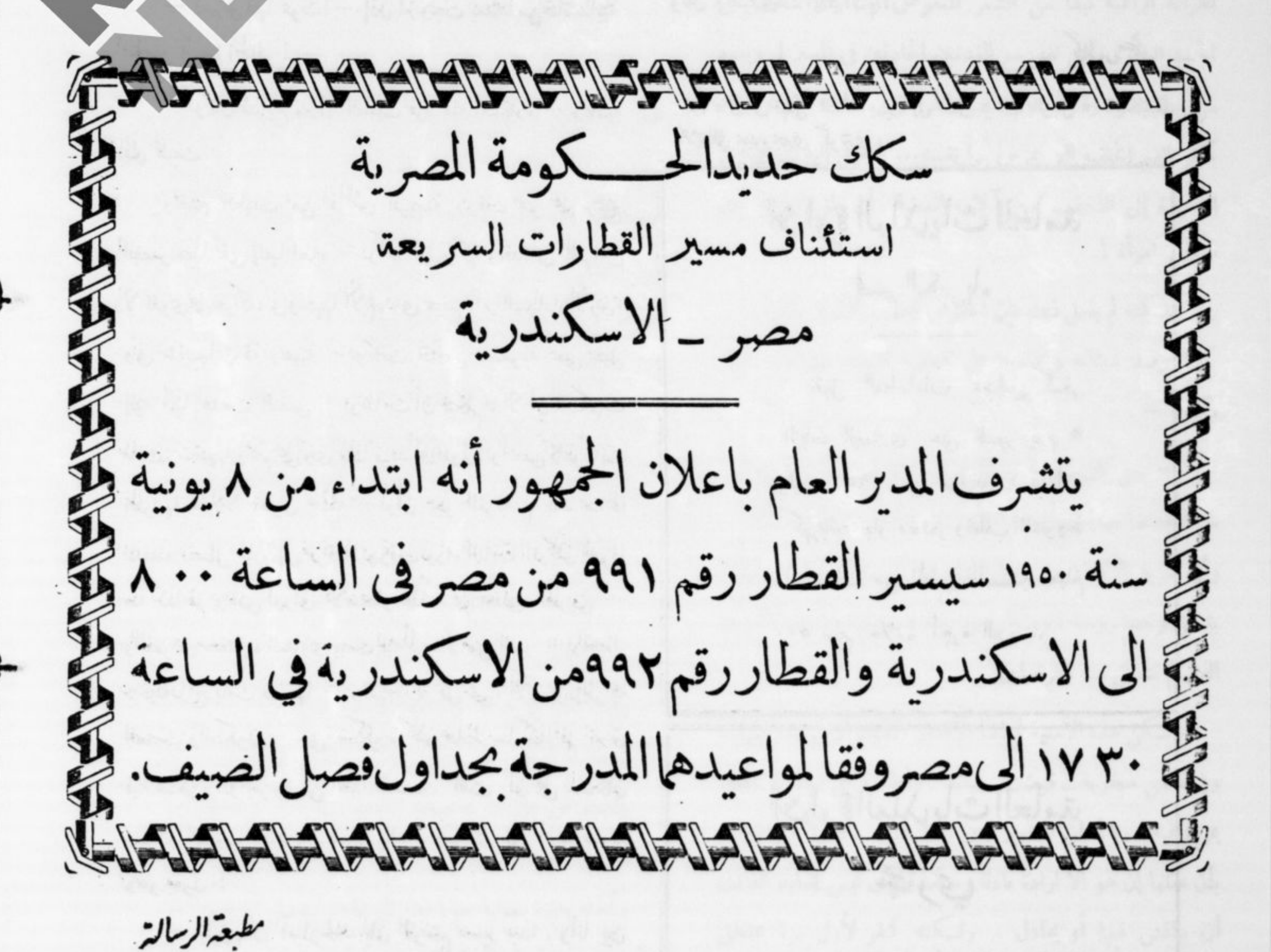
— ينبغى أن أصارحك بان الوضع عسير جدا . وأنا بين اثنتين إما أن أضحي بالطفل لأنقذ الأم ، وإما أن أضحى بالأم وأنقذ الطفل . وقد رأيت التمس عندك صواب الرأى .

وشاعت الفرحة فى قلبه فقد استجابت السماء آخر الأمر دعاءه وتسلف النظر إلى الأمام فتخايلت لعينيه حياته الجديدة الموهوبة . وأنصت إلى هاتف من أعمق قلبه يهتف به .

— قل :أنقذ الطفل . أو ليست هذه هى الفرصة الموهوبة التى لبثت على انتظارها الشهور الطوال . أو لم تكن تشتهى منذ لحظة أن يعجل الله بوفاتها لتنطلق من إسارها لتبنى بعدها بعذراء جميلة . تطارحك الحب — قبل أنقذ الطفل علك ناصية السعادة وتحقق فارب أمانيك . وصعد إلى الطبيب رأسا اثقله الفكر وقال : سيدى .. أنقذ الأم !

كمال رستم

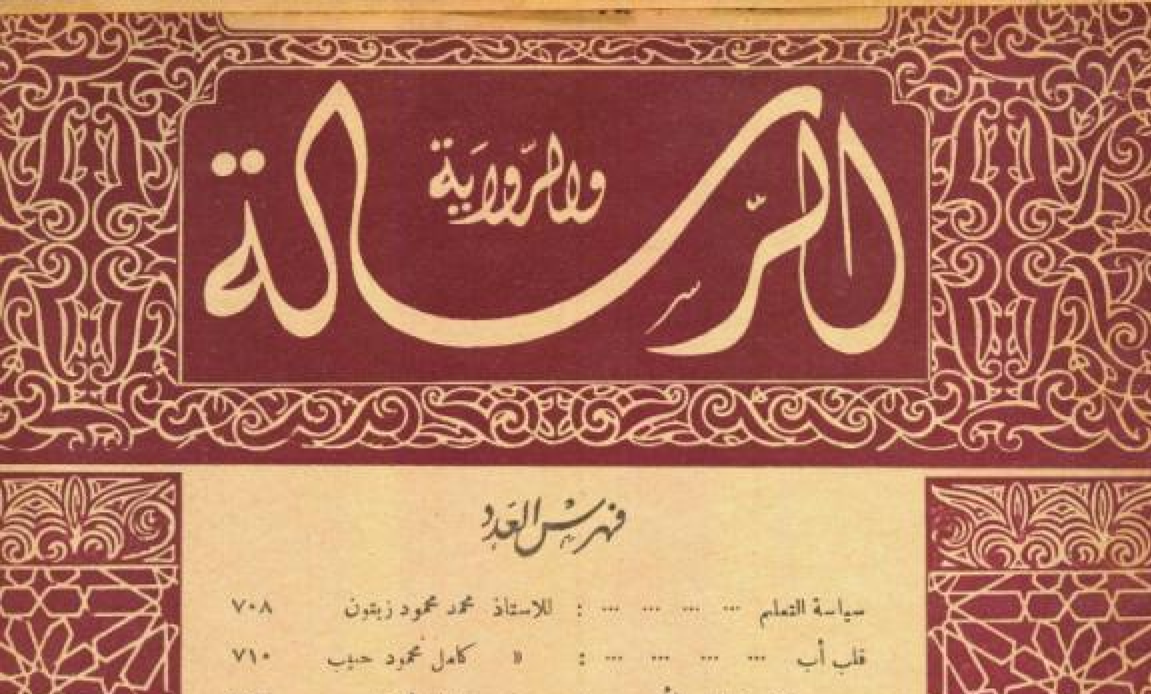
«١» ن فى قصص الثقافة يسيرة إلى قصة « قلب الرجل » للكاتب الايطالي جيورجيرى كونترى .



سكك حديد الحكومة المصرية
استئناف مسير القطارات السريعة
مصر ـ الاسكندرية

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من ٨ يونية سنة ١٩٥٠ سيسير القطار رقم ٩٩١ من مصر فى الساعة ٨٠٠ الى الاسكندرية والقطار رقم ٩٩٢ من الاسكندرية في الساعة ١٧٣٠ الى مصر وفقا لمواعيدهما المدرجة بجداول فصل الصيف.

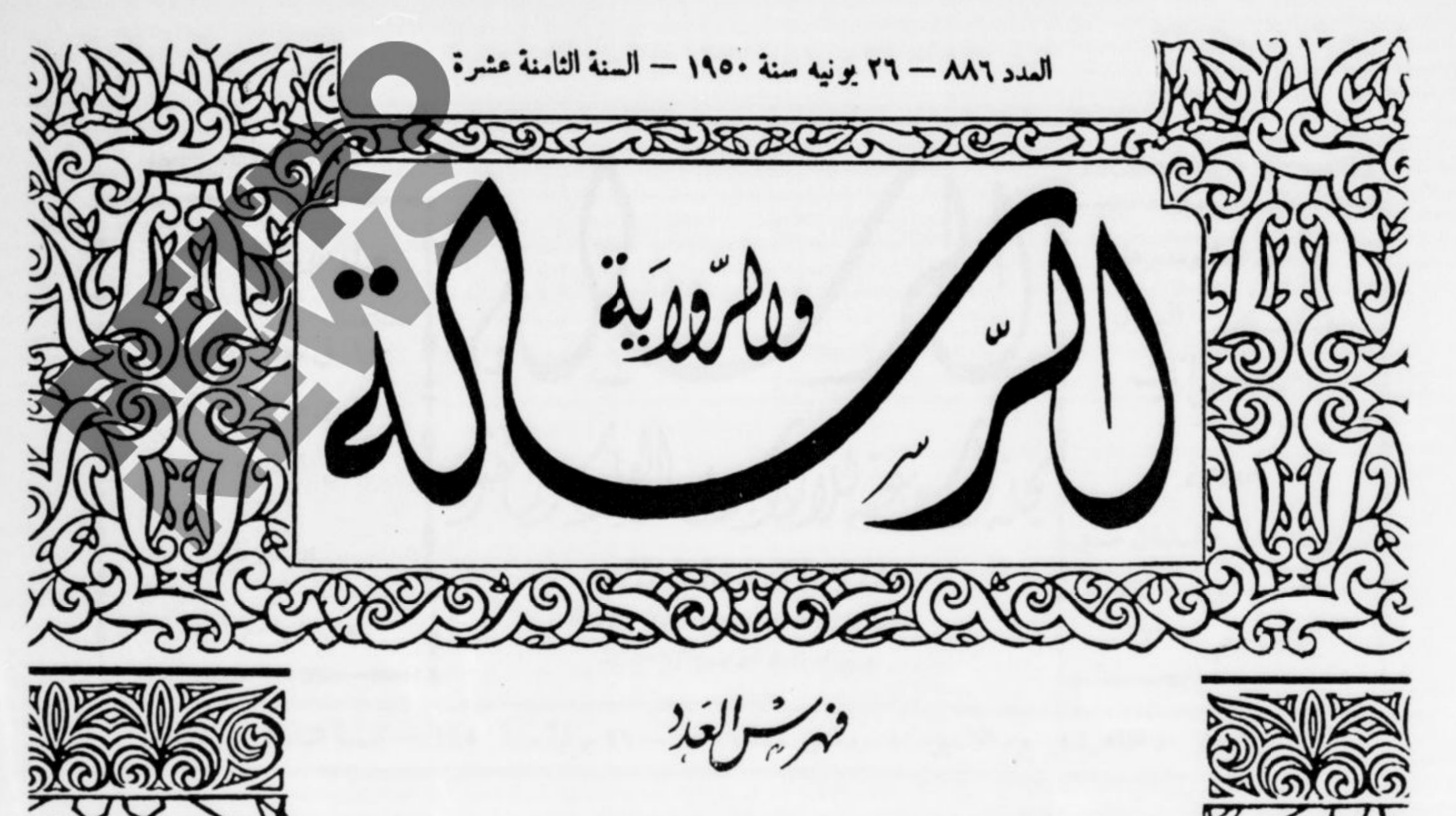
مطبعة الرسالة



فهرس العدد

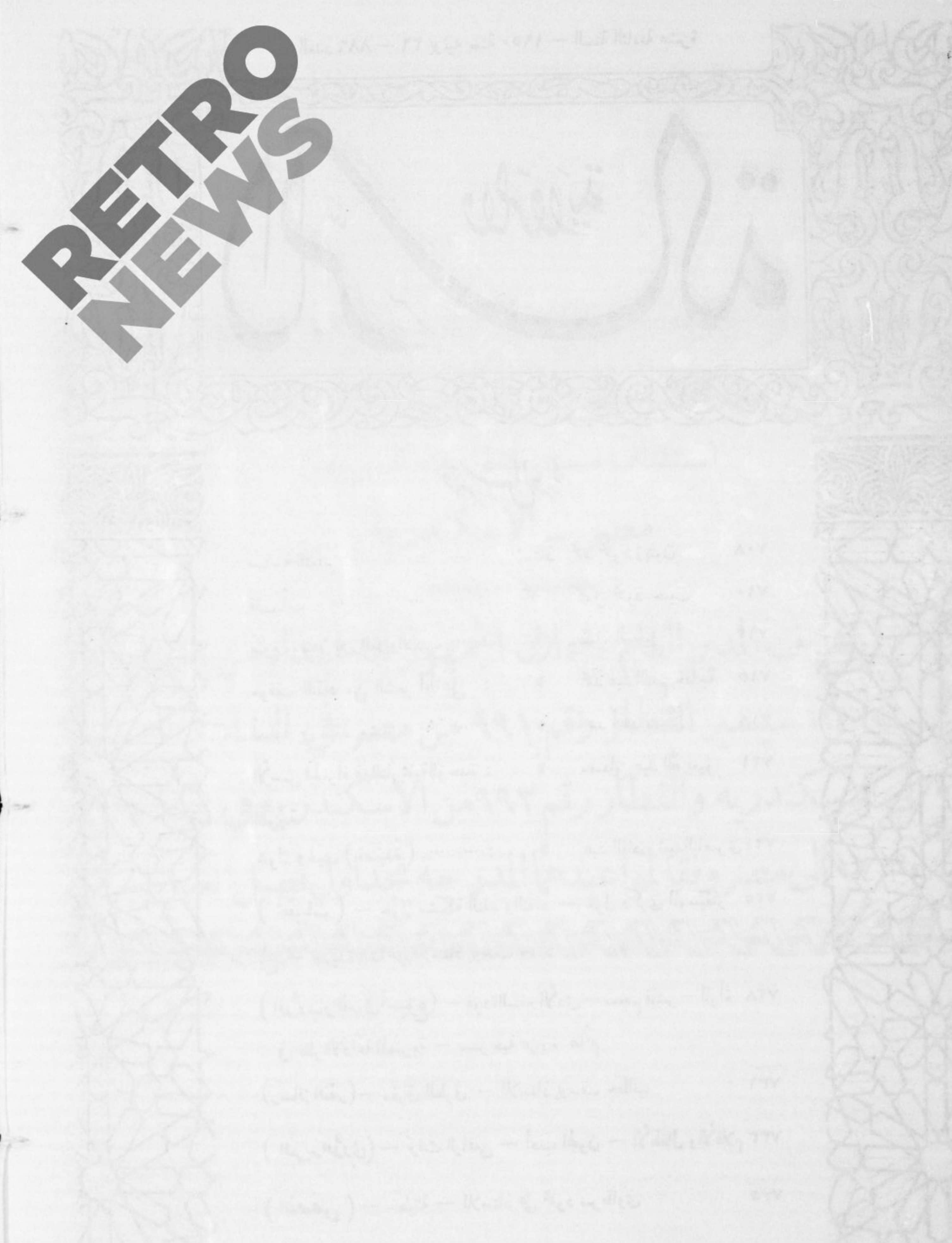
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

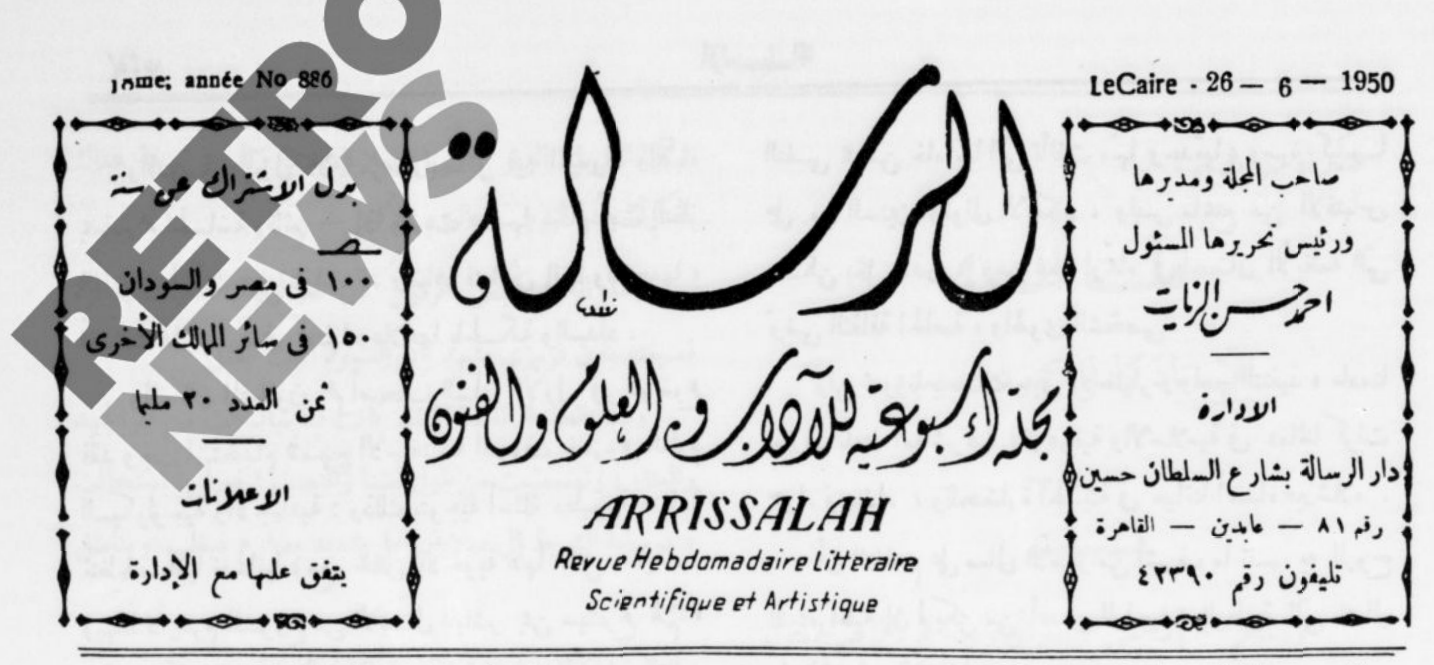
العدد ٨٨٦ — ٢٦ يونيه سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة



فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون





ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

LeCaire - 26 — 6 — 1950

ɿɹme; année No 886

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٨٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ رمضان سنة ١٣٦٩ — ٢٦ يونية سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

سياسة التعليم..

للاستاذ محمد محمود زيتون

ليس أجدى على الوطن من اتخاذ الوسائل لتحقيق الاستقرار في شتى المرافق الحيوية، وبغير هذا تضطرب النفوس، وتنعدم الثقة، وتشتد حملات الانتهازيين. وعواصف المتربصين، مما يحدث خلخلة لا تؤمن عواقبها.

وسياسة التعليم أحق من أي سياسة أخرى بالثبات والاستقرار ولا سيما في جوهرها، إذ أن سنة التطور تجرى على الأعراض والحواشي دون الاب والصميم.

ومصر التي تدور في فلك الديمقراطية، وتصدر في سياستها العامة عن وحى مبدئها العام « الأمة مصدر السلطات »، وتتميز بطابع الاستقرار، جدير بها أن تمضى إلى النهاية فيما نحن بسبيله من اعتبار القائمين بأمر التربية والتعليم مسئولين أولا عن استجابتهم لروح الأمة في كل تشريعاتهم.

والمصدر الأول للسياسة التعليمية هو: المعلمون أنفسهم، فهم – بما تزودوا به من علوم التربية، وبما اكتسبوه من تجارب مهدت لهم سبل النجاح في مهمتهم — قادرون على أن ينيروا المصادر العليا بآرائهم ومقترحاتهم.

ولن يتحقق هذا إلا إذا كان للمعلمين صحيفة شهرية — إن لم تكن أسبوعية يتبادلون فيها مشاكل المهنة، ويتناولون أحدث نظرياتها، على شرط أن تكون بعيدة كل البعد عن الميدان الحكومي البحت، بل يجب العمل على كفالة حيدتها وحريتها، ونجاتها من الهزات الحزبية العنيفة

كما ينبغى عقد مؤتمرات دورية يتدارسون فيها أمهات المشاكل والتشريعات، لنضمن بذلك تنسيق الجهود بصدد القرارات المتخذة في كل وجه من وجوه الإصلاح.

وهذا يقتضى كل معلم أن يقدم كل شهر تقريراً عن ملاحظاته ومقترحاته بصدد المادة التي يدرسها، والكتب المقررة فيها، ومدى تأثر المتعلمين بالبرامج الموضوعة، والنظم المدرسية، والنشاط الاجتماعي عامة، ومقدار التعاون بين المدرسة والبيئة.

ولن يثمر مثل هذا الجهد إلا إذا قامت الوزارة من جانبها بدراسة هذه التقارير وتحليلها وتنسيقها وتصنيفها حتى تكون أرقاما ناطقة بلغة الإحصاء، وهذا ألصق باتجاه إدارة البحوث الفنية من أي جهد تضطلع به الآن..

والمصدر الثاني للسلطة التعليمية هو الآباء والأمهات، فما أحوج المشرعين في النظم التعليمية إلى التعرف على شكاوى المنازل، والوقوف على ميول الفتيان والفتيات نحو المادة العلمية، وصنوف المعلمين، وألوان النشاط..

والمدرسة والمنزل كلاهما مرصد يسجل فيه المعلمون والآباء بمعاييرهم الحساسة وقائع — إذا وضعت بمادتها الخام تحت النظر الفاحص أنبأت عن تيارات قد نرضاها فنطمئن إليها ونشجعها ، أو نخشاها فنجتهد فى تجنبها وعلاجها بالحكمة والسداد .

ولما كان المتعلمون هم أصحاب الشأن الأول فى الموضوع فقد وجب استخدام «منهج الاستفتاء» المعروف خطره فى العلوم السيكولوجية والاجتماعية : وذلك بتوجيه أسئلة مطبوعة منظمة تنظيما منطقيا نفسانيا ، مع فحص الأجوبة عنها بكل عناية . . وبهذا لا يحرم المشروع من الاتصال المباشر بمن سيشرع لهم ، وعندئذ تكون النظم المختارة ناضجة غاية النضج ، لأنها فى الغالب العام من أصداء النفوس فى طوابعها ونوازعها .

ويبقى بعد ذلك ما يصح لنا أن نسميه « فلسفة التوجيه » . فانه إذا اقتصرت مهمة المدرسة على التلقين الإكراهى ، وحشو الدماغ ثم استفراغه بما عسى أن يكون قد علق به من المعلومات طولا وعرضا ، فليس يعدو الأمر أن يكون سخرة منظمة : إذ يتجرد المدرسون ميكانيكا لترويض حيوانات ناطقة على حساب التربية والتعليم والتثقيف دون اعتبار للمكسب والخسارة .

والخطر محدق من غير شك بالمجتمع أولا وأخيراً : ذلك بأن التعليم يجب أن يسير وفق «الروحانية» المرنة لا نحو « الآلية » الجامدة ، وأن يتوخى « الإيحاء » لا «التلقين» .

وإذ ننتهى إلى اللفة الإحصائية حسب المنهج الاستقرائى المتبع ، نرى أنفسنا مقيدين بروابط طبيعية هى «القوانين» الصارمة التى لا مناص من الاعتراف بهـا ، والعمل على تنفيذها فى ثقة واطمئنان ، وأمانة وتسليم .

ومن المحقق أن الآفاق التى تفترض القوانين أيا كان نوعها هى الأوضاع التى نشأ عنها المجتمع المتميز بخصائصه ومشحصاته جغرافيا واقتصاديا واجتماعيا مما لا يدع مجالا للشك فى أن كل تفرد بالرأى أو تقليد لنظام أو احتكار لسياسـة أو التحكم فى فرض ، تحت حماية السلطة القائمة المخولة لن يقدم شيئا فى مجال التعليم ، بل مصير ذلك خسارة فى الوقت ، وتقهقر إلى الوراء .

حقا إن مصر قد درجت منذ كانت على الاستقرار أو بحـكم أوضاعها ، ومع ذلك فهى بحاجة إلى الأناة فى استخلاص « الجوهر النفسى » من خاماتها التى تألفت منها وحدتها ، وصيغ كيانها على مر السنين وتوالى الأحكام ، وليس ما يمنع من الاقتباس ولـكن بكل حذر ، ومن غير ارتماء فى أحضان الأنظمة التى ترضى الثقافة الخاصة ، والهوى الشخصى .

ولن تعوزنا بعد ذلك سبل الاختيار وبرامج التنفيذ ، مادمنا نعترف بأننا أمة شرقية للفرعونية والاسلامية فى دمائنا كرات حمراء وبيضاء ، وللحضارة الحديثة فى حياتنا أصداء غير شلاء .

أن التفاهم على معالى الأمور من أشرف ما تتسم به الروح الديمقراطية إن لم يكن من أقدس الواجبات الوطنية التى تتعالى على الأهواء والأشخاص .

وعلى هذا السنن درج السلف الصالح من الملوك والمربين « وأمرهم شورى بينهم » وليس أدل على هذا من كتاب هارون الرشيد إلى على بن الحسن معلم ولده الأمين وفيه يقول « ولا تمعن فى مسامحة فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالغلظة والشدة » وهكذا كان الملوك شركاء للمعلمين فى تربية الأمراء . وهكذا يجب أن تتعاون جميع المصادر لوضع سياسة الاستقرار فى التعليم وإلا فالنتيجة اللازمة مجرد آراء وردود وتعليقات وتحزب وتعصب ، وتشكيك للرأى العام ، وضياع للاجيال القادمة بينما أهل العقد والنقد بمنأى عن الأمر الخطير .

محمد محمود زيتونه

صورة من الحياة :

قلب أب!

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

... وتبعتكم — يا صاحبي — بعبراتي ، وأنا إذ ذاك صبي مغلول اليد واللسان ، فرأيت أطفالا ثلاثة شردتهم القسوة ففزعوا عن دار أبيهم في ذلة وانكسار ، وقد هدهم الأسى وأضناهم الحزن وأرهقهم الجوع ، على حين قد سمت نفوسهم العالية عن الشكوى وتأبت نوازعهم الرفيعة على الضيم

وترفعت رجولة الطفل فيك عن أن تنفض أحزان قلبك بين يدى أي رجل من ذوى قرابتك، لأنك في نفسك فوق كل رجل قدرة ويساراً ، وأنفت من أن تتحدث بالحادثة الوضيعة لواحد من أهلك خشية أن تحطم كرامة أبيك أو أن تضع من كبريائه . فمشت ساعة من زمان تتخبط في تيه من الأفكار المضطرمة لا تهدأ ولا تهتدى ، ثم دفعك عقلك الصغير إلى العزبة التي خلفت لكم أمك ، وهي على خمسة أميال من القرية ، فانطلقت أليها — في صحبة أخويك — تغذ السير كأنما كنت تهرب من شبح مخيف يتقصص أثرك . . شبح القسوة التي حرمتك الطعام أحوج ما تكون إليه

اليوم صائف تتلهب وقدته ، ويتوهج أواره ، وتتضرم هواجره ، وأنت على الطريق لا تستشعر لذة الفيء ولا هدوء الراحة، تطوى السبيل في عزم وشجاعة ، يصيبك البهر والتعب فلا تنكص ولا تستسلم ، وهمتك تدفعك إلى الغاية ؛ وأنا أتبعك بعبراتي ؛ وأبوك هناك على السرير يغط في نومه ، يستجم من عناء ويستريح من نصب ، لا يحس شيئاً مما تجد أنت وأخواك

وبلغت العزبة ، غير أن الأقدام الصغيرة الناعمة كانت قد دمغها الطريق الوعر الطويل بعلامات ما تزال مرتسمة هناك تذكرك بهذا اليوم ... باليوم الأغبر

وهذا الوجه البض الرقيق كان قد زفرت عليه الهاجرة فصبغته بلون قرمزى يشهد بأن القسوة أخت القتل

وهذه الطفولة الغضة اللينة كانت قد تهالكت من أثر الجهد والعناء ، وتضعضعت من طول الضنا والنصب ؛ غير أنها استحالت عند نهاية الشرط إلى صلابة رجل شديد يصارع فيغلب ويناضل فيصبر .

وهبطتم العزبة التي تركت لكم أمكم لتأمر في صوت رقيق فيه رنات الطفولة ، ولكنك كنت تجهد أن تنفث فيه من صرامة الرجل وخشونته ، وأنت ما تزال صبياً لم تبلغ بعد سن الشباب

ورأى الفلاحون الذين غمرهم فيض أهلك ، ولبسوا ثوب النعمة من سخاء أبويك ... رأوا أبناء سيدهم يتكفأون من أثر الأين والضناء وعليهم سمات الأسى والضيق ، فنظروا ثم أطرقوا . وأطرق من بينهم شيخ كبير وهو يقول «لا حول ولا قوة إلا بالله» ثم تتابعت على خديه عبرات حرى لم يستطع أن يكفكفها ولم يستطع معها صبراً ، فطار إلى ناظر العزبة يخبره خبر الصبية الأثرياء الذين أرغموا على أن يقطعوا الأميال الطوال سيراً على القدم، والحر ينضج جلودهم ويؤذى عيونهم ويرهق جلدهم؛ الصبية الذين ذاقوا — على حين غفلة — مس الجوع والقسوة والتشرد

جاء ناظر العزبة مهرولا يخب في ثوبه الفضفاض ، واندفع نحو الصبية يربت على أكتافهم في رقة وحنان . ولا عجب فلقد كان هو — منذ زمان — طفلا نبذه أبوه فما يسبغ عليه بعض عطفه، ودعته زوجة أبيه عن الدار التي ولد فيها فما تفيض عليه بلقمة ترد من سغبه ومن ذلته . ولكنك — يا صاحبي — ترفعت عن أن تستشعر روح الطفولة في وقت الشدة ، فدفعته عنك في قوة فارتد وفي عينيه عبرات . ثم انتحيت ناحية تأمر بصوت أجش خشن « أنا الآن هنا سيد هذه العزبة ! » فقال الرجل « نعم ، يا سيدى ، ومن قبل » . ورحت تأمره وهو يحاول أن يستشف

جولة الخبر من بين ثنايا طفولتك التى لا تعرف المكر ولا الخداع ولكنك كتمت عنه الحديث خشية أن تحطم كرامة أبيك أو أن تضع من كبريائه

يا عجباً لهذه الرجولة الباكرة ! إن صفحة واحدة من صفحات القسوة الجافية قد خلقت منك - يا صاحبي - رجلا فى إهاب طفل

وأقبل الليل ، فانسلت - فى وحدتك - إلى خواطر هادئة لطيفة ، والأفكار الحلوة تداعب روحك لأنك تنسمت روح الحرية والراحة ، وبدا لك أنك نفضت عهد الإسار والخضوع ، عهد الحاجة والطلب ، عهد الطفولة المقيدة بأغلال الأبوة الظالمة ؛ وتراءى لك أنك أصبحت سيد هذه العزبة وسيد هذه الدار وسيد هذا القوم ، وأنك تأمر فيخضع الصغير وتنادى فيلبى الكبير ، وأن قلبك قد ملأته السيطرة وأن جيبك قد أفعمه المال. ولكن نفسك لم توسوس لك بأن تندفع فى شهوة وضيعة ، ولا أن تسعى إلى لذة تافهة ، ولا أن تنغمر فى نزق طائش، لأنك نشأت فى بيت فيه الدين والورع فانصرف قلبك عن الغواية وتحولت نوازعك عن المجون

وعشت ساعة فى خواطرك الجميلة الهادئة ثم غلبك النوم

يا للطفولة البريئة ! لقد نسى الصبى - حين شعر بالهدوء والراحة - أنه يعانى محنة ضخمة عاتية ، نزلت به على حين فجأة فأفزعته عن أبيه وعن أهله وعن داره فى وقت معاً. لقد نسى ما حواليه فاستقر فى طفولته البريئة الصافية يحلم ويبتسم

أما فى القرية فماذا كان هناك - يا صاحبى ؟

كادت أستار الليل تنسدل فتلف أرجاء القرية فى الظلام والسكون ، وأبوك فى شغل لم يجد فقدك ، ولم يحس وقع القسوة التى ضربك بها مندساعة. وأنى له أن يفعل وهو يراك لا تطمئن - أبداً - إلى الدار إلا حين يصيبك النصب والجهد من طول اللعب والجرى ، ثم هو قد أمر زوجته أن تمسح غلطته فترسل إليكم الطعام الذى رفعه من بين أيديكم ولكنها أبطأت وتراخت. انسدلت أستار الليل والدار خالية من عبثك خاوية من لهوك وضجتك ، فشعر أبوك بأنك لست هنا ، فأرسل من يفتش عنك فى أنحاء القرية وجلس هو إلى نفسه وقد تيقظ ضميره وتقلب قلبه ...

وترامى إلى خالتك أن أباك قد قسا عليكم قسوة أفزعتكم عن الدار ، وأن الدار قد لفظتكم إلى حيث لا يعلم إنسان

وصرخت خالتك من هول الخبر صرخة اهتزت لها أركان الدار ، ثم اندفعت إلى الشارع عارية الرأس حافية القدم وهى تصرخ صراخاً فيه الفزع والرعب ، صراخاً يتحدث عن أسى الأم فقدت بنيها الثلاثة دفعة واحدة . اندفعت السيدة الثرية التى لم يرها الشارع منذ أن كانت طفلة إلا من وراء حجاب ... اندفعت إلى الشارع عارية الرأس حافية القدم ، لم يستطع واحد من أهلها أن يردها عن الغاية التى تريد . ودخلت خالتك بيت أخيها - خالك - تفزعه بالنواح وتستحثه بالأسى ؛ وهو من بيت فيه السطوة والجاه ، وفيه السلطان والثراء ، وفيه القوة والشهامة وفيه الكرم والدين ...

وارتجت القرية كلها لما كان فانساب سيل من أهلك إلى داركم يستجلى الخبر وينحى باللائمة على أبيك الذى نسى أبوته ساعة من زمان ، على حين قد ضننت أنت بكرامته أن تخدش ، وصنت كبرياءه عن أن تتضع

ودخل خالك داركم وقد أربد وجهه واضطربت أعصابه وحبس الغضب لسانه ... دخل وهو يعجب مما سمع ، وفى رأيه أن أباك رجل عقل ودين لا ينحط أبداً إلى هذه الهاوية

دخل خالك الدار التى لم يدخلها منذ أن ماتت أخته الصغيرة العزيزة - أمك ، دخلها هائجاً يهدر ، فبدت له صورة أخته الصبية الشابة وهى تضطرب فى أرجاء الدار جميلة نشيطة جذابة ، فاستحال غضبه إلى حزن عميق يحز قلبه وخزوات قاصمة . ولكنها الآن تبدو فى خياله لكى تفزعه بالنواح وتستحثه بالأسى ؛ فاستشاط غيظاً وثورة

فماذا كان منه - يا صاحبى - وماذا كان من أبيك !

كامل محمود حبيب

صوم رمضـــان
بين العلم والأدب
للاستاذ ضياء الدخيلي

يقبل اليوم قراء (الرسالة) الغراء في أطراف العالم الاسلامي على شهر رمضان ويعانون فيه جهاد النفس بالصوم الذي هو من أركان الأسلام ودعائمه. فلنتحدث عنه وعما ترك في الأدب العربي من أثر. ولنستعرض ما قاله علماء الفسلجة والأطباء في أثر الصوم في الجسم . فما أحرانا أن نشارك القراء الكرام فيما هم فيه من حالة نفسية فنخوض غمار البيئة الروحية التي يعيشون فيها؛ ولنوا كب خطوات شهر رمضان في الأجيال الاسلامية وما قاله الأدباء فيه في شتى عصور الاسلام وما أثار في نفوس المتمردين على شريعته الأدبية وقيودها ولجمها ، وما بعث فيهم من ثورة عارمة على شهر تحرم فيه فيه اللذات الجسمية وتحدداذ ينجرف المجتمع الاسلامي في تيار سلسلة من العبادات حيث يتغلب التزمت والوقار على الخلاعة والاستهتار ؛ ثم لنتحدث عما تضمنه الصوم من التربية الاسلامية إذا روعى فيه تقوية الوازع النفسي وكف غارب الشهوات وتقييد الأهواء الجامحة إذ لا ريب أن تقيد المرء نفسه باتباع نظام معين واستطاعته في تنفيذ تصاميمه وتطبيق خططه لأمر فيه أسمى مظاهر الفضيلة ، فليس أغلب الرذائل التي تهوى في حمأتها النفوس إلا نتيجة جموح فيها فلا يجد المرء في طاقته كفاءة لكبح ثورتها وارجاعها إلى مأمنها فاذا تدرب المسلم في الصوم على إلجام النفس وردعها عن شهواتها فقد قطع شوطا بعيداً نحو المثل العليا وحلق عاليا عن مهاوى كثير من الجرائم التي يبعثها تسلط العاطفة على العقل وتغلب الشهوة المتمردة والرغبة الحمقاء . وقد سبق الاسلام إلى تشريع الصوم شرائع سماوية قويمة وذلك ما تقوله الاية الكريمة (يا أيها الذين آمنو كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم)

قال الطبرسي الشيخ أبو على الفضل بن الحسن من القرن السادس الهجرى في تفسيره (مجمع البيان) في تفسير هذه الآية أى فرض عليكم العبادة المعرفة في الشرع ككتابتها على من سبقكم وفيه أقوال أحدها أنه شبه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الأمم أى كتب عليكم صيام أيام كما كتب عليهم صيام أيام ، فليس فيه تشبيه عدد الصوم المفروض علينا ولا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم أووقته ، وهواختيارأبى مسلم والجبائى. وثانيها أنه فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان على النصارى، وكان يتفق ذلك في الحر الشديد والبرد الشديد فحولوه إلى الربيع وزادوا في عدده عن الشعبي والحسن. فالمراد بقوله الذين من قبلكم النصارى على قول الحسن والشعبى . وأهـل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرهما

وقال الشيخ نعمان افندى آلوسى زاده من وعاظ الأراك في كتابه (غالية المواعظ) في تفسيره الآية أى كما كتب على من سبقكم من الأنبياء عليهم السلام والأمم من لدن آدم عليه السلام إلى عهدكم . واختلف المفسرون في وجه التشبيه ماهو فقيل قدر الصوم ووقته ؛ فان الله تعالى كتب على اليهود والنصارى صوم رمضان فغيروا. وقيل وجوب مطلق الصوم .

وأقول إنه لا ريب أن في الصوم تربية صالحة للنفس وفيه تدريب لها على العفة والكف عما لا تبيحه الشريعة لأدبية ويأباه النظام المتبع وأن شهر رمضان من خير الأوقات للتعود على ضبط النفس ونمى به اعتدال الميل الى اللذائذ وخضوعه لحكم العقل وليس ذلك مقصوراً على اللذائذ الجسمية بل يشمل أيضا اللذات النفسية كالانفعالات والعواطف فلا يسمى الشخص ضابطا لنفسه إلا إذا اعتدل في لذاته الجسمية من طعام أو شراب واعتدل في انفعالاته النفسية فلم يغضب لأى دافع . وكثير من الرذائل يرجع سببه الى عدم المقدرة على ضبط النفس الذى يدعوه الانكليز Self, control ويجعلون له إلاهيته الكبرى في صلاح سيرة المرء وسلوكه . وقد اشترط في كمال الصوم مراعاة آدابه ومنها كف الأذى عن الناس وضبط العواطف وأن من الأمور التي تتردى في أوبائها إذا أصما ضبط النفس — الشراهة والدعارة والطمع والاسراف والغضب والسخط والثرثرة والأدمان على المسكرات والقمار وارتياد المراقص ومسارح الخلاعة والتهتك . والصوم إذا عود المرء على ضبط النفس أداه إلى فضيلة عالية تجعله سيدنفسه ورفعه .

أن يكون عبداً لشهواته تسيره كما تشاء وقد حض الصائم على نبذ السفاهة وكف الأذى عن عباد الله ومن ذلك قول الشاعر الاسلامي جابر

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون وفى بصرى غض وفى منطق صمت
فحظى من صومى هو الجوع والظما وان قلت أنى صمت يوما فما صمت

قال فى المنجد · تصون وتصاون من العيب حفظ نفسه منه فالشاعر يدعو كف كل الحواس عن كل ما تقوم به من جرائم . قال فى الغالية : واعلموا أن للصيام آدابا كثيرة فمنها أكل الحلال والافطار على الحلال ومنها كف الأذى عن الناس ومنها عدم سماع اللهو والغناء المحرم وعدم سماع القصص المحرمة فى الأماكن المذمومة وترك الكذب والغيبة والنميمة وغض النظر عن المحرمات وقد قال النبى (ص) من حسن أسلام المرء تركه مالا يعنيه ونقل الشيخ نعمان الألوسى فى (غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ) والشيخ شهاب الدين احمد الأبشهى فى (المستطرف فى كل فن مستظرف) أنه قيل الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص: فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية .

وجاء فى تفسير الآية الكريمة من سورة البقرة (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر . وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) قال الأردبيلى فى (زبدة البيان) يعنى أوجب الله وكتب أيها المؤمنون الصوم عليكم مثل كتابته على الذين من قبلكم ، فما مصدرية ولعل التشبيه فى أصل الصوم أو العدد والوقت أيضاً لكن غير كما فى التفاسير — لحصول التقوى لكم به عن سائر المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة كما فى الحديث من لم يطق الباه فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء : قال الطريحى فى مجمع البحرين الوجاء بالكسر ممدود هو رض عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيها بالخصاء وقيل هو رض الخصيتين شبه الصوم به لأنه يكسر الشهوة كالوجاء ، والفضخ هو كسر الشيء الأجوف : روى ما تقدم فى الكشاف للزمخشرى وفى تفسير البيضاوى وقال الأردبيلى وان فى الصوم التغلب على القوة الغضبية وما يتبعها من الشرور إذ يحصل للنفس انكسار وعدم الميل وفقدان القوة والعزوف عما يضر .ووجه ذكر وجوب الصوم على الأمم السابقة تسلية المؤمنين بهذا التكليف الشاق على النفس لأنه مناف لمشتهاها فيحاول توطين النفس على فعله وحسن قبوله. وقوله تعالى فمن كان مريضاً ظاهره مطلق المرض كما نقل عن البعض فى الكشاف للزمخشرى لكنه خصه بعض الفقهاء بمرض يضره الصوم كما تقتضى المناسبة العقلية وما يفهم من قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) قال الزمخشرى فى الكشاف وقيل هو المرض الذى يعسر معه الصوم ويزيد فيه ، ونقل عن الشافعى أن المريض لا يفطر حتى يجهده الصوم الجهد غير المحتمل . وقال الطبرسى فى (مجمع البيان فى تفسير القرآن) سأل هشام بن الحكم أبا عبد الله الصادق عن علة الصيام فقال إنما فرض الصيام ليستوى به الغنى والفقير، وذلك لأن الغنى لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير، فأراد الله سبحانه أن يذيق الغنى من الجوع ليرق على الضعيف ويرحم الجائع . قال الطبرسى والصوم فى اللغة الأمساك ومنه يقال للصمت صوم لأنه امساك عن الكلام، قال ابن دريد كل شيء سكنت حركته فقد صام صوماً ، قال النابغة :

خيل صيام وأخرى غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

أى قيام، وصامت الريح أى ركدت وقال الألوسى فى الغالية الصوم فى اللغة مطلق الأمساك ومنه الآية الكريمة حكاية عن مريم العذراء أنى نذرت للرحمن صوماً أى صمتا وسكوتا عن الكلام كراهة لمجادلة السفهاء، ويقال أيضا صامت الريح أى أمسكت عن الهبوب وصامت الفرس أى أمسكت عن العدو والركض ومنه قول

النابغة المتقدم . وقال الطريحي في مجمع البحرين قوله تعالى (انى نذرت للرحمن صوماً) أى صمتا ، عن ابن عباس وعن ابى عبيدة كل ممسك عن طعام أو كلام فهو صائم . وقال الفيروز بادى فى القاموس صام صوماً وصياماً أمسك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير فهو صائم وصومان وصوم جمعه صوام وصيام وصوم وصيم صيم وصيام وصيامى .

قال الطبرسى ان قوله تعالى فمن كان مريضاً الخ : فيه دلالة على ان المسافر والمريض يجب عليهما الأفطار لانه سبحانه أوجب القضاء ومن قدر فى الآية (فأفطر) فقد خالف الظاهر وقد ذهب إلى وجوب الأفطار فى السفر جماعة من الصحابة كعمر بن الخطاب (رض) وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف وابى هريرة وعروة بن الزبير ، وهو المروى عن الائمة فقد روى ان عمر بن الخطاب امر رجلا صام فى السفر ان يعيد صومه وروى يوسف بن الحكم قال : سألت ابن عمر عن الصوم فى السفر فقال أرأيت لو تصدقت على رجل صدقة فردها عليك ألا تغضب ؟ فانها صدقة من الله تصدق بها عليكم .

ولقد اتخذ كثير من رجال الأسلام الصوم والجوع واسطة لتهذيب النفس وقمع شهواتها .

فمن كلام لأمير الامنين الأمام على (ع) يصف العارف أنه (قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لا مع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الأبواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه فى قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه) وقد قال فى شرحه ابن أبى الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ هـ انه عليه السلام يصف العارف يقول قد أحيا قلبه بمعرفة الحق سبحانه وأمات نفسه بالمجاهدة ورياضة القوة البدنية بالجوع والعطش والسهر والصبر على مشاق السفر والسياحة حتى دق جليله أى حتى نحل بدنه الكثيف ولطف غليظه أى تلطفت أخلاقه وصفت نفسه فان كدر النفس فى الاكثر انما يكون من كدر الجسد والبطنة كما قيل تذهب الفطنة .

وقد رأيت الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه (الأشارات) فى الفلسفة وقد درسته فى النجف الأشرف - يدعو إلى رياضة النفس وقمع شهواتها توصلا بذلك إلى رقيها ورفعها إلى مستوى العارفين .

وقال إبراهيم بن أدهم ان ينال الرجل درجة الصالحين حتى يغلق عن نفسه باب النعمة ويفتح عليه باب الشدة ، وقال أبو على الروذبارى إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالكسب . فتراه يطلب من الصوفى الصبر على الصوم الطويل وجاء فى الحديث ان فاطمة جاءت إلى رسول الله (ص) بكسرة خبز فقال ما هذه؟ قالت قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك منه بهذه الكثرة فأكلها وقال أما انها لأول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث . قال ابن أبى الحديد وكان يقال ينابيع الحكمة من الجوع وكسر عادية النفس بالمجاهده . وقال يحيى بن معاذ لو أن الجوع يباع فى السوق لما كان ينبغى لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره

وقال سهل بن عبد الله لما خلق الله الدنيا جعل فى الشبع المعصية والجهل وجعل فى الجوع الطاعة والحكمة :

وقال يحيى بن معاذ الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين تكرمة .

للكلام بقية **ضياء الدخيلى**

دراسات أدبية

موقف النقاد من الشعر الجاهلي

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

بقية ما نشر فى العدد الماضى

وفى القرن الثالث أيضا كثرت مؤلفات النقاد فى الشعر والشعراء ؛ وكتاب ابن سلام « طبقات الشعر » مشهور وهو أول عمل أدبى منظم فى النقد ، وقد قسم الجاهليين عشر طبقات وأضاف إليهم شعراء المراثى وشعراء المدن العربية ، ووضع فى الطبقة الأولى امرأ القيس وزهيراً والأعشى والنابغة ؛ ولم يسبقه إلى هذا التقسيم الفنى للشعراء الجاهليين وطبقاتهم الأدبية إلا أبو عبيدة الذى قسم الجاهليين ثلاث طبقات ووضع فى الأولى امرأ القيس والنابغة وزهيراً ، وفى الثانية الأعشى وطرفة ولبيداً . ويذكر ابن سلام فى طبقاته الشعراء الاسلاميين ويقسمهم طبقات عشرا أيضا ولا يذكر أحدا من الشعراء المحدثين ؛ بعكس ابن قتيبة الذى ألف كتابه « الشعر والشعراء » وذكر فيه الكثير من الشعراء المحدثين الذين عاشوا قبيل منتصف القرن الثالث ؛ وهذا يدل على أن ابن قتيبة كان أكثر تقديرا للشعر الجيد وحده بصرف النظر عن قائله وزمنه . وهذا يذكرنا بجمع المفضل وأبى زيد الانصارى للشعر العربى ؛ فقد جمع المفضل فى كتابه مختارات للشعراء الجاهليين وللقليل جداً من الشعراء المخضرمين . أما أبو زيد الأنصارى ففى كتابه الجمهرة مختارات للجاهليين والمخضرمين والاسلاميين . ثم ألف ابن المعتز أيضا كتابا فى طبقات الشعراء المحدثين طبع أوربا ويسير فيه على نهج ابن قتيبة من حيث ذكر الشاعر وحياته ومذهبه الفنى فى شعره ونماذج من مختارات شعره ، وأول ترجمة له فى الكتاب هى ترجمة بشار م ١٦٧ هـ ، وأقصى شاعر ترجم له ابن المعتز هو : الناشئ م ٢٩٣ هـ ومحمد الشيرازى الذى يقول فيه المؤلف : وهو اليوم شاعر زماننا ، وجميع التراجم التى يحتوى عليها الكتاب والتى تبلغ أكثر من ١٣٠ ترجمة هى لشعراء عاشوا بين هذين التاريخين ، وهو أوفى كتاب فى دراسة طبقة بشار وطبقة أبى نواس وطبقة أبى تمام والبحترى

٧ — والقرن الرابع الهجرى كان أحفل قرن بالنقد والنقاد ، وظهرت فيه أصول كتب النقد الأدبى مثل : نقد الشعر لقدامة م ٣٣٧ هـ ، وأخبار أبى تمام للصولى م ٣٣٦ هـ ، والموازنة للآمدى م ٣٧١ هـ ، واعجاز القرآن للباقلانى م ٤٠٥ هـ ، والوساطة للجرجانى م ٣٩٢ هـ ؛ كما ظهر فى القرن الخامس : ابن رشيق م ٤٥٦ صاحب العمدة ، وابن سنان الخفاجى م ٤٦٦ هـ صاحب سر الفصاحة ، وكتاب الأسرار والدلائل لعبد القاهر الجرجانى م ٤٧١ هـ

وكان النقاد فى هذين القرنين يسيرون على نهج الجاحظ ، فلم يتعصبوا للشعر الجاهلى لتقدم زمنه ، ولم يميلوا على المحدثين لتأخر عصرهم ؛ بل حكموا الذوق وحده فى كل شىء ؛ حتى لقد وقفوا معددين لأخطاء الجاهليين ، كما فعل الآمدى والجرجانى وابن رشيق وسواهم ، قال الآمدى فى كتابه الموازنة (١) : « وما رأينا أحدا من شعراء الجاهلية سلم من الطعن ولا من أخذ الرواة عليه الغلط والعيب » ؛ وقال صاحب الوساطة فى أول كتابه : « ودونك هذه الدواوين الجاهلية والأسلامية ، فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أبيات لا يمكن لعائب القدح فيه إما فى لفظه ونظمه أو ترتيبه وتقسيمه أو معناه ، أو إعرابه ، ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام والحجة لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة ومردودة منفية ؛ لكن هذا الظن الجميل ، والاعتقاد الحسن ستر عليهم ، ونفى الظنة عنهم ، فذهبت الخواطر فى الذب عنهم كل مذهب ، وقامت فى الاحتجاج لهم كل مقام (٢) » ، ولو (٣) تصفحت

---

(١) ١٨ الموازنة ط بيروت (٢) ص ٣ و ٤ وساطه ط صبيح
(٣) ص ٧ المرجله

تصفحت ما تكلفه النحويون لهم من الاحتجاج ، وتبينت ما راموه فى ذلك من المرامى البعيدة ، وارتكبوا لأجله من المراكب الصعبة ، التى يشهد القلب أن المحرك لها والباعث عليها شدة إعظام المتقدم ، والكلف بنصرة ما سبق إليه الاعتقاد وألفته النفس » ؛ وأزرى الآمدى والجرجانى بموقف بعض النقاد المتعصبين على المحدثين[1] كالأصمعي الذى أنشده إسحاق الموصلي :

هل إلى نظرة إليك سبيل فيروى الصدى ويشفى الغليل
إن ما قل منك يكثر عندى وكثير ممن تحب القليل

فقال : لمن تنشدنى ؟ فقال : لبعض الأعراب ، فقال : هذا والله هو الديباج الخسروانى ، فقال اسحاق : إنهما لليلتهما . فقال الأصمعى : لاجرم والله أن أثر الصنعة والتكلف بين عليهما ؛ وكان الأعرابى الذى [2] أنشده بعض الناس شعرا وهو لا يعرف قائله فأعجب به إعجابا شديدا وكتبه فلما علم أنه لأبى نواس أنكره

ونقد الباقلانى فى إعجاز القرآن قصيدة امرىء القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

نقدا طويلا ، وهو أول نقد أدبى مفصل لقصيدة من الشعر العربى

٨ — وفى العصور الوسطى ضعفت الملكات وعقمت الأذواق وتعصب العلماء والأدباء للشعر القديم لقدمه ، فكانوا يحيطون الشعر الجاهلى بهالة من التقديس والجلالة ولا يردن أحداً أحسن مثل إحسان الجاهليين ولا أجاد إجادتهم ، ورأوهم معصومين من الخطأ والعيب والنقد ، واستمر هـذا المذهب سائدا حتى العصر الحديث

٩ — وفى العصر الحديث تفاوتت ثقافات الأدباء والنقاد ، فوقف أولو الثقافات العربية الخالصة موقف الأعجاب والتقدير البعيد للشعر الجاهلى ، وهب جماعة من أولى الثقافات الأوربية يطعنون على الشعر الجاهلى ويرمونه حينا بالضعف والتفكك ، وحينا بأنه منتحل مختلق . ومن الحق أن بعض نقد هؤلاء كان عادلا منصفا ، وأما الكثير منه فكان مغالى فيه

عاب العقاد على الشعر الجاهلى أنه لا يصلح أن يكون نموذجا يقتدى به فى النظم لأنه فى الغالب أبيات مبعثرة تجمعها قافية واحدة يخرج فيها الشاعر من المعنى ثم يعود إليه ثم يخرج منه على غير وتيرة معروفة ولا ترتيب مقبول، وأن فيه غير التفكك وضعف الصياغة كثيرا من العيوب العروضية والتكرير الساذج والاقتسار المكروه والتجوز المعيب الذى يؤخذ من روايته أن الشعر لم يكن فنا استقل بصناعه الخبيرون به ، وإنما كان ضربا من الكلام يقوله كل قائل ويروى المحكم منه وغير المحكم على السواء [3] ؛ فنراه يعيبه بما يلى

١ — ضعف وحدة القصيدة ، ونحن فى الرد على هذه الفكرة نكتفى بهاتين الكلمتين : قال نولدكه المستشرق الهولندى المشهور ، « وفى أحوال كثيرة يحتفظ الشاعر الجاهلى بوحدة الفكرة فى قصيدته بأن يجعل كل قسم من أقسامها خاصا بوصف مناظر وحوادث من حياة الشاعر نفسه أو الحياة العامة التى يحياها البدوى فى الصحراء ؛ وقال جميل صدقى الزهاوى الشاعر المجدد : « وهناك شىء يستحبه الذين تشبعت أدمغتهم بالأدب الغربى ، هو وجوب أن تكون القصيدة الواحدة خاصة بفكرة واحدة ، أو وصفا لشىء واحد ، من غير خروج إلى غير الموضوع ، ولو كان فى فصل منعزل عن الأول ، وهذا ليس من الشعر فى أصله ، بل هو تابع للأذواق ولطريقة الشاعر فى شعره ، ولا ينوع الشاعر المبرز فى العربية الموضوع فى كل قصيدة ، فكثيرا ما يحصر شعره فى القصيدة الواحدة فى موضوع واحد ، وإذا نوع الموضوع فهو يخرج إلى الثانى بمناسبة وبعد فصله عن الأول ، مريدا بذلك أن تكون قصيدته كالروضة الغناء محتوية على مختلف الأزهار ، وهذا أقرب إلى الطبيعة ، وليس فيه مايؤخذ عليه غير كونه ينافى مايفعله شعراء الغرب ، ولكل أمة سياق ونزعة ليست لأختها ، وأعتقد أن الكتاب الذين يزرون بشعر شعرائنا على الاطلاق لو أتيح لهم أن يكونوا شعراء لما خرجوا كثيرا عن النهج الذى يمشى عليه المبرزون من هؤلاء ، والسبب هو ما قدمته من اختلاف ألوان الشعور عندنا عن ألوانه عند الغربيين ، من جهة وقيد القافية وإعرابها عندنا وفقدانه عندهم من جهة أخرى ، وقد هم كثير من الشعراء المتضلعين من العلوم العصرية بتقليد الغرب فى شعره ، فلم يكن ما أتوا به غربيا ولا شرقيا ، ولم يوفقوا

---

(١) ١٠ الموازنة ، ٥٠ وساطة (٣) ٢٨٩ — ١ زهر الآداب

(١) مراجعات العقاد .

(٢) من مقال له نشر بالسياسة الأسبوعية عام ١٩٢٧ .

إلا فى ألوان من الشعور هى مشتركة بين الأمم جميعها. ومهما عرد الشاعر الكبير على الأساليب والتصورات فى أمته فهو لا يستطيع أن يطفر مرة واحدة إلى تصورات وأساليب تخالف ما ألفه شعبه فيقطع الوشائج القوية التى تربط الحال بالماضى .

٢ — ويعيب النقاد الشعر الجاهلى ثانيا بأنه لم يكن فنا استقل به صناعه الخبيرون به ، وذلك لا يسير مع الحقيقة والواقع ، فشعراء المعلقات ومذاهبهم الفنية فى الشعر معروفة . ويقول الدكتور طه حسين بك فى كتابه الأدب الجاهلى (١) : وأما مضر فكان لها فى الجاهلية شعراء يتخذون الشعر فنا يمثلون به نهضة فنية عقلية فى هذا الأقليم من جزيرة العرب .

٣ — ويعيبه ثالثا بهلهلة صياغته وما فيه من عيوب عروضية وتكرير ساذج وتجوز معيب . وفى هذا مغالاة

وكانت ثورة النقد الكبرى بين الدكتور طه حسين بك وبعض النقاد والباحثين حول الشعر الجاهلى ذات صدى بعيد فى دراسات الشعر الجاهلى . ويؤيد الدكتور هذا الانتحال بأدلة كثيرة : فضلا عن أنه لا يمثل اللغة الجاهلية نفسها لاختلاف اللغة الحميرية عن اللغة العدنانية الفصحى مع أنهم لم يكونوا يتكلمون بها ولم يتخذوها لغة أدبية لهم قبل الاسلام مما يدل على انتحال هذا الشعر على هؤلاء القحطانيين ، فوق أن الشعر الجاهلى لا يصور اختلاف اللهجات العدنانية التى لا شك فيه .

ويبنى الدكتور على انتحال الشعر الجاهلى رفضه الشعر المنسوب إلى شعراء من اليمن ، لأن لليمن لغة تخالف لغة قريش وهجرة اليمنيين إلى الشمال مشكوك فيها أولا ، وليس كل الشعراء هاجروا من اليمن ، ثانيا ، وشعراء المدينة ليسوا يمنيين بل هم مضريون ، ويرى أنه ليس لليمن فى الجاهلية شعراء . أما ربيعة من عدنان وكانت تسكن فى الشمال فيرى الدكتور أن شعرها دون شعر المضريين لأنها لم تكن تتكلم لغة قريش وأما مضر فكان لها شعراء يتخذون الشعر فنا . ثم درس بعض أعلام الشعراء الجاهليين على ضوء نظريته فى انتحال الشعر ، ووضع مقاييس لتمييز المنحول من الشعر الجاهلى ، وجعل الشعر أصلا فى مضر ثم انتقل منها إلى ربيعة فاليمن فالى الموالى ، وبذلك يعكس نظرية انتقال الشعر الجاهلى فى القبائل ، وهى نظرية معروفة ذهب إليها علماء الأدب المتقدمون .

وهذه الآراء والتعليق عليها موضوع بحث آخر ودراسة جديدة إن شاء الله . وقد ذكرت فى كتابى « الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى » كثيرا من المناقشة الأدبية للفكرة نفسها بتفصيل .

ويلى هذا البحث بحث آخر مكمل له عنوانه « دفاع عن الشعر الجاهلى » نرجو أن يكون فيه مزيد من الشرح والتحليل والنقد لموقف النقاد فى الشعر الجاهلى وبالله التوفيق .

محمد عبد المنعم خفاجى
مدرس فى كلية اللغة العربية

(١) وما بعدها

أسامة ابن منقذ وشعره

للاستاذ أحمد أحمد بدوى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

— ٥ —

يصور لنا شعر أسامة صلته بأبيه وإخوته : بهاء الدولة منقذ ، ونجم الدولة محمد ، وعز الدولة ، وشمس الدولة عبد الرحمن ابن أخيه محمد — قوية وثيقة ، يضمر لأبيه الحب وخالص الاجلال ، ويمنى أكبر ما يمنى بأن يكون راضيا عن خطواته وأهدافه . كتب إلى أبيه يستأذنه فى فراق شيزر بعد أن ساءت حياته فيها قصيدة طويلة منها :

فاسمح ببعدى عنهم برضاك لى   إن الذى ترضى عليه موفق

حتى إذا آثر أسامة البعد ، كتب إلى أبيه قصائد يتشوق فيها إليه ، ويحدثه عن آماله فى لقائه والحياة معه ، حتى إذا سمع أسامة أن تغيرا عليه ألم بقلب والده ، بعث إليه يستعطفه ويسترضيه ، ومن ذلك قوله :

مالى ، وللشفعاء فيما أرتجى   من حسن رأيك فى ، وهو شفيعى
أعذبت لى من جود كفك موردى   فصفا وأمرع من نداك ربيعى
وبك اعتليت ، وطلت من ساميته   فخرا بجدك ، لا بحسن صنيعى
وقضى ببعدى عنك دهر جائر   وإلى جنابك إن سلمت رجوعى

وكتب مرة إليه من مغتربه قصيدة منها :

بى لوعتان عليك يضعف عنهما   جلدى من الأشواق والأشفاق

فالشوق أنت به العليم . وغالب الاشفاق مما أنت فى ملاق وقد أثرت هذه القصيدة فى نفس والده ، فكتب إليه :

أتظن أنى بعد بعدك باق   أجزى عن الأشواق بالأشواق
أأبا المظفر دعوة تشفى الظما   منى ، وإن أضحى بها إحراق
لم أستكن أبدا لخطب نازل   إلا لبعدك ، فهو غير مطاق
فاذا أطاعت الوجد فيك أطاعنى   قلبى ، ويبدى إن عصيت — شقاقى
فاذا ذكرتك خلت أنى شارب   عل سقاه من المدامة ساق

ولعل والده رأى هذه القصيدة غير مبينة عما يضمره قلبه لولده ، من لاعج الشوق ، فقام أحد مؤدبى أسامة بنظم قصيدة أرسلها إليه ، يصف فيها حال هذا الوالد المعذب .

ولما شتت إخوته فى البلاد ، كانت رسائله إليهم تفيض بالحب وشكوى الفراق ، فاذا عتب عليه أحدهم ، تقبل عتبه بالمتبى ، وصادق الحب والمودة . وحدث أن أخاه محمدا أسره الفرنج ، وهو راحل من مصر ، عقب حركة عباس وابنه نصر فلم يمنعه ما كان بينه وبين ابن عمه بشيزر من صلة مقطوعة ، أن يكتب إليه مستعينا به على فك أسر أخيه ، مبديا أرق ألوان الاستعطاف ، إذ يقول من قصيدة :

أنا ابن عمك ، فاجعلنى بفك أخى   من أسره ، لك عبدا ، مامشت قدمى

ولكن ابن عمه لم يتأثر بالشعر ، ولم يسع فى فكاك أخيه .

أما صلته بعمه حاكم شيزر وابن عمه ، فظهر أنه حاول جاهدا الابقاء على الصلة التى تربط بهما ، وبذل فى سبيل ذلك ما استطاع أن يبذل من عنت ومشقة . ولعل خير ما يصور موقفه فى تلك الفترة قوله :

وما أشكو تلون أهل ودى   ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ، ويئست منهم   فما أرجوهم فيمن رجوت
إذا أدمت قوارصهم فؤادى   كظمت على أذاهم ، وانطويت
ورحت عليهم طلق المحيا   كأنى ما سمعت ، ولا رأيت
تجنوا لى ذنوبا ما جنتها   يداى ، ولا أمرت ، ولا نهيت
ولا والله ، ما أضمرت غدرا   كما قد أظهروه ، ولا نويت
ويوم الحشر موعدنا ، وتبدو   صحيفة ما جنوه وما جنيت

وبعد وفاة عمه حاول أسامة أن يصلح ما بينه وبين ابن عمه ، وأن يعطفه عليه ، ويلين قلبه ، ولكن يبدو أن هذا الجهد لم يؤت ثمرته ، فظلت النفرة بين أسامة وأهله ، حتى مضى زلزال « شيزر » بهم ، فبكاهم أسامة كما ذكرنا ، وكل هذا يدلنا على

ما امتازت به نفس أسامة من حب يضمره لأقاربه ، ورغبة خالصة فى أن يعيش بينهم بظلهم جميعا الود والوئام ، لو استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولا ذنب عليه إذا هو أخفق فى جهد كان جديرا به أن ينجح ، وأكاد ألمس فى شعره أنه لم يسع يوما إلى فصم عروة مودة بينه وبين قريب أو صديق .

— ٦ —

ومن أكبر هؤلاء الذين اتصل بهم أسامة الملك الصالح طلائع بن رزيك ، ودار بين الاثنين كثير من المراسلات التى تفصح عن ود مكين بين قلبيهما ، وإعجاب كل بصاحبه أكبر الإعجاب ، فضت قصائد الصالح إلى أسامة تدعوه إلى مصر حينا ، وتعتب عليه إيثاره البعد عنها حينا آخر ، وتأخذ عليه أحيانا أنه مقل فى رسائله ، لا يوالى بعث كتبه ، وكثيرا ما حدثه الصالح عما قام به من حروب مع الفرنج ، ويطلب منه أن يكون وسيلته إلى نور الدين ، كى يجتمعا معا على حرب الصليبيين ، وقد شارك الصالح أسامة فيما نزل به من أحداث قاسية فى حياته ، وكان الصالح معجبا بمواهب أسامة فى الحرب والسلم ، يرى فيه محاربا شجاعا ، وشاعرا مفلقا ، وخطيبا بارعا . وحكيما فى إبداء الرأى صائبا ، يقول له :

وجهاد العدو بالفعل والقو   ل على كل مسلم مكتوب
ولك الرتبة العلية فى الأمرين   مذ كنت إذ تشب حروب
أنت فيها الشجاع مالك فى الطعن   ولا فى الضراب يوما ضريب
وإذا ما حضرت فالشاعر المفلق   فيما تقوله والخطيب
وإذا ما أشرت فالحزم لا ينكر   أن التدبير منك مصيب
لك رأى منقذ إن ضعف الرأى   على حاملى الصليب صليب

وهو لذلك يراه خير من يحمل عبء الرسالة إلى نور الدين ، يحرضه على أن يجتمعا معا على حرب الصليبيين فى وقت واحد ، حتى تتشتت وحدتهم ، ولا يستطيعوا الحرب فى جهتين ، وذلك كان رأى الملك الصالح . يجهز الاثنان جيشيهما ، ويسيران معا فى وقت واحد إلى أرض العدو ، طلب من أسامة أن يبلغ ذلك الرأى إلى نور الدين إذ قال له :

فانهض الآن مسرعا ، فبأمثا   لك مازال يدرك المطلوب
والق عنا رسالة عند نور الدين   مافى إلقائها ما يريب
قصدنا أن يكون منا ومنكم   أجل فى مسيرنا مضروب
فلدينا من العساكر ماضا   ق بأدناهم الفضاء الرحيب
وعلينا أن يستهل على الشام   مكان الغيوث ، مال صبيب

فهو يمد هنا بالجيوش والمال ، ويرى أن اجتماعهما معا على حرب العدو كفيل بأن يلقى بهم فى البحر ، أرسل رسالة إلى أسامة ، يقول فيها :

فلو ان نور الدين يحمل   فعلنا فيهم مثالا
ويسير الأجناد جهرا ،   كى ننازلهم نزالا
وبقى لنا ولأهل دو   لته بما قد كان قالا
لرأيت للافرنج طرا   فى معاقلها اعتقالا
وتجهزوا للسير نحـ   و الغرب أوقصدوا الشمالا

وقام أسامة بدوره من تحريض نور الدين على الغزو والاجتماع على رأى الملك الصالح ، فكتب إليه أسامة يقول :

بلغ العبد فى النيابة والتحـ   ريض ، وهو القوه المقبول
فرأى من عزيمة الغزو ما كا   دت له الأرض والجبال تميل

وكان رأى أسامة كرأى الصالح فى الاجتماع ، ووحدة الكلمة ، ومضى الملكين معا إلى الحرب ، وقصائده إلى الملك الصالح تحث على هذا التضامن والاتفاق ، ولكن ذلك لم يخرج عن حد الأمانى ، ولو أنه نفذ يومئذ فربما كان قد تغير مجرى التاريخ .

كانت رسائل الملك الصالح إلى أسامة كثيرا ما تصف له مانزل بالقدس من محن على أيدى الصليبيين ، وما اتصف به هؤلاء من الغدر الذى لا يحول بينهم وبينه هدنة تعقد ، ولا عقد يبرم ، وكثيرا ما تحدثت هذه الرسائل عن وقائع الصالح فى الفرنج ، وغزواته لهم .

ومضت قصائد أسامة تحمل الثناء على الملك الصالح ، وتشكر أياديه ، وكان الصالح يبره ، ويرسل إليه خيره ، ولم يكن أسامة

يجد غضاضة فى سؤال الصالح ولا الشكوى إليه ، كتب إليه مرة يقول :

أشكو زمانا قضى بالجور فى ، ولم يزل يجور على مثلى ويعتسف
لحت نوائبه عودى ، وأنفد مو جودى،وشتت شملى وهو مؤتلف
وقد دعوتك مظلوما ومرتجيا وفى يديك الغنى والعدل والخلف

ومن شكر أسامة له قوله :

والندى طبعك الكريم ، فما أه نى نوالا تنيله وتثيب
جاءنى والبعاد دونى كأجا بت فيافى البلاد ريح هبوب
وعجيب أن المواهب تسرى ويقيم المسترفد الموهوب

— ٧ —

ومدح أسامة غير الصالح معين الدين أنر ، حاكم دمشق ، عندما كان فى كنفه ، وبعدأن فارقه ، وجاءإلى مصر ؛ يثنى عليه بالجود الذى تعبده ، فيقول :

معين الدين ، كم لك طوق من بجيدى مثل أطواق الحمام

وحينا يثنى عليه ببلائه فى حرب الصليبيين ، وانتصاره عليهم فيقول له :

أنت سيف الاسلام حقا فلافل غراريك أيها السيف دهر
بك زاد الاسلام ياسيفه الخ ذم عزا ، وذل شرك وكفر

ومدح الوزير الأفضل عباس بن أبى الفتوح وزير الظافر ، وابنه نصرا على نعمه ، وما أولاه من الفضل والكرامة ، وفى ديوانه قصيدة لا أدرى لمن وجهها ، مدح فيها بتشجيع العلوم وتوطيد أركان العلوم ، أما رأيه فى نور الدين محمود :

فهو الحامى عن بلاد الشـ ام أجمع أن تذالا
ومبيد أملاك الفر نـج وجمعهم حالا فحالا
ملك يتيه الدهر والد نيا بدولته اختيالا
فإذا بدا للناظريـ ـن رأت عيونهم الكمالا

لكنه أخذ عليه شدة زهده ، وحمله الناس على الزهد ، حتى لقد أشبهت أيامه شهر الصوم فى طهارتها وامتلائها بالجوع والعطش ، وأسامة بهذا يدل على رغبة قوية فى أن يستمتع بالمباهج الطيبة للحياة .

ومدح أسامة كذلك صلاح الدين ، ذاكرا أفضله عليه وعلى الاسلام .

— ٨ —

كان أسامة شديد الاعتزاز بنفسه فى ميادين القتال ، شديد الاعتزاز بأسرته ، شديد الثقة بصبره ، وثباته وتجربته ، وكان ذلك كله ينبوع فخره فى شعره ، فمما قاله مفتخرا بشجاعته :

لخمس عشرة نازلت الكماة إلى أن شبت فيها،وخير الخيل ماقرحا
أخوضها كشهاب القذف مبتسما طلق المحيا، ووجه الموت قد كلحا
بصارم من رآه فى قتام وغى أفرى به الهام ظن البرق قد لمحا

أغدو لنار الوغى فى الحرب إن خمدت
بالبيض فى البيض والهامات مقتدحا
فسل كماة الوغى عنى ، لتعلم كم
كرب كشفت ، وكم ضيق بى انفسحا

وهو يعلم أن مكانته فى السلم رهينة بما يبديه فى الحرب من بسالة وإقدام :

إن يحسدوا فى السلم منز لتى من العز المنيف
فيما أمين النفس فى يوم الوغى بين الصفوف
فلطالما أقدمت إذ دام الحتوف على الحتوف
بعزيمة أمضى على حد السيوف من السيوف

وفى كثير من شعره افتخر بصبره على المكاره ، وأحداث الزمان .

(للكلام صلة) **أحمد أحمد بدوى**

مدرس بكلية دار العلوم

الأسس الجغرافية والتاريخية للوحدة اللوبية

للاستاذ مصطفى عبدالله بعيو

« تتمة »

على أن موجة الفتح العربى هذه التى ربطت بين الأجزاء الثلاثة سرعان ما تلتها موجات أخرى عربية كان لها أثر كبير فى تدعيم هذه الوحدة الجنسية . ومع ما لإقليم فزان من موقع جانبى بالنسبة لموجات القبائل العربية فى طريقها إلى الغرب إلا أن الملاحظ أن الدم العربى يسود القبائل الفزانية . ولا شك أن هذا الأثر لم يصل إلى فزان مباشرة إلا عن طريق طرابلس كبقية المؤثرات السابقة التى أتت من الشمال ومن أظهرها وصول المسيحية إلى فزان فى العهد الرومانى .

وكان من أهم الموجات العربية التى أثرت فى لوبيا هجرة بنى هلال وبنى سليم وقد أراد بعض الكتاب أن يتخذوا من استيطان معظم قبائل بنى سليم فى برقة وغالبية بنى هلال فى طرابلس وتونس مدعاة لاثبات اختلاف التكوين الجنسى لكل من الاقليمين؛ ولكن فاتهم أن هذه القبائل جميعها عربية وإن اختلفت فى التسمية، ولهذا يستبعد اختلاف تأثيرها خصوصاً وأنها تتحد فى الأصل القبلى ، اذ المعروف ان بنى سليم وبنى هلال يتحدون فى الأصل بانتمائهم إلى مضر من بادية نجد . ولو كان بنو سليم من عرب الشمال وبنو هلال من عرب الجنوب لكان من الممكن إلتماس الأسباب لهذا الزعم ولكنهم جميعاً من أصل وموطن متحد.

على أن هذه الموجات العربية التى أتت من الشرق وربطت بين أجزاء البلاد سرعان ما تبعتها موجات أخرى أتت من الغرب وزادت فى قوة هـذه الرابطة الدموية فمن المعتقد أنه بعد اختفاء المجتمع الاغريقى الرومانى بعد الفتح العربى كانت مدينة (برنيق) المعروفة الآن ببنغازى غير مسكونة حتى القرن الخامس عشر الميلادى عندما عادت الحياة إليها من جديد بواسطة المهاجرين من جماعات التجار من مدن الساحل الطرابلسى ومن بينهم أولئك الذين أتوا من مسراطة وقد زاد عددهم على مر الأيام حتى أصبحنا نرى أخيراً فى مدينة بنغازى شوارع تحمل أسماء قرى معروفة فى مدينة مسراطة فهذا شارع (جزير) وذلك شارع (قصر أحمد) وهكذا وكلها أسماء لقرى ما زالت عامرة بأهلها فى مسراطة قد نزح بعض أفرادها إلى بنغازى واستوطنوا حتى أصبح المعروف بين البادية أن كلمة (مسراتى) معناها ذلك الذى يسكن بنغازى . وربما تكون لغــة الأرقام أكثر توضيحاً لارتباط عائلات مدن برقة بأصولها فى مدن طرابلس إذا عرفنا أن قرية واحدة من قرى مسراته متوسطة فى عددها لها علاقات عائلية بستة وسبعين شخصا من أفرادها المقيمين فى برقة والذين يتولون بدورهم الاشراف على عائلاتهم الخاصة . وهذه درنة كذلك قد زاد عدد سكانها باقامة التجار الآتين إليها من المدن الساحلية فى طرابلس . وإذا عرفنا أن أهالى مدينــة درنة ثانية مدن برقة أهمية ينقسمون إلى (تواجير) نسبة إلى تاجوراء وإلى (مسارنه) نسبة إلى مسراته وإلى (ظليتنية) نسبة إلى ظليتن وإلى (قول اوغلية) نسبة إلى أبناء القرى الانكشارية أدركنا النسبة العالية التى ساهمت بها بعض مدن ساحل طرابلس فى تكوين سكان درنة . وبهذا الشكل فيما يختص ببقية مدن برقة كتوكرة والمرج وطبرق وغيرها . وما زال هؤلاء النازحون على اتصال باهلهم وذويهم فى المدن الساحلية الطرابلسية والعكس بالعكس . وانا أن نتصور مدى الصعوبة الاقتصادية والعلاقات العائلية التى يلاقيها سكان البلاد لو تحققت نظرية فصل الاقليمين عن بعضهما .

هذا من ناحية العلاقة البشرية أما إذا درسنا جغرافية البلاد الاقتصادية فاننا نلاحظ أن البلاد تصاب بأعوام الجفاف من سنة لأخرى فتتعرض حياة البلاد للمجاعة كما تتعرض الثروة الحيوانية للهلاك ولكن الملاحظ أيضا أن سنوات الجفاف إذا حلت فهى فى الغالب لا تشمل كل البلاد بشقيها فاذا قلت

الأمطار فى طرابلس كان مستواها فوق المتوسط أو متوسطاً فى برقة والعكس بالعكس . وبمراجعة المجاعات التاريخية التى حدثت فى البلاد ندر أن تـكون قد عمت البلاد جميعها وهذا مما يخفف من حدة الأزمة ويجعل البلاد تمر منهـــا بسلام كما حدث فى سنة ١٩٣٦ (المعروف بعام بنغازى عند الطرابلسيين) عندما بعث أهالى طرابلس بحيواناتهم إلى برقة ، وكما حدث فى سنة ١٩٤٦ عندما اعتمد أهالى طرابلس إلى حد كبير على شعير برقة . وهذا أيضا ما نلاحظه فى هذه السنة فقد نشرت مجلة Sunday ghibay الصادرة بطرابلس الغرب فى عددها (١٢١) بتاريخ ٩ أبريل سنة ١٩٥٠ أن قبائل برقة التى على الحدود الغربية أخذت تنتقل بحيواناتها إلى طرابلس نظراً لسوء موسم الأمطار هذه السنة فى برقة .

ونحن إذا درسنا الجغرافية الاقتصـادية للاجزاء الثلاثة لوجدنا مثلا فزان تعتمد إلى حد كبير على شعير طرابلس كما أن موانى طرابلس هى المنفذ الطبيعى لإمداد أهالى فزان بما يحتاجون إليه وتصـدير ما يستغنون عنه أو ما يجلبونه من السودان إذ أن أقرب الموانى إلى فزان هى موانى طرابلس الغرب بعكس ما لو اتجه أهالى فزان إلى موانى تونس أو الجزائر كما هى الحـال الآن .

هـذا والانتاج المحلى لـكل من طرابلس وبرقة يجد له سوقا متبادلة يخفف من ارتفاع أسعار الحركة التجارية وارهاق السكان مما لو استوردت مثل هذه الأشياء من الخارج .

وعلى أى حال فان اقتصاديات البلاد كوحدة مجتمعة يمـكنها أن تـكفى البلاد إلى حد كبير . ولاعبرة بما كانت تطلبه البلاد من معونة خارجية فى العهد الايطالى نظراً لمـا حل بالبلاد من انهاك عام بسبب الحروب والهجرة ولنا فى هذه الاحصائية البسيطة مدى ما انتاب البلاد ومدى ما يمكن أن تصل إليه ثروة البلاد مع شىء من العناية .

الثروة الحيوانية لبرقة سنة ١٩١٠ أى قبيل الاحتلال الايطالى		الثروة الحيوانية لبرقة سنة ١٩٣٣ أثناء الاحتلال الايطالى	
٧١٣ر٠٠٠	راس غنم	٩٨ر٠٠	راس غنم
٥٤٦ر٣٠٠	راس ماعز	٢٥ر٠٠٠	رأس ماعز
٠٨٣ر٣٠٠	جمل	٠٢ر٦٠٠	جمل
٠٢٣ر٦٠٠	بقرة	٠٨ر٧٠٠	بقرة
٠٢٧ر٠٠٠	حصان	٠١ر٠٠٠	حصان

ولنرجع مرة أخرى للتاريخ القديم لنرى مدى عـلاقة طرابلس بفزان ؛ فنحن نعرف أن الفينيقيين قد أتوا سـاحل طرابلس وأقاموا المدن الثلاث ؛ ولا شك أن وجود هذه المدن الثلاث وقيامها لم يأت عفواً بل لعوامل الجغرافية هى التى ساعدت على قيامها لدرجة تجعلنا نعتقد أن قيام هذه المدن كان لا بد أن يحدث سواء أتى الفينيقيون إلى طرابلس أم لم يأتوا ؛ لأن عوامل قيامها متوفرة وإن شاءت الظروف أن يحدث ذلك على يد الفينيقيين . هذه العوامل الجغرافية التى ساعدت على قيامها كان أهمها الطرق التجارية التى تربط هذه الأماكن بفزان ومنها إلى إقليم السودان . فصبراته مثلا تقوم فى نهاية طريق تجارى إلى الجنوب يمر بغدامس وطرابلس تقوم عند نهاية طريق تجـارى قديم إلى الجنوب يمر إما عن طريق ترهونه وإما عن طريق غريان . ولقد كانت هذه الطرق التجارية خير رابط بين فزان وطرابلس وموحد بين هذين الاقليمين منذ العصور القديمة . وإذا كانت تجـارة القوافل قد قلت أهميتها فى الأعوام الأخيرة فما ذلك إلا لتغلغل الاستعمار الأوربى وفصله بين فزان والسودان ، وفى فصل فزان عن طرابلس القضـاء النهائى على بقايا هذه التجارة وهدم ركن هام فى حياة البلاد الاقتصادية . وكان الأولى التفـكير فى ضم اقليم تمبكتو الى فزان حتى تنتعش تجارة القوافل بعد كسادها مؤقتاً لا العمل على بتر فزان من طرابلس ، إذ أن الجيوش الفرنسية قد دخلت فزان للتحرير كما دخلت جنود الحلفاء فرنسا نفسها بعد انهيارها أمام الغزو الأجنبى .

وإذا كانت واحة الـكفرة على رغم موقعها المنعزل ورغم قلة أهمية تجارة القوافل التى تمر بها بالنسبة لـما هو كائن بفزان وبرغم ظروف الحرب الأخيرة فإن الأستاذ bell (١) يذكر لنا فى

١ — الجزء التاسع من سلسلة

كتيبه الذى ألفه أخيراً عن واحة الكفرة أن عدد القوافل التى مرت بها سنة ١٩٤٣ كان ٧٥ قافلة كان عدد جمالها ٢٢٥٠ جملا فماذا يكون الحال فى فزان إذا أحكمت الصلة بينه وبين موانى الشمال وضم إليه تبكتو الملاصق للسودان ؟

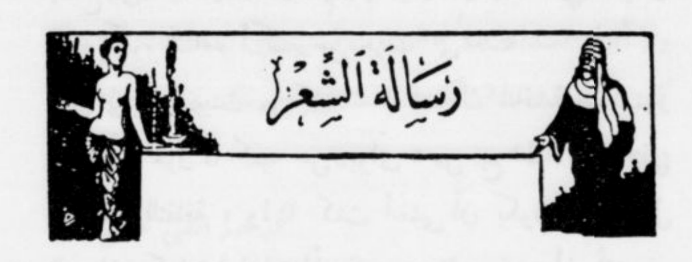
على أن هذه الصلة المتينة التى ربطت بين طرابلس وفزان قد أدركت منذ القدم ، ولم يدركها الفينيقيون وحدهم ،فبعد أن بسط الرومان سيادتهم على طرابلس اقتنعوا بصعوبة اخضاع هذا الجزء ما لم يتم الاستيلاء على فزان ؛ فنرى كورنليوس بالبوس فى عهد اغسطس يتولى قيادة حملة هامة لاخضاع فزان . وكم كانت فرحة أهل روما عظيمة عندما عاد إليهم بالبوس منتصراً بعد أن وصل إلى مدينة جرمة عاصمة فزان فى ذلك الوقت. وكان الرومان يكررون إرسال هذه الحملات من وقت لآخر لضمان بقاء فزان حتى يضمنوا بقاءهم فى طرابلس كما حدث فى عهد الأمبراطور تيبروس عندما ذهب القائد فستس (Fesius) على رأس حملة حربية بدأت سيرها من لبرة إلى (بونجيم) فهون ففزان . ولم يتوان الرومان عن إرسال الحملات إلى فزان حتى ضمنوا خضوعه لهم فأمنوا على طرابلس من الجنوب كما اتخذوا منه قاعدة للوصول إلى أواسط افريقية .

لا شك أن هذه العوامل الجغرافية قد بينت لنا مدى ضرورة هذه الوحدة كما اننا إذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا العصور الذهبية لتاريخ البلاد قد تمثلت لنا عندما كانت موحدة أو أقرب إلى الوحدة . نرى ذلك فى السنوات المتقدمة من الفتح العربى، ونرى ذلك أيام حركة أبى الخطاب الاباضى التى لو قدر لحركته أن تستمر لتمت الوحدة على يديه على أتم ما يكون . ونرى ذلك أخيراً فى العهد القره مانلى . ولولا وحدة هذه البلاد واستغلال مرافقها مجتمعة ما استطاع أحمد باشا القره مانلى أن يؤسس دولة كان لها من القوة ما ارعب الدول فى حوض البحر الأبيض وما استطاع ابناؤه من بعده أن يسيروا على هذه السياسة ويرفعوا شأن لوبيا .

ولا شك أن البلاد بأجزائها الثلاثة تعانى أزمة خطيرة بسبب قلة السكان وهذه القلة لا تسمح بهذا التقسيم بل تنادى بضرورة التكتل والجمع بين هذه القلة المشطورة .ونحن نعرف من ابسط دروس التربية الوطنية التى تعلمناها فى المدارس أن من شروط قيام أى دولة هو وفرة السكان بشكل كاف حتى يمكن الحصول منهم على الدخل الذى يكفيها ويمكنها من ادارة شئون الأهالى . وحتى يمكن اختيار من يصلح لادارة شئونها إذ كلما كثر العدد زادت صلاحية الاختيار وقلت مصاريف إدارة هذه الدولة والعكس بالعكس .

وإذا كانت هناك بعض الفروق الجغرافية البسيطة بين أجزاء البلاد الثلاثة فهذه أشياء لا بد منها ولا تخلو منها أى بلاد وهذا الاختلاف البسيط ضرورى لحيويتها . وإن لم يوجد لعمل الأهالى على ايجاده لكى يضمنوا بقاء البلاد وحيويتها. على أن هذه الفروق الجغرافية البسيطة مهما عظمت فلن تبلغ ما نراه من فروق جغرافية واضحة بين شمال ايطاليا وجنوبها من حيث الجنس والحياة والعادات والحرف والمناخ وطبيعة التربة . ويكفى أن الايطاليين أنفسهم يشعرون بذلك ويتحدثون به . وكذلك إذا درسنا جغرافية فرنسا فهى فى جنوبها تختلف عن شمالها الغربى وتختلف عن شرقيها من حيث المناخ والسكان؛ فبينما الجزء الجنوبى يتمتع بمناخ البحر الأبيض وسكانه من جنس البحر الأبيض نجد الجزء الشمالى الغربى ممطر طول العام وسكانه من الجنس النوردى ذى القامة الطويلة. وكذلك نجد الجزء الشرقى ينتمى إلى اقليم وسط أوروبا كما ينتمى سكانه إلى الجنس الالبى . أما بريطانيا فيكفى أن تعرف أنها تضم انجلترا واسكتلندا وويلز . ومع كل هذا لم ينكر أحد وحدة هذه البلاد مع أن الفروق الجغرافية التى تسودها كفيلة بتمزيقها والقضاء على وحدتها . فهذه ويلز بموقعها الجغرافى المتفرق وطبيعة سطحها الجبلى وسكانها الذين يمثلون أقدم الأجناس الذين نزحوا إلى الجزر البريطانية وعقيدتهم الدينية الخاصة وشهرتهم بالمحافظة عليها ولغتهم الخاصة بهم التى دفعت الحكومة البريطانية لتدريسها فى مدارس ويلز وتخصيص برنامج خاص بها للاذاعة المحلية . وان كل هذا مما نراه من وحدة الجنس واللغة والدين والعادات والتقاليد والآمال التى تربط بين لوبيا بأجزائها الثلاث . لا شك أن العدل والانصاف يتطلبان المحافظة على هذه الوحدة وتدعيمها ولنا فيما قررته هيئة الأمم المتحدة أخيراً ما يحقق تنفيذها

مصطفى عبد الله بعيو
خريج جامعة فاروق ومعهد التربية العالى
بالزاوية بطرابلس الغرب



شوك ولهيب ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

كتبت لشاعرها تقول :

« أيها النغم الهارب من وتر الآلهة ، الهاجع فى آفاق الخيال . كيف هى لياليك فى بغداد أما ليالى فى باريس فقلب جريح ودمع سكوب وسهاد طويل .. عاد الربيع ليبعث النشوة ويلهم الخاطر ويجدد الحياة ويحرك الجماد ولكننى وأنا فى سجنى لا أحس إلا بمعانى الخريف فليت ربيع دجلة يحرك قيثارتك فتسمعنى ولو من بعيد أغاريد الطيور فى الخميل النشوان »

فأجابها بهذا اللحن الشاحب الكئيب

يا (هنائى) أنا كالليل سجين الأمنيات
كلفاً بالوهم أقتات بصـاب الذكريات
وأغنى للأمانى السود أشجى أغنياتى
عجباً إذ تسأليني عن مصيرى وحياتى
أوما تنبئيك أشعارى وفى شعرى ذاتى
يا حياتى صرت من بعدك أصبو لمماتى
وتمنيت رمادى لو تقـاضى جمراتى
وتمنيت لو ان الصحو يعنو للسبات
يا (هنائى) يا تراتيلى ويا شجو صلاتى
يومك البسام فى « باريس » ينمى أمسياتى

يا (هنائى) لم أعد بعدك أهفو للسرور
لم أعد أحفل بعد اليوم بالروض النضير
ليت زهرى وعطرى واختلاجات العبير
ولتبدد عاصفات البين أكمام زهورى
ولتحطم بسياط النار أكواب خمورى
وليخلد ما وعى النسيان ألحان الطيور
ألتلى همسات الطير فى أذن الغدير
أم لأجلى جمع الطل على لحن الخرير
يا غدى يا أملا يزهو على كر الدهور
ما مصيرى إن تولى الموت تدبير مصيرى

مذ ركبت البحر نحو «السين» أدمتنى الخطوب
وتولانى ذهول — لست أدريه — عجيب
فملى عينى قطوب وعلى وجهى شحوب
وبكفى ارتعـاش ... وبجنبى لهيب
لم تمد — يا صفو أيامى — أمانى تطيب
نئت بالأوهام والأوهام شـوك ولهيب
وإذا بى بين أحلامى وآمالى غريب
كنت لى يا جنة الأشواق فجراً لا يغيب
وسـلاماً باركت زهر أمانيه قلوب
ونعيما رجعت أصداءه السكرى طيوب

يا « هنائى » أنا والليل كلانا توءمان
وكلانا مرمدى الحزن مفجوع الأمانى
وكلانا فى مدى الأزمان شؤبوب أغانى
وكلانا حـلم طاف بأوهام الزمان
وكلانا لوعة خرساء أوبث دخان
وكلانا موجة أفنى صـداها الشاطئان

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

حول مشكلة النقد والنقاد

... ...

حياك الله وحيى أدبك الرفيع وبعد

كان سرورى بعودتك إلى تعقيباتك الفطنة الواعية فى « الرسالة » الغالية سرور المنصف بعودة الحق إلى نصابه ... ولم يحملنى تعريجك على ديوانى الجديد « من نبع الحياه » أن أنقص من فرحتى ذرة واحدة بعودتك إلى عشك الأليف فى « الرساله » لأن الحق عندى لا يتأثر بما قد يثار من غبار .

ولقد كان تعقيبك على مشكلة النقد والنقاد ، وتعرضك لنقد الدكتور الأهوانى لديوانى الجديد مسألة من حق الأهوانى أن يدافع عن نفسه فيها ، فله قلم وفيه بيان ، ولست أدعي الحرص على مركزه كناقد أكثر من حرصه على نفسه

على أننى تبينت من كلمتك استعدادك لمناقشة الدكتور الأهوانى حول ما كتبه عن ديوانى « من نبع الحياة » فى مجلتى الرسالة والثقافة ، ولما كنت أخشى أن يكون حكمك على الديوان حكما « غيابيا » لأنه فاتنى — تقصيرا — أن أتشرف باهدائه اليك ... فانه يسعدنى أن أقدم الديوان بين يديك ، راجيا أن يتيح لك من صدق النقد وإخلاص التوجيه ما أعده ضروريا للكمال الفنى .

وإنى على ثقة أن مثلك فى حسه الفنى الأصيل لخليق أن يرحب الكتاب والشعراء بنقده ، وأن يلتمسوا بعينه البصيرة مالم يقع لعيونهم فى ساعات التلقية والالهام .

ولا أزيدك علما يا أخى بأننى فى كتابى « بين السطور » كنت أتوخى الحق دائما فيما تعرضت له من نقد أساتذة أجلاء وأصدقاء أعزاء ، ولكن الحق شيء والصداقة شيء آخر . وآفة النقد عندنا — على وجه العموم — أننا نميل مع الزمام لأحدهما على صاحبه .

وكلانا كالغد المجهول مجروح الجنان (١)
وكلانا كاحتضار النور أو لمح ثوان
وكلانا فى ضمير الغد أصداء المعان
يا هنائى أنا والليل كلانا توءمان

أنت فى « باريس » يطويك سلام أبدى
ويوافيك كأحلامى صبح عبقرى
وببغداد رهين القيد ملتاع شقى
أبداً يشجيك من أوتاره شعر شجى
هو لو تدرين والقيد بكفيه أبى
وهو لو تدرين قلب بأمانيه سخى
أنت عطر سكرت من فوحه الدنيا ذكى
وربيع حافل بالطيب مسحور شهى

إيه يا فاتنتى والحب لغز سرمدى
حفلت دنياك بالرى ولى قلب ظمى

يا ربيعى أنا مالى إن تجافانى الربيع
ملء كفى من الأحلام شوك ودموع
وجراحات وتسهيد وشجو ونجوع
يا ربيعاً لم تعد تدرك معناه الجموع
أنت فى قلبى وإن كان على الأرض الصقيع
أنت فى شعرى وفى ثغرى أغاريد تضوع
لست كالناس متى هاموا تولاهم ولوع
أنا لا أبكى إذا غابت شموس وشموع
لا ولا أشكو إذا لم يك فى الناس سميع
أنا إن آن خضوعاً فلمغناك الخضوع

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصرى

---

(١) الجنان بالفتح القلب

فكن كما أعهدك ، الناقد الذى يفرق بين الحق والمجاملة . ولا أقول الصداقة ، لأن الظروف لم تسعدنى بصداقتك ... وإن كانت صلاتنا الفكرية تجمعنا فى إخاء تالد . والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد عبد الغنى حسن

نشكر للاستاذ محمد عبد الغنى حسن جميل رأيه ونبيل عاطفته وكريم تقديره . ونبادر فنقول له : إننا حين عرضنا لمشكلة النقد والنقاد فى عدد مضى من الرساله ، لم تكن نهدف إلا إلى : أن نقف إلى جانب الحق ولو أغضب الحق بعض الناس ، وأخرجهم من صفوف الأصدقاء ودفعهم إلى معسكر الخصوم . . هذا الحق الذى وقفنا إلى جانبه عماده الحرص البالغ على أن تظل القيم منزهة عن الهوى مبرأة من الأغراض ، وجوهره الدعوة الخالصة إلى أن يبتعد بعض الناس عن كل مجال لا يحسنون التعرض له ولا يجيدون الحديث فيه !

ودعوتنا إلى تقرير هذا الحق ليست وليدة اليوم حين طالعنا كلمة نقدية عن ديوان الأستاذ الفاضل ، وإنما هى وليدة الأمس المسجل على صفحات الرسالة منذ عامين ، هناك حيث وردت فى مقالنا عن « عناصر الشخصية الأدبية » هذه الكلمات .. « ... ومن عناصر الشخصية الأدبية أن يعرف الكاتب أين يضع مواهبه فلا يدفع بها إلى ميدان لم تخلق له ، وأين يركز ملكاته فلا يوجهها التوجيه المقيم الذى لا ينتج ولا يثمر . عندئذ يجدى التركيز حيث لا يجدى التشتيت ، ويغنى الجهد الذى يبذل فى مكانه عن الجهد الذى يبذل فى غير مكانه ... هذا الناثر الذى يعالج نظم الشعر فيخفق ، وهذا الشاعر الذى يحاول كتابة القصة فلا يوفق ، وهذا القصاص الذى ينحرف بريشته إلى النقد الادبى فلا يخرج بشىء ، كل هؤلاء ينقصهم هذا العنصر الخطير من عناصر الشخصية الأدبية ، ونعنى به عنصر الدراسة الخاصة لقيم المواهب والملكات » .

قلنا هذا بالأمس ثم عدنا اليوم فأدرنا الحديث حول معناه وما زلنا نصر على أن بعض الناس — ومنهم الدكتور الأهوانى يقحمون أنفسهم فى ميدان النقد وهم بعيدون عما ينبغى له من وسائل ، ويكرهون أقلامهم على وزن الشعر وهم مفتقرون إلى اكتمال الأداة ! هذا الحق الذى نقرره بالنسبة إلى الدكتور الاهوانى قد سبقتنا إليه « الرسالة » منذ عامين على وجه التحديد يوم أن تعرض الدكتور لنقد كتاب من كتب الأستاذ تيمور وهو كتاب « أبو الهول يطير » ، ولقد عقبت « الرسالة » على نقده بهذه الكلمات : « آفة النقد عندنا الترديد والتقليد ، فالدكتور الأهوانى يردد نغمة قديمة لم يبق لها فى الآذان رجع ! كان النقاد يأخذون على أسلوب الأستاذ تيمور فى نتاجه الأول أنه أقرب إلى العامية فى ألفاظه وتراكيبه ، فانتقش هذا الرأى فى أذهان الناس ، وصرفهم الكسل العقلى عن استئناف النظر فيه بالموازنة والنقد ، فلم يلاحظوا تطور أسلوب الكاتب على إدمان الجهد وكر السنين ، من الابتذال إلى السمو ، ومن السهولة إلى الجزالة ، فيما كتب بعد ذلك من مقالات وقصص . ومن أثر هذا الجمود العقلى أن الناس قد اعتقدوا فى كل كاتب من كتابنا وزعيم من زعمائنا رأيا لا يتحولون عنه ولا يغيرون منه . فلو كان عندنا نقد يجارى التطور ، ولنا رأى يساير النهوض ، لحكمنا على الكاتب بآخر مايقول ، وعلى الزعيم بآخر ما يعمل . ويظهر أن الاستاذ الناقد يخلط بين السهولة والابتذال ، فان السهولة من الصفات الجوهرية للبلاغه ، ولا يعيبها على الكاتب إلا جلف بالطبع أو متقعر بالصنعة » .

هذا ما عقبت به « الرسالة » على طريقة الدكتور الأهوانى فى النقد ، ولعل الاستاذ عبد الغنى حسن يوافقنا على أن هذه الكلمة الموجزة تغنينا وتغنيه عن كل تفسير وتعقيب . . أما نحن فنوافق الأستاذ الفاضل على قوله بأن تعرضنا لنقد الدكتور الاهوانى مسألة من حقه أن يدافع فيها عن نفسه ، هذا حق ومازلنا على استعداد لمناقشة الدكتور فيما كتب ، وبيننا وبينه كما قلنا موازين النقد وديوان « من نبع الحياه » . ولعله لا يركن إلى الصمت المطبق طلبا للسلامة وإيثارا للعافية .

ولقد تفضل الاستاذ عبد الغنى حسن فأهدى الينا ديوانه الجديد خشية أن يكون حكمنا على الديوان « غيابيا » كما يقول ألا يشمر الأستاذ « الشاعر » أنه قد اندفع بعض الشىء فأفلت

منه زمام التعبير ؟ إننا يا أخي لسنا من هذا الطراز من النقاد ، أولئك الذين يحملون أقلامهم لينقدوا كتابا ولم يقرأوا منه إلا فصلا أو فصلين ، أو ديوانا ولم يقفوا فيه إلا عند قصيدة أو قصيدتين .. لسنا من أولئك ، وإنما نحن — في غير مازهو ولا استعلاء — أصحاب النقد الذي يعرف القواعد والأصول على خير ماتعرف القواعد والأصول . ولا بأس من أن نصفح عن هذه الزلة القلمية ، نصفح عنهـــا مادام رائدها خلوص النية وسلامة القصد ، وهذا ما يؤكده صدق الشعور في كثير من السطور .

ألا فليطمئن الأستاذ عبد الغني حسن إلى أننا أمناء على الحق حرصاء على القيم أوفياء للكرامة العقلية . . وكل هذه الأمور ستكون هي المنهج الذي نسير عليه ولا منهج سواه ، هذا إذا قدر للدكتور الأهواني أن يناقشنا فيما أخذناه عليه من شطحات . ولن نتعرض لديوان الأستاذ بنقد أو تحليل إلا إذا أقنع صاحبه بأن يدافع عن نفسه ، وما أكثر ما ينتظره في الطريق الوعر من عقبات !

بقيت اشارة الأستاذ الفاضل إلى كتابه « بين السطور » وما جاء بها عن طريقته في نقد الأساتذة والأصدقاء ، وهي الطريقة التي تؤمن بالوفاء للامانة القلمية قبل الوفاء للملاقة الشخصية . نحب أن نؤكد للاستاذ عبد الغني حسن وتشهد ندوة الرسالة منذ أسابيع — أننا كنا أول المعجبين بمسلكه هـذا في النقد الأدبي ، يوم أن طالعنا له فصلا من فصوله النقدية في مجلة الثقافة عن آخر كتاب أصدره الدكتور الاهواني ... لقد كان قاسيا كل القسوة على صديقه حتى لقد نعت الكتاب بأنه لا نفع فيه ولا غناء ! هذا المسلك الرائع في معاملة الأصدقاء قد دفعنا إلى الاشادة به في ندوة الرسالة أمام أناس كان من بينهم الدكتور الإهواني .. ولسنا ندري لم نسي الدكتور « الناقد » ذلك الذي قلناه في تلك الليلة تعقيبا على نقد الأستاذ عبد الغني حسن لكتابه وقد كان توجيها له بأن يسير في نفس الطريق ! لقد صدق الأستاذ حين قال : إن الحق شيء والصداقة شيء آخر ، وإن آفة النقد عندنا — على وجه العموم — أننا نميل مع الزمام لأحدهما على صاحبه .

حول ذكرى الموسيقار باخ

«سمع بضع مئات من الناس أول أمس في كاتدرائية ستراسبورج قطعا من موسيقى جون سباستيان باخ، أثناء الإحتفال بمرور مائتي عام على وفاة ذلك الفنان الخالد .

وقد أضيء برج الكنيسة بالأنوار وزينت جدرانها بقطع ثمينة من السجاد، واشترك في عزف الموسيقى عدد كبير من فناني فرنسا واركسترا راديو ستراسبورج . وكان هذا الاجتماع حفل الافتتاح بذكرى باخ . ويطول الاحتفال بها أسبوعين كاملين »!

هذا هو الخبر الذي نقلته إلينا « الأهرام » منذ أيام ... وهو خبر لو رحت تحصي عدد كلماته ، لوجدتها تقل عن الخمسين! ومع ذلك ، فأنت لا تستطيع أن تحصي أصداءه في حنايا النفس ، ولا ظلاله في ثنايا الحس ، ولا معانيه في أعماق الفكر ، ولا رواسبه في قرار الشعور !

أسبوعان ينفقان في تخليد ذكرى ... ذكرى انقضاء مائتي عام على وفاة فنان . إن القوم هناك لا ينسون الفن، ولا يجحدون الفضل ، ولا يشغلون عن التهجد في محراب الذكريات ... كل أيامهم وفاء ، وكل غاياتهم مثل ، وكل آثارهم خلود . وهكذا تجد « باخ » حيا في الضمائر ، ماثلا في الخواطر ، نابضا في القلوب ... ولو انقضى على وفاته قرنان من الزمان !!

نظرة إلى هنا ... ونظرة إلى هناك . وقارن بيننا وبينهم ... بين الذهول والوعي ، بين الخمول والخلود ، بين الوفاء والجحود ، بين القبح والجمال ، بين الموت والحياة ! ترى هل تجد وجها للمقارنة ؟ لا نظن .. ولكنه الشيء يذكرنا بنقيضه كلما خطر في البال شرق وغرب .. شرق ينسى الذاهبين من أصحاب الفن بعد شهور ، وغرب لا يريد أن ينساهم ولو مرت قرون !

أتذكر يوم حدثناك عن تخليد الأمريكيين لمرجريت ميتشل ، تلك الفنانة المبدعة التي ظفرت بالخلود لأنها قدمت إلى العالم قصتها الوحيدة الفريدة « ذهب مع الريح » . . ؟ لقد كان التقدير للكاتبة العظيمة مظهر من مظاهر الكرامة العقلية في الولايات المتحدة ؛ تلك التي يقال عنها إن دوي الالات فيها قد طغى على صوت الفن ، وإن ضجيج المادة قد أخمد سبحات

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

عودة السفير الأدبي

عاد إلى مصر من أوربا معالى الدكتور طه حسين بك وزير المعارف ، يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضى ، بعد الرحلة الثقافية التى مر فيها بروما وباريس وفلورنسا ، وفى كل من هذه البلاد كان سفيرا أدبيا لمصر ، أدى لها خدمات عملية ورفع رأسها فى المحيط الثقافى الخارجي ، وليس كل ما أداه فى هذا العام جديدا ، فقد اعتاد كل صيف أن يرحل إلى البلاد الأوربية رحلات ، ليست كلها استمتاعا وتفريج عناء ، فهو لا يخلص من مراد نفسه الكبيرة أينما توجه ، والجديد فى هذا العام هو الأعراض الرسمية التى كان أظهرها رياسته لوفد مصر فى مؤتمر اليونسكو بفلورنسا ، وقد اعتدنا منذ أنشئت اليونسكو، أن نكون جزءاً من مؤتمراتها ، نصنع فيها ما يصنع سائر الأعضاء ، يتحدث ممثلونا كما يتحدث ممثلو سائر البلاد ، تكتب بيانات وتلقى خطب وتوزع منشورات ثم يسدل الستار على المؤتمر المنقضى ويظل مسدولا حتى يرفع عن الممثلين فى المؤتمر التالى ، ولكننا فى هذا العام كان ممثلنا طه حسين ، الذى سخر من بعض أمر اليونسكو ، وحاول أن يرد هذه الهيئة إلى أغراضها وما يليق بها ، فنفى النعاس والتثاؤب عن الأعضاء ، ولم يغادر مكانه هناك ليعود إلى أرض الوطن إلا وقد ترك فى جنبات المؤتمر ، الذى لا يزال منعقدا ، أصداء من الروح .. أما فى فرنسا وغيرها من البلاد الأوربية ، فحسبك أن تعلم أنه ما من أديب كبير أو فنان معروف إلا وله تمثال يذكرك به فى ميدان من الميادين ، أو شارع قد أطلق عليه اسمه ، أو دار قد حولت إلى متحف ينتسب اليه .. وما أكثر وسائل التخليد الأخرى التى تقوم بها الهيئات والحكومات

عندهم هذا كله.. وعندنا الأدباء والفنانون يتضورون من الجوع ويضجون من الغبن ، ويصرخون من الإهمال وهم أحياء ، فاذا ماتوا.. ! اكتفينا فى احياء ذكراهم بحفلة تأبين تقام ، ودمعة رثاء تذرف ، وكلمة أسف تكتب ثم ينسى كل شيء بعد حين !!

قصيدة الشاعر للاستاذ يوسف حداد

قلت لنفسى بعد أن فرغت من قراءة القصيدة المنشورة فى العدد الماضى من الرسالة : هذا شعر .. وعندما نقول إن قصيدة الأستاذ يوسف حداد شعر ، فانما نعنى تلك الومضات النادرة « من الأداء النفسى » الذى شرحنا لك بالأمس القريب أصوله وقواعده . ولا نريد بهذه الكلمه أن نطبق مذهب الاداء النفسى على قصيدة الاستاذ حداد ، ولكننا نريد أن نقدم اليه أخلص التهنئة وأصدق الاعجاب ، على الرغم من بعض المآخذ التى لم تخل منها قصيدته المحلقة .

إن جناح هذا الشاعر ليعيد فى رأينا من الأجنحة النفيسة فى أفق الشعر العربى الحديث .. ومن عجب أن هذه القصيدة التى نشرتها الرسالة هى أول أثر فنى نطالعه للاستاذ حداد، وأعجب من هذا أننا لا نعرف فى أى قطر من أقطار العروبة يصدح بشعره : أهو من لبنان أم من سورية أم من العراق ... أم تراه من شعراء المهجر ؟ سؤال لم نعثر له على جواب ، لأن قصيدته المنشورة لم تشر إلى موطنه حيث يقيم !

إننا نشعر بكثير من الأسف لأننا لم نقرأ شعرا آخر للاستاذ حداد من قبل ، ونشعر أيضا بكثير من الحرج حين يدور فى خلدنا أن بعض القراء قد يعرفونه حق المعرفة ، فى الوقت الذى لم تتح لنا الظروف أن نعرفه بعض المعرفة.. مهما يكن من أمر فانه ليسعدنا كل الاسعاد أن يطلع الاستاذ الشاعر على هذه الكلمة ، وأن يبعث الينا بقطوف من شعره لنقضى معه لحظات أخرى ممطرة بأرج النغمة الروحية الخالصة !

وللذين يوافوننا ببعض ما يعرفون عن الأستاذ حداد — إذا لم يقدر له أن يطلع على هذه الكلمة — تحية ملؤها الشكر العميق

أنور المعداوى

أحلام الانسانية وأمانيها فى مستقبل ثقافى تهيــأ فيه سبل المعرفة لجميع الناس ، وتتقارب فيه أفكار الجميع ، وهى ـ كما قال الدكتور ـ صدور أمر يرجى تمامها ، كما يرجى أن يبعث الأمل فى تمام عواقبه يوما من الأيام .

والجديد أيضا فى رحلة هذا العام أنها كانت قصيرة ، أعجلته فيها الرسميات وما ينتظره هنا من الجلائل عن أن يأخذ لنفسه قسطا من المتعة ، ولكنه على رغم هذا القصر ومع هذا الحرمان قام بسفارته الأدبية قياما عرفته مصر فابتسم له ثغرها (الاسكندرية) إذ تلقته الجموع هناك من رجال التعليم وغيرهم بما هو أهله من الحفاوة وروعة الاستقبال .

لقد كان طه حسين عنوانا لمصر فى أوربا أمام ممثلى العالم ، فكان خير دعاية لها ، وكان بشخصيته مصداق قوله فى المؤتمر : إن مصر قد سبقت إلى تحقيق الآمال الثقافية التى يسعى إليها الناس فى هذا العصر ، فهى تحقق الصلة بين الشرق والغرب وهى تأخذ من الغرب ما تأخذه فتذيعه فى الشرق ، لأن مصر ليست أثرة ، لا تحب أن تستأثر بالخير من دون جيرانها .

ما أكثر الذين يسافرون إلى بلدان أوربا وأمريكا من المصريين للمؤتمرات وغيرها ، وما أكثر ما تنفقه مصر عليهم ، وما أقل ما تجنيه من « نزهاتهم » وما أجدرهم أن ينظروا إلى هذا الرجل الدؤوب ، طه حسين ، ليتخذوه مثلا يحتذى فى جهوده المتواصلة المثمرة .

معجم فيشر

كان مجلس مجمع فؤاد الأول للغة العربية قد أحال مهمة فحص جزازات المرحوم فيشر إلى لجنة مؤلفة من الأساتذة أحمد العوامرى وعباس العقاد وابراهيم مصطفى وقد قامت اللجنة بهذا الفحص وكتبت تقريرا قالت فيه إنها كانت تتمنى أن ترى وسيلة لاتمام هذا العمل العظيم فإن جهــد الدكتور فيشر طول حياته فى إعداد هذا المعجم جدير أن يسجل وألا يضيع شىء منه ، فتأسف اللجنة إذ ترى استحالة تحقيق هذا الغرض الآن لأن الجزازات لم تتم وما تم منها لم يرتب ، فالعمل مع ما تم منه لم يزل فى حاجة إلى جهد عظيم ليس من اليسير تحقيقه بعد كارثة المعجم بوفاة الدكتور فيشر . واقترحت اللجنة لحفظ هذا الأثر والانتفاع به ما يلى :

١ — ترتيب الجزازات الموجودة فى المجمع

٢ — السعى لاسترداد الجزازات الناقصة والتى اصطحبها

كشكول الأسبوع

□ جاء من باريس أن الأكاديمية الفرنسية منحت معالى الدكتور طه حسين بك « ميدالية اللغة الفرنسية » كما منحت نفس هــذه الميدالية للأستاذ شارل قرم صاحب « المجلة الفينيقية » الفرنسية بلبنان .

□ وصلت إلى إدارة التراث القديم بوزارة المعارف نسخة من ديوان ابن الرومى مصورة على فلم ، من مكتبة الاسكوريال وذلك عن طريق وزارة الخارجية . ويقوم بفحص هذا الفلم الأستاذان ابراهيم الابيارى وحامد عبد المجيد .

□ صدر أخيرا كتاب « ملامح وغضون » للأستاذ الكبير محمود تيمور بك ، وهو صور وصفية تحليلية لطائفة من الشخصيات اللامعة ، نظر فيها المؤلف إلى الجوانب الطيبة فى هذه الشخصيات نظرة الفنان المبدع فأخرج منها « لوحات » بالغة التعبير رائعة الجمال .

□ كتب الأستاذ زكى عبد القادر فى الأهرام حكاية تتضمن أن مجلة وزارة الشئون الاجتماعية استكتبت أحــد الكتاب مقالا مقابل عشرة جنيهات ، ولما وصلت الأوراق فى طوافها السلحفى إلى السكرتير المالى كتب عليها : هل عملت إدارة المجلة مناقصة ؟!

وهى حكاية ظريفة جدا تدل على ذكاء خارق وحرص بالغ على مال الدولة : فقد كان من الممكن — فى رأى السكرتير الحصيف — أن نعمل مناقصة ويدخل فيها أحد الكتبة العموميين الذين يجلسون بجوار المحاكم ، ويكتب المقال المطلوب بعشرة قروش بدل عشرة جنيهات !!

□ أشرت من قبل إلى اختيار الدكتور حسين مؤنس ممثلا للجامعة العربية فى مؤتمر اليونسكو على الرغم من كتابته ضد الوحدة العربية . وقد علق على ذلك أحد الظرفاء بأن الدكتور مؤنس فى الناحية الثقافية بالجامعة العربية يقابل شرق الأردن فى الناحية السياسية ..

□ تلقيت بضع رسائل من طلبة « التوجيهية » يقولون فيها إنه طلب اليهم فى امتحان الانشاء أن يكتبوا عن « المجتمع المصرى فى مختلف أزيائه » فتبادر إلى أذهانهم أن المقصود من « أزيائه » طبقاته ، ويرجون أن تجاز كتابتهم على ما فهموا . والواقع أن « الزى » ليس نصا فى الملبس من حيث الأصل اللغوى ، فصرفها إلى الطبقات كاستعمالها فى الملابس ، على أن المقصود أن تختبر ملكة التعبير الفصيح فى الطالب ، وهنا يتحقق على أى المتنين فى الموضوع ، ولا إخال القائمين بالأمر إلا مقدرين ذلك

الدكتور معه إلى أوربا.

٣ – أن تنسخ هذه الجزازات بعد ترتيبها وتدون فى كتاب جامع ليبقى محفوظا للرجوع إليه والانتفاع بشىء منه

٤ – وعلى سبيل الاحتفاظ بقدر الإمكان بآثار الدكتور فيشر تشير اللجنة بأن تنشر المقدمة التى وضعها والجزء الذى راجعه فى مجلة المجمع .

وقد ناقش مجلس المجمع هذه المقترحات فى إحدى جلساته ، فرأى الأستاذ الزيات أن المعجم الكبير الذى يقوم به المجمع يشبه معجم الدكتور فيشر وأن الاختلاف بينهما لا يتجاوز النظام والطريقة ، ومن الفرق بينهما أن معجم فيشر يحرص على مراعاة التطور التاريخى للكلمة والمعجم الكبير يميل إلى الاستطراد والحشد .

وعلى ذلك يرى الأستاذ توحيد العمل فى المعجمين . وقال الأستاذ ابراهيم مصطفى : إن المقترح الثالث من مقترحات اللجنة يتضمن المعنى الذى أشار إليه الأستاذ الزيات من الاستفادة بمعجم الدكتور فيشر ، ويصح أن نضيف إلى المقترح عبارة « وتكون تحت يدى لجنة المعجم الكبير »

وبعد نقاش طويل وافق المجلس على قرارات اللجنة ، وقد تضمنت القرارات أيضا ، أن ينظر مكتب المجمع فى تعيين خمسة من الموظفين لترتيب هذه الجزازات وتدوينها ، على أن يتم هذا العمل فى نحو سنتين .

المرأة فى نظر الإذاعة المصرية

فى برامج الاذاعة المصرية برنامج اسمه « ركن المرأة » أكثر ما يذاع فيه عن المأكولات والمشروبات والملبوسات والمفروشات ، مثل كيفية صنع « المكرونة بالفرن » و « الحمام المحشى » و « سلطة البدنجان » وكيف تنظمين هندامك يا سيدتى ، وكيف تزيلين « البقع » من السجاد ... إلى آخره وأحيانا يتحدث بعض الأطباء ، فيتناولون موضوعات مثل آلام الحمل والعادة الشهرية ... إلى آخره أيضا .

وهكذا لا تخرج مواد ذلك « الركن » عن أمثال تلك الضرورات الحيوانية ، فلا أدب ولا ثقافة ولا شىء من هذه الأمور التى تخاطب العقل والروح أو تمتع الذوق الفنى . كأنهم يرون أن المرأة لا يعنيها غير الأكل والشرب وإزالة « البقع » ولو أنهم كلفوا أنفسهم النظر إلى برامج المرأة فى الاذاعات الأخرى لرأوا فيها إلى جانب هذه الأشياء المنزلية ألوانا من الآداب والثقافات تقدم إلى المرأة باعتبارها إنسانا له عقل يحتاج كما تحتاج المعدة إلى الغذاء

والأمر لا يحتاج إلى خبرة فنية إذاعيـة كالتى اكتسبها رؤساء الاذاعة أو التى يقال إنهم اكتسبوها من عملهم هنا أو رحلاتهم هناك .. فالمسألة يسيرة جدا لا تتطلب أكثر من أن ينظر أى موظف يعرف القراءة فيما تنشره مجلة الاذاعة المصرية نفسها من برامج الإذاعات العربية الأخرى ، وهذا هو العدد الأخير نرى فيه برنامج المرأة للأسبوع الماضى فى محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية، نرى فيه « مراجعة كتاب غربى للدكتورة سهير القلماوى » و « برنامج اختبرى معلوماتك للانسة عناية رمزى » و « المرأة والفنون الجميلة للانسة نلى نقادى » و « المرأة فى الشعر والنثر » وغير ذلك من أمثال هذه الموضوعات

فهل ترى الاذاعة المصرية أن المرأة « حيوان طابخ ! » ؟ ولم إذن لا تسمى ذلك « الركن » « مطبخ المرأة » ؟

مسرحية عزيزة هانم

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الصيفى من أول شهر رمضان الحالى فى المسرح الصيفى الذى أعدته فى مكان سينما حديقة الأزبكية ، وذلك بمسرحية « عزيزة هانم » وهى رواية فكاهية من نوع « الفودفيل » التى يقوم على سوء التفاهم الذى تنشأ عنه المفارقات المضحكة ، فعزيزة هانم إنما هى فرس يعالجها الطبيب البيطرى الذى أفهم خطيبته أنه طبيب بشرى ، ويحدث بسبب ذلك ارتباك تفهم منه الخطيبة أن عزيزة اسم خطيبة أخرى للدكتور ، ويتبين لها فى آخر الأمر أنها من مرضاه ...

والرواية لا يقصد بها غير التسلية ، وهى وإن كانت لا موضوع لها بطبيعة هذا النوع إلا أنها فكاهة راقية لا ابتذال فيها ولا إسفاف ، أعنى أنها تسلى المثقف وصاحب الذوق من غير أن يصطدم بمناظر متكلفة أو حركات مبتذلة . والرواية حقا ليست



المسرحية بين الكتابة والخلق (٣)

مفرق الطريق

للاستاذ يوسف الخطاب

يخطىء من يظن أن النقد رصد للاخطاء وتلمس لأوجه الضعف فى العمل الفنى. فمثل هذا النقد لا يصدر إلا عن ناقد عاجز لا يقوى على مجابهة العمل الناجح، لأن فى نجاحه ما يذكره بعجزه، ويؤكد فيه ضعفه. وهذا الضعف من النقاد لا وجود له إلا فى مجتمع بدائى يترصد الناس فيه بعضهم لبعض، وعلى عكسهم يكون الناقد الأمين الذى يتحدى جانب القوة فى العمل الفنى ويفرح بلقاء العمل الناجح ولا يضيق به. ومن هنا حق لنا أن نرحب بالترجمة الفرنسية لمسرحية الدكتور بشر فارس (مفرق الطريق) التى عرفت المسرحية قبل أن تأخذ طريقها إلى المطبعة فمثلت بنجاح على «مسرح الجيب Theatre du poche» وذكرت الصحف الفنية أن فى النية إعادة تمثيلها فى سبتمبر القادم. وظهرت هذا الشهر مطبوعة فى المجلة العالمية لفن المسرح La Revue Theatrale ونحن نرحب بهذه المسرحية لأنها لكاتب من كتاب الطليعة فى النقد والأدب العربى، ومسرحيته كانت من أولى المسرحيات الرمزية التى طالعت المكتبة العربية، ومثلت بنجاح على المسرح الفرنسى، وكم تقنا إلى مشاهدتها على المسرح المصرى لنحكم أنها للتمثيل قبل أن تكون للقراءة.

وكنا قد يتصدى لنقد المسرحية، أقرر أنى أعتمد على النص المطبوع فى مناقشة بنائها المسرحى، أما الجانب التمثيلى فقد كفانى مناقشته نقاد باريس، ولنا عودة إليه حين تشهد مصر تمثيل هذه المسرحية كما شاهدتها فرنسا.

وقبل أن أبدأ النقد هناك حقيقة يجب أن نتفق عليها هى أنه اذا كانت الأعمال الفنية تحمل بين ثناياها مقاييس الحكم عليها، وأن الفنان يحدد اتجاهه بحكم ثقافة العصر الذى نشأ فيه فان مؤلف هذه المسرحية جمل المسألة أكثر تحديدا وإلزاما حين قدم لمسرحيته بتوطئة طويلة عن الرمزية وطبيعة تناوله لها. ومن هنا أرى أنه من التعسف أن يخضع الناقد الكاتب لاتجاهين هما حتما مختلفان بحكم الثقافة والجيل.

ونحن محتاجون للوقوف عند التوطئة لنتعرف الى المسرحية واتجاهها الأدبى الذى يقول المؤلف أنه انتهى إليه بعد جهد ودراسة. هذه الدراسة متى تجنب المسرحية كل ما ترمى به أكثر أعمالنا الأدبية من شيطانية وارتجال. ثم ان المؤلف لم يدلف إلى ميدان المسرحية الرمزية الا بعد أن عالج الرمزية فى القصة والمقالة والقصيدة، فهو لم يصل إليها طفرة بل بطريق طبيعى كالصوفى

مما يناسب رسالة الفرقة المصرية ولكن عذرها أنها تقدم بضاعة للصيف فى الهواء الطلق وأنها احتفظت بجمهور الراق لعدم الابتذال ونوع الفكاهة.

على أنها ستقدم بعد هذه الرواية مسرحية «مدرسة النساء» اقتباس المرحوم عثمان جلال عن موليير وهى مسرحية فكاهية أيضا ولكنها تعتمد على الطبيعة الإنسانية فى منطقها وتحليلها.

ورواية «عزيزة هانم» أخرجها الأستاذ فتوح نشاطى فأحسن إخراجها وإن كنت آخذ عليه إظهار الفرس على المسرح ولا سيما أن منظرها ليس جميلا فهى مما يجر العربات وحالتها تستدعى تدخل جمعية الرفق بالحيوان، وكذلك منظر العملية التى أجريت لحمار، فقد كان ذلك مملا وممجوجا لا يستريح إليه ذوق الشاهد، وكان يكفى الحديث عن هذه الأشياء فى الحوار دون حاجة إلى إظهارها

والحوار طبيعى ظريف مما ساعد على إجادة الممثلين والممثلات، فقد قام كل من هؤلاء بدوره خير قيام، وخصوصا حسين رياض وأمينة رزق ونعيمة وصفى وفاخر فاخر، ولا يمنعنى عدم معرفة اسم الممثل الذى قام بدور «أبو شوال» عن الاشارة إلى توفيقه فى فى هذا الدور.

عباس خضر

حين يترق فى مراتب الوجد .

ومن تفسيره الرمزية فى أعماله وأعمال الآخرين نعرف أنه من أنصار الرمزية النفسية بمعناها السيكلوجى الموضوعى . فهى « استنباط ماوراء الحس من المحسوس . . . . يشترك فى كشفها الاحساس . . . والادراك . . والتخيل . . » وبقدر ماتتهم به الرمزية من غموض الى حد التباس تعريفها على النقاد — حتى لنجد لها عند كل ناقد تعريفا — فاننا لانجد تعريفا أكثر وضوحا من تعريف المؤلف الذى يجد له سندا من علم النفس .

ويستمر المؤلف فى بسط نظريته فى الرمزية على هذا الأساس النفسى الفردى فيروى لنا الغاية التى يستهدفها وأنها سعى « وراء العالم الحقيقى عالم الوجدان المشرق ... عالم أمثل ... يوفق بين الواقع والموهوم » .

ثم يصور لنا طريقة الصياغة الرمزية فيقول أنه « يعرض عن الطريقة المألوفة فى الكتابة بغية أن يجعل منها ركنا يغلب فيه الارتجال على الصناعة . . وحتى يخلص إنشاءه من الخطابة . والتحليل . . والوصف الواقعى . . . وحتى يسابق الزمن الذى أصبح فيه الايجاز والايماء أحب إلى القارىء العربى من الاطناب الطويل » لذا تراه يجمع فى ألفاظ معدودة طائفة من الآراء والتأثرات .

هذه هى الخطوط الفنية التى رسمها المؤلف ننتهى منها لنلخص المسرحية ونوضح فكرتها اذا سلمنا بأن المسرحيات الرمزية ذات دلالة يمكن أن تلخص — وان كنا نستطيع أن نفترض أن الرمز دلالة ظاهرة لباطن خفى يمكن إيضاحه بتلخيص المسرحية كما تجرى فى الظاهر .

و « مفرق الطريق » كما تصورها الشخصيات بالملابس التى ترتديها ، والحى البلدى الذى تدور حوادثها بجوار منازله القديمة تروى لنا علاقة امرأة بشباب أبله عملا به فراغا تركه حبيب ذو نزوات حسية نفرتها منه . ويظل الابلة قانعا بها فى صمت ، وتظل هى مستسلمة لصمته — وإن كانت دائمة الثورة على هذا الصمت مشغولة بالإحساس القديم ، ويأتى حبيبها الأول فيستعيد ان القصة ويدعوها لأن تذهب معه . وهنا ينبعث الانسان الكامن فى الأبله ويبكى لأول مرة فى حياته . فلا يسع المرأة التى تخلصت من كل العواطف الساخنة إلا أن تدع الرجلين يأخذان طريقهما فى الحياة المادية وتصمد هى فى طريق التجرد من العاطفة البشرية .

هذه هى المسرحية كما نرى فى الظاهر : قصة فيها من الواقع أحداث واقعية وأشخاص تنبض بالحياة وفيها من الرمز والإيحاء الشىء الكثير . ولكن الرمزية ليست بواقع الحياة الذى تصوره بل بدلالة هذا الواقع على النفس الانسانية وتفسيره لمكنوناتها المجردة. ولقد قدمنا أن النقاد يختلفون فى تفسير الرمزيين وأعمالهم ولا عجب . فالرمزية أكثر المذاهب الفنية ذاتية وحاول المؤلفون كساءها بالموضوعية .

ومع هذا فان رمزية — مفرق الطريق . تتضح عند عنوانها الذى يحدد طبيعة المسرح الذى تجرى فوقه أحداثها بأنه ملتقى العقل والشعور . ويتضح هذا التحديد فى توطئة المسرحية التى كتبها المؤلف . وأخشى أن أقول أن الدكتور بشر فارس وقد مارس النقد خاف أن يأتى مخرج أو ناقد فلا يحسن فهم اتجاهه فقدم المسرحية بتوطئة طويلة وتبين لطبيعة المسرح ورسم للشخصيات ثم عاد مرة ثالثة فرسم المسرح والشخصات كما تبدو فى الواقع مبالغة منه فى إيضاح المبهم من الأشياء .

ولو رجعنا إلى هذا التبيين نجد أن المرأة تمثل النفس الانسانية حين تضطرب فيتجاذبها عالم العقل الباطن — كما يمثله الأبله — والعقل الظاهر الذى يمثله حبيبها ذلك الانسان المادى الذى لايدرك المعانى المجردة .

هذه هى الشخصيات وما ترمز له من دلالات تجمع بينها الفكرة المسيطرة على الشخصية الرئيسية : وهى الصراع بين العقل الظاهر والباطن وضرورة التوفيق بينهما . ومن هذا الصراع الدفين أخذت المسرحية شكلها الدراماتيكى — وإن كانت المسألة ليست قصراً على الشخصيات والفكرة وحدها ، فان المواقف التى مرت بها لها دلالاتها لأن المؤلف يلونها بفكرته .

ونكتفى بهذا التفسير لرموزه المسرحية لننتقل إلى بنائها المسرحى . وهنا نجد المؤلف يبدؤها بمشهد من التمثيل الصامت يستمر مدة ليست قصيرة فيكسبها الشكل المسرحى الخالص .



تراث الرافعي

نشر الأستاذ منصور جاب الله كلمة بالعدد ٧٨٣ من الرسالة الغراء تحدث فيها عن كتاب (اسرار الإعجاز) لنابغة الأدب السيد مصطفى صادق الرافعي ساق فى آخرها رجاءاً إلى أبناء الرافعي حفظهم الله لكي يقوموا بطبع هذا الأثر النفيس ، وكأنه ظن أن هذا ليس فى وسعهم فتوجه برجائه إلى معالى الدكتور طه حسين بك وزير المعارف لكي يأمر بطبعه على نفقة وزارة المعارف « حتى يتم به النفع وتتم به الفائدة المرجوة إن شاء الله »

وهذه الصيحة الكريمة يؤيدها ولا ريب كل من يعرف فضل الرافعي على العربية وبلاغتها ، ويرجو مخلصاً أن يصغى معالى الوزير ، ويحقق للعربية أمنيتها .

وإنى بهذه المناسبة اجهر بأمر لا بد من بيانه ، وذلك إن تراث الرافعي لما ينشر بعد على الناس كاملا ، إذ لا تزال عشرات المقالات مما انشأه قلمه البليغ مبعثرة بين جوانب الصحف لم تجتمع فى كتاب !

وأذكر أن الرافعي رحمه الله طلب منى فى أوائل شهر يوليه سنة ١٩٣١ أن أرسل إليه ما لدى من وحى قلمه فأرسلت إليه سبعة وستين مقالة أعمها بما لديه — كما أخبرنى — فبلغت أكثر من مئة مقالة ! وهذه المقالات الكثيرة لم ينشر منها فى وحى القلم إلا بضع مقالات ! ولدى الآن غير ما أرسلت إليه أكثر من عشرين مقالة ويوجد نحوها فى بطون الصحف وإنى أعرف مكانها فأين ذهبت هذه المقالات كلها ؟ ؟

ومن العجيب إنك ترى فى آخر الجزء الثالث من كتاب وحى القلم « تم الجزء الثالث من وحى القلم وبه تم الكتاب » !!

هذا هو تراث الرافعي الذى إن لم نعمل على نشره ضاع كما ضاع غيره من ذخائرنا الأدبية والعلمية ! فهل يقيض الله له من ينشره على الناس المتأدبين ، ليبقى محفوظاً على مر السنين ؟؟

المنصورة — **محمود أبو رية**

أدب المجون

تناول أستاذنا الجليل صاحب الرسالة فى مقالاته الأخيرة الحديث عن « أدب المجون » ، فعرض ألوانا من هذا الأدب الماجن ، وقص علينا كيف كانت نهاية الشعراء والكتاب

وهى التفاتة فنية إلى طبيعة المسرح التى لا تقتصر على الكلام والحوار ، ثم يعود فيكررها أكثر من مرة .

وإذا ربطنا بين هذا التمثيل الصامت وصوت الناى الذى يسمع مرارا أدركنا أن المؤلف أراد أن يوفر لروايته كل العناصر الجمالية التى عرفها المسرح منذ نهض عن الإغريق حتى وجود البالية . وهو حين يستخدم هذه العناصر لا يقدمها كاضافات تملأ فراغا بل كدلالات أصيلة تشارك فى الأحداث . ففى المنظر الصامت الذى تبدأ به المسرحية نجد الأبله يمسك عوداً من القصب وبينما يكسره على ركبتيه يشد العود إليه بقوة كان هناك من يريد خطفه . فتسأله المرأة « أيريد أحد خطف قصبك ؟ » وهنا تكون دلالة التمثيل على الحالة النفسية التى تبدو عليها الشخصية .

وإذا تركنا عنصرى الصمت والموسيقى اللذين أعانا المؤلف على توضيح فكرته نجد الحوار عنده لا يقتصر على تأدية وظيفته اللغوية فحسب بل يتمداها إلى ما هو أهم حين لا يقف به عند مجرد العرض بل يجعله يشارك فى الأحداث باعتبار أن الحدث المسرحي فى الرواية الرمزية يدور داخل النفس ولا يتجسد خارجها وان وسيلة الحديث النفسى الحركة الباطنية التى يعبر عنها الحوار المار.

وميزة هذا الحوار أن ألفاظه فيها من الشعر طابع الايجاز واللطف.

ورغم الجهد الذى تتطلبه هذه المسرحية من الممثل والمخرج بل ومن المشاهد ـ فانا نطالب بتمثيلها على مسارحنا باللغة الفرنسية من الفرق الأجنبية التى تأتينا كل عام من فرنسا . وباللغة العربية من الفرقة النموذجية التى ستقدم عيون الأدب المسرحى .

يوسف الخطاب

الماجنين ، كبشار ، وأبي نواس من شعراء العرب ، وأوفيد من شعراء الرومان ، وبودلير من شعراء فرنسا ، فقد وجد هؤلاء الشعراء من يردعهم ، ويحارب مجونهم ، وضلالهم !

وأحب أن أعقب على هذه الأحاديث القيمة بكلمة أعرض فيها لونا آخر من أدب المجون ، سرت عداوة في صحفنا ومجلاتنا العربية على نحو نشفق منه على الأخلاق ، وندعو إلى محاربته درءاً لشروره وآثامه ...

هناك صحف ومجلات تعتنق هذا المبدأ الماجن ، فتملأ صفحاتها بالمواد التي يخرج القارىء من مطالعتها بدون ثمرة ... لأنها تدور حول محور واحد ... هو « المجون » !

ولقد كفت الصحف والمجلات المصرية زمنا عن نشر الصور العارية إثر ضجة أثارها الغيورون على الأخلاق من أنصار الفضيلة ، ولكن الكثيرين عادوا لما نهوا عنه ، فتطالعنا الصحف على اختلاف نزعاتها الحزبية ، بالصور الخليعة ، تشغل جانبا كبيرا من أعمدتها قد تضن به على مقال أدبي ، أو بحث علمي ، أو موضوع اجتماعي يعالج مشاكلنا الاجتماعية الآخذ بعضها برقاب بعض !

ولقد جمعني مجلس ببعض أصحاب هذه الصحف ومحرريها ، وأبديت لهم وجهة نظري ولكنهم أكدوا لي انهم إنما يرضون قارئهم !!

إنهم يقولون إن القارىء لا يرضيه أن يشتري مجلة إلا إذا عرف أن هذه المجلة تعنى بنشر الصور « اللطيفة » ! وفي وسعهم ارضاء قارئهم — الذي يحرصون على إرضائه بتنويع المواد . . . والابتكار في اختيار الموضوعات الطريفة التي لا يملها !

ونعم ... في مقدورهم أن يرضوا قارئهم فيقدمون له المواد الدسمة ، والابحاث الطريفة ، والتحقيقات الصحفية التي تكشف له عن حقائق يجهلها .. بدلا من الهبوط بالصحيفة إلى هذا الدرك الأسفل من الانحطاط الخلقي ، وحسبنا مانعانيه من انحلال الأخلاق ، وتدهور القيم الخلقية !

ومن المؤلم حقا أن تجد هذه المجلات من الذيوع والانتشار ما لا تجده غيرها من المجلات التي تؤدي رسالة الأدب الرفيع ، والعلم النافع ، والفن الجميل !

إننا إذا حاولنا أن نقارن بين نسبة توزيع هذه المجلات وتلك لهالنا الفارق البعيد في الأرقام ، ولأدركنا أن « العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من التداول » كما قرر « جريشام » في نظريته الاقتصادية المعروفة !

هذه كلمة سريعة ، أوحت إلي بها مقالات أستاذنا الزيات عن « أدب المجون » عرضت فيها لونا من ألوان الأدب الماجن الذي نلمسه في معظم صحفنا ومجلاتنا المصرية !

فلعل أصحاب تلك الصحف ، وحملة تلك الأقلام ، أن يعملوا على النهوض بأدبنا وصحافتنا إلى المستوى اللائق بكرامتنا .. وديننا .. وصحافتنا !

بنك مصر — القاهرة

عيسى متولي

الأطفال والأفلام

في بريد المحرر بعدد الاجبشان جازيت الصادر بتاريخ ١٣ / ٦ / ١٩٥٠ رسالة من آنسة مصرية هي الآنسة « هدى برادة » بعنوان « الأطفال والأفلام » ذكرت فيها أنه لما كانت الأفلام تخضع قبل عرضها على الجمهور لرقابة وزير الداخلية فأنها لذلك ينبغي أن تقسم قسمين .. الأول الأفلام التي تناسب الأطفال من الثامنة عشرة فما دونها .. والثاني الأفلام التي يشاهدها الكبار .

وقالت إن بالخارج دوراً للعرض تمنع دخول الاطفال من سن السادسة عشرة فما دونها . وتساءلت عن السبب الذي من أجله لا تأخذ مصر بهذا النظام .؟ واقترحت حضرتها أن يكون عرض الأفلام التي لا تناسب الأطفال من الساعة التاسعة إلى الثانية عشرة مساء حتى يصبح من العسير عليهم الدخول في هذا الوقت المتأخر مالم يستصحبهم آباؤهم ... بينما تعرض الأفلام الأخرى في الحفلات النهارية والمسائية الأولى .. وذكرت أن الغرض من منع الأطفال من مشاهدة الأفلام البوليسية والأفلام المثيرة كفيلم « جيلدا » هو أنها تترك آثار سيئة في نفوسهم وأنهم يتخذون من أبطالها مثلهم العليا .. وهذا كلام جميل .. وأجمل منه لو أن حضرة الكاتبة المصرية التي تحتفل كل هذا الاحتفال بالاطفال وتربيتهم عالجت موضوعها في صحيفة مصرية .. وكتبت كلمتها باللغة العربية التي ينبغي أن تعتز بها وتتعصب لها ، والتي يمكن أن يفيد منها أبناء جنسها لا المستر هوايت و مسز بلاك من أبناء التاميز فالأمر إذن لا يعدو أن يكون واحدا من اثنين إما أن تكون هذه الآنسة المصرية لا تجيد الكتابة بلغة قومها وهذه إحدى الكبر ، وإما أنها تجيدها وتؤثر عليها لغة أجنبية تكتب بها ظنا منها أنها بذلك تدل على ثقافتها ومدى تمكنها من الكتابة باللغة الأجنبية . وليس شك في أن هذا تفكير سقيم لا يصح أن يصدر عن آنسة مثقفة تدرك أن بمصر صحافة مصرية تفسح صدرها لبحث المشاكل العامة والتماس الحلول لها بطريقة قومية .

المنصورة

أمينة رشدي



قصة من فلسطين

خطيئة

للأستاذ علي محمود سرطاوي

فتحت سلوى عينها على الحياة على مدينة نيويورك ، تلك المدينة التي تقوم فيها ناطحات السحاب ، والبيوتات المالية التي تبعث مقدرات العالم ، وتسير التاريخ ، وترسم له الاتجاه .

وكان والدها قد رحل إلى أمريكا قبل ذلك التاريخ ، وواتته الفرصة فجمع مالا وفيرا ، وعاد إلى الوطن يفتش عن عروس في فلسطين أرادها أن تكون أسرته ، فبنى بابنة عمه وعاد بها إلى أمريكا .

ولكن الحنين إلى الوطن ، والشوق إلى الأهل ومراتع الصبا ، جعل حياة الزوجة جحيما لا يطاق ، فما زالت به حتى قنع بالعودة بعد تصفية أعماله .

والحرية في مدينة نيويورك تختلف عنها في الشرق اختلافا عظيماً ، ذلك أن الفتاة والفتى يلعبان طفلين معا ، ويتعلمان شابين ولا يجدان في مسالك الحياة ما يغير ذلك . والتعليم في معانيه يحمل العقل مسئولية الخطأ في الحياة ، وينير أمام الضمير الطريق ، والفتى والفتاة في الخامسة عشرة يجتازان أشق مرحلة من مراحل العيش ، تلك المرحلة التي يعزف فيها الشيطان على قيثارة الشباب ألحان الجنون ، وتصرخ الطبيعة في الجسد الغض بصوتها الذي يزلزل العقل ويدمر الاحساس ، ويوقد السعير في الضلوع . ولذلك كان من أبسط واجبات الوالدين العناية بأبنائهم وبناتهم في هذه السن المبكرة ، والاخذ بيدهم لاجتياز هذه المرحلة الموحشة .

عادت سلوى وهي في الخامسة عشرة من عمرها مع أمها وأبيها إلى الوطن الذي لا تعرف عنه شيئا ، وإلى الأهل الذين تختلف طبائعهم وسلوكهم وعاداتهم عما الفتنة في نيويورك ، فرأت نفسها غريبة لا تفهم الناس ولا يفهمونها . تبصر النساء يسرن وقد وضعن على وجوههن أغطية شفافة سوداء فلا تفهم معنى المحافظة على الأخلاق عن طريق الثياب بدلا من غرسها في صميم الروح .

ومات والدها بعد ستين من رجوعها إلى فلسطين ، ولم يترك غيرها فكانت الوارثة الوحيدة لثروة كبيرة انفق الأب زهرة عمره الطويل في جمعها .

وكانت والدتها صغيرة السن ، جميلة الملامح ، مر في حياتها شاب بعد وفاة زوجها لوح لها بالحب فخدعها فانقادت اليه واسلمته قلبها وجسدها وحياتها وتزوجا .

وعاشت سلوى في المنزل الجديد ، فكانت منقبضة الأسارير لم يرق في عينها زواج أمها ، لأن ذكريات أبيها كانت عميقة في روحها ، وكان يؤلمها أن ترى إنسانا آخر مع أمها تلك التي كانت قبل عهد قريب أحب الناس إلى أبيها .

وشبع الزوج وارتوت الحيوانية المتغلغلة فيه من جمال الأم ، وراح لعاب نفسه المجرمة يسيل كلما رأى سلوى وهي كالوردة العابقة تملأ المنزل سحرا وفتنة وجمالا وسعادة . وراح يتودد إليها ويكثر من المزاح معها ، ومن العناية بها ، ويطيل في مداعبتها فادركت الأم ذلك ، وشعرت بكيانها ينهار وبعزيمتها تخور ، وبقلبها يتحطم ، وهي ترى ذلك الذي اسلمته قلبها ، ووثقت بشرفه ومروءته ورجولته ، يطارد ابنتها ، فثار غضبها ، وجرحت كرامتها .

وأرسلت سلوى إلى جدتها في مدينة أخرى . وكانت تلك الجدة في الخمسين من عمرها ، مات زوجها وجميع أبنائها ولم يبق غير ولد واحد في العشرين من عمره ، لا يعمل عملا ، وانما يعيش مع أمه على ما كانت ترسله أخته أم سلوى لهما من نقود .

ووجدت سلوى عند جدتها لونا جديدا من الحياة الطليقة لم تألفه عند أمها التي كانت تقيد حريتها ، فأحبت العيش عندها . ان خالها يملأ فراغها ؛ يسيران معا بين الحقول الخضراء والبساتين المثمرة ، ويتسلقان الجبال ، ويهبطان الأودية في نزهتهما اليومية ، ويلعبان معا ، ويأكلان معا ، وينامان معا في غرفة

واحدة . . والجدة ترى ذلك فلا يداخلها سوء ، ولا يمر بخاطرها مكروه ، ولا تجد فى ذلك ضيرا ! أليس خالها ؟ أوليست محرمة عليه وهى ابنة أخته ؟

ولكن الطبيعة النائمة فى جسديهما قد استيقظت ، والجسدان الجائعان — وقد أهاج فيهما الاحساس بالجوع الطعام الغريب الشهى — قد تحررا من قيود الحياء بعد أن كان الاحتشام يحول بينهما وبين ذلك الاحساس المدمر المنيف . ولكن اللقاء الدائم والخلوة المستمرة ، والتفكير المتواصل، قد استحال إلى حب جارف متبادل بين القلبين ؛ فمات العقل فى ساعة من ساعات الشهوة المنيفة الطاغية من حنين الجسد إلى الجسد ، فزلا ، وقادهما الشيطان إلى الغواية والخطيئة ، وراحا يأكلان من الثمرة المحرمة ، والعجوز على مقربة منهما منصرفة إلى صلاتها وأورادها وعبادتها ، تدعو لهما وتبارك حياتهما ، والنار حولها قد التهمت الأخضر واليابس وقد أحرقت أعز ما عند حفيدتها من طهر ، ودمرت القوانين السماوية يد الشيطان الرجيم ، وعلى أصوات آى الذكر الحكيم ، تنبعث صلاة عميقة من روح العجوز إلى الله .

ومرت الأيام ، فشعرت الفتاة بشىء يتحرك فى احشائها ، ففاتحت خالها الشاب الأرعن فلم يفهم شيئا ولم يعنها على فهم ما غمض عليها ، ولعله لا يعرف ... واستمر دولاب الزمن فى دورانه فكبر الجنين وظهرت أعراض الحمل ... وتنبهت العجوز بعد فوات الوقت ، ولم يكن بد من ظهور الفضيحة ، فحملت الفتاه إلى المستشفى وهناك وضعت طفلة

واتصل بعلم الأم ذلك الأثم ، فجن جنونها ، وخولط عقلها ، فلطمت وجهها ، وهى فى ارسال كريمتها إلى جدتها كانت كالمستجير من الرمضاء بالنار ، ولكن بصيصا من الايمان العميق بالله وبالقضاء والقدر حالا بينها وبين الموت . فأخذت طريقها إلى أمها واخيها وبودها أن تسحقهما سحقا . لقد انقلبت إلى وحش كاسر تريد الثأر لكرامة ابنتها ! ولكن ممن ! من أخيها — نعم من أعز انسان لديها ! تريد أن تنتأر لكرامتها الجريحة ، وللعار الذى لم يسبق له مثيل ، والذى سيكون نصيب ابنتها البريئة الطاهرة فى الحياه . لكنها لم تستطع أن تفعل شيئا أكثر من وضع الطفلة فى ملجأ والهرب بابنتها إلى منزلها لتسكون تحت جناحيها .

ومرت الأيام وأحست الفتاة بفداحة الأثم الذى اقترفته فكرهت الحياة ونقمت على البشر ، واظلمت الدنيا فى عينيها فما عادت ترى غير أطياف سود من البؤس والشقاء وما عادت تشعر الا بتلك الجراح العميقة فى قلبها تلك الجراح التى لا تميت ولكنها لا تبرأ منها على حد تعبير اللورد بايرون فى ملحمته « الفارس هارولد

وتقدم لخطبتها شاب متعلم رأى أطياف سعادته تنعكس فى عينيها الساحرتين ، فأحبها حبا مبرحاً عنيفاً — ولم يكن يعرف شيئا عن أحزانها ومتاعب روحها . وراح يمنى النفس بها ، وبالسعادة معها . . كان ذلك ما يضطرم به قلب الشاب العاشق الذى كان يزور أمها ، ولكن الفتاة وهى ترى حبه العميق باديا فى عنايته بها ، وفى سؤاله عنها . وفى نظراته لها ، وفى رغبته فيها ـ كانت تعيش فى عالم بعيد ، لم تحس بوجوده فى قلبها ، الذى حطمته الآلام وأصبح لا يتسع للسعادة ولا يقوى عليها

وتقدم يخطبها ، وكان ذلك ما تمنته الأم فرضيت به ولكن الفتاة لاذت بصمت عميق .

لقد مات قلبها ولم تكن راغبة فى أن تجر إلى الشقاء معها شابا أحبها بأقوى ما فى القلوب من حس وشعور ، انها لن تحبه. راحت الأم المسكينة تضع المستحيل لتردها الى المنطق ، ولتزين لها الحياة الجديدة ، بعد أن تلاشى الماضى بكل ما فيه من دموع وذكريات .

كانت الفتاة تحب أمها حباً عميقاً فسكتت أيضا وحسبت أمها أن ذلك إيذانا بالقبول وزفت البشرى الى الشاب ففرح فرحا شديدا وتلقت سلوى خطيبها فى بشر مصطنع وهو يضع خاتم الخطبة فى أصبعها ، ويضع قبلة حملها كل ما فى قلبه من عبادة وحب شديد على يدها البضة الناصعة البياض . وفرحت الأم فرحا شديدا وتمت مراسيم الخطبة فى حفل رائع بهيج . وعين يوم الزفاف . ونامت العروس والغد ينتظرها والشاب العاشق يحلم بالسعادة فى ذلك الغد بين ذراعيها .

وفتحت الأم غرفة العروس، بعد أن استبطأت نهوضها من النوم ، فوجدتها جثة هامدة مضرجة بدمائها وهى فى ملابس العرس . لقد قطعت إحدى الشرايين فى جسمها لتستريح من آلام الحياة التى حملها عن روحها الموت .

الحلة — العراق   **على محمد سرطاوى**



مطبعة الرسالة